

8me Année No. 339

Lundi - 1 - 1 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
م
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٣٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ ذو القعدة سنة ١٣٥٨ — الموافق أول يناير سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

صفحة

الرسالة
فى عامها الثامن

فى صباح هذا اليوم يستقبل الناس عامهم الجديد وهو يبرز من حجاب الغيب بروز الجنين من كِمام الحياة لا تدل معارف وجهه على خير ولا شر ؛ وتستقبل الرسالة معهم عامها الثامن وهو يبص فى ظلام الغد بصيص الأمل فى حواشى اليأس لا يُخلد إليه الأريب الحذِر بعرف ولا نكر . وفى مساء البارحة شيع الناس سنتهم الفارطة وهى تزخر بالحوادث الجسام ، وتسفح بالدماء الحرام ، وتنذر بالقارعة العامة ؛ وشيعت الرسالة معهم سنتها السابعة وعليها سِمات وندوبٌ من جهاد الرأى ونضال العيش وعنت الخصومة . وبين الساعة التى نشيع فيها العام الفقيد ، والساعةِ التى نستقبل فيها العام الوليد ، يرتسم الحد الفاصل بين ذكرى وأمل ، وبين ماض ومقبل ، وبين مرحلة ومرحلة من طريق الحياة الطويل الغليظ المبهم . وما يوم الناس إلا ذكراهم للأمس ورجاؤهم فى الغد . وما حاضرهم إلا التحسر على الماضى والتخوف من المستقبل . وما عيدهم بين سنة وسنة إلا وقفة استجمام بين مُسرًى ملتبس أمنوا ضلاله وعلِموا صباحه ، وبين سير مجهد يخشون أهواله ويجهلون ليله !

* * *

الدنيا حرب دائمة بين الحياة والموت والصلاح والفساد والخير والشر؛ ولكن هذه الحرب الخفية قد أصبحت لضرورتها ولزومها جزءا من نظام الوجود إن لم تكن هي ذلك النظام نفسه. ومن أجل ذلك ألفناها إلفنا قوانين الطبيعة فلا نتبرم بها ولا نضيق. فأنا ونفسي، ومنفعتي ومنفعتك، ورأيك ورأيه، ورغبتها ورغبته، في حرب مشبوبة لا تنطفئ، وعداوة منصوبة لا تنكسر. والحياة مع هذا الصراع المستمر زاخرة، والكون مع هذا الدمار الشامل قائم. ولكن الحرب التي تشنها أمة على أمم فتزلزل الأرض بالقذائف، وتشق السماء بالرصاص، وتخسف البحر بالألغام، وتهلك الحي بالهم والسم والنار والقحط، مثلها كمثل الزلزال والطوفان والزوبعة، لا يتسق معها نظام، ولا يتصل بها عيش، ولا يستقيم عليها أمر؛ ثم لا يميز شياطينها المجرمة المحطمة الهوجاء الضار من النافع، ولا المذنب من البرىء.

من الجائز أن تنجو الرسالة من حرب الهوى والخصومة والمنافسة. فإن الحرب في تنازع البقاء هي السلم، والثورة لبقاء الأصلح هي النظام؛ والسلاح الذي لا يخذل في هذه الحرب هو الصدق والصبر والإيمان والمثابرة، وكلها في مقدور المجاهد الصالح. ولكن من المستحيل أن تسلم الرسالة من شر هذه الحرب الهتلرية الطاحنة؛ فإنها على ضراوتها بكل شر وإضرارها بكل شيء، كانت أقسى ما تكون على الصحافة: قطعت عنها الوارد من الورق والحبر وأدوات الطباعة، فنقصت في الكيف والكم، بقدر ما زادت في النفقة والهم. وقطعت عليها السبيل إلى الأقطار الأخرى بصعوبة النقل وشدة المراقبة وضيق المعاملة، فتعذر وصولها إلى البلاد المحاربة، وقل انتشارها في الأقطار البعيدة. وشغل الناس بأخبار الحرب وأفكارها وأوزارها وأطوارها وأزمتها ونتيجتها عن النظر في الأدب اللباب والفن الخالص، فلم يقرأوا إلا ما يتصل من قريب أو بعيد بهذه القيامة القائمة

* * *

كان من شر هذه الحرب على الرسالة أن كابدت ما كابد غيرها من صحف العالم أزمة الورق، فاضطرت إلى أن تنقص حجمها بعض النقص، وتقتصد في زينتها بعض الاقتصاد. ورأت أن تضمن لنفسها استمرار الحياة في هذا الدهر العصيب فطوت (الرواية) في أحشائها إلى حين ليتوفر لها ما كانت تنفقه أختها من الورق وتهلكه من المادة. وكل ذلك في رأينا ورأي القارئ الصديق أهون من التهور في الهجوم القاتل، أو التعرض للأسر المطل

على أن هذه الحرب كربة ستنجلي وأزمة ستنفرج. ثم يعود كل شيء إلى خير مما كان وأحسن. ولئن ظهر أثر هذه الحرب الضروس على سمت الرسالة وحليتها، فمعاذ الله أن يمتد ذلك إلى تحريرها وخطتها؛ فإن التأثير الخارجي لا يتجاوز الخارج ولا يتعدى الشكل؛ وأما التأثير الداخلي الذي يمس الوضوع والجوهر والكنه فهو انبثاق الإيمان والفن من قلب الكاتب، وانتشار الاطمئنان والثقة من روح القارئ؛ وهيهات أن يعتور هذين الأثرين فتور أو قصور أو وهن. وبين الرسالة وقرائها ولله الحمد ألفة وثقة وتعاون؛ ولولا ذلك ما ثبتت هذه الصحيفة الضعيفة على عرك الخطوب وكيد المطامع. ونحن لا نزال نأنس في أسرة الرسالة الكفاية والقدرة على إرضاء القارئ في كل جهات عقله وقلبه إذا استمر يوليها الثقة والمعونة. وسيرى أن الرسالة من غير أن تقطع وعداً أو تجدد عهداً تسير في طريق الكمال بقدم ثابتة وخطى متزنة، فلا تعسف لتضل، ولا تسرع لتكل، ولا تجازف لتنقطع. والرسالة في أناتها وثباتها لا تخرج عن سنن الطبيعة؛ فهي مظهر لرقي الأمة العربية في الفكر والخيال والشعور؛ وهذه المواهب لا ترقى في الفرد والأمة إلا بمقدار

* * *

صديقي القارئ، تعودت في مثل هذا اليوم من كل عام أن أستريح إليك بذكر ما لقيت الرسالة في طريقها الجاهد من أشواك وأشراك؛ ولكنني أخذت أستحلي الصاب في سبيل المبدأ، وأستعذب العذاب في بلوغ الفوز، وأستبقي لنفسي لذة الصبر وثواب الألم. ولئن شكوت لأشكون إلى الله أن كبراءنا عطلوا في أنفسهم حاسة الفن فلم يعودوا يدركون معنى الجميل؛ وأن أدباءنا قتلوا في قلوبهم عاطفة الأدب فليسوا اليوم من كرمها في كثير ولا قليل؛ وأن زعماءنا تفرقت بهم السبل بتفرق الغايات، فلكل غاية دعوة ولكل دعوة سبيل.

« قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما أنا من المشركين » صدق الله العظيم.

احمد حسن الزيات

الإنسان والحيوان والحرب

للأستاذ عباس محمود العقاد

غير قليل ما يمكن أن يقال فى الإنسان والحيوان والحرب ، فإن الحرب تفتح المسارب بين الإنسانية والحيوانية على المصراعين بل على شتى المصاريع . وقد تفتح ما بين الإنسان وبين عالم البطولة والملأ الأعلى كذلك .

فنى وسعنا أن نزيد مقالاً آخر لأصدقائنا القراء الذين استزادونا من الكتابة فى هذا الموضوع ، وما أحفله بالحقائق والمشاهدات ، وما أوسع منادح القول فيه .

***

الإنسان يتهم الحيوان بعدوى الحرب ، ويزعم الحربيون من الأناسىّ أنها آفة لا معدى عنها ولا دواء لها ، مذ كانت وراثة الطبع الحيوانى حيث كان ، مبتدئاً من الجراثيم ومنتهياً إلى الحيوان

وفريق من بنى آدم يبرئون الحيوان من هذه التهمة ويحصرون آفة الحرب فى أبناء آدم دون سائر الأحياء .

أمنصفون هم لذرية آدم ؟ أصادقون هم فى تبرئة الحيوان ؟ بعض الإنصاف وبعض الصدق لا مراء .

فهم يسألون : أين هو الحيوان الذى يحشد الأسراب والقطعان لقتال سرب أو قطيع من جنسه ؟ بل أين هو الوحش الذى يجمع أبناء جنسه لقتال جنس آخر من الوحش فى الغاب أو فى العراء ؟

والحق أنهم فى هذا السؤال محرجون ، فالحرب كما نعلمها فى ميادينها البشرية إنما هى خاصة من خواص أبناء آدم : هم دون غيرهم من الخلائق الحية يجمعون بعضهم لقتال بعض ، ويخرجون على نية القتال حيث لا يقاتل حيوان وهو يعلم أو ينوى أن يقدم على قتال .

فالحرب ولا جدال إنسانية مقصورة على أبناء آدم ، وإن كان العراك قسطاً مشتركاً بين جميع الأحياء .

***

وآخرون من الأناسىّ الحربيين يزعمون أن الحرب لا تزول لأن الطبيعة لا تتبدل ... فما كان فى النفس قبل آلاف السنين سيبقى فى النفس بعد آلاف السنين ! !

أصحيح ما يزعمون ؟

صحيح بعض الصحة ، لأن رأياً من الآراء لن يكون صحيحاً كل الصحة فى جميع الأحوال .

صحيح ، والشاهد من عالم الحيوان الذى يحتجون به فى استدامة البغضاء والشكاسة والقتل والقتال .

فأين كلب اليوم من أجداده بين الذئاب وأبناء آوى ووحشى الكلاب ؟

كلب اليوم يحرس الحملان والأطفال ، ويموت فى سبيل الود والولاء ...

وكلاب الأمس كانوا أخطر شىء على الحملان والأطفال ، وأجهل خلق بالمودة والولاء .

فإذا جاز أن ينتقل الكلب هذا الانتقال وليست له حضارة ولا علوم ولا فلسفة ولا حالة عليا يصير إليها من حالته السفلى ... ألا يجوز أن ينتقل الإنسان مثله أو مرحلة أوسع من مرحلته ، وهو يعبر المسافة بين جهل الهمج وثقافة المهذبين ؟

***

وللحيوان أنصار كثيرون بين أبناء آدم ، أعجب ما فى أمرهم أنهم أرفع الآدميين خلقاً وأبعدهم من الحيوانية شقة وأوفرهم من التقدم نصيباً ، فهم — من بعض الوجوه — أحق بالإيحاء على الحيوان من أولئك الذين يتعقبونه بالإيحاء والتنديد ، وهم أقرب الناس إليه !

أنصار الحيوان هؤلاء يكتبون العجب هذه الأيام فى الذود عنه والرجمة بسيئاته إلى أصحابه من الآدميين . وقلما تخلو كتاباتهم من ظرف وفكاهة ... أما العلم والإدراك فهما ماثلان أبداً فيما يطرقون من هذه البحوث .

لاحظ بعض العلماء المتفرغين للبحوث النفسية والحيوانية من الإنجليز أن الشجار قد ازداد بين الكلاب بعد نشوب الحرب الحاضرة ، فبلغ عدد الكلاب المعضوضة التى عالجتها مصحات الشرطة فى لندن خلال شهر أكتوبر الماضى أربعمائة وعشرة ، ولم يتجاوز فى الشهر الذى قبله مائة وثمانية وتسعين !

أكثر من الضعف فى الشهر التالى لنشوب القتال ... فما تعليل ذلك ؟

يقول مستر جونت Gaunt خبير هذه المصحات : إنها عدوى الإنسان ! !

فالكلاب ، كما يقول : « مرهفة الحس بما يخالج نفوس أصحابها ، تضيق صدراً إذا ملكت صاحبها الحالة التى نسميها بالعصبية الحربية . وأنت إذا غضبت يوماً من قراءة أخبار الغارات الجوية خرج كلبك متحفزاً للوثوب على أول كلب يراه ، لا يعلم فى أى شىء يقاتل ، وليس لديه ما يسميه الساسة : أغراض حرب أو شروط سلام ؛ وحسبه أن صاحبه ثائر ، فهو مثله يثور ! »

ثم يقول الأستاذ جونت : « ويجوز أن يرجع هذا المزاج الكدر فى كلاب العاصمة إلى قلة الرياضة لكثرة الوقايات الهوائية وضرورة المكث الطويل فى البيوت ، أو لسفر أصحاب الكلاب إلى الريف ، ولكن السر الأكبر ولا ريب ، إنما هو تلك النزعة القتالية التى تسرى إليها من عشرائها الآدميين » .

أرأيتم إذن ؟

إنه الإنسان الذى يلقح الحيوان بلقاح الحرب والعدوان ، وليس الحيوان بالأستاذ السابق له فى هذا الميدان .

والمسألة بعدُ واضحة من غير حاجة إلى هذه الدراسات الحديثة وإن كانت هذه الدراسات مضيفة فى الغد بعض المعرفة الجديدة بالطبائع والأخلاق .

فواضح قبل هذه الدراسات أن الإنسان يستعين بالحيوان فى حروبه ، ولم يحدث قط أن حيواناً استعان بإنسان فى افتراس ضحاياه واغتيال أعدائه .

ومن قديم الزمن يستعين الإنسان بالحصان والكلب كلما وقع فى نزاع بينه وبين أبناء جنسه ، وأقل من ذلك عذراً أنه يستعين بالحمامة وهى رمز السلام والسلامة فى تبليغ أوامر الفتك والهجوم . فقد يعذر المستعين بالحصان والكلب على أغراض الحرب لأنهما كانا عصراً من العصور الغابرة معدودين فى حساب الوحوش ... أما الحمامة فما عذر من يقحمها هذا المقحم المخيف ، وهى فى غير ما قاله المعرى عنها :

ظلم الحمامة فى الدنيا وإن حسبت   فى الصالحات كظلم الصقر والباز

لا تتعرض لاتهام !

* * *

ومضى الناس فى الحرب الحاضرة على سنة آبائهم من قديم الزمن ، فلم يعتقوا الحصان بعد كل ما كشفوه من الآلات والمركبات . ولا يزال رجال من قادة الحرب يقولون إن له لدوراً لا يغنى فيه غناءه شىء ولا يلحقه فيه اختراع .

ولم يعتقوا الكلب بعد اختراعهم من أدوات التجسس والاستنشاء ما يرغم أنوف الكلاب ، بل ضاعفوا الحرص عليها وصدرت أوامر الحكومة الروسية بتحريم خروجها من أرضها إلا أن تكون معها شهادة إعفاء تثبت أنها « غير صالحة للخدمة العسكرية ! »

والجديد فيما سمعنا به من مخترعات الحرب الحاضرة أنهم استخدموا الخنازير فى بعض الجزر ببحر الشمال للتنبيه إلى الغارات الجوية ، فإذا هبطت الطيارة المغيرة إلى الأرض على غرة من الرقباء صرخت الخنازير صرخة معلومة فتنبه الحراس إلى مكان الغارة .

كان الخنزير متهماً بالخبث قبل اليوم فى غير برهان

أما اليوم فيحق لمن يقع فى شراكه أن يقول مقال الغيظ أو مقال الاعتراف : ياله من خنزير !

* * *

لكن فى الحرب براً من الإنسان بالحيوان وليست كلها شراً فى شر وعدواناً على عدوان

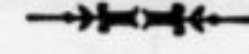
فإذا قلب الناس غداً صفحات الحروب الناصعة فسيجدون بينها صفحة من أنصع صفحاتها فى هذه الحرب الحاضرة : تلك هى المصلحة التى أنشئت خصيصاً بالجزر البريطانية لوقاية الحيوانات أثناء الغارات الجوية . فأعدت الحكومة مئات الألوف من الصفائح التى تنقش عليها مواطن تلك الحيوانات وأسماء أصحابها وعنواناتهم للدلالة عليها وردها إلى مواطنها كلما شردت من الذعر إلى مكان بعيد عنها ، وندبت الحكومة ألوفاً من متطوعيها للطواف على البيوت والحقول ابتغاء تسجيل ما فيها من فصائل الحيوانات المختلفة وتزويدها بالعلامات الدالة عليها . وأقامت ملاجئ للأسعاف متفرقة هنا وهناك لإيواء ما يحتاج إلى الملاج والإنقاذ من الحيوانات المصابة أثناء الغارات ، ودبرت الأمر للعناية بها كما دبرت الأمر للعناية بالآدميين

صفحة ناصعة فى التاريخ الحديث ، وحيوانٌ من يجهل أنها مكسب روحى للإنسان قبل أن تكون مكسباً جسدياً للحيوان المصاب ، حتى لو كان باعث التدبير فيها مقروناً بباعث العطف والإشفاق .

عباس محمود العقاد

فن كتابة القصة

للأستاذ محمود تيمور بك



يجمل بى قبل الشروع فى الموضوع أن أشيرَ إلى أن الكتابةَ القصصية يجب أن يتوافرَ فيها ركنان : الأولُ : الموهِبة ، والآخر : جرىُ القصة على قواعدَ وأساليبَ متعارَفة . شأنها فى ذلك شأنُ الشعر ، لا بد من توافر ركنين فيه : الشاعريةِ ، وصحةِ النظم

ومما لا جدالَ فيه أننا قد نجد الشاعر الموهوب ، أعنى من يُلهم المعانىَ الشعرية ، فيفيض بها وجدانه من غير تمحّل ، فإذا حاول النظمَ لم تستقم له الأبيات ، لقلة بضاعته من قواعد العَروض ، وحداثة عهده بصوغ الشعر . ومثلُ هذا لا يُعد شاعراً تاماً حتى يُكمِلَ ما نقصه بالتعلّم والمرانة

وكذلك الشأن فى القاصّ ، فقد نجد من أوتى الموهبة ، أعنى الذى يُلهم فكرةً أو موضوعاً قصصياً له قيمة ؛ ولكنه ناقصُ القدرة على معالجة موضوعه أو فكرته بالأساليب المقبولة عند أهل الفن فى نَسْق القصة . وفى مثل هذه الحالة لا يسعنا أن نعتبر ذلك الموهوبَ قاصًّا مكتملَ النضج

وإذن يجب أن يتوافر للقاص الكامل هذان الركنان معاً ؛ فأما الأول ، وهو الموهبةُ ، ومَميزها الخيالُ المنسرح ، والذهنُ المتوقد ، والعاطفةُ المشبوبة ، فلا كلامَ لأحد فيه ، إذ هو شىء طبيعى ، فإن وُجد فى الكاتب تهيأ ليكون قاصًّا فى المرحلة الأولى . وأما الركن الآخر ، وهو الاستئناس بالأساليب المتعارفة ، فذلك الذى نخصه بالكلام ، لأنه صناعة ، مرجعُ الأمر فى امتلاك ناصيتها للتمرين والاكتساب

وقد يتوهم البعض — ونحن نذكر القواعد التى يجب على الكاتب القصصى مراعاتها — أننا إنما نطغى على حقه فى اتخاذ طريقة خاصة تلائم هواه ، ونحدُّ من حريته فى اتباع المذهب الذى يراه . والواقع الذى لا يمكن التغافل عنه أن هناك قوانينَ عامةً مرعية الجانب فى التأليف القصصى ، على اختلاف المذاهب والأهواء ، وأنه إذا خلت القصة من مطابقة هذه القوانين العامة ، شعرَ الناقد لأول وهلة بأن هنا اختلالاً ظاهراً ، وأن هنا شيئاً يجب أن يُبدَلَ به شىء ، لا دَخْلَ فى ذلك للطريقة الخاصة ، ولا للمذهب الخاص

وهل ينكر أحد أن كل شأن فى هذه الحياة يسير — فى جوهره ولُبابه — وَفق نظام وقانون ؟ تلكم هى السيارة ، فربما اختلفت أصنافها وأشكالها وعُددَها أيَّما اختلاف ؛ بيد أنها — مع هذا كله — يجب أن تكتمل فيها أدوات عامة مشتركة ، إذا فقدت واحدة منها تعطلت السيارة على الفور . وما القصة إلا عملٌ فنى من نتاج الفكر ، يسير كأمثاله من الأعمال الفكرية على نظام دقيق ، خاضع للناموس العام المعترف به فى جميع ألوان الأدب

كذلك قد يعترض علينا معترض فيما نلزم الأخذ به من هذه الأصول والقوانين ، فيرى أن الفنان العبقرىّ يصدر عنه العمل الفنىّ المشهود له دون تعلم ودراسة ، ودون تدرّج وتدريب . وجواب ذلك أن كبارَ الفنانين العباقرة ، إنما يفهمون هذه الأصول والقوانين بالفطرة الفذة ، ويهتدون إليها بالسليقة النيرة ؛ فهم يخرجون أعمالهم الفنية بوحى من قرائحهم الممتازة التى يكمن فيها النبوغ . وليس أدلّ على ذلك من أننا لو سألنا أحدهم عما صنعه فى تأليف هذه القطعة أو تلك ، وماذا لاحظ ، لم يحرْ جواباً ، لأن ما أنتجه صدر عن غير وعى منه

وقصارى ما نقرره ، أن هذه الأصول والقواعد التى نلخصها فى المُحالة التالية ، ليست إلا أقيسةً وموازين استخلصت لتكون أساساً تبنى عليه الأحكام فى تقدير القصص الفنى ؛ فإن حرمت أن تكون عادلة كل العدل ، لم تحرَمْ أن تكون أدنى إلى الصدق وأحق بالاعتبار

ثم إن هذه الأصول والقواعد ، تبصِّر القصصىّ إلى حد ما بصناعة الكتابة فى هذا النوع من الأدب ، وترشده إلى الخطوط الرئيسية فى القصة ، وتَقِفُه على المميِّزات الأولى بين الخطأ والصواب فى النسق . وما أشبهها فى هذه الحالة بعلم البيان والمعانى والبديع ، فعلى الرغم من أن الكلمة الأولى والأخيرة فى البلاغة للذوق السليم ، وخضوع الكلام لمقتضى الحال — وضع العلماء قواعد وأصولاً تتوضح بها أركان البلاغات ، فقالوا : هذه كلمة فصيحة ، وهذه جملة بليغة ، لتميُّزها بكيتَ وكيت ، وخلوّها من كذا وكذا . ومعلوم أن هذه القواعد لم توضع أولاً ، ثم طلب من الكتاب والمنشئين أن يَجْروا عليها ؛ وإنما كانت هذه القواعد

نتائج مستخلصة من أمثلة بليغة ، أقر أهل البلاغة بسموها ، واتفقوا على جودتها ، فاستخرجوا منها الأسباب التى رفعتها إلى هذه الدرجة ، وسرعان ما تحولت هذه الأسباب إلى قواعد . وذلك هو صنيعنا نحن الآن فى القواعد والأصول التى نعالج بسطها ، ونقول إن القصة الجيدة تتميز بها

وأما وقد بدأنا نمس جوهر موضوعنا ، فلنتذكر أولاً أن القصة هى عرض لفكرة مرت بخاطر الكاتب . أو تسجيل لصورة تأثرت بها مخيلته ، أو بسط لعاطفة اختلجت فى صدره فأراد أن يعبر عنها بالكلام ، ليصل بها إلى أذهان القراء ، محاولاً أن يكون أثرها فى نفوسهم مثل أثرها فى نفسه ، وهى تتألف عادة من ثلاثة عناصر رئيسية ، هى : الموضوع ، والشخصيات ، والحوار . وهذا العنصر الثالث ليس من المقومات المحتومة دائماً ، ولكنه لازم فى أغلب الأحيان . فتبدأ القصة بالتمهيد للفكرة ، ثم تتطرق إلى ظهور العقدة ، ثم تتوصل إلى حل هذه العقدة أو ما يشبه الحل ، وهذا هو الهيكل المألوف فى بناء القصة على وجه عام .

فمن القواعد فى كتابة القصة ، ما نذكره فيما يلى :

أولاً : أن تكون للقصة وحدة فنية . وبهذه الوحدة تتوافر فنية القصة . وما الوحدة الفنية إلا أن يجعل الكاتب همه مقصوراً على إبراز الفكرة الأساسية ، مجتنباً جهد الطاقة أن يتطرق إلى آفاق أخرى . وإيضاح ذلك أن يراعى الكاتب حصر عمله فى جوهر الموضوع ، خالصاً من طغيان الزخرف ، فلا تطمس التفاصيل الثانوية ذلك الجوهر الجدير بالعناية والإيثار . والقدرة الكتابية تظهر فى التملك لزمام الصميم من الموضوع ، كالفارس القابض على زمام جواده لا يدعه يجمح به ما طاب له الجموح . فواجب إذن أن يخضع الكاتب جرات قلمه لموضوعه ، ولا يدع الموضوع خاضعاً لقلمه يجره حيث شاء . فإن استطاع أن يخلص لموضوعه هذا الإخلاص ظهرت أفكار القصة متماسكة ، وخرجت القصة بنياناً متراصاً لا حجر فيه لغير معنى .

ثانياً : أن يراعى فى عرض الموضوع جانب التلميح ما أمكن وأن يحذر جانب التصريح . فلا يشرح الكاتب الموضوع ويحلل الشخصيات فى شكل مهلهل ، بحيث لا يترك شيئاً لفطنة القارئ وذكائه . فإذا لم يعن الكاتب بهذا الجانب كان متهماً قارئه بالغفلة وجمود الذهن إذ يوضح له ما ليس بحاجة إلى توضيح؛ وإذن تخرج القصة مكشوفة لا يجد فيها قارئها لذة التعرف بنفسه ولا يشعر بشوق إلى ما يجىء منها بعد . فلا بد أن يدع الكاتب للقارئ فرجة يستطيع بها أن ينتهى إلى التصريح من التلميح ، وأن يشيد الكبير من الصغير ، وأن يشق بمخيلته – فيما يقرأ – آفاقاً من التصور والتفكير . وكما أننا نشير بضرورة أخذ الكاتب بالتلميح ، نشير كذلك بألا يجنح إلى الإغراق فيه ، مخافة التورط فى الغموض والإبهام ، فيضل القارئ فى فيافٍ لا يقر له فيها قرار

ثالثاً : أن يعنى الكاتب برسم شخصياته ، وأن يجعلها تصدر فى أقوالها وأعمالها عن منطق الحياة التى أراد لها المؤلف أن تعيشها بواعيها الظاهرة ، وواعيها الخفية أيضاً ؛ حتى إذا مضى القارئ فى تفهم هذه الشخصيات ، وتصور ما يقع من أمثالها ، لم يجد نفسه مصطدماً بشىء غير مألوف يأباه المنطق أو الذوق . وما أجدر أن يلقى الكاتب كل باله إلى هذا الجانب من البراعة فى التحليل النفسى ، فإنه يتوقف عليه شطر عظيم من فنية القصة .

رابعاً : ألا تكون الشخصيات بوقاً ينقل ما يأتى إليه المؤلف من الكلام ، فيكون المتكلم هو المؤلف نفسه على لسان هذه الشخصيات الببغاوية . والواجب أن يكون للشخصيات كيانها المستقل ، وأن تكون حية فى حركاتها وسكناتها ، وأن يحس القارئ من أعمالها حرارة هذه الحياة ، ويتعرف من فعالها ما تتميز به من شمائل وحقائق . فلا تتكلم هذه الشخصيات إلا بالأسلوب الطبيعى الذى يلائم نفسيتها ، ولا تعمل إلا وفق الحوادث على منهجها المرسوم لها . وبناء على هذه القاعدة ، لا يجوز أن يدلنا الكاتب على شخصية بائسة ، بأن يجعلها تقول : أنا بائسة . ولكن يعالج أن تفصح الحوادث نفسها عن بؤس هذه الشخصية . وهذا إلا إذا كان الموقف بطبيعته يستدعى أن تتكلم الشخصية بلسانها ، لتفصح عن حالها

خامساً : حتم أن يكون لكل قصة معنى ، وإلا كانت القصة لغواً لا جدوى له . والقاص — ككل فنان آخر — مصور للحياة فى مختلف ألوانها ، مترجم عما يعتلج فى رأسه وما يجيش فى صدره من معان ومشاعر ؛ فهو إذا كتب فإنما يكتب لتصوير هذه المعانى وإيضاح هذه المشاعر . ويصح أن نشير فى هذا الصدد إلى أن معانى القاص فى الغالب ، إما مستمدة من الواقع الذى هو ملء مسموعه ومشهوده ، وما هو فى نطاق الجو المحلى الذى يعيش فيه . وإما أن تكون هذه المعانى مستخرجة من صميم

النفس البشرية ، تلك النفس الثابتة بميولها ، الخالدة بغرائزها . إلا أن المجد الأدبيّ لا يكون إلا من نصيب القصة التي يحذق كاتبها رد أصولها ومعانيها إلى أوصال الإنسانية الباقية بتلك الميول والغرائز . فرغبتنا إلى القصاص ألا يعنوا كثيراً بالموضوعات العابرة التي تتغير معالمها بتغير الزمان ، وللناس حولها في كل يوم شعور خاص ، وحل خاص ؛ فإنه إذا تبدل الوقت أصبحت هذه الموضوعات نسياً منسياً ، وذهبت قيمتها الاجتماعية والمحلية

سادساً : يجب ألا تكون الفكرة التي يعالجها الكاتب في قصصه مصوغة في قالب موعظة أو حكمة ، وألا يظهر فيها تحبيذ شيء أو النهي عن شيء . بل يجب أن تكون الحكمة أو الموعظة مطوية في غضون الحوادث ، خالصة إلى القارئ دون معونة ظاهرة من المؤلف ؛ وأن يكون التحبيذ أو النهي كامناً في أعطاف السرد ، غير ملموس بالكلام المكشوف . وذلك هو الفرق بين القصة والمقالة ، فالقصة ليست منبراً للخطابة وإلقاء المواعظ ، بل هي معرض للتصوير والتحليل ، يوحي برموزه وظلاله وإشاراته إلى القارئ بالغرض الذي رمى إليه الكاتب القصصي

سابعاً : يحسن ألا تخلو القصة من عنصر التشويق ، وأعني به أن تستحوذ على القارئ في أثناء قراءته نشوة وروعة تدفعانه إلى متابعة القراءة في نشاط وانتباه . ونلفت النظر إلى أننا لا نبغي بعنصر التشويق أن ينقلب الكاتب مهرّجاً يفتعل الحوادث افتعالاً ليصل إلى هذا الغرض ، حاسباً أن ذلك هو الذي يبعث الشوق ، فإنه حينئذ يقع في أشياء سخيفة مفضوحة يبدو عليها التكلف والاجتلاب . فلا بد من الحذق واليقظة في هذه الناحية بحيث يكون فن الكاتب قادراً على أن يجعل مظاهر التشويق جزءاً طبيعياً من سياق القصة ، فإنه بذلك يضمن انتباه القارئ ونشاطه ، ويوفر له وسائل اللذة والاستمتاع

ثامناً : ما يجب أن يجري عليه الكاتب في تحرير قصته من وجهة اللغة . ونقدم لذلك بأن اللغة العربية في ذاتها لغة موسيقية، لألفاظها وأساليبها رنين وإيقاع . وقد أسرف كتاب العصور المتأخرة في استغلال هذه الموسيقية بالمغالاة في الاستعارة ، والإكثار من الترادف ، والتزام السجع والطباق وما إليه . فبلغت الصناعة اللفظية مبلغاً كان فيه القالب أكبر من المعنى وأوسع مجالاً . ثم جاء العصر الحديث يزخر بموضوعاته العلمية ، وبحوثه الاجتماعية والفنية ، مما لا يحتمل البرقشة والزخرف . فأريدت اللغة على أن تكون القوالب على قدود المعاني ، في غير إهمال لما تقتضيه خصائص اللغة من الموسيقية الأخاذة . فيجب أن يُعنى الكاتب إذن بلغة قصته ، فلا يبالغ في التحاسين البيانية من نحو الاستعارة والتشبيه والترادف ، بل يجمل الألفاظ على أقدار المعاني جهد المستطاع . ولا ينسينا هذا أن بلاغة الكتابة تكون بمراعاة المقام ، فالإطناب مستحب في مواقف الإطناب ، والإيجاز مطلوب في مواقف الإيجاز . بيد أن هناك شيئاً تجب مراعاته على كل حال ، وهو تجنب الأسلوب المبتذل ، ونعني بالابتذال في الأسلوب استعمال الألفاظ الشائعة شيوعاً يفقدها الرونق والرواء ، والوقوف عند التراكيب الركيكة التي لا تستبين بها قدرة اللغة على التصرف في الأداء والتعبير . وإذا كان على القصصي أن يعرف للمعنى حدوده في الأداء ، فإنه باعتباره أديباً عليه أن يتخير اللفظ الرشيق والتركيب الشريف

وبعد فليست هذه كل القواعد التي يجب أن تبنى عليها القصة . وإنما هي معالم رئيسية اجتهدنا في استخراجها ، ونرى وجوب اكتمالها في القصص الفني

ونختم كلمتنا مصرحين بأن هذه القواعد نفسها لا تهدي القاص الناشئ ، قدر ما يهديه اكتسابه للملكة التي يستفيدها من موفور اطلاعه على الآثار الفنية المعترف بها ، وحسن تفطنه إلى ما فيها من أسرار الجودة والإبداع .

محمود تيمور

غيمة الأسلوب

« لكاتب من الكتاب »

(يتم عليه أسلوبه)

كنت أرسلت إلى مجلة الرسالة كلمة أحاور بها قلبي ، ولم أذيلها باسمي الصريح ، وإنما اكتفيت بالاشارة إلى أني « كاتب من الكتاب » فرأيت صاحب « الرسالة » يضيف إلى هذا الرمز عبارة « ينمّ أسلوبه عليه »

فهل كُتِب علىّ أن أعيش فريسة النمائم فأنتقل من كرب إلى كرب إلى أن تدركني نميمة الأسلوب ؟ !

وأين المفرّ من مظالم النمائم إذا صح أني لن أنجو من نميمة قلمي ؟...

إن الرجل لا ينمّ أسلوبه عليه إلا بعد أن يصبح « كاتباً من الكتاب » تُنصَب لرأيه الموازين ، وأنا كاتب من الكتاب منذ أعوام طوال ، فما الذي غنمتُ من براعة القلم ورشاقة الأسلوب ؟

ما الذي غنمتُ وأنا أمتشق القلم منذ أكثر من خمس وعشرين سنة بعزيمة أقسى من الصخر وأصلب من الحديد ؟

ما الذي غنمت وقد كنت كاتباً وشاعراً قبل أن يولد فريق من الذين تؤذيني عندهم نميمةُ قلمي ؟

وهل أستطيع أن أطمئن إلى أن قلمي سيشفع لي إن قلتُ إن صحبته أضرعتني وإني أحتاج إلى الراحة بضعة أسابيع ؟

وهل للقلم دولة في هذه البلاد حتى نجعله وسيلةً إلى الراحة من بعض المتاعب ؟

وكيف وما كانت متاعبي في دنياى إلا مكاره ساقها قلمي إلى قلبي ؟

وهل يُراعي القراء ما نطوّق به أعناقهم من ديون ؟

لقد غنّيتُ أهل زماني أناشيد أيقظتُ بها في صدورهم من أحلام غافيات ، وأحييتُ بها ما في قلوبهم من مَوَات ، فأين من يُسعدني بكلمة صدق أدفع بها عُدوان زماني ، لأمضي على سجيتي في السجع والغناء ، ولأضمن السلامة من نميمة الأسلوب ؟

وأين في الدنيا كلها من يتوجع لمصير البلبل حين يسكته المرض أو الموت ؟

احتجزني فلان في الطريق ساعة أو بعض ساعة وهو يحاورني في شؤون دقيقة من خصائص حياتي الأدبية ، فظننته — وهو من أهل الجاه — يحاول أن ينصفني من زماني . ثم عرفت — وا أسفاه ! — أنه يجمع المصادر لمقال يكتبه عني يوم أموت !

وفلان الذي صرح ألف مرة بأني شعلة من اللهب المقدّس هو نفسه فلان الذي يرى اليوم أن أدبي من أعظم ذنوبي ، وأن من الواجب أن أتوب !

أتوب ؟ أتوب ؟

أنا أحب أن أتوب من صحبة القلم ، ولكن أين السبيل إلى المتاب؟

وهل يمكن ترك الصديق بسهولة ، أيها الناس

أعطوني شيئاً من قدرتكم على نسيان حقوق الأصدقاء ، لأتناسى حقوق قلمي !

علِّموني كيف أغدر وكيف أخون ، لأستطيع التمرد على عقلي وبياني !...

خذوني إليكم ، أيها الساخرون من صولة العلم والحق ، لأتخلّص من صحبة العلم والحق !

خذوني إليكم في ملاعبكم وملاهيكم ، عساني أنسى جاذبية البؤس في صحبة قلمي وكتابي !

لقد أفلحتم في زعزعة اليقين الذي كنت أفزع إليه حين تكرثني صروف الزمان ، فأين أنتم لأشكو إليكم ما جَنَتْ أيديكم؟ وأين السبيل إلى ترميم البناء الذي كنت أستظل به من قبل أن أنخدع بالبريق الذي أزعتم به فؤادى ؟

أين ؟ أين ؟

أتذكر الآن كتاب لامرتين عن سِفر أيوب Le poème du Jobe

فقد صرّح بأن الدنيا لو دُكتْ صروحها وذهب ما فيها من

روائع الفنون والآداب ولم يبق غير سِفر أيوب ، لكان كافياً في تسجيل ما تعاني الإنسانية من معاطب وحتوف .

وهل عانى أيوب في زمانه بعض ما عانيت في زماني ؟

أيوب فقد الثروة والعافية ولم يفقد اليقين !

وأنا فقدت الثروة والعافية واليقين . أضاع الله من أضاعوني !

وأيوب استطاع أن يعاتب ربه بقصيد رنّان وهو في أمان من ثورة الجمهور ، فظفر بالخلود في عالم الفكر والبيان .

وأنا لا أملك معاتبة ربي بسطر واحد خوفاً من رئيس التحرير ، وخوفاً من شيخ الأزهر ، وخوفاً من محكمة الجنايات وخوفاً من نميمة الأسلوب ! ! !

وأين فجيعة أيوب في دنياه من فجيعتي في دنياي ؟

كان الدينار لعهد أيوب يُموّن الرجل شهراً أو شهرين ، وأنا في عهد يهان فيه الرجل إن اكتفى بالدينار يوماً أو يومين ، فمن يُسلطني على دهري فأسجل رزاياه على نحو ما صنع أيوب ؟

وكانت الأرض لعهد أيوب بلا رسوم ولا حدود ، فكان المجاهد ينال منها ما يشاء كيف شاء ، وهي اليوم مقسمة تقسيما يصدّ المجاهدين أعنف الصدود .

وكانت البحار لعهد أيوب مصادر خيرات ، وهي اليوم مواقع ألغام ومسارب غواصات .

وكانت السماء لعهد أيوب مساقط غيث ومذاهب نسيم ، وهي اليوم معارج طائرات ومصادر خطوب .

وكان النمام لعهد أيوب يؤلب عليه رجلاً أو رجلين أو بضعة رجال ، لأن النمام لم يكن يملك غير سفاهة اللسان ، أما النمام في هذا العهد فيستطيع أن يؤذيني بمقال في جريدة أو مجلة يقرأها ألوف أو ملايين ، ويذهب شرها إلى من أعرف ومن أجهل في المشرق والمغرب .

وكان قوم أيوب يعدون بالألوف ، أما قومي فيعدون بالملايين فبلواي بالخصومات أعرض من بلواه .

وكان لأيوب أعداء وأصدقاء ، أما أنا ، فلي أعداء وليس لي أصدقاء .

وكان أيوب نبياً تهابه الأرض وتؤيده السماء ، أما أنا فكاتب من الكتاب تنفر منه الملائكة ويأتمر به الشياطين .

وصارت ثورة أيوب على بلاياه لحناً خالداً يُرتل في الكنائس والصوامع ، أما ثورتي على زماني فستضاف إلى الأدب الحزين الذي لا يقام له ميزان .

ومع ذلك كان حزنه أهلاً للحمد ، وصار حزني أهلاً للملام !

أيوب !

إسمع كلمتي ، أيها الزميل في الأحزان !

إن النبوّة عصمتْك من كيد الخاتلين والحاقدين ، فلم تذق طعم الإيذاء في سبيل الحزن النبيل ، والله الذي لم يولني شرف العصمة أولاني شرف الإيذاء في سبيل الحزن النبيل

فأين مكانك من مكاني ، مع أني عبدٌ مذنب وأنت نبيّ معصوم من الذنوب ؟

كانت المدائن لعهدك لا تملك من المصابيح ما يشغل بصرك عن نجوم السماء ، أما المدائن لعهدي فتسرف المصابيح في النهار قبل أن تسرفها في الليل ، ومع ذلك لم تشغل بصري عن نجوم السماء

وكانت الدنيا لعهدك لا تعرف الضجيج ، فكنت تملك الخلوة إلى خواطر قلبك

والدنيا لعهدي كلها ضجيج وأزيز وهدير ، وأنا مع ذلك أخلو إلى قلبي وأدرس ما فيه من عناصر الوساوس والأحلام والأضاليل

فإن لقيت ربك وفي يمينك كتاب النبوّة فسألقى ربي وفي يميني كتاب المحنة بوطني وزماني

فيا نبي الله ، كيف تسبقني إلى رحمة الله وأنا أفقر إليها منك ، وإن كنت أحق بها مني ؟

أيوب !

أنت تألمت وتوجعت لأن الوباء كان اغتال إبلك وغنمك فكيف ألام على التألم والتوجع وقد أهلك الطاعون أصدقائي وأحبابي ؟

أيوب !

هل تعرف أنى أملك من العزاء ما لم تكن تملك ؟

فلو أنك قرأت تاريخ المسيح كما قرأتُ لخفّتْ مصيبتك وهانت بلواك

المسيحُ ، يا أيوب، قد اكتوى بنار حامية هى غدر الصديق. وقد صارت قُبلة يهوذا مثلاً سائراً فى التاريخ ، فهل تعرف كيف تكون القبلة شارة الحتف ، وهى فى الأصل لغة القلب ؟

وأنا قرأت من تاريخ محمد ما لم تقرأ ، يا أيوب ، فقد لقى كثيراً من كيد المنافقين من الأصدقاء

فهل تظن مع هذه الشواهد أنك أجدر منى بالصدارة بين البائسين واليائسين ؟

أنت على ما عانيتَ لم تعرف خيانة الصاحب ولا غدر الصديق، ولم تشهد كيف تُمدُّ حسناتك سيئات ، ولم تقاس نمائم الأصحاب ولا « وشاية الأسلوب » ولعل الله كان رعاك فلم تَر شخصاً تحسن إليه ويسىء إليك

فكيف تسبقنى إلى رحمة الله ، يا أيوب ؟

خذ حظوظى كلها ، يا أستاذى فى الألم والوجيعة والحرمان ، فأنا أحب أن أخرج من الدنيا بلا جزاء ، لأستطيع القول بأنى عانيت من البلاء ما لم يعان أيوب ، عليه الصلوات !

وأنا مع هذا أعترف بأنى ساعدت الزمان على نفسي ، لأنى تجاهلت أخلاق الزمان

وما الناس ؟ وما الزمان ؟

يكفى أن أصبح وأنا برغم الناس والزمان :

كاتب من الكتاب

الأدب الفنلندى

للأستاذ صديق شيبوب

بينما تتجه أنظار العالم إلى فنلندة بمناسبة الحرب الناشمة التى تخوض غمارها فى جرأة وهدوء، جرى حادث أدبى نبه الأذهان إلى آداب هذه الأمة الباسلة، فقد فاز الأديب الفنلندى سيلانبا Sillanpaa بجائزة نوبل التى يطمح إلى نيلها كبار الأدباء وعظماؤهم لأنها ذات خطر عالى.

وقد كان هذا الحادث الأخير مفاجأة لجمهور الأدباء والمتأدبين فى العالمين القديم والجديد، لأن الفكرة التى كانت شائعة عن الفنلنديين تتركز فى ولعهم بالألعاب الرياضية وتفوقهم فيها، إذ كانوا يشتركون فى الألعاب الأولمبية التى تقام فى شتى بلدان العالم فيفوز لاعبوهم بأكثر من بطولة.

وقد رأينا — لهذه المناسبة — أن نلم بالأدب الفنلندى لبيان تاريخه ومناحيه.

* * *

ينطبع الأدب الفنلندى بطبيعة البلاد التى نشأ فيها وبأخلاق سكانها. وفنلندا قائمة فى الشمال الأقصى من أوربا، ذات غابات كثيفة وبحيرات عديدة، شتاؤها طويل، وصيفها نهار دائم. يسكنها شعب قاسى طول تاريخه أهوال البرد والجوع والحروب، فاكتسب مما قاساه صلابة وقوة، ومن طول الشتاء ميلاً إلى الخيال والأحلام. فلا عجب إذا اختلف فى طبيعته عن الشعوب اللاتينية وعن الشعوب الجرمانية التى يمت إليها فى أصله، وإذا ظهر أدبه فى شكل يلائم أحواله وبيئته.

إنه يبحث فى الأدب والفنون عن وسائل للتعبير عما يجول فى نفسه تختلف عن وسائل الأمم الأخرى. وقد تظهر هذه الوسائل غريبة عجيبة، أو على الأقل غير منتظرة لشعوب تعودت دقة التعبير ووضوحه، وهما من مميزات شعوب البحر الأبيض المتوسط.

والأمم الغربية قد تأثرت بثقافة فكرية وفلسفية واحدة، غير أن المناحى الثقافية اضطرت أن تتأقلم وفاقاً لطبيعة كل إقليم، فظهرت فى شكل يوافق كل بلد، وبدت كأنها تختلف عما هى فى البلاد الأخرى.

لذلك نجد الأدب الفنلندى يعبر عن أخلاق سكان هذا الإقليم وما تتميز به من رجولة بارزة، وخيال واسع ذى ميول إلى الكآبة والحزن، وسذاجة القلب والطبع، كما يعبر عن طبيعة البلاد القاسية فيظهر فى أسلوبه كأنه قبس مستمد منها، فضلاً عن عناية أدبائه بوصف هذه الطبيعة وقواها وعناصرها

كان قدماء الفنلنديين يعيشون بين أحضان الطبيعة القاسية، فلا عجب إذا رأيناهم، فى عصرهم الوثنى، يؤلهون عناصرها ومظاهرها. وقد استدل الباحثون من الأناشيد التى ترجع إلى ذلك العهد، على أنهم كانوا يصفون بالألوهية كل شجرة أو صخرة، ويعتقدون أن الغابات والبحيرات مأوى للآلهة. وسنعود إلى هذه الاعتقادات فى معرض كلامنا عن ملحمة «كاليفالا» Kalevala

وقد ظل الفنلنديون يدينون بالوثنية إلى القرن الثانى عشر، أى إلى أن بشرهم الأسوجيون بالنصرانية. ولكنهم ما زالوا إلى اليوم متأثرين بتاريخهم وعقائدهم القديمة. ولما شع عصر الإصلاح فى أوربا تأثر به الفنلنديون فى أوائل القرن السادس عشر، فصدفوا عن التصوف الذى تميزوا به من قبل وأخذوا بتحكيم عقولهم فى أمور الدين المسيحى وتفسير كتبه

مر قرنان بعد ذلك، وجاء القرن التاسع عشر، والأدب الفنلندى فى سبات عميق لا يظهر له أثر. ولعل ذلك يعزى إلى أن دولة أسوج التى استولت على فنلندا منذ القرن الثانى عشر نشرت فيها لغتها حتى طغت على لغة أهل البلاد الأصيلة وكادت تزيلها من الوجود لولا أن القبائل المنتشرة فى مقاطعة «كاريلى» Carélie احتفظت باللغة الفنلندية ونظمت فيها أغانيها الشعبية فى تمجيد أبطالها ووصف شجاعتهم وحروبهم

وظلت فنلندا محتفظة بتقاليدها وبتأثرها بالأدب الأسوجى بالرغم من استيلاء روسيا عليها سنة ١٨٠٩ وضمها إلى امبراطوريتها. ولكن الروابط الأدبية والثقافية بين روسيا وفنلندا جاءت على عكس الروابط السياسية. فكلما حاولت روسيا ربط الصلات السياسية والإدارية بينها وبين دوقية فنلندا الكبيرة ازداد الفنلنديون شعوراً بقوميتهم وتعلقاً بمدنيتهم. وهكذا أخذ الأدب الفنلندى يزدهر فى أوائل القرن الماضى ولم يلبث أن ارتبط بالحركة الابتداعية

التى كانت قائمة فى أوربا فى ذلك العهد

***

كانت العناية بجمع الأغانى والقصائد الوطنية الحماسية وضمها فى شكل ملحمة أول مظهر للأدب الفنلندى

كان الشعب يحفظ هذه القصائد ويتناقلها بطريق الرواية ، وكان لزاماً على من يعنى بجمعها أن يطوف بالبلاد للبحث عن رواتها ونقلها عنهم

وقد قام « لياس لونرو » Llias Lönnrot بهذه الرحلات لجمع ما استطاع جمعه من تلك الأناشيد الوطنية . وكان يعتقد أن هذه القصائد الشتيتة أجزاء متناثرة من ملحمة شعبية مفقودة زالت لحمتها خلال القرون المتتالية . ويقول النقاد إن هذا الاعتقاد خاطئ ، ولكنه نتج عنه عمل يعد نسيج وحده فى الأدب العالمى: ذلك أن « لونرو » كان شاعراً ، وقد ساعدته هذه الميزة على ضم القصائد وإنشاء لحمة بينها حتى برزت فى شكل ملحمة قد لا يجد فيها بعض النقاد الشروط الفنية لنظم الملاحم كما يجدونها فى الألياذة مثلاً ، ولكن الذين يوجهون إليها هذا النقد يقررون أنها فريدة فى بابها من حيث أنها الملحمة الوحيدة التى اشترك فى وضعها جمهور الشعب .

أما القصص المروية فى هذه الملحمة ، التى أسماها جامعها « كاليفالا » فساذجة بسيطة . كان الشعب الفنلندى وثنياً يؤمن بالرق والتمائم ويعتقد أن الطبيعة ملأى بالجن ، بعضهم للخير وبعضهم للشر ، وأن الجن لا يتداخلون فى شئون العالم إلا إذا طلب إليهم السحرة ذلك . فالسحرة هم بمنزلة الكهان يحفظون عبارات الطلاسم العجيبة التى يستطيعون بها أن يتحدثوا إلى الشياطين لاجتناب أذاهم أو اجتلاب خيرهم . وهكذا جعلت هذه الديانة الساحر شخصاً علياً بكل شئون الحياة ، فهو الحكيم العليم ببواطن الأمور ، وهو الطبيب الشافى من كل داء ، وهو الشاعر المنشد والمغنى المطرب . ويظهر أن الشاعرية عند هذا الشعب قد تفتقت من ألفاظ السحر الغريبة

وهذه السذاجة فى العقيدة لم تساعد على خلق ميثولوجية على الطريقة الرمزية المعروفة عند الشعوب الأخرى حيث نجد العقل المفكر يخلق الآلهة التى ترمز إلى الحياة بأكملها . أما عند الفنلنديين فالحالة على غير هذا ، لأن الباحث فى ديانتهم يجد آلهة لا يفهم معنى وجودها أو ما ترمز إليه . ولم تحتفظ ملحمة « كاليفالا » بما يستدل منه على الرمز الذى تعبر عنه الآلهة . فمن أمثلة ذلك خلو الملحمة مما يشير إلى مركز « فانيا موين » بين الآلهة ، ويقول الباحثون إنه كان إله البحر فى ديانة الفنلنديين القديمة

ولعل السذاجة فى الدين هى التى جعلت هذا الشعب ساذجاً فى قصصه، لأن ما ترويه ملحمته الطويلة ليس سوى حكايات أطفال وهو وجه الغرابة فيها ، وهو أيضاً ما يجعلها فى أكثر الأحيان عذبة جذابة . إن الأطفال إذا وضعوا قصة جاءت لا رأس لها ولا ذنب ، كما يقولون ، أو لا أول لها ولا آخر ، لأنها تعتمد على المفاجآت الغريبة والأعمال العجيبة أكثر مما ترمى إلى أى غرض آخر . ويظهر أن خيال الشعوب فى عصرها البدائى لا يختلف عن خيال الأطفال الصغار .

وهناك ظاهرة أخرى تجعل ملحمة « كاليفالا » تختلف عن غيرها من الملاحم . ذلك أن الملاحم القديمة كالإلياذة والأوديسة وغيرهما ترمى إلى غايات مقررة لأنها وليدة مدنية قائمة، بينما لا نجد فى الملحمة الفنلندية شيئاً مثل هـذا ، لأن قصصها وليدة خيال ساذج جامح ، بحيث نبحث فيها عبثاً عن رمز للناس والأشياء والآلهة والديانة والأخلاق

على أن أجزاء من هذه الملحمة تحوى اعتقادات الشعب الفنلندى وتصف العواطف الأصلية فى قلب الإنسان

وقصة الخليقة كما جاءت فيها قطعة لها نضارة الشباب وسذاجة القلوب الطاهرة ، وهى تصف فى مستهلها العذراء « إيلمامار » إلهة الهواء التى تزوجت من الموجة وظلت تتقاذفها الأمواج فى وسط المحيط العظيم حتى جرى ما يأتى مما ننقله عن الترجمة الفرنسية :

« جاء طائر جميل من نوع البط فطار محلقاً باحثاً عن موضع ليبنى فيه عشه ... فطار شرقاً وغرباً ، وطار جنوباً وشمالاً ، فلم يقع على موضع يبنى فيه عشه الصغير ومسكنه الجميل

طار طويلاً محلقاً فى الفضاء يفكر قائلاً : « ترى هل أضع عشى على متن الهواء، أم أبنى بيتى على صفحات الماء، فيذرو الهواء عشى ، وتتقاذف الأمواج بيتى

« عندئذ أخرجت عذراء الهواء وأم الأمواج الجميلة من الخضم الواسع ركبتها متيحة بذلك مكاناً للعصفور ليبنى فيه عشه العزيز

« كان العصفور الجميل لا يزال محلقاً فرأى ركبة العذراء قائمة على صفحات المياه الزرقاء كأنها قطعة أرض معشبة

« تخفف من طيرانه ، وحط على الركبة فبنى عشه ، ووضع فيه بيضه ، وكانت ست منها ذهباً وواحدة حديداً

« وأقام الطائر على البيض يحضنه للتفريخ حتى وصلت الحرارة إلى ركبة الإلهة ، حضن العصفور بيضه يوماً ، ويوماً آخر ، وفى اليوم الثالث شعرت عذراء الهواء وأم الأمواج الجميلة بحرارة حتى ظنت أن ركبتها تحترق وأن جسمها يذوب

« فنفضت ركبتها ومدت رجلها فجأة فهوى البيض فى اليم وغاص فى جوف الخضم وتكسر

« ولكن البيض لم يصل إلى قعر البحر ، ولم يقم فى جوفه ، لأن كل جزء منها تحول إلى أشياء نافعة صالحة ، تحول أسفل قشرة البيض إلى الأرض وأعلاها إلى قبة السماء ، وصار ما يعلو الصفار الشمس الساطعة ، وما يعلو المح القمر المنير ، وانتثرت قطع صغيرة من القشر نجوماً ترصع السماء ... »

يقول بعض النقاد إن فى هذه القصة إبهاماً كثيراً ، لأنه لا يفهم جيداً ما ترمز إليه الأشياء المذكورة فيها ، فلماذا اختير طير البط؟ ولماذا جعل عدد بيضه ستاً ذهباً وواحدة حديداً؟ ولعلها كانت وسيلة لخلق صور جديدة ، وهى على كل حال صور خلابة ساحرة

إذا تناولت ملحمة « كاليفالا » موضوعاً يمت إلى العواطف الإنسانية كانت مثيرة مشجية . من ذلك قصة الأم التى فقدت ولدها فسارت فى الأرض باحثة عنه حتى وجدته مجندلاً ، فنفخت فيه حياة جديدة ؛ وهى ترمز إلى الأمومة بطريقة شعرية بسيطة . أنظر كيف أخذت الأم تبحث عن ابنها :

« بحثت الأم عن الضائع ، ونادت ابنها المفقود ، فاجتازت المستنقعات كما تجتازها الدببة واخترقت البحار كما تخترقها الأسماك وطافت بين الحقول والشواطىء وبحثت بين الأشجار ثم نبشت الأرض لتنظر ما تحت الطرق وجذوع الأشجار

« بحثت طويلاً عن ولدها ، بحثت طويلاً وتحدثت إلى الأشجار لتسألها عن المفقود ، فاضطربت شجرة الصنوبر ، وقالت شجرة السنديان : إن لدى من الهموم ما يلهينى عن ابنك ، خلقت لمصير قاس واحتمال أيام مؤلمة ، خلقت لوقيد النار أو بناء الأهراء

« بحثت طويلاً عن ولدها ، بحثت طويلاً فلم تهتد إليه . وتقدم الطريق إليها فانحنت أمامه وقالت له : أيها الطريق العزيز الذى عبده الله ، ألم ترابنى ، تفاحتى الذهبية ، عصاى الفضية الصلبة؟

« فأخذ الطريق يتكلم ، وهذه هى العبارات التى قالها لها : لدى طائفة من الهموم تلهينى عن ابنك ، خلقت لمصير قاس واحتمال أيام مؤلمة ، صنعت لتدوسنى الكلاب وتطأنى أقدام الفرسان ، وتسحقنى الأحذية الثقيلة

« بحثت طويلاً عن ولدها ، بحثت طويلاً فلم تهتد إليه . وتقدم إليها القمر فانحنت أمامه وقالت له : أيها القمر ، أيها الكوكب الذى خلقك الله ، ألم تر ولدى ، تفاحتى الذهبية ، عصاى الفضية الصلبة؟

« أجابها القمر ، وهو الكوكب الذى خلقه الله ، وقال فى لباقة : لدى طائفة من الهموم تلهينى عن ابنك ، خلقت لمصير قاس واحتمال أيام مؤلمة ، يجب علىّ أن أهيم على وجهى فريداً الليل بطوله . يجب أن أنير فى ليالى البرد القاسية ، وأن أسهر ليالى الشتاء الطويلة ، وأن أختفى فى فصل الصيف

« بحثت عن ولدها ، بحثت طويلاً فلم تهتد إليه ، وتقدمت الشمس إليها ، فانحنت أمام الشمس وقالت لها : أيتها الشمس العزيزة التى خلقك الله ، ألم ترى ولدى ، تفاحتى الذهبية الثمينة ، عصاى الفضية الصلبة؟

« وكانت الشمس تعرف شيئاً عنه ، فأجابها كوكب النهار : أسفاً ، إن ابنك التاعس قد اختفى فاقداً الحياة فى نهر « تيونى » ذى المياه السوداء ، فى مياه « مانا » الأبدية ، لقد احتمله التيار إلى منازل « تيونى » فى وادى « مانالا ... »

يلاحظ على هذه المقطوعة أنها فى شكل أغان شعبية بما فيها من ترديد يزيد فى جمال الشعر ، وبما تعبر عنه من عواطف بدائية . والمعروف أن الأغانى الشعبية تعبر عن مشاغل الحياة وهمومها ، ولا تعرض للحياة بمعناها العام وما تبعثه فى النفوس من إحساس عنيف ، لأن الشعب لا يهتم إلا لما هو فيه ولأن التعبير عن الحياة بمعناها المطلق وليد المدنية والثقافة .

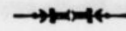
(للبحث صلة)

صديق شيبوب

تحية الرسالة

فى صباح عيدها الثامن

للأستاذ محمود الخفيف



صباحك مثل أحلامها وجدد يا عيد أيامها
صباح تهلل فى المشرقين وضىء الأسرة بسامها
على جانبيه ترف المنى وقد فتق البشر أكمامها
وتنفى أهازيجه الضاحكات كروب الحياة وأوهامها
تهز الفراتين أصداؤها وإن من النيل إلهامها
يجاوب بغداد هذا الغناء وكم عشقت مصر أنغامها
وكم هزت الكون دار الرشيد وأسمعت الدهر ترنامها
تحملها ودها جلق وقد عودت مصر إعظامها
وكم بعثت من رباها الهتاف تحيت على النيل أهرامها
خمائل لبنان تهفو لها ويستروح القدس أنسامها
لها منهما اللمحات الوضاء إذا استلهم الرأى أفهامها
ويصبو الحجاز وكم طاف منه خيال يساور أحلامها
ويزجى الأغاريد سودان مصر ويختص بالود أعلامها
تهش لألحانه الغاليات وتعزو إلى الحب إحكامها

***

تلقى الرسالة فى المشرقين بلاد توشج أرحامها
تلاق على الضاد أبناؤها وإن فرق الملك أقوامها
لها الشرق إما مضت موطناً ويهوى بنو الشرق إكرامها
يطوف به إذ تلم اليقين فإن من الروح إلمامها
يحب تسامحها كل حر وما انفك يكبر إسلامها
يدين بشرعتها فى الجهاد ويعلى عن الشك أحكامها
ألم ير ماضيها العبقرى وقد أرهف الحق أقلامها ؟
ويبل عزيمتها فى الأمور إذا استعجل العصر إبرامها ؟
وكيف مشت تستحث النفوس وتكشف فى الشرق أسقامها ؟
تعلمها كيف تأبى الهوان وترغم من رام إرغامها
تروض على البأس فى قولها شبول البلاد وآرامها
وكم بدعة ساقها المبطلون فراحت تحطم أصنامها
غدا يحتمى بينها الذمار كما حمت الأسد آجامها

***

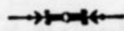
تجدد فى العيد عهد الوفاء وقد صحب الصدق أقسامها
إذا أبهمت فى الخلاف الأمور جلت بالصراحة إبهامها
ويعجز عن حلمها شانئ يحاول بالمين إيلامها
وتقدم لكنها فى الحياة تريك عن الهجر إحجامها
لها صفحة فى سجل الخلود تعاجز فى الشرق من رامها

***

تنزه شعرى فلم أزجه رخيص المدائح نمامها
وما اهتز يوماً لغير العلى فغنى هداها وإلهامها
عرفت علاها فغنيتها وحليت بالدر أعوامها
بدأت لها أمس غالى العقود ولن أبلغ الدهر إتمامها

وصف ديك

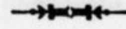
للأستاذ عبد الرءوف جمعة



وديك كأن الشمس يسطع ضوؤها
عليه بألوان ترف وتزهر
على رأسه المرجان تاجاً يزينه
ومنقاره العقيان أو هو أنضر
على جيده فوف من الخز لامع
كمثل ضياء الشمس فى الصبح أصفر
وعيناه أصفى من مدام ابن هانئ
ومن طل نيسان من الورد يقطر
إذا صاح فى جوف الدياجى حسبته
يقول لأهل النسك : الله أكبر
وإن صاح فى وجه النهار حسبته
يقول لمن ناموا : هلاً وزمجر
أحس بما فيه من الحسن فازدهى
وراح بصحن الدار نشوان يخطر
ألست تراه شامخ الرأس مثلما
يتيه على الألمان هيس وهتلر



صنع فى انجلترة ! . . .



جلسنا نتحدث فال بنا الحديث فيما مال إلى مبلغ شعورنا بقوميتنا ومبلغ حرصنا على مظهرها ، ورحنا نتساءل هل نحن كرماء لضيوفنا حقاً ، أم أن فى الأمر شيئاً غير الكرم ؟ واحتدم الجدال كالمعتاد وعلت الأصوات ، وتشعب الكلام واضطرب نظامه ، وضاعت الحجج جيماً سليمها وسقيمها فى ذلك الضجيج المتصل . وكانت أشد الدعاوى إيلاماً لنفوسنا أننا قوم نتلاشى فى غيرنا ويسهل على أى قوة أن تسوقنا حسبما تريد

وقطع هذا الضجيج دخول صديق لنا فى رفقته شاب أخذ يقدمه إلينا، فحيا وحيينا، ثم جلسنا برهة صامتين، ومالت أنظارنا إلى هـذا الشاب الذى بدأت معرفتنا به . وما هى إلا برهة حتى فطنت إلى أن منظارى قد وقع منه على شخصية أضيفها إلى ما عرفت من أشباهها من الشخصيات التى لا تكاد تفترق إحداها عن بقيتها فى شىء

وفى نفسى عن هذه الشخصيات التى عرفت معان استيقنتها فما أشك فيها أبداً ، بيد أنى أميل إلى تبينها فى كل شخصية منها ، فقد جرى الأمر فى ذلك عنـدى مجرى التسلية ، إن جاز أن فيما يؤلم ما يسلى كما جاز أن فى المصائب ما يضحك !

ونظرت فإذا صاحبنا يضطجع فى مقعده ويشمخ بأنفه ، ورأيته يضع إحدى رجليه على الأخرى أولاً ، ثم يمدهما معاً إلى حيث يستقر قدماه على مقعد خال ونملاء قبالة الجالسين فى غير تحرج ولا استحياء . . .

وأدخل يده فى جيبه فأخرج بيبته وحشاها وأشعلها ، وراح ينفخ فى الجو من دخانه ، دون أن يشاطرنا ما أخذنا فيه من الأحاديث . وشعرت وشعر أصحابى جيماً بهذا التكبر السخيف ، كأننا لم نكن أهلاً لمحادثته . وكيف نكون عنـده أهلاً لذلك ، وليس فينا من خرج من مصر ، كما تبين له من كلامنا ؟

وكانت تختلج على شفتيه ابتسامة ليس فيها إلا معانى السخرية من عقولنا أو قل من جهلنا ، وفى نفسه أننا لا زلنا على عقليتنا الشرقية جامدين ضيق المعرفة ، وتمنيت أن يتكلم لأرى شيئاً من عقليته الغربية التى عاد بها من انجلترة . . .

ولم يطل تطلى فلقـد أخذ يجيب على سؤال وجه إليه ، فسممت وأنا أجهد فى كتمان ضحكى عبارة بين العربية والإنجليزية، فهى عربية الحروف انجليزية النطق، الأمر الذى جعلها فى جلتها قردية اللهجة والجرس ... وكانت لا تسعفه ذا كرته أو كان يتكلف أن ذا كرته لا تسعفه ببعض الألفاظ العربية ، فكان ينطق بها انجليزية ثم يشرحها لنا كأنما يثق أننا لا نفهم تلك اللغة فهمه ؛ وكان يكرر قوله : « لما كنت فى انجلترة ... » كأنما يخشى أن ننسى أنه كان هناك ، وهو يقدم تلك الحقيقة بين يدى حججه ليجعلها بذلك قاطعة صادعة

وليته ظل ساكتاً فلقد حمدت الله بعـد كلامه الطويل على عقليتى الشرقية ... وحيا الشاب تحية نصفها شرق ونصفها غربى، وانطلق هو وصاحبه، والتفت إلى أحد أقرانى وقال: أرأيت الدليل المادى على صحة ما أقول ؟ وقال آخر : مالهؤلاء لا يتكبرون ولا يزهون وقد افترضت الدولة فيهم الكفاية لمجرد ذهابهم إلى أوربا وإن بدا لها من أكثرهم تقصيرهم فى أعمالهم ، وافترضت فى كثير غيرهم ممن لم ينالوا شرف الاغتراب الجهل وإن بدا لها فطنتهم فيما يناط بهم ؟

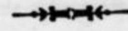
وقلت فى نفسى متى يفهم هؤلاء أن ليس بين التكلف والصعلكة كبير فرق ؟ وأن فى المصريين من سافروا مثلهم فتلقوا العلم فى أوربا ، ثم عادوا إلى وطنهم محتفظين بمظاهر قوميتهم فإن قلدوا غيرهم قلدوهم فى المظائم، وأخذوا عنهم مايشرفهم أخذه، ونبذوا ما يشينهم من سخيف المحا كاة ...

وساورنى خيال غريب عن أولئك المتكلفين ، وذلك أنهم يضمون أنفسهم موضع السلمة فى السوق ، والسلع الإنجليزية يكتب عليها عادة « صنع فى انجلترة » لتزحم غيرها فى الأسواق ، وهؤلاء يباهى الواحد منهم بأنه ـ على حد تعبيره ـ (England man)

(عين)

الملاحة عند العرب

للأستاذ قدرى حافظ طوقان



يهتم الغربيون بالملاحة وينفقون عليها الأموال الطائلة لِما لها من أثر فى الحروب والتجارة وسير العمران . وقد أصبحت مدنية الأمم تقاس إلى حد كبير بدرجة اهتمامها وعنايتها بالشؤون البحرية وبراعتها فى بناء الأساطيل . وكان لها — ولا يزال — شأن خطير فى مصير الشعوب ، وكثيراً ما غيّرت المواقع البحرية مجرى التاريخ واتجاه الحضارة

والأمة العربية — وهى من الأمم التى لعبت دوراً هاماً فى التاريخ وكان لها أكبر نصيب فى تقدم المدنية — قد وجّهت بعض جهودها إلى ناحية الملاحة وخلّفت فيها مآثر خالدة اعتمد عليها الأوربيون فى ترقية الملاحة والتقدم فى صناعة السفن . وقبل البدء فى حديثى عن الملاحة لا بد لى من القول إن ناحية الملاحة عند العرب لا تزال غامضة لم تمط حقها من البحث والتنقيب . والذى نرجوه أن يحفز حديثنا هذا المهم للعناية بالمآثر الإسلامية والآثار العربية فى مختلف النواحى التى أدت إلى فتوح العرب الواسعة ، والتى لا تزال محل دهشة علماء التاريخ إن فى بعض هذه النواحى صفحات لامة يحق لنا أن نباهى بها أمم الأرض وأن نأخذ منها إلهاماً للاقتداء بالسلف والسير فى خطاهم

ومن المؤلم حقاً ألا نجد أحداً من باحثى العرب ومنقبيهم عُنى بناحية الملاحة عند العرب وتاريخ إنشاء الأساطيل . وعسى أن تلتفت جامعة فؤاد الأول والكليات الحربية بمصر إلى هذه الناحية ، وأن تعمل على إظهار المآثر العربية فيها ، وبذلك تكشف عن روح المغامرة التى امتاز بها العرب على غيرهم من الأمم ، وتكون قد مهّدت السبيل لخلق روح الإقدام والشجاعة فى أبناء هذا الجيل والأجيال التى تليه

والآن نأتى إلى موضوع الملاحة فنقول :

كان العرب فى بدء فتوحاتهم يخافون البحر ويهابونه ، وكيف لايخافونه ويهابونه وهم أهل صحراء منقطعون عنه لم يتعودوا رؤيته فكيف بركوبه . ولم يكن الخلفاء الراشدون يشجعون ركوب البحار لخوفهم على أرواح المسلمين ، ويُقال إنه حينما استولى المسلمون على مصر كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص يسأله أن يصف له البحر فكتب إليه « ... إن البحر خلق كبير يركبه خلق صغير ، ليس إلا السماء والماء . إن ركد أحزن القلوب وإن ثار أزاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة . هم فيه دود على عود . إن مال غرق ، وإن نجا برق ... » فكان هذا سبباً فى منعه المسلمين من ركوبه . وجاء أيضاً أن عمر بن الخطاب كثيراً ما عنف الذين يخوضون عبابه، فقد عنف عرفجة بن هرثمة الأزدى لركوبه البحر حين غزوه عمان . ولا شك أن السبب فى منع الخلفاء هو خوفهم على أرواح المسلمين لأنهم لم يكونوا أهل بحر ولم يتعودوا السير على أعواده . وبقى الأمر على هذه الحال إلى أن اتسعت الفتوح الإسلامية وأصبح من العسير بل من المستحيل حماية بعض البلاد ولا سيما وقد أصبح العرب مجاورين الروم ورأوا أن الحاجة ماسة لحماية الشواطئ ، ومن هنا بدأ اعتناؤهم بالملاحة فأخذوا فى إنشاء السفن مثل الروم ، وفى مدة وجيزة صارت لهم دراية وخبرة بالبحار وركوبها وطافوا أشهرها وقهروا محيطات العالم واتصلوا بالبلاد البعيدة وعرفوا عنها الشيء الكثير . مهروا فى صناعة السفائن وأنشأوا لذلك دوراً عظيمة وصار لهم فى مختلف الأنحاء أساطيل أصبحت عرائس البحار وزينة الشواطئ متقنة الصنع كثيرة العدد ، تفننوا فى صنعها وأدخلوا تحسينات جمة على آلاتها ومعداتها، ووضعوا لها الخرائط والمصورات البحرية وكانوا على علم بالأوقات الملائمة لخوض البحار وعلى معرفة تامة بأوقات هبوب الرياح . اتخذوا المنائر فى المرافئ وفى المواضع الخطرة لهداية السفن واستعملوا الإبرة المغناطيسية لتعيين الجهات

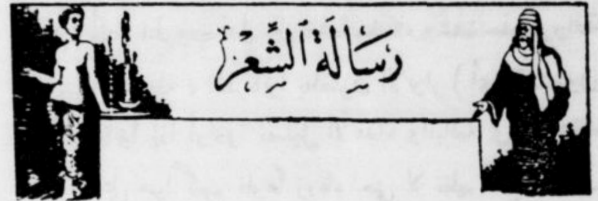
ولا حاجة إلى القول إن أساطيلهم كان لها أثر كبير فى ازدياد قوة الإسلام واتساع رقعته، فلقد تمكن العرب بواسطتها من فتح سردينيا وصقلية وقبرص ومالطة وكريت ، وكذلك تم لهم الاستيلاء على كثير من شواطئ البحر الأبيض المتوسط وبعض شواطئ فرنسا . ولقد وصل الأسطول الإسلامى الأندلسى فى عصر عبد الرحمن الناصر إلى مائتى مركب ، وكذلك أسطول أفريقيا إذ وصلت أساطيل المسلمين فى دولة الموحدين من العظمة

والفخامة إلى ما لم تصل إليه فى أى عصر آخر وبلغت فى أيام المعز لدين الله بمصر ستمائة قطعة . وجاء فى مقدمة ابن خلدون أن عدد أساطيل المسلمين فى أوربا وأفريقيا فى القرن الخامس والسادس للهجرة وصل إلى مئة أسطول!.... وكانت أساطيلهم هذه على أنواع، منها التجارية ومنها الحربية ، والأخيرة تتركب من سفن ومراكب مختلفة منها ما هو خاص للدفاع يقيمون فيها الأبراج والقلاع أطلقوا عليها اسم (الشونة) . ومنها ما هو خاص بحمل المنجنيقات التى يُرمى بها النفط المشتعل على الأعداء ، وقد أطلقوا عليها اسم (الحراقة) ، ومنها الطرادات وهى سفن صغيرة سريعة الجرى ، ومنها سفن تختلف عن التى ذكرنا لأغراض حربية وغير حربية. وللسفن الحربية معدات وأدوات منها (الزَّرَد) و (الخود) و (الدَّرَق) – والأخيرة أتراس من جلد ليس فيها خشب . وكانوا يستعملون عدا هذه الرماح والكلاليب وسلاسل فى رؤوسها رمانات من حديد . وكثيراً ما كانوا يستعملون قوارير النفط يرمون بها الأعداء وهى فى حالة اشتعال . ومن العجيب أنهم كانوا يستعملون أيضاً مسحوقاً ناعماً من مزيج الكلس والزرنيخ يرمون به مراكب العدو فيعمى الرجال بغبارها . وكانوا يلفون حول المراكب من الخارج الجلود أو اللبود المبلولة بالخل والماء والشب والنطرون أو الطين المخلوط بالبورق والنطرون ومواد أخرى لتخفيف أثر النفط المشتعل . وقد وقف العرب على سر تركيب النار اليونانية بعد أن فتكت بهم فى مواقع حربية كثيرة وأوقعت فى بعض الحالات خللاً وفوضى فى معسكراتهم وسفنهم وصاروا يستعملونها فى حملاتهم البحرية على شواطئ إيطاليا وبعض جزائر البحر الأبيض المتوسط . ويرجح بعض الباحثين أنها تتركب من (زيت النفط) والكبريت والجير والقار بنسب لا تزال مجهولة ، وينتج عن هذه المركبات سائل ملتهب يحدث دخاناً وانفجاراً عظيمين كما تخرج منه نار تشعل الأجسام التى تلامسها أو التى تقع عليها . واستعمل الموحدون هذه النار فى حصار (لبلة) من أعمال البرتغال فى القرن الثالث عشر للميلاد لدفع جيوش ألفونسو العاشر ملك قشتالة. ويقال إنهم (أى العرب) استعملوا آلات يقذفون منها على الأعداء حجارة ومواد ملتهبة يصحبها دوى كالرعد ، ويرى بعض العلماء أن هذه الآلات ليست إلا قاذفات النار اليونانية

ومن طريف ما يروى أنهم كانوا يستعملون طرقاً مبتكرة أثناء الحروب تدل على فطنة وذكاء وشدة حذر وبراعة فى وسائل الحيطة ، فقد كانوا يطفئون الأنوار (أى لا يشعلون ناراً)، وكانوا إذا أرادوا تضليل الأعداء والمبالغة فى الاختفاء يسدلون على مراكبهم قلوعاً زرقاء حتى لا تظهر عن بُعد . وهذا يذكرنا بوسائل الوقاية التى تستعملها الدول الأوربية المتحاربة من إطفاء النور واستعمال الضوء الأزرق فى السيارات . وجاء فى بعض الكتب أن العرب كانوا لا يتركون ديكا فى (المركب) أثناء الحروب ، وذلك خوفاً من صياحه الذى قد يستدل منه على مكان المركب

ولسنا الآن فى موقف نستطيع معه تفصيل المعدات الحربية الأخرى التى كانوا يستعملونها ، كما أنه ليس هناك مصادر نستطيع منها سرد الطرق التى كانوا يتبعونها فى البحار ، وقد يطول المقال إذا أردنا وصف الاحتفالات الرائعة التى كانت تجرى عند إخراج الأساطيل للحرب . وهذه كلها لا تزال فى حاجة إلى مَن يتعهد جلاءها ويقضى على غموضها . ويؤلمنا أننا لم نسمع عن هيئات علمية أو أفراد اهتموا بهذه الموضوعات أو صرفوا لها بعض جهودهم وعنايتهم . وعلى كل حال فمن مطالعة لبعض الكتب القديمة ومؤلفات جديدة تمكنا من تهيئة هذا الحديث . وقد تجلى لنا منه أن العرب وصلوا فى الملاحة إلى درجة لم يصل إليها غيرهم من قبلهم إذ جعلتهم سلاطين البحار وغزاة المحيطات ، وكان لذلك تأثير كبير فى فتوحاتهم وفى اجتياح كثير من الجزر البحرية وشواطئ البحر الأبيض المتوسط . وبقى العرب أسياد العالم فى البحار إلى أن قامت عليهم قيامة الغرب بحروبه الصليبية وقيامة المغول والتتار وهبت عليهم عواصف الفتن والقلاقل فضعف شأنهم وأضاعوا عزمهم ومجدهم واستولت عليهم غفلة طويلة وجمود مروع كاد يذهب بالكيان والخصائص التى يمتاز بها العرب على غيرهم وكاد يستحيل كل هذا إلى اضمحلال وفناء ...

(نابلس) قدري حافظ طوقان



صلاة محترقة !

إلى بنفسجتي

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

خانكِ النُّورُ ـ فلا كان ـ ودسَّتك الغيوبُ
فوقَ سفحٍ أفقهُ الغيمانُ مشبوبٌ كئيب
وكئيبٍ صمتُهُ فى الرُّوح وسواسٌ رهيب
تدرُجُ الشمسُ عليهِ فى الرَّوابى وتغيبُ . . .
. . . وهوَ مفجوعُ الثَّرَى يازهرتى يبكى لوجدِكْ
مُزْعجُ الوحشةِ كالصلوب لهفانُ لِبُعدِكْ !

***

زُرْتُه والفجرُ ـ يا فجرِىَ ـ فى الوادى ريبُ
خطوُهُ نحوكِ سحرٌ وصلاةٌ وطيوب
وأنا خطوِىَ آناتٌ وشجوٌ ونحيب
فالتقى عندكِ ضدَّانِ : شروقٌ ، وغروبُ . . .
. . . ألقُ الشمس من الذُّعرِ شليلٌ حولَ مهدِكْ
ودُجى الأحزان فى نفسِى صخَّابٌ لِفقدِكْ !

***

والنَّدى أدمعُ أرواحٍ حزانى ، وقلوبُ
راعها حُزنكِ فى الفجر فأمستْ لا تجيب
كلما ساءلتُها عنكِ تغشَّاها شحوب
وبكتْ مثلى وقالتْ وهْىَ فى الضَّوء تذوبُ :
ليتنا حبَّاتُ نورٍ ساجداتٌ فوقَ عقدِكْ
أوْ شعاعاتٌ براها الله أكماماً لوردِكْ !

***

أنا يا دُنياىَ منبوذٌ على الدُّنيا غريبُ
ودُموعى فى تُراب الدَّهرِ أبلاها المشيب
كلما شارفتُ أنوارَكِ صدَّتنى الخطوب
مثلما صُدَّتْ عن الجانينَ لله الذُّنوبُ . . .
. . . فابعثى يا ربَّتى طيفاً من النُّور لعبدِكْ
فهوَ فى ظُلمتهِ الخرساءِ تمثالٌ لِمهدِكْ !

وعـــد ! . . .

[مهداة إلى شاعر الاسكندرية
الأستاذ خليل شيبوب]

للأستاذ أحمد فتحى

يا حبيبى ، وسيِّدى ؟ ! — لِمَ أخلفتَ موْعدى
هل تناسيتَ ، أم نسيـ — ـتَ ، على غيرِ مقصدِ
أمْ تلكاتَ فى التَّجمُّـ — ـلِ ، إذ قمْتَ ترتدى
زينةُ الحسنِ عوَّقتـ — ـكَ ، فأخلفتَ موعدى
لستُ أنسى سُوَيعةً — قلتُ : يا «ساعةُ» اشهدى
أخلفَ الحلوُ وعدَهُ — ليتهُ كانَ مُسعِدى
ليتهُ كان شاهداً — واصلاً ، غيرَ مُبعِدِ
لِيرَى أنَّ وقفتى — جمرةٌ . . . فى توقُّدِ
عقربا الساعةِ البطيـ — ـئانِ خانا تجلُّدى
فكأنى وقفتُ مِنْ — صُبحِ أمسى إلى غدى !
عُدتُ يحدُونىَ اللا — لُ ، إلى رُكنِ معبدى . .
عبثاً أطلبُ النعا — سَ لِطرْفِى المُسهَّدِ !
أوْ أسرِّى لواعجاً — عنْ فؤادِى المشرَّدِ
ثمَّ ناجيتُ صورةً — لمعتْ لمعَ فرقدِ . . .
سحرتْ جوَّ معبدِى — واستعزتُ بها يدِى
قلتُ : يا رَسمَ سيِّدى — آهِ ، لو كُنتُ أغتدى
آهِ ، لو كُنتُ أغتدى — مِن حبيبى بِمشهدِ
لِيرَى مِن صبابتى — كلَّ معنىً مؤكَّدِ . . .
وأرى مِنْ جمالهِ . . . — كلَّ فنٍّ مجدَّدِ . . .
وأُغنِّيهِ فِى الهوى — كلَّ لحنٍ مخلَّدِ . . .
يا حبيبى ، وسيِّدى — لِمَ أخلفتَ موْعدِى !

تحية الرسالة فى عامها الثامن

جان دارك بين العرب

للأستاذ محمود غنيم

مشتْ مثل جان دارك بين العرب — تشدُّ عزائم بأقوى سبب
تشقُّ الصفوفَ بعزم وتهتِـ — ـفُ باسم العروبة واسم الأدب
إذا هتَفتْ قلتَ طيرٌ شدا — وإن خطرتْ قلتَ ليثٌ وثب
تبشّرُ بالضاد بين بنيها — وأكرِمْ بحرمة هذا النسب
وما وحّدَ الجمعَ مثلُ اللسان — ولا اتحد الجمعُ إلا غلب
إذا اتحد الفكر فى أمة — تجمّع من شملها ما انشعب

***

قد انتظمت أمم الضاد طُراً — فكانت كعقدٍ وكانوا كحَب
بها تتلاقى العقولُ كما تـ — ـتلاقى الروافدُ عند المصب
فذا كاتبٌ من أعالى الفُراتِ — وذا من دمشق وذا من حَلب
بكل يراعٍ أسدّ من السهـ — ـم يغزو القلوبَ إذا ما كتب
فطوراً يمجُّ لُعابَ الأفاعى — وطوراً يمج عصيرَ العنب
وطوراً له أحرفٌ من ضياء — وطوراً له أحرف من لهب

***

تطلُّ على العالم العربىّ — وتَرْقُبُ أحداثه عن كثَب
إذا حرّكتْ غيرَها الشهواتُ — فلا رغبٌ عندها أو رَهَب
وتعلنُ عن نفسها بالسكو — تِ عالِمةً أنه من ذهب
وما أعلن المرء عن نفسه — بمثل الأناةِ ومثلِ الدأب
ألا ما أقلّ الثمار إذا ما — تعالى الضجيجُ وزاد الصخب

***

بدتْ ولها يومُ وضعِ المسيح — وعمرُ المسيح الطويلُ الحقب
تكلم هـذا صبيًّا وتلك — أتتْ وهىَ فى مهدها بالعجب
لقد جاء من خير أمٍّ وجاءت — سليلةُ (أحمد) من خيرِ أب
فتاةٌ كفاها فخاراً أبوها — إذا افتخرت غادةٌ بالحسب
تكادُ تُسائلُ حين تراها — هل الوحى بعد الرسول احتجب؟
وكم (للرسالة) من نُدماء — هى الكأسُ عندهمو والحبب
إذا طلعتْ فى سماء البيا — ن لم يَسألوا: أىُّ نجمٍ غرَب؟

***

وقالوا: الرسالة قلتُ: وهل ثمّ (م) — أجدرُ منها بهـذا اللقب؟
مشتْ بالسّفارة بين البلادِ — تخطّى الوهادَ وترقى الهضب
فأقسمُ ما قصّرتْ فى الأداء — وإن قصّرَ القومُ عما وجب
متى يعرفُ الناسُ أن الفتى — ـ بلا أدب ـ دميةٌ من خشب؟
فـا هوَ شعرٌ ونثرٌ ولكن — هو الرّوح للجسم وهو العصب
يُعِدُّ الشعوب بكلٍّ قواها — وتذهبُ شوكتهم إن ذَهب

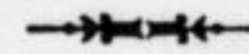
(الاسكندرية) — محمود غنيم
مدرس بالمعلمين



دراسات فى الفن :

٣٨٨

للأستاذ عزيز أحمد فهمى



— حفك اليوم أن أبخرك ... كتاب فى يدك ، وتقرأ فى الطريق ؟

— ليس هذا كتاباً ، وإنما هو دليل المعرض الدولى لفن التصوير الشمسى الذى تقيمه الآن جمعية محبى الفنون الجميلة ... هل لك أن تصحبينى إليه لعلنا نرى شيئاً جيلاً ؟

— يسرنى هذا ... هيا ... فهى فرصة قد أقتنع فيها بأن التصوير الشمسى فن .

— أو لم تقتنعى بذلك إلى اليوم ؟

— أحياناً أقتنع ، وأعود فى أغلب الأحايين فأشك ، وتجىء أحيان أنكر فيها إنكاراً .

— ما دمت تقتنعين أحياناً ، ولو قليلة ، فإن هذا يدل على أن التصوير الشمسى فن ، أما هذه الأحيان التى ينبعث فيها الشك من نفسك ، والتى ينبعث فيها الإنكار ، فالذنب فيها ليس ذنب التصوير الشمسى ، وإنما هو ذنب المصورين الشمسيين ، ولكى يتضح لك هذا عودى بالذاكرة إلى الصور التى أعجبتك ، وإلى الصور التى لم تعجبك ، وحاولى أن تلمسى الفروق بين هذه وتلك لترى أنها كانت إصابات من مصورين وإخفاقات من آخرين ... فبين المصورين من يطوف بآلته يلتقط الصور لكل ما يراه، وهذا يشبه فى الشعراء الدكتور زكى أبا شادى الذى لا يستعصى شىء على شعره ، فهو يستطيع بقوة الله أن يقول الشعر فى الزهرة ، وفى السحابة ، وفى النملة ، وفى البلاطة ، وفى القمر ، وفى القلقاس وفى كأس الخمر ، وفى « كوز حمام » ، وفى الراقصة الرشيقة ، وفى « الترسة » المتثاقلة ، وفى الزمرد والياقوت وكلورور الصديوم وبيكربونات الصودا وهناك نوع آخر بين المصورين للواحد منهم محل يذهب إليه الناس ليصورهم بالأجر ، وأغلب هؤلاء يشبهون الكتاب العموميين الذين يكتبون للناس ما يريدون كتابته بالأجر أيضاً ، والذين يكتبون فيما يكتبون فرحاً وحزناً ، وبشرى وإنذاراً ، وحوادث وأخباراً من غير أن تهتز فى أنفسهم خلجة ولا عاطفة ، وأقلهم تطيب لهم بعض الوجوه فيخرجون لها أحسن الصور ... وفى الكتاب العموميين أيضاً من يفعل مثل هذا إذ تطيب له بعض الموضوعات فينطلق قلمه بأحسن ما يكتب ... وهناك نوع ثالث بين المصورين له اتجاه خاص ، فهو لا يصور كل شىء ، وإنما يصور ما يروقه فقط ، وهو لا يروقه كل شىء وإنما تنجذب نفسه إلى معان خاصة يرتاح لها ، ومن هذه المعانى ما قد يُسعد ومنها ما قد يغذى الألم فى نفس الفنان ويسقيه ، وهؤلاء المصورون يشبهون كل فنان من أولئك الذين يمتاز الواحد منهم بطابعه الخاص وبلونه النفسانى ... وفى هؤلاء المصورين جيماً الصادقون ، وفيهم الكاذبون ، وفيهم الهادئون ، وفيهم المتكلفون وفيهم الجادون ، وفيهم الساخرون ... وللتصوير الشمسى بعد ذلك عالم كما أنه لكل فن عالم ، وفى عالم التصوير الشمسى تجار يبيعون ويشترون ، وفيه سماسرة يروجون ، وفيه ناس طيبون يستهلكون ، وفيه أدعياء يتحككون بالفن ويقتنون الصور ، ويتأنقون فى صنع « براويزها » وهم أبعد ما يكونون عن الفن ، أبعد ما يكونون ...

— كأنى بك تريد أن تقول شيئاً فى نفسك ولكنك تمسكه

— وهل خلّيت شيئاً لم أقله ؟ إلا أنى معجب برئيس مجلس شيوخنا الذى يهتم كثيراً بالفنون الجميلة ، وبهذه الروح الطيبة التى يرعى بها الفن كل من المسيو مارسيل فنسينو رئيس البنك العقارى المصرى ، ورينيه قطاوى بك مدير شركة وادى كوم امبو ويوسف قطاوى باشا الوزير السابق ، والدكتور على باشا ابرهيم ،

وحافظ عفيفي باشا ، وسعادة محمد طاهر باشا رئيس لجنة الرياضة الأهلية ، وفؤاد أباظة باشا المدير العام للجمعية الزراعية الملكية والمسيو نوس مدير شركة السكر ، والمسيو ريشارد موصيري الوكيل المفوض لبنك يوسف نسيم موصيري (أولاده وشركاهم) ، وسائر أولئك النبلاء الذين يعطفون على الفن ... ليس في نفسي إلا أن أنتهز هذه الفرصة لأشكر فيها هؤلاء الرجال الكبار باسم الفن . فهم من غير شك يضحون كثيراً من وقتهم الغالي ، والغالي حقاً في سبيل التهذيب الروحي يرقون عن طريقه بأبناء هذه البلاد .

— هل تعرف أن هؤلاء لو اهتموا بالفنانين الذين تؤثر فنونهم في الشعب تأثيراً قوياً لأجدوا على بلادهم خير جدوى . ولازدهر الأدب والتمثيل والموسيقى و ...

— الله حبب هؤلاء في التصوير الشمسي ، وللفنون التي تتحدثين عنها قضاء آخر عند الله هو مقدِّرُه ، فاشكري الله على ما قَسم .. واسكتي الآن فقد وصلنا ...

***

— الله ... تعال هنا ... عند (٤١) إنها فتاة حلوة رائعة ، أليس كذلك ...

— من غير شك ... و (٢٨) أيضاً رائعة ... وأظنك ترين الفرق واضحاً بين هذه وتلك .. (٤١) فتاة مليحة أعجب بها مصورها « عزام جمال » ، ولا ريب أنه شاب عذب القلب فيه كثير من أخلاق الصبيان ... و (٢٨) شاب في أواخر الشباب أعجبت به مصورته « آسيا » ، وهي لا ريب فتاة عاتية ، فإذا كانت رجلاً متنكراً باسم مؤنث ، فهو رجل فيه رحمة وفيه حنان ولين ...

— وهل تعرف أنت « عزام جمال » و « آسيا » وتعرف أخلاقهما ؟ ...

— لا يا روحي ... وإنما نفساهما في هاتين الصورتين ... فالذي اختار هذا الوجه الصبوح الضحوك المنبسط الذي لا تجاعيد فيه ولا حزون تصوره هذه الصورة، لا بد أن يكون من عشاق الصباحة والضحك والانبساط والصراحة والوضوح ... وإلا فلماذا اختار هذا الوجه وصوره ؟ . . . أما « آسيا » فقد صورت هذا الشاب المتكسر الشباب الذي يطل الشقاء من إحدى عينيه ويطل الصبر من الأخرى ، فلا بد أن تكون من اللواتي يستهوين الشباب المولّي واللواتي يطربن إذا رأين في عيون الناس صبراً وشقوة ، وهذا لا تحبه إلا نفس الأنثى العاتية . فإذا طرب له رجل فبالرحمة يطرب له ، وبالشفقة يستجيب إلى صبره ، وبالتعزية يواسي شقاءه.

— ولم لا يكون الرجل قاسياً عاتياً هو أيضاً يحب أن يرى في عيون الناس الصبر والشقاء

— هذا لا يكون إلا في الرجال الجلادين ، وأنا لا أظن أن الذي صور هذه الصورة هو « عشماوي » متنكراً باسم آسيا .

— من يدري ... تعال إلى (٣٨) هذه ... امرأة تنظر من النافذة مهتمة متلهفة ... صاحب هذه الصورة روماني اسمه افرامسكو ويسميها « انتظار »

— ليت هذا المصور ذاد هذه المرأة عن النافذة قبل أن يلتقط هذه الصورة ... فقد كانت عندئذ تظهر صورة ساكنة لبيت ساكن ...

— ولكنه يخيل إلى أنه هو الذي دعاها لتقف في النافذة هذه الوقفة ، ولتطل هذه الإطلالة ، ولتهتم هذا الاهتمام ، ولتتلهف هذه اللهفة ...

— وأنا يخيل إليّ هذا أيضاً ، وهذا هو ما يفسد عليّ الاستمتاع بهذه الصورة ، ذلك أن هذه السيدة عند ما أرادت أن تلبي دعوة هذا المصور لبتها بإخلاص شديد جداً له هو ، فقد مطت نفسها في النافذة مطة ثعبانية ، ثم نثرت في وجهها من علامات الاهتمام ما لا يمكن أن يبدو على وجه إنسان إلا إذا كان يرقب موكب الملائكة يوم الحشر ، وتلهفت تلهفاً لا يمكن أن يتلهفه إنسان إلا إذا كان يرقب انشقاق السماء ليلة القدر حسبما يقولون ويروون ... ومع أنها أدت هذه النوازع هذا الأداء المكبر ، فإنها لم تستطع أن تخفي ما كان يجب عليها أن تخفيه وهو شعورها بأنها تمثل هذا كله كي يصورها الأستاذ أفرامسكو

— إذن فهذه صورة فاشلة ...

— يؤلمني أن أقول هذا ... ولكني أعتقد أن في هذا تعزية

كبيرة للأستاذ أفرامسكو، فهو دليل صادق جداً على أن هذه الشابة مطاوعة له مخلصة لفكرته تود له من صميم قلبها أن ينجح ... وهذا أمر من غير شك يرضيه ...

— من يدرى مرة أخرى ... فلربما كان يريد أفرامسكو أن تفوز صورته بإعجابك وإعجاب غيرك من النقاد، ولو كان ثمن هذا الفوز روح هذه التى تقول إنها مخلصة ... ألست تعرف أصحاب الفن وسخفهم ... من منهم جازى المخلصة إلا بكارثة ...

— هذا موضوع آخر لا أوافقك فيه على رأيك هذا على الرغم من أن بعض الظواهر قد تؤيده ... ولكن هذا ليس وقته ... تعالى ... سأختار أنا لك صورة ...

***

— تعالى، أنظرى إلى هذه ... (٣٨٨) ...

— إنتظر لأرى من صاحبها ... إنها من رسم سيدة اسمها مدام رايفون وهى من لندن، وقد سمت هذه الصورة «صورة» .. فقط ... وهى صاحبة (٣٨٩) أيضاً وقد سمتها «عيد» ...

— عظيم ... وهل تعجبك (٣٨٩) هذه؟ فيها جمال حقاً ولكن (٣٨٨) أبدع، وهى من غير شك أبدع ما فى هذا المعرض ...

— ولكن لا يزال أمامنا جزء من المعرض لم نره لعل فيه ما هو أبدع من هذه الصورة

— قد يكون هناك ما يساويها. ولكن لا أعتقد أن هناك ما هو أبدع منها ... فقد قالت المصورة فى هذه الصورة كل مايمكن أن يقال.

— ولكنى أرى فى هذه الصورة تكلفاً كالذى رأيته أنت فى صورة التى تنظر من النافذة ...

— خسىء ما ترين ... أين هو التكلف؟ ...

— الصورة صورة شاب لا شك فى أنه أوربى، ومع هذا فهو يلبس ملابس المماليك الأتراك أو الشركس، طربوش يونانى أو عثمانى كبير كطربوش تمثال إبراهيم باشا، وقميص من الحرير، وصديرى مفتوح، وحزام حرير يطل منه خنجر، و «سروال» ارتفع إلى مادون ركبتيه بقليل من أثر جلسته، فظهر جزءان من ساقيه ... ثم هذه «البلغة الفاسية» التى أظن أنه كان يجب أن يكون مكانها «مركوب» أحمر أو أخضر ليماشى هذه الملابس التى لم يكن أهلها يعرفون «البُلغ» وأخيراً هذه الجلسة نفسها على هذه القطعة المخروطة من الخشب التى لا طبيعة فيها ولا صناعة والتى لا تشبه جذع الشجرة، والتى ليس مثلها كرسى، والتى تكاد تكون صنعت خاصة لهذه الصورة ... أو هناك تكلف بعد هذا كله؟

— هذا الذى تسمينه تكلفاً هو ما أسميه أنا إخراجاً ... فصاحبة هذه الصورة لها خيال تحبه حققته فيها بهذا الأسلوب الذى ترين. فاختارت هذا الفتى الذى فيه ملامح خيالها المحبوب والذى تتعسفين كثيراً إذ تؤكدين أنه أوربى، لأنه قد يكون كما تقولين وقد يكون شرقيًّا أيضاً، وهو كما ترين ممن يشهد الرجال لهم بالحلاوة والمنوبة، فما بالك بشهادة النساء؟ جبهة عريضة لم يغطها هذا الطربوش العميق الضخم وإن كان أخفى منها جزءاً وهى جبهة تدل عادة على الذكاء، والذكاء محبوب، وعيناه دعجاوان تنبعث منهما نظرة مرتاحة متأنقة كأنما تنتقى وتختار، وأنفه دقيق منتظم جميل، تناسق بتناسق نفسه واعتدل باعتدال مزاجه، ووجنتاه بارزتان بروزاً خفيفاً ينفى عن وجهه تراكم اللحم وغلظ الجلد، وعن روحه ثقل الظل وجمود الحس، وفمه واسع ولكنه يبدو كالضيق لأنه مكون من ثلاثة مستقيمات: واحد منها متقدم والآخران منكسران عنه بزاويتين إلى الوراء فكل منهما فى جانب والفم الواسع تزينه دائماً للمغنين والمتحدثين ذوى اللباقة وحسن التأثير، كما أن له أذنين مرتفعتين غير صغيرتين تفتحتا للسمع والإصغاء وشفتاه لا هما رقيقتان قاسيتان ولا غليظتان بربريتان، وذقنه صغير طرى كذقون الأطفال الأصفياء، وأصابعه طويلة دقيقة خلقت للترفه والعبث وفى إحداها هذا الخاتم المرصع باللآلئ والياقوت استغراقاً منه فى جو النساء واصطناعاً منه لما تحبه النساء، وصدره قد انكشف عن القميص فبدا شعره كما بدا الشعر فى ساقيه، والشعر فى الرجل خشونة تنجذب إليها المرأة الناعمة ... وهذه الملابس

الشرقية التي تسخرين منها هي حلم من الأحلام يتردد في نفوس أهل الغرب ، كما يتردد في نفوس الشرقيين الأمل في مشاهدة باريس وفيينا وبوخارست ... وهذه القطعة من الخشب التي تسيينها هي القاعدة التي أقامت المصورة عليها هذا الموضوع كله بما فيه من الفكرة والعاطفة والخيال بهذا الأسلوب الواضح المستقيم ، والذي لا أظن أن غيرها يشاركها فيه إلا من كان مثلها منساقاً في فنه إلى طبيعته وفطرته . وهذه هي المرتبة العليا من مراتب الفن

— وما رأيك في (٣٨٩) ؟

— هي غطاء لهذه الصورة الجريئة الحلوة ، فالسيدة رايفون لم تشأ أن تعرض (٣٨٨) وحدها لئلا يفهم أن لها اتجاهاً نفسانياً خاصاً فجاءت بهذا « العيد » كما تسميه ، وصورته فتاتين أسبانيتين بينهما شاب جيل المظهر حقاً ، ولكنه كالدمية البلهاء ، حتى إذا رأى الناس هذه الصورة رأوا فيها طهارة تجرى مع التقاليد والعرف والآداب العامة ، وتمحو أثر الصورة السابقة أو ما يمكن أن يكون لها من أثر ، ولعلها جعلت « العيد » تالياً لصورة هذا الفتى يجيء بعدها في الترتيب لهذا الغرض نفسه ، ولعلها أمسكت عن تسمية صورة الفتى بأى اسم من الأسماء تكتما أيضاً ...

— وهل الفن عيب يتكتمه الناس ؟

— ليس فيه من عيب ، ولكن ناسا يخشون ما فيه من الحق وناساً يسيئون تفهم هذا الحق ، وناساً يتخذون الحق سلاحاً يقتلون به الفنانين في نظر الجمهور قتلاً باطلاً وبهتاناً . . . على أى حال ... إنك فتاة وتستطيعين عني أن تشيعى قبلة الإعجاب إلى صاحبة (٣٨٨) . . .

عزيز أحمد فهمي



منهجي في هذا الباب

للأستاذ محمود محمد شاكر

عهد إليّ الأستاذ « الزيات » أن أتولى تحرير هذا الباب من « الرسالة » ، فأجبت إرادته بالتسليم ، وأما أجد المعاني في نفسي حائرة لا تكاد تقر ؛ فقد لحقتني إرادته والحياة من حولي تفترني حتى ما أحس من فورتها إلا القليل ، والنفس منبوذة على حدود النشاط في كسل مجدب بالقحط والظما لا يهتدي إليه رِيٌّ ولا شِبَع . وإذا كانت النفس كذلك لم يأت خيرها إلا من طول الإحساس بالحرمان والألم ، فهي تريد أن تتكلم من نوازعها بألفاظ ثائرة ضائعة حائرة كأنما تبحث عن نفسها في معانيها . . . ثم لا تتكلم ، وهي على ذلك لا تطيق التأمل في المادة التي تعرض لها إلا بمقدار من الرغبة في البحث عن نفسها في سر نفسٍ غيرها لتجد عند ذلك أسباباً تهتاج بها وتضطرب . وإذا لم تجد النفس لذتها المؤلمة إلا في انتزاع الآلام المحرقة مما ترى وتسمع وتتخيل ، فكيف تعيش أفكارها إلا في دخانٍ من الأحزان الصامتة صمتَ الفكرة المختنقة التي لا تجد أنفاسها ولا جوّ أنفاسها . هكذا أجدُني

وهذه النفس المنبوذة بما جنت وبالذي لم تجن من شيء ، هي النفس التي أريد أن أتولى بها النظر فيما يعرض لي من شؤون الأدب في أسبوع من أسابيع « مصر » ، ولقد تشا كلا ووقع حافرٌ على حافر في حَلْبة مغلقة . فنفسي الآن هي نفسي التي لا أكاد أجمعها ولم أشتاتها إلا قليلاً ، وما هو إلا أن أراها مبعثرة تَفِرّ مني أوابدها في كل وجه ، وأقف أنا أتلفت . . . أنظرها وهي تغيب في ظلام الأحزان ، وتترك عندي أطيافاً من الذكرى تطوف في تأملاتي مرسلة من مزاميرها ونايها أنغاماً حزينة مهجورة متفجّعة كأنما تقول : هذا مكان كان أهله ثم بادوا . وهكذا أيضاً أجدني

في بعض الإنجيل هذه الكلمة : « من وجد نفسه أضاعها ، ومن أضاع نفسه من أجلي وجدها » ؛ أفيكون معنى ذلك أن النفس الإنسانية لا توجد باقية أبداً إلا وهي مستهلكة ، وأن الأشياء الشريفة التي تُهلِك هي بعينها التي تُحيِي ، وأنه لا معنى للشيء الحيّ إلا أن يجتمع فيه معنى الأشياء الشريفة الموت والحياة معاً ؛ وأن استغراق النفس واستهلاكها في الأحزان النبيلة وتعذيبها بها هو استحياؤها وتنميتها ، وأن العمل المهلك والفكر المهلك هما العمل الإنسانيُّ الجليل الذي خُلِقَتْ من أجله الحياة على الأرض ! وعلى ذلك لا تكون النفس حيّة أبداً إلا وهي سائرة بالحياة في مَسْبَعَةٍ من الموت، يتخطفها كل شيء حتى الأسباب التي يستوجب بها الحيّ صفة الحيـاة ! إذن ما أعجب الحياة

* * *

وإذن فقد فرّت مني المعاني التي أحمل نفسي الآن على علاجها ، واستجهلتني الآلام في عواصفها حتى ذهبت هذا المذهب المزن من القول لأقدّم به الكلام في هذا الباب الذي عقده « الزيات » للأدب ، ومع ذلك فإني لأرى الصلة التي تصل أصل هذا الباب بالأصل الذي في نفسي ، فإن تتبع « الظواهر الأدبية » ينبغي أن توفر له أسباب الاستقرار النفسيّ حتى يستطيع الكاتب أن يجمع إليه المعاني ويضرب عليها الحصار حتى يفندها أو ينقدها أو يحصيها أو يبين عن غامضها أو يكشفَ أستارها أو يقدم لها بالنظر والفكر والتوهم — ما توجب بعض النتائج التي تفضي به الآراء إليها ، وبذلك يمكنه أن يوجد للأدب ميداناً تستعرض فيه أعماله التي يدأب الأدباء والكتاب والشعراء وأصحاب الرأي في صنعها وتجويدها . فإذا تناول هذا الأمر بالنفس التي لا تستقر ولا تهدأ كان عمله أقرب إلى الثورة — أي إلى الفوضى — من حيث يريد أن ينتظم ، ومع ذلك فإن الخير كل الخير أن نحاول الحياة كما تحاولنا بالاقتسار والعنف ، وأن نقبل عليها وهي مدبرة بالبرهان على إمكان احتمالها جافية كانت أو ناعمة ، ومؤلمة كانت أو مريحة ، ومنصفة كانت أو باغية ، وأن نأخذها من حيث نرى الرأي أنه هو أجدى وأنفع ، وأيضاً فإن المصدر الحيّ للأدب إنما هو النفس ، فهو يصدر عنها موسوماً بسمتها ، إما مستقرة هادئة مفكرة في جوّ من الراحة ، وإما ثائرة لمّاحة

متخطفة فى مسبح الأحلام والآلام والأمانىّ المذبة بالحرمان ، فليس إذن من المنكر أن ينصب امرؤ لا تهدأ نفسه لمثل هذا الباب الذى وصفناه وأن يتناول هذا الأدب بما يتداوله من الإحساس المشبوب والنظر الخاطف والرأى المنيف أوأى ذلك كان

وأحب أن أعهد قبل أن أتكلم ، فإنى رأيت الأدباء قد أكل بعضهم بعضاً بألسنة كظهر البرد ، وتشاحنوا بينهم للكلمة التى لا ترفع ولا تضع ، وتنابذوا على الأهواء الغالبة المستكلبة ، ومن كان ذلك مجيراه ودأبه ، فهو عند النقد أو الاعتراض كالوحش المجوّع الغرثان قد أجهض عن أشلاء فريسته ، يكاد ينقدّ عليه إهابه من الغيظ والحقد والرغبة فى الإيقاع بمن يصرفه عن أحلام معدته . وهذا أسوأ الخلق وأبعده عن صريح نهج الأدب ، وأقله غناء فى تهذيب الأديب ، وما أظن أن فى الدنيا العاقلة أديباً تخيّل له أوهام «العبقرية» الطائفة به أنه قد سبق السهو والخطأ وبقى النقد والنقاد لَقىً وراءه يتلوذون بظلاله – فى طلب البركة ! ومع ذلك فإن بعض من عنّاه القدر فرمى به فى غيل الأدب العربى يتصيد ،... يقتات من أوهام العبقرية حتى حبط بوهمه فى نفسه ، واستكرش ونفش بما أكل حتى تضلّع ، ثم استلقى على الأقفاء يتخيّل أن الأدب كلّه قد وقف عليه من عند قدمه إلى رأسه يُهدهده حتى ينام فى ظلال الملك الهنىء . ومن كان هذا مثاله من الأدباء ، وعرضنا لبعض قوله بالنقد ، فلا يتخيلنّ أنّا نعنيه هو بذاته – فهو موفور الأحلام على نفسه إن شاء الله – وإنما نعرض للقول على أنه كلام مقول يقع فيه السهو والخطأ ، وتتعاوره الصحة كما يتعاوره السُّقم ، وأنه كلامٌ مصبوبٌ على الناس وعلى أسماعهم وأذهانهم ، فنحن بنقدنا كلامه ، إياهم نريد ، وإياهم نخاطب ، وعسى بعدُ أن يكون له فى هدأة من نفسه رأىٌ يتابعنا به إن أصبنا أو يسدّدنا ببيانه إن أخطأنا ، وما نألو فى الاجتهاد ، ولكن ربما حُرم الإنسان التوفيق فيما يأتى وما يذر

هذه واحدة فيما نبدأ به ؛ أما ما يقع بين الأدباء من المجادلات والمنافرات ، فخفنا من هذا الباب التسجيل ، فإن بقى لنا فى القول مقال نقوله – نتعقب به الأصل الذى يقع عليه الاختلاف والتنافر – لم نقصّر فى تحقيق البيان وتحريره ، متعاونين فى جعل الحقيقة أسرع إلى إثبات وجودها والدلالة على نفسها حتى تتجلى

وأما الشعر والشعراء وما يلوذ بهما ، فأنا حين أغمض عينى لأجمع علىّ خيالى ورأيى وفكرى ، أنتهى إلى مثل الغيبوبة من الحسرة واللهفة والألم . فقد فرغ الشعر من بيانه ومعانيه ومعارضه الفاتنة ، ووقع إلينا أوزاناً تتخلّج بما تحمل تخلّج المجنون فى الأرض الوحلة ، وما أظنه يعتصم فى هذه الأيام إلا بشاعرين أو ثلاثة ، ولكل منهم مذهب ، وكل قد قذفت به الحياة فى مهنتها وابتذالها حتى صار أكثر فراغه مستهلكاً على صناعة أو وظيفة تطعمه العيش وتحرمه لذته ، ومع ذلك فهم يقولون ويتكلمون والسامعون ينصرفون عنهم لسوء رأيهم فى الشعر الحاضر أول ، ثم لكثرة ما يسمعون من كلام لا يحرك عاطفة لأنه لا يصدر عن عاطفة ، ومازال ذلك يتوالى عليهم ، حتى إنهم لا يكادون يعرفون الشعر إلا هكذا ثقيلاً غثّاً بارداً ، فكيف لا ينصرفون عنه ، ومن ذا الذى يرضى أن يحمل نفسه إلى «ثلاجة» وهو يُعدّ فى العقلاء . فكذلك ضاع شعر هؤلاء الثلاثة فى غثاثة الكثرة ، ثم فترت أنفسهم ولا تزال تفتر – إلا أن يشاء الله – لما يجدون من غفلة السامعين عنهم ، وليس كلهم يستطيع أن يقول كما قال صاحبهم الأول :

لم يَبْقَ من جُلّ هذا الناس باقيةٌ
ينالها الفَهْمُ إلاّ هذه الصُّوَرُ
أهزّ بالشعر أقواماً ذوى وَسَنٍ
فى الجهل، لو ضُربوا بالسيف ما شعروا
علىّ نَحْتُ القوافى من مقاطعها
وما علىّ لَهُم أن تَفْهَم البَقَرُ

وكذلك نخشى أن يأتى على الناس زمان يضيع فيه الشعر الجيد أو يرفع حتى من صدور هؤلاء الثلاثة . ولست أدرى الآن كيف يُتاح لى أن أنهج مع الشعر والشعراء نهجاً يكون رضًى ومَقنعاً وباعثاً على تجويد الأساليب والمعانى حتى ينقذ الشعراء فنهم من الضياع ؟ فلندع هذا إلى حينه ، وإلى رأى الشعراء فى «مطالبهم» ، فقد صار لكل أصحاب صناعة مطالب وحقوق – حتى النساء ، فكيف لا يعرف الشعراء مطالبهم وحقوقهم وهم أرهف إحساساً وأنبل مقصداً وأبين بياناً ! !

وأما الكتب التى تصدر فى خلال الأسبوع أو قبله بكثير أو قليل فسننهج لها نهجاً مخالفاً لنهج العرض الكامل أو النقد الشامل ، فإن هذا أحق به باب «الكتب» و «النقد» ،

وإنما نعرض لها من حيث يتوجه لنا الرأى فى غرض الكتاب الذى يرى إليه ، وأين يقع منه . ورب" كلة واحدة فى صدر كتاب أو ذيله ، لم يعرض" لها الكاتب إلا شارداً أو كالشارد ، ثم تكون هى ترُبِي بمعانيها على الكتاب كله وعلى أغراضه أيضاً ، فربما وقفنا عند هذه وقفةً تَجيش لها النفس من نواحيها ، فنحتفل لها أشد احتفال وأعظمه لتكون كالسُّلَّم على المعانى النبيلة التى تضيع فى خرائب الكتب

وبقيت كلة ... ، فقد أحسن « الزيات » إذ تنبَّه إلى هذا الباب — الآن — من أبواب مجلته وقد أغفله كل هذه السنين. فإن الحرب والثورة وما فى معناهما هى اضطراب عنيف يهز أعصاب الحياة ويفضفض أوصالها ، فلا جَرَمَ إذن أن تدور الرؤوس وعقولها دورات كثيرة حول نفسها ، فتختل" الأوزان والمقاييس فى كل شىء ، وأن تبدأ الحياة بعد الحروب بدءاً جديداً ؛ ويكون الناس إذ ذاك كالناشر من باطن الأرض وقد خرج من أكفانه ليرى ظاهرها كل شىء غريب وغير مفهوم، ومع ذلك فهو جديد لذيذ لا يُمل وإن كان كله خطأ وفساداً واستحالة وسبباً من أسباب الفناء ؛ وكذلك يكون الأدب والأدباء بعدَ الحرب ، كما أخرجت الحرب الماضية ثم الثورة المصرية سنة ١٩١٩ جيلاً من الأدباء استفحل أمرهم وذاع صيتهم وضربوا فى الأدب بأسهم مفلولة محطمة ، ومع ذلك ...

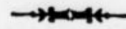
فهذا الباب فى هذه الأيام إلى ما بعد الحرب — يصورّ بعون الله وتوفيقه وهدايته الطريقَ الذى كان عليه الأدب إلى اليوم ، ثم أين انتهى وكيف ؟ ثم غيب ذلك كله موقوف على نوع الحرب وأساليبها وما تُبدع من فنون الشر ، وما تثير من طبائع الإنسان — من أنثى وذكر — ، وما تَحفِزُ أو تُبيرُ من أحلام الإنسانية المنحدرة من أطباق الماضى البعيد مع الإنسان الوارث الحىّ على هذه الأرض

محمود محمد شاكر



عام جديد

للدكتور محمد محمود غالى



قدمنا إلى القراء فى مستهل العام الماضى العلامة الدكتور محمد محمود غالى . ويجب هنا فى مستهل هذا العام أن نشكر له باسم القراء فى جميع الأنحاء جهده الموفق فى وصف الصورة التى يعرفها العلماء اليوم عن الكون، وما وصلت إليه الآراء الفلسفية فيه ، وما بلغه العلم التجريبى من تقدم . وقد تابع العلماء والأدباء والطلبة مقالاته الثلاثين فى تبسيط هذه الموضوعات العويصة بأسلوب سهل وعرض جميل وقريحة متمكنة . وسيتابعون هذا العام برنامجه الذى عرضه فى هذه المقالة مدفوعين بما غرسه فيهم من رغبة الاطلاع ولذة المعرفة .

يسمونه عاماً جديداً ، وليس للتسمية من معنى علمى سوى أن الأرض أتمت دورة كاملة فى دورانها حول الشمس ، شد كوكبنا النشيط فيه رحاله كعادته من نقطة معينة فى الفضاء وظل دائراً كعهدنا به إلى أن عاد إلى النقطة التى بدأ منها المسير ، واستأنف الكوكب مسيره من جديد فدخلنا فيما نصطلح على تسميته عاماً جديداً ، وهو اصطلاح له معناه عند الإنسان . ذلك أنه قد مر من العمر الذى يتطلع إليه كل كائن ـ جزء له شأنه ، فما الحياة إلا بضعة عقود مثل هذا الجزء الذى قد لا يماود الكثيرين ممن جاوزوا العقد الرابع أمثال له كثيرة . أجل فهو جزء له خطره ومرحلة لها قيمتها من مراحل الأجل المحدود . وقد يتساءل كل امرئ عما قدم من عمل فى عامه المنصرم وما اعتزم أن يقوم به فى عامه الجديد

ولقد كانت غايتنا فى العام الماضى أن نقوم بدورنا فى تبسيط العلوم وفى تقريب الميراث العلمى للذين يريدون أن يتذوقوه . وكان ذلك لنا بمثابة مرحلة من مراحل الراحة بعد ما استلزمته السنوات التى قضيناها فى أعمال البحث من تعب متواصل فى الفكر وفترات طويلة فى العمل . وكان واجباً علينا أن نقوم بهذا النوع من التبسيط نحو القراء من المصريين وأهل الشرق بل نحو اللغة العربية ، ففى عالم الغرب مئات من المؤلفات فى هذه الموضوعات وأمثالها ، وقد قام بتأليفها لفيف من كبار العلماء والكتاب فى وقت خلت مكتباتنا من أمثالها من المؤلفات ، وفى هذه البلاد الغربية لم يتأخر علماء معروفون عن المضى فى كتابة المقالات العلمية فى المجلات الأسبوعية أو الشهرية يُقرّبون فيها للقراء أقصى ما بلغه العلم وأعظم ما وصلت إليه المعرفة . ويحضرني فى الذاكرة مقالات جان فابرى Jean Fabri القيمة التى نشرها فى مجلة « العالمين » La Revu de deux mondes ومقالات غيره من العلماء المعروفين فى مجلة « الشهر » Le moi التى تعتبر من أرق وأشهر المجلات العالمية فى الوقت الحاضر . بل لم يتردد آخرون فى القيام بتأليف الكتب المبسطة كالتى نراها للعالم الكبير لويس دى بروى وشقيقه الدوق موريس دى بروى (وقد أخرجا فى العام الماضى ثلاثة كتب من هذا النوع) وكالتى نطالعها للسير جين والعالم الفلكى أرثر أدنجتون ، وهم من مشاهير الإنجليز وممن خطوا كتباً رائعة فى باب تبسيط العلوم . وقد ظهر للأخير منهم هذا الشهر كتاب فى فلسفة العلوم الطبيعية لا زالت الحرب تمنع أن تصل إلينا نسخة منه ، نستمتع بها فيما نستمتع به من كتبه العديدة التى هى من أبدع ما جاء بها الكتاب فى عالم التأليف

ولقد أفسحت لنا الرسالة ، وهى التى تسجل مظاهر التجديد فى الآداب العربية، المجال للتأليف العلمى، وخصصت لذلك صحيفة معينة، وجعلت فى برنامجها رصد ظواهر التطور فى الحركة العلمية، وبدأنا استعراضنا فى العام الماضى بمقدمة استغرقت ثلاث مقالات ذكرنا فيها : لماذا نحاول تصوير الكون وفق الآراء الحديثة ؟ وتناولنا بعد هذه المقدمة ثلاثة موضوعات رئيسية ، استغرق كل واحد منها سلسلة من المقالات المتتابعة .

الموضوع الأول تكلمنا فيه عن الحياة وهل هى وليدة المصادفة وشرحنا فيه شيئاً عن علاقة ذلك بالنظام الشمسى للمادة. والموضوع الثانى تكلمنا فيه عن الكون ، وبينا للقارئ كيف يكبر الكون فى مجموعه ، وكيف تبتعد جميع العوالم فيه بعضها عن بعض ،

وكيف استدل العلماء على ذلك من البحث التجريبي ، وكيف أتت البحث النظرى صحة ما ذهبوا إليه . ولعل أظهر ما فى هذا النوع من الأبحاث ماذكرناه للقارئ من وجود علاقة بين الكون فى مجموعه وبين أصغر مافيه وهو الألكترون . والموضوع الثالث عالجنا فيه الأشعة الكونية ، وأردنا بذلك أن نطلع القارئ على أعجب ما نعرفه من الأشعة ، وهى الأشعة الخارقة التى تستطيع أن تخترق ما سمكه عشرة أمتار من الرصاص بينما لا تخترق أشعة الشمس غلافاً رقيقاً من الورق ، وشرحنا كيف يستدل العلماء على مرور جسيمات هذه الأشعة الخارقة بسماعها ، ويحصلون على صور مسارات هذه الدقائق المتناهية فى الصغر ، ووصفنا فى موضوع الأشعة الكونية الذى بلغ خمس مقالات غرفة ولسون المشهورة التى هى أقصى ما بلغه العلم التجريبي من العظمة والدقة ، ووجهنا القارئ بهذا إلى نواح حديثة فى العلم التجريبى تبين له منها مسائل جديدة وبحوث عظيمة الأثر ، فرأى القارئ مثلاً كيف ساعدت هذه الغرفة فى الكشف عن البوزيتون ، الذرة الموجبة للكهرباء ، وما تبع ذلك من فروض فى ماهية وكنه هذه الأشعة العجيبة التى تخترق أسقف منازلنا أينما وجدت وأجسامنا أينما تكون

والموضوع الثالث استغرقنا فى كتابته إثنى عشر مقالاً ولم ننته منه بعد ، وقد تناولنا فيه حبيبات المادة والكهرباء والضوء فتكلمنا عن الجزىء ، وبينّا أن حركة الجزيئات سبب العمليات الحرارية ، وشرحنا فلسفة ليبنز Leibnez وفكرته فى إرجاع الحرارة والحركة إلى أصل واحد ، وشرحنا المبدأ الثانى للترموديناميكا ، وذكرنا تفسير بولتزمان Boltzmann لهذا المبدأ الثانى فشرحنا كيف تحتم قوانين المصادفة على الجسم المرتفع الحرارة أن يعمل على تسخين الجسم المنخفض الحرارة ، ولماذا لا يكون العكس صحيحاً ؟ وخرجنا من ذلك بذكر عقيدة العلماء فى الطريقة المحزنة التى ينتهى بها الكون ، وهى عقيدة لم نوافق عليها . ولم نستند حتى الآن فى عدم موافقتنا هذه إلى أسباب علمية ، بل اعتقدنا تعذر قبول الامتداد فى الظواهر Ixtrapolation ، وقنعنا بصعوبة الحكم على مستقبل الزمن ، وكانت الحياة وما تبعث فينا من دهشة ، واختلافها عن كل ما نعرفه من الظواهر ، سبباً عندنا لمخالفة العلماء الحراريين فيما ذهبوا إليه ، وانتقلنا من الكلام عن الجزىء إلى الكلام عن الذرة ، فذكرنا عمل أفوجادرو ونجاح مانديليف ، وبينا وجه الشبه بين عمل الأخير فى الكشف عن العناصر ، وعمل Leverrier فى الكشف عن الكواكب الجديدة ، التى لم تكن معروفة لسكان الأرض ، وانتقلنا بعد ذلك من الذرة إلى الألكترون فتكلمنا عن الكهرباء وذكرنا أنها كالمادة ظاهرة ذرية ، وتحدثنا عن الشقيقين ، الألكترون والبوزيتون ، أو السالب والموجب ، وأتينا على تجارب مليكان R. A. millikan الخالدة التى استطاع بها أن يفصل جسيماً حاملاً لألكترون حر واحد ، وبينا كيف تحدثت الأرقام إلى هذا العالم ، وكيف أنه ، من عملية حسابية بسيطة هى عملية القاسم المشترك الأعظم استنتج وحدة الكهرباء وقاس شحنة الألكترون وتوصل بعد ذلك لمعرفة وحدة من أهم وحدات الوجود . هذا ما استعرضناه فى عام ، وما انتهينا إليه فى مقالاتنا السابقة التى أرجو أن يكون قد أفاد منها عدد كبير من القراء الذين أردت أن أوفر عليهم عناء كبيراً فى مطالعة موضوعات باتت من أصعب المسائل العلمية وباتت رموزها لغير المختصين فى هذه العلوم كالحروف الهيرغليفية لمن لم يدرسها

***

وجب علينا بعدذلك ، وقد بدأ عام جديد ، أن نتم هذا الموضوع الأخير الذى تعرضنا فيه لحبيبات المادة والضوء والكهرباء ، فننتهى من قصة الألكترون الرائعة ونذكر عمل جان بيران Jean Perrin ونتكلم عن حبيبات الكون الأخرى : كالفوتون والنيترون والديترون ، وغيرها من المكونات الأولى للخليقة ، التى تلعب على مسرح الوجود دوراً هاماً ، والتى يجد الإنسان فى دراستها علاقات تساعده على فهم الكون وقصة الوجود . فإذا انتهينا من هذا تناولنا على الأثر ، وفى بدء هذا العام موضوعات رئيسية ثلاثة : تتم بها وصف الهيكل الرائع للكون وما يحدث فيه ، ونعالج فيها أقصى ما بلغه الإنسان المفكر فى المعرفة :

الموضوع الأول يخص فكرة النسبية La Relativité عند

ألبرت أينشتاين A. Einstein وهي الفكرة التي أدخلت تفكيراً عميقاً على معارف البشر . والموضوع الثاني يخص التفتت الذرى Desintegration وهو الموضوع الذي يصبو العلماء الآن في تياره إلى الوصول إلى نوع جديد من المدنية ، يصبح الإنسان فيه أعظم سيادة في استعمال الموارد الطبيعية ، وأعظم شأواً في الاستمتاع بالحياة في وجوه لا نعرفها نحن اليوم . والموضوع الثالث موضوع الكم Quanta وعلاقة ذلك بفكرة القضاء والقدر ، وهوموضوع يَعتبر العارفون اليوم أن لا غنى عنه في دراسة الفلسفة الحديثة ، والتقرب من معرفة قوانين الكون . ونرجو ألا يفوتنا أن نذكر للقارئ شيئاً عن الموجية ومؤسسها دى بروى وشيئاً عن تيارات التفكير الحديث ، وأن نختم موضوعنا بكلمة عن الإنسان القادم والآمال المعقودة عليه . بذلك نكون قد تناولنا سلسلة من الموضوعات المتصل بعضها ببعض ، يستطيع القارئ عند مطالعة إحداها أن يعرف شيئاً عن أحدث ما نعرفه في التفكير، وعند متابعتها أن يقف على صورة هي أقرب الصور لحقيقة الكون والوجود

ولو أننا أردنا أن نتناول الموضوعات الثلاثة المتقدمة بالعناية والدرس لأمكن أن يستغرق كل منها عاماً أو ما يزيد ، ولكننا ونحن نتوجه بكتاباتنا أيضاً لغير المختصين في العلوم ، ولأولئك الذين يمنون ألا تظل العلوم الحديثة غريبة عنهم ، نكتفي ببضع مقالات بحيث نستطيع بعد مضى ثلاثة أو أربعة شهور من العام الجديد أن ننتهي من هذه الموضوعات العلمية والدراسة الفلسفية ونبدأ عرضاً من نوع جديد

وغرضنا في هذا العرض الجديد أن يقف القارئ على معرفة بعض الاختراعات التي يقابلها في حياته اليومية ويستعملها في كثير من شئونه ، ويشعر إزاءها بشيء من الإعجاب . من هذه الاختراعات الراديو ونقل الصور الفوتغرافية باللاسلكي، كذلك « التليفيزيون » أي الرؤية من بعيد

على أن بعض هذه الموضوعات تتصل بعلماء ومخترعين ساقني الحظ للعمل معهم أو التعرف إليهم . أذكر على سبيل المثل بيلان Belin مخترع البلانوجرام، وهو الجهاز المعروف باسمه الذي يستعمل لنقل الصور الفوتغرافية باللاسلكي ، وهو الذي ترك لي بعض هذه الصور المنقولة بهذه الطريقة ، والتي تمت في بدء نجاحه ، وأذكر روبير بيروه مكتشف « البالون الكاشف » الذي منحني كثيراً من الصور الخاصة باختراعاته ، والتي لا يصح أن تكون ملكا لي ، بل يجب أن يستمتع بها كل قراء العربية .

ولعلي بهذا وذاك أكون قد وصلت مع القارئ إلى أحد أغراضي في أن يتتبع أحدث ما نعرفه في العلم ويقف على أعجب ما نعلمه من الاختراع ، ويكون قد تعود ذهنه على تتبع مسائل تعد في الواقع من باب الموضوعات الصعبة ، إلا أنها موضوعات أصبحت لازمة لإتمام حلقة المعرفة .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية. ليسانس العلوم الحرة. دبلوم المهندسخانة



ســـيدنا . . .

للأستاذ محمد سعيد العريان

كنا فى مجلسنا من شرفة النادى حين لمحنا صديقنا الأستاذ ع مفتش التعليم الأولى قادماً من بعيد ، يتوكأ على عصاه وهو يميل يمنة ويسرة ، ويطول فى مشيته ويتقاصر ؛ إذ كان فى رجله عَرَج قديم من التواء فى إحدى قدميه ؛ فلما بلغ حيث كنا جالسين ، ألقى إلينا التحية ثم اتخذ له مقعداً على مقربة

ومضينا فيما كنا من الحديث ، نتسرّح من فن إلى فن ، وشئون الحديث تتداعى معنًى إلى معنى وحادثة إلى حادثة . وقال واحد من السامرين : « رحم الله سيدنا ... ... ! » فلم يكد يتمّ عبارته حتى اعتدل المفتش فى مجلسه واختلجت شفتاه فى تأثر وانفعال ، ثم اهتبل الحديثَ يقول :

« سيدنا ؟ ... رحمه الله وغفر له ! »

وتوجهنا بأبصارنا إلى الأستاذ ع ، وقد أدركنا من حاله أن خاطراً من ذكرياته قد ألمّ به الساعة ، وأن شيئاً ذا بال فى كلمة « سيدنا » قد أيقظ نفسه وهاج عاطفته ، فرغبنا إليه فى أن يقصّ قصته ؛ فمضى يقول :

* * *

كان سيدنا الشيخ عبد الجليل له فى القرية مكان واحترام ، لا يبلغ منزلتَه أحدٌ من أهل القرية جميعاً . ولا عجب ، فهو شيخ القرية وعالمها ومعلم بنيها ؛ يستفتونه فى أمر دينهم ، ويستشيرونه فى شئون دنياهم ، وما منهم أحد إلا له عليه يد ، ولا ذو حاجة إلا كانت حاجته عنـده ، ولا ذات أمل إلا بلغت مأمولها برُقية من رُقى الشيخ أو تعويذة من تعاويذه.

وكان له « كتّاب » يختلف إليه طائفة غير قليلة من صبيان القرية يحفظون القرآن ويتعلمون القراءة والكتابة ، ويقصد إليه ذوو الحاجات يطلبون مشورته أو يلتمسون بركاته

وكنت ـ ككل فتى فى القرية ـ أسمع باسم الشيخ وأضمر له فى نفسى من المحبة والاحترام مثل ما يضمر له الجميع ، وإن لم يتهيأ لى مرة أن أراه رأى العين . وذات صباح صحبنى والدى إلى مكتب الشيخ عبد الجليل ليكل إليه تعليمى . وكنت يومئذ فى التاسعة من عمرى وقد شدوت من العلم شيئاً فى مدرسة أولية بالمدينة حيث كنت أقيم عند خالى . ومضيت خلف أبى على طول الطريق لا أفكر إلا فى السعادة التى تنتظرنى ساعة أجلس بين يدى الشيخ المبارك أنظر إليه وأسمع عنه وأحفظ من علمه ...

ورأيت الشيخ يومئذ لأول مرة . لقد بدا لى أصغر سناً مما كنت أتصوره فى خيالى ؛ وأحسبه كان صغيراً حقاً ؛ فإنه على ذيوع صيتهَ وامتداد شهرته فى القرية ، لم يكن قد جاوز الأربعين بعد . عرفت ذلك من لحيته السوداء وشاربه المحفوف . وكان فى وجهه ذبول وعليه مسحة من صور الزهاد ، أنبأتنى بذلك عيناه الناظرتان أبداً إلى تحت ؛ ولكنه على ما كان يبدو فى وجهه وفى عينيه من التواضع والانكسار ، لم يكد يرى أبى مقبلاً عليه بالتحية ، حتى مدّ له يمناه ؛ فطأطأ أبى رأسه ومال على يده فقبلها ! حينئذ لم أملك إلا أن أفعل مثله ، أنا الذى لم يقبل يداً قط ، حتى يدى أبيه وأمه !

ومنذ ذلك اليوم ، صرت تلميذاً من تلاميذ سيدنا الشيخ عبد الجليل . على أنى لم أجد فى نفسى لذلك من السعادة ما كنت أتوقع ؛ فما هى إلا ساعة أو ساعات فى مكتب سيدنا ، حتى ضاقت نفسى وأحسست مثل إحساس السجين يحاول أن يفر من حراسه !

كان الشيخ جالساً فى صدر المكان على فروة قديمة ناحلة ، وظهره مسند إلى وسادة حائلة اللون ، وبين يديه قميص يرقعه ، وعن يمينه دلوٌ فيها جدائل من خوص أخضر ؛ وتحت رجليه عصا غليظة يبدو طرفاها من تحت الفروة التى يفترشها ؛ وأمامه صبيٌّ من صبيان المكتب متربع فى مثل جلسة المعبود « بوذا » وهو يهتز بين يديه فى حركة رتيبة ؛ ويقرأ شيئاً من غيب صدره فى نغمة واحدة ليس لها لون ولا فيها معنى ؛ وسيدنا مكبٌّ على عمله يرقع قميصه وهو يستمع إلى الصبى ، لا يزيد على أن يرفع عينيه إليه بين لحظة وأخرى . وفى المكتب عشرات من مثل

هذا الصبي ، قد تربعوا أفراداً وأزواجاً على حصير كبير يغطي أرض الغرفة جميعاً ، وبين أيديهم كتب وألواح يقرءون مما فيها حيناً ، ويتبادلون الحديث من ورائها في نظرات صامتة حيناً آخر ؛ والشيخ يخيط أو يجدل ضفائر الخوص ، والصبي بين يديه يقرأ ...

وكنت غارقاً في تأملاتي لا أكلم أحداً ولا يكلمني أحد ، لا لحظةَ عين ولا بنتَ شفة ، حين دوى صوت سيدنا غاضباً يتوعد ... ومال على فخذ الصبي أمامه يقرصه بغيظ والصبي يتلوى من الألم لا يكاد يُسمع صوته من خوف سيدنا !

وكان هذا أول الشر ؛ ثم نهض الفتى الذي كان بين يدي سيدنا وحل محله صبي آخر ؛ ومضت فترة قبل أن يدوى صوت الشيخ في أذني مرة ثانية وهو يميل على فخذ الغلام يقرصه . ولم يحتمل الفتى من الألم ما احتمل الصبي الذي سبقه ، فندّت من بين شفتيه صرخة ألم ! حينئذ هاجت هائجة الشيخ ، فوثب إليه « العريف » يعاونه على تأديب الصبي ؛ وفي أسرع من خفقة الطرف كان الصبي مجدولاً على الأرض معلقاً من رجليه في خشبة غليظة يشدهما إليها حبل مفتول ، والشيخ يهوى على رجلي الغلام بالعصا في قسوة وعنف ، وهو تحت رحمته يصرخ ويتلوّى ويعض على شفتيه من ألم الضرب !

أحسست قلبي في تلك اللحظة يكاد يثب من موضعه فَرَقاً وخشية ، فوليت بصري إلى الناحية الأخرى ، فإذا صبيان المكتب جميعاً منكبون على ألواحهم ودفاترهم في خوف وفزع ، وقد زادت هزاتهم وتتابعت في سرعة كأنما يحركهم محرك غير منظور. ولم ألبث أنا نفسي أن رأيتني أهتز مثل هزاتهم وأحرك شفتيّ وليس بين لديّ لوح ولا كتاب ، كأنما هي تميمة أقرؤها لتردّ عني الشر الذي أخاف !

كانت هذه هي عقوبة كل صبي من صبيان المكتب لا يحفظ درسه ، سواء في ذلك ابن العمدة وابن الأجير ؛ ومع ذلك لم يحاول صبي واحد أن يتمرد على سيدنا أو يشق عصا الطاعة أو يجرّب الإفلات من عقابه . وأنّى لهم ذلك وإن آباءهم وأمهاتهم جميعاً ليثقون بالشيخ ثقة عمياء ، فلا يتسمّحون لواحد من بنيهم أن يشكو أو يتألم مما نزل به ، مؤمنين بأن « عصا سيدنا من الجنة ! »

منذ تلك اللحظة ، تبدّلتْ صورة الشيخ في نفسي فماد أبغض شيء إليّ ، حتى لو استطعت أن أنتقم منه لهؤلاء الصبيان وأفرّ بنفسي لفعلت . ومالي أخفي عنكم ؟ لقد طالما حاولت من بعدُ أن أسيء إلى سيدنا كلما أمكنتني الفرصة ، فتارة أختلف إلى الأقلام التي تعب في بَرْيها ساعة من نهاره فأقصفها ، لا أدع قلماً منها له سنٌّ تصلح للكتابة ؛ وتارة أعابثه بسرقة علبة السعوط فأستبدل بما فيها تراباً وحصى ، وتارات أخرى ... وما كان سيدنا يعلم مَن يفعل ذلك ، وإن كان على يقين بأن صبيان المكتب جميعاً غرماؤه ...!

***

قضيت في مكتب الشيخ عبد الجليل شهراً وبعض شهر ، لم ينلني فيها عقاب من عقابه ، حتى جاء اليوم المشئوم !

كان عليّ في ذلك اليوم أن أحفظ جزءاً من القرآن الكريم فلم تتهيأ لي الفرصة أن أفعل ؛ وحلّ ميعادي ، فجلست بين يدي سيدنا وأنا أرتجف خوفاً من عقابه ، فسألته المعذرة في كلمات خافتة وصوت يرتعش ؛ وبدا لي كأن الشيخ قد قبل عذري ، حين اكتفى بقرصة مؤلمة في فخذي ، ونهضت من مجلسه وأنا لا أكاد أصدّق بالنجاة ، فقد كان أخوف ما أخافه أن يجدلني على الأرض ويهوى على رجليّ بعصاه !

ومضت ساعة قبل أن يحلّ ميعاد صبيّ من رفقائي كان عليه وحده تبعة تقصيري في درس اليوم ؛ إذ دعاني في عصر اليوم الماضي لصحبته إلى الحقل لنصيد العصافير ؛ فما عدنا إلا وقد أرخى الليل سدوله فلم نتهيأ لدرس الغد ...

وجلس الفتى بين يدي سيدنا مضطرباً منتقع الوجه لا يكاد يبين ، ونظرت من خلف اللوح إلى سيدنا فإذا هو في هيئة الغضب ، ثم لم يلبث أن سمعته يصيح بالصبي صيحة عرفت ماوراءها ، فأخذت أعالج خوفي بهزات سريعة كأني أقرأ ، وأذني إلى سيدنا ؛ وطرق مسمعي قوله : « وأين كنتما أمس ؟ تصيدان العصافير ... ؟ »

ونادى عريفه فأسرع بأداته إليه ، وناداني ... ...

وقبل أن أرى صاحبي مجدولاً على الأرض ، معلقاً من رجليه في الخشبة ، كانت رجلاي تسرعان بي إلى الباب . ووقف العريف في وجهي ، فلم أجد أمامي إلا النافذة ؛ فاستجمعت قوتي ووثبت !

لم أدر بعد ذلك شيئاً مما كان إلا وأنا راقد في فراشي ، ورجلي مشدودة إلى خشب بأربطة من نسيج أبيض ، وأمي إلى جانب رأسي تبكي في صمت !

لقد أفلتُّ من عصا سيدنا ، ولكنى دفعت ثمن ذلك غالياً ، فانكسرت رجلى ؛ ومن ذلك اليوم لا أمشى إلا مستنداً على عكاز!

* * *

وتأوه المفتش وهو يعبث فى الأرض بعصاه؛ وغرق السامرون فى صمت ؛ ثم عاد المفتش إلى حديثه :

لم يكن لى طبعاً أن أعود إلى كتّاب سيدنا بعد الذى كان ؛ فدخلت المدرسة الأولية فى المدينة ، وانقطعت صلتى بالشيخ وكتابه وعريفه وصبيانه ؛ ولكن ذكراه لم تفارقنى قط ، ذكرى مؤلمة مرة ؛ ومن أين لى أن أنسى وهذه رجلى وتلك عكازتى لا تفارقنى ؟

وثارت الحقد فى قلبى من يومئذ لسيدنا ، فما كان يخطر ببالى مرة إلا ثارت فى نفسى شياطين الشر ... !

وأتممت التعليم الابتدائى والثانوى ؛ وكنت أقضى الصيف من كل عام فى القرية ؛ فكان لا بد لى أن ألتى سيدنا أو تلميذاً من تلاميذه عابراً فى الطريق ، فأطاطئ رأسى وأوفض فى السير خشية أن تنزو بى نازية من الشر فأهوى بعصاى على رأسه فأحطمه!

تُرى أكان ذلك شعورى وحدى ، أم هو شعور الكافة من تلاميذه الذين ذاقوا من قساوته وعنفه ما لا طاقة لأحد باحتماله ؟... ولكنى أكاد أعرف تلاميذه جميعاً . وهل فى القرية كلها رجل واحد لم يكن من تلاميذ سيدنا فى يوم ما ؟ وإنهم مع ذلك ليوقّرونه ويرفعون مكانه ؛ وإن منهم لرجالاً فى مناصب رفيعة ، وإن لى منهم لأصدقاء وزملاء !

وأتممت دراستى العالية ، لأكون فى أول عملى مدرساً فى مدرسة من مدارس البنات الابتدائية ، تتبعها روضة من رياض الأطفال ، تضم شتيتاً من الصبيان والبنات بين الخامسة والثامنة تعلّمهم وتهذبهم على نمط من التربية لم يكن معروفاً لعهدنا فى مثل هذه السن ...

وكنت أغدو وأروح كل يوم من عملى على هذه الروضة الضاحكة ، فيسرنى مرأى هؤلاء الأطفال الصغار فى ثيابهم المتشابهة ، بين بنين وبنات ، يلعبون ويمرحون فى بسيط من الأرض تحت رعاية معلمة عطوف ، لها قلب الأم وحرص المربية ، تأخذهم باللين والرفق فى التعليم والمعاملة ؛ وتشاركهم فى اللهو ، وتخاطرهم فى اللعب ؛ وتنفذ بكل أولئك إلى قلوبهم وعقولهم ؛ فتنشئهم نشأة رقيقة ، وتصقل وجدانهم وعواطفهم ، وتطبعهم من لدن نشأتهم على الخير والمحبة والسلام !

وعلى قدر ما كان يسرنى مرأى هؤلاء الأطفال ، كان يتولانى شعور بالأسف على أنى لست صبياً ... !

وكان أدنى هؤلاء الأطفال المزاز منزلة إلى قلبى ، هو الطفل « فؤاد » ، فإنى لأعرفه ويعرفنى ، وبينى وبين أبيه صلة من الود؛ إذ كانت نشأتنا فى بيتين متجاورين من القرية التى فارقناها معاً منذ آثرنا أن نكون فى خدمة الحكومة ، وكان أبوه زميلى فى كتاب سيدنا ، ولكنه لم يفارقه حتى أتمّ القرآن !

وكان فؤاد يلقانى صباح كل يوم فيحيينى تحية طِفليّة رقيقة، ويود عنى فى العصر بمثلها ، فلا أزال من تحيته بين الصباح والمساء فى نشوة وطرب . وكثيراً ما كانت تحضرنى إلى جانب صورته - صورة أبيه فى صباه ، جالساً على الحصير من كتّاب سيدنا ، وبين يديه لوحه وكتابه ، وهو يهتز هزات متوالية ، ويدور بعينيه بين الصبيان يبادلهم الحديث غمزات ونظرات ... ...

* * *

واستمر المفتش فى حديثه يقول :

هل كان هذا الطفل ومثله معه من أطفال الروضة ، إلا لمنة حية تذكرنى ما كان من جناية سيدنا علىّ فى صباى وتؤرّث البغضاء فى قلبى !

... وتنقلت فى مدارس عدة ، حتى بلغت أن أكون مفتشاً . . وعلى أنى كنت أعلم ما يلقاه المفتشون من المشقة والجهد ، وما يتحملون من النصب حين تضطرهم تكاليف الوظيفة أن يبيتوا ليالى عدة بعيدين عن أسرهم وأولادهم متنقلين بين القرى والدساكر — فإنى كنت جدّ مغتبط بما أُسند إلىّ من عمل ؛ لا زهواً بالمنصب ، ولا رغبة فى الجاه ؛ ولكنها كانت أمنية قديمة فى نفسى ، ليكون لى منها فرصة لتطهير القرى من مثل كتّاب سيدنا الشيخ عبد الجليل ...

أكان ذلك منى عن إخلاص فى العمل وحرص على مصلحة التعليم ، أم كان إيحاء من الواعية الباطنة التى تختزن الذكريات إلى إبانها ، تحاول أن تخدعنى به عن حقيقة الشعور الذى يضطرم فى نفسى بالحقد والبغضاء لسيدنا ؛ فتدفعنى إلى محاولة الثأر والانتقام وهى تسمى ذلك إخلاصاً فى العمل وحرصاً على مصلحة التعليم ... ؟

لست أدرى ، ولكن الذى كنت أوقنه يقيناً لا شبهة فيه ،

هو أنني كنت فرحاً بذلك ، طيب النفس به ؛ فما كان لي من بعدُ إلا أمنية واحدة ، هي أن يكون كُتَّاب سيدنا الشيخ عبد الجليل في دائرة عملي !

ومضت سنوات قبل أن تتحقق لي هذه الأمنية !

... ورسمت خطتي وحددت نهجي ، ودنا اليوم الذي اخترته ميعاداً لزيارة الكتاب الذي دخلته أول يوم ترف على شفتي بسمة الرضا والسعادة، وفارقته يوم فارقته محمولاً على أكتاف الناس غائباً عن الوعي مما نالني من خوف سيدنا ؛ ثم لم أمش بعدها إلا متوكئاً على عكاز! وصحبتني أبالسة الشر يومين كاملين في يقظتي وفي منامي قبل أن يجين موعد هذه الزيارة ؛ فما انتفعت فيهما بنفسي ولا انتفع أحد

وأشرق صبح اليوم الموعود ، فبكرت إلى ما عزمت عليه يصحبني تابع يحمل حقيبتي ، ويصحبني شيطاني !

وكان بيني وبين كتاب سيدنا خطوات معدودة حين صك مسمعي صراخ ! ودنا مني الصوت رويداً رويداً ، وسمعت الناعي ينعَى إلى أهل القرية سيدنا الشيخ عبد الجليل !

ما أعجب القدر !

وظللت في القرية طول اليوم حتى أمشي في جنازة سيدنا ... وما كان لي أن أفعل غير ذلك ... وأعظم الناس هذا الوفاء ، إذ حسبوني لم أقدم إلا لذاك ، بقدر ما صغرت نفسي في عيني !

ومشت القرية كلها في جنازة الشيخ ، لم يتخلف منهم أحد ، وشيعوه محزونين وعادوا يعدّدون مآثره لا يذكره أحد منهم بشرّ !

وعدت إلى مكتبي في المدينة مبكراً ، فلم ألق أحداً من الزملاء أحدثه ويحدثني ؛ وجلست وحدي أنشر الذكريات وأطويها، وفي نفسي ثورة تضطرم ، وفي رأسي غليان . لم يكن بي في تلك اللحظة حقد على أحد ، لا ، ولا كانت لي أمنية أحرص عليها ؛ ولكني إلى ذلك كنت في حيرة من أمري، أسائل نفسي: أكنتُ على حق في حقدي على سيدنا وما أضمر له من البغضاء، وهل كان من السوء بحيث يحق لي أن أحمل له ما كنت أحمل من الكُره والموجدة؟

لكم كان لسيدنا على هذه القرية من الأيادي !... لقد كان قاسياً ، جباراً ، عنيفاً ؛ ولكنه مع ذلك كان رجلاً للناس لا لنفسه ؛ وما نالته في يوم ظِنّة ولا تعلقت به تهمة ، فما يذكره أحد من القرية إلا بمعروف أدّاه أو جميل أسداه ، سواء في ذلك أهل العلم من تلاميذه وأهل التوكُّل والاعتماد !

... فإني لسارق في خواطري وذكرياتي ، إذ دخل إليّ صديق من أصدقائي ينقل إليّ النبأ الفاجع :

« فؤاد ابن صديقنا فلان . . . لقد تعجّل آخرته فأزهق نفسه ؛ لأن أباه أغلظ له في النصح أن يكون رجلاً ، ودعا حلاّقاً فقص له شعره ... وعزّ على الفتى ما فعل أبوه ، فأغلق عليه غرفته فأحرق نفسه... هذه هي التربية الناعمة التي نحاول بها تنشئة الجيل الجديد ليحمل تبعات الغد ...! »

فؤاد ! واحزناه !

وحضرتني في تلك اللحظة صورة فؤاد الطفل الضاحك يلقاني كل يوم بالتحية في غدوّي ورواحي على روضة الأطفال ، ثم صورة فؤاد الصبي العابث يمزح مع أبيه في مجلس أصحابه وينضح وجهه بالماء يوهمه أنه عطر ، ثم صورة فؤاد الفتى الخليع يمشي في الشوارع يتثنى ويتخايل بزينته ، وعيناه إلى كل غادية ورائحة ؛ لا يعنيه من أمر شيء إلا ثيابه وزينته وشعره المرسل المصقول بالدهان والعطور كما تصقله الفتاة الناعمة ؛ ثم صورة فؤاد الصريع مسجى في أكفانه ، ومشيّع جنازته أولُ من يلمنه !

وسكت صديقي وسكت ، ولكن روح سيدنا الشيخ عبد الجليل ظلت تتحدث حديثها في نفسي ... ...

ولأول مرة منذ بضع وثلاثين سنة ، شعرت بأن سيدنا كان هبة الله لهذه القرية التي أخلص لها الحب ووقف عليها جهده حتى قبضه الله إليه ؛ فهتفت في تأثر :

« سيدنا ... ! رحمه الله وغفر له ! »

محمد سعيد العريان



هل يستطيع هتلر أن يغزو أمريكا

[من مجلة « كرانت هستري »]

لعل أهم ما يشغل عقول رجال السياسة في أمريكا اليوم هو هذا السؤال « إذا انتصر أدولف هتلر في الحرب الأوربية الحاضرة فهل يكون انتصاره هـذا مهدداً للولايات المتحدة من الناحية الحربية ؟ » وعلى جواب هذا السؤال يكون رأينا في دخول أمريكا الحرب الحالية أو الوقوف بمنجاة منها . فإذا دخلنا الحرب فمن المشكوك فيه أن يبقى نظامنا الاقتصادي الحر على ما هو عليه اليوم ، وأن تبقى سياستنا الديمقراطية سليمة مع الدكتاتورية التي تفرضها ضرورات الحرب . لذلك أستطيع أن أقول إن احتمال مهاجمة هتلر لنا ، من المسائل التي نفكر فيها بروية واهتمام

فإذا كانت الضرورة تقضي علينا بأن نقف هتلر عند حده من الآن ، حتى يتيسر لنا أن نفوز في الدفاع عن أنفسنا في المستقبل، فمن واجبنا بلا شك أن نعلن عليه الحرب من الغد . ولا تستطيع سلطة حربية أيا كانت أن تقول غير ذلك ، ولكن هل يستطيع هتلر أن يغزو أمريكا ؟ الجواب « لا » بأوسع ما تحوي هـذه الكلمة من المعاني . فكل من له خبرة بالفنون الحربية والبحرية في أمريكا يعد الادعاء بأن في مقدور هتلر أن يهاجم شواطئنا ، باطلاً لا يستند إلى شيء من الحقيقة . فلننظر إلى الأسباب التي تدعو إلى ذلك

يجب أن نضع نصب أعيننا قبل كل شيء أنه لا توجد قوة تستطيع أن تهاجم شواطئنا الشرقية إلا إذا وضعت يدها على المحيط الأطلنطيق . فهل في مقدور هتلر شيء من ذلك ؟ إن قوة هتلر البحرية معروفة وهي لا تزيد على ربع القوى التي لدينا الآن ، فإذا وقعت الحرب قريباً من ديارنا ، وكان على هتلر أن يحارب على مسافة ثلاثة آلاف ميل من دياره ، فإن هذه الميزة وحدها تمد بمثابة واحد إلى اثنين أو تزيد

وقد يقول بعض الناس إن هتلر إذا انتصر فمن المحتمل أن يستولي على الأسطول الإنكليزي فكيف نستطيع أن نقفه عند حده آنذاك ؟ إنني أستطيع أن أتحدث عن تجربة شخصية في هذا الموضوع ، وأستطيع أن أؤكد أن الأسطول البريطاني لا يمكن أن يحاصر أو يقع في أيد غير بريطانية . فإذا قدر لهذا الأسطول الظفر أن ينهزم ، فإن النتيجة لا تعدو أمراً من اثنين : إما أن يلجأ إلى شواطئ بعيدة يتحصن بها كشواطئ كندا ، ويجعلها قاعدة له، أو يغرق بيد بحارته في أجواف المحيط كما تفعل قطع الأسطول الألماني اليوم

إن نابليون لم يستطع أن يغزو أمريكا بعد انتصاراته العظيمة ، وهي بعد أمة ناشئة ، فهل يستطيع هتلر أن يهدد قواتنا الحالية بعد هذه الحرب التي تنذره بالدمار ؟ إنني أعرف كثيراً عن الحرب ، وأعرف كثيراً مما لا يجوز ذكره الآن ، وأستطيع أن أؤكد أن أمريكا إذا احتفظت لنفسها بنظام حربي معقول ، فليس لقوة في الأرض أن تهددها أو تتغلب على جيوشها في يوم من الأيام.

من النبات نستمد كل شيء

[من « ديرلد ديجست »]

كم نوفر من المال وكم ندخر من الجهد ، إذا أتيح لنا يوماً ما أن نخرج إلى الغابات أو نتمشى في الحدائق ، فنقتطف جواربنا من بعض النبات وسجائرنا من آخر، وأطعمتنا من نباتات أخر، ونتناول اللعب لأطفالنا من نبات غير هذا وذاك ! هذا حديث قد تبدو عليه سمة من الهزل ، أو قد يظهر شيء من الاستحالة في إمكان وقوعه، ولكنه في الحقيقة في حكم المستطاع . ففي عالم النباتات وعالم الأشجار ما يعدنا بهذا جميعه ، بل وبأكثر منه إذا أردنا . فإذا تيسر أن يوجد في مكان واحد كل ما نريد من هذه المواد ، كان لدينا منها (مخازن نباتية) عظيمة تمدنا بما نشاء مما يوفر لنا أسباب الراحة

فإذا ظمئت في غابة من الغابات الاستوائية ، ولم تجد قطرة ماء تبل بها ظمأك ، أمكنك أن تروي غلتك بينبوع من ماء النباتات ، فإذا كنت تفضل اللبن على الماء فلديك شجرة البقرة ، وهي شجرة تشبه شجرة المطاط ، وتختلف عنه بعصيرها العذب ذي الطعم الشهي اللذيذ ، ويشبه طعم اللبن إلى حد كبير

فإذا احتجت إلى ملابس جديدة فلديك ما يكفيك مشقة

البحث عنها ، وما عليك إلا أن تمد يدك إلى شجرة (الدنتلا) وهى من أعجب أنواع الأشجار وأنفسها ، فتأخذ منها ما تريد . وتتكون أفنان هذه الشجرة من لفافات صغيرة ، أشبه بلفافات الورق، فإذا نشرت واحدة منها رأيتها كالصحيفة الرائمة البيضاء. أما جذع هـذه الشجرة وساقها والفروع الأكبر سمكا منها فتحتوى على الأقمشة القوية المتينة المحكمة النسج . وتستعمل القطع الرقيقة من هذه المادة غلائل وأغطية للسيدات ؛ أما القطع السميكة فيستعملون منها الملابس الثقيلة والسجاد وما إلى ذلك؛ وهى من القوة والمتانة بحيث تصلح لعمل الحبال والسياط

ونستطيع أن نستمد من الأشجار قبعات جميلة معدة للاستعمال وليس علينا إذا أردنا ذلك إلا أن نتسلق شجرة من شجرات البندق ، لنجد فى أعاليها طلبتنا من القبعات الناعمة الجميلة المحلاة بالأزهار المعدة للرؤوس

وإذا كان من السهل أن نجد فى مخازن النبات ما يصلح قبعات لرؤوسنا ، فأسهل منه أن نجد فيها أحذية لأقدامنا . فى غابات المنطقة الحارة أشجار سامقة مهجورة ، لا يعنى بها أحد وهى صالحة تماماً لعمل أحذية متينة منها . فجذوع هذه الأشجار قوية محكمة النسج من الداخل . فإذا أردنا أن نصنع حذاءنا فمن السهل أن نقطع منها ما يغطى القدم وننظفه وننقيه ونمده للاستعمال

وقد تظن أن هذا كل ما نستطيع أن نناله من مخازن النباتات أو أننا قد أحصينا كل ما يمكن استغلاله منها ، والحقيقة أننا نستطيع أن نستمد منها أشياء كثيرة لا يدركها الحصر

حتى أمواس الحلاقة تنمو على رءوس النباتات ، فهل تعرف أن بذور بعض الحشائش المتسلقة تصلح لإزالة اللحى ، فتجد فى كل منها سلاحين حادين لا يقلان عن أقوى أنواع الأسلحة التى تصنع من الصلب

حياة الطالب فى باريس

[ملخصة عن « همت جورنال » ستوكهلم]

يقيم فى باريس ثلاثون ألف طالب من أبناء فرنسا ، وعشرة آلاف من الطلبة الأجانب ، ويقطن أكثر هؤلاء الطلاب فى الحى اللاتينى حيث يخلعون عليه طابعاً عالياً فريداً فى نوعه . والطالب الفرنسى يختلف عن أمثاله فى سائر الأمم . فهو مكلف بأن يعتمد على نفسه فى حياته الدراسية على الدوام ، وقل أن تمد له الحكومة يد المساعدة فى شأن من الشؤون ، فعليه إذن أن يعول نفسه مما يدخره هو وما تمده به عائلته من حين إلى حين . والطالب الفرنسى ثالث ثلاثة قيل إنهم يستطيعون أن يعيشوا على الزهيد من العيش الذى يجىء فى المرتبة بعد العدم أو اللاشىء وهم الفقير الهندى والعامل الصينى والطالب الفرنسى

فإذا ما دفع الطالب نفقات المدرسة ، وثمن الكتب المطلوبة منه للدراسة لم يتبق معه لمطالب المعيشة إلا النذر القليل . فيلجأ — وكذلك الغالبية العظمى من رفقائه — إلى تأجير غرفة فى الحى اللاتينى بمبلغ قد لا يتجاوز جنيهاً واحداً أو ثلاثين شلناً فى الشهر . ويقوم بنفسه على تحضير وجبة الصباح وعمل القهوة الفرنسية المعتادة أو القهوة الممزوجة بقليل من اللبن

ويقضى الوقت من الساعة التاسعة والنصف إلى الساعة الثانية عشرة فى سماع المحاضرات ، وعليه أن يتناول غداءه بعد ذلك من نقوده الخاصة . وينفق الطالب فى غدائه شلناً واحداً وثلاثة بنسات فى المطاعم المتوسطة . ولـكن قليلاً من الطلبة الذين يستطيعون أن ينفقوا هذا المبلغ ، فيلجأ بعضهم إلى تناول بعض الخضروات أو اللحم البقرى فى مطعم صغير بما لا يتجاوز ستة بنسات ؛ ثم ينفق بنسين فى الفاكهة ونصف بنس فى قدح من القهوة بأحد مشارب الحى اللاتينى ، وعلى ذلك فالطالب يستطيع أن يتناول غداءه ويصرف بعض الوقت فى الراحة والتنزه بمبلغ لا يتجاوز ثمانية بنسات ونصف

ويعود الطلاب من الساعة الثانيـة إلى الساعة السادسة بعد الظهر إلى سماع المحاضرات ، فإذا انتهت هذه الفترة وانتهى معها النهار جاء وقت العشاء . ويتولى بعض الطلاب طهي الطعام بأيديهم ويذهب بعضهم إلى تناول عشائهم فى مطعم معتـدل الأسعار . ثم يأتى وقت السهر لاستذكار الدروس . فإذا تجولت فى شوارع الحى اللاتينى وأزقته الضيقة بعد منتصف الليل أبصرت الأضواء الشاحبة تنبعث من خلال النوافذ ، وقد تظل كذلك إلى الثلث الأخير من الليل

وفى مساء السبت يجد الطالب وقتاً للتسلية والمرح ، فيجتمع بإخوانه فى بعض المقاهى والمطاعم — إذ لا توجد نواد رسمية للطالب الفرنسى — فيستطيع أن يتناول معهم كوباً من النبيذ ويقضى بعض الوقت فى التحدث . فإذا أراد تسلية أكثر من ذلك ذهب إلى بعض صالات الرقص حيث يقضى ليـلة ساهرة بما لا يتجاوز شلنين .



شمال أفريقيا والعروبة

صديق الأستاذ الزيات

قرأت الكلمة المنشورة في العدد ٣٣٦ من الرسالة الغراء بتوقيع « أبو الوفاء » وتحت عنوان « شمال أفريقيا والأستاذ الحصري » ، ووقفت في حيرة عميقة ، عند ماعلمت بأن الكاتب قد ظن أنني لا أعتبر تونس ومراكش من البلاد العربية . . . في حين أنه لم يخامرني أدنى شك في عروبة تلك البلاد في وقت من الأوقات ...

لقد نقل الكاتب من مقالي « بين الوحدة العربية والوحدة الإسلامية » بعض العبارات التي قد تفسح مجالاً لمثل هذا الظن غير أنه لو التفت إلى الأسطر التي تلت في مقالي تلك العبارات ، لوجد فيها ما ينفي ذلك الظن نفياً باتاً :

فقد قلت — بعد عشرة أسطر من العبارات التي نقلها الكاتب — ما يلي حرفياً :

« لا يمكن لأي عاقل كان أن يتصور حصول اتحاد بين القاهرة وبغداد وأنقرة وطهران وكابل ... الخ دون أن يحصل اتحاد بين القاهرة وبغداد ودمشق ومكة وتونس ... »

فأطمئن الكاتب بأنني لم أقل طول حياتي ولا لحظة واحدة : إن « شمال أفريقية التي تبتدئ من تونس وتنتهي بمراكش ليست بعربية »

بل على عكس ذلك ، قلت — في المحاضرة التي ألقيتها في بغداد ، على جمع غفير من الشبان — بعد عودتي من المغرب الأقصى : « إن مراكش أجمل البلاد العربية على الإطلاق » كما حاولت أن أصف مدينة مراكش وضواحيها بقولي : « إنها تجمع بين جبل لبنان وغوطة دمشق ونخيل بغداد ، وتخلط الأرز والنخل والزيتون بأجمل الصور وأبدع الأساليب »

هذا وأود أن أطلع الكاتب على الأمور التالية ، لإظهار مبلغ اهتمامنا ببلاد المغرب ، كجزء مهم من العالم العربي

ا — لقد أسسنا في القصر العباسي الكائن في قلعة بغداد معرضاً دائماً لصور الريازة (العمارة) العربية . وخصصنا غرفتين من غرفه لبلاد المغرب ، يرى الزائر فيهما صوراً شمسية مكبرة ، لأكثر من أربعين بناية عربية ، بينها القرويين والكتبية

ب — لقد أسسنا في الباب الأوسط من أبواب سور بغداد الباقي من العهد العباسي متحفاً للأسلحة ، عرضنا فيه أنواعاً كثيرة من الأسلحة العربية ، والقسم الأعظم من هذه الأسلحة يعود إلى مراكش وتونس ، وكنا اقتنيناها باسم دائرة الآثار القديمة خلال رحلتنا الأخيرة

ج — لقد خصصنا غرفة لـ « فنون المغرب الأقصى » ، في « متحف الآثار العربية » عرضنا فيها كمية من الأواني الخزفية والمصنوعات الجلدية كنا جمعناها خلال رحلتنا الأخيرة ، لزيادة معرفة الناس بتلك البلاد العربية

ولهذه الأسباب كلها ، قد تألمت من قراءة الكلمة التي تتهمني بإنكار عروبة أفريقية الشمالية . غير أن ألمي هذا ، قد انقلب إلى سرور عميق، عند ما قرأت العبارات التي ختم بها الكاتب كلمته وهي: « أن النزعة القومية المتأصلة في دمائنا تضطرنا أحياناً إلى إصلاح غلط إخواننا العرب فينا » ...

إنني أقدر هذه النزعة القومية ، وأبجلها ، حتى عند ما تجور عليّ ، وتتهمني بما أنا براء منه ...

أبو خلدون

* * *

ملحوظة : إنني مستعد لإرسال صور القاعات التي ذكرتها آنفا ، حالما أطلع على عنوان الكاتب ، لزيادة اطمئنانه على اهتمام مشرق العالم العربي بمغربه

الجواب حاضر !

قرأت الكلمة الكريمة التي نشرتها « الرسالة » لحضرة الأستاذ (م . ف . ع) في نقد كتاب « ليلى المريضة في العراق » وقد شاء له فضله أن يقول : إن بعضهم يمجد ذلك الكتاب حتى ليرتفع به عالياً عالياً إلى السماء . وكنت أحب أن يحدث القراء بوضوح عما لم يعرفوا من كتابي ، ولو أنه فعل لعرفوا عن طريقه أن هناك فرقاً بين ما نشر في « الرسالة » وما لم ينشر . فالذي نشر في « الرسالة » هو الجزء الأول ، وهو جزء مصقول : لأن الزيات — سامحه الله — كان يحذف منه أشياء . وقد ضاعت

الأصول الخطية ولم يبق أمامى غير ما وعت صفحات « الرسالة » فاكتفيت به، وقليل النار غير قليل !

أما الجزء الثانى والثالث ، فقد أنقذتهما من يد الزيات ، فهما صورة صحيحة من عقلى وجنونى ، وهما أعز على من الجزء الأول المهذَّب المصقول بالرغم منى . فمن أراد أن يعرف الفرق بين الأدب المقيد والأدب المرسل ، فلينظر كيف كانت إساءتى إلى نفسى أجل من إحسان الزيات حين حذف من الجزء الأول أشياء

ثم ماذا ؟ ثم يريد حضرة الناقد أن يمسكنى بشىء ، فما هو ذلك الشىء ؟

تفضل فنقل فقرات جميلة من الجزء الثالث تكررت فيها كلة « من » وسماها « منمنمة » . فما رأيه فى كلة « يالك » التى كررها الدكتور عزام فى كلة نقلها الناقد نفسه ؟ هل يسميها « لـكالـكة » ؟

وما رأيه فى معلقة زهير ، وقد كرر كلة « من » أربع عشرة مرة فى عشرة أبيات ؟

وكيف يحرم على ما قبلته الأجيال الطوال من زهير ؟

وهناك فقرات للكاتب الشاعر لامرتين ورد فيها مثل هذا التكرار ، فهل يحب أن أنقلها إليه ليعرف أن التكرار قد يكون جميلاً جداً إذا اقتضاه المقام ؟ وهل يسره أن أفحمه بذكر شواهد من السور القرآنية كان فيها التكرار من أقوى عناصر البيان ؟

وما تلك الـكركرة الطهوية التى يشير إليها الناقد المفضال ؟ هل يظن أن فى أسلوبى مشابه من أسلوب الدكتور طه حسين ؟ أنا أكرم على نفسى وعلى حضرة الناقد من أن يكون أسلوبى صورة لأسلوب قديم أو حديث ، وإن كان يسرنى أن أحاكى الكاتب :

زكى مبارك

شعراء الشرق والطبيعة الغربية

حضرة الأستاذ الفاضل الجليل محرر الرسالة

قرأت مقالة طويلة فى جريدة يومية سياسية تعليقاً على التصحيح الذى نشرتُه فى الرسالة بعنوان (شعراء الشرق والطبيعة الغربية) . وكأن حضرة الكاتب الفاضل لم يحسن الدفاع عن أخى على محمود طه المهندس فوقع فى الإساءة إلىّ . وأنا غير مؤاخذه على ما ظهر من مكنون نيته لأمرين : أما أولهما فلأنه « عابر سبيل » كما وقّع مقالته . و« عابر السبيل » إن لم يكن موضع إكرام فهو موضع إشفاق . وأما ثانيهما فلأنى لا أريد أن أنقل ميدان الأدب السامى من التصحيح إلى التجريح ...

وأما لم يؤلمنى ثناء « الاجبشان مايل » على شاعرية صديق على محمود طه كما يتهمنى حضرة « عابر سبيل » ولم يؤلمنى إيثارها « على محمود طه » بالذكر ، فذلك موضع الفرحة لا موضع الألم . وإنما آلمنى أن يضع كاتب « الاجبشان مايل » حجاباً على عينه وعلى أعين القراء ليقول لهم : إن شعراء الشرق الذين طافوا بالغرب أو عاشوا فيه لم يهتموا بوصف جماله وهم أكثر الناس استجابة لداعى الجمال إذا أهاب

وأنا ما زدت فى كلمتى فى الرسالة الماضية على أن صححتُ وهم مكاتب « الاجبشان مايل » . وإذا كنت قد ذكرت نفسى فى عداد من ذكرت من الشعراء الذين وصفوا الغرب فهو أمر ما كنت لأذكره لولا أن أرادنى عليه صديقان من أعلام الصحافة والأدب والعلم فى مصر . وما كان من طبعى الحديث عن نفسى فى مجلس أو مكتب . فتلك خطتى يعرفها عنى أصدقائى ومعارفي

ويتهم حضرة « عابر سبيل » شعراء مصر بأنهم قد قصروا عن إخوانهم شعراء الشام فى وصف بلادهم ومهد أحلامهم ومراتع صباهم . وهو اتهام لا أجد له نصيباً من الحق ولا مؤيداً من الواقع . وإذا كان إخواننا شعراء الشام قد وصفوا لبنان الخالد والأرز الظليل قبل أن يصفوا الغرب ، فإن إخوانى شعراء مصر لم يقصروا فى حق نيلهم وتاريخهم وبقايا مجدهم قبل أن يصفوا الغرب . ونهار هذه القضية لا يحتاج إلى دليل ؛ فشوقى وصف النيل بقافيته التى مطلعها :

من أى عهد فى القرى تتدفق وبأى كف فى المدائن تغدق

قبل أن يصف « التيرول » فى النمسا وإيطاليا فى قصيدته التى يقول فيها :

تلك الطبيعة قف بنا يا سارى حتى أريك بديع صنع البارى

وصديق الدكتور بشر فارس وصف الطبيعة المصرية فى شعر لم ينشر، قبلَ أن يصف الفصول الأربعة فى باريس وبرلين وفنلندا

وإذا كان ذكر الواقع يؤلم حضرة الأستاذ « عابر سبيل » فإنى أستأذنه فى أن أذكر له لآخر مرة أن كاتب هذه الكلمة له قصائد فى « النيل » تفضلت الأهرام الغراء فأفسحت لها مكاناً طيباً

وما نسى شاعر مصرى ممن أقاموا فى أوربا الحنين الدائم إلى وطنه الغالى ، ولم تشغله مرابع أوربا ومراتعها عن ذكر النيل وترانيم السنين فيه ... فقد كان شوقى رحمه الله فى أسبانيا وقلبه فى مصر

ولعل بشر فارس كان أقرب الناس روحاً إلى مصر وهو أبعد الناس عنها فى شمالى أوربا

وهناك شاعر ثالث — لا نذكره هذه المرة لئلا يتألم عابر سبيل ! — نشر فى الأهرام سنة ١٩٣٤ أبياتاً فى الربيع يقول فيها:

يا طيور الربيع فى أرض مصر ... إن قلبى إلى الحمى يتحرق

طال شوقى له وطال حنينى ... كل طير لغصنه يتشوق

وقد أرسل هذه الأبيات إلى مصر الغالية من مقاطعة « ديفون » الجميلة بانجلترا

وبعد : فلقد أكسبتنا « الأجيشان مايل » بحديثها عن أخى المبدع على محمود طه موضوعاً طيباً للكلام كما ذكر ذلك لى ولعلى طه ، أحد أدبائنا العلماء

وأرجو أن أكتسب معرفة (« عابر سبيل » القاهرة) حتى أؤدى له واجب الضيافة فهو له فى عنق دين

والشكر للرسالة الغراء أولاً وأخيراً

محمد عبد الغنى حسن

معنى بيتين

سيدى صاحب الرسالة

فى الصفحة السابعة من الجزء الأول من كتاب الأمالى لأبي على القالى عثرت على البيتين الآتيين لشاعر لم يُذكر اسمه ، هما :

وما هاج هذا الشوقَ إلا حمامةٌ ... تغنّت على خضراء سُمرٌ قيودها

صدوحُ الضحى معروفة اللحن لم تزل ... تقود الهوى من مُسعِدٍ ويقودها

وقد التبس علىّ معنى (سمر قيودها) فى عجز البيت الأول . فأرجو شرحه على صفحات الرسالة الغراء .

(الخرطوم بحري) ا . م . س

(الرسالة) : البيتان من شعر لعلىّ بن عميرة الجرمى ، وبعدها:

جزوعٌ تجودُ العينِ دائمةُ البُكى ... وكيف يُبكى ذى مُقلةٍ وجُودُها

مطوّقةٌ لم يضرب القَيْنُ فِضَّةً ... عليها ، ولم يَعطلْ من الطَوْقِ جيدُها

هكذا ذكر الأبيات أبو عبيد البكرى فى (سمط اللآلى شرح أمالى القالى) . قال أبو عبيد : « ولم تختلف الرواية عن أبى على فى خفض (سمرٍ قيودها) فهو على ظاهره نعت (لخضراء) التى يعنى بها الشجرة . وقيودها: أصولها وهم يصفون ما كان متمكن الري من الشجر بالحُوّة والسواد » .

وأما رواية « سمرٌ قيودها » بالرفع فهو من صفة الحمامة، ويعنى بالقيود قيود الحمامة وهى ما أحاط بساقيها من صغار الريش .

بين ناقد وموسيقار

نشرت « الرسالة » فى عددها السابق (٣٣٨) مقالاً للأستاذ عزيز أحمد فهمى تحدث فيه برأى موزع فى اتجاهات عدة أقحمها فى دائرة الفن . والعابر بحديثه لا يشك فى أن أهداف الكاتب اتجهت فى غالبها اتجاهاً شخصياً استعان له بعدة أسماء لشخصيات مشتهرة الشأن فى المجتمع المصرى ما بين شعراء وموسيقيين وكتاب . وإنه ليحزنني أن أتكلم على غير عادتى فأصارح القراء بما صدمنى من امتعاض شديد حين طالعت حديث الكاتب ووقفت على وجهته الأصيلة التى قد رمي إليها نفسه لا قلمه ، وهى محاولة الغض من شخصية الوسيقار النابه النابغ الأستاذ محمد عبد الوهاب على حساب الحديث عن فنه ، وإنى مع تقديرى وإعجابى لكثير من الأبحاث الفنية التى يعرض لها الأستاذ عزيز فهمى على صفحات الرسالة ، إلا أننى أرخص هذه النزعة المتفشية بين الأدباء والفنانين المصريين على الإطلاق وهى أخذ الطريق من بعضهم على بعض ، والاعتصاب لكل ذى خطوة جديدة فى فنه بالغض والتشهير

يا قومنا ! إن الفنون لا تمرع فى مثل هذه الأجواء الملوثة بالشحناء والسخائم ، فدعوا حملة المشاعل يسيرون فى طريقهم إلى إنقاذ هذا الوطن المسكين من الجمود الذى ضرب على الفنون الرفيعة فيه . ومن هاجت فى قلبه عبقرية النقد فليعلم أن للفن عرضاً

بصان ويشان . ومن كان فى روحه وإحساسه بريق من إشفاق على سمعة الفن فى بلاده ، فعليه بالنقد العف البرىء والتوجيه السديد . . . وإلا فما كان أغنانى عن هـذه النبأة التى أجس بها فى سبيل حق لا أعرف ولا يعرف منى إنسان أين مكانه من الأرض !

(م)

انشاء مكتبة الى جانب ضريح أبى العلاء

زار مسيو بونور مستشار المعارف فى المفوضية الفرنسية العليا ببيروت ، معرة النعمان فى شمالى سوريا ، للاشراف على إنشاء قبر للشاعر العربى الفيلسوف أبى العلاء المعرى

وقد درس مسيو بونور ، وهو من كبار الأدباء المستشرقين مع السلطات المحلية مشروع إنشاء مكتبة عربية وأجنبية إلى جانب القبر ، تجمع فيها مؤلفات الشاعر والكتب التى تحدثت عنه وعن أدبه وشعره فى جميع اللغات والأمصار . على أن يجرى الاحتفال بافتتاح هذه المكتبة بعد تشييد الضريح والبناء المجاور الذى سيضم مدرسة للذكور والإناث بحضور مندوبى جميع المعاهد الشرقية والأقطار العربية وممثلى جامعاتها وكبار أدبائها وشعرائها

وسيكون هذا المهرجان على مثال المهرجان الألفى لشاعر إيران الفردوسى الذى أقيم منذ سنوات فى طهران

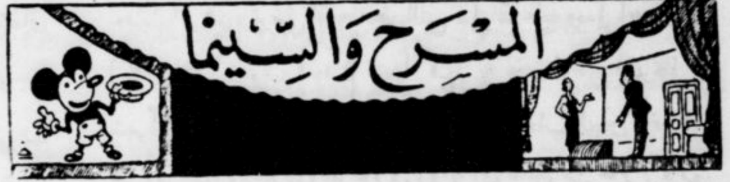
وتتقبل بلدية المعرة منذ الآن مع الشكر كل ما يريد المؤلفون والعلماء والمستشرقون وأصحاب المكاتب الخاصة فى الأقطار العربية وغيرها إهداءه إلى هذه المكتبة من الكتب المطبوعة والمخطوطة والمجلات التى تحوى أبحاثاً خاصة بأبى العلاء على أن تسجل كل كتاب على اسم مهديه فى سجلات للبلدية والمكتبة . والبلدية مستعدة لدفع أجور البريد لهذه الكتب المهداة إذا لم يلصق عليها مهدوها الطوابع اللازمة . وهى على ثقة من أن هذا المشروع سيلاقى ما يستحقه من المساعدة والتشجيع فى جميع الأقطار العربية وغيرها من البلاد الكثيرة التى تعرف أبا العلاء المعرى وتحرص على إحياء ذكراه

حديث أبى هريرة فى ذم الشعر

قرأت ما جاء فى عدد ٣٣٨ من مجلة الرسالة الغراء عن حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً فَيَرِيَهُ خير له من أن يمتلئ شعراً) وهذا الحديث رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن وغيرهم عن أبى هريرة وغيره ، وقد جاء فى رواية ابن عدى عن جابر (لأن يمتلئ جوف الرجل قيحاً أو دماً خير له من أن يمتلئ شعراً مما هجيت به) والروايات يفسر بعضها بعضاً كما هو مشهور فى علم الحديث ، ولا يصح أن يفهم من رواية أبى هريرة ذم الشعر على إطلاقه ، وتهجين حسنه وقبيحه ، وهذا مع أنى لم أسقه هذا المساق ، لأن أصل كلامى فى تفضيل بعض الشعر على بعض ، لا فى ذم الشعر على الإطلاق . وقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الشعر أيضاً (إنما الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح) رواه الدارقطنى فى الإفراد عن عائشة ، والبخارى فى الأدب ، والطبرانى فى الأوسط ، وابن الجوزى فى الواهيات ، عن عبد الله ابن عمر ، والشافعى والبيهقى عن عروة مرسلاً

وجاء فيه أيضاً : (إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحراً) وهو حديث مشهور رواه أصحاب الصحاح وغيرهم

عبد المتعال الصعيدى



فى مسرح الأوبرا

تستعد الفرقة القومية لإخراج مسرحيتين جديدتين فى الفترة الباقية من هذا الموسم ، أولاهما رواية تركية ترجمها الأستاذ مطران اسمها فى الأصل « كسمت » ، وصار الآن « القضاء والقدر » ، وهى عربية الموضوع . ويشرف على إخراجها « سراج منير » . أما الرواية الأخرى ، فهى مصرية موضوعة من تأليف الأستاذ صبرى فهمى عضو بعثة معهد التمثيل فى فرنسا . وسيخرج هذه الرواية عمر جيمى ، ويضع أزجالها بيرم التونسي ، وموسيقاها زكريا أحمد ؛ إذ أنها تميل إلى « الأوبريت » كثيراً . أما بقية برنامج الفرقة فيما بقى من وقت الموسم ، فلم يستطع أحد أن يدلى إلينا بخبر قاطع عنه . ولكننا نستطيع القول بأن الفرقة لا تنوى إخراج روايات جديدة فى هذه الفترة الباقية . وسيعاد تمثيل بعض المسرحيات التاريخية القديمة الموثوق من نجاحها .

الموسم الأجنبي

كنا نظن أن منع الإعانة الحكومية عن الفرق الأجنبية التى تزور مصر فى موسم السياحة فى الشتاء، وقيام الحرب فى أوربا بين دول كثيرة ، أن هذين السببين كافيان لامتناع الفرق التمثيلية عن زيارة مصر فى هذا العام . غير أننا علمنا أن الفرقة الإنجليزية التى زارتنا فى الشتاء الماضى «أولدفيك» سوف تحضر بعد أسابيع فضلاً عن فرقة إيطالية لا يحضرنا اسمها . وعلى ذلك فلن يحرم رواد المسرح الفرنجى هذا العام متعة عرض بعض المسرحيات الأوربية برغم كل الموانع

رقابة السينما

رقيب السينما فى مصر موضع شكايات متصلة ، وأحاديث تهمس بخليط من الضيق والاستنكار ؛ وسبب عناء دائم للمشتغلين بإنتاج الأفلام المصرية ومستوردى الأشرطة من الخارج على السواء

ولعل الجمهور لم ينس مهزلة فلم « مارى أنطوانيت » الذى لم يصرح الرقيب بعرضه فى القاهرة ثم عاد فأجاز عرضه، ثم منع عرضه مرة ثانية ، ثم صرح بعرضه فى الاسكندرية ، مثلما حدث فى عرض شريط «هنرى الثامن» الذى منع عرضه مدة من الزمن بحجة ان فيه تعريضاً بملك انجليزى سابق ، ولم يلبث الرقيب أن صرح بعرضه بعد أن تلقى تصريحاً من السفير البريطانى بأن هذا الشريط قد صنع فى بريطانيا وعرض فيها وفى سواها من بلاد العالم ! وقد عانى مخرج فلم « العودة إلى الريف » كثيراً من عنت الرقيب ، لأن الرقيب لم يهضم فكرة أجزاء من الحوار تقوم على الدعاية للريف من طريق مناقشة يحمل أحد طرفيها على الريف فيدافع الطرف الآخر عنه دفاعاً مفحماً مجيداً !

ولا يمكن أن ننسى الصورة الشائنة التى رسمها شريط « أربع ريشات » للمصريين وموقفهم من فتح السودان ، ومع ذلك مر الشريط من الرقابة ولم يحظر عرضه !

***

وفى مصر عدد وافر من الشبان ذوى الثقافة السينمائية الممتازة لا ندرى لماذا لا تستخدمهم الحكومة فى رقابة الأفلام ؟ بينما تسند انجلترا مهمة الرقابة السينمائية إلى رجل ممتاز الكفاية والمركز كاللورد « تيرل » ، وتسند الولايات المتحدة نفس المهمة إلى رجل نابه كالمستر « جوزيف براين » ؛ كما استمانت فرنسا بأديبها الأكبر « جان جيرودو » فعينته رقيباً عاماً بعد إعلان هذه الحرب ، ولكننا بعد فى مصر

لجنة الأغانى

فى محطة الإذاعة لجنة يقال لها لجنة الأغانى ، أعضاؤها جميعاً من موظفى القسم العربى فى المحطة ، وكلهم مرهق بالعمل فى الواقع ، وقد نجم عن ذلك أن تعطلت أعمال اللجنة بحيث ظلت لديها بعض الأغانى بضعة شهور بغير أن تنظر فيها أو تقضى برفض أو قبول . مما يجعلنا نطالب الأستاذ لطفى بك بحل هذه اللجنة وإحالة أعمالها على بعض الثقات من موظفى المحطة أو غيرهم

(أبو الفتح الاسكندرى)

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }



8me Année No. 340

Lundi - 8 - 1 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٤٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ ذو القعدة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٨ يناير سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

هل خصب الأرض

يستلزم جدب القرائح؟

من الأقوال المأثورة أن الحاجة تلد الاختراع وتفتق الحيلة . وهذه الحاجة التى ضمّنها الله عمارة الأرض ورقى العالم ، هى التى جعلت بيئة الفقر مهبط الإلهام ومنبت العبقرية . فأينما تجد الحاجة تجد العمل والذكاء والقوة ، وحيثما تر الغنى تر الكسل والغباء والرخاوة . ذلك لأن الفقير يضطره العيش إلى أن يفكر فيجيد التفكير ، وإلى أن يعمل فيتقن العمل ، وإلى أن يهاجر فيزداد بممارسة الشدائد ومنافسة الناس جلاء فى الذهن وبسطة فى العلم وسعة فى الحيلة . ومواهب العقل كأعضاء الجسد تقوى وتنمو بالكد ، وتضعف وتضمر بالعُطلة . ولا يصعب عليك أن ترى مصداق ذلك فى الفروق الذهنية والعملية الواضحة بين أبناء الفقراء وأبناء الأمراء ، وبين سكان مصر العليا وسكان مصر السفلى ، وبين بلد كدمياط وبلد كالفيوم ، وبين مدينة كأثينا ومدينة كرومة فى الغرب القديم ، أو بين قطر كفينيقية وقطر كالعراق فى الشرق الغابر . ففى كل من ذكرت لك ترى أن جدب الأرض وضحولة الموارد كانا علة فى إخصاب العقول وإنماء المدارك وكثرة الإنشاء ووفرة الإنتاج ، وأن خِصب البلد وسهولة الأرزاق كانا سبباً فيما أصاب بعض

الناس وبعض الأجناس من البلادة والقعود والترف والنفلة

* * *

تستطيع أن تقول إن مصر فى جلتها بلد غنى يؤتى أكله كل حين بيسير الجهد وقليل النفقة . فأهله آمنون من موت الجوع، لأن الفقير يملك أن يمسك روحه بنصف قرش، وما أيسر ما يجد قرشين فى اليوم بالعمل الحقير أو السؤال الملحف . ومتى حصل المرء من بلده على الكفاف والراحة والأمن، نشأت فى نفسه فضيلة القناعة الزائفة. والقناعة فى الفقير كالثروة لدى الغنى، كلتاهما تقتل طموح النفس ، وتسكّن قلق الروح ، وتخمد نشاط القريحة ، وتحمل الرجل على الرضى بالدون والتسليم بالواقع

هذا الفقير القانع الذى لا يحس بالحاجة فلا يسعى للغنى، وهذا الغنى الوادع الذى لا يشعر بالنقص فلا يطمح إلى الكمال، هما الأثر السيء لتدليل النيل لبنيه وحدبه البالغ على أهله. فالفلاح لا يزال يزرع الأرض بالآلة القديمة على الطريقة القديمة ، لأنه لا يجد فى نفسه الحاجة التى تحفزه إلى اختراع آلة وابتكار طريقة ما دامت أرضه تغل عليه ما يكفيه بهذه الأداة الرخيصة السهلة

والصانع لا يزال يصنع بيده كل اليوم ما تصنعه الآلة فى بعض الساعة ، لأنه يجد فى جيبه آخر النهار ما يملأ به بطنه بخسيس الطعام وغليظه ؛ فعلام يشغل ذرعه بما يقلل النفقة ويكثر الإنتاج ويحسن النوع ؟

والطالب يقصر جهده على استظهار المختصرات لأن الامتحان لا يخرج عن هذه المذكرات ، والوظيفة لا تطلب إلا بعضاً من الحساب وشيئاً من المصطلحات ؛ وما غناء العلم بعد أن ينال المتعلم الشهادة والوظيفة ؟

والمعلم يحصر نشاطه فى كتب الدراسة وما يتصل بها من مقترح التمارين وموضوع الأسئلة وحلول المسائل ، ثم لا يفكر بعد ذلك فى درس مشكلة من مشكلات التربية، ولا حل معضلة من معضلات المجتمع، لأنه ضمن لنفسه المرتب آخر الشهر والعلاوة آخر المدة

والكيميائى أو الفيزيائى يبلغ الدرجة الجامعية العليا فى الكيمياء أو الفيزياء ، ثم يعلم أن أقرانه فى البلاد العاملة الجادة لا ينفكون يسخّرون للمدنية والانسانية قوى المادة وأسرار الطبيعة فى شكول مختلفة ومظاهر متعددة : فى البيت والمدينة ، وفى السماء والأرض، وفى السلام والحرب ، ولا يفكر عالمنا الكبير أن يزيد فى العلم بكشف مجهول ، أو يرفه عن العالم باختراع آلة ، لأنه لا يبتغى شيئاً وراء اللقب الفخم والمرتب الضخم والحياة الوديعة

والطبيب أو الصيدلى يجعل كل همه فى رواج عيادته أو صيدليته، لأن المال هو غايته من الطبابة أو الصيدلة ، فإذا بلغها على حساب الطب المحفوظ أو الدواء المجهز فلماذا يكدر صفو عيشه بالاحتباس فى معمل ينقب عن جرثومة مرض، أو يجرب مفعول مصْل ؟

والسياسى أو المصلح يتوخى بعمله مجد الشهرة وجاه الحكم ، فإذا أدركهما بتملق الجمهور أو بعصبية الحزب فلا عليه بعد ذلك أن يظل حزبه من غير منهاج ولا غاية ، وأن يزاول عمله الخطير من غير خلق ولا دراية . وإذا كان الرمق فى هذا البلد يسد بنصف القرش ، والوظيفة تنال ببعض العلم ، والمنصب والمرتب يمطلان بمضى المدة ، والشهرة والجاه يدركان بإرضاء العامة ، والزعامة والحكم يُبلغَان باحتراف السياسة ، فأى شيء يدعو إلى زيادة العلم وإطالة الفكر وإدامة العمل وإضاعة الجهد والعمر فى تحرير مسألة ، أو تأليف كتاب، أو متابعة كشف ، أو محاولة اختراع ، أو وضع خطة للاصلاح ، أو تدبير سياسة للحكم ؟

* * *

حاولوا يا قوم أن تهذبوا القناعة فى ذهن الفقير برفع مستوى عيشه وإصلاح فساد ذوقه؛ وحاولوا أن تخلقوا الحاجة فى نفس الغنى بتشويقه إلى الكمال المطلق وترغيبه فى المثل الأعلى، فإنكم إن نجحتم فى زعزعة الرضا فى القانع المترّ وفى الواجد المنترّ، ساورهما القلق الروحى الحافز الذى لا يقنع بما دون الغاية، ولا يرضى للغير بأقل مما يرضى للذات

حاولوا أن تحملوا العلماء والأدباء والأطباء بالجوائز والألقاب على الإنتاج الأصيل والتأليف المبتكر والبحث المنتج حتى ينشأ فيهم على طول الزمن والمران حب البحث لفائدة العلم ، وحب العمل لمنفعة الناس

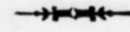
ثم حاولوا وحاولوا أن تقيسوا كفايات العاملين وأقدار النابغين بغير مقاييس المحاباة والزلفى والقرابة ، فإن كثيراً من الأكفاء إنما يزهدهم فى العمل والإصلاح اليأس من الإنصاف والقنوط من المكافأة !

احمد حسن الزيات

ماذا ربحت وماذا خسرت

من أسواق السنة الماضية ؟

للدكتور زكي مبارك



كتب إلىّ أحد تجار الورق يقول : إنه يرجو أن أرسل إليه ما بقى له عندى ليسوى حساب تجارته فى سنة ١٩٣٩

وأنا أيضاً أريد أن أسوى حسابى مع قومى وزمانى ، حساب سنة ١٩٣٩ فقط ، أما حساب الأعوام السوالف فهو عبء ثقيل والرجوعُ إليه ضربٌ من الخذلان . وأين أنا مما فات ومات ؟ يرحم الله جهادى فى سبيل الأدب والبيان !

ربحت فى العام الماضى أشياء ، وخسرت أشياء !

وأعظم ربح ظفرت به فى السنة الماضية هو الصداقة العظيمة التى تفضل بها قراء مؤلفاتى ومقالاتى ، فأنا اليوم أشعر شعوراً قويًّا بأن لى أهلاً وعشيرة فى سائر الأقطار العربية ، وهذا الشعور يزحزح ما يعترض طريقى من عقبات وأشواك ، وبفضل ذلك الشعور أكاد أنسى الأعاصير التى تثور فى وجهى من حين إلى حين

والكاتب كالموسيقار يسره أن يعرف أنه موصول الأواصر بالعواطف والقلوب ، فمن حدّثكم أنه لا يهتم بسخط القارئ أو رضاه ، فاعرفوا أنه يقترف إثم الغرور البغيض ، أو الكذب السخيف .

وتعظُم قيمة هذا الربح فى قلبى كلما تذكرت أنه بشيرٌ بقيام دولة قوية للأدب العربى ، وهو أدب كان يسيطر فى ماضيه على كثير من الأمم والشعوب ، فإن استطعنا أن ننتفع بعواطف القراء ونجذبهم إلى الأدب من جديد كان ذلك مجداً ندفع به عُدوان أهل البغى على الآداب والفنون

وما الذى يمنع من أن يكون للقلم دولة فى هذه البلاد ؟

أتصدّقون ما يعليه الضجر على أقلامنا من وقت إلى وقت حين نتهم مصر بالجحود والعقوق ؟

إن مصر فى تاريخها القديم والحديث قد استمعت كل قول ، واستجابت لكل نداء ، فكيف يتوهم الكاتبون والباحثون أنهم لن يلقَوا فيها غير الضياع ؟

ثم أقول إن العام الماضى كان من الأعوام التى اختبرت فيها أخلاق . ومعاذ الأدب أن أدّعى التفرد بكرم الأخلاق ، وإنما هى حيلة أتوسل بها لخلق فرصة أنوح فيها على أخى وصديقى محمد الهراوى . وهل ذرف الزيات من الدموع على ابنه رجاء ، أو ذرف هيكل من الدموع على ابنه ممدوح ، بعض ما سكبت من دم القلب على صديقى محمد الهراوى ؟

كان من عادتى أن أرتاد ملاهى القاهرة فى المواسم والأعياد لأفهم شيئاً من أسرار المدينة التى تصنع اليوم بأذواق الشرق ما تصنع . فمن يصدّق أن شارع فؤاد صار فى عينى صورة من صور الإقفار والإمحال ، لأنه خلا من وجه الصديق الغالى ، وجه محمد الهراوى ، وجه الأخ الذى عرفت بفقده كيف يكون الجزع على فقد الرفاق

وهل تسمح الدنيا مرة ثانية بصديق مثل ذلك الصديق ؟

وأين الصديق الذى تصحبه عشرين سنة فلا ترى منه غير كرم العهد وصدق الوفاء ؟

أين الصديق الذى يرى من السعادة أن يكون رأيه من رأيك وهواه من هواك ؟

إن دموعى على محمد الهراوى دلتنى على جوانب من أخلاق ، وشرفتنى أمام نفسى ، وفرضت علىّ أن أومن بأنى رجل له قلب.
فلا كان الصبر عنك يا أكرم ذاهب وأعزّ فقيد

وكان من مغانم السنة الماضية أن تصير اللغة العربية لغة الدرس فى كلية الطب وكلية العلوم ، وهى دعوة عانيت فيها من الشقاء ما عانيت . فمن قال إنه دعا إلى هذه الفكرة مرة أو مرتين أو مرات فأنا جعلتها حُلماً أهتف به فى يقظتى ومنامى أكثر من خمس عشرة سنة . وبسبب الإلحاح فى نشر هذه الدعوة رآنى بعض أقطاب الجامعة المصرية من الثقلاء ، وأوصدوا فى وجهى كثيراً من الأبواب . فإن قال أعضاء المؤتمر الطبى العربى بعد أسبوعين إنهم قرروا تدريس الطب باللغة العربية فى كلية الطب بالقاهرة فليذكروا مشكورين أنهم سفّهونى علانية يوم التقينا فى بغداد سنة ١٩٣٨

وفى العام الماضى قُدِّمت لكلية الحقوق رسائل لامتحان الدكتوراه باللغة العربية ، وقال قائل : إن فى ذلك مجاراة للنزعة القومية، فمن واجبى نحو نفسي وأنا رجل مظلوم فى وطنى أن أقول إن ذلك لم يقع إلا طلباً للسلامة من القلم الذى شن الغارة على من يقبلون رسالة باللغة الفرنسية عن الدّية فى الشريعة الإسلامية

ولتلك المعركة ذيول فصلتها فى كتاب « البدائع » وفى رسالة « اللغة والدين والتقاليد » وفى كتاب « الأسمار والأحاديث » فإن غضب وزراء المعارف الذين حاربتهم من قبل فليعرفوا أنى أديت إليهم بذلك التوجيه أعظم الخدمات . وحسبهم من الشرف أن يسمعوا كلمة الحق من رجل ليس له فى الحكومة عمٌ ولا خال

وفى العام الماضى قررت وزارة المعارف تأليف كتاب للمطالعة فى المدارس الثانوية من صميم الأدب الحديث ، وأنا صاحب هـذا الرأى ، وقد شغلتُ نفسى بالدعوة إليه أكثر من عشر سنين .

وفى العام الماضى قضت الظروف بأن تقبل وزارة المعارف إسناد تعليم اللغات الحية فى المدارس الثانوية إلى المصريين ، فليتها سمعت الدعوة التى أذعتها منذ أعوام طوال ، الدعوة إلى أن يكون مدرسو اللغات الحيـة من المصريين لنخلق جيلاً من المتفوقين فى اللغات الأجنبية ، وليكون بيدنا الأمر فى تكوين الثقة بالعزيمة الوطنية

وفى العام الماضى ... ما هذا ؟ ما هذا ؟

أرانى أنحدر إلى هاوية المنّ الممقوت ، فلأرجع إلى تدوين ما خسرتُ فى السنة الماضية :

فى سنة ١٩٣٩ نسيت أنى موظف بالحكومة المصرية فوقع قلمى فى أغلاط لا يقع فيها الموظفون « العقلاء »

أنا من كتّاب الطبقة الأولى بشهادة أعدائى ، ولـكنى لم أخط خطوة واحدة فى كسب حق جديد لحرية الأقلام . كنت أستطيع أن أنتفع بالدكتور هيكل باشا ، ولكننى لم أقابله إلا حين دعانى ، وقد هجمت عليه فى جريدة المصرى مرتين . وكنت أستطيع أن أنتفع بمعالى النقراشى باشـا ، وهو رجل مُشرق العقل ، ولكنى قصرت فلم أقابله غير مرتين ، كنت فى الأولى مهنئاً ، وهى زيارة لا تتسع لبحث ولا درس ، وكنت فى الثانية مقروناً بجمهور المفتشين بالتعليم الثانوى ، وهو مقام لا يتسع فيه المجال لغير الشؤون الرسمية

أليس من سوء البخت أن يكون لنا وزير مثل النقراشى باشا ولا أظفر منه بشىء لحرية الأقلام ؟

كنت أحب أن أطلب إجازة طويلة لعام أو عامين لأحقق مشروعاً عجزت عن تحقيقه فى بغداد وهو تأليف كتاب عن أبى تمام إمام المبتكرين فى القرن الثالث ، فهل شغلت نفسى بتقديم هذه الرغبة إلى معالى النقراشي باشا وهو من وزرائنا الأدباء ؟

وكنت أحب أن أقترح إنشاء قلم خاص بمراجعة ما يُكتب عن مصر فى الأقطار العربية ، فهل شغلت نفسى بتقديم هذا الاقتراح إلى رئيس الوزارة المحمدية أو رئيس الوزارة الماهرية ؟

دونت هذه الآراء فى كتاب « ليلى المريضة فى العراق » ولكن من يضمن أن يكون هذا الكتاب مما يقرأ الوزراء ؟

ماذا خسرتُ فى العام الماضى ؟ ماذا خسرت ؟

كان عندى مشروع عظيم هو ربط الأمم العربية والإسلامية برباط وثيق من الحب والعطف

فما الذى صنعت لتحقيق ذلك المشروع العظيم ؟

ضيعت العام الماضى ـ وا أسفاه ! ـ فى مجادلات ومشاغبات نفعُها قليل ، وانصرفت عن تحقيق ذلك المشروع الجليل

فن يُسعدنى على بكاء ما ضيعتُ من أمانىّ وأحلامى ؟

وكان فى نيتى أن أخلق عُصبةً للخير من أصدقاء كلية الآداب ، كنت أحب أن أنظِّم سلسلة للدراسات الأدبية والفلسفية أصنع بها فى القاهرة بعض ما يصنع أساتذة كلية الآداب فى الجيزة ، فأين أنا مما أردت ؟ وأين ما صنعتُ لـكلية الآداب وفوق ثراها سكبت عُصارة صباى ؟

وكان فى نيتى أن أكوّن مكتبة عظيمة مما أصدر المتخرجون فى كليـة الآداب ثم أسوقها فى عربات رزينة إلى قصر صاحب الجلالة الملك فأين ضاعت تلك النية ؟ وما مصيرها فى تاريخ العقول؟

وكنت أحب أن أقوم بدراسات قوية أحدد بها اتجاه الأدب الحديث فى مصر والمغرب والشام والعراق ، فأين من يعزينى على ضياع هذا الأمل الغالى ؟

وكنت أشتهى أن أزور الحجاز لأكتب عن وطن الرسول كتاباً لا يعرف الزور ولا الرياء ، فأين ضاعت أحلامى ؟

وكنت أتمنى أن أؤرق غفوات المغرورين من « أعلام » الأدب الحديث ، فإلى أى أفق من آفاق الضياع ضاع أملى فى تأديب أولئك « الأعلام » ؟

كنت وكنت وكنت ، فما الذى صنعت السنةُ الماضية بأغراضى وأحلامى ؟

(للحديث شجون)

زكى مبارك

ألمانيا بين نيتشه وهتلر

«دين القوة»

للأستاذ عبد المجيد نافع

حين أوشكت صحيفة القرن التاسع عشر أن تطوى نشرت فى أوربا راية دين جديد ، ذلك هو دين القوة ، وكان حامل لوائه بل رسوله المبشر به هو الفيلسوف الألماني فريد رش نيتشه

على أنّا نحب أن نبدد وهماً قد يعلق بالأذهان ، فنسارع إلى القول بأن عبادة القوة والإيمان بأثرها الحاسم فى حياة الأفراد والشعوب ، دين قديم جديد ، اعتنقته الإنسانية فى كل مراحل التاريخ من غير أن تجهر به ، فكبدها كل ما أنفقت من دموع ودماء

وفى الحق أنك لو جردت الإنسان من طلاء المدنية ، ذلك الطلاء الذى هو بمثابة القشرة الخارجية التى يصطنعها ليخفى تحتها أطماعه تارة ، وضعفه طوراً ، لتبدّى فى ثياب الإنسان الأول بكل ما فيه من مظاهر الوحشية والهمجية والقسوة

والحق للقوة — كلمة قالها بسمارك الألمانى رجل الدم والحديد. ولو أن النصر لم يعقد بلوائه فى حروبه مع الدانمرك والنمسا وفرنسا لنادى بأن الحق فوق القوة . ولو أن القوة حالت بين هتلر وبين أن يزدرد النمسا ، ويثنى على ازدرادها بتشيكوسلوفاكيا لملأ فمه بكلمات العدالة والحق والمساواة والحرية

ولـكن نيتشه ، رسول القوة ، يتفرد بأمور : منها أنه صبغ الدين الجديد بالصبغة الفلسفية ، ورسم له الحدود والمعالم ، ودعمه بأسانيد الواقع والتاريخ . ولعله يتميز بين جبابرة العقول وحملة لواء الفكر الإنسانى ، بصراحته الوحشية التى مزقت قناع الرياء عن وجه الإنسان

ولا تحسب أن مفكراً طبع العصر الحديث ، فى الغرب ، بطابعه الفكرى ، مثل نيتشه . وإذا كان ما كيا فيللى أستاذ كثير من السياسيين ، فإن نيتشه أستاذ الدكتاتوريين ، وخاصة زعيم النازية

نعم ، هو ملهم النازيين ومهبط وحيهم ، هتف بدين القوة والسلطان ، وتلقف زعماء ألمانيا الحديثة تعاليمه ، فأفرغوها فى قوالب التطبيق العملى ، غير متأثمين ولا متحرجين ، إذا كان تطبيقها يجرح شعور العدالة ، أو يثير الضمير الإنسانى

كان صاحب دعوة القوة يحمل على الديمقراطية حملاته الشعواء بدعوى أنها من أقوى مظاهر الانحطاط والانحلال فى أوربا المصرية ، وكذلك يذهب دعاة النازية هذا المذهب . فما كادت ألمانيا تنسحب من عصبة الأمم فى عام ١٩٣٣ حتى قال هتلر ، فى أعقاب ذلك الانسحاب ، لبعض صحبه : « لن تعود ألمانيا إلى عصبة الأمم الديمقراطية بحال . فقد دبت فيها عوامل الفساد ، وقضت عليها الديمقراطية بالفناء والدمار »

وينادى زعماء النازى بأن ألمانيا تهيئ الجو لانقلاب جديد ، وأن على العالم أن يمشى تحت رايتها . وكان المبشر بدين القوة ، بعد أن ظن أنه حطم أصنام الأوهام الموروثة من دين وعلم وفلسفة وفن وأخلاق وديمقراطية ، وأقام على أنقاضها القيم الأخلاقية الصحيحة ، واكتشف الإنسان الأعلى ، أنه قد مهد الطريق لظهور الإنسانية الجديدة البريئة من شوائب الضعف والانحلال المرتكزة على دعائم القوة والسلطان

وأسر الفوهرر إلى بعض رفاقه أنه على تمام الأهبة لأن يضع توقيعه على أى اتفاق ، ويضمن أية حدود ، ويمضى ميثاق عدم اعتداء مع كائن من كان ، على أن ينقض كل أولئك ، فى دم بارد وضمير جامد ، إذا اقتضته قوة ألمانيا وعظمتها . وجاهر رسول القوة بأن الضعيف يبتغى السلام والوفاق والمساواة والحرية ، لا يشرئب بآماله إلا إلى الاحتفاظ بذاته . ولكن القوى يؤثر أن يثير المشكلات وعظائم الأمور . الضعيف يضمر الـكيد فحسب ؛ فأما القوى فيهجم غير وان ولا متردد ، فإن القوة التى تفيض بها جوانب نفسه تحفزه إلى التوثب والانقضاض

وأعمل نيتشه معاوله حتى ظن أنه نقض القيم الأخلاقية من أساسها . فالشفقة لديه بغيضة لأنها من أخلاق العبيد ، والقسوة فى عرفه مرضية لأنها من أخلاق السادة . تلك شرعة الضعفاء وهذه شريعة الأقوياء . ولا يتحرج من أن يجهر بأن الشفقة هى فضيلة المومس ، وينادى مع شاعر الأساطير الشمالية القديمة :

« إن فوتان (كبير الآلهة فى تلك الأساطير) قد وضع فى صدرى قلباً قاسياً » . ثم يهتف : « من الواجب عليك القسوة . فمن هذا الطريق وحده يسمو الإنسان إلى أعلى حيث يقابله البرق ويحطمه : فلترتفع إلى البرق ارتفاعاً كافياً » . ذلك بأنه يرى أن القسوة أعظم شىء يفضى إلى تقوية الإنسان وترويضه على ملاقاة الأخطار ، وشحذ همته للنهوض بجلائل الأعمال ، على حين لا شىء أخطر على المجتمع من الرحمة بالضعفاء والعاجزين ، إذ تنهض عقبة فى سبيل قانون الانتخاب الطبيعى وبقاء الأصلح . فنواميس الطبيعة تقضى بإبادة الكائنات الضعيفة وإفنائها من الوجود . وأما نحن فنتحدى قوانين التطور ، ونعمل على أن نحيل العالم إلى ملجأ الضعفاء والعاجزين .

ومن ذا الذى تداخله أثارة من الشك فى أن هذا ما يدين به جماعة النازى ؟ أرأيت كيف نكلوا برفاقهم فى الجهاد يوم قاموا بعملية التطهير بين صفوفهم فى عام ١٩٣٤ حين زعموا أنهم وقد اختمرت فى رؤوسهم فكرة الجريمة ، أخذوا يدبرون فى الظلام ومن خلف الأستار مؤامرة واسعة النطاق ترمى إلى هدم نظام الحكم النازى ، وتحت ستار هذه الدعوى أجهزوا على طائفة من رؤوسهم وفى طليعتهم روهم ، وكذلك لم يبقوا على شليخر وزوجه !

وهل أتاك حديث الجستابو وما يجرى من أعمال القسوة فى معسكرات الاعتقال التى تضم الخصوم السياسيين الذين يظن فيهم أو يلمح من ثنايا حركاتهم أنهم يعتزمون الانتقاض على حكم النازى ؟

ثم هل جاءتك أنباء تنكيلهم بكل من يحاول كسر القيود من الأمم التى غلبوها على أمرها وأخضعوها لحكمهم عنوة واقتدارا ؟

ويبرر أولئك الدكتاتوريون قسوتهم بأن سلامة الدولة قبل كل شىء وفوق كل اعتبار

ويتخذ النازيون العنف عقيدة ويعدون الرحمة خوراً فى الطبيعة ويؤمنون بالقوة إيماناً عميقاً ، القوة الخالية من شوائب الشفقة والرحمة ، المتجردة من هواجس الضمير ومن عوامل الضعف الإنسانى ، القوة التى تذهب إلى حدود الوحشية أحياناً ؛ فإذا وقف الضمير فى وجه القوة ، وعاق نهوضها إلى الأمام ، كان ذلك آية على الضعف والانحلال ، ومظهراً من مظاهر انحطاط الفرد والجماعة

وفى كتابه « كفاحى » لا يكتم زعيم الريخ الثالث ازدراءه لما تواضع الناس على أنه رحمة ، وما اصطلحوا على أنه إنسانية .

ويدين جماعة النازى بالمبدأ القائل : بأن « الحرب الدائمة » هى حالة المجتمع الإنسانى فى المستقبل ، وأن على كل أمة أن تمد لها العدة ، وأن تتنكر للسلام ، ولا تتجهم للحرب . فالسلام يقتل حيوية الأمم ، فأما الحرب فتغذى تلك الحيوية ، ولا يجنح للأول إلا الأمم المترفة المستسلمة ، ولا ينزع لخوض غمرات الثانية إلا الذين يفيضون بالقوة والعزة . فألمانيا تبتغى « تقسيم العالم من جديد » كما يقول وزير دعايتها جوبلز . لا ، بل يزعم فيلسوف النازية روزنبرج أن الشعب الألمانى خلق للسيادة ، ولا مندوحة عن أن يبسط سلطانه على العالم ، ليهيىء حضارة أعلى

وفى سبيل فرض السيادة على الدنيا يرى القابضون على مصاير ألمانيا أن لا بد لها من التسلط على المستعمرات والطرق الرئيسية للبحار

وتطوف بأحلام النازيين خيالات غريبة ، وتصور لهم أوهامهم ما لا يمكن أن يتعلق به أمل ، فتراهم يقولون إن مأساة مونيخ قد كشفت عن ضعف انجلترا وشيخوختها ، وأن لا بد لهم من إضعاف انجلترا ، وتحطيم الامبراطورية البريطانية ، تلك الامبراطورية التى قال عنها كبيرهم أدولف هتلر وهو يحلق فى أجواء الخيال : « إن الإمبراطورية البريطانية تمثال ضخم هائل يقوم على رجلين من طين »

فأما فرنسا فيجمح الخيال بزعماء النازى فيقولون عنها إنها « أمة تحتضر » فلا يقام لها فى ميدان الصراع الدولى وزن أو اعتبار !

ولسوف تصدم الحقائق زعماء النازى صدمات قاسية أليمة ، وتوقظهم من أحلامهم إيقاظاً خشناً ، وإذ ذاك يعلمون إلى أعماق أية هوة ساقوا بلادهم !

ولعلهم حين تساورهم الأحلام فيتعلقون بأهداب تلك الأمانى الباطلة يؤمنون فى أعماق نفوسهم بقول الفوهرر : « إن كل

أكذوبة يمكن أن تساغ وتهضم ، على شرط أن تكون من الضخامة بمكان »

وليس بطمح الريخ الثالث فى أن : « يتخذ له مكاناً ليعيش فيه » وإنما يتشبث بالأمانى الكاذبة فتجمح به القوة الناشئة إلى حد الطموح إلى ضم الدنيا بأسرها تحت علم الصليب المعقوف ! والسياسة المنصربة التى طبعت تصرفات حكومة النازى إنما هى منبعثة عن تلك العقيدة الخاطئة وهى أن العنصر الآرى قد خلق للسيادة بينا خلقت العناصر السامية للعبودية !

وترى النازيين ينفخون تلك الروح فى شبابهم ، ويملأون بها جوانب نفوسهم فينادى نشيد الشبيبة الهتلرية :

« اليوم نملك ألمانيا ، وفى غد نملك العالم بأسره »

والآن فمن الذي أضرم نيران المطامع فى نفوس الألمان حتى أشعلوا نار الحرب الحاضرة ؟ إن الذى أجج تلك الروح إنما هو داعية دين القوة ، والمبشر بالإنسان الأعلى ، فريدرش نيتشه

لقد تروعك مبادئه وتعاليمه ، بل لقد تهولك قسوته وعنفه ، ولكن لا مفر من إجالة الفكر فى تلك التعاليم والمبادئ إن كنت تبغى مواجهة الحقائق مهما كانت قاسية وأليمة ، وكنت تريد أن تعلم من هو موقد نيران الحرب الحاضرة ، ومشعل الحرب العالمية من قبل

يذهب نيتشه إلى أن من أقوى الدلائل على الخور والاستسلام الذى أصاب المدنية فى القرن التاسع عشر ، وتفشى بين صفوف أبناء الغرب ، تحصنهم خلف ما يسمونه السلام الدائم ، وتذرعهم بما يدعونه الإنسانية التى هى أنشودة الضعفاء ، ورمز الانحلال ، وعنوان الاضمحلال ؛ لأن الحرب الدائمة ، على ما فيها من كوارث وويلات هى الحالة الضرورية لنهضة الأفراد والشعوب .

ويذهب الفيلسوف الهدام إلى أن الغريزة التى تسير الإنسان وتطبع كافة تصرفاته ، إنما هى غريزة حب السيطرة ، وإرادة القوة . وعنده أن الخير هو كل ما يعلو فى الإنسان بشعور القوة وإرادة القوة ، والقوة نفسها ؛ وأن الشر كل ما يصدر عن الضعف، وأن السعادة فى الشعور بأن القوة تنمو وتزيد ، وأن لا رضى، بل قوة أكثر وأكثر ، ولا سلام مطلقاً بل حرباً ، ولا فضيلة بل مهارة ، وأن الضعفاء المعجزة يجب أن يفنوا ، وأن هذا هو أول مبدأ من مبادئ حبنا للانسانية ، وأن أشد الرذائل ضرراً إنما هى الشفقة على الضعفاء العاجزين .

وينادى نيتشه بأن مذهب دارون فى « تنازع البقاء » مذهب باطل ، فليست الحياة تنازع البقاء ، وإنما هى تنازع القوة وتنازع السيطرة . وما تاريخ الإنسانية إلا سلسلة متصلة الحلقات من تنازع السلطان والغلبة والقوة بين السادة وبين العبيد . فأما العبيد فيخترعون قيماً أخلاقية لا غاية لهم منها إلا إخضاع السادة لهم عن طريقها ، وإن هى إلا أسلحة مسمومة يستخدمونها رجاء أن يتحرروا من نير سادتهم ، ثم الطمع فى السيطرة عليهم بمجرد زوال سلطانهم

ويذهب ذاك الذى لا يؤمن إلا بالقوة إلى أن الضعيف يريد السلام والوفاق والحرية والمساواة ، لا يبتغى من الدنيا شيئاً إلا الاحتفاظ بالبقاء . ولكن القوى يؤثر أن يخوض غمار المشكلات ، ويواجه العواصف والأهوال غير وجل ولا هياب ، ويشرئب بآماله إلى تسنم الذروة ، وبلوغ العظيم من الأمور . الضعيف لا يرضى أن يخاطر بشىء ، فأما القوى فيغامر بكل شىء ، إذ أن حياته كلها عواصف وأخطار ، بل يبذل له نيتشه النصح أن « يعيش فى خطر » فذاك هو المبدأ الذى يكفل له الاحتفاظ بكل مظاهر القوة

ويبشر نيتشه بظهور الإنسان الأعلى . ولكن كيف السبيل إلى ظهوره حتى ينهض بالانسانية من كبوتها ، ويقيل العالم من عثاره . السبيل أن يؤمن الناس بالأرستقراطية والتميز ، ويكفروا بالديمقراطية والمساواة ! فبين الكيف والكم خصومة عنيفة . فأما الأول فينادى بالتفرقة وينكر المساواة ، ويؤمن بالفرد ولا يعنيه شىء من المجموع باعتباره مجموع وحدات متساوية ، فالكومة المكدسة من الرمال لا تساوى كلها أكثر مما تساويه حبة رمل واحدة . فأما الكم فكل شىء عنده سواء ، يريد أن يخرج الناس جميعاً فى صورة واحدة ، ويطبق عليهم مقياساً واحداً . فصيحته « المساواة ! المساواة » وشعاره « نحن جميعاً متساوون ! وليس هناك أناس أعلى من أناس ! » وترى أصحاب الكم يتحدثون عن « الأغلبية » و « المجموع » و « أكبر عدد ممكن » حتى

انحطت الحياة فى جميع مظاهرها إذ أصبحت السيادة والسلطان للدهماء على أصحاب الرؤوس المفكرة والشخصيات الخصبة الممتازة

فأى عجب وتلك تعاليم نيتشة التى تشبع بها جماعة النازى، أن نسمع كبيرهم أدولف هتلر يقول عن أعضاء مجلس الريشستاج: « لست أدرى كيف يعهد بإدارة السياسة العليا للدولة لقطيع من الخراف رؤوسها خاوية »

بل كيف نعجب من إشعالهم لنيران الحرب الحاضرة والتهامهم الشعوب، إذا كان أستاذهم نيتشه ينادى بأن الإنسان الأعلى رجل نضال دائم من أجل السيطرة والغزو والظفر، لا يعنيه إلا أن يسير نحو الغاية التى رسمها لنفسه، وأن أبغض شىء إليه السلام، والحرب عنده أقدس شىء

وإذا أنت اطلعت على رأى نيتشه فى القيم الأخلاقية لم تدهش لتصرفات بنى قومه فى أى بلد اجتاحوه. فعنده أن الضعيف يسمى العجز « إحساناً وطيبة » ويسمى عدم القدرة على الانتقام والأخذ بالثأر: « صبراً » ويسمى حاجته إلى الآخرين وقصوره عن الاعتماد على نفسه: « رحمة » ويسمى عجزه عن إدراك المطامع السامية والغايات العالية: « تواضعاً ». فأما الأقوياء فيسمون الأشياء بأسمائها ولا يبتغون إلا الظفر والانتصار وتحطيم كل من يقف فى سبيل تحقيق آمالهم السامية فى الحياة غير حافلين بدموع تسكب، أو دماء تسفك، لأن قلوبهم الصخرية، وعواطفهم المتحجرة، تملأها المطامع والغايات، ولا تجد الرحمة إليها سبيلاً

ولعلك تسأل عن السر فى مناهضة النازية للمسيحية وإرهاقهم لدعاتها، وتنكيلهم بهم أحياناً؛ وعندنا أنه لا كنشاف هذا السر ينبغى أن نقول لك: « فتش عن نيتشه ». فحملته الشعواء على دين عيسى، ورميه هذا الدين بالضعف والانحلال الذى أصاب أوربا فى زعمه إبان القرن التاسع عشر، كل أولئك حمل دعاة النازية على أن يعملوا كى تنفر جوانب نفوس الألمان من تلك العقيدة التى تدعو للسلام والرحمة وبذلك تجر للضعف والاستسلام وهم شعب الله المختار الذى خلق لسيادة الدنيا فى غير ضعف أو تخاذل!

ولا تحسبن الألمان ينكلون ببنى إسرائيل اعتقاداً منهم بأنهم سبب نكبتهم وباعث هزيمتهم فى الحرب العظمى. فاليهود فى نظر نيتشه هم أول من قاموا بثورة العبيد، وهم الذين حاربوا السادة حرباً لا هوادة فيها، وأذّنوا فى الناس بأخلاق العبيد لتكون سبيلهم إلى التسلط على السادة. وكذلك كانوا يوم قاموا فى وجه روما. وهكذا فعلوا حين أشاعوا فى الناس أخلاق الضعف والجبن والعجز والخور تحت أستار الحرية والمساواة!

***

والآن أرجو أن أقول إن الذى أوحى إلىّ بهذا البحث هو الكتاب القيم الممتع الذى وضعه عن « نيتشه » صديقى العالم الشاب الأستاذ عبد الرحمن بدوى. وإن أسلوبه الحار الملتهب، وعباراته التى تنبض بالحياة فى كل موطن، وإلمامه الشائق بحياة نيتشه ومبادئه وتعاليمه، وتبسيطه لمبادئ الفلسفة الجافة حتى تسيغها العقول والنفوس، وطريقته فى عرض الآراء وبسطها، كل أولئك قد أغرانى بأن ألتهمه التهاماً فأحببت أن أغرى الشبان بمشاركتى فى هذا المتاع المثلى.

عبد المجيد نافع

على هامش الأبحاث النفسية والفلسفية

الفصل بين القيم الذاتية

ظاهرة من ظواهر الرقي

للدكتور محمد البهي

كما أن من ظواهر المدنية والحضارة فى سياسة الأمة الفصل بين السلطات المختلفة، كذلك من ظواهرهما فى وزن الأعمال وتقدير الإنتاج الفردى « الفصل بين القيم الذاتية » ، لأن الثقافة تنوعت تبعاً لتنوع الحياة ، وأصبح لكل نوع من أنواعها قيمته الخاصة لأنه يؤدى غرضاً فى الحياة بعينه لا يعوض من طريق آخر .

والنظرة إلى إنسان اليوم غيرها إلى إنسان الأمس ، أو يجب أن تكون غيرها ، لأن له واجباً فى الحياة، وعليه تبعة نحو المجتمع، وله قيمة فى أية ناحية من نواحيها. فالشعبى والأرستقراطى سواء فى القيام بالتكاليف العامة ، وفى استحقاق التقدير على أداء الواجب المكلف به . إلا أن بعض القيم ، قد يختلف لا من حيث ذاته ، وإنما من حيث نظرة المجتمع إلى ناحية من الحياة التى تتصل به .

فقيمة الفرد قد تكون فى علمه ، فهو صاحب قيمة علمية ؛ وقد تكون فى فنه، فهو صاحب قيمة فنية ؛ وقد تكون فى سلوكه، فهو صاحب قيمة خلقية ؛ وقد تكون فى موهبته الاقتصادية ، فهو صاحب قيمة اقتصادية؛ وقد تكون فى إصلاحه، فهو صاحب قيمة إصلاحية ... وهلم جرا . وكلها متساوية فى ذاتها إلا أن المجتمع وما يسود فيه من نظرة إلى الحياة هو الذى يخص بعضها بالتفضيل . فإذا كان المجتمع مثلاً متشبعاً بفكرة الإنسانية Homanism كان اتجاه تقديره إلى الصفة العلمية . وإذا كان متديناً أو يغلب عليه إقحام الدين والعادات والتقاليد فى آرائه كانت نظرته الأولى فى التقويم إلى الصفة الخلقية . وإذا كان فى حاجة ماسة إلى الإصلاح الإدارى أو الاجتماعى لم يكد يعرف فى حكمه على الإنتاج الفردى غير القيمة السياسية . وهكذا فى الناحية الفنية من أدب وموسيقى وتمثيل وتصوير ... الخ .

وعلى الفصل بين هـذه القيم والاعتراف باستقلالها الذاتى درجت مدنية القرن العشرين ، وقام التهذيب الحديث ، وتأسس الإصلاح الاجتماعى

فغاية مدرسة اليوم إعداد الفرد للتمييز بين نواحى الحياة والاعتراف أدبياً . بكل مجهود فى أية ناحية من نواحيها . غايتها إعداده لأن يكون موضوعياً Obijektive فى حكمه على الإنتاج الفردى غير متأثر بميوله ورغباته أو بالإيحاء والتقليد . غايتها تهيئته لأن يكون مستقلاً ، وهذا هو السبب الذى من أجله لا يأنف الأوربى أو الأمريكى من مزاولة أى عمل . ومن أجله لا يبخس الغربى قيمة أى فرد فى إنتاجه ولا ينظر إليه شزرا إذا كان دخله من عمله أقل من دخله هو مثلاً . هذا هو السبب الذى من أجله ملك الأوربيون كل ميادين النشاط الاقتصادى تقريباً فى البلاد الأسيوية والأفريقية

والإصلاح الاجتماعى الحديث يقوم أيضاً على الاعتراف بالفرد ـ وهو غير الفردية ـ وهذا معناه الاعتراف بقيمته فى أية ناحية . هناك طبقات ، ويظهر أن وجودها ضرورة اجتماعية لداعى رابطة خاصة تربط فريقاً من الناس ، ولكل طبقة قيمتها . وتفضيل طبقة على أخرى لغلبة نظرة من نظرات الحياة فى وقت بعينه ؛ ولكن ليس معنى هذا التفضيل احتقار الطبقة الأخرى وإهمالها، لأن الإهمال لم يعد الآن وسيلة من وسائل الحياة المتحضرة، كما أن الاحتقار لم يصبح فى جملة الأحكام التقديرية

والطابع الاجتماعى للقرن العشرين الآن هو المساواة . وطابعه السياسى الديمقراطية . حتى داخل الحكومات الديكتاتورية ، فهذه قامت على هدم تحكم إحدى الطبقات فى الأخرى . قامت على الحد من الرأسماليين والتضييق على الأرستقراطيين

وحقاً إن الفصل بين هذه القيم والاعتراف بذاتيتها من ظواهر التمدن ورقى الإنسان ، لأنه دليل على عدم إدخال الرغبات والميول ، أى على عدم إدخال الناحية الشخصية فى الحكم على عمل الغير وإنتاجه . والفرد لا يطلب حقاً فى الحياة أكثر من الاعتراف بقيمته الذاتية فى أية ناحية، لأنه على أساس هذا الاعتراف سيعيش معتداً بنفسه ، وسيعمل جاداً فى عمله ، ومسروراً من عمله لأنه لا غنى ـ فى نظره إذاً ـ لمجتمعه عنه . والمجتمع لا يطلب أكثر من اشتراك أفراده فى بناء صرحه، ولا أكثر من أن يشعر كل فرد فيه بسعادته الشخصية ومتعته النفسية

والعصور الماضية إذا قيست بعصرنا الذى نعيش فيه كانت ميزتها فى الخلط بين هذه القيم وعدم التفريق بينها عند إصدار الأحكام التقديرية . فقيمة الفرد تهمل، ووجوده يهمل كذلك

إذا كان إنتاجه فى غير الناحية التى ينظر إليها المجتمع ويطالبها لعوامل خاصة . فالعالم صاحب القيمة العلمية أو الفنية كثيراً ما اضطهد ، ولم يهمل وجوده فحسب ، لأن سلوكه فى بحثه كان على أساس النقد وعدم التسليم مبدئيًّا بما فرضه عليه وقته من عقيدة(Dogma). وقد كانت الناحية التى تقوم فى ذلك الوقت، وبجانبها تهمل كل ناحية أخرى فى التقويم ، هى الناحية الدينية أى السلوك طبقاً لأوامر رجال الدين . وبعض الطبقات كان يستعبد ويباع ويشرى ، وهى طبقة الرقيق ، لأن الناحية التى كانت تقدر حينئذ ناحية الشرف والجاه ، وليس لهذه الفئة من جاه من ثروتها أو ثقافتها

وهذه الظاهرة ، وهى ظاهرة الخلط وإهدار القيم الأخرى ما عدا قيمة الناحية المطلوبة ، تشبه فى تطور الأمم ظاهرة الطفولة فى أدوار نمو الإنسان . فالطفل لا يميز ذاته عما فى بيئته ؛ وبعبارة أخرى لا يعرف قيما للأشياء إلا بقدر ما تشبع بعض رغباته أو تلبى بعض ميوله . فالحسن عنده ما انتفع به، والقبيح هو ما لم يستطع السيطرة عليه ؛ فأمه « حُوَّة » إذا لبت رغبة له، و« كُخَّة » إذا منعت عنه بعض ما يطلب

وبالتالى ظاهرة الفصل بين القيم والاعتراف باستقلالها عند أمة من الأمم تحاكى دور النضوج وبلوغ الرشد العقلى لدى الإنسان . فقدرة تصرف الرشيد معناها التمييز بين النافع فى ذاته والضار فى ذاته . معناها الاعتراف بالقيم الذاتية واستقلالها

لنا الآن أن نسائل أنفسنا : فى أى طور من أطوار النمو تعيش الأمة المصرية ؟ هل بلغت طور الرشد أم لم تجاوز بعد دور الطفولة ؟

لنرجع إلى وصف ما يسود فيها من ظاهرة تتعلق بإصدار الأحكام التقديرية، وعلى أساس هذا الوصف المميز Charactaristic يمكن أن نعرف فى أى طور تعيش

طبيعى أنه يسود مجتمعنا ككل مجتمع إنسانى نظرة معينة فى الحياة . والنظرة الغالبة فى مجتمعنا النظرة الدينية أو نظرة التقاليد . وسواء أ كانت سيطرة هذه النظرة على مجتمعنا الآن دليلاً على تغلب الناحية « اللاشعورية » وهى ناحية النزعات ، أم دليلاً على « إدراكه » لأهمية الدين فى تكوين المجتمع فإن ذلك لا يعنينا فيما نحن بصدده .

هل مجتمعنا يعترف بقيمة الفرد العلمية أو الفنية ، السياسية أو الإصلاحية أو الاقتصادية إن خرج فى سلوكه الفردى عما رسمته التقاليد ؟ ألا يحكم عليه بالفسوق والمروق — على الأقل — عن التقاليد والأخلاق القومية إذا ما أنكر فى بحثه بعض التقاليد أو بعض مبادئ هذه الأخلاق ؛ وبعبارة أخرى إذا لم يسر وفق ما تتطلبه نظرتنا فى مجتمعنا إلى الحياة ؟

أغلب الظن أن هذا هو الذى يقع بالفعل . فالعالم جاهل لأنه « متفرنج » أى مقلد غير ما هو شعبى مألوف بيننا ، وزنديق لأنه يرى « الاجتهاد » من ضروريات العصر ، وهو غير مألوف أيضاً فى أبحاثنا . والمفكر لا خلق له ، أى ليست له قيمة بحسب نظرة المجتمع لأنه يميل إلى النقد وعدم الإذعان لكل ما هو مألوف فى نقلنا الثقافى

وإذا تجاوزنا دائرة العلم والبحث إلى العلاقات الاجتماعية ، وجدنا الصديق ينكر على صديقه بالأمس كل قيمة لأنه لم يف بوعد ربما ألجئ لأسباب خاصة إلى عدم الوفاء به . ووجدنا الزميل يأبى إلا تجريد زميله من كل اعتبار لأنه ينافسه فى زمالته ، وربما كان شريفاً فى منافسته . ووجدنا الرئيس يفحص قيمة مرؤوسه لأنه أخذ — أى المرؤوس — عليه خطأ فى تصرفه أو خالف المألوف من تملقه ...

كذلك نجد بعض الأعمال مفضلاً على بعض ، وبعض المهن يرفع حتى الذروة، والبعض الآخر يحط من شأنه حتى الحضيض . نجد عامة الشعب لا يُعترف بوجودها عملياً، بينما نجد خاصته تمثل دور حكام الإقطاعيات

فنواحى النشاط المختلفة فى الحياة ، وأنواع الثقافات المتعددة، لم تأخذ بعد فى مجتمعنا قيمتها الذاتية . وتقديرها فى الغالب مبنى على التأثر بما يسود المجتمع من نظرة إلى الحياة ورأى بعينه فيها ، مبنى على التأثر بالعنصر الشخصى والرغبات والميول

ولهذا أظن أن مجتمعنا لم يزل فى دور الطفولة، لأنه لا يفصل فى تقدير الأعمال وتقويم الإنتاج الفردى بين القيم الذاتية بعضها تجاه بعض، كما لا يفرق بينها وبين ذاته وشخصه .

محمد البهى



في النحو

قد لا يكون

لأستاذ جليل

قال الأستاذ أحمد بك العوامري في (بحوث وتحقيقات لغوية متنوعة) في مجلة «مجمع فؤاد الأول للغة العربية»:

«نسمع كثيراً، ونرى في الصحف نحو: قد يجيء محمد اليوم، و (قد لا يجيء)؛ ونحو: (قد لا نكون منصفين إذا قلنا كذا ... وهو ما لم يرد في كلام العرب. فقد قال ابن هشام في المغني: وأما (قد) الحرفية، فمختصة بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس. وهي معه كالجزء، فلا تنفصل منه بشيء، اللهم إلا بالقسم ا. هـ ونحو هذا في القاموس. وقال في شرحه عند قوله المثبت: اشترطه الجماهير ا. هـ فلاصلاح العبارة يعتاض من (قد لا يجيء) مثلا قولك: (ربما لا يجيء)».

أقول: وقال ابن يعيش في شرح المفصل: «اعلم أن قد من الحروف المختصة بالأفعال، ولا يحسن إيلاء الاسم إياه، وهو في ذلك كالسين وسوف. وهي (أي قد) بمنزلة الألف واللام التي للتعريف، فكما أن الألف واللام اللتين للتعريف لا يفصل بينهما وبين المعرّف كان هذا مثله إلا أن قد اتسعت العرب فيها لأنها لتوقع فعل، وهي منفصلة مما بعدها (فيجوز الفصل بينها وبين الفعل بالقسم)، لأن القسم لا يفيد معنى زائداً، وإنما هو لتأكيد معنى الجملة، فكان كأحد حروفها». وقال الرضيّ في شرح (الكافية): «ولا يفصل قدمن الفعل إلا بالقسم».

قد عناني من أمر هذا البرزخ، هذا الحائل: (لا) ما عنى الأستاذ الفاضل العوامري فاستقريت وفتشت، فوجدت ما أنا مُمليه اليوم في «الرسالة» الغراء. ولو أدمنت[1] على التنقيب لضممت إلى هذا (الإملاء) شيئاً كثيراً:

(١) الشيخ اليازجي يقول: يقال أدمن العمل ولايقال أدمن عليه، الضياء المجلد (٧) الصفحة (٣٥٤) وفي الأساس: وأدمن الأمر وأدمن عليه: واظب

١ — كتاب (الأم) للامام الشافعي[1] الجزء (٣) الصفحة (٦٥): «... كما أكره للرجل أن يشتري السيف على أن يقتل به، ولا يحرم على بائعه أن يبيعه ممن يراه أنه يقتل به ظلماً، لأنه (قد لا يقتل) به، ولا أفسد عليه هذا البيع»

٢ — لسان العرب. الجزء (٢) الصفحة (٣١١): قال الخليل بن أحمد: الأمور على ثلاثة أنحاء، يعني على ثلاثة أوجه، شيء يكون ألبتة[2]، وشيء لا يكون البتة، وشيء قد يكون و (قد لا يكون) ...

٣ — الخصائص لابن جني الجزء (١) الصفحة (١٩)... كما أن القول (قد لا يتم) معناه إلا بغيره

٤ — الأنموذج في النحو للزمخشري الصفحة (١٠٢): ولا لنفي المستقبل، والماضي بشرط التكرير و (قد لا يتكرر) نحو لا فعل

٥ — إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري الجزء (١) الصفحة (١٣٥): (أن قد صدقتَنا) أن مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، وقيل أن مصدرية و (وقد لا تمنع) من ذلك

٦ — الفروق لأبي هلال العسكري الصفحة (١٨٢): الفرق بين الطاعة وموافقة الإرادة أن موافقة الإرادة قد تكون طاعة، و [قد لا تكون] طاعة

٧ — شرح شذور الذهب لابن هشام الصفحة (١٣٨): تنعت أي باسم الإشارة كقولك يا أيهذا، والغالب حينئذ أن تنعت الإشارة كقولك:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي[3]؟

و [قد لا تنعت] كقوله: (أيهذان كلا راديكما) ومثل ذلك

(١) في طبقات الشافعية: عبد الملك بن هشام: الشافعي ممن تؤخذ عنه اللغة. وفي الكشاف: وكفى بكتابنا المترجم بكتاب (شافي العي من كلام الشافعي) شاهدا بأنه كان أعلى كعبا وأطول باعا في علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا

(٢) قال فريق من اللغويين: ألبتة بقطع الهمزة، وقال فريق منهم: البتة بوصلها. فاقطع (يا أخا العرب) أوصل ... ونصبه على المصدر، ومذهب سيبويه وأصحابه أن البتة لا تكون إلا معرفة، وأجاز الفراء التنكير، فعرف (يافتى) في كلامك أو نكر ...

(٣) أحضر بالرفع وهو القول البصري، وبالنصب وفي رواية: ألا أيها اللاحي أن أحضر الوغى

فى الصفحة (٢٠٥) والصفحة (٣٩٥)

٨ — شرح الكافية للرضى الجزء (٢) الصفحة (٣٧٣): وأما المنقطعة (يعنى أم) فـ [قد لا يتقدمها] الاستفهام، وقد يتقدمها الاستفهام بالهمزة أو بهل …

٩ — المقابسات لأبى حيان التوحيدى الصفحة (١٨١): سئل أبو سليمان هل يجوز أن يقال: الإنسان ذو نفس كما يقال هو ذو ثوب وذو مال؟ قال: أما على التحقيق فلا، وذلك أن الإنسان قد يكون ذا ثوب وذا مال و [قد لا يكون] ويستحيل أن يكون الإنسان إنساناً إلا وهو ذو نفس إلا على السمة والمجاز[1]…

١٠ — مفاتيح الغيب للرازى الجزء (٤) الصفحة (١٣٠): «ثم ههنا بحث آخر، وهو أن المداوة والصداقة يمتنع أن تحصل باختيار الإنسان، فإن الرجل قد يبلغ فى عداوة غيره إلى حيث لا يقدر البتة على إزالة تلك الحالة عن قلبه، بل [قد لا يقدر] على إخفاء تلك العداوة. ولو أتى بكل تكلف وحيلة لعجز عنه. ولو كان حصول المداوة والصداقة فى القلب باختيار الإنسان لوجب أن يكون الإنسان متمكناً من قلب المداوة بالصداقة وبالضد. وكيف لانقول ذلك والشعراء عرفوا أن ذلك خارج عن الوسع؟ قال المتنبى:

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

والعاشق الذى يشتد عشقه قد يحتال بجميع الحيل فى إزالة عشقه ولا يقدر عليه. ولو كان حصول ذلك الحب والبغض باختياره لما عجز عن إزالته» ومثل ذلك فى الجزء الثالث الصفحة (١٩) والجزء الثانى الصفحة (٣٥٢)

١١ — الإيضاح للخطيب القزوينى الجزء الأول الصفحة (١٠٦): «… لأن الجملة [قد لا تكون] طلبية كقولنا: نعم الرجل زيد»

١٢ — الموافقات لأبى إسحاق الشاطبى الجزء (٢) الصفحة (٢٠٠): «وغائبات الأمور [قد لا تكون] معلومة» ومثل ذلك فى الجزء (٤) الصفحة (٨)

١٣ — البصائر النَّصيرية لزين الدين الساوى الصفحة (٤): وقد يتردد فى أمور بعد إدراك المحسات وانتزاع القضايا منها، و [قد لا يجد[1]] إلى الحكم الجزم فى بعضها سبيلاً

١٤ — الفرزدق — وبين الحليفتين عصبة حروف، عصبة أم … لا (لا) فقط، والفعل ماض فالخطب أطم —:

فقالت: سوى ابنى لا أطالب غيره
و [قد يك عاذت] كلهم وغلابها

أرى ابنَى نفيل من يكون أباله
وعما فـ [قد يوم الرهان تمهلا[2]]

على من جرى والرافعين أكفهم
إلى كل فرع كان بالمجد أطولا

***

تلكم أقوال نحويين ولغويين وأدباء وعلماء متقدمين ومتأخرين، فليس ذاك القول بجرَدى عصرى كما حسب الأستاذ العوامرى حتى نحايده. وإن لم تقله العربية الأولى فقد نطق به الأُلى تلوتَ كلامهم، وفيهم من فيهم. والنحاة يقولون كثيراً: (هذا جائز وإن لم يرد) وإذا أنتجت الحاجة فى الحضارة العربية هذا المسمى بالمولد فجاء من (الكُنْه) (اكتنه[3]) وما أشبهه، وتقبله الأدب والعلم، ألا يسوغ أن يُتبجبح فى (قواعد) بعض تبجبح بُعد اللغة العربية، فتجىء قاعدة مولدة كما جاءت الكلمة المحدثة. وقد قرأنا فى (الكليات): «كل مبتدأ عقب بإن الوصلية فإنه يؤتى فى خبره بإلا الاستدراكية أو بلكن مثل (هذا الكتاب وإن صغر حجمه لكن كثرت فوائده) وذلك لما فى المبتدأ باعتبار تقييده بأن الوصلية من المعنى الذى يصلح الخبر استدراكا له، واشتمالاً على مقتضى خلافه»

والمثل الذى أورده أبو البقاء إنما هو محدث والقاعدة: مولدة

وإذا قال أبو حيان فى شرح التسهيل: «العجب ممن يجيز تركيباً ما فى لغة من اللغات من غير أن يسمع من ذلك التركيب نظائر. وهل التراكيب العربية إلا كالمفردات اللغوية، فكما لا يجوز إحداث لفظ مفرد كذلك لا يجوز فى التراكيب.

---

(١) قيل له فهل تقول: إن النفس ذات إنسان، قال: لا، لأنها غنية من الاضافة، ألا ترى أنه لا يقال: إن الثوب ذو إنسان وإن اليد ذات إنسان كما يقال: الانسان ذو ثوب وذو يد لأنه لا حاجة بالثوب إلى الانسان وإنما الحاجة بالانسان إلى الثوب واليد …

(١) ممن ورد فى كلامهم مثل ذلك من أهل عصرنا ــ اليازجى والرافعى، والزيات والمازنى وكرد على والمردى والريحانى والبشرى وطه.

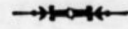
(٢) من قول الشيخ حمزة فتح الله فى تقريظ كتاب (كمال المناية): قد ولاشك لحظتك فيه عين العناية

(٣) إذا قال الجوهرى فى صحاحه: كنه الشىء نهايته، ولا يشتق منه فعل، وقولهم: لا يكتنهه الوصف بمعنى لا يبلغ كنهه أى قدره وغايته كلام مولد — فالحريرى يقول فى السادسة والأربعين: فجلست إليه لأبلو جنى نطفه، وأكتنه كنه حقه. وأساس البلاغة يقول: اكتنه الأمر بلغ كنهه، وعندى من السرور بمكانك ما لا يكتنهه الوصف

من الأدب الرمزى

هكذا تكلم بردى (*) !

للأستاذ على الطنطاوى



تفتحت أبواب السماء بغيث منهمر استمر ليلة من (تلك) الليالى طولها عشرة آلاف سنة ، فأغرق البحر وابتلع البر ، ومد أصابعه من خلال التراب وأدخلها من شقوق الأرض حتى بلغ (بردى) وهو (جنين) فى بطن أمه الأرض ، تطيف به أحشاء ليّنة من جَلْمَد الصخر ، تحنو عليه وتغذيه ، فغمره بالماء حتى ضاق به مكانه ، وامتد البلل إلى عظامه فخرج ...

وكانت الشمس قد طلعت على الأرض بعد (تلك) الليلة تمنحها الدفء وتغمرها بالنور ، و (تحدّد) فيها مملكة البر والبحر بعد أن كانت بحراً كلها ؛ فوقف (الوليد) ينظر مشدوهاً فيرى سهلاً أفيح جيلاً تحيط به جبال يَتِهْنَ شباباً ويَمِسْن جمالاً ، ولكنه عارٍ أجرد، فآلمه عريه وتجرّده ، وود لو سعى فى أرجائه يزرع فيه الحياة ويضع فى تلك السفوح (بذور) المدن والقرى . ولكنه كان ضعيفاً (فلم يستطع أن يمشى) ، وتصرم النهار وهو جاثم مكانه لا هو قادر على الرجوع إلى بطن أمه ، ولا هو قادر على السير ، وأوحشه سكون الليل وظلامه ، ولم يعطف عليه الجبل ولا سامره السهل ، فلبث وحيداً حتى جاءت فتاة من بنات (الدُّلب) كانت قد سمعت به فأحبت أن تراه ، فلما أبصرته عشقته وحنت عليه ، وأضجعته على ركبتيها (تهمس) فى أذنيه أحاديث المدن البعيدة الحلوة والأودية المسحورة . . . حتى نام !

***

ومرت أيام نما فيها الوليد ، فغدا (صبيا) يمشى فى السهل ، ثم شب فصار (فتى) قويًّا ، (يعدو) نحو الوادى عدواً ...

راع ظهوره أهل تلك الديار فأعرضوا عنه باديَ الرأى ، ثم مالوا إليه فأحبوه ، واتخذوا مولده عيداً ، فنشر له السهل أعلامه الخضر ، وجمع له باقات الزهر ، وفرش له الجبل سفوحه ، وزيّنها بالورد ، وملكوه عليهم ...

وكان (بردى) الشاب ، طموحاً عالى الهمة ، فلم يقنع بملك ذلك السهل ، سهل الزبدانى ، ولم يكفه أن خضعت له جبال مضايا وبلودان ، وأبى إلا أن يخرج فاتحاً لا يقف حتى يملك الوادى كله ، فحشد عسكره ، ودخل الوادى بطبوله ورايانه يثب على الصخر وثباً ، ينشد أنشودته (المادرة) ، ولم يكن فى الوادى إلا أميرات صغيرات ، ملكهن صخرة يخرجن من تحتها ، وساقية يجرين فيها ، فلم يلبثن أن بايعنه وخضعن له ، واندمجن فى جيشه ، وسمعت الأشجار بمسيره فقامت على طريقه صفين تحييه و (تصفق) له

حتى إذا اقترب من (الفيجة) جاءه رائده فقال له : قف ، فإن ههنا ملكة جبارة عرشها صخرة هائلة ، وجيوشها تملأ الوادى وتمتد إلى أبواب المدينة الأبدية الأزلية التى كانت من قبل ، وستبقى بعد الدائن كلها : دمشق !

(فقهقه) بردى ضاحكا من حماقة رائده . أى مدينة وجدت من قبله؟ وأى شىء يعرف القدم والبقاء إلا الله القديم بلا ابتداء، الباقى بلا انتهاء ؟ ثم زمجروا أقسم لئن وجد تلك المدينة قائمة من قبله ليدكنها دكا . وإن وجدها تنتظره ليجعلنها بإذن الله سيدة مدن الأرض وأمها ووارثتها . أما تلك الملكة فليحطمن عرشها ، ويبددن جندها ...

***

لأن جميع ذلك أمور وضعية ، والأمور الوضعية تحتاج إلى سماع من أهل ذلك اللسان . والفرق بين علم النحو وبين علم اللغة أن علم النحو موضوعه أمور كلية، وموضوع علم اللغة أشياء جزئية، وقد اشتركا معاً فى الوضع (١) » — قيل لشارح التسهيل : إن القوم فى الحضارة قد أحدثوا — محكمين مدققين — ألفاظاً ما عرفتها العربية السالفة . وإذا كان ذلك ولم ينكر فهل يُصدُّ (احتياج) أحدث لفظاً رأى إحداثه، أن يبدع — محتاطا — تركيباً ؟

وهنا هذا الحديث : إن اللغويين لم تحوِّش كتبهم ألفاظ اللغة كلها ، وقد فر شئ كثير . فهل يستطيع الناحى أن يقول معتزاً : (علمنا علمُ إحاطة) وقد استقرت قواعدنا كل تركيب فى كلام العرب ، وما فرّط (الكتاب (٢)) من شىء

هل يستطيعن ... ! ؟

« ﻫ »

(*) أنظر مقالتى عن بردى فى الرسالة (عدد ٥٢)

(١) للزهر (٢) يعنى الكتاب لسيبويه

وتقابل البطلان بردى (الأسمر) القوى (سلطان الزبدانى النازى الفاتح، والفيجة (البيضاء) الفتانة (ملكة الوادى) واصطف الجيشان هذا من هنا، وهذا من هناك لا يختلطان[١].

ثم أقبلا فاصطرعا. فتلبت رجولة بردى وخضعت له الفيجة وسارت تحت ركابه ذليلة صاغرة، وهى أعز منه جنداً، وأسمى نسباً، وأكرم عنصراً

ومشى يجول فى الوادى ويصول، ويعلأ أرجاءه بنشيده الحماسى المرعد

لم يجاوز إلا قليلاً حتى قابل أميرة صغيرة تخطر على السفح الجميل، وفى (عينها الخضراء) صفاء وفيها وداعة ولها سحر، كأن الناظر إليها يشرب منها خمراً، تلقى أغنيتها بصوت ناعم حالم. كأنه همس القلب فى أذن الطيف الحبيب. فأصغى إليها الجبل الأصم، ومال من الحنو عليها، وعانقتها الشمس. فلما اضطرت إلى فراقها احمر جفناها[٢] من كثرة البكاء. فذابت من حرارة الوجد قلوب (الثلج) وسالت مدامعها على خدود الجبال فاخضرت منها السفوح، فمن ذلك سميت (الخضراء). ثم لما عادت الشمس بسم الوادى، فمن ذلك سمى وادى (بسيمة)[٣] وكان لهذه الفتاة أم وصتها حين ألقتها فى لجة الحياة أن تحترس من النهر، وتحذر أن (يخطفها) ثم (يبتلعها) فإنه شاب غدار طياش ...

***

لما أحس بها بردى صرخ مختالاً: من هذا الذى جرؤ على أن يمشى مى فى الوادى، وينتزع منى مجدى، وتبسم له الشمس من دونى، ويحنو عليه وتسمع نشيده الصخور الصم ولا تميل على ولا تصغى لنشيدى ؟...

فلما أبصرها شغفته حباً، ودلهته غراماً، فعمد إليها ليخطفها، فقامت دونها الصخور ووقفت تحميها (الدلبة)[٤] العظيمة التى تعيش هناك، وتلوح بأذرعها مهددة، فعجز عنها. وأنى له الوصول إليها وهى نائمة فى حضن الجبل ومملكته لا تتجاوز الوادى . . . فحطم الحب كبرياءه، وما أجل ما يفعل الحب! فتطامن ومشى ذليلاً. فلما رأته فتنها بصمته، وحرك قلبها بأحزانه فمالت إليه، وشغفت (ببريق) عينيه وقوته وشبابه، فنسيت وصاة أمها، وتمنت لو نامت على ذراعيه. فلما جربت ذلك حملها وطار بها إلى دمشق

ومر على بردى نصف مليون من السنين، وهو السيد المطلق، يجرى حراً أبياً، لا يقف فى وجهه شىء، حتى يجوز بدمشق، ثم يذهب فيستريح فى (العُتيبَة)... ثم ظهر الإنسان على الأرض، وظهر بردى على الطبيعة، فويل له من الإنسان!

***

وفى ذات صباح جاءه طائر يلهث عطشاً. فلما سقاه أحب الطائر أن يجزيه خيراً، فخبره أنه رأى هناك فى الرمال المحرقة التى تملأ (الجنوب) أمة من الناس، يمشون فى طلب الماء. وقال له: إنى أخاف عليك منهم، فهم من أهل الجزيرة التى لا تغلب. من العرب. إنهم بنو الشمس، بنو الصحارى، بنو الموت، أتظن أن الموت يمس أبناءه ؟

فضحك بردى وصرفه بسلام!

***

ووصل أول رجل من القافلة، وكان من أهل (الجزيرة). وهل خرج إلى الدنيا فى فجر الحياة غيرهم ؟ فلما رآه صاح بإخوته أن تعالوا انظروا كم يحمل من ماء الحياة ونحن هالكون عطشاً. فاقبضوا عليه كيلا يفلت من أيدينا. ضموا له الحواجز فى طريقه كيلا يهرب ...

وأراد أن يضربهم ضربة واحدة فيهلكهم فلم يقدر عليهم. وقدروا هم عليه فأحس أن نجمه قد شرع فى الأفول ... عطلوه عن سيره، وغلبوه على أمره، ثم صنعوا معه صنع كل عدو غالب. فرقوا جماعته، وجعلوا أمته الواحدة أمماً سبعاً، فبعد أن كان كله بردى صار بردى ويزيد وتورا وباناس والقنوات والديرانى والقناة، ثوروا عليه أبناءه حتى استقلوا عنه واعتصموا منه بأكناف الجبلين ... ثم سلبوه الفيجة واستاقوها (مقيدة بالحديد) إلى دمشق ...

ولقد غضب بردى مراراً وهاج، فكان يهجم على المنازل

---

(١) ذلك مشاهد إلى اليوم فى الفيجة

(٢) أعنى حمرة الشفق

(٣) من زار الشام ومصايفها ولم ير بسيمة والعين الخضراء فلا يقل إنى رأيت الشام لئلا يقول غير الحق

(٤) فى بسيمة عند العين واحدة من شجرة الدلب لا يدري أحد متى ولدت. وقد أدركت فى الشام دلبة أعظم منها، كانت في شارع فيصل، فى مدخل السروجية، أحسبها قد أدركت معاوية بن أبى سفيان وقد نخرها الكبر، فاتخذنوا فى جوفها مخزنا. وأظن أن محيط جذعها كان أكثر من اثنى عشر مترا. وكان يستند إلى فرع منها جناح كبير من منزل كان هناك، وقد قطعها جمال باشا (عليه من الله ما يستحق) مثلما قطع أعناق البشر!

وساكنيها، فيشردهم شذر مذر، ولا يبقى منها حجراً على حجر، ويحسب أنه انتهى منهم، فإذا هم يلدون غير من مات، ويبنون غير ما انهدم ... فكل وأيس ... وأحس أنه صار شيخاً!

* * *

ووقفت على بردى وهو يمشي في (المرجة) رحبة دمشق تحت قصر أمية مشية الشيخ العاجز المتهافت، فقلت له: هيه ... مالك؟ تعبت؟ أو قد شخت؟

قال: دعني يا غلام، فإني أسير الأيام، فلما كانت مقبلة جادة كنت أقبل معها عدواً، فلما تولت وهزلت ... توليت ... ومالي لا إني، وقد باد مجدي، وساء جدي؟ ألا يا ليتني ما عرفت الإنسان!

وسكت لحظة، ولاحت على خده دمعة تجري مع الماء، ثم قال: على أني رأيت والله ناساً كراماً ... أجلوني وعرفوا قدري، وكنت أمر بين أيديهم مر الرحيق السلسل ... وكنت أمشي في الرياض على فتيت المسك، وأنام على غناء، وأصبح على شعر، وأضحى على كرم ومجد ونبل ... فأين أنت يا قصر البريص[1]

وأين أولئك الذين كانوا لباب البشرية، وكانوا مثلها العليا مجسمة، أولئك المسلمون الذين شادوا مجداً جدع أنف الدهر؟ أين ذلك الرجل[2] الذي مر علي يوماً وكنت أمشي في الربوة على باب دمشق في الموضع الذي امتلأ هواؤه بجراثيم ذلك المرض الفظيع، فلا يمر به أحد إلا أصيب به، المرض الذي يسمونه الحب فلا يذهب إلى الربوة من كان يخاف الحب، لأنه لا يرى هذا الجمال إلا تفتح له قلبه، فذهب يفتش عمن يحب ... مر علي ذلك الرجل العظيم، فرأى الأغنياء لهم في الربوة قصور ومنازل، والفقراء ما لهم إلا حجارة الجبل وحصى الوادي، فلم ينصرف حتى أقام لهم متنزهاً ما رأى الناس مثله، يجري تحته (تورا)، ويجري فوقه (يزيد)، وهو بينهما جنة، فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين. فإن اشتهوا ثمراً مدوا إليه أيديهم، وإن اشتهوا لحماً ناولتهم السمك حياً، فنقلوه من الماء إلى المقلاة[3]، وإن أرادوا لذة العين وجدوا ما لا مزيد عليه في دار الدنيا، وعند الله في الآخرة مزيد ...

فأين أولئك الناس، وأين اليوم أمثالهم؟

وسكت بردى هنيهة، ثم رجع يقول ...

لقد شاقتني أمس تلك القصور وهاتيك المنازل، وقد سدوا إليها الموارد، وأقفلوا الأبواب، (فانسللت) من شقوق الأرض حتى بلغت قاعة في الدار العظيمة، دار القوتلي، التي ترى عرصاتها من (منارة العروس) إذا أنت صعدت إليها، ونظرت إلى ما تحتك إلى الشمال، وراء قبر الملك الظاهر، ترى عرصاتها فتحسبها حياً كاملاً، أو أطلال قرية كانت هناك ... دخلت القاعة فيا أسفي، ماذا وجدت ...

لا الروض باق، ولا أهلوه باقونا ... ذوى الزهر، وجف الماء، وصارت البرك حفراً قاحلة، وقد كانت تضحك فيها أوانس الماء متراقصة ضحك الحياة في هذه الدار . . . وتمرت الجدران، وقد كانت نقوشها ومقرنصاتها آية في مصحف الفن ...

اللهم إني أستغفرك - ولم يبق من ذلك (الصيني) الذي يملأ (السكبيات) والرفوف إلا قطع غاصت في التراب فبدت منها أطرافها، ولا من السجاد الثمين إلا خيوط الله أعلم كم بللتها الأمطار، وكم جففتها الشمس، حتى غدت وليس لها لون يعرف. والرخام الأبيض الذي كان كالمرايا ... والأشجار والأوراد ...

لقد انصرف الدمشقيون عن هذه الدور التي كانت مصدر الفن العمراني الأندلسي، منها أخذ وعنها نقل، وكرهوا هذه الجنان، واتبعوا الأفرنج إلى (جحر الضب ... فآثروا عليها هذه الصناديق المغلقة التي يسمونها دوراً. فمن يفهمهم أنهم يخطئون، وكيف السبيل إلى الاحتفاظ بالبقية الباقية من دور دمشق القديمة، قبل أن تهدمها حماقة المالكين، وفتنتهم بتقليد الغربيين؟

ومتى يعلمون أن أوربة ليست أرقى منا في عادات ولا دين، ولكنها أرقى في الصناعات. فياويح القردة المقلدين لقد ذهبوا يدرسون العربية، حتى العربية لغتنا، ذهبوا يدرسونها في باريز!

(قال): ودخلت تلك البركة التي طالما شهدت فيها أعراس

---

(١) هندي شواهد على أن موضع قصر البريص في موقع (سوق النحاسين) اليوم - أمام الناخ من دمشق، واسألوا مع ذلك أعلم أهل الشام بخطط الشام الشيخ دهمان العالم المختفي الذي لا يجد من أحد تشجيعا.

(٢) نور الدين.

(٣) وهذا مثل ما يعرف في بغداد باسم (السمك المسقوف) وما عرفه من لم يره، ولا درى بمجالسه من لم يحضرها، لأنها فوق الوصف!

الحياة أنذكر ، فرآني خادم هرم ، فصاح بابنه أن تعال أخرج هذا الماء الآسن من هنا ...

ماء آسن ؟ أنا آسن ؟ يا ويحكم . أما كنت طاهراً نقياً أسير فى الوادى كما خلقنى الله ؟ أما أكرمنى من كان قبلكم ، ورفعونى بالنواقير على الرؤوس ، وكانوا يتقون الله فىَّ فلا يمسوننى بأذى؟ ويلكم أبنا الآسن يا ذوى النفوس الآسنة ؟ كنت أصافح من أجدادكم عند الوضوء وجوهاً مشرقة نورانية وأيدياً طاهرة معطرة فصرت لا أرى منكم إلا السوء. دنستمونى وآذيتمونى، وألقيتم علىَّ أوضاركم ، وتدَّعون أنكم فى عهد النور ، وأن عهد أولئك كان عهد ظلام ...

أعهد ظلام كان، وقد سطع فيه من عندكم نور العلم حتى ملأ الدنيا ، وامتد فيه شعاع الفضيلة حتى أضاء غياهب القلوب فبدد ظلمة الشهوات ؟ ورفرفت فيه الراية — رايتكم على نصف المعمور من الأرض — ولو اجتزتم نهراً عرضه خمسون متراً ، ولو أخر الله موت عبد الرحمن ساعتين، لرفرفت على النصف الآخر، ولنجا العالم من وحشية الشُّقْر الآريين الذين الذين يدعون كذباً أنهم أفضل منكم. دعوى إبليس حين قال : (أنا خير منه) !

لقد هدمنا مجدنا بأيدينا ، وأعنّا عدونا على أنفسنا ، فذللنا حين انقسمنا ، وأضعنا كل شيء حين ذللنا . أفلا يقظة بعد هذا النوم ؟ ألا نظرة بعد هذا العمى ؟ ألا زعيم مصلح حقًّا يرجع الناس إلى الجادة التى ضلوا عنها ، إلى كتاب الله وسنة نبيه ، ويخلصهم من بليتين : من إلحاد المتفرنجين ، ومن شعوذة أصحاب الطرق الحشْويين الجاهلين ؟

اللّهم تباركت ربنا ، لك الملك ولك الأمر ، ولا شكاة إلا إليك ولا خير إلا منك . اللّهم ماشخت ولا أصابنى الونى ، ولكن أمرضتنى الأقذار التى ألقوها علىّ ، وهذه البنى المنتنة التى أنشأوها على جوانبى : كبات الشيطان : تريانون وأولمبيا والليدو وبناية الروكسى (السينما وما فوقها ...) !

وسكت بردى ، وعاد يمشى مشية الشيخ العاجز حزيناً متألماً !

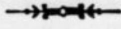
هكذا تكلم الشيخ بردى ... !

« دمشق » علي الطنطاوي

الأدب الفنلنـــدى

للأستاذ صديق شيبوب

(بقية الحديث عن ملحمة كاليفالا)



ظهرت الطبعة الأولى لملحمة « كاليفالا » يوم ٢٨ فبراير سنة ١٨٣٥ . ولعل النجاح الذى صادفه هذا الأثر الفنى شجع « لونرو » على متابعة رحلاته ، وكان قد عنى من قبل بجمع القصائد التى ينشدها سكان مقاطعة « كاربلى » ، فتوجه إلى القاطعات الشرقية ونقل القصائد الشائعة فيها ، ثم ضمها إلى ما سبق له جمعه بحيث اكتملت هذه الملحمة وطبعت للمرة الثانية فى شكلها الجديد سنة ١٨٤٨ فى ثمانمائة واثنين وعشرين ألف بيت من الشعر وهى الطبعة التى يعتمد عليها اليوم . وقد نقلها إلى الفرنسية فى شعر مطلق مقطع وفقاً لتقاطيع الشعر الفنلندى المسيو جان لوى بيريه Jean Louis Perret الأستاذ المعيد للأدب الفرنسى بجامعة هلسنكى .

كان لظهور هذه الملحمة فضل بعث الروح القومية فى نفوس الفنلنديين . ويهمنا فى هذا البحث من أثرها أنها حملتهم على العناية بلغتهم الأصلية .

قلنا : إن الأسوجيين بعد أن فتحوا فنلندا فرضوا لغتهم على سكانها ، فصارت اللغة الأسوجية لغة العلم والأدب ، بينما ظلت اللغة الفنلندية شبه لهجة يتحدث بها الشعب . فظلت متأخرة لا سبيل إلى التعبير فيها عن حالات النفس ورغباتها . وظلت اللغة الأسوجية مسيطرة على اللغة الفنلندية ، حتى بعد استيلاء روسيا على دوقية فنلندا الكبيرة . وكانت تعلم فى مدارسها وجامعاتها .

ولما أخذ الفنلنديون يشعرون بقوميتهم بفضل ظهور ملحمة « كاليفالا » ابتدأ الشعب يناضل للتخلص من اللغة الأسوجية التى لا تزال الطبقة الأرستقراطية متمسكة بها إلى اليوم

فلا عجب إذا احتفى الفنلنديون بهذه الملحمة واحتفظوا بها كاحتفاظهم بمفاخرهم القومية وآثارهم الوطنية التى كشفت لهم عن كنوز ماضيهم الدفينة وأوحت إلى نفوسهم الثقة بمستقبلهم

وقوت عزيمتهم لنيل استقلالهم . وقد خصوها بغرفة فى المتحف الوطنى بهلسنكى جمعوا فيها مختلف طبعاتها وترجماتها

ومن أدلة حفاوتهم بها الحفلات العظيمة التى أقاموها سنة ١٩٣٥ بمناسبة مرور مائة عام على ظهورها فى عالم الطباعة

***

بقى أن نشير إلى الجدل الأدبى القائم بين الروس والفنلنديين بصدد هـذه الملحمة وأصلها ، وهو جدل له مظهره الخاص إذا نظرنا إليه على ضوء الحرب الناشبة اليوم بين الدولتين

يقرر علماء (الفولـكلور) الفنلنديون والألمان أن أناشيد هذه الملحمة جمعت من المقاطعات الواقعة حول مدينة هلسنكى ويتوسلون بها لتدعيم مطالبتهم بمقاطعات « كاريلى » و « إنجرى » Ingrie وغيرهما من المقاطعات الروسية

وينفى علماء (الفولـكلور) الروس هذه المزاعم ويؤكدون أن « لونرو » لم يجمع هذه الأناشيد من المقاطعات التى تتألف منها فنلندا اليوم بل من الجزء الشرقى لمقاطعة « كاريلى » وهى المعروفة باسم « جمهورية كاريلى الاشتراكية السوفيتية المستقلة »

وقد نشرت صحيفة « فيتشرنيا ياموسكوفا » Vetcherniaia Moskva الروسية بتاريخ ٢٦ يونيو الماضى مقالاً عرضت فيه لهذا الجدل جاء فيه أن القصائد التى جمعت فى الطبعة الأولى التى ظهرت سنة ١٨٣٥ تلقاها « لونرو » من فلاح يدعى « برتونين » Pertunen كان يسكن فى ناحية «أولونه» Olonets من مقاطعة « كاريلى » . وقد ذكر المسيو «بيريه» الذى يعداليوم أكبرحجة فى فرنسا فى الأدب الفنلندى ، أنه ذكر فى كتابه « مظاهر الأدب الفنلندى المعاصر » أن الشعب الفنلندى الأمى الذى يدين بالأرثذكسية والذى يقيم بمقاطعة « كاريلى » الروسية قد احتفظ بتقاليد القبائل القديمة ، وأن هذه التقاليد بادت فى فنلندا نفسها بتأثير التعاليم البروتستانتية . وأضافت الصحيفة الروسية إلى ما تقدم أنه بينما لا نجد واحداً فى الجزء الغربى القبلى من فنلندا يروى هذه القصائد والأناشيد، نلقى شيوخاً كثيرين فى « كاريلى » يحفظونها ويروونها ، وذكرت اسم سيدتين تسكن إحداهما مدينة موسكو . ثم قالت : إن بدعة نسبة أناشيد « كاليفالا » إلى فنلندا لم تظهر إلا فى أواخر القرن الماضى ، وحملت الصحيفة الروسية على الذين قاموا بطبع هذه الملحمة باللغة الروسية سنة ١٨٣٣ لأنهم نسبوا هذه الملحمة لفنلندا ولم يمحصوا ما قرره علماء (الفولكلور) الفنلنديون

وهكذا يحاول الروس أن ينتزعوا من الفنلنديين ملحمتهم الوطنية التى تمد مصدر إلهام عظيم لشعرائهم وفنانيهم ، ومبعثاً للحماس وروح الوطنية فى نفوسهم

صديق شيبوب

M. Arab. 144

عن جريدة حشرة الملاريا

أنا أدعى أنوفيل ولست يونانيا أو مصريا بل أنا دولى ونحن نسكن فى جميع الأقطار ويخشى الناس بأسنا فى كل مكان

لقد مضى زمن كنا فيه أقوى من الملوك والقواد وكنا حال ظهورنا مرهوبين كالموت نفسه

آه كم كنت أتمنى لو كنت من جملة السرب الذى قهر بربروس فى إيطاليا وطرد الوغول الكبير بابار البنجابى.

فإن حشرة واحدة منا تكفى لكى تمحى تماما كل المشاريع الجميلة والسبب كان يبقى خفيا لأن هذه الحشرة كانت تعمل فى الظلام

ولكننا لم نركن إلى الهدوء حتى خلال هذه القرون الأخيرة فلا يمكن إحصاء المشاريع التى أخفقت بسببنا والسكان الذين محوناهم فنحن نعكر صفاء كل شيء . فلا يزال الانسان يبنى ويهتم بأشغاله وبملذاته وبغتة أظهر أنا أنوفيل وأنا أطن فرحا بهدوء مفتشا عن محل صغير جميل حيث أركز بسرور وأحفر حفرة صغيرة جداً فى جلد المسكين فأمتص بعض نقط صغيرة من الدم وينتهى عملى فأعيد الكرة وأهدم فى ثانية واحدة عملا دام سنين طوالا يظن أنى بعوض اعتيادى ولا يعرف أنى أنا الأنوفيل ولكن عندما يرتجف من الحمى حينئذ فقط يذكرنى

ولكن خطراً كبيراً يهددنا . فيكفى حسب رأى لجنة الملاريا فى جمعية الأمم ٤٠٠ ملليجرام يوميا مدة موسم الحميات حتى يقى الانسان نفسه من العدوى التى أحملها أنا وقد وصفت هذه اللجنة لمعالجة إصابة الملاريا كمية جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من الـكينا يوميا للأخذ منها مدة خمسة أو سبعة أيام فنسى ليس له هذه المقدرة كى يقاوم علاجا بهذه القوة .



القاهرة ليـلة الجمعة ! . . .

أحب الطواف بأنحاء العاصمة ليلة الجمعة من كل أسبوع فأسير أينما اتجهت بى قدماى لا أدرى متى أقف ولا من أى طريق أعود، ولقد أقصد أحياناً إلى حيث تقوم دور الملاهى، وأنا لسوء حظى أو لحسنه — حسبما يرى القارئ — أجدنى أبداً غريباً فى ذلك الحى ، بل إنى فى الواقع غريب فى المدينة كلها على الرغم من أنى قضيت فيها من عمرى سنين !

وعين الغريب كثيراً ما ترى مالا تراه الأعين التى ألفت ما تقع عليه . ولعل هـذا هو الذى يحبب إلى ذلك الطواف الطويل . ولقد كانت آخر مرة طفت فيها بذلك الحى ليلة الجمعة الماضية ... على أنى وددت ليلتئذ لو أن قدى سارتابى إلى مكان غير ذلك المكان ، فلقد كنت أحس شيئاً من الهم على الرغم من أن جيبى كان لا يزال عامراً بمرتبى الذى تناولته قبلها بيوم ، وخشيت أن يؤثر ذلك الهم فى تصور ما تقع عليه عيناى

ووقع ما خشيته فأنا أرى كل شىء بقلبى لا بعينى. فها هى ذى مناظر شاهدت مثلها كثيراً ولكنها تزيدنى هماً على هم

هذه « شلة » من الرفاق أنستهم جيوبهم التى أحسب أنها كانت لا تزال عامرة مثل جيبى، وأنساهم شبابهم ما يجدر بأمثالهم من « الأفندية » فأخذوا يتصايحون ويهوشون وينادى الواحد منهم صاحبه بأفظع ما يتصور من عبارات السباب كأنما راحوا يتنافسون فى فحش القول . . . ولمحنى أحدهم وهو يعرفنى ، وقد عرفته من قبل وقوراً هادئاً فاندس من الخجل واختفى فى أصحابه ودرت بعينى، ولكنهما وقعتا على قوم آخرين أراهم أجدر من سالفيهم بالوقار والتحشم، فإن ذلك مما تقضى به على الأقل طرابيشهم « الميرى » وسراويلهم التى تزينها الأشرطة الحمر المهيبة ، ولكنهم كانوا أكثر من السابقين تهريجاً وتبذلاً . ولا عجب فهم فرحون مزهوون بهذه الملابس التى باتوا يخطرون فيها على أعين الناس .

ولكم كنت أضيق بهم حينما كانوا يزحمون الغادين والرائحين وعلى الأخص الغاديات والرائحات ...

والتفت على صوت هرج شديد فرأيت فى مقهى قريب معركة حامية وعلمت من أمرها أن أحد « اللاعبين » هجم بسكين المائدة على صاحب له لأنه أخذ منه آخر قرش بقى معه ولم يشأ أن يقرضه من تلك القروش شيئاً يعود به إلى عياله

ورأيت حول المائدة الممدودة أولئك الغلمان الذين يلقطون بقايا الدخائن ويترامون على ما يلقى إليهم من فتات تلك الموائد يتنازع بعضهم عليها بعضاً كما تفعل الكلاب فيزيدون المنظر بذلك سوءاً وقبحاً

ومضيت أخرج من هذا الحى فلم يعد لى فى تلك الليلة جلد على رؤيته ، فما كدت أنعطف فى أول شارع حتى لقيت فى المنعطف « لقاء » تكنفه الريبة، فهو يضحك مرتبكاً وهى لا تكاد تضحك حتى يطفئ الخوف والقلق ضحكها ... ومررت بهما وأنا أسائل نفسى : أله زوجة ولها زوج ؟

وكأنما تأبى المكاره إلا أن تأتى فى وقت معاً ! فهـذا مترنح متخلج يمسك أصحابه بذراعيه مخافة أن يقع ، وهو شاب بادى الوجاهة ، ولقد سقط طربوشه حينما قربت منه ، ولست أدرى لم قصدنى أنا فالتفت إلىّ ضاحكاً وقال : « من فضلك ناولنى البلغة يا أفندى »

وألفيت عند محطة الترام أنماطاً من الشباب فرادى وجماعات، ورأيت منهم من مرت بهم جميع المركبات وهم مع ذلك وقوف فى أماكنهم يمدون أعينهم إلى كل مركبة فى مكان معين منها . وعلام يستعجل هؤلاء العودة إلى منازلهم ولا تزال بينهم وبين امتحاناتهم شهور ؟

وأراد نكد طالعى أن يكون آخر ما يقع منظارى عليه جماعة من الغلمان فى إحدى الطرق ينبشون صندوق القمامة يبحثون فيه عما يقتاتون به ... فرفعت بصرى إلى أعلى وقد ضاق بالأرض وما عليها فوجدت القمر من فرجة بين بيتين عاليين، وأحسست أنه فى تلك المدينة غريب مثلى . ولست أدرى لماذا فسرت ابتسامته فى تلك الساعة بأنها سخرية من حياة المدينة هذه ومفارقاتها ؟ ... وأشد ما أمضنى، أنى لم أر شيئاً مما كرهت من أحد غير بنى قومنا الأعزاء ، على كثرة ما بين ظهرانينا من النزلاء !

« عين »

الأدب في سير أعلامه

بيرون

ذلك العبقري المتمرد الذي غنى أروع أناشيد الحرية، ولاقى الموت في سبيل الحرية

للأستاذ محمود الخفيف



نشأته وطفولته

ستمضي السنون ويبقى بيرون في الغرب كالمتنبي في الشرق يحمل النفوس على الإعجاب به ، من أحبه ومن لم يحبه في ذلك سواء . وستظل عبقرية هذا الشاعر الشاب كالشعلة تنتقل من جيل إلى جيل فلا تزداد على الأجيال إلا تألقاً وإيماضاً . وما كان لشعر كذلك الذي جاشت به تلك النفس المتوثبة الثائرة ، وغنت به تلك القيثارة الملهمة الساحرة، أن تذهب الأيام بروعته وسحره، مهما تغيرت فنون القول واختلفت ضروب البيان

وما عرفت انجلترة ، بل وما عرفت أوربا كلها شاعراً كاللورد بيرون بلغ في مثل سنه مبلغه من نباهة الاسم وبعد الصيت في القارة جميعاً . وما عرف تاريخ الآداب رجلاً هز عصره هزاً متوالياً عنيفاً كما هز عصره ذلك الشاعر الذي تمرد على كل شيء حتى على نفسه . وما لقي رجل من مواطنيه مثل ما لقي بيرون من الإعجاب الشديد والسخط الشديد . ثم ما اختلف النقاد في رجل اختلافهم في ذلك الذي كانت شخصيته الفذة مجموعة عجيبة من المتناقضات ، ذلك الذي بلغ قمة المجد الأدبي وهو في الرابعة والعشرين ثم غيب في لحده ولم يتجاوز السادسة والثلاثين

ولد جورج بيرون في لندن عام ١٧٨٨ ، أي قبل أن تنبعث الثورة الكبرى في فرنسا بعام واحد ، كأنما أراد القدر أن تستقبل هذه النفس الثائرة الحياة في عصر كانت تعصف فيه أنواء تلك الثورة العاتية بأوربا كلها . وكانت الأسرة التي انحدر منها ذلك الشاعر من أعرق الأسر في انجلترة كلها ، فلقد جاء رأسها مع وليم الفاتح عند الفتح النورمندي في القرن الحادي عشر ؛ وكان بيرون يفخر أشد الفخر بانتمائه إلى تلك الأسرة حتى لقد قيل إنه كان يزهى بحسبه هذا أكثر مما كان يزهى بأنه مؤلف تشايلد هارولد ومنفرد

على أن الشاعر قد ورث من بعض أفراد أسرته هذه بعض ما لا يحمد من الصفات ؛ فكان سيئ الحظ من هذه الوجهة بانتمائه إلى هؤلاء . وحسبنا أن نشير منهم إلى اللورد الخامس في هذه الأسرة ، ذلك الذي كان ينعت باللورد التعس ، فقد كان شاذاً إلى حد يقرب به من الجنون، فهو يبعثر أمواله وهو يحتجب عن الناس ، وهو لا يهدأ ذات ليلة حتى يقتل قريباً له في مبارزة دعاه إليها على ضوء شمعة في غرفة مغلقة على أثر خلاف نشأ بينهما وهو يأتي من ضروب اللعب والعبث ما لا يفترق به عن الصبية !

وكان لهذا اللورد التعس أخ يعمل في البحرية وقد وصل بجده إلى مرتبة الأدميرال ولكنه كان يعرف بين زملائه ومرؤوسيه باسم « الجو العاصف » لأنه ما ركب البحر إلا هبت في إثره عاصفة ، وأنجب هذا الأدميرال ولدين كان كبيرهما قسيم المحيا وجيه الطلعة حسن السمت ، وقد انتظم في سلك الجندية وهو في سن اليفاعة وخاض غمار الحرب الأمريكية فيمن خاضوا ، ثم عاد إلى انجلترة وهو في العشرين من عمره ، فكانت وجاهته محصر الأحداق فيه ، إلا أنه عرف بحدة عواطفه وعدم مبالاته وجرأته أكثر مما عرف بجماله، حتى لقد حمل هو أيضاً بدوره لقباً، ذلك هو جاك المجنون

وفتن جمال جاك إحدى الحسان وكانت زوج أحد اللوردات حتى هامت به. ولم تتردد حينما مات أبوها وخلف لها أربعة آلاف من الجنيهات كل عام أن تهرب معه إلى فرنسا ، حيث حملت منه ثم وضعت بنتاً ، ولكن هذه المرأة المسكينة ما لبثت أن قضت نحبها إثر مرض كما يقول بعض الناس أو من جراء سوء معاملة زوجها إياها كما يقول آخرون

على أن جاك ما لبث أن أوقع فى حبائله سيدة اسكتلندية إلا تكن جميلة كسابقتها فقد كانت ترث عن أبيها ثروة قدرها ثلاثة وعشرون ألفاً من الجنيهات ، وقد شغفها حباً ذلك الشاب الغريب الأطوار ثم بنى بها فأنجبت له بعد أربعة أعوام طفلاً هو الشاعر الذى نحدثك عنه

كانت هذه السيدة الاسكتلندية تدعى كاترين جوردون ، وكانت تزهى هى أيضا أشد الزهو بالأسرة التى تنتمى إليها ، فقد كانت تجرى فى عروق أفرادها دماء من أسرة استيوارت الملكية ؛ ولكن هذه الأسرة لم تكن فى تاريخها أسعد حظاً من أسرة بيرون ، فقد قتل بعض أفرادها ، وأعدم البعض ، وانتحر آخرون فى عدة حوادث ، وكان آخر هؤلاء والد كاترين الذى انتحر غرقاً وخلف تلك الثروة لابنته . وطالما كان رجال هذه الأسرة مصدر رعب للاسكتلنديين ، إذ كانوا يلاقون على أيديهم كثيراً من البطش والانتقام ...

عاشت كاترين مع زوجها أول الأمر فى اسكتلندة وما لبثت أن هالها منه إسرافه وعبثه بثروتها ، وقد كان لا ينقطع عن المقامرة ، ولا يكاد يفيق من سكره . ثم رحلت معه إلى فرنسا حين ضاقت باحتقار الناس إياها وزوجها المستهتر الماجن ؛ وراح زوجها يبعثر الأموال فى باريس بغير حساب ، وهو لا يسد ديناً إلا وقع فى دين . وانتقل الزوجان إلى لندن بعد ذلك ، ولكن جاك ترك زوجه هناك وعاد إلى باريس ، وصار لا يزورها إلا حين يطلب المال . على أنها ظلت على الرغم من ذلك مفتونة به ، وقد ازدادت به تعلقاً حينما وضعت ذلك الغلام الجميل الذى سمته جورج جوردون فى مستهل عام ١٧٨٨

وبدد زوجها ثروتها ، حتى لم يبق لها منها إلا ثلاثة آلاف من الجنيهات كان دخلها منها مائة وخمسين كل عام ، واضطرت المرأة المسكينة أن تعيش بهذا القدر من المال ، ومعها طفلها وخادمتان له ، وأخذت نفسها بالاقتصاد الشديد . ورحلت السيدة إلى أبردين ، وجاء زوجها فاختار له مسكناً بقربها ، وصارا يتزاوران من حين إلى حين ، ولكنهما بقيا منفصلين . وطلب الرجل يومئذ ثلاثمائة من الجنيهات فاستدانتها وصارت تدفع رباها من دخلها حتى أصبح ما تعيش به مائة وخمسة وثلاثين ، ولكنها ظلت حتى بعد ذلك تحب هذا الرجل حباً شديداً ، ولم ينقص من ذلك الحب أنه عاد ثانية إلى فرنسا وتركها وابنها فى ابردين ، على أنها لم تره بعد ذلك، فقد لقى حتفه منتحراً كما أشيع، وابنه فى الثالثة من عمره

وعاش الطفل مع أمه وخادمتيه ، وكان شذوذ هذه الأم فى كثير من سلوكها لا يقل عن شذوذ أبيه ؛ كانت تحنو عليه أحياناً أشد الحنو، وتقسو عليه أحياناً أشد القسوة، حتى لتضربه ضرباً شديداً . ولقد قذفته ذات يوم بملقط النار وهو محمى فكادت تقتله ؛ وكثيراً ما رآها فى ساعات غضبها تقذف الخادمة بالأطباق فإن لم تجد أمامها أحداً مزقت ثيابها ولطمت وجهها وحطمت قبعتها كأن بها جنة . وينظر الطفل إلى أمه فيمتلج فى نفسه الصغيرة الألم والرثاء والإشفاق ، وقبل ذلك رأى أباه ورأى مواقفه من أمه ومواقف أمه منه ، فكان يتساءل عما يرى مندهشاً لا يقتنع بما تجيبه به خادمته

وكان الطفل جميلاً كأبيه ، ولكنه ولد وفى إحدى قدميه عاهة فكان لا يستطيع أن يطأ بها الأرض إلا على أطراف أصابعها ، ولذلك كان فى مشيته عرج ظاهر وكان يتألم من ذلك أشد الألم ، وما كان أشد ألمه حينما كانت أمه تعيره بهذا إذ ترميه بالسيل الذى لا ينقطع من شتائمها ، ولكنه كان يكظم غيظه وإن نفسه لتنطوى على ثورة صامتة ، ولم يتمالك نفسه ذات يوم، حينما دعته بالأعرج، أن يجيبها قائلاً : « هكذا ولدت يا أماه ! » وفى هذا الرد نلمس نغمة الشاعر المستقبلة حينما يجرى الحوار على ألسنة أشخاص قصصه . ولقد أتى بموقف شبيه بهذا فى إحدى رواياته فلقد استقرت مواقف الطفولة فى نفسه وما برحت بعد ذلك تظهر فى آثاره . وما كان الطفل يصبر على أحد غير أمه يشير إلى عرجه ؛ لقيته ذات مرة فى الطريق إحدى السيدات وهو لم يتجاوز الثالثة فقالت لخادمته : « ما أجمل هذا الطفل لولا أن له وا أسفاه مثل هذه الساق » . فبدت على وجهه أمارات الغضب وصاح بها قائلاً : « كفى عن هذا » ، ثم ضربها بكرباج لعبته محتجاً محنقاً

ويطول بنا الكلام لو رحنا نسرد ما كان يلاقيه الطفل على يد أمه من عذاب ؛ وحسبك أنهم انتزعوا منه ذات يوم سكيناً أوشك أن يجريها على عنقه يريد أن يقتل نفسه وقد ضاق بما كان من أمه . على أنه ما كان يفكر فى الانتحار وحده فكانت تحدثه نفسه أن أمه تنتوى ذلك . ومما يذكر عنهما أن كليهما ذهب على غير علم من الآخر إلى بائع العقاقير وطلب إليه ألا يبيع الآخر سماً إذا هو رغب فى شرائه

(يتبع) **الخفيف**



رسالة الشعر



الخفاش

حين تميل الشمس عن عرشها   وتختفي حيناً إلى موعـد
تطير فى الآفاق روح الأسى   جوالةً فى ثوبهـا الأسود

* * *

خفاشُ عبدَ الليل ماذا ترى   والفجر فى الآفاق لم يولد
وكيف ترضى العيش فى ظلمة   ضل بها الحب فما يهتدى

* * *

لما أفاق الصبح وشى الربى   وعطّر الكون بأزهاره
ونقّط العشب بأندائه   وحـرك الأرض بأوتاره
فى كل روض وتر ناعم   يدعو إلى الحب وأسراره
عرس من النور لها قائم   الورد فيـه بعض زواره

* * *

إنسـل فى أثنائه طائر   واندس فى كهف له مظلم
عبد من النور مضى هارباً   لم يعرف الحب ولم يحـلم
حط عليه الليـل أعباءه   وراح فى تيـاره يرتمى
يشاهد الأعراس مجنونةً   فيـه ولا ينفك فى مأتم

* * *

يا عبدُ حطم من قيود الدجى   واخرج إلى النور ولا تجزع
أما تمل العيش فى ظلمـة   حيران فى أطباقها ما تنى
منكساً ترنو إلى أسفل   والطير فى سلطانها الأرفع
تشاهد الأشياء معكوسـة   وتدّعى روحك ما تدّعى

* * *

يا عبد، لا تشفق على ظالم   يا عبد، إن الحر لا يخضع
يا عبد، إن الطير فى شدوها   تدعوك للعود فهل ترجع
يا عبد، اسمع ما تقول المنى   يا عبد، انظر فالضحى يلمع

* * *

للعبـد فى ظلمته قابع   لا يبصر النور ولا يسمع

(حلب)   عمر أبو ريشة

موكب النور

[أيها النور : إن أجمل ما في الوجود قبس من جمالك !]   « بيرس شللى »

يا مَوكِبَ النُّورِ أَما زَوْرَةٌ   للناسكِ الصوفىِّ فى خلوتهْ
كبَّـلَهُ الدّهرُ بأمراسـهِ   فباتَ يَبْكِى الكون من شقوَتِهْ
ظمآنُ للنُّورِ فهلْ رَشفةٌ   مِنكَ له تطفى صدى غُلَّته !
أَسرجْ لهُ مِصباحَهُ بعدَ ما   أطفأهُ الشيطانُ مِنْ غَيرتهْ
أسرِجهُ واسكبْ ضوءكَ الحلو فى   فؤادِهِ -إنْ شِئتَ- أوْ مُقلَتهِ

* * *

يا موكبَ النورِ أَصِخْ فالدُّنا   خرساءُ إلا من لُحُونِ الألم
يَزُفُّها الناسكُ فاسمعْ صدَى   أناتِهِ مِنْ قَلبهِ المضطرمْ
آمنتُ بالحبِّ فلا تجحدِى   ما قدَّمتْ رُوحى لذاكَ الصنم
عَفَّرتُ فى مِحرابهِ جَبهتى   فما أصاخَ الحبُّ لِى أوْ رَحِم
وَعُدْتُ مِنْ هَيكلهِ ذاهلاً   كأننى « يا أنت » صخرٌ أصمْ

* * *

عِفتُ الأناسِىَّ فلا مُؤْنِسى   فى وَحدتى غير طُيوفِ الفناء
قدّتْ مِنَ النّيرانِ أثوابُها   وَحَوّمتْ عندِى تَرومُ البقاء
فى عَينِها الأهواءُ مجنونةٌ   ورِيُّها فى الدهرِ مِنّا الدِّماء
ولحنُها مِنْ نَغَمٍ صادىءٍ   مَرَّ على البحرِ فكانَ الهباء
فيا شُعاعَ النورِ هاتِ المنى   فأنت سِرُّ الكون: أنتَ الدِّماء

(بنى سويف)   حسن حبشى

مناجاة . . .

ريقُكَ الخمرُ... سِوَى أنّ لهُ   نَشوَةً لا تَعرفُ الخمرُ مداها
فأنِلنى منهُ ما يُسكِرُنى   سَكرَةً تَطرَبُ رُوحى لِرُؤاها
يا حبيبَ الروحِ دَعنى أرتَشِف   وأزِلْ عن هذه النفسِ ظَماها
لا تَقُلْ لى فى غدٍ ... إنّ غداً   حُجُبٌ صَمّاءُ قد عَمّ دُجاها
هذه البسمةُ ما أجمَلَها . . .   حينَ يَهتاجُ فؤادى لِسَناها
كلّما عانقتها خُيِّلَ لى   أننى أصبحتُ للحبِّ إلاها
تسمُرُ الأنغامُ فِى آفاقِها   إنما الأنغامُ مِن رُوحٍ لغاها



الإصلاح الاجتماعى

من عادتى — إذا ما استبهمَ علىَّ نَفاذُ الرأى — أن أعدِلَ بأفكارى إلى الليل، فهو أحصنُ لها وأجمع. فإذا كان الليلُ، وهدأتِ النائرةُ، وأوَى الناسُ إلى مضاجِعهم، واستكنَّت عقاربُ الحياةِ فى أحجارِها — تفلَّتُّ من مكانى إلى غرفتى أسدِلُ ستائرَها وأغلِّق أبوابها ونوافذها، وأصنعُ لنفسى ليلاً مع الليل، وسكوناً مع السكون؛ ثم أقعد متحفزاً متجمعاً خاشعاً أملأ عينى من ظلام أسود، ثم أدعُ أفكارى وعواطفى وأحلامى تتعارف بينها ساعة من زمان، حتى إذا ماجت النفس موجها بين المد والجزر، ثم قرَّت وسكنت، وعاد تيارها المتدفق رهواً ساجياً كسعادة الطفولة، دلفت إلى مكتبى أستعين الله على البلاء.

وأمسِ، حين أيقظنى من غفوتى داعى « الرسالة » جمت إلىَّ ما عزمت على قراءته من الصحف والمجلات والكتب – التى هى مادة هذا الباب – وطفقت أقرأ وأقرأ، ولا أكتم أنى كنت أقرأ فى هذا اليوم – على خلاف عادتى فى أكثر هذه الأيام – قراءة المتتبع اليقظ الناقد المتلقف لأضع يدى على أغزر الأصول مادة وأعظمها خطراً وأشدها بِنية... وأدسمها شحما، فإن حق القراء علينا أن نتخذ لهم صنيعاً ومائدة تكون أشهى وأمرأ وأقرب متناولاً وأردَّ على شهواتهم عائدة. فلما فرغت من إعداد ما أعددت لهم وأويت إلى ليلى المختلق المزيف، جعلت أستعيد فى نفسى ما قرأت، وأين وقفت منه، وما تنبهت له مما تعودت أن أستشفه من وراء الألفاظ المعبرة، ومن نحت السياق الهدف إلى غرضه – مما هو بأخلاق الكتاب وعاداتهم ونوازعهم وخفايا نفوسهم ألصق منه بأغراض الكاتب فيما كتب. فما كدت أقدح الظلام بعينى وأفكر فى هذا الأمر وأستدرجه إلى نفسى حتى رأيتنى أكاد أنفر من مكانى لما عرانى من سوء الرأى وقسوة الظن، فإن طول تغلغلى فى معانى الكتاب والشعراء، أو فى معانى أنفسهم، يدلنى على أن أكثر من يكتب إنما يدفع بعض الكلام إلى قلمه ليعبر عنه، غير محتفل بما يقول، فكذلك يخرج الكلام متخاذلاً مفككا كأنه ناقه من وباء مرض، ويخيل إلىَّ أن أكثر كتابنا إنما يتناولون المعانى والأغراض من عَيْبَةٍ جامعة غير متخيَّرة ولا منتقاة ولا مصنفة، وأنهم إنما يعرض لهم اشتهاء القول فيقولون للشهوة المستبدة لا للرأى الحاكم، وأنهم إنما يكتبون ليبقوا كتاباً فى عقول الناس وعيونهم من طول ما تمرض عليهم المقالات متوجة بالأسماء مذيلة بها، وأن الكلام عندهم هو أهون عليهم من ضغطة النائم المتلفف على زرّ الكهرباء فإذا هو نور مستفيض

لابد للعرب والعربية أن يبرأ هؤلاء من أمراضهم ثم يقولون، وأن يعتدُّوا بجمهرة القراء اعتداد من لا غنى له عنهم ولا فقر بهم إليه، فبذلك أيضاً يصلح ما فسد من القراء الذين يقرأون الأسماء دون معانى هذه الأسماء. ويومئذ لا يشكو الكتاب من بوار أسواقهم، لأنهم يعرضون للناس الحَسَن الذى ينشىء فى القلوب الإحساس بالحسن والرغبة فى اختيار الأحسن، ويتشوق الناس الجميل لأنه جميل يسمو بالروح فى سُبُحات المثل الأعلى من الجمال الروحانى... ثم لا يجيزون إلا الجميل. وكذلك يترافد الكاتب والقارئ ويمدُّ أحدهما الآخر بأسباب حياته وخلوده بين خوافق الأدب السامى الرفيع. هذا هو بعض الرأى أدعو إليه كتابنا، والأدب على شفا جرف هار إلى البوار والبلى والفساد

***

حلتْ ألثمةُ لى يا صاحِبى بعد أن كانت حراماً وسِفاها
فأنلنيها إلى أنْ يَرتوى خَلَدٌ يَعبدُ هاتيكَ الشفاها
هِىَ لى وحدى حَلالٌ سائغٌ وبِعُلْكيها فؤادى يتباهى
رَبطتْ ما بيننا رابطةٌ أبلغتْ قوة حبّى منتهاها
لا تَسلنى كيف نُعمى.. إننى أقطعُ الليلَ ادّكاراً وانتباها
أنِسَ الليلُ فآويتَ إلى حُلكةِ الليل وأطياف دُجاها
وكأنّ الليلَ مَهدٌ ناعمٌ لشريد ضلّ فى الدُّنيا وتاها
يا نجىّ النفسِ فى خَلوتِها كن لنفسى.. أنت أقصى مبتغاها
إن يكنْ حبُّكَ ناراً تلتظى فليكن فردوسَ أحلامى لَظاها

(الزقازيق) العوضى الوكيل

والآن ، وقد تحدثت النفس ببعض كلامها ، أعودُ إلى « أدب الأسبوع » ويخيل إلى أن « وزارة الشؤون الاجتماعية » هذه التى استحدثت بعد أن لم تكن ، قد كان من فضل اسمها أن أيقظ أكثر كتابنا إلى حقيقة ملموسة كانوا يَغُضُّون دونها أبصارهم لما تلبس صاحبها من لباس الخزى والعار : وهى بقاؤنا بين الأمم أمة لا قوام لها من نفسها وأصلها وتاريخها ، وأن مركز مصر الاجتماعى والسياسى والشرقى أيضاً قد سما فى ظن الناس ولكنه فى حقيقته أقل مما يُحمل عليه من الزينة والتألق والزخرف المستجلب بالإيحاء وإرادة الاستغلال . فقد كتب الدكتور هيكل فى « السياسة الأسبوعية » عدد (١٥٢) كلمة فى « نهضة الإصلاح فى مصر » استقصى بها تاريخها وقواعدها وأغراضها من عهد الثورة الفرنسية إلى هذا الوقت . وكذلك كتب الدكتور « طه حسين » فى « الثقافة » عدد (٥٢) يقترح إنشاء « مدرسة المروءة » . وجاء « الزيات » فى ختام فاتحة « الرسالة » لعامها الثامن يشكو إلى الله : « إن كبراءنا عطلوا فى أنفسهم حاسة الفن فلم يعودوا يدركون معنى الجميل ، وإن أدباءنا قتلوا فى قلوبهم عاطفة الأدب فليسوا اليوم من كرمها فى كثير ولا قليل ، وإن زعماءنا تفرقت بهم السُّبل بتفرق الغايات ، فلكل غاية دعوة ولكل دعوة سبيل » . وكل هذه تلتقى على أصل واحد ، وهو أن الحياة الاجتماعية لا تزال تحبو فى مدارجها ، وأن « لين العظام » يُخشى أن يطول علينا بقاؤه فى صدر الحياة حتى نقعد دون شبابها ، وأن الإصلاح لا بد أن يتعجل حدوثه ... ولكن كيف يكون ذلك ؟!

وقد ساق الدكتور طه حديثه عن المروءة ساخراً من هذا الجيل الذى طبع على سفاسف الأخلاق ، وتحطمت عنده مكارم الإنسانية النبيلة ، وامتاز عظماؤه وصغاره باعتبار الأخلاقِ ضرباً من التجارة يلبِّسها الغشّ والخِلابُ والمواربة وتلقّى التاجر للبائع بالدهان حتى يكون هو فى باطنه أظلم شىء، وظاهره يتلألأ بمعانى الشرف والأمانة والنزاهة وإرادة الموافقة وتغليب منفعة المشترى على منفعته ، وغير ذلك من حيل التُّجار والسماسرة . فأراد أن يمزح ، فيدعو إلى اقتراحه إنشاء مدرسة للمروءة ليسخر من « تنازع الاختصاص » فى وزاراتنا بل فى أعمالنا كلّها . وهذا كله فى مدرجه جيد لا يحاول أحد أن ينازع عليه أو يختلف فيه ، ولكن التهكم فى هذا الدهر المائج بصنوف العذاب والبلاء لا يكاد يجدى شيئاً فى الإصلاح . وهل يظن الدكتور طه أن كل هؤلاء الذين أقامتهم الأمة المسكينة على حياطة شؤونها ومرافقها وأسباب عيشها ـ لا يستشعرون من ذلك ما نستشعر ، ولا يجدون من معانيه مثل الذى نجد ؟ أجل ؛ ولكنهم كالذى يصف هو فيما ساق من الحديث ، فمن أين يأتى الشفاء إذا كان كلُّ الطبيب هو بعض المريض ! إن أعمال الإصلاح الكبرى لن تأتى من وزارة الشؤون الاجتماعية ، ولا وزارة المعارف ، ولا غيرهما إذا بقى الشعب ينظر إلى هذه كلها ليرى ما تعمل . والرأى لا يمكن أن يتجه فى هذا الأمر إلى تسديد وزارة المعارف ووزارة الشؤون الاجتماعية وتوقيفها على ما يجب عمله باقتراحات ومذكرات وبيانات ... إلى آخر هذه الجموع . إن عمل الإصلاح الآن موقوف على شىء واحد ، على ظهور الرجل الذى ينبعث من زحام الشعب المسكين للفقير المظلم يحمل فى رجولته السراجَ الوهّاج المشتعل من كل نواحيه ، الرجل المصبوب فى أجلاده من الثورة والعنف والإحساس بآلام الأمة كلها ، وآلام الأجيال الصارخة من وراء البنيان الحى المتحرك على هذه الأرض الذى يسمى فى اللغة «الإنسان» . وليس ظهور هذا الرجل بالأمر الهين ، ولا إعداده بالذى يترك حتى يكون ؛ بل هنا موضع للعمل وللإنشاء . وكبرُ ذلك مُلقًى على الأدباء والكتاب والشعراء ، وعلى كل إنسان يحترم إنسانيته ؛ فالأدباء ومن إليهم قد وقع عليهم التكليف أن يرموا بما يكتبون إلى إيقاظ كل نائمة من عواطف الإنسان ، وإلى إثارة كل كامنة من نار الهداية المحاربة التى لا تخمد ، ولا يكون ذلك شيئاً إلا بأن يعدّ كل أحد نفسه كالجندى عليه أبداً أن تكون حماسته هى روح الحرب فيه ، فهو يمشى بها فى كل عمل ، ولو فى نقل البريد من مكان إلى مكان . إذن فأول الإصلاح الاجتماعى هو إدماج عواطف الفرد فى مصالح الجماعة على أتم صورة من صور الحماسة أي القوة التى تنبعث من الدم لتطهير الدم ؛ وهذا بعض ما نتوافق عليه مع الدكتور هيكل إذ يقول فى مقاله الذى أشرنا إليه آنفاً « لم يفكر أحد فى مشكلاتنا الاجتماعية واضعاً نصب عينيه غاية قومية يريد أن يحققها ، بل ترانا إذا فكرنا فى الأمر كان الدافع لتفكيرنا فيه عواطف الشفقة أحياناً ، والبر بالإنسان أحياناً أخرى ، وهذه عواطف قد تحمد فى الأفراد ، لكنها لا قيمة لها فى حياة الجماعة . ويوم فرض الله الزكاة فى الإسلام وقرن بها الصدقة لم يقم الشارع

ذلك على أساس العاطفة الفردية ، بل أقامه على أساس النظام الاجتماعى » .

والكتابة هى زكاة العلم ، فيجب أن تقوم على هذا الأصل الفردى المتحمس المتدفق بتياره فى أعصاب النظام الاجتماعى ، فإذا اتخذها كتابنا على هذا وتكلموا بقلوبهم قبل ألسنتهم وأقلامهم كان ذلك قميناً أن يبعث الرجل الذى سوف يضيء للحياة الاجتماعية سُدَف الجهل والضعة والبغى والاستبداد

أبو العباس السفاح أمير المؤمنين

أثار الأستاذ العبادى فى « الثقافة » عدد (٤٧) مشكلة ابتغَى حلها ، وذلك أنه وصف حِلية «أبى العباس أمير المؤمنين» أول خلفاء بنى العباس كما رواها المؤرخون من أنه كان « ذا شعرة جعدة ، طويلاً أبيض ، أقنى الأنف ، حسن الوجه واللحية » وكان « شاباً متصوّناً عفيفاً حسن المعاشرة ، كريماً معطاء » إلى نهاية ذلك من كريمات الخصال . ثم استبعد أن يكون هذا الإنسان الرقيق أهلاً لتلك الصورة البشعة الطاغية التى تخلعها عليه معانى هذا الحرف « السفّاح » من الجريمة وسفك الدّم والرغبة فى ذلك والمبالغة فيه . واحتفل الأستاذ للحوادث التاريخية فلم يجد فيها ما يسوّغ أن يكون « أبو العباس أمير المؤمنين » سفاحاً سفا كا للدماء ، وزاد أن ثقات المؤرخين كالطبرى والدينورى لم يذكروه إلا مجرداً من هذه الصفة ، ثم رجح بدليل بيانى جيد أن السفاح محمول هنا على الأصل اللغوى أى الكريم المعطاء الذي يتلف الأموال ولا يبخل بها . ولكن الأستاذ « أحمد أمين » رد عليه بعض أدلته فى العدد (٤٩) فردها الأستاذ العبادى عليه فى العدد (٥٠) وهكذا إلى العدد (٥٢) . وأنا قد أعجبت كل الإعجاب ببحث الأستاذ العبادى ، وإن كنت أخالفه كل المخالفة ، وذلك لأنه مبنى على منطق تاريخى جيد ، ولأنه أراد أن يفرق فرقاً جيداً بين كتب التاريخ وكتب الأدب القديمة من حيث الحجة فى برهانات التاريخ . فإنا نجد كتباً من أعظم كتب الأدب تحمل على الخلفاء من غث الأخلاق ما تناقضه سير هؤلاء الخلفاء كالذى يروون عن الرشيد — وهو بالمنزلة من الشرف والعلم والسياسة وطول الانبعاث للغزو والحجّ — من معاقرة الخمر والملاهى والاطلاع على الحرم واستباحة الأعراض وغير ذلك مما لا يمكن أن يصح بوجه من الوجوه

هنا ، وإنى أخالف الأستاذ العبادى ، فإنه حين رده الأستاذ « أحمد أمين » رجع عن تفسيره لفظ « السفاح » بالكرم والسخاء لغير علة ظاهرة وأصرّ على أن « أبا العباس أمير المؤمنين» لم يلقب « بالسفاح » ألبتة فى حياته ، ولا ذكر ذلك عنه أئمة المؤرخين ، وأصر مع ذلك أيضاً على أن صفات أبى العباس وحليته تنفى عنه أن يكون سفا كا للدماء ؛ ولا كل هذا ! فإن هذه الصفات لم يُروَ لنا إلا أقلها حتى يمكن أن نجعلها أصلاً يستشف خلق أبى العباس من ورائها ، وإن الرقة والدعة والجمال ولين الخلق تخفى وراءها أحياناً قسوة لا تدانيها قسوة ، كالذى يكون فى النساء ، فإنهن قد عرِفن بين الناس بالرقة « وهن أغلظ أكباداً من الإبل » وإن المرأة إذا ثارت لم يبلغ مبلغها فى القسوة (أقعد) الوحوش فى باب الوحشية ! ومع ذلك ... فهى الزهرة غِبَّ الندى ، وهى النسيم فى السَّحَر ، وهى ...

وكنت أحب أن أستوفىَ هنا القول فى تحقيق هذه الصفة لأبى العباس أمير المؤمنين ، ولكنى رأيت أن الكلام قد جاوز حده ، وأن الدليل يقتضينى إثباتَ كثير مما يخل تركه بالفائدة ، فوعدنا الكلمة التالية إن شاء الله .

محمود محمد شاكر



دراسات فى الفن

أعوذ بالله إنه « مكياج » !

للأستاذ عزيز أحمد فهمى



— ما هذا التخطيط ؟ أردت بالأمس أن تلحن فأخفقت ، واليوم تصور وتريد أن تكون رساماً ؟

— أبعدتمونى عن الألحان وقلتم كلاماً معناه : « أسكت » ، فهل تريدون اليوم أن تخطفوا من يدى الريشة فلا أصور . . . خذوها أيضاً !

— لا تُغَنِّ ولكن لا تغضب ، وارسم وسنرى فى رسمك رأياً .. فما الذى تريد أن ترسمه .. فكرة ؟ أو إنسان ؟ أو عاطفة ؟ أو عاصفة ؟ ...

— لا لا ... إنسان ، كل ما أعرفه عنه هو أنه « كاتب من الكتاب » كتب فصلاً فى عدد الرسالة الأخير يوازن فيه بين نفسه وبين سيدنا أيوب

— إذن فستكون صورته أشبه الصور بالصورة التى نتخيلها لسيدنا أيوب

— لا . . بل ستكون صورة أخرى . لأن هذا الكاتب نفسه أراد أن تختلف صورته عن صورة أيوب اختلافاً كبيراً

— وأنى لك ذلك ؟

— من كلامه هو فهو يقول : « أيوب فقد الثروة والعافية ولم يفقد اليقين ، وأنا فقدت الثروة والعافية واليقين . أضاع الله من أضاعونى ! وأيوب استطاع أن يعاتب ربه بقصيد رنان وهو فى أمان من ثورة الجمهور ، فظفر بالخلود فى عالم الفكر والبيان ، وأنا لا أملك معاتبة ربى بسطر واحد خوفاً من رئيس التحرير ، وخوفاً من شيخ الأزهر ، وخوفاً من محكمة الجنايات ، وأين لجيمة أيوب فى دنياه من لجيمتى فى دنياى ؟ كان الدينار لمهد أيوب يمون الرجل شهراً أو شهرين ، وأنا فى عهد يهان فيه الرجل إن اكتفى بالدينار يوماً أو يومين ، فمن يسلطنى على دهرى فأسجل رزاياه على نحو ما صنع أيوب ؟ وكانت الأرض لمهد أيوب بلا رسوم ولا حدود فكان الجاهد ينال منها ما يشاء كيف شاء ، وهى اليوم مقسمة تقسيما يصد المجاهدين أعنف الصدود » ... وهو قبل ذلك يقول للذين أضاعوه — فيما يظهر — « لقد أفلحتم فى زعزعة اليقين الذى كنت أفزع إليه حين تكرثنى صروف الزمان ، فأين أنتم لأشكو إليكم ما جنت أيديكم ؟ وأين السبيل إلى ترميم البناء الذى كنت أستظل به من قبل أن أنخدع بالبريق الذى أزغتم به فؤادى ... ؟ » فهلا ترى أن هناك خلافاً بين الذى يقول هذا الكلام وبين أيوب ؟

— أنا لم أقرأ سفر أيوب

— هو رجل أعطاه الله كثيراً ، فابتلاه الله ، فصبر ، فرفع الله البلايا عنه وفاز . فاختارى له ما تشائين من صوره ، وانظرى مى فى هذه الصورة الجديدة فقد يحتمل أن تشبه إحدى صور أيوب

— وأين هى الصورة ، فإنى لا أرى فى الورقة غير خطوط

— الصورة لا تزال فى الغيب وسنستدرجها معاً ... ولنبدأ بتصوير الرجل الذى فقد الثروة والعافية واليقين ... هذا الرجل ما مظهره ؟ وكيف نرسمه ؟

— نرسمه أول كل شىء فى أثواب من فقد الثروة ، وهى ليست أنيقة ولا غالية ، وهو بعد ذلك هزيل ضعيف لا قوة فيه ولا صحة ، ولا بد أن تظهر الحيرة فى عينيه ما دام قد فقد اليقين . وقد يكون بدل الحيرة جزع ، وقد يكون بدل الجزع حذر ، وقد يكون بدل الحذر قسوة ، وقد يكون بدل القسوة غيرها من سائر النزعات التى تستولى على من فقد اليقين ...

— بعد أسبوع واحد سأنشئ أنا وأنت استوديو نصور فيه العفاريت ... وما رأيك فى قوله : أضاع الله من أضاعونى ؟ أهى كراهة منه لمن أضاعوه فترسمها على وجهه ، أم هى اعتذار عن فقدانه الثروة والعافية واليقين ؟ ... فهو يريد به أن يغفر الناس له مظاهر هذا الفقدان ؟

— أظنها كراهة ، وأظن هذا الرجل مجنياً عليه ، وأظنه لو تمكن من الذين أضاعوه لأضاعهم . . .

— وأنا يخيل إلى أن قوله هذا لا هو كراهة ولا هو اعتذار

فقد نسيت أن أقرأ عليك من كلامه قوله للذين أضاعوه : خذونى إليكم فى ملاعبكم وملاهيكم ، عسانى أنسى جاذبية البؤس فى صحبة قلمى وكتابى !

— عجباً ! ... فهو إذن لا يكره الذين أضاعوه ، وإنما يريد أن يكون معهم . فلنرسم إذن على وجهه شيئاً من الغيرة ... أو لعلها سخرية ...

— سخرية ممن ؟ من الذين يريد هو أن يكون معهم ؟ لا . ليست سخرية . وهو بعد ذلك يريد أن يعاتب الله الذى هو الله معاتبة لا تكون إلا من صاحب حق عند نائل منه ، ومع هذا ، فهو يخشى رئيس التحرير ، وشيخ الأزهر ... فكيف نرسم الرجل الذى له حق عند الله ، وعلى علمه بهذا يخشى الأستاذ أحمد حسن الزيات ، وفضيلة الأستاذ المراغى ... كيف يمكن أن نتصور هذا ؟ إنى لا أتصوره !

— ولا أنا !

— ولا أى إنسان ، فأولئك الذين يقرضون الله ، ويعطون الله ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وهم يعرفون هذا من تلقاء أنفسهم لأنهم يعرفون الله ويعرفون أنهم يقرضونه ويعطونه ، ويعرفون من هو الله ، ومن إلى جانبه رئيس التحرير وشيخ الأزهر ...

— إذن فأنت تريد أن تقول إنها ناحية مبهمة فى الصورة ...

— بل أقول إنها مكياج . وإنها تشبه دعاءه على الذين أضاعوه فى الوقت الذى يريد فيه أن يكون مع الذين أضاعوه فى ملاعبهم وملاهيهم ...

— فكأنه لا أعطى الله ولا أقرضه ...

— الله أعلم ... وهو يحسب لأيوب من النعمة أنه ظفر بالخلود فى عالم الفكر والبيان لما عاتب ربه بقصيد رنان وهو فى أمان من ثورة الجمهور ... فما الذى يبديه هذا الإحساس فى وجهه من الأمارات ؟

— أمارات الفكر ، لا شك ، وعلامات عشاق الخلود ...

— كلا . فلو سئل أيوب أن يتحدث مرة أخرى عما نال من نعمة الله فى عتابه ربه ، لذكر أنها هدى ربه ، ولما ذكر بيانه ولا قصيده ولا فكره ، فما كان أيوب يسعى إلى كلام ينمقه فيحفظه الناس عنه ويروونه له بعد موته ، وإنما كان أيوب يتجه إلى الله يطلب منه أن يصلح نفسه ، وأن يكشف له عن حكمته فيما ناله من بلوى استعذبها وصبر عليها ... فأيوب الذى كانت هذى هى نفسه هو الذى تبدو عليه أمارات الفكر لا شك ، وعلامات عشاق الخلود

— فكياج هذه أيضاً ؟

ولم لا ... هذا مقال ظهر فى رأس السنة ، ورأس السنة عيد يتنكر فيه أصحابه لهواً وعبثاً . . . فلنمض مع صاحبنا هذا ، فإنه من غير شك لذيذ ...

— وهبك وصلت إلى تصوره حقاً ... فهل تجرؤ على نشر صورته ، وهو رجل لا تعرفه ، وقد يغضب عليك وأنت أحوج ما تكون إلى عطف الناس لا إغضابهم ...

— ولماذا يغضب «أيوب الثانى» من كلمتين يقولهما كاتب صغير مفضوح مثلى ... إنه لو غضب لأكد غضبه لنفسه ما أدعيه من أن صورة أيوب التى يريد أن يرسمها على نفسه إنما هى مكياج ...

— إذن فامض هداك الله ، وهداه معك ، وهدانى معكما ...

— آمين . لو كنت قرأت سفر أيوب لكنت رأيت فيه أن أيوب لم يتفجع من فقدان الثروة إلا على أنه مظهر من مظاهر غضب الله ... ولكن أيوب الثانى هذا الجديد يذكر الفجيعة فى الدنيا على أن أفجع ما فيها هو أنها أصابت دنياه فيقول : « وأين فجيعة أيوب فى دنياه من فجيعتى فى دنياى ؟ » فبأى الصور نتصورن أيوب الثانى ...

— بصورة الرجل الذى تهون فجيعة أيوب فى دنياه إلى جانب فجيعته فيها ... وأيوب على ما أظن فقد فى الدنيا من الفقر والمرض الخبز وأدنأ ما يسد الرمق ، كما فقد الملبس وأهون ما يستر الجسد .

— فهل تظنين كاتباً من الكتاب الذين يكتبون لمجلة رائجة مثل الرسالة تصل به الحال إلى هـذا ولا يعاونه صاحب الرسالة وكتابها وقراؤها ولو برغيف وبنطلون ؟ أنا لا أظن ذلك ... وهذه أيضاً مكياج ...

— إن الرجل يتكلم كلاماً يعتمد فيه على النسبة بينه وبين أيوب ، وزمانه وزمان أيوب ... فأيوب نبى ، وعاش فى عصر أوفر رغداً من عصرنا ...

— وهذا هو الذى يقوله هو... ولكن لا تنسى أنه يوازن بين نفسه وبين أيوب من ناحية واحدة فقط ، وهى هذا الشقاء الذى

يفرض أنه قد مَسه ، وينسى بعد ذلك لأيوب بقية نواحيه وأولها أنه لم يكن يعرف « المكياج » وهى ناحية أساسية فى أيوب وفى كل من يريد أن يكون كأيوب .

— فلندع هذه أيضاً ...

— ولنر إلى قوله إن الدينار والدينارين ...

— لا لا ... فلندع هذه ... فإن الكاتب من الكتاب الذى يشعر بأن الإنسان يهان فى هذا المصر إذا اكتفى بالدينار فى اليوم أو اليومين ... فهو من غير شك قد رحمه الله من إهانات يا لها من إهانات لو لم يكن ينفق الدينار فى اليوم أو اليومين ... كان الله فى عون الكتاب وغير الكتاب من أبناء اليوم الذين ينفقون الدينار فى الأسبوع أو فى الشهر أو فى العام ... إن هؤلاء هم الأيوبون

— بعدها يا سيدتي قوله : ومن يسلطنى على دهرى فأسجل رزاياه على نحو ما صنع أيوب ؟ فهو لا يسجل على دهره الرزايا إلا إذا سلطه على الدهر أحد ، على الرغم من قوله إن الدهر أوجعه وأشقاه ... فكيف نصوره أمام الدهر ؟

— لو كان خائفاً من الدهر لكان قد سكت على الدهر ولم يناوشه ولم يصارحه العداء ، ولو كان هاجماً على الدهر لما عبأ بالدهر ولما طلب الذى يسلطه عليه ويمكنه منه ، فلا هو خائف ولا هو هاجم ...

— فماذا يكون إلا أنه صاحب سياسة مع الدهر حكيمة فهو لا يهاجمه على الرغم من عدائه له انتظاراً لمن يسلطه عليه ؟ ...

— ولكنه على هذه الحكمة يصارح الدهر بالعداء ... وليس من الحكمة فى شىء أن يصارح الإنسان عدوه بالعداء وهو عاجز عنه خائف منه ...

— فهذه الحكمة أيضاً مكياج أو هذه الصراحة هى المكياج . . والله أعلم ... على أنه قد خطرت لى الآن صورة مضحكة قد تجتمع فيها ملامح هذا الاضطراب كله : فى الريف عندنا ناس يسلطهم الأعداء على أعدائهم ... فيكرهون ويعادون ويحاربون ويقهرون ؛ تبعاً لما يوحى به إليهم من يسلطهم . . . وهؤلاء من كثرة تدربهم على التسلط والتسليط أصبحوا يتسامحون فيما ينالهم هم من الأذى فلا يأخذون بالثأر لأنفسهم ولا يستردون حقوقهم، لأنه لا أحد يسلطهم إلا على أعدائه هو لا على أعدائهم هم ... فما رأيك ؟

— ولكن هذه لا يمكن أن تكون صورة كاتب من الكتاب

— إنى قلت ذلك ... فالمفروض أن الكاتب من الكتاب له رأى خاص وكيان خاص وتفكير خاص ؛ وهو يموت ولا يحتمل أن يسلطه إنسان على شىء ...

— ولكن كيف ذكرت الريف وأنت لست منه ولم تحل به إلا خطفات ؟

— لعل الذى دفع صورة الريف إلى ذهنى هو قول صديقنا : وكانت الأرض لعهد أيوب بلا رسوم ولا حدود ، فكان الجاهد ينال منها ما يشاء كيف شاء ، وهى اليوم مقسمة تقسيما يصد المجاهدين أعنف الصدود ... فالأمر الذى لا شك فيه هو أن ذكر الأرض يكثر على ألسنة الريفيين .

— ولكن الرجل ذكر بعد الأرض البحار فقال إنها كانت مصادر خيرات ، وذكر السماء وقال إنها كانت مساقط غيث ومذاهب نسيم وهذا هو ما يدعونى إلى القول بأنه كاتب من الكتاب يزن الكلام ويوازن المعانى ، أفكنت تريدين أن يسكت عند ذكر الأرض فقط فتكون منه هذه هى الواحدة التى يهمل فيها « الماكياج » ؟ إنه كاتب من الكتاب ... وهو إلى أنه كاتب يرى نفسه مجاهداً ، وكان يجب أن تكون الأرض بلا حدود ولا رسوم لينال منها المجاهدون — وهو منهم — ما يشاء كيف شاء . . . إنه يريد الأرض ويريد أن ينال . . . والآن أرشدينى وقولى لى كيف تكون صورة هذا الكاتب الصديق ... هل تستطيعين أن تبحثى لى عن « موديل » له أرسمه ...

— لا ...

— وأنا قد بدأت واعترفت بالعجز، ورسمت هذه الخطوط التى رأيتها فى الورقة فلم ترضى أن تقرى فى البدء بأنها صورة إنسان...

— ولكن هذا الذى رسمته يا شيخ ليس صورة ما. أعوذ بالله

— هى صورة ، ولكنها مرسومة بالأسلوب « المودرن » ... وكم أحب أن أعرف رأى صاحبها فيها — من غير غضب — وعليه منى السلام ومن الله الرحمة والبركات .

عزيز أحمد فهمى



قانون نيوتن الثالث

وارتباطه بحياتنا العامة

للأستاذ ابراهيم زكى أباظة

إن معظم القوانين الطبيعية التى وصلنا إليها كانت نتيجة تجارب جاءت إما عفواً ، وإما استنتاجاً من قوانين أخرى سابقة. وكثيراً ما عد العلماء ورجال البحث أهمية القانون بتعقده وصعوبة الوصول إلى الحلول التى كشف عنها أكثر مما يلعبه من دور هام فى مناح مختلفة من حياتنا العامة، سواء أكانت هذه النواحى مباشرة فى ظهورها ، أم غير مباشرة فى تأثيرها . ولعل الشهرة التى يتمتع بها السر إسحاق نيوتن تتمركز فى المكان الأول على قانون الجاذبية العام الذى وضعه ، ثم ما تفرع عنه من مشاكل ومسائل طبيعية ورياضية جعلت صاحبه من أعاظم الرياضيين .

فنى نفس الطريقة التى كشف بها قانون الجاذبية العام عن مظاهر طبيعية عدة ، كان الإلمام بها يُعد قديماً من عمل الخوارق . كذلك يمكننا بواسطة عدة تحاليل علمية ومنطقية أن نتوصل إلى أن قانون « نيوتن الثالث » ، لا يترك ناحية من نواحى حياتنا إلا وله فيها تطبيق وعمل . وعلى مدى مرونة هذا القانون تُبنى أهميته وتجعله فى مقدمة القوانين العامة التى تشترك بها جميع العلوم .

ينص هذا القانون على أن لكل فعل رد فعل مساوياً له وفى عكس الاتجاه :

فإذا تكونت فى جسم ما قوة من نوع (سالب) عندئذ وجب وجود قوة معاكسة ومساوية لها من نوع (موجب) . فإذن وجود الواحدة يعنى وجود الأخرى أو الإثنين . فإذا لاحظنا الأمور التى تجرى أمامنا، وتبصرنا كل جسم وحيز ، كل جماد وحى، وكل غاز وصلب ، وجدناها تقع تحت مؤثرات تختلف باختلاف أنواعها ومصادرها . حتى الفكر والعلم والزمن وكل شىء معنوى تتجاذبه مؤثرات متعاكسة النوع تؤثر فيه حسب ناموس قديم متناسق تناسقاً منطقياً يستند على هذا القانون ؛ وهذا هو التفسير الذى نبنى عليه هذا البحث

فلو أراد شخص رفع ثقل عن الأرض كحجر بواسطة حبل فاقتلعه بقوة لاتقطع الحبل ، لأن قوة كبيرة تساوى القوة التى بذلها الرجل فى الرفع قد وجدت فى الحجر، ولكنها تسير مضادة للأولى، وهكذا تتكون قوتان متعاكستان فى المفعول فينتج عن هذا التدافع العكسى تأثير على الحبل يتناسب مع حدة هاتين القوتين المتحاربتين فينقطع. ولكن لو رفع بلطف لما انقطع ، لأن القوتين اللتين تعملان فى اتجاه معاكس تخف وطأتهما على الحبل لدرجة يستطيع تحملها بعكس ما يحدث فى الحالة الأولى

هذا مثل من أمثلة عديدة لها أهمية خطيرة فى علم الطبيعيات . ولا أظن أن تطبيق هذا القانون فى بقية العلوم إلا كاشفاً عن أسرار تساوى أخواتها فى الطبيعيات إن لم تفقها .

لقد أثبت علم النفس أن الشرير مهما تمادى فى شرّه ، وأن المرأة الساقطة مهما تطرّفت فى انحطاطها، يُكنان فى فؤادهما من الروح الصالح والطينة الطيبة ما يمنع قطع الأمل من إصلاحهما . فكم من متهتكة عاهر أصبحت يوماً ما من أرق القلوب وأعطفها على المظلومين والضعفاء والمرضى ، فذهبت تحمل ما بقى من حياتها وقفاً على مواساة المريض وإعانة الضعيف . فبمقتضى هذا القانون — وإن كان طبيعياً — نثبت أن المقدار أو النسبة المئوية من الخلق الشرير لا بد وأن يوجد مقدار مساو له تماماً ، ولكن من الناحية المضادة ، أى من الخلق الحسن المحمود. وأما تعليل تفوق عنصر على ضده فهو أن ظروف الحياة والبيئة ساعدت على نمو الواحد وعرقلت نمو الآخر بنفس الطريقة التى يبيد بها نوع من المكروبات أنثى حشرة ما ، بينما يساعد على بقاء ذكورها ، أو يقتل نوعاً من الحشرات ويبقى على نوع آخر . فإن امتد الأجل بذلك الشرير ضعفت العوامل التى ساعدت على تيقظ خصلة خلقية فيه وقتلت المضادة . عندئذ تسنح الفرصة لظهور الطرف الثانى من الكيان الخلقى الذى لبث دهراً مديداً طى الخفاء

ومما نلاحظه كثيراً وأثبته علم النبات أنك إذا بترت غصناً من شجرة فلا بد من ظهور طلع فى مكان آخر من الشجرة : أى أن العضو الذى يُساق نموه فى مكان ما يسير اتجاه نشاطه إلى مكان آخر ؛ وربما لم يصلح جذع الشجرة كله لظهور

طلع جديد بدل المبتور ، عندئذ نلاحظ أن طلعاً أو عدة طلوع برزت قرب الجذور. هذا فى أغلب الحالات وفى بعضها تحول فاعلية العضو المبتور إلى عضو آخر فتزيد فى نشاطه مثلاً كأن تزيد نضرة الورق أو نضوج الفاكهة . ونفس النظرية يمكن تطبيقها فى جسم الإنسان أو فى أى جسم حى

هذه الأمثال من حيث الظواهر الطبيعية التى فسرت حسب هذا القانون . فنستنتج من ذلك أن كل جسم فى الكون حياً كان أم جاداً يتكون من عنصرين : سالب وموجب . ففى الوقت الذى يسيطر فيه أحد العنصرين على الحالة القائمة فى الجسم يختفى الثانى ـ ولكنه لا يزال موجوداً ـ فكأن نظام تسلط الفرد أو مجموعة من الأفراد التى هى من عنصر واحد قائم حتى فى خفايا التراكيب الكونية مهما تنوعت أصنافها . وهنا تتاح الفرصة للظروف أن تقرر سيادة أحد العنصرين واختفاء الآخر مؤقتاً ـ كما فى الأخلاق ـ مع أن توازن الجسم لا يتوفر إلا بوجودهما معاً وإن نشط الواحد وفتر الآخر

ففى المثل الأول من مقالنا قلنا إن رفع الحبل بعنف أو بلطف سبب الحالة التى قررناها . فهنالك قوتان تسيران متماسكتين فى الحبل وجدنا وتركزنا فيه عند ما تم فتله. وهاتان القوتان متساويتان فى الجذب؛ وبهذا نعلل كون الحبل لا يتحرك أو لا يتحرك فى حالة عدم وقوعه تحت مؤثرات خارجية ، فتبقى القوتان ساكنتين، حتى يجىء باعث أو محرك خارجى فيثيرهما ويحمل لواحدة للسيطرة على الأخرى . ففى حالة هذا الحبل سيطرت القوة المعاكسة لثقل الوطأة فقطع، وبالتالى سيطرت القوة الأساسية التى بذلها الرافع فلم ينقطع . فالسالب والموجب إذن موجودان فى أى كيان لا يلزمه سوى باعث يثير الواحدة على الأخرى والنصر يعتمد على شدة هذا الباعث أو المحرك

وهنا نظفر بحقيقة فى علم الأخلاق على جانب من الخطورة عظيم ، إذ يمكننا تحت ضوئها أن نصلح أى خلق شاذ فى أى شخص إذا فهمنا روح هذه النظرية وسرنا فى تطبيقها بخطوات منطقية متوازنة . فإذا فرضنا أن شخصاً مصاب بمادة الحياء أو الخوف أو الاستكانة ، فما علينا إلا أن نعمل على إيجاد الظروف والمناسبات التى تكثر فيها الحوادث التى يعاوده فى أثنائها مفعول استحيائه أو خوفه مع الاستعانة فى تنبيه فكره بواسطة غير مباشرة إلى ملاحظة ما يترتب على عمله ، ولتكن هذه المصادفات متتابعة متلاحقة — ولكن بشرط إعطائه الوقت الكافى للتأمل فى أعماله — بحيث يتركز مفعولها وأثره . فما من شك مطلقاً فى أن صفة خلقية معاكسة تنشأ وتترعرع حالاً بقوة وتطرف موازيين للقوة والتطرف فى الحالة الأولى أى فى حالة وجود الاستحياء والخوف ، فتنشأ الجرأة بدل الأول والشجاعة بدل الثانى

واستناداً إلى تفسير هذا القانون والنظرية العملية التى استخلصت منه يصبح فى مقدورنا التنبؤ بعدة نظريات وآراء علمية عديدة منها ما ظهر وبرهن على وجوده فى العلم الذى يتعلق به ، ومنها ما يمكن التنبؤ به استناداً إلى هذا القانون ، إذا تحرينا فى استنتاجاتنا الخطوات المنطقية . ومن النظريات التى تنبئ بها على ضوء هذا القانون — طبعاً بصورة غير مباشرة — نظرية تركيب الذرة atome . ففى الوقت الذى عرفت فيه بواسطة التفاعلات الكيميائية بين المركبات من نوعى Polar Componnds و Nonpolar Compounds الكهارب التى تسير فى مداراتها حول نواة الذرة atom وهذه ما تسمى بال Satellite electrons عندئذ عرف وجود البروتون protons لأن الكهارب هى الشحنات السالبة والبروتونات هى الشحنات الموجبة ووجدت هذه الشحنات المختلفة بنسب متساوية تماماً فى الذرية

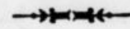
وهنالك من الأحياء فى الطبقات الدنيا مالا يزيد تركيبه على خلية واحدة تقوم فى نفس الوقت بجميع عمليات الجسم الضرورية كالهضم والتنفس والإفرازات ، ومن هذه الحيوانات ال amœba وال paramecium . فلو تصورنا وجود هذه الحيوانات ذوات الخلية الواحدة فى أقصى طرف من عمود خشبى يستدق فى طرف ويتدرج فى الغلظ وتخيلنا هذه الحيوانات الدنيا كأنها تشكل نهاية الطرف المستدق فلا بد إذن من وجود حيوانات تقابل هذه على الطرف الآخر من العمود ، وأنها تكون نهاية فى الغلظ لوجدنا أنه يتحتم وجود حيوان متناه فى قوته وجرمه فائق فى دقة تراكيبه الجسمية ووظائف الأعضاء فتكون قوته وحجمه متطرفين بل متناهيين فى التطرف بالقدر الذى تكون فيه الأميبا متناهية فى الضعف والتلاشى ودقة الحجم . فلو احتجنا إلى مكرسكوب قوى لمشاهدة الأميبا بما فيها من تراكيب غاية فى البساطة ، لأمكننا أن نتصور بل نتأكد من وجود حيوان كبير جداً يعجز نظرنا عن الإحاطة بجرمه إلا إذا ذهبنا



الأب ...

لجى دى موباسان

بقلم الأستاذ مراد الكردانى



تملقها لحظةً سنحتْ لعينيه . فقد كانت ذات جمال هادئ صارخ ، يتسلل إلى الحواس فى دهاء ولطف ، حتى إذا تمكن واستوى ، فعل فعله ، ودار فيها على طبيعته حنيناً ورغبة ونداء . ثم كان لزاماً عليهما أن يتراءيا كل صباح ، لأن عملهما كان يقتضيهما أن يهبطا باريس كل يوم مع الهابطين .

لم يكن يعرفها ، وما كان رآها ، إنما كان يجد نفسه فى كل صباح جالساً تجاه فتاة جميلة ، سرعان ما أحبها ، وسرعان ما ألفت أنوثتها فى ذهنه أنها امرأة وديعة لينة ، ضعيفة ، فشرع يغزوها كان يحملق فى وجهها ، وخديها ، نديها بشراهة عجيبة . وكانت إذ تدرك منه ذلك تحملق فيه ، فلا يردُّ عينه عنها ، فتضطرب ، ويصعد الدم وفيراً إلى وجنتيها ، فتزداد جمالاً وفتنة، فيزداد هو شوقاً ورغبة ...

ولا يدريان : لا هو ، ولا هى ، هل كان واحد منهما يحرص أن يكون جار صاحبه فى مقعد المركبة كل يوم ؟ أم هى مصادفة ساقها القدر وفّقت أن يلتقيا هكذا أسبوعاً كاملاً ؟ . . . كان لا مفر بعده من أن تجرى بينهما بضعة كلمات خفاف قصار فى ابتسامة أخف وأقصر ، لعلهن كن تتمة شكر لقاء أن آثرها وأجلسها فى مكانه فى يوم كانت العربة فيه ملأى بركابها . . .

وفى اليوم التالى تصافحا يداً بيد ، ثم تكلما ، ثم تصادقا ... ثم كانت له برغم ذلك شاغلاً يملأ خلايا مخه طول يومه وسواد ليلته ، إلى أن يلقاها ... وإنه ليرقب مشرق وجهها على فؤاده بشوق وحنين ، وإنه ليفكر فى نصف الساعة التى ينعم فيها بها ، حتى إذا بلغا غايتهما، وآن لهما أن يفترقا ، شعرَ بفراغ هائل يداخل نفسه؛ وتعاظمته تلك القسمة الحرام التى قسمت له من زمان حبيبته جزءاً واحداً من ثمانية وأربعين جزءاً ...

لمسافة بعيدة حيث نتمكن من رؤيته كله . ولهذه الحقيقة ما يؤيدها تاريخياً وهو وجود حيوان يسمى بالدينصور الذى زعم المؤرخون أنه كان هائل الجسم والبطش إلا أنه انقرض بفعل الثلج فى العصور الجليدية . وكذلك الحيوان الذى يقال بوجوده أيضاً ويسمى بالتراخودن من فصيلة الدينصور ، ويقدرون قوته وسرعته بأنه يقطع مسافة سبعة أميال بخطوة واحدة من خطاه . وفى البحار ما يقارب هذه الحيوانات كالحيتان ، فمنها ما يقابل – تقريباً – فى الكبر الأميبا فى الصغر

ولا شك أن الحيوان الذى يتمم هذا التقابل قد وجد ورتع يوماً ما على ظهر الأرض وسوف يكشف عنه العلم والتاريخ يوماً ما .

هذه حقائق يمكن أن نتلمسها بالفكر والنظر البعيد . كما أنه من الممكن بهذا القانون التنبؤ بنظريات واقعية تجرى مبادئها مجرى العمل فى كل مضمار من مضامير العلم . وأعتقد اعتقاداً راسخاً أن العلم السائر دوماً إلى الأمام سوف يبرهن عليها بقوانينه وحسابه وملاحظاته وتجاربه إن لم يكف قانون نيوتن الثالث للبرهنة عليها بصورة حاسمة

كما لا شك فى أن ما نجده من تناقض واختلاف – حسب ما نعتقده – سواء فى مجرى الأحداث الطبيعية أو شتى شؤون الحياة المتنوعة أو طباع الناس وأخلاقهم ، لا نجد له تعليلاً منطقياً غير الرجوع إلى هذا القانون . ولو نجحنا فى بعض الأحيان فى إيجاد تعليل إلا أن المصدر الأعلى الشامل لتعليل جميع ما نرى من متناقضات وأضداد فى مجرى الطبيعة والحياة اليومية وسَير التاريخ العام هو هذا القانون الخالد ما خلد صاحبه

(نابلس) ابرهيم زكى أباظة

ولما توثق ما بينهما اشتهى أن يكون وإياها رجلاً مع امرأة ؛ ولعلها اشتهت مثلما اشتهى لأنها قالت له فى صباح يوم سبت من أيام الربيع ، وهما يتواعدان أن يلتقيا غداً فى مطعم فاخر :

— قبل أن نذهب أحب أن أقول لك كلمة ، وأمامنا عشرون دقيقة نستطيع أن نقول فيها كلمات ...

وتغافل هو عما أحسه من اضطراب جسمها واهتزاز ذراعها فى ذراعه وهى تلقى إليه قولها ، قالت فى صوت خافت :

— أحب أن تعلم أنك ستطوى نهارك مع فتاة شريفة لا تحب أن تذهب مع رجل حتى يتعهد باحترامها ...

وتوهج خداها وحرّت أنفاسها وتمنّف اضطرابها ، فلم تملك أمر نفسها فسكتت ، وسكت هو لا يدرى ماذا يقول فقد كان فى حسابه أنه سيمتع نفسه بكل ما يمكن أن يفعله رجل يحب فتاة . وإذ لم يحر جواباً ثنّت هى تقول :

— إننى لن أذهب معك حتى تتعهد باحترامى

***

ولما برحا المطعم الموعود سارا معاً على ضفة النهر يمتعان أعينهما بالماء الحالم فى هدأة الأصيل وبالجو السجسج الدافئ . وكانت لمعة الضوء تتكسر على صفحة الماء الحانى ، والأسماك تتواثب وتتلاعب ثم تنغمر فى الماء . وأشعة الشمس تسيل فتصبغ الماء والحشائش والأفق بلون رهيب . . . كان كل ذلك يزيد من جمال النهر ويكسبه روعة وجلالاً

وتفاعلا فى روعة هذا الجمال الضافى فراحا يلعبان ويثبان . وراحت هى تشتبك فى ذراعه ثم تتركه لتدفعه من ظهره . ثم تجرى منه ضاحكة ثم تُؤامنه لتنحنى فتجمع له الزهر النامى على حافة النهر وتقدمه له أو تلقيه فى الماء . وظلا هكذا ـ كطفلين غريرين ـ حتى جرت دماؤهما. ثم سارا هادئين لحظة لأنها بدا لها أن تقول له:

— ماذا تظن فىّ وقد جئت معك منفردة !

— إن هذا أمر عادى مألوف

— لا . ليس عادياً ولا مألوفاً ، ولكنى مع ذلك لا أظن أننى أكره مثل هذا الطيش ، ولى أم مريضة ومتعبة كانت أولى بوقتى هذا ، ولم يكن يليق أن أتركها وألهو ولكن ... ولكن أرجو ألا تسىء بى الظن

ولم يكن لديه جواب لهذا الخلط الذى لم يفهمه سوى أن مال عليها فقبلها قبلة أخطأت خدها وأصابت أذنها . فنفرت منه كظبى مذعور وتغاضبت عليه . ولم تطل . . . بل أقبلت عليه تذكره بوعده لتمهد أن يعودا ـ كما كانا ـ مرحين لا عبين

وكان الهواء قد رق وصفا . وسرى عِطرىّ الروحة والغدوة يحمل فى طواياه هبته شذاً قوياً يدير الرأس حين يدور فيها عند ما بدت لها من بعد حديقة لفاء يحبو تحتها ماء النهر، وتذهّب ذراها أشعة الشمس الغاربة ، كانت تبدو من بعد كسرادق مظلم أو ككهف عظيم . ولما قارباها أخذت هى تحدّق فيها بعين بارقة مفتوحة ، وقالت فى صوت خافت كأنه يأتى من أعمق أعماقها

— ما أجلها ... ما أجلها !

ولما اقتحماها وسارا فيها بلغا فيها خباء بين دوحتين فارعتين لا تبلغه العين ، ولا يبلغه الضوء ، إلا قطعاً نثاراً كنقوش الثوب، وملأت رأسيهما فيه ريحٌ عطرة مثيرة قوية ! فجلسا حالمين تائهين ... ثم تقاربا فى بطء وسكون ، ثم تضاما ، ثم عصفت بهما نار الرغبة فلم تملك إلا أن تحس فمه بشفتيها . فجعل يعتصرها بجنون ، ويضمها إلى صدره بشوق وقوة وعنف ، وقد غابا ونسيا نفسيهما ... !

***

ولما أفاقت لم تكن تريد أن تصدق ... ثم أخذت تصيح وتصرخ . . . ثم هدأت لتبكى . . . ثم لما فرغت لم ترد أن تسمع لكلماته وهو يفرغها فى أذنيها ليخفف عنها ما بها من جزع وأسى ، بل جعلت تهتف فى صوت خافت ضعيف :

— رب ماذا فعلت ... ماذا فعلت !

وساوره الخوف والفزع مما رأى من حمرة خديها وعمق عينيها وجعل يرتمد وهو يرجوها أن تبقى ليتفاهما ، وليدبرا الأمر على

قانون الواقع ولكنها تركته دون كلمة أو وداع ...

***

ولما لقيها فى اليوم التالى ألفاها ساهمة شاحبة ظاهرة الأسى ، كأنها خالصة من أعقاب مرض طويل أضناها وذوّب قواها . قالت له حين تصابحا فى همس :

— أريد أن أتحدث إليك قليلاً ...

ولما انفردا قالت له فى ألم وجد :

— إنه ليحسن بنا أن نفترق ، فإن من الخير ألا نلتق بعد ذلك ، وبعد الذى كان لا أحب أن أراك لأننى كنت ضعيفة ومجنونة ، فليس هناك ما يبرر أن أعود لهذا الجنون وذلك الضعف مرة أخرى !

فجعل يتوسل إليها أن تلحق به وهو يؤكد لها أنه سيصلح ما أفسده . وأنه سيتزوجها إن شاءت ومتى شاءت ولكن عبثاً ما حاول فقد رفضت أن تسمع له وتركته ومضت

ولم يعد يراها . ومر أسبوع وأسبوع ، ولم يكن يعرف مأواها ، ولعله أيس منها أو لم يقطع فى أمرها بأمر ، لأنه ذهب مرة يفتح الباب لطارق فوجدها هى . وأثلج صدره أن شعر بها فيه ، تملأه وتهدهده ، ورأى ذراعيه قد التفتا عليها ، وجعلتا تضغطانها فى رفق وشوق ...

وعاشا معاً ثلاثة شهور شعر بعدها بالملل منها ، فتهابط حبه لها وشغفه بها ، ونقصت رعايته إياها وعنايته بها ... ثم جَبُن وتَساقل حين ذكرتْ له أن جنيناً يَتواثبُ فى أحشائها فكأنما كان هذا النبأ عصاً ألهبته ، لأنه فرّ من وجهها مسرعاً لا يلوى . واختفى ... لا حذرها ولا أخبرها إلى أين ... ولا هى ارتضت لنفسها أن تبحث عنه

لقد طاوعت كبرياءها فلم ترد أن تفعل ، ولم تجد فى وُسع عينيها سوى أمها ... فتهاوت فى صدرها حزينة باكية تشكو لها بثها ، وترجو عندها الستر والصفح والسلوى ...

***

وفى الجانب الآخر عاش الخاطئ المسكين عيشة مضطربة قلقة سمجة ، لا معنى لها ولا غناء فيها ... عاش وحيداً منعزلا ، لأن عليه أن يعيش ... كانت الدنيا فى عينيه مظلمة قاتمة سخيفة لا خير فيها . ولو لم يكن لديه إلا عمله يرى فيه بضعة وجوه لمات كداً ومللاً ... فتخامد شبابه وانطفأ نور حياته فى حضيض خطيئته . وغدا على الدنيا شبحاً يود لو ينتهى

وكان يقسو عليه ألمه أحياناً فيضيق بوحدته فيخرج فى آصال أيام الأحد ليسير ثقيلاً متباطئاً ، وما هى إلا خطى معدودة حتى يجلس ملولاً ضيق الصدر ، ليرى الأسر السعيدة مغتبطة هانئة بأطفالها التى تجرى حولها بوجوه ضاحكة مستبشرة . وكان هذا المرأى فى ذاته يزيد ألمه وحزنه ، ويسلمه إلى شعور عنيف يستبد به فيشعر أن قلبه ينسحق تحت معول ضخم ، فلا يملك لنفسه إلا أن يطرق ويصمت

وفى ذات صباح وكان يسير شريداً مضيَّماً ، لمح امرأة تتهادى بين طفلين يلعبان حولها، أما أحدهما فطفل لم يجاوز الرابعة، وأما الثانى فغلام تشرّف على العاشرة

اهتز حين رآها وداخله نحوها شعور ما ، ولما لم يكن مخطئاً جد ولم يستطع حراكاً ، فقد فَقَدَ هيْمنته على نفسه ، ولم يعد إلا عيناً تدور وراءها وتتابع حركاتها . وازداد يقينه حين شعر بحنين عنيف يثور فى صدره نحو أكبر الطفلين عند ما التفت مرة فوضحت ملامحه ...

فى تلك الليلة لم ينم ، فقد سهّده أمل أشرق ثم خبا . فبات فريسة تفكير مضن طويل : تُرى هل هذا ابنه ... وهل هى هى ... ؟ وإذا كان فماذا أستطيع أن أفعل ... ؟

وزاد بلاؤه أن طُمِس على ذهنه فلم يدر ماذا يستطيع أن يفعل ... ولكنه غَنِمَ أن عرف أنها تزوجت رجلاً من جيرتها وكان شهماً فاضلاً غفر لها واعترف بابنها وعُنِى بهما ...!

وكان إشراق وجه ابنه فى سماء حياته المظلمة ألماً جديداً فوق آلامه ، إذ أشعره ذلّ الوحدة وعذاب الحرمان ، فاضطرب اضطراباً شديداً ، وامتلكه اليأس والأسى ، وأصبح لا يرجو إلا أن يضم ابنه إلى صدره ويقبله ليشبع منه شوق السنين، وليطفئ

لوعة الحرمان التى شبت فى نفسه فنطت آلامه جميعها

وقام فى ذهنه أن يعترض طريقها ، فأسرع نحوها فأخذها من كتفها ؛ فلما التفتت إليه صرختْ صرخة رعب مكتومة ، وحنتْ على ولديها فطوّقتهما وأسرعت تجرى بهما

ومر شهران يئس فيهما أن يراها أو يرى ولده . وحنق على نفسه أن حرمها رؤية ولده ولو عن بُعد . فجعل يكتب لها . . . كتب لها نحو عشرين رسالة لم يتلقّ رد واحدة منها ! فأحس مرارة الخيبة تمور فى ألم الحرمان فترهقانه وتعذبانه عذاباً أليماً

ولما يئس أن يراها فكر وقدّر ، ثم فكر وقدر ، فلمعت له فى ظلمة يأسه خاطرة هى أن يكتبَ لزوجها... ولما جاءه الرد أنه يسره أن يلقاه فى مساء يوم معين لم يكن بأسعد حالاً مما لو كان أهمله كما أهملته هى من قبل . فقد كان دَقُّ قلبه — وهو يصعد الدرج — سريعاً مزعجاً . وكان ينتزع رجليه انتزاعاً ويراود نفسه — وهو صاعد — أن يرجع !

وكانت ثيابُ الرجل السود ورهبته فيها وسحنته المتزنة الوقور التى طالعه بها . . . كان كل ذلك قد خلع قلبه وطير ما بقى له من قوة واتزان . وحين أشار له الرجل أن يجلس ، جلس متداعياً مذهوب العقل ، صائماً ...

قال الرجل فى لهجة عميقة ورنة آسفة :

— إن زوجتى حدثتنى عنك ...

فرد يقول فى صوت خفيض متقطع :

— إننى يا سيدى غير سعيد لأننى لا أستطيع أن أرى ولدى

وهب الرجل فنادى ... فدخل غلام فى نحو العاشرة مسرعاً إلى الرجل الذى يعيش معه على ظن أنه أبوه ... ولكنه وقف فجأة حين انتبه إلى أن بالحجرة رجلاً غريباً ...

وقبله أبوه قبلة كلها حنان وعطف . وقال له مشيراً :

— إذهب وقبل هذا السيد الجالس هناك . وسار الطفل نحو « السيد الجالس هناك » وئيداً خجلاً ، ضيق الخطى . وأحس هو ـ وطفله مقبل عليه ـ أن دُوَاراً شب فى رأسه حين نظر إلى عينى ابنه وهما تطالعانه وتنظران إليه

وقام الرجل (صاحب البيت) فدار على نفسه واتجه صوب النافذة ، حين وافى الولد أباه ، وحين فتح له هذا ذراعيه فاحتواه فيهما ، وحين أخذ يقبله بجنون فى شعره وعينيه وخديه وفمه وذقنه وكل وجهه ، وحين انزعج الطفل من هذه القبلات المنيفة وأراد أن يتحاشاها ويبعدها عنه ، وهو يدير رأسه إلى كل ناحية ليتخلص منها فلم يستطع ، لأن الذراعين اللتين أحاطتا به قد تصلبتا عليه ....

.... ثم تراخيا عنه ، لأن رقة قلبه شاعت فى كل جسمه ، فرَّجه وتركه ، ليمسح دموعاً انسابت من عينيه ، ونهض صارخاً يقول :

— وداعاً ...

وأسرع فنزل الدرج قافزاً كالهارب ، وحين احتواه الطريق انغمر فى الظلام كاللص .

مراد السكرانى



هذه الحرب ستزيل الحرب

[ملخصة عن « نورتاجلى »]

منذ أربعين سنة كان الناس يظنون أن الحروب الدولية هى الطريق الطبعى الذى يدل عليه المنطق وتستحث إليه البطولة فى فض المنازعات . فإذا قتلت إنساناً — وكثيراً ما يحدث هذا — فأنت تقتل شخصاً أجنبياً عنك . أما الحروب الأهلية ، فقد كانت من الأعمال الممقوتة ، لأن القتل فى هذه الحروب كان بمثابة قتل الإنسان لأخيه ؛ فكانوا يعدونه خروجاً عن حدود الطبيعة لا يصح أن يقترف على وجه الإطلاق .

وقد كنت مخالفاً لهذه الفكرة منذ عدة سنين . فلم أعتقد فى ذلك الحب الأخوى المزعوم ، ولم أظن فى يوم من الأيام أن الإنجليزى أحق بالحب من الفرنسي ، أو الألمانى ، أو الأميركى . إن الإنسان حر فى أن يحب هذا أو يكره ذاك . ولكنى أعتقد أن الحرب الأهلية أقل خروجاً بنا من الحدود الأخلاقية من الحرب الدولية لسببين :

السبب الأول : هو أن النضال فى هذه الحرب لا يقوم لأجل انتزاع الأرض ، أو الاستيلاء على المعادن ، أو التهافت على السيادة وإنما يقوم على فكرة أو مبدأ .

والسبب الثانى : أن تلك الحرب ، حرب شعبية ، وثورة ضد الحكم السيء ، تترك فيها الحرية لرجل الشارع فى اختيار الناحية التى يريد أن ينحاز إليها .

ويخيل إلى أن الحرب الحاضرة هى من نوع الحرب الأهلية فهى حرب مبادئ ، هى ثورة يناضل فيها الألمان إلى جانبنا ، أو نحن نناضل إلى جانبهم لمكافحة نوع من الحكم الذى لا يطاق

فليست هذه حرباً دولية ، ليست حرباً بين حكومتين ، ولكنها حرب بين نوعين من أنواع الحكومات ، حرب بين الديمقراطية والدكتاتورية ، أو بعبارة أخرى هى حرب بين الحرية والاستعباد

لقد كتب كثير من اللغو عن كلمة الحرية . وأنا أقرر هنا أن الحرية المطلقة أمر ليس فى الإمكان . فأنا إذ أقول إننى حر فى أن أكتب ما أشاء — هنا — فلا أستطيع أن أكتبه فى ألمانيا أو إيطاليا أو روسيا ، لا يصح أن يقال لى أن الصحافة هنا فى أيدى أصحاب رءوس الأموال ، وهم لا يسمحون لك بأن تنشر إلا ما يتفق وأغراضهم . فأنا حر فى أن أكون من الرأسماليين ، وأخرج صحيفة خاصة بى إذا استطعت ، وأنا حر كذلك فى أن أنشر آرائى فى كتاب خاص إذا وجدت الناشر ، والناشر حر فى أن يقبل أو يرفض نشر هذا الكتاب . وأنا حر فى أن أصبح فى شلالات نياجرا إذا لم تحد من حريتى قوة المياه المتدفقة . فالإنسان لا يكون محروماً من الحرية إلا إذا حرم القدرة لفعل كل ما يريد

فالحرية التى يزدهر نجمها فى البلاد الديمقراطية هى حرية الروح، هى حرية الفرد فى أن يفعل ما تؤهله له كفاياته وظروفه الشخصية إذا لم تصطدم وحقوق غيره ممن لهم الحق كذلك فى الاستمتاع بحرياتهم ، وتلك ليست بالحرية الكاملة . فالحرية الكاملة شيء لا وجود له . وكذلك نحن نحارب هتلر لأنه يزعم لنفسه الحرية التامة فى أن يفعل كل ما يريد . فهذا نوع من الحرية ترى الحكومات الديمقراطية أن من واجبها أن تكافحه بكل ما لديها من قوة لأنه يتعارض وحرية الأمم المجاورة له

لقد عدنا إلى حياة الغابة اليوم ، لأن هتلر يريد ذلك . أليس هذا نوعاً من الجنون ؟ فإذا كان فى العالم أمة تخضع لشخص واحد أوليس من الجنون أن يبقى شبحه مهدداً للسلام

إن فكرة الحرب مقضى عليها إذا ارتفعت كلمة الشعب . فإذا كان الأمر على النقيض ، وكان صوت الأوتقراطية هو المسموع فسوف لا يرتاح العالم من شر الحروب

إن طريق السلام عسير ولا شك ، ولكنه واضح النهج بادى المعالم ، يراه كل بصير

لا هتلرية فى أرضه الوطن

[ملخصة عن « سبكتاتور ، لندن »]

لم يمر على البرلمان ولا على الصحافة وقت أصبحت فيه المهمة الموكولة إليهما فى حاجة إلى عناية ويقظة كالوقت الذى نحن فيه . ومما لا شك فيه أن الديمقراطية لا تقدم على الحرب إلا إذا أفرغت كل ما لديها من الوسائل لاجتنابها . إذ الحرب وعلى الأخص الحرب العصرية — لا تخلو من خسارة موقوتة تقع على الديمقراطية نفسها . فالحكومة فى هذه الظروف على ثقة من أن حالة الحرب ستبرر كل ما تطلبه من النفوذ الدكتاتورى ، ومن ثم تعمل تحت تأثير هذا الشعور . فالحرية الشخصية يجب أن تحد إذا دعا الداعى

إلى التعبئة ، وإعداد العدة لحماية الوطن من الأعداء . وسائر قوى الشعب يجب أن تكون واحدة لنظام معين ، تسير عليه مجبرة إذا اقتضى الحال

هذه حقيقة لا جدال فيها . ولكن هل معنى ذلك أن قبول الحرب أو الدخول فيها يقضى على الديمقراطية ، ويمحو وجودها بحيث يصبح الشعب البريطانى كالشعب الألمانى خاضعاً خضوعاً تاما للدكتاتورية العمياء ؟ الجواب لا ، بلا شك . فهذه الأمة لا ترجو يوماً من الأيام أن تعمل على رفع مستواها الحربى بتوجيه النقص إلى تلك الميزات التى كانت مصدر قواها وفخارها أيام السلم

إن العقلية الانكليزية ليست كالعقلية الألمانية . فالألمانيون سواء فى الحرب أو السلم لا يكرهون الاستعباد ، ويريدون أن يكونوا على الدوام تروساً فى الآلة الحكومية التى يديرها الحاكمون

ولكنا لا نستطيع أن نستغل الشعب البريطاني إذا حاولنا أن نعامله على هذا النحو من المعاملة . فالانجليز يفهمون روح التعاون الرياضى فهم يقادون ولكن لا يساقون . فإذا أردنا أن نفوز فى هذه الحرب فلن يكون ذلك بمحاكاة الروح الألمانية . ولكن بالمحافظة على روحنا الخاصة ، وتنمية فضائلنا المتأصلة وإذكاء روح الحرية وتوجيهها ضد قوى الاستعباد

إن الحرب تجابهنا مرة واحدة بنقائض الديمقراطية جميعاً وهى فى أشد أحوالها . فالحالة تقضى بأن يساس أبناء الأمة بشىء من القوة ، ولكن دون أن يفقدوا هم سياسة أنفسهم . ولحل هذه المشكلة لجأت الحكومة إلى وجهتين : الأولى هى الاحتفاظ بالحياة النيابية كاملة ، وإعطاء الأعضاء الحرية التامة فى مناقشة كل شىء . والثانية : حرية الصحافة ، ولم يسىء البرلمان ولا الصحافة استعمال هذه الحرية . بل لقد كان الأمر على نقيض ذلك ، فقد ظهر كل منهما — وعلى الأخص مجلس العموم — عزمه الصحيح على توحيد الرأى، والعمل على محو كل اختلاف، وقبول كل تضحية فى سبيل المصلحة العامة .



اتحاد دولي لضمان السلام

إفتتحنا العدد ٣٣٦ من الرسالة الذي صدر بتاريخ ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٩ بمقال عنوانه (سياسة السمك) قلنا فيه إن الدويلات الصغيرة ليس لها بعد انتصار الديمقراطية إلا أن تنظر « في يومها وفي غدها فتعالج ضعفها بما تعالج به الطبيعة ضعف النمل والنحل وهو التجمع والتكتل والتعاون ، فيكون بين البلدان المتجاورة كدول البلطيق وأمم البلقان وشعوب الإسلام شبه ما بين الدول المتحدة في أمريكا من اتحاد السياسة الخارجية والدفاع العام والدستور المشرع والرئيس الحاكم . وإذن لا يبقى على الأرض أمة صغيرة يقوم على استعمارها النزاع ، ويميل من جرائها ميزان السلامة » ثم ضربنا مثلاً باتحاد بلاد الوطن الإسلامي الأربعة عشر، وقلنا بعد أن ذكرنا الخطأ الذي قام عليه صلح (فرساي) :

« سيفكر الحلفاء الديمقراطيون متى جلسوا إلى مائدة الصلح فيما جنوا من (عصبة الأمم) ويقررون إذا وفقهم الله أن ينشئوا السلم العالمية الدائمة على قواعد من التركيب لا من التحليل، فيؤلفوا من الأمم الصغيرة المتقاربة في الوطن والجنس والمنفعة اتحادات مستقلة، تتحد في الرياسة والحكومة والدستور، وتشترك في الدفاع والسياسة والعمل ، ثم يربطوا بين الدول العظمى والاتحادات الكبرى بروابط وثيقة من الاقتصاد العادل الذي يضمن لكل أمة سداد عوزها من خير الله وغلة الأرض . . . »

ذلك ملخص ما قلناه في ذلك المقال . ومن توارد الخواطر أننا قرأنا في عدد الهلال الذي صدر في أول يناير من سنة ١٩٤٠ صفحة ٣٥٧ أن الكاتب الصحفي الأمريكي (كلارنس سترايت) أصدر كتاباً سماه (الاتحاد الآن) دعا فيه إلى إنشاء ولايات متحدة عالمية على نسق الولايات المتحدة الأمريكية . فهو يقترح أن تتحد الدول الديمقراطية الخمس عشرة معاً ليتألف من جميع شعوبها شعب واحد له حكومة واحدة وبرلمان واحد وقوة حربية واحدة » ثم ذكر الديمقراطيات الخمس عشرة كما ذكرنا شعوب الإسلام الأربعة عشر ، ثم قال : « وتحتفظ هذه الدول بملوكها ورؤسائها ووزرائها كما تبقى على لغاتها وثقافاتها وكتبها التاريخية وألويتها المميزة لها ، وتستقل كل منها بإدارة شؤونها الداخلية . أما جيوشها وأساطيلها وسياستها الخارجية فتوحَّد معاً في قبضة هيئة واحدة تتخذ لها مقراً في جنيف أو أتاوا » إلى أن قال : « وقد تبدو هذه الفكرة خيالاً بعيد المنال، ولكن هكذا كان الأمر قبل أن تأتلف الولايات المتحدة الأمريكية في شعب واحد وتحت حكومة واحدة . كانت هذه الولايات متعادية متنافرة ولكن حرب الاستقلال ألفتها ووحدتها. فلم لا تؤلف الحرب القائمة هذه الديمقراطيات التي تتهددها الدول الطاغية وتحاول أن تفترسها واحدة بعد أخرى ؟ »

الشيخ عبد العزيز البشري والعريان

لا تنسينْ تلك العهود، فإنما سميت إنساناً لأنك ناس
اختلاف النهار والليل ينسي اذكرا الصبا وأيام أنسي

أنشدت بيت حبيب وبيت شوقي لما قرأت هذه الجملة في الثقافة الغراء في آخر أجزائها : « لا أدري لماذا تُرك المسكين عُريانَ ، لا أثر للنقش ، ولا للكتابة فيه ؟ » . وهي في مقالة لأخينا العالم الأديب الكبير الشيخ عبد العزيز البشري عنوانها « فن الإعلان » وقلت : لقد أنسى الشيطان فضيلة الشيخ الأستاذ بيتي الألفية :

وزائدا فعلان في وصف سلم من أن يُرى بتاء تأنيث خُتم
ووصفٌ أصليٌّ ووزن أفعلا ممنوع تأنيث بتا كأشهلا

وقال صاحب (جوف الفرا) :

وكل وصف، تاه أنني لاتلي فاصرف كعريان وما كأرمل

إن العلماء لينسون ، وإن الأئمة ليخطئون ، وإنما العصمة لله ولرسوله محمد وحدهما .

« طنطا » أزهري

حساب الخطأين لا حساب الخطين

إن إحياء ذكرى ابن الهيثم من أجل الأعمال التي قامت بها الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية بالقاهرة . وقد قابله العرب في مختلف الأقطار بالشكر والرضى والتقدير ، إذ يرون فيه خطوة نحو بعث الثقافة العربية ومحاولة موفقة لأحياء علماء العرب ونوابغهم الذين خدموا الإنسانية وكان لهم فضل كبير على تقدم الحضارة .

ولقد سبق أن نشرنا عدة مقالات عن ابن الهيثم فى المقتطف والمعرفة (أيام صدورها) والرسالة . وأتينا على بعض مآثره فى كتاب « نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية » وأذعنا عنه حديثين فى لاسلكى فلسطين ودعونا (ولا نزال ندعو) إلى تمجيد علماء العرب الذين أضافوا إلى كنوز المعرفة إضافات أدت إلى نمو العلوم واتساع أفق التفكير كما دعونا إلى نفض غبار الإهمال وإزالة غيوم الغموض المحيطة بآثارهم ومآثرهم

لهذا كان سرورنا عظيما حينما قرأنا فى الصحف نبأ الاجتماع الرائع الذى عقد فى قاعة جامعة فؤاد الأول الكبرى إحياء لذكرى ابن الهيثم ، وقد شهد هذا الحفل أمير عظيم من أمراء البيت المالك الكريم وجمهور كبير من أساتذة الجامعة وصفوة مثقفة من رجال مصر ، وتكلم فيه عدد من أساطين العلم وأمراء البيان

وظهر فى الرسالة عدد ٣٣٨ الكلمة التى ألقاها الأستاذ الدكتور محمد محمود غالى فى الحفل المذكور عن (الهندسة وابن الهيثم قديماً وحديثاً) فأقبلت على قراءتها برغبة وشغف . وقد لفت نظرى اسم كتاب ورد فى الكلمة فذكر الدكتور كتاب (حساب الخطين) من بين أسماء تصانيف ابن الهيثم التى تمت إلى علم الهندسة مع أن المصادر (أخبار العلماء وطبقات الأطباء وغيرهما) لا تشير إلى كتاب بهذا الاسم، بل تشير إلى كتاب آخر موضوعاته حسابية ليس فيها شىء من الهندسة ، والكتاب الذى تشير إليه هو (حساب الخطأين) الذى يبحث فى إيضاح طريقة حساب الخطأين — وهى إحدى الطرق الأربع التى كان يستعملها العرب لاستخراج المجهولات . أما الطرق الأربع فهى : طريقة الأربعة المتناسبة، وطريقة حساب الخطأين،وطريقة التحليل والتعاكس، وطريقة الجبر والمقابلة

هذه ملاحظة بسيطة على كلمة الدكتور القيمة ، ولى من إخلاصه للحق والحقيقة ما يشجعنى على إبدائها ولفت نظره إليها

(نابلس) قدرى حافظ طوقان

تكريم الأساتذة المصريين فى كلية الحقوق العراقية

طلاب كلية الحقوق العراقية مشهورون بوفائهم لأساتذتهم فهم لا يألون جهداً فى إكرامهم وطاعتهم . وقد أقاموا أمس حفلة شائقة تسر الناظرين تكريماً للأساتذة المصريين الجدد الذين شرفوا بغداد فى هذا العام . وكان يتقدم المدعوين أصحاب المعالى وزراء الحكومة العراقية، وأمراء الجيش وقادتهم ، وقناصل الدول العربية وكبار الموظفين . وكانت الحفلة رائعة كل الروعة خطب فيها خطباء كثيرون ، وكل منهم أثنى على مصر ثناء عاطراً . وألقى الشاعر مصطفى كامل ياسين قصيدة عصماء استعيد أكثر أبياتها . وبعد أن انتهى الخطباء العراقيون تفضل الأستاذ الدكتور عثمان خليل عثمان فارتجل خطاباً ممتعاً بالنيابة عن إخوانه الأساتذة المصريين كان له أبلغ الأثر فى النفوس . وكان مسك الختام خطاب عميد كلية الحقوق الأستاذ الكبير منير القاضى . ودامت الحفلة ساعتين وانفض المدعوون وكلهم يلهجون بالثناء على عميد الكلية وأساتذتها وطلابها ضياء شيت الخطاب

عبث الناشرين وأصحاب المكاتب

زور أحد الناشرين كتاباً على الدكتور طه حسين بك وقد رأينا فى العام الماضى شيئاً مثل ذلك منسوباً إلينا وإلى الأستاذ توفيق الحكيم . وقد اشترى صاحب مكتبة الجامعة مائتى نسخة من رواية اللصوص كانت باقية لدى مترجمها الأستاذ عبده حسن الزيات . ثم شاءت ذمة التاجر أن يستبدل بغلافها غلافاً آخر كتب عليه من الصفات والألقاب ما أنكره الأستاذ واحتج عليه . وهذه حال من الفوضى المحزنة لا يليق بحماة الحق وحراس العدالة أن يدعوها تستمر .

كلبة زبير

سألتنا الآنسة فوقية كامل عن تاريخ كلبة زبد بعد أن سألت (الأهرام) فلم تجد الجواب. وقد بحثنا فيما بين أيدينا من كتب الأمثال واللغة فلم نجد لهذه الكلبة ذكراً. ويظهر أن إيراد المثل على هذه الصورة خطأ ، فإن أكثر الناس يرويه : (تحلم كلبة ميت زبد) وميت زبد قرية من قرى مديرية الشرقية فلعل أديباً من أهلها يروى لنا ما يتناقلونه من قصة هذه الكلبة البخيلة

حول مقال

سيدى الأستاذ الكبير زكى مبارك :

أحييك تحية مصدرها الإعجاب بأدبك العالى وحسن نقدك وغيرتك على اللغة العربية والدين . وبعد ، فقد وقع فى يدى منذ مدة عدد الهلال الممتاز « العرب والإسلام » ، فوجدت فيه مقالة عنوانها « تركيا المسلمة ومصطفى كمال والإسلام » بقلم الأستاذ حسن الشريف ، وفيها ينتقد اللغة العربية ويقرر أنها غير صالحة للعصر الحاضر من حيث صعوبة حروفها فى القراءة والكتابة ، وعدم قبولها للاختزال ، وتعدد معانيها . ويقول أيضاً : إن الطفل

فى المدارس الابتدائية يستطيع بعد ستة شهور أن يقرأ معظم المكتوب باللاتينية قراءة تكاد تكون صحيحة ، بينما هو لا يستطيع أن يقرأ سطراً عربياً من دون أن يخطئ فى قراءة كل كلمة . بل إننا نحن الكبار ، وقد درسنا العربية دراسة لا بأس بها لا نسلم من التعثر فى دواوين الشعر ... وقد أورد هنا بيتين من الشعر دليلاً على ذلك . كما أنه قد تعرض فيها لإلقاء مصطفى كمال للمادة التى تنص على أن « الإسلام دين الدولة » .

فأرجو من سيدى الأستاذ أن يطلع على هذا المقال ويبين رأيه فيه ، ويمحصه على صفحات مجلة « الرسالة » الغراء .

سليم الجبيرى

اختلاف الأزياء المصرية

إلى حضرات أساتذة العلم ورجال البحث والتاريخ أتقدم إلى ساحة علمهم بالسؤال الآتى وهو : « ما سبب اختلاف زى المصريين » ؟

إن الناظر إلى الزى المصرى يرى أن له أشكالاً عدة وأنواعاً مختلفة سواء فى ذلك ما كان خاصاً منه بالنساء أو الرجال حضريهم وريفيهم ، حتى ليختلف زى ريف عن آخر . فنرى أن ما تتحلى به زوج السويفى أو المنياوى ترفضه زوج المنوفى أو الشرقاوى . وقل مثل هذا فى أنواع البرد والملاءات حتى فى الأحذية

ولقد شغلت ببحث هذا الاختلاف عدة سنين غير أنى لم أوفق توفيقاً يرتاح إليه الضمير . فإنى إذا رجعت إلى العصور القديمة وقابلت بين أهلها حتى العصر الحديث كما فعل العلامة حفنى بك ناصف - رحمه الله - لمعرفة أسباب اختلاف الأزياء وتعدد اللهجات المصرية ، غم على الأمر وأشكل ؛ فإنى إذا عللت مثلاً لبس العمامة الكبيرة البيضاء فى بعض مديريات الجنوب بأنها لاتقاء وهج الشمس فلا أجد علة للبس الزعبوط الأسود فوق كل منعم ومعلم من الثياب . الأمر الذى لا يتفق مع الطقس أو الطبيعة فى شىء هناك . فهل ذلك راجع إلى عادات مصرية قديمة ؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب فهل لتعدد الإقطاعيات والمديريات دخل فى ذلك ؟ أو أنه راجع إلى حالات نشأت من تعدد الفاتحين لمصر . وإذا كان ذلك كذلك فأيها بقى وأيها ذهب وما علة كل ؟

وإذا كان الجواب نفياً فهل يرجع ذلك إلى عوامل محاكاة للطبيعة والجو والحالة الصحية أو العلمية والفكرية دخل فيها ؟ وإذا كان الجواب نعم فبماذا نعلل بقاء ما لا يتفق منها مع هذه العوامل ؟

فهل يتفضل حضراتهم ببحث واف شاف فى هذا الموضوع

محمد عبد الجواد حبيب

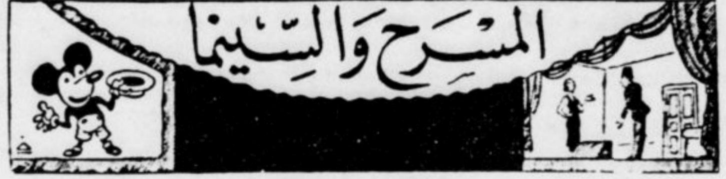
تصويب

ذكرنا حين تكلمنا عن كتاب تاريخ الطب فى العراق بالعدد ٣٣٥ أنه من تأليف الدكتورين : هاشم الأترى ، ومعمر خالد الشابندر . وصحة الإسم الأول : هاشم الوترى لا الأترى .

اختلافهم رحمة

قرأت فى عدد (الرسالة) المؤرخ ١٣ نوفبر سنة ٣٩ ، مقالة الأستاذ الطنطاوى : (من هو المسلم ؟) . والأستاذ مهما كان موضوعه عادياً لا بد أن يكسوه بقلمه البارع وإيمانه البالغ حلة قشيبة تستدعى الالتفات إليه والاهتمام به . وهو فى نظرى من أدبائنا الذين يخدمون بقلمهم الإسلام ويعملون على تجديده ، يدعم فى ذلك اطلاع على روح الإسلام ونصوصه لم يتهيأ لغيرهم ، ولذلك لا يحق لنا أن نمر بما يكتبه فى هذا الصدد مر الكرام . وبهذا النظر أحب أن تتفضل علىّ الرسالة بشطر من صفحاتها القيمة لأشارك الأستاذ فى هذا البحث وفى مسألة هامة من مسائله التى ألم بها إلمام المرشد ، وهى مما لا يسوغ تعريف جمهرة القراء بها على هذا النمط لا سيما أن الأستاذ لم يتناولها بما عرفنا عنه من النظر المنقب والفكر المجدد ، بل اتبع فيها القول الشائع . وأنا لم أتوفر الآن لإعطاء هذه المسألة حقها من البحث ، وإنما أريد أن أصحح هذا القول الشائع حتى لا يمر به بعد اليوم من أدبائنا ومفكرينا من يقيم له وزناً . قال الأستاذ : « إنه لا يضر الناس اختلافهم فى الفروع (فكلهم من رسول الله ملتمس) سواء فى ذلك الحنفى منهم والشافعى والمالكى والحنبلى . بل إن اختلافهم رحمة من الله وتوسيع على الأمة . ولكن يضر الناس اختلافهم فى أصول الدين من العقائد ونحوها ، ويكون الواحد منهم مصيباً والباقون على ضلال . لأن الحق لا يتعدد ، والمصيب هو من اتبع ما كان عليه النبى (ص) وأصحابه والقرن الأول خير القرون »

فالذى يبدو من هذا الكلام أن الأستاذ يجارى متأخرى الفقهاء من جعلهم اختلاف الأئمة رحمة للأمة وتوسيعاً على الناس فى عباداتهم ومعاملاتهم ليختاروا من أقوالهم ما فيه اليسر لأحوالهم ، كما أنه يرى أن اختلاف أنظار المجتهدين فى الأصول ممنوع لأنه يستدعى اختلاف الحق وتعدده. وهذا التعليل نفسه رد على اختلافهم فى الفروع أيضاً . والحق الذى لا ريب فيه أن الاختلاف لم يكن له مورد إلا فى الأمور الظنية والمشاكل



اقتباس الروايات

الاقتباس من المسرحيات الأجنبية عمل على كثير من الصعوبة؛ ولكننا نلاحظ دائماً أنه يحول دون تصوير جو المسرح الذى يريده المؤلف . ولسنا نعلم لماذا لا تخرج الفرقة ما تريد من المسرح الفرنجى كما هو ؟ ولا نعلم سر غرام الأستاذين سليمان نجيب وعبد الوارث عسر بهذه الطريقة ! فلا الروايات تبقى فرنجية الحوادث والمناظر والجو ، ولا هى يمكن أن تلبس قناعاً مصرياً كاملاً يخفى ملامحها الحقيقية ! ونحن نطالب الفرقة فى إلحاح بأن تكف تماماً عن إخراج الروايات المقتبسة ، فضلاً عن الروايات الفرنجية التافهة التى يضعها كتاب مغمورون . وما دام الأدب المسرحى فى بلاد الغرب دائم التجدد ، فلماذا لا تعهد الفرقة إلى بعض المجيدين بترجمة أحدث المسرحيات الناجحة لكبار المؤلفين كبرنارد شو وسواه ؟ !

القاتل !

الأستاذ يوسف وهبى ممثل قديم ومؤلف مسرحى قديم ، أصبح له طابع خاص يميزه ولا يشذ عن معالمه وهو يذكرنا — مع الفارق — بالفنان الإنجليزى المعاصر العظيم « ناول كوارد » من حيث أن كليهما يضع المسرحيات بقلمه ، ويقوم بالإخراج ويرتب المناظر ويوزع الضوء وغير ذلك مما يمكن الفرد الواحد أن يقوم به من أعمال المسرح

وهو يميل إلى الروح المصرية البحت ويصوّر العقلية والتقاليد والمعتقدات الشعبية بقدر ما يواتيه التوفيق . فهو أحياناً يساير طبيعة الأشياء وجريان أحداث الحياة فتكون العبرة والموعظة الحسنة . وهو أحياناً يسخّر من قلمه أقداراً مجنونة تقتل وتفسق وتسفك الدماء . فيبتعد بهذا كله عن طبيعة الأشياء فيكون الفشل والبعد عن إرضاء الجماهير

ومسرحيته الجديدة « القاتل » هى من طراز مسرحياته الأخرى ، مصرية صميمة فى كل كبيرة وصغيرة . وليس هنا مجال عرضها أو نقدها فى تفصيل . وهذا لا يحول دون التنبيه إليها بوصف أنها عمل فنى جديد

الجزئية التى يتسع فيها مجال القول ويختلف النظر إليها باختلاف الأحوال والأزمان. وطبيعة الأصول تتنافى مع ذلك فإنها لم تسم كذلك إلا بعد أن أجمع عليها النظار وتناولتها الأجيال بالتسلم والقبول لأنها ليست مظنة اختلاف ولا موضع تأويل بخلاف الفروع . وقد بحث هذه المسألة الإمام الشاطبى فى كتابه : « الموافقات » ج ٤ ص ٧١ فأبان أن الشريعة لا خلاف فيها بالحقيقة أصولاً وفروعاً ، وأن منشأ الاختلاف فى الفروع الأمور الظنية التى يتسع فيها مجال القول بالنسبة لأنظار المجتهدين لا بالنسبة للشريعة التى نفى الله عنها فى كثير من آيات القرآن الاختلاف والتفاوت . وقد تعرض بعد ذلك للحديث المأثور : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » فذكر أنه مطعون فى سنده ، وهو لا يعارض الآيات الصريحة من حيث التزام الوفاق فى أحكام الشريعة. ثم استطرد إلى موقف المكلفين من الاختلاف وقال إن المجتهد لا يسوغ له العمل بأحد الدليلين من غير ترجيح كما لا يسوغ للمقلد العمل بقول المجتهد إلا بعد الاطمئنان والتبصر فى حال المجتهدين إن تيسر له ذلك وإلا فلا يحق له اتباع أحد القولين كما يستدعيه هواه ويقتضيه حاله (وعليه أن يستفتى قلبه) كما قال الرسول (ص)

وأما ما أثر من مدح لاختلاف فى الفروع كما روى عن عمر ابن عبد العزيز إذ قال فى اختلاف الصحابة « أما يسرنى أن لى باختلافهم حمر النعم » فمناط هذا عدم الحجر على الأنظار فيما ليس فيه قطع وهذه هى السمة التى شرع من أجلها الاجتهاد لا ما يجعل المكلف فى حيرة من العمل بالأقوال المختلفة دون تبصر واطمئنان. ثم قال فى فصل ثان ما نصه : « وقد أدى إغفال هذا الأصل إلى أن صار كثير من مقلدة الفقهاء يفتى قريبه أو صديقه بما لا يفتى به غيره من الأقوال اتباعاً لغرضه وشهوته أو لغرض ذلك القريب وذلك الصديق. ولقد وجد هذا فى الأزمنة السالفة فضلاً عن زماننا هذا كما وجد فيه تتبع رخص المذاهب اتباعاً للغرض والشهوة » أقول وفى زماننا هذا أصبحت هذه القضية مصدر الحيلة لتجار الشيوخ فى إجابة المستفتى لحل مشكلة أو تفادى حرمة فى الدين . وعلى قدر ما يدفع السائل من المال، تتسع أمامه الحيل وتكثر الأقوال. فماذا يقول أمثال هؤلاء فى قول الله تعالى : (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم)

(نابلس) حلمى الادريسى

دنانير!

جارية كانت لجعفر البرمكى، نسج حولها صديقنا «رامى» هيكل قصة سينمائية تخرجها شركة أفلام الشرق وتلعب دور البطولة فيها «أم كلثوم» وهى تصور عصر الرشيد ونكبة البرامكة، وتعرض لكثير من شخصيات هذا العصر فى مقدمتهم الخليفة هرون الرشيد نفسه، والشاعر الأشهر أبو نواس. وسوف يبدأ العمل فى استديو مصر فى منتصف فبراير القادم

لجان محطة الإذاعة

فى محطة الإذاعة لجان كثيرة جديرة بالحديث. هنالك لجنة البرامج العليا يرأسها الدكتور على ابراهيم باشا وتنتظم فى عضويتها حسن باشا رفعت وطه حسين بك ممثلين للحكومة، وكلا من المستر «ويللاني» والمستر «فرجسون» ممثلين لشركة ماركونى اللاسلكية، ويحضر اجتماعاتها الأستاذ سعيد لطفى بك لتقديم البيانات والإيضاحات التى توضح للأعضاء المجتمعين سبيل بحث ما يعرضون له من المسائل

وهذه اللجنة استشارية تقريباً، ولا تعرض لتفاصيل البرامج إلا فى النادر، وتجتمع قليلاً جداً، ولا ندرى السر فى وجودها وتأليفها على هذا النحو المختلط

وهنالك لجنة الأغانى، وقد غمزناها لتتحرك فى الأسبوع الماضى ولكنها لم تفعل! وهى مؤلفة من رؤساء أقسام المحاضرات والمسرحيات والموسيقى الشرقية والاسطوانات ومساعد المدير الفنى الشرقى وهو الأستاذ عبد الرحمن سامى

وقد ناقشنا الأستاذ لطفى بك فى تأليف هذه اللجنة على هذا النحو الذى يتيح لغير الفنيين أن يحكموا على آثار شعراء البلاد ومؤلفى الأغانى فيها، فقال إنه يريد أن يعطى لكل الموظفين أقساطاً من العمل والمسئولية، لأنهم شبان يجب أن يتاح لهم حظ كاف من المرانة حتى ينضجوا فى المستقبل!

والمعروف أن الشعراء الذين تفجعهم هذه اللجنة فى آثارهم ليس لهم ذنب فى أن موظفى المحطة شبان يجب لهم التشجيع!

هذه اللجنة مفترض فى وجودها أن تجتمع كل أسبوع للنظر فيما يقدم إليها من الأغانى، ولكنها لا تجتمع فعلاً إلا كل بضعة أسابيع. وقد تستعلم عن هذا فيقول لك كل عضو فيها إنه مرهق بعمله الخاص بمكتبه، وعمل هذه اللجنة إضافى «كالسخرة»! وقد بلغ «المخزون» من الأغانى لدى اللجنة ثلاثمائة قطعة. وقد مضى على بعض القطع بضعة شهور وأصحابها لا يعرفون عن قبولها أو رفضها شيئاً!

وثالثة الأثافى أو اللجان هى لجنة البرامج المحلية التى تجتمع يوم الأربعاء من كل أسبوع. وأعضاؤها هم رؤساء الأقلام؛ ويشهد اجتماعها مدير الإدارة الإنجليزى. وعملها قاصر على تنظيم الإذاعات التى وافقت عليها المحطة، حتى لا تصطدم أجزاء البرامج أو تزيد أجورها عن الاعتمادات المالية المرصودة فى ميزانية كل أسبوع

وليس على هذه اللجنة لوم فيما قد يأخذه المستمعون على البرامج فعملها قاصر على الترتيب كما قدمنا. وليس لها دخل فى قبول الإذاعات أو رفضها إذ أن سلطة القبول والرفض هى بيد الأستاذ لطفى بك فيما يختص بجميع البرامج العربية. سوى الموسيقى، والأخيرة من اختصاص الأستاذ مصطفى بك رضا وهو رجل مشهور بطيبة قلب لا نظير لها.

هذه هى لجان الإذاعة وأعمالها وأعضاؤها، فلمن الشكوى!

(أبو الفتح الاسكندرى)

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }

العدد ٣٤١



8me Année No. 341 — Lundi - 15 - 1 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٤١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ ذو الحجة سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٥ يناير سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

من مذكراتى اليومية

من عادتى كلما ثقل على الحاضر وضاقت بى الحال أن أعود إلى ماضىّ فأنشر عهوده وأجترّ ذكرياته . وسبيلى إلى ذلك استغراق الفكر فيما سجلت صحائف الصبى من حوادث ، أو العيش مع إخوانى الذاهبين فيما كتبت وكتبوا من رسائل ، أو الرجوع إلى ما دوّنتُ فى مذكراتى اليومية من خواطر. وكان ليناير من دون الشهور نوطة شديدة بالقلب وأثر بالغ فى الذاكرة؛ فوقع فى نفسى وأنا أهم بالكتابة فيما أوحاه إلىّ أسبوعه الثانى ، أن أتصفح مذكراتى لأقرأ ما كتبته فيه سنة من السنين . فتناولت جزءاً من أجزائها المتروكة وفتحته على موضع هذا الشهر منه فإذا بى أقرأ فى يومه الرابع عشر ما أنقله إليك بحرفه :

يوم الجمعة ١٤ يناير سنة ١٩٣٨

فى مثل هذا اليوم من سنة ١٩٣٢ وُلد لى ولدان : طفل وكتاب. أذكر هذا كل الذكر، لأننى فى ذلك اليوم المقرور عدت فى مُتوع الضحى من دار المعلمين بالكرخ إلى دارى بالرصافة ، فلزمتها جالساً أمام المدفأة الموقدة أكتب الفصل الأخير من كتابى: (العراق كما رأيته) . ثم جاءنى النبأ من مصر بعد ذلك بأن (رجاء) ولد فى هذا اليوم نفسه . وكان طفلى وكتابى أعز شىء علىّ؛ لأن ابن نفسى كان نتيجة أربعين سنة من خير عمرى ، وابن فكرى كان نتيجة ثلاث سنين من خير عملى

١٤٠٦

أجل ، قضيت ثلاث سنين فى تأليف (العراق كما رأيته) ! جمعت مادته من الآثار والأسفار والأساطير والكتب والمناظر والأحاديث فى سنتين ، ثم حررته وأنشأته ببغداد فى سنة ؛ فلم أكتب منه فى القاهرة إلا رحلتى إلى كردستان والموصل وجبال عبدة الشيطان ، وإلا عودتى إلى سورية عن طريق دير الزور وحلب . ثم وجهت عزيمتى إلى نشره فهيأته للطبع وتربصت به مواتاة الفرصة . ولكن الفرصة اتثاقلت حتى وفد إلى مصر صديق من رجالات العراق له بصر وخطر ، فرغب أن يقرأ فيه ما كتبت عن بعض الناس وما علقت على بعض الحوادث ، فحملته إليه فى « الكنتننتال » فحبس نفسه عليه نصف نهار لم يبرح فيه الفندق . ثم رده إلى فى المساء وهو يقول فى سمته الرزين ومنطقه المتئد : « أشهد أن كتابك أول ما كتب عن العراق فى صراحة ولباقة وإخلاص وصدق. ولقد طويت عنى ما قلته فىَّ، ولكننى بعد أن قرأت ما قلته فى غيرى أكاد أعرفه بالاستنتاج والحدس . ولعل من الخير لنا ولك أن تؤخر نشر القسم السياسى منه إلى حين . أما قسماه الأدبى والاجتماعى فستكثر حولهما الأحاديث ، ولكنهما فى الأدب والنقد والتاريخ نصر وفتح »

نزلت على رأى الصديق العظيم وعدت بالمخطوط الغالى إلى موضعه من المكتب . ثم أعلنت أنى سأنشر بعض صوره الأدبية فى «الرسالة»، وقد نشرت بالفعل منه فيها صورتين أو ثلاثاً رفّت لها الآذان وأصغت إليها الأفئدة

ولكن وا أسفاه ! لم يعد للطفل الحبيب نفَس ينسم على نفسى ببرد الجنة ، ولم يبق من الكتاب العزيز سطر يشعب فؤادى بذكرى العراق !

والهفتاه على ولدى الذى أبدعه الله، وعلى أخيه الذى أبدعته! جاءا معاً فى الشتاء ، فلم أجد لوجودهما برداً ولا عبوساً ولا كآبة ؛ وذهبا معاً فى الربيع ، فلم أحس لفقدهما دفئاً ولا طلاقة ولا بهجة . أودى بهما القدر العابث خداعاً وغيلة، فسلب العين الكالئة ريبة الحذر، وجرد الدفاع اليقظ من فرصة الحيلة. دب للطفل الموت الوحىُّ فى وعكة خفيفة من البرد ظنها الطبيب زكاماً عارضاً فإذا هى الخناق القاتل . ومشى للكتاب القدر المحتوم فى ركام من الورق المتروك فذهب به خلسة إلى النار المبيدة !

أخذت ذلك الكتاب ذات يوم من درج المكتب لأختار منه فصلاً للرسالة، ثم جلست فى البهو على كنبة بُعثرتْ فوقها وأمامها تجارب المجلة وأصول المقالات ، فاخترت من المخطوط قطعة أدبية ثم ألقيته إلى جانبى ، وأخذت أصحح (الملازم) وأطرح (الأصول) حتى فرغت من ملزمتين فدفعتهما إلى غلام المطبعة، وخرجت من البهو لا فى يدى ولا فى جيبى لأترك هذا الورق المهمل لخادم البيت تكنسه من هنا ومن هنا، ثم تطرحه على عادتها كل يوم فى صندوق الكناسة ، ويأتى الزبال فيأخذ ما تجمَّع فى الصندوق ويحمله على عادته كل يوم فى زنبيله إلى المستوقد !

وهكذا قضى الله أن تذهب إلى العدم خلاصة العمر وعصارة الفكر فى فترة ضائعة من فترات الغفلة ! وهيهات أن يكون لهما فى الحياة عوض، فإن الفلذة إذا اقتطعت من الجسم لا ترجع إليه ولا تتجدد فيه ، وسحر المنظر الجديد لا يتكرر أثره فى نفس زائره ومجتليه

* * *

حولت بصرى عن الصفحة ثم أطرقته . ولجَّ بى الإطراق والاستغراق حتى سقط الدفتر من يدى، وتلاشى الحاضر من نفسى، ووثب الماضى إلى خاطرى ، ووقفت أمام الفاجعتين وجهاً لوجه ، فكأنما لبث الزمن واقفاً حيث كان ، وظل الجرح نازفاً حيث طُعن، وبقى القلب واقداً حيث اشتعل؛ وكأنما أسلمنى كل ضعف إلى الجزع ، وخذلتنى كل قوة حتى الإيمان !

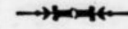
تفصد جبينى بالعرق ، ثم اخضل جفنى بالدموع ، فأخذت نفسى تثوب رويداً إلىَّ ، وتحركت يدى فى فتور فتناولت الدفتر ثم جعلت أصفحه ، فعثرت فى ثناياه على ورقة بالية من مسودات كتابى الفقيد ؛ فنشرتها بين يدى ثم أقبلت على قراءتها لهيف القلب زائغ البصر فقرأت :

« ... هذه القهوة الضّحيانة التى رقدت على صدر دجلة النابض ، واستغرقت فى الدفء والضوء والسكون ، كانت أحب القهوات إلى القلب العميد والخيال الشاعر . كنت كثيراً ما أغشاها بُعيد الغداء فأجد جماعة أو جماعتين يلعبون الورق هنا ، وفتى أو فتيين يتساقطان الحديث هناك ، وبائع (الأبيض والبيض والعَنْبا) يسرق خطاه بين هؤلاء وأولئك فيذكّر بندائه الخافت البطونَ التى شغلها عن طلب الطعام سكرة القمار أو نشوة المنادمة ، فأجعل ظهرى إلى أحلاس القهوة، ووجهى إلى وجه

[البقية فى ذيل الصفحة التالية]

فكاهات الحرب

للأستاذ عباس محمود العقاد



الجد ضد الهزل والعبث ، ولكنه ليس بضد للفكاهة وملكة السخرية ، بل لعله يثيرها فى النفس ويدعو إليهما

فأنت تستغرب استغراب الإنكار والازدراء إذا رأيت رجلاً يهزل ويعبث وهو يواجه الشدة ويقف فى الموقف الذى يتطلب العمل والجهد والهمة ، ولكنك لا تستغرب هذا الاستغراب إذا رأيته يواجه الشدائد وهو يستخف بها ويتخذ منها موضعاً للفكاهة والسخرية ، بل تحمد منه هذه الفكاهة وتعدها ضرباً من القوة والشجاعة ، لأن العبث بالجد يفسده ويضعف النفس عن احتماله ؛ أما الفكاهة مع الجد فهى معوان عليه

ولا شك فى أن سليقة الفكاهة مصرف للنفس الإنسانية وعصمة لها وحافز على النهوض بما يثقل عليها من أوقارها

ولهذا تروج النكات و « القفشات » فى إبان الحروب والمصاعب . وتعد « النكتة » امتحاناً لطبائع الأمم وعقولها فى هذه الأحوال ، فلا تحفل من الخطب أمة تستطيع أن تواجهه وهى باسمة ، ولا تبسم الأمة للخطب إلا وعندها قدرة على النهوض به والتصرف فيه

وسننقل فى هذا المقال بعض الفكاهات التى أسفرت عنها الحرب الحاضرة ، ثم نعقب عليها بعض التعقيب الذى يخلق بطائفة من المصريين أن يلتفتوا إليه

* * *

تحدث الألمان والروس كثيراً بالحرب الخاطفة أو بضربة البرق العاجلة كما يسمونها Blitzkrieg ويعنون بها اكتساب النصر فى معركة حاسمة سريعة

فزعم الراوية أن انجليزياً يسأل صاحبه ما هى الضربة الخاطفة ؟

فيجيبه الصاحب : إنها هى الضربة التى لا تقع مرتين فى مكان واحد

فيصمت السائل قليلاً ثم يقول مصححاً ! ! . . . يخيل إلىّ يا صاح أنها شىء أسرع من ذلك : يخيل إلى أنها هى الضربة التى لا تقع مرة واحدة فى مكان واحد !

* * *

والمعروف عن مولوتوف الوزير الروسى أنه تمتام يتلعثم فى كلامه . فذكره أحد السامعين له فى المذياع لصديقه وهو يقول : أليس بعجيب أن يتكلم هذا التمتام أمس ربع ساعة ولا يتلعثم مرة واحدة ؟

قال الصديق : كلا ! لأنه كان يكذب !

* * *

ويعرف بعض القراء تمثال الحقيقة وهو على صورة فتاة رزان تحمل مصباحاً وتستقبل السماء بوجه وقور

فنشرت إحدى الصحف هذا التمثال منكساً وقد أخذ بقدميه على الجانبين كل من مولوتوف وجوبلز وهما يقولان : هذه هى الحقيقة . . . أليست هى بعينها ؟

* * *

واشتهر جورنج بحب الألقاب والأنواط حتى ما يكاد يرى إلا وعلى صدره صفوف منها يغيرها بين ساعة وساعة

فزعم الراوية أنه قد بات يخشى أن يأتى بعد اليوم بعمل مجيد يستحق من أجله نوطاً من أنواط الفخار

لأنه إذا استحق هذا النوط لم يجد لتعليقه إلا موضعاً واحداً من كسوته

وعندئذ لا يستطيع الجلوس على كرسيه

* * *

وقيل إنه مات فأصبح مستريحاً فى قبره ، لأنه يحب أن يشمر بشىء على صدره !

دجلة ، وعينى إلى جسر مود ، ثم أشاهد فلماً عجيب الألوان من الناس والأجناس والصور : فهذا قطيع من الغنم يعبر الجسر إلى المجزرة فى حمى راعيه ، وهو مستسلم لصوته ومنقاد لعصاه استسلام الأمة للطاغية يقودها إلى الحرب ، وانقياد الخليقة للقدر يسوقها إلى الموت ! وهذا الملك فيصل يعود من قصر العرش إلى قصر الزهور من غير حرس ولا جلبة ، فيقف فى غمرة الناس على فم الجسر ينتظر أن يعبر القطيع وراعيه ! وهنالك تلاقى راع وراع ، وتقابل قطيع وقطيع ! ولكل إنسان فى دنياه مملكة ينفذ فيها حكمه ، ودائرة ينعقد عليها أفقه . . . » ثم حاولت أن أقرأ بقية الورقة الذابلة الحائلة فلم أستطع !

احمد حسن الزيات

وقيل إنه ذهب فى زيارة إلى مستشفى المجانين فبدا له أن واحداً منهم لم يكترث له ولم يتحرك لوجوده ، فاقترب منه وسأله : ألا تعرفنى ؟

فأجاب المجنون : كلا !

قال : أنا هرمان جورنج

فظل المجنون على قلة اكتراثه كما كان قبل أن يتحدث إليه « الماريشال المظيم » وكأنما على وجهه علامة استفهام إلى جانب علامة الاستفهام الأولى

فعاد الماريشال المظيم يقول: هلم، هلم يا صاح ! كيف لا تعرف هرمان جورنج رئيس الوزارة البروسية ؟

فلم تنقص علامتا الاستفهام على وجه المجنون بل زادتا واحدة جديدة

ومضى الماريشال المظيم يقول : جورنج وزير الطيران !

والمجنون صامت ينظر

ثم يقول الماريشال المظيم : جورنج يا هذا رئيس مجلس الريشستاج !

والمجنون فى صمته وقلة اكتراثه

ثم يقول الماريشال المظيم : جورنج يا هذا ... جورنج ! ... ألا تعرف جورنج الصياد الأشهر ؟

عندئذ يتجاوز الأمر حد الاحتمال فى رأى المجنون ، فينصرف مشفقاً وهو يردد بين شفتيه :

مسكين ! .. هكذا يبدأ الحال معنا جميعاً فى هذا المكان ...

* * *

ويعلم القراء أن ريبنتروب كان يتجر بالشمبانيا والخمور قبل ولايته الوزارة

فكتب أحد الناظمين تحت صورته : هذا هو ريبنتروب ، هذا هو صانع المعاهدات الآن وصانع الشمبانيا من قبل . ولكن لا يعلم أحد أيهما ينطلق فقاقيع فى قوارير ، وأيهما يسيح بغير صوت !

* * *

وصاح المذيع النازى فى إحدى الليالى بعد الإشارة إلى ما يقال عن نقض هتلر لمواثيقه :

زعيمنا يا قوم لم يتعود قط أن يكسر كلة من كلماته

فنشرت صحيفة انجليزية هذه الإذاعة فى اليوم التالى وأضافت إليها هذه الكلمات : « نعم ... لأن الكسر من خواص المادة نفسها »

* * *

وقال هتلر لجورنج عن عرض الصلح :

حسن ... إذن سأعرض بطاقاتى على المائدة

فأطرق جورنج قائلاً : ليتها بطاقات طعام !

* * *

وشاع بين الألمان أن هتلر لا يرى الحقيقة على جليتها فيما يجرى من شؤون الحرب والسياسة . فقال القائلون : نعم . يجب أن يتنحى جورنج قليلاً ! ...

* * *

وكتبت صحيفة فرنسية بعد غارات الشيوعيين أو الجنود الحمر على شواطئ البحر البلطى ، تسأل الجغرافيين : أيصبح البحر الأحمر ؟ !

* * *

وللرقيب نصيب واف من فكاهات الصحفيين الذين لا يشفع لديهم فيه أنه يجيز هذه الفكاهات

ونجتزئ منها بالأبيات التى كتبها ناظم هجاء على « ضريح الرقيب المجهول » قال :

« هنا يرقد فى النهاية رقيب ثار عليه الصحفيون المحنقون فنام محشواً برصاص مثل رصاصه الذى لا ينفد . . . ولعله ـ والله أعلم ـ قد تنبه بعد الرقاد فمر على اسمه بذلك القلم المعهود »

* * *

تلك نماذج متفرقة من « القفشات » الحربية التى تروج هذه الأيام فى البيئات الإنجليزية والفرنسية ، وهى كما يرى القارئ على نسق يوشك أن ينتظم فى سلك القفشات التى ألفناها من جماعة « أبناء البلد » فى هذه الديار ، لولا ما يلاحظ على أغلبها من قلة اللعب بالألفاظ وكثرة الاتجاه إلى اللباب

والطائفة التى نود أن نستخرج من هذه القفشات مغزاها الذى هى فى حاجة إليه هى طائفة « أبناء البلد » نفسها

لأن الذهن الذى تعودنا أن نسميه بالذهن « البلدى » مصاب بآفة تحجب عنه الكثير من حقائق الدنيا ، وهى آفة النظر إلى الأشياء على وجه واحد وصورة واحدة . فإذا ألف أن يقرئ الناس السلام بأسلوب متواتر وألفاظ محفوظة فمن الإخلال بالذوق عنده أن تبدل لفظاً من تلك التحية أو تجريها مرة واحدة على خلاف ذلك الأسلوب

تلك أيام خلت

للدكتور زكي مبارك

في الكلمة الماضية دونتُ بعض ما ربحت وبعض ما خسرت؛ وسأقصر كلمة اليوم على التنويه بأمور ينفعني النظر فيها من وقت إلى وقت ، فإن صح أني قليل الاعتبار بحوادث الأيام ، فقد يكون في القراء من ينتفع بالعبرة التي يسوقها هذا الحديث . وآفة الأدب في بلادنا أن الأدباء لا يتحدثون عن عيوبهم إلا قليلاً ، وهذا التحرز من سرد العيوب قد يوهم فريقاً من القراء بأن الأدباء تعصمهم مواهبهم من الوقوع في الأغلاط والهفوات . ولو أنهم عرفوا أن الأديب يخطئْ ويصيب كسائر الناس ، لأدركوا أن التفوق في الأدب ميسور لكل من يتوجه إليه ، وهو مزوَّدٌ بقوة العزيمة ، ورجاحة العقل ، وصدق الوجدان .

فما الذي فاتني من الفوز والنصر في السنة الماضية حتى أرجع على نفسي باللوم والتثريب ؟

أعتقد أني ضيعت على قلمي فُرصاً لن تعود : كنت في العام الماضي مرهف الإحساس ، ولكن قلمي لم يستفد من ذلك . والكاتب المخلص لفنه لا يترك عواطفه تتبخر وتضيع ، وإنما يسارع إلى الاستفادة من فَورتها ، فيكتب وهو مشبوب القلب ليستطيع السيطرة على القلوب ...

وما أقول : إني انصرفت عن مصاولة الأزمات الوجدانية، فقراء « الرسالة » يذكرون أني كنت أواجههم بهذه الشؤون من حين إلى حين ، ولكني أعترف بأني ظلمت نفسي أقبح الظلم حين تثاقلت عن تسجيل ما كان يثور في صدري من العواطف في بعض الأحايين .

حدثني الأستاذ الزيات قال : إن بعض القراء لا يستريحون إلى بعض ما تكتب في الشؤون الوجدانية ، وإن من الخير لمن كان في مثل مركزك أن يقف عند حدود الأدب الرزين !

و « بعض القراء » هم المشايخ الذين يسمُرون في نادي « الرسالة » ، ليجادلوا الزيات فيما يباح وما لا يباح من المذاهب والآراء ، وفيهم من لا يرضى عن كاتب مثلي إلا إن شغل نفسه بشرح « دلائل الخيرات » !

والحق أني راعيت رأي هذا الصديق بعض المراعاة ، والزيات صديقٌ أمين ، والانتفاع برأيه من أوجب الفروض ، ولكن كيف كانت العواقب ؟

أضعت على نفسي وعلى « الرسالة » فُرصاً لن تعود ... وهل أملك ردّ العواطف التي ثارت ثم خمدت في تباريح السنة الماضية ؟ « تلك أيامٌ خلتْ » ، ولن يردّها أسفٌ ولا بكاء !

إذا صح أني مفطور على إحساس الفرح والحزن في الحياة ، وإذا صح أني أقوى ما أكون حين أفرح أو حين أحزن ، فكيف يضيق صدر وطني وزمني عن سماع سَجعاتي وزفراتي ؟ وبأي حق يحرُم عليّ ما يباح للشعراء في جميع البلاد ؟

وهل تصدّقون أن الناس يكرهون حقيقةً أن نحدثهم عن أزمات الأفئدة والقلوب ؟

وهل صَدَّق الأستاذ فكري أباظه حين حدّث الناس عن طريق المذياع باندهاشه من أن يسمع أغاني الهجر والوصل والدنيا في حرب ؟

وهل تظنون أن هذا الخطيب يقضي أيام الحرب في التخشُّع والقنوت أمام المحراب ؟

الدنيا في حرب ، وسيعقُب الحربَ سلامٌ بعد عام أو عامين ، ولكنكم تنسون أن الشاعر يعاني حرباً لا يصدّ شرها عنه غير الموت ، إن صح أن الموت يريح أرواح الشعراء من البلاء بالتفكير في أسرار الوجود

وإذا ألف أن يسمع « القفش » والضحك في مجلس من المجالس وعلى هيئة من الهيئات فليس في وسعه أن يتخيل « تنكيتاً » يدور في غير ذلك المجلس وعلى غير تلك الهيئة وبين أناس غير أولئك الناس

ولعل أكثرهم يفغر فاه من الدهش إذا قيل له إن الأوربيين « يدخلون قافية » كما يفغره دهشاً لو رأى خارقة من خوارق الطبيعة وانقلاباً في أوضاع الحياة ، وسمع الخرس ينطقون والعجم يعربون

وإنها لآفة « ذهنية » لا ضير منها على الأمم التي يجهلونها ولا يفهمونها ، ولكن الضير الأكبر منها على من يُحرمون نعمة النظر الصحيح إلى حقائق الوجود

عباس محمود العقاد

وما الذى يوجب الخضوع للأفكار الواهية التى تتوهم أن الحرب تقدر على زلزلة السريرة الإنسانية ؟

الحرب تستطيع أن تصنع بالسريرة الإنسانية ما تصنع العواصف بأمواج المحيط ، فهى تقلقل المنافع من وقت إلى وقت ، ولكنها تعجز عن اقتلاع ما فى السرائر من جذور الحب والبغض والهدى والضلال

والشاعر ينظر إلى من حوله من الناس نظرات مختلفات : فيرى بكاءهم مرة بكاء أطفال ، ويراه مرة زئير أسود . فالطفل لا يذكر من الحرب غير تنقل « التسعيرة » من وضع إلى وضع ، ويكون مَثَله مَثَل الطباخ الذى انزعج لارتفاع أسعار القطن لأنه رأى ذلك نذيراً بارتفاع أسعار الزيت !

أما الرجل — والشاعر الحق هو الرجل الحق — فيرى أن الحرب لا تكون سيئة العواقب إلا إن استطاعت بفواجعها أن تقتلع من السريرة الإنسانية جذور الإحساس بمعانى الحياة . وهل فى الحياة معانٍ أشرف وأفضل من الحرص والشره والطمع فى انتهاب أطايب الوجود ؟

شغلتُ نفسى مرة بتاريخ ملاهى الحى اللاتينى فى باريس ، فجمعت أكثر من خمسين كتاباً تحدث مؤلفوها عن ملاهى ذلك الحىّ ، ثم راعنى أن ألاحظ أن تلك المؤلفات كُتبت قبل الحرب العالمية ، فعرفت أن الباريسيين بعد تلك الحرب فقدوا شعورهم بتذوق الحياة فلم يعودوا يهتمون بتسجيل ما يصادفهم من النعيم فى ذلك الحىّ البهيج

فإن استطاعت الحرب الحاضرة أن تشغلنا عن أحاديث الهجر والوصل فسيكون معنى ذلك أننا صرنا أطفالاً ضعافاً لا يهمهم من الدنيا غير اعتدال أسعار « اللَّمب والصواريخ » !

أقول هذا وفى مكتبى مقال لم يسمح بنشره الأستاذ الزيات ، لأنه خشى أن يفتح لخصومى باب الأقاويل والأراجيف ، وهو مقال سجلت فيه إحساسى بفراغ شارع فؤاد من أقدام الملاح يوم تجربة الغارة الجوية . فهل من الحق أن الحرب رجَّت مصر رجةً تذهب بما يملك شعراؤها من عواطف وأحاسيس ؟

وهل من الحق أن أهل مصر لم يعودوا يأنسون بغير حديث البقول ؟

أعترف بأنى توجعتُ مرة على صفحات الرسالة من غلاء الورق ، وذلك توجُّع مشرِّف ، لأن الأمة التى تشكو غلاء الورق هى الأمة التى تُعزّ الأفكار والعقول ، وكل شىء فى دنيانا من الكماليات إلا الورق فهو عندنا من الضروريات ، والمصرىُّ المثقَّف قد يكتفى بالقليل من القوت ، ولكنه لا يستغنى أبداً عن زاده من الحِبر والورق

ونحن قوم آذتنا الظروف الدولية أقبح الإيذاء ، فليس لنا من السيطرة الاقتصادية أو الحربية ما للأمم الديمقراطية أو الديكتاتورية ، ولكن لنا مع ذلك سيطرة عقلية نصول بها فى أقطار الشرق . ولو شئتُ لقلت إننا نملك من هداية الشرق ما لا يملك الانجليز والفرنسيس والألمان ، ولهذه الدولة الروحية سلطانٌ يحسدنا عليه من يملكون فى تصريف السلم والحرب ما لا نملك ، فليس من العجيب أن نشكو غلاء الورق فى زمن لا يشكو فيه المسيطرون غير غلاء القُوت

والشرق ينتظر أن نحدثه عن نفسه بما لا يعرف

فكيف يغيب عنا أن من الواجب أن نكون أفصح من يذيع فى الشرق أحاديث السريرة الإنسانية ؟

استيقظوا ، أيها الغافلون ، واعلموا أنكم لن تكونوا شيئاً مذكوراً إلا إذا استطعتم أن تشغلوا الشرق عما فى الغرب من ألحان وأغاريد

هل فكر واحد منكم فيما عرف الشرقيون من الآداب الفرنسية والإنجليزية ؟ وهل خطر فى بالكم أن فى الأقطار الهندية والأفغانية والإيرانية أقواماً يقرأون عن العقول الفرنسية والانجليزية أضعاف ما يقرأون عن العقول المصرية ؟ وهذا يقع مع أن مصر فى هذا العهد تستطيع أن تكون قيثارة ترجِّع ألحان السماء لو تركت التزمت الممقوت الذى يفرض التغاضى عن أحاديث القلب والوجدان

سألنى أحد الأصدقاء منذ أيام عن الظروف التى ألفت فيها كتاب التصوف الإسلامى وهو يتوهم أننى لم أذق قطرة من رحيق التصوف ، فقلت : ذلك كتابٌ زكَّيتُ به عن قلبى . فقال : وهل على القلب زكاة ؟

فقلت : آفة الآفات أن تظن أن الزكاة لا تجب على القلوب والأحاديث الوجدانية التى أهتف بها من حين إلى حين هى نفحة من نفحات التصوف ، فكيف يراها بعض القراء من مظاهر الفتون ؟ وكيف يرى صديقى الزيات أن نشرها يقوى حجة خصومى وأعدائى ؟

بل كيف استبحت ظلم نفسي فلم أهجر مجلة الرسالة لأتحدث عن فؤادى بما أشاء ؟

تلك أيامٌ خلَت ! فتى أرجع إلى مناجاة أوهامى وأحلامى ؟ إن الحديث عن الظواهر لا يحتاج إلى عبقرية ، أما الحديث عن ضمائر النفوس وسرائر القلوب فلا ينهض به غير أفذاذ الشعراء . فتى أجد آذاناً تطرب لأسجاع الروح المفتون بتهاويل الوجود ؟ ومتى أجد قلباً يسمع وسواس قلبي ؟ ومتى أجد روحاً يأنس بغناء روحى ؟

هل سمعتم بما صنعت وما تصنع مشيخة الأزهر ؟

هى تستعدى الحكومة المصرية على كل من يطبع كتاباً دينيًّا تقع فيه غلطة نحوية أو صرفية أو إملائية !

فهل علمتم فى يقظة أو فى حلم أن مشيخة الأزهر شغلت نفسها بطبع طائفة من الكتب الدينية ؟

كذلك يصنع معى خصومى وأعدائى ، فلا هم يؤدُّون زكاة القلوب ، ولا هم يسكتون عمن يؤدى زكاة القلوب

زرت السيد آل كاشف الغطاء فى النجف على غير معرفة فقال : من أىِّ بلد قدمتَ أيها السيد ؟ فقلت : قدمت من وطن ابن الفارض . فقال : وطن الذى يقول :

كل من فى حماك يهواك لكن ... أنا وحدى بكل من فى حماكا

فقلت : بل وطن الذى يقول :

أنت ورد فهَبْ محبّك شوكا ... أترى الوردَ عاش من غير شوكِ

فإن كنتُ من الشوك فلا بأس ، فالورود لا تعيش إلا فى حماية الأشواك ، والروح اللطيف لا يعيش إلا فى قفص من الجسم الكثيف

وسمعت فى الأيام الأخيرة أن إحدى المجلات تنوشنى منذ أسابيع فرفضت الاطلاع على تلك المجلة لأنى أخشى أن تروضنى على الشراسة والحقد ، وأنا أحب مسالمة الناس لأفرُغ لمحاربة قلبي ، القلب الجامح الذى يقهرنى على الوفاء لأقوام لا يعرفون معنى الوفاء

ثم ماذا ؟ سأتحدث فى الأسبوع المقبل عن لواعج وشجون يضيق عنها حديث اليوم

زكى مبارك

الرسالة فى سنتها الثامنة

دخلت الرسالة عامها الثامن وهى أقوى ما تكون اعتمادا على فضل الله وعطف أنصارها فى تذليل كل عقبة

وعلى الرغم من استحكام أزمة الورق وغلائه الفاحش فى العالم كله ستستمر الرسالة على تخفيض اشتراكها ومنح هداياها وإصدار عددها الممتاز — ففى مدة هذا الشهر سيكون الاشتراك فى الرسالة مميزاً بما يأتى :

ص

٦٠ ستون قرشاً عن سنة كاملة فى مصر والسودان تدفع من الآن إلى آخر يناير ويكون للمشترك الحق فيما يساوى خمسة عشر قرشاً من الكتب القيمة

٥٠ خمسون قرشاً عن سنة كاملة فى مصر والسودان للمعلمين الالزاميين وطلاب المعاهد والمدارس تدفع فى أثناء المدة المذكورة ويكون للمشترك الحق كذلك فيما يساوى خمسة عشر قرشاً من كتب الهدايا. ويجوز لهم دفع الاشتراك خمسة أقساط متتابعة.

والاشتراك فى البلاد العربية كالاشتراك فى مصر من حيث القيمة والمدة والهدايا ، وإنما يدفع المشترك فيها فرق البريد وهو أربعون قرشاً فى العراق ، وعشرون قرشاً فى سائر البلاد العربية

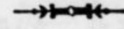
الرواية

أما الرواية فقد أدغمناها مؤقتاً فى الرسالة حتى يسهل ورود الورق فتصدر منفردة بشكل أفخم ونظام أجمل . وستعنى الرسالة فيما تعنى به من الأمور الجديدة بالأقصوصة فيكون فى كل عدد منها أقصوصة أو أقصوصتان من أروع ما يوضع أو ينقل .

الاشتراك فى الرسالة الآن يضمن لك دائرة معارف ومكتبة

ذريـــنى ... !

للأستاذ كامل محمود حبيب



[« ... ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء » . قيل : بم يا رسول الله ؟ قال : « بكفرهن » . قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : « يكفرن العشير ، ويكفرن الاحسان . لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شيئا ؟ قالت : ما رأيت منك خيراً قط »]

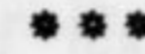
حديث شريف

ذريني أطِر بين فلجات الأرض ومضلّات السماء ، أستشف بهاء الحياة وجمالها !

ذريني أحطم الأغلال الثقال التي أرسف فيها ، لأفر من هذا السجن الأسود ، أتنسم روح الحياة والحرية !

ذريني أتحلل من هذا العبء الفادح ، فلقد آدني ، فما عدت أطيقه ! ...

ذريني أر الدنيا، فلقد وجدت فقدها بين طيّات نفسي الوثّابة!



يا عجبا ! لقد جفّ قلبي وذوت سعادتي !

فهذا هو القمر يتألق في السماء ، والأرض نائمة في سكون ، وأنا أرمقه من خلال هموي ، فلا أحس فيه الجمال ولا المتعة ...

وتنفّس الفجر ، فما لمست في نسماته النديّة بَرْدَ الراحة ولا نشوة اللذة ...

وافترّ ثغر المشرق عن ابتسامة الشمس ، وأنا ـ وحدي ـ جاثم على نشز لا أستبشر لبسماتها ...

وإن الروض ليضحك ، فما أرى في ضحكاته سوى فنون من الكآبة والحزن ...

وإن الندير ليعزف على قيثاره لحن الخلود الشجي ، فما تتطرب له نفسي ...

يا عجبا ! أفكل هذا لأنك — أيتها المرأة — إلى جانبي تنفثين فيّ روح الشر ؟



أيتها المرأة ، لطالما فوّقت إلى قلبي سهامك الراشة ، فاضطرم بالهوى وتلهب بالشوق . والآن ها هو ذا قد شاط بينها فاعاد قلباً، ولكن مضغة لا تتحرك .

ولطالما سهرتُ أُناجيك — وأنتِ في منأى عني — والآن هدّني الإعياء ؛ فذريني أقذف بأعبائي جانباً ، لأتوسّد ذراعي على الحصا ، في ظلال شجرة وارفة ، إلى جانب غدير ، تسكرني نسمات الربيع الهينة ، فتستمتع نفسي بحنان الطبيعة وهدوء الكرى

ولطالما أوحى إليّ شيطاني أنك أنت فوق البشرية ، أنك بسمة الخالق على الأرض الحزينة ، فماذا ... ماذا رأيتُ الآن ؟

ولطالما استلهمتُ منك جمال الفن ، ورسمتك بريشة الخيال في أضعاف قلبي ، ثم لمستكِ ، فماذا ... ماذا وجدتُ ؟



أحقاً أنكِ أنتِ مادة الشاعر حين يتغنى بكلمات تتدفق النشوة واللذة من خلالها ؟

أحقاً أنكِ أنت ريشة المصور التي تعبث بالألوان فإذا هي حياة ؟

أحقاً أنكِ أنتِ لحن الموسيقى السماوي حين يُداعب أوتار قيثاره فتتحدث عن خلجات القلوب ؟

أحقاً أنكِ أنتِ لمة الحياة إن شمل السكون ظلام الموت ؟

كلا .. كلا ! إنه هو خيال الرجل يُضفيه عليك — حيناً بعد حين — فيبعث فيك الكبرياء البغيضة ، ويسمو بك إلى آفاقه هو ، في حين أنك أنتِ ...



كان هـذا خيالي حين استهوتني شياطينك فتمنيتُ ...

ولما خبرتك فزعتُ عنك ، لا أطمع في حديث ، ولا أرنو إلى لقيا

ليت هذا الرجل يعلم ... ليته يعلم أنك قد مرنتِ على الختل والخداع ، ودَربتِ على الشغب والمكيدة ، وأحببتِ نفسك فشغلتك فألهتك عن أن تكوني امرأة لرجل ، ونزت بك نزوات الكبرياء فذهبتِ تفزعين من أنوثتك الوضيعة ... ذهبت تفزعين منها لتكوني بدعاً في الرجال !

إنني أفرق من جمالك وقبحك ، وأفزع من ابتساماتك

وعبراتك ، وأخاف رضاك وسُخطك ، وأجزع من عطفك ومقتك ، وأرهب صحبتك وفراقك ... فاذا ... ماذا بقى فيك أطمئن إليه ؟

هذه الدار الهادئة قد ملئت بك ضجة تحطم فيّ خواطرى الجميلة

وهذا القلب الشاب الندىّ قد استشعر الوهن حين مسحت بجمالك على شغافه

وهذه الحياة الوضاءة قد أظلمت حين أشرقتِ فى جنباتها

فذرينى ... ذرينى — أيتها المرأة — أفتش عن شباب قلبى !

***

ذرينى . . ذرينى ، يا شقاء القلب !

ولـكن ، آه ، أين منك الخلاص ؟

إن شيطانك ما يفتأ يلاحقنى ، فإذا أعجزه أن يسيطر علىّ فى يقظتى ، تبدّى لى ، بين أحلامى ، فى زينته الجذابة

وهذا الجمال الذى تتقزّز منه نفسى لأنى أنفذ إلى حقيقته القبيحة ، يتراءى لى — فى منامى — فى صفاء قطرة الندى على الزهرة البيضاء النضيرة ، فيأسرنى رويداً رويداً

وهذه النظرات التى أرى من خلالها الدّغل والشر والرياء جميعاً ، تنفذ إلى قلب أحلامى فتستخرج أضغان صدرى

وهذا القد المضطرب المتكسر يهفو إلىّ فيما يرى النائم حلواً يميس فى خطرات النسيم بين رؤى نومى

وهذه المرأة التى أنبذها ، تسمى إلىّ ـ دائماً ـ حين يأخذ بنفسى الكرى ... تسمى إلى لتضمنى إليها ، خشية أن أفلت منها ومن متاعبها فى وقت معاً

ولكن ... ولكن ذرينى ، يا شقاء القلب !

***

آه ، لقد طرحتك ، أيتها المرأة ، فلا أحس بالعطف عليك ، وفررتُ منك فلا أحن إليك ، وصدفت عنك فلا أصبو إليك ، وطرت عنك فلا أسقط عليك ...

ولكن كيف ؟ وقلبي ما يزال يتصدع عن نترة يتوثب منها الهوى والحنان ، لأن روح الأبوة تتأجج فى أعماق قلبى فتسلبنى الهدوء والاستقرار

فأين أجد ابنى؟ ... وهو جمال الحياة ، وبهجة القلب ، وفرحة النفس ، وزهرة الدار ، وشبابى اللمّاع حين يوشك أن يَنْبَتّ حبل العمر ...

واحسرتاه! إننى لن أجده إلا فيك ... فيك أنت أيتها البغيضة!

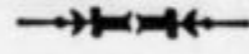
ويا بنى ، لست فى غنى عنك ، فأنا أجد فى نأيك فراغ الحياة ، وظلام العيش ، ووحشة الطريق ...

فتعال . . . تعال إلى ـ يا بنىّ ـ علىَّ أجد فيك صورة من طفولتى الجميلة المرحة ، أو أجد سعادتى المفقودة ... حين أجد ابنى!

كامل محمود حبيب

النـــاى

هذه الأغنية منظومة على بحرين مختلفين رغبة فى تنويع مجرى النغم ، والبحر الأول وضعه الشاعر، وأجزاؤه : فاعلاتن مفاعلتن (مرتين)، وليكن اسمه : المنطلق . وأما البحر الثانى فن البحور المعروفة .



جَنّبوا النّاىَ عن أُذُنى   زُلْزِلَتْ طَرَبا
مِثْلَ قَلْبٍ يُحَدّثُهُ   سِرّهُ السّرْدُ فاضطرَبا

أوْتارُ الخاطرِ تغمِزُها   أنّاتُ الناىِ فَتَرْتجِفُ
فَيَضِجُّ الجنبُ بِأغنيَةٍ   حمراء قرارتُها التّلَفُ

نَغَمٌ جاءَ يَفْتِكُ بى   ذاعَ فى السّمعِ مُصطَخِبا
مِثْلَ دَمْعٍ يُغالِبُنى   دارَ فى العيْنِ مُلْتهِبا

عَطَفاتُ الناىِ مُصَعّدَةً   فى الليل ضُلوعاً تنقصِفُ
صبَواتُ الرّوحِ يُطوّحُها   فى اليومِ العابسِ مُلتهِفُ

القاهرة ، مايو ١٩٣٤   **بشر فارس**

صفحة مجيدة من تاريخ المسرح المصرى

عبد الرحمن رشــــدى

وأثره فى تاريخ المسرح المصرى

للأستاذ زكى طليمات

نص الكلمة التى ألقاها الأستاذ زكى طليمات مفتش شئون التمثيل بوزارة المعارف فى حفلة التأبين التى أقيمت بدار الأوبرا الملكية يوم ٤ فبراير سنة ٩٤٠ برياسة معالى وزير المعارف احياء لذكرى مرور أربعين يوما على وفاة الممثل الكبير الأستاذ عبد الرحمن رشدى المحامى .



فى هذا المكان وعلى هذا المَمْثل، منذ نيف وسبعة وعشرين عاما خلت وقف شاب غض الأهاب ، فياض القوة ، فى عينيه بريق ، وفى صوته فورة العزيمة وعناد التصميم ، تلطف نبراتها حلاوة الحلم المتع . وقف هذا الشاب فى ثياب الممثل يؤثر ويبهر ، فخط تاريخ التمثيل العربى الناشىء صفحة المجد الأولى ، وأشرق على المسرح المصرى فجر وردى جديد

وقف هذا الشاب يمثل، وارتفع الصوت الجهير فى رنين أجراس الذهب ، فجاوبته صيحات مدوّية منكرة ، هى أشبه شىء بصوت انهيار الأنقاض وتصدع الجدران . ذلك لأن العرف المصرى الجارى فى ذلك الوقت أصيب فى أعشاره ، وتصدعت منه دعامة قوية شامخة

هـذا الشاب هو (عبد الرحمن رشدى) الذى ترك حلبة المحكمة إلى خشبة المسرح ، ونضا عنه حُلة المحامى ليلبس حُلة الممثل ، وهجر عالم القضاء ودنيا الوظائف الحكومية إلى عالم التمثيل ومستراد المرئيات ومجال الوهم المجسم ، وزهد فيما كان ينتظره من شارات الشرف فى عالم القضاء من أجل تيجان من الورق ، وأوسمة من الصفيح ، وسيوف من المعدن الزائف ...

أتى كل هذا طائعاً مختاراً وهو فى تمام عقله وكامل صحوه ، وافتدى صحو العيش بكدره ... وحياة المسرح فى مصر أكدار ومآس . أتى ذلك لأن هاتفاً خفيا أهاب به فى الساعة التى ترسم الأقدار فيها رجالها وتختارهم للقيام بأعظم الأحداث وجلائل الأمور

أجل أيها السادة ، كان احتراف عبد الرحمن رشدى التمثيل فى ذلك العهد حَدَثاً من الأحداث الاجتماعية فى مصر ولماذا ... ؟

كان المسرح المصرى يرقى المرج الأول من مرحلة جديدة . كان يحاول متطوحاً فيها أن يستخلص لذاتيته طابعاً جدياً يمت إلى الفن الخالص من حيث فن التمثيل وإخراج الرواية ، بعد أن مهد له (سلامة حجازى) و (عزيز عيد) سبيل ذلك بقدر ما وسعه علمهما وسمح به زمانهما . وكان العاملون فى المسرح رجالاً ونساء ، أخلاطاً سقيمة ممن خفت حمولتهم فى التعليم والتهذيب والتثقيف ، ولا أقول من حسن الاستعداد وخصب الموهبة . وكانت كثرتهم الغالبة ، ماعدا النذر اليسير الذى لا يؤبه له ، ممن تقطعت بهم أسباب العيش عن طريق احتراف المهن المألوفة . وكان الجمهور من أجل ذلك يرمق المسرح المصرى والمشتغلين فيه بعين ملؤها الازدراء والحذر ، إذ يرى فيهم قطيعاً من شذاذ المجتمع ، ونفايات الأوساط ، وقناصى الكسب السهل عن طريق حلق الشارب ، وتخطيط الوجه ، ورفع الصوت بالصياح والضجيج

فى ذلك العهد جاء الأستاذ جورج أبيض من أوربا ، وشاءت إرادة سيد البلاد إذ ذاك أن يكون للأستاذ أبيض يد فى ترقية المسرح ، فكان أن ألف فرقته العربية الأولى من أقرب ما بين تلك العناصر التى أجملت وصفها إلى شخصية الممثل الحق علماً وأدباً

وهنا جرت الأعجوبة إذ تقدم إلى الصف (عبد الرحمن رشدى) محطماً العرف الاجتماعى السائد ، فى الأسرة وفى الحرفة التى ينتمى إليهما، مضحياً بمركزه الاجتماعى وبكرامة الرجل الكامل. أقول هذا أيها السادة وأكرره وأؤكده. لأنه كان يوجد من الممثلين قبيل ذلك العهد من يحترف كى الطرابيش وبيع الأشربة والمثلجات بالنهار ليحترف التمثيل بعد ذلك فى الليل

ولا لوم ولا تثريب على فن التمثيل فى ذلك ، فقد أتى التمثيل مصر دخيلاً ، وفرض نفسه على المجتمع المصرى الذاهل كلون جديد من ألوان التسلية . والجديد الوافد من الحرف لا يلقى صدراً رحباً فى أول الأمر إلا ممن يعيشون على هامش بيئاتهم الاجتماعية ولا يعمل فيه غير من نبت بهم طرائق الكسب المألوفة ، أو من لم يحظوا منها بما يقوم بحاجاتهم

مضى الأمر واحترف عبد الرحمن التمثيل فكانت بداية ملحمة جديدة قوامها نزول شاب مثقف عامل مستكمل لمقومات شخصيته الاجتماعية الرفيعة إلى عالم ضلّيل لا يصول فيه غير المكابر ، ولا تطول فيه غير قامة المشاغب والمداجي والعريض الصوت والمنكبين، عالم تحيط به الريب والشكوك، ويغلفه الكثير من سوء الظن ، نزل إليه عبد الرحمن بأقدام ثابتة ، يَعمُرُ قلبه عقيدة راسخة بأن المسرح كالمسجد يؤمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر

نزل وملء حواسه إيمان صادق بأن المسرح المصرى الناشئ لن يرق ولن يؤدى رسالته فى التثقيف والتهذيب ، ما لم يتوله جماعة على قسط وافر من الثقافة والتهذيب ، وما لم يشرف عليه من يعيش له لا من يعيش منه ، وما لم يكله الكفيل الصالح

كان عبد الرحمن محامياً فى نظارة الأوقاف ، وكان يتقاضى مرتباً شهرياً ثابتاً قدره أربعة عشر جنيهاً ، فرضى أن يعمل ممثلاً بمرتب قدره اثنا عشر جنيهاً فى هيئة غير ثابتة فى فرقة تسير — كما سبقتها الفرق التى تقدمتها — مضطربة حائرة ، كسفينة هزيلة البناء فى بحر عجاج ، وفى هذا ما ينهض دليلاً على أنه لم يحترف التمثيل ليزداد مرتبه، أوليجمع مالاً عجز عن جمعه فى حرفة المحاماة

ومثل عبد الرحمن أدواراً سجلت مواهب الممثل فى نسقها العالى ؛ ودوّى مجده دوياً أخذ على هواة التمثيل مشاعرهم ، فتحركت نفوسهم ، وتطلعوا وتتطلع غيرهم ممن أخذوا يعرفون محاسن التمثيل على يد المحامى الممثل ، وقامت فرقة جماعة أنصار التمثيل تعمل للفن برياسة المرحوم محمد عبد الرحيم الذى كان يشغل وظيفة أستاذ بالمدارس الثانوية

ولكن عبد الرحمن اضطر بعد شهور — ويا للعجب — أن يترك فرقة أبيض مرفوع الرأس ، لأن النزعة المادية كانت تغلب كثيراً نزعة الفن الخالص لدى بعض مديرى الفرق المصرية ، فتأذت نفسه من ذلك وفترت آماله ...

وعاد إلى المحاماة الحرة فى مكتب أنشأه بمدينة الفيوم لقى فيه نجاحاً كبيراً . وهكذا عاد النازح إلى بيته واستقر فيه ، وحسب الناس أن مغامرة عبد الرحمن فى احتراف التمثيل إنما كانت بدوة من بدوات النفس الفتية

* * *

يا الهاتف الغامض الذى ينادى النفس فتلبى النداء ، ويغلّبُ القلبَ على الحجا والروية ؟ ؟

لم يمض زمن طويل حتى رأينا عبد الرحمن يعاود مغامرته الأولى بنفس الحماسة الأولى ويضحى بالربح الواسع الذى كان يدره عليه مكتبه بالفيوم . أتى كل هذا ناسياً ما جرته عليه مغامرته الأولى، ضارباً عرض الحائط بنصائح أصفيائه ممن راعهم أن المسرح المصرى ما برح غير جدير بالتضحية من جانب صفوة المتعلمين

ولكن الهاتف المجهول كان يسد مسامعه ، والقدر يدفعه إلى أن يستقيم على محتوم قضائه

عاد عبد الرحمن إلى العمل فى فرقة الأستاذ أبيض بعد أن انضم إلى فرقتها وجيه من وجهاء مصر ، وسليل بيت كبير من بيوتاتها ، وهو عمر سرى بك نجل المرحوم حسين سرى باشا ؛ وكاد وجيه آخر من طرازه ، وهو المرحوم محمد تيمور بك ، نجل المرحوم أحمد تيمور باشا ، وتشريفى حضرة صاحب العظمة حسين كامل سلطان مصر ، كاد أن يأتى نفس المغامرة ؛ وكدت بدورى، على الفارق البين، أن أركب نفس الطريق وأترك دراستى الثانوية فى مرحلتها الأخيرة ...

ومهما انتحلت للمرحوم تيمور ولنفسى من الأعذار التى حالت دون احتراف التمثيل فى ذلك العهد ، فلا أجد بدًا من المصارحة فى هذا الموقف الذى أعطى فيه « ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر » بأننى وتيمور كنا أوهن من عبد الرحمن عزماً وألين عوداً

* * *

وبدأ الدور الثانى من جهاد عبد الرحمن وبدأت معه الجميعات التمثيلية مرحلة جديدة اتسمت بالجهاد الصادق وبوفرة عدد العاملين فى الجميعات ، وجلهم من صفوة المتعلمين طلبة كانوا أو موظفين

ونضجت لعبد الرحمن طريقة فى التمثيل حاكاه فيها ضعاف الشخصية من الهواة والممثلين ، وتنبهت الأقلام المصرية إلى واجبها فقام الأستاذان إبراهيم رمزى ولطفى جمعة يدعوان إلى استقلال المسرح المصرى برواياته

أيها السادة :

يقولون إن التاريخ يعيد نفسه ... وما أصدق هذا حتى فى أتفه الأمور !

لم يمض وقت طويل على عبد الرحمن فى هذه الفرقة حتى اضطر إلى تركها لأسباب لا يسمح المقام بذكرها ، ولكنها أسباب تشرف عبد الرحمن ، الرجل والمثل ، الذى لم يعمل فى التمثيل ليجمع المال من ورائه ، وليستثمره كما يستثمر التاجر الملهوف على الكسب متجراً انتهى إليه فى آخر الزمان !

ورجع عمر سرى بك إلى قصره العاجى ينفض عن أقدامه غبار طريق شائكة بعد أن ضاق ذرعاً بالفرقة وبنفسه ، وبقى عبد الرحمن واقفاً مثبتاً فى حلبة الجهاد رجله ، وليس لديه مايدفع عنه غائلة الأيام ، بل وآلام الحاجة والضيق إلا قلب كبير يعمره الإيمان بالله ، وبالمبدأ ، وبالفكرة العاملة

أيتها الحاجة ، إنك قاسية !

أيها الجوع ، إنك كافر !

ولكن يشاء الله أن يسكب فى نفوس أصفيائه من البشر مايجعلهم يزدرون بالمحن، فتراهم يدفعون الحاجة بالصبر، ويستعينون على الجوع بالكفاف من العيش .

وقف عبد الرحمن هذا الموقف الرائع ، فتجلى عناد التصميم وثبات العقيدة وجلال الرجولة فى أكمل معانيها .

كان فى وسعه أن يعود إلى المحاماة ، أو أن يلتحق بوظيفة حكومية تقيه شر ما يلق . كان سبيل الخلاص ممهداً أمامه ، ولكن عبد الرحمن أبى أن يفعل شيئاً من هذا ، لأن رسالته فى المسرح المصرى لم تكن قد تمت فصولها ، وصاحب الرسالة مجاهد وشهيد ، والشهداء يأبون إلا أن يكونوا شهداء وقد يكون خلاصهم بين أيديهم .

وسرعان ما انتهى دور الاستجمام والتفكير إلى دور الوثوب والعمل . فألف عبد الرحمن فرقة تمثيلية باسمه ، على نظام الحصص وهو نظام جديد ، يقضى بتوزيع قدر الدخل الوارد من إيراد الحفلات تبعاً لما خص به كل ممثل أو ممثلة .

فلا مرتبات ثابتة ، ولا أجور مقيدة .

كان تأليف هذه الفرقة حدثاً جديداً فى المسرح المصرى ، لأنها لم تتألف من أنقاض الفرق العاملة ، وإنما تألفت فى جلتها ولا سيما فى عنصر الرجال فيها من شباب جدد مثقفين ، ينتمون إلى بيئات اجتماعية لم تسخ بأبنائها على التمثيل ، جمعت الفرقة الجديدة الموظف الذى هجر وظيفته ، والطالب الذى قطع دراسته العالية أو الثانوية ، اجتمعوا كلهم فى صعيد واحد ، بعد أن أنضجتهم الهواية الصادقة بالعمل فى الجمعيات التمثيلية ، اجتمعوا بعد أن ترسموا طريق الفداء الذى شقه الزعيم المجاهد عبد الرحمن فضحى كل منهم بما كانت تمدهم وظائفهم أو دراساتهم من مستقبل زاهر ، أقل مزاياه أنه مستقبل لايسلم أصحابه إلى العيش من وراء مهنة مضطربة حائرة ، غرمها مضمون ، وغنمها مشكوك فيه ، تكابد إغفال الناس ، بل وازدراءهم .

على هذا النحو ، ألفت أول فرقة مصرية من عناصر نابهة ، فما لبثت أن أثبتت حسن اضطلاعها بمهمتها ، واستطاعت أن تشق طريقها ، وتركز أعلامها فى القطر ، من الثغور إلى أقصى الصعيد ، ورددت أرجاء هذه الدار نبرات حارة لأصوات فنية ، وصارت الفرقة بهيئتها ورئيسها رمزاً للتضحية فى سبيل المبدأ ، ومظهراً من مظاهر النهضة المصرية ، ووجهاً من وجوه اليقظة القومية

فى هذه الفرقة عمل الأساتذة سليمان نجيب مدير هذه الدار ، ومحمد عبد القدوس ، ومحمد فاضل ، ومحمد توفيق ، والمتكلم أمامكم ، عملوا ممثلين محترفين !

أيها السادة

حاذروا زوالاً إذا قيل تم الأمر وبلغ مداه . وحقق مقاصده!

بعد جهاد مستمر ، دام ثلاث سنوات وشهوراً ، اضطر عبد الرحمن أمام الأزمة الاقتصادية التى شملت العالم بأسره ، بعد انتهاء الحرب الماضية ، أن يفض الفرقة ، وأن يترك الميدان مفتدياً ذلة الخاضع بعزه المغلوب ، لأن الكساد الذى شمل سائر مرافق الحياة الاجتماعية بفعل تلك الأزمة ، كاد يفرض عليه فرضاً أن ينزل إلى مستوى السواد الأعظم من الجمهور، وأن يتملق رغباته، وكانت رغبات الجمهور فى ذلك العهد ، عهد الثورة المصرية ، متقلبة لا تستقر على حال ، ولا تعنى من التمثيل ، وهو لون من ألوان التسلية ، إلا بما هو سطحى وعابر ، لا يكد الذهن ولا يجهد الخاطر

حلت الفرقة ، ولكنها حققت الغرض الأول من قيامها ، وهو جعل المسرح فى ممثليه والقائمين عليه من الطبقة المثقفة التى اجتلبت حسن الظن بفن التمثيل

حلت الفرقة ، ولكن بعد أن جعلت من التمثيل العربى حقلاً جديداً للنشاط الذهنى من جانب طبقة من الناس ما كانت تأبه له قبل قيامها. وهكذا بدأ عهد إصلاح فى المسرح المصرى، وانفتح باب للتجديد فيه ، لم يلبث أن دخله الأستاذ (يوسف وهبى) ، نجل المرحوم عبد الله وهبى باشا ، ليأخذ الشعل من يد قائد الطليعة ، ويعمل للمسرح مجداً متفانياً فى جهاده ، مضحياً بثروته الشخصية ، وما آل إليه من مال أبيه الراحل

هذا هو مجد عبد الرحمن رشدى ، وبهذا يستقر اسمه فى رأس

قائمة أبطال الطليعة الذين عملوا للمسرح المصرى مخلصين للمبدأ

عاد الممثل ومدير الفرقة إلى المحاماة للمرة الثالثة ، ولكنه عاد إليها فى هذه المرة كسير القلب ، لأنه استيقن أن الزمان يضيق به وأن لا سبيل إلى فرض إرادة على هذا الزمان ، الذى يأخذ من المصلحين بقدر ما يريد ، لا بالقدر الذى يريدونه ويستطيعون تقديمه

وكان ينتابه حنين إلى المسرح ، وهو يجالد الأيام ويجالده ، فكتب له أحياناً ، وعمل عضواً عاملاً فى اللجان التى ألفتها الحكومة لترقية التمثيل ، وأذكر من مسرحياته :

(تحت العلم) ، و (البؤر المرخصة) ، و (المأمون)

وألفت الفرقة القومية بمال وزارة المعارف ، فلم يتوان عن تلبية النداء ، ورجع القائد والزعيم جندياً متواضعاً يعمل فى الصف بالإشارة ، ولا كبر ولا خيلاء !

أحبك يا عبد الرحمن فى تواضعك وسماحتك ، وأحنى الرأس إجلالاً لك ، قائداً كنت وزعيماً ، ومؤتمراً أصبحت وجندياً

ولم يطل مكث (عبد الرحمن) فى الفرقة القومية ، لأسباب خاصة ، فتركها فى نفس الوقت الذى زهدت فيه العمل فيها

وشاء القدر أن يجمع شملى وشمله للمرة الثالثة فى مكان واحد ، وأن نعمل لغرض واحد فى وزارة المعارف ، وهو تهيئة جيل جديد للتمثيل، يقبل عليه ويعمل له، إذا استطاع، مخلصاً ومجدداً

هذا هو بعض عبد الرحمن رشدى ، الذى اجتمعنا اليوم مختارين لتأبينه ، وتكريم ذكراه ، فيبكي كل واحد منا فى شخصه قطعة من ماضيه ، أو صفة من صفات الرجولة الباهرة ، أو سمة من سمات البطولة الحقة ، أو مظهراً من مظاهر الجهاد والتضحية

هذا هو عبد الرحمن رشدى الممثل فحسب ، وأتجاوز عن سائر نعوته وألقابه ، وقد كان المحامى القادر ، والموظف الكبير ، وابن البيت الكريم . أفعل هذا عامداً متعمداً ، لأن الممثل عبد الرحمن رشدى ، أكبر من كل هذا ، وأنبه ذكرا ، وأبعد أثراً من كل هؤلاء فى الدور الذى لعبه فى حياته ، لأن الممثل عبد الرحمن رشدى ، واحد فى نسجه ، منفرد بما آل إليه أمره ، وما استقام عليه بمحتوم قضائه

وهأنذا أختم كلمتى بالهتاف لهذا القائد الذى سقط فى حومة الجهاد ، وسيفه فى يمينه ، بعد أن أفرغتُ كلمتى هذه فى سمع الزمان الواعى ، وهى كلمة تتسم بوفاء التابع الأمين ، وخبرة الصديق ، وصراحة الفنان .

كبرياء . . .

للدكتور ابراهيم ناجى

نِداؤكَ يا فؤادُ . كفى نداء ... عفاءً ! نضرةَ الدنيا عفاء

رُوَيدك أيها الجانى ، كلانا ... لصاحبه وما يدرى أساء

أنا ظمآنُ لم يلمع سرابٌ ... على الصحراء إلا خِلْتُ ماء !

وأنتَ فراش ليلٍ كلُّ نور ... تبِعتَ وكلُّ برقٍ قد أضاء

عشقتَ فأشدَوْتَ الشمرشمراً ... ولكن اعتصرتُ لكِ الدماء

فإن أكُ فى هواك أضعتُ قلبى ... فلست أُضيعُ فيك دمى هباء

غرامك كان محراب المصلى ... كأنى قد بَلغتُ بك السماء

خلعتُ الآدمية فيه عنى ... ولكن ما خلعتُ به الإباء

فلم أسجد بساحته رياء ... ولا كالعبدِ ذُلا وانحناء

ولكنى عشقتك عشقَ حرٍ ... يموت متى أراد وكيف شاء ...

ناجى

أقف بعد ذلك صامتاً ، وأمسك عامداً عن استنزال شآبيب الرحمة على البطل الراحل ، كما يجرى بذلك تقاليد البيان فى هذا المقام ، لأن هذا البطل الحر الطليق ، كان يمقت التقاليد ؛ وكانت حياته حرباً على التقاليد ، ولأن العناية الإلهية التى رسمته مجاهداً ، وجبلته مصلحاً ومناصراً ، أجل وأرفع من أن يتطاول عليها بالنداء والتنبيه صوت مصدره شخصى الضعيف الحزين

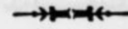
بل إن هذه العناية الإلهية الرحيمة ، قد شملته منذ أن حان حينه ، وتهيأ للقاء الرفيق الأعلى ، فعجلت نقلته من هذه الدنيا ، ومضى عنها ما بين غمضة عين وانتباهتها . وكأنى بها نفست به على المرض الطويل ، وضنت به على تجارب الأطباء . وعبث الممرضين ، وعصمته من عذاب دونه كل عذاب ، وهو صمت الجسد المتداعى عن إجابة الروح القوى ، والنفس الوثاب

أعود فأقول : إننى لا أفعل هذا ، لأن عبد الرحمن رشدى مبعوث عناية ، ورجل أقدار ، ونفس من أنفاس الرحمن الرحيم .

زكى طليمات

الفروق السيكلوجية
بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد



أشرت فى المقالة السابقة إلى التجارب التى أجراها مونستربرج لاختيار سائقى الترام والسيارات وعاملات التليفون وإلى المقاييس التى وضعها لمعرفة الأفراد الصالحين للمهن المختلفة . وإنه لمن الإنصاف التاريخى ألا نترك موضوع « اللياقة المهنية » من غير أن نذكر كلمة عن الدكتور فرانك بارسونز أحد موظفى « إدارة الخدمة الاجتماعية » فى بوستن بأمريكا .

كان ذلك فى سنة ١٩٠٨ حينما جمع الدكتور بارسونز التلاميذ الذين أتموا التعليم الأولى فى الحى الذى يقطنه والأحياء المجاورة، وكانت الغاية من هذا الاجتماع أن يبحث مع هؤلاء المراهقين أمر مستقبلهم ، ونوع المهن التى يريدون احترافها ، ولِمَ يؤثرون مهنة على غيرها ، وما هى الصفات الشخصية والكفايات الفردية التى يتقدم بها كل منهم للمهنة التى يختارها . وما كان أشد عجبه حين ظهر له أن هؤلاء المراهقين لم يعرفوا شيئاً عن الحياة العملية التى يواجهونها ، ولا السبب فى تفضيل نوع من العمل على غيره، وما الذى تتطلبه كل مهنة من المؤهلات الجسمية والقدرة العقلية والخلقية . ولقد استطاع بارسونز أن يسدى لهم نصائح فردية ، وأن يوجه كلا منهم إلى الناحية التى تتفق ومواهبه الشخصية ومعلوماته . وكان هذا الاجتماع التاريخى النواة الأولى لتكوين « مكتب الإرشاد المهنى [١] » الذى افتتح فى نفس العام [٢] . وقد أسرع إلى هذا المكتب البنون والبنات بعد إتمام الدراسة الأولية للاستشارة ، ومعرفة أنسب الحرف لهم ولهن . ولقد كان الدكتور بارسونز موهوباً القدرة على معرفة خواص الأفراد ، ومزاياهم العقلية والخلقية والجسمية ، واختيار ما يناسب كل فرد من عمل . ولذلك صادف مشروعه هذا نجاحاً وإقبالاً

(١) فضلت استعمال عبارة « مكتب الارشاد المهنى » على عبارة « مكتب المتعلمين المتعطلين » الذى تضمه الآن وزارة الشئون الاجتماعية ، فيا حبذا لو استبدلت العبارة الأولى بالثانية فى مصر

(٢) وقد افتتح أيضا فى العام نفسه « مكتب الارشاد المهنى » فى إدنبرج باسكتلندا ، وكان أول مكتب من نوعه فى الجزائر البريطانية

لم تكن نصائح بارسونز مبنية على اختبارات ومقاييس علمية ولكنها كانت نتيجة لفكرة يكونها عن طالب التوظف بعد سؤاله عدة أسئلة عن ماضيه وحاضره واستعداده ونوع دراسته وآماله [١]

وقد شعر بارسونز بنقص طريقته هذه فوضع نظاماً أحكم ذا ثلاثة عناصر أساسية : العنصر الأول درس كل مهنة من المهن الممكنة ومعرفة نوع العمل فيها ، وظروف هذه المهنة الاقتصادية والصحية والاجتماعية والفنية ، وبذلك يعرف الطالب أو الطالبة فى وضوح ما تتطلبه المهنة من الممتهن ومستقبلها . والعنصر الثانى أن يكون على صلة بنظار المدارس ومدرسيها ، وأن يخبرهم بنتائج أبحاثه ودراساته الفنية المهنية ، ويطلب إليهم ملاحظة التلاميذ أثناء الدراسة وكتابة تقريرات عن تحصيلهم ونشاطهم المدرسى ، واستعدادهم الفردى وميولهم ، والناحية الممتازة فى الفرد، حتى يرجع إلى هذه التقريرات عند الحاجة . والعنصر الثالث أن يصلح من الطريقة التى كانت متبعة باستقبال طالبى المهن ووضع أسئلة عامة لهم ، حتى يستطيع بالطريقة الجديدة أن يجمع أكثر ما يمكن من معلومات منظمة عنهم

كان أثر هذه الحركة أن تنبهت مجالس التعليم المختلفة وجمعياته فى الولايات والمدن الأمريكية لدراسة مشكلة اللياقة المهنية ، والخصائص السيكلوجية للأفراد ، فعقدت المؤتمرات ، وأسست مكاتب الإرشاد المهنى ، وعين مستشارون مهنيون Vocational Counselors لزيارة المدارس — كما يزورها الأطباء — ولإبداء رأيهم فى صلاحية من أنهوا دراستهم من التلاميذ لأنواع المهن المختلفة ، كما نشطت المدارس ، والمؤسسات العلمية ، والمعامل والشركات ، والجمعيات، لإمداد مكاتب الإرشاد المهنى، والمستشارين المهنيين بالمعلومات التى يحتاجون إليها ، وكثرت هذه المعلومات وازدادت . وغدا المستشارون يسدون نصائحهم مبنية على الاجتهاد والتجربة من غير أن يقوموا باختبارات لقياس الذكاء ، أو الاستعداد الخاص ، أو الصفات الفردية الأخرى ، فكانوا ينصحون ضعاف الرئة مثلاً ألا يشتغلوا فى المعامل التجارية ، أو المصانع ذات الهواء الرطب أو كثير البخار ، ولا يشجعون على التوظف فى الشركات ذات المستقبل الغامض . وهكذا ابتعدت هذه المكاتب عن الغرض السيكلوجى الذى أنشئت من أجله ، وأصبحت « مكاتب استخدام » . وقد اعترف المستشارون بذلك ،

(١) تسمى هذه الطريقة The impressionistic method

وكانت حجتهم أنه لم تظهر بعد المقاييس السيكلوجية المقنَّنة لمعرفة الفروق الفردية وحتى يمكن الحكم على صلاحية نوع معين من الأفراد لنوع معين من المهن

وضع بارسونز مجموعة من الأسئلة لاختبار طالبي المهن ، استطاع بها أن يكشف عن عادات المختبَر وميوله وتجاربه ، ومن بين هذه الأسئلة ما يأتي :

هل تصرفاتك هادئة أو هائجة ، حكيمة متواضعة أو ترى للإعلان عن النفس ؟

إذا كنت مع جماعة فهل تفكر في راحتهم وتعمل عليها ؟

هل ابتسامتك طبيعية وبسهولة أو متكلفة ؟

هل أنت صريح في رأيك ، شفيق في معاملاتك ، حريص على اختيار أقوالك وأفعالك ؟

هل تخيلاتك وأفكارك طبيعية ومتواضعة ، أو اعتدائية ، أو مغرورة ، أو متشائمة ، أو ثائرة ؟

ما مقدار درجة انتباهك للشيء إذا كانت الدرجة القصوى الممكنة للانتباه هي مائة ؟ ودرجة ملاحظتك ، ودرجة ذاكرتك ، ودرجة تعقلك ، ودرجة تخيلك ، ودرجة إدراكك ، ودرجة رد فعلك (الرجع) للبيئة الطارئة ، ودرجة قدرتك التحليلية للظروف ، ودرجة تفكيرك الإنتاجي Construective chinking؟

هل تستطيع أن تخلق علاقات طيبة بسرعة مع من تتصل بهم ؟

هل إرادتك قوية أو ضعيفة ، مترددة أو عنيدة ؟

أتتمتع بوجودك في المجتمعات ، وهل يسر الناسَ وجودهم معك ؟

وكثير غير هذه الأسئلة[1]

وربما كانت هذه الأسئلة مفيدة عملياً لو أن الإجابة كانت عنها صحيحة مبنية على علم المختبَر بنفسه وميوله وعاداته. وإلا فمن من القراء يستطيع أن يجيب عن كل هذه الأسئلة بدقة وهو مقتنع بصحة الإجابة ؟ وما دامت الإجابة موضع شك فما يبنى عليها أيضاً من النتائج موضع شك . وإذاً فطريق الأسئلة هذا لا يمكن الحكم به على خصائص الأفراد وشخصياتهم، ولا أن تكشف عن الفروق السيكلوجية بينهم

(١) انظر كتاب « اختيار المهنة » Choosing a Vocation لمؤلفه الدكتور فرانك بارسونز

وتسمى طريقة استخدام الأسئلة في الدراسات النفسية والإجابة عنها طريقة « التأمل الباطني » Introspection ، وهي طريقة لها عيوبها الكثيرة ، ومن بينها أنها ليست موضوعية محضة objective ولكنها ذاتية شخصية خاضعة لعواطف الشخص وأهوائه وذاته وحالته النفسية لحظة الاختبار Subjective والعلوم إنما تعتمد في بحوثها ونتائجها على الطريقة الأولى لا الثانية

وبعد فقد عرضنا حتى الآن تاريخ الفروق السيكلوجية بين الأفراد عرضاً عاماً ، وتطورات الاختبارات والمقاييس التي وضعت حتى أول القرن الحاضر . غير أن علم النفس بفروعه المختلفة قد نهج خلال الخمس والعشرين سنة الماضية منهجاً علمياً أكثر دقة ، في الطريقة ، وفي إحصاء النتائج . كذلك درست خصائص الأفراد العقلية والجسمية والخلقية والمزاجية ، كلُّ طائفة منها على حدة ، ووضعت لها مقاييس تختلف كثيراً أو قليلاً من إقليم لإقليم ، وقُنِّنَ بعض هذه المقاييس

ويمكن حصر أنواع هذه المقاييس التي استخدمت لمعرفة الفروق السيكلوجية بين الأفراد فيما يأتي :

(١) مقاييس الذكاء العام . ويقاس بها الذكاء العام للأفراد[1]

(٢) مقاييس الذكاء الخاص . وتقاس بها المواهب العقلية الوراثية الخاصة ، كالموهبة الموسيقية والموهبة الرياضية

(٣) مقاييس الأمزجة والخلق . وهي تقيس عواطف الأفراد ونزعاتهم الخلقية للاجرام أو الإصلاح

(٤) مقاييس التحصيل الدرسي أو البيئي اللغوي والعلمي

(٥) المقاييس المهنية المحضة

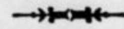
وسنعالج كل مجموعة من هذه المقاييس في مقالات قادمة إن شاء الله .

(بخت الرضا . السودان) عبد العزيز عبد المجيد

(١) نظرية الأستاذ سبيرمان السائدة الآن هي أن الذكاء ينقسم إلى نوعين : ذكاء عام ، وذكاء خاص

الأدب الفنلنـــدي

للأستاذ صديق شيبوب



بينما كان الشاعر « لياس لونرو » يعنى بجمع قصائد كاليفالا وضم أجزائها ، وإنشاء لحمة بينها لتتألف منها ملحمة وطنية قديمة قام شاعر آخر ينظم ملحمة وطنية عصرية يتغنى فيها ببطولة الفنلنديين فى العصور الحديثة ، وكان اسم هذا الشاعر « جوهان لودنيج أونبرج » Johan Ludvig Runeberg

ولد أونبرج سنة ١٨٠٤ وتوفى سنة ١٨٧٧ ، ودرس الطب وامتهنه واشتغل بالأدب والشعر . وفى شبابه وجه عنايته إلى درس أخلاق مواطنيه فى كثير من المطف ، ثم كتب فى ذلك رسالة طويلة كما تناول مظاهر هذه الأخلاق فى الأقاصيص العديدة التى كتبها بعد ذلك . وهذا ما جعله فى طليعة الأدباء الذين عملوا على إنشاء الأدب القومى الفنلندى بالرغم من استعماله اللغة الأسوجية فيما كتب ونظم ، لأنه عرف كيف يصف روح مواطنيه وكيف يعبر عنها تعبيراً صادقاً . وقد تجلت هذه الميزة خاصة فى كتابه : « أقاصيص حامل الراية » Les récits de l'enseigne Stahl

كان الشعر أبرز ما فى أدب هذا الطبيب ، وله قصائد يعدها النقاد الأسوجيون والفنلنديون من خير ما نظم فى هذين البلدين، وهم يقررون أن أحسن شعره ما جمعه فى كتابه الذى ذكرناه : « أقاصيص حامل الراية » ، وهو فى جزأين ، ظهر الأول منها سنة ١٨٤٨ ، والثانى سنة ١٨٦٠ .

تتألف هاتان المجموعتان الشعريتان من أقاصيص رواها على لسان جندى قديم اشترك فى الحرب التى اضطرت أسوج فى نهايتها إلى التنازل عن فنلندا لروسيا فوصف معاركها وقص أنباءها ، وسجل أخبارها . وقد كان من الجرأة بمكان عظيم أن يختار الشاعر موضوعاً لملحمة وطنية حرباً ختمت بالانكسار والخذلان؛ ولكن التاريخ كان قد سبق الشاعر فدوّن الأخطاء التى وقعت فيها قيادة الجيش وحملها مسؤولية الاندحار ووصمها بالجبن والخيانة. فقائد الجيش الأعلى لم يصدر غير أوامر تقضى بالارتداد والتراجع، وسلم قائد آخر حصن « سيفبورج » الحصين من غير قتال . بينما ناضل الجنود المشهورون ببسالتهم وصبرهم على الأهوال نضال المستميت فأنقذوا شرف الجندية ولكنهم لم يستطيعوا أن يفوزوا وينتصروا .

وقد حمل « رونبرج » فى شعره على قائد الجيش وفضح خيانته ، ومما قاله فيه : « ليغفل ذكر أصله وسلالته حتى لا يتحملوا وزر جرمه ، ليحمل وحده عاره ، لأنه وحده جدير بالازدراء . ليس لمن خان وطنه أصل ولا سلالة ، ليس له ولد ولا والد . »

على أن شجاعة الجنود المقاتلين كانت كافية لتوحى للشاعر قصائده الحماسية التى تغنى فيها ببسالة مواطنيه . وقد قص فى شعر رائع أخبار المعارك الصغيرة التى ظهرت فيها بطولتهم والتى تمكنوا فيها من التغلب على الجيش المهاجم فردوه مندحراً . وعنى الشاعر خاصة بأعمال البطولة الفردية التى تجلت فيها المزايا التى تتحلى بها روح الشعب الفنلندى

وصف الشاعر الجيش وتحدث فى أكثر من أقصوصة عن العلاقات الوثيقة التى استحكمت بين صغار القواد والجنود . وقد أجاد كل الإجادة ووصل إلى أبعد الغايات عند تناول وصف الجنود من طبقة الفلاحين . هذا « ستين دوفا » Sten Dufva الذى كان يظنه رفاقه معتوهاً ، ولكنه استطاع منفرداً أن يدافع عن أحد الجسور وأن يدفع عنه العدو حتى جاءت نجدة تمكنت من رده .

وهـذا « مونتر » Munter الجندى الباسل الذى كانت شجاعته تنبعث من أعماق نفسه فى كثير من السذاجة والتواضع . وقد مات صريعاً فى ساحة القتال بانفجار قذيفة رماها أحد جنود الأعداء فتلقاها «مونتر» بيده ليردها إليه . وقد رثاه «رونبرج» فى ختام قصته بقوله : « لقد كان فنلندياً »

ويطول بنا الحديث إذا شئنا عرض صور البطولة المختلفة الأشكال والأوضاع التى رسمها الشاعر فى هذين الديوانين ، وقد

كان طبيعياً أن يستهل « رونبرج » الجزء الأول منهما بقصيدة حماسية فى تمجيد وطنه والإشادة بذكره ، ننقل منها بعض شعرها للدلالة عليها . قال :

بلادنا ، بلادنا ، وطننا ،
دوِّ عاليا أيها الاسم المحبوب ،
لا يوجد فى بلاد الشمال رواب ترتفع نحو السماء
ولا أودية تنخفض ، ولا شواطئ تنمرها الأمواج ،
أحب إلى القلوب من بلادنا
من أرض آبائنا

***

من يستطيع أن يحصى عدد المعارك
التى خاض غمارها هذا الشعب ،
عند ما كانت الحرب تستمر فى واد بعد واد ،
عند ما كان يحل البرد القاسى حاملاً معه الجوع المضنى
من يستطيع أن يحصر الدماء التى أراقها
وأن يصور شدة صبره على احتمال الأهوال

هذه هى « أقاصيص حامل الراية » التى يعتبرها الأسوجيون كأجمل ما كتب بلغتهم . وقد أخذ عليها بعضهم أن ناظمها تحرر فى بعض الأحيان من نصوص التاريخ فلم يحترمها ، بينما يرى البعض الآخر أن هذا النقد لا يحط من قيمتها لأن « رونبرج » إذا تجاوز ما قرره التاريخ فإنه لم يتعمد الحقيقة فكان صادقاً فى الصور التى رسمها والوصف الذى أجراه لنفسية الشعب الفنلندى وأخلاقه ومزاياه

(للبحث صلة)

عبد الله شيبوب

هكذا تكلم هتلر !

[هذه القصيدة مترجمة من الانكليزية ، وهى تنطوى على دعاوى هتلر وأمانيه، منقولة على لسانه فى تهكم لاذع]

طيب القلبَ ، محبٌّ الـ خير للناس ، أراني
فلماذا صار كل الناس يرتابون مني ؟
كل فعل لي يسو ء الناس بل ودّوا لو اني
مقعدٌ ، لم أسْدِ ما أسدَ يت عن طيبة قلب

***

يتبع الألمان ما أو حى بتفكير ولبس
بحماس حولىَ التف وا ، تخطى كل حدس
كلهم عاد بهديي ملَكا فى ثوب إنسى
كان هذا بعض ما أسد يت عن طيبة قلب

***

هِمت بالسوديت فانـ ضم إلى الحِب الحبيبْ
وهفت برلين واستُنـ شِد « غوبلز » الخطيب
وهوى (كورنك) تقبيـ لاً على « روبنتروب »
فعلوا إذ فعلوا ذ لك عن طيبة قلب

***

أنا حررت بلاد التشـ شيك من حكم غشوم
وعليهم لم أزل أسـ هر كالأم الرؤوم
منفقاً ما ادخروا بالـ أمس من مال عقيم
كان هذا بعض ما أسد يت عن طيبة قلب

***

عدت بالنمسا فأضحت تحت ظلى تستضىء
و ـ كما قد حدثونى ـ بنبوغى تستفىء
وهى ذى فى قبضة الجسـ تابو كالجدى البرىء
تلك منى منّة تفـ صح عن طيبة قلبى

***

أسعد الحظ « السلو فاك » فشاءونى خليلا
صرت أحميهم وأرمى ملكهم كيلا يدولا
وعليهم أسبغ الجود ولا أبغى بديلا
كان هذا بعض ما أسد يت عن طيبة قلب

***

عمت الفوضى بو هيميا فتاقت لاحتلالى
وغدت « محمية » تنـ عم فى أحسن حال
وهى ذى اليوم « بفضـ لى » مضربٌ للاعتقال
تلك منى منة تفـ صح عن طيبة قلبى

***

ساءنى تسويف « بولنـ دا » بتسليم الممرّ
فشننت الحربَ لم تبق عليها أو تذر
ويح قلبي ، كلما أذ كر « بولندا » انكسر
غير أنى قد شننت الـ حرب عن طيبة قلب

***

عند إغراق « أثينا » ساور البعض الهموم
فاتهم ما قاله من قبل «سولون» الحكيم :
« يسعد المرء إذا ما ت ويحظى بالنعيم »
فبإغراق لها أفـ صحت عن طيبة قلبى

***

أكره الغاز فما استعـ ملته فى غزواتى
وكذا الحرب، فإن أحر قتُ أطفال العداة
ولئن أغرقت من أسـ طولهم بالعشرات
فأنا أفعل ما أفعل عن طيبة قلب

***

لجّ قلبى ببلاد الـ أرض حباً واستعر
وتمنى ضمها فيـ ـه وإشباع الوطر
أنا موهوب ، بوسعى حكم مجموع البشر
وسأمضى لاحتمال الـ عبء عن طيبة قلب

« بغداد » (رسول)

الأدب فى سير أعلامه

بيرون

ذلك العبقرى المتمرد الذى غنى أروع أناشيد الحرية، ولاقى الموت فى سبيل الحرية

للأستاذ محمود الخفيف



أرسل جورج بيرون إلى مدرسة صغيرة فى أبردين وهو دون الخامسة ، ولكن أمه لم تطمئن إلى تعليمه فيها فعهدت إلى أستاذين بتعليمه فى المنزل إلى جانب المدرسة وقد حبب إليه أحدهما التاريخ وعلى الأخص تاريخ الرومان، فراح يقرأ منه فى غير ملل، وعلمه الآخر اللاتينية ، بينما أخذ يوحى إليه مبادئه الكلفنية ، والطفل يستمع إليه فى ذلك مندهشاً متحيراً يتساءل فى صمت كيف يقدر الشقاء على قوم قبل مولدهم، وما جريرتهم حتى يشقون وأى فرق بينهم وبين الذين قدرت عليهم السعادة ؟ ويستمع الصبى إلى مثل هذا فى حديثه مع خادمته مارى ، حينما يسألها وهى تتلو الإنجيل قائلاً : وما ذنب قابيل قبل أن يقتل أخاه ؟ ويضيق حين تجيبه أنه قدر عليه الشقاء ، فيقول فى غضب: وكيف يسأل عن جريمته إذاً ؟ على أنه يطرب للغة الإنجيل وإن لم يفهم أكثرها ويهتز قلبه لما يتخيله عقله الصغير من صوره

والصبى قوى الخيال يصور له خياله كل شىء ويلازمه ما يتخيل أينما ذهب ، وكانت صورة الشيطان الذى طالما حدثته عنه مارى تتملك لبه وتصحبه فى الغداة والمشى ، فإذا ترك فى مخدعه وحده نفت النوم عن عينيه صورة الشيطان حتى لتمتلىء الغرفة حوله بالأشباح ، وإذا أطل من نافذته وجد المقبرة القريبة منه ملأى بالشياطين من كل هيئة ومن كل طول وهى تتماثب وتتراقص

ويستمع الصبى أيضاً إلى أحاديث أمه وخادمته عن أجداده لأمه وأجداده لأبيه وكيف قرنت بالشر أيامهم فيعزو ذلك إلى أنه قد قدر عليهم الشقاء من قبل فكانوا من حزب الشيطان كما كان قابيل من حزب الشيطان ، ويخاف الصبى أشد الخوف أن يكون نصيبه من الحياة مثل نصيب هؤلاء وهو يرى من أثر الشيطان فى خلق أمه ما يرى ثم يرى منه فى نفسه ذلك العرج الذى ازداد ألمه منه حينما بلغ السابعة

ويعرف الصبى فى المدرسة بحدة ذكائه بقدر ما يعرف بإهماله وانصرافه عن دروسه ، ويسمع منه معلموه عبارات يبدو بها أكبر من سنه ويدهشهم منه قراءته الخارجية التى لن يبلغ نصيبه منها عشرة من أقرانه مجتمعين ، وكان شغفه بالشرق عظيما فقرأ قصص ألف ليلة وليلة وألم بقدر كبير من تاريخ أمم الشرق ، وفى مقدمتهم الترك ، وكانت أمه على قصر ذات يدها لا تضن عليه بما يطلب من الكتب ، فكان يعد ذلك منها أكبر حسناتها إن كان ثمة لها غير هذه من الحسنات

وعرف شاعر الغد بحدة عاطفته وتمرده على القوانين والأوضاع الرتيبة ، وعرف كذلك باستعداده للنضال والهجوم إذا استفزه إلى ذلك أحد. عاد إلى منزله ذات يوم يلهث وفى وجهه آثار معركة، فأجاب على تساؤل خادمته عن هذا بأنه تربص بغلام كان أهانه فتوعده حتى وقع عليه فى الطريق فأذاقه من بطشه وأتم حديثه قائلاً : « وكيف لا أنفذ ما توعدته به ؟ ألست بيرونى النسب » ؟

واستقرت فى أعماق نفسه الصغيرة مناظر اسكتلندرة برواسيها الشامخات التى يجلل رؤوسها الثلوج وتعلو بعض قممها على السحاب، وكانت هذه الأجرام الهائلة تهز نفسه وتستميله أكثر مما تفعل

الزهور والرياض وأشباهها من مناظر الطبيعة الهادئة الوديعة ...

وتفتح قلب الصبي للحب وهو فى الثامنة ، فقد رأى فى إحدى جولاته مع أمه ابنة أحد الفلاحين فأحبها حتى ما يطيق أن يفارقها؛ ولما فارقها على رغمه كانت تجيش نفسه وهو فى تلك السن بمعانى الوجد والحنين ... على أنه ما لبث وهو فى التاسعة أن هام بابنة عم له هياماً استأثر بلبه ، فما يفكر إلا فيها وما يرى حسناً يقاس إلى حسنها ، وإنه ليحس إذا جالسها بما يملأ قلبه من معانى الوداعة واللين واللطف حتى لينسى عنفه وحدته أتم النسيان ، ولا يزعجه إلا خجله من عرجه ، وكم يتمنى أن لم تكن له تلك العاهة التى يعظم خجله منها أمام ابنة عمه مارى أكثر مما يعظم تلقاء غيرها من الناس ...

وكانت أمه توقن فى قرارة نفسها أن ابنها سيكون رجلاً عظيماً فى غده . ولعل مرد ذلك إلى ماتتمناه الأمهات عادة لأبنائهن، ولعل مرده إلى ما أخذته من عرافة ريفية نبأتها بما سيكون له من خطر فى غده . وها هى ذى الأيام توشك أن تحقق جانباً من نبوءة العرافة ، فلقد كان للورد الخامس فى الأسرة وهو شقيق جده حفيد هو الذى يرث اللقب من بعده فمات هذا الحفيد عام ١٧٩٤ فلم يبق بين الطفل واللقب إلا أن يموت ذلك اللورد الشيخ ، وما لبث أن مات ذلك الشيخ بعد ذلك بنحو أربعة أعوام ، فانتقل لقب الأسرة الوراثى إلى الطفل وهو فى العاشرة. وفرحت أمه أشد الفرح ولكن الطفل يتجه إلى المرآة ويسأل أمه عما إذا كانت ترى فيه فرقاً بين يومه أمسه لأنه لا يرى شيئاً من ذلك .

ولكن هذا اللقب سوف يكون عظيم الأثر فى حياة شاعر الغد وموقف المجتمع منه ، إذ سيكون من أهم ما توافق له من أسباب الإعجاب به وذهاب صيته فى الأوساط جميعاً

وتأهبت أمه لتذهب به من أبردين إلى حيث يتسلم ما ورثه مع لقبه الجديد من ثروة ، وكان الصبي يومئذ فى سنته الحادية عَشرة ، ولقد عز عليه أن يغادر أبردين فيبتعد عن ابنة عمه مارى التى أحبها ذلك الحب الشديد وعن مناظر اسكتلندرة ، ويحرم مما بانت توحيه إليه شواهقها ووديانها، تلك الشواهق التى ألف تسلق جوانبها على الرغم من عاهته والتى زلت قدماه على سفح من سفوحها ذات يوم حتى أشرف على الموت لولا أن تداركه بعض من كان معه ، فلم يزده ذلك إلا تعلقاً بها وإقداماً على معاودة تسلقها

ورحلت الأم وولدها وخادمتهما ، وأحس الصبي أنه ينتزع نفسه من ملاعب طفولته انتزاعاً ، ولقد استقرت فى نفسه مناظرها وطيوفها ، وما أعظم ما سيكون لهاتيك الطيوف فى غد من الأثر فى شعره وخياله

وانتهى بهم السير فى نيوستد وحطوا رحالهم فى مهد الأسرة العتيق، فى ذلك القصر الذى أفنت جدره العتيدة السنين الطوال. ولشد ما أحبه الصبي وآنس فى هيكله وأبهائه وحجراته أحلاماً جديدة أضافها إلى سالف أحلامه ... وأقبل على الخدم يسألهم عما تقع عليه عيناه وعلى الأخص عن تلك الصور المعلقة على الجدران ... فهذه صورة اللورد التعس الذى ورث عنه الصبي ما ورث ، وتلك صورة أحد أجداده الذى أبلى أحسن البلاء فى الحروب الصليبية ومات فى الأرض المقدسة ، وهذه ... وهذه... والصبي معجب بذلك كله إعجاباً شديداً وإنه لزهى أشد الزهو بأنه اللورد الجديد الذى آل إليه ذلك القصر وما فيه جميعاً .

وغرس الصبي بيده شجرة هناك لتكون ذكرى له

على أن ذلك القصر لم يعد يصلح للسكنى بسبب ما أصابه من التخريب أيام ذلك اللورد التعس ، ولم يك لدى أم الصبي ما يتطلبه إصلاحه من المال ، ولذلك لم تلبث أن تركته وابنها إلى مدينة نوتنجهام ... واعتلج فى نفس اللورد الصغير الألم لفراق قصره السحرى ، الذى أمل أن يتسلى به عن مارى دف وقد شف قلبه الوجد لبعده عنها . ولقد كان عجيباً أن يحبها مثل هذا الحب فى التاسعة وأن يأسى على فراقها هذا الأسى وهو بعد لم يتجاوز الحادية عشرة ، ويذهب بعض علماء النفس إلى أن مثل هذه العاطفة الباكرة بشير بنبوغ صاحبها غداً فى مجال الفن ؛ ويروى عن دانتى أحد شعراء الدنيا الأفذاذ أن قلبه الغض نبض بحب بياتريس وهو لا يزال فى التاسعة من عمره .

(يتبع) **الخفيف**

الأدب في أسبوع

أسواق النخاسة

ما زلت أضحك إبْلى كلما نظرَت إلى من اختضبتْ أخفافها بدم !
أسيرُها بين أصنام أشاهِدُها ولا أشاهِدُ فيها عِفّةَ الصنم

هكذا يقول المتنبي فى صفة أصحاب السلطان الأدبى والسياسى من أهل عصره ، ولا يزال هذا ينطبق إلى اليوم على البلاد الشرقية والعربية إلا قليلاً قليلا. لقد أذكرتنى أشياء رَمَتْ إلى ـ ما كنت أسوس النفس على تناسيه ونبذه والتباعد عنه ، ولكن صِناعة الأدب هى من بين الصناعات أشدُّها التحاماً بالحياة ... لا ، بل بالأصول النفسية التى تقوم عليها وبها أسواق المجتمع الإنسانى ، وهى ترمى بالأديب فى تنور متسعّر من نزاع الغرائز والشهوات والأحقاد ، وهو بين اثنتين : إما أن ينحط فى هوى غرائزه التى تثيرها هذه النار الآكلة ، فيفسد بفسادها ، وإما أن يتحصن دونها ، فيروض غرائزه الوحشية ، حتى تألفَ وتنقاد لحكم العقل النبيل والعواطف السامية . فكذلك يوطن نفسه على الحرمان والألم والتفرد والوحشة ... ثم على الصراع الذى لا رحمةَ فيه ولا هوادة بين تضرُّم النزغات المستبيحة ، وبين زهادةِ النفس المتورعة المطمئنة . وكان أحق الناس بالتسامى ومطاولة الغرائز فى هذه الحرب الموقدة ـ الأدباء ، فالأدب فى أصله تنزيهٌ للنفس وكبحٌ من جماحها ، ورفق فى سياستها ؛ فإذا انقلب الأدب تضرية للوحوش الرابضة فى الدم من الطبائع والغرائز ، خرَج عن أصله وفقدت ألفاظه معانيها ، وصارت أسواق الأدب تعتمد فى معاملتها على البغى والظلم والعدوان والنهجم والاستبداد . وفقدت كل معانى الحرية والعدل والإنصاف والتمييز بين الخبيث والطيب ، وهى أصول الفطرة الأدبية السامية .

إن الأديب الحر ينتفض تقززاً واشمئزازاً كلما انبعثت روح حقارة المجتمع من وراء الرّمم الأخلاقية المموّهة بالنفاق ، والتى أقيمت عليها أصنام منصوبة للعظمة الباطلة الجوفاء ، وهو أشد انتفاضاً وانتقاضاً حين يرمى ببصره إلى الأدب والعلم وهذه المعانى السامية فيرى الأدباء والعلماء أذلاَّء مستعبدين قد خضعت أعناقهم للحاجة والضرورة والبؤس، فهم نواكس الأبصار إلى الأرض بين يدى فئة منهم قد أخذوا عليهم أفواه الطرق المؤدية إلى بعض الرزق ، حين واتاهم القدر ببعض السلطان والجاه والسيطرة ؛ وأقامتهم الشهرة الذائعة أنصاباً تهوى إليها الأغراض ، وتناط بها الوسائل ، وتعتمد عليها الحكومات فى تقدير العلم والأدب وأهلهما والعاملين عليهما ، وكذلك لا يستطيع أديب أو عالم أو فيلسوف أن يجتاز إلا بإجازة من أيديهم وبأختامهم ، وإلا أن يشهدوا له شهادة التقدير ، وأن يعبُروا له السِّعر فى «تسعيرة» السوق الأدبى الذى أقامتهم الحظوظ عليه حكاماً ومقوّمين

إن الشهرة والشهادة هما شيئان لا قيمة لهما فى العلم والأدب فبناء العلم على نجاح التجربة واستواء المنطق وإقرار العقل ، وبناء الأدب على صدق الإحساس وحدة الإدراك وسمو العاطفة وقوة الحشد وبراعة العبارة والأداء . فإذا لم تكن الشهرة من هذا تستفيض ومنه تَشرع ، فما غناؤها على صاحبها إلا بعض الأباطيل التى تنفش فى عقول الأمم الضعيفة والأجيال المستعبدة بالأوهام والتهاويل . والشهادة ما هى إلا إجازة الدولة لأحد من الناس أنه قد تحرَّر من طلب العلم والأدب على القيود التى تتقيد بها المدارس والجامعات فى أنواع بعينها من الكلام ، وأنه قد حصل فى ورقة الامتحان ما فُرض عليه تحصيله بالذاكرة ، ثم ترفع الشهادة يدها عن معرفة ما وراء هذا التحصيل وما بعده وما يصير إليه من الإهمال أو النسيان أو الضعف أو الفساد . فحين يغادر أحدهم الجامعة حاملاً شهادته مندمجاً فى زحمة الجماعة تفقد الشهادة سلطانها الحكومى — أو هكذا يجب أن يكون — ولا يبقى سلطان إلا للرجل وأين يقع هو من العلم أو الأدب أو الفن ؟ وهل أصاب أو أخطأ ؟ وهل أجاد أو أساء ؟ وهكذا فهو لا ينظر إليه إلا مفسولاً غـفلاً من «مكياج» الدبلوم والليسنس والماجستير والدكتوراه ... وما إليها ، وإذن ، فأولى ألا ينظر إليه عن شهادة قوم لم يكن سبيلهم إلى التحكم فى أسواق العلم والأدب إلا الشهادات المستحدثة ، والشهرة النابتة على حين فترة وضعف واختلاط وجهل كان فى الأمة حين كان أقل العلم وأشفُّ الأدب يرفعان صاحبهما درجات من التقدير والإجلال والكرامة

إن هذه التجارة التى تقوم على استعباد العلم والعلماء والأدب

والأدباء تجارة باغية ينبغى أن تفنى نخاستها وأن تغلق أسواقها ، وينبغى أن يتحرر الأدباء والعلماء المستعبدون قليلاً من أغلال الضرورات المستحكمة ليحاربوا بنى هذه التجارة بالنبل والسمو والترفع ، وليهتكوا تلك الأستار الحريرية الرفيعة المسدلة على بيوت الأوثان الجاهلية التى تستعبد الأحرار باستغلال ضراعة الضرورة والحاجة والفقر ؛ ينبغى . . .

وينبغى لكاتب هـذا الباب الجديد فى « الرسالة » أن يرفع القلم عند هذا القدر الآن ، ويعود إليه بالتفصيل والبيان فيما يستقبل

معهد الصحراء بيت الحكمة

كتب صديقى « اسماعيل مظهر » — فى مقتطف يناير سنة ١٩٤٠ — كلمة بليغة يصف فيها « رهين المحبسين » ، محبس الصحراء ، ومَحْبس النسيان ، وهو معهد الصحراء القائم على مشارف الصحراء المترامية ، فى « مصر الجديدة » ، وقد شيده « الأسد المصرى » الملك فؤاد رحمة الله عليه من ماله خاصة ، ليكون مأوى للعلماء الذين يدرسون طبائع الصحراء ومعادنها وأجواءها ، ولكنه لم يتم بناؤه لما عرض من مرض الملك العالم ثم وفاته على شدة الحاجة إلى جرأته وإخلاصه وعزمه ، وإنفاذ هذا العزم بالبصيرة والحكمة والمثابرة

وكنت كلما صحبت أخى « اسماعيل » لبعض الرياضة ، تهاوينا إلى البيداء المقفرة الصامتة بأحزانها الحائرة ، ومررنا نتقاود في جوفها فترمى بنا أرجلنا إلى بناء شامخ قد أقعى على ربوة من الأرض كأنما يتجمع للوثبة ، ومع ذلك فما كاد أجد فى سمعى بيان هذا الأعجم الصموت، وهو يهمهم بأنّاته من ذل الوحشة والأسر والنسيان والخراب ، فأنشد « إسماعيل » قول الرضى :

ولقـد رأيت « بدير هند » منزلاً
ألماً من الضراء والحدثان
أغضى كمستمع الهوان ، تغيّبت
أنصاره وخلا من الأعوان

وكان هذا البناء المسكين همة من همم الملك النبيل رحمه الله. ولقد سمعت أنه قد أحاطه بما يزيد على عشرة أفدنة ليقوم فيها ، وفى متنزهاتها ، وليؤدى أهله إلى صحراء مصر المجهولة حقها من الدرس والكشف والاستنباط

هذا ، وقد ضرع « إسماعيل » إلى خليفة « فؤاد » فى ملكه وعلمه وعزمه وبصيرته ، إلى « الفاروق » صاحب مصر الأعلى وحاميها وهاديها إلى الخير ، أن يتم ما بدأ الملك الأول من البناء ، وأن يعيد لملكه الزاهر تاريخ العرب والعربية فى عصر المأمون الذى أنشأ « بيت الحكمة » ، وجعله مستقر النقلة من العلماء الذين استوعبوا نقل حكمة « يونان » إلى اللسان العربي ؛ فأسسوا للعلم ملكاً لم يطاوله فى العصور إلا عظمة المأمون ... قال :

« ومعهد الصحراء — يا مولاى — عظيم متسع الأرجاء اتساع العقل الخالد الذى فكر فى إنشائه ، فهل نطمع فى أن يضم إليه بضعة علماء يقفون جهودهم على ترجمة علوم أوربا إلى اللغة العربية ؟ وفى مصر ـ يا مولاى ـ علماء أقعدهم النسيان عن العمل ومنعهم الخجل عن السؤال ، وعزّ عليهم أن يهينوا العلم باستجداء العطف. أنطمع ـ يا مولاى ـ أن تفيض عليهم من فضلك الواسع ما يسد حاجتهم من حطام الدنيا ، ليكونوا نواة لبيت الحكمة فى عهدك ، فيتركوا للأجيال القادمة آثاراً لا يبزها من حيث الأثر فى العالم العربى إلا عظمتك ، ولا يفوقها فى الجلالة إلا جلالتك ؟ »

وكل أديب وعالم ومفكر فى العالم العربي يضم صوته إلى صوت « إسماعيل » فى هذه الضراعة النبيلة إلى « وارث ملك مصر ، ومجد العرب » ، ويستيقن فى قلبه أن « الفاروق » سيحمى العلم والأدب بحماية ملكية ترفع عنه الظلم والاستعباد ، وتحرر العلماء والأدباء من غطرسة الأدعياء المتشدقين بقليل العلم ومنقوص الأدب ، مما أطاقوه وحملوه بفضل الرحلة إلى أوربا بضع سنين ، تزودوا فيها بالمعاشرة والمخالطة — لا بالدرس والمثابرة — بعض ما جهله أصحاب الفضل والعلم والأدب من قومهم لقعودهم بالضرورة والعجز عن مثل الذى ساروا إليه ، وهم بالعلم والأدب أقوم ، وعليه أحرص ، وطبائعهم إليه أشد انبعاثاً

الشباب والسياسة

فى يوم الخميس السالف (٤ يناير سنة ١٩٤٠) ألقى بهى الدين بركات باشا محاضرة عظيمة القدر درس فيها معنى « السياسة » وحق « الشباب » فى المساهمة فى أصولها وفروعها ، ودافع عن حرية الشاب فى أن يهتم « بالعمل العام الذى يتصل فى وقت من الأوقات بتسيير دفة الحكم فى البلاد » . وهذا هو تعريف السياسة عنده ؛ وبذلك يخرج منها النزاع الحزبى الذى شهدته السياسة المصرية خاصة ، على وجه من التنابذ والتعادى والتسفيه والاعتداء على حرية الفرد وحرية الجماعة . فإذا أخرج هذا الضرب من معنى السياسة أوجب العقل أن يكون لكل أحد الحق فى أن يشارك أصحاب الرأى فى آرائهم ، بل إن الشعور بالحرية

الفطرية توجب عليه أن يشارك بالرأى وأن يُضحّيَ فى سبيل المبدأ الوطنى العام الذى لا تقوم الدولة إلا بقيام معانيه فى أعمال الأفراد والجماعات، وقد ناقش المحاضر جماعة من الأساتذة ولكنهم فى مناقشتهم كانوا لا يزالون متأثرين بالمعنى (المصرىّ القديم) للسياسة، وغفلوا عن الغرض الذى رمت إليه محاضرة المحاضر فى الفصل بين ما كان وما يجب أن يكون عليه معنى السياسة؛ وكيف يشارك الشباب فيها بالرأى والعمل. والسياسة – كما قال عزام بك فى موقفه – لا يمكن أن تكون بحثاً فلسفياً مجرداً، لأن الإيمان بعقيدة ما يقتضى التضحية فى سبيل الدفاع عنها، فإذا كانت السياسة عملاً قوميا يراد به المصلحة العامة ومجد الوطن، فهى أمر يستحق كل تضحية. وأما إذا صارت السياسة إلى المعنى الذى شهدناه فى مصر من الخلاف الحزبى على مطامع الحكم فهى أمر لا يستحق أنفه التضحية

ونحن نعتقد أن الإنسان الحر لا يعرف معنى لهذا السؤال القديم: « هل ينبغى أن يشتغل الشاب بالسياسة أو لا ينبغى؟ » فهو سؤال عليه سيماء الذل والعبودية! إن كل أحد فى مصر وغيرها من بلاد العالم — شاباً أو شيخاً غنياً أو فقيراً — عليه دين للأرض التى تغذوه وتموله وتؤويه وتمده وتحفظ له نسله جيلاً بعد جيل، وأداء هذا الدين لا يكون إلا عملاً فى حفظها وحياطتها والمدافعة عنها بالسلاح والعلم والعمل والفكر والنفس، فإذا أخل أحد بشىء من ذلك خان أمانة هذا الدين وأسقط مروءته

وكيف يمكن أن يمتنع الشاب أو الطالب عن الاشتغال بالسياسة؟ أيمتنع عن قراءة الصحف والكتب لئلا يعرض له الفكر فى ذلك والتمييز بين صوابه وخطئه والعمل على بيان مواضع الخطأ ومعاونة الصواب على الاستمرار؟ أم يقرأ أخبار الأمم وأحداثها فإذا أقبل على أمر بلاده طوى الصحيفة واستغفر؟ أم يقرأ ويقرأ ولا يكون إلا كالخزانة، يُلقى فيها ما يلقى ليحفظ ويصان من لصوص الفكر التى يطلقها عقله فى آثارها؟ أم يقرأ ويفكر، ثم يحبس آراءه بين جدران الجمجمة إلى أن يذهب بها الإهمال؟ وكذلك تضعف النفس وتصدأ وتتآكل، لأن الإيمان والعمل بأمره هما جلاء النفس وصقلها لتبقى أبداً مشرقة.

إن الشاب – ولابد – مشتغل بالفكر فى السياسة، ونصرة مذاهب الحق فيها – كما هو – مشتغل بالعلم والأدب والفن؛ ولكن الإشكال كله فى انفساخ القوة الخلقية التى يجب أن يقوم عليها العلم والأدب والفن والسياسة، وكل عمل؛ فتربية الخلق أولّ، ثم ارموا – بالشباب – حيث شئتم: فإنهم عصام الشعب، وهم ذادة الوطن، وهم أصحاب المستقبل

المرأة والرجل

لشد ما اجترأت المرأة فى هذا العصر!! وإذا أخذت المرأة أسلحتها – من الزينة والتطرية والجمال والفتنة، وجيّشت غرائزها – من الحذر والحيلة والضعف والإغراء، لم يبق للرجل إلا أن يستقتل أو يفر... وقد أقامت « وزارة الشؤون الاجتماعية » مناظرة بين الأستاذ « محمد فريد أبو حديد » والسيدة « زاهية مرزوق » وكان غرضها هو « كيف ننهض بالأسرة؟ ». والظاهر أن السيدة الكريمة قد اعتقدت فى قلبها معنى « حرية المرأة » بالإصرار والتعصب فأخذت تنتزع رجولة الرجل شيئاً فشيئاً حتى ليخيل لسامعها أنه مخلوق وحشى منطلق من كل قيود النبل، فهو عندها أنانى لا يؤثر على نفسه، وهو معنى متجسم للفوضى فى بيت الأبوة والأمومة، وهو جاهل متحامل على ضعف المرأة لا يرحمها ولا يحس بآلامها، وهو فاجر متوقح يستجر الأخطاء ويجنيها ثم يرمى المرأة بها وينسلّ منها

وأنا لا أريد الآن أن أدافع عن الرجل، ولكنى أريد أن أسأل السيدة الكريمة ومن يذهبُ مذهبها من النساء: إذا كانت هذه صفة الرجل فى أنفسكن، وإذا تحدثتن بمثله فبلغ الاسماع فى بيوت العقائل، فوقع فى آذان الأم والزوجة، والفتاة الجاهلة الطياشة، فاعتقدنه ومالت إليه أهواؤهن، فبأى عين تنظر المرأة إلى زوجها والفتاة إلى خاطبها؟ وأيّ معاملة يلقاها الرجل بعدُ على أيديهن وبألسنتهن؟

كلا يا سيدتى، إن المرأة هى تجنى أكثر الذنب فيما نعلم، ثم تتنصل، وهى كل الأنانية إلا أن يتصل أمرها ذلك بمصدر الأمومة فى غرائزها، فهى عندئذ مثال الإيثار والتضحية، ... وهى صاحبة الفضائل كلها إذا أثيرت أمومتها وإحساسها بالمحافظة على النوع الإنسانى؛ وأما بغير ذلك، فهى المرأة بضعفها وأنوثتها وحاجتها إلى عون الرجل وتضحيته ورحمته. وليس للمرأة عمل إلا أن تعمل دائماً على أن تجمل الرجل فى عينيها تمام إنسانيتها، وبذلك تستصلح منه ما عسى أن يكون فاسداً، وتتم ما وقع إليها ناقصاً، ويبنى البيت — بيتهما — على أساس من القوة الداعية للبقاء، فمن الرجل الرحمة والإخلاص، ومن المرأة الاحترام والعفاف، ومنهما النسل الجليل المحفوف بالفضيلة من جميع نواحيه.

أبو العباس السفاح

لم تتسع كلمة هذا الأسبوع لتحقيق لقب السفاح أبى العباس عبد الله بن محمد أمير المؤمنين، فأرجأنا ذلك إلى العدد القادم.

محمود محمد شاكر



دراسات فى الفن

هشت ... !

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— هشت !

— ... ما قلة الحياء هذه ؟ أنداء هذا تنادينى به فى الشارع ؟

— وماذا أيضاً فى هذا النداء يغضبك ؟ إنه النداء الذى كان لا بد أن تلبيه . وقد لبيته

— ومن أين جاءك هذا التأكيد ؟ هل جاءك أنى تسميت أخيراً « هشت » ؟ أليس لى اسم تنادينى به ؟

— ومن أين جاءك هذا الاسم ؟

— سمانى به أبى ... ثقلت عليك النواقل ... ألست تعرف أن لى اسماً ؟

— أعرف أنهم يطلقون عليك لفظاً يعلمونك به بين سائر الناس ، وأعرف أيضاً أنك رضيت بهذا الاسم وسكت عنه ولم تعارضى فيه ، ولكننى لا أذكر أنك أخذت رأيى فى هذا الاسم وفى مدى صلاحه لك ، وفى قيمة المؤثرات التى أنتجته ، وفى تحديد ما كان من هذه المؤثرات طبيعيا ، وما كان منها مصطنعاً متكلفاً ...

— يا دين النبى ! أتريد أن نعقد المفاوضات فى هذا كله ، ثم نتفق على هذا كله قبل أن تنادينى باسمى ؟ من يدريك أننا قد نقضى العمر فى هذه المناقشات قبل أن نتفق على اسم كل منا ، فإذا فرغنا من هذا كنا قد أفرغنا قوانا فيه فلا نستطيع بعد ذلك أن نتحدث فى موضوع ما ، فإذا اجتمعنا بعد ذلك قلت لك وأنا ألهث من متاعب اسمى واسمك : تشرفنا يا من الله أعلم باسمك ، فتقول لى : « حفظتم » ، ومن يدرى فلعلك تسألنى : « ومن أين جاءك أننا تشرفنا » ؟

— هو هذا . فالاسم إذا لم يكن تعبيراً صادقاً عن المسمى كان اسماً كاذباً ، وقد اعتاد الناس أن يسموا أبناءهم عند ولادتهم وهم لا يعلمون من أمرهم شيئاً ولا من صفاتهم شيئاً فيسمون « عفيفاً » من قدر الله له أن يكون « دنيئاً » ويسمون « مؤمناً » من قدر له الله أن يكون « كافراً » ... ويسمون مايشاءون ، ولله فى عبده أسماء وعلامات قد تتفق مع أسمائهم ، وقد لا تتفق وكان يمكن للأسماء جميعاً أن تتفق مع مسمياتها ولو فى الظاهر ، إذا لم يتعجل الناس ويسموا أبناءهم ، وإذا تربثوا حتى يقضى كل فرد حياته المقسومة له فى الدنيا فينظروا فيها ويستخلصوا منها الوصف الذى غلب عليه فيسموه به ... هذا هو ما كان يجب أن يحدث ولكن الناس متعجلون ، وقد رأوا أن الله وهب لهم ميزة النطق فاستغلوها بالحق وبالباطل ، وأعملوا فيها عقولهم ، وراحوا يخترعون الألفاظ والكلمات ليقضوا بها حاجاتهم العاجلة ، ونسوا أن القدر الذى هيأ لهم النطق قد هيأ لهم اللغة ... أو هم قد حسبوا أن أمر اللغة هذا موكول لهم فحرروا تصرفهم فيه ، ولم يقيدوه إلا بإرادتهم ، وإرادتهم كانت فى البدء سليمة ، ولكنها أخذت تتهلهل وتتمزق وتتشعب فأصبحوا يريدون مالا يصلح أن يكون موضع إرادة ، أو متجهاً لرغبة ، فبدأوا منذ ذلك يخطئون الكلام ، حتى تفرقوا شعوباً لكل شعب إرادة ، فتبلبلت ألسنتهم وأصبح لكل شعب لسان ، وما فى هذه الألسنة جميعاً من كلام ما أنزل الله به من سلطان ...

— يخيل إلى أنك كنت تفضل أن يكون الإنسان حيواناً صامتاً

— بل كنت أفضل أن يتكلم الناس كلهم لغة واحدة ... فقد خلقهم الله ناطقين وليس عليهم أن يصمتوا بينما أراد الله بهم أن يسبحوه بكرة وعشياً ...

— ولماذا لا تدعو إلى الاسبرانتو ... ما دمت تريد أن يتكلم الناس جميعاً لغة واحدة ...

— الاسبرانتو لا يمكن أن يتعلمها الناس إلا بالتلقين فى المدارس ، أما اللغة التى أطلبها فلغة ينطق بها الناس أينما كانوا من تلقاء أنفسهم بلا معلم ، ويفهمها الناس أينما كانوا من أنفسهم بلا معلم أيضاً ...

— وهل هذا ممكن ؟ أو أنت لم يعد يريحك إلا أن تشرئب إلى المستحيل ؟

— إن الذى أطلبه ممكن وممكن ؛ بل إنه أكثر إمكاناً من الممكن ، فهو كائن وحادث

— فى أى عالم كان هذا وحادث ؟ فى أى دنيا وفى أى أرض ؟

— فى أرضنا ودنيانا هذه ، ولكن ليس فى عالم البشر ، وإنما هو فى عالم الحمير ، وفى عالم الخراف ، وفى عالم القطط ، وفى عالم الكلاب ... فى هؤلاء العالمين وفى غيرهم . هات قطاً من أمريكا، وهات قطاً من أفريقا ، وهات قطاً من أوربا، وهات قطاً من حيثما شئت، واجمعها فى صعيد وانظريها واسمعيها وهى تموء وتقول « نو » ثم قولى لى بعد ذلك أرأيت أنها تتفاهم أم لم ترى ؟ أما أنا فأقول لك إن كلا منهما يفهم صاحبه ، ويعرف ما الذى يريد وما الذى ينزع إليه ...

— إن كل قط يراقب حركات صاحبه فيعرف منها الذى يريده

— اخفى القط عن صاحبه ترى أنهما لا يزالان يتفاهمان

— بأى شىء يتفاهمان ؟

— بلغة القطط

— وهل للقطط لغة ؟ أنا لم أسمع قطاً يقول غير « نو » ، فإذا فرضنا أنها لفظة فهل يمكن أن يقال عن اللفظة الواحدة إنها لغة ؟

— إنها لغة، وإنها لغة كاملة، والقطط فى الحياة الطبيعية تقضى حاجاتها جميعها بها ، وهى على هذا الفقر والجدب الذى ترينه تحتفظ بمكانة لا بأس بها بين لغات الأرض ، فالنسبة بينها وبين اللغة الصينية كالنسبة ما بين ١ ، ٣٠٠٠ أو ٦٠٠٠ وهو أقصى إحصاء لاقانى للغة الصينية ... وهذه نسبة تذكر من غير شك وتستحق التأمل من غير شك ... فليس هيناً أن يكون شعب من الشعوب عتيقاً مثل الشعب الصينى ، ولا تتباعد النسبة بين لغته ولغة القطط أكثر من هذا البعد الطفيف . والنظرة التى أنظر بها أنا إلى الشعب الصينى هى نظرة إجلال وإكبار، فأنا مؤمن بأنه شعب مغرم بالقداسة والطهر والاتجاه بالنفس إلى إرضاء سنن الطبيعة المتطورة المرتقية التى سنها الله ، وهذا هو السبب فى أن اللغة الصينية لا تزال قليلة الكلمات إلى جانب غيرها من اللغات ، فإن أهلها لا يحبون الثرثرة ويستغرقون فى التأمل طويلاً ، يبحثون عن أنفسهم ، وهم لا يتكلمون إلا فى الضرورى من الحاجات ، وضرورياتهم الخاطئة قليلة إلى جانب ضروريات غيرهم الخاطئة العاجلة ...

— إذا وافقتك على أن الميل إلى الصمت والاستغراق فى التأمل هما السبب فى قلة الألفاظ عند الصينيين فلا أظن أنى أستطيع موافقتك على أن التأمل هو السبب فى قلة الألفاظ عند الحيوان ...

— لماذا لا يكون هذا هو السبب ... أتنكرين على الحيوان أنه يتأمل وأنه يتفكر ؟ ... من التعسف الشديد أن تقول هذا ، فالحيوان يتأمل ويتفكر ، ويبدو عليه ذلك ، وإن للحمار والحصان لطرافة بينة ولهما معان ، وقد أحس بعض الشعراء والأدباء والفنانين الصادقين هذه المعانى فناجوا الحيوان . . . أفكان هؤلاء مجانين فنانين أصحاب خيال ؟ طيب ، وما رأيك فى سيدنا سليمان الذى كان يكلم الطير والدابة ... أفكان هذا نبياً وكانت هذه معجزة ؟ طيب ، وما رأيك فى مدربى شركات السينما الذين علموا رن تن تن وغيره من النجوم الحيوانات التمثيل ؟ أليس هؤلاء ممن يتفاهمون مع الحيوانات ؟ إن التفاهم مع الحيوانات ممكن ، وإن للطبيعة لغة ! وإن من المخلوقات ما لا ينطق إلا بما توحيه الطبيعة من الكلمات والألفاظ ، وإن منها مايثرثر ، وليته يثرثر فيما ينفع ... ثقى أن الإنسان لو كان قد صبر حتى تمله الطبيعة الكلام لكان قد اهتدى إلى ألفاظ ينادى بها الجماد فيلبيه

— الجماد الجماد ؟

— الجماد وما هو أجمد . ألم يقل الله فى قرآنه إن هذا القرآن لو قرئ على جبل لاندك ؟

— والقرآن عربى

— وهل قلت لك إنه لاتينى أو يونانى . . . ولكن اذهبى واقرئيه على جبل وانظرى أيندك أم تندكين أنت ؟ إن الذى يدك الجبل هو القرآن العربى لو قرئ بالروح والإرادة

— ولكن اللغة التى كنا نتحدث عنها لغة قلت لى إن لها ألفاظاً

— وهل أنكرت أنا أن هذه الالفاظ عربية ؟ ! إنما الذى أنكره هو أننا ننطق هذه الألفاظ من أعماقنا ... أقول لك هذا وأذكرك بأن فى القرآن ألفاظاً لم يعرفها العرب قبل القرآن

— تريد السندس والاستبرق وما إلى ذلك ؟

— لا . فهذه من صنع الناس أيضاً . . . وإنما أريد : « كهيعص » ، و « حم » ، و « يس » ، و « طه » ، و « الر » وما إلى ذلك ... هل تعرفين معانى هذه الألفاظ ؟

— لقد اختلفوا فيها أيما اختلاف . . . فهل اهتديت أنت إلى معانيها . . .

— ليتنى أعرف معنى إحداها ، من بيبيمى « يس » بليسانس الآداب ودبلوم التربية ؟ ! هاتين المباءتين اللتين لا تشهدان على شىء إلا الاطلاع على ما قال القبمترى وما قالت مونتسورى ! هف ! أريد أن أتكلم يا رب ... ولكنى أحرك شدقى وأصوت فيتعثر لسانى فى حروف صفها أجدادى بعضها إلى جانب بعض . هل سمعت حيواناً يتلعثم ؟ هل سمعت يوماً ثوراً أراد أن يقول

« بع » فقال « كم » أو قال « سع » ولكن الناس يتلعثمون فلماذا يتلعثمون ؟ ولماذا لا يتلعثمون إلا عند ما يلتفتون إلى أرواحهم وأنفسهم عند التدبر أو عند الحذر ؟ أليس ذلك لأن هذه الألفاظ التى نصطنعها ليست من الطبيعة فى شىء وأنها تفلت منا مالم نوجه إليها انتباهاً خاصاً ؟ أليس كذلك ؟ ..

— إن هذا سبب لا يمكنك أن تقطع بأنه السبب

— إنى أعلم هذا ، وأعلم أيضاً أن كل ما قلته لك لا يمكننى أن أقطع به ، كما أعلم أن القطع به يحتاج إلى تجنيد علماء النفس ، وعلماء اللغات ، وعلماء كثيرين غير هؤلاء يتقصون ويدرسون ويشاهدون ويجربون ويقضون فى بحثهم هذا السنين ، وربما القرون . وقد ينتهون إلى تكذيب هذا الكلام وتسخيفه ، ولكن ليس معنى هذا أن أحداً من الناس يستطيع منذ الآن أن يرفض هذا الكلام ، فرفضه يحتاج إلى تفكير مثلما يحتاج إلى التفكير قبوله ، وإن معى من القرائن والأدلة ما يحتاج إلى جهد قبل تحطيمه ...

— علىّ منها بدليل وقرينة

— أما دليلى على أن للطبيعة لغة تعلمها للناس فإجماع الأطفال فى الدنيا كلها على نداء الأب بقولهم « بابا » وعلى نداء الأم بقولهم « ماما » ... ولا تزال اللغات تحتفظ بالباء أو ما يشبهها فيما أطلقت على « الأب » من أسماء كما لا تزال تحتفظ بالميم وما يشبهها فيما أطلقت على « الأم » من أسماء .. أما القرينة ..

— إن الأطفال يقولون بابا و ماما لأن الباء والميم حرفان مفرقمان من حروف الشفتين ، وحروف الشفتين هى أسهل الحروف وأسرعها إلى الخضوع والانسياق للانسان

— طيب ، ولماذا لا يخطىء طفل فيقول لأمه « بابا » ولأبيه « ماما » ؟ هل يعلمه أحد هذا ؟ الطبيعة تعلمه إياه . وفى لفظة « ماما » ما يشبه حركة الامتصاص والرضاعة ، وإن فى لفظة « بابا » ما يشبه الاستنجاد بقوة الأب ...

— صحيح أو كأنه صحيح .. وكنت تريد أن تستشهد بقرينة ...

— نعم . إن الأرض فى اللغة العربية اسمها « أرض » ، وفى اللغة الإنجليزية اسمها earth وهى تنطق إرث و « الإرث » فى اللغة العربية ما يورث ، والإرث فى الأديان جميعاً هو الأرض أورثها الله للانسان ... واللغة العربية بعيدة كل البعد عن اللغة الإنجليزية ، وعلماء اللغات يوسمون الشقة بينهما ، فلا بد أن تكون كلمة الأرض و كلمة earth مما علمته الطبيعة للناس اسماً للأرض ، لأن هذا التشابه لا يحدث إلا فى هذه الحالة ، أو فى حالة أخرى ، وهى أن تكون لغة من هاتين اللغتين قد أخذت هذه الكلمة من اللغة الأخرى وهذا يستبعد أن يحدث فى اسم الأرض التى هى أم الناس جميعاً والتى يعرفها الناس جميعاً ، والتى لا يمكن أن يظل شعب من الشعوب غافلاً أو عاجزاً عن تسميتها ، حتى يأخذ اسمها عن غيره

— وماذا أيضاً ؟ ...

— ليس علىّ أن أصل بك إلى نهاية الطريق ، بل يكفينى معك أن أشير إليه ، فاسع إذا شئت ، ولكل إنسان ما سعى .

— وهبنا وصلنا إلى هذه اللغة الطبيعية التى تقول عنها . فماذا نصنع بها أكثر مما نحن صانعون بلغاتنا ...

— أول ما يحدث أن ينمحى من الدنيا الكذب ، فكلمات الطبيعة لا يلفظها إلا الطبع ... عندئذ يستطيع الإنسان أن يستمع إلى صاحبه بأذنه فقط ، وألا يتفرس فى وجهه بعينه ، ليرى مدى ما ينطبق كلامه على ما يختلج فى نفسه ... عندئذ ستنكشف الأنفس وتخاطب الضمائر الضمائر ... فإذا قلت لك « هشت » ...

— قلت لك « كش » ...

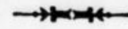
— فقلت لك « هم » ...

عزيز أحمد فهمى



بعـــد الأوان ...

للأستاذ محمد سعيد العريان



يا لله ! وفى الدنيا هذا الجمال ؟

فتاة ، وما أعرف مثلها فيمن رأيت !

أُتراها كانت تعرف أين هى من أحلام فتيان الحى ؟

وكان لها من جاه أبيها جمالٌ إلى جمال ، فاجتمعت لها أسباب الفتنة والإغراء ...

ورآها صديقى فتبدّل غيرَ ما كان ، وإنه لشاب وإنها لفتاة ، ولكنها ... ولكنه ...

وجاءنى ذات مساء وفى عينيه دموع ... يا لى مما أرى ! صديقى يبكى ! هذا الذى كنت أظنه لا يحمل من هم الدنيا إلا مثل ما تحمل نعله من تراب الأرض ! يا عجباً !

وفتحتُ له صدرى فآوى إليه ، ومضى يحدثنى بخبره



« ... وما يليق أن أبقى بعد اليوم عَزَباً ... وقد جاوزتُ الخامسةَ والعشرين ! »

وابتسمْتُ ؛ فما سمعتُ صديقى يتحدث قبلُ عن الزواج بمثل هذا الوقار المحتشم . لقد استطاعت امرأة واحدة أن تحمله على رأي لم يكن واحد من أصحابه جميعاً يستطيع أن يحمله على الإيمان به . ويا طالما قلنا ويا طالما أجاب ... !

ومضى صديقى فى حديثه :

« وأجمعت أمرى على أن تكون لى ؛ فما يرضينى أن لى بها كلَّ متاع الدنيا . لقد وجدتُها ، وهى حسْبى من دنياى !

« وراح الرسول عن أمرى يؤامرها ويرود لى الطريق ؛ وكتم عنها اسمى وخبرى ومكانى بين الناس ؛ فما كان إلا أن سألته : وكم جنيهاً يقبض فى كل شهر ؟

« وأجابها الرسول بما أجاب ، فضحكت ساخرة وقالت: اثنى عشر جنيهاً ؟ يا له من عروس ! فكم يعطى للطباخ وكم يعطى السوّاق ... ؟

« وعاد إلىّ الرسول بجوابها ... ! »

وأطرق صديقى برهة ، ثم رفع رأسه وشفته تختلج وفى عينيه بريق . وابتسمتُ ثانية ، وقلت : فما غضبك يا صديقى مما قالت ؟ إن لها فى الحياة ميزانها الذى تقيس به أقدار الرجال ؛ وإن للحياة موازينها ؛ فما ضرك أن تكون فى ميزانها ما تكون وأنتَ أنت. إن معك الشباب والقوة ، وإن لك غداً يبتسم ويرفّ ، وإن دماً فى أعراقك يتحدث به التاريخ ؛ فهل يخدعك عن كل أولئك أن فتاة تقول ... ؟

وأمسكتُ عن تمام الحديث ؛ فقد رأيت فى عينى صاحبى ما قطعنى وردّنى إلى الصمت !

وعاد إلى حديثه :

« وددت يا صاحبي لو لم يكن كل أولئك وكانت هى ... ! »

ورأيتنى منه على حال لا يجدى معها إلا أن أسكت ؛ فسكت !

وودّعنى صديقى بالوجه الذى لقينى به ، ومضى لشأنه



يا لقلوب الشباب من سلطان الحب !

ولقيته بعد ذلك مرات ؛ ولكنه كان شابًّا غير مَن أعرف هذا الذى كان لا يعرف من فروض الحياة على الحى إلا أن يبتسم ويضحك ، ويعبث بكل شىء ، ويسخر من كل شىء — قد عاد فى عبوسه وتزمّته وصرامة نظرته إلى الحياة خلْقاً آخر ! يا عجباً ! أين ما صار مما كان ؟

تمرُّ به الجميلة الفاتنة قد أخذت زخرفها وازّينتْ ، فما تظفر منه إلا بالنظرة العابرة !

ويسمع النكتة البكر تضجّ لها جنبات المجلس بالضحك والتهليل فما تنال منه إلا بسمةً خاطفة !

وتتداعى أمانىُّ الشباب فى معترك الحديث من حوله فما تسمع منه إلا أنةً خافتة !

ويتبارى للفتيان فيما يحكون من أقاصيص الحب وغزوات الشباب فما ترى على وجهه من دلائل يقظة الوجدان إلا سَبْحة لطيفة من سبحات الذكرى، ثم خفقة طرف وخلجة شفة!

ثم يسمع أحاديث الزواج والخطبة ... فتراه كما ترى جنديًّا في إجازة يتلقى أخبار معركة حربية مظفرة وبينه وبين الميدان أبعاد وأبعاد!

ترى ماذا يتوقع أن يسمع؟

شيء واحد لم يُغيِّره الزمن من أخلاق صاحبي: هو سخاء يده؛ فما عرفتُ في أصحابي من قبلُ ومن بعدُ أكرم يداً منه بما يملك!

***

وترادفت الأعوام، ولم يتزوج صديقي ... ولم تتزوج صاحبته!

أتُراها كانت تعلم من خبره ما أعلم؟ ومن أين لها؟ ... إن لصاحبي من الكبرياء ما يمنعه أن يلتمس إليها الوسيلة بعد ما كان ... وإن ... وإن الخطاب لتزدحم أقدامهم على بابها فما تعرف كم ردّتْ بالخيبة والخذلان!

أم تراها تعرف اسمه؟ ... هذا الذى لا تذكر من صفاته — إن ذكرتْ — إلا أنه شاب يبلغ دخله في الشهر اثنى عشر جنيهاً، بعثَ إليها مرة يخطبها فردّته ... وكم في خدمة الدولة من شبان يبلغ دخلُهم ما يبلغ دخلُه؛ وحسبه هذا تعريفاً بين آلاف من النكرات!

ولكن صديقي اليوم في منصب رفيع. لقد سما به جده وعمله إلى ما لم يبلغ أحد من نظرائه! أتُراه يوازن الهوم بين ماضيه وحاضره؟

***

لقد مضى منذ تلك الليلة التى زارني فيها صديقي زيارتَه خمس عشرة سنة!

ياه ...! ما أسرع ما تمرّ السنون! ... أين أنا اليوم مما كنت يومئذ؟

لقد كنتُ يومئذ فتًى في باكر الشباب، لم يجر حدُّ الموسى على عارضه بعد؛ وإنني اليوم لزوجٌ وأب، وإن في رأسي لشعرات بيضاً ما إن يخفيها ميلُ الطربوش ولا صنعةُ الحلاق! ...

وصديقي لم يزل عزباً ... صديقي الذى كان يخشى أن تفوته سن الزواج، منذ خمسَ عشرةَ سنة!

أين هو اليوم؟ وأين حاضره من ماضيه؟

لقد ضربتْ بيني وبينه ضرباتُ الدهر فلم ألقه منذ أعوام. وددت لو أعرف من خبره!

***

وخرجت أمس من دارى على ميعاد. فإني لفي طريقي إذ لقيته! يا للحظ!

وأقبلتُ عليه وأقبل عليّ؛ وهممت أن أسأله حين بادرني بقوله: «إنني أدعوك بعد غد إلى دارى ... ...»

— تدعوني؟ ...

— نعم، لقد اتفقنا أن يكون الزفاف بعد غد!

— بمن؟

— وهل حسبتني أرضى يوماً أن لي بها كلَّ متاع الدنيا! إنها هي ... لقد ضرب القدر بيننا موعداً فلم يخلفه. إن لكل شيء أوانه!

***

... وكما جلس صديقي منى مجلسه ذات مساء، منذ خمس عشرة سنة ليحدثني بخبره — كان مجلسه الليلة مني ...

وكان في عينيه بريق غير البريق، ولصوته لحن ورنين، وفي عينيه دموع؛ وكانت الكلمات ترتعش على شفتيه؛ لأن فيها نبضات قلب حي. وصعّدت نظرى إليه؛ فرأيت في فوديه شعرات سوداء في شعر أبيض، كأنما كانت لتشير إلى أنه ما زال هنا بقية من شباب.

ومضى صديقي في حديثه ...

«... ولم يعد إليها رسولي منذ كان ما كان؛ وما عرفت اسمي ولا جاءها خبر من خبرى بعد؛ وكأنما كان يدخرها لي

القدر ؛ فلم تتزوج ، وارتد الخطاب جميعاً عن بابها مخذولين ، وآن الأوان ... ...

« هل جاءك يا صديقى أن مرتبى اليوم فى الحكومة ثلاثون جنيهاً فى الشهر ، غير ما أكسب من أعمالى الخاصة ؟ ... ... وبعث إليها رسولاً آخر يؤامرها للمرة الثانية ... »

وضحك صديقى ضحكة مرحة ، ثم عاد يقول :

— أتذكر ليلة جلست إليك أحدثك مثل حديث الليلة ، منذ ... منذ كم ... ؟

« ... وقالت للرسول وقال لها ؛ ثم سألته : وكم دخل صاحبك فى الشهر ؟ فأجابها ... وكان القدر قد هيأ أسبابه ، فأجابت ... وزرتها من بعد ، وتم الاتفاق ! »

قلت لصاحبى :

— فهل عرفت هى أنك أنت أنت ، ... هل عرفت أنك سعيت لخطبتها مرة منذ خمس عشرة سنة فردتك ؟

فقال :

« وماذا يمنينى ، عرفت أو لم تعرف ؟ حسبى أنها اليوم لى ؛ وأن ما أردته قد كان ! »

* * *

ووجد المسكين تعبير رؤياه بعد خمس عشرة سنة من عمر الشباب ، ووجدت تعبير أمانيها . وباعت المسكينة شبابها وشبابه بثمن بخس ، حين تأبت عليه ، ومعه حرارة الشباب ونضارة العمر وسعادة الحب لترضاه من بعد وهو شباب مدبر ، ونجم آفل ، وشعلة إلى رماد ! ...

محمد سعيد العريان



قيصر ستالين الرهيب

[ملخصة من مجلة «باريد» الانجليزية]

كلما مرت الأيام زادتنا اعتقاداً بأن حالة روسيا الاشتراكية اليوم ينطبق عليها المثل الذى يقول: «تتغير وحالها لا يتغير» ويقول (هارولد ونى) فى مجلة (نيويورك مجازين): «كانت روسيا القيصرية فيما مضى توصف بأنها ولاية تحكمها طائفة من السفاحين» ووصف كاتب بلاد السوفيت فى عهدها الحديث فقال: «هى دولة بيروقراطية يأمر بها زمرة من الجلادين». وهذا قول صحيح إلى حد بعيد، إذا أعدنا إلى الذاكرة عملية التطهير الكبرى التي اجترمت فى روسيا ما بين عام ١٩٣٦ وعام ١٩٣٨. أما اليوم فقد نكون أقرب إلى الدقة والصواب إذا قلنا إن النظام الحكومى الذى تسير عليه روسيا الآن، هو نوع من الحكم الاستبدادى الشرقى القديم

فروسيا يحكمها رجل واحد هو «جوسيف ستالين» ينفذ إرادته المطلقة فيها بطريقة لم تتح للقيصر فى جبروته، بل لم يظفر بها هتلر، وذلك أن النظام السوفيتى متوغل فى حياة الشعب الداخلية والخارجية، بطريقة لم يسبق لها مثيل فى حياة الإنسان

ومن ثم كان من السهل على «الكرملين» أن يعلن الرأى النهائى فى السياسة العالمية — ما بين عشية وضحاها — كما فعل فى الوقت الأخير إذ أعلن فصم العلاقات الروسية بالأمم الديمقراطية الغربية وارتباطها بألمانيا. فى مقدور ستالين أن يتصرف كيف شاء فى سياسة روسيا الخارجية. ولا يجسر أحد أن يرفع صوتاً ما بمعارضته بحال من الأحوال

فروسيا وإن كانت تعد من الناحية النظرية أمة ديمقراطية، بعد أن كانت — نظرياً — تحكم حكما دكتاتورياً بواسطة الطبقة العاملة، فهى فى الواقع لم تكن قط فى هذا ولا ذاك. قد يكون لينين ورفاقه يرمون إلى قيام دكتاتورية من العمال، وقد يكون فى دعوى نظام الديمقراطية الروسية عام ١٩٣٦ شىء من الإخلاص

إلا أن التجارب التى اكتسبها الاشتراكيون بسلطتهم المطلقة قد أقنعتهم بأن الشعب الروسى يجب أن يقاد، يجب أن يقهر ويقبض عليه بيد من حديد. فأصبح لينين دكتاتوراً ولكن بعقله وأخلاقه قبل أن يكون دكتاتوراً بقوته وجبروته

وقد تولى ستالين الزمام بعد لينين، فصار دكتاتوراً مطلق الحرية أكثر مما كان لينين. ويرجع نجاح ستالين كما كم مستبد منقطع النظير فى العصر الحاضر، إلى خبثه الزائد واستهتاره الذى لا حد له

ولعل قوة البوليس فى روسيا هى المصدر الحقيقى لنفوذ ستالين والبوليس الروسى يقوم على نظام لا يتفق مع العقلية الأوربية على الإطلاق، وهو يقوم بأعمال واسعة النطاق فى التجسس وسفك الدماء، وتشجع السلطة السوفيتية التجسس بين أبناء الشعب حتى أن الجار فى روسيا يتجسس على جاره والشخص يشى بأفراد عائلته، وقد تصل بلاغات البوليس إلى حد الاختراع ويضيع بسببها كثير من نفوس بريئة

فكل إنسان فى روسيا اليوم خاضع لستالين، وفى اللحظة التى تقع فيها الشبهة على إنسان يختفى أثره من الوجود

على أن ستالين لا تعوزه الوسائل التى يستحوذ بها على الرأى العام فى روسيا. فهو يضع تحت يده الصحافة عامة والإذاعة والمسرح والسينما وكل ما عدا ذلك من وسائل التعبير. فإذا أراد أن يطلب كلمة الرأى العام فى المساء كانت بين يديه فى الصباح بغير كد أو عناء

فإذا نظرنا إلى ضحايا ستالين من النفوس، وإلى اليد الحديدية التى استولى بها على الشعب الروسى أفراداً وجماعات، أيقنا بأن الحاكم المستبد المعروف باسم «قيصر إيفان الرهيب» لم يكن شيئاً إلى جانب ستالين

التحالف الدولى لأجل السلام

[ملخصة عن «وسترن ميل» نيوكاسل]

منذ بضعة قرون خلت خرّبت أوربا، وشطرتها الحروب باسم الدين وتأرثت نيران القتال بين البروتستانت وبين الكاثوليك فى سبيل السيادة والسلطان، وعادت حروب الأسر التى كان يثيرها الملوك والأباطرة، إذ كانت الشعوب تعامل لديهم كالرهائن، فانصرفت إلى تلك الناحية القائمة على التعصب الدينى، وصار كل يعمل من جانبه لإيقاع الشر بالآخرين، بدعوى أنه يؤدى واجبه نحو الله، بدفع أعدائه إلى الجحيم

وفى القرنين السابع عشر والثامن عشر، بدأت تظهر فكرة الوطنية، وأخذ التنافس يدب بين الأمم الأوربية فى سبيل السيادة

فيما وراء البحار ، فزالت فكرة الحروب الدينية ، وخلفتها حروب أخرى قائمة على الغلبة ، والمنافسة فى التوسع التجارى ، وإفساح الطريق أمام المهاجرين

ومن ثم تغيرت صفة الحرب، فلم تعد آلة لتنفيذ شهوات الحاكين أو سلاحاً يشهره رجال الدين لنصرة مذهب على مذهب آخر، فهى وسيلة للحكومات الوطنية التى تسعى وراء التوسع والسلطان .

فما هو الدرس الذى يمكننا أن نستخلص من هذا ، للحالة القائمة فى أوربا اليوم ؟ إن المشاغبات الدينية التى كانت تقع فى أوربا فى القرن السادس عشر ، والقرن السابع عشر ، أصبح لها مشابه فى مبادئنا السياسية اليوم . فالدكتاتورية والفاشية والبلشفية والديمقراطية لكل منها دعاتها المتعصبون لها ، الراغبون فى فرض نظامهم السياسى على الأمم الأخرى

نحن نؤمن بالديمقراطية، بل ونحن على أتم استعداد للدفاع عن نظامنا الديمقراطى المتيد، ولكننا لا نرى معنى لفرض هذا النظام على أمة أخرى. فنحن على ثقة بأن الديمقراطية سيكون لها الفوز فى كل أمة فى النهاية، لأنها خير الأنظمة الحكومية وأليقها ببنى الإنسان

فإذا كنا نحارب ألمانيا اليوم ، فنحن لا نحاربها لقسوة الحكومة النازية وظلمها ، فهذا شأن من شئون الألمان ؛ ولكننا نحاربها لاعتدائها على بولندة وتشيكوسلوفاكيا ، فإذا رد الشعب الألمانى إلى هذه البلاد استقلالها كان من السهل أن نضع يدنا فى يده ، وأن ندخله معنا فى محالف دولى عام

إن النازية سوف لا تتفق معنا على مثل هذا التحالف ؛ ولكن الشعب إذا أعد نفسه لقبول هذه الفكرة التى لا بد منها لإقرار السلام فى العالم ، لن يقوى هتلر على مقاومتــه ، ولا يقف أمام إرادته ، بل يختفى أثره ، وتذهب مجهوداته أدراج الرياح

كيف نضطلع بأعباء الزواج

[ملخصة عن مجلة « يو »]

نحن نقبل الزواج فى العادة لأننا نريد أن نشبع فى أنفسنا الرغبة فى أن نحب وأن نحب ، وأن نظفر بالرفقة الطيبة ، ونشعر بالدعة والسلام ، ونحس فى أعماقنا بأننا نعيش كيف نشاء . تلك هى الأسس التى تدعم فى أنفسنا فكرة الزواج وليست الفكرة الجنسية كما يظن بعض الناس . فإذا أتيح لنا أن نشبع فى أنفسنا ذلك الشعور المتأصل فى أعماقها جاء التوافق الجنسى تبعاً لها ولا محالة

إن الناحية الجنسية ضرورة فسيولجية ولا شك ، ولكنى أستطيع أن أقول هنا إننى قد تبينت فى تجاربى النفسية ، وأنا أصغى إلى حديث الزوجات والأزواج وهم يفرغون على أذنى ما بدا وما استقر من متاعبهم الزوجية ، حقيقة تتأكد لى صحتها كل يوم، وهى أن الدواعى النفسية هى أهم شىء فى الزواج. فإذا نبذت هذه الناحية أو مست بسوء أوعدت عليها بعض المتاعب التى تكدر صفاء تلك الرابطة وتحرمها الأمن والسكينة، تبدد التوافق الجنسى تبعاً لها

إن الزوج الذى لا يعرف التبصر فى النهار ، جدير بأن يجد زوجة عاجزة عن مبادلته الحب فى الليل ، والزوج الذى تستهين به زوجته وتمتهنه لا يجد سبيلاً إلى أن يشتهيها أو يشتهى أى شىء آخر ، وليس العلاج فى هذه الحالة عند الطبيب الذى تندفع إليه ليعالجك ببعض العقاقير أو المحامى الذى تلجأ إليه ليضع حداً بينك وبين زوجك ، ولكن العلاج هو حسن التفاهم الذى يظهر بمرور الأيام فيزيل ما فى النفوس من الآلام ويمحو ما يخالجها من النزق وقلة الانسجام . وخلاصة القول أننا جديرون فى هذه الحالة بأن نجعل الزواج متفقاً بقدر الإمكان مع الحاجات النفسية التى يريدها كل من الآخر

جيوفانى فركا يحدثنا عن الملاريا

عندما يقرع الجرس من جديد القطيع فى السكون العميق تهرب العصافير دون ضجة والراعى نفسه الأصفر من الحمى والأبيض من الغبار يفتح جفونه الوارمة برهة ويرفع الرأس فى ظل الخيزرانات اليابسة . لأن الملاريا هنا تدخل فى الخيزران الذى تأكله فالملاريا تفاجئ السكان بغتة على الطريق المقفرة وتفاجئهم أمام باب البيوت المحروقة بالشمس مرتجفين من الحمى تحت ملابسهم الواسعة مع الغطاء على الرأس .

والآن قد انقلب كل شىء فتحت سماء إيطاليا أقوياء البنية وهم لا يشكون الآن من مرض الملاريا . وهى السكينا التى سمحت بهذا التغيير السكينا الدواء المعروف منذ سنة ١٦٣٠ فلجنة الملاريا بجمعية الأمم التى تكرس نفسها خصوصاً لدرس المسائل المتعلقة بالملاريا تنصح لدرء هذا المرض بأخذ ٤٠٠ ملليجرام يومياً من السكينا طول موسم الحيات وإذا كان أصيب الانسان بالمرض فالدواء الموصوف يلخص فى علاج سريع المدة فيكفى أخذ جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من السكينا كل يوم مدة خمسة أو سبعة أيام ولا داعى للمعالجة التكميلية فنى حالة الانتكاس يمكن تطبيق العلاج ذاته .



عود الى المسرح

قلت فى مقالى السابق فى المسرح (٣٣٥) إن الفرقة القومية إذا أصرّت على أن تتجافى عن الفن السليم الرقيق — ولا أقول الخالص بعدُ — فلتهجر إلى شارع عماد الدين تنافس فيه ما تشاء. فهنالك معترك المسرحيات الرثّة . و « لويس الحادى عشر » من البضاعة المبتذلة . وإن خطر لك أن تستوحش من ناحيتى فتتوجس منى التشدّد ، نخذ حكم ناقد بصير من نقاد المسرح فى فرنسة واسمه لوسيان دوبيك Lucien Dubech ؛ و « لويس الحادى عشر » من تأليف ك . ديلافنىْ C. Delavigne وهو فرنسى ؛ وفى فرنسة برزت تلك المسرحية ، وأديت غير مرة . يقول دوبيك فى مؤلَّفه الضخم : « التاريخ العام المزوّق للمسرح » (باريس ١٩٣٢ ج ٥ ص ٤٥ ى ى) : « إن مسرحية لويس الحادى عشر ليست بأحسن من أرذل المآسى الابتداعية (الرومنتيكية) » . ثم يبين دوبيك مقدار فساد المسرحية من جهة حقيقة التاريخ وحبك الموضوع ونسج الشاهد

تلك هى قيمة المسرحية ، وهى من نوع المأساة المفرطة الملفّقة تلفيقاً mélodrame à ficelles . وأما تأديتها على مسرح الأوبرة فلولا براعة الأستاذ جورج أبيض واقتصاده فى الأداء ، فى الفصل الأول والثانى ، لانقلبت المسرحية كلها « مهزلة » وضربت إلى لون التهريج le burlesque . وتدلس النظارة ذلك اللون فى الفصل الثالث إذ غالى أبيض فى الرجفان واللهاث والحشرجة والتضوّر . وأثار هـذا المشهد من حولى الضحك الفاتر ، فحمدت الله على أن زمن طلب الانتفاض الرخيص قد ولّى . وكأنى بالأستاذ أبيض — مع إكبارى لسماه — عزّ عليه أن يترك فى ذلك الفصل طريقته الأولى ، وقد فاته أن الذوق يسيل ويتحول

وفى الإخراج نفسه مآخذ. من ذلك موقف الأستاذ حسين رياض فى حجرة الملك ، فإنك تراه ينوى اغتيال الملك فيصيح صياح الذبيحة — كأنه ينالب أبيض فى المغالاة — وخلف باب الحجرة حرّاس كأة ساهرون . إن ذلك الموقف يتطلب الهمس المضطرب والقرّ فى الأذن ؛ وذلك آخذ للأعصاب من الصياح والولولة . ومن المآخذ أيضاً أن كراسى المخدع كانت منجدةً تنجيداً ، والتمارَف أن فن الأثاث فى عهد لويس الحادى عشر — أى قبل تأثير الفن الإيطالى l'italianisme فى بقايا فن القرون الوسطى — يجهل الفُرُشَ المنجدة ، بل يطرح الطارح على المقاعد المختلفة نمارقَ وبُسُطاً ووسائدَ . ومن المآخذ أيضاً أن المخرج لم يُفد من الدَّرَجِ القائم فى منتصف الحجرة، المؤدى إلى مخدع الملك . فإنما على ذلك الدرج كان يحسن بالمغتال أن ينقضّ على الملك. وهكذا يكون الانقضاض من علٍ ، ويكون الصراع ، مع ما يليه من تقلب الملك على الأرض ، بيّناً للنظّارة

أضف إلى كل هذا أن نفراً من الممثلين لم يحسنوا الإلقاء ولا تنغيم الكلام . ويحزننى أن أخصص فأذكر الآنسة فردوس حسن والأستاذ زكى رستم

بقى أن فى الفصل الثانى مشهداً لطيفاً . وهذا المشهد إلى نوع المهزلة قريب ، والمهزلة فن نحكمه فى مصر ، ولذلك يستغيث به المخرجون عندنا لعلمهم أنه عمود النجاة

وهنا ألتفت إلى الأستاذ فتوح نشاطى الذى أخرج منذ عودته من باريس مسرحيتين : الأولى « تحت سماء إسبانية » ، وأظننى قلت فى تأديتها قولاً حسناً ؛ والثانية « لويس الحادى عشر » . ألتفت إلى الأستاذ فتوح أصارحه بأنى أراه يُخرج مسرحيتين يعرف أنه يظفر من ورائهما بالنجاح السهل ، إذ أنهما من النوع الذى يُرضى من قلت درايته وجَفت ثقافته . وهو نوع يلوذ بالتأثير المباشر والحادث النفّاض ، فضلاً عن إغراقه فى الابتداعية الكريهة . ومتى نتخلص منها ؟ ألا قد حان الزمن يأيها الناس!

وكم كنت أود أن أرى الأستاذ فتوح نشاطى يهمس فى أذن الأستاذ أبيض : أريد أن تمثل لويس الحادى عشر ، فاعدل عن تلك المسرحية البالية التافهة إلى إحدى مسرحيتين لبول فور Paul Fort . أما الأولى فعنوانها « لويس الحادى عشر الرجل الشاذ » Louis XI, curieux homme وقد برزت على مسرح « الأوديون » سنة ١٩٢١ . وأما الثانية فعنوانها « أصفياء

الملك لويس الحادى عشر » Les Compères du roi Louis وقد برزت على مسرح «الكوميدى فرانسيز» سنة ١٩٢٦ . فهنا نصيب اللطف والنسق فضلاً عن الجدّة والروح الشعرى

إن الأستاذ نشاطى انطلق إلى باريس وأقام بها سنة ونحو سنة ليقفل وبين يديه الطرائف وبين جناحيه ولع بالفن الرقيق أمنية أرقب من يحققها : جماعة أو فرقة أو شعبة للفن الخالص ، الفن الطالع

بشر فارس

نهج البلاغة أيضاً

إلى الأديب الكبير الأستاذ النشاشيبى

قرأت بلهفة شديدة فتواكم الأدبية على استفتاء السائل العراق حول نسبة (نهج البلاغة) وذلك قبل أن أسبر موضوعات الرسالة الغراء ، لظنى أن جواب حجة الأدب وأعلم الناس بمراجع هذا البحث ، كما اتفق على ذلك السائل وخصومه ، سيكون شافياً كافياً . ولكن مع الأسف لم يكن كذلك ، لأن الأستاذ اكتفى بترجيح قول المنكرين بلا مرجح حيث لم يدعم فتواه بالدليل والبرهان شأن غيره من أهل البرهان وفرسان الأدب وحجاجحه . كما أن إحالة السائل ومناظريه على كتابيه حفظه الله (كلمة فى اللغة العربية) و (الإسلام الصحيح) غير كافية للحكم .

ثم إن قول حجة الأدب « إن نهج البلاغة من كتب إخواننا الإمامية وهو مجموعة مصطفاة إن لم يحبره سيدنا على (رضى الله عنه) فقد انتقاه وحبره علويون كما زخرف محدثون (كل حزب بما لديهم فرحون) » قول مجرد لا يقنع الخصم . وكان الأجدر بأعلم الناس بمراجع هذا البحث المهم أن يزيح العلة ويشفى الغلة بما لديه من حجج وبراهين وإن كانت التى أوردها فى كتابيه (كلمة فى اللغة العربية والإسلام الصحيح) ذلك ليكون القراء على بينة من حقيقة هذه الدعوى وحجة الفتوى التى اضطرتنى إلى أن أطلب إلى الأستاذ الحجة وألتمس منه تنويرى وإرشاد طلاب الأدب وهواة التاريخ بإيضاح النقاط التالية :

١ — من هم العلويون الذين حبروا مجموعة كتاب (نهج البلاغة) المصطفاة ، لأن كلمة المنكرين تكاد تتفق على أن واضعه هو الشريف الرضى وحده بلا معين ولا شريك

٢ — هل يقصد الأستاذ بكلمة العلويين الذين يمتون إلى علىّ بصلة النسب أم بالمبدأ والتشيّع له ؟

٣ — هل تمت مجموعة النهج فى عصر واحد أم فى عصور مختلفة مع بيان الأسباب والدواعى لوضعها على قدر المستطاع

٤ — ما قولكم دام فضلكم فيما أثبته المؤرخون وجهابذة الأدب من قدماء ومتأخرين من غير العلويين فى صحة نسبة أغلب المجموعة المصطفاة لسيدنا علىّ كرم الله وجهه

٥ — إرشادنا إلى الخطب التى ثبتت صحة نسبتها لأبى الحسين عند الأستاذ

٦ — إذا عسر على حجة الأدب أن يزيل عنا الإبهام الوارد فى جوابه الذى أجاب به السائل العراق والمنحصر فى النقاط المتقدمة ، فإلى من تنتسب مجموعة (نهج البلاغة) وهو الكتاب المظيم بعد كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . هذا ما نود من صميم الفؤاد ألا يضن حضرة الأستاذ بإعطاء الجواب الشاف عليه ، وبذلك يكون قد أسدى خدمة جليلة جديدة للأدب العربى الصحيح .

(بعضوية — عراق) توفيق الفكيكى

فى معنى بيت وإعرابه

قال أعشى قيس فى مطلع قصيدته فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم :

ألم تَغتمِض عيناك ليلة أَرْمَدَا وبت كما بات السَّليم مُسهَّدَا

فقال النحاة : إن « ليلة » فيه ليس منصوباً على الظرفية ، لأنه يكون المعنى على ذلك ألم تغتمض عيناك فى ليلة أرمد ، وهو الذى يشتكى عينيه من الرمد ، وذلك معنى فاسد ، وإنما هو منصوب على أنه مفعول مطلق ، والمعنى عليه : ألم تغتمض عيناك اغتماض ليلة أرمد ، أى اغتماضاً يشبه اغتمامه ، فحذف المصدر المضاف إلى الليلة وأقيمت مقامه ، فصار إعرابها كاعرابه

وقال صديق العالم العلامة أبو رجاء فى تعليقاته على سيرة ابن هشام : هذا الذى ذكره النحاة مبنى على أن « أرمد » صفة معناها الذى أصابه الرمد ، والألف فيه ألف إطلاق ، وعندى أن خيراً من هذا كله أن يكون قوله « أرمدا » فعلاً ماضياً مسنداً

إلى ألف الاثنين التى تعود إلى قوله « عيناك » وعليه يكون ليلة منصوباً على الظرفية . قال الفيومى فى المصباح : « رمدت العين من باب تعب وأرمدت بالألف لغة » ويكون قد حذف تاء التأنيث من الفعل المسند إلى ضمير المثنى المؤنث

وقد تكلف صديق أبو رجاء هذا الإعراب بناء على تلك اللغة التى ذكرها المصباح ، وعلى أن الفعل المسند إلى ضمير المؤنث المجازى يجوز تجريده من التاء فى ضرورة الشعر . ولو أن الأمر يقف عند هذا لسهل الخطب ، ولكن المعنى الذى أراده الأعشى لا يتفق مع هذا الإعراب ، وهو معنى متقرر عند الشعراء لا ينفرد به الأعشى وحده ، وقد ورد فى قول امرئ القيس بن عانس الكندى :

تطاولَ ليلك بالأثمُدِ ونام الخلىُّ ولم ترقُدِ
وبات وباتتْ له ليلةٌ كليلة ذى العائر الأرمد

فالأعشى يريد هذا المعنى الذى صرح به امرؤ القيس ، وهو ظاهر جداً فى إعراب جمهور النحاة ، ولا يريد الأعشى أن عينيه اغتمضتا فى ليلة إرمادها ، لأنه لم يكن فى موقف الشكوى من هذا ، وإنما كان فى موقف النسيب الذى يبتدأ به القصيد ، وهذا ما قررته لطلابى فى القسم العام بالجامع الأزهر عند موضعه من المفعول المطلق

عبد المتعال الصعيدى

فى عيد القاهرة الألفى

مما عنيت به الجمعية الجغرافية الملكية — لمناسبة عيد مدينة القاهرة الألفى — إصدار كتابين عن المدينة ، أحدهما باللغة الفرنسية ، وهو يتناول الكلام عنها منذ نشأتها إلى ما قبيل حملة نابليون ، كما رآها الرحالون الأوربيون . وقد اضطلع بتأليفه الأساتذة : فييت ومونييه ودوب ؛ وأتموا جانباً كبيراً منه .

وسيضم هذا الكتاب الأحاديث الممتعة التى كتبها عن القاهرة كثير من الرحالين الذين زاروها حين كانت أغنى مدن الشرق وأعظمها اتساعاً . ويشتمل إلى هذا ، على وصف معالمها والمراسم التى كانت تجرى فى استقبال سفراء الدول الأوربية فى بلاط السلاطين والخلفاء .

وأما الكتاب الآخر ، فيتناول موضوع « القاهرة عند الرحالين الشرقيين » ، وسيصدر باللغة العربية ، وقد أخذ فى تأليفه الدكتور زكى محمد حسن والنقيب عبد الرحمن زكى ، وهو يتمم الكتاب الأول .

وستعرض الجمعية نموذجاً كبيراً مجسماً لمدينة القاهرة بدىء بعمله منذ حوالى عشر سنوات بفضل رعاية المغفور له الملك فؤاد . وقد أتمه المختصون فى مصلحة التنظيم فجاء مشتملاً على كل مبنى وشارع وبيت فى المدينة .

وكذلك تعرض الجمعية مجموعة كبيرة من المصورات الجغرافية والمستندات واللوحات والصور التى تتعلق بعاصمة البلاد وتاريخها فى مختلف العصور .

إلى الأستاذ الجليل « ر »

اطلعت فى الجزء (٣٤٠) من الرسالة الغراء على مقالكم القيم « قد لا يكون » ، وفيه سقتم شواهد على صحة توسط « لا » النافية بين «قد» والفعل. وإنه لعمل عظيم تضيفونه إلى ما أسديتم إلى قراء العربية من أياد يشكرونكم عليها ...

غير أنه لفت نظرى نقلكم هذه العبارة من كلام العكبرى — أن قد صدقتنا — أن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف وقيل : أن مصدرية (وقد لا تمنع) من ذلك إلى منتهى كلام العكبرى .

فأنت ترى معى يا سيدى الفاضل أن «قد» فى كلام العكبرى مبتدأ خبره قوله : « لا تمنع من ذلك » أى أن وجود « قد » فى الكلام لا ينافى أن تكون «أن» مصدرية. فليس مما أنتم بسبيله. وتقبلوا تحياتى وإجلالى

عوض السيد السمل

وبل للحقائق منا

فى العدد (٣٣٩) من الرسالة الزهراء كتب الدكتور زكى مبارك — وإن يكن أخفى اسمه فقد نم عليه أسلوبه — مقالته « غيمة الأسلوب » وفيها يلوم زمانه وأهل زمانه ، ثم يقارن بين حاله

وحال النبي أيوب شيخ الصابرين فيقول : « وأين لجيمة أيوب في دنياه من لجيمتي في دنياي ؟ ... كان الدينار لمهد أيوب يمون الرجل شهراً أو شهرين ، وأنا في مهد يهان فيه الرجل إن اكتفى بالدينار يوماً أو يومين ، فمن يسلطني على دهرى فأسجل رزاياه على نحو ما صنع أيوب ؟ »

وفي العدد (٣٤٠) كتب أستاذنا الزيات آيته : « هل خصب الأرض يستلزم جدب القرائح » فكان مما قاله فيها : « تستطيع أن تقول إن مصر في جلتها بلد غني ، يؤتي أكله كل حين بيسير الجهد وقليل النفقة ، فأهله آمنون من موت الجوع ، لأن الفقير يملك أن يمسك روحه بنصف قرش ! وما أيسر ما يجد قرشين في اليوم بالعمل الحقير أو السؤال الملحف » !...

هـذا قول الزيات وذلك قول مبارك ، وبينهما التناقض الواضح ، لأن الفقير عند الزيات يضمن قوته بنصف قرش ، فلا يصعب أن يضمن الغني قوته بقروش ... ولكن المبارك يوهمنا بأن المكتفي بيننا بالدينار ينفقه في اليوم أو اليومين مهان محتقر ! فأين يقف القراء المساكين من هذين القولين ؟ ...

أصرح برغم صداقتي بالدكتور مبارك أن هواى مع أستاذى الزيات ، وفكرى يميل حيث مال فكره العبقرى ، والصداقة شيء والرأى شيء آخر يا دكتور ...

ولقد كان الأستاذ عزيز فهمي الداعب المدقق البارع موفقاً حين أزال عن الدكتور مبارك (مكياجه) و (رتوشه) فقال ساخراً متهكما : « إن الكاتب من الكتاب الذين يشعرون بأن الإنسان يهان إذا اكتفى بالدينار في اليوم أو اليومين ... فهو من غير شك قد رحمه الله من إهانات يا لها من إهانات لو لم يكن ينفق الدينار في اليوم أو في اليومين . . . كان الله في عون الكتاب وغير الكتاب من أبناء اليوم الذين ينفقون الدينار في الأسبوع أو في الشهر أو في العام . . . إن هؤلاء هم الأيوبيون — لا الأيوبون يا أستاذ عزيز ! — »

سامحك الله يا دكتور مبارك وغفر لك قولك ! . . . إذن ألف رحمة وحسرة على كثير من الأدباء في مصر لا يجدون الخبز الأسود إلا بشق الأنفس ، وقد ينفقون القرش — القرش لا الدينار يا دكتور ! — في اليوم أو اليومين ! . . . إذن ألف أسف لذلك العدد الضخم من الكتاب والصحافيين الذين تتلقفهم المقاهي وتتلاعب بهم الأندية أو الطرقات ، وهم إلى الصعاليك والمشردين البؤساء أقرب منهم إلى الكتاب والأدباء ! ...

إنك سعيد ومحظوظ ومحسود يا دكتور ، لأنك تعتبر نفسك مهاناً لأنك تنفق في اليوم أو اليومين — على الأكثر — ديناراً بأكمله . . . يكاد قلمي أن يسطر عبارة لوم واتهام لك ، إذ تسبح في بحار النعيم وتخطر في فردوس الغنى ، وأمامك الكثير من إخوانك تصرخ أمعاؤهم جوعاً ، وأجسامهم ضنى ومرضاً ؛ وأنت لا ترق ولا تلين ، فتعطيهم ما يفضل من دنانيرك من قروش ومليمات ! . . . ثم لا تكتفي بذلك ، بل تذهب فتغالط وتشكو وتتألم !! . . . ويل للحقائق منا يا دكتور ! . . .

« كلية اللغة » أحمد جمعة الشرباصي

إعراب جمل

سيدي الأستاذ الكبير صاحب الرسالة الغراء

في الوسط الأدبي الذى أعيش فيه خلاف على إعراب الجمل الآتية وما في حكمها :

يريد أن يعرب البيت فيعجمه

يريد أن ينجح فيرسب

يريد أن ينهض فيكبو

فهل « الفاء » للعطف فينصب ما بعدها ؟ إن يكن ذلك فإن الإرادة تنسحب إلى الفعل الثاني ، ومدلوله غير مراد . فالإعجام والرسوب والكبو غير مقصودة

وإن لم تكن الفاء للعطف فما معناها وما عملها في الجملة ؟

(ديروط) ع . مصطفى

(الرسالة) لا يجوز في يعجم ويرسب ويكبو إلا الرفع . واختلفوا في إعراب الفاء فقالوا إنها للعطف على الفعل يريد ، وقالوا إنها للاستئناف وجملة يعجم في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو . وقد ورد هذا التركيب في رجز الحطيئة : «الشعر صعب وطويل سلمه» إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه زلت به إلى الحضيض قدمه « يريد أن يعربه فيعجمه » (أنظر المغنى في حرف الفاء)

الوحدة المذهبية فى شمال أفريقيا

جاء فى الرسالة الغراء بعدد ٣٣٦ من مقال الأستاذ أبى الوفا بعنوان : (شمال أفريقا والأستاذ الحصرى) العبارة التالية :

« أما الوحدة الذهبية فالمغرب من أقصاه إلى أقصاه على مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس وليس فيه طوائف دينية كالرافضة والأباضية وغيرهما (كذا) من بقية الفرق الدينية التى توجد كثيراً فى بلدان الشرق العربى والإسلامى

إن مقال الأستاذ يشعر أن الأباضية ليسوا من الفرق الإسلامية . والذى يلفت النظر أن مقاله هذا جاء عقب قوله : « وليس فى المغرب أقليات دينية سوى أقلية ضئيلة من اليهود »

كان الأولى بالأستاذ أن يقول بدل جملة الطوائف الدينية : وليس فيه (أى شمال أفريقا) مذاهب إسلامية أخرى كالمذاهب التى توجد كثيراً ... الخ . أما نحن فلسنا الآن بصدد الرد على الأستاذ أبى الوفا لقوله بعدم وجود أباضية بشمال أفريقا ، لأنى أعتقد أن العلامة الأستاذ أبا إسحاق اطفيش نزيل القاهرة الآن ، وهو من جلة علماء الأباضية بشمال أفريقا لن يسكت عن الجواب وإيضاح الحقيقة لمن يتجاهل أو يجهل وجود الأباضية المسلمين بشمال أفريقا بأم مدنه من طرابلس الغرب وتونس والجزائر ووادى ميزاب وغيرهن من المدن المشهورة، من أقدم التاريخ حتى الآن وإلى ماشاء الله من الزمن ، وحسبهم مفخرة تمسكهم بالعروة الوثقى من الدين الإسلامى الصحيح

الحق أن النزعة الإسلامية المتأصلة فى قرار نفوسنا تضطرنا لإصلاح أغلاط إخواننا فينا . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل والسلام عليكم

أحمد الكندى

مراقب بعثة سلطنة سقط — عمان

القصص المدرسية

أخرج الأساتذة سعيد العريان ، وأمين دويدار ، ومحمود زهران ، حلقة جديدة من سلسلة القصص المدرسية التى يوالون إصدارها منذ سنين ، ليسدوا النقص البادى فى أدب الأطفال العرب ؛ وهذه الحلقة الجديدة هى مجموعة من أربع قصص فى ١٦٠ صفحة : اثنتان منها لكبار التلاميذ فى المدارس الابتدائية ، والاثنتان الأخريان على المنهج الجديد لتلاميذ السنة الأولى فى المدارس الابتدائية لدروس القصص ، ورياض الأطفال

والقصص الأربع مكتوبة بأسلوب سهل ممتع ، معروضة عرضاً فنياً بليناً يشوق الطفل ويلذه ، ويقدم له الفائدة فى أسلوب رشيق طلى

وثمن القصص الأربع جميعاً عشرة مليمات

فنرجو أن ينتفع تلاميذ المدارس الابتدائية ، ورياض الأطفال بهذه المجموعة الجديدة من القصص المدرسية ، وأن يجد مؤلفوها من التشجيع ما يعينهم على الاستمرار فى هذا الباب الجديد من أبواب الأدب



كتاب «الامتاع والمؤانسة»

أتحدث إلى القراء عن طرفة من أثمن طرائف الأدب القديم يُعدّ ظهورها فى هذا العصر من خير ما أثمرت المطابع المصرية من كتب الأدب الرفيع ، كما يعد الاتجاه إلى نشرها من أحسن ما وفقت إلى التفكير فيه لجنة التأليف والترجمة والنشر ، على كثرة ما وفقت إليه فى تفكيرها . وتلك الطرفة النفيسة هى كتاب : « الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى » .

وإنك لتقرأ هذا الكتاب من أوله إلى آخره ، فيملأ نفسك روعة ، قبل أن يروعك أدب مؤلفه الفذّ بما تراه فيه من براعة الحسن فى جودة طبعه ، ودقة تصحيحه ، وصدق النظر فيه ، وكمال العناية بكل لفظ من ألفاظه .

وقد قرأت الجزء الأول من هذا الكتاب ، وكنت قد اطلعت على عدة صفحات من نسخته الأصلية المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية ، وهى النسخة الوحيدة لهذا الجزء رغبة فى تتميم بعض البحوث عن مؤلفه أبى حيان التوحيدى ، وإذا بى أرى جميع سطورها مغمورة بالتصحيف والتحريف ، والنقص والزيادة ؛ فلا يهتدى السارى فى ظلمات هذه النسخة إلا بمصباح قوى من الأدب القويم ، والذوق السليم ، والمران الطويل ، والصبر الذى لا يعرف الضجر .

وقد بشنى على تناول الكتاب من هذه الناحية مقالان قرأتهما فى مجلة الرسالة للدكتورين زكى مبارك وبشر فارس تغاضيا فيهما كل التغاضى عما مُلئتْ به صُحفه من حُسن وإحسان رائعَين ، وأغفلا كل الإغفال تلك الجهود القوية الملموسة فى كل ناحية من نواحيه ، وشُغلا بعدة كلمات تافهة قد تسقطاها فى هذا الكتاب ، زاعمين فى بعضها زعماً لم يؤيده الواقع فى شىء أن مصححيه الفاضلين قد فاتهما تصحيحه أو شرحه ، وفى البعض الآخر منها أنهما قد صحّحاه تصحيحاً أو شرحاه شرحاً لا يلائم الصواب .

وقبل أن أتحدث إلى القراء عن هذين المقالين أريد أن أنبههما وأمثالهما من النقاد إلى أنه لا ينبغى أن ينشر فى الصحف فى نقد أى كتاب إلا ما يتعلق بقيمته الفنية ومنزلته بين أشباهه من الكتب ، والمميزات التى تميز بها عن غيره من المؤلفات فى فنه ، وما كان يفقد هذا الفن لو أن هذا الكتاب لم ينشر ، والفائدة التى تعود على القارىء من قراءته ، ثم الحديث عن مؤلفه ومنزلته بين أشباهه من علماء هذا الفن، والباعث له على تأليف هذا الكتاب ؛ وما إلى ذلك من الأمور التى تعنى جمهور القراء عامة دون فرد أو أفراد

أما تلك الأمور التصحيحية التى تعتبر من جزئيات الجزئيات والتى لا يعنى بها غير مصحح الكتاب وحده دون غيره من القراء ، فإن نشرها فى الصحف ليس مما تقتضيه العقلية العلمية

وذلك كأن يذكر الناقد كلمة محرفة - فى زعمه - بين ملايين من الكلمات الصحيحة ، أو حرفاً معجماً حقه الإهمال ، أو مهملاً حقه الإعجام بين ملايين الحروف التى رُوعِىَ إعجامها وإهمالها ، أو نقطة فى موضع شولة ، أو العكس ، أو قوسين وضعا موضع خطين ، أو خطين وضعا موضع قوسين ، أو تفسير كلمة قد استظهره مصحح الكتاب ، ثم بدا للناقد تفسير آخر ، فإن أمثال هذه اللاحظات لا تساوى ما يبذل فيها من ورق ومداد . وأيضاً فإنه لا يمكن قراء هذه اللاحظات فى الصحف معرفة صوابها من خطئها ، ولا تمييز حقها من باطلها ، إذ لا يمكن ذلك إلا بقراءة اللاحظة ، ثم مطالعة موضعها فى الكتاب وأصله معاً حتى يتبين للقارئ صواب النقد من خطئه ، ولا يتأتى ذلك لقراء الصحف غالباً كما هو معروف

وأولى بهذا الصنف من النقاد أن يبعثوا بجميع ملاحظاتهم التى من هذا النوع إلى مصحح الكتاب ليدرسها ثم يستدركها فى الطبعة الثانية إن كانت مما يستحق الاستدراك ، كما فعل الأستاذ محمد كرد على بك فى ملاحظاته على الكتاب الذى نحن بصدده ، فإنه بعث بها جميعها إلى الأستاذ أحمد أمين مختتمةً بعبارات الإعجاب والتقدير والشكر ، وقد نشرها الأستاذ أمين

فى آخر الجزء الأول من هذا الكتاب مقدّمةً بالشكر الجزيل والثناء الجميل على صاحبها

وبعد، فالمطلع على هذا النقد اطلاعاً منصفاً يرى أنه - على طوله واتساع كاتبيه فى شرحه وتبرير ما فيه من الملاحظات - يرجع فى جملته إلى اختلاف وجهتى النظر بين المصحح والناقد ، والتباين فى ذوقيهما أكثر مما يرجع إلى حقائق علمية أو نصوص ثابتة ، ولا يعترض بنظر على نظر ولا بذوق على ذوق

ومن أمثلة ذلك ما أطال به الدكتور بشر فى مقاله من ذكر شولات ونقط، وما إلى ذلك مما يسميه أرباب الطباعة بالترقيم وضعت فى غير مواضعها من عبارات الكتاب كما زعم ، وقد استغرق منه هذا الإحصاء قرابة نصف صفحة من مقاله ؛ ولم يدر أن هذا الترقيم إنما يمليه الذوق وحده ، ولا يرجع وضعه إلى قواعد ثابتة إلا فى رسم العلامات ؛ فربما قرأت عدة عبارات فتفهم أن بعضها متصل ببعض ، فتضع بينها شولات ؛ ثم يقرؤها آخر فيفهم أن بينها انفصالاً من ناحية وانفصالاً من أخرى فيضع شولة منقوطة وهكذا ، وكلا الفهمين صحيح لا يعترض بأحدهما على الآخر

وقلما رأيت مصححاً قرأ صفحة ووضع هذه الفواصل بين عباراتها حسب ذوقه فى فهم الكلام ، ثم عرضتْ على آخر بعده فوافقه على ذلك ؛ بل لا بد أن يجرى قلمه فى هذه العلامات بالمحو والإثبات حسب ذوقه هو أيضاً ؛ وكذلك لو عرضت هذه الصفحة على ثالث ورابع

وأشهد لقد حسدت الدكتور بشر أشد الحسد على ما منحه الله من اتساع الزمن ورحابة الصدر وقوة الصبر وطول البال حتى استطاع أن يفرغ لتسقّط هذه العلامات التافهة الضئيلة والتقاطها من كتاب كهذا فيه الألوف منها

ومن هذه الأمثلة أيضاً ما سماه (تباعداً عن سياق النصّ) فى عبارة أوردها من كلام المؤلف يخاطب الوزير أبا عبد الله العارض قال (أى التوحيدى) : « فقلتُ قبلُ : كلُّ شىء أُريدُ أن أُجاب إليه يكون ناصرى » الخ . وقد فهم مصححا الكتاب من هذه العبارة أن التوحيدى يريد من الوزير أن يجيبه إلى كل شىء يريده ، ليكون ذلك معيناً له وناصراً على ما يريده الوزير من الإمتاع والمؤانسة بمجلس التوحيدىّ ؛ وقد ضبطا تلك العبارة على هذا الوجه تبعاً لما فهماه منها ، وهو فهم صحيح لا غبار عليه ولا مطعن فيه

وقد رأى الناقد أن تُضبط العبارة هكذا : « فقلتُ قبلَ كلِّ شىءٍ أريد أن أجاب إليه » الخ فاهماً أن أبا حيان يريد إلى الوزير أن يجيبه إلى شىء واحد قبل إمتاعه ومؤانسته ، وهو فهم صحيح أيضاً مع شىء من الضعف ، ولا يُعترَض بفهم على فهم كما قدمنا

وإذا بحثنا كلا الفهمين وأردنا الترجيح بينهما وجدنا أن الفهم الأول أليق بحال أبى حيان مع الوزير أبى عبد الله كما يتبين ذلك من ثنايا كتابه

وأيضاً فلا شك فى أن إرادة أبي حيان من الوزير أن يجيبه إلى كل شىء يريده خير من أن يريد منه الإجابة إلى شىء واحد.

ومنها ما سماه : (تجافيا عن أسلوب الكتاب) وما أكثر الأسماء لديه وأقربها إلى قلمه ! وذلك أنه رأى عبارة من عبارات الكتاب مختتمة بكلمة : (تُجِدُها) وبعدها عبارة أخرى مختتمة بكلمة : (تمدُّها)

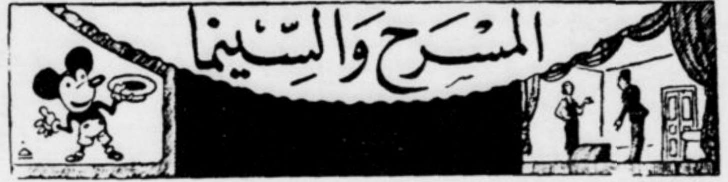
هكذا ضبط المصححان الفاضلان هاتين الكلمتين

وقد رأى حضرة الناقد أن الأفضل فى ضبط الكلمة الأخيرة (تُمِدُّها) بضم التاء وكسر الميم ، معلّلاً ذلك بأن الازدواج الذى التزمه المؤلف فى كتابه لا يتم إلا بالتوافق التام بين (تجِدُها) و (تُمِدها) فى جميع الحركات

ولو تفضل حضرته فألم إلماماً يسيراً بقواعد السجع والازدواج فى فن البديع ، لرأى أنهما يتمان على أكمل وجه وأحسنه بدون هذا التطابق الدقيق فى جميع الحركات والحروف ، والتزام الدقة فى ذلك يُعدُّ من لزوم ما لا يلزم ، إذ السجع فى هاتين العبارتين تام لا عيب فيه وإن لم يتطابق اللفظان فى جميع الحركات

على أن المؤلف لم يلتزم فى جميع كتابه تلك الدقة فى الازدواج والسجع ، بل كثيراً ما يكتفى باتفاق أواخر العبارات فى الوزن وإن لم تتفق فى الحروف، بل قد يغفل الازدواج والسجع إغفالاً تاما

ومنها ما سماه : (تركا للغامض على حاله من الغموض والإبهام) وقد أورد من ذلك عبارة ذكرها التوحيدى فى معرض الحديث عن صيانة النفس والقناعة وصعوبتهما على الإنسان ، وشدة احتمالها ، والمشقة الشديدة فى التخلق بهما ، فقال ما نصه : « وصيانة النفس حسنة إلا أنها كلفةٌ مُحرِجةٌ إن لم تكن لها أداةٌ تُجِدُها ، وفاشيةٌ تَمُدُّها ، وترك خدمة السلطان غيرُ الممكن ، ولا يستطاع إلا بدين متين » الخ . وقد خفى على الناقد



فلما «حياة الظلام» و«العودة الى الريف»

٢٤ + ١٦ = ٤٠ ... هذه هى القروش الأربعون التى خرجت من جيبى عن طيب خاطر . وإنى أصارح القراء بأنى أبكى عليها الآن كما لو كانت أربعين ألفاً من الجنيهات !

دفعت المبلغ الأول فى شباك تذاكر سينما « ستوديو مصر » ثمن تذكرتين ؛ إحداهما لى والأخرى لصديقى الذى أتأبطه فى الذهاب ويتأبطنى هو فى العودة ! ودفعت المبلغ الثانى فى شباك سينما « الكوزمو » ويا ليتنى ما دفعت هذا ولا ذاك ، فقد علمت — بعد فوات الوقت — أن المبلغين ذهبا إلى وجه الشيطان !

حرصت على أن أشهد أول عرض فى استوديو مصر لشريط « حياة الظلام » . وقد كان بودى أن أرى عملاً فنياً رائعاً ، فلم أر عملاً فنياً على وجه الإطلاق . وإنما رأيت صوراً تتكلف الحركات ، وأفواهاً تتكلف الكلمات ، ومناظر تُتكلف وتفتعل افتعالاً ... كل ذلك فى قصة لم يكن بها من بأس كقصة، للقراءة ولكنها كانت ساقطة أشنع السقوط بوصف أنها سيناريو للسينما

ولا ندرى فوق ذلك ماذا دهى آلات تسجيل الصوت فى استوديو مصر ؛ فقد كان فسادها صارخاً ، حتى أن الكلام لم يكن يصل إلى مسامع الجمهور إلا وتصحبه همهمات تخبأ الألفاظ وتلف مخارج الكلمات . ولا ندرى أيضاً لماذا يعنى هؤلاء الناس بإبراز هذه الوجوه التى جربوها وفشلت مراراً ؛ أو نسى القوم خيبة بطل هذا الشريط فى سابقه « فتش عن المرأة » ! ولا ندرى لماذا لا يفتشون عن وجوه جديدة يعطونها الفرصة لكى تظهر وتنجح ؟

والمؤلم أن يضطر الناقد إلى الاعتراف بأن شخصية واحدة من شخصيات هذا الشريط هى التى حظيت بشىء من التوفيق وهى فردوس محمد التى أصبحت مختصة بأدوار الأمهات تقوم بها فى إتقان تام ونجاح فائق ؛ وعلى الشخصيات الباقية السلام !

أما الشريط الآخر ، أو الفضيحة الأخرى من فضائح هذا الموسم ، فهو « العودة إلى الريف » الذى آثرت السيدة ملك أن تبدأ به حياتها الفنية كممثلة سينما . فهذا الشريط ليس فيه موضوع ولا تمثيل ولا تلحين ولا إخراج

وقد وضح لنا من البحث أن العمل فيه قد جرى فى حدود مالية ضيقة . وليس هذا عذراً يقبله الجمهور المصرى الذى لا حجاب بينه وبين الأفلام الأجنبية الكبرى التى ينفق عليها من

الفاضل معنى قوله : « وترك خدمة السلطان غير الممكن » الخ ، فألح فى السؤال عما يريد المؤلف بهذه العبارة ، وهى عبارة فى غاية الوضوح والبيان لا تحتاج إلى توضيح ؛ وتوضيح الواضح أكثر مشقة من توضيح الخفى المبهم

يريد المؤلف بهذه العبارة أن صيانة النفس وإعزازها عن مواطن المذلة للملوك والأمراء والعزوف عن خدمتهم ، كل ذلك غير ممكن ، لما تقتضيه ضرورات العيش وحاجات الحياة ؛ ولا يستطيع ذلك إلا من عمر الدين المتين قلبه ، وملأت الثقة بالله نفسه . وبعد فإن لنا نصيحة نريد أن نسرها إلى الناقد الفاضل ، وهى أنه ينبغى لمن يقدم على نقد كتاب كالإمتاع والمؤانسة أن يكون لديه إلمام يسير بأوليات قواعد النحو ، فيعرف حكم الفاعل ونائبه ، وبماذا يرفع المثنى والجمع ، وما إلى ذلك ، وإلا رد نقده عليه ، وكان حديثه عن الكتب منه وإليه

قال مؤلف كتاب الإمتاع والمؤانسة فى تفسير معنى الخَلق بفتح الخاء واللام ما نصه : « وأما قولهم : هذا شىء خَلَق فهو مُضَمَّن مَعْنَيَيْن » الخ

وقد ذكر الناقد هذه العبارة وكتب تحت قوله : « مضمّن معنيين » : « كذا » حاسباً أنه قد ظفر بغلطة شنيعة ؛ يريد حضرته أن فى قوله : « معنيين » غلطاً نحوياً ! وكان الصواب فى نحوه هو : « معنيان » ! فما رأى سيبويه والخليل والفراء والكسائى ومن إليهم من أئمة العربية فى هذا النحو الجديد ؟ ! وهل فى قواعدهم أن للفاعل نائبين : نائب أصيل ونائب مساعد كما لبعض وزارات الحكومة وكيلان : أصيل ومساعد ؟ !

ألا يعرف الأستاذ أن ضمّن يتعدى إلى مفعولين ؟

الحق أن تلك الزلة تهدم مقاله من أساسه ، وتجعل صاحبها غير أهل لنقد كتاب كالإمتاع الذى نحن بصدده

هذا ما يتعلق بنقد الدكتور بشر . وسنتحدث فى المقال الآتى عن أمثلة من نقد صاحبه

(ع . ص)

الأموال ما لا يكاد يُصدَّق ، ولا عذر للسيدة ملك فى قبولها الظهور فى شريط كهذا من المحقق أنها كانت — قبل قبولها الاشتراك فيه — تعلم موضوع قصته وتعلم أنه سوف يخرج فى مراعاة تامة للظروف المالية الشديدة

أما تسجيل الأصوات فكان فضيحة مستقلة ؟ وأما التمثيل فقد كان عاراً يتحرك على الستار . وأما الأضواء فقد كانت قذى فى عيون الجمهور. وأما المناظر فقد كانت عنواناً على فشل مهندسها. وأما الإخراج فقد كان الشيء الوحيد الذى يمكن السكوت عليه !

وبعد ، فهل رأى القارئ اثنين من حوذية العربات «الكارو» يشربان الوسكى فى شرفة «الكونتننتال» ؟ هذا هو موضع هذين الشريطين بين الأشرطة الأجنبية الهائلة التى ظهرت فى هذا الموسم

الإخراج ... الإخراج ...

وبهذه المناسبة لا نجد مندوحة عن الإشارة إلى فوضى الإخراج السينمائى فى مصر . والواقع أن أصحاب الأفلام يحاورون بين نارين : فاستديو مصر على فداحة أجره ، يفرض لوناً من الديكتاتورية منقطع النظير . إذ يفرض ممثلين بأسمائهم لا يجد أصحاب الأفلام بدا من قبولهم على مضض ! والاستديوهات الأخرى وأصحابها من اليهود ، على قلة استعدادها ورداءة آلاتها ، تفرض مثل هذه الديكتاتورية فى إسناد الأدوار إلى ممثلين من ذوى الأسماء المعروفة فى غير نظر إلى التناسق بين طبيعة الممثل وطبيعة الدور الذى يلعبه فى الشريط . يضاف إلى ذلك المعاملة المالية المنقطعة النظير فى الرداءة والجشع

لماذا لا تؤسس الحكومة «استديو» تؤجره لأصحاب الأفلام وتسند إدارته إلى خبراء فنيين من شبابنا ذوى الثقافة السينمائية الممتازة ؛ وهم كثيرون بحمد الله ! ؟

الأوبريت فى الفرقة القومية

أشرنا فى كلمة عابرة منذ أسبوعين إلى استعداد الفرقة القومية لإخراج رواية القضاء والقدر ، وهى من نوع الأوبريت الذى ليس لهذه الفرقة عهد به .

وقد سمعنا فى الأوساط الفنية لغطاً يدور حول الرغبة فى إخراج هذا النوع الذى اندثر من حياة المسرح المصرى منذ سنين . وقيل إن الحكومة تنوى أن تعين المعهد الملكى الموسيقى على أن ينهض بمشروع جديد يكون من آثاره أن يظفر الجمهور بألحان رائعة فى مسرحيات قوية . كما قيل لنا إن ثمت مؤتمراً مؤلفاً من أعلام الموسيقا والمسرح ، سوف يبحث المشروع من نواحيه المختلفة .

وإلى أن يتم تأليف «أوبريت» جديدة ، لا ندرى لماذا لا تقوم الفرقة بإخراج بعض الروايات القديمة الناجحة التى ظهرت منذ عشرين سنة ونيف ! كرواية «العشرة الطيبة» التى تمتاز بألحان لا نظير لها من وضع المرحوم سيد درويش ؟

(أبو الفتح الاسكندرى)

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى ــ عابدين)



8me Année No. 342

Lundi - 22 - 1 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

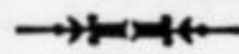
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٤٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ ذو الحجة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٢ يناير سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

صفحة





سافر صديق (عين) إلى الريف ليضحي بكبشه النوفى الأملح هناك . ولصديق الوفى (عين) ولعٌ بالريف عجيب . فصباباه عرائس شعره ، ومشاهده مسارح خياله ، ومعاهده ملاعب هواه ، ومزارعه صقال خاطره ، ومطاعمه عافية بدنه . لذلك تراه كلما افترص العودة إلى الريف فى ساعة من النهار أو الليل أسرع إلى القطار أو إلى السيارة دون أن يشاور أهله ويودع صحبه ويرتب عمله !

دخلت صباح اليوم مكتبه الذى يكتب فيه (من وراء المنظار) فوجدت الكرسي خالياً وليس أمامه خبر ، والمنظار متروكا وليس وراءه نظر ! فقلت لنفسي : لم لا أجرب هذا المنظار الذى تنفذ منه (عين) الصديق إلى ما وراء الصدور والستور والحوادث؟ أما يجوز أن يكون سر فنّه فى هذا المنظار فأرى به ما يصح أن أصوّره وأنشره ؟

سألت عن ذلك نفسى ولم أنتظر ما تقول ، فقد أخذت المنظار وتركت الدار ووضعته على أنفى وأنا أمشى على طِوار الشارع الذى عرفته وألفته ، فإذا الناس غير الناس ، والمدينة غير المدينة ، والدنيا غير الدنيا !

كأنما هذا المنظار من صنع الله الذى أتقن كل شىء ! فإن فيه

أسرار المناظير المعظِّمة والمقرِّبة والكاشفة؛ وفيه غير ذلك قوة التجريد فهو يرد كل شيء إلى طبيعته، ويظهر كل شخص على حقيقته

مشيت به في زحمة الطريق مشية الغريب الجاهل في البلد العجيب المجهول، تزخر نفسه بمواطف شتى من الغضب والعجب والدهش والإنكار والخوف، ثم لا يملك أن يسأل لأن لسانه معقود، ولا يستطيع أن يصبر لأن جَلَده مفقود

رباه ما هذا الذي أرى؟ أهذا هو الصديق البر الذي خالصته الود وساهمته الوفاء وعاشرته نصف العمر ثم لا ألقاه إلا صافحني بالكف الناعمة ومازحني باللسان المعسول؟ ما باله قد تساقطت عنه لفائفه الوردية، وحالت عليه أصباغه العبقرية، فبدا أمامي عارياً ضارياً كالأسد الجائع، تتقد عيناه بالشر، ويتحلب شدقاه بالشره، وتمتد يداه الباطشتان إلى قوتي الذي لا مساك للنفس إلا به؟ وفي شريعة الوحش لا تتصافح الكفان ما دامت بينهما فريسة. ولكن الإنسان وحده هو الذي يستطيع أن يسلِّم بيد ويلطم بيد!

أهذا هو رجل الدين الذي عرفته عنوان الفضيلة ومثال الورع ولسان المعروف؟ مالي أراه اليوم قد تهتكت الأسرار عن تنكره البارع، فلحيته المستعارة تكاد أن تسقط، وزهادته الكاذبة تهم أن تفترس، وحلته الدينية تشف عن جسد دنيوي تلهبه الشهوة المسعورة، وتذيبه الرغبة الملحة، ويود لو تنقلب المواعظ والآيات في فمه رُقًى سحرية ينال بها عرض الدنيا وعزة الجاه؟

أهذا هو العظيم المتأبه الذي أشاهده من حين إلى حين يمشي وأنفه في السماء، ولغاديده تكاد تنشق من نفخة الكبرياء، ونظراته وكلماته توزع على من حوله احتقار القوي واستكبار المتسلط؟ إني لأراه الساعة من خلف هذا المظهر الونق والرواء الخلاب جثةً ضئيلة الأجلاد خبيثة الريح يلتف جلدها الرقيق الشاحب على ضمير مثقل بالخزي ونفس مطمئنة إلى الهُون. وكأني أنظر إلى بقايا الإنسانية فيه تخزه في مواطن الحس منه بكلام معناه: يا عز ما بينك وبين الناس، ويا ذل ما بينك وبين نفسك!

ومن هذا؟ أهذا هو السياسي الذي ألف معجماً في لغة الوطنية، ونظم ديواناً في مدح الدستور؟ أهو من أرى أم ذلك تاجر يهودي السمات يتجر بالكلام كالمضاربين في (البرصة)، ويراهن على الزعماء كالمراهنين على الخيل في السباق، ويضحي بالمنفعة اليسيرة لينال مقعداً في البرلمان، أو بالوظيفة الصغيرة ليبلغ كرسيًا في الوزارة؟

وما خطب هذا الشاب الذي يتجمل بالبذلة المهندمة، ويتنبل بالحركة المنظمة، وليس في كيسه قرش ولا في بيته قوت؟ لماذا يجلس في هذه المركبة الفخمة مع هذا الرجل وهذه المرأة؟ أيريد أن يخدع الرجل فيبتز ماله بالصداقة، أم يريد أن يغوي المرأة فيسلب ثروتها بالزواج؟ لقد بان في المنظار أنه (ابن ذوات) أفلس فتاجر في الاحتيال وسمسر للرذيلة. واللذان معه زوجان أرستقراطيان يقوم زواجهما على الرياء والخيانة؛ فالفتى يبيع الرجل أعراض الناس ويشتري منه عرض نفسه. وهو بهاتين الوسيلتين صديق الأسرة الأدنى وكلبها الممسوح المدلل!

وما حال هذه العصبة التي تندو كل ليلة إلى مجلس شراب أو سامر أنس، فيتنادمون على الكأس بطرائف الأدب وروائع النكت ومداعبات الصداقة؟ لقد كنت أحسبهم جميعاً فأصبحوا في هذا المنظار شتى! فهم لا يتصافقون على الود إلا في مجالي اللهو؛ فإذا تفرقوا تناكروا وبسط كل منهم لسانه في الآخرين بالذم، ودرج بعضهم بين بعض بالوقيمة، وصحح كل واحد لنفسه ما تقسم من الفضل في الجماعة!

* * *

أعوذ بالحليم الستار، من شر هذا المنظار! لقد شوه في عيني جمال الوجود كما يشوه المكرسكوب بشرة الوجه الرفّافة. ولا مراء في أن جمال الدنيا خداع وسعادة العيش وهم وحياة الناس تمثيل؛ فإذا أزلت عن العيون غشاوة الإبهام والإيهام فرأت كل شيء على طبيعته وكل شخص على حقيقته، لا يبقى لجميل سحر، ولا لعجيب سر، ثم لا يكون بين أحد وأحد ألفة، ولا بين جماعة وجماعة نظام

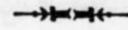
فاكتب لي يا صديقي في بطاقة العيد: أتريد أن أرسل إليك منظارك، أم تسمح لي أن أجربه مرة على عين الدكتور مبارك؟

أحمد حسن الزيات

لعل الليـــالى ...!

[رسالة مهداة إلى الروح الذي أهدى إليه « وحى الرسالة »]

للدكتور زكى مبارك



ما هفا القلب لخطرة من خطرات الحب والمجد إلا ترنمت بقول البحترى :

لعلّ الليالى يكتسين بشاشةً   فيرجعن من عهد الهوى المتقادم

ولمهد الهوى فى قلبي وعقلى ألوف من الألوان والظلال . فهو تارة صورة وجدانية ، وتارة صورة وطنية ، وحيناً نزعة إسلامية ، وأحياناً نزعة عربية . وقد يحلّق الفكر فيرتفع إلى الأجواء الإنسانية فى كثير من الأحايين

ولا أعرف بالضبط متى تثور فى صدرى هذه المعانى : فقد تثور للشعور بالتقصير حين أتذكر تخلفى عن أداء بعض الواجبات كالذى وقع يوم أهملت التنويه بكتاب «الأدب المصرى الإسلامى» للأستاذ محمد كامل حسين ، مع أن هذا الكتاب قدّم إلى عقلى فنوناً من الأريحية حين حبستُ نفسى على قراءته خمس ليال متواليات ، وكالذى وقع حين قصّرت بكتاب الدكتور طه بك حسين عن أبي العلاء فى سجنه ، مع أنى قرأته فى سهرة واحدة وقيدت بهوامشه ملاحظات كانت خليقة بأن تفتح للقراء باباً من الدرس والتحقيق

وهل أنسى أنى فرطت فى التنويه بكتاب الأستاذ سعيد العريان عن حياة الرافعى ، وهو كتاب شُـتِمتُ فيه بغير حق لأنى كنت قلت إن العريان لا يدرك أسرار الحب ولا يفهم أين يقع قلبٌ مثل قلب الرافعى حين ينحدر فى هواه ؟ وكيف يدرك العريان هذه الدقائق وهو لا يصل إلى (شبرا) إلا بدليل مع أن عمله هناك ؟!

وكيف أغفر لنفسى السكوت عن الأستاذ عبد المتعال الصعيدى وقد اجترأ على الدخول بينى وبين الأستاذ أحمد أمين والدكتور طه حسين ؟ كان هذا الأستاذ جديراً بالالتفات إليه حين أنكر علىّ أن أقول : « إن أبا نواس فى فجوره أشعر من أبي العتاهية فى تقواه » ؟ ولو أنى التفت إليه لخلقت فرصة لتحديد الصلات بين الأدب والدين

وفاتنى ، مع الأسف ، أن أتحدث عن كلة قالها رفعة رئيس الوزراء يوم جمع مديرى الأقاليم بمكتبه فى وزارة الداخلية : فقد نبههم إلى مراعاة الكفاية قبل مراعاة الأقدمية فى ترقية الموظفين، وأعلن بصراحة أن التقيد بالأقدمية يعطل مواهب الأكفاء ، ويروض الكسالى على الاطمئنان إلى أن الزمن يصنع فى الترقية ما لا يصنع الجهاد فى أداء الواجب بأمانة وإخلاص

ولقد كانت هذه النظرة الحصيفة خليقة بأن تُقدّم إلى القراء فى مقال أو مقالين عساها تصبح من التقاليد الأساسية فى الحكومة المصرية

وهل ضاعت المواهب فى بلادنا إلا بسبب التقيد بالأقدمية ؟

إن رفعة رئيس الوزراء فتح مجال النضال لتحطيم هذه الصخرة التى طال عهدها بتعويق خطوات المجاهدين فى سبيل الواجب ، فكيف نسكت وقد رأينا الكسالى الخامدين يعتمدون على الزمن فى تقدير الأنصبة والحظوظ والحقوق ؟

ومن الذى يشرح هذه المعانى ويصيّر الاعتماد على الكفاية عقيدة وطنية إذا سكت عنها الأدباء واكتفوا من الأدب بوصف القمر والشمس والنجوم والأزهار والرياحين ؟

وكيف يُحجب الأدباء عن درس الشؤون الأساسية فى سياسة المجتمع وقد صار الأدب فى بلادنا من المؤهلات الملحوظة فى اختيار الوزراء ؟

وهل يظن عاقل أن وزراءنا يرضون لأنفسهم ومواهبهم بالتخلف عن مسايرة الحياة الأدبية ؟

الأديب المصرى هو المسئول عن العزلة التى يعانيها بالبعد عن محيط الحياة الرسمية ، فلو أنه كان اهتم بمتابعة ما يجدّ من الشؤون التى تعالجها الدولة بالطب لأمراض المجتمع لنُصبتْ لأدبه الموازين ، وصار له فى كل مقام مقال ؛ ولكن الأديب المصرى يتوهم فى أغلب الأحيان أن الأدب له مجال غير النظر فيما يهتم به وزراء الدولة من خطير الشؤون

إن الزمن يُسرع ، ثم يُسرع ، ثم يسرع ، وأخشى أن تنقضى حياتنا قبل أن نرى للقلم دولة فى هذه البلاد

فمتى يعرف الأديب أن من واجبه أن يُقنع الدولة بأنه خُلق لوصف المجتمع باللغة العربية ، وهى اليوم لغة مصر ، وعن مصر يأخذ الحجاز نفسه علوم اللغة العربية ؟

ومتى يستطيع الأديب بحسن الترفق والتلطف أن يكون له فى كل معضلة قول ، وفى كل مشكلة رأى ؟ متى يشيِّر الأديب ما بنفسه فيدرك أن الدولة تنفق فى كل سنة نحو نصف مليون من الدنانير لتخلق الأديب الذى يستطيع أن يشغل الناس بأخلاقهم وأذواقهم ومبادئهم . والذى يستطيع بسحر البيان أن يروض الجماهير على تذوق معنى الحياة ومعنى العدل ؟

الأديب فى بلادنا كثير التوجع والتفجع ، ولكنه لم يخط خطوة جدية فى تجميل الوجود ، وهل فى الوجود جمال وقبح ؟ الوجود هو هو لسائر الناس ، ولكنه كالماء يتلوّن بلون الإناء . والأديب الحق هو الذى يستطيع تحويل الوجود من لون إلى لون ، فيُضحك قراءه حين يريد ، ويبكيهم حين يشاء ، وَفقاً لخطة مرسومة يفرضها الشعور بألوان ذلك الوجود

وأين الأديب الذى سحره جمال الريف المصرى وهو يتنقَّل بالسيارة أو القطار من إقليم إلى إقليم فوصف أرض مصر وسماءها وصفاً يخلق الحرص الصادق على الاعتزاز بالملكية فى أرجاء هذا الوطن الجميل ؟

أين الأديب الذى يفكر فى بناء دار بالريف يسكن إليها من وقت إلى وقت ، كما يصنع أدباء الفرنسيس والإنجليز ، وكما كان يصنع أدباؤنا الأقدمون ؟

إن الأديب يشكو من تجاهل الدولة لحقه فى الحياة ، فهل حفظ هو حقه فى الحياة ؟

أليس من العجب العاجب أن يكون الفلاح أعرف بحقه من الأديب ؟

الفلاح المصرى هو المثل الأعلى فى الوطنية ، لأنه لا يبيع شبراً من أرضه إلا بعد أن يبلله بالدمع ، وهو يشعر بالخزى أمام نفسه وأمام زوجته وأطفاله حين يبيع فداناً ورثه عن أمه أو أبيه ، فأين الأديب الذى يحس هذه المعانى ؟ أين وميادين الأدب تُنتقَص فى كل يوم ولا تثور زفرة من شاعر أو كاتب أو خطيب ؟ وللأدباء أملاك صحيحة ورثوها بأسنَّة الأقلام ، كما ترث الدول أملاكها بالمدافع والسيوف ، فأين من يعرف تلك الأملاك ؟

أملاكنا هى الميادين الذوقية والأخلاقية والاجتماعية ، ومن العار أن يسبقنا غيرنا إلى العناية بشؤون المجتمع ونحن نملك من قوة الإفصاح عن أسرار المجتمع أضعاف ما يملكون ، ونستطيع نقل المجتمع من حال إلى أحوال إذا صرنا من أصحاب المبادئ والعقائد ، وفرضنا على أقلامنا الجهاد الموصول فى تثقيف المشاعر والعواطف والأذواق

وإلى من تلجأ الأمة فى تهذيب مشاعرها وعواطفها وأذواقها إذا جفّ قلم الأديب ؟

وما قيمة الأديب إن لم يكن لصرير قلمه صوت مسموع فى الأكواخ والقصور والمعاهد والمعابد ؟

وهل سيطرتْ عقيدة دينية ، أو نظرية أخلاقية ، أو شريعة ذوقية ، بغير سناد من أسنّة الأقلام ؟

أخشى أن يكون الأدباء فى مصر هم «الأفندية» فى فلسطين؛ فالأفندية هناك هم الذين باعوا أملاكهم ، أما الفلاحون فى فلسطين فهم الذين عرفوا قيمة الوطن فلم يبيعوا ما ورثوه عن الآباء والأجداد

أين فى أدباء اليوم بمصر من يذكِّر بالشيخ محمد عبده ، الرجل الفلاح الذى فرض على الدولة أن تحسب لقلمه ألف حساب ؟ وهل فينا شبيه للأزهرى الفلاح سعد زغلول الذى رجّ مصر والشرق بدعوته الكريمة إلى إعزاز الشخصية القومية ؟

إن الأنبياء – وهم مؤيَّدون بروح الله – لم يصلوا إلى القلوب بغير البيان !

فمتى يصير إعزاز البيان فى بلادنا شريعة من الشرائع ؟

وهل نصل إلى ذلك إلا يوم يعرف أرباب الأقلام أنهم رسل هداية ، وأن سواد الحبر فى أقلامهم أنفع لوطنهم من بياض الصباح ؟

حدثنا الأستاذ مصطفى عبد الرازق بك فى مقال نشره بجريدة السفور منذ أكثر من عشرين سنة ، أنه رأى زهرة جميلة فى أحد أسفاره ، وأنه لم يجد من يعرف اسم تلك الزهرة . فقال : عزاء ، عزاء ، أيتها الزهرة ، فليس اسمك أول اسم يضيع فى هذه البلاد !

وهل صنع الأستاذ مصطفى عبد الرازق أكثر مما يصنع من يتوجعون للحق الضائع فى صمت ؟

هل نزل من القطار فنقل الزهرة إلى قصره وخلع عليها اسماً من طرائف الأسماء ؟

وهل يذكر الآن مصير تلك الزهرة ، وقد توسلتْ إليه أن يرعى وداد لحظة ؟

ولتلك الزهرة شبيه من الجواهر المجهولة فى هذه البلاد !

عندكم الأديب ، وهو أنفع لكم من معدن « الولفرام » ، الذى استكشف بغتة فى الصحراء الشرقية ، وهو معدن نفيس يغنيكم عن أخيه الذى يصدر عن بلاد الصين ، وقد استكشفه رجل أجنبى فى السنة الماضية . فأين الأجنبىُّ اللهم الذى توفقه المقادير إلى استكشاف العبقرية الأدبية فى وطن « حابى » والحابى هو الوهاب ، وهو اسم النيل قبل أن يعرفه اليونان ؟

تحرّك ، أيها الأديب ، ودُلّ على نفسك كما دلّ على نفسه معدن الولفرام !

إن ذلك المعدن هو أصلح المعادن لصياغة الأسلاك الكهربائية ، ونفسك هى الكهرباء أيها الأديب ، فاسحقْ من يجادلونك فى عبقريتك ، وسيطر بقلمك على الوجود .

زرت عين حلوان ، فسمعتها تقول : منذ ألوف أو ملايين من السنين وأنا محبوسة فى الصحراء ، لا يحس وجودى فرعون ولا خليفة ولا سلطان ولا مَلك !

فاقتديت بالحكيم مصطفى عبد الرازق وقلت : معذرة ، يا عين حلوان ، فما كنت أول جوهر ينساه أهل هذه البلاد ! !

وما عين حلوان ؟

هى عين يشفى ماؤها من أمراض الكبد

ولى كبِدٌ مقروحة من يبيعنى   بها كبداً ليست بذات قروحِ
أباها علىَّ الناسُ لا يشترُونها   ومن يشترى ذا علة بصحيح

فأين كانت هذه العين وقد مات ألوف وملايين من أجدادنا الأكرمين بأكباد قرّحتها مآسى الحب ؟

وهذه العين أراد طمسها بعض أعداء مصر بالأسمنت فى غفوة الليل ولم يفلحوا

فتى ينتصر الأدب على خصومه الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم !

لن يكون لمصر عَلَم مرفوع إلا يوم تعرف أن الله أعزّها بالقلم ، وأنه عزّ شأنه جعل فى واديها شعلة الحركة الفكرية فى القديم والحديث . ومن الذى يتصور للدنيا حياة بدون مصر وهى صلة الوصل بين الشرق والغرب ؟ وهل كان لأنبياء الشرق سناد غير مصر وفيها عاش أعظم الحكماء والرهبان والصوفية ؟

وهل اتفق لمدينة فى الدنيا ما اتفق للقاهرة من رعاية الصوامع والكنائس والمساجد ؟

إن وادينا هو الوادى الأخضر بين وديان العالم ، ولن نزكى عن نعمة الله علينا إلا بالتغنى بهذا الوادى الجميل ؛ ولكن من يسمح لنا بالغناء ؟

هل رأيتم جو مصر فى يوم ٦ و ١١ يناير ؟

هل رأيتم ؟ هل رأيتم ؟

حدثونى فى أى بلد يرى الناس مثل هذين اليومين فى فصل الشتاء ؟

إن يوماً واحداً من أيام الصحو فى مصر لأفضل من جميع الأيام فى سائر البلاد . وبفضل أيام الصحو فى مصر صح لأحد ملوكنا القدماء أن يرى نفسه إلٰه الأرض والسموات

ومع ذلك جاز لبعض خلق الله أن ينكر على شعراء مصر نعمة الفتون والجنون

ومتى يُفتَتن المرء أو يجنُّ وهو لم يرَ صحوة الربيع فى ظُلمة الشتاء ؟

أيامنا كلها ربيع ولكن أين من يعرف ؟

ذلك يوم ٦ يناير ، وهذا يوم ١١ يناير ، فاسألوا فى أى أرض عرف الناس مثل هذين اليومين ؟

لعل الليالى ...!

لعل الليالى يكتسين بشاشةً   فيرجعن من عهد الهوى المتقادمِ

لعل الليالى ...!

لعل الليالى تُحسن مرة واحدة فتلفت بعض الناس إلى الكأس الذى صدعوه بعد أن شربوا ما كان يحوى من رحيق !

لعل الليالى تذكّر بعض الناسين بالوَتر الذى قطعوه بعد أن ملت آذانهم بما كان يملك من رنين !

لعل الليالى ترجع أحبابنا الشاردين إلى عهدهم القديم حين كانوا يحسّون ظمأ الأرواح والقلوب !

إن عشتُ ــ وعُمر الصادقين فى مصر أقصر من عمر الورد ــ فسأنتقم من زمانى

وهل أموت قبل أن أساعد على تأسيس دولة للقلم فى هذه البلاد؟

وكيف يموت من ينقل الناس بقلمه من ضلال إلى هدى ، أو من هدى إلى ضلال ؟

يستطيع قومٌ أن يتناسوا فضل القلم فى خلق المودّات الصحيحة لمصر فى أقطار الشرق ، ولكنهم لن يستطيعوا أن يصدّونا عن الجهاد فى الطب لأمراض المجتمع المصرى والشرق . ولن يُفلح من يتوهمون القدرة على تزهيدنا فى تذوق معانى الحب والمجد

نحن من صُنع الله ، ويد الله لا تمسُّ شيئاً أو شخصاً إلا تهبه الخلود

لعل الليالى ...!

لعل الليالى تلهم شعراء مصر فكرة « نشيد العدل » كما ألهمتهم فكرة « النشيد القوى » و« الأناشيد العسكرية ». ولعل الليالى تذكّر من يسمُرون على شواطىء بَرَدَى والعاصى ودجلة والفرات وسائر الأنهار العربيـة والإسلامية أن لهم فى مصر إخواناً يُفقدون أبصارهم تحت أضـواء المصابيح ليقيموا دولة للقلم العربى ، القلم الذى عجزت عن قصفه مكايد الصروف وعثرات الجدود

لعلّ وليت ! ! وهل تغنى لعلّ أو تنفع ليت ؟ ؟

« ن ، والقلم وما يسطُرون »

فإلى الله الذى أقسم بالقلم أرفع نجواى وشكواى ، وهو حسبى ونعم الوكيل

فيا فاطر الأرض والسموات ، ويا باعث النور فى ظلمات الحبر الأسود ، ويا راحمى من دسائس الـكائدين والخاتلين ، ويا مُلهمى وساوس الشك وحقائق اليقين ، عليك توكلتُ وإليك أُنيب .

زكى مبارك

حديث حول الشعر

لجان كوكتو و بيير لاجارد

بقلم الأستاذ صلاح الدين المنجد

[هذه محاضرة طريفة ، ولكنها ليست كالمحاضرات في شيء ، إنما هي أدنى إلى التمثيل منها إلى المحاضرات . قام بها ملك الأحاديث الصحفية « بيير لاجارد » ، مع الشاعر الكبير « كوكتو » في قاعة « الأمال » في باريس في السنة الحالية ، وهنا يسأل الصحفي ، الأديب الشاعر ، فيجيبه على سؤاله أمام الناس ...] « المنجد »

بيير لاجارد يتكلم :

سيداتي ، آنساتي ، سادتي :

هذا حديث طريف ، سنحاول أن نسمعكموه ، وهو يشا كل التمثيل في كثير من نواحيه . سأدفع شاعرنا « كوكتو » إلى الكلام عن الشعر ، بعد أن فرّ من باريس واعتزل في البروفانس . إنه لم يعدّ للأمر عدته ، ولم يجبر الصحائف ، ولكنه سيسمعكم صوته الإنساني المتصعد من أعماق القلب ...

جان كوكتو

قبل أن أسلم مقادتي لهذا الصحفي البارع ، أريد أن أحدثكم عن الصحافة : إنها مهنة من الطراز الأول ، ولكنها تتطلب جهداً وذكاء ، لأن صاحبها يسعى لأن يشق المرء نصفين ليستطلع خفاياه ، والمرء يحاول الصمت أمام هؤلاء ذكاء أو كسلاً ، ولكن مهما حاول المرء أن يفلت من الصحفيين ، تبعوه وأفسدوا عليه هدوءه . إن هذه المهنة هي صيد للانسان .

أما الشعر الذي سأحدثكم عنه ، فهو جني يستطيع أن يتخذ أشكالاً شتى ... لقد حسب « ليونارد دفانسي » أن الشاعر من ينظم لا من يهز ، فنظم من الشعر أبياتاً ليكون شاعراً ، ولكنه كان في غنى عن تلك الكلمات الميتة التي صاغها ... فقد كان شاعراً في فنه ، وشاعراً في لوحاته ... ولقد كان شعره الذي أودعه الصور والتهاويل ، أروع من شعر الشعراء . سألوه يوماً : أي فرق ترى بين المصور والشاعر ؟ ... فأجابهم : إن للمصور شأناً لا يبلغه الشاعر . سلوا عاشقاً أذبله الوجد ، ولاعه الحنين ، ماذا تود ؟ أأبياتاً من الشعر الرقيق تمجيداً لحبك ، أم صورة ساحرة له ؟ ... يجبكم : أود صورتها .

ولقد حدث بعد « رامبو » أمر ذو شأن : فقد كان في فرنسة قبل هذا الشاعر شعر ... ولكن رامبو أطلق الروح الشعرى ، وكان لا يعنى إلا بالروح ...

وأعنى أن الشعر قد أصبح بعده مهنة ، فقد كان لا ينظم إلا إذا أثر فيه شيء ... أما بعده ، فقد أصبح الشعر تحت الطلب !

أنا أعجب « بموليير » . إن شعره هو مصدر شعرنا الحديث . لقد كان « موليير » صحفياً ، يؤلف المجلات ، ولكنها مجلات رائعة عميقة سريعة . وإن قصيدته « أورونت » هي نبع ثرّ لشعرنا اليوم . ولو لم تكن أنشودة الأورونت لما كان « مالارميه » ولما سمعنا أهازيج أولئك الشعراء الذين يسكروننا بروائعهم

لقد بعث فينا «موليير» الحياة ، وجعلنا نتذوق أشياء كثيرة . كنت في « مونتارجيس » . فقرأت « المتشائم » عشرين مرة ، وقرأت « بريتانيكوس » عشرين مرة . لأن راسين وموليير صانعا ساعات ، فإذا أردت النظام والدقة فالتمسهما عندهما

لم تكن قصيدة « الأورونت » قط رديئة ، كما قالوا ، وإنما كانت رائعة جميلة ، فيها من الشذوذ قليل ، ولكن ثقوا أن من هذه القصيدة أتى الشعر الحديث

وتستطيع يا صديقي أن تسألني الآن عما تشاء ...

بيير لاجارد

رأيتم أن من العبث إعداد أسئلة لهذا الشاعر ، فلقد حدثكم عما كنت أريد أن أسأله عنه . ولكن ... ما هو الشعر يا صديقي

جان كوكتو

تحسن الصنع إن سألتني عما تشاء . أما الشعر فهو دارة لا يستطيع أن ينفذ إليها إلا رهط قليل . ولن تجدوا وسطاً أرستقراطياً أشد إحكاماً من الشعر . على أنه يجب أن تعلموا أمراً ، ذلك أن الشاعر إذ ينظم قصيدة فيها الشعر الصافي وحده ، لا يجد لقصيدته هذه رواجاً ، لأن الخاصة وحدها هي التي تفهمها ، وكذلك لا يجد الشعر الواضح المعاني مايلاقيه الشعر الدقيق الفكر . إن نصيب الأول يكون نصيب الزهور المتفتحة التي تذبل سريعاً ؛ أما الثانية ، فاسمعوا ... إذا أردت أن تهدى إلى سيدة أو آنسة أزهاراً ، إنك تدهشها إذا أرسلت إليها الورد المتفتح ، ولكنه يذبل ، أما يجدر بك لتذكرك دائماً أن ترسل إليها براعم الورد لتتفتح بين يديها ... !

وأنا أعتقد أن القصائد التى لا تحدث ضجة عند نشرها هى التى تخلد وتبقى . هذا بودلير ... أخرج للناس روائعه ، فصدفوا عنها ، لأنهم لم يفهموها ، ولكنها أصبحت من بعد حديث الناس جميعاً ... أما هو فكان ينظر إليها كأنها أزاهير وحشية فى بساتين نائية مجهولة

وربما أصاب الناس فى تقديرهم القصائد أحياناً . ربما سمعتموهم يقولون عن شاعر كبير : إنه ليس بشاعر حق ، أو عن مطرب بارع : إنه لا يطرب . ذلك لأنهم أحسوا أن شعر ذلك الشاعر لا يهز ولا يثير ، ولأن ما أبدعه متقلب ضعيف

إن الشعر يرفرف على العالم من كل نواحيه ، ولكن علينا أن نصطفى ونظهر . فإن فى الصحف شعراً ، ولكنه غير منظوم ؛ وإن فى الحوانيت شعراً ولكن لا يدركه إلا القليل . ألا تنظرون إلى تلك النقوش وتلك الخطوط التى تزدان بها الصحف ؟ ألا ترون تلك الأشكال الرائعة ، وتلك التماثيل العارية التى ظهرت فى معارض البيع ؟ إن فى ذلك كله شيئاً يبهج النفس ، شيئاً اسمه شعر

الحياة ملأى بالشعر يا سادتى . إن مرأى الطائرين الذين تحترق بهم الطائرة ، فيضطربون بين ألسنة اللهب ، ويموتون على زئير النار ، وهم يستمعون بالمذياع إلى رقص الفتيات وضحك الزنوج فى مسارح مونمارتر لمملوء بالشعر . وإن منظر تلك الأم التى أحست الجوع فالتهمت فخذ ابنها الصغير لشعر أيضاً ، ولكنه شعر مخيف مجرم يثير الجمهور لأنه يثير العواطف . إن المرء ليستطيع يا سادتى إقامة معرض للشعر يلاقى أعظم نجاح وأكبر تأييد

بيير لاجارد

أنت لا تريد أن تحدد الشعر بالنظم ، ولهذا كان ما أخرجته للناس شعراً كله ، ولكنه شعر منثور . لقد صنفت رواياتك ، مثل « توماس » و « الأطفال الأشرار » وغيرها وسميتها « الشعر الروائى » وعند ما تخرج مجموعة من الرسوم الرائعة ، أو كتاباً مثل « سر المهنة » تضعه تحت اسم « الشعر التصويرى » أو « الشعر النقدى » فهل هناك صلة بين هذه الأنواع كلها أو أن فى نفسك رباطاً يربط بعضها ببعض ؟

جان كوكتو

كل ذلك شعر ولو لم يكن موزوناً مقفى . وأنا شاعر ، والشعر مهنتى ، كما أن للنجار مهنة وللحداد صنعة . لكنى لا أحب ما كان فناً منظماً . لقد حاولت أن أحب ما هو منظم فنى ، ولكنى لم أستطع الشاعر طليق ، والفنان لا يحب النظام . وإن أولئك الشعراء الذين يودون أن ينيروا كل جزء من أجزاء ذاتهم ، ثم يطلبون فوق ذلك نوراً وأشعة طول حياتهم – لعظماء . إنهم كجبيته العظيم . هم يعشقون النور ، حتى فى اللحظة التى تعرج روحهم فيها إلى السماء ... ولكنهم قليلون

دع الشاعر ... إنه يستمد وحيه من كل شىء ... من كلب حقير ومن ملك كريم . إنه يسعى ويفتش لأنها مهنته ...

— وهل الشعر مهنة ؟

— نعم مهنة ، ومهنتى قول الشعر

— وهل تستطيع أن تقول الشعر متى شئت ؟

— نعم ، أقول الشعر متى أشاء ، كما يصنع النجار النضد متى شاء

— إذن لست بشاعر ولكنك ناظم

— إن هذا المعنى للشعر الذى يدل على أنه الوحى الروحانى ، لم يعرف إلا بعد رامبو . الدنيا مليئة بالشعر ، ولست عبداً ، حتى أنتظر الوحى الروحى ...

إن لنا فى الشعر أساتذة ، هم شعراء من نوع خاص ، لا ينظمون إلا وهم فى كهوفهم ، ولا يعرفهم إلا قليلون ، منهم رامبو ، ومالارميه ورايموند روسه‍ل ... هؤلاء هم كنوزنا التى نفخر بها . هؤلاء هم الشعراء حقاً ، منهم نستلهم شعرنا ، وعليهم نتعلم كيف ننظم وكيف نقول .

صلاح الدين المنجد

بعد الفراق

للدكتور ابراهيم ناجى

أَجِلُّ أهواكِ أنتِ مُنى حياتى ... وأنتِ أحب من بَصرى وسَمعى

وهل أنساكِ ؟ كلا ، كيف أنسى ... هوًى قد كان إلهامى ونَبعى !

لبستُ من التَّصبُّرِ عنكِ درعا ... فها أنا تنزع الأقدار درعى

وها أنا لا أُدارى عنك أمرا ... عَرَفْتِ محبَّتى ورأيتِ دمعى

وهل يُخفى التنكرُ ألفَ جرحٍ ؟ ... وهل يُخفى التستر ألفَ صدع ؟

تلاشت قوتى وغدا فؤادى ... كأن خفوقه خلجات نزع

أبشِّره فيرقص فى ضلوعى ... وأنظر سود أيامى فأنعى

وقد نضب الخيال وغاض طبعى ... ومات على حياض اليأس زرعى

أُجَرْجِرُ وحدتى فى كل حشد ... وأحمل غُربتى فى كل جمع

ناجى

الفروق السيكلوجية

بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

الفروق العقلية (الذكائية)

في سنة ١٨٥٧ ولد ألفريد بينيه السيكلوجي الفرنسي الشهير، وتخرج في جامعة الصربون. ولما نال دبلوم التاريخ الطبيعي سنة ١٨٩٠ عين مساعداً للأستاذ بوني M. Beaunis مدير معمل علم النفس وعلم وظائف الأعضاء بالصربون. وفي سنة ١٨٩٤ نال بينيه الدكتوراه، وتقاعد الأستاذ بوني فحل الأول محل الثاني في إدارة معمل علم النفس. ومن ذلك الحين بدأ كلاهما – وانضم إليهما آخرون – في تحرير مجلة « العام السيكلوجي » L'Année pcychologique . وكانت هذه المجلة لسان الحركة السيكلوجية الفرنسية. وفي هذه المجلة — التي سنشير إليها في مواضع مختلفة من هذا المقال — نشر بينيه كثيراً من المقالات عن الذكاء ومقاييسه والفروق الفردية [1]. ولكن حياته الحافلة بالبحث والإنتاج لم تطل، فقد عاجلته المنية سنة ١٩١١

بدأ بينيه تجاربه لمعرفة الفروق العقلية بين الأفراد بقياس الذكاء بالطرق التي كانت معروفة في عهده في معامل علم النفس، كطرق جولتن وكاتل — التي أشرنا إليها في مقالات سابقة — وكقياس سرعة الإحساس، وسرعة الحركة، وسرعة الرجع. ولكنه ما لبث أن نبذ هذه الطريقة التي سماها « طريقة الآلات النحاسية » وفكر في طريقة لا تحتاج إلى آلات بل إلى قلم وقطعة ورق وقليل من الحبر كما يقول هو

وفي سنة ١٨٩٦ اختبر ثمانين طفلاً بعرض صور متشابهة عليهم، ومطالبتهم بالإجابة عن أسئلة وضعها لهم. وقد وصل بتجاربه واختباراته هذه إلى أن هناك ذكاء وراثيا وثقافة مكتسبة يجب التمييز بينهما، وأنه لقياس الذكاء الوراثي يجب أن تكون الاختبارات متعددة ومتنوعة بحيث نقيس كل مظاهر القدرة على التكييف، تلك القدرة التي سماها الذكاء

كذلك قرر بينيه أن الذكاء إنما يظهر في التصرفات التي تحتاج إلى بناء وتركيب أي synthesis أكثر من التي تحتاج إلى تحليل analysis ، وفي معالجة الأمور التي تحتاج إلى تنظيم أكثر من إدراك هذه الأمور وتمييزها « أو في كلمة واحدة: الذكاء هو عملية تكوين وتركيب [1] » . ومن أجل ذلك استعمل بينيه لقياس هذا الذكاء اختبارات تحتاج إلى بناء وتكوين، كأن يعطى الطفل صورة مقسمة إلى عدة قطع ويطلب إليه تكوينها، أو قطعة نثرية محذوفاً بعض أجزائها ويطلب إليه ملء الفراغ بكلمات أو جمل مناسبة

راع رجال التعليم في باريس في بضع السنوات الأولى من القرن الحالي كثرة عدد المتخلفين [2] في التحصيل من تلاميذ المدارس بالمدينة. ولم تكن تظهر على هؤلاء التلاميذ علامات الغباء أو ضعف العقل. وقد حاول أولو الأمر أن يعرفوا سبب هذا التخلف، أهو عدم الانتباه، أو إهمال المدرسين، أو قلة ذكاء التلاميذ حقيقة، فكونت وزارة المعارف الفرنسية سنة ١٩٠٤ هيئة – من أعضائها بينيه – لفحص الأمر سيكلوجيا، وإبعاد ضعاف العقول وإرسالهم إلى مدرسة خاصة بهم. وقد كان المتبع حتى ذلك الحين أن يعرف ضعاف العقول بطريق الفحص الطبي وآراء المدرسين

شرع بينيه في وضع [3] مقياس موضوعي objective يعرف به درجات الذكاء بين الأفراد، ويستطيع به تمييز شواذ العقول من غيرهم. وكان كلما وضع نوعاً من المقاييس جربه ثم عاد إلى إصلاحه وتهذيبه ودراسة النقد الموجه له. وكان أول مقاييسه ما وضعه مع زميله تيودور سيمون سنة ١٩٠٥. ويمتاز هذا المقياس بأنه وضع ليناسب أسناناً مختلفة، وبتدرجه في الصعوبة وفقاً لنمو العقل. ولكي نعرف الفرق العقلي بين فردين أو أكثر يجب أولاً أن يكونا متساويين في السن حتى نقارن نتائج اختبارهم. ويمتاز هـذا المقياس أيضاً بأنه لم يقصد به قياس الاستعدادات الخاصة، بل قياس الذكاء العام Genesse Intelligence

وفي سنة ١٩٠٨ نشر بينيه وسيمون مقياساً منقحاً للذكاء،

(١) أنظر مقالة La psychologie Individuelle في عدد سنة ١٨٩٦ من هذه المجلة

(١) صفحة ٢٥ من Psychological Terts of Educable Capacity

(٢) المتخلف من التلاميذ في الفصل هو ما يسمى بالانجليزية Bachaard ، وقد استعمل ابن خلدون في مقدمته كلمة متخلف بهذا المعنى

(٣) أنظر مجلة العام السيكلوجي المجلد الثاني سنة ١٩٠٥ من صفحة ١٦٣ إلى صفحة ٢٤٤ . وكذلك موضوع « استعمال طرق حديثة في فحص الذكاء الوراثي عند الأطفال العاديين وغير العاديين في الملاجئ والمدارس الابتدائية » صفحة ٢٤٥

نجد فيه لكل عمر مجموعة خاصة من الأسئلة. فإذا ما أجاب الطفل إجابة صحيحة عن هذه المجموعة من الأسئلة كان عمره العقلى (ع.ع) يناسب عمره الزمنى (ع . ز)، ويسمى ذكاؤه فى هذه الحال متوسطاً . مثال ذلك أن يسأل الممتحن الطفل : (١) ما اسمك ؟ (٢) أنت ابن أو بنت ؟ (٣) ما عمرك ؟ فإذا أجاب الطفل صحيحاً عن السؤالين الأول والثانى كان عمر الطفل العقلى (ع ع) أربع سنوات ، إذ أن تجارب بينيه المتكررة أثبتت أن الطفل متوسط الذكاء يستطيع أن يجيب مصيباً عن هذين السؤالين . ولما كان هذا المقياس عبارة عن مجموعة من الأسئلة تزداد صعوبة درجة بعد درجة كلما ازدادت سِنُّ الممتحن أطلق عليه بالفرنسية échelle métrique ، أى المقياس السلمى للذكاء . وعيب هذا المقياس أنه لا يعطى أى فكرة عن العلاقة بين العمر الزمنى والعمر العقلى، فقد يتفق اثنان فى عمر عقلى واحد — ست سنوات مثلاً — ويكون العمر الزمنى لأحدهما خمس سنوات وللثانى عشراً .

وقد شاع هذا المقياس فى أوربا وأمريكا ، فاستعمله ديكرولى فى البلجيك ، وجودارد فى الولايات المتحدة ، وبوبرتاج فى ألمانيا ، وفيرارى فى إيطاليا

لم يمض على هذا المقياس ثلاث سنوات حتى نشر بينيه — باسمه وحده — مقياساً آخر منقحاً سنة ١٩١١ ، وكان هذا آخر عمل قام به فى حياته . وقد احتوى هذا المقياس على أربعة وخمسين اختباراً موزعة على السنوات المختلفة من سن الثالثة إلى السادسة عشرة . وكان هذا المقياس كسابقه يعين عمر الفرد العقلى من غير تحديد للنسبة بينه وبين العمر الزمنى . وقد ترجم هذا المقياس أيضاً إلى لغات أخرى ولاقى رواجاً كبيراً فى أمريكا. وفى سنة ١٩١٥ نشر البروفسور ترمان ـ بمعونة زملائه بجامعة استنفورد ـ ترجمة منقحة ومهذبة ومزيدة لمقياس بينيه سيمون[١] وتعرف هذه الترجمة باسم « مقياس بينيه إستنفورد المنقح[٢] » . ويحتوى هذا المقياس على تسعين اختباراً، لكل سنة ستة اختبارات عادة . وهاك بعض هذه الاختبارات :

يطلب المختبر من الطفل البالغ ثلاث سنوات :

١ — أن يشير إلى أنفه ثم عينه ثم فمه ثم شعره ، وينجح الطفل إذا عرف ثلاثة من أربعة

(١) وفى سنة ١٩١٦ نشر ترمان كتابه المشهور Measurement of Intelligence

(٢) وقد ترجم الأستاذ اسماعيل القبانى هذا المقياس بتعديل يلائم المصرى

٢ — يعرض المختبِر على الطفل مجموعة مكونة من (مفتاح، مليم ، مبراة مقفلة ، ساعة ، قلم رصاص) ويطلب إليه أن يذكر أسماء ثلاثة أشياء من هذه الستة

٣ — يعرض على الطفل صورة لمنزل هولندى (أو مصرى) وأخرى لنهر ، وأخرى لمكتب بريد ، ويطلب منه أن يذكر أسماء الأشياء التى فى الصور واحدة بعد الأخرى

٤ — أن يسأل المختبر الطفل الابن « أنت ابن أو بنت ؟ » أو يسأل البنت « أنت بنت أو ابن ؟ »

٥ — أو يسأل الطفل عن اسمه واسم أبيه أو عائلته

٦ — أن يكرر الطفل وراء المختبر ثلاث جمل بسيطة مثل : أنا عندى كلب صغير . الكلب جرى ورا القط . فى الصيف الشمس سخنة

ولم أذكر هنا طريقة الاختبار ولا نسبة النجاح فى كل اختبار لأن هذا مما يطول ذكره ، ولأن المقصود هنا إعطاء القارئ فكرة عن نوع الاختبارات المستعملة لقياس الذكاء[١]

ويمتاز مقياس ترمان بأنه استعمل لأول مرة نسبة الذكاء المسماة بالإنجليزية Intelligence Ouotient ، وهى عبارة عن نسبة العمر العقلى إلى العمر الزمنى مضروبة فى ١٠٠ ، $\frac{\text{ع . ع}}{\text{ع . ز}}$ × ١٠٠ وقد أصبحت هذه النسبة[٢] معتمدة فى مقياس الذكاء وبها يمكن معرفة الفرق بين ذكاء فرد وذكاء آخر يختلف عنه فى العمر . ووضع علماء النفس الجدول الآتى لمعرفة نوع ذكاء الفرد بعد اختباره

نسبة الذكاء الفردى	فوق ١٤٠	١٢٠ـ١٤٠	١١٠ـ١٢٠	٩٠ـ١١٠	٨٠ـ٩٠	٧٠ـ٨٠	دون ٧٠
النوع	عبقرى	فائق جداً	فائق	متوسط	غبى	على شفا ضعف العقل	ضعيف العقل

فإذا فرض أن عندنا طفلاً عمره العقلى ٩ سنوات وعمره الزمنى ١٠ سنوات ، وأردنا معرفة نوع ذكائه أجرينا العملية البسيطة الآتية : $\frac{٩ \times ١٠٠}{١٠}$ = ٩٠ ، وهى نسبة الذكاء ، وإذا نظرنا إلى الجدول السابق وجدنا أن صاحبنا متوسط الذكاء .

« بخت الرضا — السودان » عبد العزيز عبد المجيد

(١) يستطيع القارئ الذى يريد الاستزادة أن يراجع « مقياس استنفرد وبنيه للذكاء » تصنيف الأستاذ اسماعيل القبانى

(٢) صاحب فكرة نسبة الذكاء هو السيكولوجى الشهير الألمانى ونزيل أمريكا الآن وليم شترن ، وقد شرحها فى Zeitschript sür Angewandte Psychologie سنة ١٩١٦ . وقد أعلن هذه الفكرة سنة ١٩١٢

من عيون الأدب الإنجليزي

مرثية في مقبرة ريفية

لتوماس جراي

للأستاذ محمد مندور

المدرس بكلية الآداب

ليست معرفتي « بجراي Gray » بنت الأمس . ولقد سمعت شباب الجامعة بكمبردج يرددون مقطوعاته، وفي جمال اطرادها ما ينسبني هوى نفسي وعهدي بها نزاعة إلى الجائش المضطرب اضطراب نزوات الحياة عند ما يسحق عمقها. ومن قديم وصف بوالو Boileau هذا النوع من الاضطراب الجميل بأنه منبع آيات الفنون

ولطالما سألت نفسي عن سر إصغائها إلى « جراي » على بعد البون بين ما ألتمس في نفوس الشعراء وما جبل عليه هذا الصديق، فما وجدت جواباً غير راحة النفس المضناة تجد في اطراد النغمات مسكناً لما يجيش فيها بالألم

وفي الحق أن الشعر الإنجليزي لا يعرف قصيدة أممن من مرثية جراي في اطراد الوزن ونقاء المبنى . فالقصيدة تنتظم رباعيات متعانقة القوافي متلاحقة التفاعيل في غير زحاف ولا علة، بحيث ينطلق فيها البصر، والنفس تلاحقه في يسر ينزل منها منزلة قطرات المطر تتساقط موقعة على زجاج نافذة، فإذا بالنفس قد هدأت وسكن جائشها إلى اطراد النغم . ومن هنا يتردد إذن في صداقة رجل كهذا؟

لم يعرف « جراي » ثورات النفس ولا مغامرات الهوى ، وفي انتظام حياته ما يملأ القلب إعجاباً ، فقد أنفق عمره يطلب العلم بكمبردج، وكأنه به يطلب إلى العلم سلوى عن طفولته البائسة. طفولة طفل يولد لأبوين متفاوتي المشارب حتى ليستحيل على أحدهما أن يسكن إلى الآخر

ولأمر ما يحلو لي دائماً أن أتصور « جراي » رقيق النفس رقة النسمات المتهافتة ؛ وفي ميوله ما يغريني بهذا الظن ، فلقد أولع الرجل أشد الولع بأغاني Ossian تلك الأغاني الشعبية التي كانت ولا يزال يرددها سكان جبال إيقوسيا ، وساقه أوسيان إلى أساطير البلاد الشمالية يستلهمها سذاجة الشعر قانعاً بما تعطيه من بديهي المعاني دون ما يمكن ان يكون خلف ذلك من رمز بعيد

وما كان لجراي وتلك طبيعته أن ينصرف عن آداب روما وأثينا ونفوس منشئيها في غضاضة نفسه يوم ابتسمت الإنسانية ابتسامة الطفل توقظه من مهده رقة الصباح ... نعم ابتسمت الإنسانية فملأت الطبيعة بخيالها الضاحك ، وإذا بعرائس الشعر ترقص في كل مكان ، وإذا بعذب الأساطير يوقع نغمات ذلك الرقص

هامت نفس « جراي » في هذا العالم المسحور فطرب لآثارهم أيما طرب وود أن لو كان من عشيرتهم فقال الشعر باليونانية وباللاتينية، حتى لأحسب هذا الطرب قد بلغ في نفسه مبلغ الشهوة، ونحن في ذلك لا نتجنى عليه ما دمنا نؤمن أن نفساً لا تعرف الشهوة لا يمكن إلا أن تعقم إن لم تتحطم

وأنفق جراي حياته بغير زوج ولا ولد بين جدران كمبردج يستمع إليها تقص من أنباء الماضي أجمل القصص، واطردت حياته على تلك الوتيرة حتى دلف إلى سكون الموت

عاشر جراي هومير وفرجيل، فرقت نفسه ، ونزعت إلى المثل الأعلى نزوع الطابع المصقول. واتفقت له أثناء ذلك رحلات رأى فيها من جلال الطبيعة ما يسمو بالقلوب قدر ما يلهب الخيال. وكلنا يذكر كيف قاد روسو تلميذه إلى قمم الجبال ليهديه السبيل إلى ربه

أتى « جراي » إلى الألب بفرنسا وحط رحاله إلى جوار « جرينوبل » حيث يقوم معبد الرهبان المتوحدين La Grande Chartreuse

هنالك تنهض الجبال عاتية وقد كستها الغابات يرتفع إليها البصر فيعود محملاً بأعمق الآيات ترددها النفس بذكر الله . هنالك يملأ القلب شعور ديني بتفاهة الحياة، وإذا بنا نود أن لو استحلنا إلى مثل دمعة عيسى التي زعم الشعراء أنها استحالت إلى ملاك رحمة وسعت رحابه كل نفس حتى نفس إبليس . هنالك يستقر في الحواس إحساس بالجمال يتمثل صوراً تأخذ النفس كارهة أو راضية إلى حيث تلتمس أطيب المُثُل. وما غفل جراي عن شيء

من هذا ، فى خطاباته لصديقه Horau Wolpole لكل ذلك أجمل الذكرى

وخالس «جراى» الزمن مرة أخرى فانطلق إلى حيث تنتثر البحيرات الصغيرة بين الجبال فيما يشبه قبلات العذارى على وجه السديم ، انطلق إلى إيقوسيا حيث السكون الرهيب لا تحركه إلا نغمات الناى يرسلها الرعاة من أعلى الجبال فتنساب بين الوديان أو تطفو على سطح المياه وكأنها من روح الله ، ونفذ كل ذلك إلى قلب «جراى» فقيد «بيوميانه» biary التى طالما باركناه أن تركها لنا دليلاً يأخذ بنا إلى حيث نرجو أن نجد الجمال

وكرت الأيام و «جراى» يطهر من نفسه إلى أن بلغ ولعه بالمثل الأعلى تلك الدرجة الجليلة التى نجدها عند الكثير من هؤلاء المطهرين Puritanis الذين لا تزال انجلترا تنعى بهم رغم وفرة من ترحل منهم إلى أمريكا حيث وجهوا النفوس هذا الاتجاه الذى أنتج أمثال «نلسن» ممن بلغ بهم الإيمان بالمثل الأعلى مبلغ السذاجة المقدسة

وما كان جراى بحاجة إلى روسو ليحنو على الضعفاء أو ليقدر سذاجة النفوس قدرها ، وفى نفسه وفى ملابسات تلك النفس ما يقوده إلى حيث انتهى فى تلك المرثية الخالدة التى كفلت للشاعر الخلود، والتى لم تكد تنشر سنة ١٧٥٠ حتى تناقلتها جميع الألسن، وحتى أخذت الأمهات أطفالهن بحفظها كما نفعل نحن ببعض آيات كتابنا الكريم ، وأكبر ظنى أنه حتى اليوم لا تزال تلك القصيدة أكثر القصائد انتشاراً بين القوم فى جميع أنحاء انجلترا

قال «جراى» : (١)

١ — دق ناقوس المساء ينعى النهار الدبر، وانسابت القطعان متهادية ناغية خلال المروج ، واتخذ الفلاح المضنى سبيله إلى مأواه فى خطى متثاقلة مخلفاً العالم لى وللظلام

٢ — وتضاءل ما بقى من ضوء خفيف ، فامحت من البصر آفاق الطبيعة ، وأخذ سكون رهيب يسود الفضاء فلا تسمع إلا الجعل يرسل دوى أجنحته فى كل فج ، أو أجراس القطعان تهنه ما انبسط من مروج تنتشر فوقها غفلة الكرى

٣ — أو نعيق البومة المحزن يحمل إليك من برجها النائى وقد كساه متسلق النبت ما ترسله من شكوى إلى القمر إذ من بمأواها العتيق الموحش عابرو السبيل فأقضوا منها المنام

٤ — تحت هذا الدَّردار وإلى ظلال هذا السرو سكن أجداد القرية فى نومهم الأخير، كل فى قبره الضيق حيث ترتفع تلك الكثبان المنهارة وقد علاها ضعيف الحشائش

٥ — رقدوا فى متواضع مضاجعهم رقدتهم الأبدية، فما لنسمات الصباح العطرة، وما لتغريد النغير يرسله من أسقف أكواخ العشب، وما لصياح الديك النافذ ، أو لما يتردد صداه من صوت البوق ، أن يوقظ لهم رقدة

٦ — رقدوا فما للموقد أن يرسل إليهم بعد اليوم لهيبه؛ وما لربة بيتهم أن تخف إلى مهامها إذا جاء المساء ، وما للأطفال أن يهرولوا إلى أمهاتهم يتمتمون إليهن رجعة أبيهم، وما لهم أن يتسلقوا أرجله يتناهبون ما يتقاتلون عليه من قبلات .

٧ — لكم تساقط الحصاد تحت ضربات مناجلهم ! ولكم شقت أسنة محاريثهم ما شقت من جوف الغبراء! بأى نشوة كانوا يسوقون قطعانهم إلى الحقول ؟ وبأى يسر كانت أشجار الغابات تطأطىء لهم من هاماتها ما أعملوا فيها معاولهم القوية ؟!

٨ — ما للكبرياء أن تحقر جهودهم المنتجة ومسراتهم العائلية وذكرهم المغمور ؟ وما لعظماء هذه الحياة أن يبتسموا احتقاراً لصغار المهام التى شغلوا بها أيامهم ؟

٩ — وألقاب الفخار ، وأبهة السلطان ، وكل ما يمنحه المال والجمال . كل هذا ساعة الحتف له بالمرصاد ، إذ أن سبل المجد لا تقود إلى غير القبر !

١٠ — وأنت أيها المتغطرس : ليس لك أن تلومهم إذا لم تر الأسلاب قائمة فوق قبورهم تخلد ذكراهم حيث تتردد أناشيد النصر فى القباب الممتدة ، وتحت الأقواس المزينة بالتماثيل ، حاملة نغمات المديح ...

١١ — وهل لأجمل الأوانى نقشاً ، أو لأنطق التماثيل بالحياة، أن ترد إلى مأواه ما تصاعد من نفس ؟ وهل لأصوات الفخار أن تبعث الحياة فى صامت التراب ؟ وهل للملق أن يلين من مسامع الموت البارد القاسى ؟ !

(١) الأرقام تدل على عدد المقطوعات المتسلسل . وقد يتصل الكلام بين مقطوعة وأخرى على نحو ما نرى فى التضمين بين الأبيات فى الشعر العربى ولا تقرأ كل مقطوعة على أنها مستقلة

١٢ — من يدرينا لعل فى هذه البقعة المهملة قلباً كانت تسكنه أنوار السماء ؟ أو يداً كانت تستطيع أن تأخذ بصولجان الملك ، أو توقظ الناى إلى حد الإلهام ؟

١٣ — ولكن العلم لم ينشر أمام أبصارهم صفحاته الطويلة التى أغناها بأسلاب الزمان. فلقد أطفأت برودة الفقر نبل حماستهم، وجمدت مجرى العبقرية فى نفوسهم .

١٤ — كم من جوهرة نقية الشعاع صافيته ، ظلت مخبوءة فى أعماق المحيط ؟ وكم من زهرة تتورد بعيداً عن الأبصار ، ثم ترسل عبيرها هدراً إلى بيداء الفضاء ؟

١٥ — من يدرينا ، لعل هنا يرقد « هامدن » قريته وقد ثبت بقلب جسور لصغار الطغاة بريفه ، أو « ملتون » آخر صامتاً عارياً عن المجد ، أو « كرومول » ثان نقى اليد من دم وطنه .

١٦ — أما تحريك أيدى النواب بالتصفيق ، وأما احتقار صيحات التهديد يرسلها الجائمون والمتألمون ، وأما در الخير على الأرض المتهللة ، وأما قراءة تاريخ الشعوب فى أعين أهلها ...

١٧ — فذلك ما حرمهم منه القضاء . على أنه لم يمنع فقط حميد خصالهم عن أن تزهر ؛ بل منع أيضاً جرائمهم من أن تستفحل . منعهم أن يخوضوا الدماء إلى العروش وأن يسدوا منافذ الرحمة عن العباد

١٨ — منعهم أن يخفوا وخزات الضمير إذا أخفيت الحقيقة التى يعلمونها ، أو أن يطفئوا حمرة الخجل البرىء . منعهم أن يلتمسوا النار من آلهة الشعر يضرمون بها أضواء المباخر التى يكدسونها فوق مذابح الكبرياء والرفاهية

١٩ — عاشوا بعيدين عن المعارك المزرية التى تمتركها الجماهير المتوهجة فما ضلت بهم رغباتهم المتواضعة . عبروا وادى حياتهم الوارف البعيد عن الجلبة بخطى صامتة مطردة

٢٠ — على أنه حفظاً لعظامهم أن تهان ينهض بالقرب من هذا المكان تمثال ضئيل تزينه قواف خشنة وتماثيل ممحوة الصور . نهض هذا التمثال ليستدر عابر السبيل واجب الزفرات

٢١ — أسماؤهم وأعمارهم خطتها آلهة مغلة من آلهة الشعر لتكون لهم بمنزلة المجد والرثاء فانتثرت حولهم النصوص المقدسة تحدث حكيم الريف كيف يموت

٢٢ — إذ ما من نفس تحس أنها ستسلم فريسة إلى النسيان وتسلم تلك الحياة السارة القلقة معاً، أو تترك تلك الآفاق الدفيئة آفاق الضوء دون أن تلقى إلى الوراء نظرة الحسرة ، نظرة الرغبة المتباطئة ...

٢٣ — فالنفس الراحلة تسكن إلى صدر محبوب ، والأعين المغلقة تستدر دموع الوفاء ؛ ومن أعماق القبور يصيح صوت الطبيعة كما لا يخمد الوميض فيما يخلف من رماد

٢٤ — أما أنت وقد حرصت على هؤلاء الموتى المغمورين فقصصت نبأهم فى شعرك الساذج ، فمن يدرينا لعل نفساً قريبة إلى نفسك تقودها الوحدة إلى السؤال عن مصيرك

٢٥ — ولعل شيخاً أبيض الرأس من شيوخ الريف يجيب :

— طالما رأيناه عند انبلاج الصباح يكنس بخطاه السريعة قطرات الندى مهرولاً إلى لقاء الشمس فوق القمم الخضراء

٢٦ — وهنالك إلى جذع البلوط المتمايل ـ البلوط الذى يرسل جذوره المختلطة عالية بالمرتفعات ـ كان يستلقى ماداً كل جسمه تحت أشعة الظهيرة ثم يطيل النظر إلى الجداول تخر بجواره .

٢٧ — طوراً نراه بتلك الغابات وعلى شفتيه ابتسامة السخرية وقد أخذ يردد أحلام الطريق ، وطوراً ينطلق فى سبيله مقوس الظهر شاحب اللون من البؤس كمن تخلى عنه أحبابه أو ذهبت بعقله الهموم أو حطم نفسه حب عاثر

٢٨ — وفى ذات صباح تفقدته فلم أجده لا على التل المعهود ولا على حافة البرارى ولا إلى جذع شجرته المحبوبة ، وجاء صباح آخر فما وجدته إلى جانب الجداول ولا بقمة التل بل ولا بالغابة .

٢٩ — وفى اليوم التالى رأيناه محمولاً فى طريقه إلى « القبر فى حفل الموت وأناشيد الغناء تصحبه . أدن واقرأ (ما دمت تستطيع القراءة) تلك المرثية المنقوشة على الحجر تحت أشواك هذه الشجرة العتيقة » :

ما على القبر

١ — تحت هذه الأرض يرقد فى راحته الأخيرة شاب جهله المجد كما جهلته الحظوظ . كان نصيبه من العلم نصيباً متزناً بينما وسمته الأحزان بميسمها

٢ — واسعةً كانت طيبة قلبه، ومخلصة كانت نفسه، وبقدر تلك الطيبة وذلك الإخلاص كافأته السماء

لقد جاد على البؤساء بكل ما يملك، وما كان يملك إلا دمعة. أنالته السماء كل ما تمنى، وكل ما تمناه كان صديقاً

٣ — لا تحاول أن تفض الغلاف عن حسناته، أو أن توقظ سيئاته من مكمنها المخيف. فقد اجتمعت الحسنات إلى السيئات متساوية فى أمل مضطرب مفزع: أمل من أوى إلى أحضان أبيه، أحضان ربه

***

ولو علم « جراى » يوم أن كتب تلك المرثية الخالدة أنها ستفتح له أبواب المجد إلى الأزل لعلم أن فتاه ما كان للمجد أو للحظوظ أن تنساه، وفى نفسه هذا المزيج العجيب من قوة الفكر وروعة التصور ورقة العاطفة

تلك الرقة التى حملته على أن يحصر كل ما يتمنى أن تهبه السماء فى صديق. وفى الحق أنى لا أدرى أنبل من نفس تستطيع أن تخلص الصداقة، والصداقة أبعد المشاعر عن غرائزنا التى نجدها عادة فى أسس كل شعور قوى.

قهرت الصداقة الحب فى نفس جراى الصافية الرقيقة، بحيث لو أننى أردت أن أضع على لسانه عبارة عن صداقته لهوراس ولبول، لما وجدت خيراً من كلمة مونتين montaigne الخالدة، وقد فقد صديقه لابويسيه La Beotie: « لقد كنا نقتسم كل شيء مناصفة، حتى فقدته فأصبحت اليوم لا أصيب خيراً إلا أحسست أنى أختلس من صديقى العزيز النصف الذى كان يؤول إليه ».

وأما اليوم، فليس لنا إلا أن ندعو الله أن يبارك تلك الأرواح الطاهرة فى ملكوت رحمته.

محمد مندور

من وحى الدبلوان

ليلى

للأستاذ ابراهيم العريض

قلتُ يوماً لابنتى ليلَى ـ وقدْ   أخذَتْ ديوانَ قيسٍ تتغنَّى
فكأنَّ الحسنَ أولاها يداً   فأرادتْ باسمِه أن تتجنَّى ـ
« طِبت ياليلاىَ نفساً فافهمى   ليس كالشاعرِ فى الأرض معنًّى
هُوَ مِن أحلامه فى جنَّةٍ   فإذا حدَّث عنها قيل جُنَّا
كلُّنا طائرُهُ فى قفصٍ   إنما يُطلِقُهُ المجدودُ منَّا
لوْ درَى الضاحكُ فى سكرتهِ   أنَّه يشربُ دمعاً لتأنَّى
والليالِى يتطاولنَ إذا   سقطَ النَّجمُ الذى نوَّرهُنَّا
قمْنَ فى عافيةٍ مِن حُبِّهِ   يتباهَيْنَ به ما بينهنَّا
يحسَبُ الناسُ جواهُ أدباً   قلَّ مَنْ شاركَه فيما أجنَّا
ثمَّ يطوِى ليْلَهُ صُبحٌ فلا   هو للحبِّ ولا من حبهُنَّا »

***

فأجابتنى غناءً فى الصِّبا   بالذى حيَّرَ مَن أكبرُ سنَّا
« لاتسلنى ـ فوجودى عدمٌ ـ   طائرُ الخلدِ هنا كيف اطمأنَّا
هُوَ يهفو لجمالٍ رُبما   خفيَت آثارُهُ فى الكونْ عنَّا
فإذا شاهدَهُ فى رَوْضةٍ   أوسحابٍ مثَّل الإحساسَ فنَّا
والذى يُطرِبُنا مِن نَغَمٍ   مسترقاً كلَّما الليْلُ أجنَّا
لم يكنْ غيرَ نياطِ الحبِّ فى   قلبهِ كالوَترِ الحسَّاسِ رنَّا
هُوَ فى نشوتهِ يُفضى بها   نغماتٍ تملأُ الآفاقَ حسْنا
لا تقُلْ دُنياهُ ظلٌّ زائلٌ   فشعاعُ الحبِّ فيها ليسَ يَفنى
لوْ تجلَّتْ قدْرةُ الخلاَّقِ فى   لفظةٍ صاغَ لها الشاعرُ معنى »

***

وانحنتْ فوقَ يدِى تلثِمُها   خجلاً حين رأتْ رأسىَ يُحنى
ثمَّ قالتْ وهىَ تلهو بالذى   قلدتهُ دونَ أن تحملَ منَّا
حسبُ عِقدى أن حوَى واسطة   ما لها فى الدُّرِّ صِنوٌ فتُثنِّى
عِشتَ للشِّعرِ ولى يا أبتِى   أنتَ للشِّعرِ ولى ما أتمنَّى

(البحرين) ابراهيم العريض

أفانين

بين الخوارزمى والهمذانى (*)

للأستاذ على الجندى

— ٢ —

حين اطمأنّ المجلس بالشهود فى دار النقيب ، تطالت الأعناق ، وشخصت الأبصار ، وانتصبت الآذان ! فافتتح البديع المساجلة بكلام يجمع بين التهكم والتوريط ! : إنما دعوناك لتملأ المجلس فوائد ، وتذكر الأبيات الشوارد ، والأمثال الفوارد ، وتناجيك فنسمد بما عندك ، وتسألنا فتُسرّ بما عندنا . ونبدأ بالفن الذى ملكت زمامه ، وطار به صيتك : وهو الحفظ إن شئت ، والنظم إن أردت ، والنثر إن اخترت ، والبديهة إن نشِطت ، فهذه دعواك التى تملأ منها فاك !

وقد حسب الخوارزمى حساباً لشيخوخته ، نخاف أن تكبو به قريحته فى الحفظ والنثر ، فآثر المبادهة بالشعر

فقال البديع : الأمر أمرك يا أستاذ

فأجابه الخوارزمى : أقول لك ما قال موسى للسَّحَرة : « بل ألقوا »

فأخذ كل منهما دواة وقلماً ، وخط البديع أبياتاً مدح فيها السيد نقيب الأشراف ، ونخر بنفسه ما شاء ، وأوسع الخوارزمى ذمًّا وسخرياً ! منها :

والشعر أصعب مذهباً ومصاعداً   من أن يكون مطيعُه فى فَكّه
والنظم بحر ، والخواطر مَعبَرٌ   فانظر إلى بحر القريض وفُلكه
فتى تراني فى القريض مقصِّراً   عرضت أذن الإمتحان(1) لعَرْكه
أصغوا إلى الشعر الذى نظّمته   كالدرّ رُصّع فى مجرّة سلكه
فتى عجزت عن القريض بداهة   فدمى الحلال له إباحة سفكه

ونظم الخوارزمى أبياتاً امتنع عن إبرازها فيما يقول الرواة ، فقال البديع له : إن البيت لقائله كالولد لناجله ، فما لك تمقُ ابنك وتضيمه ؟ أبرزها للعيون ، وخلصها من الظنون ، أما تستحى أن يكون السِّنَّور أعقل منك ؟ لأنه يحمُر(1) فيغطيه بالتراب؟ !

فقال النقيب : انسجا على منوال المتنبي :

أرَقٌ على أرق ، ومثلى يأرق

فابتدر الخوارزمى قائلاً :

وإذا ابتدهت بديهة يا سيدى   فأراك عند بديهتى تتفلق
وإذا قرأت الشعر فى ميدانه   لا شك أنك يا أخى تتشقق
إنى إذا قلت البديهة ، قلتها   عجلاً، وطبعك عند طبعى يرِق
مالى أراك ولست مثلى فى الورى   مُتموّهاً بالترهات تمَخرق(2)
إنى أجيز على البديهة مثلما   تريانه ، وإذا نطقت أصدّق
لو كنتَ من صخر أصمّ لهاله   منى البديهةُ ، واغتدى يتفلق
أو كنت ليثا فى البديهة خادرا   لرُثيت يا مسكين منّىَ تفرَق
وبديهة قد قلتها متنفّسا   فعل الذى قد قلت ياذا الأخرق

ثم قال معتذراً عن هلهلة نسجها: هذا كما يجىء لا كما يجب. فقال البديع : قبِل الله عذرك ! لكنى أراك وَفَّقت بين قواف مكروهة وقافات خشنة ، كل قاف كجبل قاف : تتفلق ، تتشقق ، تتفلق الخ

فخذ الآن جزاء عن قرضك ، وأداء لفرضك :

مهلاً أبا بكر فزندك أضيق   واخرَس، فإن أخاك حىٌّ يُرزق
يا أحمقاً وكفاك تلك فضيحةً   جرّبت نارمعرّنى، هل تحرق ؟

فقال الخوارزمى : يا (أحمقاً) : لا يجوز ، فإنه لا ينصرف .

فقال البديع : لا تزال نصفعك حتى ينصرف وتنصرف معه ! وللشاعر أن يرد ما لا ينصرف إلى الصرف ، وإن شئت قلت : يا كَوْدَنا(3)

ثم أردف البديع قائلاً : أخبرني عن قولك فى البيت : ياسيدى ، ثم قولك : تتفلق ، أمدحت أم قدحت ؟ فإن اللفظين لا يركضان فى حَلْبة(4) ، ولا يخطان فى خطة

فابتدر النقيب قائلاً : قولا على منوال قول المتنبي :

أهلاً بدار سباك أغيدُها

فارتجل البديع :

يا نعمةً لا تزال تجحدُها   ومنة لا تزال تكنُدُها

فاعترض الخوارزمى قائلاً : الكنُود : قلة الخير لا الكفران .

فأنكر الجميع ذلك وقالوا : أما قرأت قوله تعالى : « إن الإنسان لربه لكَنود » أى لكفور

(*) انظر العدد ٣٣٧ (١) قطعت الهمزة لضرورة الوزن

(١) يحدث وهو رواية رسائل البديع (٢) المخرقة : الحمق
(٣) الفرس الهجين والفيل والبغل (٤) المراد هنا : ميدان السباق

فحمي الخوارزمي وقال : أنا اكتسبت بفضلي دية أهل همذان فا الذي اكتسبت أنت بفضلك ؟ فقال البديع : أنت في حرفة الكُدْية[1] أحذق ، وبالاستماحة أحرى وأخلق ، وأما مالك فعندي يهودي يماثلك في مذهبه ويزيدك بذهبه . ثم مال على مثن فقال : أسمعنا خيراً ، فغنى :

وشبهنا بنفسج عارضيه بقايا اللطم في الخد الرقيق

فقال الخوارزمي : أنا أحفظ هذه القصيدة ، وهو لا يعرفها .

فقال البديع : أخطأت ، فإن البيت على غير هذه الصيغة وهي :

وشبهنا بنفسج عارضيه بقايا الوشم في الوجه الصفيق

فقال الخوارزمي : والله لأصفعنك ولو بعد حين !

فرد البديع . أنا أصفعك اليوم وتضربني غداً ، اليوم خمر ، وغداً أمر ! ثم تمثل بقول ابن الرومي :

رأيت شيخاً سفيها يفوق كل سفيهِ
وقد أصاب شبيها له وفوق الشبيه

وثنى على ذلك منشداً :

وأنزلني طولُ النوى دار غربةٍ إذا شئت لاقيت امرأ لا أشاكلُه
أحامقُه حتى يقال : سجيّة ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

وما زال الجدل محتدماً بينهما حتى ضجر الحضور ، ورنق الكرى في عيونهم ، فتقوّض المجلس ، ونام الناس — كعادتهم — في ضيافات نيسابور ، ثم انتشروا في الصباح وقد تشعبت آراؤهم في الحكم على الرجلين ، تبعاً لاختلاف ميولهم وأهوائهم .

وقد شق على جماعة من الفضلاء أن يبلغ الشقاق بين الرجلين هذا الحد المقوت ! فسعوا في إصلاح ذات البين ، وحملوا البديع على طلب المصافاة ، وهو دليل على أن العدْوان بدر منه ، فمشى إلى الخوارزمي معتذراً يقول : بعد الكدر صفو ، وبعد الغيم صحو !

وأبى كرم الخوارزمي إلا أن يقبل عذره ، وزاد على ذلك فدعاه إلى أن يقضي عنده سحابة يومه مغموراً بأريحيته

وتصافى الرجلان ، وحل الوئام محل الخصام

ولكن هذا الصلح كان كصلح (فرساي) يحمل في تضاعيفه جراثيم حرب ضروس ! فلم يلبث أعداء الخوارزمي والمستوحشون منه أن سعوا في نقضه فهبت ريح الخلاف مرة أخرى شديدة عاتية ! فلم يكن بدٌّ من عقد مناظرة ثانية تكون فصل الخطاب في هذه القضية الشائكة

وكان أن هُيّئ مجلس في دار أبي القاسم الوزير ، حضره بعض العلية على رأسهم رجل له مكانته وخطره ، وهو الشريف العالم أبو الحسين ، وكان البديع سنياً متعصباً للأشاعرة ، والخوارزمي مصطبغاً بصبغة التشيع ، فرهب البديع جانب أبي الحسين ، ورغب في استمالته إليه ، فمدحه ومدح آل البيت بقصيدة أولها :

يا معشراً ضرب الزما نُ على مُعرّسهم خيامَه

ثم انثال الناس على المجلس من كل صوب وأوب ، حتى حفل بذوي المثالة من رؤساء المدينة وعلمائها وقضاتها ومتصوّفيها . وأقبل الخوارزمي — بعد لأي — في جمّ غفير من أنصاره ومُريديه . وبعد ملاحاة ومشادة بين المتناظرين ، تشبه التحام طلائع الجيوش ، اقترح عليهم بعض الحضور أن ينشدا على غرار قول أبي الشيص :

أبقى الزمان به نُدُوب عِضاض ورمى سواد قرونه ببياض

فابتدر الخوارزمي قائلاً :

يا قاضياً ما مثله من قاضِ أنا بالذي تقضي علينا راضِ

ومنها :

ولقد بُليت بشاعر متهتّك لا بل بليت بناب ذئب غاض

فقال البديع : ما معنى قولك : ذئب غاض ؟ فقال الخوارزمي : ما قلته — هكذا زعم الرواة — فشهد الحاضرون أنه قاله . فقال : الذئب الغاضي : الذي يأكل الغضا . فقال البديع : استنوق الذئب ! صار الذئب جملاً يأكل الغضا !

وهنا هدأت العاصفة بدخول الرئيس أبي جعفر ، والقاضي الحربي ، والشيخ أبي زكريا الحيري .

(البقية في العدد القادم)

علي الجندي

(١) التسول

آلام فرتر

فصل للناقد الإنجليزي « ادوارد شانكس »

للأستاذ أحمد فتحى

... الأستاذ الزيات :

ليس « جوته » بجديد عليك ، فقد أغنيت المكتبة العربية مذ نقلت إلى الضاد العزيزة روايته الباقية « آلام فرتر » .

وليس « ادوارد شانكس » بجديد عليك ، فانك لأعرف بأنه فى صدر نقاد الأدب فى بريطانيا .

وليس قلمى بجديد عليك ، فقد أفسحت له الرسالة الزاهرة صدرها على الدوام ...

ولكن الجديد هو أن يكتب « شانكس » من « آلام فرتر » ، فيمجدها كل هذا التمجيد الذى يتردد صداه فى آفاق الدنيا ، بينما يحال بين الطلاب المصريين فى مدارس الحكومة وبين الانتفاع بما فيها من الفن الرفيع . ولينظر جمهور الأدب بعد ذلك فى أى عصر نعيش ؟ ! « أ . ف »

أكبر الظن أن كتاباً يصدر بهذا العنوان فى أيامنا هذه لا يقدر له حظ من النجاح . ولكن « آلام فرتر » قد ظفرت منذ ظهورها بنجاح فائق ، وطافت أرجاء الدنيا باسم شاب فى السادسة والعشرين من عمره . بل إن هذه القصة بذاتها قد أبدعت طرازاً طريفاً ، واستحدثت مدرسة جذبت مناهجها أتباعاً ومريدين لا حصر لهم . كان الحزن على بطل القصة يستأثر بقلوب معظمهم ؛ بل إن الألوف من شباب أوربا كانوا فى وقت ما يجهدون أن يرتدوا من الثياب مثل ما كان يرتدى « فرتر » . بل إن بعضهم قد جرى شوطه وانتهى إلى مثل غايته فقتل نفسه !

قرأ « نابليون » هذه القصة سبع مرات ؛ واستصحبها طوال أيام مناصرته فى مصر ، بعد ظهورها بعشرين سنة . وحينما مثل « جوته » بين يديه فى « إيرفورت » بعد ذلك باثنتى عشرة سنة أخرى ، كان موضوع القصة نفسها أهم الموضوعات فى كل ما دار بينهما من الأحاديث . ولقد أبدى الامبراطور للشاعر أنه هضم القصة هضما جيداً ، وأحبها فى إخلاص ، مما كان له أثر باق فى نفس الشاعر

وإننا نحاول فى هذا الفصل أن نعرض للبواعث التى أوحت إلى « جوته » بتأليف قصته هذه . فى سنة ١٧٧٢ فرغ من وضع مسرحية اسمها « برليخنجن » تعتبر فى تأثرها بمسرحيات « شكسبير » من بواكر النزعة الرومانتيكية فى المسرح الأوربى . ولقد كان لها بهذا الوصف حظ ملحوظ من النجاح . كما كان « جوته » قد كتب فى ذلك الحين كثيراً من أروع شعر صباه . يضاف إلى ذلك أنه كان موضع الالتفات إلى جمال قسماته ، وإلى ذكائه اللماح ، ومظهره الممتاز . غير أن أباه ، وكان رجلاً محافظاً شديد القسوة ، أراده على أن يرسم لنفسه طريق الكسب فى حياته .

ومن ثمّ رحل ليتم دراسته القانونية فى جامعة « ويتزلر » . وكانت هذه المدينة حينذاك مقر المحكمة الإمبراطورية فى ألمانيا ؛ وفيها أحب « جوته » فتاة كانت قد خطبت قبل أن تمترض سبيل حياته إلى رجل آخر . ومنذ بدأ هذا الحب ، بدأت فصول قصة « آلام فرتر » التى احتلت مكانها الملحوظ فى قلوب الملايين

* * *

كان « جوته » فى بواكير صباه فتى ملتهب العاطفة متأزم النفس ضيق الصدر مظلم الخاطر ، حتى إنه كان يبتئس للخطب قبل وقوعه ! ويقدر أنه هالك لا محالة ! ولقد كان من آثار ذلك أن رحل عن «ويتزلر» كسير القلب قبل أن تضع الأقدار لقصة غرامه اليائس نهاية حاسمة . ولو أن المعجزة الماثلة كانت وقعت ، فآثرت « شارلوت » عاشقها الشاعر الحساس على خطيبها المتبلد الجامد ، فأكبر الظن أن هذا الانقلاب لم يكن ليحول بين « جوته » وبين الهرب من بلدة المرأة التى أحبها من كل قلبه ، فإن استعداده الفطرى للوقوع فى حبائل الحب لم يكن يعدله أو يفوقه سوى استعداده الفطرى لإيثار العزلة !

لقد زعم بعض من ترجموا له أنه حين رحل إلى « ويتزلر » كان يضيق بأيامه الأولى فيها ، لأنه لم يجد فيها فتاة تستأثر بقلبه . غير أنه لم يلبث حين رأى « شارلوت بون » أن وقع فى شرك غرامها . كانت فى التاسعة عشرة ، وكان لها إخوة صغار اثنا عشر توفيت أمهم . وليس من المحقق أن لقاءهما تم على النحو الذى وصفه فى لقاء « فرتر وشارلوت » فى قصته بعد ذلك ، فقد جاء فى القصة أن «فرتر» دُعى ليرافق ، إلى حفلة راقصة ، بضع فتيات وعدنه بأن يجدن له شريكة فى حلبة الرقص ، فاستأجر

لمن مركبة ذهبت بالجميع إلى بيت « شارلوت » التى لم تكن قد أخذت بعد أهبتها للرحيل برفقتهم ، إذ لم تكن قد فرغت من تقديم وجبة العشاء لإخوتها وأخواتها الصغار

كان اللقاء على هذا النحو استهلالاً رائعاً للحمة شعرية بارعة . ومن المحقق أن شارلوت كانت على أوفر حظ من الجمال والسذاجة والشعور بالواجب . غير أنه كان من سوء حظ « جوته » أن التقى بها بعد أن تمت خطبتها من « ألبرت كتزنر » ولقد كان من سوء حظه أيضاً أنها لم تنصح له بمغالبة عواطفه نحوها قبل أن يفلت من يده زمامها . ولعلها لقيت من الألم ألواناً من أجل نفسها ومن أجل « ألبرت » الذى آثرته آخر الأمر بطريقة عملية إذ رضيت أن تزف إليه دون الشاعر

ولقد كان وضعاً على أكبر درجة من الشذوذ أنهم أمضوا شهور الصيف التالية للزفاف على نحو لانظير له ، إذ كان الشاعر العاشق يلهو حينذاك بدراسة الحقوق ، وينفق كل أوقاته ملازماً « شارلوت » . وكان فضلاً عن ذلك فتى وسيما ذكى الفؤاد ، قد نال من النجاح فى حياته الأدبية فوق ما كان « ألبرت » يصبو إليه فى مستقبله . غير أن ألبرت كان منقطع النظير بتسامحه وسخاء ذهنه ، فأحب « جوته » ووثق من شارلوت . ولعله قد أدرك بثاقب رأيه أن التسامح كان خيرما يمكن أن يلجأ إليه فى ذلك الوضع الشاذ . ويبدو أن « جوته » قد ترك لخياله الحبل على الغارب ، لجعل يصور مشاهد المأساة على النحو الذى توحى آلامه ، وقد وجدت المأساة خاتمتها بعد ثلاثة شهور رحل بعدها الشاعر إلى موطنه « فرانكفورت » حيث ظل يراسل الزوجين جميعاً برسائل تفيض بأحزانه

* * *

على أن فصول هذه القصة على غناها لم تكن كافية لنسج الثوب الرائع الذى ظهرت به « آلام فرتر » بل أتاحت الأقدار لمؤلفها العبقرى حادثين آخرين أعاناه على إظهارها فى ذلك الثوب الذى لا مثيل له ...

ذلك أنه التقى فى « ويتزلر » بشاب ممتاز المواهب اسمه « أورشليم » ولم يلبث هذا الشاب أن أخفق فى غرام له فقتل نفسه ! وهنا اتخذت القصة فى ذهن « جوته » خاتمة مقبولة . ولكنه لم يكتبها فى ذلك الحين أيضاً ، بل هيأت له الأقدار فصلاً بارعاً مما اتفق له من فصول حياته الحقيقية نقله إلى حيث صبه فى صلب قصته الخالدة . إذ حدث أنه حل ضيفاً بمنزل كهل من ذوى قرباه اسمه « بيتر برنتانو » كانت له زوج حسناء اسمها « ماكسمليان » لم يرق له ما يبدى الشاعر الشاب من الاهتمام بأمرها . فآثر أن يضع حداً لضيافته وطرده من بيته بدافع من الحرص على الفضيلة ! وبعد ذلك مباشرة انزوى « جوته » فى عقر داره وعكف على كتابة قصته الخالدة ، فظهرت أول طبعاتها عام ١٧٧٤

* * *

كان ظهور هذا الكتاب أشبه ما يكون بالقذيفة المفاجئة . وكانت شارلوت وزوجها ألبرت أول من شعر بذلك . إذ أن جوته حين آثر النهج الواقعى فى تسجيل حوادث القصة لم يغير أسماء أبطالها ! وإن كان قد غير من سياق حوادثها ومميزات الأبطال أنفسهم ، فألصق بألبرت كثيراً من نقائص قريبه برنتانو ، تلك النقائص التى كان يعلم أن ألبرت برىء منها تماماً والتى جعلتها ذات الأثر الفعال فى انتحار بطل قصته « فرتر »

ولقد تحدى « جوته » مواطنيه جميعاً فى تقدمته القصة إليهم إذ زعم أنهم لا يقدرون قيمتها فى نظر الجماهير الأخرى ولا يقدرون قيمتها بالنسبة إليهم أنفسهم . ولم يكن مسرفاً فى هذا التحدى ، لأنه إنما أصاب الشهرة فى وطنه بوصف أنه مؤلف « برليخنجن » وحسب ، بينما استطاعت « آلام فرتر » أن تتخطى الحدود إلى سائر بلاد الأرض ، وأن تغزو أفكار الشباب حيثما وقعت فى أيديهم ، بما تحمل من صور العبقرية الفذة . وإن الكثيرين من هؤلاء قد رسم خيالهم صورة « فرتر » كإنسان نبيل القلب غنى العاطفة حى الإنسانية ؛ لفظته الحياة فآثر عليها الموت . ولقد بلغ من تأثرهم بصدق هذه الصورة أنهم آمنوا بأن الحياة ليست إلا هذا اللون من الإخفاق الذريع ، فجروا مع « فرتر » إلى نهاية الشوط ، وقتلوا أنفسهم !

* * *

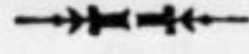
ولقد تبين للمتأخرين من رجال الإصلاح الخلقي أن « فرتر » هذا قد زين الانتحار للشباب . وهذه حقيقة يصعب إنكارها ، بل هي وثيقة تسجل لمبتكر شخصية « فرتر » مجداً أبقى على الزمن الباقي من الزمن ! ولكن شراً من ذلك أنهم أرغموا « جوته » على أن يضع أبياتاً عقيمة ينطق بها « فرتر » في لحظاته الأخيرة ، ناصحاً للشباب بألا يحذوا حذوه . ولكن إضافة هذه الأبيات لم تكن لتجدي في الواقع شيئاً ، وكل ما ثار حول الكتاب من النقد إنما كان كله إعلاناً زاد رواجه وساعد على تداوله

ولا يتسع المقام لتعقب الآثار الأدبية التي أحدثها ظهور هذا الكتاب ، تلك الآثار التي عبرت إلى القرن العشرين وظهرت في شخصيات الأبطال القصصيين الذين ابتكرهم أمثال « بيرون » و « شاتوبريان » . غير أن ثمت ملاحظة أخرى يجب أن تضاف إلى ما تقدم عن أثر الكتاب في حياة مؤلفه نفسه . إذ لم يقدر له أن يصيب من النجاح في حياته مثل ما أتاح له هذا الكتاب وهو لم يتخط السادسة والعشرين . وقد يكون لقصته الأخرى « فاوست » عدد أوفر من القراء في هذه الأيام ، ولكن لم يكن لها مثل ذلك في أول عهدها بالنشر . وستظل شهرة « جوته » قائمة إلى ماشاء الله بوصف أنه مؤلف « فرتر » وبهذا الوصف دعاه « الدوق كارل أوجست » إلى قصره في « فيمار » حيث بقي إلى أن وافاه القدر وهو في موضع الصدارة بين وزراء الدوق . وإنه إذا تعسر الحكم بوفرة عدد من يقرأون هذا الكتاب في أيامنا الراهنة ، فإنه من الكتب التي يتعذر إهمال الحديث عنها . فقد نظم « جوته » فيه أحسن الشعر الذي لم ينظم بعده ولا قبله مثيل له أو خير منه . بل إن هذا الشعر ليبز ببساطته ووضوح تعبيره كل ما عداه من شعر الألمان جميعاً إلى اليوم . والكتاب بعد ذلك وقبل ذلك ، حافل بجمال متحرر من كافة القيود والأوضاع ، حافل بروح الشباب التي أبرزها الشاعر مرة أخرى في شعر غنائي رائع زان قصته الأخرى « فاوست » تلك الروح التي ودعته منذ ودع شبابه !

(الجيزة) أحمد فتحي

من الأناشيد المرفوضة

للأستاذ علي الجندي



نحنُ جندُ النيلِ أبناء الفِداء   وكماةُ الحربِ أبطالُ الكِفاح
نَردُ الهيجاءَ في ظلِّ اللواء   كأسودِ الغابِ أو هُوجِ الرِّياح
في خطانا النصرُ والفتحُ المبين

نحنُ أبناءُ الصناديدِ الغُزاه   سادةُ الدُّنيا وأقيالُ الأُمم
اقرأِ التاريخَ واحفظْ ما رواه   عن صلاح الدين أو باني الهرم
وكذا الآباءُ تُوحي للبنين

نحنُ في البرِّ وفي البحرِ أُسودْ   ونُسورٌ بينَ أعنانِ السماء
سجَّلَ النصرَ لنا لوحُ الخلود   فوقَ ظهرِ الأرضِ أو متنِ الهواء
فوقَ لُجِّ البحرِ يَرغو بالسفين

منْ يُبارينا إذا جدَّ القتالْ   ورجومُ الحربِ تهوي بالصفوفْ
نحتبي في ساحِها مثلَ الجبالْ   لا نُبالي بالمنايا والحُتوفْ
أنهابُ الموتَ آسادُ العرينْ ؟

سائلِ النيلَ بنا والهرَما   هلْ لنا منْ مشبهٍ بينَ الشعوبْ
نرخصُ الأرواحَ إنْ ريعَ الحمى   ونفدِّيهِ بحبَّاتِ القلوب
ونَفي بالعهدِ إنَّ العهدَ دينْ

مِصرُ يا مهدَ المعالي والفخارْ   بَسَمَ السَّعدُ وواتتكِ المنى
ذاكَ فاروقُ وهل يخفَى النهار   فوق عرش النيل مرموقَ السنا
ملكٌ يُحيي عُهودَ الراشدينْ

قدْ قطعنا العهدَ واللهُ شهيدْ   أننا للعرشِ نحيا والبلادْ
فاهتفوا يا قومَنا عاشَ الرشيد   عاشَ فاروقٌ لمصرٍ خيرَ هادْ
ناهضاً بالشعبِ والجيشِ الأمينْ

علي الجندي

الأدب في سير أعلامه

بيرون

ذلك العبقري المتمرد الذي غنى أروع أناشيد الحرية، ولاقى الموت في سبيل الحرية

للأستاذ محمود الخفيف



أقام الصبي في نوتنجهام ووكلت به أمه أستاذاً يعلمه اللاتينية وأحبه أستاذه حباً عظيماً وأعجب بذكائه الفائق ، ودهش لكثرة ما قرأ من الكتب ؛ وفي تلك المدينة أسلمته أمه إلى رجل ادعى أنه قادر على أن يزيل عاهته وكم كان يتألم الصبي حين كان يدلك ذلك الرجل رجله بالزيت ، ثم يلويها في عنف ويشد عليها الوثاق بين خشبتين ، ولكن كبرياءه كانت تأبى عليه أن يظهر الألم على ما كان من هوله وعدم جدواه ... ولقد كان ذلك الرجل الفظ يرسله أحياناً إلى بعض الحوانيت ليشتري له ما يريد كأنه خادمه ، والناس يعجبون ويألمون أن يعامل اللورد الجميل هذه المعاملة... وكان الصبي ينتقم من طبيبه بكثير من معاكساته، ومنها أن يسأله أسئلة تظهر له جهله فيسخر منه ويطلق لسانه بالتهكم عليه

واستطاعت أمه أن تحصل له من ميراثه مؤقتاً على ثلاثمائة جنيه تدفع له كل عام حتى يبيح له القانون أخذ نصيبه كله. وأخذا يحسان اليسر في ميشتهما، ولكن أمه ظلت على حالها من الشذوذ فهي لا تني تكيل له الشتائم وكثيراً ما تطارده تريد أن تضربه فلا تدركه على الرغم من عرجه ، ولقد علمه هذا أن يصيبها ببعض تهكماته وأن يناوئها بعناده وتمرده

وهكذا تظهر الظروف خلاله في هذه السن الباكرة، فهو عنيد متمرد ذو كبرياء، وهو متوقد العاطفة مشبوب الخيال، وهو بارع الكلمة حاضر البديهة، ولسوف تكون هذه في غد خواص شعره يوم يحمل أنصاره وخصومه جميعاً على الإعجاب بذلك الشعر

وأدخلته أمه مدرسة في لندن وهو في الثانية عشرة من عمره ، وكانت تزوره هناك أحياناً فيبدو للناس من شذوذها ما يخجل اللورد المتكبر منه ، وكم كان يضيق بخلانه إذ يعيرونه بحماقة أمه، فيحاربهم تارة ويعرض عنهم تارة أخرى .. ولقد كان وهو في تلك السن يحمل في جيبه أينما سار مسدساً محشوا ، كأنما كان يستعيض به عما لحقه من ضعف بسبب عرجه ... على أن لا يستبعد أن يكون ذلك بعض ما تطرق إليه من شذوذ بسبب ما سمع من الأقاصيص عن اللورد التعس فلقد كان الصبي يبدى إعجابه بما كان يقص عليه الخدم من أنبائه في قصر نيوستد

ونقل الصبي وهو في الثالثة عشرة إلى مدرسة تليق به ، وكانت من أكثر المدارس شهرة يومئذ ، وهي مدرسة هارو ؛ وكان يقوم عليها أحد ذوي المكانة من المربين ، وسرعان ما فطن ذلك المربي إلى صفات التلميذ الجديد ، فلمح عناده وكبرياءه ، ولذلك عول على اكتسابه باللين ، فنجح في ذلك نجاحاً كبيراً ، وأحب التلميذ ناظره واطمأن إلى عدالته ، ولعل هذا هو الشخص الوحيد الذي خضع له بيرون في حياته كلها ...

وهالت المدرسين والتلاميذ جرأته من أول الأمر ، فهو يخرج على ما يحد من حريته ، وهو يذهب في ذلك إلى أن يعلن إعجابه بيونابرت ، بل إنه ليحمل صوراً له وتمثالاً صغيراً ، وهو لا يفتأ يتحدث عن الثورة في فرنسا وما تدعو إليه من حرية ، ولو كان على رأس تلك المدرسة رجل غير ناظرها هذا لما صبر على جرأة هذا التلميذ الثائر. وسرعان ما حمل التلاميذ على الإعجاب بخلاله، فهو جريء في الحق ، يظهر من الشجاعة الأدبية في كل المواقف ما ينال به احترام الجميع ، وهو لا يعرف الكذب ولا يطيق سماعه ، وهو ولوع بالرياضة على الرغم من عاهته ، وهو شديد الإخلاص لأصدقائه لا يبخل على أحد بشيء مهما عز ، وهو مشتعل حماسة وإقداماً ، وهو فصيح اللسان ، أخاذ العبارة ، ذكي الفؤاد ؛ وهو فضلاً

عن ذلك كله قد قرأ من الكتب ما لم يقرأ نصفه أحد ممن هم فى سنه. هذا إلى اعتداده بنفسه وحرصه على كرامته وطموحه وبعد همته

لذلك لم يمض على بيرون عام فى مدرسته حتى كان شخصية فذة فأحبه جميع أقرانه ، واحترمه أساتذته ، وأعجبوا به على الرغم من تمرد روحه وتكاسله أحياناً عن دروسه ، وكان ذوو البصائر منهم يتنبأون لذلك الغلام بمستقبل فذ وأثر فى الأدب خطير

وكان قد ملك قلبه وهو فى الثانيـة عشرة حب جديد فهام بابنة عم له أخرى هى مارجريت باركر ، ولقد ذكر بيرون فيما بعد أن أول خطوة خطاها فى الشعر كانت بوحى من هذه الفتاة التى كانت تكبره بعام ، على أن يد الموت لم تلبث أن قصفت عودها اللدن وهى فى الخامسة عشرة ، فكان هذا أول حزن أرمض قلب الفتى واستقر فى أعماقه حتى نهاية عمره

وكان يراه التلاميذ فى هارو يحمل كتاباً ويصعد التل القريب إلى مقبرة هناك فيضطجع على قبر تظلله شجرة ويظل يقرأ ويتأمل فى ذلك المكان مدة قد تطول إلى ساعات ؛ وكان ممـا ظهر من صفاته فى الرابعة عشرة ميله إلى العزلة أحياناً ، وذلك دأب ذوى النفوس الحالمة الحزينة ، ولقد اشتهر فيما بعد أمر ذلك القبر الذى كان يضطجع عليه الشاعر ، حتى لقد أحيط بسياج من الحديد بعد أن أصبح الشاعر فى ذمة التاريخ ، وذلك حين امتدت أيدى الزائرين لهذا المكان إلى أحجاره تحملها كأثر من آثار العبقرية على الرغم من أنهم كانوا يعلمون أن ذلك القبر لم يك قبر بيرون

وأتيح للفتى وهو فى السادسة عشرة أن يذهب إلى قصره فى نيوستد أثناء عطلة صيفية إجابة لدعوى وجهت إليه من مستأجر ذلك القصر ، وكان هذا شاباً يدعى اللورد جراى ، ولشد ما أبهج بيرون أن يرى ذلك القصر ، وأن يرى تلك الشجرة التى غرسها هناك بيده وقد أخذت تترعرع وتكبر

وكان يقوم على مقربة من نيوستد قصر آخر فى موضع اسمه أنسلى ، وكانت تملكه أسرة سودرث وهم من ذوى قرباه ، وكان بيرون يمتطى جواداً إلى ذلك القصر أحياناً ، حيث كان يرى قريبته مارى سودرث وهى فتاة كانت تكبره بعامين ، وهى من سلالة ذلك الرجل الذى قتله اللورد التعس فى مبارزته

وكانت مارى تحب فتى من أهل تلك الجهة على غير علم من بيرون . . . ولـكنها رأت فى نظرات بيرون ما لا يخفى على عين فتاة فى مثل هذه السن ، والفتيات يفهمن بغريزتهن لغة العيون إذا ما استبهمت من الخجل لغة الـكلام ... ولقد هام بحبها ذلك الفتى المشبوب الخيال الملتهب العاطفة ، واستأثرت بلبه الفتاة حتى ما يرى للوجود معنى غير معنى هيامه بها ، ولا يتصور سعادة تقاس إلى سعادته بحبها ؛ ولكن قلبها لم يك طوعها يومئذ ، فلقد ربطه الحب بقلب غير ذلك القلب الفتى المتوثب ، على أنها وجدت فى هيام اللورد بها ضرباً من اللذة ومعنى من معانى الزهو فطاوعته وجاذبته أطراف الأحاديث ، وجعلت لنومه حجرة فى قصرها ليبيت هناك إذا شاء ، وأهدت إليه صورة لها وخاتماً

وبات الفتى فى فردوسه الجديد يستروح أنسام السعادة ويحلم أحلام الحب ، إلى أن كان ذات ليلة من ليالى فردوسه فى طريقه إلى مخدعه فسمع مارى تقول لخادمتها وقد حسبته قد صار بحيث لا يسمع : « أتظنينني أعبأ حقاً بهذا الفتى الأعرج » ؟ ونفذت الـكلمات كالسهام إلى قلبه ، ورأى جنته قد انقلبت جحيما فى مثل خفقة الطرف ، فخرج لتوه فى الظلام وظل يعدو كالمجنون حتى بلغ نيوستد ؛ فأوى إلى حجرته لاهثاً خائر البدن ، وبقى شارد اللب ساهد الجفن حتى أصبح الصبح ، فعاد إلى أنسلى ولـكنه لم يطلع مارى على ما حدث . واستقرت اللوعة فى قلبه فأخذ يخفيها مكابراً معانداً ، يسفه ذلك القلب ويزجره وإن كان ليكاد ينفطر مما به ؛ ولقد كان من أبرز خلاله أنه يطوى على الثورة نفسه فتظل الثورات كامنة فيـه حتى تجد متنفساً لها ، ولم يك ذلك المتنفس غير شعره . . . والحق لقد كانت هذه الإشارة إلى عاهته أوجع مما سبقها جميعاً وأشدها نيلاً من كبريائه ...

وحان موعد الذهاب إلى المدرسة فلم يذهب على الرغم من إلحاح أمه عليه وقطعه العهد على نفسه بالذهاب مرة بعد أخرى .. ثم نشب بينه وبين اللورد جراى شجار عنيف لسبب عقل الخجل الشديد لسانه عن أن يفضى به إلى أمه ، ولقد التهب وجهه وهى تستفهمه عنه كأنما سرت فى جسده حمى . . . وأخيراً عاد الفتى إلى مدرسته بعد فوات ثلاثة أشهر منذ بدأت الدراسة وقلبه مثقل بالهموم ونفسه منطوية على الثورة

وحاول بيرون أن يتعزى بأصدقائه عما ناله على يد مارى فأقبل عليهم يستزيدهم من أحاديثهم ، فإذا مال بهم الحديث إلى الحب راح يسخر من الحب بكل ما فى وسعه من معانى السخرية ، فما الحب فى نظره إلا ضرب من الجنون ونوع من الضعف ، وإن الوقت الذى ينفقه المرء فى الهيام أضيع أوقات حياته وأتعسها.

يقول ذلك وإن قلبه لينبض بالحب كأقوى وأوجع ما يكون الحب فيكون مثله فى ذلك مثل من يشتد به الحزن لأمر من الأمور، فلا يزيد فى دفع هذا الحزن على أن يضحك ويغرق فى الضحك ويصيح بأعلى صوته إنه فرح مستبشر حتى إذا خلا إلى نفسه أحس بالجوى أشد لذعاً وأقبح وقعاً مما كان عليه قبل هذا المرح المتكلف

ولاذ بالكتب لعلها تسرى عن فؤاده، وراح يقرأ منها ما يسفه الحب ويفند أقوال المحبين ويسخر من دعواهم، ولقد كان يرجو من وراء ذلك أن يبرأ من دائه كما كان يرى فيه ما يتفق مع عناده وكبريائه كأنما كان يريد أن يصرف قلبه عن وجهته بالعنف بعد أن عجز أن يملله بالصبر

وتزايدت على الأيام محبة أصدقائه له وحرصهم على مودته، فكانوا يرجعون إليه فى أمورهم ويعدون الاستمتاع بروحه العذبة من أجل أويقات حياتهم فى المدرسة ويحسون جميعاً أنهم دون هذا الفتى الذى يحيا حياة الشاعر وإن لم يحمل بعد قيثارة الشاعر ويعترفون له بالتفوق أرادوا ذلك أو لم يريدوا وإن منهم من يبزه فى الدروس المقررة ويظهر عليه فى كثير من نواحى الحياة المدرسية

وصار يكثر من الذهاب إلى تلك المقبرة التى أحبها فيقضى ما شاء من الوقت فى تأمله وقراءته وأقرانه ينظرون إليه ويشيرون عن بعد قائلين: ها هو ذا بيرون يصعد التل إلى مقبرته

وازداد تعلقه بالمدرسة وحياتها حتى إنه ليحزنه أن تقرب الأجازات الدراسية فهو لا يستطيع أن يذهب إلى أنسلى ولا إلى نيوستد، وليس أمامه إلا أن يذهب إلى حيث باتت تقيم أمه فى سوثول على مقربة من مقر قصره العتيق، وهو كلما تقدمت به السن ازداد نفوراً من تلك الأم التى ما تزال تشتمه وتعنفه لسبب ولغير سبب حتى ليضيق بها وبالحياة جميعاً من أجلها

على أنه ما لبث أن سكن إلى أخته لأبيه أوجستا وراح يشكو لها بثه وحزنه وكانت رسائله إليها مفعمة بحماسة قلبه وتوثب روحه وتوقد عاطفته، وكانت تعدها من أكبر دواعى سرورها كما كان يعد رسائلها إليه، ولما علم أنها قد مسها عذاب من الحب كتب إليها يظهر توجعه لها ويعلن لها فى الوقت نفسه استهزاءه بالحب وسخافاته

وكرهت إليه قسوة مارى النساء جميعاً وصار يعتريه الخجل إذا طلع عليهن، على أنه حينما علم بقرب زواج مارى ذهب ليراها وقد كتبت إليه تدعوه ودخلت عليه حيث كان ينتظرها فحيت، فوضع يده فى يدها دون أن يتكلم ثم خرج مسرعاً فامتطى جواده وراح يسبق به الريح

وأحس بيرون فى سنته النهائية فى هارو حباً شديداً لهذه المدرسة حتى لقد كان يفكر كيف يطيق الخروج منها، وكان فى سنته النهائية قد قارب السابعة عشرة من عمره وقد أقام من نفسه زعيما وحامياً لكل من كانوا دونه فى السن، ولقد كان شديد الولوع بهذه الزعامة عظيم الفخر بها والحرص عليها، وأخذ فى تلك السن يكثر من نظم الشعر فى الحفلات المدرسية وفى غيرها من المناسبات غير أن أقرانه ورؤساءه كانوا يرون فيه خطيب الغد أكثر مما كانوا يرون فيه شاعراً وذلك لما آنسوه من حماسته فى إلقائه كلماته ولما خبروه من بلاغة عبارته وقوة جنانه وانطلاق لسانه

وأقبل بيرون على دراسة اللاتينية والأغريقية وهو فى هذه السن فتفوق واشتهر أمره فيهما كما تفوق فى السباحة وفى لعبة الكريكت على الرغم من عرجه

ولما حان يوم الرحيل طاف بالمدرسة كلها طائف من الشجن لفراق بيرون، وثقل ذلك الفراق على هذه النفس الشاعرة حتى ما درى الفتى كيف يتأسى أو كيف يطيق البعد عن هذه المدرسة التى خطى خطوات الفتوة بين جدرانها ... وخرج منها وعبارات التوديع من أقرانه ملء أذنيه وملء نفسه

والحق بيرون عقب ذلك بكمبردج وهو دون السابعة عشرة ببضعة أشهر، وأتيح له يومئذ الحصول على خمسمائة من الجنيهات سنوياً من دخله، وفى كمبردج بدأ بيرون يستقبل حياة الجد ويخطو خطوته الأولى فى مجال الشعر

« يتبع » الخفيف



التقليد

لم أكد أفرغ من قراءة ما تيسر لى أن أقرأه فى هذا اليوم وما قبله حتى عاودنى الفكر فى أصول ما قرأت من كلام الكتّاب والشعراء ، ووقفت أستعيد فى نفسى تلك التيارات الكثيرة التى تموج بنفوسهم من تحت اللفظ والعبارة والمعنى والغرض . ولقد ظننت — حين أقدمت على قبول كتابة هذا الباب من الرسالة — أن انبعاثى للكتابة وطول ممارستى لمادتها كفيلان بنهنهة النفس عن بعض نورتها ، ولكنى أخطأت ، فإن أكثر ما حملت نفسى على قراءته يكاد يؤرّث النار كلما خبت، ويعيدها جذعة كلما طفئت، ويدفعنى إلى مثل الحريق من الألم والحسرة والغضب للأدب العربى أن يكون إلى مثل هذا الضعف والفساد والقبح مصيرُه وعقباه .

إن أصحاب هذا اللسان العربى والناطقين به قد أصابتهم فى عصور متتابعة مصائب الجهل والغفلة والضعف فتحطمت عروش الدولة فى بلادهم كلها وعدا عليها كل عاد من ذؤبان الأمم فاستذلوهم وأخذوهم وفتكوا بهم وقضقضوا أوصالهم بالعنف والاستبداد تارة ، وبالرفق والسياسة المتدجّية ، تارة أخرى . ثم جاءت أيام بعثت من تحت الليل جمرات تفرقت ثم اجتمعت ثم استطار شرارها فرمى فى كل هامدة بعض الحياة، وكذلك ثارت أحلام النائمين بتحاسينها وتخاريجها وفنونها فانتفضوا يطلبون تحقيق أنوار لياليهم فى سواد أيامهم ، ولكنهم قاموا وهبوا على غير نظام ولا تدبير ولا تعبئة فانتشرت القوى الجديدة وتمزقت ، فضعفت وأخفقت ، ولم يكن منها ما كان يرجى لها من الغلبة والظفر والسيادة ، وبقى الضعف فى هذه الأمم العربية هو عمادها وعماد أعمالها فى عصر من القوة الأوربية الطاغية يمتد ويتراحب وينساح فى الأرض كلها متدافعاً متدفقاً لا يقف ولا يفتر

ومن بلاء الأمم الضعيفة بنفسها أن انبعاثها إلى التقليد ـ تقليد القوى ـ أشد من انبعاثها لتجديد تاريخها بأسباب القوة التى تدفع فى أعصابها عنفوان الحياة . والضعف يجعل محاكاة القوى أصلاً فى كل أعماله . فلما فسدت قيادة أصحاب الرأى عند هذه الأمم الضعيفة ، وكان لا بد للمستيقظ من أن يعمل ، كان عمل الأفراد متفرقين منسحباً على أصلين : ضعفٌ أورثهم إياه ضياع كيان الدولة السياسى ، وضعف كرثهم به تفرّق القيادة وشتات الأغراض ، فلا جرم أن يكون كل عمل موسوماً بسمة من ضعف مظاهر بضعف صاحبه ، ولا جرم أن يكون أعظم أعمالنا هو تقليد الناس على الهوى والجهل والدهشة المتصرفة بغير عقل

هذا كل شىء تحت أعيننا وبأيدينا : بيوتنا ، مدارسنا ، بناؤنا ، رجالنا ، نساؤنا ، علمنا ، أدبنا ، فننا ، أخلاقنا ... كل ذلك على الجملة والتفصيل قد وُسم بميسم الضعف والتفرق وانعدام التشاكل بين أجزائه التى يتكون من مجموعها معنى الأمة ، وكلها تقليد قد تفرقت فى جمه أهواء أصحابه من هنا وهنا . والتقليد بطبيعته لا يتناول من الأشياء إلا ظاهرها ، فكل ما أخذنا من أجل ذلك ليست إلا مظهراً

هذه المرأة — وهى فن الحياة الذى يشتهى أبداً أن يبدع حتى فى الأذى — ما تكادُ تَراها عِندَنا إلا دُمْيةً ملَفّقةً من الحضارات وبدعها ... ثيابها ، زينتها ، حليها ، تطريتها ، شعرها ، تطريف بنانها ، مشيتها ، منطقها ... كل ذلك أجنبى عنها متكلف منتزع من مظاهر غانيات باريس وعابثات هوليوود ، ليس له من جنسها ولا أصلها شبْه تنزع إليـه ، وأسمجه أنه ملفق لا يتشاكل تشاكل المصدر الذى اجتلب منه بالتقليد

وهذا الكاتب وهذا الشاعر — وهما فن الحياة الذى يعمل أبداً فى تجديد معانيها بالتأثير والبيان — لا تجد فيما يكتب أكثرهم إلا المعانى الميتة التى نقلت من مكانها بالاعتناف والقسر فوضعت فى جو غير جوها فاختنقت فمات ما كان حيا من بيانها فى الأصل الذى انتزعت منه

وهكذا ... هكذا كل شىء تأخذه العين أو يناله الفكر ، إنما هو دعوى ملفقة وتقليد مستجلبٌ وبلاء من البلاء . ولا نزال مقلدين حتى يستطيع الأحرار — وهم قلة مشردة ضائعة — أن يبسطوا سلطانهم على الحياة الاجتماعية كلها ، ويرد إلى الأحياء بعض القلق الروحى المنيف الذى يدفع الحى إلى الاستقلال بنفسه والاعتداد بشخصيته ، والحرص على تجديد المواريث التى تلقاها

من تاريخه ، ويغامر فى الحضارة الحديثة بروح الجدد لا بضعف المقلد ، فمندئذ ينتزع من الحضارة الأسباب التى تنشأ بقوتها الحضارات ، ولا يكون موقفه منها موقف المسكين الذليل المطرود من المائدة ... ينتظر وفى عينيه الجوع ليتقحم من فتاتها

صورة النفس

عرضت لى مقالة فى مجلة الثقافة عدد (٥٤) عنوانها « الأدب صورة النفس » كتبها الأستاذ « محمد مندور » ، وقد استوقفنى عنوانها قبل أن أقرأها ، لأن هذه هى الحقيقة التى نقولها ولا نصل فيها إلى حق . وقد تناوى النقاد عليها ومع ذلك فما نظفر من أقوالهم إلا بالمُبهم بعد المُبهم ، ولا نجد لأ كثرهم شرحاً لها يفى بمدلولها أو بسرها أو يزيل الإبهام عن مسالكها . . . يقول الأستاذ : « وإذن ، فالآثار الأدبية والفنية تطلعنا بغير تحفظ على أسرار واضعيها النفسية بأسلوبها الخاص . . . ونحن نقصد بذلك إلى البحث عن نفس الكاتب والشاعر فى تضاعيف ما يكتب ... وعمل الناقد إذن عمل كشف عن أسرار لا تقع تحت البصر لأول نظرة ، وسبيله إلى ذلك لا يمكن أن يكون إلا حساً باطنياً رهفه التجارب والمعرفة الطويلة بمختلف النفوس ... » ؛ وكل هذا جيد من القول ، وهو كالشرح على عنوان المقالة .

ولكنى رأيت الأستاذ ينظر فى آثار أدبية لأستاذين جليلين هما : أحمد أمين وطه حسين ، وشرع يتكلم عن بعض آثارهما . تكلم عن مقال « فى فيض الخاطر » هو (صديق) فإذا كل الذى قاله وصف يمكن أن يقع على كل كلام ، فيقول : « سترى كيف حطم الأستاذ هذا الصديق ، فرده إلى عوامله الأولية ؟ وقد تقاصرت جمله متجاوبة كأنها ذرات مادية نتجت عن هذا التحليل » ... والنتيجة ! والنتيجة أن الأستاذ أحمد أمين أو أسلوبه أسلوب تحليلى ، وفيه قوة مخيفة ! والأستاذ طموح متقلقل فى شتى السبل ، لأنه كتب عن الشمس وعن الليل ، يستقرى ما يجوب فى ظلام الليل ، وما تتدفقه الشمس ؛ ولا يصف جالها أو وحشته ! وهكذا ، ولا أدرى كيف أستخرج شيئاً من كل الذى كتبه يدل على الذى أراده مما نقلناه آنفاً ؟ ولا كيف عمل هو فى الوصول إلى هذه الأحكام التى دمغ بها الآثار الأدبية وأصحابها ؟ ولا كيف كان عمله فى التحليل النفسى الذى أحس به إحساساً باطنياً ! !

إنه لا بد لمن يتناول مثل هذا الموضوع أن يفصل القول ، فلا يجمله ، لأنه بلا شك موضوع جليل ، والكلام فيه سلوك فى مجهل غامض يحمل على الإبانة والإيضاح ، وإلا كان الكلام فيه على هذا تقصيراً لا ينفع ، ويكون أنفع منه أن يترجم لنا الأستاذ كلام النقاد الأوربيين الذين مارسوا هذا العمل وأفرغوا له أوقاتهم واستوعبوا الأصول التى يسار عليها فى معالجته ، وكذلك تتم خدمته للأدب والأدباء ...

أبو العباس السفاح

كنت أحب أن أستوعب فى هذا التعليق كل الرأى الذى عرض لى فى أمر أبى العباس السفاح أمير المؤمنين ، ولكنى رأيته قد خرج عن أن يكون من مادة هذا الباب ، فلذلك اقتصرت على أشياء أرجو أن تعين الأستاذ العبادى فى تحقيقه الذى بدأه ، وعسى أن يكون فى هذا القول بعض الصواب الذى يسعى إليه .

فمن ذلك أن أبا العباس السفاح ، وأبا جعفر المنصور أخوان وليا الخلافة العباسية لأول أمرها ؛ وكان أبو العباس أصغر من المنصور بعشر سنين ، وأن اسم أبى العباس وأبى جعفر فى نسبهما هو « عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس » ، فأبو العباس هو « عبد الله الأصغر » ، وأبو جعفر هو « عبد الله الأكبر » . فإذا كان ذلك كذلك ، وأبو جعفر قد لقب بالمنصور وأن الذى لقبه بذلك أبوه فيما نعلم ، فلا غرو أن يكون أبو العباس كذلك ملقباً ، وأن يكون أبوه قد لقبه كما لقب أخاه .

وإذا كان أبو العباس « عبد الله » هو الأصغر فالتلقيب هو أولى به للتفريق بينه وبين أخيه أبى جعفر « عبد الله » وهو الأكبر الذى ولد أولاً وسمى « عبد الله » من قبله . ويؤكد أمر هذا التلقيب سيرورته بعد فى خلفاء بنى العباس جميعاً إلى انقضاء دولتهم ، فكأنه كان من « تقاليدهم » وتعاليمهم

وأيضاً فإنه قد وردَ فى الحديث عن أبى سعيد الخدْرىّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يخرج منا رجل فى انقطاع من الزمن وظهور من الفتن يقال له (السفاح) يكون عطاؤه للمال حَثْياً » ، وأئمة الحديث لا يصرفون هذا الاسم إلى أبى العباس ، وإنما هو نبوءة كبقية النبوءات التى وردتْ فى القرآن الكريم والحديث النبوى لا يدرى تأويلها إلا أن تكون ... ؛ ولكن الدعوة العباسية فيما يظهر قد جمعتْ بين هذا الحديث وأحاديث أُخر هى من باب النبوءات أيضاً وجعلت منها حديثاً اتخذته فى الدعوة إلى إقامة الخلافة فى بنى العباس ، فكانوا يروون للناس عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : « والله

لو لم يبق من الدنيا إلا يوم ، لأدال الله من بنى أمية . ليكونن منا السفاح والمنصور والمهدى » ، وهم الخلفاء العباسيون الثلاثة على التتابع . ولا شك فى أن هذا كان قبل قيام الدعوة بالفتح بزمن طويل . فلعل الإمام « محمد بن على » قد لقب ولديه بهذين اللقبين تفرقة بينهما ، وتفاؤلاً بالذى يروون فى أحاديث الدعوة العباسية

وإذا كان ذلك كذلك فمعنى اللقب إذن ليس من « سفح الدم » — وهو بهذا المعنى مجاز مقصور لغرض بعينه — ولكنه من الكرم والعطاء والبذل كما ورد فى الحديث الذى سقناه آنفاً من أن « عطاء السفاح للمال حثياً » لأنه لا يصح فى العقل أن يلقب أحد ولده بهذه الذمة القبيحة وهو ينصبه للناس خليفة ، وقد لقب أخوه من قبل بالمنصور . نعم قد سمت العرب فى جاهليتها بالأسماء المنكرة ، ولكن الإسلام جاء فحسم ذلك كله ، ولم يبق من التلقيب والتسمية بالمنكر من الألفاظ شىء فى أكثر البادية العربية ، فكيف فى الحضر ثم فى أعظم بيوت الحضر ، وهو بيت العباس ؟ وقد كان لهم فى رسول الله أسوة حسنة فهو قد غير أسماء كثير من الوافدين عليه من أصحابه « كزحم بن معبد » فسماه بشيراً ، وجميلة امرأة عمر بن الخطاب وكان اسمها « عاصية » وخلق كثير

وعلى هذا الأصل نرى أن الناس فى صدر الإسلام سموا « بالسفاح » فنهم : السفاح بن مطر الشيباني ، وهو ممن ولد فى النصف الثانى من المائة الأولى للهجرة وكان من أصحاب الحديث ؛ والسفاح أخو أبى سلمة بن عبد الرحمن الزبيدى لأمه وهو من التابعين ، وقد روى عن أبى هريرة وغيرهما . ولا شك أن التسمية هنا منصرفة إلى المدح لا إلى الذم ؛ فصفة أبى العباس السفاح هى إلى العطاء والكرم كما ذهب الأستاذ العبادى أولاً ، ثم رجع عنه حين تعقبه الأستاذ أحمد أمين

أما النص الذى نقله الأستاذ عن اليعقوبى من أنه قال : « عبد الله بن على الأصغر وهو السفاح » ، وهو عم أبى العباس والمنصور ، فإن أصله منقول من ابن سعد فى طبقاته حين ذكر أولاد على بن عبد الله بن عباس فقال : « عبد الله بن على الأكبر ... وعبد الله بن على الأصغر السفاح الذى خرج بالشام » ، فهذا هو الأصل ولا يرى فيه إرادة التلقيب كالذى يرى من نص اليعقوبى ، وإنما هى صفة كالسفاك والقتال . نعم ، وأنا لا أدرى كيف ادعى الأستاذ العبادى أنه اشتهر بذلك فانتقلت هذه الصفة إلى أبى العباس أمير المؤمنين ، فإن الطبرى وأئمة المؤرخين قد ذكروا عبد الله ابن على عم أبى العباس وأبى جعفر فى أكثر من خمسين موضعاً ولم يلقبه أحدهم بهذا اللقب ، فكيف يمكن أن ندعى أنه اشتهر به حتى كان من جراء هذه الشهرة أن اختلط على الناس وعلى الأدباء وعلى فلان وفلان كالجاحظ وابن قتيبة فوضعوا صفة « عبد الله ابن على » صفة « لعبد الله بن محمد » على قرب العهد . وكيف جاز أن يقع فى ذلك الجاحظ فى روايته ، وهو أدق العلماء رواية ، وهو الذى رد أكثر رواية ابن الهيثم وابن الكلبي وغيرهما من أصحاب الأخبار ؟

وخبره الذى رواه وذكر فيه السفاح فى البيان والتبيين ج ١ ص ٩٣ أخبره به « ابراهيم بن السندى » وقد قال فيه ج ١ ص ٣٢٦

« وكان ابراهيم بن السندى يحدثنى عن هؤلاء بشىء هو خلاف ما فى كتب الهيثم بن عدى وابن الكلبى ، وإذا سمعته علمت أنه ليس من المؤلف المزور ، وكان عبد الله بن على وداود بن على يعدلان بأمة من الأمم . ومن مواليهم ابراهيم ونصر ابنا السندى ، فأما نصر فكان صاحب أخبار وأحاديث ، وكان لا يعدو حديث ابن الكلبي والهيثم ، وأما ابراهيم فإنه كان رجلاً لا نظير له ... وكان ... وكان ... من رؤساء المتكلمين وعالماً برجال الدعوة وكان أحفظ الناس لما سمع وأقلهم نوماً وأصبرهم على السهر

فرواية الجاحظ فيما نرى أقوم من رواية غيره ، وهى دليل على صحة الصفة التى وصف بها أبو العباس أمير المؤمنين ؛ والجاحظ قد أدرك صدر الدولة العباسية ، ولم يكن بين مولده ووفاة أبى العباس السفاح كبير دهر حتى يكون ممن يختلط عليه الحق فى مثل هذا الأمر ، وبخاصة وهو يروى ما يروى عن الثقات فى معرفة أخبار رجال الدولة

أما سكوت الطبرى وغيره — من متأخرى المؤرخين عن صدر الدولة العباسية — فليس يعد دليلاً على بطلان هذا اللقب . وإن دل على شىء فربما دل على أنهم جانبوه وتباعدوا عنه وتركوه لما كان قد انتشر فى عصرهم من معنى السفاح على أنه السفاك للدماء ، وخفاء معنى هذا اللفظ الأول وهو الكريم الباذل الفياض الذى يكون عطاؤه للمال حثياً

هذه كلمة صغيرة إلى الأستاذ العبادى أرجو أن أكون قد بلغت بها بعض رضاه فى التعقيب على رأيه الذى انتهى إليه ووقف عنده . ولعله يعود إلى الذى كتبه فإن له بالعلم بصيرة نافذة مسددة إن شاء الله .

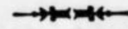
محمود محمد شاكر



دراسات فى الفن

دعاؤك ثم غنائى

للأستاذ عزيز أحمد فهمى



— كل سنة وانت طيب

— يا باى ! ومالك تكرينها هكذا كأنما أنت آلة ...

— يا فتاح يا عليم ! وكيف كنت تريدنى أن أقولها لك ؟ أكنت أجثو لك على قدمى وأرفع لك كفى مضمومتين ، وألقيها عليك كما ألقى روميو على جوليت تحية الغرام ساخنة ؟

— لا يا شكسبيرة الزمن ، كنت أريد أن أشعر وأنت تقولينها أنك تريدين حقاً أن أكون طيباً فى كل سنة ...

— كنت تريد منى أنا أن تشعر أنت ... ؟ إذن ، فاسمح لى أن آكل نصيبك من غداء اليوم ، واشبع أنت ...

— لو كنت استطعت أن تشعرينى بالسلامة فى دعائك الأول لكنت استطعت أن تشعرينى بالشبع فى دعوائك الثانية !

— عجبا ! تذهب فى الجدل إلى هذه النهاية المضحكة فيسهل عليك أن تقرر إمكان الشبع لإنسان إذا أكل غيره . . . ولا تعترف بأنك كنت « تهلوس » ...

— لو كنت أما لما أنكرت أن الشبع يمكن لإنسان إذا أكل غيره . فالأمهات كثيراً ما يشبعن إذا أكل أبناؤهن . وكثيراً ما يرتوين إذا شرب أبناؤهن . وكثيراً ما يسعدن إذا فرح أبناؤهن . وكثيراً ما يحقق الله على هذا دعاءهن ، إذا دعون لأبنائهن . وفى هذا جعل الله الجنة تحت أقدامهن !

— ما شاء الله . أريد أن أفتك بقضاياك هذه جميعاً لولا أنك تقرر بها للمرأة أفضالاً قليلاً ما أظفر منك بالاعتراف بواحد منها . ولكن هذا لا يمنعنى من أن أسجل عليك هذا الاعتراف ، وأن أسألك بعد ذلك كيف كنت تريدنى أن أدعو لك ؟

— أتعرفين لماذا كانت صلاة الجماعة خيراً من صلاة الفرد ؟ ولماذا كان للمصلين جماعة إمام يقود الصلاة ؟ ولماذا يفزع من طوائف المتدينين المختلفة جماعات فى الكوارث يصلون يطلبون من الله أن يدرأها ، وفى المباهج يصلون يطلبون من الله أن يباركها ؟

— وما صلة هذه « الفقهنة » بدعاء هو تحية العيد ؟ ...

— الدعاء صلاة لأن الصلاة دعاء . والدعاء قد يكون تحية حقاً ، ولكن ليس على هذا النحو الذى تشتغلينه كما تشتغلين « البرودرى » . أنت ألقيت علىّ تحية العيد كما يلقى الناس هذه التحية ، وهم يلقونها كما يلقون كل تحية أخرى ، تنطق بها أفواههم ونفوسهم مشغولة عما ينطقون ، ولهذا فإن تحياتهم لا أثر لها ولا ثمرة ، فكم دعا ناس لناس أن يفوزوا فخابوا ! وكم دعا ناس لناس أن يسعدوا فابتأسوا ! وكم دعا أيضاً ناس على ناس أن يصيبهم السوء فلم يصبهم إلا الخير ! وكم دعا ناس على ناس أن يهلكوا فنجوا ... وكم وكم من دعوات فارغة !

— وهل فى الدعوات فارغ ومملوء ؟

— الدعوات ككل كلام يقوله الإنسان ، وفيه الفارغ ، وفيه المملوء حقاً ، وفيه المملوء باطلاً ، وفيه المملوء أخلاطاً من الحق والباطل . ولا يبقى من هذا كله عند الله إلا المملوء حقاً . وإن له عند الله الجزاء أثراً واجب التحقق . ألم يقل النبى ، فيما يروى من الأثر : اتقوا دعاء المظلوم ؟ ! أليس فى هذا دليل على أن دعاء المظلوم يتحقق ؟ وأى شىء فى دعاء المظلوم يميزه عما فى غيره من الدعاء إلا أنه مملوء بالحق؟ فإذا كان الامتلاء بالحق هو الذى يضمن للدعاء التحقق فلماذا لا نضمن تحقق الدعاء بالخير إذا امتلأ حقاً؟..

— إن هذه « شطحة كشطحات » المجاذيب !

— أنعم بهم ! واستمعى لى . وافرضى معى أسوأ ما يمكن أن يفرض فى الإنسان من الفروض ، وهو أنه بلحمه وعظمه ودمه وأعصابه شحنة كهربائية حدثت على وجه من الوجوه لا شأن لنا به . وافرضى كذلك الأسوأ من هذا وهو أن عواطف الإنسان ووجداناته ليست إلا حالات كهربائيـة تعرض لهذه الشحنة المتجسدة إنساناً فى ظروف مختلفة ... وافرضى بعد هذا وجود إنسانين بينهما علاقات ... فكيف تتصورين هذه العلاقات بين هذين الإنسانين اللذين هما شحنتان من الكهرباء ؟

— لا بد أن تكون كمثل علاقة بين شحنتين من الكهرباء. فكيف تكون العلاقة بينهما؟

— تكون أحياناً برقاً يصحبه رعد. وتكون أحياناً إشعاعات تتعاون على بعث النور فى الظلمات، وتكون أحياناً صواعق ... وقد تكون على نحو لا أعلمه أنا ويعلمه الدكتور غالى، وقد تكون على نحو لا أعلمه أنا ولا الدكتور غالى ...

— حسن. فلنتصور إذن هذين الإنسانين وهما شحنتان مما يحدث البرق. فكيف يكونان؟

— هذان يلتقيان لجأة فيتمانقان ويتبادلان القبل مفرقعة ولهاً...

— والحالة الثانية؟

— أما الحالة الثانية فهى التى تستعين فيها شحنة بشحنة أخرى على بعث النور، أو على تحريك الموتور، أو على بلوغ مقصد ما ... إنهما من غير شك تتعاونان إذا اتجهتا اتجاهاً واحداً. وهذه هى حالتنا أنت وأنا كما أحب أن تكون. فلو أنك تقصدين معى الهدف الذى أقصد إليه لبلغنا من غير شك أنا وأنت هذا الهدف فى مدة أقصر من المدة التى قد أصل فيها وحدى لأدعوك بعد ذلك إلى جانبى. وأنا لا أطلب منك أن تدفعينى بيديك لأنى لا أتصدى فى هذه الدنيا لعمل أستخدم فيه القوة، وإنما أريد منك أن تؤمنى بالذى أومن به وأنت تعلمين أنه الله، وقد قلت لى مرات إنك مؤمنة، والله قد رسم للحياة حدوداً وأنت تعرفين أنى أخاف كل الخوف من الخروج على هذه الحدود، فسيرى إلىّ فيها، والزميها فى قولك وعملك نكن أنا وأنت شحنة واحدة منطلقة فى الكون فيها قواك وقواى وقوة الحق الأكبر من كل قوة. هو دعاء أريده أن ينبعث من قلبك لا من لسانك. اتجهى به إلى الله وأنت على القرب منى أو على البعد، فهو لا بد معينى لأنه من دعائى ولأنه إلى غايتى ... وأنا لا بد أن أشعر به كما يشعر الأب بدعاء أبنائه إلى جانبه وإن لم يصوغوه دعاء ... ألا يكافح الأب فى الدنيا من أجل أبنائه أكثر مما يكافح من أجل نفسه ... أو تحسبين هذا الكفاح والقدرة عليه إلا من دعوات الأبناء ... ؟

— قد يدعو الآباء إلى أبنائهم، ولكن قليلاً ما يدعو الأبناء إلى آبائهم ...

— عند ما يأكل الإنسان قليلاً ما يقول: إنى آكل، وعندما ينام فإنه لا يقول إنى أنام، والأبناء يدعون لآبائهم ولا يقولون إنا ندعو، وهم جديرون بهذا الدعاء وهو جدير بهم لأن آباءهم هو عائلهم ولأنهم يأكلون من فيض يديه. قد لا يعرف الأبناء شيئاً من هذا كله، ولكن هذا هو الواقع، والدليل عليه أن الآباء يجاهدون الدنيا أكثر من غيرهم، ويقوون عليها أكثر من غيرهم، ويصبرون على مصاعبها أكثر من غيرهم ... وإن هذا لا يحدث إلا لأن دعوات الأبناء صادقة. وقد كان القدماء يستكثرون من النسل ليستكثروا من الرزق، لأنهم كانوا أقرب إلى الطبيعة منا، وكان الواحد منهم إذا رزق مولوداً جديداً أحس بأنه رزق قوة جديدة إلى جانب قوته، وكان الواحد منهم إذا شاخ وضعفت شحنته الكهربائية ارتكن على أبنائه يمدهم بالدعوات الصالحات

— وهل كانت هذه الدعوات تفيد ... وعلى الخصوص إذا اعتبرنا الشيخ شحنة كهربائية ضعيفة؟

— ما من شك فى أنها كانت تفيد، فالشيخ كان قبل ذلك قد صقل أبناءه، وقد علمهم طريق الرشاد، ونكبهم طريق البغى، ودلهم على موطن السعادة، ودلهم على موطن الشقاء، فدعاؤه لابنه بالسلامة إنما هو تذكير له بطريقها وتوجيه له إليه، زيدى على ذلك أن شحنة الشيخ الكهربائية إذا كانت قد ضعفت فى مظهرها البدنى فإنها تقوى فى باطنها المعنوى، وإذا كان الفلاسفة يعترفون للشيخوخة بالحكمة فإننا لا نستطيع أن ننكر عليهم الصفاء والنفاذ إلى الحقائق، فهم يرتدون إلى الحياة كالأطفال طهارة ونقاء ما داموا قد قضوا حياتهم على الحق، ولكنهم يختلفون عن الأطفال فى شىء وهو أنهم اجتازوا الشطر الأكبر من هذه الحياة فوقفوا على سرها

— وما سر الحياة؟

— انتظرينى حتى أشيخ فأعلمه، أو فاسألى شيخاً ممن يعلمون ... أو فانظرى إلى شيخ من الطيبين كيف يعيش واعلمى أنه يستغل هذا السر ويعيش عليه

— وأين أجد هذا الشيخ الطيب؟

— تجدينه فى الريف، وتجدينه فى الصحراء، وتجدينه فى كل مكان لم تنطبق عليه الحضارة بيرانها ومخالبها، تجدينه

يأكل ويشرب وينام ، ويباشر الأطفال ، ويدعو إلى الناس ويتلقى من الناس الدعوات ... ويصلى لربه ويطلب من الله أن يصلى عليه

— ولماذا يباشر الشيوخ الأطفال ؟

— لأن الشيوخ والأطفال متفقون على معنى واحد للحياة والناس فيما بين الطفولة والشيخوخة يبحثون للحياة عن معانى أخرى .

— وما معنى الحياة عند الشيوخ والأطفال ؟

— هو الاستغراق التام فيها ، والاستمتاع التام بما فيها

— وعلام تقوم العشرة بين الشيوخ والأطفال ؟

— على هذا ، ومظهر هذه العشرة الفنون . فالشيخ يجمع حوله الأطفال ويقص عليهم القصص ، والقصص فن ، ويغنى لهم ويغنون معه والغناء فن ، وقد يستخف الشيخ مع الأطفال فيرقص والرقص فن ، وقد يمثل لهم المركب وير كبونه والتمثيل فن ... فهو إمامهم فى كل فن ، وهم يتبعونه لأنهم يشعرون به يحب هذه الأفاعيل أكثر مما يحب غيرها ، ولأنهم هم أنفسهم يحبونها . فهم سعداء وهو سعيد ...

— وكل من هو مثلهم سعيد ؟ أليس كذلك ؟

— من غير شك

— إذن فالسعادة عندك أن تنقلب الدنيا إلى مسرح لا شيء فيه إلا الغناء والرقص والشعر وما إلى ذلك من اللغو!

— كانت الإنسانية فى طفولتها هكذا كما تقولين مسرحاً لا شيء فيه إلا الغناء والرقص والشعر وما إلى ذلك من السعادة الحق، وهى اليوم كادت أن تصل إلى شيخوختها فترتد بعد ذلك إلى هذا الذى تربنه لغواً . وآية ذلك أن الناس اليوم متضجرون من الحياة، وأن حوادث الانتحار تكاثرت بينما القدماء لم يكونوا يعرفون الانتحار لأن أحداً منهم لم يكره الدنيا كراهية تحمله على الاقتناع بوجوب مغادرتها

— ألا يمكن أن تكون سعادة إلا فى هذا الفن أو هذا الهوس . . . ألست ترى فى العلم سعادة ؟

— وأى شيء حقق العلم للانسان أكثر مما حقق الحس للحيوان ...؟ اللهم إلا أن هذا العلم عطل عند الناس الإحساس، فكسبوا شيئاً وخسروا شيئاً، وكان حقهم أن يكسبوا الاثنين . وسيكسبون الاثنين فى اليوم الذى يقنعون فيه من العلم بلذة العلم ولا يسخرونه فيما لم يجعل العلم له . . .

— ولماذا تريد أن تحرم عليهم الإفادة من العلم إذا كانت هذه الإفادة ممكنة ؟ . . .

— هى ممكنة ، أنا لا أنكر ذلك ، ولكنها ضارة . . . إنها كالدغدغة إذا قصد بها التفريح ، بينما التفريح لا يكون إلا من عوامل نفسية . . . إن الضحك المنبعث من الدغدغة ليس ضحكا وإنما هو رعشات عصبية

— وأنت تريد النكتة الطبيعية لتضحك منها .

— لست أدرى إذا كانت النكتة الطبيعية تضحك أم تبكى ولكنى على أى حال أطلب من الله أن يقينى النم وإياك .

— آمين ...

— أنظرى ، إنك نطقت « آمين » هذه بصدق ، ولعل ذلك لأنى شملتك بدعائى ... إنها أمانية منك وحب لذاتك ولكنه على أى حال صدق ، والصدق خير من الفراغ ، والفراغ خير من الكذب ... والآن هات منك دعاء صالحاً ، ثم انطلقى معى نغنى كالأطفال والشيوخ ...

عزيز أحمد فهمى



أرقام تتحـــدث

صدى عمل جان بيران

للدكتور محمد محمود غالى

عود إلى قصة الذرات — يتعلق قدر الحقائق بالفروض والخطأ التجريبي — على م استند بيران فى أعماله — قوانين الحرارة والضغط — عدد أفوجادرو — ملاحظة لابلاس .

يعود بنا البحث إلى قصة الذرات(١) وأسطورة الألكترونات فهمتنا مع القارئ أن نتابع استعراض هذه الحلقة من حلقات المعرفة واستجلاء الخطير من مراحلها . وليس فى طوقنا أن نهمل عمل جان بيران(٢) Jean Perrin فى هذا الشأن ، أو نتغاضى عن الدور الحاسم الذى قام به هو ومن حوله من باحثين فى التعرف على الذرة والتقرب من الألـكترون .

وقد تناولنا أعمال مليكان R. A. Millikan وشرحنا أثره التجريبى فى ثلاث مقالات : الأولى «أندروز مليكان والألكترون» والثانية والثالثة « أرقام تتحدث » وهو العنوان ذاته الذى آثرنا اختياره اليوم لذلك العمل التجريبى المجيد الذى قام به بيران وتلاميذه ، فقد تحدثت الأرقام لهم كما تحدثت لمليكان ، وكان على بيران أن ينقل هذا الحديث إلى الناس ، فنقله شائقاً عذباً للعلماء والباحثين فى المعهد ذاته الذى نشر فيه مليكان أبحاثه فى سنة ١٩٠٧ وما تبعها من سنين ، هذه التجارب وما أدت إليه من نتائج ظلت منذ ذلك الوقت محل تقدير الباحثين وأعضاء المجامع العلمية ، وقد ظهر هذا التقدير فى صورة جلية عندما قرر المجمع السويدى منح بيران جائزة نوبل للطبيعة فى سنة ١٩٢٩

***

لأن يصل أحد الأفراد من طريق معينة إلى إثبات حقيقة فى الوجود ، وأن يكون فيما اختطه من طريق تجريبى ما يقوم دليلاً على ما ذهب إليه — أمر له قيمته . ولـكن يظل قدر هذه الحقيقة مرتبطاً بعـدد الفروض(١) التى اتخذها الفرد مبدئياً للوصول إلى غايته ، ويظل مبلغ النتائج التى وصل إليها من الحقيقة مرتبطاً كذلك بقدر الخطأ المحتمل فى العناصر المختلفة فى طريقه التجريبى ، ويظل الأمر عند العلماء الذين يحكمون على درجة قرب النتائج من الحقيقة مرتبطاً بهاتين المسألتين : الأولى صحة الفروض ، والثانية مبلغ الخطأ التجريبى . وعلى قدر ما يوجهه الباحثون من نقد جدى فى كل هذا ، تدخل التجربة ونتائجها بين الحقائق العلمية التى تأخذ مكانها بين ما يُسجل فى الميراث العلمى المتداول على كر العصور .

أما أن يكون بعد ذلك للتجارب ذاتها أثر فى التقدم واقتراب من حقائق الوجود ومعرفة لقوانين الكون ، فهذا أمر آخر يرفع التجربة إلى مصاف الموضوعات الكبرى التى تتصل اتصالاً وثيقاً بحلقة المعرفة ، ويرفع الفردَ المجهول إلى مصاف العلماء الذين يمرفهم التاريخ ، وتدخل النتائج بين أرقى أنواع المِلكية لمجموعة الإنسان المفكر الذى يعمل على تقدمه على ممر الأجيال

(١) فى اصطلاحات المجمع اللغوى الحديثة تسمية الأتوم ذريرة وجمعها ذريرات ، ولا نرى سببا لاستعمال التصغير لـكلمة ذرة التى تؤدى معناها دون الجوء إلى تصغيرها فهل لذلك من سبب ؟

(٢) جان بيران من علماء فرنسا المعدودين ويشغل منذ زمن طويل أحد الـكراسى المدبجة فى السوربون المخصصة لعلم الطبيعة ، وهو من أعضاء المجمع العلمى الفرنسى ، ويقوم بتدريس إحدى مواد الطبيعة الـكيميائية Chimie Physique ، ولعمله فى السوربون شهرة كبيرة ، وبخاصة بعد أن كشف بيران وتلاميذه عدد « أفوجادرو » وشحنة الألـكترون بطريقة خاصة تعد من أرقى ما أضافه الباحثون فى العلم التجريبى ، وقد نال جائزة نوبل ، وفى ظنى أن نجله موريس بيران الذى يشتغل معه الآن فى هذه المعامل من المرشحين لهذه الجائزة أيضا ، تشهد بذلك نشراته القيمة فى محاضر المجمع العلمى الفرنسى .

(١) هب جدلا أن أحـد الباحثين اعتبر أحد القوانين التى استندت فى طبيعتها إلى مسائل رياضية مثل قانون ستوكس(٢) Sir G. Stokes صحيحا ، واحتاج الباحث إلى هذا القانون فى إحدى مراحله التجريبية فلجأ إلى إدخاله فى عمله ، فان صحة النتائج التى يصل إليها ترتبط بصحة القانون الذى أجازه فى عمله والذى يعتبر فى هذه التجربة بين الفروض ، وعلى قدر صحة القانون فى التطبيق العملى وفى الناحية المعينة التى تدخل فى عمل هذا الباحث تكون النتائج صحيحة

ولقد كان عمل بيران وأتباعه من الأعمال التجريبية الكبرى التى ارتفعت فى تاريخ العلوم إلى مثل هذه الذروة ، وكان بيران من الباحثين الذين وضعهم التاريخ بين العلماء البارزين

***

إنما يُستدل على هذا من أعماله التى فرغنا من مراجعتها بالأمس ، سواء ما نشر منها بالمجمع العلمى الفرنسى أو ما ظهر منها فى مؤلفاته[1] ، ولم يعتورنى ملل عند مطالعة هذه الأعمال مرة أخرى ؛ فقد كنت طالعتها منـذ سنين ، وكنت أطالعها فى شوق ورغبة هذه المرة . والواقع أنه عند ما انتهيت من هذه المطالعة الأخيرة وقعت فى نوع من الحيرة فيما أقدمه للقارئ منها لأن العمل متسع وجليل ، بل ويلزم لاستيعابه مقدمات علمية لأنه مرتبط باكتشافات أخرى سابقة بعضها معروف للقارئ وبعضها قد يكون غير معروف

وهى اكتشافات عاونت جان بيران ليقوم بعمله الجليل الذى توصل فيه كما قدمنا فى مقالات سابقة بطريقة مختلفة ولكنها وثيقة ، إلى قياس قدر الذرة وبالتالى إلى استنتاج قدر الألكترون. هذه الاكتشافات السابقة لأعمال بيران التى تكون الحلقة الأولى فيما وصل إليه من معرفة نتعرض لها فى هذه الأسطر ونلخصها فى ثلاث خطوات رئيسية : الأولى خاصة بقوانين بويل وجاى ليساك للغازات ، والثانية خاصة بما يسمونه فرض أفوجادرو ، والثالثة دراسة « لابلاس » لتوزيع الضغط فى طبقات الجو

ونعود بذاكرة القارئ إلى الخطوة الأولى ، فنعود إلى قوانين يعرفها كل من جلس على مقعد فى المدرسة ، أولهما قانون بويل Boyle سنة ١٦٦٠ وماريوت Mariotte سنة ١٦٧٥ الخاص بالغازات الذى يتلخص فى أن كثافة[2] الغاز تتناسب مع ضغطه[3] وثانيها قانون جاى ليساك Gay Lussac الذى بين بصورة جلية فى سنة ١٨١٠ أنه فى الضغط الثابت تتناسب كثافة الغاز مع حرارته[1] بطريقة لا تتعلق بطبيعة الغاز فى ذاته

ويتلخص القانون أن حاصل حجم الغاز فى الضغط يساوى ثابتاً يسمى ثابت الغازات مضروباً فى الحرارة المطلقة

إنما نريد ألا يعزب عن ذهن القارئ أن الغازات هى مجموعة لجزيئات حرة ، وبهذا يعتبر أن الكثافة تمثل فى الواقع عدد الجزيئات ، بمعنى أن ازدياد الكثافة فى غاز معين تحت تأثير الضغط هو اقتراب جزيئاته بعضها من بعض أى هو زيادة فى عدد ما هو موجود منها فى الحجم الواحد

أما عن الخطوة الثانية فهى خاصة بما يسمونه فرض أفوجادرو وهو الفرض الشهير الذى فرضه العالم الكبير أفوجادرو Avogadro عند دراسته لقانون جاى ليساك الومأ إليه ، فقد نبّه العلماء فى سنة ١٨١١ إلى حقيقة جديدة ، ظلت منذ ذلك العهد من أعجب ما دخل على الميراث العلمى . ذلك أن الأحجام المتساوية من الغازات المختلفة تحوى ، مهما اختلف نوعها ، عدداً واحداً من الجزيئات ، ما دامت هذه الغازات واقعة تحت ضغط واحد وحرارة واحدة

إنما نود أن ينعم القارئ النظر قليلاً فى هذه النتيجة التى أرسلها أفوجادرو للعالم أجمع والتى تُعد فى نظرى كلما تأملت فيها من أروع ما وصل إليه الإنسان الباحث المفكر، ففيها نوع من الاتفاق الجدى بين عناصر الوجود المختلفة التى شاءت ألا توجد إلا على صورة واضحة هى أبسط الصور

وكأنى بهذه العوالم المختلفة شكلا ووزناً وكثافة وطبيعة لا تستطيع أن توجد فى المكان الواحد ذى الحجم والضغط والحرارة الواحدة إلا بعدد واحد لا يتغير ، عدد يمتد فى سر وجوده إلى طبيعة الكون الذى فيه نحيا ونموت

إنما ننوه بمبلغ الجمال فيما وصل إليه أفوجادرو ، ونقف ملياً إزاء هذا العدد العجيب الذى كان له أثر علمى ظاهر فى أعمال بيران التى استأنفها بعد نحو مائة عام من ملاحظة أفوجادرو السابقة. وسيرى القارئ أن بيران قد عيّن هذا العدد بالذات من طريق يبتعد كل البعد عن قصة الغازات ؛ وكان من تعيين هذا العدد أن عرف قدر الذرة بل قدر الألكترون ، وكان ذلك بطريقة تجريبية أهم ما يُقال فيها أنها لم تستند فى جوهرها إلى

(١) تذكر للذين يريدون أن يعرفوا أعمال بيران الخاصة بالذرة والألكترون أن يراجعوا كتابه المعروف « الذرات » Les atomes باريز سنة ١٩٣٠ الطابع فليكس الكان Felix Alcan

(٢) أى كتلة وحدة الحجوم

(٣) يعتبر قانون بويل قانونا قريبا من الحقيقة ولكنه لا يمثلها تمثيلا صحيحا. وتدل التجارب على أنه مضبوط لأقرب $\frac{1}{100}$ عندما لا يتجاوز الضغط فى الغاز عشرة ضغوط جوية تقريبا ، بحيث أنه كلما كان ضغط الغاز ضعيفا كان القانون أقرب للتطبيق ، ويصبح أقرب ما يكون من الواقع عندما تقترب كثافة الغاز من الصفر ، لذلك يلجأ الباحث إلى تطبيق قوانين أخرى مثل قانون « فان در فالس » Wan der Waals أو غيره عندما يحتاج الأمر إلى ذلك

(١) هنا قانون تقريبي أيضا وتنطبق عليه الملاحظة (٣)

الاعتبارات النظرية التي قد تقبل الخطأ بل انما استندت إلى أعمال تجريبية تصل بنا فى معرفة هذه الأقدار إلى درجة اليقين

أما الخطوة الثالثة فخاصة بدراسة قام بها « لابلاس » لمعرفة الكيفية التي يختلف بها الضغط الجوى كلما صعدنا بعيداً عن الأرض . كلنا يعرف أنه كلما ارتفعنا إلى أعلى قلّ الضغط الجوى بحيث أن عاموداً رأسياً من الهواء يختلف الضغط فيه من نقطة إلى أخرى طوال هذا العامود . وقد توصل لابلاس إلى معرفة القانون الذي يتغير بمقتضاه هذا الضغط ، وكان ذلك من طريق رياضية بسيطة يستطيع كل مبتدئ اليوم فى العلوم الرياضية أن يقوم بما قام به « لابلاس » من حساب رياضى بسيط ، وهذا القانون هو معادلة[1] نجد فى أحد طرفيها الضغط الجوى عند مكان معين ، ونجد فى الطرف الثانى الضغط عند مكان يرتفع عن المكان الأول وكتلة الغاز والارتفاع الواقع بين المكانين كما نجد الحرارة المطلقة للغاز وثابت الغازات الذى أسلفنا ذكره والذى كان نتيجة لقوانين بويل وجاى ليساك . ويمثل قانون لابلاس فى الواقع توزيعاً رياضياً خاصاً[2] ومن نتائجه مثلاً أن الضغط الجوى ينقص إلى النصف عند ما يرتفع الإنسان حوالى ٦ كيلو متر وذلك فى الحرارة العادية . ولو أن الهواء كله من الأكسيجين لحدث هذا النقص عند ما يرتفع الإنسان حوالى نصف الكيلو متر

***

هذه هى المسائل الكبرى الثلاث التى استند إليها « جان بيران » ليصل إلى غرضه العلمى عندما استطاع كما سنذكر للقارئ فيما بعد أن يعين قدر الذرة وأن يتحقق من قدر وحقيقة الالكترون .

إنما أودأن أجتزئ فى هذا المقال بهذا القدر فى إيراد المقدمات التى كانت لازمة لمعرفة حقائق هذه الأسطورة الذرية ، على ألا يفوتنا أن نأتى على عمل بيران الإيجابى فى المقال القادم .

وإن من العجاب أن يصل بيران إلى معرفة عدد « أفوجادرو » بالذات فيعرف عدد ما فى حجم معين من غاز من الذرات الموجودة فيه

هذا العدد الذى يُجاوز كل خيال استطاع بيران ، وباللجوء إلى طريق تجريبى جديد ، وإلى المسائل الأساسية الثلاث التى ذكرناها ، أن يصل إلى معرفته ، وأن يصل إلى ذلك من طريق لم يستعن فيه بالغازات للوصول إلى معرفة أهم ما نعرفه لها اليوم من خواص

وسيرى القارئ كيف عاونت الحقائق السابقة بيران للوصول إلى مسألة من أعظم ما نعرفه اليوم فى العلوم ، وكيف استطاع بيران من دراسة معينة قام بها البرت أينشتاين خاصة بالحركة البراونية أن يوسع دائرة بحثه وأن يهتدى لا إلى معرفة عدد أفوجادرو فحسب بل إلى التحقق من نتائج ذرية وألكترونية أخرى غاية فى الأهمية

ولو أن هذا العالم الذى ما زال رغم تقدم السن يقوم بأعمال البحث ، لم يقم طوال حياته إلا بهذا التعيين لكفى أن يرتفع إلى سجل العلماء المجددين الذين قاموا للانسان بأجل الخدمات .

(يتبع)

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية. ليسانس العلوم الحرة. دبلوم المهندسخانة

(١) للذين يهتمون بالعلوم الرياضية والطبيعية : لو فرضنا فى غاز معين أن ض ضغط الغاز عند مكان معين و ضَ ضغطه عند مكان يزيد ارتفاعه عن الأول بمقدار ب وأن و وزن الجزىء بالجرام molecule Gramme لهذا الغاز و د العجلة الأرضية و ك ثابت الغازات و ح الحرارة المطلقة فان العلاقة التى توصل إليها لابلاس هى أن :

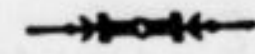
$$ضَ = ض \left(١ - \frac{و\ د\ ب}{ك\ ح} \right)$$

(٢) من السهل أن يدرك الرياضيون من هذا القانون أن الهواء يتوزع فى الواقع وفق متوالية هندسية أي يتوزع توزيعا لوغاريتميا



غلطة

للكاتب الفرنسى موريس ليفل



يا دكتور : أريد أن تفحصنى وتخبرنى هل أنا مريض بالسل ؟ أريد أن أعرف الحقيقة؛ وإن لى من الشجاعة ما يساعدنى على سماع أسوأ الأخبار . ثم إنى أعتبر من واجبك أن تكلمنى بصراحة ، ومن حقى أن أعرف حقيقة أمرى ... أتعدنى بذلك ؟

تردد الطبيب هنيهة ، ثم اضطجع فى كرسيه وقال : أعدك بذلك ... اخلع ملابسك ...

وبينما كان المريض يخلع ملابسه ، كان الطبيب يسأله :

— أتشعر بضعف ؟ أتعرق أثناء الليل ؟ ... هل تسعل كثيراً ... ولا سيما فى الصباح الباكر ؟ ... ألا يزال والداك على قيد الحياة ؟ ... أتعرف المرض الذى مات به ؟ ...

قال الرجل وقد عرّى صدره : ها أنذا يا دكتور ...

وأخذ الطبيب يفحص المريض بدقة، والمريض يتتبع الفحص فى صمت واهتمام . وبعد بضع دقائق وضع الطبيب يده على كتف المريض قائلاً وهو يبتسم :

— ارتد ملابسك ... إنك عصبى جداً . ليس بك شىء . لا شىء مطلقاً ... يخيل إلى أنك لست مسروراً بسماع ذلك ! ...

فأمسك الرجل قليلاً عن ارتداء ملابسه وفى عينيه نظرة حادة ، وأجاب بصوت فيه سخرية وتهكم :

— أوه ... نعم ... إنى مسرور وسعيد ...

وارتدى باقى ملابسه فى سكون تام . وكان الطبيب جالساً إلى مكتبه يحرّر « التذكرة » فاستوقفه بإشارة ثم قال : « لا فائدة ... » . وأخرج من جيبه عشرين فرنكا وضعها على المكتب وجلس ، ثم قال بصوت متهدج فيه رجفة خفيفة :

— لنتحادث قليلاً يا سيدى... منذ ثمانية عشر شهراً ، جاءك مريض يسألك كما سألتك أنا من بضع دقائق أن تصارحه بالحقيقة . ففحصته سريعاً ... هذا صحيح ... ثم أخبرته أنه مسلول وأن حالته خطرة ... أوه . لا تحتج ، لا تدافع عن نفسك . أنا واثق من كل ما أقول ... قلت له لا يجوز أن يتزوج ، وبعبارة أخرى لا يجب أن يعقب نسلاً

فدمدم الطبيب قائلاً : لا أتذكر ، ومع ذلك فهذا جائز ... إن كثيراً من المرضى يزورنى كل يوم ... ولكنى لا أفهم ماذا تريد أن تصل إليه ...

— أريد أن أصل إلى هذا : لقد كنت أنا ذاك المريض . ولقد كذبت عليك حين قلت لك وقتئذ إنى أعزب . كنت متزوجاً وأباً لأولاد ... وبعد أن أقفلت الباب ورائى لم أخطر لك على بال طبعاً ... لأنى واحد من أولئك المخلوقين البائسين الذين يزورون عيادتك كل يوم ... أما أنا فقد كان لوصفك مرضى على هذا النحو أسوأ النتائج ...

وأمرّ يده على عينيه ثم واصل حديثه :

عند ما عدت إلى البيت كانت زوجتى وأولادى الصغار فى انتظارى . كان الفصل شتاء ، ولكن البيت كان يستمتع بالدفء والراحة والسرور . وكنت إلى ذلك اليوم مشغوفاً بساعة العودة ... والبقاء مع صغارى الأعزاء. كنت أحب قبلات زوجتى ومداعبات أطفالى ... وفى أثناء النهار كنت أتوق إلى تلك اللحظة التى أصير فيها حراً لأنسى بين هؤلاء الأعزاء متاعب العمل والحياة . ولكننى فى تلك الليلة عند ما قدّمتْ إلىّ زوجتى شفتيها ، تراجعت ... وأبعدت أطفالى الصغار حين أقبلوا إلىّ، لأن البذرة التى بذرتها يا دكتور فى نفسى بدأت تنمو !

جلسنا إلى العشاء ، فكنت أحاول أن أخفى همى ، ولكنى كنت مكتئباً حزيناً ، كسير القلب ، أفكر فى هذه الكائنات المحبوبة التى سأفارقها قريباً ، فى أسرتى التى ستفقد عائلها ، فى أولادى الذين سيكبرون أيتاماً

إن لغيرى ممن يعرفون أن موتهم قريب تعزية ، وهى أنهم قادرون على أن يضموا إلى صدورهم من يحبون ويملؤوا عيونهم منهم ، ولكنى أنا ... ! أنا الخطر الداهم لكل من يقترب منى ، أنا من يحمل الموت معه ... لا أزال حياً ، وقد انفصلت عن الأحياء ، ولم يعد لى حق فى مسرات الحياة !

... وعند ما حان موعد النوم ، التف أولادى حولى كما يفعلون كل ليلة ، ولكنى دفعتهم عنى لأن فى الوبوء لا ينبغى أن يمس أفواههم !

أويت إلى فراشى ثم أخذ كل شىء يسكن فى المنزل ، وفى الطريق ، فأشعلت النور ، وبقيت ساهداً بالقرب من زوجتى وهى تنسم أنفاسها الهادئة

أخذت ساعات الأرق الطويلة تمر متثاقلة . كنت أضغط صدرى بيدى ، وكأنى أريد أن أصل بأصابعى إلى موضع الداء فى رئتى . لم يكن بى من الألم فى الحقيقة ما يجعلنى أصدّق حكمك ، فإن مثل هذه الأعراض تنتاب كثيراً من الناس !... وانتهيت إلى الاعتقاد بأنك لا بد أن تكون مخطئاً . قلت فى نفسى : لا ، لست مريضاً بالسل ، مستحيل ، سوف أستشير طبيباً آخر ...

غير أنى سمعت فجأة سعالاً فى الغرفة المجاورة . . . فمرتنى قشعريرة . عاد السعال الآتى من غرفة أولادى ثانياً ، جافاً ، وحاداً ومنتهياً بنوع من الحشرجة . مددت يدى نحو زوجتى ولكن خفت أن أوقظها فسحبت يدى. وعاد السعال مرة أخرى ، فقمت بهدوء وذهبت إلى الغرفة التى ينام فيها أطفالى . وفى ضوء القنديل الضئيل ، أمكننى أن أراهم وهم نائمون فى فراشهم . خيل إلى أن أكبرهم محمر الوجه . جسست يده فإذا بها دافئة ، ملت عليه . سعل عدة مرات متوالية وهو يتقلب فى فراشه بضجر . مكثت إلى جانبه وقتاً طويلاً كان يسعل خلاله باستمرار ... وعدت إلى غرفتى ، ولكنى ما كدت أتمدد على فراشى حتى استولت علىّ فكرة مرعبة : هو مسلول مثلى ، لا شك فى ذلك

فى تلك اللحظة كنت أنت تنام ملء جفونك يا دكتور ، أليس كذلك ؟

واليوم التالى كان فظيعاً . لم أجرؤ على إخبار زوجتى أن طفلنا مريض. لم تكن عندى الشجاعة الكافية لإحضار طبيب. كنت خجلاً من نفسى ، وعقد الجبن لسانى فسكت

لكن عقلى لم يسكن . استمرت الأفكار السود تحركه . ليست المسألة مسألة العدوى فقط ، بل هناك شبح أبشع من ذلك ظلّ ماثلاً أمامى : الوراثة . لقد ورث أطفالى مرضى كما ورثوا عينىّ وشعرى . وحتى لو كانوا قد نجوا من حكم هذا القانون المخيف فقربى المستمر منهم لا بد أن يكون قد نقل العدوى إليهم

تقول إن ذلك وهم وخيال ؟ كلا ، أليس ذلك نتيجة طبيعية للمجهود الذى تبذله أنت وزملاؤك بالمحاضرات والمجلات والجرائد لتكشفوا للناس أسرار هذا المرض !

كل ما كنت قد قرأت أو سمعت تجمع فى رأسى

زوجتى وأطفالى أعز الناس علىّ ، سوف يذبلون واحداً بعد آخر ! سوف يقاسون حياة مريرة معذبة فى انتظار النهاية المؤلمة ... وأنا ، سوف أشهد ذلك كله فى وجوههن الشاحبة ، وأجسامهن المتداعية . والعلم عاجز عن تغيير هذا القضاء المحتوم

وسكت لحظة ثم عاد يقول فى صوت عميق :

ثم - تابعنى جيداً - بعد مرور أيام لم تبرح خلالها لحظة تلك الأفكار الواخزة ، تولد عندى الاعتقاد بأن هناك حالات يكون فيها من واجب الإنسان أن يقف عذاباً يعلم أن لا مفر منه ... من حقه أن يمحو جريمته ، يفنى ما خلق ، يكون هو يد القضاء التى تنقذ من الشقوة من لا ذنب لهم

أنت ترتجف ؟ أنت خائف من أن تفهم ؟ .. نعم ، بيدى قتلت أطفالى وزوجتى ! أسمعت ؟ ... قتلتهم ، سممتهم ، وفعلت ذلك بمهارة لم يفطن إليها أحد

كنت فى أول الأمر مصمماً على أن أضع حدًّا لحياتى أنا أيضاً ؛ ولكنى كنت فى نظر نفسى خليقاً بالعقاب ! لا لأنى قتلتهم - إذ أعتقد أن عملى فى هذه الحالة مشروع - بل لأنى أوجدتهم . وأى تكفير أحكم به على نفسى أشد من البقاء منفرداً يائساً أتحمل وحدى عبء تلك الحياة المنكودة التى أنقذتهم منها ؟!

والآن ، انظر ماذا حدث . بعد موتهم بأسابيع ، أخذت تعود إلىّ قواى . ذهب الألم الذى كنت أشعر به . لم يعد أثر

للدم فى بصاق . بدأت أشعر بشهية للأكل ... بل بدأت أسمن!

اعتقدت فى أول الأمر أنه لسبب ما وقف المرض مؤقتاً ، وسوف يعود بحالة أشد . إلا أنى بعد بضعة أشهر تبينت الحقيقة المرّة، وهى أنى شفيت . أقول شفيت ! ... ولكن ، هل كنت حقـاً مريضاً بالسل ! . . وتجسّمت الفكرة أمام عينىّ . أتفهم ماذا أعنى؟ ... إذا كنت مسلولاً حقا ، فقد كان واجباً ما فعلت . أما إذ لم أكن ، فقد قتلت بلا مبرر ، وقتلت من ؟ ... زوجتى وأولادى ...

أمهلت نفسى سنة كى أتأكد ، مؤملاً دائماً أن المرض الذى وقف سوف يعود ، بل محاولاً بكل وسيلة أن أعيده إلى الظهور ... ولكن عبثاً، إذلم يظهر أى عرض من أعراض المرض. وعندئذ وثقت بأنك كنت مخطئاً ، بل مرتكباً لأفظع خطأ .

استولى علىّ اكتئاب لا قبل لى بدفعه ، عيناى اللتان اختزنتا الدموع طويلاً عجزتا عن إبقائها . لقد هدمت حياتى بيدى ، قتلت نفوساً بريئة ، ألقيت بنفسى فى خضم من الأحزان والآلام . ولم كل هذا ...؟ لسبب خطئك أنت . ولقـد أتيت اليوم هنا لأسمعك أنت بنفسك تقر بغلطتك ...

وانتصب الرجل واقفاً وهو يقول وقد ضم ذراعيه إلى صدره:

— لقد اعترفت أنت بنفسك أن لا أثر للمرض بى . إنك لم ترعينىّ وأنت تقول : أنت عصبى ، ولـكن ليس بك شىء ، لا شىء مطلقاً ، أؤكد لك ! . نعم ، لأنك لو كنت رأيتهما لارتجفت من الخوف ، لقرأت فيهما أني جئت . . .

فقاطعه الطبيب مغمغما وهو فى منتهى الشحوب :

— أنا لست معصوماً ... إن فكرة السل متغلغلة فى الأفكار هذه الأيام . . . وكثيراً ما يتأثر الإنسان دون شعور منه به . . . من الجائز جداً أن يعطى الطبيب أثناء فحصه أهمية لصوت قد يكون عرضياً ومؤقتاً ... قد أكون أخطأت ... أعظم الأطباء كثيراً ما يخطئون فى تشخيص المرض... ومع ذلك فلـكى تتأكد دعنى أفحصك ثانية

فانفجر الرجل يضحك ضحكة وحشية مرعبة وقال :

— تريد أن تفحصنى ثانية !... ها ها ... أتظننى أبله ؟ ليس بى شىء . لقد قلت ذلك منذ هنيهة : « لا شىء مطلقاً ! » وأنا فى هذه المرة واثق من صحة تشخيصك

غلطتك جعلتنى قاتلاً، فأنت شريكى . شريك عن غير قصد، أنا معك ... ولـكنك كنت العقل المدبّر وأنا اليد المنفذة . وما دامت العدالة واحدة وأبدية ، فأنا ــ العصبى ــ أتهمك وأحكم عليك وأنفذ الحـكم ... عليك أولاً ... ثم على نفسى

... ودوت طلقتان فى الفضاء . واندفع الخادم إلى الغرفة فوجد جثتين مجندلتين ؛ وقد سال دم الدكتور على (تذكرته) ولم يكتب فيها بعد سوى :

بروميد ١٥ جراما

ماء مقطر . . .

صلاح الدين كامل

كراسى أحد غالبى الملاريا

٤ أيار سنة ١٩٢٥

فيرميشينو القرية الصغيرة قرب روما فى حزن كبير . فى حين أن الحياة تظهر فى كل مكان مع مجيء الربيع فان هذه القرية غمرها الأسف لموت شيخ خصص السنوات السبع الأخيرة من حياته المملوءة عملا كى يضمن رفاهيتها وهذ العالم اسمه جيوفانى باتستا كراسى فمن ١٩١٨ إلى ١٩٢٥ توصل إلى تقليل عدد إصابات الملاريا من ٥٨ فى المائة إلى ٢ فى المائة .

لقد كان كراسى أحد مشاهير الأطباء الذين تستطيع إيطاليا أن تفتخر بهم فقد كرس نفسه على الأخص لدرس مقاومة الملاريا فالفضل يرجع إلى رونالد روس وإليه فى اكتشاف أن عدوى هذا المرض تنتقل بواسطة البعوض من نوع أنوفيل. لـكن هذا غير كاف فالى جانب أعمال كراسى اللامعة لا يمكننا اغفال ذكر عمل لجنة الملاريا لجمعية الأمم التى تصف السكينا كدواء فعال وهو فى نفس الوقت واق وشاف ضد هذا المرض كما أنه لا ضرر منه فحسب رأى هذه اللجنة يجب أخذ ٤٠٠ ملليجرام من السكينا يوميا طول مدة موسم الحميات لتجنب العدوى ويكفى جرام واحد أو جرام وثلاثون سنتجرام كل يوم مدة خمسة أو سبعة أيام لشفاء شخص مصاب ولا لزوم لمعالجة تكميلية وفى حالة الانتكاس يطبقون الطريقة نفسها وهى ناجحة .



حول « الإمتاع والمؤانسة »

قرأنا في باب النقد مقالاً قنع صاحبه بأن يجعل توقيعه هكذا : « ع . ص » . فمن يخبرني من تحت هذين الحرفين المقطَّعَيْن ؟ والمقال رد على تعقّبي لفرطات بدرت من جانب الأستاذين أحمد أمين فأحمد الزين وهما يحرران كتاب « الإمتاع والمؤانسة » لأبي حيان التوحيدي . وكنت قد صنعت ذلك الاستدراك لوجه العلم وحده ولإتمام الفائدة، لا لتنقص الناشرين الفاضلين ، كما زعم ع . ص. وقد كنت أرقب الرد من ناحيتهما ، وأكثر الظن أن صديق الدكتور زكي مبارك يرى ما أرى وهذا رد يمهد صاحبه إلى التعمية ، فيفر من الميدان قبل أن ننزل إليه . وللتعمية سبب جليّ ، قصته أن المقال يدور على التلبيس والعنت : على اختلاق القول واجتلاب الحجة .

ووالله لولا دَيْن القارئ الطُّلَمة في عُنق الناقد الكشّاف لحبست القلم اليوم عن الكتابة ، وذهني مشغول بقولة العرب : « لا تناظر جاهلاً ولا لجوجاً ، فإنه يجعل المناظرة ذريعة إلى التعلم بغير شكر » .

أما التلبيس الذي ذكرتُ فني قوله : إن تنبيهي على اضطراب الترقيم « استغرق قرابة نصف صفحة من مقالى » . والواقع أن ذلك التنبيه جاء كالذيل للمأخذ الأول ووقع في عشرة سطور ، على حين أن مقالى في سبعة وثلاثين ومائة سطر

ومن التلبيس أيضاً أنه يقول في خاتمة مناقشته المستكرهة : « هذا ما يتعلق بنقد الدكتور بشر » ، وهو يريد أن يدسّ في ذهن القارئ أنه ناقش كل ما أخذت على الناشرين . والواقع أنه إنما حاول الردّ على مآخذ أربعة ؛ وفي نقدي أحد عشر مأخذاً ، كنت استخرجتها من الأربعين صفحة الأول من كتاب «الإمتاع والمؤانسة» . ألاَ فليخبرني « ع . ص » أو من وراءه ماذا صنع بالمآخذ السبعة الأخرى ؟ أطواها في الغطاء الذي يلفه ؟

إني أرجو من صديقي القارئ أن يعود إلى نقدي ويراجع كلمة « المنافَقة الخفيّة » وصوابها « ممانِقه » ؛ وجملة « نأه أهله » والوجه « باد » ؛ وكلمة « الشهوات الثالية » والصواب « النالية » ؛ وتفسير « الركاكة » بضعف العقل والرأي دون البدَن، والأصل هذا ؛ وكلمة «مادّته بالية» والصواب « سايلة » ؛ وكلمة «وواد واحد» والصواب «وُمُوٍ» . ولعمري إني أعذر « ع . ص » من لزوم الصمت إزاء هذه المآخذ، فقد غُلِّقت دونها أبواب الاحتيال

***

ذلك بعض ما في مقال ع . ص . من التلبيس . وأما الذي يشينه من ألوان العنت فتتلاحق في مناقشته المقتضبة ، وسأختصر الكلام قانعاً بضرب مثلين اثنين :

يقول ع . ص — رجاء أن يفلت من تنبيهي على اضطراب الترقيم — ما حرفه : « ولم يدر (يعنيني) أن هذا الترقيم إنما يمليه الذوق وحده ، ولا يرجع وضعه إلى قواعد ثابتة إلا في رسم العلامات » . فمن هنا يتبين لي أن الرجل من الماجين على فن الإنشاء . ولا أريد أن أنقلب إلى علامات الوقف والتمهل في أدبنا القديم ، خشية الإطالة . ولكني أخبر ع . ص . أن فن الترقيم « يرجع وضعه إلى قواعد ثابتة » في اللغات الإفرنجية . فليستمن بأحد إخوانه على تفهم « باب الترقيم » في كتاب لقواعد الفرنسية ، في كتاب H.Brelet المختصر مثلاً (والباب في أربع صفحات ، ثلاثة أرباع واحدة منها للعلامات التي يعنيها هو، نحو علامة التعجب ؛ والباقي للترقيم من نقطة وفصلة أو شولة وغير ذلك) . وأما الترقيم المستحدث في العربية فقد استعرناه من قواعد اللغات الإفرنجية محاكاةً لها . إني أثبت هذا وبين يديّ رسالة أمضتها وزارة المعارف العمومية ، عنوانها : « حروف التاج وعلامات الترقيم ، ومواضع استعمالها » (المطبعة الأميرية ١٩٣١) فهذه تسع سنوات يسير التلاميذ في فن الإنشاء على منهج قويم ليس للأستاذ الكاتب ع . ص . علم به

بقي أن ع . ص ظنّ أنه ظفر بالمقتل حين قال : إن لي نحواً جديداً إذ أثبتُّ كلمة « كذا » في تضاعيف قول التوحيدي: « وأما قولهم : هذا شيء خلق ، فهو مضمَّن معنيَيْن (كذا) : أحدهما يُشار به إلى أن مادته بالية (والصواب كما في

الأصل : سايلة) ، والآخر أن نهاية زمانه قريبة » . ألا ترى كيف يتقوّل عليّ ع . ص ما لم أقله ، إذ يزعم من الطريق التخمين أني «حسبت» كلمة «ممنيين» من الغلط النحوى ، وأن صوابها عندي: «ممنيان» ، فيتشبث لأجل ذلك بورود كلمة (كذا) . يا له من غريق يتشبث بالموج الهازئ ! فهل له أن يسأل أهل الذكر عن موقع كلمة «كذا» فى ذلك الموطن فيخبروه أنها ليست للتخطئة كما وهم ، ولكنها لتأكيد حكم المؤلف وتنبيه القارئ إلى التقسيم الذى يليه. وليرجع ع . ص. هاهنا إلى «كتاب الصناعتين» لأبى هلال العسكرى (الآستانة ١٣٢٠ ص ٢٦٧ ، ٢٧٠) لعله يدرك أن من التقسيم الفاسد أن يدخل أحد القسمين فى الآخر . وفى عبارة التوحيدى تقسيم ، دليله حكمه : «فهو مضمن ممنيين : أحدهما ... والآخر ...» . وقد جاء التقسيم — على حسب رواية الناشرين — فاسداً ، وذلك لأن «المادة البالية» داخلة فى «الزمان القريب نهايته» . وأما «المادة السايلة» (وهى الرواية الصحيحة ، كما بينت فى نقدى مستنداً إلى دواوين الفلسفة العربية) فعلى خلاف ذلك ؛ لأن «السيلان» يفيد التحول من طريق تدافع الأجزاء. وعلى ذلك فإثباتى كلمة «كذا» من باب التأكيد والتنبيه. غير أن ع. ص. قليل الإلمام بأساليب الكتابة العلمية . ولو تروّى قليلاً لفطن إلى أنى لم أجر فى نقدى على التخطئة باستعمال كلمة «كذا» ، بل أقول : هذا خطأ ، والصواب كيت وكيت . أفقلتُ : والصواب «ممنيان» ؟ ولكنه الميل إلى التخلص بالملفقات

من كل ذلك يتضح لك ما وراء التعمية من تلبيس وعَنَت، مما لا يجلب للعلم منفعة ولا يعود على الناشرين الفاضلين بسَنَد . وليعلم (ع . ص) أن قلمى مهمله بعد هذه ، فليس من عادته أن يجاذب من يوليه ظهره.

بشر فارس

وفد العراق فى المؤتمر الطبى العربى

أهلاً وسهلاً ومرحباً ! !

كتب إليّ الأخُ العزيز الدكتور عبد المجيد القصاب يقول :

«أنا أتحرق شوقاً إليك ، وأحزم حقائبي للقياك مشتركاً فى المؤتمر الطبى رئيساً لوفد الطلبة وعددهم يُنيف على الثمانين من طلاب الحقوق والطب والصيدلة ودار المعلمين العالية . وما شأنى والمؤتمر الطبى ؟ إنما هى مصر التى أحترق شوقاً إليها ، وإنما أعنى أهل مصر الذين بارك الله فى عقولهم وعواطفهم وتفكيرهم ، من أمثال: علوبة ومبارك والمازنى والزيات والسنهورى وعزام وأباظة. ولست أنا وحدى أتلظى بسعير الوجد ، بل هنالك العدد الكبير من أطباء وطبيبات وطلاب وطالبات من سكان وادى الرافدين سيحملون إلى سكان وادى النيل تحيات عاطرات ... »

وإذاً ، فسيكون عندنا وفدان للمؤتمر من أهل العراق : أحدهما وفد الأطباء برياسة الدكتور صائب شوكت ، والثانى وفد الطلاب برياسة الدكتور عبد المجيد القصاب .

سيكون بالقاهرة فى أيام العيد مئة وعشرون ضيفاً من العراق. فيا فرحة القلب ويا طرب الروح بلقاء الأهل والأحباب ! !

وفى خطاب الدكتور القصاب تحية من الأخ الأستاذ ناجى القشطينى ، وتحية كريمة من بعض إخوانى بالنجف ... فيا أيتها الدنيا التى تجيد مضايقتى من وقت إلى وقت ، تأدبى يوماً أو أياماً حتى ألقى وفد العراق وأنا فى أمان من ثورة النفس على غطرسة الزمان ! ...

وفى الخطاب إشارة رفيقة إلى اشتراك «ليلى» فى المؤتمر الطبى باسم مستعار لتأمن أهل الفضول ، وهو يدعونى إلى التأهب لاستقبالها فى محطة «باب الحديد»

وحياتِكم وحياتكم قسماً وفى عمرى بغير حياتكم لم أحلف
لو أن روحى فى يدى ووهبتها لمبشرى بقدومكم لم أنصف

سأكون فى عيد ، سأكون فى عيد ، والحمد لله ، والشكر للجمعية الطبية المصرية التى عرفت كيف تجعل القاهرة صلة الوصل بين الأمم العربية .

إليك يا ليلى وإلى أهلك الأكرمين أفتح صدرى وذراعىّ لعناق التلاقى بعد طول البعاد :

ومن بينات الحب أن كان أهلها أحبّ إلى قلبى وعينىّ من أهلى

زكى مبارك

أقاصيص جديدة لأوسكار وايلد

عثر الأستاذ غيـو دُسيكس على أقاصيص جديدة لأوسكار وايلد لم يتح لها أن تنشر قبل اليوم ، ولو أنها نشرت لكانت كتيّباً صغيراً . وسألخص هذه الأقاصيص ، وعلّى أعود يوماً فأنقلها إلى القراء :

(١) العين الزجاجية

نجد في هذه الأقصوصة غنيا أوتي الجاه والجمال . وكان مولعاً بالصيد والقنص . وإنه لفي أثر بعض الوحوش ذات يوم ، إذ اضطربت بندقيته فأصاب إحدى عينيه رشاش أطفأ نورها . فعمد إلى عين من بلور خاص ، وكانت عيناً حلوة رائعة جديرة بأن ينفق من أجلها كل ماله

ووضع العين الزجاجية أمام المرآة ؛ فأعجب بحلاوتها وصفق ... وغدا عاشقاً لها يغدو ويروح ويرنو إليها

فلما بلغ به الإعجاب كل مبلغ ، أراد أن يسأل صديقاً له عنها فقال له :

— كيف ترى عيني الزجاجية ؟

— لا يستطيع المرء أن يبدع أكل منها !

— ولكن ألم تعجب بها ؟ إن الحياة لتتدفق منها ، وإن النور ليشع فيها . آه يا صديقي ، لقد غدوت لا أميّز بين عيني الأولى وعيني الثانية ، أنظر فيها ... وحدق ، ثم قل أية العينين هي الزجاجية ؟

— تلك هي الزجاجية

— وكيف عرفتها ؟

— إنها أحلى العينين ! ...

— أواه ! إنك تهزأ ... لو لم تك رأيتها من قبل لما عرفتها ... تعال نسأل الناس ، هيا إلى الشارع

وخرج الصديقان ... فلمح الغني في زاوية الشارع سائلاً يقضقض برداً ، فاقتربا منه ، وقال له الغني :

— هل تأخذ درهما ؟

— درهم ... درهم ... ليس أحب إلي منه . . . لقد بت جوعان ليلتين !

— حسن ، أنظر إلى عيني ... فإذا استطعت أن تميز عيني الزجاجية من عيني الطبيعية ... كان لك ما تشاء !

فحدق السائل ، وقال فوراً :

— ها هي ذي يا سيدي

— ويحك ! وكيف عرفتها ... ؟

— الأمر سهل يا سيدي ، لقد رأيت فيها شفقة ورحمة بي . أما الثانية ... أما الثانية ... فإنها تقول : لا تعطه شيئاً

(٢) جزيرة النسيان

أقلعت السفن تحمل فوقها فتياناً في مقتبل العمر . نخيم الليل عليهم وهم فوق ثبج البحر المطمئن ، وكانوا يسمرون وينشدون وإذا بالسماء تعبس ثم تبكي ... وإذا بالبحر يفتح شدقيه ليبتلع كل شيء ... وإذا بالرعد يقهقه وهو ينظر ضاحكا

وتاه البحارون ... حتى وصلوا إلى جزيرة نائية ، ما عرفها علماء الجغرافية وما رأوها ، فنزلوا فيها فلقوا شيخاً قد استقبلهم والوجه مشرق والعين ضحوك

لم يكن الشيخ مرتدياً لباساً بل اتخذ من شعره الأسود الذي استرسل على كتفيه وستر ظهره رداء ، ومن لحيته الطويلة التي بلغت ركبتيه صدرة

وحفّ الشباب بالشيخ وسألوه أن يقص عليهم قصته فضحك وقال :

— كل ما أستطيع أن أقوله ... هو أني أتيت إلى هذه الجزيرة لأنسى

— تنسى ماذا ؟

— أوه ! لقد نسيت أيضاً !

(٣) الرجل الغني وسره

كان لغني ثروة واسعة تنغص عيشه دائماً . فأتاه ذات يوم رجل ذكي محتال وقال له :

— لقد عرفت سرّك فإن لم تعطني ألف جنيه تكن خاسراً

فدب الخوف في نفس الغني وساءل نفسه : أيكون لي سر ولا أعرفه ؟ وما هو سري ؟ ولكن ربما كان لي سر يعرفه هو ولا أعرفه أنا ، فلأعطه ما يريد !

ومضى الرجل وفمه يتلمظ ... فكان كلما أحس حاجة أو فاقة غدا إليه فأخذ مالاً ... والغني مذعن خائف

وتصرّمت أعوام ... وإذا بالموت يأتي الغني !

فنادى المحتال ... وقال له ونفسه تتقطع حسرات :

— لن أخاف بعد اليوم ... فقل لي ما هو سري ... الذي لم أعرفه !

صلاح الدين المنجد

التجديد في العروض

قرأت بالعدد (٣٤١) من الرسالة قصيدة بعنوان (الناي) للدكتور المفضال بشر فارس قدم لها بقوله « هذه الأغنية منظومة على بحرين مختلفين رغبة في تنويع مجرى النغم ، والبحر الأول

وضعه الشاعر ، وأجزاؤه : فاعلاتن مفاعلاتن (مرتين) ، وليكن اسمه : المنطلق . وأما البحر الثانى فن البحور المعروفة ... ا هـ » ثم مضى فى القصيدة فكان الوزن الذى أسماه المنطلق يبدأ بقوله :

جنّبوا النايَ عن أذُنى أذُنى زُلزلت طـــربا

والواقع أنه لا يوجد فى أوزان البحور المعروفة بحر أجزاؤه (فاعلاتن مفاعلاتن) ولكن يوجد هـذا الضرب نفسه بأجزاء أخرى هى (فاعلن فاعلن فَعِلُنْ) فهو إذاً الضرب الأول من العروض الثانى من المتدارك ، وهو المجزوء الصحيح ، وأقرب أمثلته (لوزن) الدكتور بشر هو الضرب المخبون المرَفَّل من هذا المجزوء الصحيح ، ومثاله فى متن الكافى هو :

دارُ سُعْدَى بِشَحْرِ عُمانْ قد كساها البِلاَ المَلَوَانْ

على أن هناك فرقاً يسيراً قد يلحظه القارئ بين الوزنين ، فذلك أن وزن الدكتور بشر ينقصه الترفيل (وهو زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع) والسبب الخفيف — كما هو معروف — متحرك بعده ساكن كَقَدْ . فهو يمثل الألف والنون الأخيرتين ، فى عمان والملوان ، واللتين بحذفهما نحصل على نفس الوزن (المنطلق) الذى جاء به الدكتور بشر ...

والواقع أنه يصعب جداً ، بل يكاد يكون من المتعذر ، زيادة (بحر) مستقل على البحور المعروفة ، كما سمح الدكتور الفاضل لنفسه فى تسميته مجزوءه الذى له أصل فى العروض بحراً ... على أن له العذر الفنى فى ذلك ، وأقول العذر الفنى لأن (البحر) الذى خيّل إليه أنه اخترعه لم يقع له إلا فى (التدارك) وهو — كما يظهر من تسميته نفسها — بحر تدارك به الأخفش على الخليل الذى كان قد نسيه أو أهمله (وقيل هو المتدارِك بكسر الراء لأنه تدارك المتقارب أى التحق به ، لأنه خرج منه بتقديم السبب على الوتد ، وله أسماء أخرى غير ذلك كالمخترع والخبب ... عن المختصر الشافى للدمنهورى)

ويلوح لى أن هناك شيئاً من توارد الخواطر بين تسمية الدكتور بشر لمجزوئه (بالمنطلق) وبين تسمية التدارك (بالمخترَع) فكلا التسميتين ترمزان من طرف خفى أو صريح إلى أنه وزن جديد على أوزان الخليل ... هذا وإن كنت لم أعرف بعدُ مَلحظَ الدكتور فى اختياره اسم (المنطلق)

وزيادة للفائدة من هذا البحث الجليل ، أقول إننى حاولت التجديد فى العروض — وكان ذلك منذ سنوات — زيادة بحور جديدة ، فوقعت على بحرين ، أحدهما — لِلَطيفِ ماحدَثَ — ظهر أنه هو نفس التدارك ! وكنت قد نظمت لإثباته أبياتاً مطلعها :

يا أبى إننى ذاهبٌ للوَغَى باذلٌ مهجتى فى سبيل الحِمَى !

والثانى أخذته عن وزن انجليزى بديع ، يمثل طريقة من سير الجياد Trotting وهو الأصح عندى بأن يسمى (الخَبَبَ) وقد جعلتُ وزنه : مَفْعُولُنْ ، أربع مرات ، أو ثمان ... ولا أذكر ما نظمته فيه ، ولكن المجال فيه مفتوح للناظمين ...

حامد محمد بحيرى

ليسانسيه فى الآداب من جامعة فؤاد الأول

معنى بيت وإعرابه

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى انتقادات ومباحث تصيب مرماها تارة وتخطئه أخرى ، وآراء وملاحظات تحمل قارئها على التأمل والتبصر فى محتوياتها مما جعلنى أخالف ما ذهب إليه فى إعراب قول الأعشى

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبتّ كما بات السليم مسهدا

فإنه أعرب أرمدا فعلاً ماضياً مسنداً إلى ألف الاثنين العائدة على قوله عيناك ، وعلى ذلك (فليلة) فى البيت منصوبة على الظرفيه لا أنها مفعول مطلق كما يقول الأستاذ (أبو رجاء) نقلاً عن حذاق النحاة

ولننظر إلى معنى البيت على رأى الأستاذ الصعيدى ، أيؤدى ما كان يريده الأعشى أم يعارضه وينافيه ويخالف العقل والواقع ؟ إنه يكون هكذا : «ألم تغتمض عيناك ليلة كانا مرمدين» مع حمل الاستفهام على التقرير أو الإنكار ، فكيف يتأتى انطباق جفون العين وذوق حلاوة الكرى فى وقت كان الرمد كالجمر يحرق ويأكل غارساً بذور السهاد والقلق وغير ذلك مما يعلمه الأستاذ؟ إذا كان لهيب الرمد ، وحلاوة الهجوع لا يجتمعان ، إذن يفسد كل معنى يقول بذلك ، ويتحقق ما يقوله حذاق النحاة فى معنى البيت من أنه يكون هكذا « ألم تغتمض عيناك اغتماض ليلة الأرمد » ولا ريب فى أن اغتماض الرمد كله سهد وقلق وأرق وضجر وغير

ذلك مما يتناسب ومراد الأعشى، وخاصة أنه كان كما يقول الأستاذ « لم يكن فى موقف الشكوى من هذا ، وإنما كان فى موقف النسيب » . فلا حرج عليه إذا قال : إنه كان فى سهر طويل ، ويقظة شديدة كانت كيقظة الرجل الذى آلمه رمد عينيه، لا أن يقول : إن عينى كانت منمضة ونائمة ليلة كانت مرمدة؛ وهب أن المعنى قد يتأتى ، وينام الرجل والرمد فى عينه ، فما هى المناسبة التى تجمل الأعشى أن يقول ذلك وهو فى الموضع الذى نبه عليه الأستاذ . هذا ما أردت كتابته والسلام على الأستاذ ورحمة الله

محمد رجب البيومى



كتاب « الامتاع والمؤانسة »

– ٢ –

تحدثنا فى مقال سابق عن أمثلة من نقد الدكتور بشر فارس لتصحيح كتاب (الإمتاع والمؤانسة) وبيّنا تفاهة هذا النقد وقلة جدواه. أما نقد صاحبه الدكتور زكي مبارك لتصحيح هذا الكتاب فهو أقل جدوى وأبعد عن الجادة وأكثر تحكما وأشد تعسفاً وتكلفاً من نقد صاحبه

وشيء آخر يمتاز به الدكتور زكى على صاحبه أنه يمسك بخناق الكلمة الصحيحة ، ويظل يضرب فيها بعصا غليظة من التأويل البعيد ليجبرها على أن تحكم على نفسها بالغلط. فإذا لم تجبه الكلمة إلى ما أراد حكم عليها هو بالغلط ، ولا يكلفه ذلك إلا أن يكتب حرف الغين واللام والطاء

وتلك أمثلة من نقده مع ردنا عليها ليتبين القارئ صدق ما نقول وأن هذا النقد كله لا يستند إلى شيء من الحق :

روى أبو حيان فى كتابه الذى نحن بصدده مناظرة طويلة بين أبى سعيد السيرافى ومتّى بن يونس المنطقى ، وفيها سؤال يحوى وجهه السيرافى إلى متى ، فلم يستطع متى الإجابة عليه ، وطلب إلى السيرافى أن يفيده عن ذلك . فقال السيرافى : « لو حضرتُ الحلْقةَ استفدتَ »

وكتب المصححان الفاضلان على قوله: « الحلقة » ما يفيد أن فى الأصل « المختلفة » مكان قوله : الحلقة وهو تحريف

ويقول الدكتور زكى : إن قوله « المختلِفة » ليس فيها تحريف وإنها صحيحة لا شك فيها؛ وفسر قوله : « المختلفة » بأن معناها الطلبة الذين يختلفون إلى المعلم

ونقول : إن قوله « المختلفة » تحريف لا شك فيه كما رأى المصححان الفاضلان ، وأن الصواب « الحلقة » كما رأيا ، فإن المعلم لا يقول : « إذا حضرت الطلبة استفدت » ، وإنما يقول : « إذا حضرت مع الطلبة » . أو يقول : « إذا حضرت الحلقة » أى حلقة الدرس ؛ فهذا أقرب إلى الأحاديث العادية ، وأشبه بأسلوب أبى حيان والسيرافى وغيرهما من الأئمة

أما أن يقول المعلم لإنسان ما : « إذا حضرتَ الطلبَةَ استفدتَ » فهى عبارة ركيكة لا تلتئم مع أساليب الكتّاب العاديّين فضلاً عن أعلام الكتابة كأبى حيان . ودليل ذلك قوله بعد هذه العبارة : « فليس هنا مكان التدريس » ؛ وهذه عبارة تنادى بصواب ما أثبته المصححان الفاضلان

روى أبو حيان فى هذه المناظرة السابقة من كلام أبى سعيد السيرافى الذى وجّهه إلى متى بن يونس المنطقىّ يمتحنه ويلومه ، قال : « وإنما بودّكم أن تشغلوا جاهلاً وتستذلوا عزيزاً »

وكتب المصححان الفاضلان على قوله : « بودّكم » ما يفيد أن فى الأصل : « قولكم » ؛ وهو تحريف

ويقول الناقد : « إن لفظ الأصل صحيح لا شك فيه ، فلا موجب لتغييره بكلمة أخرى »

ونقول : إن الصواب ما فعله المصححان الفاضلان ؛ فإن قوله : « وإنما قولكم أن تشغلوا جاهلاً وتستذلوا عزيزاً » حسب عبارة الأصل ، غير سائغ فى أى أسلوب مهما انحط فى درجات الكتابة ؛ فهى عبارة ممزّقة النسج ، فاسدة المعنى ، فإن كون المناطقة يشغلون الجاهل ويستذلون العزيز ليس قولاً ، وإنما ذلك قصد وإرادة ، بدليل قوله بعد : « وغايتكم أن تهوّلوا بالجنس والنوع »

وإذن فاللائم لسياق الكلام أن يقول : وإنما بودكم أن تفعلوا كذا ، وغايتكم أن تفعلوا كذا ...

ومنها ما رواه أبو حيان فى هذه المناظرة أيضاً من كلام متى

ابن يونس المنطق، يقول: « لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب ... إلا بما حوّيناه من المنطق ، وملكْناه من القيام به »

وقد كتب المصححان الفاضلان على قوله: «حويناه» ما يفيد أنه فى الأصل : «جربناه» مكان قوله : «حويناه» ؛ وهو تحريف

ويقول الناقد : إن قوله « جربناه » صحيح لا تحريف فيه

ونقول رداً عليه : إن ما فعله مصححا الكتاب هو الصواب بعينه ؛ وقوله : « جرّبناه » فى هذا الموضع تحريف لا شك فيه ولا معنى له ؛ فإن قول المؤلف بعد : « وملكناه من القيام به » ينادى بصحة ما أثبت مصححا الكتاب ، فإن « حويناه » و « ملكناه » بمعنى واحد وإن اختلفا فى اللفظ ، كما هو ظاهر

ومنها ما قاله السيرافى أيضاً موجهاً الخطاب إلى متّى يعرّفه فضل اللغة العربية ، قال : « وإذا لم يكن لك بُدٌّ من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة »

وقد كتب مصححا الكتاب على قوله : « الترجمة » ما يفيد أن فى الأصل : « التجربة » مكان قوله : « الترجمة » وهو تحريف

ويقول الناقد : إن لفظ الأصل صحيح

ونقول : إنه تحريف كما رأى مصححا الكتاب، إذ لا معنى لقوله : « التجربة » فى هذا الموضع ؛ وإلا فما معنى أنه محتاج إلى قليل اللغة لأجل التجربة ؟ وما المراد بالتجربة هنا ؟

إنها على هذا الوجه عبارة غير مفهوم المراد منها . على أن سياق الكلام يدل على أن الصواب كلمة « الترجمة » كما رآه المصححان الفاضلان

وأنا أروى لك هذه الجملة والجمل التى بعدها ليتبين لك أن السياق يقتضى لفظ « الترجمة » لا « التجربة » . قال : « وإذا لم يكن لك بد من قليل هـذه اللغة من أجل الترجمة فلا بد لك أيضاً من كثيرها من أجل تحقيق الترجمة واجتلاب الثقة » (يريد الترجمة من اليونانية إلى العربية)

ومنها ما رواه التوحيدى من كلام السيرافى أيضاً الذى وجهه إلى متّى المنطقى يقول له ما نصه : « ثم أنتم فى منطقكم على نقص ظاهر، لأنكم لا تفون بالكتب ولا هى مشروحة » اهـ

ومعنى قوله : « لا تفون بالكتب » أنهم لا يقومون بحقها وما يجب لها من الشروح والتعليقات ، فهى كتب ناقصة غير مستوفاة

وكتب المصححان الفاضلان على قوله : « لا تفون بالكتب » ما يفيد أن فى الأصل : « لا تقولون » ؛ وهو تحريف اهـ

ويقول الدكتور مبارك : إن كلمة الأصل صحيحة وإن عمل المصححين لا موجب له

ونقول : ما معنى أن المناطقة لا يقولون بالكتب ـ كما يرى الناقد ـ ؟ الحق أنها عبارة فاسدة ، لأن المناطقة يقولون بالكتب ويؤلفونها ويقرءونها ؛ وأن ما فعله المصححان الفاضلان هو الصواب بعينه ، بدليل قول المؤلف بعد : « ولا هى مشروحة » فإن هذه العبارة تدل دلالة واضحة على أن السيرافىّ يريد أن المناطقة لا يفون بالكتب وأن كتبهم ناقصة

ومن أمثلة هذا النقد التافه أيضاً قول الناقد فى عبارة التوحيدى ونصها : « بل الأشياء منها ما يوزَن ، ومنها ما يُكال ، ومنها ما يُذرع ، ومنها ما يُمسح ، ومنها ما يُحزَر » وقد كتب المصححان الفاضلان على قوله : « ومنها ما يحزر » وهى العبارة الأخيرة ما يفيد أن فى الأصل : « ومنها ما يمسح ويحزر » بسقوط كلمة « ومنها ما » قبل قوله : « يحزر » وأنهما قد زادا هذه الكلمة كما يقتضيه سياق الكلام ، فإن المؤلف قد عبر فى كل ما سبقها بقوله : « ومنها ما »

ويقول الناقد : « إنه لا موجب لزيادة « ومنها ما » وإن الصواب ترك العبارة هكذا : « ومنها ما يمسح ويحزر » كما هى عبارة الأصل اهـ

ففى أى لغة يسوغ هذا الكلام ؟ إن ما يمسَحُ يا دكتور زكى غير ما يحزر ، فإن الحزر هو تقديرك الشيء بالحدس والتخمين كما تفعل فى نقدك ، وما يُمسح معروف

وإذا كان المؤلف قد قال : « منها ما يكال ومنها ما يوزن » الخ ألا يقول : « ومنها ما يمسح ومنها ما يحزر » ؟

وقد كان بودّنا أن نترك عبارة المؤلف تردّ بنفسها على الدكتور زكى مبارك دون أن نعلّق عليها هذا التعليق الطويل

تلك أمثلة من نقد هذين الكاتبين الدكتور زكى مبارك وبشر فارس قد أتينا بها ليعلم القراء قيمة ما نقدا به هذا الكتاب القيم فى تصحيحه ومادته

ولا نريد أن نقف أمام كل ملاحظة من ملاحظاتهما موقف الرد والمناقشة فشرح ذلك يطول ، ولا تتسع الصحف لمثل هذه الفضول . وإن أتفه الأمور المناقشة فى توافه الأمور

ولنا عودة إلى الحديث عن قيمة هذا الكتاب من ناحية مادته، وما أودَعَه فيه مؤلفه من علم غزير وأدب جمّ ع . ص

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى ـــ عابدين)



8me Année No. 343

Lundi - 29 - 1 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٣٤٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ ذو الحجة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٩ يناير سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

أثر المؤتمر الطبى ومصرع رستم حيدر

أمـــل وذكري . . .

كانت القاهرة فى أيام عيد الأضحى حجا للعروبة ، كما كانت مكة فيها حجا للإسلام . وكان بين عرفات والمقطم أمواج متعاقبة من شعاع الروح الإلهى تشرق فى الأبصار والأفواه والأفئدة فتتعارف وتتآلف وتتكاشف، فيفضى كل قطر إلى أخيه بينات قلبه وذات صدره.(1) وكان ولا شك بين وفود المؤتمر الطبى العربى ، كما كان بين حجاج البيت الإسلامى الحرام مذاكرات وأحاديث فيما يكرُب الأرض ويحزُب الناس من انفجار العدوان والطغيان والشر فى أكثر بقاع العالم ، فكان إصفاق الرأى ولا بد على ضرورة الوحدة العربية بأى شكل وعلى أى نظام

والحق أن الوحدة العربية فى شتى صورها لم تكن فى عهد من العهود ولا فى حال من الأحوال ألزم منها لحياة العرب فى هذا العهد وعلى هذه الحال . فقد كانت بالأمس سبيلاً من سبل الكمال الإنسانى تصد عنها عصبية المكان وحزبية المذهب ، ولكنها أصبحت اليوم ضرورة من ضرورات البقاء تدعو إليها طبيعة الحياة وسلامة الذات . لذلك لهج بها وفود المؤتمر وشهوده فى حفلاتهم الرسمية والشعبية ، واعترف بها ودعا إليها وزير

(١) بنات القلب : العواطف . وذات الصدر : الأسرار

١٤ ٥ ١١

الشؤون الاجتماعية فى خطبته الخطيرة بدار الأوبرا الملكية

* * *

كان عيد القاهرة بما رأينا من تعاطف الإخوة المؤتمرين مبعث أمل ؛ وكان عيد بغداد بما سمعنا عن مصرع الوزير رستم حيدر مثار ذكرى . ولم يكن من السهل على الخاطر – وقد امتلأ البصر والسمع بشباب العراق وأخباره – أن ينصرف عن الفكر فى حاضر العراق وماضيه

رحم الله رستم حيدر ! لقد كان وحده فصلاً فى تاريخ العراق الحديث. وإذا كان فى بعض حواشى الملوك رجال للهو والزهو، وآخرون للتجسس والتمويه ، فإن رستم حيدر كان وحده فى حاشية الملك فيصل رجل الجد والعمل . ولم أر فى المهاجرين إلى بغداد مع صقر قريش أعلم ولا أفهم من رستم حيدر وساطع الحصرى . وقد أبلى الرجلان فى إذكاء النهضة العراقية البلاء الحسن : هذا فى ميدان الثقافة ، وذاك فى ميدان السياسة . وكان بينهما مشابه من جهات كثيرة : فكلاهما مستقل الفكر، له فى كل مسألة رأى وعلى كل رأى اعتراض . وكلاهما متقن للعمل ، يتقصى أطرافه ويستبطن دخائله . وكلاهما صليب الرأى، يعييك أن يتابعك على ما تريد . وإذا كان بين الرجلين اختلاف ، فهو الاختلاف الطبيعى بين رجل السياسة الذى يتأثر بالأحوال والرجال والحوادث ، وبين رجل العلم الذى لا يستخدم غير المنطق ولا يتوخى غير الحقيقة

كان المرحوم رستم حيدر ظاهر الوقار ، دائم الانقباض ، كثير الصمت ، خافض الصوت ، هادئ الحركة ؛ ولكن هدوءه كان كهدوء الماء العميق، تضطرب فى جوانبه الأفكار والأسرار وهو ساكن السطح بارد الأديم

وكان منذ اشتغاله بشؤون العراق مستشار المغفور له الملك فيصل فى سياسته الداخلية والخارجية ، لبصره بعلوم السياسة والمال ، وعلمه بمداخل الأمور ومخارج الحيل . فكانت أعمال العاهل العظيم تجد مصاديقها غالباً فى أقوال المستشار اليقظ

كان من سياسة رستم الاعتماد بعد التاميز على الفرات قبل دجلة . لأن الفرات شيعى المذهب ، وعلى ضفافه الخصيبة تنزل القبائل البدوية القوية . وفى تقويه بالشيعة حيطة من نجد ، ومودة لإيران

وكان يشيح بوجهه عن مصر ، لأن هواها فى ثورة الحسين على الترك كان مع الخلافة ، ولأن اشتغال طلبتها بالسياسة كان فى رأيه مرضاً مخطراً لا ينبغى أن تسرى عدواه إلى العراق . ولذلك كان السياسى العراقى الوحيد الذى لا يهتم بأحوال مصر ، ولا يتصل برجال مصر

وكان من رأيه توسيع التعليم الأولى والمهنى، وتضييق التعليم الثانوى ، وحصر التعليم العالى فى مدرسة لتخريج الموظفين ورجال الإدارة، خشاة أن يكثر المتعلمون المتعطلون فيكونوا مصدراً للشغب والإضراب والفوضى . وفى ذلك العهد الذى أرجع بذاكرتى إليه أغلقت المدارس العالية جماء إلا مدرسة الطب . وكان من أشد المعارضين لهذه السياسة التعليمية الأستاذ ساطع الحصرى ، لأنه كان يحاول أن ينشئ الثقافة العامة على قواعد العلم الخالص دون أن يحفل بأهواء الطوائف وأغراض الساسة ، ولذلك نحى حينئذ عن سياسة المعارف

وكان من خطة المرحوم رستم أن تظل الأراضى الزراعية ملكاً للحكومة لتضمن بمنح الالتزام ومنعه طاعة القبائل وتأديب العصاة . ومتى تحضرت المشائر وتوحد القانون وعمت المدنية الاجتماعية أمكن أن توزع ملكية الأرض على نظام عادل

تلك هى أقوى الأصول التى كانت تنبت عليها سياسة القصر فى ذلك الحين ، ولا يعلم غير الله مقدار أثر المستشار فى وضع هذه السياسة

* * *

لقد كان المرحوم رستم حيدر عنيداً فى رأيه صليباً فى خطته. والعناد والصلابة صفتان لا يحسنان فيمن يتولى أمراً بالعراق

دخلت عليه ذات يوم من عام ١٩٣٢ وهو وزير المالية أسأله أن يرد على صديق أمير بنى تميم ما أخذته الحكومة من أراضيه الملتزمة وهو يبلغ خمسة عشر ألف فدان ، فأجلسنى إلى جانبه عن يسار المكتب الذى سُفك عليه دمه منذ أيام ؛ ثم أخذ يقنعنى بالحجج والشواهد أن الحكومة محقة وأن الشيخ مبطل . ثم عزا المصادرة إلى أمور تتعلق كلها بسلامة العشيرة وإقامة العدل . ولم ير نفسه فى حاجة إلى ذكر السبب الأول وهو أن سيد تميم عضو قوى فى حزب المعارضة ! فأدهشتنى جرأة الوزير وأعجبتنى لباقته، وعجبت كيف يصر على مناوأة الشيخ وفى سبيل خمسة عشر ألف فدان تخشى الخصومة ! ولكنه نجا من مناوأة الأمير لأنه طالب مجد ، ولم ينج من مناوأة الموظف لأنه طالب قوت !

احمد حسن الزيات

جائزة هــــذا العام

للأستاذ عباس محمود العقاد

في اعتقادنا أن المحكمين في جائزة نوبل الأدبية والسلمية يلاحظون القضايا العالمية عند اختيار صاحب الجائزة ، إذا لم يكن لها مرشح من طراز برنارد شو وأناتول فرانس ومترلنك ونظرائهم الذين يستحقونها بشهادة العالم قبل شهادة المحكمين

فقد كانت الجائزة من نصيب الكاتبة الأمريكية بيرل بك لأن القضية التي كانت تشغل الأذهان في السنة الماضية هي قضية الصين، وقد اشتهرت الكاتبة الأمريكية برواياتها الصينية العديدة حتى أوشكت أن تقصر على موضوعات الصين كل ما كتبت من الروايات والقصص والمقالات

وكانت الجائزة من نصيب « إيفان بونين » الروسي المهاجر إلى باريس هرباً من طغيان الشيوعيين يوم كانت قضية اليوم هي قضية الحرب بين الحرية والشيوعية وبين عقائد النور وعقائد الظلام في روسيا الحمراء

وقد أصابت الجائزة هذا العام أديباً فنلندياً لم يظهر شأنه قبل ذلك في أمم أوربا الغربية على الخصوص لأن قضية فنلندة هي قضية السلم والحرية وقضية الجهاد النبيل في هذه الأوقات

ومن السهل أن نقرن قبل ذلك بين أصحاب الجوائز وبين القضايا الإنسانية التي نجمت في الهند أو في إرلندة أو في إيطاليا أو في بولونيا أو في ألمانيا ، ولا سيما جائزة السلم التي أصابت كارل فون أوسيتزكي ولم تصل إليه ، لأنه كان في قبضة النازيين

* * *

ولا غبار عندنا على هذا الميزان وإن لم يكن من موازين الأدب الخالص والنقد المجرد ، لأن الجائزة المبذولة إنما هي قبل كل شيء جائزة السلم والمروءة ، ولا ضير في الجمع بها بين الاعتراف للأديب الذي ينالها والاعتراف للقضية التي يرتبط بها ذلك الأديب إما ارتباط الوطن أو ارتباط المذهب أو ارتباط العقيدة الاجتماعية

وعلى هذا المعنى لا نرى في هذا العام من هو أحق بها من أديب فنلندة « فرانز إميل سيلانبا » إذا اجتمع استحقاقه إلى استحقاق أمته للتنويه والتشجيع

ونقول هذا لأننا لم نقرأ للكاتب الفنلندي شيئاً من الكتب والروايات قبل ذيوع اسمه لتلك المناسبة . وليس في وسعنا أن نحكم على أدبه أو على استحقاقه الفني بمعزل عن استحقاق بلاده، فحسبه شهادة وتزكية أنه أديب تلك البلاد التي ارتفعت إلى الذروة العليا من مقاوم البسالة والاستشهاد

لم نقرأ له ولكننا قرأنا عنه فذكرنا ما كتبناه في العام الماضي حين قلنا إن المحكمين يختارون لجوائزهم واحداً من اثنين : « فإما أديب من الأعلام البارزين طبقت شهرته الآفاق وحكم العالم له قبل حكم المجمع ونقاده . . . وإما أديب يخدم الطيبة والمروءة ويشيع بين الناس أواصر المودة والرحمة »

فإن لم يكن « سيلانبا » من الأولين فهو ولا ريب - على حسب أوصاف عارفيه - من الآخرين

ويبدو لنا أن هذا الكاتب الفنلندي قد استطاع ما لا يستطاع في كثير من الأحيان :

استطاع أن يوفق بين معيشته ومعيشة أبطال رواياته ومعيشة أبناء وطنه ومعيشة الإنسان في كل زمان بمعزل عن الأوقات والأوطان

فالأبطال الذين يصورهم في رواياته هم فلاحون فنلنديون ، وهم مع ذلك أناسي صادقون ، وهم مع هذا وذاك صدى ما في عيشه هو وعيش أسرته جميعاً من البساطة والسهولة والطيبة وقلة التعقيد

والظاهر أن سيلانبا قد استمد البساطة من نشأته ومن تعليمه على السواء

فهو بنشأته فلاح . وهو بتعليمه « بيولوجي » من تلاميذ داروين المعجبين بذلك العلامة العظيم . وليس في الدنيا شيء يعلم المفكر البساطة والسداد في النظر إلى الحياة والأحياء إن لم يتعلمهما من أخلاق داروين وعقل داروين وطريقة داروين في الملاحظة والاستقراء

وقد أبدع سيلانبا في الرواية الفنلندية نمطاً جديداً غير النمط الذي كان شائعاً في وطنه بين كتاب الروايات والأقاصيص

فقد كان الولع بالحبكة والتشويق والإطناب غالباً على الكثيرين

منهم ، وكان فن الحكاية عندهم غالباً على فن الحياة أو فن الملاحظة الصادقة عن كثب

ولعلهم وقعوا فى غلطة الأكثرين من أدبائنا الشرقيين الذين حسبوا أن القريب لا يستحق البحث عنه لمجرد أنه قريب ، وأن البعيد خليق بالسعى إليه لا لشىء إلا أنه بعيد . فتركوا البساطة والقرب وأوغلوا وراء الشذوذ والتعسف ، ودلوا من حيث لا يقصدون على صعوبة المطلب القريب واستعصائه على غير العباقرة الملهمين

وجاء سيلانبا فعوّد القراء الفنلنديين كيف يسيغون قصة تقوم على مراقبة أم ووليدها الصغير ، أو مراقبة الشيخوخة التى تتشابه فيها الأوقات والخواطر والأعمال ، أو مراقبة الأفراد الذين لا يخلقون التاريخ ولا يأتون بالعجائب ولا يخرجون من النهار ، ولكنهم هم الطبعة الشائعة من كتاب الحياة الباقية ، وفى هذه الطبعة ولا شك يقرأها من يفتش عن معناها الأصيل

وهو يحسب أن الأفضل الأكمل من مؤلفاته هو ما جاد به عفو البداهة وسخاء الساعة ، ومن هنا إيثاره لقصة صغيرة اسمها « هلتووراجنار » وقوله إنها كتبت فى سهولة وفيض مريع ، وهكذا تُكتب أحسن الآثار

لكنه كثير المراجعة لمعظم ما يكتب ، فقلما يتركه بغير تنقيح وتصحيح على الهامش . ثم يعاد إليه من المطبعة فيزيد عليه ويحذف منه ولا يستريح إليه إلا بعد تبديل كثير

وأشهر رواياته « سيلجا » وهى كما قال قد ظفرت بالحصة الدنيا من التنقيح والتبديل

***

رأيت صورته فإذا هى تنم على تركيب بنية الفلاح الضليع المستنير .

ورأيت صورته بين أبنائه وزوجته الأولى فإذا هى تنم على رب الأسرة القرير المعين بمعيشته البيتية وحمايته الأبوية

وقرأت تلخيص كتاباته فعلمت أنه جدير بأن يكتب مثلها وأن يجىء تأليفها على يدى مثله ، لأنها من معدنه وهو من معدنها

زاره الكاتب الإنجليزى إيفور بنسون وكان فى هلسنكى عاصمة فنلندا يوم إعلان نبأ الجائزة فقال :

لبثت أنتظره بعد الموعد نحو خمس دقائق أو ست . ثم اندفع إلى الحجرة وعلى شفتيه ابتسامة عريضة وفى إحدى يديه زجاجة من الجعة ، وفى اليد الأخرى كوب ملآن إلى نصفه ، وبادر معتذراً يقول :

« لقد تأخرت لأننى عنيت بالحلاقة الجيدة هذا الصباح ، وما كنت أنوى الحلاقة قبل غد لولا على أننى سألقى اليوم انجليزياً فلا مناص من « عملها » اليوم ... إذ يقال إن الإنجليزى يحكم على من يلقاه بأشياء ثلاثة : أولها حالة ذقنه ، ومر بيده على ذقنه مرور الواثق المطمئن ؛ ثم لمس رباط رقبته وعلى وجهه ظل من التوجس ولمحة عصبية ظريفة تشف عن الشك وقلة الوثوق ومضى يقول : أيا كانت الحال فليست هى بالرديئة ، وقد أجوز بها الامتحان !

« أما الشىء الثالث فهو الحذاء ، ثم جلس على مقعد وسحب بينى وبينه كرسياً يحجب قدميه وقال : ولا إخاله ينجح فى هذا الامتحان ، ولكنك لا تراه ! »

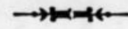
قال إيفور بنسون ما فحواه : إن سيلانبا طفق يتحدث إلىّ بين الاستحياء والتدفق الصاخب حديث الصاحب الذى قد عرفنى طوال حياته ، وذكر لى أن الذى يعجبه من التحدث إلى الانجليز أن جرح شعورهم عسير ، وأن مما كستهم مأمونة كل الأمان . وكان يلوح عليه أنه كان يفكر تلك اللحظة فيما يفاجأ به أحياناً من ألم يساوره كلما ظهر له أنه قد أتى بإساءة مستغربة على غير قصد منه

وجملة ما يقال فى وصفه أنه رجل بين بساطة الفطرة وتثقيف العلم والحضارة ، وأنه فى أدبه وفنه وأسلوبه على هذا المثال

عباس محمود العقاد

اتقوا الله فى أخيكم !

للدكتور زكى مبارك



ذهب الأستاذ الزيات لزيارة صديقه (عين) فوجده مضى لقضاء أيام العيد بين أهله فى المنوفية ، ثم نظر فى غرفة الاستقبال فرأى « منظار » الصديق فوق إحدى المناضد ، فوضعه على عينيه ليعرف إلى أى حد تبدو الخفايا لمن يحمل ذلك المنظار العجيب ، ثم هام فى شوارع القاهرة يتوسم وجوه الناس فرأى فيهم غرائب وعجائب يشيب من هولها الوليد ، فتفزّع وقال وهو يحاور ذلك الصديق :

«أريد أن أردّ إليك منظارك، أم تسمح لى أن أجرّ به على عين الدكتور مبارك ؟ »

وما أحب أن أعود إلى تشريح مقال الأستاذ الزيات ، لأنه مقال محزن ، وأنا أخاف على نفسى وعلى القراء من النظر فيه من جديد

ولكن لا بأس من النظر فى التجربة التى يقترحها أخونا الزيات ، وهو يريد أن أرى العالم مرة من وراء ذلك المنظار الذى نقل فهمه للدنيا والناس من حال إلى أحوال

وأسارع فأقول : إن ما رأيته بالعين الطبيعية فيه الكفاية وفوق الكفاية ، فمن الرفق برجل فى مثل حالى أن تُعفى عيناه من النظر إلى الناس بمنظار يفضح ما خفى واستتر من دقائق المساوى والعيوب

الزيات هو الذى يحتاج إلى منظار يرى به خلائق الناس ، لأنه كثير التلطف والترفق ، ومن كان كذلك فهو قليل التعرض لآفات الناس ، ومن هنا يقلّ علمه بما فيهم من دميم الغرائز وذميم الخصال

أما أنا ، فقد دخلت على الناس فى جحورهم وأوكارهم ، وما زلت أهيجهم بقلمى حتى أسمعونى أعنف ما يملكون من هرير ونباح وعواء . وهل ابتُلى أحد بأهل زمانه كما ابتُليت ؟ وهل عانى أحد من لؤم زمانه بعض ما عانيت ؟

وهل بين قراء اللغة العربية فى مصر والشرق من يجهل بليتى بزمانى ؟

لقد شكوت دهرى وشكوت ثم شكوت ، حتى عطف علىّ أعدائى ، فما حاجتى إلى منظار أرى به المستور من خلائق الناس ، وقد اكتوتْ يدى واكتوى قلبى بالسمير الذى يتمرد كلما سمع باسمى أو رآنى ؟

ويزيد فى الغم والكرب عرفانى بأنى لم أكن رجلاً لئيما حتى ألقى من الناس ما قاسيت . وهل رأى الناس فى القديم والحديث صديقاً فى مثل أدبى وكرمى وسخائى ؟ ومن هو الرجل الذى يجرؤ على القول بأنه أعرف منى بالواجب ، وأحفظ للعهد ، وأحرص على مقابلة الجميل بالجميل ؟

وهل كان الذين ينوشوننى بألسنتهم وأقلامهم إلا خلقاً بنيتُ أقدارهم بقلمى ولسانى ؟

دلونى على صديق واحد أسأت إليه فى محضر أو مغيب !

لو كنت رجلاً لئيما لنسفت أعدائى وخصومى فى يوم أو يومين ثم استرحت من التفجع على مصاير الناس إلى مهاوى البغى والعقوق؛ ولكنى رجل كريم يكره الغدر ويستعيذ بالله من العدوان على الناس ، وذلك بابٌ من الضعف الشريف ، وأنا به مزهوٌ مختال

وما الذى ينكر علىّ أهل زمانى حتى يصدونى بغدرهم عن الثقة بأبناء آدم وحواء ؟

أنا أعرف ما ينكرون علىّ ، فقد ساءهم أن أسجل ما فى زمانى من صغائر ومعايب وموبقات . ساءهم أن أفضح سرائر الأدعياء ، وأن أقهرهم على الاستهانة بالأدب الزيف لتُقبل عقولهم وأذواقهم على الأدب الصحيح

وهل أخطأت حتى ألقى من بغيهم ما لقيت ؟

إن أعدائى يقولون فى كل وقت إن مصر هادية الشرق ، فكيف يُلام من يوجّه المصريين إلى أصول الصدق والعدل لتصح لهم السيطرة الأدبية على الشرق ؟

وهل يعرفون لى ذنباً غير هذا الذنب الجميل ؟

إن كان فى هذا البلد من يؤمن بأنه ضحّى فى سبيل الأدب بأعظم مما ضحيت فليتقدم ليحمل بعض ما أحمل من ثقال الأعباء

ذلك رأيى فى نفسى ، وهو حق ، فليكذبنى من يجرؤ على مصاولتى من أهل الأدب والبيان

وما قيمة مصر فى الشرق أو الغرب إذا صح لأهلها أن يقهروا رجلاً مثلى على اليأس من العدل ؟

وبأى حق يدعونى الناس إلى التلطف والترفق وأنا لم أر منهم غير الظلم المُبين ؟

وفى أية شريعة يفرض على الرجل المظلوم فى وطنه أن يعلن أنه من السعداء ؟

ومن الذى يراجع الظالمين إذا سكت قلم الأديب ؟

حدثونى كيف يسكت من يرى أصدقاءه يأكلون لحمه بلا تهيب ولا إشفاق ؟

حدثونى كيف يَحرُم الغضب على رجل يرى تخلُّف العقل فى بلد يستطيل أهله على الشرق باسم العقل ؟

نحن فى مصر التى سبقت جميع الشعوب إلى المدنية ، فمن حقنا عليها أن نرجو حرية التعبير عما نعاني من معاطب وحتوف

ومن يسمع شكوانا إذا تجاهلت مصر أننا بفضل جبروتها أشقياء ؟!

إلى من نتوجه إذا تعامى الوطن الغالى عن مآسينا الدامية ؟ آه ! ثم آه ! !

فى وطن الأزهار والرياحين تموت أفئدة وقلوب

وفى الوطن الذى شرع مذاهب العدل بوحى النيل الذى لا يخلف الميعاد تموت أرواح حساسة واعية معدوًّا عليها بسهام الظلم البغيض

فى وطن النيل الذى لا يخلف الميعاد تضيع جميع المواعيد

إحذروا ، ثم احذروا من أن أراكم بعين الناقد ، يا أبناء هذه البلاد

لقد نظرت إليكم بعين المحب فلم أر غير مآثم ومنكرات ، فكيف تكونون لو نظرت إليكم بعين الناقد المنصف ؟ كيف تكونون وأنتم حرب على الصديق الأمين ؟

ويريد الزيات أن أراكم من وراء المنظار الذى كشف له من الطبائع مالم يكن يعرف ، فهل يظن بى السفه والحمق حتى أتعرض للمستور من عيوبكم ومساويكم !

أنتم أجمل الخلق فى أعين من يرونكم من بُعد ؛ ولكنكم « أجمل » الخلق فى أعين من يرونكم من قرب ، وأنا منكم قريب ، فما أعظم شقائى !

إسمعوا ، يا بنى آدم من أهل هذه البلاد

أنتم وثقتم بأدبى ، وليس فيكم من يخاف أن أضيع عليه حظًّا غنمه بأى سبب من الأسباب ، وبفضل هذه الثقة تجترحون ما تجترحون ، فخوضوا كيف شئتم فى أوشال الأكاذيب والأراجيف ، فلن أجازيكم بغير الصفح والغفران

هات المنظار ، يازيات ، هات

هات المنظار لأرى به عيوبى ، وأنسى التفكير فيما عانيت من أصدقائى ، ويرحم الله عهداً كان لى فيه أصدقاء !

حملت المنظار لأرى عيوبى ، فماذا رأيت ؟

رأيتنى أخطأت أعظم الخطأ حين توهمت أن بنى آدم هم جميعاً من طراز ذلك الصديق النادر الذى صعُب عليه أن أعيش وكان يحب أن أموت !

وهل هناك جُرم أقبح من الجرم الذى اقترفت ؟

مضت أعوام وأعوام وأنا أتلقى فى كل يوم رسائل من قلوب تُقسم بأنها قادرة على الطب لجروح قلبى ، فهل استمعت نداء تلك القلوب ؟

أنا أتلقى فى كل يوم رسائل من فلسطين وسورية ولبنان والحجاز واليمن والعراق وتونس والجزائر ومراكش فهل فكرت فى الإجابة عن تلك الرسائل الودية ؟

وكيف وأنا أتجاهل ما يصل إلىّ من أصوات القلوب فى مصر والسودان ؟

وكان ذلك لأنى يئستُ من بنى آدم بفضل الأصدقاء الذين سقيتهم الشهد فسقونى الصاب !

فما الذى يمنع من الاستجابة لدعاء تلك القلوب ؟

ما الذى يمنع وأنا أعيش محروماً من نعيم الصداقة والحب ؟

وهل يرفض من يعيش فى مَسبَعة أن يخرج إلى الحواضر المأهولة بأرواح الناس ؟

يمنع من ذلك أن أطياف الغادرين تصدمنى حيثما توجهت ، فالدنيا كلها هى وجوه الذئاب التى شقيتُ فى تربيتها لتقوى على مضغ لحمى وعَرق عظامى

الدنيا كلها هى فلان وفلان وفلان الذين خلدت أسماءهم فى مقالاتى ومؤلفاتى ليصح لهم البغى علىّ باسم الأدب والدين

هات المنظار ، يا زيات ، هات

حملت المنظار لأرى عيوبى ، وما أكثر عيوبى !

رباه ، رباه ! !

ما هذا الذى أرى ؟

ذلك صديق أهجم عليه هجوماً صوريًّا لأرفع اسمه بين الأسماء فيراني من الأعداء

وذلك رفيق أدله على الخير فيرانى من الآثمين

وذلك صاحب تشغلنى الشواغل عن زيارته فيرانى من الغادرين

وذاك أخ عزيز لا تهمه غير الظواهر ويغفل قلبه عن الخدمات التى أؤديها إليه فى المغيب فيرانى من الجاحدين

فلأية حكمة خلق الله بعض الناس بلا بصائر ولا قلوب ؟

أيكون الله أراد أن يمتحننا بخلقه حتى نؤمن صادقين بأنه صاحب الفضل الأول والأخير فى الطب لجراحنا الدامية ؟

إن كان ذلك ما يريد فقد رضينا بما يريد

ولكن الله يعلم أننا أصغر من أن نأنس بنجواه . ولا بدّ لنا من مخلوقات نساقيها كؤوس الود حين نشاء ، ونرى فيها صور أحلامنا وأوهامنا حين نريد ، فتى يمنّ الله علينا بأطياف تلك المخلوقات ؟

كم تمنيت أن أراك فى خلقك ، يا فاطر الأرض والسموات . ولو استطعت لشغلت نفسى بك عن خلقك . وكيف أستطيع وأنا لا أملك السموّ إليك ، أيها الروح المسيطر على جميع الوجود ؟

أنا أعترف بذنوبى

لى أصدقاء ضيعتهم ، وكنت من الظالمين

منهم ذلك الروح الذى شقى فى أن يُنطق لسانى بالاعتراف بأنه صديق ، والذى يكتب إلىّ ما يكتب ثم لا يظفر بجواب

وكان فى يدى أن أملك ذلك الروح ملكا أبدياً وأن أصوغ من نجواه رسائل وقصائد أسيطر بها على الخلود

توسل إلىّ ذلك الروح أن أحفظ عهد الوفاء وأن أعلن أنى له صديق ليحدّث أهله بأنه موصول الأواصر برجل له قلب

ومن أجل هذا الروح الذى أخلفتُ آماله كل الإخلاف تحكم المقادير بأن أعيش فى دنياى بلا صديق

فيا أيها الروح الذى يحدّث أهله بأنى لا أنساه ولن أنساه ، أيها الروح الذى يدعونى فلا أجيب ، إعرف ثم اعرف أن الله انتقم لك منى ، فأنا اليوم بلا صاحب ولا رفيق

هات المنظار ، يا زيات ، هات

هات المنظار لأرى عيوبى ، وما أكثر عيوبى !

هات المنظار لأرى الأسرة المكونة من أربعة أرواح ، الأسرة التى ودعتنى بالدمع المحرق يوم الفراق

فإن سمعتم ، يا قرائى ، أننى سأقضى بقية العمر فى كرب وبلاء ، فاعرفوا أن ذلك جزاء الغدر لمن يتناسى فضل تلك الأرواح

غرتنى منزلتى الأدبية فتجاهلت أقدار تلك الأكباد الرقاق ، فتى أرجع إلى مساهرة النجوم فى صحبة الأكباد الرقاق ؟

فإن قتلنى اليأس من عدل الأهل والأصدقاء فقد كنت الظالم الأثيم

والله أرحم من أن يعاقب قلباً يعترف بذنوبه وخطاياه

أنا باقٍ على العهد يا أحبابى ، ويرحم الله من قال :

لقد صَدَدْنا كما صددتم ... فهل ندمتم كما ندمنا

زكى مبارك

بين دين محمد ودمه

للأستاذ على حيدر الركابى

وددت الكتابة فى هذا الموضوع بالنظر إلى احتدام الجدل بين طائفتين من الناس فى بلاد الشرق العربى : طائفة تنتصر للإسلام وهو دين محمد (ص) ، وطائفة تنتصر للعروبة المستندة إلى فكرة الدم — دم محمد صلى الله عليه وسلم

أما أنصار الإسلام فهم فى الغالب من رجال الدين الذين خشوا أن تعانى الموجة القومية عليه، فانتصبوا فى وجهها يحاربون العروبة ومن ينطق بها ظناً منهم أن ذلك يحمى الإسلام، وفاتهم أن الفكرة القومية مهما تطرفت لا تقضى على الإسلام الصحيح، وإنما يقضى عليه بقاؤه على هـذه الحال المؤلمة المشوهة من الانحطاط والبعد — بشكله الحاضر — عن فكر الجيل الحديث وروحه . فهم إن أرادوا نصرة الإسلام وجب عليهم أن يقوموا بإصلاحه وذلك بإعادته إلى أصله الصافى

وأما أنصار العروبة فهم فى الغالب من الشباب المندفع ، الباحث عن فكرة سامية يعتنقها، الشباب الذى وقف حائراً لأنه وجد نفسه ضائعاً ولا دليل يهديه فى موطنه، فتوجه بأنظاره نحو الغرب حيث خيل إليه أن الفكرة القومية سائدة فاعتنقها وتحمس لها بدون روية أو تعمق . وإذا ذكر الإسلام لأنصار العروبة نفروا منه لأنهم باتوا لا يرون فى بنائه الفخم الرائع فى الأصل سوى جدران بالية عبثت بها يد الزمان وشوهتها الحوادث والبدع فحكموا عليها بالهدم بدلاً من أن يسعوا إلى إزالة التشويه وتقويم البناء . وأغلب الظن أنهم اختاروا الهدم لسهولته، ولأنهم يجهلون هندسة القصر الأصلية وتاريخه الفريد فلا يريدون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث والتنقيب

لقد استمر الأخذ والرد بين الفريقين فكانت ساحاته المجالس الخاصة والعامة ، ثم انتقل إلى الكتب وظهر على صفحات الجرائد والمجلات ، ولعبت أصابع المبشرين وغيرها من الأصابع الأجنبية الخبيثة فقوت الخلاف ونجحت فى تحويله إلى نزاع مستحكم سيقضى فى النتيجة على كلتا الفكرتين القومية والدينية — أى العروبة والإسلام — إن لم يتدارك الأمر عقلاء القوم ، فهم إن سكتوا عن هذه الفوضى فى الأفكار والتردد بين المبادئ جعلونا نضيع الشيئين ونخفق فى بناء نهضتنا على أساس قويم

ولكى نجلو كل إبهام قد يعلق بالأذهان لا بد لنا من تحديد معنى الفكرتين القومية والدينية بوضوح حتى نتمكن من معرفة ما إذا كانت إحداهما تعارض الأخرى من حيث الأساس أم لا :

دم محمد (ص)

إن المبدأ القومى السائد كما يفهمه المشتغلون بالقضايا العامة فى الأقطار العربية كلها — ذو غاية سامية ثابتة، ألا وهى السعى إلى تحرير العرب وتحقيق الوحدة العربية . قد يختلف العرب على الخطة الواجب اتباعها لنيل استقلالهم ، فمنهم من يؤمن بالحرية الحمراء ويبذل فى سبيلها دمه وماله ، ومنهم من يميل إلى اللين ويعتقد الصلاح فى التفاهم والمفاوضة على أسلوب « خذ وطالب » . وقد يختلف العرب أيضاً على الشكل الذى ستتخذه الدولة العربية المتيدة والزمن الذى تتكون فيه : أتتألف من ولايات متحدة ، أم تتكون من حكومات مستقلة متحالفة بمعاهدات تعقدها على غرار الحلف العربى المعقود بين اليمن والمملكة السعودية والعراق ، أم تصبح دولة متحدة فى كل شىء : فى عاصمتها وحكامها وأنظمتها الخ ... ؟ ومتى يمكن تحقيق هذه الوحدة ، أفى المستقبل العاجل ، أم فى المستقبل الآجل؟ قد لا يتفق العرب على كل هذا، إلا أنهم على اختلاف مشاربهم مجمعون على الهدف الأسمى الذى لا يرضون عنه بديلاً ، وهو الحرية والوحدة .

هذه غاية القوميين ، وهى غاية صالحة بدون شك ؛ فإن فى الأمة العربية العناصر الأساسية الكافية لتشكيل دولة متحدة. هناك تاريخ مشترك قد ولد رابطة قوية لا تنفصم عراها ، وهناك لغة واحدة وتراث أدبى واحد ، وبالإضافة إلى ذلك فإن المصلحتين الاقتصادية والسياسية تقضيان بأن يتحد العرب .

أما من الناحية الاقتصادية فإن البلاد العربية اليوم فى حاجة ماسة إلى نوع من الاتحاد الذى يوجد بينها تعاوناً وثيقاً لاستثمار الثروات الطبيعية الموجودة فى أراضيها ، وتصريف المنتجات المحلية ، والسيطرة على التجارة . إن أرضنا تضم كنوزاً من الذهب والفضة والنفط والفحم الحجرى والقار والكبريت، وتنتج مقادير

كبيرة من الحبوب والفواكه والقطن وغيرها ، وتجرى فيها الأنهار العظيمة ، أو تهطل الأمطار الغزيرة فتروى التربة الغنية ، وتتمتع بمناخ ممتاز يصلح لمختلف الأعمال فى مختلف المواسم ، وتقع فى مركز متوسط بين دول العالم تستفيد منه تجارتها ... إن بلاداً هذا شأنها يجب أن تنمو ثرواتها العامة والخاصة بشكل يضمن لها استقلالها الاقتصادى ، حتى يصبح لها اعتبار فى الأسواق الدالية يمكنها من تسخير مالها الوافر لتشييد صرح نهضتها الشامخ . إن أمة أسبغ الله عليها هذه النعم لا يجوز أن تعيش عيشة المتكل الكسول الذى يكتفى من زمانه بلقمة حقيرة يطعمه إياها من هو غريب عنه : يطعمه القليل بيده اليسرى ويتناول الكثير لنفسه بيده اليمنى ، ولن يقضى على هذا الاتكال غير الاتحاد .

وأما من الناحية السياسية ، فالأمة العربية ضعيفة فى أجزائها قوية فى مجموعها . ومن درس التاريخ استنتج أمرين : الأول أن حياة الأمم الصغيرة قصيرة ، والثانى أن البلاد العربية - وهى حلقة الوصل بين الشرق والغرب ، والجسر الذى تتبارى الدول للاستيلاء عليه - لم تنجح فى رد المعتدى إلا عند ما كانت متعاونة على دفعه ، كما أنها لم تنل حظها من العظمة إلا بالاتحاد. ولذا فلن يبقى للدول العربية الحالية وجود مستقل ، ولن تنمو وتتقوى إلا بالوحدة العربية ، لأنها عاجزة عن الوقوف ، منفردة فى وجه الطامع .

هذه حقيقة الفكرة العربية القومية وهذه دوافعها ، ومتى أوضح أنصارها مراميهم الآنفة الذكر قضوا على كل اعتراض ، لأنها فكرة صحيحة تدعمها الحجج والبراهين القوية . ومع ذلك فإن بعض القوميين المتطرفين يسيئون إلى الفكرة الأصلية باندفاعهم الطائش ولجوئهم إلى نظرية لا لزوم لها ، ألا وهى نظرية الدم . فالمناداة بالفكرة القومية المستندة إلى أساس العنصرية الضيقة لا يزيد المبدأ القوى قوة وإنما ينفر بعض العناصر التى تعيش فى الأقطار العربية ولكنها لا تنتمى إلى أصل عربى . هذا فضلاً عن أن نظرية الدم فاسدة من أصلها وخصوصاً فى الأقطار العربية وذلك بسبب الموجات البشرية التى اكتسحتها فى شتى العصور مما أدى إلى اختلاط الدماء حتى بات إرجاع الأفراد إلى أصلهم الحقيقى أمراً يكاد يكون — فى الغالب — فى حكم المستحيل . إن الأقليات العنصرية الموجودة فى البلاد العربية قادرة على تعطيل سيرنا إذا عوملت معاملة الغريب المحروم الاشتراك معنا فى تحقيق أهدافنا بدرجة ما هى راغبة فى التعاون معنا إذا أدركت القصد الحقيقى من الفكرة العربية، واطلعت على الفوائد الجمة التى ستجنيها هى من جراء اتحادها بأمة متحدة قوية . فلنكن مخلصين ولنبدد مخاوفها التى يغذيها المستعمر . علينا أن نؤكد لها أننا لا نريد القضاء عليها . وعلينا أن نفهمها أنها جزء مهم من أجزاء الأمة العربية التى لا تتألف من جماعة من الناس ينتمون إلى عدنان أو قحطان ، بل هى مجموعة من الأفراد الذين اشتركوا فى تاريخ واحد فبعثت ذكرياته القريبة والبعيدة فيهم شعوراً مشتركاً ألف بينهم فدفعهم إلى السير نحو هدف واحد يرى إلى تحقيق حريتهم ووحدتهم . ويضاف إلى هذه الرابطة العاطفية التى هى الأساس روابط أخرى توثق العلاقة بين هؤلاء الأفراد ، كاشتراكهم فى اللغة وتجاورهم فى الديار وأن دين الأكثرية منهم واحد

إننا إن عملنا على نشر المبدأ القوى على حقيقته هذه حفظناه من كل شائبة وضمنا نجاحه .

دين محمد (ص)

إن للفكرة الإسلامية مفهومين مستقلين ومتناقضين ويجب بيانهما بادئ ذى بدء :

فهى فى نظر البعض حركة ترمى إلى (ا) سيادة المسلمين على غيرهم من أتباع الأديان الأخرى و (ب) تحقيق الوحدة الإسلامية الكبرى و (ج) تنصيب خليفة للمسلمين . هذه هى الأهداف التى يتصور أصحاب المبدأ القوى أن كل مؤيد للمبدأ الدينى يقصدها . وهى الأهداف التى يهاجمونها بشدة ويتخذونها سبباً مبرراً لانصرافهم عن كل ما له صلة بالدين . والواقع أن الكثرة من أنصار الإسلام — أو ، على الأقل ، الشباب منهم — لا تحمل هذه المبادىء ، وإنما يعتنقها ويحلم بتحقيقها جماعة من (الجموديين) الذين قبعوا فى بيوتهم بعد أن أقاموا بينهم وبين العالم الخارجى جداراً كثيفاً يقيهم حر (التطور) وبرده، ويحفظ آذانهم من أن تصل إليها صيحات

المسلمين الضالين فى كل قطر . إنهم لا يسمونها ولذا لا يقومون بإرشادهم إلى تعاليم دينهم البسيطة والتى هم فى أشد الحاجة إليها ، بل يقفون فى مكانهم وهم يرددون بمناد مجيب : « المسلم أفضل من غيره، وسينصره الله عما قريب ! .. الوحدة الإسلامية أولاً وأخيراً ! ... لا بد للمسلمين من خليفة ! . . . » لقد فاتهم أن المسلم الذى ينصره الله قد كاد ينمحى أثره حتى لم يبق اليوم سوى أشباه المسلمين ، كما فاتهم أن الوحدة الإسلامية لن تتحقق إلا بعد أن يعود المسلمون إلى حظيرة الدين وتُبعث فيهم الروح الإسلامية من جديد[1] ، وأما تنصيب خليفة للمسلمين فهو أضعف مطالبهم ، ويكفى أن يعودوا إلى كتبهم ويطالعوا بحث (الخلافة) فيها ليدركوا أن شرطاً واحداً من شروطها غير متوفر الآن ، لا فى الخليفة المتيد ولا فى الرعية . ولذا فإن أهدافهم ، مهما سمت ، تظل بعيدة عن حدود الإمكان ولا بد من أن يسبق تطبيقها أمور كثيرة تمهد لها السبيل

إن فهم الفكرة الإسلامية بهذا المعنى مما يضعفها ويجعلها عرضة للانتقاد ، كما أنه يجعل الأمم والملل الأخرى تنظر إلى كل ما هو إسلامى بعين المرتاب ، فضلاً عن أنه يصرف كل مخلص محب للاسلام مؤمن برسالة نبيه (ص) عن الاشتغال بالقضايا الإسلامية .

فما هى إذاً الفكرة الإسلامية الصحيحة الخالية من كل هذه المحاذير ؟

(للبحث صلة)

على حيدر الركابى
بغداد (الرستمية) دار المعلمين الريفية

(١) كما أن الوحدة الاسلامية لن تتحقق ما لم تسبقها الوحدة العربية كما بين أستاذنا « أبو خلدون » فى عدد سابق

قصيدة لم تنشر

لشاعر الحب والجمال لامرتين

بقلم الأستاذ صلاح الدين المنجد

عاد لامرتين فى عام ١٨٤٤ إلى نابولى ، تلك المدينة التى ألقت قدميها فى الماء ، وتركت البحر يدغدغها والنسيم يقبلها . وكانت زيارته الثالثة لهذه البلدة التى خلّفها فى صباه ، وخلّف وراءه فيها « جرازيلا » الحبيبة تعانى لجمة البين ، ولوعة الحب ، ووله الحنين . وطاب له المقام ، فأقام فى جزيرة صغيرة بالقرب منها ، يرتع بين حُلم موشى ، وعيش هادئ ، وتذكّر قاتل . وطافت به أشباح الأحباب فى السنين الخوالى ، ورأى جرازيلا تهدهده بالنغم البارع فوق ثبج البحر ، وتحزنه بالشكوى المحرقة فى ذلك القصر العتيق . فجاش فى صدره شعر باك حزين ، برغم السنين الأربعين التى عمرها ، وبرغم هذه الشعور التى تشبه غبشة الفجر . وماله لا يقول الشعر الحزين وقدمات الهوى وفقد الحبيب ، وهو بعيد عن وطنه ، وحيد على سِيف هذا البحر المائج كالغلام اليافع ، فقال عشرين بيتاً من الشعر عثر عليها منذ حين فى مجموعة نادرة مخطوطة لأشعار لامرتين فى مكتبة السيد لويس بارتو الخاصة ، ولم تكن قد نشرت من قبل . وهأنذا أنقلها للناس :

عندما كنت فتى ، ملء بردىّ الفخار ،
نشرت أجنحتى أمام أرواح (١) البحار
فحملت شُرُع القوارب أفكارى وسارت
وراحت أحلامى تتوثب فوق ُمرّ الأمواج

***

كنتُ أرى فى ثنايا الموج الذى يغرق الأفق فيه
عوالم تزخر بالحياة ، وجزائر تطفح بالسرور ؛
تطفو ، موشاة بالياسمين ، مزدانة بأغصان الكروم .
وكان الحب يناديني منها ، والنصر يمد لى معه اليدين

كنت أغبط كل سفينة ببيضَ من حيزومها الزبدُ
تسمى جذلانة تبنى الشاطئ المجهول .
واليوم ، أجلس على سيف الخليج الثائر
أذكر الماضى ، فأخوض تلك الأوادىّ ثم أعود

***

لشد ما أحببت هذه البحار التى ما أزال أهواها
كما أهوى حقلاً رفرف الحزن عليه ،
دفنت فيه أجنحتى ، فمالها تنطق فى كل مكان :
ذلك ، لا كما هويت من قبل عالم المنى والأحلام

***

لقد رقد هذا الشاطئ بحزن ، وأذابت هذه الصخرة نفسى ،
وذوت سعادتى فى هذا الهدوء الخادع .
وهنا ، صعقتنى صاعقة هبطت من السماء
فولّت الموجات تسمى ، تحمل كل واحدة منها
قطعةً من قلبى المكلوم ...

(دمشق) صلاح الدين المنجد

(١) الأرواح : الرياح

الفروق السيكلوجية
بين الأفراد
للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

الفروق العقلية

يعتبر الفريد بينيه — كما ذكرنا فى المقال السابق — زعيم النفسيين الذين وضعوا مقاييس علمية للذكاء ، وقد ترجمت مقاييسه مهذبة إلى الإنجليزية فى أمريكا وانجلترا ، وإلى معظم اللغات الأوربية، وإلى اليابانية أيضاً. ومن هذه المقاييس المترجمة والمعتمدة حتى الآن مقياس « استنفورد بينيه المهذب » . غير أن مقياس بينيه بصيغته ووضعه يتطلب أن يمتحن كل فرد على حدة ، وتلك عملية طويلة مملة ، ويحتاج إلى زمن ومجهود ، كما أنه لا يناسب الأفراد الذين يرهبون الامتحانات الشفهية التى يواجهون فيها الممتحنين ، ولذلك فكر علماء النفس فى نوع آخر من المقاييس يقاس به الجمع من الأفراد. وكان دخول أمريكا فى الحرب الكبرى سنة ١٩١٧ من العوامل التى جعلت الحاجة إلى هذا النوع من المقاييس الجمعية ملحة . فقد أرادت السلطات الحربية الأمريكية أن تعزل من المتقدمين للخدمة العسكرية ضعافَ العقول لأن هؤلاء لا يصلحون لحمل السلاح ونزول الميدان ، كما أرادت أن تختار من بين الصالحين لحمل السلاح أفراداً ذوى ذكاء يمرنون للوظائف ذات التبعات كوظيفة الضباط والقواد ، ولم يكن من الممكن عملياً استخدام « مقياس استنفورد المهذب » ولذلك اجتمع علماء النفس الأمريكيون ووضعوا نوعين من المقاييس الجمعية : نوع يسمى « مقياس ألفا » ، وهو لفظى تحريرى لمن يقرءون الإنجليزية ويكتبونها ، ونوع يسمى « مقياس بيتا » ، وهو تحريرى غير لفظى للأجانب الذين لا يعرفون الإنجليزية والأميين الأمريكيين ، وقد طبع كل من النوعين ، وكان يوزع فى كراسات على الجنديين . وبذلك أمكن اختبار آلاف منهم فى دقائق معدودة

ومن الاختبارات التى احتواها « مقياس ألفا » عمليات حسابية عادية فى الجمع والطرح تتدرج فى الصعوبة من أول الصفحة إلى آخرها . وعلى الممتحن أن يقوم بهذه العمليات بأسرع ما يمكن وفى زمن محدود . و كذلك منها صفحة بها عمودان من الكلمات المألوفة ، والكلمة التى فى العمود التالى إما مرادفة للكلمة التى قبلها فى العمود الأول أو مضادة . وكل ما يطلب من الممتحن هو أن يكتب أمام الكلمتين حرف (ر) إذا كانتا مترادفتين ، أو حرف (ض) إذا كانتا متضادتين[١] . ومنها صفحة بها جمل كلماتها موضوعة فى غير ما نظام معنوى ، وعلى الممتحن أن يضعها فى نظام بحيث يستقيم المعنى مثل : النور شروق يظهر الشمس عند[٢] . ومثل جملة : جريمة النفس الدرجة عن القتل للدفاع من الأولى[٣] ، ثم يذكر إذا كانت الجملة قضية صادقة أم كاذبة . ومنها أيضاً صفحة ملأى بالأسئلة لمعرفة الأسباب المعقولة لحوادث عادية مألوفة كالسؤال : لم يستعمل معدن النحاس فى الأسلاك الكهربائية ؟ ألأنه يوجد فى الولايات المتحدة ، أم لأنه جيد التوصيل ، أم لأنه أرخص المعادن ؟ وعلى الممتحن أن يضع علامة على السبب المعقول . وأما «مقياس بيتا» فهو لا يحتاج إلى قراءة أو كتابة لفظية ، ومن اختباراته : اختبار تكملة الأجزاء الناقصة فى الصور المرسومة فى صفحة من الكراسة ، كتكملة العين الناقصة فى وجه إنسان ، أو الأذن فى وجه حمار . ومنها تكرار رموز على نظام خاص مرسوم فى الكراسة كهذا النظام مثلاً : + OX + OX . . . . أو هذا النظام O — + XO — + X . . . . ولكل من هذه الاختبارات درجة . والنسبة المئوية لدرجات كل فرد تعين مقدار ذكائه . وقد ظهرت صلاحية هذين النوعين من الاختبارات فى الجيش الأمريكي ، وانتشر استعمالها وبخاصة « مقياس ألفا » فى المدارس الأمريكية والإنجليزية . وقد بلغ عدد الجنود الذين امتحن ذكاؤهم بهذين المقياسين نحو مليونين

وقد استرعت نتائج هذه المقاييس أنظار علماء النفس ، فقد وجدوا — بصفة عامة — أن أذكى الجنود هم أولئك الذين يحترفون مهناً علمية أو فنية كالمحامين والأطباء والمدرسين والمهندسين الخ Professional men ، ويليهم فى الذكاء التجار والكتبة ، وبعدهم الميكانيكيون العاديون ، وأخيراً يجىء العمال

(١) الأصل فى الانجليزية (S) يعنى Same أو (O) يعنى Opposite

(٢) نظام الجملة الصحيح هو : عند شروق الشمس يظهر النور . والقضية صادقة

(٣) نظام الجملة الصحيح هو : القتل للدفاع عن النفس جريمة من الدرجة الأولى ؛ والقضية كاذبة

وذوو المهن اليدوية[١] . وليس معنى ذلك أن كل فرد من طبقة المحامين والأطباء والمدرسين الخ أذكى من أى فرد من طبقة التجار والكتبة . لا ، بل الذى وجد هو أن الطبقة الأولى كمجموعة أذكى من الطبقة الثانية كمجموعة . وإن كان من بين أفراد الطبقة الثانية من يفوق فى الذكاء بعض أفراد فى الطبقة الأولى . وربما يتساءل القارئ : وهل لنوع المهنة أثر فى الذكاء ؟ والجواب على ذلك هو أن للذكاء أثراً فى اختيار المهنة لا العكس . لأن القاعدة العلمية هى أن من لا يواتيه ذكاؤه للدراسات الجامعية أو العالية يقف دونها ، وبذلك يختار من المهن ما يناسب مؤهلاته دون الجامعية ، ويناسب فى الوقت نفسه ذكاءه المحدود

نموذج لبعض اختبارات الذكاء الجمعية غير اللفظية التى لا تحتاج إلى قراءة أو كتابة ويطلب من المختبر أن يضع علامة × على الشكل الذى لا يتفق مع بقية أشكال الصف فى نوعها أو جنسها المشترك كما فى الصف الأول والثانى والثالث

كان من عناية رجال التعليم فى أمريكا وأوربا باختبارات الذكاء الجمعية ، أن استعملوها مع امتحانات القبول بالمدارس مختلفة الأنواع والجامعات . ففى انجلترا مثلاً يعقد امتحان لتلاميذ المدارس الأولية فى سن الحادية عشرة لاختيار من يصلح منهم للمدارس الثانوية ، ومن يصلح للمدارس الوسطى الفنية ، ولمنح المجانية للمتفوقين ذكائياً . وقد أصبحت اختبارات الذكاء الجمعية مستعملة مع امتحانات التحصيل الدرسى .

وأثبتت نتائج اختبارات الذكاء الجمعية تلازماً مع نتائج الامتحانات المدرسية فى معظم الحالات . وفى الحالات التى حصل فيها اختلاف ظهر بعد البحث والتحليل مرة أخرى أن اختبارات الذكاء إنما قاست الذكاء الفطرى الذى لم تستطع الاختبارات الدرسية كشفه . أو أن الاختبارات المدرسية قاست مقدار التحصيل الدرسى فقط . ولذلك يوصى المربون وعلماء النفس أن تستعمل اختبارات الذكاء مع الاختبارات المدرسية ، حتى نحكم حكماً صحيحاً على ذكاء الفرد وتحصيله

وهناك نوع من اختبارات الذكاء يسمى « الاختبارات العملية » Performance tests ، وميزة هذه الاختبارات أنه يسهل استعمالها مع صغار الأطفال الذين لم يألفوا بعد استعمال الورق والقلم كالتلاميذ عند التحاقهم بالمدارس الأولية ، وفيها تقاس أيضاً القدرات الذكائية العملية التى تتطلب الانتباه والتفكير ، كما تستعمل بدلاً من مقاييس الذكاء اللفظية التى لا بد فيها أن يكون المختبر ملماً بالقراءة والكتابة واللغة ، وفى هذا النوع من الاختبارات العملية يطلب إلى المختبر أن يكوّن صورة لشىء ، أو شخص من عدة قطع من الورق المقوى أو أن يبنى مكعباً كبيراً من مكعبات صغيرة فى أقل زمن ممكن وبأقل عدد ممكن من محاولات خاطئة أو أن يملأ فراغات منتظمة فى لوحة خشبية ، كفراغ مثلث أو مربع أو نجمة أو متوازى أضلاع أو جزء من دائرة . وهذا النوع من اختبارات الذكاء هو أقدم[١] الأنواع التى حاولها علماء النفس . وتوجد منه الآن عدة مجموعات مقننة شائعة الاستعمال فى المدارس الفنية والمصانع والشركات فى أوربا وأمريكا

ولعل القارئ بعد هذا العرض لأنواع مقاييس الذكاء يتساءل : وما هو ذلك الذكاء الذى كثر الكلام عنه ، وما طبيعته ، وما الفرق بين الذكاء الطبيعى والذكاء المكتسب ؟

وموعدنا المقال القادم للاجابة عن هذا كله .

(بخت الرضا — السودان) عبد العزيز عبد المجيد

(١) أنظر كتاب « دراسة الحياة العقلية » للأستاذ ودورث صفحة ٤٥

(١) أنظر صفحة ٤١ من Psychological Tests of Educable Capacities



أيام فى القرية

لن أجد إذا أردت التعبير عن مبلغ حبي لقريتى كلاماً أجمل ولا أصدق من كلام أستاذنا صاحب « الرسالة » . ولست أزيد عليه سوى أنى أعيش فى القرية أبداً إذا جئتها كواحد من فلاحيها؛ فأنا أخالط هؤلاء الفلاحين ، وأتكلم بلهجتهم ، وأؤدى ما أريد من المعانى بألفاظهم ، وأضرب فى الحديث أمثالهم ، وأنهج فى سوق الكلام نهجهم، لا أتكلف ولا أتعسف؛ إذ لا حاجة بى إلى ذلك ، وأنا قروى قبل كل شىء، ومثَلى إذا عدت إلى قريتى كمثل النبات ، تنقله إلى بيئته ، فيبدو لك من خصائصه ما لا يبدو إلا فى تلك البيئة ...

هبطت القرية وبينى وبين العيد يومان ، وتركت منظارى لينظر من ورائه صاحب « الرسالة » ، فيستعيذ بالله آخر الأمر منه ، ويسألنى فى ختام حديثه البارع الممتع : أرسله إلىّ أم يجرّبه على عين الأستاذ المبارك ... وما درى أن لى فى القرية غير ذلك المنظار الذى لا ينفذ فيها إلى مثل ما ينفذ إليه فى المدينة ، ونسي أن للمبارك عيناً لا تحب المنظار ، لأنها تنفذ وهى عارية إلى كل شىء ولو كان بينها وبينه أكثف ستار !

درت بمنظارى هذا فوقع من حياة « القرية » ومجاليها على ما لو طاوعت قلمى فى سرده ، لضاق عنه عشرة أمثال هذا المجال . وحسبى أن أقصر الكلام على ما كان أعمق أثراً فى نفسى بين ما شاهدت ...

شاعت الخضرة فى الحقول ، ورف فى مزارعه بين بطاح البرسيم نُوّار الفول ، واهتزت الأرض أخيراً وزخرت بالحياة ، بعد أن فعلت بها دودة البرسيم أياماً طويلة ما لا يفعل الجراد ، فالتهمت جوعها الخفية العنيدة ، البراعم الطرية الوليدة ، وتركت الناس حيارى لا يجدون لما أصابهم من علة ، إلا أنه غضب من الله ... وأبهجت نفسى مظاهر الحياة والبشر فى النبات الرفيف والشمس الصاحية ؛ بيد أنى وا أسفاه رأيت إلى جانبها مظاهر الموت والعبوس فى الجدران الناضبة والأشجار العارية على جانبيها، ثم فى تلك البهائم العجاف المزيلة التى تلتهم البرسيم فى نهم، ولا تنال منه إلا بقدر .

وجاء العيد فكان من أجمل معانيه وقعاً فى نفسى تحية أهل القرية جميعاً بعضهم بعضاً وتصافحهم إذا ما التقوا لا فرق بين غنى وفقير، ولا بين كبير وصغير، ثم تزاور الناس منذ خروجهم من صلاة العيد إلى متوع النهار جرياً على أصول لن تعرف فى المدن إلا بين من تربطهم صلة من قرابة أو من صداقة . وكثيراً ما يقوم فيها مقام الشخص ما يدفع إلى الخادم أو فى صندوق البريد من بطاقة ...

وارتاحت نفسى لحظة لهذا المعنى؛ غير أنى ما لبثت أن كدرنى خاطر طاف بنفسى؛ وهو أن عيد هؤلاء القرويين كطبيعة حقولهم، فهذا البشر الذى يبدو على وجوههم يكاد يشف عما وراءه من همّ جلبته عليهم الأزمة التى حلت بهم من هلاك الزرع وبيع القطن بثمن بخس ، ولن تغرب شمس هذا اليوم حتى يعودوا إلى ما كانوا فيه من عناء ونكد

ورأيت العيد فى دنيا الأطفال غير العيد فى دنيا الكبار ، فهؤلاء الصغار هم الذين ينعمون حقا بالعيد. وهم الذين ينجلى بهم معنى العيد ؛ ولكم بث مرآهم من النشوة فى قلبى ، وبعث من جميل الذكريات فى أطواء نفسى ، فذقت السرور الصادق برهة فى تذكرى أيامى التى خلت، والتى كان قصاراى فيها حلتى الجديدة وقروشى القليلة وتمتعى ساعة بالأرجوحة التى أسمع صليل (جلاجلها) النحاسية وصرير أخشابها العالية ، ولكن بأذن وا أسفاه غير تلك الأذن الصغيرة ! وما أعجب هذا السرور الذى يجر فى أعقابه الأسف والكآبة ...

وخرج الصبايا أسراباً عصر يوم العيد كعادتهن إلى الترعة البعيدة ، يحملن جرارهن ويتجملن بحليهن ويخطرن فى جديد ملابسهن والشباب يأخذون عليهن الطريق جماعات جماعات ، وهم مزهوون بحللهم الجديدة وطواقيهم الناصعة البياض وعصيهم الرفيعة من الخيزران ... ولكن نظرات البنات فاترة ساهمة، فليس من هؤلاء الفتية فى هذا العام الباحثُ الخاطب والزوج المرتقب، وقد قل المال ورفعت الحرب ثمن كل شىء

وتجمعت فى الأفق ظلال الغروب وراحت تطوى نور النهار وبهجة العيد معاً ، وأويت إلى دارى أعد فى نفسى ما تصرم من أيامى فى القرية وأحصى ما بقى منها، وأعجب لسرعة انقضاء الأيام هنا على هذا النحو ، وأقول متى يقبل الصيف لأقضى فى قريتى ما أقضى كل عام من شهوره . وكان آخر سؤال طرأ على خاطرى: متى يعنى أدباؤنا بالريف وحياته فيصدق هذا الأدب وتتضح معالمه ويذهب عنه ما يعلق به من بهرج زائف وتقليد سخيف ؟

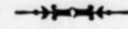
(عين)

أقاصيص

بين الخوارزمى والهمذانى

للأستاذ على الجندى

(تتمة)



كان دخول الرئيس أبى جعفر وصاحبيه الحربى والحِيرى ، بمثابة هدنة نفَّست عن المتناظرَيْن ، وأتاحت لهما قسطاً من الجمام ، فهدأت الشقاشق ، وسكنت الزماجر ، وأحسبهما أنِسا بدخول الرئيس ، وارتاحا إلى هذه الهدنة وودَّا أن يمتد أجلها ! ولكن الرئيس لم يحضر لفضّ النزاع وحسم الخلاف ، بل أن كغيره ليرى تصاول المقول وتخاطر الفحول فى ميدان المعقول والمنقول !

فما إن فرغ من السلام ، وأخذ مجلسه بين الصدور المقدمين حتى تولى توجيه المناظرة ، فاقترح أن ينشدا رويّة على وزن اختاره فتلمّظ البديع بلسانه ، وسرعان ما أنشد اثنى (١) عشر بيتاً منها :

برز الربيع لنا برونق مائه	فانظر لروعة أرضه وسمائه
والترب بين مُمسَّك ومُعنبر	من نَوْره ، بل مائه ورُوائه
والماء بين مُصَندل ومُكفَّر	فى حسن كُدرته ولون صفائه
والطير مثل المحصنات صوادح	مثل المغنّى شادياً بغنائه
زمن الربيع جلبت أزكى مَتجر	وجلوت للرائين خير جلائه
فكأنه هذا الرئيس إذا بدا	فى خلقه وصفائه وعطائه
ما البحر فى تزخاره ، والغيث فى	أمطاره ، والجوّ فى أنوائه
بأجلّ منه مواهبا ورغائبا	لا زال هذا المجد حِلف فنائه

ثم أنشد الخوارزمى على هذا المثال تسعة أبيات لم نعثر عليها فى مظانها

وقد وصفها البديع : بأنها جمعت بين إقواء وإكفاء وأخطاء وإبطاء ! وأنه أخذ عليها عشرين مأخذاً ! وذكر أنه اتجه إلى عميدى المجلس الوزير والرئيس ، فقال — مشيراً إلى الخوارزمى بعد فراغه من الإنشاد — : لو أن رجلاً حلف بالطلاق أن لا أقول شعراً ، ثم نظم تلك الأبيات التى قالها الخوارزمى ، هل كنتم تطلقون عليه امرأته ؟ فهتف الجماعة : لا يقع بهذا طلاق !

ثم طلب البديع إلى الخوارزمى أن ينقد أبياته المتقدمة (برز الربيع لنا برونق مائه ...) فقال الخوارزمى : قلت : أنظر لروعة أرضه وسمائه ، ويقال : انظر إلى كذا . فلم تسمع منه الجماعة

وشبهتَ الطير بالمحصنات ، ثم شبهتها بالمغنيات . وأى شبه بين المحصنات والطير ؟ ثم كيف توصف المحصنات بالغناء ؟

فرد البديع : يا رقيع ! إذا جاء الربيع كانت شوادى الأطيار تحت ورق الأشجار ، فيكن كأنهن المخدرات بين الأستار ، والطيور فى الخدور كالمحصنات ، وكالطير فى ترجيع الأصوات

ثم قال الخوارزمى : وقلت : زمن الربيع جلبت أزكى متجر . هلا قلت : جلبت أربح متجر ؟ فقال البديع : ليس الربيع بتاجر يجلب البضائع المربحة

ثم قلت : كالبحر فى تزخاره ، والغيث فى أمطاره ، والغيث هو المطر . فقال البديع : لا سقى الغيث أديباً لا يعرف الغيث ! الغيث هو المطر ، وهو السحاب . فصدقه الحاضرون

وهنا قال الإمام أبو الطيب الصعلوكى : قد علمنا أى الرجلين أشعر ، وأى الخصمين أقدر ، وأى البديهتين أسرع ، وأى الرويّتين أصنع !

ثم مال المتناظران إلى فنون أخرى ظهر فيها فوقُ البديع ، ووافق ذلك ملالة الحضور فشرعوا فى الانصراف ، وهم يثنون على البديع ويسلقون الخوارزمى بألسنة حداد !

وهمّ الخوارزمى بالقيام فأصيب بإغماء ! فانحنى عليه البديع متمثلاً بقول بشر بن عوانة :

يعزّ علىّ فى الميدان أنى قتلت منافسى جَلَداً وقهرا
ولكن رمتَ شيئاً لم يرمه سواك ، فلم أطق يا ليث صبرا

ثم أخذ يمسح عن وجهه ! ويقبل بين عينيه ! ويقول — على سبيل الاستهزاء — : إشهدوا أن الغلبة له !

ثم مدت الموائد وتكوّف حولها الحضور لتناول الطعام ، وكأن الظفر فتح شاهية البديع ! فجعل — كما يصف نفسه ويصف خصمه — يكرع فى الجفان ، ويسرع إلى الرغفان !

(١) هنا تضارب بين رواية ياقوت ورواية الرسائل وقد رجحنا الثانية

ويمعن فى الألوان ! والخوارزمى يتناول الطعام بأطراف الأظفار ! فلا يأكل إلا قضما ، ولا ينال إلا شمّا !

وقد بلغ من جفوة البديع وتحجر مشاعره أنه لم يرع للطعام حرمة ! فاتخذ خصمه هزءا وسخرية ! وتناوله بفنون من التندر اللاذع حتى استكفّه الوزير بقوله : قد ملكت فأسجح

ولما قام الخوارزمى عن المائدة — وقد خنقه تبرح الغيظ — قال للبديع : لأتركنك بين الميمات . قال : ما معنى الميمات ؟ قال : بين مهدوم ، مهزوم ، محموم ، مرجوم ، محروم ! فقال البديع : وأتركك بين الميمات أيضاً : بين الهيام ، والصدام ، والجذام ، والحمام والسّام[(١)] ، والزكام ، والبرسام[(٢)] والسقام ! وبين السينات : بين منحوس ، منخوس ، منكوس ، ممكوس ! وبين الخاءات . من مطبوخ ، ومسلوخ ، ومشدوخ ، ومفسوخ ، وممسوخ ! وبين الباءات : بين مغلوب ، مسلوب ، مرعوب ، مصلوب ، مركوب منكوب ، منهوب ، مغصوب[(٣)] !

ثم انفض المجلس وخرج البديع تحفه هالة من أصحاب الشافعى السُّنية ، يتبارون فى تعظيمه وإجلاله ! ويوسعونه ضماً وتقبيلا !

وقبع الخوارزمى فى مكانه حتى غربت الشمس ، فعاد إلى داره كسير القلب خافض الطرف كاسف البال !

وكان لهذه الهزيمة وما لابسها من تألب أهل بلده عليه ، وخذلانهم له ، وقع شديد على نفسه ! فدلفت إليه العلل ، وألحت عليه الأوجاع ، فلم ينقض الحول حتى وافته المنية فى شوال سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة هـ

ومن الغريب أن اعتلاله لم يخفف من حقد خصومه عليه ! فكتب بعض سِفْلتهم إلى البديع يهنئه بمرضه ! فرد عليه البديع بكتاب لبس فيه مسوح الرهبان ، ومرقعات الصوفية ! ومن الإنصاف . أن نشيد بما انطوى عليه من أريحية ونبل ولعل مرد ذلك إلى الصفاء الذى يساود النفوس بعد أن تهدأ فورتها ، وتنجلى عنها غشاوة الباطل ! فتوقن أن المجد كله لله والعزة له جميعا ! ولعل مرد ذلك أيضاً إلى أن الظفر بالقِرن يُحلّ الضغينة ويمحو غليل الصدور ، بل يستحيل — على تراخى الأيام — إلى عطف ورثاء ! وشواهد التاريخ على ذلك كثيرة

قال البديع فى كتابه : الحرُّ — أطال الله بقاءك — لا سيما إذا عرف الدهر معرفتى ، ووصف أحواله صفتى ، إذا نظر ، علم أن نعم الدهر ما دامت معدودة فهى أمانىّ ، وإن وجدت فهى عوارىّ ، وأن محن الأيام — وإن مطلت — فستفد ، وإن لم تصب فكأن قد ، فكيف يشمت بالمحنة من لا يأمنها فى نفسه ، ولا يعدمها فى جنسه ، والشامت إن أفلت ، فليس يفوت ، وإن لم يمت فسيموت . وما أقبح الشماتة بمن أمن الإماتة ، فكيف بمن يتوقعها بعد كل لحظة ، وعقب كل لفظة . والدهر غرثان ، طُعمه الخيار ، وظمآن شربه الأحرار . فهل يشمت المرء بأنياب آكله ؟ أم يسرّ العاقل بسلاح قاتله ؟ وهذا الفاضل ـ شفاه الله ـ إن ظاهرناه بالعداوة قليلاً ، فقد باطناه ودا جيلاً . والحر عند الحمية لا يُصطاد ، ولكنه عند الكرم ينقاد ، وعند الشدائد تذهب الأحقاد . فلا تتصور حالتى إلا بصورتها من التوجع لعلته ، والتحزن لمرضته . وقاه الله المكروه ، ووقانى سماع المحذور فيه ، بمنّه وحوله ، ولطفه وطوله !

ولما مات الخوارزمى رثاه البديع ، ولعله اقتدى فى ذلك بجرير فى رثائه للفرزدق قال[(١)] :

حنانيْك من نفْس خافت ولبيْك عن كمد ثابت
تحمّلت فيك من الحزن ما تحمّله ابنُك من صامت
حلفتُ:لقد متّ من معشر غنيّين عن خطَر المائت
يقولون : أنت به شامتٌ فقلت : الثّرَى بفم الشامت
وعزّت علىّ معاداته ولا مُقدارَك للفائت

ورثاه أبو الحسن الرقاتى فأحسن وأساء :

مات أبو بكرٍ وكان امرأً أدهمَ فى آدابه النسرّ
ولم يكن حُرًّا ولكنه كان أمير النطق الحرّ

ورثاء البديع للخوارزمى قد يصور لنا طرَفاً من الحرقة واللوعة التى يجدها النظير لفقد نظيره ! ولكنه لا يكشف عن

(١) الموت (٢) الجنون
(٣) زهر الآداب ٢ — ١٥٥ — ١٥٦ تفصيل وضبط وشرح الدكتور العلامة زكي مبارك

(١) اليتيمة ٤ — ١٩٦ — ١٩٧

شيء من فضائل المرثي كما هي سنة الرثاء، حتى لقد قال بعض النقاد: إنه لم يخل من الدس والسعاية !

ومهما يكن من شيء فقد كان البديع أكرم نفساً وأسنى طبعاً وأعف بياناً من الصاحب بن عباد الذي قال حين بلغه موته :

أقول لركب من خراسان قافل : أمات خوارزميكم ؟ قيل : لي نعم
فقلت : اكتبوا بالجص من فوق قبره : ألا لعن الرحمن من كفر النعم !

وبانتصار البديع أولاً وبموت الخوارزمي ثانياً ، نبه ذكره واستطارت شهرته ، ونفقت سوقه لدى الملوك والأمراء والوزراء، وتهادته الأقطار والأمصار ، فلم تبق بلدة في خراسان وسجستان وغزنة إلا دخلها ، فحسنت حاله وكثر ماله وفشت نعمته

وأراد – بعد امتلاء الوطاب وانتفاخ الجراب – أن يستمتع بالراحة ، ويتملى النعيم ، فتخير (هراة[1]) دار قرار ، وصاهر فيها الحسيب النسيب أبا على الحسين الخشنامي ، فآوى منه إلى ركن شديد ، واقتنى بمعونته ضياعاً فاخرة

ولكن القضاء العادل كان واقفاً له بالمرصاد فأخذه ولم يفلته !

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

فمن قائل : إنه مات مسموماً ؛ ومن قائل : إنه أصيب بالجنون ؛ وهناك رواية وثيقة تقول : إنه اعترته غشية فظن به الموت وعجل له الدفن ، فأفاق في قبره وسمع صياحه بالليل ، فشقوا عنه فأصابوه قابضاً على لحيته وهو ميت من هول القبر ووحشته !

وكان ذلك يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة هـ

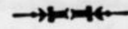
نسأله تعالى حسن الخواتيم !

علي الجندي

(١) مدينة حصينة الموقع في مملكة الأفغان الحديثة ، تعد ثالثة مدنها بعد كابل وقندهار ، وكانت مشهورة قديماً بصباحة الوجوه والشمس الجيد ويقال : إن الذي بناها الاسكندر المقدوني

الفنان (*)

للآنسة زينب الحكيم



الفنان إنسان منقب ، يغريه الأمل فيسبح فى خيالات خلابة، أو يؤنسه القدر فيراع ، وهو على أية حال يكونها متنقل متفنن ...

تعاف نفسه الاستقرار ، ويؤلمه الجمود ، هو إنسان دقيق الشعور مرهف الحس، يدرك من وراء الظواهر ما لا يدركه غيره؛ فإذا أصاب الهدف فبشّره بفلاح عظيم ، إذ تسمو مداركه ويمرن نشاطه ويخلد فنه ؛ وهو كلما طال وقت اختباراته دقّ إدراكه ونفذ إلى ما وراء خيالاته ومشاهداته ، وكلما صمت نطقت ريشته ، ودوى نغم وتره ...

امتحان

اختبر مرة فنان صينى ماهر تلاميذه — فكلفهم رسم جبل فى بلادهم يسمى « جبل الأسرار » ، ومن فوقه وحوله الهيا كل للعبادة .

رسم الطلاب الجبل بإتقان ، وأظهروا حوله الهيا كل ، فجاءت رسومهم نماذج باهرة ، وراحوا إلى أستاذهم فخورين ؛ ولكن كان نصيبهم جميعاً الرسوب فى الامتحان ، إذ قال لهم أستاذهم : إن رسومكم التى أرى ، إن دلت على شىء ، فلا تدل على أكثر من أشياء ظاهرية مادية ساذجة ، مما يشير إلى أن خيالكم قاحل وفنكم بدائى ، ولم تحاولوا تفهم نفوسكم حتى تستطيعوا نحت شىء منها يخلد به تصوركم لجبل الأسرار وما يحيط به .

لقد كان يكفى يا تلاميذى أن ترسموا هيكل الجبل من بعيد ، وقد اختفت أجزاء منه : إما فى ضباب ، أو زوبعة ، أو وراء السحب ؛ وقد كان يكفى الرمز إلى وجود هيا كل حوله وعلى قمته بأن ترسموا راهباً أو اثنين يجلبان ماء من مجرى الماء بالوادى ، أو من مساقط المياه القريبة ليصعدا به على الجبل . ويكفى ما يشير إليه عملهما من وجود الرحمة والتضحية والتجرد ، كما يكفى هذا لفهم دلالة الرسم على ما قصد به .

هكذا الحياة شك ويقين ، ووضوح وغموض ، ويأس وأمل ، وصدق وكذب ، وخداع ووفاء ، وشدة ورخاء ، وحب وكره ، وغير ذلك مما لا حصر له من الأضداد .

مسكين الإنسان يضل بين هذه جميعاً ، يخدعه البصر حيناً وتخادعه الحواس أحياناً . تثيره الموسيقى وتشممه الفلسفة ، فيصير نوراً فى الأنوار أو روحاً فى الأرواح . حياته نهب بين الشدائد والتأملات . الشدائد تصقل نفسه من جهة وتنمى خياله التأملات من جهة أخرى ، فيضيف إلى شخصيته شخصيات متعددة كلما مرت به حادثة أو اختلجت قسماته وتأثرت أعصابه . ولكن هل إدراكه محدود؟ هذا ما يحيرنى . أما نشاطه فمحدود بتحلل هيكله ، ولكن نشاطه الإدراكى هل يزول أيضاً وينتهى إلى الأبد كما ينتهى الجسم ؟!

صورة

أتخيل الآن تحفة من روائع الخيال والفن الصينى ، أهدتها إلى بعثة الإخاء الإسلامية الصينية (نزيلة القاهرة فى شهرى مارس وابريل ١٩٣٩)

هذه الصورة بها أعشاب مزهرة ، وبها طيور خواضة . وقف ثلاثة منها معاً على العشب المائى ، ولفت نظرى سماتها المختلفة فواحدة كأنما تجدّ فى إخفاء وجهها ، وتحاول إغماض عينيها فلا تريد أن يراها أحد أو ترى أحداً ؛ وواحدة تكابد يأساً قاتلاً وهماً مقيماً ؛ والثالثة تطأطئ رأسها وقد وقفت على ساق واحدة فى إعياء وخفض جناح

والناظر إلى ثلاثتها لا بد أن يشفق عليها، ويعجب من أمرها. وفى أعلى الصورة طائران يحلقان معاً فى ضوء البدر الخلاب وقد قاربا أزهار العشب وهما يهبطان بالتدرج ، ويطمئن الناظر إليهما لما تضفيان عليه من سمات الانشراح والاطمئنان والسعادة

فى الصورة شىء آخر أحاول تذكره فلا تسعفنى الذاكرة ،

(*) الفنان كما أفهمه لا كما ينص عليه قاموس اللغة .

وقد صممت ألا أرى الإطار حتى أذكر ذلك الشيء ، الذى أذكر موضعه فى الجهة اليسرى من أعلى الصورة ، ولكنى لا أذكر إذا كان جبلاً أو إنساناً أو حيواناً أو غير ذلك ... غريب هذا ! إن جميع ألوان الصورة حاضرة فى مخيلتى بجميع دقائقها من ظل وألوان وحجم وتناسق وكل شيء إلا ذلك الشيء المنسى فى أعلى الصورة من الجهة اليسرى ... ترى ما هو وما دلالته ، ولماذا أهملته باصرتى وذاكرتى ، ولا يمكن أن أتصوره فقد انمحى أثره من مخيلتى تماماً ؟!

إن زهر العشب السامق بألوانه المشوبة بالحمرة والصفرة ، والمتناثرة زهوره ينطوى فيها كل معانى فصل الخريف ، الذى يهيج فى كل قلب ما يكمن ، ويثير فى كل نفس مشجاة شجنها

والطير الممثل فى الصورة هو نوع من البط غير الأليف الطيار ، يتصف بشدة الوفاء ، فإذا مات إلف وترك أليفه ، فإنما قد ورثه الحزن والوحدة ، فيموت كمداً وحزناً على إلفه الراحل ، فيقاطع الطعام والشراب ، ولا يطير إلا منفرداً ، ولا يمكن أبداً أن يتخذ إلفاً غير إلفه فى الفترة التى يعيشها بعده طالت أو قصرت

وهذا الطير من الطيور المهاجرة (القواطع) فيعرف فصول السنة وعيزها ، ولذلك ينتقل من الشمال إلى الجنوب فى الشتاء ، ولما عرف عن هذا البط الطيار من شدة الوفاء ، يهدى للعروسين فى بلاد الصين يوم عقد القران لهما دليلاً على الوفاء

أخيراً أذهب إلى الصورة لأرى الشيء المنسى ، ... إنه بيت من الشعر ، مكتوب فى سطرين باللغة الصينية معناه : « وراء هذه الزهرة تكمن معانى الخريف »

هل كان يصح منى أن أنسى هذا البيت من الشعر وهو الذى يفسر معنى الصورة ؟! لقد مررت وأنا أكتب هذا المقال بمواضع فيها من تداعى المعانى ما يذكرنى بالشيء المنسى ولم أذكره ، وكان لا بد لى من الذهاب إلى الإطار لأراه

عجباً ! كأن المصور اتهم بيان صورته عما أراده منها ، أواتهم الجمهور فى فهم بيانه وما تشير إليه صورته ؛ إن يكن قد اتهم نفسه فقد قسا فى اتهامه ، وإن يكن قد اتهم الجمهور فقد عدل فيه ، فلا يفهم الصور فيما تشير إليه من معان إلا أهل الفن والخواص من الناس

وإنسان الفن لا يريد إيضاحاً كلامياً ، ولهذا كان بيت الشعر بالنسبة للذاكرة شيئاً قليل الأهمية

وكيف يمكن أن أذكر هذا وأنسى براعة الفنان المدهشة فى الإلماع إلى كون معانى الخريف وراء أزهاره الشاحبة فى ضوء القمر الكامل الاستدارة ! لقد أخفت أزهار العشب الملوحة بالحمرة والصفرة جزءاً يسيراً غائراً من طرف القمر ، فكان قلباً دامياً — ثم يقطر دماً

فيا أيها الفنانون المدعون ، هل تسيرون وفق طبائعكم أو تخالفونها — فلا تبصرون ولا تفقهون ، ولا تؤدون رسالاتكم المتوقف أداؤها على البصيرة ؟! !

زينب الحكيم

رسالة الشعر

موكب الوداع

[بمناسبة مرور العام الأول على وفاة فقيد الأدب والشباب الشاعر « الهمشرى »]

للأستاذ علي محمود طه

هذا الرحيقُ فأين كأس الشاعر ؟ … قدأوحش الأحباب َليل ُالسامر!
لمَ يا حياةُ وقد أحلَّك قلبَه … لمْ تؤثريه هوى المحبّ الشاكر ؟
أخليتِ منه يديكِ حين حُلاهما … من ذلك الأدب الرفيع الباهر
لو عاش زادكِ من غرائب فنِّه … ما لا يُشبِّهُ حسنُه بنظائر
وظفرتِ من تمثيلهِ وغنائه … بأدقِّ مِثالٍ وأرخم طائر
أملٌ محا المقدارُ طيفَ خياله … وتخطفته يدُ الزمان الجائر
وأصار فرحتَنا بمُقبِلِ يومه … مأساةَ ميْتٍ في الشباب الباكر
متوسّداً شوكَ الطريق ، مُلثّماً … بجراحه ، مثل الشهيد الطاهر
رُدُّوا المراثيَ يا رفاقَ شبابهِ … لن تُطفئوا بالدمع لوعةَ ذاكر
هذا فتًى نظم الشبابَ وصاغه … وحياً تحدّر من أرقِّ مشاعر
جعل الثلاثين القِصارَ مدًى له … والخلدَ غايةَ عمره المتقاصر !
غنُّوهُ بالشعر الذى صدحتْ به … أشواقه لحنَ الحبيب الزائر
غنُّوهُ بالشعر الذى خفقت به … أنفاسه لحنَ الحبيب الهاجر
تلك القوافى الشارداتُ حشاشةٌ … ذابتْ على وَتَر المغنِّى الساحر
فتسمّعوا أصداءها فى موكبٍ … للموت محتشدِ الفواجع زاخر
مشتْ الطبيعةُ فيه بين جداولٍ … خرسٍ ، وأدواحٍ هناك حواسر
ولو استطاعت نضدّتْ أوراقَها … كفناً له ، والنعشَ غضَّ أزاهر
ودَعتْ سواجع طيرها فتألفتْ … أمماً تخفُّ إلى وداع الشاعر !

* * *

يا ابن الخيال تساءلت عنك الذُّرى … والشهبُ بين خوافقٍ وزواهر
وشواطئٌ محجوبةٌ شارفتَها … فوق العواصف والخضمِّ الهادر
أيُرَى جناحُك فى السماء كعهده … متوشّحاً فلَقَ الصباحِ السافر !
أيُرى شراعُك فى الساء كعهده … متقلداً حلَقَ السحاب الماطر ؟
هدأ الصراعُ وكفَّ عن غمراتهِ … من عاش فى الدنيا بروح مغامر
وطوى البلى إلا قصيدةَ شاعر … أبقى من المثل الشرود السائر
شعرٌ تمثّلَ كلَّ حسٍّ مرهفٍ … لا رصفَ ألفاظٍ ورصَّ خواطر
وَدُمًى مفضّحةَ الطلاء كأنها … خُشبُ المسارح مُوِّهتْ بستائر
تتمثل التاريخ فى أزيائهِ … بين المصفّقِ وابتسام الساخر
من صنع نظّامين جهدُ خيالهم … مسحُ الزجاج من الغبار الثائر
متخلفين عن الزمان كأنهم … أشباحُ كهفٍ أو ظلال مساحر
يا قوم إنَّ الشعر روحانيةٌ … وذكاء قلبٍ فى توقّدِ خاطر
نظر الضريرُ به فأدرك فوق ما … لمستْ يدُ الآسى وعينُ الناظر
متعرفاً صور الخلائق ، سابراً … أعماقَ أرواحٍ وغوْرَ سرائر
هذى عروس الزّنج ليلتُه التى … أدمتْ بكفٍّ حُلّيتْ بأساور
والنجمُ أشواقٌ ، فمهجة عاشق … وذراع معتنق ، ووجنة عاصر !
الشعرُ موسيقى الحياة موقّعاً … متدفقاً من كلِّ عرق فائر
عشاق « بابل » لو سُقوا بنشيده … لم يذكروها بالرحيق الساكر
وتنصتتْ أقداحُهم لمغرّدٍ … مَرِحٍ يصفق بالبيان الساحر
أو كان كلّمَ برجها بلسانهِ … والقوم شتّى ألسنٍ وحناجر
لم نشك من عِوَج اللسان ووحّدت … لهجات هذا العالم المتنافر !

علي محمود طه



العيد

أيتها الأيام السعيدة الهاربة من عمل الدنيا ببراءتها من الشقاء ،

أيتها الأيام الصغيرة المتلألئة فى ظلام الزمن بأفراح السعادة ،

أيتها الأيام الذاهلة عن معانى الآلام !

أنت هكذا أبداً ، وهكذا أبداً تعودين ...

ولكن هل تستطيعين أن تمنحى الناس جميعاً بعض سعادتك وأفراحك ولذاتك البريئة ؟

هل تستطيعين أن تمنحى العقول المتغضّنة من الهم والكِبَر أفكاراً غضّة ناعمة كأحلام العذارى ؟

الحرب

كانت أيام العيد هدنة سكنت فيها الأخبار المحاربة بمعانيها فى أذهان الناس وعواطفهم ؛ وانقطعت الصحف الأخبارية أياماً عن الظهور ، فانقطع أكثر الحديث عن الحرب المخيفة بأوهامها قبل حقائقها ، وهدأ الناس

أذكرتنى هذه الأيام المسالمة بتأثير الحرب فى الأدب ، وحملت إلىّ صوراً كثيرة مما قرأت فى الصحف والمجلات الأدبية ، ولا أدرى ، فيخيّل إلىّ أن المجلات الأدبية منذ بدأت الحربُ إلى اليوم قد أفرغت كثيراً من صفحاتها للحرب ، وشرحت صدرها لكثير مما يتعلق بها ، ومع ذلك لا أكاد أجد إلا القليل من هذه الأحاديث يصلح أن يكون من أغراض المجلات الأدبية ، وإنما هو بأغراض الصحف اليومية الأخبارية أليق وألصق . ومن الوهم التفشى أن يدّعى مدع أن أثر الحرب لا بد أن يكون كذلك ، وأن مثل هذه الأحاديث هى سمة الحرب على أدب الأدباء ، فإن أثرها فى فكر العامة لا يكاد يخرج عن مثل ذلك . أما أثرها على الأدباء فهو أشد تغلغلاً فى طوايا النفس ، وأشد هزاً لعواطف الإنسانية . فإذا أقررنا أن الحرب إنما تتدافع فى صدور الأدباء والشعراء ورجال الفن لتكون كالتيار الذى يتدافع بالبحر فينشئ له الأمواج المتصارعة المتدفقة مخافة أن يركد فيأسن ، لم نجد بُدًّا من اعتبارها كالمدد للمعانى الخائفة التى تنزوى فى كهوف النفس الإنسانية السامية الطامحة ، تجرّؤها وتذمرها وتؤلبها من هنا وهنا لتتعارف وتتساند وتندفع إلى غمارها بجدة إلى المثل الأعلى الذى هو أحلام النفوس الرفيعة الدائبة أبداً إلى الأغراض النبيلة

فإذا كان ذلك كذلك ، فأثر الحربِ إنما هو تنبيهٌ للمعانى والأغراض التى تحيك فى صدور الأدباء والشعراء ، وتطريق للمسالك الغامضة التى يراد منهم أن يمهدوها ويكونوا أدلاء للناس فى مجاهلها ومنكراتها . إن الصحف اليومية الأخبارية عليها أن تمد الناس بأخبار الحرب وصفاتها وصفات بلادها المتحاربة ، وعواقبها الدانية أو البعيدة لأحداثها ، ولكن مهمة الأدباء الذين يمارسون تحرير المجلات الأدبية أن يتعقبوا معانىَ أسمىَ من هذه المعانى المبتذلة التى توضَعُ عن أفكار الناس حين تضع الحرب أوزارها ؛ عليهم أن يسبقوا أحداث الحرب بتمهيد جديد إلى حياة أخرى تبرأ من الغرائز الدنيئة التى دفعت العالم إلى هذا الشر البغيض الذى لا غرض له إلا استبداد السلطان ، واستعباد الناس بعضهم لبعض . وإذن فهم - لا بد - يبحثون عن العلل والأمراض التى داخلت المدنية الحديثة ، فجعلت قوة الافتراس فيها هى الأصل الذى بنيت عليه عقائدها وأعمالها ، غير متحيزين إلى فئة بعينها . فإن الأسلحة المشرَعة الآن فى جميع الصفوف لن تعرف بعدُ معنًى إلا معنى الحرب وحدها بوحشيتها وجوعها وقرمها ... لن تعرف إلا الدّمَ وشهوة الدم ، وتنقرض العواطف الرقيقة التى تملأ النفس ورعاً وتقوى وحناناً . وإذا استبان لهم مكنون هذه العلل استطاعوا أن يمهدوا السبيل للحياة الجديدة البرأة من أسبابها الباغية ، فنمونا شرها ثم شر الآثار والعواقب التى تأبى شياطين الحرب إلا أن تزينها للباقين والناجين من أحلامها

هذا هو عمل الأدباء والشعراء على الاختصار والإجمال . أما أن يتوهم متوهم أن أثر الحرب إنما يكون إذ يلوك أخبارها وأحداثها ويعضها فى لفظه وعبارته مضغ الكلأ ، فذلك شىء لا يقع عليه إلا عقل العامة الذين لا ينفذون فى المعانى إلا على

الوهن والضعف والفساد . إن أفكار الأدباء التي تسمو بألفاظها ومعانيها سمو الروح بين خوافق السماء ، وإن أحلام الشعراء التي تختالُ في زينتها رقيقة ناعمة أو ثائرة مُتفجرة — هي أحبُّ إلى نفوس الناس في زمن الحرب ، لأنها تنفيس عنهم من كرب الحروب ، وإخراج لهم من حمأة الدم الذي ينشر رائحته مع كل نَفَس ، ثم هي التمهيد الصحيح لتهذيب النفس الإنسانية وتربيتها والتسامي بها عن المنى الحيواني الضاري الذي تنشّئه الحروب في مهد من الأشلاء والدم

العقل المصرى !!

كتب الأستاذ (محمود المنجورى) كلمة فى السياسة الأسبوعية (١٥٥) يريد أن يكشف بها عن (طبيعة العقل المصرى ، ومدى تأثرها بالانقلابات) الاجتماعية أو السياسية أو الدينية . وساق حديثه فيها إلى وزارة الشؤون الاجتماعية . ونحن نتجاوز عن بعض الخطأ الذي وقع الأستاذ فيه عصبيّة للعقل المصرى كما يسمّيه ، كدعواه أن إنشاء الأزهر كان نتيجة للأسباب الفكرية والاجتماعية والروحية ـ التى نشأت فى مصر فيما يرى ـ فأريدَ إقامة الدعوة الفكرية المتميزة عن صواحباتها فى سائر العالم الإسلامى بإنشاء هذا المعهد العلمى العظيم . ولا شك فى أن هذا تأويل غير جيد لحقائق التاريخ ، فإن الفاطميين هم أنشأوا هذا المسجد الجامع لأول فتحهم لمصر ، ولم يكن للعقل المصرى إذ ذاك كبير شأن ولا صغيره فى دفع الفاتحين إلى إقامة هذه العمارة فى مصر ، وإنشاء الأزهر كان لغرض فى نفس الفاطميين أصابوه أو أخطأوه ... فليس ذلك من شأننا هنا

وأيضاً فأنا إلى اليوم لا أكاد أعرف شيئاً يمكن أن يسمى « العقل المصرى » أو « العقل الإنجليزى » أو « العقل الفرنسى » وهلم جراً ، حتى يوضع فى كفة وحده أعدت له فى موازين العقول ، وليس قيام المدنيات بأجزائها على « العقل » حتى يمكن أن يقال إن العقل المصرى هو استطاع أن يبقى خالداً والمدنيات من حوله تفنى وتبيد . حقًّا إن مصر — وغير مصر من الأمم التى كانت منزلاً لمدنيات كثيرة متباينة — قد احتفظت مع هذه المدنيات بأشياء امتازت بها ، ولكن هذه الأشياء المميزة لم يكن مردُّ أكثرها إلى العقل بل كان مردها إلى الطبائع التى أنشأتها إرادة الإقليم المسيطرة على الطبائع الإنسانية ، وإلى العادات المتوارثة التى لم تقاومها هذه المدنيات مقاومة الحرب والإبادة ، فلذلك بقيت هذه المميزات قائمة سائرة متعارفة ، فيخيل لبعض من لم يَغْبُرْ إلى أعماق هذه المخلفات أنها ظواهر عقلية مع أن الحق غير ذلك

ونحن نجد الجنس من الناس ينزل أرضاً غير أرض ، فما يمضى الجيل أو الجيلان حتى تفنى الميزات الجنسية فى نسلهم من أبنائهم وأحفادهم ، ويبدأ الوطن الجديد بطبيعته المستبدة فى تحويل هذا النسل إلى طبائعه التى تلائم تربته وسماءه وجوه وحاجات سكانه ، فكذلك المدنيات إذا نزلت أرضاً خضعت لما يخضع له الإنسان الحى المتحدر من أصلاب قوم غير سكانه الأوائل ، وجعلت تتميز بضرورات الإقليم الطبيعية

ولماذا يريد كثير من الكتّاب أن يجعلوا عقول أممهم بدْعاً فى العقل الإنسانى ؟ لا أدرى ؛ وما يكاد يدرى أحد من هؤلاء ما هو العقل ، وكيف يتميّز فى الإنسان ، أو كيف يتبيّن فى الأفكار أو المدنيات مكان العقل من مكان غيره من الغرائز والطبائع والدوافع وما إلى ذلك من الأشياء التى تشترك فى نتاج الفرد ثم فى إنشاء المدنيات الاجتماعية ؟ ولو استطاعوا لأبانوا لنا — على كثرة ما يقولون — عن موضع واحد يقولون فيه هذا « صنع العقل » الفلانِىّ . إن العقل المصرى كغيره من العقول يقبل كل شىء ، ولكن طبائع الإقليم تريد أشياء وتنفى أشياء لأنها لا تستطيع البقاء فى سلطانها . إن جوهر الأشياء كلها لا يتغير فى العقل بعد العقل ، ولكن الأعراض هى التى يصيبها التبدُّل والتغيير لأنه من طبيعتها أوّلُ ، ولأن العقل لا يعمل فيها عملاً إلا للتدبير والتصريف وحسب

***

وقد عرضَ الأستاذ (المنجورى) فى مقاله هـذا إلى عهد الاحتلال وما صنعت سياسته فى أخلاق مصر وتعليمها ، وكيف حطم بجوره وعدوانه كل الصلات القوية التى يعتمد عليها ترابط الكيان الاجتماعى ؛ فتمزقت الجهود المصرية فى الإصلاح ،

واستبدَّت الشهوات الجارفة بأخلاق الطبقات كلها ، ففشل الاجتماع المصرى فى إرادته ، وقام على أساس فاسد من الأخلاق حتى صار أكثر ما نرمى إليه غرضاً فردياً لا قيمة له فى البناء الاجتماعى ، ومن هنا استبد المستبد وصارت السيطرة الفردية فى كل أعمالنا هى المبدأ ، فلم يقم بيننا التعاون على أساس صحيح ، وكذلك تنازعت الشهوات أعمالنا فصار الآخر بأنانيته يريد هدم عمل الأول لينفرد بأحدوثته وصيته ، كالذى رأيناه فى الحكومات الكثيرة التى تعاقبت على الدولة المصرية فشرعت ووعدت وبدأت وسارت ؛ ثم جاءت أختها من بعدها لتقف كل ذلك وتبدأ من جديد بلجانها وتقريراتها واقتراحاتها ، تريد أن تخالف وأن تنشئ وأن توجد ؛ ثم هكذا دواليك حتى غدت وعود الحكومات عند المصريين خاصة والشرقيين عامة إلى مثل التى يقول فيها كثيِّر عزّة :

تمتع بها ما ساعفتك، ولا تكن ... عليك شجى فى الصدر حين تبينُ

وإن هى أعطتك الليان، فإنها ... لآخرَ من خُلانها ستلين

وإن حلفت لا ينقض النأى عهدها ... فليس لمخضوب البنان يمين

فهذه أمراض وأوبئة لا تزال تنتشر ، ولا بد من مكافحتها مكافحة صارمة بغير هوادة . فهل فى الذين يصير إليهم السلطان الوازع العامل من يستطيع أن يتجرد لمكافحة هذه الأوبئة ، ولو كان فى كفاحها كفاح لنفسه وشهواته وأغراضه ؟ هل تجد مصر أخيراً طبيبها المنتظر ؟ ليتها تجد ...

المنطلق

قرأت فى العدد ٣٤١ من « الرسالة » أغنية — أو هكذا سماها صديقنا — بعنوان « الناى » . قال الأستاذ بشر فارس : وهى على بحرين مختلفين رغبة فى تنويع مجرى النغم ، والبحر الأول وضعه الشاعر ، وأجزاؤه : « فاعلاتن مفاعلتن » مرتين وليكن اسمه « المنطلق » انتهى .

وصديقنا بشر شخصية جوالة فى معانى الدَّعة والرقة واللطف والظَّرف والابتسام والمرَح ، وسائر هذه الكلمات الراقصة بألفاظها قبل معانيها . وهو كالبحر الذى زعم أنه اخترعه وسماه « المنطلق » ... فهو منطلق فى كل أشياء الحياة بأحلام كأحلام الليل جميلة هادئة ساكنة ... ولكن إذا فجأها النهار تطاردت له هاربة وقد تركت آثارها أخاديدَ ندِيّة كذكريات الحبيب الهاجر فى قلب العاشق ...

وهذا البحر « المنطلق » كما يسميه ، قد أرسله على مثل هذه الأبيات :

« جنِّبوا الناى عن أذنى ... أُذُنى زلزلتْ طربا

مثلَ قلب تُحدِّثه ... سرَّه السردُ فاضطربا »

وقد زعم « بشرٌ » أنه وضعه ، ونحن نُسلِّم لبشرٍ ما يقول ، ولكن أصحاب العروض هم أبداً كبحورهم لا يهدأون ، فقد زعموا أن الأخفش قد تدارك على الخليل بحراً سموه « الشقيق » يزعمونه أخا « المتقارب » ، وسموه المحدث والمخترع والخبب إلى غير ذلك وعُرف عندنا باسم « المتدارك » — أى الذى تداركه الأخفش على الخليل بن أحمد — وأصل تفاعيله عندهم : « فاعلن ، فاعلن ، فاعلن ، فاعلن » مكررة ، وله عروضان تامة ومجزوءة ، فالعروض المجزوءة هى : « فاعلن ، فاعلن ، فاعلن » مكررة .

وهذه العروض المجزوءة من بحر المتدارك ، هى زنةُ شعر بشر قد دخلها من رقّتـه ما جعلها تتأوّد عند قوافيها لتستريح ؛ فالبحر ليس إذن « منطلقاً » ، ولكنه « خليع المتدارك » .

وسائر أبيات القصيدة فى قوله مثلاً :

« أوتار الخاطر تغمزها ... أنّاتُ الناى فترتجف »

هى أيضاً من عروض المتدارك التامة دخلها التشعيث والخبن كقول ابن حمديس

« صادتك مَهاةٌ لم تُصَدِ ... فلواحظُها شركُ الأسَدِ

من توحى السِّحر بناظرة ... لا تنفثُ منه فى العُقد »

هذا فى مخترع « بشر » ولكن ما بال هـذا الصديق يريد أن يزلزل أذنه ، ونحن لم نفرغ بعد من حديث الزلازل التى هدمت ما هدمت فى الأناضول . لماذا أيها الصديق ؟ ولماذا تريدنا أن نشعر أن أذنك وحدها ـ دون سائرك ـ هى التى تطرب ، ولا يكون طربها إلا زلزلة

كُفى ... كُفى ، فإنى إذا نقدت « بشراً » فلن أجد الراحة بعد ؛ وإن كنت أظن أنى لم أفهم الشعر كله جيداً ... فلعله شعر جديد ، والجديد على من بدأ الشيب يغزوه يبليه ويخيفه فينتشر عليه فهمه فلا يفهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ...

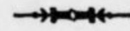
محمود محمد شاكر



دراسات فى الفن

فكرة ...

للأستاذ عزيز أحمد فهمى



— أين قضيت عيدك ؟ وماذا نعمت به من الفن فيه ؟

— قضيت العيد فى البيت والشارع كما أقضى كل يوم ، ولم أنعم فيه من الفن المعروض إلا بسهرة فى سينما أوليمبيا الوطنى الكبير شاهدت فيها فلم العزيمة .

— دائماً متأخر !

— إنى على سجيتى ولكنكم تتعجلون !

— وماذا رأيت فى العزيمة ؟

— كمال سليم

— إنه لم يظهر فى الفلم ، أنا شاهدت الفلم فى سينما استوديو مصر قبل أن يعرض فى أوليمبيا بشهور .

— ولم يظهر كمال سليم فى الفلم إذ ذاك ؟

— لم يظهر إلا اسمه ، ظهر بعد ما عرضت أسماء الممثلين منسوباً إليه تأليف الرواية وإخراجها .

— وكيف إذن لم تريه ؟

— لأنه لم يمثل دوراً !

— آه ... إذن ، فأنت لا ترين إلا بعينيك ؟ وإذن فأنت تربحين كثيراً إذا اشتغلت مخرجة سينما فى مصر ...

— ما هذه اللغة ؟ تثير مسألة لتروغ من مسألة ؟

— لست أنا من يلف ، وإنما أنت الثابتة المثبتة لا ينتقل تفكيرك ولا يتحرك إلا إذا اقتعد قاعدة لتسير هى به ... فاركبى ما أقول يجرك إلى ما أريد ... إنه ما دام قد ألف رجل قصة وأخرجها هو نفسه ، فهو صاحب كل ما فيها وإن لم يعرض صورة بدنه للناس قائماً بصورة نفسه التى يعرضها

— آه !

— حمداً لله على السلامة

— وفيم كان قولك إنى أصلح مخرجة ؟

— هذه كنت أقصد بها — ولا مؤاخذة — السخرية بكثير من المخرجين فى مصر . أولئك الذين يحسبون الإخراج للسينما ليس إلا عرض لوحات من الصور المتتابعة ... والذى ذكرنى بهؤلاء هو قولك إنك لم ترى صاحب العزيمة مع أنك شاهدت الفيلم ، وهذا وجه شبه بينك وبين هؤلاء المخرجين الذين يعيشون فى الدنيا على أنهم مخرجون وفنانون فلا يقفون بجمهورهم وشعبهم إلا عند كل لوحة ولوح ...

— وكمال سليم من هؤلاء ؟

— ألم تقولى إنك شاهدت العزيمة ؟ ثم أليس لك عقل تستطيعين به بعد مشاهدة فيلم أن تحكمى على مخرجه أهو من أهل اللوحات والألواح أم هو من أهل الحياة ؟ فإذا كان عقلك لا يقوى على استخلاص الحكم وحده ، أفلا تستطيعين أن ترى مدى اهتمام الصحف والناس بهذا العمل الفنى لتحكمى بهذا وحده على قدر ما فيه من الدسم ؟

— حاسب ، حاسب ... هذه بعثرة لا أطيق التمزق معها ... قل لى : ما رأيك فى فيلم العزيمة ، أو إذا شئت فى كمال سليم ؟

— أول كل شىء أنه ليس من أصحاب اللوحات والحمد لله . فهو مخرج له عقل وراء عينيه . ولهذا فالذى ينتظر منه دائماً خير . ولكنى لست أدرى إذا كان سيوفق إلى خير بعد « العزيمة » أو أنه سيظل بعدها وقتاً طويلاً إلى أن يواتيه الخير ؟ ...

— ولم هذا التشاؤم ؟

— لأنه حشد فى هذا الفيلم « محصولاً » كان عسيراً علىّ أن أتصوره قد أتيح لشاب فى سنه ... فإذا كان قد أتيح له كل هذا فإنى أظن أنه كل ما يملك ...

— ناس كثيرون قالوا هذا ، وأنا قلته أيضاً ..

— إه ! أنت أيضاً قلته ؟ ! . لا بد إذن أن يكون الحق غير ذلك ؟

— أعوذ بالله منك مشاكسا ... رأيت رأياً ، وكنت تراه ، ألأنى رأيته تنقض عليه ؟

— التجارب علمتني أنك لا ترين الحق ... فكلما رأيتني اتفقت معك على رأي أدركت أن عقلي نائم ... إسمعي، لا شك في أن صور الحياة وحوادثها هي موارد المؤلف والمخرج ، ولكن الذي لا شك فيه أن كل صورة مفتاح إلى صور، كل صورة منها مفتاح إلى صور ، وأن كل حادثة مفتاح إلى حوادث ، كل حادثة منها مفتاح إلى حوادث . وهذا شيء لا نهاية له ، ولهذا كان الفنان يستطيع أن يجعل من الحبة قبة كما يقولون

— كلام معقول . فانقضه لأني اقتنعت به

— قد كنت أنقضه لو كنت سبقت إليه ...

— إذن فانقض ما يأتي : صور الحياة وحوادثها التي يستخلص منها الفنانون فنونهم لها ناحيتان: إحداها وراء الأخرى. أما الأولى فهي الناحية المادية المتجسدة ولا يستطيع إنسان أن ينكر ما فيها من جمال وروعة لا يخلوان من المعاني، والناحية الأخرى هي تلك الناحية الشفافة « الثائرة » في أعماق هذه الصور والحوادث ، وهي أيضاً فيها جمال وروعة ومعان . وللناحية الأولى مخرجون يشغفون بها ويهتمون ، وللناحية الثانية مخرجون ، وهناك مخرجون لهم في هذه وفي تلك . وعلى كل صورة وحادثة من صور هاتين الناحيتين وحوادثهما تنطبق القاعدة التي قررتها أنت وهي أن كل صورة مفتاح لصور ، وأن كل حادثة مفتاح لحوادث . فكما أن أصحاب الصور والحوادث المعنوية لا تفرغ من عندهم الصور والحوادث ، كذلك لا تفرغ الصور والحوادث المادية من عند أصحابها لأن آيات الله لا نهاية لها ، ولأن كل آية منها مفتاح لآيات كل منها مفتاح لآيات ... انقض هذا ، أو قل لي لماذا تفضل أصحاب المعاني على غيرهم ؟

— من قال لك إني أفضل أصحاب المعاني على غيرهم ... هؤلاء وأولئك من غير شك فنانون

— حرت معك . . . ألم تسخر من أصحاب اللوحات والألواح ... أنت ؟ !

— يا هذه !. . . إنما كرهت منهم أن يتركوا ميدانهم وأن يعملوا في السينما ، هؤلاء الواحد منهم يصلح لأن يكون مصوراً بالفوتغرافية ، يجمع ما يشاء من صور الناس الذين يحلون في عينيه ، ومن صور المناظر التي تروقه ، ومن صور الحوادث التي يقابلها وتعجبه ... ليعرضها في « فترينة » أو ليطبعها في كتاب؛ أما أن يلصق عدداً من هذه الصور بعضها إلى بعض ويقول للناس تعالوا شاهدوني إني أخرجت فيلما ، فهو إذن يسخر من الناس ويستحق منهم السخرية ... فالسينما لم تعد كما كانت منذ نصف قرن « صوراً متحركة » يرضى جمهورها « بالزغللة » ، وإنما أصبحت السينما اليوم « سينما » أول ما يطلبه جمهورها فيها شيء « يدلك » أرواحهم ، فإذا لم يطعمهم العاملون في السينما هذا كانوا كأصحاب المقاهي الذين يسقون قصادهم بدلاً من البن فولاً محمصاً مطحوناً مغلياً قهوة لا تمس الأعصاب وإن كان فيها غذاء للمصارين

— لو ضربت لي مثلاً يوضح ما تقول ؟

— لو ضربت مثلاً لغضب الدكتور زكي مبارك ؟

— زكي مبارك ؟ وماله هو والسينما والإخراج وما إلى ذلك ؟

— إنه صديق الناس جميعاً ولا يحب من أحد أن ينقد أحداً ... إن فيه طبع المسالمة

— لم يقلها عنه أحد ، فالناس يعرفونه يناوش الحجر ... أنسيت معركته مع الأستاذ أحمد أمين ؟

— هذا لأن الأستاذ أحمد أمين « ابن كاره » كما يقولون ... وعلى أي حال مالنا نحن وهذا ... ألا تحبين أن نعود إلى ما كنا فيه فنتحدث عن العزيمة ...

— فلنعد ...

— فلنعد ... ما رأيك فيها ؟

— لقد كنت أنت الذي تبدى الرأي فأتم حديثك ...

— لقد قلت ما كنت أريد أن أقوله . . . أليس لك أنت ملحوظة ... ؟

— لي ... وهي إن كانت لا تدل على ضعف في الإخراج ، فهي تدل على ضعف في نفس المخرج ...

— يا عظمة ! وما هي ملحوظتك هذه يا مدموازيل فرويد ...

— لقد عنى كمال سليم عناية كبيرة بتقديم أبطال قصته بطلاً بطلاً قبل أن يدخل في صلب الرواية ، وأظنه لم يفعل هذا إلا لأنه خشي لو بدأ الرواية من غير هذا التقديم أن يضطرب النظارة فلا يحددون كل بطل من أبطالها التحديد الصحيح أو التحديد الذي يريده هو على الأقل ... وهذا ولا شك اعتراف منه بأنه

عاجز عن أن يقدم الأبطال فى تلافيف الحوادث تقديماً واحداً

— قد يكون هذا ، وقد يكون أنه لا يحسن الظن كثيراً بالجمهور المصرى ، فهو يكلف نفسه هذا التقديم ، وإن كان يعرف فيما بينه وبين نفسه أنه تقديم لا لزوم له ... أليس لك ملحوظة أخرى ؟

— لى ... وهى أيضاً وإن كانت لا تدل على ضعف فى التأليف ولا فى الإخراج فهى تدل على فراغ فى رجولة كمال سليم ...

— ماشاء الله ... إن عقلك اليوم منساب ... ما ملحوظتك هذه ؟

— ليس فى روايته امرأة

— وماذا كانت فاطمة رشدى ؟ !

— بنتاً . كانت بنتاً حتى بعد أن تزوجها البطل . فقد كانت تنساق بسهولة لما يثيره فيها الناس ولما تثيره فيها الحوادث من النزعات ، وكانت تقف مواقف صريحة قاطعة ، وليس هذا من طبع المرأة وإنما هو فى طبع البنت أقرب ما تكون إلى الطفولة والسذاجة . ليست المرأة التى أخرجها كمال سليم امرأة وإنما هى طفلة ...

— ربما يرجع هذا إلى أن كمال سليم نفسه حينما أحب ... أحب طفلة صغيرة هى التى أخرجها بطلة لهذا الفيلم ... ولعله قد حدث له بعد ذلك ما أبعد بينه وبين المرأة ، وما زاد على ذلك ، حتى حمله على كراهية النساء ، فكانت كل نساء الفلم ما عدا البطلة وأم البطل بغيضات مُنكَرات أخرجهن جميعاً ولهن مآرب ملتوية وأغراض خاطئة خبيثة . فمنهن من تبيع بنتها وتقسو على زوجها ، ومنهن من تسخر فى الكارثة ، ومنهن من تحرض على السخرية فيها ، ومنهن من تفرح لها وتشمت ...

وهذه الكراهية للمرأة التى تسميها أنت فراغاً فى الرجولة يعوضها فى هذا المخرج تمكن ظاهر من نفوس الرجال ، واهتمام ظاهر بنفوس الصبيان ، فقد وفق كمال توفيقاً تاماً فى اختيار أبطال قصته من الرجال ، وفى إسناد كل دور للممثل الملائم له القادر عليه حتى إنه لا يستطيع الناقد مهما اشتد ومهما تحامل أن يشير إلى ذات واحدة من ذوات الفيلم ويقول إنها قلقة فى مكانها غير مطمئنة إلى دورها ، وقد أتيح هذا التوفيق لكمال لأنه فيما أعتقد لا يكره رجال الدنيا ولا يحبهم وإنما هو يعيش بين الناس متفرجاً متفحصاً مختبراً متعلماً متذوقاً ... ولا ريب أن هذا هو الذى أفاده فى اختياره لأبطال روايته ...

— والصبيان ؟ ...

— لقد جعل لبطلة الفيلم أخاً ولم يكن فى القصة ما يوجب أن يكون للبطلة أخ . ولكنه لم يستطع أن يحبس ما يجيش فى نفسه من الإلمام بأحوال الصبيان ، فتنفس عن هذا الصبى الذى جعله أخاً للبطلة وعرضه فى صورة من « السهتنة » والخبث المتظاهرين بمظهر البلاهة والبراءة ... وليس هذا عجباً من فنان ينفر من النساء ، ويحب الفتيات الصغيرات ، ويستغرق فى عشرته للرجال تأملاً ودراسة ... إنها طبيعته وظروف حياته ، ولو كان لى أن أقترح على هذا المخرج موضوعاً لفيلم جديد فإنى أقترح عليه أن يسرع إلى موضوع يجرى حوادثه فى مدرسة للبنين ابتدائية ، أو ثانوية ... ولا يكون فى هذا الفيلم امرأة على وجه الإطلاق ، وإنما يكون فيه ناظر ومعلمون وتلاميذ وفراشون ... ولن يستطيع أحد أن يعترض على هذا النوع فقد سبقتنا أمريكا إليه واستقبلته الجماهير بالارتياح والإعجاب ، وقد برز من ممثليه سبنسر ترامى ، وفريدى بارتولوميو ، وميكى رونى ... كما برز من مؤلفيه مارك توان ...

— وهل تحسب كمالاً يوافقك ؟ ...

— أنا لا أطلب منه أن يوافقنى اليوم ، ولكنى أبشره بأن هذا النوع هو نوعه ، ولا يبعد أن يقتنع بهذه الفكرة قريباً أو غير قريب فيخطو بالسينما المصرية هذه الخطوة الجديدة ... وإنى أحس أن فى نفسه أن يصنع شيئاً جديداً ...

— ولكن أين يجد المخرج الذى يريد هذا — الممثلين بين الأطفال والصبيان بينما أنت ترى أن فى مصر أزمة ممثلين وممثلات ...

— يا ما فى المدارس ، ويا ما فى الشوارع ، ويا ما فى البيوت ! وإنى واثق من أن كمالاً إذا بحث وجد ... فإن فيه القدرة على أن يجد ...

— صديقك كمال أليس كذلك ؟

— والله إنى لم أره ولم أعرفه . ولكنى رأيته فى فنه عيوبه قليلة ، ومميزاته هى هذه التى ذكرناها وهى كما ترين جديرة بالاهتمام

عزيز أحمد فهمى

فرصة عظيمة





يوم السبت ٢٧ يناير

شيكوريل



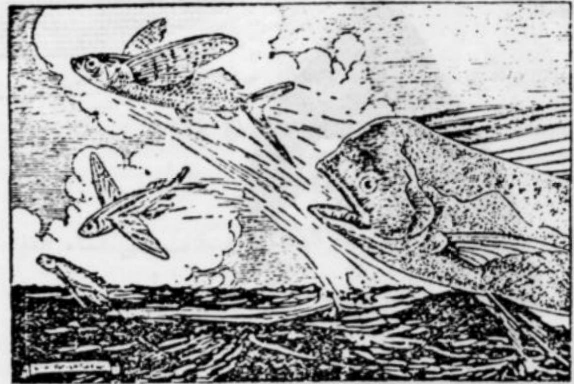
الأسماك العجيبة

للأستاذ أحمد على السيد

الأسماك الطائرة

قد تعجب إن علمت أن هناك بعض الأسماك تطير فى الهواء ، ولكنها الحقيقة، إذ أن بعض الأجناس البحرية تستطيع الطيران فى الجو لمدة محدودة ، ثم تهبط إلى مطارها وهو سطح الماء

ولما أن كان الطيران يقتضى تحوراً فى شكل الجسم ، فإن الزعانف الصدرية فى هذه الأسماك قد اتخذت شكل الأجنحة . ويتراوح طول هذه الأسماك بين بوصات معدودات وبين قدمين وتعيش فى البحار القطبية والمعتدلة



أسماك طائرة يطاردها خنزير البحر

وأشهر الأجناس الطائرة هو المسمى Exocœtus evolans ويعيش فى البحر الأبيض والمحيط الهندى واستراليا والصين ، والزعانف الصدرية طويلة تصل إلى الذيل وهذا مشقوق إلى شقين السفلى منهما أطول من العلوى . وطول هـذه الأسماك يتراوح بين قدم ونصف وقدمين .

أما كيف تستطيع الأسماك الطائرة حفظ توازنها أثناء الطيران فقد قام جدل عنيف بين العلماء حول هذا الأمر فقال بعضهم : إن أجنحتها (وهى الزعانف الصدرية) تكون منبسطة أثناء الطيران كأجنحة الطائرات ، وقال آخرون : إن هذه الأجنحة تكون فى حركة مستمرة كما يحرك الطائر أجنحته إلا أن حركتها سريعة فيصعب على العين تمييزها بوضوح

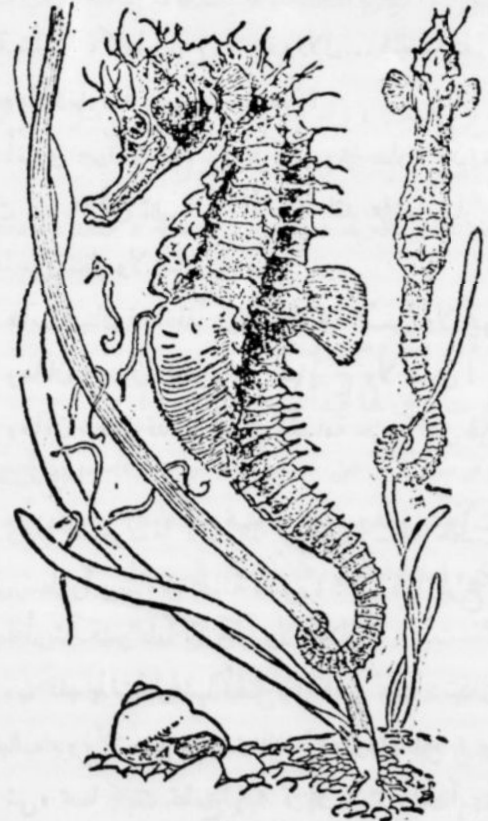
والنظرية الأخيرة هى المقبولة الآن لدى الأغلبية من رجال العلم، لأننا لو سلمنا جدلاً بأن الأجنحة تكون منبسطة ولا تتحرك فإن مقاومتها للهواء تكون محدودة بحيث لا تفى بإبقاء جسم السمكة فى حالة اتزان فى الهواء . على أن الفريقين المتجادلين يسلمان معاً بأن السرعة العظيمة لحركة هذه الأسماك فى الماء وقوة اندفاعها من العوامل المساعدة على طيرانها فى الفضاء . وأقصى مسافة تقطعها السمكة فى الطيران فى مرحلة واحدة خمسمائة ياردة، كما أنها لا تستطيع أن تطير لأكثر من نصف دقيقة . ثم تهبط إلى مطارها وتغوص فى الماء، على أنها قد تستأنف مرحلة أخرى بعد أن تستجم وتأخذ كفايتها من الأكسجين المذاب فى الماء لتتنفس. والأسماك الطائرة تطير فى اتجاه مستقيم إن لم تقاومها التيارات الهوائية أو ترتطم بأمواج الماء، وترتفع فى طيرانها قدمين أو ثلاث أقدام عن سطح الماء، إلا أنه فى الجو العاصف قد يبلغ ارتفاعها أكثر من ذلك. والسؤال الذى قد يطرأ على ذهن القارئ هو إذا كانت الأسماك قد خلقت لتعيش فى الماء فلماذا يطير بعضها فى جو غير الذى خلقت لتعيش فيه ؟ والجواب على ذلك أن طيرانها هو الهروب من عدو يطاردها، وأعداؤها كثيرون كخنزير البحر والدرفيل وغيرهما. على أنها إذا كانت تطير لتنجو من عدو يطاردها فى الماء فقد لا تسلم أيضاً من عدو يطاردها فى الهواء كالجنشلة gull وسائر الطيور المائية ، والأسماك الطائرة تصلح كغذاء شهى للانسان

الأسماك الحاضنة Nursing - fish

حنان الأمومة ورعاية الصغار غريزة سامية وعاطفة نبيلة، ومن آيات الله أن هذه العاطفة التى تدل على شعور مرهف وإحساس عميق تتجلى أيضاً فى بعض المراتب الدنيا من الكائنات الحية. وإننا وإن كنا نعلم جميعاً أن الأسماك تضع بويضاتها فى الماء ليخصبها الذكر ثم تتركها وشأنها إلا أن بعض الأسماك تتعهد بويضاتها حتى تفقس وإذا ما خرجت منها يرقاتها تعهدتها أيضاً حتى تصبح قادرة على القيام بأمرها بنفسها ثم تتركها بعد أن تطمئن على مقدرتها وعلى أنها قد أصبحت غنية عن مساعدتها لها

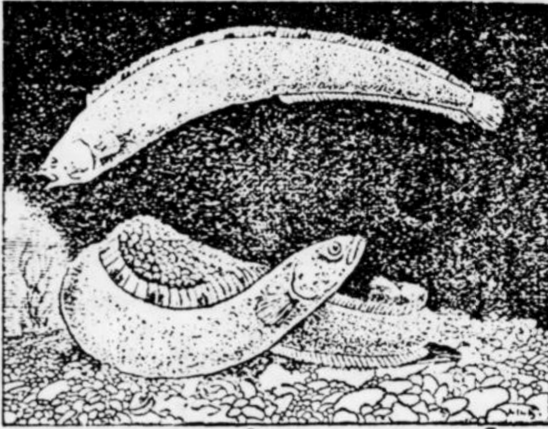
ومن الأمثلة الرائعة لذلك أن جنساً من الأسماك المائية العذبة موجوداً في أمريكا الجنوبية وأفريقية واسمه Perches تحمل الأنثى منه البيض في فمها ثم يحفر الذكر حفرة في قاع القناة حيث تضع الأنثى البيض ويتناوب الأبوان حراسته حتى إذا ما فقس وضعت الأم الصغار في فمها لمدة حتى تصبح هذه قادرة على أن تستقل بنفسها وحين تخرج هذه الصغار من الفم تبقى بجانب أمها مخافة أن يهاجمها عدو فإذا هاجمها فتحت الأم فمها بسرعة ودخلت الصغار

وفي بعض أنواع السمك المسمى Cat - fish الموجود في مياه البرازيل يقوم الذكر بدور الحضانة فيحفظ البويضات في فمه حتى تفقس ، وفي خلال هذه الفترة تفقد الأنثى والذكر شهية الأكل ما دامت البويضات في الفم ، وهناك نوع آخر من هذا السمك يعيش في غانا له طريقة عجيبة لحماية البيض ، إذ بعد أن تضع الأم البويضات تضغط عليها بالجزء الأسفل من جسمها الذي يصبح في هذه المدة ناعماً أسفنجياً فتلتصق به البويضات وتحملها الأم حتى تفقس


حصان البحر وصغاره تخرج من جيبه

وفي حصان البحر Sea - horse يحمل الذكر جيباً يشبه الذي يحمله الكنغر ، وفي هذا الجيب تضع الأم البويضات ثم تقفل فتحة الجيب بإفراز لزج فتصبح البويضات في أمان حتى تفقس

وفي أحد الأجناس القاطنة بالمحيط الهندي تلتصق الزعنفتان الصدريتان وهما كبيرتان متقاربتان بالجزء الأمامي من جسم السمكة بحيث يتكون ما يشبه الكأس ، وهذا الالتصاق لا يحدث إلا مدة إفراز البويضات فقط ، وفي هذه الكأس تُحمل البويضات وتثبت في مكانها بسائل لزج من قنوات في خيوط تتكون داخل الكأس وتبقى البويضات حتى تفقس


التف جسم السمكة حول البويضات لحمايتها

وفي سمكة Butter - fish تتكون كتلة البويضات ويلتف جسم الأنثى والذكر حول هذه الكتلة بالتبادل لحمايتها

وفي أسماك Lump - sucher يثقب الأب البويضات برأسه ثم يدفع تياراً مائياً بواسطة حركات نفسه إلى هذه الثقوب فيدخل الماء في البويضات وبذلك يمدها بالأكسجين الكافي ، وفي هذه الفترة يكون الأب عصبياً جداً ويهتز جسمه باستمرار

وفي الأسماك الماصة Sucher - fish يوجد قرص على السطح السفلي للجسم تستطيع السمكة به أن تلتصق بالصخور؛ وفي هذه الأسماك تضع الأنثى بويضاتها في محار فارغ ويتولى الذكر الحراسة بأن يلتصق جسمه بهذا المحار حتى يفقس البيض

وفي نهر الأمازون وروافده جنس من السمك الصغير تضع الأنثى بيضها على حافة النهر بحيث يكون قريباً ما أمكن من الماء؛ ولكيلا يجف البيض فإن الذكر والأنثى يتبادلان دفع الماء دفعاً قوياً نحو البيض بواسطة حركات ذيلهما ويتعهدان البيض على هذه الوتيرة حتى يفقس

أحمد علي السيد



قلب أم ...

للأستاذ محمد سعيد العريان

صباحٌ ومساء، ويقظةٌ ونوم، وأمنيةٌ بالنهار تتراءى حُلماً بالليل، وعجلةُ الزمن تدور فتطوى العمر وتختزل الحياة ... هذه هى الدنيا ... !

يا ويلتا ! ... وفى الناس من يعيش دنياه كما يدور الثور فى الطاحون: يدور ويدور ولا يزال يدور؛ لا يدرى أين ينتهى؛ ويمضى على وجهه فى طريق طويلٍ لا يقف عند حد ولا ينتهى إلى غاية، وحوله أربعة جدران !

وهل الحياة إلا يومٌ مكرر ؟

ما أمس ؟ وما اليوم ؟ وما غد ؟... إنْ هى إلا رسومٌ متشابهة تتعاقب على مرآةٍ مثبتة فى جدار قائم . الصورة واحدة ولكنها تلوح وتختفى، وتزعم المرآة أنها ثلاثة شخوص أطافت بذاك المكان !

ولولا خداع النفس وأباطيل المنى ما طابت الحياة !

***

... واستيقظت «الأم» ذات صباح كما تستيقظ كل صباح؛ فأبدلت ثوباً بثوب وجَثَتْ فى محرابها تصلى لله وتدعو ...

كانت تعيش وحدها فى هذه الدار المتداعية منذ سنوات ! لقد فارقها (الرجلُ) فراق الأبد، وحمله الرجالُ على الأعناق إلى مثواه؛ ولكن ذكراه بقيت معها فى ولديه ...

... وبكرتْ إليه فى الغداة تنثر الزهر على قبره وفى نفسها لهفة وفى عينيها دموع؛ ثم تحولتْ عنه إلى ولديه لتجفف فى صدرهما دموعها !

وآلت منذ اليوم أن تكون لهذا الطفل وأخته أمًّا وأبا ... وبَرّت بما وعدتْ !

كان ذلك منذ أربع عشرة سنة !

***

أما الفتاة فقد شبّتْ واكتملتْ ونضجتْ ثمرتُها فانتقلتْ من دار إلى دار ... وباحت بمكنونها إلى زوجها الشاب واستمعت إلى نجواه ... وعرفتْ دنيا جديدة ! ... أتراها تذكر اليوم أمها ؟... ألاَ إن أمها لقانعةٌ راضية بما بلغتْ من أمانيها ... لقد تحققت لها أمنية من أمنيتين ...

وأما الفتى فقد قطع فى سبيله مرحلتين وانتهى إلى الجامعة؛ فما أهون ما بقى ! ... إنه بعيد عن أمه منذ سنوات ثلاث، يجاهد جهاده ليبلغ مأمله، ولم يبق إلا خطوة واحدة ! ...

وأما الأم فإنها فى وحدتها من تلك الدار، ما تزال تصلى لله وتدعو ليحقق لها ما بقى !

يا لله ! أهذه هى ؟ لَشدَّ ما غيّرتها الأيام ! ...

***

... كان لها جاه ومال، وكان لها شباب وفتنة؛ وكانت حياتها أغنية ضاحكة، كلها مَرَح ونشوة ودلال ... يا للمسكينة ! أين هى اليوم مما كانت منذ أربع عشرة سنة ؟

أتُرى مرآتها تحدثها بما كان وبما صار، كعهدها يوم كانت ... ؟ أين تلك المرآة ؟ ... لقد علاها غبارُ السنين فما لها عينٌ تنظر ولا لسانٌ يصف !

هاتان عينان قد انطفأ بريقهما فما لهما هَمْسٌ ولا نجوى !

وهاتان وجنتان ذابلتان ليس لهما أرَجٌ ولا شذى !

وهاتان شفتان قد أطبقتا على ابتسامة حزينة ليس لها صوت ولا صَدَى !

وهذا الشَّعر - ما كان أجمله يوم كان ! - قد خَطَّتْ عليه الليالى سطوراً بيضاء فى صحيفة مسودّة؛ إن فيها تاريخَ جهادٍ نبيل، أربعةَ عشر عاماً بلا وَنى ولا كلال !

... لقد بذلتْ لولديها أغلَى ما كانت تملك : بذلت المالَ والشباب، وبرئت من شهوات النفس وأوهام المنى؛ ونسيتْ كل شىء مما كانت تطمح إليه، إلا شيئاً واحداً، عاشت ما عاشت له، وبذلتْ ما بذلت من أجله، وخاطرتْ بما خاطرت فى سبيله ... : ولَديها العزيزين ! ... أما إحداهما فقد بلغتْ، وأما الثانى ...

إنها لقريرةُ العين على ما جاهدتْ وبذلتْ ؛ لأنها من الغاية التي تهدف إليها على خطوات !

* * *

... وفرغت الأم من صلاتها ودعائها ؛ فنهضت متثاقلة إلى صِوانها ، ففتحته ، فأخرجت منه كِسرة جافة ، فبلَّتها تحت الحنفية وأخذت تلوكها بين فكيها ؛ ثم صعدت إلى سطح الدار تتشمس ! ...

وأمسكتْ عوداً من الحطب تهش به على دجاجها وهي تنثر له الحب وفتات الخبز الناشف . إن لها في هذا المكان لَسلوة وأنساً، وإنها لتجد من هذه الطيور أُسرة تأنس إليها وتتسلَّى بمرآها ؛ بضع دجاجات وديك ؛ هذا كل ما بقى لها من أُنس المشير !

وانحنت على خُمّ الدجاج فأخذت ما فيه من بيض ، ثم هبطت الدرجَ تستند إلى الحائط حتى بلغت غرفتها ، فوضعت ما معها من البيض في كيس النخالة ، وجلست في النافذة ترقب ساعي البريد ...

إنه يوم السبت ، وقد تعوّدتْ أن تتلقى في مثل هذا اليوم من كل أسبوع رسالة من ولدها لتطمئن . . .

وجاء ساعي البريد فسلَّم إليها الرسالة ، ففضَّتها معجلةً وقرأتْ . . .

إنه قادمٌ بعد يومين ليراها . . .

يا فرحتا ! إن لها عيداً من دون الناس !

ووَفَرَتْ الأمُّ من غدائها لعشائها ، وقامت إلى الصوان فأخرجتْ ثوبها الجديد الذي خاطتْه منذ عامين ؛ فرتقتْ ما فيه من فتوق ، استعداداً ليوم الاستقبال السعيد !

وكنستْ ، ونظّفتْ ، وهيأتْ فراشَ الضيف ؛ وجلست تعدُّ الساعات وتهيئ برنامج الاستقبال ؛ ونامت ليلتها تحلم . . .

ومضى اليومان وحلّ الميعاد ، وجلست الأم وراء الباب ترقب مقدم فتاها وقد هيَّأتْ ما هيأت لاستقباله ...

هكذا كانت تفعل كلما حان موعد زيارته وإن له زيارة في كل شهر !

* * *

وتلقَّتْ الأم ولدها بالترحيب والعناق ؛ وكأنما عاد إليها الشباب ؛ فإن في عينيها بريقاً ، وفي خديها حمرة ، وعلى شفتيها ابتسام، وفي جبينها ألق !

وجلس إليها ساعة يحدثها وتحدثه ؛ ثم نهض يتهيأ للخروج ليجول في المدينة جولة ؛ ومشى يختال في زِيّه وزينته ، وأمه تشيِّعه بعينيها من النافذة فرحانة !

لا عليها مما تقاسي من الجوع والظمأ والحرمان وإنه لسعيد ! حسبها من سعادة العيش أن يكون ولدها كما يتمنى لنفسه ؛ إنها لتكتم عنه وعن الناس ما تجد من الضيق والحرج وقسوة الحياة ؛ وماذا يجدى عليها أن يعرفَ إلا أن يحزن ويتألم ؟

... وتوارى الفتى عن عينيها في منعطفات الطريق ، فابتعدت عن النافذة وعلى خديها دموع وراحت إلى الصوان تفتحه لتخرج صندوقها الصغير ، الصندوق العزيز الذي يضم ذكريات الماضي جميعاً ؛ ويضم أمانيّ المستقبل ...

في هذا الصندوق أهدى إليها زوجها الذي فقدتْه منذ بضع عشرة سنة — هديةَ العرس الغالية ؛ وفي هذا الصندوق كانت تحفظ ما تحفظ من حلاها وجواهرها ، يوم كان لها حلى وجواهر ؛ وفي هذا الصندوق كانت تدخر ما تدّخر من مال لتنفق على ولديها حتى تبلغ بهما مبلغهما ... فماذا يضم صندوقها العزيز اليوم ؟

بضعة جنيهات ، وقرط مكسور ، وسوار من الذهب : هذا كل ما هناك ! ... وإن بين ولدها وبين الغاية التي يهدف إليها بضعة أشهر ! ... ماذا يجدى كل ذلك ؟

* * *

... وتركته في فراشه نائماً يحلم ، وبكرت إلى السوق وفي يدها قرطها المكسور وسوارها ، تشد عليهما أناملها المرتجفة !

وعادت بعد ساعة ومعها مال !

واستيقظ الفتى ليقص على أمه رؤياه وهو يضحك في مرح ونشوة ، ويعتّبها بما ينتظرُ من السعادة يوم يكون ويكون ! وابتسمت ... !

ورفعتْ عينيها إلى السماء وعلى شفتيها نجوى خافتة ، وفي قلبها أمل !

وقامت تودعه إلى الباب وأعطته ما طلب ، لم تحرمه من شيء في نفسه ؛ وانثنت إلى غرفتها لتضع الصندوق الفارغ في موضعه من الصوان !

ومضى الفتى على وجهه لا يبالي ما خلّف وراء ظهره !

منذا الذي يرى هذا الفتى المتأنق الجواد فيعرف من يكون؟ إنه هو نفسه لا يعرف ! ... وأمه حيث تركها ، تعيش من دنياها بين صباح ومساء ، ويقظة ونوم ، وأمنية بالنهار تتراءى حُلماً بالليل ، وعجلة الزمن تدور فتطوى الحياة وتختزل العمر ، وهي لا تدري . هذه هي دنياها ! ولكن لها يوماً تترقب مطلعه على شوق ولهفة ؛ ولكن متى ... ؟ أترى هذا اليوم حين يجيء يرد عليها الشباب المدبر والعمر الذي ضاع !

***

وانقضت بضعة أشهر ، وحان اليوم الذي كانت تنتظر ؛ ودخل إليها زوجُ ابنتها ليزفّ إليها البشرى . . . وكانت راقدة في فراشها تحلم ! ...

وجلست في فراشها ، وأشرق وجهها بابتسامة راضية ، وقبّلتْ البشيرَ قُبلة ، ثم مال رأسها على الوسادة ... وكانت تبتسم ... !

وهتفت في صوت خافت : الآن أديت واجبي ! وعادت الابتسامة إلى شفتيها أكثر إشراقاً وفتنة !

ودارت بعينيها في أرجاء الغرفة حتى استقرت على صورته في إطارها ثم أطبقت أجفانها !

وتراقصت أشعة المصباح الذابل في الغرفة الخالية من الأثاث إلا من سرير محطم عليه جسدٌ محطم !

وهبتْ نسمةٌ عابرةٌ فأطفأت المصباحَ وعمّ الظلام !

وخرج الرجلُ ناكسَ الرأس يتعثر في خطاه ليلقي إلى زوجته النبأ الفاجع ...

وكانت زوجته جالسة إلى المرآة تتزين ! ... ...

***

وعلى حين كانت الدار تموج بالأهل والجيران يتهيئون لتشييع الأم إلى مقرها ، كان الفتى جالساً في ثُلة من أصدقائه وصديقاته يحتفلون باليوم السعيد !

محمد سعيد العريان



الخلق الذي سيكسب الحرب

[من مجلة « باريد »]

للحرب الحاضرة نواح كثيرة يجب أن ينظر إليها قبل أن ينظر إلى تقدير قوى الجيوش المحاربة ، وعدد طائرات العدو وحجمها والسرعة التي تسيربها . ومما لاشك فيه أن الجانب الذي سيكون له الفوز النهائي في هذه الحرب ، هو الجانب الذي يمتاز العنصر الإنساني فيه بقواه الأخلاقية ، ومزاياه العقلية . ولا جرم أن للبريطانيين والفرنسيين يمتازون من هذه الناحية عن الألمان .

وقد كتب المؤلف الأميركي المشهور « فنسنت شيان » في مجلة « ردبوك » التي تصدر في كندا مقالاً قيماً تناول فيه أخلاق هذه الأمم بالبحث والتحليل . فقال : إن الرجل الألماني لا بأس به على وجه العموم ، فهو شجاع ، صلد ، جلد على احتمال الشدائد ، ذو مقدرة على الاضطلاع بسائر الأعمال الجسدية ، يعمل بيديه وقدميه فيها كما يعمل برأسه .

إلا أن هذا الخلق الألماني بما فيه من العناصر الطيبة ، لم يخل من ناحية ضعف لها أثرها السيء على سائر النواحي القوية فيه . فالشعب الألماني ينقصه الإدراك السياسي الرشيد . فسياسته لا ترتفع عن سياسة العامة ، وأخلاقه السياسية لا ترتفع عن الجهالة والسخف

والألماني لا يعرف التشكك في أموره السياسية . وقد عرف النازيون كيف يستغلون هذه الصفات ، فاستحوذوا على نفوس الشعب بطرق لا تخلو من المهارة والحذق . فإذا كان الشعب الألماني وعدده ثمانون مليوناً من الأنفس قد أعد لتصديق كل شيء يلقى عليه بغير تردد ، فلماذا يكلف النازي أنفسهم إخباره بالحقائق المريرة المتعسفة ، والأكاذيب المتقنة والوعود الخلابة أسهل وأجدى

إلا أن هذه الظاهرة المعهودة في الخلق الألماني منذ قرون ، لا تلبث أن تثير غضب الرأي العام حينما يصل خداع الشعب إلى أقصى حدوده وتنفضح الحقائق التي كانت في طي الكتمان ، وفي هذه الحالة يكون اليهود وغير اليهود سواء في التألب على هتلر وعصابته وإقصائهم عن الحكم ، كما أقصى القيصر وحكومته عام ١٩١٨ . أمام هذا الشعب يقف الشعبان الإيطالي والفرنسي وهما يستمتعان بالحرية السياسية منذ مائة وخمسين سنة ، ويعرف كل فرد من أفرادهما المبادئ التي يدافع عنها

فالإنجليزي لا يسير بالطريقة الآلية التي يسير بها الألماني ، وهو يحاسب رجاله على كل صغيرة وكبيرة . طبع على ذلك منذ قرون ، وهو يرى الحرية خيراً من الكفاية . وإذا كان الإنجليزي يضيع كثيراً من الوقت قبل أن يدخل مع خصومه في حرب طويلة المدى فهو في الحق من النوع الذي يميل بطبعه إلى الدقة والنظام ، ويسير على خير التقاليد دون أن يثير ضجة أو لجباً

والإنجليزي لا ينطق كثيراً بألفاظ البطولة أو التضحية ، ولكنه يعرف دائماً كيف يحافظ على الروح المعنوية فيه ، ويحتفظ بروح الفكاهة ولو كان على فراش الموت

هذا هو الرجل الذي سيقف على قدميه إلى نهاية الحرب . فأعصاب الانجليزي من النوع الذي لا يعرف السطحيات وإن كانت في الحقيقة أقوى وأشد من الصلب .

والفرنسيون كذلك لهم مقدرة على احتمال الشدائد ، وقد برهنوا على ذلك مراراً عديدة في تاريخهم الماضي ، وعلى الأخص في حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ .

ولعل أهم الميزات التي خص بها رجل الشارع في بريطانيا وفرنسا ، هي أنه على علم تام بأحواله السياسية . فالصحافة تمد الشعب بكل ما يحتاج إلى علم ، والحكومة لا تكتم عنه شيئاً لتظهره فيما بعد ، ولا يفكر أحد في خديعته عن الوقف الجوهري الذي يدافع عنه .

ولا يمكننا أن نقول ذلك عن الشعب الألماني ، فقد قطع ما بينه وبين الحقائق منذ ست سنوات ، إلا أنه إذا عرفها عاجلاً أو آجلاً وتبين له أنه كان مخدوعاً ، فسوف لا يوجه غضبته إلى الأجانب ، ولكن سيوجهها إلى الذين خدعوه ، وهم قادة النازي

لابد من التعاون لتوطيد دعائم السلام

[عن « دان آند أول »]

ليس كل أنواع السلام مما يستحق السعي إليه . فالسلام القائم على التعاون بين الأمم كبيراتها وصغيراتها ، يختلف ولا شك في

جوهره عن السلام الذى يقوم على الغلبة وإخضاع النفوس، فالأول وحده هو الذى يستحق الاهتمام ، ولكنا إذا سعينا إليه فلا بد أن نحتاج – عاجلاً أو آجلاً – إلى شىء من التعاون مع الشعبين الروسى والألمانى، حتى تكون دعائم هذا السلام موطدة الأركان. وما دام هذان الشعبان يعيشان تحت سلطان الدكتاتورية ، التى تنفذ مشيئتها فى خصومها السياسيين بالقتل أو السجن ، فهما حريان بألا يسميا وراء هذه المبادئ ، لتكون أساساً لعلاقاتهما بالأمم الأخرى ، وقد نبذوها أنفسهم فى حدود بلادهم

على أننا جديرون – على كل حال – بأن نعرف كل العرفان أننا لا نملك الحق فى إلزام الأمم الأخرى بتغيير نوع الحكومة التى ترتضيها. فإذا كان الألمان يفضلون أسلوب هتلر فى الحكم ، أو كانوا على الأقل، لا يستطيعون تغييره من تلقاء أنفسهم ، فأى حكومة تقوم فى ألمانيا تحت تأثير القوات المسلحة التى لبريطانيا العظمى وفرنسا لا يقدر لها البقاء

فحكومة هتلر هى ثمرة من ثمرات العقلية الألمانية . وقد جاء هتلر نتيجة لانهزام ألمانيا فى حرب ١٩١٤ – ١٩١٨ ، وليس بمستبعد أن تكون للحرب الحاضرة نتيجة شر من تلك النتيجة، إذا هزمت ألمانيا مرة ثانية . وقد يتعلم الشعب الألمانى هذه المرة كيف يؤسس حكومة أقل سذاجة ونقصاً من حكومته الحاضرة . وعلى أى حال من الأحوال فسوف يكون من شأنهم وحدهم – لا من شأننا – اختيار الأسلوب الذى به يحكمون

بهذا المبدأ نطلب أن يعامل البولنديون والتشك والاستونيون واللتوان ، وإن يكن هذا المبدأ لم يساعدنا على إنقاذ السلم العام . هو ضد إخضاع أمة لأمة أخرى . ولكنه لا يعترض مبدأ آخر أكثر أهمية ، وهو مبدأ التعاون بين الدول . وقد حوولت محاولة طيبة فى معاهدة عام ١٩١٩ للمناداة بهذين المبدأين ، فنالت بعض الأمم المستعبدة حريتها ، وتخلصت من تبعيتها لأمم أخرى تحت تأثير من تقرير المصير ؛ وتم التعاون من ناحية أخرى بين جميع الدول بقيام عصبة الأمم . إلا أن هذا المبدأ مبدأ التعاون الدولى قد سار بخطى وئيدة إلى الغاية التى ينشدها الجميع

بل إن التعاون بين الأمم التى تنتمى للعصبة كان من الناحية العملية محدوداً وغير محقق الرجاء. فكل حكومة كانت تعمل مستقلة لصلاح حالتها الاقتصادية والمالية، وتستغل الظروف لإصلاح سياستها الحربية . فالتعاون بمعناه الصحيح لم يكن معروفاً فى علاقات بعض الدول بالدول الأخرى . وما زالت بعض الحكومات إلى اليوم تعد نفسها غير مسئولة إلا عن مصالح الأهالى الذين ينتمون إليها. وما زالت هذه الحكومات تقف موقف الصمت بإزاء المصالح العامة ، وليست هذه هى السياسة التى تؤدى إلى توطيد أسس السلام . إن مبدأ التعاون الذى ننشده لتدعيم قواعد السلام لا بد أن يدخل فى سياقه التعاون التجارى والصناعى بين مختلف الأمم؛ ولا بد أن يقضى على فكرة الحرب الأهلية أو حرب الطبقات . وأى حكومة تبيح تلك الحروب الأهلية فى بلادها لا تستطيع ولا شك أن تتعاون تعاوناً شريفاً لتوطيد طرق السلام .

النشر والحرب

[عن « ذى سبكتاتور »]

قليل من الذين كانوا يشتغلون بالنشر فى الحرب الماضية ، يعيشون إلى اليوم ويزاولون أعمال النشر بيننا . ومما يدعو إلى العجب أنك لا تجد عند هؤلاء إلا النزر القليل مما يروون عن مثل الحالة التى نواجهها اليوم . فإذا كانت هذه الحالة تماثل ما عرف من قبل فيما بين عام ١٩١٤ و ١٩١٨ ، فإن عالم النشر سيشاهد بعد المرحلة الأولى من الحرب تجارب لم تتح له منذ عدة سنين

إن الحرب تشجع على القراءة، فهى تؤثر فى نفوس المحاربين وغير المحاربين من الأهالى بما يضجر ويقلق مما لا يخفف وطأته شىء كقراءة الكتب. فهى تثير الحماسة الوجدانية وتمد الأذهان لتلقى ما ينتجه العقل ، وتجعل النفوس أشد رغبة فى أن يفكروا ويحسوا ، وتضعها فى الوقت ذاته فى موقف يكون فيه أشد حاجة إلى الراحة والتسلية من أى وقت آخر . ولا يضيرنا هنا أن نقول إن هذه العوامل لا تقل قوة وتأثيراً اليوم عما كانت عام ١٩١٤، بل قد يكون الأمر على النقيض ، فالقيود التى تحيط بنا وحالة الشعب العامة قد تساعد على تقوية هذه العوامل

إلا أن عالم النشر تعترضه صعوبات كثيرة إلى جانب الصعوبات المتعلقة بالطبع والتوزيع ، مما قد يخفى على الجمهور . وسوف تعانى بيوت النشر والطباعة الكثير من هذه الصعاب ، فعمل الناشر فى الحقيقة أكثر دقة مما يتصور الكثير من الناس

وهناك صعوبة قد لا تخطر على البال ، وقد يكون علاجها من المستحيلات ، فما قيمة الورق والطبع وما قيمة الناشرين إذا لم تؤلف الكتب ؟ وقد لوحظ هذا العام هبوط محسوس فى عدد الكتب التى قدمت للمطابع وكذلك فى نوعها. والسبب فى ذلك



فى العروض

فى العدد الماضى من « الرسالة » تعقيب عنوانه « التجديد فى العروض » ، وغايته مناقشتى فى بحر « وضعتُه » ، وكنت نشرت أبياتاً منظومة عليه (قصيدة « الناى ») فى العدد الـ ٣٤٠ ، وجعلت اسم البحر : « المنطلق » . ولن أجاذب صاحب التعقيب. بل علىّ عهداً نى كلما رأيت كاتباً يعرض لى وهو غير مستوثق مما يكتب ولا متقصٍّ فى التدقيق عدلت عن الجدَل إلى ما يجلب لصديق القارئ بعض الفائدة. ولك أن تسألنى عن مواضع النبوّ فى تعقيب الكاتب . وإليك الجواب مختصراً :

يقول الكاتب إن البحر الذى قلت إنى « وضعتُه » (وهو : فاعلاتن مفاعلاتن ، مرتين) قد « خيل إلىّ أنى اخترعته » .

وهنا أحب أن أبصِّر الكاتب، على عجل ، مواقع ألفاظ العربية : فإن « الوضع » غير « الاختراع »

وقد علّل الكاتب كيف « خُيِّل إلىّ » وضع البحر بقوله : « يوجد هـذا الضرب نفسه بأجزاء أخرى هى (فاعلن فاعلن فَعِلُن) فهو إذاً الضرب الأول من العروض الثانى (يريد : الثانية) من المتدارك ، وهو المجزوء الصحيح ، وأقرب أمثلته لوزن الدكتور بشر هو الضرب المخبون المرفَّل من هذا المجزوء الصحيح ، ومثاله فى « متن الكافى » هو :

دار سُعدى بشحرِ عمانْ قد كساها البِلى الملوانْ

على أن هنالك فرقاً يسيراً قد يلحظه القارئ بين الوزنين ، فذلك أن وزن الدكتور بشر ينقصه الترفيل (وهو زيادة سبب خفيف ...) والسبب الخفيف متحرك بعده ساكن كقَدْ . فهو يمثل الألف والنون الأخيرتين فى « عمانْ » و « الملوانْ » واللتين بحذفهما نحصل على نفس الوزن المنطلق الذى جاء به الدكتور بشر » اهـ .

أولاً : ليراجع الكاتب « متن الكافى » الذى استند إليه ، وشرحه « المختصر الشافى » للدمنهورى وغيرهما ليعلم أن للعروض الثانية المجزوءة من المتدارك ثلاثة أضرب هى : فَعِلاتن ، فاعلان ، فاعلن . فأين « فَعِلُن » الذى أتى به ؟ وإذا بدا له أن يتذرع بالخَبْن ، فليذكر أن « الخبن » من « الزحاف » فما هو بلازم فى فاعلن ، وإن لزم فى فعلاتن الوارد هكذا على أنه ضرب .

ثانياً : قرأ الكاتب البيت الذى استشهد به فى « متن الكافى » ، وهو غير مشكول . فسكن النون من « عمان » و « الملوان » . والصواب: كسر النون (عمانِ ، الملوانِ)— كما يبيّن ذلك موضع الشاهد من الكتاب — فيكون الوزن « فعلاتن » لا « فعلان »

ثالثاً : والظريف أن الكاتب يزيد أن فى البيت ترفيلاً . فيشرح الترفيل ، ويضرب المثل بكلمة « قد » ، ثم يقول : « إن الترفيل يمثل الألف والنون » من « عمانْ » و « الملوانْ » . والصواب : « أنه يمثل النون المكسورة » ، مع إشباع الكسرة . وأما « الألف والنون » فالألف تتمة التفعيلة السابقة ، والنون هى التذييل ، فلا ترفيل كما وهم الكاتب

رابعاً : يقول الكاتب إن بين الوزن الذى استكرهه والوزن الذى وضعتُه « فرقاً يسيراً... وبحذف الألف والنون (والصواب كما رأيت : بحذف النون مع حركتها المشبعة) نحصل على نفس الوزن المنطلق الذى جاء به الدكتور بشر » . فكأن الأوزان على يد الكاتب تنقص وتزيد وتنضغط وتمط بجرة قلم . وإن توهم أن الترفيل فى العروض لا يقدّم ولا يؤخر كما يقولون ، فليسأل أهل التلحين والغناء عن النقرة التى تبعد إيقاعاً من إيقاع ، والغمزة التى تجنِّب « الصبا » من « البياتى » مثلاً . ولينشدهم « قصيدة الناى » يخبروه هل البحر الأول (وهو فى وهمه مجزوء المتدارك) على ميزان البحر الثانى (وهو المتدارك) . ألا إن الشعر والموسيقى من منبع واحد . أليس لكليهما دوائر قائمة على الأسباب والأوتاد والفواصل عند أرباب الفنين ؟ ليفطن الكاتب إلى هذا

واضح ، فقد أصبح العالم الأوربى منذ اجتماع ميونخ قليل الاهتمام بالأعمال الأدبية ، فتلك الأزمات المتوالية ، التى تعقبها فترات من القلق والتفكير فى مصير المدنية المزعج ، كل ذلك من شأنه أن يجفف ينابيع التفكير .

ولكن ما دمنا قد وطدنا العزم على إزالة هذه الهمجية من أوربا ، فمن الواجب أن يزول ذلك الشبح المخيف من أذهان الكتاب. فنحن فى حرب يشترك فيها العالم كل بما أهل له، وكل ما يطلب من الكاتب — إذا ترك وشأنه فى هذه الحرب — هو أن يؤلف ويذكى الأفكار

وخلاصة القول أن أركان صناعة الشعر وشواهدها تختلط على قلم الكاتب وتلتوى. فكيف أجاذبه فيما انحرف إليه ؟ هذا وإن لى حديثاً فى « بحر المنطلق » : كيف خطر لى وما أصوله ، وإنى لسائق الحديث يوم يخرج الديوان تسبقه توطئة

بشر فارس

ثناء ورجاء

أثنى على مطالعة الأستاذ عوض السيد الدحل الفاحصة ، وأعلمه كى يبتهج أن قد حُذف القول الخامس من جريدة « قد لا يكون » ، وإن أراد الإمام العكبرى – كما ظن قبل – « وقيل أن مصدرية ، وقد لا تمنع من ذلك » .

وأرجو من الأستاذ توفيق الفكيكى أن يتفضل بقراءة : « كلمة فى اللغة العربية ، والإسلام الصحيح » . فمقالته الكريمة « نهج البلاغة أيضاً » فى « الرسالة الهادية » تخبر أنه لم ير الكتابين. وإذا تلا قولهما ، ولم يقنعاه ، فإنى أهنيه بإيمانه .

محمد إسعاف النشاشيبى

اقتراح

كنت نشرت فى « الرسالة » مقالاً صححت به فصلاً واحداً من كتاب « الإمتاع والمؤانسة » الذى أخرجته لجنة التأليف والترجمة والنشر بتصحيح الأستاذين الفاضلين أحمد أمين وأحمد الزين. وقد نبهت المصححين إلى سبع وعشرين غلطة أساسية فى ذلك الفصل الواحد . وبعد أسابيع كتب أديب أخفى اسمه مقالاً مطولاً فى الرد علىّ ، ولكنه لم يستطع أن يثبت أنى أخطأت فى كلمة واحدة مما نبهت إليه ، ومع ذلك دار حول بعض الألفاظ ليوهم القراء أنه فند كلامى .

وأقول : إنه لا خوف من أن ينخدع القراء بمحاولة ذلك الأديب ، وإنما الخوف على ذلك الأديب نفسه ! فهل أستطيع أن أقترح على الأستاذ الزيات أن يدعوه لمقابلتى ومعه الكتاب لأهديه إلى ما خفى عليه من عبارات التوحيدى ...

إن كان طالب علم فليحضر (مع المختلفة) للاستفادة ، وإلا فليعرف أن وقتى يضيق عن محاورة من كان فى مثل حاله من الجهل بأساليب القدماء .

زكى مبارك

الكهربائية تعتاد

مما استوقف نظر بعض الأدباء فى شيء من الإنكار ما جاء فى كتاب « آفاق العلم الحديث » من مبحث الأستاذين هل وكرم عن الأفعال المكسبية الأصيلة والمتحولة وأساسها فى عالم المادة ، ذلك أنه قرر أنه إذا اقترن مؤثران فى إحداث أثرين معاً ، وتكرر هذا الإحداث عدة مرات ، فإن أحد المؤثرين منفرداً يمكنه أن يقوم بعمل الاثنين معاً فى إحداث الأثرين . وهذا التفسير المادّى أراد به إيضاح قاعدة بافلوف فى الأفعال المكسبية الموصلة والمتحولة . والتجربة التى أجراها فى هذا الموضوع أنه أتى بمصباحين كهربائيين أو جرسين متصلين ، كلاهما ينير أو يدق بالضغط على زرين ، وبتكرار هذه العملية تمكن من إيجاد شبه عادة فى أن يجعل الكهربائية تسرى فى السلكين المتفرعين من الزرين ، وأن تنير المصباحين أو تجعل الجرسين يدقان . وتفاصيل هذه التجربة مذكورة بإيضاح فى كتاب « آفاق العلم الحديث » ، وهى فى الأصل مقال نشر بمجلة المقتطف لأعوام خلت

ولست أعرف كيف يوجد فى الشرق العربى أناس يزعمون أنهم متصلون بالثقافة الأوربية الحديثة ، وأن لهم دراية بآخر نتائج العلم التطبيقى فى أوربا ، ومع ذلك يجهلون مثل هذه النتائج التجريبية التى انتهت إليها أوربا ، ويعتبرونها من أضغاث أحلام الكتاب الفرنجة ؛ مع أن هذه المباحث ليست نظرية إنما هى وليدة التجربة والاختبار . ولا شك أنه ليس للأفكار ولا للمنطق أن ينازع فى حقيقتها ، ما دامت التجربة تثبتها ؛ وهذا الموقف يذكرنى تماماً بتلك المحاولات الفاشلة التى كان يثيرها البعض أمام كل اكتشاف علمى جديد

ولكم أرجو أن يتمكن أدباؤنا من الأسس العلمية التى تقوم عليها الفكرات الحديثة قبل التعرض لها

(الاسكندرية) اسماعيل أدهم

فهم معكوس فى معنى بيت وإعرابه

من الخطأ ما يلتمس لصاحبه فيه العذر ، وهو الخطأ الذى يكون عند ما يستغلق الأمر ، ويصعب فهم المراد من الكلام ؛ أما الخطأ الذى لا يعذر فيه صاحبه فهو الذى يكون عند وضوح

المراد ، وظهور المعنى غاية الظهور ، ومن هذا الخطأ الأخير ما وقع فيه الأديب الفاضل محمد رجب البيومى ، فقد فهم فهماً معكوساً ما كتبته فى معنى بيت الأعشى وإعرابه :

ألم تَغتمِضْ عيناك ليلة أرمدا وبتَّ كما بات السَّليم مسهَّدا

ومع هذا يبتدئُ ما كتبه بهذه الجملة التى لا معنى لها : « للأستاذ عبد المتعال الصعيدى انتقادات ومباحث تصيب مرماها تارة وتخطئه أخرى » ولله الشكوى من مثل ذلك الفهم المعكوس وذلك الاشتباه الظاهر ، وفى النفس ما فيها من هذا الزمان وأهله

لقد ذكرت أيها الأديب الفاضل أنى أنا الذى أعرب (أرمدا) فى بيت الأعشى فعلاً ماضياً مسنداً إلى ألف الاثنين العائدة على قوله عيناك ، وعلى هذا تكون (ليلة) فى البيت منصوبة على الظرفية ، ولا تكون مفعولاً مطلقاً كما يقول الأستاذ أبو رجاء نقلاً عن حذاق النحاة

ولو أنك أيها الأديب الفاضل تأملت قليلاً فى كلامى لوجدت أن الإعراب الذى نسبته إلىَّ هو إعراب الأستاذ أبى رجاء ، وليس هو إعرابى ولا إعراب حذاق النحاة ، لأنى أوافقهم على إعرابهم ، والذى يخالفهم هو الأستاذ أبو رجاء

ولو أنك تأملت أيضاً قليلاً فى كلامى لعلمت أن السبب فى فساد إعراب ليلة على الظرفية وأرمدا فعلاً ماضياً هو أن الأعشى لم يكن فى مقام الشكوى من رمد فى عينيه . أما الذى ذكرته فى فساد ذلك فخطؤه ظاهر أيضاً ، لأنك ذكرت فى فساده أنه لا يتأتى انطباق جفون العين وذوق حلاوة الكرى فى وقت ألم العين من الرمد ، فأما أن ذلك لا يتأتى فى ذوق حلاوة الكرى فصحيح ، وأما أنه لا يتأتى فى انطباق جفون العين فهذا هو الخطأ الظاهر ، لأن اغماض العين من الرمد لا يمكن إنكاره ، وهو الذى يمكن أن يراد فى بيت الأعشى على الإعرابين ، ولكنه يكون صحيحاً جارياً على التشبيه فى إعراب النحاة ، ونابياً عن المقام فى إعراب الأستاذ أبى رجاء . أما اغماض العين فى الكرى فبعيد عن البيت كل البعد ، ولا يريده من يجرى إعراب ليلة على الظرفية . ونصيحتى بعد هذا إلى الأديب الفاضل ألا يهجم على الكتابة قبل التأمل ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته

عبد المتعال الصعيدى

مميزات بنى أمية — محاضرة للأستاذ محمد كرد على

هذه هى المحاضرة الثانية التى ألقاها الأستاذ العالم محمد كرد على بك فى دمشق . ولقد كنا نقدنا فى « الرسالة » محاضرته الأولى « كتبنا وتآليفنا » التى ألقاها قبل شهور ، وقلنا إنها محاضرة لا ترتيب فيها ولا استقصاء ، وقال عنها الأستاذ الشيخ على الطنطاوى إنها لا تزيد عما كتبه مؤلفو « الوسيط » للتلاميذ فى كتابهم ، فلنر هذه المحاضرة ونصيبها من التوفيق

موضوع المحاضرة « مميزات بنى أمية » ألقاها الأستاذ فى قاعة الجامعة السورية الكبرى وسمعها ناس كثيرون، من تلاميذ وطلاّب ومعلمين ، وأساتذة ، وموظفى وزارة المعارف ، وبعض المتأدبين الناشئين من تلاميذ « أصمعى هذا العصر الشيخ مارسه » كما يقول الشيخ الطنطاوى . وكانت المحاضرة على عين من مدير المعارف العام معالى عبد اللطيف الشطى بك

بدأ الأستاذ يبحث لغوى عن كلمة « أمة » والنسبة إليها ، وتصغيرها . ثم خطّأ من يقول « أموى » بالفتح وصوّب من قالها بالضم، ثم انتقل الأستاذ فأطرف السامعين بحديث عن أنساب أميّة ، ملّه الناس منه ، لأن الأنساب ليس مما يتحدث به إلى الناس فى حفل عام . وذكر أنهم كانوا تجاراً ، وبيّن شأن تجارتهم فى تلك الأوقات وقال إنهم « أدخلوا مكة فى دور مدنى ، وأن بهم عرفت قريش أرض العجم والروم ... »

وانتقل الأستاذ إلى أبى سفيان ، فأفاض فى ذكر أحواله فى الجاهلية ، وانتقل فجاءة إلى معاوية فذكر ما كان يقوله عمر إذا رآه . ثم عاد إلى أبى سفيان فذكر أن له الفضل بنقل الخط إلى الجزيرة ، وانتقل بعد ذلك إلى عثمان بن عفان ؛ فقال إنه جمع القرآن ، ولولاه لكان القرآن اليوم ضائعاً ... وأنه كان يكرم حرملة الشاعر النصرانى . . . وانتقل إلى خالد بن يزيد وذكر أنه أول من ترجم الكتب القبطية والسريانية إلى العربية . وتخطى الأستاذ الخلفاء ، حتى أتى عمر بن عبد العزيز ؛ فقال إنه أول من عنى بتدوين الحديث

ثم رجع القهقرى وقال : « ولم يكن بنو أمية من النابغين لما استعملهم الرسول على الولايات . وقد انتقل رسول الله وأكثر العمال من بنى أمية ، وأنهم كانوا فى الجاهلية أمراء ، وكذلك كانوا فى الإسلام »

وقفز الأستاذ إلى معاوية فقال وأفاض ، وأبان عن علم، حتى حسبنا أن المحاضرة قد انقلبت إلى محاضرة عن معاوية لا عن بنى أمية . فذكر تشبه معاوية بالروم (وهذه وكل ما سيأتى من مميزاته) ، وما اقتبسه من الأمم المجاورة من الأبهة والعظمة ،

وما ألف من مجالس الوفود ، وذكر استخدامه النصارى والعلوج فى وظائف الدولة ، وقال إن بنى سرجون كانوا وزراء المال عنده ، وإنه كان ذا عقل ناضج ، واستدل على سعة عقله بخبر عبد الله بن قيس إذ لقى فى « صقلية » أصناماً من الذهب فأخذها معاوية وأرسلها إلى الهند لتباع ويؤخذ ثمنها . وقال إن معاوية حسن حال الحكومة ، واستطاع بدهائه أن يأخذ الخلافة من على وهو راض ، ومن أبنائه وهم راضون ... وأنه أول من وضع الحشم للملوك وأمر برفع الحراب بين أيديهم ، ونظم الجيش ، وأعطى الجند رواتب ، ووضع البريد ، وعلم الناس التجسس إذ عين صاحب الخبر (أى مأمور استخبارات) ، وأوجد فى مصر رجلاً كان يطوف على الناس كل ليلة فينادى : « هل ولد فيكم ولد ، هل ولدت فيكم جارية ، فيقولون ولد لفلان كذا ... فيكتب اسمه »

وقال الأستاذ إن معاوية كان يعتمد على العطاء ثم الإقناع والرضاء ، فإن لم تفد هذه الأشياء عمد إلى القسر ، وذكر إسرافه فى الأموال ليسكت العلويين والهاشميين ، واستخدامه الشعراء والقصاص للدعاية ... الخ

ويترك الأستاذ معاوية ويأتى إلى عمر بن عبد العزيز فيذكر ورعه وتقواه ، وعفته وصدقه ...

ثم قال : ولقد كانت دولة الأمويين دولة عربية صرفة بكل مظاهرها و ... (والحق أن هذا القول ينطبق على أيام معاوية !!؟) ثم ذكر مروان بن محمد الملقب بالحمار (ولم يذكر الأستاذ لقبه) وقال إنه كان على جانب عظيم من العقل ، وانتقل إلى ذكر قصر الحير الذى بناه هشام فى الشام (والذى كشف أخيراً خارج دمشق من جهة البادية ، ووضع فى متحف دمشق الأثرى)

ويجعل الأستاذ من مميزات معاوية جعله الشام « جمعية أمم » فقد رحب بالنصارى واليهود والسريان والروم والسود والبيض والحمر والصفر ... إلى ما هناك من شعوب وأمم ، ثم انتقل إلى ذكر ولاة بنى أمية ، فأشاد بمناقب الحجاج ، وأكبر أفعال موسى ابن نصير وعظم غيرها ...

وقال الأستاذ : إن هواه كان وما زال مع بنى أمية ، لأنهم ظهروا له بعد البحث والدراسة جديرين بهذا الهوى . وقد حاول الأستاذ أن يكذب ما نسب إلى بعضهم من الأخبار التى لا تشرف

وختم الأستاذ محاضرته بقصيدة شوقى فى بنى أمية . ولعل أحسن ما فى المحاضرة هذه الأبيات التى ختم بها الأستاذ محاضرته فأحيت السامعين ، وترنحوا منها طرباً ونشوة .

تلك هى المحاضرة لخصتها فى هذه الأسطر ، والقارئ رأى معنا هذا الاضطراب وهذا التفكك الذى فيها ! ... وما ندرى ، أأصبح عدم الترتيب والاضطراب فى السرد من مميزات محاضرات الأستاذ فى هذه الأيام ؟ على أننا لا ننكر أن هذه الأخبار التى ذكرها الأستاذ تدل على معرفة واسعة وقراءة دائمة ، وهذا ما عرف به الأستاذ . ونحن وإن كنا ننكر عدم الترتيب وذاك الاضطراب ، وهنات نحوية بسيطة ، فإننا نعجب بالأستاذ وبعلمه ، وبتلك الأبيات التى ختم محاضرته بها .

« دمشق » (ص . م)

توفيق الحكيم فى نظر كاتب أوربى

كتب المستشرق المجرى الأستاذ جرمانوس أستاذ التاريخ بجامعة بودابست فصلاً عن الأستاذ توفيق الحكيم فى كتاب له ظهر بالألمانية حديثاً بعنوان : « الله أكبر » نلخصه فيما يلى :

... يميل اليوم كثير من الكتاب المصريين إلى استخدام اللغة الشعبية والتعبير بها عن كل ما يراد التعبير عنه . لكن الكتابة بهذه اللغة اعتبرت بدعة جريئة عند ما قام مفكر حر واستطاع بفضل ما أوتيه من موهبة أن ينفذ عقيدته الفنية . ونعنى بهذا الفكر الحر توفيق الحكيم

درس توفيق وعاش فى باريس . هناك تغيرت عقليته . وحينما عاد إلى القاهرة ليشغل منصباً رفيعاً فى وزارة المعارف ، نشر حوله ظلال أفكاره وثمرة تأملاته . أراد أن يكتب كما أحس وتكلم ، ثم نقل كل شعوره وإحساسه الفكرى إلى العربية مباشرة

اقتبس توفيق الحكيم موضوعاته من تقاليد الإسلام ، ووفق لتمثيل خيالاته على أحسن صورة ؛ لكن الشكل والأسلوب جديدان تماماً . وهو يصف أسطورة شهرزاد بأسلوب حوارى أقرب ما يكون إلى البساطة والرمزية فى الوقت نفسه . وهو يعرف - بأزميله الفنى - كيف يصب أشخاصه فى قوالب من لحم وعظم

وقد قال لى توفيق الحكيم فى إحدى محادثاته : « ليس فى وسعى أن أكتب إلا فى جو الحرية » . والواقع أنه بشخصيته المتواضعة ، ورقته ودماثة أخلاقه ، يمثل لنا الكاتب الشرقى فى أحسن صورة

ثم أردف توفيق قائلاً : « إننى أحس أن قلمى وكذلك فكرى شبه محجور عليهما فى الشرق . إن شعورى متوثب ،



على الطنطاوى وكتابه

في بلاد العرب

بقلم الأستاذ صلاح الدين المنجد

... وها هو ذا الطنطاوى يخرج كتابه الجديد بعد تردد ، وها هو ذا يُلقى بنفسه بين أيدى أهل النقد لينال ما يناله المؤلفون من نقد جارح وتقريظ ناعم ، ومن تهجم لاذع ومداعبة لينة ... ويرمى بكتابه إلى الناس ليقرأوه ويشرحوه ، ثم ليطنبوا فى مديحه أو يدركوا به ثأراً قديماً لهم ، فينالوه بالتعريض . فلنشعر إذن مع هذا الناس ولننقد هذا الكتاب كما ينقد الطائر الأرض لينبش منها حبها وزوانها . ولنحدث الناس عن الطنطاوى الذى يخشى الناس غضبه ، ويخافون على أنفسهم منه ، ولنلق بأنفسنا بين يديه يتحدث عنا ما يشاء . فلقد تربصت طويلاً ، وحاولت أن أنقده كثيراً . ولكنى كنت فى كل مرة أغلب على أمرى . أما وقد أخرج الآن كتابه ، فلن أبطىء أبداً ، فقد ألقى بنفسه بين يدىّ ، وأصبح كتابه بين عينىّ . وليت شعرى أأمن صديقى على نفسه عند ما أهدى إلىّ كتابه وسألنى أن أكتب عنه ما أشاء ! ...

لقد سمرت يا صديقى مع كتابك طول هذه الليالى المظلمة التى فاجأنا بها هـذا العام الوليد . وكنت أقرأ فيه فأسمع تلك النغمة الحزينة تارة والطروب أخرى التى كانت تتعالى من سطورك وكلماتك ، فتهيج حسى كما أهاجته تلك النغمة التى كان يحدثها المطر وهو يقرع زجاج النافذة ، ويتساقط على أوراق الليمون والبرتقال التى هزتها الريح المولة وروّعها السحاب المتون . والحق أنى استمعت إلى نغمتين حزينتين : نغمتك وأنت تصف مآسى هذا الوطن الباكى ، ونغمة المطر وهى تحدّث الأوراق الذابلة . ثم خرجت من الكتاب وأنا أسيان نشوان ، طروب معجب . فاسمح لى يا صاحب الرسالة أن أتحدث عما رأيت وما سمعت

لقد قرأت قولك فى مقدّمة الكتاب إنك كنت فى حرب مع الحياة ، فذكرت بلدك هذا ، وكيف أنكرك ، فلقد اعتادت الشام أن تعظم الجاهل الغريب ، وتحطم النابغ القريب . فلما رأيت ما رأيت تركت دمشق تبتغى مصراً ، فعشت بها أمداً اتخذت فيه من الأماكن والناس أصدقاء لقلبك وأحبة لنفسك ، وأنفقت أيامك فيها فى دار العلوم طالباً وكلية الآداب مستمعاً ، وفى « الفتح » و « الزهراء » كاتباً ومحرراً ، وعند خالك محب الدين الخطيب سعيداً ومستفيداً . ثم بدا لك ... وعاودك الحنين إلى وطنك ، فعدت إليه فعيّنوك للصبيان معلماً ، وقدّموا الجاهلين عليك ؛ فهزأت بهم وسخرت منهم ، وخرجت من بلدك تبتغى العراق فعلّمت فى ثانوياتها الأدب ، ثم قصدت الحجاز وعبرت الصحراء ، ثم عدت إلى بغداد ، ثم رجعت إلى دمشق وإذا بهم يمكرون بك مرة أخرى

ذلك لأنك من هذا البلد ... ولأن هذا البلد قد اعتاد وأد أبنائه ...

عفواً يا بلدى الحبيب !

فتلك شيمة أبنائك ... يكرمون الغريب ولو كان جاهلاً ، ويفسحون له صدورهم ، ويوسعون له فى دورهم ، ويؤثرونه

وفكرى متقد ؛ ولكن يصعب علىّ تحديد هذا الفكر ورسمه على الورق باللغة التى أريدها ، فإن الفكر والشعور يتجمدان تماماً . نحن لا نملك بعد لغة مرنة ولا نحيا حياة أدبية صحيحة . إننا نعرف من المعانى عظاماً قد تسرب السوس إليها من قرون . لأننا فقدنا شهيتنا لتذوق طعم اللحم الطازج . لهـذا السبب أميل إلى الطبقات الشعبية لأنها لم تشبع بعد ولا تزال على فطرتها وسذاجتها . فلعل الشعب يفهمنى »

صديقى العزيز توفيق ! حقاً ! اليوم لا يفهمك ويقدرك حق قدرك سوى بعض المستشرقين الذين فى وسعهم مطالعة أعمالك وتفهمها على وجه صحيح ، وكذلك فئة قليلة من المصريين المثقفين ؛ ولكن صبراً ستتطاول أفهام الجماهير ، وستنمو لشعبك أسنان جديدة ؛ ويومئذ يقبلون على التهام آثارك الأدبية الشعبية

ثم تكلم الكاتب بعد ذلك عن شهرزاد وأهل الكهف وعودة الروح وحياة محمد ، ثم ختم مقاله بقوله : ومهما يكن من شىء فإن الذى أعتقده وأومن به أن توفيق الحكيم يستحق تعضيد العالم العربى ، فيقدر جهوده الفكرية حق قدرها ويعنى بتفهمها على وجهها الصحيح ليسر للشرق المضى فى السير نحو مثله الأعلى.

على أنفسهم ... ويموتون هم من الجوع ... فإذا تولى عنهم رماهم بكل قبيح ، ولكنهم يصفحون عنه ، ويبسمون لاستقبال غريب آخر ...

نعم ، تلك شيمتك وشيمة أبنائك يا بلدى ...

* * *

ولقد أعجبنى أنك ظهرت فى كتابك أديباً حقاً ، يهزك كل شىء ، ويحن إلى كل شىء ... والأديب الحق من إذا رأى شيئاً أثر فيه ، فحرك نفسه ، ودفعها إلى الكتابة . لقد طوفت فى ربوع الشام ... فحركت نفسك روائع دمشق ، هذه الزهرة الناعمة التى نبتت على أطراف الصحراء ، يسقيها بردى بدموعه ، ويحرسها قاسيون الجليل بنفسه ، والتى يسعى إليها الملوك ليتمتعوا بنظرة منها ، ويستنشقوا عطرها ... فوصفت ما رأيت وأبدعت. وقد أعرض قومك عن تلك الروائع ولم يحفلوا بها، ثم ذهبت إلى العراق ، فرأيت وسمعت ، وتذكرت الماضى المجيد يرقص على شطآن دجلة ، ويرتع فى جنبات بغداد ، فقلت عنه ما قلت ، ثم أوليت العروس حبك ... فلما رأيت الإيوان هاج حسك ، ثم زرت سر من رأى ، فهاجت شجونك ... وأنت فى كل مرة تكتئب وتتغنى. ثم ذهبت إلى الحجاز — فذكرت محمداً سيد العالم — عليه صلوات الله وسلامه ، ورأيت النور ينبثق من هاتيك النجود ، فيغمر الدنيا ... فذرفت دمعة على الماضى الفخم يواريه أبناؤه التراب ولا يحفظونه ، ويستبدلون بالعز ذلاً ، وبالحرية قيداً ، وبالسيادة عبودية . ثم ذكرت العقيق وأيامه، وسمعت الشعر الطروب والغناء الراقص والحب الرفاف ... فحننت ووصفت ، ثم عدت إلى بيروت فهمت على سيف هذا البحر الحبيب ، وشردت فى الجبال الخضر ووصفتها أيضاً ، وأنت فى كل مرة تذكر وتبكى ، وفى كل مرة تحن وتطرب ، وفى كل مرة تدع قطعة من قلبك هنا ... وقطعة منه هناك ...

فقل لى ما بقى من قلبك يا صديقى !

لقد تركته هنا وهناك ... « فى بلاد العرب » فكيف تعيش بدون قلب ؟ وكيف تحيا بدون فؤاد ؟

* * *

وميزة أخرى أعجبتنى ... ذلك أنك لست أديباً فقط ، ولكنك أديب إقليمىٌّ . والأدب المحلّى ينقصنا يا صاحبى . وكما أن بمصر أدباً محليًّا ، فيجب أن يكون مثله فى شامنا وعراقنا وحجازنا ، وأن تبدو فى كل أدب مظاهر القوم وشعورهم وعواطفهم . ومجموع هذه الآداب كلها يؤلف الأدب العربى فى القرن العشرين ، كما ألّف الأدبَ العربى من قبل أدبُ الشام ، وأدبُ العراق ، وأدب الأندلس . ولو حاولنا أن نبحث عما أنتجه أدباء الشام فى أيامنا ، وما ظهر فيه أثر الشام جنة الله ، ومهبط السحر ، وينبوع الإلهام ، لوجدته قليلاً نادراً

أين من وصف سورية الجميلة الوادعة ؟

وأين من كتب عن سورية أم الأبطال ؟

وأين من أشاد بذكر الوطن ، فبكى آلامه ، ومجد أفراحه ، وحن إليه ؟ ...

أين الأدب الذى يبدو فيه غلظة نفوسنا عند الكريهة وصفاءها فى الأمن والسلم ؟

أين ... أين ... !

كل ذلك لن تجد منه إلا قسما واحداً عند أدبائنا كلهم ... أما أنت ... فمندك كل شىء ... فاهنأ فأنت « كاتب الوطن »

* * *

ولست فى كتابك أديباً دمشقياً ، ولكنك أديب مسلم عربى. إنك لم تنس العراق فأشدت بأيامه الخوالى ، وبكيت بطله غازى ومجدت أباه فيصل ؛ ثم ذكرت فلسطين فوصفت بؤسها وجمالها ورجالها وجبل نارها ؛ ثم وصفت مصر وعظمتها ، وكتبت عن الحجاز ماضيها وحاضرها ...

فيا أهل الشام !

إذا أردتم أن تسمعوا الأغانى التى قيلت فى بلادكم . . . وتعلموا أن ربوعكم ربوع شعر وبشر وعطر فاقرأوا هذا الكتاب

ويا أهل العراق !

إذا أردتم أن تسمعوا أناشيد محب لبلدكم ، عاشق لها ، بكى مليكها ، ومجّد بطلها ، وأشاد بماضيها ، فاقرأوا هذا الكتاب

ويا أهل مصر !

إذا أردتم أن تعلموا شيئاً عن هذه البلاد العربية ، وتروا ما فيها من جلال وجمال وما أصابها من ألم وأسى ، وتسمعوا أقاصيص هذه البلاد التى تهفو قلوبها إليكم . . . فاقرأوا كتاب الطنطاوى الشامى المسلم العربى : « فى بلاد العرب »[1]

(دمشق)

صموع الدين المنجد

(١) وسنعود إلى نقد الكتاب من حيث اللغة والأسلوب والفن



8me Année No. 344

Lundi - 5 - 2 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر المالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٤٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ ذو الحجة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٥ فبراير سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

الحياة جميـــلة ...

الحياة جميـلة ، وما يشوّه جمالها غير هذا الحيوان المسمى بالإنسان ! لم يعش فيها كما تعيش سائر الأنواع على رسم الفطرة وهَدْى الطبيعة ووحى الله ، وإنما عاش على قوانين من وضعه استمدها من أثرته وكبريائه وهواه فكان شرًّا على نفسه وحربًا على غيره

ربما اقتتل الوحش والوحش أو الطير والطير فى سبيل القوت أو النسل ؛ ولكنه اقتتال الساعة لا يسبقه تدبير ولا يصحبه حقد ولا تلحقه جريرة . أما الإنسان فهو وحده كدر السلام وقذى الحياة ! أحيا لنفسه بفضل ذاكرته ماضيًا يحفظ الثأر ، وخلق لنفسه بفضل بصيرته مستقبلاً يحمل الخوف ، فكان حاضره بينهما قتالاً مستحِرًّا لا ينقطع ولا يفتر ، إما دركًا لثأر الأمس الذى يتذكره ، وإما كسبًا لقوت اليوم الذى يتبصره ، وإما درءًا لخوف الغد الذى يتصوره

* * *

الحياة جميلة ، وأجمل منها الحى الذى يدرك هذا الجمال ويتذوقه ويستوعبه ويكتسيه . فالطائر أجمل من الروض لأنه عرف كيف ينقل ألوانه على ريشه ، ويجمع ألحانه فى صوته . والأسد أجمل من الغابة لأنه استطاع أن يجمل رهبتها حية فى رهبته ، وعظمتها ماثلة

فى عظمته . والجمل أجمل من الصحراء لأنه اندمج فيها فسير جبلها فى هيكله، وصور رملها على أديمه . والحوت أجمل من البحر لأنه قطعة من الحياة صيغت من لين مائه وشدة موجه وسرعة تياره . وكأنما يدرك الطبيعة ويسايرها ويتأثر بها كل شىء من ناطق وصامت إلا هذا الإنسان ، فقد خرج عن سنة الله فى خلقه حتى اختصه بالأنبياء والرسل والمدارس والكتب ! وهيهات أن يدخل النور عين الضرير ، ويبلغ الصوت أذن الأصم !

* * *

الحياة جميلة ؛ وليس جمالها قصراً على قوم دون قوم ، ولا على طبقة دون طبقة . إنما الجمال وضاءة الفن الإلهى أشاعه الله فى الأرض والسماء وهيأ المدارك للاستغراق فيه والاستمتاع به . فمن كان ذا سمع وبصر وقلب وجده فى كل منظر وأحسه فى كل حالة . فهؤلاء الذين يمرون عليه وهم معرضون عنه قد فسدت فيهم طبيعة الحياة، وتبلدت فيهم ملكة الحس ، فانقطع ما بينهم وبين الوجود الحق والوجدان الصحيح

إن الجمال وسيلة الطبيعة لحفظ الحياة وبقاء النوع ، تجمع به ما شتّ، وتؤلف به ما نفر . وهو بعد ذلك سرور النفس ونور القلب وسلام الروح ؛ فمن تملاه فى صوره الحسية والمعنوية فى الكون كان له منه فى كل زمان شباب وفى كل مكان ربيع

* * *

الحياة جميلة ، ومظهر الشعور بجمالها المرح والبهجة . فأينما تر الجمود والكآبة تر الشعور الذى أدركه الكلال أو أصدأه القبح أو أفسده الشر، فيموت فيه الوعى، أو ينعكس فيه الجمال، أو ينقلب فيه الخير . فالجمال فى الطبيعة لا بد أن يجاوبه جمال فى النفس ؛ والصفاء فى العيش لا بد أن يعادله صفاء فى القلب . ومن هنا استسر الجمال والصفو على ذوى الحس المظلم والضمير الخامد

كن جميلاً تر الجمال فى كل شىء حتى فى الدمامة. ومتى امتلأت قواك المدركة بفتائنه ومباهجه حَلِى الوجود فى صدرك ، وساغ المر فى فمك ، وسعيت إلى مجالى الجمال فى النيل والجزيرة والريف فشدوت مع الطير، وطرت مع الفراش ، وسبحت مع السمك، واستطعت أن تطاول الأغنياء فى العز وتشامخ فى النبطة ، وتقول لهم : إن السعادة بالجمال أضعاف السعادة بالمال ؛ والمال لكم لجدواه عليكم ، ولكن الجمال لله لجدواه على الناس

الحياة جميلة ، وأنت يا ابن الحياة وارث هذا الجمال . فلم تزوى عنه وجهك وترسل عينيك بالحسد والحقد إلى المترفين الخائضين وهم يتلهون بالقنص ، أو يتزحلقون على الجليد ، أو يتمتعون بالسياحة ؟ إن فى القاهرة وضواحيها من الجمال المبذول والنعيم الشائع ما يكفكف ثورتك على الغنى، ويلطف سخطك على الحياة. هذا هو النيل الجميل يجرى بين ضفافه السحر ، ويخطر على سواحله الفتون ؛ فمن الذى يمنع جمهرة الشعب أن تداعب أمواجه بالمجاديف ، وتشق عبابه بالزوارق ، وتقيم على شاطئيه مهرجانات السباق ومسارح اللهو ؟ إنك لتمر على النيل فى أى ساعة شئت من النهار أو الليل فتحسبه من السكون المخيم على شاطئه ومائه يجرى فى مجاهل الأرض . ولولا أن عليه جسوراً لا مناص من عبورها إلى الشاطئ الغربى لما ذكره القاهريون إلا كما يذكرون المقطم !

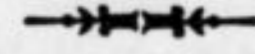
إن حياة الكسل والرخاوة والجمود والانقباض التى نحياها ألقت من ظلالها الباردة على النيل والجزيرة، فجعلت النيل فى ركود المستنقع، والحدائق فى سكون المقبرة ولذلك ترى الناس يمشون على جنباته أو بين جناته مطرقين صامتين كأنهم فى مجال التأمل أو فى مقام العبرة!

* * *

الحياة جميلة ، ولكن جمالها يقتضى أن يكون لنا زعماء لهو يصححون إدراكنا للحياة ، ويرهفون أذواقنا للجمال ، ويهيئون قلوبنا للسرور ، ويشغلون أوقات فراغنا بالمسابقات الرياضية ، والمهرجانات الوطنية ، والسباحات النهرية ، والملاهى الفنية ، والمواكب الشعبية . وليس أقدر على هذه الزعامة اليوم من وزارة الشؤون الاجتماعية ، فإن هذا الذى ذكرنا داخل فى منهاجها وعلاجها ؛ وهو يشبه أن يكون غرضاً أصيلاً من أغراض وزيرها المجاهد المصلح ، فإن سياسته فى تقويم الشباب قائمة على تقوية رجولته وشجاعته بالعسكرية ، وتربية خلقه وذوقه بالرياضة

قصة سامراء

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك



قصة مدينة سامراء من أغرب وأمتع قصص المدن في التاريخ: « قطعة أرض قفراء » على ضفة مرتفعة من نهر دجلة « لا عمارة فيها ولا أنيس بها ، إلا ديراً للنصارى » تتحول – في مثل لمح البصر – إلى مدينة كبيرة ، لتكون عاصمة لدولة من أعظم الدول التي عرفها التاريخ ، في دور من ألمع أدوار سؤددها . . . تنمو هذه المدينة الجديدة وتزدهر بسرعة هائلة ، لم ير التاريخ مثالها في جميع القرون السالفة ، ولم يذكر ما يماثلها بعض المماثلة ، إلا في القرن الأخير – في بعض المدن التي نشأت تحت ظروف خاصة – في بعض الأقسام من العالم الجديد

غير أن هذا الازدهار العجيب لم يستمر مدة طويلة ، لأن المدينة تفقد « صفة العاصمة » التي كانت « علة وجودها وعامل كيانها » قبل أن يمضي نصف قرن على نشأتها ، فتأخذ في الإقفار والاندراس بسرعة هائلة ، لا تضاهيها سوى تلك السرعة الشاذة التي كان تم بها تأسسها وتوسعها

وبعد أن كان الناس يسمونها باسم « سر من رأى » أضحوا يسمونها باسم « ساء من رأى » . . . وبعد أن كان الشعراء يتنافسون في مدح قصورها ، أخذوا يسترسلون في رثاء أطلالها

فبعد أن قال ابن الجهم في وصف أحد قصورها :

بدائع لم ترها فارس ، ولا الروم في طول أعمارها
صحون تسافر فيها العيون إذا ما تجلت لأبصارها
وقبة مَلك ، كأن النجو مَ تُفضي إليها بأسرارها

يرثيها ابن المعتز ، بقوله :

قد أقفرت سر من رى وما لشيء دوام
فالنقض يحمل منها كأنها آجام
ماتت كما مات فيل تسل منه العظام

وفي الواقع ماتت سامراء ميتة فجائية بعد عمر قصير لم يبلغ نصف القرن ؛ وأمست رموساً وأطلالاً هائلة ، تمتد اليوم أمام أنظار الزائر ، وتتوالى تحت أقدام المسافر إلى أبعاد شاسعة لا يقل امتدادها عن الخمسة والثلاثين من الكيلو مترات

عندما يتجول المرء بين هذه الأطلال المترامية الأطراف ، ويتأمل في السرعة العظيمة التي امتاز بها تأسس مدينة سامراء وتوسعها من جهة ، وإقفارها واندراسها من جهة أخرى ... لا يتمالك نفسه أن يسأل عن العوامل التي سيطرت على مقدرات هذه المدينة العظيمة ، وصيّرت قصة حياتها بهذا الشكل الغريب

إن العوامل السياسية التي لعبت دوراً هاماً في هذا المضمار ، لم تكن كثيرة التعقيد ؛ بل إنها تتجلى لنا بكل وضوح عندما نُلقي نظرة عامة على أهم الحوادث التي وقعت في عهود الخلفاء الثمانية الذين توالوا على أريكة الخلافة العباسية في سامراء

يجابه الخليفة المعتصم – وهو ابن هرون الرشيد – مشاكل عظيمة في إدارة البلاد ، فيرى أن يتغلب عليها باستخدام جيش من الموالي والمماليك ؛ فيكثر من شراء الغلمان – من بلاد المغرب والمشرق – وعلى الأخص من بلاد ما وراء النهر بغية تكوين جيش مطيع ينزل على إرادته على الدوام. غير أن تكاثر هذا الجيش الغريب في العاصمة القديمة – بغداد – المزدحمة بالسكان ، يؤدي إلى حدوث بعض الوقائع بين العساكر والأهلين . فيقرر الخليفة إزاء هذه الحال إنشاء عاصمة جديدة – بعيدة عن القديمة – ينتقل إليها بعساكره وقواده ووزرائه وندمائه وكتابه وأتباعه ، ويدعو الناس إليها، على أن يرتب كل شيء فيها على حسب ما يتراءى له « مفيداً » لتوطيد دعائم ملكه من جهة ، ولزيادة جلال عاصمته من جهة أخرى

يمضي الخليفة في تحقيق فكرته هذه بعزم قوي وفي خطة محكمة، فينتخب موقع سامراء ، بعد التحري والبحث، ويؤسس عاصمته الجديدة هناك ، على أساس القطائع المنظمة ، فيجعل كل مجموعة من القطائع قائمة بنفسها، مستقلة عن غيرها بمساجدها وأسواقها وحماماتها

و « يفرد قطائع الأتراك عن قطائع الناس جميعاً ، ويجعلهم منعزلين عنهم لا يختلطون بقوم من المولدين » ولو كانوا من التجار حتى أنه يفكر في أمر ذريتهم و « يشتري لهم الجواري ، فيزوجهم منهن ، ويمنعهم أن يتزوجوا ويصاهروا أحداً من المولدين ، إلى أن ينشأ لهم الولد فيتزوج بعضهم من بعض »

لا شك في أن هذه الخطة كانت تنطوي على محاولة سياسية خطيرة، بل كانت بمثابة تجربة اجتماعية جزئية ؛ كما لا شك في أن التدابير التي اتخذها المعتصم في سبيل تنفيذ هذه الخطة كانت

دقيقة وحازمة . ومع هذا فإنها لم تأت بالفوائد التى كان يتوخاها منها ، بل أفضت إلى نتائج معاكسة للأهداف التى كان قد رمى إليها معاكسة تامة . ونستطيع أن نقول : إن المعتصم كان قد حسب حساباً لكل شيء فى هذا الباب غير شيء واحد ، وهو التطور الذى يحدث فى نفسية الجيش — بطبيعة الحال — عندما يتكون أفراده وقواده من الغرباء ، ولو كانوا فى الأصل من الأرقاء ...

أراد المعتصم — بخطته هذه — أن يتخلص من مشاغبات الأهالى ، غير أنه لم يدرك أن هذه الخطة ستؤدى — عاجلاً أو آجلاً — إلى جعل الخلافة ألعوبة فى أيدى الجنود الغرباء وقوادهم الطامعين

وهذا ما حدث فعلاً : فقبل أن تمضى عشرون سنة على وفاة الخليفة المعتصم الذى وضع هذه الخطة وشرع فى تطبيقها ، تفاقمت سيطرة القواد، ووصلت بهم الجرأة إلى قتل الخليفة المتوكل قتلاً فظيعاً ، وبعد ذلك تتابعت الأحداث والاضطرابات وأفضت إلى قتل الخلفاء وخلعهم ثلاث مرات متواليات خلال عشر سنوات ، إلى أن تولى الخلافة المعتمد . وبعد أن بذل بعض الجهود فى سبيل توطيد دعائم ملكه فى سامراء نفسها ، رأى أن يقضى على هذه المحاولات كلها ، فقرر أن يترك سامراء وأن يعيد كرسى الخلافة إلى بغداد بصورة نهائية

ولذلك نستطيع أن نقول إن الخطة السياسية التى وضعها المعتصم — والتجربة الاجتماعية التى قام بها تنفيذاً لهذه الخطة — انتهت بفشل تام . .

غير أن قصة هذه المدينة العجيبة ، إذا انتهت من الوجهة السياسية بفشل أليم ... فإنها تكللت — من الوجهة العمرانية — بنجاح كبير يسجله تاريخ الفن والعمران بمداد الإجلال والإكبار ...

إن إقدام الخليفة المعتصم على تأسيس عاصمته الجديدة كان فى عنفوان الخلافة العباسية وعظمتها ؛ فكان من الطبيعى أن تتمثل فى هذه العاصمة تلك القوة والعظمة أحسن تمثيل ...

إن الأراضى التى اختارها المعتصم لتشييد المدينة الجديدة ، كانت منبسطة واسعة ، ولم يكن فيها من المبانى القديمة ما يعرقل خطط المبانى الجديدة ، ولا من التلول والوديان ما يحدد ساحات البناء؛ فاستطاع الخليفة أن يجعل القطائع كبيرة فسيحة ، والطرق عريضة طويلة . . . وسيستطيع أخلافه أن يوالوا عمله هذا ، وعددوا الشوارع ويوسعوا المدينة ...

إن المملكة التى كان يحكمها الخليفة المعتصم كانت غنية وكثيرة الموارد جداً . فكان فى استطاعته أن ينفق أموالاً طائلة لتشييد القصور والمساجد ، وسائر المرافق العامة ، كما يكون فى استطاعة أبنائه أيضاً أن يستمروا على الإنفاق فى هذه السبيل بدون حساب

إن المملكة التى تبوأ كرسيها المعتصم كانت فسيحة الأرجاء مترامية الأطراف، فكان فى إمكانه أن يجلب أمهر الفعلة والبنائين وأشهر المهندسين والفنانين ، من جميع أقطار ملكه العظيم . وفى استطاعته أن يضع تحت تصرف هؤلاء كل ما يطلبونه من مواد الزخرفة والبناء ولو كانت مما يجب جلبها من بلاد بعيدة . . .

إن اجتماع كل هذه العوامل الفعالة بهذه الوجوه المساعدة ، سيفسح أمام المهندسين والفنانين مجالاً واسعاً للعمل والإبداع ، وسيتحف العاصمة الجديدة بأوسع القصور وأجلها ، وأعظم المساجد وأبدعها ...

وكان من الطبيعى ألا تقف هذه الحركة الإنشائية عند حد القصور والمساجد وحدها ... بل تتعداها إلى الدور والشوارع والبساتين أيضاً . لأن المعتصم لم يقصد ــ بعمله هذا ــ إيجاد « مقر خلافة » و « معسكر جيش » فحسب ، بل كان يقصد ــ فوق ذلك ــ إيجاد « عاصمة مملكة » بكل معنى الكلمة . إنه أراد إنشاء عاصمة جديدة ، تنافس بغداد فى السعة والنفوس والعمران . فكان من الحتم عليه أن يستقدم جماعات كبيرة من الناس ومن أصحاب المهن ــ على اختلاف أنواعهم وأصنافهم ــ ، وأن يقطعهم الأراضى ، ويجزل لهم العطايا ، ويحثهم على البناء . وكان من الطبيعى أن تتولد من جراء ذلك حركة إنشائية واسعة النطاق شديدة النشاط . . .

غير أن من البديهى أن بناء الحوانيت والدور لا يمكن أن يحاكى بناء المساجد والقصور . فإذا كان فى استطاعة الخلفاء وفى مكنة الأمراء أن يزودوا المهارين والفنانين بكل ما يطلبونه من النفقات ، فلم يكن فى إمكان الناس أن يقتدوا بهم فى هذا المضمار ... وإذا جاز لمعارى المساجد والقصور أن يبنوا ما يبنونه بأجود المواد الإنشائية ــ ولو كانت كثيرة الكلفة ــ وأن يزينوه بأجمل المواد الزخرفية — ولو كانت باهظة الثمن — . فلم يكن

معقولاً لبنائى الدور أن يطمعوا فى شىء من ذلك ، بوجه من الوجوه . بل كان عليهم أن يتسابقوا فى إيجاد الطرق والأساليب التى تضمن البناء بأقل ما يمكن من النفقة وأعظم ما يمكن من السرعة ، دون أن يبتعدوا عن مقتضيات الطرافة والجمال . . . كان يتحتم عليهم أن يستعملوا المواد المبذولة فى محيطهم ، ويظهروا قوة ابتكارهم فى كيفية استفادتهم من خواص تلك المواد فى الزخرفة والبناء . . . ومن حسن حظهم أن الطبيعة فى سامراء كانت مساعدة على كل ذلك مساعدة كبيرة

لأن موقع المدينة يرتفع عن الضفة الأخرى بعض الارتفاع ، والطبقة الترابية فيه تكوّن قشرة قليلة الثخن تستر طبقة صخرية ؛ فالأرض لا تتعرض لخطر الغرق حتى فى أشد حالات الفيضان ، كما تبقى مصونة من الرطوبة على الدوام . وهناك مناطق طينية واسعة تساعد على صنع اللبن الجيد . وهنالك أتربة كلسية كثيرة تصلح لتحضير الجص القوي . . . فنى استطاعة البنائين أن يستفيدوا من هذه الوجوه المساعدة ؛ فإنهم يستطيعون أن يبنوا المبانى الكبيرة باللبن دون أن يخشوا تأثير الرطوبة والمياه فيها ؛ كما أنهم يستطيعون أن يضمنوا متانة تلك الأبنية باستعمال الجص مِلاطا لاحما بين قِطع اللبن وأسوافها ، وبعقد الطوق بالآجر أو بطابوقات مصنوعة من الجص . . . وأخيراً يستطيعون أن يستروا رداءة مادة البناء بطلاء الجدران بالجص ، كما يستطيعون أن يزخرفوا هذا الطلاء بالتلوين أو بالنقش والحفر

إن هذه الزخرفة يمكن أن تعمل خلال البناء كما يمكن أن تعمل بعد إتمامه ؛ والقشرة الجصية التى تتكون عليها هذه الزخارف يمكن أن ترفع بسهولة ، كما يمكن أن تعوض بقشرة جديدة تزخرف بأشكال تختلف عن الأشكال السابقة ...

إن الزخرفة على هذه الطريقة تكون رخيصة ، ولذلك تعمم بسهولة . فكل واحد من أصحاب الدور يستطيع أن يزخرف بعض غرفه بمقدار ما تسمح له موارده ، كما يستطيع أن يعمم الزخرفة فى الغرف الأخرى متى صلحت أحواله المالية ، أو يستبدل بها غيرها متى ملّها وأراد الأبدع والأكمل منها ...

ولهذه الأسباب كلها سيكون أمام الفنانين مجال واسع للعمل فى هذا المضمار . . . إذ هناك عشرات الألوف من الدور يطلب أصحابها الزخرفة لمئات الألوف من غرفها . ومن الطبيعى أن هذا الطلب الشديد المستمر سيؤدى إلى تنشئة جماعة كبيرة من الفنانين الماهرين فى الزخرفة ، وسيحملهم على التسابق فى طريق التفنن والإبداع على الدوام

ولهذا كان من الطبيعى أن تزدهر فى سامراء صنعة الزخرفة الجصية ازدهاراً كبيراً ؛ وتولد طرازاً خاصاً مع أشكال لا تعدّ ولا تحصى ، فيرتبط اسم سامراء — فى تاريخ الفن — بهذا الطراز الخاص من الزخرفة... وتمتاز هذه المدينة ، بجانب عظمة قصورها المديدة ، وفخامة مساجدها الفسيحة ، وامتداد شوارعها العظيمة ، ونضارة بساتينها الجميلة — بزخارف دورها الكثيرة

كما كان من الطبيعى ألا يبقى هذا الطراز من الزخرفة محصوراً بسامراء وحدها ، بل ينتقل ـ بواسطة قواد المعتصم وأخلافه ـ إلى القاهرة أيضاً ، ويخلف هناك آثاراً باهرة فى جامع ابن طولون من جهة ، وفى المنازل المبنية فى العهد الطولونى من جهة أخرى

لقد مضى على قصة هذه المدينة العجيبة أكثر من عشرة قرون ... وأما الآثار والأطلال الباقية منها إلى الآن ، فتضيف ذيلاً جديداً إلى غرابة مقدراتها المتسلسلة . إذ من الغريب أن آثار دورها المبنية من اللبن والمزخرفة بالجبسين، قاومت حدثان الدهر، أكثر من قصورها المبنية بالآجر والمزخرفة بالرخام... والسبب فى ذلك أن القصور تعرضت لتخريب الناس الذين اعتبروها بمثابة محاجر غنية بالمواد الإنشائية الصالحة للاستعمال ، فى حين أن الدور سلمت من تخريب الناس ، ولم تتعرض لتدمير أيد غير أيدى الطبيعة والزمان ... ويظهر أن أيدى الإنسان قادرة على التخريب — بوجه عام — أكثر من أيدى الزمان !

أبو خلدون

ويسألونك عن القاهرة

هل القاهرة بغداد الأمس وباريس اليوم

للدكتور زكى مبارك

أكتب هذه الرسالة وقد هربت من ضجيج القاهرة فى مساء العيد . وهل فى شوارع القاهرة فى مثل هذا المساء موضع قدم لمن يريد أن يزوّد قلبه وعينيه بما فى أعياد القاهرة من مواكب السحر وملاعب الفتون ؟

هى دنيا من الغرائب والأعاجيب تسعد بها قلوب ، وتشقى بها قلوب . وهل يعرف حلاوة السعادة أو مرارة الشقاء غير قلب تنطوى عليه أحشاء القاهرة فى يوم عيد ؟

يقال فى كل أرض : إن النكتة المصرية هى أبرع ما عرف الناس من صور الذكاء . وهذا حق ...

ولكن هل فكر أحد فى أسباب هذه الخصوصية ؟

إن النكتة هى النافذة التى نشرف منها على مروج الطرب والابتسام. ولو خلت حياتنا من النكتة لقتلنا الغيظ على الأيام الجوائر التى لا يلتئم بها شمل ولا يعتدل ميزان

ولعل المقادير لوّنت القاهرة هـذا التلوين العجيب لتَطِبّ لقلوبنا الدامية ، القلوب التى مزّقها الهيام بالحب والمجد فلم تعرف معنى القرار فى صباح أو مساء

قلت لقلبى : أيكون فرارك من ملاعب القاهرة فى مساء العيد دليلاً على أنك تُشْبه الطفل الذى يزهد فى اللعب ؟

فقال : وما حكم الطفل الذى يزهد فى اللعب ؟

فقلت : ينزعج عليه الأهل ، ويستقدمون له الطبيب ، لأن الطفل لا يزهد فى اللعب إلا وهو عليل

فقال : وأين أهل القلب العليل لينزعجوا عليه ويستقدموا له الطبيب ... ؟ وعندئذ عرفت أن قلبى يعيش فى الدنيا بلا أهل !

***

هنا القاهرة !

نعم ، هنا القاهرة . ولكن أين تقع القاهرة مما يريد القلب المفطور ؟ أين وهى أصل العلة التى ردّت الفؤاد وهو صديع ؟

كانت القاهرة فى ماضيها مدينة محدودة النطاق . وكان لها أسوار وأبواب . وكان حراسها يطوفون أرجاءها فى ساعة أو ساعتين ثم يصعد رئيسهم فوق منارة ويصيح :

« ناموا ، أيها المسلمون ، فأنتم فى أمان »

فأين نحن من ذلك الأمان وقد جَدّت فى دنيانا معاطب غير عدوان اللصوص على المتاجر والبيوت ؟

يستطيع كل قاهرىّ أن يطمئن إلى أن منزله أو متجره فى أمان من سطوات الليل ؛ ولكن أين الأمان من عدوان الشياطين ، شياطين النرائز والنحائز والطباع ؟

من يضمن لك الأمان فى مدينة مثل القاهرة وهى اليوم مَسْبَعَة عقلية تصطرع فيها المذاهب والآراء ، ولا يغمض فيها جفن إلا وهو مروَّع بقلب ساهر لا يعرف السكون إلا يوم تمنّ عليه المقادير بالموت ؟

من يضمن لك الأمان فى مدينة مثل القاهرة وأنت من نفسك فى حرب ، ومن الزمان فى قتال ، ومن الزملاء فى نضال ؟

يجب أن تعرف أنك فى دنيا جديدة لا يَسلَم من خطوبها وصروفها غير من أمدته المقادير بالصبر عما فى القاهرة من اصطراع العواطف واصطخاب الأهواء

فهل أنت من الصابرين ؟ وكيف تصبر عن القاهرة ، وهى قاهرة وفى دمك وروحك أقباسٌ من سعيرها المَصُوف ؟

ألم تسمع ما وقع يوم أقيمت مباراة الأناشيد العسكرية ؟

تلقت اللجنة خمسمائة نشيد ولم تختر غير خمسة أناشيد. فقال القائلون: هذا شاهد جديد على أن دولة الشعر يكثر فيها الأدعياء !

وكان ذلك لأننا نعيش فى القاهرة مدينة الأناقة والفخامة والزخرف والبريق ، وفى مثل القاهرة تُقهر العواطف وتُظلَم القلوب . وإلا فكيف جاز أن ينسى المحكّمون ما فى تلك الثروة الشعرية أو النظمية من الدلالة على حرارة الأفئدة وشهامة العقول ؟

خمسمائة نشيد ؟ معنى ذلك ، أيها الناس ، أن القاهرة فيها خمسمائة قلب ، وذلك مغنمٌ عظيم . ولكن أين من يقيم الميزان لحَيَوات القلوب وهى لا تُوزن ولا تقاس ولا تكال ؟

وهل يَشقى فى المدائن العظيمة غير أصحاب القلوب ؟

***

هنا القاهرة !

نعم ، هنا القاهرة ، ولكن أين مكان الأديب فى المدينة التى أصبحت عاصمة الشرق ؟ أين مكان الأديب فى القاهرة وبفضل قلم الأديب صارت القاهرة عاصمة الشرق ؟ وهل خُلِّدت ليلى إلا بفضل أشعار قيس ؟

أين مكان الأديب فى القاهرة ، ومن دم قلبه خُطَّ تاريخها الحديث؟ بل أين من تسمح له القاهرة بأن يقول إنه فى هواها مجنون؟

إنى وإياها كفتنةٍ بالنار تحرقه ويعبدها

هنا — فى القاهرة — زاد المعقول والقلوب والعواطف والأحاسيس ، فأين مكان الأديب يا قاهرة ليؤدى ما أداه عشاق بغداد فى القديم وعشاق باريس فى الحديث ؟

زرت حديقة الأزبكية فى صباح اليوم وهو يوم عيد فلم أر فيها غير شراذم من غلف القلوب ، فأين الأديب الذى يُشعر الدنيا بأن فى القاهرة حديقة اسمها حديقة الأزبكية ؟ وكيف جاز أن تخلو هذه الحديقة فى يوم العيد من مواكب الُحسن الوضاح، والجمال الفضاح ؟ ومتى نعيش إذا ألهانا جِدُّ القاهرة عن مداعبة الملاح فى يوم العيد ؟

متى نعيش إذا استطاعت مُحرِجات الحياة أن تقهرنا على التفكير فى منافعنا الدنيوية فى المواسم والأعياد ؟ وهل عُمرنا عمر نوح حتى نصبر عن مواسم الأفئدة إلى أجل قريب أو بعيد ؟

هى أيام نقضيها مشدودين بسلاسل وأغلال إلى « قطار الفاجآت » فى هذه الحياة . فمتى نلتفت إلى ما أنبت الغيث فى صحراء الحياة من أزهار ورياحين ؟

سيندم قومٌ على ما ضيّعوا من مواسم القلوب فى القاهرة . وسأذكر بعد فوات الوقت أننى جنيت على شبابى حين أضمته بين سواد المداد وبياض القرطاس فى زمن لا ينفع فيه غير الاتجار بالتراب . فهل أخرج من دارى إلى معاقرة الحياة بالقاهرة فى هذا المساء ؟ وكيف ولى شواغل تحرمنى الحرية فى مساء العيد ؟

وهل يستطيع قاهرىّ أن يُمضى يوماً واحداً بلا كفاح وهو يعيش فى مدينة مقدودة من صخور الصبر على مصاولة الحياة

إن هذه المدينة التى تفتنكم لم تُخلق فى يوم وليلة ، وإنما هى عُصارة العزائم الشداد فى الأجيال الطوال . فمن أقام فى القاهرة وله عقل وذوق فليحاسب نفسه على اللمحات واللحظات ليؤدى الزكاة عن قلبه وعقله وذوقه إن كان من الموفّقين ، وإلا فهو نفاية ملفوظة فى المدينة « القاهرة » التى تنكر خمود الغرائز وجمود الأحاسيس

* * *

هنا القاهرة !

إى ، والله ، هنا القاهرة . وما أسعد من يرى القاهرة أول مرة !

لقد فتنت هذه « القاهرة » من زاروها فى هذه الأيام للاشتراك فى المؤتمر الطبى العربى ، وحمدوا الله على أن جعل للعروبة مدينة مثل القاهرة تتكلم اللغة العربية . فإن لم تكن القاهرة أعظم مدينة فى العالم كله فهى بالتأكيد أعظم مدينة فى الشرق بفضل ما جمعت من الخصائص الذاتية التى تحكم لها بالفضل على جميع مدن الشرق ، وليس ذلك بالقليل

ولكن أين من يعرف أننا بسبب هذه العظمة أشقياء ؟

أين من يعرف أن القاهرة لا تَعظُم من يوم إلى يوم إلا لتزيد أعباءنا فى الحياة ؟ وإلى المنصفين من إخواننا فى الشرق أقدّم الظاهرة الآتية ليعرفوا فى أى جحيم يعيش القاهريون

فى كل بلد من بلاد الشرق يستطيع الرجل الوسط أن يعيش لأن الدنيا فى بلاد الشرق لا تزال تتسع للأوساط من الرجال

أما مصر — ويرحم الله أهل مصر ! — فليس فيها للرجل الوسط مكان

العالم الوسط لا يستطيع العيش

والأديب الوسط لا يجد الرزق

والمغنى الوسط يضيع

والطبيب الوسط لا يجد ثمن الدواء حين يمرض

والصحفى الوسط لا يملك الوصول إلى خبر صغير

والممثل الوسط قد لا يجد الفرصة لشهود رواية صغيرة ، فضلاً عن القدرة على الاشتراك فى التمثيل

القاهرة تقول فى كل وقت : كن قاهريًا

وهل يستطيع كل مصرى أن يكون قاهريًا ؟

أليست القاهرة هى التى فرضت الخمول على مئات من الشعراء لأنهم لم يكونوا فى عبقرية شوقى وحافظ وصبرى ومطران ؟

أليست القاهرة هى التى فرضت الخمول على مئات من الكتاب لأنهم لم يكونوا فى عظمة محمد عبده وعلى يوسف وعبد العزيز جاويش ومصطفى المنفلوطى ومحمد المويلحى ؟

ومن كتّاب اليوم وشعراء اليوم ؟

عندنا مئات من الكتاب والشعراء ، ولكنهم سيموتون بغصة الحسرة على أن نشأوا فى القاهرة لهذا العهد ، عهد الزحام المنيف الذى لا يسلم من كربه غير الفحول الصوّالين

لقد قيل إن الرحمة فوق العدل . فأين نحن من الرحمة وأين نحن من العدل ؟ أين من يرحم الأديب الوسط أو يعدل فى الحكم على الأديب الوسط فيقضى بأن من حقه أن يعيش لأنه قد يكون أقدر من بعض الذين خلدهم أبو الفرج الأصفهانى ؟

وأين الراحم أو العادل الذى يقول بأن فى شعراء اليوم ، الشعراء الذين أخملتهم القاهرة ، من يفوق عشرات من شعراء « اليتيمة » و « الذخيرة » و « قلائد العقيان » ؟

القاهرة لا تتسع أبداً لغير الأفذاذ الذين يغلبون الزمان

وهنا جواب السؤال الذى يوجّه إلىّ فى كل يوم :

« كيف يتسع وقتك لكل ما يَصدُر عن قلمك من الدراسات الأدبية والفلسفية ؟ »

وهل عندى وقت وأنا موظف مسئول أمام الواجب ؟

إنما أنا قاهرىّ يحبس نفسه فى البيت يوم العيد ليحفر بسنان القلم ثقباً يتطلع منه على ضوء العظمة القاهرية عساه يُقنع القاهرة بأنه رجل مجاهد يستحق أن يعيش

فإن رأيتم قاهريًا يصنع مثل الذى أصنع فاعرفوا أنه رجل مكدود يحاول الظفر بكلمة ثناء من المدينة العاتية التى حكمت بألا يعيش فيها غير من يقدرون على أمواج المحيط فى غضبة العواصف الهُوج، ودهرُنا كله عواصف هُوج يتفزّع من هولها المحيط

لا تصدقوا أبداً أننا نسعى فى سبيل المجد ، فذلك مَطلبٌ لا يخطر لنا فى بال ، وإنما نسعى للخلاص من شماتة الشامتين وسفاهة الكائدين

آه ثم آه ! !

لو كان الماضي ينفع لجاز لرجل مثلى أن يعتمد على ماضيه فى خدمة الحياة الأدبية والفلسفية ، ولكن القاهرة تعبس فى وجه الرجل الذى يعتمد على ماضيه ، لأن ذاكرتها تضيق عن مراجعة الأسماء ، أسماء المجاهدين الذين عطروا باسمها أرجاء الشرق . هى حسناء لعوب لا تعرف غير العاشق المزوّد بأطايب الثروة والعافية . فيارب كيف أكون فى وطنى يوم يتعب قلبى فأنصرف عن الخلوة إليه فى يوم عيد ؟ حتى يوم العيد نقضيه فى نضال ؟

فى مثل هذا العيد من سنة ١٩٣٢ كذبت على أبى مرة ، ولم أكذب عليه غير تلك المرة . كتبت إليه أقول إنى سأقضى أيام العيد فى الإسكندرية فلا ينزعج أهلى إن حرمتنى هذه النزهة من الأنس بهم يوم العيد فى سنتريس

فهل قضيت تلك الأيام فى الأسكندرية ؟

لم تكن إلا حيلة لأحبس نفسي أيام العيد فى البيت لأكتب فصلاً من فصول « النثر الفنى » وهو الفصل الخاص بتطور السجع فى اللغة العربية

وهل يصنع بنفسه هذا الصنيع إلا قاهرىّ تقهره القاهرة على النضال المميت ليجد مجالاً فى المدينة التى تصطرع فيها أقلام المازنى والعقاد والزيات والبشرى وهيكل وطه حسين ، ومن إليهم من الباحثين الذين سيموتون قبل الأوان بفضل الكفاح الموصول ؟

القاهرة لا تعرف الرجل الوسط ، فافهموا هذه الحقيقة يا أبناء هذا الزمان ، وإلا فهناك « سَلّة المهملات » تنتظر الألوف ممن يراسلون الجرائد والمجلات ؟

يعزّ علينا من يحمله التلطف على القول بأن القاهرة عاصمة الشرق . فهل تعرف القاهرة أن أقلامنا هى التى صاغت لها تلك العقود من الثناء ؟ وكيف وعندها (سَفح المقطم) الذى وسع الألوف من أجسام العبقريين ؟

زرت سفح المقطم منذ أعوام لأستوحى روح ابن الفارض قبل أن أشرع فى كتابة الفصل الخاص به فى كتاب التصوف الإسلامى ، فراعنى أن أعرف أن تلك الناحية هى أنفع مكان فى القاهرة من الوجهة الصحية . وكذلك أيقنت أن القاهرة تدخر أجمل بقاعها للأموات . وما أحسبها تصنع ذلك وفاء ، وإنما أخشى أن تكون أرادت التنبيه إلى أن عظمة الرجل فى مصر لا تكون إلا بعد الموت !

رحمك الله أيها القلب الذى يشغله الكفاح عن ملاهى العيد !

الآن ، وقد انتصف الليل أو كاد ، أفكر فى مصيرى بين قوى أفكر فى الشباب المضيّع بلا لهو ولا فُتون !

وهل كنت أول من ندم على الشباب المحروم !

ولكن ، هل أملك غير الذى صنعت وغير الذى سأصنع ؟

فيا أيها الوطن الغالى ، تذكّر ثم تذكر . تذكر أننى كنت ولا أزال مجنون ليلاك! فإن رأيتنى صدفتُ عن أفراحك فى يوم عيد، فاعرف أن ذلك لم يقع عن جهل أو عقوق ، وإنما هى إرادتك العالية التى قضت بأن يعيش أبناؤك وهم دائماً فى حومة قتال !

وما أدعوك ، أيها الوطن ، إلى التصدق علىّ بنظرة عطف ، فأنا لا أقبل الصدقات ، وإنما أدعوك إلى مقابلة الجميل بالجميل ، فإن رفق الآباء يزيد فى بِر الأبناء !

وطنى! لقد شقيتُ بعظمتك، ومن أجل هذا أحبك وأستعذب الصاب والعلقم فى هواك !

وطنى! إليك أسلمتُ قلبى وعقلى ، فخذ زمامى إلى حيث تشاء، يا أنضر دوحة تغنّت فوقها البلابل ، ويا أجمل روضة رنّت فيها القبُلات ، ويا أطهر بقعة أقيمت فيها المحاريب ، ويا أشرف صحيفة أرهفت آذانها الواعية لصرير القلم البليغ .

زكى مبارك

الفروق السيكلوجية
بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

الفروق العقلية

ما هو الذكاء ؟ ... سؤال طبيعى ومعقول بعد هذه المقالات المتعددة التى شغلت الوفير من صفحات الرسالة. ولعلى لا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال بأكثر مما يجيب القارئ عن هذه الأسئلة: ما هو الزمن ؟ وما هى الكهرباء ؟ وما هو الثقل ؟

والحقيقة أننا حين نقيس الذكاء لا نقيسه مباشرة ، لأننا لم نصل بعدُ إلى معرفة طبيعته ومكوناته ، وإنما نقيس مظاهره فى الحياة والتصرفات والأفعال الذكاوية للانسان . والمفروض علمياً أن كل إنسان عنده قدر من الذكاء قل أو كثر، بل إن الرأى الحديث فى علم النفس هو أن بعض الحيوان الأعلى كالشمبانزى (١) والغورلا والكلب على نصيب من الذكاء يظهر فى تصرفاته

ولقد حاول علماء النفس منذ أن وضعت أول مقاييس للذكاء أن يحدوه ، ولكنهم ماوصلوا إلى رأى متفق عليه . وفى سنة ١٩٢١ نشرت مجلة علم النفس التربيوية الأمريكية آراء لأربعة عشر عالماً نفسياً كلٌّ يحاول أن يعرف الذكاء . وكان تعريف ترمان صاحب المقاييس المشهورة بأنه « القــدرة على التفكير المنوى المجرد » abstract chinking . وعرفه كلفن بأنه « القدرة على التعلم » ، وعرفه بكنجهام بأنه « القدرة على العمل والتصرف تصرفاً إنتاجيا تحت ظروف معينة » . ومهما يكن من أجوبتهم فإنها تدل على أنهم لم يتفقوا على تعريف الذكاء الذى أنفقوا السنوات الطويلة فى بحثه ووضع مقاييس له

وفى سنة ١٩٢٤ صدر تقرير من وزارة التربية البريطانية The Board of Education ، وضعته لجنة اشترك معها قادة رجال التربية وعلماء النفس الإنجليز للبحث فى قوى الذكاء المختلفة، والاختبارات السيكلوجية المناسبة لها . ويشير هذا التقرير (٢) إلى أن هناك ثلاث نظريات شائعة حول تعريف الذكاء

(١) انظر كتاب The Mentality of Apes, 1925 لمؤلفه وصاحب التجارب التى فيه الدكتور W. Kochler

(٢) عنوان هذا التقرير هو : The Psychological Tests of Educable Capacity and thein possible use in the Public system of Education

النظرية الأولى هى نظرية من يعتبره نتيجة وأثراً effect لبضع ملكات أو وظائف عقلية عامة . وتعزى هذه النظرية لألفريد بينيه السيكلوجى الفرنسى . وهو يقول فى بعض مقالاته عن مقاييس الذكاء : إنه يقيس بها ملكة الإرادة ، وملكة الانتباه ، وملكة الحافظة ، وملكة التعقل (١) . ثم هو بعد ذلك يتحدث عن الذكاء فى مقالة أخرى فيقول : « إن للذكاء ملكة أساسية أصلية ، تلك هى ملكة الحكم على الأشياء ، وإن شئت فسمها الحاسة العملية . وهى الملكة التى بها يكيف المرء نفسه للظروف المختلفة ... » ثم هو ينشر مقالاً فى مجلة « العام السيكلوجى » فى سنة ١٩٠٩ بعنوان « ذكاء ضعاف العقول (٢) » يرى فيه أن الذكاء العام هو صفة عقلية ذات ثلاثة وجوه على الأقل : (١) إدراك المعضلات والمسائل والاتجاه العقلى المناسب لحلها وتنفيذها (٢) القدرة على التكيف المناسب الضرورى للوصول إلى غاية معينة (٣) القوة التى بها يستطيع أن ينقد المرء نفسه

والنظرية الثانية هى نظرية من يرى أن الذكاء إنما هو لفظ يطلق على مجموعة من القدرات العقلية الخاصة المستقلة ، وهذه القدرات موروثة وترتبط بعضها ببعض بنسب مختلفة . وصاحب هذه النظرية هو البروفسور ادوارد لى ثورندايك . وهو يرى أن الطفل إذا كانت قدرته العقلية الموروثة على فهم مسائل الحساب ممتازة وظاهرة فإن ذلك يرجح أن قدرته العقلية الموروثة على فهم موضوعات الجغرافيا فوق المتوسط . ويقول : إن الفرد الذي له قدرة عقلية ممتازة فى نوع من الأعمال لترجح هذه القوة فيه أن القوى العقلية الأخرى فوق المتوسط » . ويعود فيقرر أن هناك ثلاثة أنواع من القدرات الذكاوية الخاصة والموروثة، وهى الذكاء الذى يظهر فى فهم معانى الكلمات والأفكار المنوية المجردة abstract ideas ، والذكاء الحركى أو المهارة العملية فى استعمال الأيدى ، والذكاء الاجتماعى ، أو القدرة على التفاهم والانسجام مع من يتصل بهم الفرد فى المجتمع . ومن أنصار هذه النظرية أيضاً البروفسور جودفرى تومسون (٣)

(١) تسمى هذه النظرية نظرية الملكات العقلية . وأول من استعمل كلمة ملكة faculty هو أرسطو فى كتابه النفس . وقد تأثر فلاسفة الشرق — وبخاصة ابن سينا — بنظريته فى النفس ، وحذوا حذوه . وفى مقدمة كتاب جهار مقاله الفارسى لنظامى عروضى شرح واف لنظرية الملكات العقلية وموضعها

(٢) نشرت فى مجلة العام السيكلوجى سنة ١٩٠٩ بعنوان L'Intélligence des imbécilles

(٣) تومسون من معارضى « نظرية العاملين » التى وضعها سبيرمان والمشروحة تحت عنوان النظرية الثالثة

والنظرية الثالثة وهى الشائعة المعتمدة الآن هى التى تقول بوجود عامل عقلى رئيسى عام Central intellective factor يؤثر فى كل ما يدركه الفرد ، ويؤثر فى كل العمليات الإدراكية الخاصة التى يقوم بها الفرد . ومن أنصار هذه النظرية وليام شترن الألمانى . ويعرف الذكاء بأنه « القدرة على التهيؤ العام للمعضلات الجديدة وظروف الحياة » . والأستاذ كارل سبيرمان الذى زار مصر فى العام الدراسى الماضى وحاضر فى الجامعة وخارجها . أعلن سبيرمان فى سنة ١٩٠٤ النظرية المشهورة « بنظرية العاملين » The two - factor Theory وفيها يرد على القائلين بأن القوى العقلية مستقلة بعضها عن بعض – كما فى النظريتين السابقتين – ويقول بوجود عامل مركزى مشترك بين جميع القدرات العقلية. ويسمى هـذا العامل بالعامل العام The general factor ، ويرمز له بالحرف (g) . وهذا العامل يختلف من فرد لآخر ، ولـكن يبقى ثابتاً فى الفرد الواحد ، وبوجود عوامل أخرى خاصة مستقلة إلى حد ما بعضها عن بعض وتختلف قوتها فى الفرد الواحد Specific factors ويرمز لها بالحرف (s) ، وسنرمز للعامل العام الجامع هنا بالحرف (ج) ، وللعامل الخاص بالحرف (ص)[1] . فـكل عملية عقلية – على رأى سبيرمان – إنما هى نتيجة مؤثرين : العامل العام الجامع وهو ثابت فى الفرد الواحد، والعامل النوعى الخاص بهذه العملية . فقدرة الفرد على حل معضلة حسابية تتوقف على مقدار العامل الذكاوى العام عنده ، وعلى العامل النوعى الحسابى الخاص ، والحال كذلك فى الأعمال الموسيقية والفنية . وقد يكون العامل العام قوياً عند فرد ولكنّ العامل النوعى الخاص بالرسم مثلاً ضعيف عنده . وقد نجد فردين والعامل العام عند أولهما أقوى منه عند الثانى ، على حين أن العامل الخاص بقرض الشعر عند الثانى أقوى منه عند الأول . ولذلك نجد الثانى شاعراً أجود من الأول، مع أن الأول أذكى من الثانى – إن صح هذا التعبير سيكلوجياً ، ولا يدخل العامل العام فى كل العمليات العقلية بنسبة واحدة ، بل نجده فى بعضها قوياً وفى بعضها ضعيفاً ، فهو يدخل فى المسائل المنطقية والتى تحتاج إلى استنباط علاقات أكثر من دخوله فى عمليات الرسم النظرى مثلاً أو العزف على البيانو . ويفسر سبيرمان هذا بأن بعض العمليات العقلية أكثر تشبعاً بالعامل العام من البعض الآخر . ولكن بِمَ نسمى هذا العامل العام ؟ أنسميه الذكاء بالمعنى العادى الذى يفهمه الناس ، وهو فى الحقيقة جزء من هذا الذكاء بالمعنى العادى ؟ إن سبيرمان ليكره أن تطلق كلمة الذكاء بالمعنى المعروف عند الناس على هذا العامل العام ، ولكن لا بأس من أن نتفق اصطلاحاً على تسمية هذا العامل العام الثابت بالذكاء[1]

ثم يعود سبيرمان ويزيد عاملاً ثالثاً يسمى العـامل الطائفى . وذلك أن أية عملية عقلية كحل مسألة حسابية عن القسمة مثلاً تتوقف على ثلاثة عوامل : العامل العام (ج) ، والعامل النوعى الخاص بهذه العملية (ص) ، والعامل الثالث هو العامل الطائفى (ط) الذى يدخل فى كل المسـائل الحسابية من جمع أو طرح أو قسمة الخ ، ويسمى special or group factor وقد أثبتت التجارب وجود عدد من هذه العوامل أو القدرات الطائفية أهمها : القدرة الحسابية ، والقـدرة اللغوية ، والقدرة العملية أو الميكانيكية Manual ability ، والقدرة الموسيقية ، والقدرة الفنية Artistic ability . ومن أنصار هـذه النظرية الأستاذ سرل برت، وقد عرف الذكاء بأنه: « كفاية عقلية عامة موروثة» Inborn, gener al'intellectual efficiency . وقد أجرى تجارب كثيرة لقياس ذكاء الأطفال بالمدارس الأولية فى ليفربول واكسفورد ولندن ، ووضع مقاييس تناسب الأطفال الإنجليز . وبناها على قياس القدرات العقلية العالية كإدراك العلاقات بين الأشياء . وهو يرى – بعد التجارب – أن هذه القدرات العقلية العالية متشابهة بين الأبناء والآباء ولذلك فهى موروثة. وهو يقول بوجود ذكاء عام وقدرات خاصة كتلك التى ذكرها سبيرمان ...

ومع أن علماء النفس لم يتفقوا بعد على ما هو الذكاء الذى يقيسونه[2] ، فإنهم متفقون على « ما هو ليس بالذكاء » . فهم متفقون على أن الذكاء ليس الخلق ولا المزاج والعاطفة . وهم متفقون على أن الذكاء ليس المعارف المكتسبة بالتعلم ، ولذلك يجب ألا تتعرض مقاييسه لـما يعرفه الطفل بالتعلم : كالقراءة والهجاء والحساب والجغرافيا . وكذلك هم متفقون على أن أى موهبة خاصة محدودة – كالموهبة الشعرية أو الموهبة الموسيقية – ليست المقصود بالذكاء ، لأن الذكاء عامل عام يدخل فى كل العمليات العقلية الخاصة ومن بينها الشعر والموسيقى

عبد العزيز عبد المجيد

---

(١) اتبعت فى استعمال هذين الرمزين وضع الأستاذ محمد خلف الله فى كتابه : الطفل من المهد إلى الرشد

(١) أثبت سبيرمان بطريق الرياضة والاحصاء أنه يوجد معامل ارتباط Cœfficient of Correlation بين القدرات العقلية المختلفة وبين العامل العام . ولا داعى لشرح نظريته هنا

(٢) من الذين عرفوا الذكاء تعريفاً جامعاً المربى الانجليزى بالارد فى كتابه « المقاييس الجمعية للذكاء » قال : « هو قدرة عقلية يظهر أثرها بطرائق مختلفة تتضح فى الخطوات العقلية العليا أكثر من الدنيا ، وتنشط على الخصوص عند مواجهة حال جديدة النواحى وعند حل المعضلات ، وترتبط بالمقدرة على تحليل المدركات الحسية وترتيبها أو إعادة تنظيمها أكثر مما ترتبط بقبول المحسوسات والتأثيرات »

لوبيا المجهولة

للأستاذ علي معمر الطرابلسي

قال الأستاذ الجليل الحصرى بك فى مقالة « بين الوحدة العربية والوحدة الإسلامية » فى الرسالة عدد ٣٢٨ : « إن العالم الإسلامى يشمل : الأقطار العربيـة وتركيا وإيران والأفغان وتركستان . مع قسم من : الهند وجزر الهند الشرقية وبلاد القفقاس ، وأفريقيا الشمالية مع قسم من أفريقيا الوسطى » .

وردّ عليه الأستاذ أبو الوفا بقوله : « فالأستاذ الحصرى يوهم أن الأقطار العربية هى فقط مصر والشام والعراق والحجاز واليمن . أما أفريقيا الشمالية التى تبتـدئ من تونس وتنتهى بمراكش ، فهذه عنده بلاد إسلامية وليست بعربية . فهل هذا هو الحق يا سيدى الأستاذ ؟ » — الرسالة عدد ٣٣٤ .

فالأستاذ ساطع الحصرى بك عدد البلاد الإسلامية ولم يهتد إلى ذكر لوبيا منفردة ، لأنها فى رأيه ورأى الحقيقة الجغرافية قطر من أقطار أفريقيا الشمالية ، لا فرق بينها وبين تونس والجزائر والمغرب الأقصى . ولـكن الأستاذ أبو الوفا لم يصل إلى علمه أنها من أفريقيا الشمالية ، ولم يفهم من كلة الأستاذ الحصرى دخولها فى هذا القسم من البلاد الإسلامية ، فذهب يحدد أفريقيا الشمالية بأنها تبتدئ من تونس وتنتهى بمراكش . فأخرج هذا القطر الذى يدعوه التاريخ « لوبيا » ، وموقعه بين مصر وتونس من حساب الإسلام والعربية .

ولسنا ندرى متى انتحل هذا القطر ديناً غير الإسلام ، ومتى اختار له لغة غير العربية ! وقد فارقته سنة ١٩٣٦ وتركته بخير وعافية ، وقضيت ثلاث سنين بين تونس والجزائر ، فلم أسمع عنه ما يريب .

لو ترك الأستاذ تبيين كلة الأستاذ الحصرى ، أو شرحها بغير هذا الشرح المحصور ، لما سمع منا شيئاً ، ولـكنه حرك فينا عاطفة قد آذاها ما كانت تراه من إخواننا فى تونس والجزائر والمغرب من إعراض وازورار . وجرحنا مرة أخرى بنكرانه عربية بلادنا وإسلاميتها بمـا يفهمه شرحه لـكلمة الأستاذ الحصرى بك قصد ذلك أو لم يقصده . وقد آلمه ألا تعد أمته من الأمم العربية ، فما رأيه وقد أخرجنا من العروبة والإسلام ؟

ما رأيه فى إسلام لوبيا وقد سبقته إلى الفتح الإسلامى سنين وكانت معقلاً وممراً لغزاة العرب لما أرادوا فتح بلاده وتعريبها ؟

ما رأيه إذا أخبرته أن فتح لوبيا كان فى زمن عمر ، ولم يكن فتح بلاده إلا فى خلافة عثمان ؟

لو كانت هذه الـكلمة أول ما رأينا من إخواننا فى الأقطار الثلاثة لما احتجنا إلى كلام . ولكنهم – عفا الله عنهم – لا يحبون أن تكون لوبيا من أفريقيا الشمالية برغم ما بذلته من جهود . وعند الأستاذ عبد الحميد بن باديس الخبر اليقين . ولعله لم ينس بعدُ رحلته إلى تونس سنة ١٩٣٦ وما لاقته به البعثة الطرابلسية من حفاوة وما وجهته إليه من لوم وعتاب . ولعله لا يزال يذكر ذلك العهد الذى عاهدهم عليه بحضرة رئيس جمعية الشبان المسلمين . ذلك العهد الذى أكد لهم فيـه ألا يتحدث عن شمال أفريقيا إلا ويبدأ من لوبيا ، بعد أن حاضر وحاضر فلم تجْرِ له على لسان

إن إخواننا بتونس والجزائر والمغرب لا يعترفون أو لا يريدون أن يعترفوا أن لوبيا من الشمال الأفريقى ، ولذا لا يرعون لها حق الشقيقة وواجبات الأخوة . وليس يضيرها أن تكون من هذا الشمال أو لا تكون ، ما دامت لا ترجو لمستقبلها غير أبنائها . ولكن يؤلمها أن تفصل عن أخوات يربطها بهن لحمة النسب والأخوة ، وأواصر اللغة والدين ، ويؤذيها أن تتحبب إليهن فيصغرنها ويتجاهلنها

إن لوبيا ، وهى فى جهادها الشريف المنيف ، تكابد آلامها المرة ، وتحمل أعباءها الثقال ، بدون مناصر ولا معين – لا يحسن بمسلم أن يؤلم عاطفتها المـكلومة وقلبها الدامى ، بشيء يشعرها بانفرادها عن العالم العربى الإسلامى . ولا يجمل بإخواننا – وهى فيما هى فيه من محنة وعذاب ، أن يزيدوها ألماً على ألم

إن إخواننا بالأقطار الثلاثة لا يذكرون ، أو لا يحبون أن يذكروا أن لوبيا أخت لبلادهم . فهل كانوا فى ذلك من المصيبين ؟

الحق أنهم أخطأوا خطأً فادحاً ، ولن يستطيعوا قطع الجوار وحجز الثقافة ، وتفريق اللغة والدين ، بفضل ما بذله اللوبيون من جهود ، وقاسوه فى ربط العلائق من جهاد

ولئن إن استطاعوا أن يتناسوا ذكرها مع أفريقيا الشمالية ، فلن يستطيعوا إنكار ما لها فى هذه الأقطار من أياد ، وما خلفته فيها من آثار

إن لوبيا أيها الناس ! ليست بالقطر الذى أغفله التاريخ وعدم المجد والشرف ، وهى صاحبة قورناء فى التاريخ القديم . إنها لا زالت تضرب المثل العليا لبنى الإنسان فى علو الهمة وطهارة

الضمير ، وأبناؤها المشردون فى البلاد العربية ، الشرقية والغربية شهداء على ذلك . فهل وعيتم ماذا أقول ؟

هل تذكرون أن من بواعث نهضة الشرق ويقظة العرب صليل السيوف ودوى المدافع فى لوبيا ؟

ولعلها من أول بلاد أحيت الروح العربية ، وذكرت الناس بجدهم المهدوم وتاريخهم الوضاء ! فهل تحفظون لها هذا الجميل ؟

لم تكن لوبيا ميتة الإحساس ولا خامدة المشاعر ، ولم تكن خافتة الصوت ولا الحركة ، كما قد يخطر ببال كثير

إن فى لوبيا حركة أدبية وعلمية لا بأس بها ، لعلها تفوق فى ذلك بعض أقطار عربية أخرى ، ولكن من ذا يرى مقدار تقدم ثقافتها ، ويلمس من قريب دلائل الحياة وسمات القوة فيها ؟

هل زارها أدباء عرب طوفوا بالغرب ، وعلموا خبايا الشرق ، لعلهم يرجعون منها بخبر ؟

هل أنبأونا عما شاهدوا فيه من مظاهر الحياة أو نذر الموت ؟

هل رأوا ما فيه من مساجد وجوامع وكليات ؟

وكيف رأوا حالة المكاتب والمطابع ونظم التعليم هناك ؟

إن رجال العربية - عفا الله عنهم نسوا هذا القطر ، وامحت من ذاكرتهم كلمة لوبيا . ولو قدر لأحدهم أن يدخل إيطاليا من بحر العرب ، أو يزور صقلية ، أو ينتقل من الشرق إلى الغرب ، أو من الغرب إلى الشرق ، لما حدثته نفسه ، أن يقف بمرسى طرابلس ، أو يتأمل شواطئ بنغازى ، ولما طاوعته إرادته أن يدخل خليج السرت ، أو يمتع نظره بجمال الجبل الأخضر

إن لوبيا — أيها الناس — لم تنس حظها فى خدمة اللغة العربية ، برغم ما يعوقها من عقبات ، ويعترض سبيلها من صعاب : فأرسلت بعثات علمية إلى الأزهر كما كان لأخواتها فى الغرب والشرق من البلاد العربية ، وإن كنت أعترف أنها فقيرة إلى كثير من الاصلاحات والنظم ، وزينت حلق (الزيتونة) بعدد لا يستهان به وإن كان لا يزال محتاجاً إلى تنظيم أموره وتوحيد مسكنه ورعاية مصالحه ، ورأت الحاجة ماسة إلى تعلم بعض اللغات الحية غير العربية ، فكونت بعثة أخرى بإيطاليا منبثة فى معاهدها

أيها الأستاذ ! سأحدثك عما قريب عن العربية والإسلام فى هذا القطر ، سأحدثك عما يصطرع فيه من أهواء وآمال ، ويتغالب من حقائق وأباطيل

وسأنبئك عن حالة التعليم والثقافة هناك ، ومظاهر الحياة والطموح ، وسأريك كيف يعمل الرجال فى ذلك القطر الذى جهلته وجهله كثير من الناس

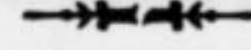
سأحدثك كثيراً أيها الأستاذ يوم أرجع من (مجاهل) أفريقيا الشمالية ، وأكون بين أهلى وأبناء وطنى ، أما اليوم فقد لا أستطيع الاتصال بكثير من الحقائق التى تدعم حديثى ، وقد تغيب عنى كثير من الشئون التى يجب أن أحدثك عنها

ولولا لحظات مسترقات يا سيدى ، لما استطعت كتابة هذه الكلمات . وأخيراً أقدم أعطر الثناء إلى كل من ذكر لوبيا بخير وتحدث عنها بالجميل . ولا يسعنى إلا أن أزف إلى الأستاذين اللذين حملانى على كتابة هذه الكلمات - الحصرى بك وأبى الوفا - أرق التحايا وأزكى التسليمات

(الجزائر) علي محمد الطرابلسي

شيطانة تتفلسف !!

للأستاذ محمود كامل حبيب



« إن المرأة خلقت من ضلع ، لن تستقيم لك على طريقة واحدة ، فان استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها ، وكسرها طلاقها » حديث شريف

هي شيطانة شابة فتانة ، تخرجت في مدرستها بعد أن نالت حظاً من الأدب والفلسفة والمنطق ، وشدت طرفاً من الكيمياء والطبيعة والرياضة ، وغذت خيالها بألوان من قصص الحب وروايات الغرام ؛ ووعت علم السيما فما تنسى منه حرفاً ؛ وتعلمت — فيما بين المدرسة والبيت — فنوناً شيطانية خلابة أرسلت الشاب في إثرها يتلمس إليها الطريق — الفينة بعد الفينة — وهي بين الطمع والخوف لا تدفعه إلى اليأس ولا تجذبه إلى الملل

ودار الفلك دورة فإذا هي مُسماة على هذا الفتى . ثم خطبت له وجلست الشيطانة المتعلمة إلى نفسها — ليلة الزفاف — تتفلسف ... وتناهى إليّ الحديث كله . وهأنذا أنقله إلى قراء (الرسالة) الغراء ، لا يعبث عقلي برأى ولا يعيث قلمي في خاطرة إلا أن أدير الأسلوب — وهو عَرَض — على طريقة لا أمس بها الجوهر ...

قالت :

يا صاحبي لا تلمني فإنها جِبلّتي الشيطانية هي التي توحي إليّ

لقد عرفتك فتى ريّق الشباب ، بهيّ الطلعة ، لا يعوزك المال ولا العلم ، فآثرتُ أن تكون ...

ولجّ بك الهوى على حين كنتُ أمكر بك وأوسوس لك على آمال بُغيتي

لشدّ ما أفظعني — وأنا في المدرسة — أن أرى أستاذتي العجوز الشمطاء قد خذلها العلم وضيّعها الدرس ، فتناثرت زهرة شبابها وهي تتخبّط في عَماء الحياة لا تستطيع أن تأوى إلى ركن ...

وأفزعني أن أكون — بعد سنوات وسنوات — صورة منها ، فذهبتُ أتحسس منك

يا صاحبي لا تلمني فما بي هوى لك ، ولكن حب نفسي لنفسي

إن المرأة المتعلمة تتفلسف في الحب فإذا هو نظرية فلسفية ذات طرفين : الأنانية والخداع

والحب — في عيني المرأة — هو خداع الرجل عن نفسه وأهله وماله !

هو التضحية العظمى التي أردتك عليها

لقد سلكت إلى قلبك سُبلاً ضللت أنت فيها ، لأجذبك إليّ

أنا لا أحبك ، غير أني سأجد في الحب والغيرة مادة عَمَى تترهّج أنت في قَتَمها ...

وكيف أحبك — يا زوجي — وأنا لا أستطيع أن أنفذ إلى أعماق تاريخك ؟ لست أنت من ذوي قرباي فينجذب إليك دمي ، ولست رفيق صباي فأرى فيك الذكرى ، وأجد في الذكرى نشوة ولذة ؛ ولستَ تِرْبي فأضنّ بك . إنْ هي إلاّ نزوة من نزوات الشباب طارت ثم استقرت فيك !

وبعد ، فأنا لا أستبطن لك بُغضاً ، لأنه يتراءى لي أن نفسك صافية طيبة .

ولكن ... ولكن كتابك الذي تعتز به ، هو عدوي الذي أفرق منه ... !

سأستلبه منك بحيلة شيطانية ، فلا تفزع !

لا جرم — يا صاحبي — إن المرأة لا تستطيع أن تكون زوجة إلا أن تكون بلهاء ، أو يكون زوجها مغفلاً !

فلا معدل لي عن أن أتنفّلك بالرياء ، وأغترّك بالتصنّع ، وأخدعك بالحيلة لتكون ابناً لأمي لم تلدك ، وولداً لأبي لم يُربّبْك !

إن أمي تتشوق إلى فتى يملأ الدار حياة ، وأبي يتشوّف إلى شاب يضطلع بأعبائه ، وقد كبرتْ سنه ...

فتعال أنت لتشفي غلّة أمي ، وتنقع صدى أبي !

يا صاحبي ، إن تنازع السيادة في الدار — بين الرجل والمرأة — صَفاة تتكسر عليها السعادة

والمرأة الجاهلة تستأسر لزوجها في سهولة ، وتتصاغر أمامه في ذِلّة ، لأن عقلها الفاسد لا يستطيع أن ينفذ إلى قلبه إلا أن ينشر على عينيه ضعفها النسويّ الوضيع

أما أنا فتنسمتُ روح الحرية ، وعشتُ عمري سيدة نفسي ، لا أخضع لأمر أبي ولا أستسلم لرأى أمي ... ثم وجدت حلاوة الطاعة حين استذلّك جمالي وأسرك حديثي

فهل تطمع فى أن تتعبّدنى ؟

لا ضير ، فسأعيش عند رأيك ساعة ليطمئن قلبك ؛ ثم أمكر بك المكر الأعظم فأحصّ جناحك فلا تنفلت من لدنى إلاّ أن يؤذن لك

ثم أترفق بك فأنتزعك – رويداً رويداً – من بين سُجراء نفسك وأحباء قلبك ، لتكون لى وحدى

وأبذر غِراس الشقاق بينك وبين أهلك فأصرفك عنهم لتكون ابن أمى وأبى

يزعم الناس – يا صاحبي – أن البيت سجن المرأة حقاً ، غير أنى سأحيله بنفثة شيطانية إلى قفص أدفعك بين قضبانه ، وأطير أنا إلى حيث يحلولى

وإذا ورم أنفك وطنطنك بابتسامة تصدع كبرياءك

وإن ثُرتَ نثرتُ بين يديك ضعف القوى ... عبراتى ، فتتخاذل لما لأنك تحبنى

وإن نازعتنى الأمر – بعد هذا وذاك – وأصررتَ على رأيك واستكبرتَ ، سعّرتُ فى دارك ناراً حامية تنصف بسعادتك ، ثم أنفلت أنا لأجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة

وابنى ... ابنى الذى يتراءى لك – من وراء حجب الغيب – قرة عين ، هو فى عينىّ مادة شقاء لك إن سولت لك نفسك أمراً

وإذن تسقم منى بالعافية ، وتفتقر بالمال ، وتشقى بالسعادة ، وتضيقُ نفسك بالفَرَج ، وتزلّ بالرأى الصواب ، وأعيشُ أنا إلى جانبك – أو فى منأى عنك – داءك الذى لا تبرأ منه

وإن شئتَ ولدتُ لك كل يوم فلسفة شيطانية تلقى بك فى تيهاء مظلمة تحار أنت فيها ، وأنا أرى وأبسم

وغداً أدخل دارك أرفل فى الحرير والديباج ، أتأود فى فتنة ، وأتثنى فى كبرياء

فتلقانى – يا صاحبي – بين ذراعى حبك

لأنك لا تعلم بما توسوس به نفسى

ولا تلمنى فإنها جبلتى الشيطانية هى التى توحى إلى

« طبق الأصل » كامل محمود حبيب



شاعر عبقري

رأيت هذا الشاعر العبقري ، أستغفر الله ، بل حظيت بشرف لقائه والاستمتاع مرة بسماع بعض درره النوالى ، وليس بالأمر الهين لقاء مثل هذا الشاعر فى زمن قل فيه العباقرة ، وحط فيه من قدر الشعر ، حتى اعتبره بعض الناس شيئاً لا غناء فيه ولا متعة من ورائه؛ وذهبوا فى ذلك إلى أنه لن تمضى سنوات معدودات ، ولا يتصل الشعر بحياة هذا الزمن بسبب من الأسباب ...

ولئن سعد جدك فمثلت ساعة مثلى بين يدى هذا الشاعر ، لوقعت منه على شاب تتوزع الظنون فيه عقلك وخيالك . فإن كنت ممن يجهلون سمات العبقرية ، ظللت فى حيرتك ودهشتك بل لقد يذهب بك جهلك إلى أن تعزو ما يبدو لك منه إلى الحماقة والبله . فتلحد بذلك فى الفن من حيث لا تدرى إلحاداً شديداً .

والحق أنى حرت فى أمره برهة حين رأيته ... فهو يطيل النظر فى وجوه جلسائه فى صمت عميق ، فيحسبونه معهم وما هو معهم ... ثم هو يرفع عينيه فى بطء إلى السقف ، ويظل كذلك برهة غير قصيرة كمن أخذته عن نفسه حال من غم أو من ذهول ، على أنى لم ألبث أن رددت أمره إلى ما علمت عن العباقرة ، فهم كثيراً ما يذهلون عن أنفسهم بما تعرج فيه أرواحهم من معارج علوية ، وكيف يكون عبقرياً ولا تسبح روحه وتعرج إلى السموات كما تسبح أرواح العباقرة وتعرج ؟

ورأيت الشاعر قد أطال شعر رأسه ، ثم تركه دون ترتيب ، حتى تهدل على فوديه ، فغطت خصلات منه أذنيه ، وتدلت خصلات فوق عنقه ؛ بينما تراكم بعضه على بعض ، حتى كان منه ما يشبه الأكمة فوق جبينه ... وهو لا يحرص على شىء من مظهره حرصه على أن يكون شعره هكذا كشعر أقرانه من كبار الفلاسفة ونوابغ أصحاب الفنون دليلاً فى رؤوسهم لا يكذب على النبوغ ، وبرهاناً لا يخطئ على الفن . وتكلم الشاعر الشاب فى نبرات الشيوخ ولهجتهم ، فأخذ يشكو من قلة فهم أهل زمانه لشعره وعدم تفطنهم إلى فنه ، ولكنه ما لبث أن أشرقت أسارير وجهه حينما ذكره بعض من يفهمونه بأنه جاء قبل أوانه ، وأنه لا بد أن تعرف قيمة فنه يوم تنجاب عن العقول حجب الغفلة ... أو لم يشك المتنبى بأنه كان فى أمته غريباً كصالح فى ثمود؟ ... ولكم سر الشاعر بهذه المقارنة البارعة بينه وبين عبقرى آخر على شاكلته .

وأفاض شاعرنا العبقرى فى أنه يسير على نهجه رضى الناس – أو لم يرضوا – فإنه إنما يغنى خلجات وجدانه ، ويعرض للمادة والحياة الدنيا وزينتها ، فأكد أنه ليس من ذلك كله فى شىء ...

ولست أدرى لم وثبت إلى رأسى حينذاك قصائده الطويلة – وكنت نسيتها – فى مدح فلان وفلان ممن لا يكون مدحهم إلا وجهاً من الزلفى ! ؟ ولكنى لفرط هيبتى من الشاعر ، أو قل لفرط إيمانى بعبقريته لم أستطع أن أشير إلى شىء من هذا .. وهل أرضى أن أضع نفسى عنده موضع الأغرار والحمقى ؟ ولعل ما فعله كان سراً من أسرار العبقرية لا ينهض له خيالى اليوم .

وأشار أحد أصحابه إشارة خفية إلى تلك الروح السامية التى ألهمته أغانيه ، فبدت على وجهه مثل أمارات الخجل وضحك ضحكة غريبة ، ثم رمى صاحبه بنظرة غاضبة كأنما خيل إليه أن ذلك الصديق يشك فى وجود تلك الروح ، أو يظن أنها بعض ما يجرى فيه الكلام فى مجالس بنى الطين ... وما كان شعره فيها إلا صلوات قدسية تتنزل عليه من عليين ، وهى كعبقريته ، أمر لا يعلق به شك إلا فى رؤوس الجاحدين والهازلين .

وألح عليه صاحب آخر أن يطربنا ببعض ترانيمه ، فتفرس فى وجهى يتبين : أأنا ممن تبدو عليهم مخايل الفطنة ، أم أنا من الذين لا يفهمون ... ولعله كان أقرب إلى الأولى ، إذ قد أخذ يسمعنا من شعره .. وأشهد لقد وقعت منه على كلام من السحر الحلال تتقطع دون بلاغته الأوهام ... ولكم وددت لو أنى استطعت أن أحفظ شيئاً منه ، على أنى أذكر من أوصافه ما لست أشك لو ذكرتها لك أنك كنت ترى معى أنها آيات من الفن تقصر عنها بدائع ابن هانىء وروائع بشار ؛ ويتخاذل دونها فن الطائى وسحر الوليد ومعجز أحمد وبدع ابن الرومى وقدرة شيخ المعرة ...

دع عنك شوقى وجيل شوقى ومن خلا من قبله فى مصر ومن خلف من بعده من الشعراء ... وليس يهمه أن ينكر الأغفال فى هذا الجيل أسلوبه ومعانيه ، فليس عليه أن يُفهمَ من لا يفهمون

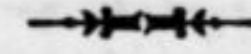
وإنه لينكر على شوقى ما توافى له من ذهاب الصيت ، ويستكثر عليه لقبه الذى عرف به ، ويعزو ذلك أيضاً إلى غفلة هذا الجيل ، وتتحرك فى نفسه العبقرية ، فيتساءل : ماذا يجد الإنسان لشوقى من الشعر الحق ، ولقد كان كلامه مرثيات ومدائح لا روح فيها؟ ولعله لم يقرأ فيما أرى شعر شوقى ، ولست أدرى ، فلعل هذا كذلك سر من أسرار العبقرية . وتوسلنا إلى الشاعر أن يجود على الناس بنشر ما أسمعنا فرفض قائلاً : إنه يضيق بهؤلاء الناس حتى ليودّ ألا ينظم بعد اليوم بيتاً من الشعر ... فتوسلنا إليه ألا يفعل حرصاً على دولة الشعر ، وإشفاقاً على مكانة العربية ...

« عين »

وحى الذكرى والحنين

[ابنة تناجى أباها بمناسبة
مرور العام الثانى على وفاته]

للسيدة وداد صادق عنبر



فى ظلام ذلك الليل الدامس، وفى صدى سكونه المهيب، جلست مطرقة أفكر فيك وكل فكرى دمع، وأبكيك وكل دمى فكر، فريسة ذكراك، وقد طال حتى حسبت أن ليس له صباح. فيالطول الليل على حزن الثكلى! ويالحزن الثكلى من طول الليل!

جلست لمناجاتك فدعوتك أبتاه!...

وأجبتنى كعهدى بك فى الدنيا حاضر الابتسامة حين تخصنى بالحديث فى كثير من أوقاتك، ترفرف علينا أثناءها العناية الإلهية وقد عادت حدب أبوة وبرّ بنوة. فوا أسفاه على تلك النعمة السابغة الذيل التى ما تمتعت بها طويلاً حتى بكيت متفجعة على فقدها ورزئت بسلبها، ولولا إيمانى بسالبها القدير لأكبرت على القدر أن يفجعنى فيك

أجل. لولا إيمانى لأكبرت عليه أن يفجعنى فيك وقد كنت سكناً لقلبك كما كان قلبى سكناً لك. فيا لهذاك البث الذى خيم على قلبى ونفسى معاً، والذى لم أجد لهما منه مخرجاً سوى وقوفى أمام قبرك العزيز، فقد أجد فيه بعضاً من سلواهما وبردهما، فأنفح جوه هتافاً باسمك ولثماً لرسمك، وأنفث عن حسرة مما يقدح الأسى على كبدك حين تحس أى جرح هذا الذى فتحه القدر فى قلبى فهو لا يبرأ ولا يلتئم، وأى جمهرة من الآلام تركتها لجيعتى فيك فى أطواء نفسى، وكل ألم منها فى وقعه منى فن من العذاب أستعذب مذاقه ولا أرجو فراقه. وأى كتيبة من الأحزان تحمل على فى عزلتى وأيسرها يسحق النفس وبذروها، ويمحق الحياة ويمحوها. وأى ثورة فى نفسى لا تسكن أبداً ولا تهدأ، ومناحة لا تنفض فهى فى كل ساعة تبدأ، وأى ضغط ينصهر تحته قلبى الواهن المستطار فيظل على حاله واهناً مستطاراً، وأى هم وغم أخذت به عن نفسى فأصبحت فى شبه سكرة أو غمرة...

يا حر قلبى عليك من حر قلبك علىّ! كنت فى حياتك تحرص كل الحرص على ألا يسكب دمع من عينى لعارضة تحدث أو نازلة تكون، لأنك أحببتنى حباً ضربته الأبوة أعلى مثل، بيد أنه أصبح مثلاً يتيماً من أنه ينظر إليه ولا يقاس عليه

على أن المهد بالحزن أن يرثّ على الزمن أو يبلى فى القلب الحزين. وإنى لأعيذ قلبى أن يرث أو يبلى فى حزنه. على أننى أعود فأتخيلك وأنا ذاهلة على وعى قلقة على سكينة، مضطربة على قرار، مأخوذة على استقرار. أتخيلك فى سِنة نوى إذا دعوتك أجبتنى فأدعوك، ثم أدعوك، وأتسمع عليك ثم أتسمع، فإذا هو القبر فى سكتته، وإذا هو الحزن فى فورته وثورته. وإذا بصدى دعائى يردد إلى نفسى خافتاً خافتاً

أبتاه:

إنى لألمحك الساعة وأنا أكتب كلمتى فى ذكراك الثانية، ألمحك من وراء قبرك، من وراء الموت، من وراء الزمن، من وراء الخلود، قاراً متضوئ النفس رضيها بما أزلفت فى حياتك لقومك من برٍ هم به ذاكروك، وبما تلقى عند ربك من ثواب ما قدمت يداك لأمتك لا لنفسك نخلعت عليها شبابك ونهبت للمجد أترابك، ومن ثم كانت خلاصة حياتك مثلاً سامياً من أمثلة الجهاد والعمل. فحملت نفسك وحملتها غير عابئ بالمرض يداخلك من حيث لا تتقيه، ويهدّ من صحتك ما لا يرممه العلاج ولا يبنيه

لا، بل ألمحك فى آثارك الحية بين يدى وكل أثر منها هو قطعة من حياتك عليها طيفك يرف

وألمحك فى أخى الوحيد (كمال) الذى كان كل همك حيًّا وتركزت فيه آمالك وأحلامك، وقد تركته فى هذه السن الصغيرة، ملقياً عليه أمانة هى ذلك العبء الثقيل الذى أراه فى طريقه إلى النهوض به ناشط الكاهل مرجو لمخايل

ألا فنم هانئاً هادئاً مطمئناً فإنه وإن لم يبلغ مداك، فحسبه أن يسير على هداك

رحمك الله يا أبى بقدر ذلك النور الفياض الذى نقتبس منه طريقنا السوى، وأنال ولدك الحظ الذى أملته، وأمطر جدثك الكريم وابلا من فيض رحمته، وألهمنا بقدر مصابنا فيك السلوى وإلى يوم الملتقى عليك منى السلام.

ابنتك البارة

وداد صادق عنبر

الأدب في سير أعلامه

بيرون

ذلك العبقرى المتمرد الذى غنى أروع أناشيد الحرية، ولاقى الموت فى سبيل الحرية

للأستاذ محمود الخفيف



وانصرف بيرون فى كمبردج عن دروسه كما كان يفعل فى هارو وراح يقرأ ما تحب نفسه من الكتب ، وأخذ يتسلى بنظم الشعر فى شتى المناسبات ؛ ولقد اصطفى فريقاً من الصحاب فى الجامعة كما فعل فى المدرسة ، وظل فى الجامعة حريصاً على أن تكون له الزعامة على من هم دونه فى السن . وأحب فى الجامعة شيئاً واحداً وذلك هو حياتها الحرة الخالية من قيود المدرسة ، وعاش فى سعة بما أتيح له من المال ، وبسط يده لإخوانه كل البسط ، وكان من الأمور الشائعة يومئذ لعب الورق وشرب الخمر ، حتى لقد كان يعرف الشاب بمقدار ما يشرب من الراح فى جلسة ، وبمبلغ حذقه فى اللعب أكثر مما يعرف بما يحصل من درسه ؛ وكان طبيعياً أن يجارى شاب مثل بيرون أقرانه فيما انغمسوا فيه ، وإن كان يكره الخمر بطبعه ؛ وأقبل الشاب على حياة اللهو ، لا يتقيد بعرف ولا يهتم بلوم ، حتى نفد ماله ، فاستدان بضع مئات . ولما ضاق نطاق الجامعة عن لهوه استأجر مسكناً خارج أسوارها ، واتخذ له خليلة ألبسها ملابس الرجال وادعى أنها أخ له ، وأطلق لحياة المجون عنانه ؛ فهل كان يريد بهذا العبث أن يسخر سخرية عملية من الحب وأحلام الحب ، أم هل كان يجرى فيه على ما ورث من آبائه من خلال ؟ الحق أننا نستطيع أن نرد ما أسرف فيه على نفسه من اللهو إلى الأمرين معاً ؛ ونستطيع كذلك أن نضيف إليهما ولعه بالرياضة التى جعلها بعض لهوه ، وكان يريد من الرياضة أن يكتنز لحمه فيضمر جسمه ، لأنه كان أميل إلى البدانة ، وكان كرهه للبدانة شديداً ؛ وكانت أحب ضروب الرياضة إليه السباحة التى كان يجيدها والملاكمة التى أخذ يتعلمها على أحد كبار معلميها .

ولما انتهى العام ترك بيرون الجامعة وذهب إلى سوثول حيث كانت تقيم أمه ، فما أن وقع بصرها عليه حتى ثارت فى وجهه وقذفته بما كان فى يدها ، فعول على الرحيل مسرعاً وقد كانت له يومئذ مركبة اشتراها فركبها مع أحد أصدقائه وركب إلى جانب السائق خادم، له واصطحب معه كلبيه وكان يحبهما أشد الحب ، وغاب زمناً عن أمه حتى أنفق ماله فعاد إليها على رغمه

وتغيب عن الجامعة عاماً جمع فيه شعره بإشارة من فتاة كان قد تعرف إليها فى سوثول حين ذهب إليها أول مرة مع أمه وكانت تحترمه وتكبره. فاطمأن إليها ؛ ولما تم له جمع قصائده دفعها إلى ناشر تحت عنوان «ساعات الكسل» وذهب إلى لندن ليشرف بنفسه على بيع ذلك الكتيب ، وكان مما يشبع كبرياءه أن يرى اسمه فى « فترينات » بائعى الكتب ؛ وراح يترقب ما عسى أن تنشر الصحف من نقد لشعره ، ولما عاد إلى الجامعة كان يطرب فؤاده لما يسمعه من ذيوع شعره بين طلابها ؛ على أن هذا الشعر يومئذ لم يكن من النوع الذى يبشر بمستقبل عظيم. وما لبث بيرون أن سمع أن صحيفة أدنبرج حملت عليه حملة شديدة ، ولامته على نشر مثل هذا العبث ، وكان بيرون فى التاسعة عشرة وقد أشار إلى سنه فى مقدمة كتابه ، فعدت الصحيفة ذلك منه توقياً للنقد فأشارت إلى ذلك المعنى فى حملتها عليه ذاكرة أن كثيرين غيره نشروا قصائد وهم فى سن مثل سنه أو أصغر منها فكانت خيراً من قصائده كثيراً . ماذا يفعل ذلك المتمرد تلقاء هذا النقد الشديد ؟ لقد ثقل عليه الهم أول الأمر ، لقد كان يضيق بالحياة بعد ما كان بينه وبين مارى ، وظن أن سيكون له فى الشعر من ذهاب الصيت

ما يتأسى به وما يتخذ به نخراً يرفع به رأسه ويدرأ به عن نفسه بعض الخزى الذى كان يلحقه من عاهته والذى ظل ملازماً له كما يتجلى ذلك فى حديث له يومئذ مع قسيس فى سوثول كان يجادله ويذكره بما من به عليه خالقه من نعم منها أنه وهبه عقلاً يسمو به على الناس، وكان جواب بيرون أنه يسمو بعقله عن الناس ولكنه ينحط برجله عنهم

ماذا يفعل ذلك التكبر المحنق ؟ لقد فكر أن يرد لتوه على هذا النقد بقصيدة ثائرة ، ولكنه عاد فآثر التمهل ليكون رده محكما وليفرغ فيه كل ما يجيش فى نفسه، وأخذ ينظم وقلبه مملوء بالغيظ والحقد على ناقده وعلى شعراء عصره جميعاً

وأخلى اللورد جراى قصر نيوستد فذهب اللورد بيرون ليقيم فيه وكانت يد البلى قد شوهت جمال ذلك القصر القديم ؛ على أن الشاعر ظل على الرغم من ذلك شديد الحب له والإعجاب به ، وكان أول ما التفت إليه عقب عودته شجرته الحبيبة فأزال بيده ما التف بها من الحشائش وما عاق من نموها من متسلق المساليج ، وعاش فى عزلة عن جيرانه فلا يرد لهم مودتهم ليقطعوها ، فإنه بالناس برم منذ يفاعته ، على أنه لم يستطع أن يرفض دعوة وجهت إليه من نيوستد فذهب ليرى مارى وقد تزوجت وصار لها طفلة صغيرة وكأنه لم يبتعد عنها أكثر من يوم فلقد نبض قلبه وهو إلى جوارها بما كان ينبض به أمس ، وحاول الكلام فلم يطاوعه لسانه إلا بعبارات متقطعة لا معنى لها ، وعاد لهفان إلى قصره يلذع الأسى قلبه ويتنازع الهم مشاعره فكتب لساعته قصيدة تعد من أروع قصائده تلمس فيها اللوعة فى قوله

« وداعاً يا حبيبتى العزيزة : لابد لى من الرحيل ، وما دمت أنت سعيدة فليس هناك ما يكربنى ، أما أن أبقى إلى جوارك فذلك مالا أطيقه إذ سرعان ما يعود قلبى طوع يديك ...

لقد طالما ظننت أن الزمن فى دورانه ، وأن ما فطرت عليه نفسى من نفار وكبرياء ، كفيلان أن يخمدا فى قلبى تلك الشعلة الثائرة شعلة الحب أوشعلة الطفولة ، ولكننى لم أتبين حتى جلست إلى جانبك أن قلبى لم يزل فى كل شىء هو هو ... إلا من جهة واحدة ... هى الأمل !

غير أننى على الرغم من ذلك جلست هادئاً بين يديك ؛ نعم إنى لم أنس تلك اللحظات التى كان يثب فيها قلبى بين ضلوعى عند لمحة من عينيك ، أما الآن فالرعدة جريمة ، ولذلك التقينا فلم ينبض فينا عرق[1] ... »

وعول الشاعر على مغادرة قصره الحبيب يلتمس الشفاء فى رحلة طويلة فى أنحاء القارة أو إلى الشرق ، ولكنه بقى حتى يفرغ من كتيبه الذى كان ينظمه للرد على ناقده

واحتفل الشاعر فى نيوستد فى مستهل عام ١٨٠٩ ببلوغه السن ، فدعا إلى القصر بعض أصدقائه حيث أقاموا ليلة ساهرة صاخبة ، ثم ذهب ليأخذ مقعده فى مجلس اللوردات فاستقبل استقبالاً فاتراً ، وقد ذهب إليه بمفرده على خلاف التقاليد التى كانت تقضى بأن يذهب اللورد الجديد فى حاشية من أهله أو من أصحابه؛ ولكن اللورد بيرون لم يجد من يصحبه، وسرعان ما ضاق بالمجلس ومن بالمجلس . وفرغ من كتيبه وقد نحا فيه منحى الشاعر بوب فى الأسلوب والنزعة التهكمية وملأه بالهجوم المنيف على ناقده وعلى شعراء عصره لم يستثن منهم أحداً، وإنه ليتساءل كيف يحل لهم النقاد ما يحرمونه عليه ؟ ونشر الكتيب فصادف من النجاح أكثر مما قدر له الشاعر الشاب ، ولقد ظهرت فيه براعته فى التهكم ولباقته فى سوق الحجج ، وتجلت قوة عبارته وإشراق معانيه ولذع سخريته ؛ واطمأن الشاعر إلى مكانته وقد ظهر على ناقد من أكبر نقاد العصر ، وهو بعد فى الحادية والعشرين من من عمره ، وأحس أنه شفى غليل نفسه فعاد من جديد يسرف فى لهوه ، وكان قد بات فى شغل عن أكثره بما كان يملأ فؤاده من غل . ولم ير الشاعر آخر الأمر بدا من الرحيل فقد آده عبء ديونه ، ومل اللهو بعد أن أسرف فيه على نفسه ، ولذع الهم فؤاده لوجوده قرب مارى وماله إليها من سبيل اليوم ... على أنه قبل أن يرحل دعا نفراً من خلانه فى كمبردج إلى قصره فقضوا شهراً فى العبث والمجون ، وحسبك أنهم كانوا يديرون الراح فى جمجمة آدمية هى جمجمة قسيس أخرجت عظامه من الأرض فأس البستانى . وحان يوم الرحيل فلم يأس الشاعر على فراق أحد غير كلبه؛ ولم يجد حوله من يأسون على فراقه هو ، فإنه لم ير أخته منذ فترة طويلة ، ونال من نفسه أنه لم ير فى وجوه صحابه ما يشعره أنهم يحزنون لسفره . وركب البحر وهو لا يعلم أين يذهب ولا متى يعود وسافر معه من خلانه شاب يدعى هبهوس ، فكانت لشبونة أول أرض نزلا بها، ومن لشبونة ذهبا إلى قادس، ومنها إلى جبل

(١) ترجمنا هذه القصيدة بعنوان وداع فى العدد ٨٥ من الرسالة

طارق ؛ وكانت أسبانيا يومئذ فى صراعها ضد نابليون ، وكانت الجيوش الإنجليزية تساعد أهلها على الخلاص من نيره ؛ وأعجب بيرون بشجاعة أهل أسبانيا بقدر ما أعجب بجمال طبيعتها

وركب وصديقه سفينة من جبل طارق فبلغا مالطة ، ومنها توجها إلى ألبانيا حيث نزلا ضيفين على على باشا والى يانينا ، وشد ما أعجب بيرون ببسالة الألبانيين وبمظاهر الحياة الشرقية فى قصر الباشا ، وكان له من ذلك مادة غزيرة سوف تظهر فيما بعد فى آثاره

وذهبا من ألبانيا إلى بلاد اليونان ، موطن السحر والحكمة بلاد هوميروس وأفلاطون ، وادى الأساطير الخالدة ، ووقف الشاعر أمام آثارها يقضى أرب مشاعره مما تحدث من أخبارها وما توحى من معانيها . . . وتوجها بعد ذلك إلى القسطنطينية مدينة الشرق العظيمة ، بيظنطة الساحرة ذات المجد التالد والجمال الطريف ، وأنس بمظاهر الحياة فى عاصمة العثمانيين . . .

وعاد الشاعر إلى وطنه بعد أن قضى فى هذه الرحلة زهاء عامين ؛ عاد وفى جيبه قصيدة طويلة لم تكن إلا خلاصة مشاهداته فى رحلته هذه ؛ وتردد الشاعر فى نشرها أياماً ؛ ثم دفعها إلى صديق له يسأله رأيه فيها فألح الصديق عليه أن يذيعها فى الناس فإنها لجديرة بذلك أى جدارة

وفعل بيرون ما أشار به الصديق ، ولم تكد تتداول لندن هذا الكتيب الجديد ، ويطلع أهلها على ما جاء به من وصف لهذه الرحلة ، حتى كان اسم الشاعر اللورد على كل لسان ، وفعلت بها براعة وصفه وحماسة شعره وقوة عاطفته ما يفعل السحر ؛ وهكذا يتوافى للشاعر بهذا الكتيب الذى خاف من نشره أول الأمر من ذهاب الصيت ما لم يتواف لشاعر قبله ؛ بل لقد حاز بيرون من الشهرة ما لم يحز رجل آخر فى أى ناحية من نواحى الحياة الاجتماعية ، حتى لقد شبه يومئذ بالشهاب اللامع ، الذى يخطف بريقه الأبصار على حين غفلة ، وقال هو يصف نفسه : « لقد أفقت ذات صباح فوجدتنى من ذوى الشهرة »

منذ ذلك اليوم صار بيرون شاعر عصره فى انجلترة ، فأخذ ينظم الشعر فى سرعة عجيبة أدهشت الناس وحيرت النقاد، وسعى إليه كثير من ذوى المكانة يهنئونه ويثنون عليه ، وأصبح يشار إليه فى كل ناد ، ويبتغى الوسيلة إلى مودته الشباب والكهول ، وهو يزداد بذلك شهرة ويمتلئ قلبه زهواً وفخراً . ولم تكن انجلترة يومئذ خلواً من الشعراء ، حتى تعزى شهرة بيرون إلى أنه لم يكن فى الميدان غيره ؛ فقد كان فى تلك البلاد عدد من فطاحل هذا الفن من أمثال : وردثورث ، وكاردج ، وسوذى ، وتوماس مور ، وكامبل ، وشيلى وولتر سكوت ، وغيرهم . وكان معظم هؤلاء أكبر سناً منه وأسبق فى قرض الشعر

ولقد فاقت شهرة بيرون شهرة كل من هؤلاء جميعاً على الرغم مما كان لأكثرهم من سمو المكانة فى الشعر مثل : ورد ثورث ، وزميله كلردج . وليس معنى ذلك أنه بذهم فى ذلك المضمار ، فقد كان لكل منهم ناحية تفوق فيها ، وإنما اتفق له من الصيت ما لم يتفق لأحدهم ؛ الأمر الذى جعل ولتر سكوت على نباهة شأنه يومئذ يترك الشعر ويبحث لعبقريته عن مجال آخر هو مجال القصص قائلاً فى صراحة إنه إنما يفعل ذلك لأن بيرون قد أخذ عليه طريق الشعر ، وهو قول كان له وقعه فى الأندية ، وكان له كذلك أثره البعيد فى تزايد شهرة الشاعر الشاب ، الذى لم يكن يومئذ يزيد على الرابعة والعشرين من عمره

على أن بعض النقاد يعزون ما أصاب بيرون من النجاح إلى عوامل أخرى تتصل بشخصه أكثر مما يعزون ذلك إلى جمال قصيدته ؛ فهو شاب فى ربيع العمر وهو يتمتع بلقب من أكبر ألقاب الدولة ، وهو إلى ذلك جميل الصورة موفور الوجاهة . . . ولكن آخرين ينكرون على هؤلاء رأيهم هذا قائلين إنه نشر قصيدته قبل أن يعرف عنه كل ذلك لهم إلا بين نفر قليلين من أصحابه . ويلتمس غير هؤلاء وهؤلاء أسباب شهرته هذه فى موضوع قصيدته لا فى قوة شاعريتها، فهى سياحة فى القارة فى وقت كانت تتجه فيه الأنظار إلى ما يجرى فيها من حروب يبعثها نابليون فى أنحائها . . . ولكن القصيدة لم تكن وصفاً لتلك الحروب حتى يصح هذا الرأى

فهل كان ما أصابت القصيدة من شهرة يرجع إلى قوة شاعرية صاحبها فحسب ؟ إن الذين يقولون ذلك أيضاً بعيدون فيما نرى عن الإنصاف بعد سالفيهم، ولما كانت القصيدة أشهر حادث أدبى فى حياة الشاعر وأحد العوامل الهامة فى الحركة الأدبية يومئذ وجب أن نتبين حقيقة أسباب نجاحها على مثل هذه الصورة الفائقة .

(يتبع) الخفيف

حكم استئنافياً بتغريم محمد موسى أحمد البقال بالسيدة بالقضية نمرة ٢٣٨ تسعيرة سنة ١٩٣٩ استئناف ١٨١٨٠ بجلسة ١٥ نوفبر جنيهان لبيعه عدساً بأزيد من التسعيرة .





نجوى

اذكري قلبي . . .

للأستاذ محمود محمد شاكر

اذكرى قلبي... فقد يَنْضَر من ذِكراك عودى
أنا غصنٌ فى رياضِ الدهرِ ظمآنُ الصَّعيدِ
صوَّحتنى غُلَّةُ الوَجْدِ وأجَّتْ فى بُرودى
ومشتْ ناراً على أنوارِ زَهرى وورودى
فهْىَ ألقاءٌ على أرضىَ آثارَ وَقودِ
فاذكرى قلبى. فقد يَنضَر من ذِكراك عودى

* * *

أنا غصنٌ كخيالِ الشَّيفِ فى وَهْمِ الطريدِ
ناحلُ الشخصِ ،قضيفُ العودِ، خمصانُ النُّمودِ
لوَّحتنى وَقْدَةُ الشمسِ على وجهى وجيدى
كم شُعاعٍ غارَ فى قَلبىَ كالسهمِ السديدِ
عَبَّ فى مائى ، فغاضَ الماءَ كالحبِّ الشَّرُودِ
فاذكرى قلبي ... فقد يَنضَر من ذِكراك عودى

* * *

أنا غصنٌ شاخصُ الطَّرْفِ إلى رِىٍّ بعيدِ
أسَرابٌ هوَ أم ماءٌ ؟ فيا ويحَ جُدودى !
أنبتتنى حيثُ أشتاقُ إلى الماءِ البَرُودِ
هِىَ أشواقٌ من الموتِ كأشواقِ الحسودِ
تَركتْنى مُوقَدَ الغُلَّةِ كالصَّبِّ الحقُودِ
فاذكرى قلبي ... فقد يَنضَر من ذِكراك عودى

* * *

أنا غصنٌ حازُ الأحلامِ كالنائى الشريدِ
غُربةُ الرُّوحِ تهاوتْ بى إلى أرضِ الجحودِ
قذفتنى هِمَّةُ الأحرارِ فى ذُلٍّ للعبيدِ
الصدَى، والجدْبُ، والغربةُ ، سجنى وقيودى
مَزَّقتْ نفرةَ أيَّامى بأنيابِ الحَسُودِ
فاذكرى قلبى ... فقد يَنضَر من ذِكراك عودى

* * *

أنا غصنٌ يُفزِعُ الفجرَ بليلٍ من رُكودِ
يتلقَّى مَولدَ الشمسِ بأحزانٍ هُجودِ
لو بكَى عودٌ من الوَحشة فى ذُلِّ الوُجودِ
لأذابتْ شخصِىَ الآلامُ ... كالدَّمعِ البديدِ
أنكرتْنى الشمسُ والفجرُ ودُولاتُ العهودِ
فاذكرى قلبى ... فقد يَنضَر من ذِكراك عودى

* * *

أنا غصنٌ فارقتْه الطَّيرُ رَبَّاتُ العُقودِ
مُسكِراتُ الزَّهرِ والنَّورِ بألحانِ النشيدِ
نغمٌ همسٌ كهمسِ الغيثِ للرَّوضِ المَجودِ
وشبابٌ ضاحكُ النَّورِ بترجيعٍ فريدِ
وأنا ... الحسرة والأنّاتُ لحنِى ونشيدى
فاذكرى قلبى ... فقد يَنضَر من ذِكراك عودى

* * *

غُصنٌ عارٍ ... ، وأغصانُكِ فى بُرْدٍ جديدِ
قد كساكِ الرِّىُّ والنَّسمةُ من وَشْىِ البُرُودِ
وتحلَّى عودُكِ الرَّيانُ نُوَّارَ الخُدودِ
فإذا للنشوةِ هزَّتكِ بأنفاسى ... فِيدى
وإذا غنَّاكِ ساقِى الطَّيرِ لحنِى أو قصيدى
فاذكرى قلبى ... فقد يَنضَر من ذِكراك عودى

محمود محمد شاكر

من وحي الطبيعة المصرية

تحت الشراع

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

املأى أذنى بألحان الصباحْ واسكبى فيها شُعاعَ المَغرِبِ
فشذا المشبِ على الضّفّةِ فاحْ وتمشّى فى الأصيل المُذْهَب
وجرى النيلُ على تلك البطاحْ فضّةً قد مُزجتْ بالذّهب
وشدا الملاحُ للركْبِ وراحْ يتلهّى فى شِراع المركَب...

***

اسمعى للنيل همْساً وخريراً مثلَ همْسِ الخائفِ المرتقب
موّجته الريحُ.. فارتدّ كسيراً كلُجينٍ ذائبٍ مُنسكب
إنّ للموج شهيقاً وزفيراً كفؤاد العاشق المضطرب...
وجرى ماؤكَ يا نهرُ نميراً سائغَ الطعم هنىء المشرب

***

الغواني جئْنَ يملأنَ الجرارا يتثنَّينَ كلُدْنِ القُضُب
ويسابقن مع الطيرِ النهارا نُفُرَ الخطوِ خِفافَ الموثِب
آه ما أجمل هاتيك العذارى رافلاتٍ فى الثيابِ القُشُب
آنساتٍ قد تكلّفنَ الوقارا وتملّمْنَ نِفارَ الرّبرب

***

والضحى يَسكب فى النهر لجينا فبدا مثلَ بياض السُّحُب
وإذا النهرُ كمرآة تُسنّى فى إطارٍ مُثْقَلٍ بالعشب
والنسيمُ الرطبُ فيها يتثنّى ويوشّيها بمثْلِ الحَبَب
وشدا الطيرُ على الماء وغنّى فوقه من خِفّةٍ أو طرب

***

وهنا الصفصاف منشور الذوائب كالعذارى النافرات العُرُب
وسوادُ الظل فى الجدول ذائبْ كبياضٍ فاتنٍ مختضب
ترتمى فى حضنه تلك القواربْ هارباتٍ من لسان اللهب
يلتقى الأحبابُ فيه بالحبائبْ ويُغنّى جِدُّه باللعبِ

محمد عبد الغني حسن



الغذاء العقلي والروحي للشباب

ألقى الدكتور طه حسين فى قاعة الجامعة الأمريكية كلمة أريد عليها ، كما قال فى أول كلامه ، فاستغرقت هذه الكلمة من الوقت ساعة أو أشفّ قليلاً، افتتحت بالتصفيق الشديد للدكتور طه حين خرج على الناس ليتكلم ! !

ولستُ هنا فى مقام التلخيص لهذه الكلمة ، ولكنى بالمكان الذى يجب علىّ فيه أن أشقّ للقراءِ موضع الرأى الذى ينبغى لهم أن يشغلوا أفكارهم به ولو ساعةً من نهارٍ ، كما شغل الدكتور طه سامعيه ساعةً من ليل يوم الاثنين ٢٩ يناير سنة ١٩٤٠ . وليس فى القراء الذين يعرفون الدكتور طه من يجهلُ أن أوّل ما يتكلم به الدكتور إنْ هو إلا أن يجعل مَردّ كل شىء إلى « يونان » ومدن يونان ... فلا شك إذن فى أن أول نظام عرف للغذاء العقلىّ والروحىّ للشباب ، إنما كان فى المدن اليونانية والحضارة اليونانية والعقلية اليونانية ! ! فهذا شىء مفروغ منه قد جعله الدكتور طه مذهباً لا يحيدُ عنه ، وأسلوباً لا يسلُك غيرَه ، ولا بأس بذلك ... فأنا أعتقد أن اختلاط المدنيات المتعاقبة على الأزمان المتقادمة ، قد جعلت لصاحب الرأى سعةً يذهبُ فيها حيث يشاء . فلو قلت أنا مثلاً : إن أول نظامٍ عرفه التاريخ لتنظيم الغذاء الروحى والعقلى للشباب ، إنما كان بالصين ، وقد فصّله لنا ما بقى من آثار « كونفوشيوس » فيلسوف الصين الأكبر ، لوجدت من الدليل ما أستطيع أن أقيم بها عوجَ الرأى ، وأردُّ به على مخالِفىّ رد إلزامٍ وخضوعٍ ... وكيف لا أستطيع ذلك وفى كل كلمةٍ من كلام هذا الفيلسوف العظيم توجيهٌ لقوى الشاب الصينىّ إلى الخير المحض ، وهو الذى يقول : « من حق الشاب أن ننظر إليه بعين الاحترام ، فما يدرينا أن علمه فى المستقبل سيكون فوق علمنا فى الحاضر ؟ أمّا من أسند فى الأربعين أو الخمسين من عمره ولم يشتهر بعلمٍ من العلوم ، فلا يستحق أن ننظر إليه بعين الاحترام » . وقد جعَل كل جهده فى تدبير شؤون الدولة الصينية ؛ يقول : « إن الاضطراب قد مزّق البلاد بالفوضى ، فمن الذى يعيدُ نظامها » ، « لا يمكن أن أعاشر الطيور والوحوش ... وإذا أنا لم أعاشر هذه الأمة ، فمن أعاشر ؟ لو كانت البلاد تحت سياسة عادلة لما كنت فى حاجة إلى أن أحاول إعادة نظامها » . . .

هذا وغيره من تاريخ الأمة الصينية وتاريخ فيلسوفها يعلمنا أن أول نظام كان إنما كان بالصين ؛ فإن شئت أن أقول الهند وأسوق الدليل فعلت . فأنت ترى أن المذهب يتسع فى الحضارات القديمة لكل رأى يحتمل به صاحبه إن شاء . واليونان من الأمم القديمة ذاتِ الحضارات القديمة ، وإنما نفَعَها وجمّلها مثابة لبحثِ كلّ باحثٍ يريدُ أن يردّ إليها مذهباً من المذاهب ، بقاء كثير من آثارها، ثم قيام أوربا الحديثة بإحياء ما طمّ عليه الزمن من مدنيتها، وأخفى أمر الحضارات الأخرى ضياع أكثر آثارها أو بقاؤها فى قبر من الإهمال والنسيان ، وهمود النشاط فى البلاد الشرقية التى هى أحق بإحياء آثارها . هذا قليل من كثير يمكن أن يقال فى مثل هذا الأمر من أمور التاريخ القديم

وبعد هذه المقدمة ، ساق الدكتور طه حديثه ببراعته التى لا يستعصى عليها غامض ولا بعيد ولا متشامخ . وأنا وإن كنت أظن أن الدكتور طه لم يوفق فى كلمته كل التوفيق ولم يمس أغراضها إلا مسًّا رفيقاً غامضاً بعيداً ، فإنى أعترف بأنه قد استطاع بحسن تحدُّره فى المعانى أن يثير من الآراء ما يجبُ أن يُثار فى أفكار هذا الجيل ، حتى يمكن بعد ذلك أن نستصلح من أمورنا ما أفسده طغيان الجهل واستبداد الحاكمين ، وتوالى المصائب المرهقة على شعب نائم لا يستطيع أن يدفع عن نفسه أسبابها ، ولا أن يذُودَ الوحوش الضارية التى فرَضَتْ عليه بالاستعباد أقسى ما يمكن أن تبتدعه من ضروب الفتك والعدوان

الدولة والثقافة

فأهم ما تناوله الدكتور فى حديثه هذا هو بيانُ موقف الحكومة من الأمة التى رضيتها أن تقبضَ على زمام الأمر فيها تصرفه بما ينفع الناس ويزيدهم قوة على قوتهم . فالأمم كلها قد أسلمت إلى حكوماتها أمر القيام على الثقافة والتعليم ، وأعطتها من حُرّ مالها ما تستطيع أن تنشئ به نظاماً كاملاً للتعليم يكون فيه رضى الشعب وحياطته وتوفير أسباب النهوض العقلى له ، وحماية أفراده من أمراض الجهل وأوبئته التى تهد قوى الشعوب

وتفنتك بالعقول التى خلقها الله لتعمل فى تدبير الحياة الإنسانية للوصول بها إلى الكمال الممكن على هذه الأرض

وإذا كانت الحكومة – أو الحكومات – تأخذ من الشعب الأموال المتوافرة الكثيرة بالضرائب التى تفرضها عليه فى كثير من مرافق حياته كتجارته وزراعته، لتتخذ هذه الأموال فى تدبير الجيش وإعداده وتسليحه وتقويته ليدفع عن الأمة شر المطامع الأجنبية التى لا تلبث أن تغزو البلاد إذا وجدت منه ثغراً مُضاعاً تنفذ إليه منه؛ فمن العبث أن تهمل شأن الفرد الذى يقوم به معنى الجيش، والذى هو المدد الأول للجيش بروحه وعقيدته وفكره وقوته. فالجيش الذى يتكون ويتجمع من شعب جاهل معذب بالجهل محطم بالضعف العقلى والخلقى، لا يمكن أن يكون جيشاً مؤتمناً على ثغور البلاد يحميها من غوائل الحروب

الأغنياء والفقراء

وإذا كانت الحكومات جميعاً لا تفرّقُ فى إمداد الجيش بين طبقات الشعب كلها ناظرة إلى الغنى والفقر، فمن الخطل الذى ليس بعده خطلٌ أن يقوم نظام تعليم هـذا الشعب على التفريق بين الغنى والفقير؛ فكلاهما قد فرض عليه أن يبذل دمه وماله وقوته وجهده فى الدفاع عن أوطانه التى تحكمها هذه الحكومة؛ فمن حقه على الحكومة أن تمده بالأسباب التى يستطيع أن يدافع بها عن هذا الوطن. والأسلحة المختلفة هى بعض أدوات الدفاع، ولكن الأداة الكبرى فى الدفاع إنما هى الرجل الذى يحمل هذه الأسلحة، فيجب أن ينصرف أعظم هَمّها إلى أحياء الرجل فى طبقات الشعب غنيها وفقيرها على السواء بالحرص على إعطاء الشعب غذاءه كاملاً من الألوان المختلفة من الثقافات المتعددة، كلٌّ على قدر طاقته ورغبته واستعداده، مكفولاً له الحرية فى الاختيار مع التسديد والحياطة والنصح

والحكومة حين تنظر إلى قوى الدفاع تفرض الضرائب على على نسبة الأموال التى يملكها الشعب غير مفرقة بين الغنى والفقير فى نسبة الضريبة التى تتقاضاها منه اقتساراً وفريضة، فكذلك يشترك الغنى والفقير على السواء فى تحمل واجبات الحرب. فأولى إذن أن يشترك الغنى والفقير معاً فى القيام بأعباء التعليم والثقافة ونشرهما والمساواة فى منحهما للغنى والفقير على المساواة بغير تفريق. وليست تفرق الحكومات على الحقيقة بين الغنى والفقير بقانون موضوع، وإنما هى تفرق بما هو أعظم خطراً من القانون الوضعى لأنه قانون الطبيعة وقانون القدر. فالغنى يستطيع أن يدخل أبناءه جميعاً بيوت العلم من الابتدائى إلى العالى مستعيناً على ذلك بماله الذى استخلفه الله عليه، والفقير لا يستطيع أن يفعل مثل ذلك فيبقى أبناؤه طعاماً للجهل الضارى وبقايا من فرائس الفقر المتوحش

ومن العجيب الذى لا يعجب إلا منه أن يكون فى أمة من الأمم رجل تفضى إليه ثلاثة آلاف جنيه فى العام، وليس له من الولد إلا ثلاثة أو أربعة يتكلف فى تعليمهم ما لا يزيد عن مائة جنيه فى العام كله، ورجل آخر يكون مالا يدخل عليه مائتا جنيه فى العام وله من الولد مثل الذى للأول فهو يدفع مائة مثل مائته أى نصف دخله! فما بالك إذن بالذين ينصبّ عليهم من الأموال مالا يستطيعون التصرف فيه إلا أن يسفكوه على اللذات والمنكرات من النساء والخمر والقمار وحالقات المال والخُلُق وليس لهم ولدٌ، ثم يكون فى الأمة آلاف مركومة من الإنسانية إلى ملايين تنسل وتلد وتمد الأمة بأسباب حياتها من الأبناء والبنات ولا يملك أحدهم ما يقوت به نفسه فضلاً عما يقوت به ولده، فضلاً عما يدفعه لوزارة المعارف أجراً للتعليم ...! إذن فواجب الأمة أن تحمل الحكومات على تغيير نظام التعليم ونظام الضرائب، فتحصل الضرائب من الشعب كله على نسبة رأس المال والدخل، ليستخدم هذا المال المجموع من الضريبة فى تعليم الشعب كله على المساواة بين غنيه وفقيره، ويلغى من وزارة المعارف نظام التحصيل، «تحصيل المصروفات الدرسية من أولياء أمور التلاميذ»! ويكون التعليم كله من أوله إلى نهايته مجاناً مبذولاً معرضاً لكل مستطيع وطالب وراغب بغير تفريق

وأحب أن أقول للدكتور طه، ولغيره من كتابنا، إنه حقٌّ عليهم أن يقوموا بالدعوة، وبالكتابة فى مثل هذا الغرض النبيل الذى ينفع الناس ويرفع عن أعناقهم نِير العبودية التى يفرضها الجهل مرة والفقر مرات كثيرة. فإن كلمة الدكتور طه التى ألقاها، إنما سمعها عدد من الناس — أكبر الظن فيهم أنهم قد طرحوا عبء التفكير فيها حين خرجوا من باب «قاعة يورت التذكارية»، كما تطرح الأعباء المثقلة. وليس شيء يحمل الحكومة على الجادة وعلى سواء السبيل كالصحافة وكتابها إذا أخلصت وتطهرت من الغرض والهوى والحقد والبغى والعدوان ... فهل يمكن أن يكون هذا فى مصر؟

فإن تسألينا: كيف نحن؟ فإننا
عصافير من هذا الأنام المسحَّر

عناصر الثقافة المصرية

وقد حدد الدكتور طه ألوان الغذاء الروحى والعقلى الذى يجب أن يقدم للشباب ، فجعله مركباً من ثلاثة عناصر : العنصر المتحدرُ من تاريخ مصر القديم — الفرعونى — وهو الفن ؛ والعنصر المتغلغل فى مصر الإسلامية ، وهو الدين والأدب والفن العربى الإسلامى ؛ والعنصر المتلبس بحياتنا الحاضرة منذ اتصلنا بغيرنا من الأمم التى نتعاون معها أو ننافسها ، وهو العنصر الأوربى الجديد ، وسترى بعد ما هو عند الدكتور طه

أما العنصر الأول ، وهو الفن الفرعونى القديم ، فأنا أدعه للكلمة الآتية ، فإن اللَّبس كثير فيه ، وقد زلّ على مزالقه أكثر أصحابنا ممن فُتنوا به عن صواب الرأى . وأنا أحب أن أتناوله بالبيان الذى يدفع عن مصر شرًّا كثيراً ويحقق لها ما نتمناه جميعاً من الخير

وأما العنصر الإسلامى من الدين والأدب والفن ، فقد أجاد الدكتور طه فى الدعوة إلى العناية به لأنه أصل المدنيـة ، ومن جَهِل فى بلاد مصر — أو بلاد العربية على اختلافها — تاريخ الإسلام فقد حطّ فى مَهوًى ينقطع به حبله الذى يصله إلى قومه وإلى حضارته وإلى مستقبل هـذه الحضارة التى سوف تنبعث بنورها مرة ثانية فى جنبات الشرق فيما أرى . ولـكن الدكتور طه بعد أن تكلم عن الاجتماع العربى أو الإسلامى الذى عاشت عليه الأمة المصرية هذه الأجيال ولم تجد به بأساً — كما يقول — عاد فاستدرك عليه بقوله : « بشرط أن يتابع تطور المدنية الحديثة » . فأنا والدكتور طه وكل عربى قد درِب بالحضارة وجرّبها يعرف أن البناء الاجتماعى هو أصل المدنية ، وأن الاجتماع إذا صلح استطاعت كل القوى أن تعمل فى بناء الحضارة بعقائدها وآرائها وإيمانها وفلسفتها ؛ فإذا أردنا أن نجعل النظام الاجتماعى الإسلامى فى العمل والتشريع والسياسة هو النظام فمن الخطأ الذاهب فى الفساد أن نخضعه لتطور مدنية أخرى قد بُنى اجتماعها على المسيحية فى التشريع والسياسة والأخلاق . فمصر والشرق الإسلامى إذا أراد أن ينهض فلا بد له — كما قال الدكتور طه — أن يستمد نهضته من أصول الاجتماع الذى يربطه به التاريخ والدم والوطن واللسان والدين والوراثة ، وإذا ساير فإنما يساير فى فكرة مطلقة وهى « النهضة والحضارة والمدنية الإنسانية » على الطريق الذى يوافق طبيعة هذا الاجتماع . أما المدنية الحديثة فقد بنيت على غير ذلك وقد تطورت على أصوله ؛ وليس بعد خطبة الملك جورج ملك الإنجليز مايدع موضعاً للشك ، فقد خطب الملك يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٩ فى الاحتفال بعيد ميلاد المسيح — صلوات الله عليه — فذكر الاتحاد الانجليزى الفرنسى للحرب ضد ألمانيا النازية فكان مما جاء فى خطبته (ترجمة الأهرام) : « إنى أومن من أعماق قلبى بأن القضية التى تربط شعوبى معاً ، وتربطنا بحلفائنا المخلصين الأمجاد هى (قضية المدنية المسيحية). وليس ثمة قاعدة أخرى يمكن أن تبنى عليها مدنية صحيحة »

ونحن ننظر إلى المدنية الأوربية هذا النظر ، وكلام الملك جورج هو من أدق التصوير لحقيقة الحضارة الأوربية فى نظر كل باحث نصرانى أو يهودى أو مسلم . فإذا أردنا أن نتابع تطوّر هذا الضرب من المدنية بتبديل اجتماعنا — الذى دعا إليه الدكتور طه فى حديثه — ليطابقه ؛ فكأنما ندعو إلى « تنصير الإسلام » . وما أظن الدكتور طه يرضى أن نصير هذا المصير !

والعجيب بعد ذلك أن يذكر الدكتور طه العنصر الثالث وهو الحضارة الحديثة الأوربية ، فلا يدعو إلى الأخذ بشىء مما فيها دعوة صريحة إلا فى الذى يتصل بالخلق ليكون عندنا الرجل الصريح الذى يتحرى ألا يكذب نفسه قبل اجتنابه الكذب على الناس ، والرجل الذى يستطيع أن يقول : « لا » أو « نعم » حين يريد أن يقولها ، لا حين يكره عليها !!

ألا إن أخلاق المدنية الأوربية قد استعلنت جميعها فى هذا البغى المتفجر فى الحرب التى لا يعلم خَبْأها إلا عالم الغيب والشهادة، وإن أردنا أن نأخذ — أى أن نقلد — فلنأخذ من تاريخنا، من ديننا، من أخلاق رجالنا . . من الذين استطاع أحدهم أن ينكر على عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، ويقول له : « اتق الله يا عمر » فيقوم رجل يستأذن عمر فى أن يأمره فيه بأمره، فينهاه عمر ويقول : « دعه، فلا خير فيكم إذا لم تقولوها لنا ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم » . فالرجولة هنا ليست أن يقول الرجل ، ولكن أن يتقبل صاحب السلطان هـذا القول بالخضوع والرضا ؛ فهل فينا من يقبلها يا دكتور طه . . . ؟ أو فى النفاق الأوربى المتلبس بالرجولة طبقاً للمنافع فى أكثر أمره إلا مَنْ عصم الله . . . ؟ لا أدرى

محمود محمد شاكر



من أسرار الفن

بطلة شارلى

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— تحدثت الصحف كثيراً عن الفلم الذى يخرجه شارلى شابلن الآن ، وعينت موضوعه ، وقالت إنه سيتناول حياة الديكتاتور هتلر ، وزادت بعضها فسردت ملخصاً للفلم . وقد اهتم العالم كله بأنباء هـذا الفلم لأنه سيكون الحرب التى يشنها الفن على القوة ... ولـكن هذا الاهتمام الـكبير لم يتجه منه ولا جانب تافه إلى بطلة هذا الفيلم ... ألست ترى شارلى مقصراً فى الدعاية لبطلته، وأن الذى يدفعه إلى هذا التقصير أنانية فى نفسه؟

— يجب عليك أن تعلمى قبل كل شىء أن شارلى ليس هو المسئول عن هذا ، فهو فيما أعتقد أبعد الناس عن الدعاية لأنه أقرب الناس من الفن الصادق . ثم يجب عليك أن تعلمى بعد ذلك أن حياة هتلر خالية من المرأة فيما يرى الناس . فاذا علمت هذا وذاك فإنى أظنك ستعودين وتعتذرين لشارلى عن اتهامك إياه بالأنانية لأنه لم يقم الدنيا ويقعدها من أجل ممثلة تافهة سيمنحها المجد حين يبيح لها أن تقف إلى جانبه ...

— يا سلام ! أو ليست هذه الممثلة التافهة هى التى سيبلغ بها نصف النجاح الذى ينشده ؟ إنه رجل غدار لا وفاء له . وأكثر من هذا أنه يقصر حتى فى أيسر المجاملات

— بل إن شارلى متسامح . ويكفيه تسامحاً أنه لا يزال يسمح للنساء أن يظهرن على يديه ، وأن يرقين إلى المجد على كتفيه، مع أنه بلغ بالمرأة كل الآلام التى تثمره ... إنه رجل غفار ، لا حقد عنده وأكثر من هذا أنه يجامل حتى فى المعارك التى يخوضها فى حياته ...

— أية معارك هذه التى يخوضها شارلى فى حياته ؟

— كل أعماله معارك ، وكل رواياته مواقع . وهو ينتصر فيها جيماً ، ويأبى دائماً إلا أن تكون إلى جانبه فى كل نصر واحدة من بنات حواء ، ينتشلها من غياهب الخمول انتشالاً ويسمو بها إلى آفاق الذكر سمواً ، ثم يرى نفسه مضطراً بعد ذلك إلى أن يتركها وأن يدعو غيرها ... فله فى كل رواية بطلة . . .

— إن هذا هو ما أعيبه فيه . فقد كان يجب عليه أن تكون له بطلة واحدة يفهمها تمام الفهم ، ويحملها بمقدرته على أن تفهمه تمام الفهم ، ثم لا يتركها ولا تتركه ، فإذا كان قد عجز عن هذا لسبب من الأسباب فلم يكن عليه أقل من أن يعنى باختيار بطلة من المشهود لهن بالنبوغ تقف أمامه فى أفلامه... فهكذا يفعل كل الممثلين الـكبار فى كل زمان ومكان ... فلماذا لا يفعله هو إذا لم يكن الحقد بأكل قلبه ، أو إذا لم يكن يخاف أن تكتسحه ممثلة قادرة ؟

— وهل تعتقدين أنت أن الله خلق ممثلة تستطيع أن تكتسح شارلى ؟ أنا لا أظن ذلك

— إذن فلماذا لا يقف أمام ممثلة نابغة ؟ أهو أعظم من جورج آرليس ، ووالاس بيرى ، وبول مونى ، وهارى بور ، وشارلس لاوتون ...

— ما أبعد الفرق بين هؤلاء وبين شارلى... هؤلاء كل منهم يمثل ذاتاً حدثت فى زمن ما وفى مكان ما ، أما هو فيمثل النكرة الذى يعرفه كل زمان وكل مكان

— وهل كان هتلر نكرة حتى يمثله ؟

— إنه على الرغم مما فيه من شر فهتلر معرفة، ولـكنه أصاب ذيوع تلك النكرة

— واعتماداً على شهرة هتلر واهتمام العالم بما يثيره فيه فإن شارلى يهمل بطلته ...

— من قال هذا ؟ إنه يهدى إلى العالم فى كل فلم بطلة . . .

— إن هذا الجود وهذا الكرم مرجعهما عجزه عن أن يحتفظ لنفسه بواحدة

— بل هو عجزهن جيماً عن البقاء إلى جانبه

— معذورات ! فهو عجوز شاخ

— وما هذا عند التى تريد شارلى ! شارلى الذى تحبه الدنيا ولم تشبع منه ولن تشبع . ألا تقبل امرأة واحدة ممن عرفهن أن تحتفظ به ؟ حقاً إن للمرأة ذوقاً لا أدرك كنهه

— لعل شارلى الذى تحبه الدنيا غير شارلى الذى تجده المرأة فى البيت ...

— من غير شك ، وإن شارلى الذى تجده المرأة فى البيت لهو أروع بكثير من شارلى الذى يعرفه العالم . فهو فنان ، وحياته خارج الاستوديو إنما هى تحضير لحياته داخل الاستوديو ، فلو أن شارلى وجد التى تحب هذا التحضير كما تحب الوقوف إلى جانبه أمام الكاميرا لوهب لها حياته ، ولوهب لها ماله ولوهب لها فنه ، ولوهب لها نفسه مختاراً ومجبراً ... ولكن شارلى لم يجد هذه الفنانة بين اللواتى عملن معه ، وبين اللواتى تزوج منهن ، فهو معذور إذا تولى بالتبديل والتغيير بطلاته ، وإذا فر من زوجاته . فبطلاته يتعشقنه فى عمله يردن منه أن يربحن الثروة والمجد ، وزوجاته يتعشقن اسمه وجاهه وغناه ويردن منه بعد ذلك أن يكون خارج عمله لهن هن لا لهذه الدنيا التي يستخلص منها مادة فنه

— أليس هذا حق المرأة على زوجها ... ؟

— قد يكون من حق المرأة على زوجها أن تستخلصه لنفسها إذا لم يكن زوجها فناناً صاحب رسالة . أما إذا كان زوجها مشغولاً حتى عن نفسه بما فى الكون من آيات وبدائع ، وإذا كان يعيش فى هذه الدنيا مباحا لكل من يريد أن يتذوقه وأن يأخذ منه ، فلماذا لا تنكب عليه هى تستوعب كل ما يمكنها أن تستوعبه منه ... ولماذا لا تجد فى فنه المتعة ... لماذا ؟ إلا أن تكون نفسها عاجزة عن تذوق الفن والاستمتاع به ...

— وهل تريد من زوجة الفنان أو من تلميذته أن تقضى معه الحياة متنقلة من ملحوظة إلى ملحوظة، ومن عبرة إلى عبرة ، ومن أغنية إلى أغنية، ومن قصيدة إلى قصيدة ... ولا يكون لها منه ذلك؟

— وماذا تريد منه غير ذلك ؟

— تريده هو ؟

— وأى شىء فيه هو غير ذلك ؟

— فيه أنه رجل ، وأنها امرأة

— وإنه رجل وإنها امرأة ... أو أنكر أحد ذلك ؟

— إنه هو الذى ينكره ... فهو فيما أظن لا يكاد يقيم علاقته مع صاحبته حتى يحسب أنه قد تم له ما يريد من الاستيلاء عليها ، ثم يعمد بعد ذلك إلى ما يرضيه هو لا ما يرضيها هى ... فهو يكثر معها من الحديث عما يراه فى الدنيا وفى الكون وفى الملكوت ... يحدثها عن النجوم والشموس والصراصير والنمل ، وقد لا يخطر على باله طول السنين أن يذكر جمالها بكلمة ، أو أن يمدح ثوباً من ثيابها أو أن يطرى بعض زينتها ناسياً فى هذا أن المرأة مخلوق لا يطيق الحياة وحده ، وأنها تفزع كل الفزع ما لم تحس التهافت عليها ... إنها يا أخى قد خلقها الله لغيرها ... خلقها للرجل وهى لا تقوم بذاتها

— آمنت بالله ، وبهذا الحق الذى تذكرين وما أقل ما تذكرين من الحق ... ولكن ألا ترين يا سيدتى ويا تاج رأسى أن الرجل إذا تزوج من امرأة كان هذا منه كافياً يشهد بأنه معجب بها وبذوقها وبجمالها وبملابسها وبزينتها ... ثم ألا ترين أنه إذا اختار تلميذة له فوجه إليها اهتمامه وجهوده كان هذا منه كافياً أيضاً يشهد بأنه راض عنها وعن كيانها بما فيه عقلها وجسمها وعلى الخصوص إذا كانت هذه التلميذة ممثلة ممن يلقن أن يكن بطلات فى أفلام شارلى ... إنى أعتقد أن هذه الشهادة تكفى ، وأنه لا داعى بعد ذلك يدعو شارلى أو غيره من الرجال إذا استيقظ من النوم فى الصباح أن يقول لامرأته : ما أبهاك وما أروعك ؛ وإذا عاد إليها فى المساء أن يقول لها : ما أحلاك وما أجملك ؛ وإذا صحبها فى عمل أو فى لهو أن يقول لها : ما أذكاك وما أبدعك ... ألا ترين أن هذا لا يمكن أن يكون إلا خداعا لا طعم له . . . إننى أرى فى الصمت والهدوء علامة من علامات الرضى ، وأحسب أن شارلى كذلك ، فهو ما دام صامتاً وهادئاً مع زوجه أو تلميذته كان معنى هذا أنه راض عنها ، وأظن أنه إذا رأى فيها عوجاً لفتها إليه ... وهكذا يجب أن تكون حياة الناس ... أساسها التسليم والرضا الصامتان لا تبادل الإطراء والمخادعة ...

— إنك تقول هذا لأنك خائب مثلما أن شارلى خائب فأنا منذ رمانى الدهر فى طريقك لم أسمع منك كلمة واحدة ترضينى ولم أجد عندك إلا الكلام الذى يسم البدن ويكسر النفس ... تذكر شارلى ، وتذكر مواقعه الغرامية فى أفلامه ، وقل لى بالله عليك هل رأيته يوماً عاشقاً لبقاً ...

— إذا كانت اللباقة هى صناعة الغرام ، فشارلى عاشق غير لبق . أما إذا كانت اللباقة هى الغرام الصادق ، فاذكريه يا جاحدة فى « أنوار المدينة » كيف عشق العمياء وكيف أخلص لها وكيف كان يضحك الناس من غرامه هذا والدموع يسيلها من مآقيهم تأثراً له وتفجعاً ، ثم اذكريه فى « العصر الحديث » كيف أحب الشردة الصغيرة ، وكيف كان يحنو على إخوتها ويطعمها وإياهم طعامه هو . وإذا استطعت فاذكريه فى « البحث عن الذهب » كيف زين مسكنه لحبيبته ، وكيف جلس ينتظرها والطعام أمامه لا يذوقه ولا يمسه ، وكيف تخلفت عنه وهو ما زال ينتظرها إلى

أن غفا ، فكان الحب أحلامه ، وكانت هي عروسها . . فلما أفاق وأدرك أنها تخلفت ، جن حزناً وطاشت أحلامه ، ولكنها ظلت عروس أحلامه الطائشة ... إن شارلى من غير شك هو أروع وأخلد عشاق السينما ، يقدره حق قدره الذين أحرق الحب قلوبهم وأفنى أفئدتهم ، ولكنكن يعجبكن أدولف مانجو المتأنق السمج وكلارك جيبل المتحلي المباهي بقوته ... أنتن لا يرضيكن إلا المتنازلون ... أما العشاق ، فلهن منكن الزراية والسخرية ... إن شارلى صادق كل الصدق يا هذه ، وإن حياته الفنية لهي صورة حقة من حياته الطبيعية ...

— وهذا هو ما أريد أن أقول ... فكما أنه في حياته الفنية لا وفاء فيه لممثلة زميلة فإنه في حياته الطبيعية لا وفاء فيه لامرأة

— قلت لك إنه لا يخلص في زمالة امرأة لأنه لم يجد المرأة التي تخلص في زمالته ، وهو لا يزال يرتجل بطلات لأفلامه لأنه لا يزال يبحث عن سكنه بين النساء ، ولعلك تذكرين أنه جن يوماً فأخرج فلم « الظلام » من غير بطلة امرأة وزامل فيه جاكى كوجان ، وقد كان ذلك لأنه جن يوماً فطاش في الحياة لا يقف عند امرأة ولا يرتاح إلى أنثى . ولعلك ترين أنه قد عدل أخيراً عن الممثلات الناضجات الأنوثة ذوات التجارب في الرجال إلى ممثلات أخريات صغيرات لم يعرفن الرجال لا الممثلين منهم ولا غير الممثلين ، وقد حدث ذلك لأنه في حياته عدل عن تقصي الحب بين النساء ذوات التجارب إلى تقصيه بين الفتيات الساذجات

— وإلى أين سينتهي شارلى في بحثه هذا يا ترى ؟

— أغلب الظن أنه إذا لم يسمنه القدر سريعاً بما يصبو إليه من الحب، فإنه ربما عدل عنه ، وعندئذ سنرى شارلى في أفلام لا نساء فيها ...

— وهل يمكن أن يظهر فلم من غير نساء ؟ إنه لن يكون غير خرافة، فالدنيا ليست الدنيا مما لم تزينها المرأة...

— هذا هو كلامكن ، وكلام الذين يضحكون على عقولكن. وإلا فقولي لي من هي المرأة التي كانت في حياة كافور الإخشيدي

— أو لم تجد غير هذا الأغا مثلاً ...

— وهل أبرع وأبرز من مثل هذا العبد يشتريه سادته بالمال فإذا هو الملك الحاكم ؟

— إن شارلى نفسه مقتنع بأنه لا بد لفلمه من بطلة ، وأنا أؤكد لك أن بوليت جودار التي أظهرها في فلمه الأخير « العصر الحديث » سوف تظهر إلى جانبه في الديكتاتور

— ومن أين جاءك هذا ؟

— روته صحف أمريكا . بعد أن قيل إن بوليت غادرته ...

— إذن فلن يكون شارلى أنانيا كما قلت في البدء

— إنه أناني وأناني وأنا لا زلت أشك في إخلاصه لتلميذته الصغيرة

— أما هو فثقي أنه مخلص كل الإخلاص ، وهو لا ريب يرجو السماء والأرض أن تحفظ عليه بوليت ، ولكن الشيء الذي أخشاه ، والذي قد يخشاه هو أيضاً هو أن تكون بوليت هذه على الرغم مما يبدو عليها من ملامح الطهر والبراءة ... امرأة صغيرة قد تنكرت بالطهر والبراءة وركبت بهما ظهر شارلى حتى استطاعت أن تظهر معه في فلمين متتابعين ، وهذا من غير شك يعتبر حادثة في تاريخ ذلك الفنان العظيم ... وبعدئذ ... من يدرى إذا ذاع اسم بوليت ، واعتبرها الناس نجمة مستقلة لا تحتاج إلى شارلى ولا إلى اسمه في تجارة الفن ، وآمن بهذا المخرجون وأصحاب رؤوس الأموال ... أتظل على وفائها له فتبقى معه ... أم تفر منه كما فرت الأخريات ... من يدرى ... إنها على أي حال تجربة شارلى الأخيرة فيما أعتقد ...

عزيز أحمد فهمي



أرقام تتحدث

طريقة تعداد الذرات

للدكتور محمد محمود غالى

من « أحمس » المصري إلى « بيران » الفرنسي — الجسيات التي استخدمها « بيران » في تجاربه — كيف تتوزع هذه الجسيات الدائمة الحركة — يختلف الجو الذي ابتدعه « بيران » عن الجو الذي نعيش فيه

لقد تنفس العالم الكبير « بيران » في القرن العشرين بعد الميلاد الهواء ذاته الذي تنفسه « أحمس » في القرن العشرين قبل الميلاد أو ما يقرب من ذلك العهد ، ومع ذلك استطاع الأول بتجارب علمية دقيقة ، وعمليات رياضية عالية ، أن يعرف عدد ما في حجم مُعيَّن من الهواء من ذرات ؛ بينما وقفت معارف الثاني عند حد معرفة القواعد الحسابية الأربعة : الجمع والطرح والضرب والقسمة [١] ، ومعرفة الكسور [٢] والتقسيم التناسبي وحساب المتواليات ، ولم يكن يجهل معادلات الدرجة الأولى [٣] .

والذين يراجعون معنا الآن أعمال « بيران » يدركون كيف اهتدى إلى إحصاء الذرات الدقيقة ، دون أن يكون في حاجة إلى رؤيتها ، وكيف خلص من هذا إلى معرفة قدر الألكترون ، أصغر ما في الكهرباء وأحد المكونات الهامة في الوجود ، دون التجاء إلى استخدام عمليات كهربائية ، وهو بتعيينه قدر الذرة وقدر الألكترون أقام في نفس الوقت الدليل على وجودهما ، فقطع بذلك مرحلة من أهم مراحل العلم ، تتخلص في كلمات هامة ومحدودة : ذلك أن التجزؤ المادي وعدم الاتصال في أجزاء المادة Discontinuité حقيقة موجودة .

والذين يستعيدون منا أعمال «أحمس» ، ويتلمسون ذلك في كتابه الذي ترجمه «إيسنلوهر» Elsenlohr [١] إلى الألمانية من الأصل المخطوط على أوراق البردي المحفوظة في المتحف البريطاني [٢] يعلمون أنه كان يعرف أن يقوم بحساب أبعاد فاكهة مستديرة أو تحديد مساحة قطعة من الأرض ، وأنه كان يعرف قدر الخبز لحجم معين من الدقيق ، بل يعرف قدر الطعام الذي تزدرده الأوز وتلتهمه العجول

***

أما « أحمس » فقد صاغ الفكر في نسق يتسق وما كان يحتاج إليه معاصروه ، فلمس ببراعة حاجات هذا العهد ، وعرف كيف يعالج ما يعرض له من مسائل بتفكير إنساني منسق ، وبمجهوده ومجهود من تقدموه ارتقى الإنسان وصار يتوارث المعرفة جيلاً عن جيل ، واحتفظت الإنسانية بطابع من التقدم عهداً إثر عهد ، وغت المعارف فوصلت إلينا سليمة قوية - أما « بيران » فقد وجد ميراثاً علمياً سليما كانت أعمال « أحمس » ، والأغريق من بعده من أهم ما مهد لهذا الميراث العظيم ، فلا يستضعف أحد ما ذكرنا من حساب « أحمس » لما تزدرده الأوز وتلتهمه العجول ، وغير ذلك مما كان شغله الشاغل عند ما نذكر مشاغل إنسان اليوم جلية فيما قام به « بيران » من تعداد للذرات ومعرفة لأقدارها ، فعند ظني أن ما عرفه الأول يصل إلى النصف من كل ما ورثناه من علوم ، وأننا لسنا إلا على أبواب مرحلة جديدة في تاريخ الفكر البشري

***

ولندع الآن حديثاً أرجو أن يكون قد بعث في النفس صورة من الماضي البعيد في شيء من التأمل لنعود لبيران فنذكر عمله الإنشائي ونرى مما ماذا أفاد من المسائل الرئيسية الثلاث الخاصة بالغازات التي ذكرناها في المقال السابق : المسألة الأولى أن ثمة

(١) مما هو معروف أن معرفة « أحمس » للضرب والقسمة تختلف عن معرفتنا لها اليوم

(٢) لم نعثر فيما لدينا من مراجع على مقدرة معرفة « أحمس » للكسور وقد ذكر صديقنا الأستاذ سيد عبد النعم أن ذلك وارد في كتاب « كبار علماء الرياضة » الذي ألفه « تيرنبول » « The Great mathematicians by Turnball »

(٣) من المسائل الجديرة بالبحث دراسة الأصل في فكرة الجبر واستخدام الرموز في حل الموضوعات الرياضية ، فإنه من المألوف أن ينسب إلى علماء العرب فكرة الجبر والمقابلة ، ولكن في كتاب « أحمس » ما يجعلنا ننعم النظر في جواز نسبة هذا العلم إلى العلماء المصريين وفي عهد سابق للاغريق والعرب

(١) الكتاب مطبوع في « ليزج » سنة ١٨٧٧ واسمه بالألمانية Ein Mathematisches, Handbuch der Alten AEgypten.

(٢) يرجع تاريخ هذا الكتاب المصري الذي له أكبر قيمة تاريخية والذي يصح أن تعنى دار الكتب أو مراقبة الثقافة بترجمته للغة العربية إلى عهد يتراوح بين ١٧٠٠ ، ٢٠٠٠ سنة قبل المسيح

علاقة تربط الضغط والحجم والحرارة للغاز ، بحيث أن حاصل ضرب اثنين من هذه التغيرات يساوى التغير الثالث مضروباً فى عدد ثابت ؛ والثانية أن فى الحجم الواحد يوجد فى الضغط الواحد والحرارة الواحدة العدد ذاته من الذرات الغازية مهما اختلف نوع الغاز ؛ والثالثة هو تغيُّر الضغط فى عامود غازى وفق متوالية هندسية

ولقد ذكرنا أنه قد أدت هذه المسائل الثلاث إلى استنباط علاقة أوردناها فى مقالنا السابق[1] علاقة نعرف منها النسبة الواقعة بين ضغطين فى غاز فى موضعين تفصلهما مسافة رأسية ، إذا عرفنا الوزن الجزيئى[2] للغاز والعجلة الأرضية وثابت الغازات والحرارة المطلقة ، ولقد ذكرنا أن النسبة الواقعة بين ضغطين فى الغاز فى موضعين مختلفين هى النسبة بين عدد الجزيئات فى هذين الموضعين ، بحيث إذا عرفنا الضغط أو عدد الجزيئات عند مكان معين أمكننا أن نعرف الضغط أو عدد الجزيئات عند مكان يرتفع عنه مسافة معينة ، وقد ذكرنا فرض « أفوجادرو » القائل بأن هذا العدد للجزيئات الموجود فى الوزن الجزيئى — أى الموجود فى الحجم الواحد لجميع الغازات هو عدد ثابت لا يتغير — يسميه العلماء عدد « أفوجادرو » ، ومن المناسب أن نورد هنا للقارئ فكرة عن هذا العدد الكبير ، فهو يبلغ حوالى ٦٨×١٠^{٢٢} من الجزيئات[3] ، وهو العدد الموجود فى ٣٢ جراماً من الأوكسيجين مثلاً أو ٢٢٫٤ لتراً منه ، أو من أى غاز آخر ، وهو العدد الذى حاول « بيران » بعمله الإنشائى أن يعرفه ، فيعرف منه قدر الذرة وقدر الألكترون .

وطبيعى أنه لا يجوز أن يخطر ببال هذا العالم أو غيره أن يحاول بطريقة مباشرة أن يحصل على أحد هذه الجزيئات أو إحدى هذه الذرات ليتمكن من قياس وزنها أو قطرها أو كثافتها فهى متناهية فى الصغر إن قورنت بكل ما نستطيع أن نتناوله على حدة من الأجسام ، ويكفى القارئ أن يعلم أنها من الضآلة بحيث يمكن أن تندمج فى جسمنا بالنسبة ذاتها التى يندمج فيها هذا الجسم فى الشمس ، أو بالنسبة التى تندمج فيها حشرة صغيرة فى جسم الأرض ، ولكن « بيران » عمد إلى العثور على هذا النوع من التوزيع الغازى فى وسط آخر غير الغازات ذات الجزيئات أو الجسيمات الصغيرة ، وسط يستطيع أن يقيس ويزن فيه الجسيمات ويعرف خصائصها بوسائلنا العادية ومقدرتنا المعهودة ، فعمد إلى الحصول على كرات صغيرة من أنواع مختلفة من الأصماغ Gomme Gutte et le mastic ، يبلغ قطر الواحدة منها فى معظم تجاربه كسراً ضئيلاً من الميكرون (الميكرون $\frac{١}{١٠٠٠}$ من الليمتر) وقد ترك « بيران » هذه الكرات فى عمود من السائل . ومما يلاحظ أن هذه الكرات الصغيرة ، عند ما تدخل السائل ، تقع فى حرب شعواء بين الجاذبية الأرضية التى تدفع بهذه الجسيمات نحو الأرض وبين الحركة البراونية التى سبق أن أشرنا إليها فى مقالاتنا ، وهى الحركة الناتجة من حركة جزيئات السائل ذاته والتى تدفع بها فى كل جهة ، بحيث أنه بعد فترة معينة يحدث نوع من الاتزان بين كل هذه العوامل ، تتوزع بعدها هذه الجسيمات فى السائل أى بين جزيئات السائل توزيعاً خاصاً ، بحيث تكون كثيفة العدد فى أسفله قليلة كلما ارتفعنا فيه

ومما يجدر بالملاحظة أن هذه الحالة من التوزيع لا تفترق عن حالة توزيع الجزيئات الغازية فى عمود غازى أو فى الجو مثلاً ، وهو التوزيع الذى تحدثنا عنه سابقاً ، فهذه الأجسام كلها صُغرَت أو كبُرت واقعة تحت تأثير عاملين : العامل الأول اجتذاب الأرض إياها والعامل الثانى حركة الجزيئات نفسها أى الحركة البراونية ، وليس ثمة فارق بين الحالتين حالة الجزيئات الغازية وحالة الجسيمات الكولويدية سوى أنه فى هذه الحالة الأخيرة يوجد تفاوت فى درجة التوزيع بالنسبة للارتفاع يرجع إلى التفاوت الذى بين وزن هذه ووزن الجزيئات الغازية ، فمثلاً يكفى أن ترتفع فى سائل يحوى كرات من التى قطرها كسر من الميكرون (وهى الكرات التى صاغها « بيران ») حوالى $\frac{١}{٢٠}$ من المليمتر حتى ينقص عدد الجسيمات فى الحجم الواحد إلى نصف عددها الأول حين يجب أن ترتفع فى عامود من الغاز مثل

---

(١) يجد القارئ العلاقة فى هامش الصفحة ١٥١ من مقال « أرقام تتحدث » — الرسالة — العدد ٢٤٢ — ٢٢ يناير ١٩٤٠

(٢) الوزن الجزيئى بالجرام Molecule Gramme ، وليس وزن الجزئ بالجرام كما ذكر خطأ بالمقال السابق ، لجسم معين هو كتلة ذلك الجسم الذى هو فى حالته الغازية يحوى الحجم ذاته الذى يوجد فى ٣٢ جراما من الأوكسجين ، ونكرر القول أن كل الأوزان الجزيئية بالجرامات للغازات المختلفة تحوى هذا الحجم الذى قدره ٢٢٫٤ لترا الذى يحوى هو أيضا العدد ذاته من الذرات وهو عدد « أفوجادرو » الذى أومأنا إليه

(٣) معنى ذلك أن فى ٢٢٫٤ لتراً من الغاز يوجد حوالى ٦٨×١٠^{٢٢} من الجزيئات

الأوكسيجين حوالى خمسة كيلو مترات لينقص عدد الجزيئات فى الحجم الواحد إلى هذه النسبة ، وهذا يحملنا على التفكير فى أن وزن أحد هذه الجسيمات التى استخدمها بيران يصح أن يكون حوالى مائة مليون مرة قدر وزن الجزىء من الأوكسيجين

والواقع أنه كان من الميسور أن يصل الباحثون إلى علاقة تربط نسبة عدد حسيمات ميكروسكوبية متروكة فى سائل تتوزع فيه مع عدد « أفوجادرو » السابق الذكر ، وهى علاقة يمكن استنتاجها من العلاقة أو المعادلة التى سبق أن نوّهنا عنها فى الغازات التى ذكرناها فى مقالنا السابق ، وهذه العلاقة الثانية التى نذكرها فى هامش هذه الصحفة [١] هى علاقة نجد فى أحد طرفيها النسبة بين عدد الجسيمات الميكروسكوبية أى الكولويدية الحائرة فى السائل فى موضعين مختلفين ، ونجد فى الطرف الثانى عدة متغيرات وثوابت ، أهم ما فى هذه الثوابت عدد « أفوجادرو » الذى ذكرناه والذى هو محل بحثنا

ولعل القارئ يرى أن وزن هذه الحبيبات أو حجمها الذى فى استطاعتنا الوصول إليه هو الوصلة للأوزان الذرية التى يعتبر الوصول إلى وزنها بالذات خارجاً عن طوقنا

ولاريب فى أنه يعوزنا كتاب كامل لنشرح للقارئ العقبات الكبرى التى ذللها « بيران » وتلاميذه للقيام بهذه التجارب التى استخدموا فيها جسيمات قطرها $\frac{٢}{١٠}$ من الميكرون وجسيمات أخرى يختلف قطرها عن هذه . وثمة صعوبات فى صوغ هذه الجسيمات بطرق مختلفة ومواد مختلفة ، ونتفادى الاستقصاء فى وصف الوسائل المختلفة التى عمد إليها هذا العالم فى قياس هذه الجسيمات ، وسائل تمت إلى التطبيق الهيدروديناميكى طوراً وإلى الطرق الطبيعية تارة أخرى ، وهى الوسائل العديدة التى صدرت عنها أطروحات جامعية عديدة طالعنا بعضها وناقشنا البعض الآخر [٢]

ترى هل وجد « بيران » بعد ذلك المجهود وبدراسة هذه الجسيمات الحائرة أبدا ذلك التوزيع اللوغاريتمى الموجود فى الغازات ؟ وهل استطاع أن يعثر من دراسة هذا التوزيع فيما اختاره من جسيمات على عدد « أفوجادرو » ذاته الذى كان يتوقعه والذى كانت تدل عليه عمليات أخرى تختلف فى طريقها وجوهرها عن موضوع « جان بيران » Jean Perrin الحالى ؟ هذا ما ندل عليه القارىء فى مقال قادم حيث يقف على ما استنبطه بيران من ملاحظة مستمرة لهذا الجو الجديد الذى ابتدعه وصنعه لنفسه ، هـذا الجو الجديد ذو الجزيئات الكبيرة يختلف جد الاختلاف عن الجو الذى نعيش فيه ، ففيه تمثل أهرام الجيزة مثلاً مقداراً أقل من الواحد على ألف من المليمتر

وسيرى القارىء كيف أوصلنا عمل « بيران » المضنى إلى شىء جدى فى الوجود وكيف طلع علينا هذا العالم بأسطورة خالدة من قصص الكون وكيف اقتنع كثيره أن المادة وسط منفصل غير متصل وأنها مكونة من ذرات تحمل فى طياتها ألكتروناتها الأبدية وكيف وثق أن للذرة قدراً وللألكترون قدراً لا يتجزأ وأن هـذه وحدات فى الكون تمد من خصائصه كما تمد الأصابع العشر من خصائص الإنسان .

(يتبع) **محمد محمود غالى**

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون

ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

(١) إذا رمزنا بالحرف ن لعدد « أفوجادرو » ، ى لوزن الجسيم فإن الوزن الجزئى بالجرام هو ن ى ، وإذا رمزنا بالحرف د لعجلة الأرض ، هـ لكثافة الجسيم ، هـَ لكثافة السائل فإن وزن الجسيم داخل السائل يصبح $\frac{\text{ى هـَ د}}{\text{هـ}}$ بدلا من ى د ، بحيث أن ارتفاعا فى السائل قدره ب يتغير فيه عدد الجسيمات من عَ إلى ع وفق العلاقة الآتية :

$$\frac{\text{عَ}}{\text{ع}} = ١ - \frac{\text{ن}}{\text{ك ح}}\ \text{ى}\ \left(١ - \frac{\text{هـَ}}{\text{هـ}}\right)\ \text{د ب}$$

حيث ك ثابت الغازات ، ح الحرارة المطلقة وهذه العلاقة يمكن أن نكتبها فى صورة لوغاريتمية كالآتى

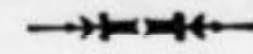
$$٢{,}٣ \ \text{لو}\ \frac{\text{عْ}}{\text{ع}} = \frac{\text{ن ى}}{\text{ك ح}} \left(١ - \frac{\text{هـَ}}{\text{هـ}}\right)\ \text{د ب}$$

(٢) يمكن للمختصين أن يراجعوا مناقشتنا لأطروحة مسيو رو Roux فى كتابنا حركة الكرات فى السوائل mouvement des Sphères dans les liquides الطابع جوتييه فيلار Gauthiers Villars باريس سنة ١٩٣٥



الاعـــتراف

للكاتب الفرنسى موريس ليفل



وقفت لحظة أمام الباب وأنا ساكن متردّد فى الدخول . ولم أخط العتبة إلا حين نبهتنى المرأة التى جاءت بى بقولها : « هنا يا سيدى تفضل ! »

لم أر شيئاً عنـد دخولى سوى المصباح الخافت الموضوع فى ركن الغرفة . ثم أخذت أتبين إلى جانب الحائط فراشاً تمدد عليه جسم طويل هزيل حادّ التقاطيع . وكانت رائحة النفط تملأ فضاء الغرفة ، والصمت شامل كصمت القبور

ومالت المرأة على الفراش صائحة : « ها هو ذا السيد الذى أرسلتنى فى طلبه ... »

فنهض الشيخ الممدد على الفراش نصف نهوض وتمتم فى صوت خافت :

— حسن ... حسن ... اتركينا معاً ...

فلما أغلقت المرأة الباب وراءها ، قال الرجل :

— ادن منى يا سيدى ... اجلس هنا على الكرسى الموضوع بجانب الفراش ... إننى أكاد أكون أعمى أصم . معذرة من إقلاقى إياك ، فلدىّ شىء خطير أريد أن أفضى إليك به

كان وجه ذلك الرجل بارز العظام شديد الشحوب . وقد ظل برهة يحدّق فىّ بعينيه الواسعتين . ثم واصل حديثه بصوت متهدج :

— ولكن قبل كل شىء ، هل أنت السيد جربنو النائب العمومى ؟

— نعم

فتنفس الصعداء ثم قال :

« إذن يمكننى الآن أن أدلى باعترافى . لقد أمضيت خطابى لك باسم بريبه ، وليس هذا اسمى الحقيق . ومن الجائز أنك كنت تتذكر معرفتى لولا ما غير الموت من معالم وجهى ... ولكن دعنا من هذا ...

منذ سنوات كثيرة ، كنت وكيل نيابة . كنت واحداً من الرجال الذين يقول الناس عنهم : إن أمامه مستقبل باهر . وكنت عاقداً العزم على تحقيق هذا الرجاء . ما كان ينقصنى سوى الفرصة لإظهار مقدرتى ؛ وقد هيأت لى تلك الفرصة قضية فى محكمة الجنايات . حدثت تلك الجناية فى إحدى ضواحى باريس ، وقد أثارت فى حينها اهتماماً شديداً بين الناس وخاصة فى البيئات القانونية . كانت الشبهات قوية فى المتهم ، ولكن ينقصها الإثبات القاطع . ولقد دافع المتهم عن نفسه دفاعاً قوياً حتى أحسست وأنا فى كرسى النيابة بشعور الشك بل بالعطف يستولى على المحكمة . وأنت تعلم ما لهذا الشعور من تأثير !

ولكنى كذبت بالبراهين المنطقية القاطعة كل ما أنكره المتهم ، وأزحت الستار أمام القضاء عن سلسلة من الحقائق لا مجال للشك فيها . ولأستطيع أن أقوى أدلة اتهامى ، كشفت عن نفسية الرجل وعن ماضى حياته مظهراً كل ما فى خلقه من ضعف وما فى أعماله من دناءة . وختمت مرافعتى القوية بطلب القصاص من المجرم ؛ وقام الدفاع بعـد ذلك بكل ما فى مكنته لتفنيد أدلتى ، ولكنه حاول عبثاً ... وحكم على الرجل بالإعدام

لم يكن للعطف على السجين حينذاك مجال للوصول إلى نفسى . فلقد كنت مندفعاً فى إثبات مقدرتى وفصاحتى ، وكان الحـكم عليه انتصاراً باهراً لى

ورأيت الرجل ثانية فى صباح يوم التنفيذ . ذهبت لأراه وهم يسوقونه إلى المقصلة . فلما رأيت وجهه النامض اعترانى فجأة شىء من الاضطراب والضيق . . . إن تفصيلات تلك الساعة المشؤومة لا تزال ماثلة فى مخيّلتى ! ... لم يبد أى مقاومة وهم يوثقون يديه وقدميه . لم أجسر فى تلك اللحظة على النظر إليه ، لأنى شعرت بأن عينيه مصوبتان نحوى فى هدوء غير معهود .

ولقد صاح حين خروجه من باب السجن ومواجهته المقصلة : إنى برىء ! وخيّم السكون على الحاضرين كأن على رؤوسهم الطير . ووجه الرجل الكلام إلى قائلاً : أنظر إلى وأنا أموت، فإن ذلك يستحق بضع دقائق من وقتك . ثم عانق القسيس ومحاميه ... وكانت برهة من أفظع ما مر فى حياتى

فى خلال الأيام التى مرت على ذلك الحادث ، كنت مبلبل الخاطر مضطرب الفكر . كان موت ذلك الرجل هو الشىء الوحيد الذى يستولى على ذهنى فلا يدع مكاناً لسواه . وقد كان زملائى يطمئنوننى بقولهم : إن ذلك يحدث دائماً فى أول مرة وكنت أصدقهم . إلا أنى أدركت على تراخى الزمن أن هناك سبباً لهذا الاضطراب وهو : الشك ! ومنذ اللحظة التى فطنت فيها إلى ذلك لم يهدأ لى بال . كنت لا ألبث أن أسائل نفسى : ترى هل كان الرجل بريئاً ؟

جاهدت بكل ما فى استطاعتى أن أبعد عن خاطرى تلك الفكرة، محاولاً أن أقنع نفسى أنه مجرم؛ ومحال ألا يكون كذلك، ولكنى كنت أعود فأسائل نفسى : أى دليل حقيقى على إجرامه ؟ وتتمثل فى مخيلتى لحظات الرجل الأخيرة وهو واقف على المقصلة فى هدوء ، ويطن فى أذنى صوته وهو يقول : إنى برىء !

قال لى يوماً أحد الزملاء :

ما كان أبدع دفاع هذا الرجل عن نفسه ! لقد كان من المدهش أنه لم يُبرّأ ... أقسم لك أنى لو لم أسمع مرافعتك لاعتقدت أنه برىء !

إذن كان سحر كلامى وقوة رغبتى فى النجاح ، هما اللذين تغلبا على تردد النظارة ، وربما كان لهما أكبر الأثر فى تكوين رأى المحكمين . أنا وحدى كنت السبب فى قتل هذا الرجل . فإذا كان بريئاً ، فأنا وحدى المجرم المسئول عن موت هذا البرىء ...

إن الإنسان لا يتهم نفسه بشىء دون أن يحاول الدفاع عنها وقبل أن يقوم بكل ما يمكن ليريح ضميره . ولقد كان هذا شأنى بالنسبة لهذه القضية : فلكى أنجو بنفسى من هذا الشك المؤلم ، راجعت أوراق القضية من جديد ... ولما أعدت قراءة مذكراتى ومستنداتى ، وجدت كل ما بها منطقياً معقولاً ... إلا أنها مذكراتى أنا ومستنداتى أنا ، وهى عمل عقلى الذى حكم على المجرم أولاً ، ثم راح يبحث عن الأدلة ، عمل إرادتى ، وقد استعبدتها الرغبة فى إثبات الجريمة على المتهم ... فدرست وجهة نظر الدفاع من جميع وجوهها ... أعدت قراءة إجابات المتهم وشهادات النفى الخ ... وقررت أن أتأكد من بضع نقط فيها شىء من الغموض، ففحصت المكان الذى وقعت فيه الجريمة بدقة ، وسألت شهوداً كان قد أُهمل استجوابهم . فلما فرغت من دراسة هذه التفاصيل انتهيت إلى نتيجة حاسمة : وهى أن الرجل كان بريئاً !

وكأن الظروف أرادت أن تشغل ضميرى ، فصدر الأمر وقتئذ بترقيتى ! ... ترقية هى فى الواقع ثمرة لجريمتى الشنيعة .

كانت الشهامة تقضى بأن أعترف بخطئى على الملأ حتى يكون فى ذلك عبرة وعظة لغيرى . إلا أنى كنت أجبن من أن أفعل ذلك . كنت أخشى غضب الناس واحتقار الزملاء ، فاكتفيت بتقديم استقالتى دون أن أبين بها الأسباب ، ثم سافرت بعيداً عن باريس . ولكن وا أسفاه ! ... إن البعد لا يجلب النسيان

ولقد صار كل همى فى الحياة بعدئذ أن أكفّر عن خطيئتى التى لا تقبل إصلاحاً . كان الرجل شريداً لا أهل له ولا أصدقاء يمكننى أن أعوضهم عن فقده بالمال . فقررت أن أخصص كل ما أملك من ثروة لمساعدة البؤساء والمنكوبين من أمثاله ، عازفاً عن مسرات الحياة . وهكذا عشت وحيداً منسياً حتى هرمت قبل الأوان

ولقد أنقصت نفقاتى الخاصة إلى أدنى حد ممكن ... فنى هذا الجحر عشت شهوراً وفيه أدركنى المرض الذى أموت به الآن ... والآن يا سيدى قد وصلنا إلى ما أريده منك ... »

وازداد خفوت صوته حتى صرت مضطراً أن أراقب شفتيه المختلجتين لأستعين برؤية حركتهما على تفهم كلماته

« لا أريد أن تموت هذه القصة بموتى . أريد منك أن تعلنها على الناس درساً لأولئك الذين من واجبهم أن يقتصوا من الناس

ولكن بالحق ، لا أن يجلبوا لعقاب للناس على أى حال . أريد أن تكون هذه القصة ماثلة أمام عيون رجال النيابة العمومية وهم يؤدون واجبهم فى طلب رأس المجرم »

فأكدت له أنى سأفعل ما يطلبه

وازدادت رعشة الرجل وهو يواصل حديثه قائلاً :

« ولكن ذلك ليس كل شىء ... لا يزال لدىّ بعض المال ... لم يتسع الوقت لتوزيعه ... إنه هناك فى درج هذه الخزانة . أريد منك أن توزّعه بعد موتى . . . لا باسمى ، بل باسم ذلك الرجل الذى كنت سبباً فى إعدامه منذ ثلاثين عاماً ... وزّعه على الفقراء باسم راناى »

فحملقت مردداً :

— راناى ؟!... لقد كنت أنا المحامى عنه

فهز رأسه متمتماً :

— أعرف ذلك . وهذا هو السبب فى طلبى إياك . لقد كنت مديناً لك أنت بهذا الاعتراف . أنا ديرو ، وكيل النيابة

ثم غمغم يبضع كلمات أخرى لم أتبين منها سوى كلمة راناى

***

هل خنت سر المهنة ؟ هل خرقت القواعد التى تحتمها صناعتى ؟ إن المنظر المؤلم لهذا الشخص الذى يموت على تلك الحالة التعسة ، قد استدرج الحقيقة إلى لسانى رغماً عنى ، فصحت قائلاً :

— مسيو ديرو ! مسيو ديرو ! لقد كان راناى مجرماً ! . . . لقد اعترف لى وهو فى طريقه إلى المقصلة . أخبرنى بالحقيقة حين كان يودّعنى . . .

ولكن مسيو ديرو كان قد سقط على الوسادة ميتاً

وما زلت حتى الآن ، كلما مرّت هذه الحادثة بفكرى أحاول إقناع نفسى بأنه قد سمعنى .

صلاح الدين كامل



لا تلم فرساي !

[ملخصة عن مقال (للمركيز أوف لوثيان)]

أود قبل كل شيء أن أقول كلمة عن معاهدة فرساي . فقد أصبح الأسلوب الجديد لدعاية الدكتور (جوبلز) أن ينسب إلى هذه المعاهدة المظلومة كل سيئة ... إن معاهدة فرساي لا تخلو من أوجه للنقص. إلا أنه من السخف أن نعزو إليها كل شر في الوجود

قال أحد الرجال البارزين من الألمان الديمقراطيين بتمهل : إن ثلاثين في المائة من الأسباب التي أدت إلى ظهور الاشتراكية الوطنية تعزى إلى معاهدة فرساي ، وثلاثين في المائة إلى نقص الروح الديمقراطية في نفوس الألمان ، وثلاثين في المائة إلى وسائل الضغط التي اتخذت ضد الشعب منذ عام ١٩٢٩ . ولكني أود أن أدخل شيئاً من التحوير على هذا الوضع ، فالهتلرية في نظري هي وليد غمته البلشفية وغذته بنظامها الوطني الاقتصادي الذي وضعته ليشمل سائر أنحاء العالم

نحن حريون ألا ننسى تلك المبادئ التي دافعنا عنها دفاعنا المعهود ما بين ١٩١٤ — ١٩٢٠ . لقد بدأنا عهداً جديداً في تلك الفترة إذ قضى عالم قديم ، وظهر في الوجود عالم جديد . وكانت العلاقات الدولية قبل سنة ١٩١٤ تسير على مقتضى السياسة القديمة . فكان من الطبيعي أن تفكر كل أمة فيما يهمها ويهم أبناءها وحدهم ، وقل أن تفكر في شأن من شؤون الأمم الأخرى

إلا أننا في سنة ١٩١٤ رأينا الأمم الديمقراطية التي كانت لا تهتم إلا بشئونها الداخلية ، بدأت تفكر في العلاقات الدولية العامة . والديمقراطية بحكم وجودها لا تحلم بالقوة ، ولكنها تحلم بالمثل الأخلاقية العالية . وإذا كانت الأمم الديمقراطية لا تعيش لهذه المثل على الدوام ، فنها ولا شك الكواكب التي تسهر على حراستها ، وتصونها من الضياع

ومنذ ظهرت عناية الأمم الديمقراطية بالشئون الدولية العامة ، أخذت تفرض مبادئها على سائر الأمم . فالإنسانية في نظرها وحدة لا تتجزأ . وسائر الأمم والأفراد لهم الحق في الحياة والحرية والسعادة . والشعوب المتأخرة لها أن تتخلص من الاستغلال المقوت وتتمتع بنظام الحكم الذاتي . والدول الصغيرة والكبيرة سواء أمام القانون . وقد رؤى أن خير وسيلة لتجنب الحرب هي إيجاد قانون صحيح يحكم بين الأمم

هذه هي المبادئ التي آتت ثمرها الحرب العظمى بعد توقيع معاهدة السلام في باريس عام ١٩١٩ وهي مبادئ قويمة ذات أثر لا ينكر في إسعاد العالم . وقد دافع عنها الرئيس ولسن دفاعاً مأثوراً ، ولكن الدول الديمقراطية لم تكن تقدر أن العالم لا زالت تحركه المطامع وحب السيادة والسلطان ، وأن المبادئ القديمة لا زال لها أنصار يتعلقون بأذيالها

وليس هذا هو السبب الوحيد في نشوب الحرب مرة ثانية ، ولكنه من الأسباب القوية التي أدت إليها ، ونحن لا ندري إذا كانت هذه الحرب ستنتهي بنا إلى الحرية المنشودة ، أم أنها سترجع بنا إلى همجية العصور الخالية

لقد وفت الدول الديمقراطية بعهودها التي قطعتها على نفسها في معاهدة فرساي ، فأعطت كل أمة الحق في تقرير مصيرها ، وبذلت ما في وسعها لحماية الأقليات

أما هتلر فهو في الحقيقة لا يناضل من أجل الحدود التي قررتها هذه المعاهدة ، ولكنه يناضل لهدم فكرة الديمقراطية من أساسها

الفن والحرب

[ملخصة من « ذي إيفننج نيوس »]

يشترك في الحرب الحاضرة عدد كبير من الفنانين رجالاً ونساء ، إما بالعمل في ميادين القتال أو المشاركة في الأعمال الأخرى التي تقتضيها الحرب . وقد يجد هؤلاء بعض العزاء فيما يسمعون عن حياة رجال الفكر الذين عاشوا قبلهم في أيام الحروب هل أسكتت الحرب شكسبير ؟ أو أخمدت المنازعات صرخات وجنر الغاضبة ، أو أثرت في شجاعة بيتهوفن ؟ لا ، والحمد لله !

لقد نشأ شوبان في بولاندا وهي تناضل بغير جدوى لاستفادة استقلالها ، وقد كان في « سنتجارت » حين جاءه نبأ سقوط « وارسو » في أيدي الروس ، فكان لهذه الحوادث أثر لا ينكر في شحذ قريحته ، وإمداده بالإلهام الصادق والدراسة الرفيعة . فلما رحل شوبان إلى باريس صارت له باريس وطناً ثانياً ، وأحلته منها مكاناً مرموقاً لما يحمله الفرنسيون لبولندا من العواطف الجميلة . وقد كتبت جورج ساند التي أحبها شوبان وعاشت بعد وفاته – كثيراً من مؤلفاتها الرائعة ووطنها فرنسا في حرب عنيفة

مع الأعداء. لا شك أن الحرب لم تكن عاملاً مخيفاً في تلك الأيام كما هي اليوم، ولكن مهما تكن الحال فإن الفنانين يشعرون بمآسي الحرب أكثر من سواهم، وهذا مما يزيد ارتباطهم بالعالم إبان الحروب

أخبرتنا (فيولا مينل) في الكتاب الذي وضعته عن أمها، أن (آليس مينل) كانت تشعر بصدمة قوية في أعماق نفسها عند نشوب الحرب. ومع ذلك فقد كتبت آليس الكثير من أرق وأبدع أشعارها في تلك الأيام المصيبة

وقد يتحرك الشعراء بعامل الدفاع عن الحرية كما فعل (بيرون) باشتراكه في الحرب للدفاع عن استقلال اليونان. ومن الشعراء من هزوا النفوس بأشعارهم في الحرب العظمى ١٩١٤ - ١٩١٨ مثل روبرت بردك، وليم نويل هودجسون، جوليان جرنفيل، سيسيل شسترن، إدوارد توماس. وقد ذهبوا جميعاً ولم يعد أحد منهم إلى عالم الوجود. أما الذين عاشوا ليمدوا العالم بمزيد من أشعارهم فمنهم «سيجفريد ساسون» الذي كتب عن الحرب أشعاراً تعد من الحجج البينات التي ظهرت لتوطيد دعائم السلام

وقد قام كثير من المصورين بأعمالهم الفنية إبان الحرب العظمى ومنهم من كانوا يعملون في ميادين القتال، فأخرجوا للعالم تحفاً من بدائع الفن التصويري، يرمزون بها إلى شتى التجارب والإحساسات التي صادفتهم في حياتهم الحربية

وليس من همنا أن نثبت هنا أن الفنانين يؤثرون موضوع الحرب لإبراز روائع فنهم، ولكنا نرى أن من واجبهم الرسمي أن يهزوا القلوب نحو جانب من الجوانب في أيام الحروب

نساء ستالين

[من مجلة «باريد» عدد فبراير]

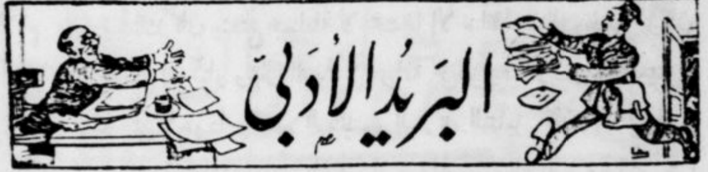
لا تنقطع محاولات اغتيال دكتاتور روسيا ولكنها في أغلب الأحيان تظل في الخفاء. ولما كنت أعمل في قلم الاستعلامات الملحق بالكرملين مقر دكتاتور روسيا، فقد أتيح لي أن أقف على تفاصيل آخر محاولة لاغتياله. وكان عملي في الظاهر يتلخص في إمداد مكاتب الصحف الأجنبية بالأخبار، ولكن في الواقع كانت مهمتي هي العمل على عدم تسرب الأخبار الخاصة بحياة ستالين الداخلية إلى الخارج. وبذلك تمكنت من معرفة تفاصيل هذه المحاولة الجريئة التي قامت بها فتاة جميلة استخدمها الدكتاتور لتقرأ له الصحف الأجنبية مترجمة

في ذلك الوقت كان الرفيق آبل انيكايدز صديق ستالين الحميم سكرتيراً عاماً للجنة التنفيذية لمقاطعات روسيا البلشفية المتحدة، وبذلك كان يتمتع بسلطة لا تحدها إلا سلطة ستالين نفسه. وكان يخضع له كبار رجال الدولة لإشرافه على موارد الترف ورفه العيش، وحتى ياجودا رئيس البوليس السري السابق كان يتحنى له، ويمتد إشرافه أيضاً إلى المسارح والهيئات الفنية، ولذلك كان مطمح أنظار جميلات النساء الراغبات في المجد الفني اعتماداً على موهبة الجمال وحدها. وقد أدى تهافت النساء عليه إلى سقوطه السريع. وفي ذات يوم أبدى الدكتاتور رغبته فيمن يترجم له الصحف الأجنبية؛ فعيّن انيكايدز فتاة جميلة تنتمي إلى أصل أرستقراطي قديم. وفي صباح كل يوم يضطجع الدكتاتور الأحمر على أريكة وتجلس الفتاة على منضدة أمامه تقرأ، ولا يكف هو عن السؤال والتعليق، وبجنبه على منضدة أخرى وضعت أطباق الحلوى والفاكهة. وراقت هذه القراءات ستالين وسر بها كثيراً. وفي ذات صباح أمر بقدحين من البن التركي الذي يحبه، وبعد أن تظاهرت الفتاة بتذوق فنجالها قامت فوضعت كمية من السكر في القدحين، وبعد ذلك تناولت القهوة فشربتها؛ أما هو فلم يشرب. وبعد ذهاب الفتاة أخذت القهوة، وبعد تحليلها وجد بها قدر كبير من السم فألقي عليها القبض، وألقيت في أحقر السجون مدة ثلاثة أسابيع، ولكنها لم تعترف بوجود شركاء لها. وأخيراً نفذ فيها حكم الإعدام رمياً بالرصاص بأمر صادر من ستالين نفسه

وقامت الشكوك في نفسه واتهم إنيكايدز بتدبير هذه المؤامرة ولكنه لم يعثر على دليل لإدانته، ولكن هذا لم يعفه من تهمة مد يد المساعدة للأرستقراطيين أعداء النظام البلشفي، فنفي إلى سيبيريا ويشاع أنه لقي حتفه هناك

وقلائل جداً من يعرفون شيئاً عن زوجة ستالين الأولى التي رزق منها بولد يعمل الآن صانعاً في أحد معامل موسكو، متخذاً اسم دجيفاشفيلي، وهو الاسم الأول لأبيه قبل قيام الثورة

أما عن زوجته الثانية فسأحدثكم عنها بإسهاب لأن ستالين يحبها جداً وقد تزوج بها وهي في الثلاثين واسمها الأصلي اليلوفا وهي ابنة قسيس. وكان زواجه بها غير معروف عند عامة الناس الذين فوجئوا بنبأ موتها في الصحف ذات يوم. ومما زاد في عجبهم الاحتفال بدفنها بمشهد وطني على غير تقاليد البلاشفة، ولما تضاربت الأخبار عن أسباب موتها أوعز إلي أن أذيع لمراسلي الصحف أنها ماتت بسبب التهاب الزائدة الدودية. ولم تكن هذه آخر الإشاعات عن موتها، فذكر أنها ماتت إثر تناول شاي مسموم أريد به ستالين نفسه، وقيل أيضاً إنها انتحرت متأثرة بكثرة



« أذنى زلزلت طربا »

فى العدد الماضى من (الرسالة) بدا للصديق الصالح الخاشع محمود محمد شاكر أن ينظر فى قصيدة « الناى » التى كنت نشرتها فى العدد الـ ٣٤١ . وجاء نظر الصديق على شطرين : الأول فى علم العروض ، والثانى فى فن اللغة عامة والمجاز خاصة

فأما قول الصديق إن بحر « المنطلق » الذى وضعتُه إنما هو من مجزوء « المتدارك » أو من نحو ذلك فوهم قد سبقه إليه كاتب آخر . وفى هـذا المكان من العدد الماضى وقف القارىء على ما يبدّد ذاك الوهم . ومن الغريب أن كاتباً بمكانة الأستاذ محمود محمد شاكر يخلط « وضع » الشىء بـ « اختراعه » . إنى لم أخترع البحر يا محمود ، بل وضعته . وما أنا بباخل عليك بهذا التبصير .

وأما الشطر الثانى فمحصور فى قول الأستاذ : « ولكن ما بال هذا الصديق (يمنيني) يريد أن يزلزل أذنه ، ونحن لم نفرغ بعد من حديث الزلازل التى هدمت ما هدمت فى الأناضول . لماذا أيها الصديق ؟ ولماذا تريد أن نشعر أن أذنك وحدها — دون سائرك — هى التى تطرب ، ولا يكون طربها إلا زلزلة » اهـ .

ألا إن من مساوئ الإكباب على قراءة الصحف اليومية أن يغلب على الألفاظ المتواترة معنًى يقف الخلق عنده فينسوا مُفاده الأول ويُغفلوا ألوان استعماله فى الأدب الموروث بجلاله وثروته . فإن الصديق محموداً قنع بزلزال الأرض ، والأناضول من الأرض . كيف فاته أن زلزال الأرض معنى طارئٌ على زل زل ؟ ففى « لسان العرب » ج ٥ ص ٣٢٧ : « وفى الحديث : اهزم الأحزاب وزلزلهم — الزلزلة فى الأصل : الحركة العظيمة والإزعاج الشديد ، ومنه زلزلة الأرض ، وهو ههنا كناية عن التخويف والتحذير ، أى : اجعل أمرهم مضطرباً متقلقلاً غير ثابت » . هذا ، وفى القرآن نفسه — وهو الحجة العليا فى مثل هذه المشكلات — تصيب إلى جانب « زلزال الأرض » و « زلزلة الساعة » (سورة الزلزال ، والحج) آيتين إليك حروفهما : (١) « وزلزلوا حتى يقول الرسول » البقرة ، (أى « أزعجوا إزعاجاً شديداً مما أصابهم من الشدائد » : عن البيضاوى) — (٢) « هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً » الأحزاب (أى « من شدة الفزع ») . وعلى هذا ، فإنك ترى أن الزلزلة تفيد الاضطراب والتقلقل والتحرك ، حقيقة ومجازاً ، ثم إنها خرجت من ذلك — من باب إطلاق العام على الخاص — إلى المعنى الذى تمهّل عنده الصديق ، والذى غلب عند عامة الناس لهذا الزمان . ومن ذلك المعنى الأول ، وهو الأصل ، ما جاء فى حديث عطاء : « لا دق ولا زلزلة فى الكيل ، أى لا يحرّك فيه » ، وفى حديث أبى ذرّ : « حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل » ، (عن « لسان العرب ») . وعلى ذلك أيضاً قولهم : « جاء بالإبل يزلزلها : يسوقها بعنف » (عن « أساس البلاغة » مادة زلل) . كيف غاب كل هذا عن صديق والقرآن فى صدره والتفسير والحديث واللغة شواغله . هل زلزل « الناى » ذا كرته ؟

وقد خطر للصديق محمود — ومحمود كثير الخواطر — أن يقول لى : « لماذا تريد ألا يكون طرب أذنك إلا زلزلة ؟ » . فإنى ألوذ بالصبر فأقول : لأن الزلزلة والطرب على مجاورة . مصداق ذلك أن استعمال لفظ الزلزلة للدلالة على الطرب الشديد قديم فى أدبنا . ففى « الأغانى » (ط بولاق ج ٦ ص ٨٠) : « فتغنيت

الاغتيالات وحوادث القتل التى ارتكبها زوجها ، ولـكن هاك الحقيقة كما وقفت عليها :

من حين إلى آخر يقيم زعماء البلاشفة حفلات للهو المنيف يحضرها النساء ، وتسيل فيها الخمر أنهاراً ، وفى حفل كهذا أفرط الدكتاتور الأحمر فى الشرب وأخذ يبدى ولعاً مكشوفاً بسيدة خاصة ، فأحفظ ذلك زوجته « اليلوفا » التى لم تكن أقل منه سكراً فتشاجرا وصخبت زوجته وهددت بأنها ستنتحر ، فهزأ منها ستالين أمام النساء اللائى عيرنها بأنها لن تقدم على الانتحار ، فما كان منها إلا أن غادرت القاعة ، وعلى الأثر سمع طلق نارى ، فهرعوا إلى الخارج ووجدوها ميتة برصاصة استقرت فى رأسها .

فتأثر ستالين الصخرى الفؤاد بموتها وأظهر جزعاً شديداً ، فاقترح الحاضرون دفنها بمشهد حافل تعزية له . فدفنت فى قبر فخم بكنيسة العذراء بموسكو ، ولا يزال ستالين يتردد على قبرها سراً لوضع باقات الزهور

وقد تزوج دكتاتور روسيا للمرة الثالثة بامرأة من مقاطعة جورجيا ولكنها لم تظهر معه أبداً فى المحافل الرسمية ، وإن كانت ترافقه إلى دور التمثيل أحياناً .

حسن الظاهر

(والمتكلم اسماعيل بن جامع المغنى) بصوت لى ... فتزلزلت والله الدار عليهم » ، وفى « الأغانى » أيضاً (ج ٥ ص ٢٤) عند الكلام على غناء ابراهيم الموصلى وضرب منصور زَلْزَل بالعود فى حضرة الرشيد : « فزلزلا الدنيا » ، ومن ذلك قول العرب : « والزُّلْزُل : الطبّال الماهر » (عن لسان العرب) ، ولعل اسم « زَلْزَل » المتقدم ذكره من ههنا كذلك

وأما أن تُزَلْزَل الأذن من شدة الطرب دون سائر البدن فكلام أُنزله منزلة الدعابة ، وإلا فَلْيستفسرْ الصديقُ العربَ قولهم : « تزلزلت نفسه : رجعت عند الموت فى صدره » (لسان العرب: ز ل ل)، وقولهم فى وصف النزال : «وزلزلت الأقدام من ولولة الأنجاد» («الألفاظ الكتابية» للهمذانى بيروت ١٩١٣ ص ١١٧ ثم ٢٣٥) ... إن لكل مقام مقالاً : على هذا تلقَّينا البلاغة !

فالطرب الشديد يزلزل الأذن أية زلزلة حتى إن السامع المطراب يتمنى لو يجنِّب الناى أو العود خشية الإعياء ، كالعاشق أضناه عشقه وعناه فيود لو يفرّ من معشوقه اتقاء التلف

وإن استكثر محمود زلزلة الأذن أى اضطرابها وتقلقلها ساعة الطرب الشديد ، فليسأل صاحب « الأغانى » عن صحة قوله (ج ١٨ ص ١٢٧) : « اندفع عمرو بن الكنات يغنّى على جسر بغداد أيام الرشيد ، فحبس الناس واضطربت الحامل ومدت الإبل أعناقها وكادت الفتنة تقع » ... ألا إن الطرب لأهله - عفا الله عنهم -

وصديقى محمود ربيب بيت صلاح وورع وتحرُّج وتقوى وأما أنا فكما قال هو : صاحبُ « مرح وانطلاق إلى سائر هذه الألفاظ الراقصة بألفاظها قبل معانيها» ، بل إن أهلى أنفذونى إلى باريس يأساً، وفى باريس وغيرها لهوت وعبثت وتلمست الطرب على ألوانه حتى أمست أذنى — لا قوّمها الله ولا أصلحها — تنعم بالزلزال

ثم هل الأذن التى تزلزل فوق أقوال للعرب مثل هذه : « طار القلب فرحاً ، وخلع الحزن قلبه ، ومزق أحشاءه ، وفتّ كبده » إلى آخر ما هنالك من التعبيرات التى تذوى اللغة من دونها فينفض لونها

وهكذا ترى أن الأستاذ محموداً خذله الحظ هذه المرة . وذلك لأنه عدّ قصيدة الناى من «الشعر الجديد» ، نخف يتلمس فى مطاويها النبوّ . فسقط على مطوى عربى صميم . ولعل الحظ ينصره عند قصيدة خارجة فى عدد آت ، إذ هى أبعد ذهاباً عن المألوف . وليطمئن الصديق إلى أنى لن أحاذيه فيما يدق عن المقاييس الغربية فإنما أكتب اليوم على جهة التسلّى والتلاهى

بشر فارس

جواب

عند الأستاذ صاحب الرسالة أخبار وأخبار عن المفتونين والمفتونات بمقالاتى ومؤلفاتى ، وهو يتجاهل تلك الأخبار كما أتجاهل ، ولكن من المعقوق أن أتجاهل الخطاب الوارد من « ليلى من الليالى » على وزن « كاتب من الكتاب » كما تقول تلك الغيداء . ويظهر أن الدنيا بدأت تبتسم للروح الحزين الذى قضى دهره فى نضال وصيال

وعطفُ قرائى علىّ هو تلك الابتسامة التى أستعين بها على دفع ظلمات الخطوب ، وما خلا دهرى من خطوب منذ اليوم الذى تقدمت فيه لرفع راية النقد الأدبى ، وعند الله والحق جزائى

وفى خطاب « ليلى من الليالى » أمرٌ كريم بأن يظل خطابها سرًّا مصوناً ، وسيظل كذلك إلى أن ترفع الحجاب وتعترف بأن الأدب كالحب يجوز فيه الافتضاح

نفسى فداء الأنامل اللطاف التى كتبت ثلاث صحائف لتعلن فتنتها بأسلوبى !

وسألنى ذلك الروح عن قدوم ليلى المريضة فى العراق مع وفد المؤتمر الطبى العربى ، وأقول إنى انتظرت ليلى فى محطة باب الحديد إلى منتصف الساعة الثانية بعد نصف الليل مع الأستاذ عبده حسن الزيات ولم تحضر كما وعدنى الدكتور عبد المجيد القصاب ، ومن أجل ذلك قضيت أيام العيد وأنا حزين

أما بعد فقد وجب علىّ أن أعلن ثنائى ، وأن أقول بعبارة صريحة إن أعظمهم علىّ هو أثمن ما ظفرت به فى حياتى ، ولولا الخوف من حسد الزملاء لقدمت الأسماء الكريمة التى أعلنت رغبتها السامية فى أن تنصفنى من زمانى ، وهل يقبل الزيات ذلك وهو يخاف علىّ فتنة الغرور بثقة القراء ؟

حَسْبُ الزيات أن يلهو بقراءة ما يصل إليه من أقوال المفتونين بأسلوبى ، وأن يحفظها لأطلع عليها حين أشاء ، وأن ينشر منها ما يريد ، ولكن متى يريد ؟

إن لم يصنع فسأنوب عنه وأقول إنى كاتب محبوب ، والله يختص بكرمه من يشاء

زكى مبارك

حول الكهربائية نعناد

صديقى الأديب الكبير الأستاذ الزيات

بعد التحية والاحترام طالعت فى العدد الأخير من (الرسالة) الغراء ما أشار إليه الدكتور اسماعيل أدهم من تردُّد فريق من الأدباء

فى تصديق ماورد فى كتابى « آفاق العلم الحديث » عن تجارب تبين أن بعض الأجهزة الكهربائية المعدة خاصة لهذه التجارب تقوم بأعمال من قبيل التذكر والنسيان والتمدد (آفاق العلم الحديث : فصل « دراسة الحياة العقلية بتجارب آلية » صفحة ٢١٦ — ٢٢٣) وقد أنحى الدكتور باللائمة على أولئك الأدباء لترددهم هذا لأن هذه الأقوال « نتائج العلم التطبيقى فى أوربا ... ومع أن هذه المباحث ليست نظرية وإنما هى وليدة التجربة والاختبار، ولا شك أنه ليس للأفكار ولا للمنطق أن ينازع فى حقيقتها ما دامت التجربة تثبتها » (الرسالة العدد ٣٤٣ الصفحة ١٩٦)

ومن لطف الاتفاق أننى تلقيت أمس بالبريد الأميركى جزء ينار من « المجلة العلمية الشهرية » بعد مطالعة كلمة الدكتور أدهم فى « الرسالة » الغراء، فقلبت صفحاتها وإذا صورة الدكتور هَل Hull (وهو الذى عزيت إليه هذه التجارب) فى رأس الصفحة التاسعة والثمانين منها . وقد نشرت هناك لأنه كان رئيساً لقسم علم النفس (السيكلوجيا) فى مجمع تقدم العلوم الأميركى فى مؤتمره الأخير . وعلى هذا أيجوز أن نهمل ما يقدمه أستاذ علم النفس فى جامعة « ييل » ورئيس قسم علم النفس فى « مجمع تقدم العلم الأميركى » ؟

إننى أعلم أن الشك أول مدارج اليقين . ولكن هذا الشك يجب أن يستقيم على تقصى الموضوع فيفضى إلى توضيحه بالبحث الدقيق . أما أن نغفل ما يقدمه أساطين العلم الحديث أو أن نتردد فى قبوله لأن قولهم لا يوافق هوى فى النفس ، أو لأنه لا يساير فكرة سنحت فى الذهن، فذلك دليل على الضعف والتصلب. وأى تفكير صحيح يقوم على هذين الأسّين ؟

ولست أعلم من هم الأدباء الذين أشار إليهم الدكتور أدهم فى كلمته ورد عليهم . وإنما استرعى نظرى قوله فى ما بين العلم والثقافة الصحيحة من صلة موثقة . فاسمحوا لى أن أشير فى هذا الصدد إلى فصل نفيس فى « ضآلة ثقافتنا العلمية » حواه كتاب جديد للدكتور قسطنطين زريق، أستاذ التاريخ الشرقى فى جامعة بيروت الأميركية عنوانه « الوعى القومى »

وتفضلوا بقبول مودتى واحترامى فؤاد صروف

هل فى الإمكان زيادة بحر جديد فى العروض ؟

إن البحور المعروفة فى علم العروض العربى ، هى البحور الممكن تأليفها فعلاً من التفاعيل التى تجىء فى لغة العرب . وأساس هذا الكلام لا يتعدى معرفة التفاعيل وصيغها التى تجىء فى العربية ، ثم تركيب الأبحر الممكن مجيئها منها على أساس حسابات الأمثال . والنتيجة أنه لا يمكن زيادة بحر جديد مستقل على البحور المعروفة فى علم العروض ، وإن أمكن استحداث تركيبات فى أجزاء هذه البحور . ولأحد المستشرقين الروس بحث مستفيض فى هذا الشأن ، نال عليه أجازة الدكتوراه من لينفراد

« الاسكندرية » اسماعيل أدهم

« يوم سعيد »

إن صناعة السينما فى مصر قد نشطت وجدّت وأخذت تتلمس طرق الفن الصحيح . وهى تخفق مرة وتفلح مرة ، ثم إنها أدركت أنه لا بد لها من استيفاء العدة على توزع نواحيها : من تصوير وتمثيل وغناء ورقص إلى جانب القصة نفسها .

بدا لنا هذا بمناسبة عرض فلم الأستاذ محمد عبد الوهاب الجديد وهو « يوم سعيد » ، ولا شك أن هذا الفلم يدل على تقدم ملموس فى صناعة السينما المصرية . فقد وجدنا القصة متساوقة الأغراض لا تبث الملالة والمضايقة فى أنفس النظّارة كمعظم القصص التى تعرض هنا . وأما التمثيل ، فكان على الغالب غاية فى البساطة ، فلا تكلف فى التعبير ، ولا إفراط فى الأداء . وكان الإخراج لطيفاً ، فيه تبصر وترفق .

وقد جلب المخرج الأستاذ محمد كريم أوجهاً جديدة وعرفها إلى الجمهور . وأنصع هذه الأوجه وجه الفتاة « فاتن حمامة » . فكثيراً ما حبست الأنفاس ، وحركت القلوب ، ومدت الأعناق وهزت الشفاه بالابتسام الرقيق . وكان الأستاذ فؤاد شفيق بارعاً فى تمثيل المصرى المرح صاحب النكتة المستملحة والقلب الطيب الساذج . وفى الفلم مشاهد كثيرة طريفة . وفيه مشهدان محكمان : الأول إذ تؤدّى قطعة من مسرحية « مجنون ليلى » لأمير الشعراء أحمد شوقى ، وقد جاءت على سبيل التخيل الطريف . والثانى حين يبيع الأستاذ عبد الوهاب ألوان الزهر فى ظرف أخاذ

بقى الغناء ، وقد جاء على لونين : لون الأغانى الشعبية وفيها الشجى المقيم والنغم المحبّب إلى نفوس العامة . ولون التلاحين الرفيعة الخاصة بالشعر الرائع الجميل . وفى هذا اللون الأخير بلغ الأستاذ محمد عبد الوهاب مبلغاً فنياً رفيعاً . وحسبه تلحينه الحوار الذى يجرى بين قيس وليلى فى الصحراء. وقد فطن هنا إلى أن يكف عن المزج المباشر بين النغم العربى والنغم الأفرنجى . وإنا لنرقب من الأستاذ محمد عبد الوهاب مثل هذا التلحين الحسن فنهنئ ممثل الفلم ومخرجه بهذا التوفيق ونرجو أن نعود إلى الحديث عنه مرة أخرى



وحي الرسالة

من واجب (الرسالة) أن تنشر ما يتفضل به عليها الأدباء الزملاء والأصدقاء من صادق النقد وجميل الرأي في كتاب «وحي الرسالة» تسجيلا للفضل منهم والشكر منا

قال الأستاذ مصطفى الصباحي في جريدة (الدستور):

كتاب أخرجه للناس الأستاذ أحمد حسن الزيات، وهو جملة من مقالاته التي كان يصدر بها مجلته (الرسالة) كل أسبوع جمعها بين دفتي هذا الكتاب؛ فكان كأنما انتقى من روضة مونقة الربيع أزهاراً ذات أرج خاص في باقة واحدة على رغبة الناس في تنسم عبيرها، فيسر عليهم سبيل اقتنائها وتشممها والإفادة بما يتروحون له من عبقها دون كبير سعي أو عظيم جهد

وللأستاذ الزيات أسلوب يتميز به على كثير من كتاب العصر، وسياقة لن تجدها لكاتب من أهل العصر، وتفتقدها من لدن ازدهرت اللغة وعمت آدابها في العصر العباسي حتى الآن، فلا تجد إلا نفحات مبعثرة في تاريخ أدبها لا صلة بينها وبين بعضها، فذلك كاتب وقعت له عبارة جزلة، وهذا خطيب اتفق له معنى فحل، وغير هذين جمعت له بعض ألوان من فنون العبارة أو بلاغة المعاني

ولكن قلما وقعت على كاتب وفق في الغايتين فامتلك ناصية العبارة وبرز في خلق المعاني

فأنت إذن حين تقرأ للزيات إنما تجتمع لك طلاوة العبارة وجمال المعاني، وتلك هي الغاية التي تنتهي عندها آداب الكتاب وتقف دونها ملكات المبرزين من أرباب الأقلام

معنى بيت في الحماسة

في صفحة (٨١ و ٨٢) من الجزء الثاني من كتاب ديوان الحماسة (الطبعة الثالثة) الأبيات الآتية وهي من شعر لعبد الله ابن الدمينة الخثعمي:

ولما لحقنا بالحمول ودونها ... خميص الحشا توهي القميص عواتقه

قليلٌ قذى العينين يُعلم أنه ... هو الموت إن لم تُصرَ عنَّا بوائقُه

عرَضْنا فسلّمنا فسلّم كارهاً ... علينا وتبريحٌ من الغيظ خانقُه

وقد جاء في شرحها: «ومعنى الأبيات الثلاثة ولما لحقنا بالمودادج التي فيها الحبيبة وخلفها قيم خفيف اللحم لا يقع القميص من عاتقه على لين وطيء لأن عظامه غير مكسوة باللحم وذلك القيم حاد النظر ليس بعينيه قذى شديد الغيرة على أهله فنحن من شدة صولته نعلم أنه الموت إن لم تهلكنا دواهيه دونا منه الخ»

وإني أرى أن الشارح (العلامة التبريزي أو غيره) يشرح جملة «يعلم أنه هو الموت إن لم تصرعنَّا بوائقه» بأنه الموت إن لم تهلكنا دواهيه فهو يقابل (تُصرعنَّا) بكلمة (تُهلكنا) وهذا غير صحيح لأن (تصرعنا) بضم التاء لا يمكن أن يكون معناها تهلكنا وإذا فرضنا أنها (تَصرَعنَّا) بفتح التاء فمعنى الشعر لا يستقيم إذ كيف يكون هو الموت إن لم تهلكهم دواهيه! ولم تكن جملة «إن لم تهلكنا دواهيه» مسبوقة بواو الحال فنفهم أنها جملة حالية!

فالحقيقة أن (تُصرَعنَّا) كلمتان (تُنصَرَ) و (عنَّا) وتُنصَرَ فعل مبني للمجهول مجزوم بحذف حرف العلة من صرى أي حبس أو منع. وهنا يستقيم المعنى ونفهم أن الشاعر إنما قصد تشبيه ذلك القيم بالموت إن لم تتلطف بهم المقادير وتحبس أو تمنع عنهم دواهيه. (الخرطوم بحري) ا. م. س

(الرسالة): أصاب الكاتب وأخطأ الشارح الذي نقل عنه، وهو غير التبريزي من غير شك؛ فإن التبريزي يقول في شرحه: «يصفه بحدة النظر، وأنه ليس بعينه غمص فهو أحدُّ لنظره؛ وإنما يريد مراعاته أهله لشدة الغيرة، فنحن نخاف من صولته إن لم تُصرَ عنا، ويروى إن لم تلق عنا»

ورواها صاحب الأمالي ج ١ ص ١٥٦ وفيها «إن لم تُلْقَ»

وذكر البكري في شرح الأمالي رواية أبي تمام في الحماسة ثم قال وروي: «وإن لم تُسْرَ عنا بالسين والصاد»

وقوله «تصر عنا»، من قولهم «صَرَى الشيء صرْياً قطعه ودفعه»، وصرى الله عنك شر فلان أي دفعه يقول ذو الرمة

فودّعن مُشتاقاً أصبن فؤاده ... هواهن إن لم يصرِهِ الله قاتله

وروايتهم «تسر عنا» من قولهم سروت الشيء إذا نزعته وكشفت عنه ومنه قولهم سُرِّيَ عنه تجلى همه وانكشف

وفى زماننا هذا قل أن يعنى الكاتب والقارئ إلا بما وراء اللفظ ، فإذا برز إنسان فى إيراد المعانى الجليلة واتفقت له سلسلة من الآراء والأفكار القوية تجاوز النقاد من أهل العصر عن ركاكة عبارته وفساد سياقته

ولقد كنت أعجب للتيار الذى نساق إليه هذه الأيام من إهمال الجانب الأدبى فى التحرير ، وكنت أرجو أن تنقشع تلك النغمة التى دعيت « تجديداً » وهى ليست من التجديد فى شىء ... إذ قنع الناشئون بمحاكاة أهل الغرب فى أخيلتهم والأخذ عنهم فى إيراد الأحاديث وتقليدهم فى الأوصاف ونحوها من فنون الكتابة دون إعارة أصول الأدب العربى شيئاً من عنايتهم ، حتى ذهب كبير من أعلام دولة القلم يتحدث إلى فى مجلس خاص فيقول إن اللفظ للمعنى كالثوب على الرجل ، فهو إن كان رجلاً فاضلاً لم ينتقص خلق ثوبه من فضله ، وإن الرجل مهما يكن لباسه شريفاً ولكن نفسه فقيرة من الفضل وقلبه خلى من العلم لا ينفعه اللباس فى شىء !

وعلى الرغم مما فى ظاهر هذا القول من تعبير حق عن جوهر الموضوع فإن اللفظ الشريف يزيد المعنى الجليل شرفاً ، كما يسبغ الثوب الكريم على الرجل العظيم مهابة ويزيده توقيراً ويكون أدعى إلى احترامه لدى غشيانه المجلس

فإن أول ما يطالعك من الرجل لباسه، وأول ما يفاجئك من المعنى ظاهر لفظه . ورب معان كريمة ضاعت لسوء صياغتها وركاكة أسلوبها . ورب مقالة خلدتها الرواية لطلاوة السياق وبلاغة الإيراد ورقة الحاشية

والزيات كاتب جمت له إلى رصانة الأسلوب ووضوح السياق حلاوة المعنى ، وبلاغة العبارة . ولعله فى ذلك متميز بالجمال فى الناحيتين. ذلك الجمال الذى تلمس منه ميلاً إليه فى شتى صوره وتفصيلاً له فى جميع معانيه . فأنت أول ما تطالع من كتابه الجديد مقالة « فى الجمال » ، فهو يحدثك فى هذه المقالة عن الجمال حديث الشاعر الملهم، والكاتب الصادق الحس، ورجل الفن الذى استغرق الفن مشاعره واستجاب لحاسته الفنية الدقيقة .

فهو بهذه الصفات كلها يقول :

« الطبيعة والفن إنما يحدثان أثرهما فى النفس ، إما بالفكرة وإما بالعاطفة وإما بالشعور الصادر عن آلات الحس ، ومن ذلك تنوع الجمال ، فكان عقلياً وأدبياً ومادياً » .

هذا مذهب يذهب إليه الرجل وهو يتحدث لا بعقله وحده وإنما بحسه أيضاً ، ذلك الحس الذى يشعر بالجمال ويقدره ، يشعر به جمالاً عقلياً وأدبياً ومادياً لا يخطئ فى الشعور به ولا يغفله فى أية صورة ظهر أو خفى ... وآية ذلك أنه يقول بفضل ذلك الإحساس وحده : « وجمال المرأة يحتفظ بدوامه وسحره ما دامت له روح العاطفة تشع فى نظراتها ، وتنسم فى بسماتها، وتشيع فى قسماتها، وتنشر أضواءها السحرية على أعصاب الرجل — وهو بطبعه ولوع — فيتمتع بنعمة اختياره ولذة إيثاره ، ويجد فى الضعف الذى يستسلم ويستكين ، الحب الذى يطول ويحكم ..

ثم إن الأستاذ الزيات يتحدث إليك بعد هذه المقالة عن « الربيع » فإذا هو يقول « ففى الربيع يشتد الشعور بالجمال والحاجة إلى التجمل ، فترى الشباب بجنسيه يستعير ألوان الرياض وعبير الخمائل ومرح الطيور ، ويحتشد فى دور الملاهى وصدور الشوارع ، فيخلع على الوجود وضاءة الحسن ، وعلى الحياة رونق السعادة »

وفى المقالة الثالثة يتحدث الأستاذ عن العيد فيقول : « والأعياد الأجنبية التى تشهدها مصر فى ذكرى الميلاد ورأس السنة غاية فى نعيم الروح والجسم ، وآية فى سلامة الذوق والطبع ، وفرصة ترى فيها القاهرة — وهى منفرجة — كيف تفيض الكنائس بالجلال ، وتزخر الفنادق بالجمال ، وتشرق المنازل بالأنس ... الخ »

ألا ترى أن فى ولوع الأستاذ الزيات بالحديث عن الجمال وتحليل مذاهبه وترديد أوصافه ما يهديك إلى سر ذلك الأسلوب الرائق الجميل وتلك الديباجة الموشاة البديعة ؟

ثم ألا ترى فى طريقة أخذه الموضوعات أخذاً منطقياً يشرف به الأسلوب ما يدل على ملكة مطواعة وبديهة مواتية ومقدرة على الترسل فذة عجيبة !

وصل « وحى الرسالة » إلى يدى أمس وكنت قد طالعت فصولاً مما احتوى نشرت قبل فى الرسالة ، وفيه فصول فاتتنى قراءتها ، وإنى لشديد الحرص على ألا تفوتنى ، ولكننى تعجلت إرسال هذه الكلمة إيماء إلى فضل الكاتب وعظيم يده على الأدب العربى فى العصر الحديث . والكتاب بعد جوهرة نفيسة دائمة الإشراق لا تخلق ديباجتها ولا يخبو بريقها؛ فهى ذخر مقتنيها ومتاع روحه

مصطفى الصباحى



8me Année No. 345

Lundi - 12 - 2 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣٤٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ محرم سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٢ فبراير سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهرس

الموظفـــون والناس ...

ابتُليتُ فى هذه الأيام أن اختلف إلى بعض الوزارات فى شأن من شؤون الرسالة . وأشد الأمور على نفسى أن أغشى دواوين الوزارة أو أقسام الإدارة ، لأنى أعتقد كما يعتقد أمثالى من السوقة الأحرار أن الحكومة من الأمة بمثابة الرأس من الجسد ، فيه التفكير والتدبير والقيادة ، وليس فيه الاختيال والشموخ والسيادة . ولكن الحكومات فى أمم الشرق لا تزال تعتقد أن الرأس معناه أن يوضع فوق الجسم ليسمو على أعضائه ويعيش على غذائه . فإذا دخلت دورها لا تجد فيها الروح الوطنية التى تبعث الحياة العامة ، ولا الفكرة الاجتماعية التى تدير المنفعة المشتركة ، وإنما تجد بها مظاهر شتى للسلطان الجبار والبيرقراطية الصلفة تعطل معنى الإصلاح وتبطل حقيقة العدالة

ترى أول ما ترى جيشاً من الشرطة والسكرتيرين والحجاب والسعاة يسد أبواب المكاتب، ويملأ مدارج الطرق، ويشغل فراغ الحجَر ؛ وهذا الجيش الذى يكلف الخزانة لا أدرى كم من المال لا عمل له إلا بث الرهبة وإظهار الأبهة والحيلولة بين الناس وبين القائمين على (مصالحهم) من أولى الأمر . فإذا ساعفتك الفرصة أو ساعدتك اللجاجة فنجوت من شراسة الشرطى أو الحاجب ، وخلصت من غطرسة السكرتير أو الكاتب ، دخلت على الموظف الكبير بهواً كأبهاء القصور، فرش بالطنافس

وأثث بالأرائك وزين بالتحف وأدق بالكهرباء وقام فى صدره الحالى طرفة من طرف الأثاث يقولون إنها مكتب ، ومن وراء هـذا المكتب الفاخر كرسى وثير متحرك جلس عليه الموظف العظيم وثيابه تكاد تنشق من ورم الكبر ونفخة السلطة ، فلا تستطيع من رهبة السلطان أن تكلمه ، ولا يستطيع هو من عزة المنصب أن يكلمك

هذه المظاهر القائمة على السرف والترف يجب أن تزول أو تخفف ، لأنها تحيط الموظف بجو من العظمة المستعارة تزوّر له ذاته ، وتفسد عليه حياته ، وتجعل ميزانه الاجتماعى منصوباً على ضميرين مختلفين : يزن فى بيته ولنفسه بضمير ، ويزن فى الديوان وللناس بضمير . وياويل ذى الحاجة إذا دخل على الموظف مكتبه وليس منسوباً إليه ولا معروفاً لديه ولا موصى به ! إنه لا يجد إلا النظرة القاسية ، والكلمة الجاسية ، والإشارة المهينة ، والهيئة الوقحة التى تصرخ فى وجهه بهذه الجملة :

يا بعد ما بينى وبينك ! أنا حاكم وأنت محكوم ، وأنا (ميرى) وأنت (برانى) . فإن احتمل المسكين الهون وقف على مضض ، وإذا ملكته الحمية انصرف على شجار !

لقيت منذ يومين فى فناء الوزارة الفلانية صديقى فلاناً المهندس المقاول خارجاً يزمجر من الغيظ وينتفض من الغضب . فقلت له وأنا أربت على كتفه :

— كفاك الله الشر ! ماذا بك ؟

فقال بصوت يتفجر بالسخط ويتهدج من التأثر :

— والله يا أخى ما أدرى أنحن عبيد الموظفين أم نحن وهم عبيد القانون ؟ هذا فلان بك . . .

— فلان بك ؟ ! إنه الرجل الذى أقصده الساعة فى مسألة عامة

— تعال تعال ! لا خير فى لقائه اليوم . لقد تركته يفور على الكرسى فوران القدر على الموقد

— ولم كان ذلك ؟

طلبت الإذن عليه لأشكو إليه خلل إدارته وإهمال مرءوسيه ، فإن لى عملاً دخل فى اختصاصه مضى عليه سنتان ، وكان يكفى لإنجازه يومان ، فأهملنى عند سكرتيره ساعة ثم خرج غير آذن ولا معتذر . فانصرفت خجلان من سوء ما يظن بى مدير مكتبه ، ثم عدت إليه يوماً آخر وطلبت إذنه مع الطالبين وفيهم كما علمت النائب والصاحب والقريب ، فدخلوا وخرجوا ، ثم دخل قبلى من جاء بعدى ، حتى لم يبق فى شرف الانتظار إلا أنا ورجلان من أصحاب العمل . حينئذ قال سكرتيره : إن البك مشغول بقية الوقت ! فثار فى وجهى الدم ، وطنّ فى رأسى الغضب فاقتحمت عليه الباب وقلت له من غير اعتذار ولا تحية : يا سيدى البك ! ربما كنت أنا الزائر الوحيد الذى زارك اليوم لعمل من الأعمال التى تجلس لها وتؤجر عليها ، فلم يكن من اللائق بأمانة المنصب أن تحجبنى مرة بعد مرة لتستجيب إلى طلاب الشفاعات والوساطات من ذوى الصداقة والقرابة

فحملق البك فىّ وقد استشاط وبربر وصاح : مَن أنت ومن أذن لك بالدخول ؟ فقلت له : أنا فلان ! مرى من سراة البلد ، وثروة من ثروات الأمة . نشأت فى مهد العُدم ، ثم تعلمت للعمل الحر ، وضربت فى سبيل العيش الكريم من أفق إلى أفق ، حتى أصبح عملى الناجح مرتزقاً لمئات من الأسر العاملة ، وأصبحت ـ وأنا لا أزال فى شباب الكهولة ـ ذا خمسين ألف جنيه ورتبة . أما أنت فالكبير الصغير ! كبرك المنصب والمرتب اللذان أدركتهما بمضى المدة ، وصغّرك العجز والكسل اللذان كشفاك فى إدارة العمل . إن سلطان الوظيفة يا سيدى عرض منفك ومتاع زائل . فإذا شئت أن تعرف أين أنت منى فدع منصبك الحصين وادخل معى فى غمرة الدنيا وزحمة الناس ، ويومئذ نرى أينا يوطأ بالأقدام ، وأينا يرفع على الرؤوس . . .

وهنا رأيت الرجل يكاد يتمزع من الغيظ فأهوى بيده على أزرار الأجراس فصلصلت جميعاً ، وقال لحجابه وسماته : أخرجوا هنا . . . من هنا . فأخرجونى على حال من الهوان لا يصبر عليها إلا رجل حازم أمام موظف أحمق .

فقلت له ونحن نمشى الهوينى فى طريقنا إلى البيت : هون عليك يا صديقى فإن أكثر الموظفين حالهم مع الناس كحال هذا الموظف معك

***

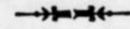
أيها القلم !

لشدّ ما أعنى على الله أن يجعلك فى يدى سناناً يخز ، ومعولاً يهدم ! لقد عجزنا يا قلم وعجز الكلام !

احمد حسن الزيات

اللعب

للأستاذ عباس محمود العقاد



قلتم فى مقالكم الجميل « الحياة جميلة » :

« ... ولكن جمالها يقتضى أن يكون لنا زعماء للهو يصححون إدرا كنا للحياة ، ويرهفون أذواقنا للجمال ، ويهيئون قلوبنا للسرور، ويشغلون أوقات فراغنا بالمسابقات الرياضية، والمهرجانات الوطنية ، والسياحات النهرية ، والملاهى الفنية ، والمواكب الشعبية. وليس أقدر على هذه الزعامة اليوم من وزارة الشؤون الاجتماعية »

* * *

كلام صادق

وربما كان أرفع من تقريظه بوصف الصدق تقريظه بوصف الجمال . فليس كل صادق بجميل

لكن كم منا نحن الشارقة ، يا أخى ، يؤمن معك بحاجة اللهو إلى زعامة ، وحاجة الأمة إلى لهو ؟

وكم منهم يؤمن معك بأن زعامة اللهو واللعب لها من الشرف والمنفعة كفاء ما للزعامات فى الجد أو فى الأمور التى تتراءى صبغة الجد عليها ؟

أقل من القليل

أقل من القليل مع هذه الوقائع الناطقة التى تتوالى عليهم كل يوم بفضل الأمم التى تحسن اللهو واللعب على الأمم التى تتكلف التزمت والوقار

وأقل من القليل مع تلك الشواهد التاريخية التى ليس يعمى عنها ذو بصيرة تشهد فى الدنيا شيئاً من الأشياء

فما عرف التاريخ قط أمة أحسنت الجد ولم تحسن اللهو واللعب

وما عرف التاريخ قط أمة من أمم القوة والسيادة لم تكن لها ألعاب ولم يكن لها زعماء فى هذا المضمار

وناهيك بالرومان وملاعبهم فى كل مدينة وضعوا حجراً فى بنائها

وباليونان ومحافلهم القومية التى كانت تتعاقب كل عام أو بضعة أعوام

وبالفرس ومواكب الكرة والصولجان ، والعرب وميادين الفروسية ومنازه الصيد والقنص وما اقتبسوه من سائر الأمم والدولات حينما ارتفع لهم عرش واستقرت لهم إمامة

أما فى التاريخ الحديث فيوشك أن يكون السبق فى مضمار اللعب قريناً بالسبق فى مضمار السيادة . ويصدق من يقول إن بريطانيا العظمى تفردت بالسلطان العالمى يوم تفردت بالسبق فى ألعابها ، وشوركت فى ذلك السلطان يوم شوركت فى تلك الألعاب

فاللعب هو فيض الحياة

ولن تكون سيادة بغير حياة أولاً ... ثم فيض فى الحياة بعد ذلك

* * *

لا يلعب الإنسان وهو عليـل

ولا يلعب وهو محسور مغلوب

ولا يلعب وهو مسلوب المشيئة

ولكنه يلعب حين يصح ، وحين يفرح ، وحين يملك زمامه فيشاء ويفعل ما يشاء

فاللعب والحياة الفائضة صنوان ، والسيادة والحياة الفائضة لا تفترقان

* * *

لكنهم ضعفوا فى الشرق فلم يفقهوا لغة الحياة ولم يلحنوا ما تقول حين تتكلم بكل لسان

رأوا الطفل يلعب وهو قليل العقل

ورأوا الشيخ يتجنب اللعب وهو كثير العقل أو كثير الاختبار فحسبوا أن اللعب ونقصان العقل متلازمان ، وأن الوجوم من اللعب ورجاحة العقل مترادفان

فأخطأوا

أخطأوا فى الفهم كما أخطأوا فى الشعور

فما لعب الطفل لأنه أقل من الشيخ عقلاً، ولكنه لعب لأنه أوفر نصيباً من جِدة الحياة

وما تزمت الشيخ لأنه أعقل من الطفل، ولكنه تزمت لأنه أعجز منه وأدنى إلى الموت

ولو اجتمعت للشيخ حكمة السن وجدة الطفولة لما منعته

الحكمة أن يلعب ويلهو ، ولعلمته بعد ذلك كيف يفتن فى لعبه ويزيد فى لهوه ، ويبز فيهما الأطفال والشبان

***

ورأوا المجنون يلعب والعاقل لا يلعب مثله فجزموا باتصال الجنون واللعب كما جزموا باتصال العقل والسكون

أخطأوا

أخطأوا فى الفهم كما أخطأوا فى الشعور

لأن المجنون يلعب من فرط الطلاقة لا من ذهاب لبه واختلاط فكره

وآية ذلك أن بعض المجانين يفقدون اللب والصواب ولا يلعبون ، بل ينوحون ويتخبطون ويبتئسون ، لأن جنونهم يسلمهم للخوف والفزع ولا يسلمهم للطلاقة والمراح

فهل يقال إنهم إذن أعقل من العقلاء الذين يلعبون حيناً بعد حين ؟

كلا . بل يقال إن الطلاقة تلازم اللعب فى كل حين ... أما الجنون واللعب فلا يتلازمان

***

وينبغى أن نفرق هنا بين اللعب الذى نمنيه، وبين ما يلتبس به فى بعض ظواهره ودواعيه

فاللعب الذى نمنيه غير التسلية

واللعب الذى نمنيه غير الرياضة

لأن الورق والنرد والشطرنج تسمى ألعاباً ولكنها لا تحتاج إلى فيض حياة ولا إلى تمام شعور . بل لعلها تحتاج إلى الكسل والراحة والفتور ، وهى فى لبابها شغل من الأشغال ولكنه شغل فراغ

ولأن الرياضة وسيلة إلى غيرها فى كثير من الأحوال ، فهى بين رياضة تراد للحرب ، ورياضة تراد للعلاج ، ورياضة تراد لاحتمال المشقات ، ورياضة تراد للتجميل والتقويم

أما اللعب الذى نمنيه فهو التعبير الملازم لحالة الفيض والإشراق فلا يراد بعد ذلك لغرض من الأغراض

هو شىء كلمان الزجاج حين ينتفى عنه الكدر وينجلى عنه الغشاء .

فلا يقال إن الزجاج يلمع لهذا الغرض أو لذاك ، ولا يقال إن اللمعان وسيلة مقصودة ليبيعه البائعون ويشتريه المشترون ويصنعه الصانعون

وكل ما يقال إنه يلمع لأن اللمعان طبيعة فيه ، وشعاع من نوره السابغ عليه

وعلى هذا المعنى يدخل فى باب اللعب ابتكار الفنان ، ووحى القريحة ، وتوقان النفوس إلى العظائم ، وغرام العقول بالكشف عن المجهول ، ولألاء الجمال فى الوجوه ، ولألاء الجمال فى الأرواح

وعلى هذا المعنى كذلك يعم اللعب فطرة الحياة حيثما وجد الأحياء

فهو فى الطير المغرد ، وفى الحوت السابح ، وفى الحيوان الطافر ، وفى كل ما يفيض بحياته فيندفع فى ألعابه ، ويوشك أن يخرج من إهابه

أما التسلية فليست من الفطرة

وأما الرياضة فجانب فيها من الفطرة وجانب من ابتداع الجماعة الإنسانية

وليس اللعب الذى نمنيه تسلية ولا وسيلة اجتماع

وإنما هو تعبير الحياة كلما امتنع الحائل بينها وبين التعبير

***

وتبحث يا أخى عن زعامة للعب واللهو بين المشارقة «الموقرين» !

أعانك الله !

أتسبق الرياسة المرؤسين ؟

أم يسبق المرؤسون الرئيس ؟

علمهم أن يفهموا اللعب على معناه وأنت فى غنى بعد ذلك عن تعليمهم معنى الجد أو تعليمهم معنى الحياة ، وفى غنى عن انتظار الزعماء وهم ما امتنعوا قط حيث وجد المستحقون لزعامة زعيم

عباس محمود العقاد

حول استقلال الكلمات

فى المعاجم

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

لا أزال أتذكر الحيرة الشديدة التى تملكتنى عندما تصفحت المعاجم العربية الحديثة قبل سنوات . فقد كنت أريد تزويد ابنى بمعجم صغير يرجع إليه فى معرفة معاني الكلمات من جهة ، ورسم حروفها من جهة أخرى ؛ فاستشرت جماعة من معلمى العربية وعلمائها عن أحسن المعاجم المختصرة التى تحقق هذا الغرض . . . غير أنى ، عندما قلبت صحائف المعاجم التى دلونى عليها وقعت فى حيرة ، إذ وجدتها جميعها مرتبة على نمط المعاجم القديمة ، وسائرة على خططها ، لأنها ترتب الكلمات بحسب موادها الأصلية ، ولا تراعى ترتيب الحروف الهجائية إلا فى تلك المواد ...

وحيرتى هذه تحولت إلى دهشة شديدة عندما أفضيت بها إلى جماعة المعلمين والعلماء ، ووجدتهم يحارون لحيرتى ويستغربون لاستغرابى ، كأن الأمر من الأمور الطبيعية التى لا داعى للحيرة فيها ، ولا مساغ للاعتراض عليها ...

ودهشتى هذه وصلت إلى أقصى حدودها عندما رأيت هؤلاء ينبرون للدفاع عن خطط تلك المعاجم . . . إذ قال أحدهم :

— ولكن اللغة العربية لا تشبه سائر اللغات ...

وقال آخر :

— إن طبيعتها تختلف عن طبيعة تلك اللغات ...

وما كدت أستفيق من الحيرة التى أوقعتنى فيها هذه الكلمات حتى هممت بالرد قائلاً :

— وما علاقة المعجم بطبيعة اللغة ؟ إن الغرض من المعجم هو ترتيب الكلمات ترتيباً معقولاً ، يضمن الوصول إلى إيجاد الكلمة المطلوبة بأعظم ما يمكن من السرعة والسهولة . ولا شك فى أن هذه السرعة والسهولة لا تحصلان إلا بترتيب الكلمات بحسب حروفها الهجائية . ومن البديهى أن هذه ليست من الأمور التى تختلف بين لغة وأخرى بوجه من الوجوه .

غير أن معلماً ثالثاً اشترك فى البحث سائلاً :

— يعنى ، تريد أن تكتب مثلاً كلمة الاستغفار فى مادة الألف ، وكلمة الغفران فى مادة الغين ؟

قلت بدون تردد : نعم

فقال المعلم بلهجة المؤمن المعتقد الذى يثور على أمثال هذه البدع :

— ولكن هذا لا يجوز فى اللغة العربية ...

فسألته : لماذا ؟

فأجابنى بحيرة ظاهرة :

— لأننا إذا فعلنا ذلك لا يتعلم الطلاب ، مثلاً ، أن الاستغفار من باب الاستفعال ، وأن مادته الأصلية هى غفر . . .

فحاولت أن أقنع مخاطبى ببعض البراهين ، فقلت :

— إن لتعليم هذه الأمور ألف وسيلة ووسيلة ... حتى إن المعجم الذى أتصوره وأقترحه يكون — هو أيضاً — من أحسن الوسائط لذلك : يدرج القاموس كلمة الاستغفار فى المحل الذى يتطلبه ترتيب حروفها الهجائية ، ويذكر بجانب الكلمة مادتها الأصلية . . . فيجد الطالب الكلمة فى المعجم بكل سهولة ، ويتعلم — فى الوقت نفسه — من قراءة ما كتب عنها أن مادتها الأصلية هى غفر ، وأنها تدل على طلب المغفرة ...

سكت مخاطبى كما سكت زملاؤه . غير أننى لمحت فى أعينهم ما يدل على أن هذا السكوت لم يتأت من الاقتناع ، بل تأتى من الاعتقاد بأن كل اعتراضاتي هذه ما هى إلا نتيجة عدم إلمامى بقواعد العربية الإلمام الكافى ، وعدم فهمى لخصائصها الفهم اللازم ...

* * *

مضى على هذه المناقشة أكثر من عشرة أعوام . . . ثم عدت إلى قضية المعاجم — فى هذه الأيام — مرة أخرى ، وعلمت — فى حيرة جديدة — أن اللغة العربية لم تحظ إلى الآن بمعجم عصرى بالمعنى الذى يفهم من كلمة المعجم فى جميع لغات العالم . . . كما علمت بأن المجمع اللغوى الملكى نفسه لم يقدر

أهمية هذه القضية حق قدرها ، ولم يدخلها فى عداد الأعمال التى يسعى لتحقيقها ...

فرأيت من الواجب على أن ألفت أنظار علماء العربية ومعلميها إلى هذا الأمر الهام من فوق منبر (الرسالة) الغراء ، وأن أدعوهم إلى العمل على إزالة هذا النقص الفادح

إن المعجم بمثابة مخزن للكلمات ، معد لمراجعة جميع الناس ، بحيث يستطيع كل شخص أن يدخل هذا المخزن فيتناول منه الكلمة التى يقصدها ، دون أن يحتاج إلى مساعدة أحد يدله على موضعها . . . ولهذا السبب تصنف الكلمات فى هذه المخازن العامة تصنيفاً يضمن إيجاد ما يراد منها بأسرع الطرق وأسهلها . ولهذا السبب يختلف التصنيف المعجمى عن التصنيف الصرفى والنحوى اختلافاً كليًّا، ويكون هذا التصنيف ألفبائيًّا ـ بوجه عام ـ لكى يستطيع كل فرد أن يجد أية كلمة من الكلمات فيه ، بمجرد تذكر ترتيب الحروف الهجائية فى الألفباء ...

غير أن المعاجم العربية تشذ عن هذه القاعدة العامة شذوذاً غريباً ، لأنها تصنِّف الكلمات تصنيفاً مُفعما بالالتواء والتعقيد ، بحيث لا يستطيع أحد أن يجد كلمة من الكلمات إلا إذا عرف — مقدماً — مادتها الأصلية وكيفية أشتقاقها من تلك المادة بصورة تفصيلية

فلو أراد أحد أن يراجع المعجم فى كلمة « الاستيلاء » مثلاً ، فعليه أن يلاحظ قبل كل شىء أن هذه الكلمة من باب « الاستفعال » ، كما يعرف — سلفاً — أن مادتها الأصلية هى « ولى » ، وعليه أن يبحث عنها ـ مستنداً إلى هذه المعلومات ـ فى الصحائف الخاصة بحرف الواو فاللام . . . وأما إذا أراد أن يراجع المعجم فى كلمة « الاستواء » ، فعليه أن يعرف أنها من باب « الافتعال » وأن مادتها الأصلية هى « سوى » ، فعليه أن يبحث عنها — مستنداً إلى معلوماته هذه — فى الصحائف الخاصة بحرف السين فالواو . . . غير أنه إن كان لا يعرف ذلك فمن العبث أن يراجع القاموس ويقلب صفحاته ، لأن القواميس العربية لا تدل على مواضع مثل هذه الكلمات إلا لمن يعرف مثل هذه الدقائق الصرفية واللغوية حق المعرفة

أليس ذلك مخالفاً لأبسط قواعد التعلم ولأوضح مبادئ التعليم ... ؟

لنأخذ مثالاً آخر : لنفرض أننا طلبنا من أحد الطلاب أن يبحث فى المعجم عن كلمتى : الاستمانة ، والاستكانة ... إن هاتين الكلمتين متشابهتان ومتقاربتان من حيث اللفظ والكتابة ؛ فإن الحروف الثلاثة الأولى مشتركة فى كلتيهما ، وكذلك الحروف الثلاثة الأخيرة ؛ والفرق بينهما ينحصر فى الحرف الرابع وحده ، مع كل هـذا فإن موقع كل منهما فى المعجم يتباعد عن موقع الأخرى تباعداً غريباً جداً ؛ فعلى الطالب الذى يبحث عن هاتين الكلمتين فى المعجم ، أن يعرف أن الكلمة الأولى من باب « الاستفعال » من مادة « عون » فيراجع من أجلها حرف العين فالواو ؛ كما عليه أن يلاحظ أن الكلمة الثانية قد تكون من باب « الاستفعال » من مادة « كون » أو من باب « الافتعال » من مادة « سكن » ؛ فعليه أن يراجع حرف الكاف فالواو نظراً للاحتمال الأول ، وحرف السين فالكاف نظراً للاحتمال الثانى

وهل يمكن للمرء أن يتصور طريقة تصنيف أعقم من هذه الطريقة ، وخطة تبويب أسخف من هذه الخطة ... من وجهة مقتضيات العقل والمنطق من جهة ، ومطالب التربية والتعليم من جهة أخرى ؟

***

إن المعاجم العربية الموجودة بين الأيدى لا تزال تضع الاشتقاق فى الموضع الأول من الاعتبار ، فتهتم بأنساب الكلمات قبل كل شىء وفوق كل شىء ، كأنها لا تريد أن تعترف بشىء من حق الاستقلال للكلمات المشتقة ، مهما كان مبلغ تخصصها فى معنى من المعانى ، ومهما كانت درجة تباعد هذا المعنى الخاص عن المعنى الأصلى ... إنها لا تعترف لها بحق الاستقلال فى بيت خاص حتى ولو كانت قد أصبحت رئيسة أسرة خاصة ، ومنشأ ذرية كبيرة ، كأنها تريد أن تبقيها تحت وصاية مستمرة وتحتم عليها أن تسكن على الدوام ، فى دار « جدها الأعلى » مع جميع أفراد العشيرة التى تنتسب إليها ...

فلنترك الألفة المخدّرة جانباً ، ولنفسح لأذهاننا مجال التفكير الحر خارجاً عن الطرق المألوفة قليلاً : هل من المعقول أن نستمر على هذه الخطة فى معاجمنا ، ولا سيما فى المدرسية منها

هل من المعقول — مثلاً — أن نستمر على إدخال كلمة المصباح فى مادة الصبح ، فنتركها فى معاجمنا ضائعة بين كلمات الصباح ، والصباحة ، والصبوح والصبيحة والاصطباح والاستصباح ... ؟ وهل من المعقول أن نستمر على عدم اعتبار لفظة « الأنبوبة » كلمة قائمة بنفسها ، وعلى إدخالها فى درج الـ « نبّ » ونظل نطلب من أطفالنا وطلابنا أن يجدوها هناك ؟ وهل من الحكمة فى شىء ألا نوجد محلاً ملائماً لوضع كلمة « الميزانية » فى غير الخزانة المخصصة لمادة « الوزن » ... ؟

وعند ما أكتب هذه الأسطر يتوارد على ذهنى أمثلة كثيرة من هذا القبيل ، كأنها تتسابق فى التباعد عن قواعد العقل والمنطق ومبادئ التربية والتعليم إلى أقصى حدود التباعد ...

إن كلمة الاستئناف — مثلاً — بالرغم من معناها الخاص الذى يلعب دوراً هاماً فى الحقوق والقوانين ، وبالرغم من كثرة المحاكم التى تسمى بها لا تزال تلتجى فى المعاجم إلى ظل كلمة « الأنف » ! ...

وكلمة « الاستراحة » — التى يستعملها الناس فى كل يوم مئات من المرات — لا تزال محبوسة فى المعاجم فى دار « الراح » ، ومحشورة بين كلمات شتى المعانى والألفاظ : كالرياح والرائحة والأريحية والريحان ! ...

حتى أن كلمة « المدرسة » نفسها لم تكتسب فى معاجمنا حق الاستقلال ؛ فهى لا تزال تابعة — فى نظرها — إلى كلمة الدرس ومجبرة على الاندساس بين كلمات متخالفة النزعات مثل « اندراس » المعالم والمبانى و « دراسة » الحنطة والحبوب ! ...

وكلمة « الاقتصاد » التى أصبحت بمعناها الاصطلاحى الجديد من أهم محاور الحياة الاجتماعية — لا تزال مختفية فى معاجمنا بين الكلمات التى من طراز القصد والمقصود ، والقاصد والقصيدة وبين المعانى التى تدل على موت الكلب ، واستقامة الطريق ، وأغصان العوسج ! ...

ولكن ، لماذا أطيل الكلام فى هذه الأمثلة العجيبة ؟ إن معاجمنا لم تعترف بحق الاستقلال ، حتى لكلمة الاستقلال نفسها ! فهى لا تزال تعتبرها تابعة لـ « قلّ » ، فتحتم عليها السكنى فى مسكن « القلة والقليل » ! ...

نعم ، إن كلمة الاستقلال التى تثير فى النفوس ما تثيره من العواطف الجياشة على الدوام ، والتى تتكرر فى القصائد الوطنية والأناشيد المدرسية كل يوم مئات ، بل آلاف المرات ... كلمة الاستقلال التى كان معناها — ولا يزال — سبباً لتضحيات كبيرة فى الجهود والأموال والأنفس — كلمة الاستقلال هذه لم تستقل فى معاجمنا إلى الآن .

فعلى كل من يود التعرف إليها فى القاموس أن يطرق باب الـ « قلّ » وأن يعرف أنه سيلاقيها بجانب كلمة « القليل » !

* * *

أنا لا أدرى بماذا أنعت معاجمنا لاتباعها هذه الخطط العوجاء ، وسكوت علمائنا عن هذه النقائص الفادحة . غير أننى أميل إلى تعليل هذا الاستمرار وذلك السكوت بتأثير عاملين أساسيين :

أولاً : عمل قانون الألفة الذى يجعل الإنسان لا يشعر بأكره الروائح ، ولا ينتبه إلى أفدح النقائص ، عند ما يألفها ألفة طويلة ، ولا سيما عند ما تكون ألفته هذه اجتماعية ...

ثانياً : عمل روح المحافظة التى تطلب إبقاء القديم على قدمه فتعطل نوازع العمل عند ما ترمى إلى تغييرات أساسية فى الأمور المقررة سابقاً ، ولا سيما عند ما تكون تلك الأمور متعلقة بالتقاليد الاجتماعية ...

إننى أستطيع أن أضيف إلى هذين العاملين الأصليين عاملاً فرعياً ثالثاً ، وهو عمل نزعة الاهتمام بالأمور الرنانة التى تلفت الأنظار ، أكثر من الانصراف إلى معالجة المسائل الجوهرية التى لا تأتى بنتائج تبهر الأبصار وإن كانت كثيرة الفائدة ...

إننى أعتقد أن الخروج على هذه العادات والنزعات بوضع معاجم عصرية بالمعنى المشروح آنفاً — أصبح من أهم الواجبات التى يجب على رجال العلم والتعليم ، ومحافل اللغة والأدب ، ووزارات التربية والمعارف — فى جميع البلاد العربية ... كما أعتقد

أن وضع مثل هذه المعاجم العصرية التى تعترف باستقلال الكلمات ، وتجعل الوصول إلى كل واحدة منها من الأمور المتيسرة لكل شخص — لهو أهم بكثير من البحث عن الكلمات التى تقابل : التلفون ، والكلور ، والراديوم ... وحتى من إيجاد الاصطلاحات التى تدل على أسماء الأمراض ، ودقائق التشريح

وأما الخطة التى يجب السير عليها لوضع هذه المعاجم فهى بسيطة وجلية :

أولاً — يجب أن تبذل الجهود اللازمة لوضع معجم مختصر يحتوى على الكلمات التى يستعملها الناس ويحتاج إليها طلاب المدارس الابتدائية . ولتعيين هذه الكلمات يجب أن تُستعرض طائفة من الكتب المدرسية من جهة ، وتدرس كمية من الأخبار والإعلانات المنتشرة فى الجرائد اليومية من جهة أخرى ؛ وتستحضر بطاقات خاصة بكل كلمة من الكلمات التى تصادف خلال هذا الدرس والاستعراض ؛ ثم ترتب هذه الكلمات حسب نظام حروفها الهجائية ، ويكتب إزاء كل واحدة منها معناها الاصطلاحى ، كما يشار إلى مادتها الأصلية ، وإلى كيفية اشتقاقها من تلك المادة . وأخيراً تذكر أهم الكلمات المشتقة منها ، تسهيلاً لمراجعتها فى سائر أقسام المعجم

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تبذل الجهود اللازمة لتنظيم معجم أكثر تفصيلاً من ذلك ، ليكون مرجعاً لطلاب المدارس الثانوية والعالية ، ولرجال الطبقة المثقفة بوجه عام ، على أن تعين كلماته على طريقة استعراض الكتب المدرسية من جهة ، ودرس المجلات العلمية والأدبية من جهة أخرى

وأخيراً يجب أن يسعى لوضع معجم مفصل عام ... يتضمن جميع الكلمات المستعملة فى الكتب القديمة والحديثة على اختلاف أنواعها وتواريخها ...

وأما المعاجم القديمة ، فتبقى كمراجع أساسية يرجع إليها العلماء والاختصاصيون

وأعتقد أنه لا يحق لنا أن نتوقع تقدماً حقيقياً فى تعليم اللغة العربية ما لم توجد مثل هذه المعاجم ... ويجعل أمر « مراجعة المعجم » من الواجبات المدرسية ...

أنا لا أدرى كم يكون طول المدة التى ستمضى بين كتابة هذه الأسطر وبين ظهور المعاجم التى نشير إليها . . . كما لا أدرى ماذا يكون مبلغ ونوع مساهمة كل من الكتّاب والناشرين والهيئات العلمية والدوائر الرسمية فى تحقيق هذا المشروع المهم عن طريق العمل المباشر أو التشجيع والمساعدة ...

مع هذا أتمنى بكل قلبى أن تتضافر جهود الأفراد والهيئات والحكومات فى هذا السبيل — بكل الوسائل الممكنة — لكى تقر أعيننا بمعاجم عصرية من هذا القبيل ... قبل أن يمضى وقت طويل

(بغداد) أبو خلدون

إنـــذار

فيمَ البكاء والاستعطاف والاستجداء ؟ إنما المرأة — فى دخيلة نفسها — تهوى الرجل الذى يستخف بكبريائها

سَئِمتُكِ حتى سئمتُ النساءَ فأمسيتُ أخشى على هِزّتى

جبينُكِ جفَّ عليه الجمالُ كرِهتُ المهابةَ بالميّتِ
وطرفُكِ يَزويه روْعُ الصِّراعِ إنِ التهبَتْ شِرّةٌ مُقلتى
ونَهدُكِ يحتالُ طَيْشى له تَدرَّعَ حُمْقَ الحياءِ العَتى
وخصرُكِ خاذَلَه الرَّخصُ حتى تماسكَ حَرْباً على صَبْوَتى
وساقُكِ لُفّتْ بِشَفّ مَصون تفاريجُه سُخْرَةُ المُثّةِ

مفاتنُكِ للفاترات أساطيرُ تَفْتَرُّ فى كُتُبٍ رَثّتِ

برلين ، فبراير ١٩٣٥ بشر فارس

إلى الدكتور طه حسين بك

للدكتور زكي مبارك

أيها الأستاذ الجليل :

تلطفتَ فأوصيتني بكتمان الحديث الذي دار بيني وبينك في حضرة « الصديق المظيم » الذي يحل وداده من قلبي وقلبك أعز مكان ، وأنا أستطيع النص على اسم ذلك « الصديق المظيم » بلا تهيب لعواقب العتاب ، لأن للحديث الذي جرى بيني وبينك في حضرته صلة وثيقة بأصول المذاهب الأدبية التي يشتجر حولها الخلاف في كثير من الأحايين . فإن قلتَ إن هذا « الصديق المظيم » خاع على ذلك الحديث حلة من الدعابة التي تشهد بما عليك من عذوبة الروح ، وإنه قد يكره أن يشار إلى اسمه في مجال الدعابة والظَّرف ، فإني أجيبُ بأن ذلك « الصديق المظيم » أرحب صدراً مما تظن ، وهو أكبر من أن يرى أن جلال المنصب يمنع من التندّر الجميل

لا خوف من النص على اسم ذلك الصديق ، ولكني سأعمل بوصيتك ليصح لي القول بأني لا أتمرد عليك في كل وقت ، وليصح لك الظن بأني أقدر على مراعاة الظروف حين أشاء

ثم ماذا ؟

ثم أستبيح لنفسي التحدث عن بعض ما شجر بيني وبينك . ويظهر أن المقادير لا تريد أن أسكت عنك أو تسكت عني ، وفي ذلك الخير كلُّ الخير لو تعرف وأعرف . وهل ارتفع العقل إلا بفضل الخلاف ؟ وهل يتصور الناس وجوداً للحيوية التشريعية لو لم يَكْثر الخلاف بين الشافعية والحنفية ؟ وهل تأملت مشكلات النحو والصرف إلا بفضل الجدال بين البصريين والكوفيين ؟ وهل تفوّق العقل المصري في العصر الحديث إلا بسبب النزاع حول القديم والجديد ، والصراع حول المذاهب الاجتماعية والأحزاب السياسية ؟

إن الخلاف نعمة عظيمة جدا ، ويا ويلنا إذا لم نختلف

فكيف تريد أن أكون صديقاً ظريفاً لا تسمع منه غير الكلام المعسول ؟

وهل قلّ الظرفاء من أصدقائك حتى تطالبني بما تعجز عنه سجيتي ؟

إن « بداوة الطبع » التي كثُر الكلام في ذمها وتجريحها لم تكن من المثالب إلا في كلام الشعوبية ، وهم قوم أرادوا الغض من الشمائل العربية ، ولولا ذلك الهجوم الأثيم لبقيت من المحامد ، فكيف تنكر على رجل مثلي أن يظل بدوي الطبع في زمن توارتْ فيه الصراحة وكثر فيه تنميق الأحاديث ؟

لابد من خلاف بيني وبينك لتجد الأبحاث الأدبية والفلسفية وقوداً يحيا به اللهب المقدس في حياة العقل والوجدان

فإن ضاق صدرك بهذه الحقيقة واكتفيت بمحاورة الرجل اللطيف الذي يقول إن الصحراء تشكو الظمأ وأن البحر يشكو الري وأن الخير في امتزاج البحر بالصحراء . إن كان ذلك ما يرضيك فشرّق في محاورته وغرّب كيف شئت وكيف شاء

ولكن ما رأيك فيمن يصارحك بأن الحيوية لن تشيع في أبحاثك إلا إذا حاورت « الرجل الذي لا يخلو إلى قلمه إلا وفي رأسه عفريت » ؟

تلك كلمتك ، يا سيدي الدكتور ، وأنا عنها راض وبها مختال ؟

فما هو العفريت الذي يحتل رأسي حين أخلو إلى قلمي ؟

أيكون هو الجن الذي سماه الفرنسيون Génie ؟

إن كان ذلك فأنت تشهد لي بالعبقرية ، والقول ما قال طه حسين

وهل تكون العبقرية إلا من نصيب من يخاصم رجلاً مثلك في سبيل الحق ؟

وما هي المنفعة التي أرجوها من مخاصمتك وأنت رجلٌ يضر وينفع ؟

ما هي المنفعة التي أجنيها من مخاصمتك وقد صاحبتك عشر سنين كانت أطيب الأوقات في حياتي ؟

يظهر أنك لا تعلم أنك على جانب عظيم من الجاذبية وأن الرجل العاقل لا يترك مودتك وهو طائع

فما سبب الخصومة بيني وبينك ؟

إليك أقباساً من البيان :

منذ أكثر من سبعة أعوام ألقيتَ محاضرة في الجامعة الأمريكية عن البحتري سجلتها جريدة كوكب الشرق ، وشاء

(العفريت الذى يحتل رأسى حين أخلو إلى قلمى) أن أنشر فى جريدة البلاغ مقالاً عنوانه :

« الدكتور طه حسين يغلط خمس مرات فقط فى محاضرة واحدة »

ثم لقيتنى بعد ذلك فى الجامعة الأمريكية وجادلتنى فى تلك الأغلاط فأعلنتُ أنى أخطأت ، وكان ذلك لأن الجمهور أحاط بنا من كل جانب ليرى كيف أدفع هجومك ، وما كان يجوز لى أن أصنع غير الذى صنعت ، لأن أدبى لا يسمح لى بمصاولتك أمام الناس ، ولأن وجهك يشفع لك ، فهو وجه لا يلقاه الرجل الحر بغير الإعزاز والتبجيل

فما الذى صنعت أنت فى تصحيح الأغلاط التى أخذتها عليك ؟

مضيتَ فنشرت محاضرتك عن البحترى فى كتابك : « حديث النثر والشعر » ، وأبقيتَ تلك الأغلاط ، أستغفر الله ، بل (تفضلت) فشكلت الكلمات المغلوطة لتقول : إنك لا تعبأ بأى نقد يوجَّه إليك ! !

فما الذى كان يمنع من تدارك تلك الأغلاط ؟ وما الذى كان يمنع من شرح رأيك فى الهامش إن كنت تؤمن بأنى لم أكن على حق ؟ ؟

ثم ماذا ؟

ثم حدث فى صيف سنة ١٩٢٩ أن أنكرت علىَّ أن أتخذ شواهد لتطور « النثر الفنى » من رسائل عبد الحميد بن يحيى . وقلت : إن عبد الحميد بن يحيى شخصية خرافية كشخصية امرئ القيس ! وكان ذلك بمسمع من شابين واعيين هما : محمد مندور وعلى حافظ . وكانت حجتك أن عبد الحميد بن يحيى لم يرد اسمه فى مؤلفات الجاحظ ، فرجعت إليك بعد أيام وأخبرتك أن الجاحظ تكلم عن عبد الحميد بن يحيى مرات كثيرة ، وأن مؤلفات الجاحظ تعرف رجلين : أحدهما عبد الحميد الأكبر والثانى عبد الحميد الأصغر ، فلم تجب بحرف واحد . ثم ألقيت وأنا فى باريس محاضرة قلت فيها : إن عبد الحميد بن يحيى أخذ أشياء من أدب اليونان ؛ وفاتك أن تنص على اسم الرجل الذى أقنعك بأنه لم يكن شخصية خرافية .

وقد حملنى (العفريت الذى يحتل رأسى حين أخلو إلى قلمى) على أن أسجل هذه القضية فى أحد هوامش كتاب النثر الفنى ، فكانت فرصة اغتنمها صديقك الأستاذ أحمد أمين ليقول فى مقال كتبه فى مجلة الرسالة : إن زكى مبارك يعوزه الذوق فى بعض الأحيان ! !

ثم ماذا ؟

ثم كانت لك يد مؤثرة فى شؤون الدراسة الثانوية بحجة أنها تمهيد للدراسة الجامعية ، وكان من أثر ذلك أن فرضت على طلبة السنة الخامسة بالمدارس الثانوية كتاباً فى نقد النثر لقدامة بن جعفر لا يفهمه المدرسون إلا بعناء فضلاً عن التلاميذ

وأقول بصراحة إنى لم أفلح فى حمل المفتشين على مقاومتك ، فبرزت لك بنفسى فى مقال نشرته بمجلة الرسالة ، فهل استجبت لصوت الحق وأعفيت التلاميذ من كتاب تقوم تعاريفه على منطق أرسطاطاليس وهم يجهلونه كل الجهل ؟

أنت عزيز علينا يا سيدى الدكتور ، لأنك رجل شهم ، ولكن ما رأيك فى أغلاطك ؟ ومن يدلك عليها إذا سكتُّ عنك ؟

هل تذكر كلمة « الصديق المظيم » منذ أيام حين قال لك وهو يبتسم : كيف صيرتم زكى مبارك دكتوراً وهو رجلٌ مشاغب ؟

أنت تذكر ذلك ولا ريب ، ولكنك تعرف أنى لم أنل ألقاب الجامعة المصرية بلا جهاد ، وأنت نفسك أسقطتنى فى امتحان الليسانس مرتين ، واشتركتَ فى امتحان الدكتوراه الذى أديته أول مرة مع أنك لم تكن عضواً فى لجنة الامتحان ، وكان لخصومتك الصورية تأثير فى الدكتوراه التى ظفرت بها المرة الثالثة فلم أصل إليها إلا بعد جهاد سبع سنين

فما فضلك علىَّ إن لم يكن فضل المؤدِّب الحصيف ؟

هل تذكر يا دكتور ما وقع فى نوفمبر سنة ١٩١٩ ؟

هل تذكر ما وقع يوم غاب سكرتيرك وكنت وحدى الطالب الذى يفهم العبارة الفرنسية لكتاب نظام الآتينيين لأرسطاطاليس ؟

وهل تذكر أنك أعلنت سرورك بأن يكون فى طلبة الجامعة المصرية من يفهم أسرار اللغة الفرنسية ؟

فمن يبلغك أن الشاب الذى أدخل السرور على قلبك فى سنة ١٩١٩ هو الكهل الذى تنكره فى سنة ١٩٤٠ ؟

أنا أعرف ما تكره مني . أنت تكره مني الكبرياء ، وكيف أتواضع وقد أعانني الله على بناء نفسي ؟ كيف وقد أقمت الدليل على أن الشباب المصري خليق بعظمة الاعتماد على النفس ؟ وهل رأيت رجلاً قبلي أتمّ دراسته في أوربا وهو مثقل بتكاليف الأهل والأبناء ؟ هل رأيت رجلاً قبلي يهتف بأوطار الشباب وهو مُثخنٌ بجراح الزمان بعد الأربعين ؟ هل رأيت رجلاً قبلي يؤلف الكتب الجيدة في البواخر والقطارات والسيارات ؟

ومن يصدّق أني أنفق في سبيل الورق والمداد أضعاف ما ينفق بعض الناس في سبيل الطعام والشراب ؟

إن الدكتور طه من ذخائرنا الأدبية ، ويجب أن يعيش ونحن سناده في الخطأ والصواب رعايةً لمركزه في الجامعة وفي وزارة المعارف ، وهو خليقٌ بمركزه في الجامعة وفي وزارة المعارف

أيها الأستاذ الجليل :

في صدري أشياء وشؤون وشجون، فتى أنفض هومي بين يديك وقد رأيت الشيب يشتعل في شعرك الجميل ؟

متى نلتقي أيها الأستاذ الجليل لتصفية الحساب ؟

إن « العفريت الذي يحتلّ رأسي حين أخلو إلى قلمي » لا يحضر حين ألقاك ، لأني لا أرى وجهك إلا تذكرت أني أحببتك إلى حد العشق

فتى نلتقي وحولك أرصاد يؤذيهم أن أصل إلى قلبك الرفيق ؟

وهل أجهل أو تجهل أن في الدنيا ناساً عاشوا بإفساد ما بيني وبينك ؟ الله وحده يشهد أني لم أخاصمك إلا في سبيل الحق

والله وحده يشهد أني لم أقل فيك غير ما استبحت نشره في الجرائد والمجلات . ومن ذلك تعرف أن « العفريت الذي يحتل رأسي حين أخلو إلى قلمي » لم يكن عفريتاً لئيما ، وإنما هو عفريت تلميذك وزميلك وصديقك : زكي مبارك

الفروق السيكلوجية
بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

العلاقة بين الذكاء والخلق

الشخصية من الموضوعات التى اهتم بدراستها علماء النفس منذ أوائل القرن الحالى . وقد ذهبوا فى تحليلها إلى أنها تتكون من عوامل بعضها فيزيولوجى ، وبعضها كيميائى ، وبعضها عقلى ، وبعضها خلقى ومزاجى . وقالوا إن نتيجة تفاعل هذه العوامل المختلفة تحت تأثير البيئة التى يعيش فيها الفرد هى التى تكون شخصيته . ومعنى ذلك أنه توجد علاقات فعالة بين كل مجموعة من هذه العوامل وبين بقية المجموعات الأخرى . وسأعالج فى هذا الحديث موضوع العلاقة بين الذكاء والخلق ، وأثر هذه العلاقة فى حياة الفرد

إن قارئاً أو ملاحظاً ليتعسر عليه – من غير دراسة وإحصاء – أن يجزم بوجود تلازم بين الذكاء والخلق الكريم ، أو العكس ؛ أى بين الذكاء والخلق السيء أو الغباء والخلق الكريم . لأن الملاحظة العادية تدل على أنه يوجد بين الأذكياء ، كما يوجد بين الأغبياء ، الشرير والمتمرد وكريم الخلق والوديع ، وإن كانت بعض الروايات [1] والأفلام تظهر شخصيات المجرمين والمحتالين فى مظهر الأذكياء والعبقريين . وقديماً كان الإغريق يبيحون السرقة لأنها آية الذكاء ، وكانوا يعاقبون من يقبض عليه سارقاً ، أو تثبت عليه التهمة ، لأنه غبى لم يستطع أن يفعل فعلته بمهارة ودهاء ، فيفلت من أعين الرقباء ، شأن الذكى الماهر

والذكاء – ولا شك – عامل من عوامل النجاح فى الحياة فهو الذى يعين الطالب فى حياته الدراسية ، والمحامى فى مكتبه ومحكمته ، والتاجر فى تجارته ، والزارع فى حقله وحديقته . ويختلف أثره فى نجاح حياة الفرد باختلاف نوع المهنة التى يقوم بها ؛ فأثره فى مهنة التاجر مثلاً أقوى وأظهر منه فى وظيفة عامل البريد . هذا إذا استعمل كل منهما ذكاءه فى إجادة عمله ، ولكن الذكاء وحده غير كاف ما لم يؤازره خلق كريم متين . والتاريخ يثبت أن عظماء العالم ، والعصاميين المبرزين فى الأعمال العامة ، قد امتازوا بالعقل الذكى ، والخلق القوى ، وأن من لم يتمتع منهم – إلى جانب الذكاء – بالخلق القويم ، قد رأى انهيار عظمته المؤقتة قبل وفاته .

وفى الحياة اليومية يساعد الذكاء على التهيؤ الخلقى المناسب . فالذكى يعرف الظروف المحيطة به بسرعة ، ويدرك ما تتطلبه هذه الظروف ، ويعرف أيضاً قانون بيئته الخلقى والاجتماعى ، فيتهيأ بلباقة ، ويتكيف بمهارة وقدرة ليناسب بين تصرفاته وبين بيئته وفقاً لقانونها الخلقى الاجتماعى المعتمد ، بعكس الغبى أو قليل الذكاء الذى لا يدرك بسرعة – أو مطلقاً – العلاقات بينه وبين الأحوال الطارئة عليه ، أو بينه وبين القانون الخلقى ، فتصدر تصرفاته عن خطل وحمق ، ويحاول العمل فى تخبط .

وقد يكون ذكاء المرء مصدر شقائه وفساد أخلاقه ، فيجعل منه ثائراً على نفسه وعلى المجتمع ، أو لصاً ماكراً ، أو مجرماً غادراً . ويحدث ذلك فى الغالب إذا كثرت حاجات الفرد ومطالبه ورغباته ، ولم يقو إنتاجه المادى المحدود ، أو لم تساعده البيئة ، على الوفاء بهذه الحاجات والرغبات ، فهو إما أن يضحى بهذه المطالب ويكبت هذه الرغبات ويكون حينئذ عرضة للنوبات العصبية والاضطرابات النفسية ، وإما أن يلجأ إلى تحقيق هذه المطالب وتلبية الرغبات بطريق غير مشروع ، فيحتال ويسرق ويغش ، ويصطنع كل السبل التى يصل بها إلى غاياته ويفلت من عقاب القانون . وقد يخونه ذكاؤه فيقع فى يد القضاء ، ويلقى الجزاء . ثم يعود سيرته الأولى بعد الجزاء ، ويستسيغ هذا النوع الجديد من حياته الشريرة . لأنه سقط فهوى ولم يجد من ينقذه بمعرفة سبب الجرم ؛ فإن كان فى نفس المجرم حاول إزالته وتوجيهه إلى الصالح المنتج المفيد ، وإن كان فى البيئة عمل على محوه وخلق تناسب بين البيئة وبين الفرد . ولذلك نجد فى السجون الأوربية معاهد للتثقيف والإصلاح ، ولتعليم الفنون والصناعات المختلفة كالزراعة ، والتجارة والطباعة ، والحياكة الخ حتى يجد السجين أمامه بعد مغادرة السجن وسائل الحياة التى تتناسب مع ذكائه . والتى تساعده على

(١) يجد القارئ معظم الأبطال المجرمين فى روايات إدجار والاس من الأذكياء كما فى رواية The Dark Eyes of London ورواية The Bregand

كسب ما يحقق رغباته فيتجه بذلك ذكاؤه اتجاها مستقيماً صالحاً ويتحقق المثل السائر « السجن مدرسة وتهذيب وإصلاح »

وقد لاحظ علماء القيادة المهنية Vocational Guidance أن أكثر العمال فى المصانع تذمرا ، والموظفين فى الشركات طمعاً هم أولئك الذين وضعوا فى مهنة أو وظيفة دون مستواهم الذكاوى ، فيكون هؤلاء دائماً مصدراً للمؤامرات ، وتدبير الإضراب ، والخروج على النظام . وكذلك وجدوا أن قليلى[1] الذكاء أو الأغبياء إذا ما وضعوا فى مناصب ذات تبعة وفوق مستواهم الذكاوى ، قصّر ذكاؤهم دون القيام بتبعاتهم ، فيعروهم الاضطراب والهم ، وينغمسون فى الشهوات والملاذ غير المشروعة ، ويسرفون ، وتكون عاقبتهم الجنون . فعدم التناسب بين الذكاء وبين العمل الذى يقوم به الفرد قد يقود لا إلى فساد فى الأخلاق فحسب بل إلى الأمراض العصبية والجنون

أنفق البروفسور سِرِل بِرْت ، رئيس معمل علم النفس وأستاذ المادة بجامعة كوليدج فى لندن ، ست سنوات يفحص فيها سيكلوجيا الأطفال المتمردين Delinquents ويقيس ذكاءهم . وقد قاس ذكاء ما يزيد على مائة ممن تتراوح أعمارهم بين ست سنوات وخمس عشرة ، وكان هؤلاء الأطفال يمثلون كل أنواع البيئات المختلفة فى لندن ، وقد أُرسلوا إليه لارتكابهم بعض الذنوب الاجتماعية كسرقة بخس الأشياء ، وكالشحاذة والاعتداء على المارة أو على زملائهم بقذف الأحجار ، وكإتلاف مال الغير ، والسقوط الجنسى ، وخروجهم عن طاعة آبائهم . وقد وجد أن متوسط العمر الزمنى لهؤلاء الأطفال المتمردين هو ١٣ر٢ بينما كان متوسط عمرهم العقلى هو ١١ر٣ . وقد استنبط من هذه النتيجة « أن الأطفال المتمردين ينقص عمرهم العقلى عن عمرهم الزمنى بنحو سنتين[2] » ثم استنبط — بعد دراسة وإحصاء — أن « ٧٪ من هؤلاء الأطفال ضعاف العقول أو ناقصوها » feeble minded or defective . هذا وإذا علمنا أن نسبة ضعاف العقول بين جميع السكان — كما ثبت نظريا — هى ٢٪ اتضح لنا مقدار زيادة ضعاف العقول من الأطفال المجرمين والمتمردين .

ويقول الأستاذ برت أيضاً[1] : « ولا يتعارض الذكاء الفائق مع التمرد ، ولكن المشاهدة تدل على أن وجوده بأية درجة بين المتمردين يعد نادراً »

ويرى الأستاذ فى كتابه « الطفل المتمرد[2] » أنه من الضروى أن ندرس الطفل المتمرد لا من ناحية ذكائه وضعفه العقلى فقط ، بل يجب أن ندرس بيئته ولا سيما المنزلية ، لأن حال الأسرة الوجدانية المضطربة ، وإهمال الطفل وترك حبله على غاربه ، كل هـذا له من الأثر ما لضعف العقل فى إيجاد روح التمرد والإجرام عند الطفل . والفتاة البالغة التى لا تجد فى المنزل إلا شقاء وسوء معاملة تسرع إلى هاوية الفساد ، وبخاصة لأن ضعف عقلها يعرقل نجاحها فى الحياة الاقتصادية والعملية والاجتماعية فلا تعرف كيف تحل معضلاتها ، وتخلص من شقاء المنزل بطريق تضمن لها الحياة وشرف العرض

وقد أجرى الأستاذ لويس ترمان بعض التجارب لمعرفة العلاقة بين الذكاء والخلق وقرن بين مجموعة من الأطفال ذوى ذكاء مختلف الدرجات تبلغ ٥٣٣ ومجموعة أخرى مساوية لها من الأطفال النابغين ، ووجد أن المجموعة الثانية على خلق أسمى من الأولى فى صفات الصدق والأمانة والشفقة ويقظة الضمير ، كما وجدها تمتاز جداً بالمثابرة والإرادة القوية

من أجل هذا عنيت الأمم الأوربية والأمريكية بتعيين علماء نفسيين فى المحاكم ، وفى أقسام البوليس ، وفى مجالس التعليم الإقليمية والمدنية ، ليعينوا القضاة ورجال البوليس ورجال التعليم بدراسة الأطفال والكبار المتمردين[3] والمجرمين الذين يشك فى ذكائهم ومقدرتهم العقلية ، حتى يكون الجزاء مبنياً على ظروف الجريمة وحال المجرم العقلية . وفى لندن والمدن الأمريكية الكبرى — غير علماء النفس هؤلاء — عيادات سيكلوجية Psychological clinics يُرسل إليها المتمردون والمجرمون لفحصهم والتقرير عن حالهم .

(بخت الرضا — السودان) عبد العزيز عبد المجيد

---

(١) انظر كتاب الأستاذ ولم مكدوجل An Outline of Abnormal Psychology طبعة لندن سنة ١٩٢٦ م

(٢) انظر كتاب Mental and Scholastic Tests للأستاذ سرل برت طبعة سنة ١٩٣٢ م

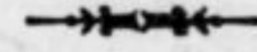
(١) صفحة ١٨٨ من هذا الكتاب

(٢) The Young Delinquent طبعة لندن سنة ١٩٢٥ م

(٣) أصبحت هذه الدراسة الآن داخلة ضمن علم النفس الجنائى

حول «السفاح» أيضاً

للأستاذ عبد الحميد العبادي



من حسن حظ أمير المؤمنين أبي العباس أن انتدب عالمان جليلان هما الأستاذ أحمد أمين والأستاذ محمود محمد شاكر لمناقشة رأيي في لقب (السفاح) الذي ألصقه بأبي العباس بعض أدباء المؤرخين أو مؤرخي الأدباء ظلماً، كما أعتقد وكما دلني البحث والتتبع. ثم إن الأستاذين الجليلين أخذا برواية المؤرخين الأدباء أمثال الجاحظ وابن قتيبة وأبي الفرج الأصفهاني، ولكن تدليلهما، على طرافته وبراعته، لم ينقض حتى اليوم ما سقت من الأدلة فضلاً عن أن يهدمها. وإني مجمل لقراء الرسالة الغراء رأيي في هذا الموضوع، ثم متبع ذلك باستدراكي على ما اعترض به عليّ الأستاذ شاكر

لقد رجعت إلى سيرة أمير المؤمنين أبي العباس قبل الخلافة وأثناءها، فلم أجد فيها ما يسوغ تلقيبه بالسفاح بمعنى القتّال. ثم رجعت إلى قصيدة ابن أبي شبّة العبْلي التي رثى بها بني أمية، وهي المصدر المعاصر الوحيد لأبي العباس، فلم أجد الشاعر ذكر فيها الكوفة ولا الحيرة ولا الأنبار، وهي المواضع التي أقام فيها أبو العباس في خلافته، في حين أنه ذكر المواضع التي قتل فيها بنو أمية على أيدي عبد الله بن علي وداود بن عليّ بالشام والحجاز. ثم انتقلت بعد ذلك إلى الرواية التاريخية القديمة القائمة على الضبط والتحقيق كرواية ابن سعد، وابن عبد الحكم، والبلاذُري، وأبي حنيفة الدينوري، وطيفور، واليعقوبي، والطبري، والنوبختي، والكندي، فلم أجد من هؤلاء الأعلام واحداً لقب أمير المؤمنين أبا العباس بالسفاح. هنا لك ترجح عندي أن لقب «السفاح» لم يكن أصلاً لقب أبي العباس. ثم رأيت أن ابن سعد واليعقوبي وصاحب «أخبار مجموعة»، وصاحب كتاب الإمامة والسياسة، يسندون لقب «السفاح» إلى عبد الله بن عليّ عم الخليفة أبي العباس وعامله على الشام. ووجدت أن سيرة عبد الله ابن عليّ هذا مما يسوغ تلقيبه بهذا اللقب كل التسويغ، فهي سيرة جبار طاغية قتال حقاً. فثبت عندي أن اللقب لقب به أصلاً عبد الله بن علي المذكور. ولما كان عبد الله بن علي قد ادعى الخلافة فعلاً وثار على أبي جعفر المنصور بالشام، وخاطبه الشعراء بالخليفة، فقد أصبح معروفاً بالشام لذلك العهد بأمير المؤمنين عبد الله السفاح. ولكن الخليفة أبا العباس هو أيضاً يسمى عبد الله، فقد وجد نوع من اللبس بين الخليفة الأصلي والمدعي للخلافة. ومما يقوي فكرة وقوع هذا اللبس أن ابن الأثير عند ما ذكر حادثة تحريض سديف الشاعر على قتل بني أمية أسندها أول الأمر إلى عبد الله بن علي ثم عاد فقال: «وقيل إن سديفاً أنشد هذا الشعر للسفاح ومعه كانت الحادثة» فقد نسب إلى أبي العباس مأساة قتل بني أمية مع أن المرتكب لها على التحقيق هو عبد الله بن علي، والخلط في نسبة الحوادث المفظعة التي أتاها عبد الله بن علي إلى أبي العباس جرّ معه انتقال لقب «السفاح» إلى أبي العباس. وإني أعترف بأن هذا تأول مني واجتهاد، ولكنه اجتهاد في حدود النصوص والوقائع الثابتة، وليس مجرد ادعاء كما وصفه الأستاذ شاكر في العدد ٣٤٢ من الرسالة الغراء

هذه خلاصة بحثي في هذا الموضوع. ولقد نشر الأستاذ شاكر في مجلة «الثقافة» مقالاً قيماً عنوانه «كلمة في التاريخ» امتدح في بعض حواشيه بحثي هذا حتى لخيل إلى أن الأستاذ أخذ بوجهة نظري في هذا الموضوع واغتبطت بذلك أيما اغتباط، ولكني رأيت الأستاذ عاد فأعلن في العدد ٣٤٠ من الرسالة أنه يخالفني كل المخالفة ووعد يبحث الموضوع. وقد بحثه في العدد ٣٤٢ من الرسالة، وبحثه يقوم على أمور: أولها أن لقب (السفاح) مضافاً إلى أبي العباس إنما هو للمدح لا للذم، ومعناه الكريم المعطاء للأموال. وثانيها أن أحاديث من أحاديث النبوءات يراها الأستاذ صحيحة قد ذكرت (السفاح) بالمعنى المذكور، فليس بعيداً أن يكون أبو العباس قد لقبه أبوه بهذا اللقب قبل الخلافة تفاؤلاً. وثالثها يقول بوجوب الأخذ برواية الجاحظ التي تلقب أبا العباس بالسفاح. والذي يمنع عندي من الأخذ بالأمر الأول هو أنه ليس له سند تاريخي، واللفظ من حيث اللغة يحتمل أن يكون للمدح وأن يكون للذم. فما النص التاريخي الذي يخصصه للمدح؟ أما من حيث الأمر الثاني فلنفرض أن الأحاديث والروايات الواردة في السفاح والمهدي والسفياني والقحطاني والملاحم صحيحة، فما الدليل على أن أبا العباس قد لقبه أبوه بالسفاح تفاؤلاً واستنجازاً لموعود هذه الأحاديث؟

أما من حيث رواية الجاحظ فلست أدري كيف يوفق الأستاذ شاكر بينها وبين تفسيره السفاح «بالكريم المعطاء فإن السفاح»

ذكرى مولد الفاروق

١١ فبراير

خلدي يا مصر أيام المليك

للأستاذ مراد الكرداني

...وهذا يوم من أيامك الزُّهر الوِضاء يا مولاى، يعتز ويتيه على الزمن كله ، ويختال على أيام هذا البلد الأمين ، بأنه كان فجر السعد وفتح اليمن، وبداءة النصر بعد عنت الجهاد، ولمعة الأمل فى ألم الليل الذى تحلّك وتدجّى ، ثم امتد واستطال

هذا يا مولاى أول أيامك على الدنيا يعود ، وما يزال يعود . أشرق — يوم أشرق — على هذا البلد السعيد إشراق العز ، وهلّ عليه كصيِّب الغيث . ثم سمى فيه كسمى النسيم الريان ، فكان بِشراً بين يدىْ رحمة الله التى غمرت أقاصِىَ هذا الوادى ودانيه ، وكان نعمة فاضت بجددها الذى لا يفيض ، وخيرها الذى لا ينتهى ، وبرّها الموصول إن شاء الله

هذا يا مولاى أسعد يوم أحقُّ أن أقول فيه ... عادت مصر به وكأنها نفس سابحة على مدّ أملها تستشرف العز الذى انحسرت عنه ظلمات الأفق وتستحث المجد الذى بدا صوراً آخذاً بعضها بيد بعض، وتتعجل النصر الذى رصدت مطلعه متلهفة صابرة منذ آماد طوال !

ولقد شاء القدر الراحم أن يكون ميلادك، يا زين الشباب، أول منحة بعد أطول محنة ، وأن يكون بهاء بعد رَهق البلاء . وذلك فيض من الله عميم ، فإن الفضل للمحنة أن تكون طُهرة واستعداداً وتهيؤاً لتكون المنحة إثرها وثوباً إلى الغد ، وتطلعاً نحو المجد

ثم أشفق هـذا القدر على هذا البلد ، وأنت يا مولاى حلٌ بهذا البلد ، فوَسَم أيامك عليه بالخير واليمن وجرى فيه أمداداً متلاحقة من العز والميسر ، وتبدّى فى رحابه رُؤىً رائعة كلها نصر وتوفيق ، حتى بلغ القمة ، وتسنم الذّروة ... ثم حمل الراية ومضى يقود الشرق العظيم إلى منازل العزة ومشارف المجد . . .

ومن ثَمّ كانت ذِكَرُك يا مولاى تدْرُجُ على ربوع هذا الوادى الأمين . وكأنها مُنَى حلوة تراوِحُ قلبَ عذراء موعودة . أو كأنها نسمة تناسم روح حبيب فكنت يا مولاى المنى والنسمة ... وكان شعبك الوفىُّ الكريم ، القلبَ الموعود ، والروح المنتظر !

لقد سنحت يا مولاى سنوح الرضا ، ولُحتَ كما يلوح الحق بين شبه الباطل ، فكنت فينا معجزة إلهية لحت بالنور المجيب ، يتطيّفُ هادياً مشرقاً من نبع قبسه الذى هو أنت . فكأنك يا حبيب الحبيب(١) عرق من النور الأعلى ما يزال يترسل ويتضوأ على نسقه وطبعه حتى يضح كلُّ الذى حوله . ومن ثَمّ يشرق به ومنه ، ومن ثَمّ يتضوّءان معاً ... وأنت يا مولاى كما أنت نور على نور ، وهو ، لا كما هو ، وإنما استحال خلقاً آخر غير الذى كان ، أعنى أنه أشماس ، وكان قبل فجراً من طول ما ران عليه !

سبحان الذى ألهمك يا مولاى أن الأُسوة خير من القسوة، وأن القدْوة أفعل فى النفس من القدرة. فجمل كما لك وحياً وحيًّا يفعل فى النفوس على طبيعته وفى طبيعتها ، فلا يزال بها حتى يحيلها كمالاً كلها ، وطهراً كلها ، وسلاماً كلها . كما أنت — يا أمير المؤمنين — جمع ذلك كله ... والسعود أقدار يا مولاى ... فلله ما أكرمك عليه حين جعل سبيلها إليك أجرَ من اهتدوا بهديك وسموْا وراء خطوك ... ولله ما أكرمك عليه ، حين عمّرْتَ بالشباب أبهاء المسجد ، وحين نضرْتَ بهم وجه الدين ، ويوم انطوت أيديهم على حبات المسبحة ، وكانت قبل لا تُفلتُ الدخينة ، ويوم جمعتهم على الهدى وكانوا شيعاً على الحقد والضغينة .

مولاى يا وارث المجدين، ويا فارق المهدين، يا أمير المؤمنين... يا سليل الأمجاد ، ويا شبل فؤاد ، عيدك يا مولاى سيد الأعياد ... ويومك غرة الأيام ... وزين الزمان ...

صان الله شبابك الغالى ، وأمدك بالعافية كلها ... ونَضّر بالخير أيامك . ووسم بالسعد عهدك وزمانك ...

وليحفظ الله الأميرة الغالية فى مجد المليك ، وعز المليكة ، وهناءة البيت الملكي الكريم ....

مراد الكرداني

(١) الحبيب : الرسول الكريم عليه السلام

فى كتب الجاحظ وابن قتيبة وأبى الفرج معناه « القتال السفاك للدماء »

أليس يرى الأستاذ شاكر بعد ذلك أن الأدلة التى أقمت عليها رأيى أكثر تظاهراً وتسانداً، وأشد رجحاناً من رواية المؤرخين الأدباء ؟ هذا اعتقادى على كل حال .

على أنى قبل أن أختم هذه الكلمة ، أحب أن أعترف بأنى أفدت من بحث الأستاذ شاكر فائدة كبيرة ، فقد علمت منه أن نص اليعقوبى القائل بأن عبد الله بن على هو السفاح ، منقول عن ابن سعد فى طبقاته .

عبد الحميد العبادى



ساع فى الدرجة الخامسة!

بلغها بدماثة خلقه ، لا ريب عندى فى ذلك . ومن كان فى ريب مما أقول فليعرفه من كثب كما أعرفه ، ثم لينظر فإن لم يمح اليقين من نفسه الريبة فأنا المخطئ وهو المصيب ...

وإن أنداده ليعجبون كيف يتخطى أكثرهم إلى تلك الدرجة التى باتت عندهم حلماً من الأحلام ، وإنهم ليقسمون أنه دونهم فى الكفاية ، ويستدلون على ذلك ، إذا لم يغن القسم ، بأخطائه الجسيمة التى لم يسأل قط عن شىء منها ، وذلك ما يزيد دهشتهم وحيرتهم

ولكنى أنا أعجب كيف فاتهم دماثة خلقه ورقة شمائله ولطف معاشرته ، وإليها مرد ما نال من حظوة! ومتى كانت تقدر الأعمال بالكفاية فحسب ؟ وإن من الكفاية ما يلحق بصاحبه الأذى ، وإن منها ما يقف بينه وبين ما يشتهى

رأيته أول مرة فرحب بمقدمى ترحيباً ملك قلبى ، وأقبل على يحدثنى ويجود على من الألقاب بما كاد يعترينى الزهو ويداخلنى الغرور من أجله . وما هى إلا دقائق حتى كنت منه كما لو كان يعرفنى من زمن بعيد . وآية ذلك أنه صار يعرفنى إلى أقرانه وهو يشير إلى فطنتى وسعة اطلاعى ويثنى على كرم خاتق ، كل ذلك فى طلاقة أدهشتنى وإن كادت تضحكنى ضحكات لست أدرى ماذا كنت أسميها !

وتاقت نفسى إلى رؤيته أمام رئيسه . ولم يطل تطلعى فقد أقبل الرئيس فرأيته يثب من موضعه فينظم وضع طربوشه على رأسه ويزر حلته ويهرول تجاه القادم مبتسما ، حتى إذا دنا منه أقبل على يده فى لهفة ولسانه يلهج بالسؤال عن صحة « سعادة البك » وأنجال « سعادة البك » ويجيب فى سرعة ونشاط على سؤال وجه إليه بقوله : « نعم كما أمرت سعادتك يا سعادة البك » ... وأعجبنى لعمر الحق دماثة خلقه هذه واستيقنت نفسى من أدبه وظرفه

وانقضى يوم فازددت اطلاعاً على حسن شمائله وجميل تواضعه ، فهو يعزو كل شىء إلى همة سعادة البك ، وهو لا يفعل شيئاً إلا « بأنفاس سعادته » وهو لا يكتم خبراً ولا يضن بحديث سمعه على رئيسه ، فذلك عنده من الأمانة والإخلاص . وإن عبارات الإجلال والتعظيم لهذا الرئيس لتثب إلى ذهنه فى سرعة عجيبة ولباقة مدهشة ، أعجب معهما لمن ينكرون عليه الكفاية حتى لا يسعنى إلا أن أنكرها عليهم هم ، وإن كنت فى ذلك مثلهم إلا أننى لا تحركنى الغيرة للعيب عليه

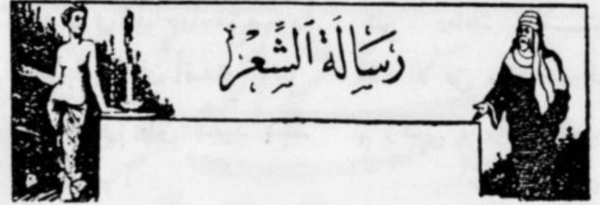
ورأيته لا يقع بصره على رئيسه مبارحاً إلا حضر إليه مودعاً ولكنه يمشى على قيد خطوة أو خطوتين وراءه ، وذلك لا شك تأدب منه ، وإن تقول عليه خلاف ذلك المبطلون الذين يحقدون عليه لبلوغه دونهم الدرجة التى يتحرقون شوقاً إليها

وهو مرب على رغم ما سماه به بعض المغيظين منه ؛ وإنه ليشعر أن من واجبات مهنته أن يوحى إلى تلاميذه دماثته وأدبه وأن يلهمهم الصدق ويعودهم احترام النفس . وإنه ليعتقد أنه يفيد طلابه من هذه الناحية أكثر مما يفيدهم غيره من أقرانه ؛ وإلا فمن بلغ مبلغه منهم من الدماثة وكرم الطبع ؟

ولن تفوته فرصة لإظهار دماثته تلك التى أصبحت مضرب المثل بين عارفيه ، وهو لا يرى من وراء ذلك إلا إلى أن يكون فيه لأبنائه أسوة حسنة ، ولن يبتغى عليه جزاء ولا شكوراً . ومن أروع مواقفه التى لست أشك أنها من خير ما يقتدى به ، أنه التقط ذات مرة على مرأى من الطلاب جميعاً دخينة سقطت على الأرض من يد رئيسه فأعادها إلى الرئيس ، ولكن ما كان أعظم دهشة الطلاب أن يروا ذلك الرئيس يقذف بها بعيداً بعد أن يأخذها منه وهو عابس الوجه وعلى شفتيه ما يشبه الازدراء وما لا يكون إلا استنكاراً . ولقد قارن الطلاب لا شك بين رقة الأستاذ وغلظة الرئيس ، ولست أدرى أيهما كانت أقرب إلى نفوسهم البريئة

وشاعت الحادثة فى الزملاء الحاقدين منهم والمسالمين ، فقال أحدهم : « ما أراه إلا ساعياً فى الدرجة الخامسة » . فقلت : وكيف يكون ساعياً من كان فى الدرجة الخامسة ؟ فنظر إلى آخر نظرة غاضبة كأنما ضايقه جهلى وقال : وإنك لترى من هؤلاء من هم فى الرابعة وإن شئت ففى الثالثة ... والطريق إليها جميعاً مهل معبد ولكن لمن يرضى أن يكون ساعياً

(الخفيف)



الأمسية الحزينة

للأستاذ محمود الخفيف

حطّت على الأفق ظلالُ الغروبْ … كالشَّجَنِ الطارقِ
وراح يمحو البِشْرَ فيه القطوبْ … في خطْوِهِ السارقِ
هذا السَّنا عما قليلٍ تذوبْ … ألوانُهُ في سَيْلِه الدافقِ
صوّر لي يا عيْنُ هذا الشُّحوبْ … بَرْحَ الضَّنَى في وَجنةِ العاشقِ

***

يا وَيْلتا ما بالُ هذا المساءْ … يَهيجُ أشجانيَهْ
توحي إلى النَّفسِ معاني الفَناءْ … أضواؤُهُ الفانيَهْ
يا هولَ ما يحكي رَقيعُ السماءْ … للعيْنِ في أطرافِهِ الفانيَه
والرِّيحُ كم غنَّتْ لِسمْعي البُكاءْ … وأسلَمتْ للوجدِ ألحانيَه

***

كم أحزنَتْ رُوحي هذي الظِّلالْ … وأزْعجَتْ ناظِري
كم أيقظَتْ في خاطري من خيالْ … عنْ أمسيَ الدابرِ
كأنما ألمحُ فيها المآلْ … لِكلِّ مَوْموقِ السَّنا باهِرِ
وا لهفتا أغرَى بِقلبي الضَّلالْ … هذا الأمى الحيرانُ في خاطري

***

أرْقبُ في الأُفْقِ تهاويلَهُ … طافيةً لاعِبَهْ
يا مُجْتلَى ما إنْ أرَى مِثلَهُ … إلا المُنى الكاذِبَهْ
تلكَ التَّصاويرُ التي حَوْلَه … كم أشبهَتْ أحلاميَ الذاهبه
بالأمسِ قلبي كان يهفو له … جذْلانَ يَهوَى شمسَهُ الغاربه !

***

تذكَّري أنَّ وراءَ الأفولْ … والليلِ صُبحاً يُرَى
يُلبِسُ معنى الحزنِ هذي الفُلولْ … حتى تُرَى أكْدرا
ياليتَ «ليلي» مُعقِباً إذ يطولْ … فجراً أرَجِّي صُبحَهُ المسفرا
اللهَ لي في حُلْكةٍ لا تحولْ … في يقظةِ الليلِ ولا في الكرَى !

***

تزايَدُ الكدرةُ بين الغصونْ … ما ازداد غِشيانُها
تُذكِّرُ القلبَ غواشي الظنونْ … وَسوَسَ شيطانُها
ستشربُ الخضرةَ هذي الدُّجونْ … ويُغرقُ الأرواحَ طوفانُها
وتشبهُ الظُّلمةُ فيها المَنونْ … تَهيجُ بالوَحشةِ شطآنُها

***

يا ظُلمةَ الليلِ نَسيتُ السَّنا … ونمتُ عنْ رَوْعتِهْ
قلبي المعنَّى قبلَ مَوْتِ المُنى … كم هامَ في فِتْنتِهْ
كم هامَ بالصُّبحِ كسا الأغصُنا … بالساكبِ المُنهلِّ مِن غُرّتِه
يَرفُّ مأخوذاً بهِ ما دَنا … ويُنهِلُ الفرحةَ من طلْعتِه

***

الويلُ لي ازدادَ حولي السُّكونْ … إلا أنينَ الرِّياحْ
كأنما طافَ الكرَى بالغُصونْ … ولَفَّها بالجناحْ
ساهمةٌ تقرأُ فيها العيونْ … هذا الأمى الساري بكلِّ النَّواحْ
ياويحَ قلبي أذهلَتْهُ الشُّجونْ … حتى كأنْ لم يَدرِ معنى المِراحْ !

***

ذابتْ على الجوِّ فلولُ الرَّقيعْ … وماتَ فيهِ السَّنا
وأنكرَتْ عيناي هذا القطيعْ … أقبلَ وانِي الخُطى
في إثرِهِ يشكو وما مِن شَفيعْ … الصامتُ المكدودُ، طولَ العنا
ودَوَّمَ الخفَّاشُ حولي يُذيعْ … في خفقِهِ قُربَ نُزولِ الدُّجى

***

واحرَبا ما انفكَّ مرأى الأصيلْ … يوقظُ أوهاميَهْ
يُعيدُ للنَّفسِ مساءَ الرَّحيلْ … وسُودِ أياميَهْ
حينَ افترقنا بعدَ صمتٍ طويلْ … لا قولَ إلا الأدمعُ الهاميَه
والشمسُ تمضي غيرَ نورٍ ضئيلْ … مُحتضَرٍ يفنَى كأحلاميَه

***

مضَيتُ لهفانَ أذودُ الجوَى … عنْ قلبيَ اليائسِ
أقولُ دعْ ذِكرانَ يومِ النَّوَى … وعهدِهِ الدارسِ
قدْ كنتَ ياقلبُ نسيتَ الهوَى … إلا بقايا من أمَى هاجِسِ
رَبيعُكَ الطَّاقُ تولَّى سِوَى … وَساوِسٍ من زهرِهِ اليابسِ

***

١٧ . ١٤٠

الضنى

الضنى - لامسّكَ المعرِّضنى - إنه دنيـا بلاءٌ وعَنا
طيفُ عزريلَ إذا دقَّ على منزل فزّع فيه السكنا
ومحا الفرحة منه ، ومضى يملأ الأرجاء فيـه حَزَنا
الضنى - لاذقتَ أهوال الضنى - يَطحن العزم ويُوهى البدَنا
يومه كالليـل ، والليلُ به وقفة الحشر وأقسى مِحَنا
يتمنّى الموتَ صرعاه ، وكم ركب المضطر ظهراً خشِنا
صُوَر الدارِ إذا طاف بها طائف الأدواء تُدمى الأعيُنا
راقد يشكو ، وزوج حوله ترسل الدمع سحاباً هَتِنا
وأخ يدعو ، وأم رفرفت روحها حيرَى على ابن وَهَنا
وصغار خشعت أصواتهم واستكانوا يَنشدون الوَسَنا
ويحهم ! كم زلزلوا الأرض وكم عمروا الدارَ صياحاً وغِنا

***

يا صحيح الجسم نُعماكَ ! فلا تأسَ إن فاتَكَ موفور الغِنَى
إنما الصحة نبعٌ طالما فاض بالخير ومعسول المُنَى

فريد عين شوكة

خطرة فى داء

مطمحى فى الشفاء، أين الشفاء؟ أقعـد العجز همتى والداء
إنما مطمح الحياة شبـاب ما لمن يفقـد الشباب رجاء
كنتُ والريح طالمـا نتبارى بجناح تُطوى به الأجواء
كنتُ والطير طالمـا نتناجى بلسان يسيل منه الغناء
فلسانى قد أخرسته العوادى وفؤادى أودت به اللأواء
أقعدتنى عن التنقل رِجلٌ لستُ أدرى ماخطبها، ماتشاء ؟
تتأذى إذا هممتُ بسـير وإذا ساء جانب لى تُساء
بينما الداء ها هنا يتفشّى يتمشى كأنه الكهرباء
فإذا بالبـلاء لا يبرح الد نف حتى يجىء منه بلاء
يا عليلاً سميره الألم المضنى وعـواد دائه الأرزاء
هل تهدمتَ ، فاعتزمتَ أفولاً أو تخيلت أن تدانى انتهاء ؟
لم تزل قمة تناديك فانهض إنما مطمح الحيـاة ارتقاء

مدّ دامِيَ الجناح واخفق صعوداً تتلق دماءك الغـبراء
يا خيالى ! إن أقعدتنىَ رجلى فلك الأفق مسرحاً والسماء
إن روحى تأبى التقيد بالجسـ ـم وتعشى ، والغاية العلياء
(حلب) عدنان هنداوى

صراع !

تعاودنى الأوهام فى كل آنة فياليت أوهامى تزايل وحدتى
أرى بين هذا الناس فرداً، وإننى لجمع كثير لو دروا ما بطيّتى
بفكرىَ أضداد تترّب نورَه فليس بفكرى غير أشباح ظلمة
فطوراً أرانى هادئاً متبتلاً وطوراً أرانى فى ضلال وريبة
وقلبىَ مذعورُ الأناشيد تارة وطوراً يغنى فى صفاء وفرحة
صراع عنيف كدت من لزَباته أعيش بلا رشد ووعىَ وفطنة
نشأت على الدنيا أغنى .. فليتنى بقيت على الدنيا أردد أُغنوتى
وهت من يدى قيثارتى فتركتها محطمة تبكى غيابى وغربتى
وسرتُ كأنى مدبر من هزيمة عليه من الآلام أطياف خيبة
أنا الصارخُ الشاكى الحزين فليتنى أعود لأنغامى ونايى وأيكتى
تشاكيت .لكن لم تفدنى شكايتى ومازال صبحى غائماً مثل ليلتى
يقولون: مجنون فقلت : نعم نعم! وسر جنونى حيرتى وتملتى
كرهت الذى بالأمس كنت أحبه وأحجمت عما كان بالأمس شِرعتى
يعيش بنو الصلصال يلهون فى الدنى ويحيـا بنو الأنوار نهب الدجنة

***

خذوا من فؤادى وهمه وضلاله ومدوا على دربى شعاعى وسكّتى
تروني على قيثارتى مترنماً أغنى أغاريدَ الهوى والمسرة
وأنتم حيالى مطربون .. تهز كم لحون سماداتى وأقداح كرمتى

عبد العليم عيسى



الفن

كنت أرجأتُ الحديث عن « الفنّ الفرعونى » الذى أراد الدكتور طه حسين أن يجعله أحد المناصر فى « الغذاء الروحى والعقلى للشباب» فى عصرنا هذا ، وهو رأى متداولٌ قد دعا إليه فلان وفلان ممن استطارتهم العصبية فعصفت أعاصيرها بسداد الرأى وحسن البصر وكمال التقدير لما ينبغى أن نقيم عليه حضارتنا المصرية الإسلامية . والعصبية هى دليل الضعف ، وهى الآفةُ التى تتخون الرأى ، وهى الهدْم الذى يأتى بنيانَ العقل والعاطفة من القواعد حتى يدمّره تدميراً . وسنوجز القول ما استطعنا ، فإن الإفاضة والشرح والبيان مما لا يتسع لها هذا الباب .

فالفنان هو القلب النابض الذى يُفضى إليه الدمُ الحى الذى تعيش به حضارة أمته فى عصره ، وهو الفكر القلق النافذ المتلقف الذى ينقد الحياة الاجتماعية فى عصره يألفها أو يُنكرها ، وهو العبقرية المارِدة التى لا تخضع إلا لناموس الحياة الأعظم . والفنان بطبيعته الإنسانية فكرة معبرة عن حقيقة الاجتماع الإنسانى الذى يعيش عليه ، وعن طبيعة الأرض التى يمشى فيها ، والسماء التى يستظلُّ بها ؛ وكل أولئك ينشئ للفنان أفكاراً وأخيلة وأحلاماً تستمد غذاءها من ينبوعها الذى يتفجر بين يديه ولعينيه وفى قلبه

ونحن لو تتبعنا الآثار الفنية وتاريخها فى كل أجيال الناس من الهند والصين والعرب والترك والروم ، وكل الأمم القديمة ، وسائر الأمم الحديثة ــ لم تخطىء أثر الحياة الاجتماعية فى الأثر الفنى، ولا أثر الطبيعة الجغرافية فى جوّه الفنى. ونعنى بالحياة الاجتماعية كل ما تقوم عليه من الدين وعقائده وشرائعه ، وما يتميز به العصر من الأخلاق والعادات والوراثات والأساطير الشعبية التى انحدرت إليه من القدم ، ثم سائر أسباب الحضارة المعاصرة بكل مادتها وألوانها وحقائقها وأباطيلها . وأما الطبيعة الجغرافية ، فهى صورة الأرض بنباتها وأنهارها وفدافدها وحيوانها وغابها ، وما إلى ذلك ، وجو السماء بصفائه والتماعه وشمسه وقمره ونجومه وسحابه وثلوجه وصيفه وشتائه وربيعه، وغير ذلك مما يولّد فى نفس الفنان ألواناً من أخيلة الفن التى يريد تحقيقها أو تمثيلها أو إبداعها ؛ والأثر الفنى لا يمكن أن يكون خالياً من تأثير هذين العنصرين المميزين

فالفن ــ ولا شك ــ نتيجة من نتائج الاجتماع الإنسانى والطبيعة التى تحتضنه، فهو يتأثر بها تأثراً بيناً، لمكان الإحساس المرهف البليغ من الفنان القدير المتمكن . فأعظم الآثار الفنية التى يعدها الجيل الأوربى ــ مثلاً ــ فى طليعة العبقرية الفنية ، هى الآثار العظيمة الخالدة ، التى نشأت وربت وترعرت وامتدت تحت ظلال الكنيسة والعقائد المسيحية ، التى عاش فى مدنيتها للفنانون الذين أبدعوها ، وتأنقوا فيها وبالغوا فى إتقانها ؛ ونحن لا نحتاج هنا إلى أن نضرب المثل بفلان وفلان من الفنانين الإيطاليين والفرنسيين وغيرهم ، ولا أن نعدّد آثارهم التى بقيت إلى اليوم أصلاً للفن الأوربى الحديث . وهذه الآثار كما يشاهدها الشاهدون تختلف باختلاف الطبيعة الجغرافية التى هى سببٌ ثان فى إنتاج الفنان . فكذلك الفنون الصينية والهندية تتميز بالاجتماع الوثنى الذى يعيش فيه الفنان الصينى أو الهندى ، وبطبيعة البلاد الهندية والصينية . ونحن لا نشك أن أعظم الفنون والآثار عامة قد كان نتيجةً لازمة للعقيدة الدينية ــ وثنية كانت أو إلهية ــ وللطبيعة الجغرافية التى تمد عليها من ظلالها ؛ وأن الدين والعقيدة هما عماد الاجتماع وأصله وأعظم مؤثر فى توجيه أغراضه وحياطتها وتدبيرها وتوليدها ، فهما إذن أصل قائم فى الحضارة التى تدين بهما مهما تطورت بعد ذلك وخرجتْ عليهما فأهملتهما . وذلك لأن الشعوب تحتفظ من الأديان بخصائص كثيرة لا يمكن أن تؤثر فيها تطوراتُ الحضارة المدنية الخاضعة للعلم والسياسة وما إليهما.

الفن الفرعونى

فالفن الفرعونى ــ بغير شك ــ ليس إلا نتاجاً مركباً من الوثنية المصرية الفرعونية والطبيعة المصرية الرائعة القوية ، وأثرها بيِّن فى هذه الأبنية الضخمة بتماثيلها الغريبة المتقنة المختلفة الدلالات على المعانى الدينية المصرية القديمة ، وعلى الأصول

الاجتماعية الخاضعة للوثنية الفرعونية التى كان يعيش عليها الشعب المصرى القديم. فهذه الديانة القديمة الجاهلية التى عبدت أوثانها وتقدست بعقائدها الباطلة، وخضعت لأساطيرها الرهيبة المخيفة، واستمدت تهاويلها من الإيمان بجبَريّة هـذه الأوثان والقوى الطبيعية المختلفة كالشمس والنيل والتمساح وكذا وكذا من الأوهام البالية، هى التى أنتجت هذا الفنَّ المصرى القديم بمعابده وتماثيله وكتابته الهرغليفية المعبِّرة أدقَّ تعبير عن حقيقة المدد الفنى للآثار المصرية الفرعونية

والفنّان الفرعونىّ لم يستطع أن ينشىء هذه الآثار الهائلة الغريبة التى بقيت هذه القرونَ الطوال تتحدى الزمانَ المُتطاوِل عليها، ولم يمنحها هـذا الجبروتَ الهائل والاستبداد الطاغى إلا بالقوة التى أنشأتها ودبرتها له عقائدُه الوثنية الرهيبة، وإيمانُ المجتمع المصرى بها إيماناً خاضعاً مُتعقباً أيضاً، وأعانتها الطبيعة الجغرافية المصرية العظيمة بشمسها وقمرها وصيفها وشتائها، وصحرائها التى تحفُّ بالنيل العنيف المتدفق بسلطانٍ طاغٍ كسلطان الفراعنة الملوك. كل أولئك أثار الفنانَ وأمد إحساسه المرهف بالمادة التى استطاع أن يصوغ فيها فنه الوثنى العبقرى

وعلى ذلك فيجب أن نقرر أن الفن المصرى الفرعونى ـ على دقته وروعته وجبروته ـ إن هو إلا فنٌّ وثنىٌ جاهلىٌّ قائمٌ على التهاويل والأساطير والخرافات التى تمحقُ العقلَ الإنسانىَّ، فهو إذن لا يمكن أن يكون مرة أخرى فى أرض تدين بدين غير الوثنية الفرعونية الطاغية ـ سواء أكان هذا الدين يهودياً أم نصرانياً أم إسلامياً أم غير ذلك من أشباه الأديان

تمثال نهضة مصر

وهذا «تمثال نهضة مصر» القائم فى «ميدان المحطة»، والذى أقامه المثال القدير «مختار»، أنا أراه فلا أرى فيه إلا تقليداً فاسداً لآثار حضارة قد دثرت وبادت ولا يمكن أن تعود فى أرض مصر مرة أخرى بوثنيتها وأباطيلها وأساطيرها وخرافاتها. نعم، هو تقليد رائع يدل على قدرة الفنان الذى نحته، ولكنه لا معنى له الآن فى مصر الإسلامية. هل يستطيع الفنان الذى نحته وأقامه أن يعيد فى مصر تاريخ الوثنية الجاهلية، واجتماعَ الحضارة الفرعونية، وما يحيط بذلك من الأبنية الضخمة التى شادها أوائله، والتى كانت وحياً للفنان الفرعونى الذى عبد الشمس وخضع لفرعون وأقر له بكل معانى الربوبية، وآمن بالأباطيل والأساطير والتهاويل الدينية الوثنية الضخمة الهائلة المخيفة التى قذفها فى قلبه أبالسة عصره من الجبارين والطغاة؟ وهل يستطيع أن يجعل فى أرض مصر شعباً وثنياً متعبِّداً للفراعنة والجبابرة بالخوف والرهبة والرعب حتى يتأثر بمعنى هذا الضرب من الفن المصرى القديم؟ ولكن أفى مصر الآن من الشعب من يستطيع أن يجد له معنًى أو تأثيراً أو اهتزازاً إلا من القدم وأخيلة القدم؟ كلا ... كلا

لقد ذهب كل هذا، لقد دثر، لقد باد. إن الأصول الفنية التى يكون بها الفن فناً قلما تتغير، وهى ممكنة دائماً فى كل الآثار على اختلاف أنواعها وبلادها وأراضيها وأديانها، ولكن روح الفن هى دين المجتمع وعقائده وطبيعة أرضه وسائرُ أسباب حضارته، وهى التى تمنح الفنان القوة والقدرة على الإبداع، وهى التى ترفع فنه أو تضعه

وإذن فدعوة الدكتور طه إلى الاستمداد من الفن الفرعونى ـ كما استمد «مختار» ـ ثم دعوته إلى جعل اجتماعنا اجتماعاً إسلامياً، ثم استمدادِنا أيضاً من الفن الإسلامى ـ تناقضٌ عجيب فى أصل الرأى، لا يمكن أن يكون ولا أن يُعمل به إلا إذا شئنا أن نوجِدَ لمصر حضارةً مقلَّدة ضعيفة ملفَّقة من أشياء ليست نتيجة ولا شبه نتيجة للاجتماع المصرى الإسلامى الحديث الذى ندعو إليه ويدعو إليه الدكتور طه حسين !!

وبشر أيضاً !!

يقول بشار بن برد لخَلَف بن أبى عمرو فى حديث جرى بينهما معابثة ومزاحاً :

ارفق بعمرو إذا حركتَ نسبته ... فإنه عربىٌّ من قوارير

وصديقى «بشر» قارورة عطر نشوان من نفحات روحه، قارورةٌ عربيةٌ معربدةٌ تختال بطيبها تيَّاهةً من الخفة والطرب. وأنا أرفق به ولكنه يأبى ـ كرماً منه ـ إلا أن يتحطم فى يدى ليسكب طيبَه عليها فيعبَقُ بها، ويبقى أبداً يتضوع منها نسيماً يسكر، ويَعلق بهذا القلم من عطره أثرٌ خالد كرائحة الحبيبة فى ذكرى الحب، و«للرسالة» بعد ذلك من شذاه ما يفور وما يتوهج وما يسطع من نضح عبيره

وبشر ـ هذا الإنسان الرقيق ـ يتجهم لى ويعلأ علىّ «بريد

الرسالة » زلزلة ورعداً وبرقاً وصواعق ... ويبصرنى بفروق اللغة بين « وَضَع بحراً » و « اخترعه » ! ! وأنا بلا شك لا أستطيع أن أشغل نفسى بتبصيره بمنطق اللسان العربى . ثم لا يكتفى بهذا بل هو يغلو فى تقديرى فيمدنى من « الخُلُق » الذى يقف على معانى الألفاظ العربيـــة من « الإكباب على قراءة الصحف اليومية » ! ! كلا ، بل يجوز ذلك فيعـلِّمنى مجاز العربية وحقائق بيانها ودقائق ألفاظها ! ! أوَّه ، بل هو يعرِّفنى بالقرآن لأنى « من عامة الناس فى هذا الزمان » ممن يفهمون القرآن — كلام الله — بما يغلب عليهم من عامية العصر ! ! ولا يكون كل ما يكتبه « بشر » من علمه هذا « إلا على جهة التسلى والتلهى » ! بلى ، فهو يرحمنى ويشفق على أن يدخل بى فى المقاييس العربية الدقيقة الغامضة التى تستهلك قوةَ العقل والإدراك ، فهو يأخذنى من قريب ! ! وأنا قد أخطأتُ وأسأتُ وأثمتُ وَحبِط عملى ، وَمَحَقَنى اندفاعى إلى شعر بشر « أتلمس » — هكذا قال بشر — أتلمس له الخطأ ! !

ولا كلٌّ هذا أيها العزيز ، « ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة » ، وأنا يا بشر لا أطاولك فى علم ولا فقه ولا بيان ولا معرفة ، فأنت أنت ، وأنا حيث أنا من العجز والبلادة ، ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه

ومن جَهِلتْ نَفسُه قدرَهُ   رأى غيرُهُ منه ما لا يَرَى

وأنا يا صديقى أقل شأناً وأضعف من أن أجرى فى عنانك ، ولكنك — إذ كتبت ورددت وأعطيتنى فوق ما أستحق فى نفسى — تحملنى على المركب الصعب ، فكان أولى بك أن تمهلنى ، فأما إذ أبيت فلا بأس عليك إذا أنا أقحمت نفسى معك ؛ فاصبر على هذا البلاء « فالحر يُظلم أحياناً فيَظَّلِم »

وقد زعموا — أيها العزيز — أنه كان رجل عِبَادِىٌّ بالحيرة البيضاء ، فلاقى ضحضاحاً من الماء لابد له أن يجوزه ويخوض فيه ، فاستعان الله وأقبل على الماء — وهو إلى الكعبين حسبُ — فلما دخله صاح : « الغريقَ ، الغريق ! » يستنجد أصحابه ، فتناولوه يسألونه : ما دعاك إلى هـذا وليس غرقٌ ؟ فقال : « أردت أن آخذ بالحزم »

وأنت — أيها الصديق — تأخذ بهذا الحزم ، فتهرول إلى « لسان العرب » ، و« أساس البلاغة » و« الألفاظ الكتابية » تحشد لى ما جاء فيها من مادة العربية فى قولهم « زلزل » ولا تكتفى بهذا بل تسعى إلى « الأغانى » (طبعة بولاق !) تقلب أوراقه ، تستخرج تراجم المغنين وأصحاب الملاهى كاسماعيل بن جامع وإبراهيم ابن ميمون الموصلى — وغيرهما فى دواوين العربية وأصولها — فتفلى ألفاظها وتجرى عينيك وراء أصبعك على حروف الكلمات عساك تقع على جملة يكون فيها « زلزل » وما يخرج منها وما يتداعى إليها ، ولا تكتفى أيضاً فتتناول من بين كتبك أحد فهارس القرآن الكريم — « وهو الحجة العليا فى مثل هذه المشكلات » — كما قلت وإن لم تقل ، فتجد اللفظ فى آيات بينات منه . فتجمع ذلك كله فى مقالك — أو ردِّك علىَّ — حشداً بارعاً عظيما تُضاهى به عمل « المستشرقين » الثقات الأثبات المتضلِّعين المتقنين المجيدين ! الذين لا يدعون للحرف مكاناً إلا نبشوه وتقصوه ورموا بعضه فوق بعض « أخذاً بحزم المبادى... » الذى عرفت . وهو أسلوب فاسد عندنا لا يعول عليه فى الحجة ، وإنما هو أسلوب ضرورى حسن حين يراد منه المقارنة والتدبر لاستخراج المعانى من الألفاظ وبيان سرها من الحقيقة والمجاز ودقة التصوير للأغراض التى نصبت لها هذه الألفاظ

والنصوص التى جمعتها وحشدتها ورتبتها تختلف فى حقائقها ومجازها فى العربية ، وأنت لم تشرح حرفاً واحداً منها تبين عن وجه مجازه على العبارة التى وقع عليهـا ، ولو كنت فعلت ذلك أو أحسنته لطويت كل الذى نشرته علىَّ وعلى القراء... تعلمنى به ما غاب عنى من « القرآن وهو فى صدرى ، والتفسير والحديث واللغة وهى شواغلى » — كما تقول — وأنا لا أضن عليك ، أيها الصديق ، بما يجمل لحشدك هذا — الذى رُعْتنا به حين تدفقته علينا — قِرانا ونظاماً يسلك فيه ويمضى عليه ، وَيعرف به من لا يعرف سرَّ البيان وكيف يكون مجازه على طريق اللسان العربى المبين ! !

فأصل الحرف « زلزل » من « زلَّ الشىء إذا زلق فتحرك فتدأدأ ، فر مراً سريعاً فى ذهابه عن مستقره » . فلما ضعِّفت

العرب الحرف، فقالوا: «زلزل وتزلزل»، ضاعفوا معنى هذه الحركة، فكان معناها الحركة الشديدة العظيمة والاضطراب والزعزع، وتكرار هذه الحركة مرة بعد مرة، حتى كأن بعض الشيء يَزِلُّ عن مكانه، فينقض على بعض ويتساقط ويتقوض. وإذن، فشرط مجاز هذا الحرف أن يكون لشيء يتحرك حركة عظيمة شديدة، فالرجل يتزلزل، والأقدام والأيدي والرؤوس والقلوب وما إليها من أعضاء الإنسان المتحركة حركة ما، وكذلك الحيوان كالإبل جاء راعيها بها «يزلزلها» أي يسوقها سوقاً عنيفاً كأنها تزلّ معه مرة بعد مرة، والمكيل في مكياله كالبر والشعير كل يتزلزل لأنه يحرك فيتحرك، والدار والأرض والدنيا كلها تزلزل لأنها تتحرك أو يجوز عليها الحركة فيتهدم بعضها على بعض، والنفس كذلك لأنها تضطرب في حيزوم المحتضر اضطراباً شديداً يتجلى في الكرب الذي يلحقه والضيق الذي يأخذه، فينتزع الأنفاس، ويضطرب القلب بالنبض الشديد، ويزيغ البصر، وتتحرك اليد والرجل في الحشرجة حركة كثيرة شديدة بتردُّد النفس في نزاع الموت والحياة. ومع ذلك فأنا أدع أشياء كثيرة لا أتناولك منها أيها الصديق.

أما الأذن... فالإنسان من بين جميع الحيوان هو الذي لا يحرك أذنيه ألبتة، لا في طرب ولا غضب، فما بالك وهي ليست مجرد حركة، وإنما هي حركة شديدة مهدِّمة لأنها زلزلة. فإذا علمت ذلك وتلقيته وتدبرته وأحكمته ولم يأخذك العناد عليه عرفت أنه لا يمكن أن تقول «أذني زلزلت» لأن الزلزلة تتطلب أصلها المقرر وهو الحركة والانتقال والزلّة بعد الزلّة من مكان إلى مكان ولو على وجه المبالغة. فدع أذنك من آذان خلق الله الذين صوّرهم فأحسن صورهم – إن شئت. وأنا لا أصنع في كلامك هذا تعباً فألتمس لك الخطأ كما تزعم، ولكن انظر يا بشر كيف يتكلم الشعراء عن الآذان وعن الزلزلة؛ يقول بشار في مغنية:

لعمرُ أبي زوّارِها الصَّيدِ، إنهم ... لفي مَنظر منها وحسنِ متاعِ
«تُصلّي لها آذانُنا» وعيوننا ... إذا ما التقينا والقلوبُ دَوَاعِ
إذا قَلَّدَتْ أطرافَها العودَ «زلزلتْ ... قلوباً» دعاها للوساوسِ داعِ
يروحون من تغريدها وحديثها ... نَشاوَى، وما تسقيهم بصُواعِ
لَعوبٌ بألباب الرجال وإن دنت ... أطيعَ التُّقى والنَّيُّ غيرُ مُطاعِ

فانظر صلاة الآذان بالخشوع والإنصات والسجود للصوت، وتأمل زلزلة أوتار العود التي تزلزل القلب بوقعها وتوقيعها. وكيف أتم المعنى بذكر الوساوس وهي قلق واضطراب... وأما أنت أيها العزيز

فلا تذهبْ بحِلْمِك طاميات ... من الخُيلاء ليس لهن باب
فإنك سوف تحكُمُ أو تناهى ... إذا ما شبتَ أو شاب الغراب

محمد محمود شاكر

رسالة الفن

من لوازم الفن

لو أكلت الشجرة أثمارها !

[إلى الذين يريدون منى أن أكون مؤدبا]

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— مالك مقطب الجبين ؟

— بعض الذين أحبهم ساخطون علىّ

— من طول لسانك . تعلم الصمت ... دارِ الناس ... تأدب تجدهم يحبونك ...

— إذا فعلت كذلك كرهت نفسى

— عجباً ! ألا تحب نفسك إلا إذا كنت شتاما ؟

— لست أشتم أحداً ، ولكن أرى ، وأفهم ، وأصف . والله يعلم أنى لا أقصد من وراء ذلك شيئاً ...

— هذا أنكى وأمر . فقد كنت أحسب أنك تقصد من وراء ذلك إصلاح الذين تذكر عيوبهم

— ربما كان ذلك يجول بخاطرى أحياناً . ولكن عندما تحتد بى الحكمة أشهد على نفسى بأنى عاجز عن هذا الإصلاح . فلهذا الكون إله يدبره ، وهو قد رضى عن ناس فهداهم ، وهو قد أضل ناساً لم يرض عنهم ، وقد أنبأ الله رسوله الحمد بأنه لن يهدى من أضل الله ، ومن أنا إلى جانب الرسول حتى أزعم أنى أهدى وأرشد ؟!

— إذن فما لك لا تسكت ؟

— لأن الله خلقنى ناطقاً ، فإذا لم أنطق عطلت رغبة من رغبات إلهى ، وأعدمت بيدى مبرر وجودى ، وكنت بعد ذلك جديراً بالفناء ، فليس لى فى هذه الدنيا عمل إلا أن أقول ...

— تستطيع أن تعمل شيئاً غير ذلك ... ألست إنساناً عاقلاً ؟ إنك تزعم أنك عاقل ، وإنى أرى أكثر اهتمامك متجهاً إلى التأمل فى الناس ودراسة نفوسهم ، ولا أكتمك إعجابى بكثير من دراساتك هذى ، فلماذا لا تستغل قدرتك هـذه على الإلمام بالناس ونفوسهم ، فى السيطرة عليهم واستغلالهم ؟ ... لماذا تصدمنى بذكر عيوبى مجسدة مكبرة مهولة ، وأنت تستطيع أن تسيطر على وأن تعبث بعقلى ما دمت تعرف مواطن الضعف فيه ... ؟

— هذا الذى تطلبينه يصنعه التاجر ، ويصنعه رجل السلك السياسى ، ويصنعه الجاسوس ، وتصنعه المرأة ؛ ولكن لا يصنعه الكاتب ، ولا الرسام ، ولا الشاعر ... ألم تقرئى تاريخ المتنبى ؟ أو لم تقرئى شعره ؟ هل رأيت فى الناس من هو أحكم منه ، ومن هو أشد خبرة بالنفوس منه ؟ ألا تظنين أن المتنبى كان يستطيع العبث بكل ملك من أولئك الملوك الذين قربوه وفضلوه على غيره من المقربين ؟ ألا تظنين أنه كان يستطيع أن يبيع سيف الدولة وأن يشترى الإخشيدى ؟ إنه كان من غير شك يستطيع ، فلماذا لم يفعل ؟ !

— لأنه كان سخيفاً ؟

— قولى إنه كان سخيفاً فى هذه ، وقولى إنه كان مجنوناً ، ولكننى أقول إنه كان أميناً

— أميناً لمن ؟ ما كان أميناً لنفسه ، فلو كان كذلك لأفاد نفسه ، وما كان أميناً لسادته أو أصحابه ، فلو كان كذلك لما سبهم وذكر عيوبهم ...

— كان المتنبى أميناً لك أنت ، وكان أميناً لى أنا ، وكان أميناً لكل الذين عاشوا بعده وقرأوا شعره ، فقد كشف لنا المتنبى عن حقيقة ربما كنا سنظل نجهلها لو لم يقفنا عليها ، ولكنه صرح بها ، وذكرها وقال لنا : يا خلق الله لا تشتروا العبد إلا والعصا معه ، إن العبيد لأنجاس مناكيد ...

— أو لم يكن المتنبى يعرف أن العبيد أنجاس مناكيد قبل أن تضطره الظروف إلى أن يقول هذا ؟

— صدق أنى أكره فى المتنبى احتماله الطويل لكافور قبل أن يصفه هذا الوصف ، وصدق أنى لا أغفر هذا الاحتمال للمتنبى إلا بهـذه الثورة التى ثارها على كافور آخر الأمر ، وصدق أنى لو كنت مكان المتنبى ما كنت تقربت من كافور ولا من غيره ، لأنى

رأيت أصحاب السلطان يمتزون بسلطانهم ، كما يمتز أصحاب المال بأموالهم ، وكما يمتز أصحاب الفكر بأفكارهم ، ولا يمكن أن يماشر ممتزٌ ممتزاً إلا إذا كان أساس العلاقة بينهما استغناء كل منهما عن الآخر ، وكان المتنبي يستطيع أن يستغنى كما استغنى أبو العلاء ، ولكن أطماعه ثقلت على نفسه فسوأت بعض تاريخه ، وإن كانت أطماعه هذه هانت عليه أحياناً عند ما استعصت فانقلب عليها مستهجناً ولكن كما يغضب الطفل على مشتهاه إن قصرت عنه يداه

— فالمتنبي عندك رجل سوء

— لا . ولا يمكن أن يكون كذلك . فالرجل الذى يغاضب أصحاب السلطة حين يشعر أن كرامته مست لا يمكن أن يكون رجل سوء . وإنما رجل السوء الذى تمس كرامته كل يوم فيرضى ، والذى تهون عليه الإساءة بما يأكل من السمن والعسل . . . هبي المتنبي احتمل سيف الدولة ، وطأطأ الرأس لغضبه ، وهبيه لان لكافور واستمسك بمشرته وتملق بنمائه . . . أفما كان يستلزم منه هذا أن يسكت عن الإفاضة بما يشعر به من وخز الألم ، أو أن يفيض بالذى لا يشعر به من الراحة والسعادة ؟ وهبيه قد فعل هذا ... أفما كنا نخسر هذه الثروة الفنية التى خلفها لنا غضبه والتى بعثها ثورته ؟ ثم ألم يكن المتنبي مضطراً فى المجاملة أن يقول شعراً كذباً ككل شعر كذب قيل فى عصره فمات ولم يخلد غير شعر المتنبي ... ؟

— ولكن المتنبي قال شعراً كذباً

— أى شعر هذا الكذب الذى قاله ؟

— مدحه الأول لكافور ... أفكان كافور يستحق أن يمدحه شاعر كالمتنبي ... ؟

— ولم لا ؟ ألم يمدح الشعراء الحيوانات ؟ كافور رجل أحسن الظن بالمتنبي فى البدء ، وأحسن على هذا استقباله ، وأحسن بعد هذا تكريمه ، وكل هذا جدير بأن يبث فى نفس الشاعر الراحة وهذه الراحة تبث فى نفسه حب جالبها ، وهذا الحب يبعث المدح ... على أنك إذا قرأت مدح المتنبي لكافور رأيت فيه تحوطاً ملحوظاً ، ورأيت المتنبي يقول وكأنه يحس أن مدحه أكبر من ممدوحه ، ويكفيك هذا ـ فيما أظن ـ تصويراً صادقاً لإحساس هذا الفنان الذى رأى رجلاً هو يعرف النقص فيه ومع هذا فهو يحبه لتكريمه إياه ...

— إذن فالمسألة تدخل فيها الاعتبارات وليست مجردة منها ، والمتنبي كان يحب الذين يمطونه لا الذين يستحقون حب الإنسانية الخالصة ...

— هذا عيب كان فى المتنبي ، وأنت تلحظين هذا العيب وتذكرينه ، وأنا أوافقك على ذكره وأعده من مساوئ المتنبي لا من حسناته ، وأزيد على ذلك فأقول لك إن هذا العيب هو الذى قضي على حياة المتنبي بعد أن قضى على كرامته أيضاً ، فأنت تذكرين أنه هوجم فى الطريق فأراد أن يهرب ، ولكن غلامه ذكره بكلام له ينسب لنفسه فيه الشجاعة ، فارتد ونازل مهاجمه حتى لاقى حتفه ... فلو لم يكن المتنبي يتهاون فى الحق أحياناً لما فخر بشجاعته وهو يعلم أنه غير شجاع ، ولو كان قد أظهر نفسه على حقيقتها فى شعره لما اضطر إلى أن يقف فى آخر ساعة من ساعات حياته هذا الموقف المضطرب الذى مات فيه .. إن المتنبي لم ينته هذه النهاية إلا لأنه اضطرب بين فنه وأطماعه ... بين بيت الشعر الذى يفخر فيه بشجاعته وبين حبه للنجاة ورغبته فى مواصلة التجوال بين أرباب العروش ...

— فإذا كنت أنت فى موقفه فماذا كنت تصنع ؟

— أما أنا فإنى لا أفخر إلا بالذى أتحلى به من الفضائل إن كانت فىّ فضائل ، وإنى لا أذكرها على سبيل الفخر ، وإنما أسردها سرداً كما أسرد كل ما فىّ من العيوب ، ولعلك تقرين بأني أكثر من رأيتِ من الناس إظهاراً لعيوبهم ، وهذا من غير شك هو انتقام الطبيعة التى سلطتنى على عيوب الناس ومحامدهم أذكرها وأرددها ، فأنا مع نفسى مثلما أنا مع الناس ، وما دمت غير شجاع فلا يمكنى أن أقول إنى شجاع ومقاتل ، وهذا هو الذى كان يمكننى من الهرب عند هجوم العدو لو أنى كنت المتنبي ...

— وما الذى يمنعك ما دمت تعترف بأن لك عيوباً من إصلاح هذه العيوب ؟

— لا شىء . ولاريب أن من ذكر عيوبه كان هذا دليلاً منه على نية إصلاحها ، وهو من غير شك ينصلح قليلاً قليلاً ، ويتخلص من نواحى الضعف فيه شيئاً فشيئاً ، ومهما يكن فإن الصدق الذى يميزه ليس شيئاً هيناً ...

— أنا لا أوافق على أن يكون هذا الصدق مبرراً يستبقى

الإنسان به عيوبه ، ويفضح به عيوب الناس . إن هذا صدق قبيح يجب أن يزول ...

— أما أنه قبيح فإنه قد يكون قبيحاً ... ولكن هذا لا يعنيني ولا يعنيه ، ولا يحط من قدره ، فليس يعيب الصبر أنه مر ، ولا يعيب الليمون أنه حامض ، وإنما الصبر المعيب هو الذي فقد مرارته ، والليمون المعيب هو الذي عطب فذهبت حموضته ...

— يا لباقتك ! أما تستطيع أن تحبس هذه اللباقة لنفسك وأن تنتفع بها ... ؟

— يا لأنانيتك ! أي زهرة في الدنيا تحبس أريجها عن الحياة ؟ إنها لا تستطيع ذلك لأنها وُجدت للوجود لا لنفسها ... إن الكون ينادي في الخلائق ما منحها ... الثمرة تنضج فتقفز من غصنها إلى الأرض إذا لم تقطفها يد ، وأنت تريدين مني أن تنضج الفكرة في رأسها وأن أزدردها لنفسي ؟ كنت أستطيع هذا لو أكلت الشجرة أثمارها ! ...

— إذن فأنت تطلب من يأكلك ...

— الذي يأكلني هو الذي يسممني ...

— وقد يمقتك من يسممك فيقتلك ...

— فلتكن إرادة الله ، ولست أجهل أن الله خلق من يأكل ومن يؤكل ، ومن يَقتل ومن يُقتل ، وكم مات أصحاب الفكر في إيمانهم

— ستموت فتكسو نفسك بطولة لست أنت أهلها ، وأنت وقعت الآن فيما عبت على المتنبي الوقوع فيه ...

— لا يا هذه ، إني لم أقل إني مقاتل مغوار ، وإنما قلت إني مؤمن بالله وقضائه ، وإني لازم رأيي ، وإن لله قضاءه . . . وأما المقاومة ، وأما هذه الشجاعة البدنية فإني أعجز الناس عنها ... إنما أنا كالجرذ أعرف أن لي في الحياة حقا آخذه ، وأحاول أن آخذ هذا الحق ، ولا يمنعني من هذا علمي بأن في الدنيا قططاً وسنانير هي أقوى مني . ولست أفكر إن لاقيت القط أن أقاومه لأنه لا جرذ يقاوم قطا ، وإنما هو يحاول الهرب إذا كان للهرب سبيل ، أما إذا فاجأه القط استسلم له ، وربما هفا إليه ... تلك هي الطبيعة ، والكائنات — كما قلت لك — تتنادى و « تتهاتف » ويفني بعضها في بعض ولا يبقى غير وجه الله الكريم . والكائنات تطاوع هذا القانون ولا تتكبر عليه ، وحق الإنسان أن يكون انصياعه له أكثر وأظهر من انصياع غيره مما لم يميزه الله بنعمة العقل ، ولعلك ترين أن أهل الفن وحدهم والصالحين هم الذين يستسلمون لهذا القانون وأن غيرهم من الناس ينتكسون بعقولهم على أنفسهم ، ويلحظون في حياتهم من الاعتبارات ما لا تقيم له الطبيعة وزناً ... مثلما فعل المتنبي ...

— وهلا تريد أن تحسب المتنبي بين الفنانين ؟ ... هذا الشاعر المجيد الخالد ؟

— إنه فنان من غير شك ، ولكنه — غفر الله له — كان يتذبذب كما قلت لك بين الفن وبين أطماعه في الدنيا ، وكان يستطيع أن ينقى من هذا ، وأن يصقل في نفسه كبرياءه بأن يحرم عليها الترجي في الخلق دون الله ، ولكنه ضعف أمام بهارج الدنيا فاختل ...

— كيف تقول إنه اختل ، مع أنك قلت إنه كان حكيما أو كما قلت أحكم الناس ؟

— كان حكيما لأنه كان يراقب الناس ، وكان إذا راقب تيقظ عقله ووقف على الحق والباطل من أمثالهم وأقوالهم ، وكان مختلاً لأنه لم يكن يراقب نفسه ، بل إنه لم يكن يعرف فيم يعيش ، فهو يقول عن نفسه : إنه عاقل ، وإنه ذكي ، وإنه عالم ، وإنه حساس وإنه فصيح ، وإنه أهل لكل جاه وكل سلطان ؛ ثم لا يفعل شيئاً أكثر من أن يسأل الناس أن يعطوه ، فإذا أعطوه فهم فضلاء ، وإذا لم يعطوه فهم أهل لهجائه ... وليس بعد هذا خلل وليس بعده اضطراب .

— وماذا كنت تحسبه يستطيع أن يفعل ، والحكمة لا سوق لها ولا ربح وراءها ؟

— كان يستطيع أن يرتزق من صناعة أو من عمل ، وإلا فكان يستطيع أن يصبر على فاقة الحكمة ... وأن يسعد بنعمائها

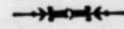
عزيز أحمد فهمي





أرقام تتحدث
وتنبئنا عن أسرار الكون

للدكتور محمد محمود غالى



آنية « بيران » وجوها العجيب — رقصة الكرات فى الآنية — نظام توزيعها — أمثلة عملية من هذا التوزيع — فى زرقة السماء دليل على مقدار الذرة — عند ما نطالع هذه السطور تسيطر علينا الفوتونات

استغرقت تجارب « بيران » مقالين ولم تنتهِ بعد ، وفى هذه الأسطر نحاول أن ننتهى من أسطورته الخالدة ، لهذا نترك المقدمات لنتكلم على صميم عمله التجريبى

فى آنية صغيرة بها سائل يبلغ ما يعنينا فيها من ارتفاع ١/١٠ الليمتر أجريت كل تجارب « بيران » الذى ترك فيها عدداً كبيراً من الكرات الصمغية الصغيرة التى يبلغ قطرها كسراً من الميكرون (الميكرون ١/١٠٠٠ من الليمتر) ، ودرس هذا العالم النظام الذى تتوزع بمقتضاه هذه الكريات فى السائل ، وكان عليه أن يرى بعد فترة من الزمن ، تتنازع خلالها هذه الجسيمات عوامل مختلفة[1] ، هل كان ينتج من ذلك توزيع شبيه بتوزيع الذرات الغازية ، وقد وجد « بيران » بالفعل هذا النوع من التوزيع الذى يتبع متوالية هندسية[2] ، وللقارئ نورد مثالاً للحالة التى توزعت بها كرات صمغية Gomme Gutte من التى نصف قطرها ٠ر٢١٢ من الميكرون كما لاحظها « بيران »

(١) من هذه العوامل الأرض تجذب الجسيمات إلى قاع الآنية والحركة البراونية الناتجة من حركة جزيئات السائل تدفع بالجسيمات فى كل اتجاه

(٢) المتوالية الهندسية هى سلسلة من الأعداد فى ترتيب معين ، بحيث أن أى عدد منها يساوى العدد السابق مضروبا فى عدد ثابت يسمى الأساس مثال ذلك ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٣٢ ، ٦٤ الخ حيث العدد ٢ هو أساس المتوالية المتقدمة

نسبة عدد الجسيمات	الارتفاع الموجودة عنده الجسيمات محسوبا من قاع الاناء ومقدراً بالميكرون (الميكرون ١/١٠٠٠ من الليمتر)
١٠٠	٥
٤٧	٣٥
٦ر٢٢	٦٥
١٢	٩٥

ويلاحظ أنه بينما اختار « بيران » الارتفاعات المذكورة وهى : ٥ ، ٣٥ ، ٦٥ ، ٩٥ التى هى متوالية عددية[1] فإن الجسيمات تبعت فى أعدادها ومن تلقاء نفسها الأعداد ١٠٠ ، ٤٧ ، ٦ر٢٢ ، ١٢ التى هى متوالية هندسية إذ يلاحظ أن هذه الأعداد تتساوى تقريباً مع الأعداد ١٠٠ ، ٤٨ ، ٢٣ ، ١ر١١ التى تكون متوالية هندسية مضبوطة

وفى المثال الآتى يرى القارئ كيف توزعت كرات أخرى grains de mastic أكبر من الأولى ويبلغ قطرها ٠ر٥٢ من الميكرون أى حوالى ١/٢٠٠٠ من الليمتر ، وقد أمكن عد هذه الجسيمات بطريقة فوتوغرافية بتصويرها فى أربعة مستويات يرتفع الواحد منها عن الآخر بمقدار ٦ ميكرون أى ٦/١٠٠٠ من الليمتر وقد وجد « بيران » أن عدد الجسيمات عند هذه المستويات الأربعة كالآتى :

١٨٨٠ ، ٩٤٠ ، ٥٣٠ ، ٣٠٥

ويرى القارئ أنها مقادير قريبة جداً من الأعداد :

١٨٨٠ ، ٩٤٥ ، ٥٢٨ ، ٢٨٠

التى تكون متوالية هندسية .

هذا توافق واضح فى الأعداد ، ولكن هل أدى هذا إلى أن يصل « بيران » إلى عدد « أفوجادرو » الذى ينتظره فمرف عدد ما فى الوزن الجزيئى من الذرات ؟ هذا ما نتناوله الآن فنبحث ما تدل عليه الأرقام فى المثال الأخير : عند ما نرتفع بين طبقات الإناء مسافة قدرها ٦/١٠٠٠ من الليمتر نلاحظ أن عدد الجسيمات

(١) المتوالية العددية هى سلسلة من الأعداد فى ترتيب معين بحيث أن أى عدد منها يساوى العدد السابق مضافا إليه عدد ثابت ، وهو يساوى ٣٠ فى المتوالية المذكورة

ينخفض إلى النصف ، على أننا نعلم من تجارب أخرى فى الضغط الجوى أنه لكى نحصل على مثل هذا الانخفاض فى عدد الذرات الهوائية يجب أن نرتفع فى طبقات الجو إلى ارتفاع ستة كيلو مترات أى إلى مسافة تبلغ الألف مليون (مليار) مرة قدر الارتفاع السابق ، وعلى ذلك فإن وزن جزىء من الهواء يبلغ الواحد على ألف من المليون من وزن إحدى الحبيبات الصمغية المشار إليها[1] ولو أن الغاز الذى نعتبره هو غاز الهيدروجين ، فإنه من الممكن بنفس الطريقة الحصول على وزن ذرة الهيدروجين من وزن الجسيم السابق ، وهكذا توصل « بيران » من التجربة السابقة ومن أمثالها إلى معرفة وزن ذرة الهيدروجين ، وكان عليه أن يتساءل بعد ذلك هل كان هذا الوزن لذرة الهيدروجين يتفق مع الرقم ذاته الذى أمكن العلماء الحصول عليه من باب آخر يختلف فى موضوعه عن تجارب « بيران » ، وهذا ما حدث بالذات عند ما قارن هذا العالم وزن الذرة الذى توصل إليه بوزنها الذى عرفه العلماء من النظرية السينيتيكية

***

وندع للقارئ أن يقدر مبلغ ما كان لهذا من الأثر العميق على نفسه، عند ذلك أراد أن يستوثق العالم من صحة ما وصل إليه فعمد إلى تغيير ظروف التجربة بإبدال الحبيبات حتى جعل حجم بعضها يبلغ الخمسين مرة حجم الأخرى، ولم يكتف بذلك بل غَيَّر طبيعة[2] هذه الجسيمات ، ثم عمد إلى تغيير السائل[3] ذاته بما يجعل ميوعته تبلغ ١٢٥ مرة ميوعة السائل الأول ، ولم يفت هذا الباحث الكبير تغيير كثافة المواد المستعملة التى كانت طوراً أضعاف كثافة السائل وتارة أقل من كثافته ، إذ تعمل الأرض فى الحالة الأخيرة على صعود الكرات بدل سقوطها ، بعد ذلك غير حرارة[4] السائل من درجة (— ٩) إلى درجة (٦٠) مئوية ، ومع كل ذلك وجد « بيران » ومدرسته طوال

(١) ذكرنا فى المقالين السابقين العلائق الرياضية التى تؤدى إلى هذه النتيجة

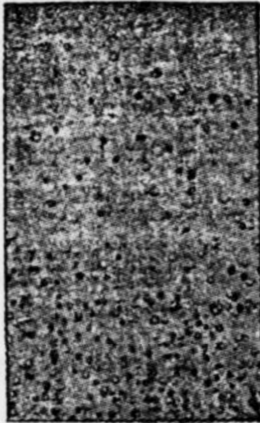
(٢) لقد ساعد « دابرسكى » « بيران » فى هذه التجارب الخاصة بتغيير طبيعة الكرة

(٣) كان نايلز بجيرام ممن ساعدوا « بيران » فى التجارب الخاصة بتغيير السائل

(٤) وكان الباحث بريا Bruhat وهو الآن العالم المعروف بأبحاثه ومؤلفاته العديدة، دور هام فى مساعدة « بيران » على القيام بهذه التجارب

هذه الحالات المختلفة القوانين ذاتها والأقدار الذرية ذاتها ، وكان ذلك بلا ريب فوزاً علمياً كبيراً يذكره له التاريخ

تلك كانت السبيل عند « بيران » Jean Perrin ليتعرف على قدر الذرة من دراسة توزيع رأسى لجسيمات صلبة دخلت فى الماء أو فى أى سائل ، وشاء لها القدر أن تتجاذبها جزيئات السائل فتنتج بفعل ذلك ، وفعل جاذبية الأرض التوزيع الذى ذكرناه ، ونجتزئ الحديث ، فلا نشرح للقارئ من عمل « بيران » الجزء الخاص بالحركة البراونية بالذات ، فقد عين أيضاً عدد أفوجادرو ، كما عين شحنة الألكترون من دراسة دقيقة قام بها على مسارات الجسيمات كل على حدة داخل السائل ، ويكفى أن نذكر أنه بدراسة مستفيضة على الحركة البراونية ذاتها وبتطبيق لقوانين أينشتاين الخاصة بها تمكن من طريق جديد للوصول إلى هذه الأقدار الذرية والألكترونية[1] .



شكل (١)
كيف تتوزع جسيمات صلبة صغيرة من تلقاء ذاتها داخل سائل موضوع على منضدة ثابتة (من تجارب « بيران »)

ولا يمكن فى عجالة كالتى نحاولها أن نعطى للقارئ صورة دقيقة لما قام به أينشتاين[2] فى سنة ١٩٠٥ من الناحية النظرية وما قام به بيران فى سنة ١٩٠٨[3] من الناحية العملية فى هذا الصدد ، وكل ما يعنى القارئ أن يعرفه هو أن الأول قد استطاع

(١) يجد القارئ شرحاً وافياً لهذه القوانين فى الفصل السابع لكتاب الأتوم لجان بيران ص ٢٣٣ الطابع ألكان باريس

(٢) المجموعة الطبيعية Ann. d. Phys الجزء ١٧ ص ٥٤٩ سنة ١٩٠٥ والجزء ١٩ ص ٣٧١ سنة ١٩٠٦ والجزء ٢٢ ص ٥٦٩ سنة ١٩٠٧

(٣) محاضر المجمع العلمى الفرنسى Comptes rendus ص ٩٦٧ سنة ١٩٠٨ ، ص ٤٧٥ ، ٥٣٠ ، ٥٩٤ سنة ١٩١١

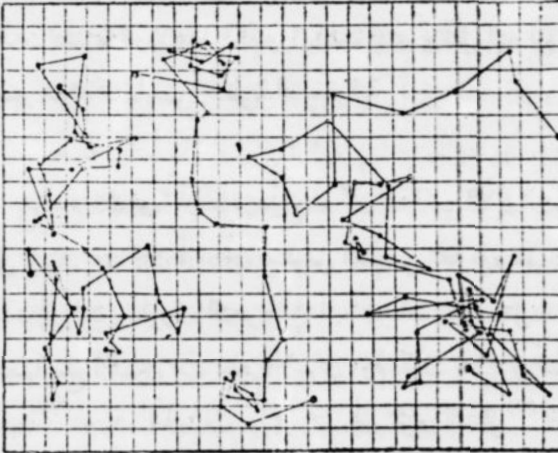
الحصول على علاقة يمكن أن نعرف منها عدد أفوجادرو إذا عرفنا المسافة المتوسطة التى يقطعها جسيم يتحرك تحت تأثير صدمات جزيئات السائل ، وعرفنا طول الزمن المتوسط الذى يستغرقه الجسيم فى قطع تلك المسافة المتوسطة ، أما الثانى فقد توصل من متابعة رصد الجسيمات إلى تعيين عدد أفوجادرو فوجد بهذه الطريقة أنه (٢ر٦٨ × ١٠^٢٢)، ومن ثم وجد وسيلة فى الواقع لإثبات صحة قانون أينشتاين ، ولقد كان من السهل بدراسة توزيع وحركة جسيمات مكهربة الوصول إلى معرفة شحنة الألكترون ، وهذا ما قام به أيضاً الباحث الشاب فى ذلك الوقت من سنة ١٩٠٨ الدوق « موريس دى بروى » maurice de Broglie (١) الذى يعتبر الآن من أكبر علماء الأكاديمية الفرنسية عندما درس وتتبع بالميكرسكوب كرات من الدخان أو الأتربة المعدنية المكهربة

* * *

أن يتحرك جسيم صلب موجود فى سائل فى إناء على منضدة ثابتة حركة تصادفية هى الحركة البراونية المعروفة التى كشفها « براون » وعرف العلماء أنها ناشئة عن تحرك جزيئات السائل ، وأن يتخبط هذا الجسيم بين هذه الجزيئات تتقاذفه ذات اليمين وذات الشمال دون أن يكون ثمة قانون ينتظم كلا من هذه الصدمات ، وأن يكون هناك من هذا التخبط الأعمى ومن جاذبية الأرض توزيع خاص شبيه بتوزيع الذرات الغازية فى اتجاه رأسى وأن يكون من حساب التوزيع فى الحالين سبيل لمعرفة قدر الجسيم الحائر بين بلايين جزيئات السائل وسبيل لمعرفة قدر الذرة بل قدر الألكترون - فإن ذلك كله لأمر له خطره وموضوع يقف بذاته دليلاً على صحة هذه الأقدار الغريبة عن مداركنا البعيدة عن حواسنا ، ولكن هذا التعيين يتركنا فى نوع من الشك فيما وصلنا إليه من نتائج إذا ظلت الطريقة المتقدمة هى الطريقة الوحيدة لمعرفة هذه الأقدار . أما أن نصل إلى معرفتها بطريقة أخرى كطريقة مليكان التى شرحناها فى مقالات سابقة (٢) فإن هذا الاتفاق فى النتائج بطريقتين لا تمت إحداهما بصلة إلى الأخرى ليقوم دليلاً قاطعاً على حقيقة وجود الذرات والألكترونات وبرهاناً ساطعاً على صحة أقدارها ، ولقد حدث هذا الاتفاق فى النتائج بين أعمال « بيران » وأعمال « مليكان » على وجه يبعث على الاطمئنان

وعند ظنى أن كليهما ازدادت ثقته بعمله عند ما طالع نشرات الآخر ، وثبت فى يقينه أن هذا الذى توصل إليه يمثل بلا أدنى ريب حقيقة فى الكون ، وزادت بينته بأن عمله الفردى يبعد جد البعد عن أن يكون وليد المصادفة التى لا تمت لقوانين العالم فى شىء

ومع ذلك فثمة ظواهر أخرى عديدة دلت هى أيضاً وبطريقة تختلف عن طريقتى « بيران » و « مليكان » على قدر الذرة وقدر الألكترون ، وعلى أن المادة هى المادة كما عرفها بيران وكما فهمها مليكان .



شكل (٢)

مثال من مسار ثلاثة من هذه الجسيمات الصلبة داخل السائل وهى الجسيمات الحائرة تحت الصدمات المستمرة لجزيئات (من تجارب « بيران »)

على أننا نذكر بعض هذه الظواهر الأخرى التى توصل بها علماء عديدون إلى كشف الذرة والألكترون ، وإلى تعيين أقدارها ، ففى دراسة لون السماء أو ميوعة الغازات أو نظام انتشار

(١) محاضر المجمع العلمى الفرنسى Comptes rendus ص ٦٢٤ ، ص ١٠١٠ سنة ١٩٠٨

(٢) أمكن لهذا العالم أن يقيس ما يحدث من تغير فى سرعة جسيمات زيتية تركها تهبط تحت تأثير الأرض وتصعد تحت تأثير المجال الكهربائى بين كفتى مكثف ، وقد أثبت أن التغير فى سرعة صعودها ناشىء مما تحمله الجسيمات من الألكترونات حرة تعلق بها ، بحيث أنه بمعرفة المجال الكهربائى ومن حساب سرعة الجسيمات تمكن من أن يصل إلى معرفة شحنة =

= الألكترون ويثق بوجوده كوحدة فى الوجود ، وقد شرحنا أعمال «مليكان» فى ثلاث مقالات بالرسالة : الأولى «أندروز مليكان» والألكترون العدد ٣٢٦ ص ١٩١٠ — ١٩١٣ — ٢ أكتوبر سنة ١٩٣٩ والثانية والثالثة بعنوان أرقام تتحدث وتنبئنا عن قصة الألكترون فى العدد ٣٣٥ ص ٢٢٤٠ — ٢٢٤٢ بتاريخ ٤ ديسمبر سنة ١٩٣٩ والعدد ٣٣٦ ص ٢٢٧٥ — ٢٢٧٨ فى ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٩

الضوء فى الأرجون[1] ، بل فى تتبع طيف ما يسميه الطبيعيون بالجسم الأسود أو فى تكوين الهيليوم من العناصر المشعة، فى دراسة هذه الظواهر الخمسة ، المختلفة نشأة ، المتباينة طريقة ، وجد الباحثون كل بدوره سبيلاً آخر لتعيين عدد أفوجادرو[2] هذا العدد الذى يبلغ فى تجارب عديدة ٦٨ × ١٠^٢٢ وبالتالى وصل الباحثون إلى معرفة قدر الذرة وقدر الألكترون .

هذه أرقام تتحدث وفى حديثها الشائق دليل على وجود هذا العدد للذرات فى حجم معين ودليل على قدرها وقدر الألكترون بالدرجة التى قررها الباحثون

أجل . أن تكون السماء زرقاء صافية هذه الزرقة التى تراها والتى تعودتها العيون ، وأن يكون للغازات ميوعة تدل عليها النظرية السينيتيكية التى أشرنا إليها وأن ينتشر الضوء فى الأرجون بنظام خاص ، وأن يكون لطيف الجسم الأسود دلالة معينة ، وأن يكون للأجسام المشعة نظام فى إشعاعها فإن هذه مظاهر مختلفة ومرئيات متباينة ، ولكنها تدل جميعها على وجود الذرات بالحجم والوزن اللذين لها ، وتدل على عدد ما يوجد منها فى الغازات فى الحجم الواحد وتدل أيضاً على ما للألكترون من كيان

هذا الاتفاق فى النتائج وفى الرقم السابق الذى يتحدى كل خيال يحمل الإنسان المفكر على أن ينتهى إلى نتيجة حتمية هى أن ما عرفناه عن الذرة وعن وليدها الألكترون أمر لا شك فيه

ولا نستعرض هنا هذه الموضوعات كلا على حدة ، فالقارئ الذى يعرف منذ حداثته أن السماء زرقاء وليست بخضراء ، وأنها زرقاء هذه الزرقة المعينة أود أن يعرف أن لذلك علاقة بقدر الذرة وأن ثمة سبباً فى هذه الزرقة عند الإنسان المفكر يتوسل بها إلى النتائج ذاتها التى وصل إليها أمثال « مليكان » و « بيران » . إنما نقصد أن ندفع بالقارئ إلى إيمان على بهذه الحقائق التى نود أن تحل عنده محل الإعجاب والاحترام

إلى هنا انتهينا من قصة الذرات وأسطورة الألكترونات وهى مكونات المادة التى منها نوجد وعليها نعيش وإليها نعود ، وليس الألكترون بالساكن الوحيد فى هذا الكون فثمة كائنات أخرى تختلف عنه ، ودورها فى الخليقة يختلف عن دوره ، وإذا كنت عند ما تستمع إلى الإذاعة بواسطة المذياع (الراديو) أو عند ما تحادث فى المسرة (التليفون) صديقاً لك قد استخدمت الألكترون واسطة جدية للاستماع أو التكلم ، فكذلك لا يفوتك وأنت تطالع هذه السطور أن تفكر فى أنك رأيتها قبل أن تطالعها ولا تنس أنه لكى تراها لا بد أن تكون هناك مكونات أخرى فى الكون متسلت فى طريق بصرك ووصلت إلى العين ، وهى التى بوجودها وما اعتراها من حركة استطعت أن ترى هذه الأسطر وتقرأها ، فاتصل تفكيرك بتفكيرى ومجهودك بمجهودى ؛ وثمة موجودات هامة لعبت دوراً خطيراً ، وبلغت العين ، ومن العين إلى الرأس وعاونتك فى مطالعة هذا الحديث مطالعة يستطيعها كل من وهب هذه العيون

هذا الشعاع الضوئى ، هذا الذى يقررون أنه مركب من فوتونات Photons كما يقال عن الكهرباء إنها مكونة من الكترونات هو بدوره مكون هام من مكونات الكون ، هذا الفوتون الذى يسافر من الشمس إليك فى ثمان دقائق ، نريد أن نحدثك عنه وعن غيره من المكونات، حتى لا نكون قد وصفنا قصراً عظيماً له حديقة هى مثار الأحاديث ، ولكن فاتنا عند وصفنا إياه أن نذكر أن للقصر حديقة

هذه المكونات الأخرى سنعمد أن يكون لنا مع القارئ حديث عنها أو اثنان قبل أن نتناول موضوعات النسبية والكم Quanta والتفتت ، وهى الموضوعات الرئيسية الثلاثة التى نقصد من ورائها أن يكون لدى القارئ أقرب صورة للكون وأن يعرف أحدث الآراء عنه

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من (السوربون)
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة

---

(١) الأرجون L'argon أحد الغازات الموجودة فى الهواء، وقد كشفه لأول مرة العالمان الانجليزيان اللورد راليه Lord Reyleigh ورامزى Ramsay ، ولقد كان كشفه نتيجة لمقارنة قام بها هذان العالمان فى سنة ١٨٩٣ لكثافة غاز الآزوت عندما يستخرج من الهواء أو عندما يحصل عليه من مواد أزوتية أخرى .

(٢) سبق أن أشرنا أن هذا العدد هو ما فى الوزن الجزيئى Molcule Gramme من ذرات أى عدد الذرات الموجودة فى ٢٢٫٤ لتراً من أى غاز وهو عدد ثابت ، ولقد كانت النتائج الخاصة بهذا العدد كالآتى :

٦٥ × ١٠^٢٢ بطريقة دراسة زرقة السماء

٦٢ × ١٠^٢٢ بطريقة ميوعة السوائل

٦٩ × ١٠^٢٢ بطريقة انتشار الضوء فى الأرجون

٦١ × ١٠^٢٢ بطريقة طيف الجسم الأسود

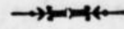
٦٦ × ١٠^٢٢ بطريقة تكون الهيليوم

ويلاحظ أن « بيران » وجد أن عدد « أفوجادر » يساوى ٦٨ × ١٠^٢٢ بطريقة دراسة نظام توزيع الجسيمات الرأسى فى السوائل ، ٦٦ × ١٠^٢٢ بدراسة الحركة البراونية



من أدباء الجيـــل !

للأستاذ محمد سعيد العريان

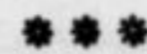


كانت أشعة المصباح ذابلةً صفراء ترتعش لكل نسمة تهب ؛ وكان الجو عاصفاً ، والمطر يلطم زجاجَ النافذة فينفذ رشاشُه من فروجها ، ويسيل قطراتٍ على الجدار ؛ وفى زاوية من الغرفة كان الفتى النحيل جالساً إلى نضد صغير يكتب ...

منذ ساعات ، والفتى فى مجلسه ذاك يستنزل الوحىَ ويؤلف أشتاتَ المعانى ، لا يكاد يحس شيئاً حوله ، والناس نيام ! يجب أن يفرغ من إعداد هـذه الخطبة التى يكتبها قبل الصباح ؛ إن هنالك من ينتظر ... ...

ودقت الساعة اثنتى عشرة دقة ، فرفع الفتى رأسه عن أوراقه ووضع القلم وفى عينيه أثر الجهد والإعياء ... وارتفق بذراعه على النضد الذى يتخذه خواناً بالنهار ومكتباً بالليل ، فسمع له مثل صرير الباب تضربه الريح ... ودار بعينيه فى الغرفة التى تضم كلَّ ما يملك من متاع ، ينقل بصره بين البذلة المعلّقة بالشجب ، والطربوش الملقى على الوسادة ، والفراش المشعّث منذ غادره فى الصباح الباكر ؛ ثم زفر زفرة ... وخرجت من بين الكتب المركومة إلى جانب الحائط دُوَيبَّةٌ صغيرة تلتمس طريقها إلى الباب فى تثاقل وبطء ... وارتمى إليها نظرُ الفتى ، فابتسم ... ثم قلب شفته فى رثاء : « آه ، حتى أنتِ يا مسكينة ... تسهرين الليل مثلى فى البحث عن القوت ! »

ثم عاد إلى مكتبه وأوراقه ...



وفرغ الفتى من عمله ، فأشعل آخر دخينة فى علبته ... ثم أخذ يقرأ لنفسه ما كتب ...

وأشرق وجهه راضياً ، كأنما مسحتْ على آلامه يدٌ رحيمة ؛ ثم هبّ واقفاً وعلى شفتيه ابتسامة الرضى والسلام ، وبسط أوراقه أمام عينيه ... وعاد يقرأ :

« أيها السادة ! ... »

وخُيّل إليه فى موقفه ذاك ، أنه هُوَ ما هو بين الناس ، فى جمعٍ حاشد تشرئبُّ أعناقهم إليه ، فلعب به الزهو واستخفّته الكبرياء ، واستمر يخطب ...

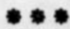
« ... أشكر لكم هذا التقدير الغالى ... إن أمة تحتفى بأدبائها هذه الحفاوة العظيمة ... ... »

وأحسّ شيئاً يَحِزُّه فى صدره فلم يتمّ ... « التقدير الغالى ... والحفاوة العظيمة ... » أين هو من هذه المعانى ؟

إنه منـذ سنوات وسنوات يجاهد جهادَه للفنّ والأدب ، وينشئ كل يوم فى تاريخ الآداب فصلاً جديداً ، وها هو ذا اليوم حيث بدأ منذ سنوات وسنوات : لا يذكره أحد ، ولا يعترف له إنسان ؛ ولم يُجْدِ عليه جهاد السنين شيئاً ... ولكنه مع ذلك مسئول أن يعمل ، وأن يدأب ، لا ينى ولا يستريح ؛ لأنه يريد أن يعيش !

وغامَ وجهه بعد صفاء ، وذبلت الابتسامة على شفتيه ، وتخاذلت كبرياؤه ، وعاد إلى نفسه يفكر فيما عليه من فرائض الحياة لقد أوشك الصبح أن يسفر ، وإن عليه موعداً أن يغدو مبكراً على « الأديب الكبير فلان ... » ليدفع إليه الخطبة التى أعدّها وبذل فيها سواد ليله وعصارة قلبه ، ويقبض ثمنها ، شأنه معه منذ سنوات ... !

وطوى الفتى أوراقه كأنما يلفّ ميتاً فى أكفانه ؛ ثم أطفأ المصباح وأوى إلى فراشه !



واستيقظ بعد ساعات ، فلبس بذلته ، ونفض الغبار عن طربوشه ؛ ثم سكّ باب غرفته ومضى يهبط السلالم درجةً درجة ، وفى يمناه الخطبةُ التى أعدها ليلقيها الأديب الكبير . . . فى حفلة تكريمه ! يا للسخرية !

وسار على حيد الطريق ويسراه فى جيبه تعبث بما فيه من قروش ، وفى رأسه خواطر تصطرع وتموج . . .

أرأيت إلى الأب يمشى وحيداً فى جنازة ولده العزيز ليشيعه

إلى مثواه ؟ كذلك كان يعنى هذا الفتى وفى يمناه أوراقه مطوية فى غلافها !

وعاج على بائع الصحف فاشترى واحدةً ؛ فأخذ يقلِّب صفحاتها حتى انتهى إلى الموضوع الذى يبحث عنه ، فمضى يقرؤه . . .

. . . لم يكن موضوعاً جديداً عليه ، لقد قرأه من قبلُ مرات حتى ليعرف دلالة كل حرف فيه . أتراه يقرأ الساعةَ من الصحيفة التى فى يده أم يقرأ من غيب صدره ؟ . . . وانقبضت نفسه حين انتهى إلى الإمضاء ؛ ثم ابتسم . . . !

. . . ماذا عليه أن يبيع المجد لطلابه بالمال ؟ . . . إنه يعطيهم مما يملك لينتفع منهم بما لا يملك . وماذا يجدى عليه المجد والشهرة وذيوع الصيت وإنه لمحتاجٌ إلى الرغيف ؟

ليت شعرى ، أىُّ الرجلين أكثرُ جدوى على صاحبه ؟ ذلك الذى يعطى القرش أم هذا الذى يأخذه ؟

وخُيِّل إلى الفتى أنه عرف الجواب ، فطابت نفسه وعاوده الشعور بالرضا والاطمئنان !

ونام الفتى فى تلك الليلة ملء عينيه وملء بطنه ... لا يعنيه من أمر الحياة شىء ... !

وسهر « الأديب الكبير » ليلته يستظهر الخطبة المعدة ليلقيها مساء غد فى حفلة تكريمه ... !

وأشرق الصبح ، فنهض الفتى من فراشه ولبس بذلته وخرج لبعض شأنه ، وعاج على ندِى فى الطريق يتناول فطوره ، فطاب له المجلس ...

وجلس إلى جانب الباب يُتبِع عينيه كل غادية ورائحة فى الطريق ، وتسرحتْ خواطره فنوناً من مشهد قريب إلى معنى بعيد ، وانفتل من دنياه يجرى فى عنان الأوهام ... فما صحا من أحلامه إلا على صوت النادل يمد إليه يده بورقة الحساب ، وعاد إلى الحقيقة ، ولـكن بعد مشوار طويل فى وادى المنى ...

ودفع ما عليه ونهض ، ليعود إلى غرفته فيغلق بابها عليه ويجلس إلى مكتبه يستنزل الوحى ويؤلف أشتات المعنى ، وانتهى مما كتب والشمس فى صفرة الأصيل : فغادر غرفته عجلان ليشهد حفلة التكريم !

**

... وكانت الردهة الفسيحة ليس فيها موضع لقدم ، وقد نُصت المقاعد صفوفاً صفوفاً فما بينها فرجة تتسع لعابر ؛ واختلطت أصوات المجتمعين فما يبين صوت من صوت ، وسكنت الأصوات فجأة حين بدت طلعة الأديب الكبير ، وتطاولت إليه الأعناق تنظر ؛ ومضى الأديب الكبير فى طريقه ثابت الخطْو وهو يرفع يديه إلى رأسه ، حتى انتهى إلى مقعده فى صدر المكان والعيون ناظرة إليه ...

ووجد الفتى مكاناً فى أدنى الردهة إلى الباب ؛ فجلس وإنه ليشعر مما به كأنه غريب فى هذا المكان !

وتعاقب الخطباء خطيباً بعد خطيب وشاعراً بعد شاعر ، يمدحون الأديب الكبير ويعدّدون أياديه ، وهو مطرق الرأس من خجل ، لا يزيد على أن يبتسم !

وخُيِّل إلى الفتى فى مجلسه البعيد من خياله أشياء ؛ فكأنما هذا الاجتماع الحاشد ، وهذا الثناء الرطب ، من أجله هو وحده ، وكأنه هو هو ولا أحد هناك ، فأطرق رأسه من خجل كذلك ، لا يزيد على أن يبتسم !

وماذا يضيره أن يجهل الناس اسمه ومكانه وإنهم ليعرفون من يكون بآثاره وأدبه ؟ ماذا يضيره أن يكون كتابه فى أيدى القراء بلا غلاف ولا عنوان ...؟

ومضت ساعة ووقف الأديب الـكبير ليؤدى واجبه لهؤلاء الذين اجتمعوا لتكريم أدبه والحفاوة به، وأخذ يقرأ من غيب صدره:

« أيها السادة ! »

« ... وأشكر لـكم هذا التقدير الغالى ... وإن أمة تحتفى هذه الحفاوة بالنابغين من أدبائها لحقيقة بالخلود ... »

وقال الرجل الذى يجلس إلى جانب الفتى فى الصف الأخير وَنظَر إليه : لله ما أحكم منطقه وأسَدَّ بيانه !

قال الفتى : شكراً !

وسمعها الرجل وابتسم ؛ فما يملك أكثر من أن يبتسم ، وإنه ليعرف أن مجالس الأدب هى أحفل المجالس بالمجانين

واستمر الأديب الكبير يخطب :

« إنى لمدين للأمة بما أبذل لها من أعصابى ومن دمى ؛ شاكرٌ لله ما وهب لى من قدرة تهيئنى لأن أكون بهذا المحلّ الرفيع بين أبناء قومى ...

« ... إن الأدب الذي يسمو بضمير الأمة ، ويشرع لها طريقاً إلى المجد والخلود ... »

والتفت الفتى إلى جاره يقول : « لقد نسى فقرة طويلة ... إنها كانت أجمل ما في خطبته ! »

ونظر إليه جاره فلم يتمالك أن ضحك ؛ فوضع راحته على فمه يكتم ضحكته أن تسمع ؛ وتنبه الفتى بعد سهوة ، فاحمر وجهه ثم اصفر ؛ ثم نهض فغادر المكان ... !

* * *

ونهض الفتى من فراشه مبكراً بعد ليلة ساهدة ؛ فقصد إلى دار الأديب الكبير يهنئه على ما نال من إعجاب الناس وما ظفر به من التقدير والمكانة ، ويستعينه على أمر ...

وقرأ صحف الصباح في الطريق ؛ فعرف ما فاته مما كان في الليل ...

ودق الجرس فانفتح الباب ، وقدم الفتى بطاقته إلى الخادم ، فخلّفه واقفاً بالباب ينتظر ودخل يستأذن سيده ؛ ثم عاد إليه بعد لحظة يعتذر ، لأن سيده نائم !

واحمر وجهه من الغيظ ولبث واقفاً بالباب برهة ، ثم مشى وفي نفسه ثورة تضطرم ، ومضى على غير وجه !

وتذكر الفصل البديع الذي انتهى من كتابته أمس قبل أن يغادر غرفته إلى مكان الاحتفال ؛ فأخرجه من جيبه ومشى يقرؤه ...

لا ، لا ؛ لن يكون بعد اليوم ذيلاً لأحد يبيعه نفسه برغيف من الخبز ؛ إنه ليعرف اليوم قدر نفسه أكثر مما عرف في يوم من الأيام ؛ لقد قالها الناس أمس كلمة صريحة وعتها أذناه ؛ إنه هو هو وإن جهل الناس اسمه ومكانه !

وسعى إلى إدارة الصحيفة التي نشر فيها أول ما نشر من منشآته منسوباً إلى الأديب الكبير ؛ وأي الصحف أولى بتقدير أدبه والاعتراف بفضله غير الصحيفة التي عرف منها (الأديب الكبير) أول ما عرف ، ثم كانت أول من دعا إلى تكريمه والحفاوة به ؟ ... لهُوَ هو وإن جهلت الصحيفة اسمه ومكانه !

واستأذن على المحرر ودخل ، فدفع إليه الورقات التي في يده ...

ونظر المحرر نظرة إلى وجهه وهندامه ، ثم أثبت وضع النظارة على عينيه وأخذ يقرأ هذه الورقات ، ولكن من آخرها ؛ ثم دفعها إلى الفتى ... وفي صوت متأنق سمعه الفتى يقول : « يا بني ، إنها محاولة ، وإني لأرجو أن يكون قريباً ذلك اليوم الذي تنشر فيه ما تكتب ، بعد أن تأخذ عدتك وتنضج ... ! »

وفتح الفتى فمه وهم أن يتكلم ، ثم سكت ، واتخذ طريقه إلى الباب في صمت ...

ومن النافذة التي طالما سهر بجانبها الليالي إلى مكتبه يستنزل الوحي ويؤلف أشتات المعاني ، وقف يطل على الناس ساخراً ، ثم أخرج الورقات من جيبه فمزقها وأسلمها إلى الريح تنثرها على الرءوس كسرب مذعور من الطير الأبيض !

* * *

... وحين نشرت الصحف أن الحكومة قد رصدت من مال الدولة بضعة آلاف لمعاونة الأديب الكبير فلان ... على تنفيذ مشروعه الأدبي العظيم ... كان الفتى جالساً يقرأ الجريدة في ظل شجرة على رأس الحقل ، ويستريح برهةً مما جَهَد في الحرث والزراعة ؛ وخار الثور المربوط إلى المحراث ، كأنما يريد أن ينبه الفتى إلى أنه قد آن أوان العمل !

... ولكن الصحف لم تلبث أن عادت فنشرت في الغد ، أن الأديب الكبير قد كتب إلى الحكومة يشكر ويعتذر ؛ لأنه قد اعتزل الأدب فما له هفوةٌ إليه بعد !

وأسف الناس إذ قرءوا ما قرءوا ، ولكن شخصاً واحداً كان يعرف ، وكان يبتسم !

محمد سعيد العريان



الجيش الأحمر في الشرق

[ملخصة من مجلة « باريد »]

كتب الجنرال « ليشكوف » مقالاً في مجلة « كونتمبرورى جابان » التي تصدر في طوكيو قال فيه : إن حركة القبض المتوالية على قادة الجيش الأحمر ، قد أوجدت نوعاً من عدم الثقة في ضباط الجيش الباقين . خذ مثلاً حالة الجنرال « بلتشر » الذي كان يوماً ما قائد الجيش الأحمر في الشرق الأقصى ، فقد طالما بزغ اسمه أمام الجنود الروسية ، إلى جانب الأبطال المخلصين والقادة المقربين ، وطالما ذكر تاريخه مقروناً بعبارات الإخلاص والوفاء ، حتى عدّ من رجال ستالين المقربين وأتباعه الثابتين . فلم يلبث أن اختفى بين عشية وضحاها ، وصدرت الأوامر بتمزيق صورته ومحو اسمه من الوجود ، فإذا سأل سائل عن الأسباب التي انتهت به إلى هذه الغاية ، حيكت حوله الأكاذيب ولفقت عليه التهم ، وانقلب القائد الذي كان مثلاً أعلى بين رجال الجيش فصار خائناً لبلاده ، عدواً لأبناء وطنه

نستطيع أن نتصور مبلغ تأثير هذا في رجال الجيش – إنهم ولا شك يفقدون ثقتهم برؤسائهم المباشرين . فإذا كان القادة العظام الذين كانوا يوماً ما فوق متناول الشبهة ، قد دلوا على أنهم كانوا مجرمين في حياتهم الوطنية والعسكرية ، فلا معنى إذن للثقة بغيرهم من القواد الحديثين الذين ليس لهم ماض يجعلهم أكثر إخلاصاً وأمانة من القواد السابقين . ومن ثم انتشرت بين رجال الجيش الأحمر عقيدة ثابتة بأن رؤساءه جميعهم متآمرون مارقون ، بل لقد ذهب بعضهم إلى أبعد من هذا فقالوا صراحة مادام قواد الجيش المخلصون قد ظهروا بمظهر الخيانة لبلادهم ، فلا يبعد على هذا أن يتبين قريباً أن ستالين نفسه عدو للشعب . من هنا نستطيع أن نعرف إلى أي حد وصلت الحال ، فقد انتشر الشعور بعدم الثقة بين الشعب فسمم أفكار الجميع

وقد انتشر بين شباب الجيل الحديث ، وعلى الأخص ضباط الجيش الأحمر ، آلاف ممن يسمون أنفسهم « أعداء السوفييت » الثائرين على النظام ، وهمهم أن يهاجموا النظام القائم ويحطوا من شأنه في نظر الشعب ، ويرون أن ستالين هو رأس كل خطيئة وأن الجيش الأحمر هو القوة الوحيدة التي في يدها أن تحد من سلطانه وتقف دكتاتوريته المخيفة عند حدها

ومما زيد في إضعاف الروح المنوية بين قوات الجيش الأحمر في الشرق الأقصى ، عدم كفاية مواصلات السكك الحديدية ، وعلى الأخص في فصل الشتاء ، وعدم وجود قواعد محلية للتمرين ، مما يتسبب عنه قطع المؤنة عن الكتائب المرابطة في تلك الأنحاء .

ويجد رجال الجيش الروسي صعوبات كثيرة في الحصول على الأماكن الكافية لإيوائهم وإيواء عائلاتهم ، فإذا استطاعوا على الرغم منهم أن يقضوا فصل الصيف في الخيام فإنهم لا يستطيعون ذلك في الخريف والشتاء حيث تشتد الحالة إلى درجة لا يتصورها العقل . هذا فضلاً عن انتشار الأوبئة والأمراض ، مما لا يمكن اجتنابه بحال من الأحوال

ولا تسل عن الفوضى وضياع النظام في الجيش ، إذا نظرنا إلى هذه الحالة ، مع فقد نفوذ القواد ، وقيامهم بأعمالهم بغير حافز من رغبة أو اقتناع

الاشتراكية الزائفة في ألمانيا

[ملخصة من « داى واهرن دتشلاندز »]

جرى هتلر في معاملة العمال وتسليمهم إلى طبقة الرأسماليين ، وتقوية هذه الطبقة على سائر أبناء الشعب ، على أسلوب لا شبيه له في تاريخ الرأسمالية الحديثة على الإطلاق

فمنذ قضى على اتحادات العمال في مايو سنة ١٩٣٣ ، فقدت الطبقة العاملة حقها في الدفاع عن نفسها والمطالبة بتحسين الأجور . وقد حل محل هذه الاتحادات ، جبهة العمال التي أسسها مستر (لى) وتقوم هذه الجبهة تحت إشراف لى وهتلر على كم أفواه العمال كلما هموا بالشكوى من توزيع الأجور

لم ير العامل منذ العهود الرأسمالية السحيقة نظاماً كذلك النظام الدكتاتوري الذي وضعه هتلر لإخماد أنفاسه وتجريده من كل قوة

فدير المصنع له الكلمة الأخيرة فى كل ما يتعلق بالعمال المشتغلين بمصنعه . ويقوم كل رئيس بتقديم بيان لموظفيه ، موضحاً فيه الشروط الآتية ليكون على بينة منها

(١) ساعات العمل اليومية وأوقات الفراغ (٢) الأجور والأوقات المحددة لدفعهما (٣) القواعد التى تتبع فى حساب القطعة (٤) الشروط المحددة للغرامات وغيرها من أنواع العقوبات (٥) الأحوال التى يفصل فيها العامل بغير إنذار

أما حقوق العامل الثابتة فى اختيار عمله ، وهى الحقوق التى طالما رفع هتلر عقيرته بها ، فقد تحولت فى السنين الأخيرة إلى لعنة أبدية ، فلا يصح للعامل بمقتضاها أن يغيِّر العمل الذى يشتغل فيه ، أو يرفض العمل الذى يقدم إليه ، ولا يسمح له حتى بالانتقال من بلد إلى بلد آخر

لقد كان العبد الرقيق فى القرون الوسطى ، يستطيع أن يأبق من مقره بالمدن إلى الموانئ إذا رأى قسوة من سيده ، ولكن رقيق النازى – على خلاف ذلك – فعليه أن يبقى حيث هو ، فاقد الحيلة محروماً من المساعدة إذا نشدها من أى إنسان ، أو ذهب يبغيها فى أى مكان

أما صغار التجار فهم يعاملون معاملة أقسى من هذه المعاملة ، فبينما هم يعملون على التخلص من منافسة المخازن الكبرى – التى تحولت ملكيتها إلى أيدى الرأسمالية الآرية – إذا بهم يواجهون حرباً لا هوادة فيها تسوقهم بغير رحمة إلى الدمار والضياع . فعلى الرغم مما يعانون من نظام الاحتكار ، يرهقون بزيادة الضرائب الفادحة على تجارتهم، مما جعل الإفلاس والدمار يحل بآلاف وآلاف من هؤلاء التجار، فلم يجدوا أمامهم غير الالتجاء إلى المصانع للاشتغال فيها

وقد أعلنت الحكومة الاشتراكية الوطنية جميع التجار الذين تقل ماليتهم عن مقدار معين، بأن يغلقوا أبوابهم ، فترتب على ذلك إغلاق ستمائة مخزن للألبان «بهامبورج» وحدها فى نهاية سنة ١٩٣٨ ، وكذلك الشأن فى غيرها من البلدان . وقد صدرت أوامر حديثة من الحكومة إلى تجار التبغ باعتزامها إغلاق أكثر من أربعين ألف من محلات تجارة الطباق . أما عذر الحكومة فى هذا التعسف الغريب ، فهو حاجتها إلى العمال لصناعة السلاح



أدب المازنى

قال الكاتب القدير البصير ابراهيم عبد القادر المازنى فى نقدٍ لكتاب أخرجه لسنة مضت صديق له يوده ويُجله : « نحن للثرثرة وهو للمصر والتقتير . وأحسب أنى لو تسنَّى لى أن أكون مثله لضاق صدرى لطول ما ألفتُ السح والهطلان » .

وكأنى بالأستاذ ههنا يصارح الخلق بخاصية كتابته . والسح والهطلان ـ فى غالب الأمر وأكثر الحال ـ من الثرثرة ، وما هذه بفضيلة فى الكاتب . إلا أن استرسال صديقى المازنى من الترسل اللطيف: لا استكراه لبسط العبارة ولا فضول فى تدوين الفكرة. وإنما الحديث ينبثق ويسيل ويسيح على غير كدر ولا أسَن . وإن تنقص صديقى المازنى — على سخريته المعروفة — أسلوبه الممدود ، فنى الناس من يرغب عن قطرات الماء ورشحه إلى بثق النهر وغمره .

غير أن المد مكروه إن انقلب الإنشاء به حذلقةً ولغواً. والأستاذ المازنى بنجوة من هذين العيبين. فإنه إذا أطلق القلم عرف ما يريد، ثم تخطر له الفكرة تلو الفكرة، فيصل أطراف السِّلك بعضها ببعض ويسيِّرها إلى الغاية التى تشغل صدره . ويعينه على ذلك ما وقع إليه من مفردات اللغة وصيغها ـ وينافسه فى محصول اللغة صديق صاحب « الرسالة » ـ وهل أنا أبثّ سراً إذا قلت : إن المازنى لزم كتاب « الأغانى » زماناً فتأدب عليه وأجرى على أنامله من سحر عبارته ؟ وليت الكتاب المحدثين يصنعون صنيعه !

ويزيِّن الأستاذ المازنى ترسله المحكم بالحديث الموشَّى، والحديث الموشى — فى أدب القصة خاصة — من الخيال لا من الكذب كما زعم بعضهم . وأحسن مثل على تلك التوشية قصة للأستاذ المازنى عنوانها « الجارة » وهى منشورة فى كتابه « فى الطريق ». ولا شك عندى أن للقصة وتداً مهزوزاً فى الحقيقة ، فجاء الكاتب وصاغ له حادثة من هنا ونسج عليه فكرة من هنا . وصدق كنه هذه القصة ملموس فيما يبرز من خلال مجراها . وهو أن إشراق المرأة فى حياتنا الاجتماعية شاحب وأن معرفة الرجل المصرى بنفسية المرأة قليلة . والمرأة فى تلك القصة على جرأة والرجل على حياء وإن كان يحلم « بالمغامرات » ، وهو يحلم بها لأن المرأة عندنا لا تزال على تحفظ ولأن حريتها ضيقة المسالك. وهذه امرأة القصة على خلاف ذلك، فكيف لا يدور رأس الرجل ؟ وقد استطاع الأستاذ المازنى ـ فى قصته ـ أن يثبت من طريق الفن الرفيق لمانِ الاضطراب المكتّم

وهذا الصديق يخرج لنا اليوم « مختارات من القصص الإنجليزى » . وأسلوبه هنا غير أسلوبه فى التأليف ، وذلك لأنه ينقل من لغة إلى لغة ، وهو يتحرى الأمانة فى الترجمة . فتقرأ العبارة العربية فتقول : إن التركيب سليم واللفظ متخيَّر ، ولكن الماء غير عربى . وسيُغضب ذلك المتشددين عبَّادَ الديباجة للديباجة . وأما أنا وأمثالى فنفرحون بالتزام المترجم أسرار الروح الأجنبى . لأنك إذا طلبت ناحية من نواحى الأدب الأعجمى فإنما تريد أن تقف على دخائلها لتميزها مما تعرفه من أدبك ، أو لتقتبس منها نحواً جديداً . فجريان الجملة ونبضان الفكرة كلاهما رهين بالأداء ، فإذا نقلت على خصائص لغتك وشرائط تفكيرك عطَّلتَ طرائفَ الأصل . وعلى هذا فإن كتاب « مختارات من القصص الإنجليزى » حقيق بالحفاوة والانبساط

وقد تتبعت الأستاذ المازنى ـ وإن كان فوق التتبع لإحكامه اللغتين ـ فوجدته يعتنق الأصل اعتناقاً . وربما عبَّر عن الكلمة الإنجليزية المنتشرة بكلمتين أو ثلاث مخافة أن يزيغ المعنى بتمامه (مثلاً : prig = مغرور ، مفتون ، متحذلق : ص ١٠٥) وربما حافظ على الاستعارة الإنجليزية وإن شذت فى العربية بعض الشذوذ (مثلاً to pour out = أصب على رأس مرغريت مادار فى اجتماعنا). وهو إلى جانب هذا يحسن استعمال اللفظ الوافى على إيجازه (مثلاً : I did not go on = فقد أقصرت : ص ١٠٦) . ولعل تركيباً أتى به الأستاذ أرى غيره مكانه . ولكن مثل هذا يرجع إلى محض الذوق ، وليس لك أن تفرض ذوقك الخاص على غيرك ممن يتصرف فى ضروب الإنشاء ألطف تصرف ، ويوجه مذاهب الكلام فى دراية وتبصر .

بشر فارس

التكتم

في مقالة[1] للباحث الأديب الكبير الدكتور بشر فارس باحث فيها العالم الأستاذ أحمد العوامري بك في أشياء — إلماع إلى ألفاظ في المعجمات في غير مظانها . ومما يضاف إلى الذي ذكره الدكتور المفضال هذه الكلمة : (التكتم) فقد سطرت في القاموس والتاج في مادة (د ل س) مغفلة أو منسية في مادة (ك ت م) . وكان العلامة اللغوي الكبير الشيخ إبرهيم اليازجي استعمل (تكتم) في مجلته (الضياء) فخطأه العالم الأستاذ محمد سليم الجندي قائلاً : « إنه لم يعثر عليها في كتب اللغة التي بين أيدينا » ، فرد عليه العالم الأديب الكبير الأستاذ قسطاكي بك الحمصي المشهور دفاعاً عن خليله إبرهيم مستنداً إلى القياس ، والقياس لا يعين في كل حين . و (التكتم) هو في اللغة ، والإمام البوريني يقول في مقطوعة حين حذق الفارسية :

تعلمت لفظ الأعجمي وإنني من العرب العرباء لا أتكتم !

وقد تبع المعجمان (أقرب الموارد والبستان) في هذا الفعل القاموس والتاج ناقلين عنهما ، فأورد الأول (تكتم) والثاني (التكتم) في (د ل س) ولم يثبتا الفعل أو مصدره في (ك ت م) والمأمول أن يحظى العرب بمعجم كامل حاشد مجود التنسيق في هذه الدنيا قبل يوم القيامة ... إذ لا يحتاج في الآخرة إلى مجامع لغوية ولا معجمات ولا بلاغات ولا فصاحات ...

(طنطا) (أزهري)

وفاة الدكتور على العنانى

نعى إلينا صباح الخميس الماضي المرحوم الدكتور علي العناني ، وهو من رجال الأدب الذين تخرج على أيديهم طائفة ممتازة من شبابنا المثقفين

تخرج الدكتور العناني في دار العلوم سنة ١٩٠٩ ، ثم اتصل بالجامعة المصرية في أول عهدها ، فكان هو والدكتور أحمد ضيف أول مبعوثيها إلى أوربا ، فدرس الدكتور العناني في ألمانيا الفلسفة واللغات الشرقية إلى جانب دراسة اللغة الألمانية ؛ وعاد من أوربا بعد الحرب العظمى الماضية ، فاشتغل محاضراً بالجامعة ، ثم انتقل إلى دار العلوم العليا أستاذاً للأدب ؛ فما زال قائماً بعمله حتى سنة ١٩٣٨ ، ثم اختير كبيراً لمفتشي الفلسفة في وزارة المعارف العمومية ، وظل قائماً بعمله حتى أحيل إلى المعاش منذ قريب

المنفلوطي في رأي مستشرق انجليزي

نشرت مجلة (اسلاميك كالتشر) مقالاً عن المرحوم المنفلوطي نلخصه فيما يأتي :

تناول بعض كتاب مصر المعاصرين وفي مقدمتهم العقاد والمازني وطه حسين مقالات المنفلوطي بنقد مر عنيف ، ولكن هذه المقالات ذات أهمية خاصة لأنها تمثل مرحلة من مراحل إحياء الأدب العربي

نشرت هذه المقالات الموجزة في الصحف تحت عنوان « النظرات » وقد جمعت بين الأدب العالي وبين إرضاء ذوق القراء لأنها كتبت بلغة موسيقية صافية ، فكانت بمثابة الوحي يهبط على جمهور تعود قراءة أدب الكلفة والتصنع . وقد انتشرت انتشاراً واسعاً بين قراء العربية من بغداد إلى مراكش ؛ مما يدل على أنهم ألفوا فيها شيئاً قيماً ، كما كانت تمثل الشعور الذي تردد صداه في العالم الإسلامي أبلغ تمثيل

ومن السهل أن ندرك اليوم قيمة هذه المقالات ، فإن رجال الأدب يشعرون بالأثر القوي الذي أحدثته كتب المنفلوطي التي يحفظ منها طلبة المدارس عن ظهر قلب صفحات برمتها ملكت ألبابهم ، واستولت على مشاعرهم

وهي إلى جانب هذا تمثل حالة الأدب في الشرق العربي الذي اصطبغ بصبغة الآداب الغربية

أما أفكار المنفلوطي ، أو بمعنى أصح عواطف المنفلوطي ، فيلاحظ عليها التناقض والتضارب . فهو لا يستطيع مثلاً أن يخفي أسفه على الاعتقاد بشفاعة الأولياء وإن كان يرى أن هذه الاعتقادات هي السبب في ضعف العالم الاسلامي ويقول إن اختلاف الآراء هو القانون الأساسي لتقدم الإنسان ، بينا يندد بتعدد الأحزاب السياسية في مصر . ويرفض الجمود الديني ويحذر قراء العربية من اقتباس مدنية الغرب دون تمحيص ، مع أنه قد تأثر في أدبه بالطريقة الإبداعية (رومانتزم) في الأدب الفرنسي

وكان المنفلوطي وطنياً غيوراً ، وقد قضى هذا الكاتب الرقيق ستة أشهر في السجن عقاباً له على قصيدة هجا بها الخديو عباس

(١) راجع (مسئلة منهج) في الثقافة ٥٦ ص ٤٥

حلمى . وانضم إلى الزعيم سعد زغلول الذى قام يطالب بالحرية لمصر المتحدة الناهضة . وكان إلى هذا رجلاً يحافظ على التقاليد ويرعاها فظل طول حياته يلبس الزى الوطنى ورفض أن يستبدل به الملابس الأوربية . أما مطالبته باحترام المرأة والطبقات الفقيرة فإنما يقوم على أساس من قواعد الدين الإسلامى

البستانى

توالى مجلة « السياسة الأسبوعية » فى هذه الأيام نشر ترجمة أناشيد « البستانى » للشاعر الفيلسوف طاغور ، وهى بقلم الأستاذين فؤاد البعى وتوفيق أبو السعد . ولقد كنت أطالع هذه الترجمة فى شىء من الإكبار والإعجاب ، وأغض البصر والعقل عن أخطاء لا تشوه المعنى ولا تضع من المجهود الضخم ؛ حتى كانت القطعة الرابعة فى العدد ١٥٦ المؤرخ ٢٧ يناير سنة ١٩٤٠ ، فذهبت أقابل بينها وبين الأصل الإنجليزى مرة ، وبين الترجمة التى حملت نفسى عليها مرة أخرى — كدأبى فيما سبق منها — فألفيت هناك اضطراباً يحط من قدر الترجمة .

وأول شىء أخذته على الترجمة هو أن تحيد عن الطريق الذى اتخذه طاغور لنفسه أول ما كتب أناشيده ، فهو قد رتبها على نسق يجعل كل نشيد وحدة قائمة بذاتها قد لا تمت إلى ما قبلها ولا إلى ما بعدها بسبب ، ثم ميزها بأرقام هى إحصاء لعدد الأناشيد فى كل كتاب من كتبه ، هذا الترتيب قد أُغضى عنه فى القطعة الرابعة مما لا يقر الأستاذين عليه أحد .

ثم ابتدأت القطعة الرابعة — ولست أدرى كيف خوّل الأستاذان لنفسيهما أن يضعا هذا الترقيم — بالنشيد العاشر الذى اختلط آخره بأول النشيد السادس عشر طفرة واحدة ، وبذلك يكون قد سقط من الترجمة خمسة أناشيد كاملة تقع فى اثنتى عشرة صفحة من الأصل الإنجليزى أو قرابة جزء من ثلاثة عشر جزءاً من الكتاب كله ... ثم راحت الأناشيد يدغم بعضها فى بعض دون أى إشارة تنبئ بأن نشيداً انتهى أو أن آخر ابتدأ ... وفى النشيد السابع عشر جاء المقطع الثانى قبل المقطع الأول ... وهكذا ... وهكذا ... مما يضيق عنه وقتى ولعل هذا الجهد قد ناء بالأستاذين فأرادا أن يتحللا منه فى سرعة أو أن يخلصا إلى آخره فى غير عناء

وإننى أناشد الأستاذين فى غير تعنت ، أن يبذلا فى ترجمة هذه الأناشيد ما تستحقه من جهد ، وأن يخصاها بما تحتاجه من وقت لتكون الترجمة أقرب شىء إلى الأصل ، والسلام

كامل محمود حبيب

نقود ذهبية من عهد العباسيين

بينما كان أحد الفلاحين يستخرج السماد من بعض التلال الأثرية بناحية سيدى سالم بمديرية الغربية ، إذ عثر على ١٩ قطعة ذهبية يرجع عصرها إلى الخلفاء العباسيين ، وقد صكت فى عهد هارون الرشيد والمأمون والمهدى

وقد أبلغ الأمر إلى إدارة حفظ الآثار العربية فأوفدت أحد مفتشيها فتسلم القطع الذهبية التى عثر عليها

وقد نقش على أحد وجهيها بالخط الكوفى (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) ونقش على الوجه الثانى « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » وأرخت بالتاريخ الهجرى . وهى من الذهب الخالص فى حجم القطعة الفضية ذات القرشين ولكنها أثقل منها وزناً

شعراء اليونان

يذيع الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى سلسلة أحاديث أدبية من محطة الإذاعة بهذا العنوان ، وقد سمعناه أخيراً فى مساء الاثنين ٥ فبراير يتحدث عن الشاعر الأمير أبى فراس الحمدانى ، فتناول فى حديثه جميع أطوار الشاعر ، وعرض لفنه ومذهبه فى النظم فوفّى الكلام فى هذا الصدد . ونحن مع إعجابنا بما سمعنا لا نسلم بكل ما جاء فى حديثه ، فمثلاً يقرر أن أبا فراس لم يكن فى غزله كعامة الشعراء ، بل كان إذا تغزل تمثل شخصيته العسكرية ، وطبيعته الباسلة . ويعنى الأستاذ المحاضر بهذا أن الشاعر لم يذب قلبه فى قصائده ومقطوعاته . ويؤيد حكمه على الشاعر بهذه الأبيات:

أراميىّ كل السهام مصيبة ... وأنت لى الرامى فكلى مقاتل
وإنى لمقدام وعندك هائب ... وفى الحى سحبان وعندك باقل

تسائلنى من أنت وهى عليمة ... وهل بفتى مثلى على حاله نكر
ونحن أناس لا توسط بيننا ... لنا الصدر دون العالمين أو القبر

وفى كلتى ذاك الخباء خريدة ... لها من طعان الدارعين ستائر
تقول إذا ما جئتها متدرعاً ... أزائر شوق أنت أم أنت ثائر

والأستاذ الغزالى بقوله هذا ينكر على الرجل عمق إحساسه وشعوره وعواطفه وهى الصفات التى تتفاوت بها معايير الشعر . ولو تروّى الأستاذ قليلاً لأدرك أن للرجل فى الغزل شعراً يفيض عن إحساس قوى مشبوب ، وعاطفة مضطرمة مضطربة . وإن خالجه فى هذا شك فليسمع :

إذا الليل أضوانى بسطت يدَ الهوى
وأذللت دمعاً من خلائقه الكبر
تكاد تضيء النار بين جوانحى إذا هى أذكتها الصبابة والهجر

ومن غزله السافر :

بات الحبيب إلى الصبا ح معانقى خداً بخدْ
يمتار فىّ وناظرى ماشئت من خمر وورد

ومن أبيات له :

تثنت فغصن ناعم أم شمائل وولت فليل فاحم أم غدائر
كأن الحجى والصون والعقل والتقى
لدى ، وربات الحجال ضرائر
أقول وقد ضج الحلى بجرسه ولم تر فيها للصباح بشائر
فيا رب حتى الحلى مما نخافه وحتى بياض الصبح مما نحاذر

هذا ولو شئت أن أذكر للأستاذ المحاضر من شعر أبى فراس الذى لا ينهض مع حكمه الجرىء على غزله وتشبيبه لما اتسعت هذه الكلمة العابرة لذلك ! عبد العليم عيسى

الى مؤلف « الأسمار والأحاديث »

هأنذا يا سيدى أحد هؤلاء القراء الذين فتنوا بأدبك ، وغزوت قلوبهم بسحر بيانك

ها أنذا يا سيدى أحد هؤلاء القراء الذين أنصفتهم فى مقدمة كتابك « الأسمار » وصورت لهم خلجات نفسك فكنت كريماً فى مناجاتك ، نبيلاً فى عباراتك

لقد زخرت العربية بمؤلفات المفكرين بيد أن كاتباً واحداً لم يسجل آراء الناس وأسمارهم بذلك الأسلوب الحكيم الذى يدعو إلى قراءته ، والإعجاب به كما تهيأ ذلك لك

ذاك فن الأسمار الذى نحن أحوج ما نكون إليه فى عصرنا هذا وقد أصبح أدبنا بعيداً عن مجتمعاتنا وأفكارنا

لقد تهيأ لك ابتكار فن جديد قبل ذلك ، حينما نقلت الغزل والتشبيب من الشعر إلى النثر ، فى كتابك « ليلى المريضة » كما نبه إلى ذلك الأستاذ الجارم بك ، واليوم تبتكر جديداً فى عالم الأدب فتصور المجتمع وفيه أصحاب العقول الفطرية تصاول العقول المثقفة فتطلق الحكمة على لسانها سائغة دامغة

تلك هى (الأسمار والأحاديث)

دراسة واسعة ، ونقد صائب ، وفكاهة راقية ، وتمثيل لصور المجتمع . ولعمرى لقد ترددت كثيراً عند كتابة هذه الكلمة بعد أن رأيت المؤلف يوصد الأبواب أمام من يحاول تزكية (أسماره) ولكن إذا كان من حق المؤلف أن يبث القارئ شجونه ويقدم إليه عصارة أفكاره ، فإن من حق القارئ أن يصرح بإعجابه

وإنى لأتقدم إلى رجال المعارف أن يقرروا مطالعته فى مرحلة الثقافة العامة حتى يتقن الطلبة لغة الحوار والمناظرة ؛ ويقفوا على ما يصطرع فى الجو الأدبى والاجتماعى من آراء وأهواء ، وحقائق وأباطيل ، ويتذوقوا جمال اللغة العربية وقد تركت حجر الدراسة إلى تصوير أحوال الناس ، وما يدور فى المجتمعات

سيد محمد مسعود

كتاب الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية

صدر المجلد الثالث من تاريخ الأندلس المسمى « بالحلل السندسية » للعلامة الكبير الأمير شكيب أرسلان فى نحو سبعمائة صفحة بالقطع الكامل

وقد أثبت المجلدان الأول والثانى من كتاب « الحلل السندسية » أنه أعظم تاريخ عصرى للأندلس

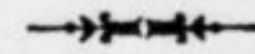
وقد تناول هذا المجلد الكلام على شرق الأندلس ومملكة بلنسية ومملكة مرسية وجغرافيتها وأحوالها وأهلها ووصف مدن الأندلس وحصونها وتراجم رجالها وملوكها والكلام على طرطوشة ودول الأندلس وملوك الطوائف وسقوط مرسية وحوادث الوريسك وغير ذلك من الأبحاث الجليلة



آفاق العــــلم الحديث

للأستاذ فؤاد صروف محرر « المقتطف »

بقلم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم



البحوث العلمية لا وجود لهـا فى العالم العربى اليوم ، والدراسات العلمية نادرة فى لغة العرب ، وهى إن جاءت فيها ، فعادة تجىء من القسط الشائع من الآراء القائمة اليوم فى العالم الأوربى عن العلم الحديث ، وهى بذلك دراسات — غالباً — تدور حول كليات لا تنزل منها للتفاصيل والجزئيات التى تتقوم بها . ومن هنا كانت عامية التفكير العلمى عند الكثيرين من كتاب العرب وخلطهم فى المسائل العلمية وما يتصل بها بوشائج الصلة من الآراء والأفكار . ولهذا كانت المحاولات التى تبذلها مجلة « المقتطف » شيخة المجلات العربية منذ نشأتها لا تقدر قيمتها من حيث تعمل على القضاء على عنصر العامية فى الفكر العلمى العربى — إن صح مثل هذا التعبير هنا — والنتائج التى تتركها هذه المحاولات فى الفكر العربى كبيرة ، آثارها غير أن قد لا تبدو اليوم للجميع واضحة، إلا أنه لاشك فى كونها مع الزمن ستنكشف وتتوضح خطوطها وتستبين معالمها . والواقع أن مجلة « المقتطف » منذ عهد مؤسسها المرحوم الدكتور يعقوب صروف ، أعطت الدراسات العلمية اهتماماً كبيراً . وهـذا الاهتمام يبدو اليوم على صفحات « المقتطف » فى الجهود الطيبة التى يبذلها خلفه الأستاذ فؤاد صروف فى تقريب صورة العلم كما ترسمها المباحث الحديثة فى الهيئة والفزياء وعلم الحياة والنفس ، وفى تقريب الأفكار العلمية إلى الأذهان . وهذه الجهود ظاهرة فى الفصول المبسطة التى تنشرها المقتطف فى كل عدد منها ، والتى يجىء معظمها من قلم محررها ، والتى يجمعها بعد نشرها فى مجاميع ، منها كتاب اليوم « آفاق العلم الحديث » الذى خرج بديلاً عن عددى سبتمبر وأكتوبر المنصرمين .

والكتاب مقسم إلى مقدمة وبابين ، أما المقدمة ففى أثر العلم الحديث فى خلق الغد ، وأما الباب الأول ففى عالم المادة الجامدة وهو ينطوى على سبعة فصول تتدرج من أقصى آفاق الكون فى عالم الأفلاك إلى أدق ما فى الوجود ، فى عالم الذرة والكهرباء والباب الثانى وقف على عالم الحياة ، وهو ينطوى على ستة فصول تتدرج من أسرار الحياة فى الخلية المفردة إلى أسرار النمو والخلق والتعبد والتقى Sex فى الأحياء المتعددة الخلايا والمركبة التكوين والتى يجىء منها الإنسان ، فتم البحث فى عقل ونفسية الإنسان . وهذه الفصول كلها يجمعها وحدة واحدة ، الأصل فيها الاستناد إلى التحقيق العلمى القائم على المشاهدة والاختبار ، وليس فيها من هنا أحلام وتصورات خيالية أو أفكار أولية مفروضة فرضاً . فكل ما تقف عليه فى فصول هذا الكتاب أن يسنده الاختبار البشرى القائم على التدقيق والفحص ، ومن هنا فهى أسس صالحة لكتاب العربية ، لتتطور معها فكرتهم الغيبية عن الوجود والحياة المتوارثة عن الماضى ؛ إلى فكرة وضعية إثباتية قائمة على علم اليوم تسندها التجربة والاختبار البشرى

أما مقدمة الكتاب فهى من خير الفصول التى دبجت فى اللغة العربية فى العصر الحديث عن العلم الحديث وآثاره المشهورة ، وفيها ملاحظات قيمة ومطالبات خطيرة — ولكن لمن يتفهمها على حقها — وقد جاءت فى سبع فقرات ؛ ففى الفقرة الأولى نرى الأستاذ صروف يكشف عن الأثر المشهود للعلم الحديث فى مختلف نواحى الحياة اليوم . وهو فى الفقرة الثانية يبين مقدار تأثر حياتنا العقلية والدولية ومثلنا الخلقية بالعلم الحديث ونتائجه التطبيقية . وهو فى هذه الفقرة يكشف عن منابع العلم الحديث من حيث هى قوة ديناميكية مؤثرة فى حياة البشر اليوم ، وهو يرى هـذه المناهج فى ثلاثة مصادر : الأول الانتفاع بنتائج العلم التطبيقية أو بتعبير أدق إمكان الانتفاع . والثانى منطق العلم الذى قلب نظرة الإنسان إلى الكون والحياة ونفسه . والثالث فى التحول الدائم فى مذاهب العلم ، والذى نتج عنه اعتبار الحقيقة شيئاً متغيراً يتطور وينمو مع تطور العلم الدائم الذى لا ينقطع . على أن لنا على هـذه الأسس الثلاثة التى يقدرها الكاتب مأخذاً لا نظنه ينكره علينا ، وقد أشرت إليه فى المحاضرة التى ألقيتها عن « أثر الرياضيات فى الحياة البشرية » مساء ١٨ ديسمبر ١٩٣٩ بجمعية الشبان المسيحية بالإسكندرية ؛ وذلك أنه اعتبر أساس

الأسلوب العلمي التجربة والمشاهدة ، وهذا صحيح من الناحية الشكلية فقط . أما في الواقع فالعنصر الرياضي الذي يجمع المشاهدات والتجارب والاختبارات في نظم موحدة على أساس العلاقة ، هو الأساس في الأسلوب العلمي . أما التجربة والاختبار ، فهي بمثابة الآلات أو المنابع التي تقدم المواد الأولية إلى الآلة الرياضية لتشتغل عليها ؛ وفهم العلاقة بين الآلة الرياضية والتجربة والاختبار مهم جداً في فهم حقيقة الأسلوب العلمي ، وأقل انحراف في ذلك ، نتيجته أن يتردى الإنسان في أوهام مثل التي وقع فيها الدارثورادنجتون في كتابيه « طبيعة العالم الفوزيقي » و « فلسفة العلم الفوزيقي » . وأظنني قد أشرت إلى هذه المسألة في نقد لي لكتاب « هندسة الكون حسب ناموس النسبية » ، نشرناه في المقتطف عام ١٩٣٨ ، وفيه تعرضت بالبحث لآراء إينشتين وإدنجتون وجينز ، وبينت بعض أوهامهم في هذا الموضوع

فإذا صرفنا النظر عن هذه المسألة ، فإن المقدمة تنتظم حلقاتها على أساس دقيق . فالكاتب يتناول في الفقرة الثالثة تطور الفكرة الإنسانية تحت تأثير العلم تجاه كل من الطبيعة والخالق . وهنا نجد الاستاذ صروف يبيّن كيف أن فكرة القدسية التي كان الإنسان يخلعها على نفسه باعتباره سيد المخلوقات قد انهارت . وفكرة اعتبار الأرض التي يعيش عليها مركز الكون وأنه محط الرعاية الربانية قد تلاشت

على أننا نلمس هنا بعض الحذر من الكاتب فهو لم ينته بفكرته إلى النتائج الأخيرة التي لا بد منها ؛ ولعقيدته وبيئة كتابته التي تتسلط عليها الأفكار القديمة ، بعض الأثر في التزامه هذه التحوط . وفي الفقرة الرابعة بين الكاتب نشوء شريعة الآداب النفسية كنتيجة للحياة التي عاشها الإنسان في الماضي . وتدرج من ذلك في الفقرة الخامسة إلى بيان أوجه الانقلاب الذي ابتدأ يطرأ على شريعة آداب النفس نتيجة لظهور المدنية الصناعية في الغرب ، وكيف أنها عملت على تحطيم القدسية والمثالية المخلوعة على المذاهب الأدبية التقليدية . وهكذا أصبح اليوم في العالم المتمدن الأمومة ضرباً من الاستعباد ، والزواج ضرباً من الرق ، وخضعت فكرة إخلاف النسل للقواعد المالية التي أخذت تعمل على تقييدها . وكان نتيجة كل هذا أن وقف الإنسان اليوم بين عالمين ، أحدهما ذهب إلى سبيله في جوف الماضي ، والآخر لم يولد بعد ، أو هو لا يزال في المهد صبياً ... وهكذا وقف العالم حائراً ؛ والكاتب يصور هذه الحيرة في الفقرة السابعة من بحثه تصويراً دقيقاً ، ويبين في الفقرة الثامنة والأخيرة من البحث أن نظريات العلم التي قلبت نظرية الإنسان في الكون ونفسه التي أنشأت هوة سحيقة بين الحياة التقليدية التي ورثها عن الماضي ومستلزمات الحياة التي تستلزمها اعتبارات اليوم تنطوي رغم كل العوامل الهدامة التي تبدو فيها ، على بذور لحل المشكلة التي تركت الإنسان عبها الآن ، وهذه البذور تكمن في التصوف العلمي وفي النزعة الإنسانية Humanitarian التي أخذت تذيع في الناس بانتشار الفكر العلمي . وفي هذه المقدمة التي عرضنا لك موجزاً لخطوطها الأساسية ، تفكير سليم ، ومنطق حصيف ، لا شك أنه وليد ذهنية صافية أرهفها التزود من المسائل العلمية الدقيقة وصقلها التمرن على البحوث العلمية ، ولهذا جاءت طابعاً وحدها بين المقول العلمية التي تشتغل في الحقل العلمي في العالم الناطق بالعربية

على أن لنا ملاحظة على استعمال عبارة « المذهب البشري » ناظرة إلى كلمة Humanism الإفرنجية . ذلك أننا نعرف أن لفظة Humanism تفيد اصطلاحياً الآداب اليونانية واللاتينية لتفشي النزعة الإنسانية فيها (بمعنى الرجوع إلى الإنسان لا إلى الله أو الغيب) . وأظن أن صديقنا الأستاذ اسماعيل مظهر نبه إلى ذلك في النقد الذي كتبه لكتاب « البراجتزم » للأستاذ يعقوب فام في المقتطف لأعوام خلت . وفيما عدا ذلك فاللغة مثال اللغة العلمية الواضحة الفائقة على التدقيق

وبالرغم من المآخذ التي أخذناها ، وهي لا تنقص من قيمة الجهد الكبير المبذول في هذا الكتاب ، فإنه يمكن بكل اطمئنان القول بأن هذا الكتاب من خيرة الكتب التي ظفرت بها المكتبة العلمية العربية ، وهو كتاب لا يستغني عنه العالم ولا المنشئ ولا الأديب . فالكل يجد فيها ما يفيده ، وهو بالتالي موضع الثناء والتقدير . وأظن أن أدباء العربية — خصوصاً الذين لا يعرفون لغة أجنبية ، أو ليست لهم ثقافة علمية — بتزودهم من الحقائق التي بهذا الكتاب ، سيعملون على التغلب على عنصر الضعف العلمي الملحوظ على أدبهم ، والذي سبقهم إلى التغلب عليه أدباء الغرب .

« الاسكندرية » اسماعيل أدهم

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾



8me Année No. 346

Lundi - 19 - 2 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٤٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ محرم سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٩ فبراير سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

الربيـع الأحمـــر !

الربيع الأحمر ! ذلك هو الربيع المقبل كما يتصوره الشاعر !

لا يزال الربيع جنيناً فى بطن الأرض ، وإن الطبيعة لتهيئ لجذوره وبذوره الغذاء المرىء والكساء الوضىء من دماء البشر !

سيولد ولادة الملوك على حشد الجنود وخفق البنود وقصف المدافع ؛ وسيدرُج فى غلائله الأرجوانية الموشاة على فجوات القنابل وأخاديدها ، فيبذر الحياة فى الموت ، وينشر الجمال على القبح ، وينثر أزهاره الغضّة على جثث وقبور ! ويومئذ لا تدرى وأنت ترى غيم الدخان وبرق النيران ، وتسمع صفير الرصاص ورعد القذائف ، أنحن فى ربيع ابريل أم فى شتاء يناير ؟

على أن الشتاء كان على الناس سلاماً وبركة ! خمدت على جليده لظى الحرب ، وجمدت فى ثلوجه مخالب الموت ، واستطاع بفضله الهر الفنلندى الضئيل أن ينشب أظفاره فى حشا الدب الروسى الهائل ؛ ولـكن الربيع الذى جعله الله نشوراً للحياة ومعاداً للشباب ومبعثاً للحب ، سيمين لؤم الإنسان بدفء نسيمه وصفاء جوه ، على أن يجعل الأرض لنفسه مجزرة ومقبرة !

* * *

الربيع الأحمر ! ذلك هو الربيع الذى لا يخلقه الله وإنما يخلقه الإنسان ! سيخلقه من الذهب والهب والدم ، فيجعل من

الجداول خنادق ومن الأغصان بنادق ومن الأدواح مدافع ؛ وإذن تصبح الأعشاش الناعمة المفردة المطارة مثابة بؤس ومناحة شباب ومستودع غاز !

سيعود ربيع الله الأخضرُ بطيوره وزهوره ونوره وسروره إلى الجنة ، وسيستعير الإنسان مادة ربيعه الدامى من جهنم ، فينبت فى كل بقعة من بقاع الأرض آجام من شجر الزقوم الباسق الألف، تئز فى آفاقها الطوائر، وتمج فى أجوافها المدافع، وتدب فى مدارجها الدبابات ، وتهب فى مجاريها السموم ، وتردد فيها أناشيد السلام وأغاريد الغزل أنات وصرخات تذوب لهولها الهائل قلوب الشياطين !

تبصّروا أيها السادرون من ساسة الشعوب، أهذا هو الربيع الريان الذى جعله الله جِدة للحياة ومتعة للحى، أم هو الخريف الميت أحرقته الحرب باللهب ، وكفنته بالتجيع ، وأخذت عواصفها الرُّعن تكسح الأرواح الساقطة قبل الأوان لتقذف بها فى هوى العدم ؟ لم تستعجلون أمر الله ، وتستقدمون يوم القارعة ، وتحاولون أن تدكوا الأرض ، وتشقوا السماء ، وتذروا الكون الذى عمرته القرون وحضّرته الأمم كمبد (داجون) أنقاضاً على شمشون وأعدائه ؟

هيهات أن تصيخ اليوم لنداء السلم أذن ! لقد جمح الهوى بالعقل جموح الفرس الشموس ، فلا هو يسمع الصوت المهيب ، ولا هو يطيع اللجام الكابح !

تلك مشيئة الله ، وما تشاءون إلا أن يشاء . ولعله ، عزت حكمته، يريد من هذه القيامة العاجلة أن يحيى الناسَ حياة أخرى على نمط من الهداية جديد

* * *

الربيع الأحمر ! ذلك هو الربيع الخلاق الذى يهز الأرض هزاً فتربو وتنبت ! سيهزها هز العافية ليسقط الذاوى وينتعش الهامد . والحرب تشذيب لغرس الله تقوى عليه الغصون وتزكو بعده الثمر . وآفة الحرب أنها تودى بالصالح للحياة وتبقى على الصالح للموت ؛ ولكنها كالسيل الأتى يجرف تياره الجَنِيَّ واليابس ، ويغرق طغيانه العامر والدامر ؛ فإذا انقطعت روافده وجفت مجاريه عادت الأرض به أخصب تربة وأوفر غلة

مرحباً بالحرب إذا لم يكن من خوض غمارها بد . إنها تقطع الفضول وتنفى الخَبَث وتذيب الغش وتذهب الوهن. ولعلنا أحوج الأمم إلى طَهور الحرب يرحض عنا رخاوة الذلة واستكانة الرق! فقد غبرت على وجوهنا قرون من التبعية المستسلمة لو مرت على الضوارى لطمست فى جباهها معارف الجرأة ، وأماتت فى نفوسها معانى الافتراس . كنا نعيش فى ظلال المتبوع عيش الأمان والغفلة ، لا نعرف الحدود إلا على الورق، ولا نشهد الحروب إلا فى السينما ، ولا ندرك معنى الدفاع عن النفس فى وجود الحامى إلا كما تدركه الزوجة المرفهة فى وجود زوجها ، والولد المدلل فى حضرة أبيه ، حتى فشا فينا الجبن ، وغلب علينا التواكل ، وقعد بنا الرضى ، فتركنا ثروتنا للغريب ، ووكلنا حمايتنا للحليف، وفرغنا للتنافس فى الهزل ، والتراشق بالتهم ، والتسابق إلى النيابة أو الحكم من غير كفاية ولا غاية !

* * *

الربيع الأحمر ! ذلك هو الربيع الجبار الذى يأكل غثاء الخريف وحطام الشتاء ليحيلهما فى جوفه النارى غذاء لشجره ونماء لثمره !

هو وحده الذى يستطيع أن يقتطع الحطب، ويقتلع العليق، ويُنبت على الجذور البالية خِلفة نامية زاكية تهيئ الروض الهامد للنضارة والطهارة والإنتاج والبركة

إن روضنا يا ربيع هشيم وخشب ! فأحيه بالماء أو بالدم ، وعالجه بالغذاء أو بالسم، فقد استعصى يا ربيع علاجه على النيل، ولا بد أن يضحَّى بجيل فى سبيل جيل !

احمد حسن الزيات

عددنا الممتاز

سيصدر عددنا السنوى الممتاز فى اليوم الرابع من شهر مارس المقبل فى أربع وثمانين صفحة . وهو كالأعداد السبعة السالفة كتاب قيم يدور على عظمة الرسول وعبقرية الإسلام ومجد العروبة .

وسيكون ثمنه قرشين لغلاء الورق وقلة المطبوع

الى وزارة المعارف

معـــارف مصر

فى حولية المعارف الأممية

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

حمل البريد إلىَّ قبل يومين الحولية التى نشرها مكتب التربية الأممى ، عن « التربية والتعليم فى جميع أنحاء العالم خلال سنة ١٩٣٩ »

فلما أخذت أقلب صحائفها لألم بها إلماماً إجمالياً – استعداداً لدرسها درساً تفصيلياً فيما بعد – كان بعض الفصول يستوقف نظرى قبل غيره أو أكثر من غيره ؛ وكان الفصل الخاص بمصر (ص ١٨٠ إلى ٢٠١) من جملة تلك الفصول بطبيعة الحال

وما كدت ألقى نظرة سريعة على الصفحتين الأوليين من هذا الفصل ، وأستعرض الأرقام الإحصائية المدرجة فيهما ، حتى وقفت على ما يثير الضحك والألم فى وقت واحد ...

يفهم من هذه الإحصائية أن مدارس الأطفال فى مصر تربى ٢٤٤٨ طفلاً ، والمدارس الابتدائية الأميرية تعلِّم ٢٩٧٧٥ تلميذاً ، والمدارس الابتدائية الخصوصية يُجلس على كراسيها ٥٣٤٨٩ من التلاميذ ؛ وهذا هو كل ما فى مصر من مدارس خاصة بتعليم الأطفال – قبل بلوغهم سن الدراسة الثانوية – حسب ما يظهر من هذه الإحصائية ...

لو لم أكن أعرف حالة المدارس المصرية معرفة سابقة ، وكان عرفانى بها مستنداً إلى هذه الإحصائية وحدها، لقلت حالاً: ما أتعس مصر وما أشقى أطفالها ...

لأن هذه الأرقام تدل على تأخر فظيع ، لا بالنسبة إلى الأمم الأوربية والأمريكية فحسب ، بل بالنسبة إلى الأمم الشرقية نفسها . وليس هذا التأخر بالكمية النسبية فحسب ، بل بالكمية المطلقة أيضاً ... فإن العراق ، يسبق مصر فى هذا المضمار بمراحل عديدة . وأما إيران فتسبقها بعشرات المراحل نظراً إلى هذه الأرقام ...

فإن عدد طلاب المدارس الابتدائية الأميرية فى العراق يناهز ثلاثة أمثال طلاب تلك المدارس فى مصر ، مع أن عدد نفوس العراق لا يبلغ ثلث نفوس مصر ... وأما عدد طلاب المدارس الابتدائية فى إيران فلا يقل عن ثمانية أمثال طلاب مصر ، مع أن عدد نفوسها أقل من نفوس مصر على كل حال ...

ولا مجال للشك فى أن كل من يراجع الحولية الأممية المذكورة من الأوربيين والأمريكيين سيلاحظ هذه الملاحظة ، وسيقول : ما أفظع هذا التأخر المؤلم فى بلاد غنية مثل مصر ، فى شعب عريق فى الحضارة مثل المصريين !

* * *

قد يقول بعض من يقرأون هذه الأسطر : لا بد من أن يكون هناك خطأ فى الأرقام ... ولا يستبعد أن يكون هـذا الخطأ متأتياً من نقص المعلومات التى جمعها مكتب التربية الأممى عن المدارس المصرية ...

غير أن هناك ما ينفى هذا الاحتمال نفياً باتاً : لأن الفصل الذى يرافق إحصائية المعارف فى مصر لسنة ١٩٣٩ تقرير رسمى رفعه مندوب الحكومة المصرية الدكتور محمود فهمى — كما هو مصرح به فى أسفل الصفحة ١٨١ من الحولية — فلا يحق لأحد إذن أن يشك فى صحة الأرقام المدرجة هناك ...

ومع كل هذا ، فأنا أعرف أن النتيجة التى يصل إليها الباحث — من هذه الأرقام — لا توافق الحقائق الراهنة بوجه من الوجوه ... أنا أعرف أن هذا المظهر الغريب الذى تظهر به معارف مصر — فى مثل هذه الإحصائيات — يعود إلى سبب مهم ، كنت قد وجهت إليه الأنظار — على صفحات الرسالة — قبل نحو ثلاث سنوات ...

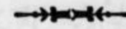
إن نظم التعليم المرعية فى مصر لا تفهم من تعبير « المدرسة الابتدائية » ما يفهمه رجال التربية والتعليم وغيرهم فى جميع أنحاء العالم. فإن المدرسة الابتدائية فى مصر، مدرسة من نوع خاص، وهى غريبة شاذة من وجوه عديدة ...

لقد انتقدت أوضاع هـذه المدارس بشدة فى المقالة التى

الى الدكتور طه حسين بك

تشريح عاطفة الحب

للدكتور زكى مبارك



أيها الأستاذ الجليل :

سألتنى يوم لقيتك بوزارة المعارف فى صباح اليوم الثامن من هذا الشهر عن سبب اهتمامى بالحديث عن الحب ، وقد جرى ذكر كتاب « ليلى المريضة فى العراق » ، وكانت الابتسامة التى شعّ ضوءها فى ملامح وجهك ، تحمل معنى التعجب من أن تسمح الدنيا بأن أعيش بقلب الحب المتيّم المتبول !

فأجبتك بأن شواغلى فى الحياة قد تجعل الحب آخر ما يشغل قلبى . ولكن حديثى عن الحب صار مذهباً أدبيًّا أشرح به ما يتعرض له الناس فى ميادين النوازع والأهواء ، وأنا أريد أن أخلق جوًّا من البشاشة أدفع به ظلمات الزمان !

فابتسمتَ ابتسامةً لها معنًى وقلت : اخلق البشاشة فى الزمن إن استطعت !

ثم خضنا بعد ذلك فى شجون من الأحاديث سأرجع إليها بالتدوين بعد حين ...

نشرتُها فى العدد ١٨٧ من الرسالة ـ بتاريخ أول فبراير سنة ١٩٣٧ ـ وبعنوان « نقد نظام التعليم فى مصر » ، وشرحت المحذورات الجوهرية التى تتأتى من الاستمرار على تلك النظم ...

وما كنت أتصور عندئذ أن كل شىء سيبقى على حاله وسيؤول إلى ظهور مصر بهذا المظهر الغريب فى الحولية الأممية بعد ثلاث سنوات ...

(بغداد) أبو خلدون



حاشية : إن المقارنة بين الأرقام المدرجة فى حولية ١٩٣٩ وبين المدرجة فى حولية ١٩٣٨ — فى القسم الخاص بمصر من جهة، وفى القسم الاجمالى العام من جهة أخرى — ولا سيا فى الأرقام المتعلقة برواتب المعلمين والمعلمات وعدد دور المعلمين ودور المعلمات — أدتنى إلى ملاحظة عدة أمور غريبة ، لم أر لزوماً لشرحها هنا ؛ بل آثرت الاكتفاء بتوجيه أنظار المختصين والمسؤولين إليها ...

ويهمنى اليوم أن أشرح ما كان يجب أن أقول فى جواب سؤالك لو رأيتك منشرح الصدر لا تشكو تدخُّل بعض الناس فى شؤون قد يجهلونها كل الجهل ، أو يتحمسون لها بعقيدة مدخولة وإيمان مصنوع .

ونحن لم نبتكر الكلام عن الحب ، فهو عاطفة عرفتها الأرواح منذ أقدم عهود الوجود . وما قيمة الدنيا إذا خلت من الحب ؟ ولأىّ غرض يحيا الناس إذا أُصيبتْ أفئدتهم بالاعتلال فلم تحسّ ذلك الروح اللطيف ؟

وهل ينصرف القلب عن الحب وهو فى عافية ؟

إن المتوقرين والمتزمتين يتوهمون أنهم وجدوا الحجج الدوامغ حين استطاعوا أن يقولوا : إن الدنيا فى حرب ، وإن الظروف لا تسمح بالحديث عن الحب !

وأقول : إن ما هتفوا به لم يصدر إلا عن صدور مِراض ، فالحب لا يغزو إلا قلوب الأصحاء ، وهو يساور قلوب الجنود فى أصعب أوقات الحروب . وهل كان عنترة بن شدّاد ماجناً حين قال :

ولقد ذكرتك والرماح نواهلٌ منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددتُ تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسّم

وما هتف به عنترة هتف به ضابطٌ مصرىٌّ سمحت له لجنة الأناشيد العسكرية بأن يقول :

مين زيّك عندى يا خضْره فى الرقه يا غصن البان
ما تجـودى علىّ بنظره وانا رايح عَ الميـدان

وهذا الضابط اسمه عبد المنصف محمود ، ولا أعرف كيف اهتدى إلى هذه الفكرة الطريفة وهو يعيش فى زمن مثقل بآصار التصنع والرياء

لقد قيل إن هذا نشيد لا يصلُح للجنود وهم يتأهبون للقتال

وأقول إن هذا النشيد من شواهد العافية ، فلكل جندىّ فى الجيش أوطار روحية يحن إليها حنين الأصحاء ، وتلك الأوطار الروحية هى الحافز الأعظم للاستبسال فى ميادين الشرف والوطنية . والجندىُّ الفارغ القلب من عاطفة الحب لا يصلح أبداً للاستشهاد فى سبيل الوطن الغالى ، لأن الوطن لا يغلو إلا فى صدور أرباب القلوب

وأنا أنتظر أن يسود ذلك النشيد على سائر الأناشيد ، فقد هتف به جندىٌّ سليم الجسد والروح ، وهو أفضل من الأناشيد التى ينظمها شعراء لم يعرفوا الفرق بين السيف والرمح ، ولم يسمعوا صوت المِدفع إلا فى ليالى رمضان !

من الفضول أن أحدثك عن أهمية الحب ، ولك فيه تاريخ ، ولكنى أحب أن أعرف كيف يندُر أن نجد بين كتابنا من يهتمّ بتشريح عاطفة الحب ؟ وكيف يرانا من سيدرسون آثارنا الأدبية بعد جيل أو أجيال حين يظهر لهم أننا كنا نحسب الحديث عن الحب فنًّا من فنون المزاح ؟

الحب جِدُّه جدّ ، وهزله جِدّ ، ولا يتجاهل هذه العاطفة إلا الغافلون عن تأثيرها الحسن أو السيء فى تلوين الوجود

الحبُّ جِدٌّ صُراح ، والاهتمام بدرسه يؤدى خدمات عظيمة لعلم النفس ، فكيف نسكت عن درسه وهو يواجه الناس فى جميع الميادين ؟ كيف نسكت عن درسه وله قدرة قاهرة على الضر والنفع ، وله تأثير شديد فى توجيه مصاير الرجال ؟

وبأى حق يخلو أدبنا من تشريح عاطفة الحب ؟

وكيف يجوز أن يقهرنى العيش فى عصر التزمت على الدفاع عن كتاب « ليلى المريضة فى العراق » وهو كتابٌ أردت به خلق الحيوية الأدبية بين أبناء هذا الجيل ؟

إن التوقر الذى يصطنعه بعض الناس قضى على عصرنا بالحرمان من البشاشة والأريحية وقطع ما بيننا وبين ماضينا المجيد يوم كان لنا شعراء لا يهتفون بغير أوطار القلوب

وأين نحن من العصر الذى عاش فيه عمر بن أبى ربيعة ، أو العصر الذى عاش فيه العباس بن الأحنف ، أو العصر الذى عاش فيه الشريف الرضى ؟

وهل يمكن القول بأن الحاسة الدينية فى هذا العصر تفوق الحاسة الدينية فى أعصر أولئك الشعراء ؟

لا يمكن القول بذلك ، فنحن بشهادة رجال الدين أقلُّ حرصاً على الواجبات الدينية من الرجال الذين عاصرهم أولئك الشعراء ، والله يغفر لى ولك ولسائر أهل هذا الجيل !

الفرق بيننا وبين أسلافنا لا يحتاج إلى توضيح

كان أسلافنا أصحاء ، فكانت عصورهم تجمع بين أشرف صنوف الهداية وأعنف ضروب الضلال ، وكان الرجل الديّان لا يتورع عن رواية أظرف قصائد الغزَل والتشبيب ، وكان هناك توازن بين حقوق القلوب وحقوق العقول ، فكانت الحياة أشبه بالحديقة الغنية التى تجمع فى رِشابها بين حياض الأزهار والرياحين ومسارب الأفاعى والصِّلال

وأين نحن اليوم من أولئك الأسلاف ؟

فى مساجدهم رُوِيت طرائف الأشعار ، ونوقشت مذاهب الزيغ بلا تحامل ولا إسراف ، وفى بيوت أتقيائهم دُوِّنت أوهام القلوب والعقول ، وعلى ألسنة أصفيائهم جرتْ أحاديث الشك والارتياب ، وبفضل ذوقهم الأدبي والفنى عاشت أضاليل لهاصلات بحيوات الآداب والفنون

أما عصرنا الذى أعرف وتعرف فهو عصر الرسوم والأشكال ، وأخشى أن يمر بلا أثر ملحوظ فى خدمة العقل والقلب والذوق وإلا فأين الرجل الصالح الذى يقهرك روحه على التزام حدود الدين ؟

وأين المفكر الذى يقهرك إخلاصه للفكر على التزام حدود العقل ؟

وأين الأديب الذى يحدثك عن نفسه فتشعر بأنه صادق كل الصدق ؟

ومن أجل هذه الرخاوة الفكرية والأدبية والدينية فترتْ حماسة الناس للفكر والأدب والدين ، وأصبحت القلوب فى مثل حال الشراب المقتول

وهنا أجد الجواب عن سؤالك ، أيها الأستاذ الجليل

فأنا أتحدث عن الحب بصفة جدية ، وأتعقب أخباره وآثاره فى كل ما أرى وما أسمع ، وآية ذلك أنى لم أنته ولم أنزجر بعد أن رأيت غضبتك فى جريدة السياسة يوم ظهر كتاب « مدامع العشاق » وقد قلت إنه يحرض على الشهوات ، سامحك الله وغفر لك !

وأنا أجِدُّ فى كل شىء ، أجد فى الصداقة والعداوة ، وأجد فى الشك واليقين ، وليس أمامى مجال للمزاح ، وكيف يتسع وقتى للمزاح وما قضيت يوماً خالياً من الشقاء بالدنيا والناس ؟

فما أرضاك عنى فهو حق ، وما نفّرك منى فهو حق ، وما خصصتك بغضبى ورضاى إلا لأنى أعرف أنك تماقر من فرح الحياة وحزن الحياة بعض ما أعانى . وأنا موقن بأنك تفهم عنى

ما أريد ، لأنك تعرف من سريرتى ما لا يعرف سواك

فما رأيك فى الحب ؟

ألا ترى أنه عاطفة تستحق أن نتأثرها فى جميع المسالك ؟

وإذا سكتنا عن تشريح عاطفة الحب فمن يتحدث عنها ونحن ندّعى النيابة عن الجمهور فى تشريح النوازع والأهواء ؟

وهل يرضيك أن نصيرَ إلى ما صار إليه مَن يختارون المحفوظات لتلاميذ المدارس ، وقد تحاشوا جميع الأشعار التى تفصح عن أوطار القلوب

لو كان جميع المعاصرين من « العارفين بالله » لخفّ الأمر وهان ، ولكن معاصرينا من الأساتذة يسمعون حديث الحب من المذياع ، ويرون آثاره على الشاشة البيضاء ، وفيهم من يتمنى لو سارت أشعاره بين أغاريد أم كلثوم وعبد الوهاب !

يجب أن تعرف أنى أخاطب الدكتور طه حسين الذى نقل أروع أحاديث الحب عن أهل الغرب ، والذى يحاول أن يطبع الجمهور المصرى على تذوق الموسيقا الأوربية ، لأنها فى رأيه من أصلح الأدوات للتعبير عن العواطف والأهواء

والأوربيون الذين تعرفهم لا يرون الحب من المزاح ، وإنما يرونه عاطفة أصيلة تنقل القلب من مكان إلى مكان ، وتسبغ عليه أثواب الصحة والعافية ، وتشريحُ عاطفة الحب هو عندى باب لتربية العواطف

تربية العواطف ؟

أعوذ بالله من الجهل بأخلاق زمانى ومن التعرض لسفاهة الأقاويل وشناعة الأراجيف !

نعم ، أنا أدعو إلى الاهتمام بتربية العواطف ، وليقل من شاء ما شاء

كل شىء فى بلادنا موضع اهتمام إلا العواطف ، وإهمالُ العواطف ستكون له آثام أيسرُها رياضة الشبان على رذيلة « عدم الاكتراث » وهى أقبح الرذائل وأشدُّها تأثيراً فى قتل حيوية الشعوب

وهل تستطيع القول بأن الرأى العامّ عندنا يحس هذه المعانى ؟

وما الرأى العامّ ؟ أليس صدًى لآراء الباحثين والمدرسين وهم عندنا قومٌ هيّابون خوّافون يرون الحديث عن العواطف من فضول القول ؟

وخمود العواطف هو الذى قتل الشاعرية فى مصر ، وهو الذى جعل المصريين أقل الناس إحساساً بمعانى الوجود ، وإلا فحدثنى عما أقيم على شواطئ النيل من ملاعب ، وما أقيم فوق عبابه من سهرات يغنّى فيها الشعر ويرقص الخيال ؟

هل عندك نبأ عن حدائق القناطر الخيرية ؟ وهل سمعت أن إحساس المصريين بالحياة حمل بعض الشركات على أن تنشئ فندقاً هناك ؟ ولمن تقام الفنادق فى تلك الضاحية السحرية وليس فينا رجل يشوقه قضاء الليل وهو يسمع هدير النيل فى شهر آب ؟

وهل عندك نبأ عن حديقة الأزبكية ؟

ألم تسمع أن حديقة الأزبكية ليس فيها مكان تشرب فيه فنجاناً من القهوة أو الشاى إذا بدا لك أن تقضى فيها ساعة أو ساعتين لمحاسبة نفسك أو مداعبة خيالك ؟

ويتحدث الناس فى هذه الأيام عن بحيرة قارون بمناسبة زيارة جلالة الملك لإقليم الفيوم ، فهل تعرف أنه لا يمكن قضاء ليلة بجوار تلك البحيرة إلا فى فندق أقامه هناك أحد الألمان ؟

وهل سمعت أو سمع أحد من أصحابك أن شاعراً مصرياً قضى ليلة أو بعض ليلة وهو يداعب سمكات تلك البحيرة ؟

وما رأيك فى (بحيرة التمساح) ؟

هل سمعت لها خبراً فى قصيدة أو رسالة أو كتاب لأديب من أهل هذه البلاد ؟

وهل خطر لك أن تقضى ليلة بجوار تلك البحيرة عساك تعرف شيئاً من أخبار مدينة الاسماعيلية ؟

ولا موجب لتذكيرك بالأقصر وأسوان : فالناس جميعاً يعرفون أن الأجانب هم الذين تشوقهم تلك المغانى ، وإليهم يرجع الفضل فى إقامة أسواق الحياة بتلك المناسك ، على أيامها ولياليها أطيب التحية وأزكى السلام !

ومالى أبعد بك فأنقلك إلى تلك البقاع النائية ؟

هل اتفق لك أن تُلقى درساً من دروسك بين الأشجار التي تحدق بكلية الآداب ؟

وهل فكر أستاذنا لطفى باشا فى محادثة طلبة الجامعة عن أرسطاطاليس تحت الدوح كما كان يصنع فلاسفة اليونان ؟

ذلك يشهد بأن إحساسنا بالحياة يكاد يكون فى حكم المفقود ، فما رأيك فى الدعوة إلى الطب لهذا المرض المضال ؟

وكيف نطبّ لهذا المرض ونحن نرى الحـديث عن الحب ضرباً من المزاح ؟

كيف وقد تهيبت تقديم كتاب « ليلى المريضة فى العراق » إلى محررى الجرائد المصرية لئلا أقرأ لأحدهم كلمة تؤذينى بلا موجب معقول ؟

وما رأيكَ إذا حدثتك بأنى عجزتُ فى مصر عن بعض ما قدرت عليه فى العراق ؟

كنت أحب أن أؤلف كتاباً عن « ليلى المريضة فى الزمالك » أفصل به أسرار المجتمع وسرائر القلوب فى هذه البلاد بطريقة روائية تفيض على شبابنا روحاً من أرواح الوجدان ، ولكنى خشيت ملامة الفارغين من أشباه الأدباء

فهل أرجو أن يصرّ قلمك بما تهيّب منه قلمى ؟

لقد وضعت لك الخطة بكتاب « ليلى المريضة فى العراق » فأرنى كيف تصنع وكيف تصوّر عصرك وزمانك كما صوّرتُ عصرى وزمانى . نحن نريد أن نشغل الناس بأخلاقهم وأذواقهم وأوهامهم ، نريد أن نسيطر عليهم بالأدب والعقل بعد أن سيطر عليهم السياسيون بالمناوشات الحزبية والسياسية

فهل أنت مستعد لاقتحام هذا الميدان ؟

نحن نفكر فى خلق عصبية أدبية تعلو على العصبية الحزبية

ولن نصل إلى ذلك إلا يوم يؤمن الجمهور بأن الأدب هو الترجمان الصادق لشهوات العقول ، وللعقول شهوات أعنف وأخطر من شهوات الأحاسيس، وتثقيف الشهوات العقلية يصل بنا إلى منازل الحـكماء ، ويطمعنا فى الخلود

ليتنى أستطيع مصارحتك بكل ما أريد فى خلق الحيوية الأدبية والفنية !

وكيف أستطيع وأنت كثير التلوُّم والتعتّب ، ولا يصل إليك الرأى الصريح إلا مشوباً بتهمة التحامل عليك ؟

أنت على كل حال من ذخائرنا الأدبية ، وأنا أقبلك على علاتك كما تَقبلنى على علاتى

فهل يكون من الفضول أن أصارحك بأنك لا تُقبِل على حياة الوجدان إلا وأنت خائف ، مع أنك قوىّ العبارة فى الإفصاح عن وساوس نفسك ، ونوازع قلبك ؟

وما خوفُك وقد استقام لك أمر مصيرك الأدبى وصار اسمك من أظهر الأسماء ؟

ما خوفُك من الاعتراف بأن عاطفة الحب تستحق التشريح ؟

وما الذى يدعوك إلى الاحتراس حين أقترح عليك تأليف كتاب عما أحس شعراء العرب من النوازع الوجدانية ؟

أتخاف أهل الجمود ؟

إطمئن ، يا سيدى الدكتور ، فهم فى شغل عنا بمصايرهم الدنيوية ، ولن يفرُغوا لنا إلا بعد أن نفرُغ من إعلام الناس بما نريد من شرح أوهام العقول والقلوب

أما بعد فأنا أعلن عتبى عليك ، لأنك ابتسمت ابتسامة فيها طيفٌ من الاعتراض على اهتمامى بتشريح عاطفة الحب ، وأصارحك بأن هذا مذهبٌ أدبىٌّ سأحرص عليه ما دمت أملك القدرة على تشريح العواطف والأحاسيس

فافتح قلبك ، يا سيدى الدكتور ، لوحى الحياة والحب ، واعلم أن الابتسام الصادق هو أثمن ما يملك الرجال

وقد شاءت المقادير أن أستطيع مقابلتك فى كل يوم بعد أن صرت معنا فى وزارة المعارف ، وسأحوّلك إلى حزبنا ، حزب الأخوّة الأدبية الذى يرى أقطار العربيـة جسماً واحداً إذا شكا منه عضو أسعدته سائر الأعضاء بالسهر والأنين

وستُريك الأيام بعد قليل أن الميزان الذى كنت احتكمت إليه فى تقدير العداوات والصداقات لم يكن أدق الموازين ... والله المسئول أن يديم عليك عافية القلب وشباب الروح .

زكى مبارك

الحق والقـــوة (*)

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور
أستاذ الفلسفة بكلية الآداب

فى هذا الجو المملوء بالآلام والويلات ، وفى هذه الساعات الرهيبة التى ينبض لها قلب العالم هلعاً وجزعاً من مأساة لا يعلم مداها، وتطاحن لا يستطيع أن يقدر نتائجه ؛ فى هذه اللحظات التى يعتدى فيها الأقوياء على الضعفاء ويطغى المسلحون على العزّل الأبرياء ، وفى هذه الأيام التى خفتت فيها موسيقى السلم ذات الألحان الشجية والنغمات الحلوة وحلت محلها نواقيس الحرب ذات الأصوات المدوية ؛ بل وفى هذه الأعياد السنوية التى كان يقدسها قديماً الهمجيون أكثر مما يقدسها اليوم المتحضرون، والتى كان يلقى فيها الأسلحة المتحاربون ؛ فى هذه الظروف كلها رأيت من الخير أن أتحدث عن فكرة الحق والقوة

وإذا ما تحدثت عن هذه الفكرة فإنما أعرض للمشكلة الرئيسية بين مشاكل الفلسفة السياسية منذ أفلاطون إلى اليوم ، فهى مشكلة الماضى والحاضر ، ويخيل إلى أنها ستبقى مشكلة المستقبل إلى النهاية . وكأنى بالحق والقوة ضدين لا يجتمعان وعدوين لا يتهادنان ، يقدر لأحدهما الغلب ثم لا يلبث الآخر أن يعدو عليه وينتزع منه سلطته ، وما تنازعهما إلا صراع بين الروحية والمادية ، بين المثالية والواقعية ، بين الإنسانية والوحشية ، بين الحضارة والهمجية . ولن أكون فى حديثى هذا المشرّع الذى يعنى بالقوانين وصوغها وبيان ما فيها من عقوبات وقصاص تحول دون عدوان المعتدين وظلم الظالمين ، ولا السياسى الذى يقدم الحلول المختلفة للمشاكل الدولية الهامة . وإنما سأعرض لموضوع الحق والقوة من ناحيته الفلسفية والأخلاقية والاجتماعية ، فأبين كيف نشأت الفكرتان وكيف تطورتا وماذا كان لهما من أثر فى حياة المجتمع ، ثم أشير إلى أوجه التقابل بينهما وموقف الفلاسفة والأخلاقيين منهما

ليس من السهل أن نحدد بالدقة كيف اتجه الإنسان الأول نحو فكرة القوة ، أقاده إليها حسه وبصره وسمعه ولمسه ؟ أم هداه إليها شعوره وقلبه وعزمه وإرادته ؟ وبعبارة أخرى هل تبينا القوة لأول مرة فى أنفسنا أو فى الظواهر الطبيعية المحيطة بنا ؟ وهل هى من أصل سيكولوجى أو من مصدر طبيعى ؟ وهل هى وليدة العالم الداخلى أو الخارجى؟ وأغلب الظن أنها نتيجة هذين الجانبين وثمرة هذين المؤثرين، فأدركنا القوى الطبيعية وقوتنا الإنسانية فى الوقت الذى اصطدمت فيه الطبيعة بنا واصطدمنا بها . وكيفما كان أمر هذه النشأة فإن الإنسان سلم من قديم بوجود قوى فى الكون متعددة : طبيعية وإنسانية ، مادية وروحية ، ظاهرة وخفية ، سماوية وأرضية . فإذا ما سألته عن حقيقة هذه القوى عزّ عليه كشفها وصعب عليه تحديدها، وجُلّ ما تحظى به منه أن يعرفها بآثارها ويتعرفها بنتائجها ، فيقول إنها ما يتم به التغير

بيد أنه على الرغم من كل هذا لم يتردد الفلاسفة والاجتماعيون فى أن يبينوا هذه الفكرة الغامضة فى نشأتها والخفية فى مدلولها ، وكان لا بد لهم أن يفعلوا ما داموا يدرسون التغير وعلله ، إن فى عالم الطبيعة أو فى عالم الإنسان . فنرى الرواقيين فى التاريخ القديم ينتهون إلى مذهب ديناميكى شبيه بذلك المذهب الذى صعد به ليبنتز إلى القمة فى القرن السابع عشر . يتصورون أن العالم كائن حى مشتمل على النار والحرارة التى هى المبدأ الفعال والمؤثر فى المواد والأجسام المنفعلة ، ولا كيان للمادة إلا بواسطة ذلك « النفس الحار » (الأبنيا) الذى يضم أجزاءها ويدفعها إلى الحركة والتغير ، فقوة العالم كامنة فيه تسيره على نظام ثابت وتخضعه لقوانين معينة. وإن فكرة المادة والصورة التى قال بها أرسطو ولم يوضحها تمام التوضيح ولدت فى القرون الوسطى تلك القوى الخفية والخواص الكامنة التى هى مصدر التغيرات الكونية والأحداث الإنسانية ، وإن كان وراءها قوة عظمى ، هى قوة القوى وعلة العلل . وإذا كان لبيكون وديكارت رسالة جديدة فى التاريخ الحديث إزاء المسائل الطبيعية فهى أنهما حاولا محاربة الصفات الغامضة والصور الخفية التى رددها المدرسيون . على أن بيكون لم يسلم تماماً من آثار تلك الفلسفة المدرسية ، وبدا فى بحثه

(*) محاضرة ألقيت بالجمعية الجغرافية فى مساء الثلاثاء ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٣٩

التجريبي وكأنه ينقب عن أمور ذاتية وصفات أولية للأشياء هي سر تميزها وتغيرها ، وفكرة الحركة والتدافع التي ذهب إليها ديكارت ترد التغير في آخر تحليل إلى قوة وحيدة ، إلى الباري جل شأنه . ولعل هذا هو الذي قاد ليبنتز إلى نظرية « النتاد » والذرات الروحية ، فكان يتصور الأجسام كلها في صورة معنوية أبلغ مما ذهب إليه الرواقيون ، ويتوهم أنها مجموعة ذرات روحية فيها قدر من النشاط والإدراك يتفاوت على حسب مرتبتها ، وقد أبدعها ونسقها إله هو روح الأرواح ومناد المنادات ، وإذا كان مرجع التغير كله إلى الله فلم نبحث عن قوى وأسباب أخرى سواه ؟ والأجدر بنا أن نرد كل شيء إليه سواء أكان من الظواهر الطبيعية أو الأعمال الإنسانية . وهكذا رأى مالبرانش وباركلي أن يردا القوى الظاهرية كلها إلى الله ، وقررا أن ليس ثمة قوة في نظرهما غير تلك القوة الوحيدة

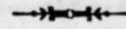
هذا هو شأن القوة فيما يتعلق بالظواهر الطبيعية ، وليس شأنها بأقل خطراً فيما يتعلق بالأحداث الإنسانية ، فقد دالت بسببها دول وقامت أخرى ، وذل جبابرة وعز آخرون . وللقوة في المجتمع مظاهر عدة : فهناك القوة المادية الجسمية ، وإلى جانبها القوة الصناعية والإنتاجية ، ثم قوة المال والفكر والعبقرية ، وأخيراً قوة العزيمة الماضية وإرادة الشعوب التي بدلت صفحات التاريخ . ولا نظننا في حاجة أن نلاحظ أنه إذا كانت قوة الأفراد والطغاة هي التي سادت العالم بالأمس فإن إرادة الشعوب حلت محلها ، بل كانت أحياناً أشد أثراً وأعظم إنتاجاً . ومن هذه القوة الشعبية تولدت الحركات الدستورية وبواسطتها تأيدت النهضات الاستقلالية ، وعنها صدرت قوة الطوائف والنقابات والأحزاب . وإذا ما تتبعنا الفلاسفة السياسيين في مراحل التاريخ المختلفة ، وجدنا أنهم إنما حاولوا أن ينظموا القوى المتباينة أو عولوا على قوة دون سواها . فأفلاطون قديماً أخذ نفسه بالتوفيق بين قوى المجتمع المتباينة : بين حراس المدينة من جانب ، والمنتجين من صناع وزراع من جانب آخر ، والحكام والقضاة من جانب ثالث ؛ فأراد التوفيق في اختصار بين الشجاعة والمنفعة الذاتية والعقل . ومكيافيلي في عصر النهضة أو هوبس في أوائل التاريخ الحديث ، ونيتشه بين المعاصرين إنما ناصروا قوة الفرد وأيدوا الحكومة المستبدة ظناً منهم أنها الوسيلة الناجعة لحكم الجماهير . أما لوك وفولتير وروسو ، فقد اعتدوا بقوة الشعب كل الاعتداد ، ووضعوا دعائم النظم الدستورية والنيابية الحديثة . وإلى جانب هؤلاء وهؤلاء نجد جورج واشنطون ومازيني وسعد زغلول على رأس النهضات الاستقلالية ، كما نجد كارل ماركس يصور قوة اليد العاملة في أوضح صورها ، ويعلن حقوقها إزاء أصحاب رءوس الأموال .

في هذه النهضات على اختلافها والثورات على تنوعها ما يشهد بما للقوة من أثر في حياة المجتمع ، بل نستطيع أن نقول إن المجتمع الإنساني مجموعة قوى متعددة، متعاونة أحياناً ومتعارضة أحياناً أخرى . وسعادة الأمة في أن توجه هذه القوى في وجهاتها الملائمة ، وأن تتضافر على غرض أسمى . وأي نظام اجتماعي لا ينمو ولا يطرد ، بل ولا يحيا ولا يثبت إلا إن كانت وراءه قوى مادية وروحية تغذيه وتعاونه .

(يتبع) ابراهيم مدكور

قابليات العناصر البشرية

للدكتور جواد علي



نشر الكاتب السياسي الفرنسي « كراف كوبينو » Graf Arthur Gobineau كتاباً في أربعة مجلدات ظهرت بين عامي ١٨٥٣ — ١٨٥٥ بعنوان « عدم مساواة العناصر البشرية : Essai sur L'inégalité des races humaines » فأثار على مؤلفه سخطاً شديداً ولا سيما من الهيئات الكاثوليكية وأنصار مبادئ الثورة الفرنسية ، كانت نتيجته طرد الرجل مراراً من السلك الدبلوماسي الذي كان ينتسب إليه .

وقد استقى كوبينو آراءه من مصدرين : مصدر التتبع والبحث الشخصي الذي قام به خلال تمثيله السياسي للحكومة الفرنسية في طهران والهند والبلقان ، ومصدر العلم الطبيعي الذي طغى إذ ذاك وتغلب على الطريقة القديمة باعتماده على التجارب والاختبارات . فقال باختلاف الأجناس وتباين العناصر البشرية كما هو الشأن في النباتات والحيوانات وقد كانت هذه نظرية قال بها العالم الألماني الانترو بولوجي بلومنباخ Blumenbach (١٧٥٢ — ١٨٤٠) ، والعالم الفرنسي كوفييه Cuvier (١٧٦٩ — ١٨٣٢) . غير أنه زاد عليهما بنظريته في اختلاف القابليات البشرية والإنتاج المدني والثقافي ، فوصل إلى أن التاريخ البشري والحضارة البشرية نتيجة عقلية واحدة ، هي العقلية الآرية التي تشتمل الشعوب الأوربية والهندية الأوربية . ويخص من هذه الشعوب أيضاً الشعوب الجرمانية بأعلى القابليات في الاختراع والابتكار والسيادة والإرادة والزعامة في جميع نواحي الحياة[(١)] .

وكانت أول أرض أجابت هذه الدعوة هي الأرض الألمانية التي بدأت تنمو فيها الروح القومية ، وتظهر بأجلى مظاهرها ، ورسالة الفيلسوف الألماني فخته Fichte بعثت فكرة القوميات في أوربا وهيأت الجو ولا شك لمثل هذه الآراء . وكذلك فلسفة هيكل Hegel الذي قسم العالم إلى أدوار بدأ فيه بالدور الشرقي وانتهى بالدور الجرماني الذي هو في نظره خير الأدوار العالمية وأكملها . أضف إلى ذلك كتابات المؤرخ الألماني الشهير « ترايشكه » ، والكاتب الاجتماعي الوطني فردريش جان Friedrich Jahn وغيرهم ، والوحدة الألمانية التي قام بتأسيسها بسمارك ، وآراء نيتشه في القوة وتمجيده للحرب

ومن أشهر من تأثر بهذه النظرية الكاتب الإنكليزي الألماني H. St. Chamberlain شامبرلين ١٨٥٥ — ١٩٢٧ مؤسس الفلسفة النازية الأولى وأول فيلسوف يعتبره أتباع هتلر من بين صفوفهم . والرجل مع أنه انكليزي يختلف عقلية عن العقلية الألمانية ، تأثر بالمحيط الألماني وهجر وطنه وترك لغته وغدا ألمانيا يخلص لألمانيا ويدافع عنها ويطعن على الإنكليز وقساوتهم في معاملة الألمان في الحرب العظمى . اتخذ هذه النظرية قاعدة له في جميع أبحاثه ومقياساً يقيس به العالم طراً . وفي كتابه الشهير « أسس القرن التاسع عشر » الذي ظهر في سنة ١٨٩٩ Grundlagen des 19 Jahrhunderts يحمل أفكاره . وقد ترجم إلى لغات عديدة وطبع عشرات المرات

يرى في كتابه هذا أن الحضارة البشرية من أولها إلى آخرها نتيجة العمل الجرماني الآري . وكل حضارة ظهرت أو بقعة ازدهرت لا بد أن يكون للعنصر الآري ، وعلى الأخص الجرماني ، يد فيها . فهو في بحثه كالفاحص الكيمياوي يحاول تحليل الحضارات ليجد العنصر المسبب وهو العنصر الجرماني الذي خص من بين الشعوب بميزة هداية البشرية والقيادة العالمية . حتى الكتابة أو الأرقام يرى أصلها من الجرمان ومن الجرمان انحدرت إلى الشرق . وعلى ذلك ففكرة كونها شرقية خطأ لا يغتفر . وكذلك آراء العلماء في أن الحضارة أصلها من الشرق لا يرى لها مبرراً ولا دليلاً . والشعوب الأخرى كلها مقلدة لم تنتج من عندها شيئاً . والحضارة العربية التي يراها ظهرت صدفة كسائر الحضارات السامية إن جاز تسميتها حضارة هي صورة ظاهرية لعمل آري مكتوم[(١)]

أثر كتاب شامبرلين في الأوساط الألمانية أثراً كبيراً ولا سيما في الأوساط السياسية منها والأوساط الشعبية والوطنية المتطرفة ، إلى درجة جعلتها تعتقد أن هنالك مهمة واجبة تقع على عاتق ألمانيا الجرمانية ، وهي مهمة قيادة العالم وحق الإشراف عليه ، مهمة تكاد تكون سماوية . وتحدثنا بعض المصادر أن القيصر الألماني كان معجباً جداً بهذا الكتاب أيما إعجاب ولا سيما بعقيدة الزعامة الألمانية والتبشير

---

(١) انظر كتابه في اللغة الفرنسية وكذلك كتابه في اللغة الألمانية بعنوان Graf Arthur Gobinaeu, Die Ungleichheit der menschenrassen 1935

(١) انظر كتاب Die Grumdlagen des Neumehnten Jahrhunderts ج ١ ص ٤٤٩ مادة ٣٧٩

بالدين الجديد، على أساس القوة والسيادة التي هي من صفات الجرمان، وأن الكاتب هذا وكذلك الفيلسوف النمساوي الاجتماعي Othmar Spann كانا من أهم أبطال الدعوة إلى الحرب قبل دخول ألمانيا الحرب بحجة أن الحرب أساس كل حضارة، ولإثبات أن العنصر الجرماني هو العنصر الفعال الذي تقع على عاتقه وحده أمور العالم وحقوق التصرف منذ آلاف السنين[1]

وفي سنة ١٨٩٤ أسست هنالك جمعية عرفت باسم « جمعية كوبينو » لتقوم بإتمام أبحاث هذا العالم. وقد رأس هذه الجمعية العالم ولتمان Woltmann الذي ألف كتاباً عن عصر النهضة في إيطاليا وأبى إلا أن يرجع أصل جميع علماء النهضة في إيطاليا وأبطالها إلى أصل جرماني شمالي. يعرف هذا الكتاب بعنوان Die Germanen und die Renaissance in Italien, 1905 أعقبت هذه الجمعية جمعية أخرى عرفت باسم: « جمعية العناية بالأبحاث العنصرية » ألفها ألفريد بلوتني Alfred Ploetny أخذت على عاتقها مهمة البحث العنصري على أسس طبيعية تجريبية لا على الطريقة التاريخية الفلسفية. فعادوا إلى طريقة بلومنباخ Blumenbach وهي الاستعانة بأشكال قحف الرأس في تقسيم العناصر البشرية، وهيئة الجسم وتكوينه، وتكوين علم خاص يتفرع من علم الأنتروبولوجي وهي الطريقة التي اتبعت اليوم في ألمانيا بعد سيطرة هتلر عليها وخضوع الجامعة لإرادة النازي وآرائه

راجت عقيدة العنصرية خلال الحرب وبعد الحرب ولا سيما بعد استيلاء اليهود على معظم الكراسي في ألمـانيا وتشكيلها المجالس المحلية بعد ثورة شهر نوفبر سنة ١٩١٨ إذ حصلوا على أغلبية كراسي الحـكم. وهذا ما روج دعوة أنصار العقيدة العنصرية، إذ تحولت إلى دعاية وطنية غايتها تطهير ألمانيا من العناصر الأجنبية بإعادة الأخلاق الجرمانية القديمة، وهي السيادة والقوة، هذه المبادئ التي تنافي المبادئ الأوربية الغربية الديمقراطية التي حملتها الحرب إلى ألمانيا بطريق اليهودية الحاكمة على ألمانيا ومحاربة كل فكرة تدعو إلى المساواة بين الشعوب والقابليات على حد سواء[2]. فظهر هنالك أساتذة وكتاب أمثال أدلف بارتلس Adolf Bartels و Rosenberg و Günther و Claus و Othmar Spann و Lenny و Scheidt وغيرهم استفادوا من الفرصة وحملوا على اليهودية والماسونية والشيوعية حملات شعواء موجهين نظر الألمان إلى هذه الناحية الحساسة لتمهيد الحكم للدولة الألمانية الثالثة وإعادة حلم الدولة الألمانية المقدسة

غير أن هنالك جماعة من الفلاسفة شعرت في نفس الوقت بتدهور ألمانيا ووجوب إعادة مجدها. غير أنها رأت تحقيق ذلك عن طريق آخر وهو طريق الثقافة واللغة بتحويل العناصر الغريبة والقوميات إلى عنصر ألماني واحد مستدلة على ذلك بأدلة أخرى ساخرة من قحف الرأس وتركيب الجسم مستدلة بالشعب الأمريكي الذي كوّن له قحف رأس جديد لا هو انكليزي ولا هو ألماني ولا هولندي ولا فرنسي، وباللغة التي يدافع عنها ويحاول نشرها مع أن أصله قد يكون من البلطيق أو السويد أو ألمانيا أو غيرها، وكذلك باختلاف شكل الفلاح الألمـاني وتركيبه عن سكان المدن الألمان، وكذلك أصحاب المهن، وكذلك الإنكليز الذين هم من عناصر مختلفة، ومع ذلك، فقد أصبح لهم قحف رأس مخصوص، متخذ في الأرض والمحيط عاملاً مهماً في العنصرية والقابلية البشرية[1]. وغايتهم من ذلك غاية وطنية كذلك، وهي ربط اليهود والألمان الذين في الخارج، وتجنسوا بجنسيات أجنبية عن طريق الثقافة واللغة، وتكوين ألمانيا عظيمة بدلاً من تنفير هؤلاء، وجلب السخط العالمي العام على الشعب الألماني

غير أن استيلاء هتلر على زمام الحـكم قضى على كل معارضة طبعاً للعنصرية، وحرم أي كتاب يعارض العقيدة. وأخـذ Günther يصنف للألمان العناصر الموجودة في ألمانيا، فتوصل إلى وجود خمسة عناصر أصلية وخمسة أخرى فرعية في الدماء الألمانية ولم يتوصل إلا إلى نسبة تقدر باثنين في المائة من الدماء الجرمانية الشمالية النقيـة. ولكن هنالك مع ذلك اختلافاً أيضاً في التقسيم: هل تعتبر المظاهر الخارجية والتركيب العضوي للجسم أساس التقسيم، أو العوامل الروحية والنفسية فقط أو كلاهما؟ فظهرت آراء للأساتذة: Fischer و Lenny و Scheidt و Claus وغيرهم. وقد أعدت لأجل ذلك معاهد خاصة ومستشفيات

(١) انظر مجلة Die Gesellschaft لسنة ١٩٢٧ مجلد ١ ص ٩٨ وكذلك خطبة Othnar Spann في جمعية الطلاب الألمان في مدينة Brünn والتي طبعت في سنة ١٩١٣ بعنوان Zur Sonyiologie und Philosophie des Krieges 1913

(٢) أنظر كتاب Georg Steinhausen المعروف بعنوان Der Politische niedergang Deutschlands 1927

(١) أنظر كتاب « سقوط الغرب » للمشهور الفيلسوف شبرنكلر Oswald Sprengler الذي أحدث أكبر ضجة في أوربا يوم نشر في عام ١٩١٨ بعنوان Der Untergang des abendlandes وكذلك كتاب Schmidt Roher المعنون mutter Sprache

ومختبرات تقوم بالتجارب المختلفة لتكوين علم جديد كسائر العلوم الأخرى إن لم نقل إنه أهمها

ويمكن أن نعتبر هذا العلم الذى تكون حديثاً قطب العلوم طرًّا فى ألمانيا الحالية، فعليه أن يقسم العناصر البشرية إلى أصول وفروع، وإلى أمم منتجة ذات قرابة مع الأمم الجرمانية وصلة، وإلى أمم كتب عليها ألا تقوم فى التاريخ بأى دور أو حدث كالشعوب السامية والحامية وما يتفرع منها[١]. ووظيفة الجامعة الألمانية الحديثة أن تكيّف علومها وفق هذه العقيدة. ولا شك أن تلك مهمة صعبة شاقة ولا سيا فى العلوم العقلية منها فالتاريخ يجب أن يقلب رأساً على عقب، والقرون الأولى ستبدأ بالجرمان وتاريخ أوربا، ثم ينتقل إلى التاريخ الأشورى والبابلى والمصرى والحوادث التاريخية والحضارة البشرية يجب أن تغربل غربلة ليعثر على العنصر الآرى الفعال الذى هو بذرة كل حضارة. وتلك مهمة صعبة جداً كما يظهر، لذلك لاقى أساتذة التاريخ خصوصاً المتقدمين منهم صعوبات فى هذا الفن، أدت إلى إخراج معظم مدرسى التاريخ من الجامعات وإحلال عناصر جديدة من الشباب محلهم. وكذلك قل عن الفلسفة وعلم التربية والاجتماع والاقتصاد وغيرها بل حتى العلوم الطبيعية منها يجب إهمال أعمال وأسماء الأساتذة الذين ليست لهم صلة بالعرق الآرى أو نسب

أساس الحضارة العالمية والمدنية وكل إنتاج بشرى عقلى أو مادى هو « الدماء » فعلى الشعب الآرى لذلك أن يحافظ على دمه من الاختلاط بالدماء الأخرى، إذ متى اختلط بالدماء البعيدة حلت بالشعب الكارثة العظمى وذهبت السعادة الأبدية إلى الأبد وفسدت الروح والبدن[٢]، وسقط العنصر القوى إلى أسفل درجة من الضعف والاستسلام[٣]. وعلى هــذا وضعت قوانين « نورنبرك » فى منع أى آرى فى ألمانيا من الزواج بغير الآريين مهددة المخالف بأقسى العقوبات، وكذلك فى طرد نصف الآرى، أى الذى ينتسب إلى أب أو أم غير آرية، أو ربع الآرى أى الذى ينحدر من جد أو جدة غير آرية — من الخدمة لفساد الدماء فى مثل هذه الأجسام

يرى معارضو هتلر والنازية فى عقيدة العنصرية هذه فكرة « الجبر » فما دام الدم هو العنصر المنتج للحضارة فلم إذاً هذه المدارس وتلك الجامعات، ولم تلك النفقات الباهظة التى تنفق فى سبيل تربية الأحـداث ؟ ومن الغريب أن هتلر ينعى على اليهودية قولها بنظرية الشعب المختار والنازية نفسها تقول بهذه الفكرة باختيار الشعب الجرمانى وحده بين الشعوب وتفضيله على الشعوب الأخرى بالإنتاج والعلم والابتكار

معالجة مشكلة الدماء تحل كل مشكلة، ولذلك يجب تقوية الجسم والمحافظة على الدم فيه نقياً سالماً. ومتى حوفظ عليه حوفظ على الحضارة العالمية والمدنية البشرية، والسيادة الأوربية. الحضارة هى وليدة الدماء، والقوة هى وليدة الدماء، والجمال والفن كذلك

هذه هى فلسفة الوطنية الاشتراكية، تجعل الروح وليدة المادة. ومن الغريب أيضاً أن الشيوعية التى يقاومها هتلر فى كتبه تجعل العوامل الروحية مصدرها المادة، مع أن هتلر وروز نبرك يعتمدان فى آرائهما العالية ووجهة نظرهما الفلسفية على الروح

بين هذه النظرة وبين مبدأ الأوجينيك Eugénetik Eugénik قرابة عظيمة. والوطنية الاشتراكية فى نظرتها العنصرية مدينة لهذا المبدأ أيضاً. القواعد التى وضعها العالم الفرنسى Francis Galton (١٨٢٠ – ١٩١١) والتى أطلق عليها الاسم التقدم لأجل تكوين أجيال صالحة بمعالجة الجسم بقواعد عرفت « بقواعد كالتون » Galtonische regel، والتى تعتمد على الوراثة فى الدرجة الأولى ونظريات mendll (١٨٢٢ – ١٨٨٤) و Gre gor mendl و Jean Lamark (١٧٤٤ – ١٨٢٩) وداروين.

أراد نيتشه الفيلسوف الألمانى فى زمانه إصلاح الأخلاق بالإصلاح العضوى لتقوية الأجسام وتقوية العقل والإنتاج بالطرق المباشرة كالأكل والرياضة لا بالنظريات الأخلاقية والأدبية العقيمة. وأرادفيورباخ Feurbach إصلاح الإنسان بالأكل وطرد الدين. وأرادت الشيوعية إصلاح المجتمع بتقويض الأنظمة القديمة، وأراد هتلر بعث الجرمان والسيادة على البشر بتقوية الدماء. وكل له فى هذا العالم مذهب ورأى، ولكل غاية ومثال. ولكن لكل شخص أن يقرأ ويرى كما يرى فى دور الصور المتحركة دون أن يسخر من كل رأى أو يضحك من كل فكرة.

جواد على

خريج جامعة هامبرج بألمانيا

---

(١) أنظر إلى كتاب هتلر (كفاحى) Mein Kamff فى مواضع مختلفة، وإلى كتب روزنبرك وكوبلز وكنتر وغيرهم

(٢) انظر كتاب (كفاحى) لهتلر جـ ١ ص ٣٢١ وكتاب Werner Siebearth Hitlers Wolleus و Afred Rosenberg Der mythus ص ٢١ . كذلك Walther Gehl جـ ٢ و جـ ٣ و Günther . وغيره

(٣) انظر نفس المراجع وكتب الوطنية الاشتراكية المختصة بهذه الموضوعات

هـــــذه هى . . . !

للأستاذ كامل محمود حبيب

أحب أبا مروان من أجـل تمره ... وأعـلم أن الجار بالجار أرفق
وأقسم لولا تمـره ما حببته ... وكان عياض منـه أدنى ومشرق

« غيلان النهشلى »

أطرق الرجل ساعة ، وأنا بإزائه أتفرّس فيه ، وهو زرى الهيئة مضطرب الهندام : قد تخدّد لحمه ، وذوى عوده ، وأدبر شبابه ... وإنّ فى عينيه عبرات مكفوفة يدفعها اليأس ويحبسها الحياء ، وعلى شفتيه آهة عميقة لا تجد لها متنفساً ... وتبدّت لى خواطره تصطرع فى رأسه ، وهو يشرب القهوة فى نهم ، وينفث دخان سيجارته فى لذة ... فأردت أن أجذبه إلىّ ، فقلت : « ما بالك تكتم عنى ذات نفسك ، وقد خلا بنا المكان ؟ » قال : « إنّ فى النفس حديثاً طويلاً ، ولكنى ألفيتك رجلاً غير مَنْ صوّرتُ فى خيالى ! » ... ورقّت رنّات صوته ، حتى خيل إلىّ أن آلام قلبه تمتلج فى صدره ، فتتحدث هى حديثاً كله أنّات ، ثم قال : « ... وأنا لا أستطيع أن أومن بأنك أنت صاحب « ذربنى » ، ومن بعدها « شيطانة تتفلسف » ، وكيف يتأتى لك أن تكتب ما قرأت وما فى دارك إلا الأمر والطاعة ، وإلا الهدوء والطمأنينة ، وإلا السعادة و ... »

قلت : « يا سيدى ، إن المرأة لا تجلب السعادة ، ولكنها أبداً تنضح الشقاء ! »

قال : « كأنك تعنى أن نصف العالم خُلق شقاء للنصف الآخر »

قلت : « ولِمَ لا ؟ »

قال : « وبماذا رمتك المرأة فتهدم عليها بمثل كلامك هذا ؟ »

قلت : « يا عجبا ! أفلا ترى أن المرأة كالماء الآسن حين تنعكس عليه أشعة الشمس الذهبية ، فيبدو جيلاً صافياً خـلابا ، فإذا اغتمرتَ فيه اغتمرتَ فى النتن والوحل معاً ؟ »

قال : « وهذا معنى آخر مما يضطرب فى نفسك ، فهل لك أن تسمع قصة عذابى علّك تجد فيها مادة ! »

قلت : « هات ! »

قال : « أما أنا ، فقد نالنى من المرأة عَنَت كبير ... كنا — أنا وهى — زوجين فى رَغد من العيش ، ودَعة من الزمان ورخاء فى البال ؛ وأنا موظف فى الحكومة يُنِلْ علىّ عملى ما يكفى عدداً ، وفىّ القناعة والرضا ، وهى لا تبسط يدها كل البسط ؛ وتصرمت الأيام ، وأنا أجد فيها سلوة عن الابن ، وقد ضنّت به الأيام ، وعزاء عن الأم ، وقد سلبتها منى يد القدر ... »

ثم غدر بى الدهر غدرة واحدة ، فقذف بى بين براثن المرض لا أبرأ ولا أستقل ... وانطوت الأشهر وأنا بين الطبيب والدواء والحكومة فى مرض آخر : فالطبيب شره لا يطفئ السيل غلّته ، والدواء لا يشفى ولا ينقطع ، والحكومة من ورائهما تضع من راتبى قليلاً قليلاً . وأحسست بالهاوية التى أتحدّر إليها رويداً رويداً ... فأشفقت على زوجتى أن تجد لذع الفقر وقد أشفيت عليه ، أو أن يتسرب إلى قلبها الملل وقد طالت علّتى ، وفى رأيى أن أسرّحها لتنطلق إلى متعة قلبها ولذة نفسها ، وهى شابة فيها عقل المرأة ونزعات الأنوثة ...

ونشرتُ على عينى أمها حديث نفسى ، فراحت العجوز إلى ابنتها توسوس ... وجاءت الزوجة ــ وفى عينيها عبرات تترقرق ــ تزور حديثاً : « كيف أتخلّى عنك الآن ؟ أفأعيش إلى جانبك سنوات لا أستثمر منك إلا الشهامة والكرم ، وإلا الرجولة والتضحية ؛ ثم أفزع عنك وأنت بين المرض والعوز ، لأكون معولاً آخر يهدم بقيـة فيك نترجاها ؟ »

واطمأنت نفسى إلى حديثها ، فاستقرت

لقد كانت فكرة عابرة ، غير أنها بعثرت حياتها ، فانبعثت هى تكشف لى عن أدران نفسها

ألحت علىّ الحاجة فتحولت عن دارى إلى حجرات ضيقة وضيمة ، ومكرت هى بى فحملت أثاثها إلى دار أبيهـا إلا حاجات عبث بها البلى ، وجاءت أمها تريد أن تعيننى على عَيْلتى بكلام يتوثب من أضعافه الصلف والزّهو ، فأبت كبريائى أن تذل لها ، على حين تعصرنى الفاقة ويثقلنى الدَّيْن ، وليس لى من أفزع إليه سوى أخى ، وهو بين أولاده وزوجته ورقة حاله فى هموم ...

وأحسستُ من الزوجة الشابة الإغضاء والإهمال ، فهى تنفلت من لدنى ــ بين الحين والحين ــ فى تطريتها وزينتها ، تزعم أنها تزور أهلها وصاحباتها ، وهى تنطوى عنى ساعات من النهار ؛ وأنا بين الشك واليقين لا أستطيع أن أمسكها فتجد مَسّ الضيق والملل ، ولا أن أرسلها فأذوق مرارة الوحدة وعذاب المرض معاً وضاق بى صدر الحكومة فلفظتنى ، وللحكومة قانون يحكم

على المرضى بالإعدام . وظلت زوجتى تداجينى وتفتن فى مرضاتى حتى أرسلت الحكومة إلىّ مكافأة مالية لا ترد عادية ولا تدفع فقراً ، غير أن قطرة منها تُروى حرَّتى ... أرسلتها الحكومة فأخذتها الزوجة وطارت ... طارت أحوج ما أكون إليها ، لتذرنى وحيداً على فراش المرض والضيق ، لا أجد إلى جانبى سوى خادم صغيرة لا تستطيع شيئاً »

وسكت سكتة طويلة حين اضطربت الكلمات على شفتيه ، وتدفقت العبرات من محجريه لا يستطيع كَبْتَها . فقلتُ : « لا بأس عليك ، يا صاحبى ! » قال : « هذا ضعف ، ولعمرى لقد كنت أضن به أن يبدو أمام الناس ، وهأنذا أريقه على عينيك ! » قلت : « لا ضير ، لقد طارت فلا تدعها تنفث فيك من هموم الحياة ، لقد طارت فماذا كان ... ؟ »

قال : « وجاء أخى يرفه عنى بكلمات ... على حين قد حضرنى بنى ثم تماثلتُ للشفاء وأنا أرزح تحت عبء الدَّين وشدة الصدمة ، وتحدَّثت إلىّ رجولتى ساعة من زمان ، فإذا زوجتى غريبة عنى وترامى إليها الخبر ، فهبت تحدثنى بلغة المحاكم الشرعية ، وللمحاكم الشرعية لغة هى فى عقل المرأة انتقام وتنكيل ، وفى عقل القاضى ثأر واقتصاص ، وفى رأى الزوج مُثلة وعِبرة ، وفى عينى الَعَزَب زجر وعظة . ثم هى - دائماً - تقول للزوج « أيها الأحمق لِمَ تزوجت ؟ » وللعزب « أيها العاقل ، إياك إياك ! »

وعشتُ سنة لا أبرح السجن إلا ريثما أعود إلى غيابته ، وما فى يدى ما أستطيع أن أدفع به نهم الزوجة ولا غفلة القاضى »

ثم أطرق وقد نفث حديثه فىّ روح الأسى والحزن ، وإن فى نفسى غيظاً يحتدم ... ثم قال : « وهى ؟ » قال : « أما هى فقضت أيام محنتى بين ذراعى حبها الجديد ، ثم مكرتْ به - بعد أن عصفت بى - فإذا هو زوجها » قلت : « يا لله ! ويل للرجل من المرأة »

فقال فى هدوء : « من النساء غُل قَمِل يقذفها الله فى عنق من يشاء ثم لا يخرجها إلا هو »

قلت : « صدق رسول الله ، فعلام إذن تذهب نفسك حسرات ، وأنت ما تفتأ فى شبابك ؟ »

قال : « لا بأس ، فلقد قرّ رأيى على أن أطوى الماضى لأكون رجلاً غيرى »

قلت : « نعم ولتكون رجلاً ... رجلاً فيك الرجولة »

كامل محمود حبيب

أقانيم

أثر الإيحاء في جلب التفاؤل

للأستاذ على الجندى

— ١ —

للإيحاء سلطان كبير على النفوس، يدفعها إلى القيام بأعمال جليلة ما كانت لتقوم بها لو عداها أثره الحافز القوى

ولا نبالغ إذا قلنا: إن جل الناس يضربون فى زحمة الحياة ومعتركها الهائل تحت تأثير ذلك الإلهام الباطنى وإن لم يشعروا به أحياناً لأنه أخفى دبيباً من السحر

وفضل هذا الإيحاء عظيم فى أنه يشد عزائمنا ويستجيش قوانا، ويملؤنا رجاء وأملاً، ويهوّن علينا اجتياز الصعاب والعقبات

فالتاجر لا تتفتح نفسه للتجارة ويقبل عليها بشغف ولذة، إلا إذا ألهم نفسه أن من وراء ذلك المكسب الطائل والربح الوفير

والجندى فى ساحة الوغى إذا فَقَدَ الروح المعنوية — وهى فن من الإيحاء — فَقَدَ أمضى أسلحة القتال، ولم يُجْدِ عليه أن يكون شجاع القلب حسن الدربة قوى العدة. وقد عبر عن هذا المعنى بأجلى عبارة فارس الإسلام «على بن أبى طالب» حين سئل: بم كنت تنال النصر؟ فأجاب: كنت أبرز للخصم وأنا أعتقد أنى أغلبه، وهو يعتقد أنى أغلبه، فكنت أنا ونفسه عليه

والإيحاء بمعناه العلمى يؤمن به أطباء هذا العصر كل الإيمان ويستخدمونه علاجاً ناجعاً فى شفاء الأمراض العصبية والعقد النفسية والعادات الشاذة. وقد حدثنى بعض من درسوا الحياة الإنجليزية أن الأم هناك تعود طفلها قبل النوم أن يقول لنفسه: «إنى سعيد» عشر مرات والغرض من هذا أن يتدسس هذا الاعتقاد إلى عقله الباطن فيخالط نفسه بمر السنين ويمتزج بمشاعره، فيستقبل الحياة مرحاً متفائلاً ريان الأمل بساماً على السراء والضراء

وأقول بهذه المناسبة: إنى شفيت بفضله بعض الشفاء من الخجل المفرط والحياء الغالى، وهو مرض موروث كثيراً ما قعد بى عن غشيان الأندية والمحافل، ومنعنى من أداء الواجبات وزيارة الأصدقاء

كما أشهد أننى انتفعت به فى قرض الشعر؛ ذلك أننى كنت مكثراً منه فى مفتتح حياتى الأدبية، ثم صرفتنى عنه الكتابة صرفاً تاماً حتى عسر الرجوع إليه، فما زلت أوحى نفسى بأن من الجناية تعطيل هذه الموهبة، وأن الشعر أروع ألوان الأدب وأجلها خطراً ولا يسد مكانه غيره، حتى عدت إليه تدريجاً... والعود أحمد إن شاء الله. وليس التشاؤم إلا ضرباً من الأوهام تتحكم فى ضعفاء الإرادة رقاق الإيمان، فيمكن التخلص منها بالإيحاء

وهذا الدواء — أعنى الإيحاء — عرفه الناس قديماً لأنه دواء فطرى، إذ لا يخرج فى حقيقته عن المغالطة التى يلجأ إليها الإنسان أحياناً ليدخل الروح على نفسه ويستلّ منها القلق والاضطراب.

ولنعرض الآن صورتين متشابهتين يغلب فى الأولى التشاؤم فيلونّها بلون قاتم كريه نقرأ فيه اللوعة والحيرة والتبلبل! ويتجلى فى الثانية التفاؤل فيُشيع فيها النضارة والبهجة والإيناس!

فى الصورة الأولى نرى (ذا الرّمة) الشاعر، مر فى طريقه بغراب ينعب فوق بانة، فمثّل له خياله المظلم أن الغراب نذير الاغتراب! وأن البانة عنوان البين! وقد نعهد له المذرق الغراب، ولكن كيف يسوغ التشاؤم بالبان؟ وبه تشبه قدود الحسان!

قال ذو الرمة:

رأيت غراباً ناعباً فوق بانةٍ ... من القضب لم ينبت لها ورق نضر
فقلت غرابٌ لاغتراب، وبانة ... لبين النوى، تلك العيافة والزجر

ومثله جحدر اللص فى قوله:

ومما هاجنى فازددت شوقاً ... بكاء حمامتين تجاوبانِ
تجاوبتا بلحن أعجمىّ ... على غصنين من غَرَبٍ (١) وبان
فكان البان أن بانتْ سليمى ... وفى الغَرَب اغتراب غير دانى

وفى الصورة الثانية نرى الأمر على نقيض ذلك مع أن بواعث التشاؤم أشدوأ كثر، نرى (أباحية النمرى) أنشأ سفراً، فسنحت له عُقاب، وطالعته حمائم تنوح على شجرة طلح، وهدهد ساقط على غصن بان، تحته بقعة من دم مسفوح!

وكانت هذه المرائى الغريبة التى يسودها التنافر خليقة بأن يتطير منها، ولكنه طرد عن نفسه طوارق السوء، وأوحى لها أن كل أولئك من أمارات الخير والبركة، فما عتّم أن انقلب الشؤم فى عينه يمناً، واستحال الليل نهاراً! قال:

بدا يوم رحنا عامدين لأرضها ... سنيحٌ، فقال القوم مرّ سنيحُ
فهاب رجال منهمو وتقاعسوا ... فقلت لهم جارى إلىّ ربيح
عُقاب بأعقاب من الدار بعد ما ... جرت نية تسلى المحب طروح
وقالوا حمامات فَحُمّ لقاؤها ... وطلح، فزيرت والمطىُّ طليح
وقال صحابى هدهد فوق بانة ... هدى وبيان بالنجاح يلوح
وقالوا: دمٌ، دامت مواثيقُ بيننا ... ودام لنا حُلوُ الصفاء صريح

ويمتد بنا القول إذا وقفنا عند كل شاهد وعمدنا لتحليله،

(١) شجر رخو الأعواد

فنكتفي لضيق المقام بإيراد الأمثلة وفيها غنية عن البيان

دخل الحجاج الكوفة متوجهاً إلى عبد الملك فصعد المنبر ، فانكسر تحت قدمه لوح ، ففطن إلى أن الكوفيين قد تطيّروا له بذلك، فالتفت إلى الناس قبل أن يحمد الله وقال : شاهت الوجوه وتبّت الأيدي ! وبؤتم بغضب الله ! أئن انكسر عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم ؟! ألا وإني على أعداء الله تعالى لأنكد من الغراب الأبقع ، وأشأم من يوم نحس مستمر !

وخطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان ، فسقط القضيب من يده ، فتطيّر له عدوه بالشر ، واغتم صديقه ، فعرف قتيبة ذلك فقال: ليس الأمر على ما ظن العدو وخاف الصديق، ولكن كما قال الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى   كما قر عيناً بالإياب المسافرُ

وكان الوزير أبو نصر الكندري يتولى في أول أمره حجْب الناس ، وكان الباخرزي رفيقه في الدرس فقال مداعباً إياه :

أقبل من كندر[1] مُسَيْخِرةٌ   للنحس في وجهه علاماتُ

يحضر دُورَ الأمير وهو فتًى   موضع أمثاله الخَرَاباتُ

ثم ارتقت الحال بالكندري حتى صار وزيراً محكماً ، فورد عليه الباخرزي وهو في صدر الوزارة ببغداد ، فلما رآه قال له : أنت صاحب (أقبل من كندر مسيخرة ...) قال : نعم . فقال الكندري : مرحباً وأهلاً ! إني تفاءلت بقولك (أقبل ...) ثم خلع عليه قبل أن ينشده مديحه فيه . ومن الأمثلة الشعرية قول نور الدين المايورقي من شعراء نفح الطيب :

وذي هيف راق العيون انثناؤه   بقد كريّان من البان مُورق

كتبتُ إليـه : هل تجود بزورة ؟   فوقّع « لا » خوفَ الرقيب المصدّق

فأيقنت من « لا » بالعناق تفاؤلاً   كما اعتنقت « لا »[2] ثم لم تتفرق

ويقول عبد الرحمن من شعراء اليتيمة :

إذا دهاك الوداع فاصبرْ   ولا يهولنّك البعـادُ

وانتظر العوْد عن قريب   فإن قلب الوداع (عادوا)

ومن أروع الشعر في ذلك : ما كتب به أبو الفضل الميكالي إلى قوم من أهل (مَرْو)[1] انخلعوا من طاعته وحلوا لواءه وتألفوا فرقتين تعيثان في الأرض فساداً ! قال :

يا راكباً أضحى يخبُّ بعنسه   ليؤمّ مَرْوَ على الطريق المهيعِ

أبلغ بهـا قوماً أثاروا فتنةً   ظلّت لها الأكبادُ رهنَ تقطّع

إذ قدّموا ظلماً على سلطانهم   بالغدر والخلع الذميم المفظِع

وبحلّ عقـد لوائه وإباحةِ   لجنـابه وحريمه المتمنع

أبلغهمُ أني اتخذتُ لفعلهم   فألاً ، له في القوم أسوأ موقع

أما اللواء وحلُّه فمخبِّرٌ   عن حلّ عقدِ بينهم مستجمع

والخلع يُخبر أن ستُخلع عنهم الـ   أرواح بالقتل الأشدّ الأشنع

والغدر يُنبي أن تغادَر في الورى   أشلاؤهم لنسوره والأضبُع

والفِرْقتان فشاهدٌ معناهما   بتفرُّق لجميعهم وتصدُّع

ويلاحظ في هـذه الأمثلة أنها من نوع الإيحاء الذاتي « إيحاء الإنسان إلى نفسه » وسنتبع هذا المقال بطائفة من غرر الإيحاء الخارجي ، فيها قرة العيون وشفاء الصدور والله المستعان !

علي الجندي

(١) اسم قرية (٢) إشارة إلى اعتناق الألف واللام والشعراء في ذلك كلام كثير منه

رأيت شخصك في نوى يعانقني   كما تعانق لام الكاتب الألفا

(١) عاصمة خراسان

من الذروة

هـــذا القطيع ...!

[إلى الذين ما مست مزاهرهم يد الله]

... ولمحتُ رَكباً في الحضيضِ مُغنِّياً

طمَرَ الخنا تحتَ النَّشيدِ ودَسَّهُ

مِنْ كلِّ نَشْوانِ الرَّبابِ طهارةً

وحشاهُ للأكوانِ يترعُ رِجْسَهُ

لَبِسَ المُسُوحَ فقيلَ: قِدِّيسُ الحِمى!

والجيفةُ الشَّنعاءُ تلفِظُ قُدْسَهُ

وبكى الغرامَ فقيلَ : أرْخَمُ عاشِقٍ

غنَّى ! ونَتْنُ الفُحشِ يَزْحَمُ نفسَهُ

كَذِبٌ يُجلجِلُ في الصَّدى، وخواطرٌ

إفْكُ الرَّحيقِ بها يُعاتِبُ كأسَهُ

فكأنَّها في الشَّدْوِ مَنطِقُ مُومِسٍ

نَعْشُ الحياءِ بها يُواثِبُ جَرْسَهُ ...!

فمضَيتُ أسألُ : أيُّ جَوْقٍ مُزْعِجٍ

لِلمُلْهَمِين شدَا ليُطرِبَ رَمْسَهُ ؟

فأُجِبْتُ : دَعْ هذا القَطيعَ ، فإنَّهُ

بُومٌ يُؤبِّنُ في المفاوزِ حِسَّهُ !!

محمود حسن اسماعيل



من الفاس إلى السلاح

خففت إلى القرية منذ بضعة أيام، وقد أغراني الصحو والدفء أن أنعم بهما هناك يوماً أو يومين في ملاعب صباي ومسارح هواي وجنة أحلامي؛ ورحت في رونق الضحى أثب كالفراشة من حقل إلى حقل ومن غدير إلى غدير، وفي قلبي فرحة الغلام، وفي خيالي أحلام الشاعر.

وجلست أستريح ساعة في مصلى على جانب الطريق، أستند إلى جذع شجرة التوت العتيقة التي جردتها يد الشتاء العاتية من أوراقها، والتي طالما استروحت نسيم الأصل الرخى في ظلها السابغ أثناء الصيف؛ وأخذت عيناي من بعد شخصاً قادماً في زي «الأفندية»، فلما صار بحيث أتبينه، رأيته في زي «الجند» وما لبث أن دنا مني فعرفته، ولما بلغ حيث أجلس نطق بالسلام مبتسماً ورفع يده إلى رأسه محيياً بالتحية التي تعلمها في الميدان... وعجب إذ نهضت واقفاً له وإذ مددت إليه يدي مصافحاً، وأشرت إليه فجلس على استحياء على حافة المصلى

هذا هو حسن الفتى القروي المرح، القسيم المحيا الذي تعرفه القرية كلها بمواويله الساحرة العذبة التي كان يملها عليه في الأفراح ما هز قلبه من حب عف شديد والتي ما لحق به في مضمارها أحد من منافسيه.. ولقد طالما رأيته بالأمس يخطر في ملابسه القروية في تلك البقاع، ولقد طالما سمعته من قريب أو من بعيد يبدأ أغانيه الحلوة بقوله: «آه... يا ما جرى لك يا قلبي»

واليوم أراه في حلته العسكرية ينتعل ذلك الحذاء الضخم ويضع على رأسه الطربوش ويمسك بيده عصا رفيعة من الخيزران، وقد زال عن وجهه سفع الشمس إلا قليلاً فبدا أكثر وضاءة وأجمل قسامة وأنضر عافية

ولمحت في عينيه شيئاً من القلق ولكن لم يغب عني سببه، فأنا أعرف أن ذلك المصلى مكان انتظاره لمن يهوى قلبه وهي قافلة من الترعة أو ذاهبة إليها؛ وأشرت إلى ذلك مداعباً ممازحاً فضحك ضحكة جميلة مازج الطلاقة فيها الخجل... ولكن إشارتي إلى ما في نفسه زادت قلقه، فوجم برهة، وأدركت أنه يهم بالانصراف فأخذت أهدئ بالحديث روعه

ولم يطل ذلك الحديث فقد رأيت الصفرة تنشى وجهه والخجل يتزايد في عينيه؛ فالتفت فإذا هي مقبلة تحمل جرتها، ورأيتها حينما دنت منا قد أخذتها ربكة المفاجأة فاضطرب هيكلها ثم أسرعت فأخفت وجهها بطرحتها... وبدا لي فناديتها حين مرت فأبطأت ولكنها لم ترد ولم تلتفت، فأكدت، فوقفت ثم تماضيت فأقبلت في حياء شديد، فصحت بها التقدم وإلا نهضت فجئت بها على رغمها، فجاءت ووضعت يدها في يد خطيبها ثم انتزعتها مسرعة دون أن تتكلم، وأشرت إليه فحط عنها الجرة وأرغمتها على الجلوس، فجلست إلى جانب المصلى تحجب طرحتها نصف وجهها المتورد الجميل

وانعقد لسان الجندي فلم يدر ماذا يقول «فأنقذت الموقف» أنا بامتداحي حياة الجندية وبثنائي في عبارة يفهمانها على أولئك البواسل الذين يفتدون بلادهم بأرواحهم... ولمعت عينا الجندي الشاب، ثم تندت بدموع الفرح وأنسته الحماسة خجله؛ فقال وهو الذي كان يحمل الفأس بالأمس إنه يفدي بلاده بدمه إذا لزم الفداء... ونظرت إليه الفتاة نظرة لم أر فيها إلا معاني الإعجاب والارتياح؛ ونهضت قائلاً إني أتركهما برهة ليقولا ما بنفسيهما.

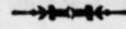
وعدت إذ رأيته يضع على رأسها الجرة وواجهتني ذاهبة، فإذا هي مستبشرة راضية تكتم ضحكتها؛ ودنوت من ذلك الجندي أسأله لم لا يصف ذلك في موال من مواويله وهو ذلك الشاعر الذي ماعى لسانه في موقف... ولكنه لم ينطق بموال حينذاك، وإنما راح يتكلم عن حب الوطن وعن معاني الفداء والبطولة. ولشد ما أعجبني قوله «الواحد منا ما يستهلش خير بلاده إذا ما دفعش عنها بدمه، والراجل إيه فائدة عافيته وشبابه؟ يا ترى يقعد زي البنت؟» وأكد لي أنه لا يأسف على فراق قريته في سبيل وطنه وله فيها من يهواها قلبه فحب بلاده فوق كل حب!

واستأذن الجندي الفلاح فوقفت أصافحه في حماسة وشيعته بنظرات الإكبار وهو يمشي مشية متزنة سريعة، وعجبت كيف تغير الجندية عقلية هؤلاء الفلاحين بمثل هذه السرعة، وأثلج صدري أن أرى في ذلك الفتى المتحمس الدليل الحي على صحة ما يقوم أبداً في نفسي من أن هذا الذي يجيل الفأس في تربة وادينا الوديع الهادئ كفيل بأن يدير في يده السلاح بنفس المهارة إذا هو قلد السلاح... ومن أين جاءت جنود تحتمس ورمسيس وابراهيم؟ وكم بين هؤلاء السذج زرق الجلاليب من قادة أمجاد وعلماء أفذاذ وشعراء فطاحل وساسة أماثل ولكنهم تركوا في غمار الجهل والفاقة لا يعلمون إلا أن يجيلوا الفأس في ثرى الوادي في صمت وصبر جاهدين

«خفيف»

لقب السفاح

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى



هذا موضوع كنت قيدته فى مذكرتى منذ سنين تحت هذا العنوان (لمن لقب السفاح)، وكان هذا بعد أن قرأت فى كتاب « الإمامة والسياسة » المنسوب لابن قتيبة وصف عبدالله بن على ابن عبدالله بن عباس بالسفاح، وتركه وصف أبى العباس به، وهو عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس؛ فالأول عم الثانى، وكان والياً له على الشام، وهو الذى تولى فيه حرب بنى مروان، وسفك فيه ما سفك من دمائهم، ثم أخذت فى تحقيق ما رأيته من الاضطراب فى ذلك الوصف، ودونت تحقيقاتى فى مذكرتى على هذا الترتيب:

١ — جاء فى ص ١٢٧ من كتاب المعارف لابن قتيبة وصف أبى العباس بالسفاح.

٢ — جاء فى تاريخ بغداد ص٤٦ ج ١٠ تلقيبه بالمرتضى والقائم

٣ — جاء فى كتاب « خلاصة الذهب » المسبوك للأربلى ص ٤٠ تلقيب أبى العباس بالسفاح والمرتضى والقائم.

٤ — جاء فى ص ٤٧٧ ج ٥ من كتاب (صبح الأعشى) للقلقشندى أن الخلف وقع فى لقب السفاح، فقيل القائم، وقيل المهتدى، وقيل المرتضى

٥ — جا فى ص ٢٠٧ من تاريخ ابن العبرى أن أبا العباس كان رجلاً طويلاً أبيض اللون حسن الوجه، يكره الدماء، ويحابى على أهل البيت

٦ — قرأت ما كتبه ابن جرير الطبرى عن أبي العباس فلم أجد فيه وصف أبى العباس بالسفاح

٧ — جاء فى كتاب (الفاطميون فى مصر) للأستاذ حسن إبراهيم حسن أن الأستاذ دى غويه كان يرى أن السفاح معناه الرجل الكثير العطايا أو المناح

وقد وقفت عند هـذا فى مذكرتى، وشغلت عن الكتابة فى هذا الموضوع بما فيها من الموضوعات الكثيرة، إلى أن قرأت فى مجلة (الثقافة) الغراء بعض ما كتبه فيه الأستاذان الجليلان عبد الحميد العبادي وأحمد أمين، فكنت والله كأنى فقدت بعض أولادى لأن أفكارى تبلغ عندى منزلة الأولاد، وقد تكون أعز منها عندى، وفى سبيلها يهون على ما ألاقيه من عنت واضطهاد فى هذه الحياة

ثم عزيت نفسى عن ذلك بما أغناها الله به من مثل هذه الآراء والأفكار، وانتظرت ما ينتهى إليه أمر الأستاذين الجليلين فى ذلك الموضوع، فلعلهما يتركان لثلى الكلام بعدهما، ويكون لى ما أعقب به عليهما. فلما فرغا منه وجدت الموضوع لا يزال فى حاجة إلى التحقيق، ورأيت أنهما لم يصلا إلى تلك النصوص السابقة، ولو أنهما وصلا إليها لتغير نظرهما فى ذلك الموضوع

لقد ذكر الأستاذ العبادى فى أول ما كتبه عن السفاح أنه كان شاباً متصوناً، عفيفاً، حسن المعاشرة، كريماً، معطاء، ذا شعرة جعدة، طويلاً، أبيض، أقنى الأنف، حسن الوجه واللحية، ورتب على هذا رأيه فى معنى لقب السفاح الذى عرف به أنه بمعنى الكثير العطاء، وليس بمعنى السفاك للدم، لأن مثل تلك الصفات التى كان السفاح يتحلى بها إنما تلتئم مع المعنى الأول للسفاح وهو المعطاء، ولا تلتئم مع المعنى الثانى، لأنه معنى ذم لا يلتئم مع تلك الصفات الكريمة

والأستاذ العبادى مسبوق بهذه النظرة إلى معنى السفاح الذى لقب به أبو العباس، فقد ذكر الأستاذ حسن ابراهيم حسن فى بعض تعليقاته على كتابه (الفاطميون فى مصر) أن الأستاذ نيكلسن قال فى بعض كتبه: يقول الأستاذ بيفان الذى أدين له بهذه اللاحظات إن ترجمة لفظ السفاح ولو أن استعمالها قد شاع بين الكتاب الأوربيين لا تزال مثار الكثير من الشك، وقد ذهب الأستاذ دى غويه إلى القول بأن السفاح معناه الرجل الكثير العطايا أو المناح، وإنه مما يهمنا ملاحظته أن هذا الاسم قد أطلق على بعض شيوخ القبائل فى الجاهلية، ويقال إن سلمة بن خالد الذى قادبنى تغلب فى موقعة بنى كلاب الأولى (ابن الأثير — طبعة ترنبرج ج ١ ص ٢٤٦) سمى السفاح لأنه أفرغ مزاد جيشه قبيل الموقعة، ثم قال: والذى أميل إليه أنه إنما سمى بهذا الاسم لقوله فى أول خطبة له (فأنا السفاح المبيح والثائر المنيح)

وفى هذا النقل بعض من الاستقصاء العلمى الذى عرف به المستعربون الأوربيون، ولكن فيه مع هذا تخليطاً كثيراً يحب

أن ننبه هنا إليه ، ثم نعود بعد إلى موضوعنا ، فقد سميت الموقعة فى ذلك النقل موقعة بنى كلاب ، وهو خطأ فى التسمية ، وإنما هو يوم الكُلاب الأول من أيام بكر وتغلب ، وقد جاء فى القاموس (وكلاب كغراب موضع وماء له يوم) وكان هذا اليوم بين شرحبيل وسلمة ابنى الحارث بن عمرو ملك بكر بن وائل ، فإنهما اختلفا بعد موت أبيهما على الملك ، وتواعدا الكلاب ، فأقبل شرحبيل فى ضبة والرِّبابِ كلها وبكر بن وائل ، وأقبل سلمة فى تغلبَ والنمر وبهراء ومن تبعه من بنى مالك بن حنظلة ، وعليهم سفيان بن مجاشع ، وعلى تغلب السفاح بن خالد ، وإنما قيل له السفاح لأنه سفح أوعية قومه وقال لهم : ابتدروا إلى ماء الكلاب فسبقوا ونزلوا عليه ، وقد قتل فى ذلك اليوم شرحبيل بن الحارث وجيء برأسه إلى أخيه سلمة ، فلما رآه دمعت عيناه ، وقال :

ألا أبلغ أبا حَنَشٍ رسولاً فمالك لا تجيء إلى الثوابِ
تَعلَّمْ أن خير الناس طُرًّا قتيلٌ بين أحجار الكُلاب
تداعت حوله جُشَمُ بن بكر وأسلمه جَعَاسِيسُ الرِّباب

وكان أبو حنش هو الذى قتله ، ثم بعث برأسه إلى سلمةَ مع عسيف له ، ولم يحضر بها مخافة منه ، فقال سلمة لعسيفه : أنت قتلته ؟ قال : لا ، ولكنه قتله أبو حنش ، فقال : إنما أدفع الثواب إلى قاتله ، وكان قد جعل لمن يأتيه برأس أخيه مائة من الإبل

وقد رد الأستاذ أحمد أمين على استبعاد أن يكون أبو العباس سفاحاً بمعنى سفاك مع ما كان له من تلك الصفات الكريمة ، بأن هذا لا شيء فيه ، لأن كثيراً من أبطال الجاهلية كان سفاكا للدماء ، ومع هذا كان يتحلى بمثل تلك الصفات التى كان يتحلى بها أبو العباس ، كعنترة العبسى وغيره . ورد عليه الأستاذ محمود محمد شاكر بأن الرقة والجمال ولين الخلق تخفى وراءها أحياناً قسوة لا يدانيها قسوة ، كالذى يكون فى النساء ، فإنهن قد عرفن بين الناس بالرقة ، وهن أغلظ أكباداً من الإبل . ومع هذا يرى الأستاذ محمود أن السفاح لقب أبى العباس من سفح المال لا من سفح الدم ، لأن أبا العباس كان يسمى عبدالله الأصغر ، وكان أخوه أبو جعفر يسمى عبد الله الأكبر ، وأبو جعفر قد لقبه أبوه فيما يعلم الأستاذ محمود بالمنصور ، فلا غرو أن يكون أبو العباس قد لقبه أبوه كما لقب أخاه ، ولا يعقل أن يلقب أحد ولده بمذمة سفح الدماء وهو ينصبه للناس خليفة ، وقد روى عن أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « يخرج منا رجل فى انقطاع من الزمن وظهور من الفتن يقال له السفاح ، يكون عطاؤه للمال حثياً » وأئمة الحديث لا يصرفون هذا الاسم إلى أبى العباس ، ولكن بنى العباس استخدموا مثل هذا فى دعوتهم . فالسفاح إذن ليس من سفح الدم ، وهو بهذا المعنى مجاز مقصود لغرض بعينه

وإنى لا أوافق على أن العباسيين كانوا ينظرون إلى لقب السفاح بمعنى السفاك للدم مثل نظر الأستاذ العبادى والأستاذ محمود شاكر ، لأنهم كانوا يريدون منه السفاك لدماء أعدائهم ، وهذا عندهم لقب مدح لا ذم ، وقد تمدح به أبو العباس فى أول خطبة له فقال : « فأنا السفاح المبيح ، والثائر المنيح » وفى رواية الطبرى « والثائر المبير » . ولا شك أنه إذا أمكننا أن نحمل السفاح المبيح على معنى سفح المال وإباحته ، فإنه لا يمكننا أن نحمل الثائر المنيح أو المبير إلا على معنى إهلاك الأعداء وسفح دمائهم وإباحة أهلهم عليهم . ولا مانع بعد هذا عندى فى أن يكون فى السفاح معنى سفح الدم وسفح المال ، ورأيى فى الحديث الذى جاء فيه ذكر السفاح أنه من الأحاديث الضعيفة ، والظاهر أنه لم يظهر إلا بعد انقضاء عهد السفاح ، وأنه كان يقصد به التقرب إلى العباسيين ، كالحديث الذى روى عن ابن عباس أنه قال : لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لأدال الله من بنى أمية ، ليكون منا السفاح والمنصور والمهدى[1]

وأما ما ذكره الأستاذ محمود من أن السفاح بمعنى سفح الدم مجاز فينافيه ما ذكره الزمخشرى فى أساس البلاغة ، وهو الكتاب الذى يرجع إليه فى تمييز المعانى الحقيقية والمجازية ، فقد ذكر السفاح بمعنى السفاك للدماء فى الاستعمال الحقيقى لمادة س ف ح ، ولم يذكر فيه ولا فى الاستعمال المجازي معنى سفح المال ، وهذا يدل على أن استعماله فى الأول أقرب من استعماله الثانى ، ولنقف الآن عند هذا الحد ، لنتم بحث ذلك الموضوع بعد

عبد المتعال الصعيدى

(١) على أن الحديث ليس نصا فى أن السفاح بمعنى الكثير العطاء ، لأن الصفة كما تكون كاشفة تكون مؤسسة



الهجرة

يا نبيّ الله ! !

إنّ الإسلامَ قد قَعَدَ به أهلُه ، والزّمنُ بالناسِ يعدُو، والحياةُ في العالم فِكرٌ يتحقّق ، وهي عندنا حُلمٌ يَتبدّد، هذه أُمّتُك تملأ الأرض ، ولكن قد فرغت قلوبها من الإيمان والإيمانُ في دِينك قولٌ وعملٌ ، كانت به المعجزةُ الإسلامية ولكنه عندنا قولٌ وجدلٌ ، تكون به الفُرقةُ الجاهليّة ...

فاللهمّ هِجرةً كهجرةِ نبيّكَ بالعزمِ والإيمان
اللهمّ جهاداً كجهادِه يُجدّد القلوبَ والأوطان

الشباب والأدب

الطفل حياةٌ صغيرة غضّةٌ ليّنةٌ تقبلُ التشكل وتطاوعُ على ضغط البيئة التي تكتنفها وتُطيفُ بها وتميل عليها ؛ وبيئةُ الطفل هي أخلاق أبويه ، ومعاملتهما وحديثهما وما يحيط بهما من الأقارب والأصحاب والخدم وكل من يعود البيت من زوّاره. وقد حُمّل الإنسان طبيعة التشكل من أوّل عمره ليكونَ بعدُ إنساناً اجتماعياً مقتدراً على التصرّف في نظام الجماعة بما لا يخرجه من جوّها ويقذفه وراء حدودها التي ضربتها عليها الأحوال الاجتماعية التي يتميز بها الجيل من الناس الذين يعاشرهم . وتتصل بهذه الطبيعة من قريبٍ طبيعة أخرى هي التقليد ، ليسوغَ له أن يتثقف الحياةَ ويتلقف أسبابَها وطرائقها وأساليبها في مدًى قصير ، فلا ينقطع دون إدراك الطلائع الإنسانية السابقة التي بدرت أمامه في الحياة ومارستها وعملت لها وجددت فيها بعضَ ما يمكن تجديده في نظامِ الجماعات .. ولا يزال الإنسان — من أول عمره — خاضعاً خضوعاً تاماً لهاتين الطبيعتين ولقانونهما المستبدّ ، حتى يأتي عليه زمان يستطيع أن يتحرر في بعض نواحيه بالخضوع لقانون آخر هو قانون الاستقلال الفكري والعملي الذي تقوم عليه رجولة الإنسان وقوته ، ولكنه مع ذلك يبقى أبداً متلبساً بأسباب القوانين الأولى التي تخضعه في بعض النواحي للتشكل والتقليد في زحمة الجماعات وضغطها وتأثيرها . فهو إذن لا يبلغ مرتبة الاستقلال إلا بعد أن يكون قد قبل من الأشكال — بالضعف والتقليد — ما لا يستطيع أن ينفك منه أو أن يتفصّى من قيوده التي تحبسه على ضروراتها . . .

فمن هنا يَبين مقدار الخطر الذي تنذر به هذه الفترة الأولى من حياة الإنسان ؛ ونحن لا نستطيع أن نحدد عمر هذه الفترة ، ولكنها تستمرّ على الأقل إلى نهاية رَوْقِ الشباب ما بين العشرين والثلاثين ، بل ربما جاوزت إلى نهاية العمر إذا ما انتكست الحياةُ في الحيّ وصار إلى حيوانية آكلة شاربة غير مفكرة !

فالشاب حين يخرج إلى الحياة العقلية والفكرية تستهويه أسماء المفكرين من الكتاب والشعراء والفلاسفة فتستهيمه وتذهب بهواه وعقله إلى الأخذ عنهم والاقتداء بهم والسير على مناهجهم ، ولا يزال كذلك في تحصيل وجمع وتأثر واتباع حتى يتكوّن له قِوَامٌ عقليٌّ يجرّئه على الاستقلال بفكره ورأيه ومذهبه . فالقدوة والأسوة هي مادة الشباب التي يتم بها تكوينه العقليّ على امتداد الزمن وكثرة التحصيل وطول الدُّرْبَةِ ، فإذا كان ذلك كذلك فالكتّاب والشعراء والفلاسفة وأصحاب الرأي وكل من يعرض نتاجه العقلي للشباب ، ويكون عُرضةَ الاقتداء والتأسي والتأثر — يحملون تبعة تكوين العقول الشابة التي ترث علومهم وأفكارهم ثم تستقل بها وبإنتاجها الخاص ، وكذلك يكون هذا الإنتاج الخاصُّ ضارباً بعرق ونسب إلى الأصل الأول الذي استمد منه واتبعه وتلقّى عنه

هذا ... ، فتبعة الكتّاب والأدباء أمانة قد تقلدوها وحملوها ، ثم ارتزقوا منها أيضاً وأكلوا بها وعاشوا في الدنيا الحاضرة بأسبابها ، فهم على اثنتين : على أمانة قد فرض عليهم أن يؤدوها إلى من يخلفهم من الشباب الذي يتبعهم ويتأثر آدابهم، وعلى شكر للمعونة التي يقدمها لهم الجيل الشاب الذي يبذل من ماله ليشترى

منهم ما يكتبون وما يؤلفون وما يقدمون للتاريخ من آثارهم ليكسبوا به خلود الاسم وبقاء الذكر

وشبابنا اليوم قد تهدّمت عليه الآراء ، وتقسّمته المدنية الأوربية الطاغية ، وهو لا يجد عصاماً يعصمه من التدهور فى كل هوة تنخسف بين يديه وهو مقبل عليها بشبابه ونشاطه واندفاعه وعنفوان قوته فى الشوط الذى يجريه من أشواط حياته. والمدارس فى بلادنا لا تكاد تعطيه من الرأى أو من الفن أو من الأدب ما يبلّ أدنى ظمأه إلى شىء من هذه الأشياء ؛ وإذن فليس يجد أمامه إلا المجلات والصحف والكتب التى يقدمها له أصحاب الشهرة من كتّابه الذين تُرفَع له أسماؤهم فى كل خاطرة وعند كل نظرة . وهو لا ينى يستوعب منهم أساليبهم وأفكارهم وآراءهم وما يدعونه إليه من موائدهم

فهل ينصف هؤلاء الكتاب هذا الشباب ؟ أتراهم قد عرفوا قدر أنفسهم عند الشباب فعبّأوا له قواهم احتفالاً بشأنه وحرصاً على مصيره الذى هو مصير الأمة ومصير مدنيتها ؟ أنا لا أرى ذلك إلا فى القليل ممن عرفهم الشباب وجعلهم نصب عينه ، واتخذ أساليبهم فتنة يهوى إليها

ناقد يتكلم

وأنا أدع أحد الكتاب من إخواننا الشآميين يتحدث عن بعض ما نحن بسبيله ، وهو الأخ « قسطنطين زريق » فى كتابه « الوعى القومى » فقد قال فى ص (١٦٢ — ١٦٣) :

« لسنا نعيش اليوم فى عصر ترف عقلى ورفاهية فكرية . فى عصور الترف والرفاهية قد يسمح للكاتب أن يقول : « لى الحق أن أكتب ما أريد وأعبر عما فى نفسى كما أشاء » ... إن عصرنا عصر أزمة فكرية وضيق عقلى . وكما أنه لا يسمح للناس فى زمن الأزمة المالية أن يبذروا أموالهم فى سبيل شهواتهم الخاصة وأمورهم التافهة ، فكذلك يجب ألا يسمح لقادة الفكر فى عصر الضيق العقلى والأزمة الفكرية أن يبددوا قواهم على المسائل الطفيفة والأبحاث الجزئية

فعلى كل منا عند ما يهم بكتابة مقال أن يتساءل بصراحة : « إلى ماذا أرمى ؟ أترانى أضيف بمقالى فوضى إلى هــذه الفوضى الفكرية التى يتخبط فيها عالمى ، وأقذف بعنصر جديد إلى العناصر التى تتطاحن فى محيطى ، فأزيد فى بلبلة أمتى واضطرابها الفكرى ، أم أنا أعمل لتوجيه قوى هذه الأمة العقلية نحو فكرة صائبة أو عقيدة واضحة ؟

فإذا لم تكن غايته من هذا النوع الأخير ، فخيرٌ له وللأمة أن تظل كتاباته مدفونة فى نفسه ، وأن يبحث له عن طريقة أخرى يخدم بها أمته ولغته » . ا هـ

إن هذه الكلمات القلائل التى ختم بها الأستاذ زريق بحثه عن الأدب الذى يقود الأمة وشبابها إلى إنقاذ المدنية العربية والإسلامية والشرقية من رَدَغَة الخبال التى تورط أهلها فى أوحالها ومستنقعاتها — حقيقة بأن تكون من « محفوظات » كبار الأدباء الذين يرمون عن أقلامهم آراء وعقائد وأساليب لا يمكن أن تكون مما يحتملها مخلص لأمته ، ينظر إلى المستقبل الذى هو ثمرة الماضى والحاضر ، ونتاج اللّقاح الفكرى الذى تتقبله عقول الشباب حين تبدأ تتفتح عن أكمامها لتحمل عملها فى إنتاج الثمر إما غضًّا شهياً وإما فِجًّا متعفناً موبوءاً

هل يمكن ؟

فهل يمكن أن يكون أدباؤنا ممن يتقبل النصح الخالص الذى لا تحمل عليه ضغينة أو رياء أو حيلة ؟ وهل يمكن أن يعرف أحدهم أن ليس فى الدنيا أحد هو أعلى من أن يتعلم ، ولا أحد أقل من أن يُعلم ؟ وهل يمكن أن تفرَغ النفوس التى نفختها الكبرياء من الروح النافشة التى لا طائل تحتها ؟

لقد جعلت مقامى فى هذا الباب مقام المذكِّر الذى يجب أن يؤدى واجبه لمن يقرأ كلامه ، فأنا لا أستطيع إلا أن أتكلم بكلامى وإن أغضَب من لا يرضى إلا بما يرضيه من الملق والدِّهان والمامسحة ، وقد انقضت أسابيع طوال من أسابيع الأدب ، وأنا أزداد كل يوم شكاً فى مقدرة أدبائنا على الإنتاج الأدبى الرفيع الذى يمكن أن يخلد فى تاريخ الأدب ؛ وقد تتبعت أقوال هؤلاء وأساليبهم فلم أجد إلا كل ما يحفزنى على المصارحة والنصح وإبداء الرأى مكشوفاً غير مكفَّن

وأنا لو كنت أحمل نفسى على تتبع هؤلاء واحداً بعد واحد أنقد أقوالهم على التفصيل دون الجملة ، ثم أقيد ما أريد بالكتابة فى هذا الباب من « الرسالة » لما كفانى القدر الذى أكتبه ،

ولما استطعت أن أستوعب الرأى فى كل ذلك على أسبوع أسبوع، فلذلك تجنبت جهدى أن أعرض لأشياء كانت تقتضينى أسابيع فى تقصيها وتفصيل أجزائها ، وبيان مكان الفساد منها ، والدلالة على قلة عناية هؤلاء بقرائهم ، وصغر احتفالهم بالأدب الذى اتخذوه لهم صناعة عرفوا بها عند الناس ، حتى صاروا للشباب أئمة بهم يقتدون . نعم ، وكأنهم لا يعرفون أن ما يخرجونه للناس إن هو إلا غذاء جيل من الشبان يأخذ عنهم ويحتذى عليهم ، فإن يكن فى الذى يأتون به فساد فهو إلى إفساد الشباب الجديد أسرع ، وفى طبائعه اللينة أعمل وأوغل ؛ فأيما خطأٍ صغير منهم فهو عدة أخطاء كبار فى الذين يلونهم من الشباب المقلد المسكين

إن أمثال الدكتور طه حسين والأستاذ أحمد أمين والدكتور زكى مبارك والأستاذ الزيات وفلان وفلان من كبار الأدباء هم من هذه الأمة الشابة من الناس بمنزلة السراج الذى يضىء للشباب معانى الحياة المظلمة بالجهل ، فإذا انقلب السراج فإنما هو الحريق وانتشاره ومممته ومضغُه قوة الشباب بفكين من نار حُطَمة

الرحلتان

ويذكرنى هذا ما يقطع علىّ نهاية الرأى . فقد قرأت أخيراً مقالتين ، إحداهما للدكتور طه ، والأخرى للأستاذ أحمد أمين ، وهما بهذا العنوان « رحلة » . وقد تعود الأستاذان أن يتقارضَا المقالات منذ أسابيع طويلة ، وأكثرا فى ذلك إكثاراً لا يمكن أن يُغْضَى عنه ؛ وكنتُ أحب ألاّ أعرضَ لَهُ لعلّه ينتهى إلى نهايته ، فإذا هو شىء لا ينقطع . فمن يوم أن كتب الأستاذ أحمد أمين ما كتب وسماه « مدرسة الزوجات » وقارضه الدكتور طه « بمدرسة الأزواج » ثم « مدرسة المروءة » ثم « مدرسة ... » إلى آخر هذه الأشياء ، وافتتنا بهذه الطاحون التى تدور على دقيق مطحون قد فُرِغ منه — من ذلك اليوم وأنا لا أرى فيما يكتبان إلا استسلاماً للقلم وبدواته وبوادره ، واجتلبا فى ذلك من الرأى ما لا يستقرُّ ولا يتماسكُ

وفى هاتين الرحلتين رأيتُ العجب ! ! فالدكتور طه مثلاً قد أطال فى تحقير مصر والزراية عليها وعلى أرضها بما احتمله عليه الغضب الذى رغب فى إنشاء مدرسة له يسميها « مدرسة الغضب » رحل الدكتور طه بالسيارة فى الطريق الزراعية فناظه التراب الذى يثور من حوله فيطلق لسانه بهذه الأسئلة « لماذا ندفع الضرائب؟ وفيم تنفق الدولة أموالنا؟ وماذا تصنع الدولة؟ ولماذا ننشئ الدولة؟»

فليخبرنا الدكتور طه عن السبيل الذى تتّقى به الزراية على أرض مصر ! ماذا تصنع الدولة فى طريق عن جانبيه تلك الأرض الخصبة الواسعة التى تُنْسَقَى لتطعم أهل مصر من خيراتها؟ كيف تتقى الدولة مرور الناس والدواب وأرجلهم تحمل أوحال الأرض الخصْبَة فتمرُّ بها على الطريق الزراعى الممهّد ، فتأتى الشمسُ المصرية الملتهبة فتجفف الوحل فيثور تراباً ؟ إن هذا كلام يقال فى البلاد الباردة التى لا تفعل الشمس فيها ما تفعل فى أرض مصر الغبراء ، هناك فى « قرية من قرى السڤوا أو الدوفنييه أو الكانتال ، على قمة جبل من هذه الجبال التى ألف الدكتور طه الاعتصام بها إذا أقبل الصيف ، والتى فارقها فى الصيف وقلبه يتقطع حسرات » أو كما قال ... ! إن مثل هذا يجب أن يأتى من آراء أدبائنا ، إن لم يكن من أجل أنفسهم فمن أجل مَن يتولاهم من الشباب . وليس أكثر آراء الأستاذ أحمد أمين فى هذا المقال بأقل ابتعاداً عن الحق من الذى عرضنا له

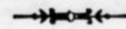
جناية !!

والأستاذ أحمد أمين هو الذى حمل على الأدب العربى ، وحقر الشعر الجاهلى ، ودفع بحجته فى وجوب نبذ هذا الأدب وذلك الشعر الجاهلى لأنه كان جناية على أدبنا . وأنا كنت هممت أن أؤدى واجبى للأدب العربى بإظهار فساد هذه الآراء التى لم تنضج ثمراتها ، ثم رجعت عن ذلك ، رغبة أن يترك مثل هذا الرأى حتى يفنى فى نفسه ، لعلمى - بالاستنتاج - أن الأستاذ ليس أديباً ناقداً ، والناقد أديب مضاعَف ، وقدرته على الأدب أكبر من قدرة الأديب المحض . وقد أحببت أن أقف على كلمة فى مقالة الأستاذ أحمد أمين « رحلة » تدلك على أن رأى الأستاذ فى الأدب العربى والشعر الجاهلى رأى لا يؤخذ به ، فقد قال : « وها هم أولاء رفقة كأنّ أخلاقهم سبكتْ من الذهب المُصفّى ، وكأن شمائلهم عصرت من قطر المزن » وهى جملة لا ينطق بها أديب متمكن ألبتة ، فما ظنك بأديب ناقد ، وأنا لا أعرف كيف يعصر قطر المزن (أى الماء) ، وهو لا يمكن أن يُعصر . ونحن لا نشك فى أن الذنب ليس للأستاذ الجليل ، وإلا فهو ذنب الشيخ اليازجى صاحب « نجعة الرائد ، وشرعة الوارد ، فى المترادف والمتوارد» ... الخ ، الذى ذكر هاتين العبارتين بنصهما وترتيبهما



الموسيقى فن وإلهام

للأستاذ محمد السيد المويلحى



أكثر الناس فى هذا الزمن يعتقدون أن الموسيقى « علم » كـكل العلوم لها قواعد ومبادئ، ولها مناح ونواح متشعبة متفرقة لا يمكن جمعها وهضمها إلا بالبحث والفحص والدرس، بل هم يعتقدون أكثر من هـذا ؛ يعتقدون أنها تخضع للدأب والـكد، وتعطى سرها وسحرها لمن يتعب أكثر من غيره فى طلبها ... !

وليس هذا فى مصر والشرق فحسب ؛ بل فى جميع بقاع العالم، وفى كل البلاد التى بلغت ذروة الحضارة وأدركت نهاية

فى فصل « كرم الأخلاق ولؤمها » ص ٧٠ الطبعة الثانية، وهما من حشد الشيخ الذى لا يقوم على أصل من البيان والبلاغة

أجَلْ، إن كثيراً مما وقع فى كتاب الشيخ اليازجىّ — على جلالته — ، إنْ هو إلاّ مجازات واستعاراتٌ كأخيِلة المحموم مادَّتها من الهذيانِ اللغوىّ الذى لا يَصِل إلى الحقيقة بأسباب من منطق العقل . والبلاغةُ ليست إلاّ حفظ النسبة بين الحقيقة اللغوية والمجاز البيانى، فـكل ما لم يكنْ كذلك من المجاز والاستعارة فهو لَغوٌ يتشدقُ به من ليس لَهُ طبعٌ أدبىٌّ رفيع . وجهدُ اليازجىّ كان حشداً من كلام العصور المتقدمة فى العربية، فأخذ من الجيد والردىء على غير نقد أو تمييز

فكان واجبُ الأستاذ أحمد أمين — الزارى على الشعر الجاهلى وواصمه بالجناية على الأدب العربى — أن ينقُد مثل هذه العبارات الضعيفة المتهالكة التى لا تتصل بسبب إلى البلاغة العربية على اختلاف عصورها — لا أن ينقلها إلى كلامه . وإلا فلينظر الأستاذ إلى أثر هذه المجازات فى بيان الشباب الذى يحبُّه ويعجب بأدبه، ويتلقى كلامه بالإجلال وحب الاقتداء

محمود محمد شاكر

المدنية ... فهناك المدارس المختلفة، والمعاهد المتباينة، والجامعات المختصة فى تدريس كل (مادة) من مواد الموسيقى ؛ وهناك الأساتذة الذين قطعوا كل عمرهم أو جله فى التخصص والانقطاع لتجويد ناحية واحدة يكررونها صباحاً ومساء ... حتى (الصوت) استطاعوا أن يوهموا الناس أن فى مكنتهم السيطرة عليه بل وخلقه خلقاً جديداً ... !

ولـكن هـذا ليس من الواقع فى شىء، فإن كان للموسيقى فروع وأصول، وقواعد ونظريات، فليس معنى هذا أن كل من يلم بها أو ببعضها يسمى (موسيقياً) أو فناناً يعبِّر عن خوالج الناس بروحه الشفافة الملهمة

الموسيقى ليست مهنة تُتعلم، ولا حرفة تُجاد، ولا صنعة تـكتسب، وإنما هى فن وإلهام كما قلت فى رأس هذا الـكلام ... هى إلهام لأنها أسمى من أن تخضع لقوى البشر التى يخضع لها، وهى قوة سحرية روحية تفعل فى النفوس ما لا تفعله قوى الأرض مجتمعة متضامنة ... فهى تُضحك وتُبكى، وتُفرح وتُحزن، وتُسعِد وتُؤلم فى لحظات، فهل ثمة قوة إنسانية (مكتسبة) تستطيع أن تملك مثل هذا السحر ؟

إن (العالِم) الذى يقسم لك الموسيقى إلى قواعد غربية وقواعد شرقية وموشحات وأدوار ثم يقول لك إن الموسيقى عبارة عن (دواوين) وأن كل ديوان له درجات أساسية و (نيمات) وعربات و (تيكات) وأن بين اليكاه والعشيران كذا من المسافات، أو أن يقول لك إن الديوان الأول (مثلاً) يحتوى على ثلاثة (تكوك) وسبعة عربات ... الخ ويروح مقارناً بين الموسيقى الغربية، والموسيقى العربية، ويفضل إحداهما على الأخرى ناسياً الذوق، والطبع، والمادة، والبيئة — لهو أبعد الناس عن الموسيقى وعن الفن الصحيح وإن كان هو يأبى ذلك . فليس الفن أرقاماً تجمع وتطرح وتحفظ وتعرف وإنما هو قوة هائلة معجزة يسوقها الملهم العبقرى أمواجاً سحرية ولو كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولا يعرف النيمات والتيكات والعربات ... ! !

(فوزار) الموسيقار الألمانى الخالد عزف وهو فى طفولته على البيان والـكمان والأرغن من غير أن يتعلم درساً واحداً عليها ! ! ولعل القارئ يدهش حينما يعلم أنه كان يسبق الأساتذة

الذين أتى بهم لتعليمه ، وتوجيه عبقريته فى الوجهة الصحيحة (كما كانوا يزعمون) حتى إن أحدهم بكى أمام سحر الطفل ، وقال لوالده :

« ليس عندى ولا عند غيرى ما يجهله ابنك، إنه ابن الموسيقى وقد علمته سرها وسحرها ! » (وبتهوفن) الذى كان يطلق عليه (إله الموسيقى) والذى أرهقه أبوه فى طفولته وظن أن كثرة (التعليم والإرشاد) تنفعه . كان يبكى لأمه ويشكو ظلم هذا الوالد ويقول لها : لقد أوشك أبى أن يبغضنى فى الموسيقى وفى الحياة نفسها ... فلما تركوه وشأنه كان لا يفارق البيان أبداً إلا ليأ كل أو لينام ... ! وبعدها أخرج آياته الخالدة التى لا تزال إلى اليوم سمواً لا يدانى ...

قد يقول قائل وما فائدة تلك المدارس إذن ، وما فائدة هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم للتدريس وجعلوا من أنفسهم حفظة لقواعد الموسيقى وعلومها ... ؟

فائدتهم التوجيه والتهذيب فقط . أما الخلق والابتكار والقدرة والسيطرة والتحكم فى ميدان العواطف ، أما التغلغل فى الأعماق والسريان فى الدم والتلاعب بالأرواح ، فهذا كله لا يعرف العلم ، ولا يخضع للعلماء ... !

إن الذى يغنى أو يعزف لا يصف النظريات ، ولا ينتقل من نغم إلى نغم مرسوم موضوع ، وإنما هو ينطلق بروحه فتتحكم فى لسانه أو بنانه وتروح مستولية على خلجات المستمعين، وطوبى لمن يأسره فنه أولاً قبل أن يأسر غيره لأنه يفعل العجب ... ولا يهمه بعد ذلك أخرج على (الوحدة) أم ظل محافظاً عليها، ولعل من هذا الباب قصة المرحوم (عبدالحى حلمى) الذى كان يشدو ليلة كبلبل نشوان والناس من حوله سكارى من خمر الطرب فخرج على (الوحدة) فأرشده (عازف القانون) فزجره قائلاً : خلّ الوحدة لك ولأمثالك ، إننى أغنى لهؤلاء الذين يفهمون الموسيقى !

ولهذا لا يمكن لمطرب يغنى لحن غيره ، ويترجم إحساس غيره ، أن يصل إلى درجة مطرب يلحن لنفسه ويترجم إحساسه مهما أوتى من حسن الصوت وجمال الإلقاء ، لأنه يكون ممثلاً وحاكياً، بل يكون كاذباً فى رسالته، والموسيقى لا تعرف الكذب لأنها هى نفسها رسالة صادقة !

رب قارئ يقول إنه يسمع بعض المطربين والمطربات من الذين يغنون تلحينات غيرهم قد وصلوا إلى مرتبة سامية لا تدانى، حتى من الذين يلحنون لأنفسهم ؟ وردى على هذا الاعتراض أن القارئ سيقتنع إذا عرف أن هؤلاء المطربات والمطربين لا ينتزعون الإعجاب ولا يسيطرون بسحر فنهم وصوتهم إلا إذا انطلقوا من جو تلحين الموضوع وتصرفوا من عندهم التصرف الذى يمليه إحساسهم ...

إن بعضنا يسمع (أم كلثوم) مثلاً وهى تغنى قطعة موضوعة مرسومة فيظل هادئاً أو مشجعاً حتى إذا تصرفت وترجمت إحساسها هاج وماج وفقد سلطانه على نفسه !

وعبد الوهاب ، هناك من هو أملح منه صوتاً وأصفى نبرة ومع ذلك لا يقاس إليه ، لِمَ ؟ لأن عبد الوهاب لا يترجم للناس إلا إحساسه ، ولا يصور لهم إلا روحه ...

ومالنا نذهب بعيداً؟ إن القصبجى والسنباطى وزكريا وهاشم ومحمود صبح ، وهم أئمة التلحين فى مصر والشرق قاطبة ، لو غنوا تلحيناتهم بأنفسهم — وبعضهم قبيح الصوت — لأدوها أحسن من غيرهم ولو كان أجمل صوتاً وأقوى أداء، وليس هذا بعجيب أو غريب ، فلن يكون المقلِّد كالمقلَّد أبداً ... !

* * *

لنرجع إلى الفن الملهم والفن المكتسب ...

فى الشرق والغرب بعض العلماء الذين تخصصوا فى دراسة النظريات والقواعد الموسيقية فألموا بها إلماماً تاماً ، وأصبحوا (علماء) ينتفع بعلمهم وطرقهم فى دراسة الموسيقى الذين يعتقدون أن الموسيقى تخضع للدرس والبحث كما قلنا، ومع ذلك ترى هؤلاء العلماء يتساوون مع الجميع — إلا الموهوبين — فى العجز عن فهم الموسيقى الحقة وعدم القدرة على الوصول إليها ! لأنهم يصفون الطرق والمسالك التى تؤدى إليها ويزعمون أن الإنسان إذا فحص وصل، فإذا سألتهم ولِمَ لَمْ تصلوا أنتم بعد طول بحثكم وفحصكم إلى مرتبة الملهم العبقرى الذى لم يقطع زهرة عمره فى الجرى وراء النظرية والقاعدة ؟ قلبوا شفاههم ، ولووا رءوسهم ، ورأيتهم يستكبرون ويتعاظمون ، ويصفونك مع الملهمين بالجهل الفاضح والعجز الواضح ... ! ! ولعلهم معذورون ، لأنهم يعتقدون أن الفن

يخضع للعلم ، وكذلك تراهم - في كل عصر - ينكرون ويحاربون نتاج العباقرة الملهمين ... وكم شهدت مصر - أيام سيد درويش - من صنوف الدس والتحقير لفن هذا العبقري الأوحد الذي ذاق الأمرين من رجال معهد الموسيقى ، لا لشيء ، إلا لأنه في عرفهم من الجاهلين ، نعم ، كم شاهدت مصر - ولا تزال - من صنوف الاضطهاد لفن سيد من هؤلاء الناس الذين لو عاشوا ألف سنة ما استطاعوا أن يصلوا - مجتمعين - إلى فهم قطعة واحدة من قطعه ... ! !

لم يعرف عن سيد أنه كان عالماً يفكر قبل أن يلحن ليخرج تلحينه من نغمة - كذا - كما يريد المغنى أو المغنية ، بل كان ينتزع اللحن الخالد من صميم الحياة ، ومن صميم البيئة المصرية ، دون أن يزن أو يقيس بمعيار النظريات ومقياس القواعد والدُّم ، والتك ، والوحدة . ومع ذلك ، فقد كانت تلحيناته سماوية خالدة يُضرب بها المثل في الربط والضبط ... ! !

***

وقبل أن أنتهي ، أحب أن أقول : إن الموسيقى فن مُلهم أكثر منها علماً مكتسباً ، وهي وحي سماوي يهبط من علٍ فيتلقاه ويترجمه الملهمون لغة تفهمها القلوب والأرواح ... لغة لا تخضع للقواعد ولا للنظريات ، لأنها ليست من صنع البشر ... !

نعم ، إنني أعتقد أن مرتبة «الفنان» أسمى من مرتبة البشر، لأن الله اصطفاه بأنبل ما في الحياة وأطهر ما في الوجود ... وهو «الفن» ، بل وأعتقد أكثر من هذا ، أعتقد أن الله اصطفاه «بنفسية» لا تخضع لعوامل الشر ، ولا تنحني أمام مغريات الشيطان ، فالفنان لا يعرف الغل ولا الحقد ، ولا المال ولا الجاه ، لأنه يعيش كما تريد له الحياة أن يعيش ، وينتج كما يريد له الله ، لا كما يريد له العلم والتعليم ... ! !

محمد السيد المويلحي

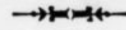


في ظلمة الليـــل

أسطورة فرعونية

« تحية للأستاذ يحيى حقي »

للأستاذ محمود بك تيمور



في أصيل يوم من الأيام ، كان « الشيخ حابى » فى بستانه الصغير، أمام داره المتواضعة ، يتعهد نخيلاته ويستريض . فاسترعى انتباهه خفق أقدام ، فالتفت نحو مصدر الصوت ، فإذا بفتى يسير صوبه ، وهو يدفع — فى جهد — قدميه المتعبتين ، وقد علاه الغبار ، فاختفت ملامحه ؛ بيد أن الناظر إليه يستطيع أن يلمح فى عينيه على الفور حيرة الغريب . وكان يحمل فى يده صرة ؛ نخف الشيخ للقائه ، وما إن اقترب منه ، حتى سمع الفتى يقول فى صوت الهامس :

— الشيخ حابى ؟

— هأنذا ... ما مطلبك ؟

ووجد « حابى » الفتى يتخاذل أمامه ، فأسرع إليه ، وأسنده إلى صدره ، محيطاً إياه بذراعيه ، وقال له :

— أمريض أنت ؟

— بل جائع !

وسار به « حابى » إلى داره فى رفق ، وأجلسه بجوار الباب على مصطبة عارية ، وتركه برهة ... ثم عاد إليه بإبريق مملوء باللبن ، فأخذ يعب منه الغريب ، حتى شبع ... وبعد أن تنفس طويلاً ، تمتم بكلمات الشكر لمضيفه ، ثم أطرق وقتاً ... وأخيراً ، رفع رأسه ، وسرّح بصره فى الشيخ ، والكلمات تتراءى حيرى على شفتيه ... وابتسم الشيخ ابتسامة تنطوى على عطف وطيبة ، وقال :

تكلم يا بنى ، ولا تخش بأساً ... ما حاجتك ؟ إن حابى لا يرد حاجة الغريب !

فأمسك الفتى بيد الشيخ ، وضغطها فى انفعال ، وقال :

— لقد حدثونى أنك تأتى بالمعجزات ، فسعيت إليك أطلب معجزة ! ...

فتأمل الشيخ وجه فتاه طويلاً ، يحاول أن يستكنه ما خلف تلك الصفحة المتربة المتعبة من خفيّة نفسه ، وقال :

— معجزة ؟ ... لستُ كاهناً يا بنى !

— أنت أعظم من كاهن ...

— أفصح عن غرضك !

— إن قوة تعاويذك وعقاقيرك يا أبت مستمدة من روح الآلهة ...

— أنا حكيم زاهد ، قد أنجح فى مداواة النفوس وتطبيب الأجسام ...

وحدق الفتى فى الشيخ بعيون جاحظة ، ثم هبط أمامه ، وقال وقد تشبث بثوبه :

— وحق إيزيس لَتنتزعن نفسي من بين جوانحى ، ولتلقين بها بعيداً عن جسدى !

— هدئ من روعك ... ...

— إني أمقت هـذه النفس الخاملة الميتة ... لتخلقنى خلقاً جديداً ، ولتجعلن منى رجلاً ذا بأس واقتدار !

وجعل الشيخ يلاطف رأس الفتى ، ثم أنهضه فى وداعة ، وأجلسه بجواره . وبعد حين ، قال له فى هدوء ورزانة :

ارو لى قصتك يا بنى ... إنى مصغ إليك فى انتباه !

ودعم الفتى وجهه براحتيه ، وراح يرسل الطرف أمامه فى ذلك الفضاء المظلم ، حيث يبسط الغسق على الكون غلالته السوداء . وأنصت برهة إلى ما يحيط به من صمت شامل . ثم تكلم فإذا به يقول:

أنا راموسى ... ولـكن ماذا يهمك من اسمى ؟ إن راموسى نكرة لا يحس وجوده أحد

— تكلم !

— إنى أسكن على مسيرة شهر من هنا ...

— فى بلدة رنسى ؟

— نعم !

— ذات المعابد الأربعة ، والمسلات الخمس ؟ !

فواصل « راموسى » حديثه ، وقد رق صوته وضعف :

وحيث تسكن الأميرة أشمس ... !

وطأطأ رأسه حيناً ، ثم رفع عينه بغتة ، وسددها فى وجه « حابى » وقال فى صوت غير متساوق النبرات :

أريد أن أكون عظيما ... أريد أن أكون مثرياً ... تزخر خزائنى بالأموال ... أريد ! ...

فابتسم الشيخ فى هدوء ، وقاطعه قائلاً :

إنه ليس بالطلب المستحيل ...

فاستنار وجه الشاب بلمعة متلألئة ... وقال :

إذاً ستأتى لى بمعجزة !

— إن ما تسميه أنت معجزة يا بنى ، أسميه أنا أمراً قد يستعصى على بعض الناس ، ولكنه فى مقدور آخرين !

فهوى « راموسى » على يدى الشيخ ، وانهال عليهما تقبيلاً ، وهو يقول :

شكراً شكراً ، سأذكر لك ذلك الجميل ماحييت ، وسأعوضك عنه أضعافاً مضاعفة ...

ثم رفع رأسه ، وقال :

أما الآن ، فليس لى ما أقدمه لك سوى ...

وتعثر لسانه بالكلمات ، فسكت ، وأشار إلى الصرة التى بجواره ، وفتحها بيد راعشة أمام « حابى » فنظر فيها الشيخ ، فإذا بخليط من قطع المعادن ، بينها شىء قليل من الفضة والذهب . وتابع « راموسى » كلامه وقد غض من بصره :

— هى كل ما تبقى لى مما أملك !

— أبقها لك ...

— إنها قليلة ... أعرف ذلك !

— كلا ، فهى كثيرة إذا كانت منك . وهذا يكفى ... ولكننى لست فى حاجة إلى عطاء الناس ...

— أبتِ !

ونهض « حابى » فى هدوء وهو يقول :

— ألا ترى يا بُنَىّ أن الليل قد أقبل يحمل فى أعطافه برد المساء ، وأنا كما ترى شيخ ...

— هيّا ...

***

وتركا المصطبة ، ودخلا قاعة غير رحيبة ، بسقف منخفض تكاد تكون عارية إلا من حصير وغطاء

وأشعل « حابى » مصباحه الزيتى ، ثم جلس وأراح ظهره على الجدار وقد طوى يديه إلى صدره . وجلس « راموسى » قبالته متربعاً ، لا يفصله عن الشيخ إلا المصباح ...

وانقضت برهة لم يتكلم فيها أحد منهما

ثم سُمِع « حابى » يردّد فى صوته الرزين :

— إنى مُصغٍ إليك !

فلم يحول الفتى عينيه عن المصباح وقال :

— كيف أبدأ لك قصتى ... حقاً إنه لجنونٌ ما فكرتُ فيه ... غير أنى لستُ نادماً على شىء ... لقد كنتُ أحيا يا أبتِ مُتَبطِّلاً ، أخرج من دارى المهدّمة إلى النهر أرتاض على شاطئه حيث بساتين الأمراء ، أقضى اليوم كله متنقلاً بينها ، أستمتع بمرأى الرياحين ، وأستنشق عَرْفها الزكىّ . فإذا تعبتُ استرحت بجوار الماء وأخرجت نايى أناجيه ويناجينى !

— أموسيقى أنت ؟

— لم أجرب أن أصفر إلا لنفسى ...

وأخرج « راموسى » من ثنايا ثيابه ناياً من غاب ساذَج المظهر ، وأراه الشيخ قائلاً :

— إنه زميلى الذى لا يفارقنى أبداً . . . زميلى المطلع على سرّى ، العالم بما يجيش فى قلبى من أمان وأطماع !

— أمان وأطماع قد تبدو لك بعيدة التحقيق !

— إننى أضعها بين يديك ، فافعل بها ما أنت صانع !

— ألم تكن راضياً عن حياتك الهادئة ؟

— كل الرضا !

— إذاً « هى » التى غيّرت حالك ...

— من هى ؟

— تلك التى ذكرتَ اسمَها ، مشرّفاً بذكره مدينة رنسى !

— نعم ، هى أشمس ، أميرة الأميرات ، وأقربهن صلة بفرعون الأعلى !

— أتمم حديثك ...

— رأيتها يوماً تتنزه فى بستانها ، فسحرني لأول نظرة جمالها ؛ رأيتها ترتاد الخمائل فى حاشيتها ، فجملت أرقبها خلف دَغَل من الأشجار ، وأضاءت نفسى على التو شمس وهاجة أنارت لى دنيا عظيمة كانت مختفية عنى . وإذا بى أقطع على نفسى عهداً بأنها لن تكون لسواى ... ولما عدت إلى دارى ، وراجعت هَجسات ضميرى ، هزئتُ بنفسى ، وكلى سخط وألم . ولكن عهدى ما زال ثابتاً على الرغم من كل شىء ، لا يتقهقر ولا يتزايل، بل يتقدم فى جُرأة وإقدام ... ولكن كيف أنفّذ ذلك العهد ؟ هذا ما كان يحيرنى ويحز فى قلبى . منذ ذلك اليوم جعلت طريق إلى بستانها لا أعرف سواه ، أقضى على مقربة منه يومى ، أراها ولا ترانى . فإذا ما صعدتْ فى قصرها انتحيتُ نحو الشاطئ ، وتخيّرت مكاناً ظليلاً ، وبثثت شكواى للناى ، فكنت أسمعه أحياناً يهمس لى : « لماذا لا تحاول التقرب إليها ؟ ... ... لماذا لا تكشف لها عن كوامن صدرك ؟ ... »

— ولماذا لم تَصدَع بما أوحى لك به نايك ؟

— أتريد منى أن أستمع لذلك الساذَج الغَرير ؟ ألم أقل لك من هى ؟ إن فيها من دم الآلهة يا أبتِ ! ... وكلنا نعلم أن عظاماً تقدموا إليها بقلوبهم ، فردّتهم خائبين ... لقد أمضيتُ يا أبتِ الليالى الطوالَ أفكر فى مصيرى معها ... لا بد أن تقع معجزة تحولنى من صعلوك بائس إلى أمير يفوق جميع الأمراء ، يرضاه فرعون وترعاه إيزيس ... وكان أن اشتد بى الضيق يوماً ، فجريت صوب النهر ، وهممت أن ألقى بنفسى إلى التماسيح ... فى تلك الساعة الفاصلة ، سمعت هاتفاً يقول لى : « اذهب إلى حابى الحكيم ، فعنده تتم المعجزة »

فتمتم « الشيخ حابى » :

— أقال لك الهاتف ذلك ؟

— قسما بإيزيس ربة الأرباب ، لقد سمعت صوته واضحاً يرن فى أذنى . وكانت التماسيح قد خرجت برءوسها تنظر إلى متنمرة فوجدتُنى فى لحظة أقفز متراجعاً عن النهر ، وانطلقتُ أعدو ... أكنتُ أعدو حقا ؟ لا أدرى ! كنتُ أحِسُّ أنى محمول بقوة خارقة غير منظورة ... وفى الغد بعتُ ما أملك ، واستصفيتُ مالى ، وحملت زادى ، وسرت ووَجهتى دارك !

فأمسك « حابى » بيدَىْ « راموسى » وضغطهما وقال :

— ستتم المعجزة يا ولدى ، فاعتمد على

— إذاً ستجعلنى أمير الأمراء ؟ وإذاً ستجعل من أنتمِيس زوجة لى ؟

— إن علمى لا يتطاول إلى مثل هذه الأمور !

— كيف ؟

— كل ما أقدر عليه أن أعمل على تغيير نفسيتك ...

— أوضح يا أبت !

— سيتغيّر فيك كل شىء ، شمائلك الأصيلة ستنقلب إلى ضدها ، الخمول سيغدو نشاطاً متأججاً ، والقناعة ستكون طمعاً صاخباً ، والرحمة ستفسح مكانها للقسوة والعنف ... ستكون حياتك يا راموسى كالبركان الفوّار ، لا يخبو له لهب ، ولا يسكن له زئير !

فطأطأ « راموسى » رأسه ، وقال :

— أبتِ !

— ليس ثمّةَ طريق ينيلك ما تطلب من ثروة وجاه ومجد ، إلا هذا الطريق !

وصمت « راموسى » فترة ، ورأسه منحن على صدره ، وبغتة رفع وجهه إلى « حابى » وقال :

— ولكن حبى ، حبى ... أيعتريه تغيّر ؟

— حبك باق بقاء الروح الخالدة ... ولكن !

— ماذا ؟

— أواثق أنك ستكون سعيداً بنفسك الجديدة ، بعد أن تتم المعجزة ؟ وأنه لن يطول بك الحنين إلى نفسك الأولى ؟

— ... افعل بى ما تريد !

* * *

ودارت عجلة الحياة : الأيام تلو الأيام ، والأشهر إثر الأشهر ...

وكان ملك الغرب قد دفعه الطمع إلى امتلاك مصر ، فسيّر إليها الجيوش الكثيفة ؛ فغزت المناطق الشمالية فى غير عُسر ، ثم اندفعت فى طريقها تكتسح أمامها جند الوطن . ولم يُجدِ تعيين القائد الكبير « رودا » أميراً على الجيش الذى أرسله فرعون لإنقاذ البلاد ... إذ أصيب « رودا » بهزيمة نكراء ،

وقتل فى المعركة ، وكاد الجيش يتفكك ويندثر ، لولا أن قيض الله له شاباً من بين المحاربين تزعمه ، فأخذ يجمع شمله ، ويبث فيه روحاً جديداً ؛ فلم ينقـضِ وقت طويل حتى انقلبت الهزيمة إلى هجوم ، ثم انتهى الهجوم إلى مطاردة للعدو ، فاكتساح كامل له . وأصبح هذا الشاب قائداً للجيش ، ولقب نفسه بالأمير الأسود ، إذ كان يرتدى السواد دائماً . . . ولم يقتصر هذا الأمير على تطهير البلاد من جيش العدو ، بل تابع زحفه فى جرأة غريبة ، ففتح « مملكة الغرب » بأسرها ، وأخضعها لسلطان مصر ، فصارت تابعة لها . . .

***

كانت « رنسى » المدينة ذات أربعة المعابد وخمس المسلات حاضرة مصر الثانيـة ، تحتفل احتفالاً شائقاً بقدوم الجيش المنتصر ، وعلى رأسه أميره الأسود ، فقد عاد محمّلاً بأسلاب وغنائم لم يأت بها قائد منتصر من قبل . وكان موكبه حافلاً بالأسرى العظام من الأمراء والحكام وسراة الدولة المغلوبة . أما بقية الأسرى من الدهماء ، فقد اكتفى بقطع أيديهم ، وأطلق سراحهم ، حتى لا يعطلوا سير الموكب بكثرة عددهم . ولكنه احتفظ بتلك الأيدى ، فحملها معه ليقدمها إلى فرعون ، رمزاً للخضوع والطاعة !

وتمت مراسم الاستقبال فى عظمة وفخامة جديرتين بالقائد العظيم والفاتح الكبير ! ... ولكن الأميرة « أشمس » أولى أميرات البيت الفرعونى ، تخلفت عن حضور الاحتفال ، وأرسلت تعتذر لفرعون . وكان فرعون يعرف شذوذ طباعها واعتزالها العالم ، فقبل عذرها على مضض . ولكن رسول الأمير الأسود جاءها يحمل من الأمير نفسه رغبته فى زيارتها قبل الغروب لأمر ذى بال ؛ فلم تجد مخلصاً من استقباله ، وأمرت أن يعدوا القصر لهذا القدوم

وأخذ الأتباع يعملون بجد واهتمام فى تزيين القصر ، فما كادت الشمس تؤذن بالغروب حتى برز القصر فى غبشة الظلام كأنه قطعة من لؤلؤ تتألق ؛ وانتشر الطيب الذكى فى أرجائه ، فكأنه روضة فواحة من الأزاهر النضرة

وجاء الأمير فى الموعد فى حفل من قواده ، ودخل القصر وهو يضرب بقدميه الصلبتين الأرض ضربات شديدة تردد صداها جوانب المكان ، ويلتفت يمنة ويسرة بوجهه الرائع الذى تنم كل لمحة من لمحاته على رجولة قوية قسية . وكانت لعيونه الواسعة إشعاعات قوية باهرة لا تقوى عين أخرى على تحديها ...

وما إن دخل البهو الكبير ، ورأى الأميرة واقفة فى صدره تحف بها وصيفاتها ، حتى توقف بغتة ، واتسعت حدقتا عينيه ، وتفتح وجهه فى لحظة بنور متألق تشيع فيه الأحلام . وأمسك بيد رفيق له بجانبه ، وشد عليها ؛ وطالت وقفته على هذه الحال والناس من حوله صامتون . وأخيراً همس رفيقه فى أذنه :

— مولاى ! إن الأميرة تنتظرك ... تقدّم !

وتقدم الأمير الأسود بخطوات لم تردّد صداها جوانب المكان هذه المرة ، وركع أمامها ركعة المتبتل أمام ربه فأنهضته ، وهى تقول :

نحن الذين يجب أن نركع أمام المنقذ العظيم !

ورفع وجهه إليها ، وقال فى صوت خفيض :

عفواً مولاتى ! . . . أمام هذا الجمال الإلهى الذى هو قبسة من رَعْ ، ونفحة من إيزيس ، يستشعر القائد العظيم ضآلة نفسه وتفاهة مجده !

— سيدى !

— ليس ثمة عظيم أمامك يا مولاتى ! ... كلنا من أتباعك المخلصين !

وتهامس الناس فيما بينهم دهشين حيارى :

لم يُشاهد الأمير على هذه الصورة ، حتى فى حضرة فرعون الأعلى !

وبدأت الجموع تتفرق والمكان يخلو للضيف وربة القصر ، وأخذ القائد يروى وقائعه ، ويعدّد أسلابه ، ويذكر ما ناله من مال وضياع تتعادل معها أموال فرعون المعظم . وختم حديثه قائلاً :

إن الأميرة لتعلم أن فرعون بلا عقب ، وهو الآن شيخ مُثقل بالمرض ، وقد طالبته الكهنة بتبنّى أمير يجعله ولياً للعهد ، أمير أهل لهذا المنصب الخطير ...

— وهل وقع اختيار الملك على هذا المحظوظ ؟

فابتسم الأمير ابتسامة ذات معنى ، وقال :

لقد أتم اختياره سراً ، وسيعلنه غداً فى الهيكل الكبير !

وصمتت « أشمس » وهى تتفحص الأمير طويلاً .. ثم انحنت فى خشوع وهى تقول :

يسمدنى أن أكون أول من يقدم طاعته لصاحب التاجين، وريث ملك الفراعنة العظيم!

فأمسك الأمير بيدها، وقال:

هذا الملك العظيم، وهذا النصر الباهر، وهذه الأموال التى لا يستطيع أن يحصيها أحد. كل ما كسبته وما سأكسبه، أضعه تحت قدميك أنت يا أميرتى، ويا مولاتى! ... أقدم لك كل هذا مقابل شىء واحد منك...

فأسبلت الأميرة جفنيها، وتابع الأمير حديثه فى لهجة مشبوبة:

كلمة منك يا أشمس تجعل هذا الوادى الفسيح بسكانه وكنوزه، هذا الملك الضخم طوع يديك... قولى كلمة الرضا، ثم مُرِى، فلن يعصى لك أحد أمراً...

ونهضت الأميرة، وهى تقولى فى صوت حبيس:

ألا نذهب إلى الشرفة فنلقى نظرة على البستان؟

فأجابها الأمير، وهو حائر:

كما تريدين!

وذهبا إلى الشرفة، وأطالت الاميرة النظر إلى الحديقة، وهى تُصَعِّد بصرها فى أشجارها وأزاهيرها. ثم قالت:

أيسمح لى الأمير أن أقص عليه قصة صغيرة؟

فأجابها، وهو يزداد عجبا:

إنى مصغ إليك يا أميرة!

— كان فى الزمان الغابر فتاة من الأثرياء، من أسرة رفيعة النسب؛ تحيا ناعمة البال فى قصرها ذى البستان الكبير حياة ترف ورغد، ولم يكن لها مطمع تصبو إليه إلا العثور على أليف تنعم معه بحب ووفاء، شأنها فى ذلك شأن كل فتاة. وحج إلى قصرها أعلى الأمراء شأناً، وأكثرهم جمالاً وثراء يطلبونها للزواج فردتهم بلا أمل...

— ولم ذلك!

— لأنها كانت مخدوعة بنفسها، مغرورة بجمالها، فلم يَرُقها واحد من هؤلاء الأمراء!

— ومَن كانت تنتظر أن يتقدم لها بعد هؤلاء، وهم صفوة البلد... ؟!

وتريثت الأميرة فى إجابتها، وهى تسرّح طرفها فى الأفق حيث الظلام مقبل فى وحشته وصمته وأسراره... وقالت:

— هى نفسها لم تكن تدرى، ولكنها على الرغم من ذلك كانت تنتظر وتؤمل!

— وهل طال انتظارها؟

— كلا!

— إذاً عثرت على ضالتها؟!

— نعم أيها الأمير...

— أكان قائداً غازياً؟

— كلا!

— أوزير خطير هو؟

— كلا!

— إذاً هو ملك من نسل الآلهة!

— ولا هذا أيضاً...

— من يكون؟!

— وأرسلت الأميرة تنهدة خفيفة وقالت فى صوت الهامس:

— شاب رقيق الحال، مرهف الشعور!

— وما مهنته؟

— ليست له مهنة، كان يقضى أيامه يجوب البساتين، ويتنزه على ضفاف الأنهار، يستمتع بمحاسن الطبيعة!

— إنها حياة أقرب إلى التَّبطُّل والصعلكة...

فتمتمت الأميرة بلهجة الحالم، وهى تستقبل بعينيها كتائب الظلام المكدس بعضها فوق بعض:

— قد يكون ذلك، ولكنه الوحيد الذى استطاع أن يصهر كبرياءها، ويحطم تاج غرورها!

فندّت عن الأمير صرخة:

— هو؟! ... أممكن ذلك؟

— أجل لقد أحبته الفتاة، أحبت فيه ذلك الشاعر المرهف الحس، ينشدها أعذب ألحانه وأرقها!

— أكان شاعراً ينظم لها القصائد، وينشدها إياها؟

— كان ينظم قصائده بلا كلام، وينشدها إياها من مزماره الرخيم!...

فأصابت الأمير هزة شديدة، وقال فى صوت جياش:

— وهل تقابلا؟

— كلا ، فهى لم تره ، بل أُغرمت به على البعد ! ... ولا تدرى أرآها ، أم لا ؟ !

— لا ريب فى أنه رآها ...

— ليس ذلك مؤكداً ، فعيون هذا الشاعر الجوال ، كانت أقصر من أن تخترق خمائل البستان أو جدران القصر ، لتكشف عن الفتاة وتلتقى بعيونها !

— يا للفتى البائس ! ... لو علم أنها تضمر له هذا الحب لطار إليها ، وارتمى تحت قدميها يلثمها فى عبادة ...

— من يدرى أيها الأمير ؟ ... إنه فتى غريب الأطوار ، يعيش وفق هواه ... قد يرفض حبها لو تقدمت به إليه ! !

— محال !

— ولكنه لو كان يعلم كم أحبته هذه الفتاة ، وكيف أنها ترضى أن تعيش معه تقاسمه حياته الطليقة فى دنياه الرحبة الوضاءة لقبل منها هذا الحب !

وتمتم الأمير بكلمات متقطعة ، وقد شد بيده على حاجز الشرفة حتى كادت أصابعه تدمى ، وتابعت الأميرة حديثها :

— لقد بَرِمَت الفتاة بحياة الثروة والجاه التى تحياها ، وتوضحت أمامها بشاعتها ، وأحست ثِقَلها المرهق يحبس أنفاسها . فرغبت أن تفر من بيئتها ، تستبدل الكوخ الساذَج الهادئ بالقصر المنيف الصاخب ، والرداء الخفيف المزين بالأزهار بالثوب الثمين اللامع بأوصال اللآلئ ... لقد بَرِمَت بكل شىء يحوطها ، واشتدت بها الرغبة أن تهرب ، فتلحق بشاعرها تقضى حياتها فى حِمى مزماره ! !

— ولكنها لم تفعل !

— لقد كادت ... ولكن الفتى اختفى فجأة !

— أهرب ؟

— إن الناس يُرْجِفون بموته ، فقد تكون التماسيح أكلته ... ومن ثَمَّ أسدلت الفتاة على حياتها ستراً غليظاً يحجبها عن العالم أجمع !

— قد تسلوه يوماً ، فترضى الزواج بأمير كبير !

— إن القصة تحدثنا أن الفتاة قضت فى عزلتها عامين ، وهى لم تتغير ... إنها لا تطلب الأمير ، ولن تطلبه ، بل ستحيا مترقبة شاعرها الفقير كما هو بردائه الساذج ، وقلبه الكبير ... لن تستبدل به أحداً مهما يعظم قدره ويتسع ماله !

— وهنا تنتهى القصة ... أليس كذلك !

— تكاد تنتهى ، والبقية فى كلمتين ، أريد أن أتمها لك ؟

فقال الأمير ، وهو يضغط كلماته فى حسرة مكتومة :

— إذا رغبتِ ، أتممتها أنا لك !

فتمايلت الأميرة ، وعرضت على وجهها ابتسامة ، وقالت :

— كيف ؟ أو تعرفها ؟

فقال فى شىء من السهوم :

— إن حذقتِ فى رواية القصة ، قد جعلنى أحزر خاتمتها !

وراح الأمير يحد بصره فى نجوم الليل البعيدة ، كأنه يريد أن يستلهم منها كلمة نصح أو هداية ... ولكن لم تطل وقفته على هذه الصورة ، فانحنى أمام الأميرة ، وقال :

— لن أنسى ما حييت حسن احتفائك بى !

وقبّل يدها قبلة طويلة عميقة ، ثم ترك المكان لا يلوى على شىء ...

واستقل على الفور عجلته الحربية ، واستأذن رفاقه !

وانطلقت به العربة ، هائمة فى أديم الصحراء ، تشق أمامها سجف الظلام شقاً ! ...

محمود تيمور



مطلب عادل

[لشاعر الهند « رابندرانات تاجور »]

إن علاقة الإنجليز بتاريخ الهند تدعو إلى الإعجاب الكثير. فقد توطدت بيننا وبينهم وشائج القربى ، باعتبارهم رسل الثقافة الأوربية ، ونالوا من نفوسنا ما لم تنله أمة من الأمم .

وإذا كانت المزنة تحمل إلى الأرض ماء السماء من آفاق بعيدة المدى ، فيتغلغل في أعماقها ويسرى إلى أحشائها ، فيخرج منها نباتاً وأزهاراً تسر الناظرين ، فإن سيل الفكر والثقافة الأوربية قد انحدر إلينا ، فأنبت في قلوبنا حياة جديدة ، وأيقظ نفوسنا من سبات طالت عليه السنون .

بدأنا نتذوق الأدب الإنجليزي ، ولم تكن فائدته لنا مقصورة على الفن الجديد الذي يفيض به ، أو المتعة النفسية التي يهديها إلينا ، فقد حرك قلوبنا إلى إصلاح كثير من أخطاء الإنسان نحو أخيه الإنسان، فدقت لأسماعنا أجراس رنانة الصوت تعلن تحطيم أغلال الإنسانية المعذبة ، وخالجت أذهاننا حماسة نحو النضال في سبيل مكافحة الاتجار بالإنسان .

لقد نيفت على السبعين من عمرى ، وكان عهدى بذلك أول العصر من تاريخنا الذي يجدر بى أن أسميه العصر الأوربى ، في منتصف القرن التاسع عشر وهو العصر الفكتورى الذي يسخر منه شباب اليوم . لم تكن أوربا في ذلك العهد قد فقدت عقيدتها في حرية الفكر وحقوق الفرد التي حاربت من أجلها في عصور الإصلاح والثورة الفرنسية ، وكان الأخ في أمريكا يحارب أخاه لمكافحة الاتجار بالرقيق . ويصح للعصر الفيكتورى أن يفخر بأنه العصر الذي سمعت فيه كلمات مازيني النبيلة وصيحات غاريبلدى الجريئة ، وأنه العصر الذي ارتفع فيه صوت غلادستون مدوياً كالرعد في أنحاء العالم المتمدن ، بالحملة على أعمال سلطان تركيا . وقد بدأنا نحن كذلك في الهند نفكر في استقلالنا في ذلك العهد . لم تكن حركتنا تخلو من العداء للانجليز . ولكنا على الرغم من ذلك كنا على ثقة تامة من الخلق الإنجليزي .

فقويت عزيمتنا على المطالبة بمشاركة بريطانيا باسم الإنسانية في الإدارة الهندية .

لقد رأينا الأمم الشرقية تسير قدماً نحو عصر جديد، فأملنا أن نندمج في صفوفهم لنتبوأ مركزنا من التاريخ، ولكن كم كان ذعرنا شديداً حينما رأينا عجلة التقدم تقف بنا عن السير. إن الدين الثقيل الذي تطالبنا به إدارة السواحل يثقل كاهلنا ويحرمنا نحن الفقراء المفلسين نصيبنا الضئيل من الحياة، فلا تستطيع أمتنا البائسة أن تزحزح عنها أثقال الهمجية التي ترزح على صدرها كالصخرة الشماء ، فتخنق أنفاسها حتى الممات

مالطة البلطيق

[ملخصة عن « لابرس دى تونسيا »]

إن السر في حملة السوفييت على فنلندا هو رغبتها في الحصول على مركز وطيد في الأرخبيل الواقع بين فنلندا والسويد . وقد يجهل الكثير من سكان أوربا الذين يعيشون بعيداً عن منطقة بحر البلطيق أهمية جزر آلند التي يعد موقعها من الناحية الحربية كموقع جزيرة مالطة في البحر الأبيض المتوسط

تتكون هذه الجزر التي قضت عصبة الأمم سنة ١٩٢١ بأن تظل محرومة من التحصينات ، من ستمائة جزيرة صغيرة ، مائتين منها يعمرها السكان الذين يبلغ عددهم ٢٨٫٠٠٠ نفس كلهم من الصيادين

وتقع هذه الجزر على بعد ٥٠ ميلاً من الشاطئ الفنلندى ، و٢٥ ميلاً من السويد و ٣٥٠ ميلاً من لننجراد و ٧٠٠ ميل من موسكو و٣٥٠ ميل من دانزج و ٣٠٠ ميل من ممل و ٤٠٠ ميل من كوبنهاجن . وعاصمتها « ماريهامن » وهى مدينة صغيرة للصيد ، ينتشر على أرضها بعض المساكن الخشبية ، وتفوح منها رائحة الأسماك الشديدة

ونظراً لاستقالة عضوين من أعضاء عصبة الأمم « ألمانيا وإيطاليا » التي عرضت عليها مشكلة جزائر آلند أصبح من المستحيل على فنلندا أن تحصن هذه الجزر . إلا أن الاتفاق الألماني السوفييتي قد أتاح لفنلندا في الأيام الأخيرة أن تنال موافقة باقي الأعضاء « بريطانيا العظمى ، وفرنسا ، واستونيا ،

والدنمارك » على تحصينها ، فقامت حامية صغيرة لحماية ماربهامن وأعد أسطول خاص لحماية الجزر . ومما لا شك فيه أن وجود قوة من البحرية والطيران فى جزائر آلند يجعل من السهل على أية أمة أن تسيطر على شمال غربى أوربا . فمن هذه الجزائر تصد أى غارة للسوفييت ودول البلطيق ، ويسهل تهديد الدنمارك والنرويج وشرق بروسيا

وفضلاً عن هـذا فإن جزائر آلند محصنة بحجب كثيفة من الضباب الذى يلفها طول العام فيصعب معه مهاجمتها ، فإذا استولت أمة على هذه الجزر أصبح لها السيادة على شبه جزيرة (اسكاندينافيا) وأقاليم بحر البلطيق . ومن اليسير أن تصبح الزاوية المؤلفة من روسيا الغربية واسكانديناڤيا وشمال ألمانيا تحت سيطرة هذه الجزر القائمة وسطها ، فتحل الدمار بتجارتها فى بضعة أيام

ومن هنا يسهل علينا أن نقدر القيمة التى لجزائر آلند فى نظر السوفييت . ونعرف أن كل محاولات روسيا للاستيلاء على موانئ حرة على دول البلطيق وليتوانيا واستونيا لا قيمة لها بغير هذه الجزر

هل ينبغى لنا أن نكره الرذيلة

[ملخصة عن « ذى إيريان باث » بومباى]

كانت دهشتى عظيمة لحملة النقد الشديد التى ثارت منذ بضع سنين ، حول تصريح سير أوليفر لدج الذى قال فيه (إن الرجل الممتاز لا يهتم كثيراً بآثامه ، فى هذه الأيام)

فقد أثار هذا القول غضب رجال الكنائس على اختلاف مذاهبهم ، وجعل الوعاظ يبذلون غاية جهدهم لتفنيده ، وإقناع الناس بأن أول واجب على المسيحى هو أن يكره الرذيلة . وهذا مذهب طالما رددته الأوساط الدينية فى السنين الغابرة ، وهو راجع إلى ضعف طبعى فى الإنسان . فقد كان الرجل المتدين يعتقد أن كراهية الرذيلة أسهل كثيراً عليه من حب الفضيلة . ولهذا المبدأ وجوه تختلف باختلاف الطوائف، وكان بعض رجال الدين يعتقدون أنهم لا يستطيعون أن يعيشوا فى مأمن من الرذيلة التى يكرهونها كل الكره ، ويشفقون من الوقوع فيها ، إلا بالعزلة والانفصال التام عن العالم

والطبقة التى يعنيها سير أوليفر لودج بعبارته السابقة لها آراء خاصة فى كراهة الرذيلة ، فيقول بعضهم : إن الوصية التى تقول أحب جارك كما تحب نفسك . وهى إحدى الوصايا العشر المقدسة لا يمكن التوفيق بينها وبين كراهية الرذيلة . بل إن كره الرذيلة يجعل هذه الوصية فى حكم المستحيلات . إذ أن الشعور بالعمل السيء يسوقنا إلى كراهية فاعله الذى قد يكون جاراً لنا . وهنا لا يمكن التوفيق بين الحب والكراهية .

إن كراهة الرذيلة والخوف منها يساعدان على بقائها . فنحن إذ نجعل من الرذيلة قوة فعالة فى حياتنا تعمل على إحياء ما نريد أن نقتله ونقضى عليه ، فإنما نخلق « لأهريمن » إله الشر تمثالاً خالداً ، وإن كنا نصنع هذا التمثال لنبصق عليه . إن النظر إلى الرذيلة أمر فعال فى حياتنا ، يجعل لشخصية الشيطان شأناً أى شأن فى حياتنا اليومية .

كيف ننام نوماً هادئاً

[ملخصة عن « ذى سيكولجست »]

الرجال بطبيعتهم أهدأ نوماً من النساء ، فأعمالهم الكثيرة تساعدهم على النوم العميق ، والرجل الذى ينهمك فى الأعمال البدنية أياماً متوالية ، ينام فى العادة نوماً عميقاً ، لما يبذله من الجهد الذى ينهك قواه ، فى حين لا يظفر بمثل ذلك الرجل الذى يلازم مكتبه طيلة النهار ولا تسمح له أعماله بالحركة والنشاط

إلا أن المشاغل الفكرية التى تلازمنا فى بعض الأحيان كثيراً ما تحرمنا لذة النوم . فإذا لم نتخذ وسيلة لإرقاد همومنا ونحن فى وقت اليقظة ، فسوف لا تبارحنا حتى تحرمنا الهدوء والراحة عند النوم . فمن الواجب إذن أن نعمل على ترويح النفس وإخلائها من مشاغلها إذا انتهى اليوم وذهبنا نلتمس الرقاد

فإذا أمسى المساء وجب علينا أن نخلد إلى الراحة ، ونأخذ فى تصفية حساب اليوم فنعرض على الذهن حوادث اليوم من الصباح إلى المساء : هل كان يومنا يوماً مرضياً ؟ إذا لم يكن كذلك ، فما السبب ؟ ما هو الخطأ الذى جعله كذلك ؟ ماذا كان علينا أن نفعل لنوجهه نحو الصواب ؟ فإذا آنست من نفسك ضعفاً ولو بسيطاً فيما تقوم به من الأعمال ، وجب عليك أن تبحث عن الطريقة التى تساعدك على إزالة هذا الضعف ، وتجعل كل همك أن تعرف متى يمكنك أن تقوم بأعمالك على الوجه الصحيح

أما من الناحية الجسدية فيجب أن تعرف مقدار ما أدبته

لجسمك من الحقوق . هل كانت أعمالك الفكرية من الكثرة بحيث لا تترك الفرصة الكافية للجسد ليأخذ حقه من النشاط ؟ إذا كان الأمر كذلك ، فلا بد من الموازنة بين حاجات الفكر والبدن ، إذا أردت أن تنام نوماً صحيحاً هادئاً

إن متاعب الليل ، هي أثر من متاعب النهار . فمن الواجب أن تتفحص حالتك العامة : هل هي متجهة إلى طريق الصواب من سائر الوجوه ؟ هل يقوم جسمك وعقلك وعواطفك بما هو مطلوب منها ؟ إذا لم يكن ذلك فإن هذا النقص الذي تراه في الواقع سيكون له أثره في أحلامك عند الرقاد

من الواجب إذن أن تراقب نفسك مراقبة دقيقة إذا كنت لا تنام نوماً مريحاً ، وتصرف عنك ما يشغلك في النهار لتستريح في المساء .

ماذا يربح كبار المؤلفين ؟

[عن « استراليان دیجست »]

ماذا يربح كبار المؤلفين ؟ هذا سؤال لا نستطيع أن نجيب عنه على وجه التخصيص . ولكننا نستطيع بمراجعة الأرقام التي تنشر من آن لآخر ، أن نعرف الشيء الكثير ، فمن المعروف مثلاً أن سير جيمس باري خلف بعد موته ١٧٤٫٠٠٠ من الجنيهات الإنجليزية ، ويعد هذا المبلغ الكبير من أكثر ما عرف في مخلفات الكتاب الإنكليز . وإذا علمنا أن « باري » أسس مستشفى عظيما في فرنسا إبان الحرب العظمى ، وأنه كان ينفق أموالاً طائلة في وجوه الإحسان ، أمكننا أن نقدر الأرباح العظيمة التي كان يكسبها من أدبه الغزير . وترك الشاعر الإنجليزي المعروف رديارد كبلنج ١٥٥٠٠٠ من الجنيهات

ويقال إن شارلس دكنز العظيم ترك بعد موته ٩٣٫٠٠٠ من الجنيهات ، وجورج مور ٧٥٫٠٠٠ جنيه ، أما توماس هاردي فقد خلف ٩١٫٠٠٠ جنيه ، على وجه التحقيق

فإذا اتجهنا إلى كل مؤلف وما أفاء على صاحبه من الأرباح ، فنستطيع أن نقول إنه دفع « لمارقى ألن » ، في حقوق طبع مؤلفه « كارثة أنطوان » في الأربعة الأعوام الأولى من صدوره ٤٠٫٠٠٠ من الجنيهات لكل عام ، ويعد هذا المبلغ من أكبر ما ربحه مؤلف من كتاب واحد ، وربح « باري » من قصة « الوزير الصغير » ٥٠٫٠٠٠ جنيه ، وأعطى لماري كورللي ٢٠٫٠٠٠ من الجنيهات في إحدى قصصها المعروفة ، ودفع إلى « إليس مجان رايس » ٢٠٫٠٠٠ من الجنيهات في قصة مؤلفة من ٢٠٫٠٠٠ كلمة بمعدل جنيه للكلمة الواحدة . وألف رديارد كبلنج ثماني أقاصيص ، فدفع إليه في كل منها ٢٤٠ جنيه للطبعة الإنجليزية ، وعلى هذه النسبة نستطيع أن نقدر لهذه القصص ٨٫٠٠٠ من الجنيهات للطبع في أنحاء العالم التي يقرأ فيها هذا المؤلف المشهور ، ودفع إلى كبلنج ٥٠٠٠ من الجنيهات في حقوق طبع « كم » في انجلترا وأميركا ، ودفعت إليه مجلة « كولير » الأسبوعية مبلغ ٢٠٠ جنيه في قصيدة واحدة

أما بين المؤلفين الأحياء ، فقد قدر ربح « سومرست مرجام » ١٫٠٠٠ جنيه في قصة من نوع القصص الصغيرة وبلغت أرباح (ماك نيل) في مؤلفاته الموسومة باسم (بول دج دموند) ١٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات في سبعة عشر عاماً . وبلغت أرباح « بيفرلى نيكولس » ٢٥٫٠٠٠ من الجنيهات في بضعة مؤلفات عن كوخه وحديقته في هانتنجدن

وبلغت أرباح لورد مورلي من كتاب « حياة جلادستون » ١٠٫٠٠٠ ، وربح ونستون تشرشل ٨٠٠٠ جنيه في كتاب عن حياة أبيه . وقد بلغت أرباح كل من « درويك ديبنج » و « أ . أ . ميلن » في العام ٣٠٫٠٠٠ من الجنيهات

وقد فتحت « هوليود » باباً جديداً للربح لكبار المؤلفين وتتراوح المبالغ التي تدفع لحقوق إخراج مؤلف من المؤلفات للسينما من ١٥٠٠ جنيه إلى ١٥٫٠٠٠ جنيه ، وقد تزيد على ذلك في بعض الأحيان . فقد دفع مثلاً في « وودسورث » ٣٢٫٠٠٠ جنيه . وفي قصة « منظر في شارع » ٢٥٫٠٠٠ من الجنيهات



مناقلة ومثاقفة

هذان لفظان أستخرجهما من لغتنا الزاخرة بالمفردات والتعبيرات لأدلّ بهما على ما يقال له « المناظرة »

والمناقلة فى المنطق أن تحدثه ويحدثك ، كما جاء فى « القاموس » مادة ن ق ل ؛ وتجد اللفظة أيضاً فى « المخصص » ج٢ ص١٢٩ . وقد استعمل الجاحظ هذا الحرف فى رسالته الظريفة « التربيع والتدوير » (مجموعة رسائل ، مصر ١٣٢٤ ص ١٠٧) إذ قال : « ولو ظهر لى لما سألته كسؤالى إياك ، ولما ناقلته الكلام كمناقلتى لك » . وأما المثاقفة فقد استعملها التوحيدى فى « الإمتاع والمؤانسة » ص٩ حيث قال: «فلعل هذه المثاقفة تبق وتُروى»؛ وشرحها ناشرا الكتاب هكذا : « المثاقفة : المطارحة فى العلم والأدب ومذاكرتهما » . والمثاقفة حرف حقيق بالحفاوة لهذا العهد ، أفلا نستعمل كلمة الثقافة لذلك الجمع من ألوان الأدب وصنوف العلوم وضروب الفنون ؟

وأما الذى يحدونى إلى عرض ذينك اللفظين بدلاً من « المناظرة » فانزلاق هذه ، على أقلام المتعالمين وصغار الكتبة ، إلى المهاترة : تأخذهم بالحجة أخذ عزيز متمكن، فتدور رؤوسهم وتُزلزَل أقلامهم ، فيفزعون من الجدل إلى الثلب . فإذا الذى يكتبونه يذكّرك بقول ابن شبرمة : « ذهب العلم إلا غبارات فى أوعية سوء» . غير أننا صرنا ـ ولله الحمد ـ إلى عهد لا تفصل فيه سلاطة اللسان ساعة إفلات البرهان

وإنى ليحلو لى أن أثاقف أشراف الرجال وأناقل أثبات العلماء وأكابر الأدباء . وقديماً ثاقفت المازنى فى «السياسة والأدب» ، وناقلت بعد ذلك الأب الكرملى والشيخ البشرى ، ثم الزركلين : مبارك وطلبات . واليوم أناقل « أستاذاً جليلاً » عالماً ثقة . ومما يورث الأسف أنى لا أقوى على بث اسمه ، وهو اسم عريض الجاه وضّاح الحسب. لا أقوى على بثه لأن صاحبه يريد أن يكتمه من الناس تواضعاً؛ فتارة يوقع مقاله هكذا : «ن»، وأخرى هكذا : « القارئ » أو « أزهرى (طنطا) » . على أن قراء (الرسالة) يعرفون مَن وراء تلك الرموز

علق «أزهرى (طنطا)» فى العدد الماضى من «الرسالة» على مقال كنت نشرته فى « الثقافة » (العدد الـ ٥٦) جاء فيه أن أصحاب المعجمات ربما أثبتوا ألفاظاً فى غير مظِنَّته. فأضاف العالم المتواضع إلى الأمثال التى كنت أوردتها مثلاً آخر هو كلمة « تكنّم » ، ثم ختم مقالته بأمنية تشغل صدور العرب والمشتغلين بالعربية

وإنى متبع تلك الأمثال بمثل جديد ، وإليك قصته : كنت استعملت فى توطئة « مفرق الطريق » هذه الكلمة : « متمثّلات » . فجاءنى صديق بصير بمفردات اللغة وأنكر علىّ الكلمة فقال : إنها لم ترد فى المعجمات ، وإنما التمثّل ـ كما جاء فى القاموس ولسان العرب ـ هو اتخاذ الحديث أو الحجة مثلاً ، ثم إنشاد البيت ، ثم الاقتصاص . وزاد الصديق أن الصواب هو « الامتثال » ، من قولهم : « مثّله له تمثيلاً : صوّره له حتى كأنه ينظر إليه ، وامتثله هو : تصوّره » . فقلت للصديق : ولكنى أكره « امتثال الشىء » فى هذا الموضع ، لأن الامتثال غلب عليه معنى الإذعان و « اتباع الطريقة » ؛ ثم هذا نص بين يدىّ فى جانبى : قال الخوارزمى فى « مفاتيح العلوم » (مصر ١٣٢٤ ص ٩٢) : « يُقال تصورتَ الشىء إذا تمثلتَ تصويره فى نفسك ، وتمثلته وتخيلته » فقال الصديق ـ وهو من المتشددين ـ وهل يستشهد بالخوارزمى ؟ فقلت : لك رأيك ولى رأى

واليوم أخبر هذا الصديق أنى عثرت ـ من باب الاتفاق ـ على « تمثل الشىء » فى مادة و هـ م من « لسان العرب » : « توهم الشىء : تخيّله وتمثّله كان فى الوجود أو لم يكن » . ولم أجد هذا فى « القاموس » ، غير أنك تجد عبارة «اللسان» فى مستدرك « تاج العروس » مادة و هـ م

زعيم

وأما قصة « الزلزلة » فاندفر الكاتب ، فى عدد الرسالة الماضى ، من ميدان المناقلة والمثاقفة إلى ميدان التطاول باللفظ وحده . فقد كنت بصّرت الكاتب ، فى مقالى السابق ، وبين يدىّ الشواهد النواهض ، بأمور ثلاثة : الأول أن بحر « المنطلق » ليس من مجزوء « المتدارك » كما وهم أول الأمر، متبعاً وهم غيره ؛ فلم ينطق ههنا بكلمة واحدة . والأمر الثانى أن الزلزلة فى اللغة ليست بمقصورة على زلزلة الأرض كما وهم أيضاً ، إذ هى تفيد الاضطراب والتحرك أول ما تفيد ؛ فلم يقوَ على العناد

لأن أحداً من الناس لا يستطيع ردّ القرآن . والأمر الثالث أن الزلزلة والطرب على مجاورة فى لغتنا ؛ فلم يقدر على المكابرة لأن أسلوب صاحب « الأغانى » وغيره من البلغاء فوقها ، بل جلب إلى شاهداً آخر يعزّز قولى (المثنية التى « زلزلت قلوباً »)

وعلى هذا فقد سلّم الكاتب ، مرغماً ، بأنى بصرته بما كان يجهل ، فى ثلاثة مواطن . غير أنى أريد أن أنصف القارئ : فقد تشبث الكاتب — بعد تسليمه ذلك — بدليل فريد ، لعله أن ينفى به زلزلة الأذن ، أى اضطرابها وتحركها ، (ومن يتلمس الخطأ لغيره لا بد له أن يتشبث بشىء) . فقال غير متزلزل القلم : إن أذن الإنسان — من بين جميع الحيوان — لا تتحرك ألبتة . وهنا أعود إلى تبصير الكاتب بما تواضع الناس على تلقنه وقبوله . فحسبه ما جاء فى كتاب قررت وزارة المعارف المصرية استعماله بمدارسها ، وعنوانه : « خلاصة الطبيعة ـ الجزء الرابع : فى الصوت » الطبعة الـ ١٤ ، مصر ١٩٣٠ ، ص١٢٥ : « شرح عمل الأذن : عند حدوث صوت بالقرب من الأذن تنتقل التموجات الهوائية داخل الأذن الخارجة وتؤثر فى غشاء الطبلة فتهتز بحركة مماثلة لحركة مصدر الصوت ، لأن شكل ذلك الغشاء وقوة توتره يمكنانه من الاهتزاز بتأثير أى صوت خارجى » . إن الكاتب يظن أن كل الأذن — وهى جهاز السمع — هو ما يراه إذا نظر إلى مرآته — ألا إنّ فى هذا التبصير الجديد الكفاية . وهل تُبصَّر الخلق ببسائط لغتهم ثم بمبادئ العلوم إلا على جهة التسلى والتلهى ؟

تشبث الكاتب بهذا الدليل الفريد ـ وقد عرفتَ بُطلانه ـ بعد أن سلّم بصحة قولى فى الأمور الثلاثة التى كان نازعنى فيها . على أن تسليمه بأنى بصرته بما كان يجهل أوغر صدره ، فنثر حول قهره ما نثر من نُفاية الكلام ؛ وذلك نتركه له ، فليتَطوّق ! فكلٌّ يتزيَّن بما تملك يده ، و « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها »

بشر فارس

الدكتور عبد الوهاب عزام

قصدت « القاهرة » فى هذا الأسبوع ، واشتريت نسخة من « رحلات » العلامة النابغة الدكتور عبد الوهاب عزام أستاذ جامعة فؤاد الأول . وقد رآنى أحد خلصانى من أئمة الفضل من الشاميين أحرث[1] مرقومها مستهدياً مستفيداً . فقال لى : ما هذا الكتاب ؟ قلت : « رحلات » عبد الوهاب عزام

فقال : اسمع يا شيخ ، أيقنْ أن (مصركم) هذه لم تفضل سائر الأقاليم العربية أنها أكثر منهن عدداً ، ومالاً ، وعلم أشياء وحضارة فى أنحاء ، وشبه نظام . ولكنها فضلتهن ، وتاهت عليهن — وحق لها أن تتيه — بمثل عبد الوهاب عزام ...

سمعت هذا الكلام فى « مصر وعزام » ، فكتبته حتى ينتشر فى مجلة أخيه أحمد حسن الزيات

« طنطا » أزهرى

(١) فى الأساس : وحرثت القرآن : أطلت دراسته وتدبره

فلم « يوم سعيد »

فى اعتقادى أن هذا الفلم أبلغ أفلام عبد الوهاب صعوداً فى مراقى الكمال . إنه فى صميم الفن من حيث التأليف والإخراج والتلحين والتمثيل والحوار . ولعله الفلم الوحيد الذى لا يُخزى المصرىّ أن يُعرض فى غير مصر ، لجاذبية سياقه واطراد حوادثه وسلامة لغته وجمال مناظره وبراعة أدائه . ولقد كانت أفلام عبد الوهاب تعتمد فى تعويض الفن فيها على حلاوة صوته وطرافة تلحينه . أما هذا الفلم فإذا جردته من قوة الغناء بقى قائماً على فنه . وقد دل على أن الأستاذ محمد كريم أول المخرجين ، وأن الأستاذ عبد الوهاب من أوائل الممثلين . وإذا قارنت بين هذا الفلم وبين ما تنتجه الشركات المصرية من الأفلام الملفقة التى تقوم على الشخصيات المهرجة واللهجات الشاذة ازداد يقينك بأننا لا نزال ننجح أفراداً ونفشل جماعة !

الزيات

فى المجمع اللغوى

تأجل اجتماع مجمع فؤاد الأول للغة العربية هذا العام لتعذر حضور الأعضاء الشرقيين والمستشرقين بسبب الحالة الدولية . وقد اقتصر المجمع على متابعة العمل فى المعجمات واللجان المختلفة . وتتجه الفكرة الآن إلى تعديل تكوين المجمع تعديلاً يتيسر به الاجتماع بأعضاء مصريين ليتابع عمله طول العام

وينتظر أن يعرض التعديل الجديد على مجلس الوزراء تمهيداً لاستصدار المرسوم الملكى به . والمظنون أنه سيضاف إلى أعضاء المجمع المصريين نحو عشرة أعضاء ينتخبون من كبار المشتغلين بالبحوث العلمية . وستعلن أسماؤهم بعد صدور المرسوم الملكى تمهيداً لعقد دورة المجمع . وربما عقدت هذه الدورة فى أواخر شهر مارس المقبل .

العقيدة الأدبية

صديقى

إليك أقدم تحية الأخوة وإن لم أرك ، فقد تفضل أخونا الزيات وأطلعنى على رسالتين كريمتين خطتهما يمناك ، ومن قبل ذلك قدم إلىّ طوائف من الرسائل شهدت بأنى موصول القلب بإخوان كرام أوفياء يرون الصداقة الروحية أعظم وأصدق من الصداقة التى تخلقها المنافع أو لطف الحديث

ولن يطول الحجاب بينى وبينك ، أيها الصديق ، فقد اتفقت مع الأستاذ الزيات على إعلان عواطف القراء من حين إلى حين ، فيرى قراء الرسالة أسماء كريمة لرفاق أعزاء تجمع بينهم الأخوة فى الأدب ، كما تجمع أخوة الدين بين الأتقياء والصالحين

ولا أكتمك ، أيها الصديق ، أنى أتندر على حسابك مع الأستاذ الزيات ، فمهدى بك تنص على أنك تحبه كما تحبنى ، وهذا تلطف يستحق التشجيع ، لأن الزيات من أعز أصدقائى ، وهو أيضاً رسولك إلىّ ، والمحب يتلطف مع الرسول !

أنا أعرف منزلتى عندك ، أيها الصديق ، والزيات يعرف أنى عندك الحبيب الأول ، فلا بأس عليك إن تجاهلته حين تعلن إعجابك بأسلوب ، فقد يكون الزيات — أطال الله فى حياته — آخر من يقبل التضحية بحظه من أجل الصديق

ثم ماذا ؟

أريد أن أغتنم الفرصة الذهبية التى جمعت بين قلبى وقلبك ، وإن لم أرك ، فأفضى إليك بحديث ينفعنى وينفعك فى الأيام المقبلات

فمن أنت فى دنياك ؟

يظهر مما قرأت لك أنك تريد أن تكون كاتباً يسيطر على قراء اللغة العربية فى المشرق والمغرب ، ويملك القدرة على تحويل الناس من ضلال إلى هدى أو من هدى إلى ضلال

وأنا حاضرٌ لإرشادك ، أيها الصديق ، فما يسرنى أن أنفرد بمحنة الأدب والبيان ، فهل تعرف جوهر النصح الذى أقدمه إليك ؟

إن أساتذتك علموك أشياء ترجع فى جملتها إلى فهم علوم اللغة العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وبديع وعروض ، وهى علوم نفيسة جداً ، ولكنها لم تصل بأصحابها إلى شىء ، فقد كنت لمهد التلمذة أكتب لأساتذتى ما يريدون توجيهه إلى الرؤساء والوزراء ، ولو شئتُ لقلتُ إنى أديت امتحانات أمام أساتذة فضلاء لم تكن دروسهم إلا قبساً مما جاد به قلمى على أولئك الأساتذة الفضلاء . فما هو سر البيان الذى أريد أن أفضى به إليك ؟

هو العقيدة الأدبية ، هو العقيدة الأدبية ، هو العقيدة الأدبية

ولن تكون كاتباً ولا شاعراً ولا خطيباً بدون تلك العقيدة وإن كنت أعرف الناس بالدقائق من علوم اللغة العربية !

فما هى تلك العقيدة ؟ هى روحك ، أيها الصديق ، ولا قيمة لأديب يعيش بدون روح !

الأدب فى جوهره صورة من الروح الشفاف الذى ترتسم عليه صور الوجود ، فإن كان لك روح ، فأنت أديب ، وإلا فأنت نسخة ثانية من الشيخ فلان الذى لا يعرف من الأدب غير قواعد النحو والتصريف .

العقيدة الأدبية هى أن تغار على الأدب ، كما يغار رجال الدين على الدين . فأين أنت من تلك العقيدة ، أيها الصديق ؟

أنت تعرف أن فى الدنيا ناساً عانوا أبشع ضروب الاضطهاد بسبب التمسك بعقائدهم الدينية ، ومذاهبهم السياسية ، فأين أنت من أولئك وهؤلاء ؟ وما الذى أعددت من ضروب التضحية فى سبيل الأدب ، وهو غذاء قلبك وروحك ؟

إن الأديب الحق يحدثك عن نفسك بما تجهل من شؤون نفسك. فما جزاؤه عندك وهو يستكشف الخفايا من ضميرك وروحك؟

ما جزاؤه عندك وهو يشقى لتسعد ، ويموت لتعيش ؟

أنا أعرف جزاء الأديب عندك ، أيها الصديق ، فأنت خصصتنى بكلمات طيبات أرهفت حسى وأذكت بيانى ، وسأذكرها بالخير ما حييت . ولكن ، ما الذى يمنع من أن تتقدم لمعاونتى على ما أحمل من أعباء ؟

أتقول : إن الزيات لا يستجيب لندائك فى كل وقت ؟

إن كان ذلك ، فقدِّم إلىَّ ما يهمُّك نشرُه لأحتال فى عرضه على القراء بأسلوب يرضيهم ويرضيك ، إلى أن تعرف كيف تفرض رأيك وأسلوبك على أولئك القراء !

وتقول إنك بكيت ما طاب لك البكاء حين قرأت مقال أحد الكتاب عن « غيمة الأسلوب » وأنا بكيتُ كما بكيتَ ، ولكن فاتك أن تعرف أن ذلك الكاتب لم يشجك ولم يشجنى إلا لأنه تحدث عن قلبه بأسلوب صريح يجب أن أتحدث به عن قلبى أو تتحدث به عن قلبك ، وهنا تظهر قيمة العقيدة الأدبية ، إن كانت تهمك فى كثير أو قليل

صديق :

ما أحب أن أطيل القول فى مخاطبتك ، فأنت تعرف عن نفسك أكثر مما أعرف ، وإنما يهمنى أن تدرك جيداً أن قلبى



طب العقـــل والنفس

تأليف الدكتور محمد حسنى ولاية

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

الطبيب محمد حسنى ولاية من أطباء صحة بلدية الإسكندرية أديب شاب يشارف الثلاثين ، متخصص فى طب المناطق الحارة والصحة العامة . قضى مدة فى مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية دارساً ، فاسترعى انتباهه أحوال المصابين بأمراض عقلية واضطرابات نفسية ، فكان له من ذلك حافز نفسى على دراسة الجنون دراسة علمية من جانبيها النظرى والعملى . وكان ثمرة هذه الدراسة كتابه « بين العقل والجنون » الذى أصدره لعامين مضيا. وهو اليوم قد أخرج للناس كتاباً جديداً عنوانه « طب العقل والنفس » وهو ثمرة دراسة نظرية للأمراض العقلية والاضطرابات النفسية ، اعتمد فيها على آراء علماء مدرسة التحليل النفسى، وبالأخص فرويد وأرلد ويونج . ويكاد يكون الكتاب فى المجموع تلخيصاً لآراء هؤلاء ، أو ترجمة لبعض الفصول التى عقدوها عن الجنون والاضطرابات النفسية ومسائل العقل والوجدان والنفس . فمن هنا للكتاب أساس وثيق بآراء زعماء مدرسة التحليل النفسى . وهو يقف عند حدود آرائهم فلا يتجاوزها فى شىء إلى آراء المدرسة السلكية ، أو النموذجية الألمانية ، أو الميكانيكية الروسية فى هذه الشؤون .

واعتماد المؤلف فى دراسته للموضوع على بضعة مراجع محدودة لزعماء مدرسة التحليل النفسى أبعدت بينه وبين تكوين فكرة واضحة بينة الخطوط ظاهرة المعالم عن الموضوع ، فكان من ذلك الاضطراب فى تناول بعض الموضوعات (لا كلها) . كما هو ملحوظ فى فصل « الحب المتجانس عند المرأة » وفصل « اللاوعى » . وهـذا الاضطراب قد يبدو أكثر وضوحاً إذا لاحظنا أن المؤلف مثلاً لم يعتمد بالنسبة لفرويد وهو رأس مدرسة التحليل النفسى ، إلا على مصدرين : أحدهما منتخبات من آثاره ، والآخر مذكرات ورسائل له . وهذا أبعد الكتاب عن الوحدة المطلوبة فى الكتب ، ومن هنا جاءت فصول الكتاب غير متجانسة ، فهذا فصل عن فرويد وآخر عن أرلد وبين هذا

ممك وأنه لم يُقد من الصخور والجلاميد حتى يجهل القيمة الذاتية لعطفك عليه بلا مواربة ولا رياء

وسيأتى يوم يكون فيه للقلم دولة ، وفى ذلك اليوم وهو قريب تعرف فضل روحك فى إذكاء المشاعر والعواطف والقلوب

فإن فاتك أن تكتب كما أكتب وكما يكتب الزيات فلن يفوتك أن تكون من أهل القدرة على تأريث جذوة الأحاسيس

ومن أنا ؟ ومن الزيات ؟ ومن الكتّاب المصطفون عندك ؟

نحن قوم كوتنا صروف الأيام والليالى ، فإن اكتوت يدك كما اكتوت أيدينا فستملك من السيطرة على القراء أكثر مما نملك

وقد يلقاك الدهر بأفضل وأجل مما يلقانا، وهو عندنا غادر جحود

قد عِيب علينا ، يا صديقى ، أن نشكو الدهر ونحن فى سعة من العيش ، وسيرتقى ذوقك فتـدرك أن الخواصّ لا يشكون جوع البطون ، وإنما يشكون جوع القلوب

وآه ثم آه من جوع القلوب ! !

زكى مبارك

رأى الأستاذ النشاشيبى فى نهج البلاغة

سيدى الأستاذ صاحب « الرسالة الهادية »

الرجاء أن تتكرموا بنشر ما فى أضعافِ كتابَىْ علّامةَ العربية وأديبها العبقرى الأستاذ الجليل « محمد إسعاف النشاشيبى »: « الإسلام الصحيح ، وكلمة فى اللغة العربية » مما يخص « نهج البلاغة » . فإن الكتاب الأول ممنوع فى العراق (؟ !!) — كما يعلم الأستاذ الجليل بالطبع — والكتاب الثانى أندر من رائد الحقيقة فى هذا الزمان ...

وذلك رغبة وشوقاً — والرغبة هنا ملحة ، والشوق أكيد لما نعرف من فضل أستاذنا الجليل النشاشيبي وعلمه وخطره ، أطال الله بقاءه ونفعنا به — إلى أن نقرأ مقال أستاذ البلاغة فى (نهج البلاغة)

مشكور الأسدى

عضو جمعية الرابطة العلمية الأدبية فى النجف الأشرف

(الرسالة) : الكتابان منشوران مشهوران يباعان في مكاتب القاهرة ، ولم يقع فى علمنا أن حكومة العراق منعت كتاب « الاسلام الصحيح »

وذاك فصل ليونج ، وهى بعد ذلك تتناول موضوعاً واحداً ، وهذا لا يجمل إمكاناً لأن يخرج الإنسان بفكرة واضحة عن مواطن الاختلاف ومواضع الاتفاق بين هؤلاء الزعماء الثلاثة لمدرسة التحليل النفسى فى المسألة الواحدة . ثم هنا لك بعض الاصطلاحات جانب المؤلف فيها المأثور من ذلك استعماله لفظة Sex وكأنها تنظر إلى جنس والصحيح أن اللفظ العربى الذى ينظر إليه المصطلح الإفرنجى هو « شق » كما رأى الدكتور محمد بك شرف وجاراه فى ذلك المشتغلون بالمباحث العلمية فى العالم العربى . ثم عندك استعمال البدوات ناظرة إلى Fantasies والصحيح ـ الأوهام ـ كما قلنا فى دراساتنا عن مطران وكذلك استعمال الغرض حيناً والموضوع أحياناً ناظرة إلى Objet والصحيح الوجه الثانى . ثم ترجمة moral بالعرفى والصحيح الأدبى و Ex trovert بالمنتشر والصحيح أن يقال المحتد كما رأى ذلك مظهر سعيد .

كذلك مما يؤخذ على اللغة الاصطلاحية للكتاب فان المؤلف يقول نفسانى ومعلوم أن النسبة تقاس من فعل على وزن فعلى فيقال عقلى من عقل وآدمى من آدم ونفسى من نفس . على أنك بعد ذلك تصيب بعض مصطلحات افرنجية أصاب المؤلف فى العثور على المقابل العربى لها ، من ذلك استعماله المنضوى مقابلاً لـ in trovert وهو أدق من لفظة المنكمش التى استعملها مظهر سعيد

وفى الكتاب مطالعات جديرة بالنظر للمؤلف ، تجدها على وجه خاص فى بحثه عن أسباب الأمراض العقلية ، وهى مطالعات لم يسبقه إلى بعضها أحد . كما تجد فى الكتاب آراء ومطالعات تحتمل المناقشة ، خصوصاً فيما يذكره يونج عن الزواج التجريبى الذى دعا إليه القاضى Lindsy ، وفيما يقدره هو عن العلاقات « الجنسية » التى توجد بين الطلبة .

على أنه بعد ذلك على الرغم من هذه المآخذ ، فالكتاب جدير بالنظر والمطالعة فهو يحوى فى تضاعيفه مطالعات قيمة عن الحياة النفسية والشعورية وعن الاضطرابات التى تستولى على النفس البشرية ، يستفيد منها الإنسان فى حياته اليومية ، كما يستفيد منها الأديب والعالم فى حياتهما الأدبية والعلمية ، ومن هنا فالكتاب يشكر عليه صاحبه للمجهود المبذول فيه ، وهو خليق بعد بالتشجيع .

« الأسكندرية » اسماعيل أحمد أدهم

٢ ـ وحى الرسالة

[من واجب « الرسالة » أن تنشر ما يتفضل به عليها الأدباء الزملاء والأصدقاء من صادق النقد وجميل الرأى فى كتاب « وحى الرسالة » تسجيلا لفضل منهم والشكر منا]

كتب صديقنا الدكتور بشر فارس فى جريدة المقطم :

هذا كتاب يريحنا مما يخرجه بعض الناشئين لهذا العهد ، وهم لا يفطنون إلى أن الكتابة صناعة . فى فصول هذا الكتاب تصيب المنحى الحسن ، والتنسيق المطرد ، ثم اللفظ المتخير ، والسبك المحكم إلى جانب التبصر . وأسلوب الأستاذ الزيات الترسل فى بسط العبارة ، والترفق فى تدوين الفكرة . ويهدد هذا الأسلوب فى غالب الأمر سرد الألفاظ ، وتكلف الأداء . وقد نجا أسلوب هذا الكتاب من هذين الخطرين بفضل سليقة صاحبه السليمة وترسمه خطى البلغاء من كتاب العرب الجاعلين للديباجة المكان الأول . ومما ينشأ عن هذا الأسلوب الإطناب المقبول ، وإن قال الأستاذ فى فاتحة كتابه إن الإيجاز صفته ، إلا إذا عنى بالإطناب ساقط الكلام وفضول القول بتطويل وحشو لغير فائدة

وموضوعات الكتاب إن هى إلا معرض ألوان شتى من التأليف: إنشاء ونقد ووصف ونظر فى الحياة الجارية، فمن الإنشاء « لماذا ترجمت آلام فرتر » وفيه هفوة القلب ونبضة العرق، ومن النقد « مصطفى صادق الرافعى » و « أحمد زكى باشا » وفيهما تبرز خصائص الكاتبين فى اعتدال إذ تذكر مواضع الإكبار ومواطن الأخذ جنباً لجنب . ومن الوصف ما ينساب هنا وهنا من تصوير لطرق المدينة وحقول الريف وشواطئ البحر وضفاف النيل . ومن النظر فى الحياة الجارية تلك المقالات الرصينة مثل « داء الوظيفة » و « الفردية علتنا الأصلية » (وهنا أوثر كلمة التفرد Individualisme كما بينت فى «مباحث عربية») والزيات فى هذه المقالات لاذع القلم نافذ البصر : إنما بغيته التنبيه على جوانب الضعف الخاق والتنديد بنواحى الفشل الاجتماعى، وكتابة الأستاذ هنا لا تنجذب إلى الأسلوب الفلسفى المجرد ولكنها كتابة مصلح يصف الداء المقيم ويبين آثاره وعقابيله

وفى تلك الموضوعات، على تنوعها، تطاوع اللغة الكاتب وتتأتى له ألفاظها وتعبيراتها المتواترة، وذلك لأن الزيات يعرف كيف يستخرج المخبآت وينقب عن الدقائق. وهو إلى هذا التضلع من أساليب القدماء يكره التشدد والتنطع، حتى أنك تراه يستعمل اللفظة الأعجمية على وجهها إذا تطلبها السياق. من ذلك لفظة « الإيديال » ص ٤٦ و « المثل الأعلى » و « التاكسى » ص ٤٦٨ و « الفترينات والصالات » ص ٤٧٩. وأكبر الظن أنه يرقب من مجمع اللغة العربية أن يعالج مثل هذه الألفاظ، وإنى لأخشى أن تطول رقابته

إن « وحى الرسالة » مجموعة مختارة مما سطره الأستاذ الزيات فى مجلة « الرسالة »، وهذه المجلة تستقبل سنتها الثامنة. و « الرسالة » فى صدارة المجلات العربية لهذا العهد. ومما تمتاز به أنها معترك الحركة الأدبية : من وجه تسجل مجرى الأدب، ومن وجه تعرض المستحدث منه، تخطتها الركز والوثب معاً. ومن هنا ما فيها من التلون. وآفة المجلات أن يركد ماء وجهها. فمن وراء ذلك الشحوب فالزوال. ويعين على ذلك التلون أن أقلام كتاب الرسالة متغايرة فى التثقف والمضاء، وأن فيها أبواباً ساكنة وأخرى مائجة. وربما وضعت هذه الأشياء مواضعها فى بلد يكثر فيه الاضطراب ويصول الهوى

بشر فارس

***

وقالت زميلتنا الدستور :

الأستاذ أحمد حسن الزيات كاتب تسمو عبارته على النقد، ويرتفع سياقه إلى مرتبة الإعجاز، وتتصل بلاغته بالقلوب لدقته ورصانة نسجه وسمة الصدق المتجلية فى عبارته. وقد أصدر حضرته مجلة « الرسالة » منذ سبع سنوات؛ وألف أن يصدرها كل أسبوع بمقالة من وحى خاطره وفيض بيانه، حتى اجتمعت له باقة من هذه المقالات متخيرة الألفاظ متسامية الطراز، تتيه ببراعة أسلوبها دولة الكتاب وترنو إلى إعجازها أعين الأدباء

وسنعود إلى عرض بيان الأستاذ الزيات فى صفحة الدستور الأدبية المقبلة

وقد أحسن الأستاذ الزيات إذ جمعها فى كتاب سماه « وحى الرسالة » ونشره فى مطلع العام الجديد مورداً عذباً للأدب والأدباء ومشرعاً سائغاً لطلاب اللذة والمتاع الروحى والفائدة فى كل باب...

***

وقالت زميلتنا البلاغ :

يطالع الكاتب الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات قراءه العديدين فى مجلته « الرسالة » بافتتاحياته الممتعة التى تعتبر مثالاً عالياً فى حسن الأسلوب وفى تخير الموضوع ودقة التعبير عن الفكرة؛ وقد تابعوه سبع سنين ينتظرون بلهف ما تدبجه براعته سواء فى الأدب أو فى النقد أو فى السياسة أو فى الاجتماع أو فى تحليل الشخصيات، فيكون على الدوام عند حسن عقيدتهم فيه؛ براعة تفكير، ومتانة أسلوب، وسرعة نفاذ إلى القلوب

وقد تخير الأستاذ الزيات فصولاً مما كتبه للرسالة فى ست سنين وجمعها بين دفتى كتاب واحد سماه « وحى الرسالة » وأصدر المجلد الأول منها فى هذا الأسبوع فى طبع أنيق وورق مصقول، فجاءت هذه الفصول كما قال فى مقدمتها : متسمة بالصدق وإن كتبت عفو الخاطر ومجاراة المناسبة

ولا شك أننا فى غنى عن أن نقدم « وحى الرسالة » إلى القراء فالأستاذ الزيات فى غنى عن كل تقريظ وإنما يقرظه أدبه وأسلوبه وسعة اطلاعه؛ ويكفى أن نقول إن كل قارئ مثقف لا غنى له عن مطالعة هذه الفصول الممتعة مما كتبه الأستاذ الزيات

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾

السنة الثامنة

العدد ٣٤٧

الرسالة



8me Année No. 347

Lundi - 26 - 2 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مصـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣٤٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ محرم سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٦ فبراير سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

من بريد الرسالة

على غير انتظار ولا توقع وجدت اليوم فى بريد الرسالة كتاباً من السيدة حياة. والذين كانوا يقرأون جريدة (الليبرتيه) على عهد ليون كاسترو، أو مجلة الرسالة فى عامها الأول، لا يزالون يذكرون ولا شك هذا الاسم الجميل وذلك الأسلوب الساحر وتلك القريحة النِّسوية الصافية التى تخلق من الشعر والمنطق صوراً من الفكر الرصين البارع

ذلك الكتاب كذينك الكتابين[1] وردى الغلاف أنيق الخط مصرى الروح فرنسى اللغة؛ ولكنه يختلف عنهما بمعان من المحافظة والاعتدال لعلهما رجْع المبالغة والإسراف فى حياة المرأة المصرية الحديثة

لا أحب أن أفقدكَ شيئاً من جمال هذا الكتاب بتلخيصه أو اقتضابه، فإنه فى ذاته وحدة من البيان الصريح والقول الشارح لا تقبل توطئة ولا تجزئة. فأنا أترجمه إليك ترجمة لا تخالف الأصل إلا فى اللفظ؛ أما تأليف الجملة، وتنسيق الفكرة، وتلوين الصورة، فذلك كله لفن الكاتبة. وإذا علمت أن السيدة حياة إنما تكتب بروح عربية وطبيعة مصرية، سهل عليك أن تدرك سر هذا الائتلاف العجيب بين العربية والفرنسية فى قلمها المبدع

(١) تحدثنا عنهما ونشرنا شيئاً منهما فى العددين العاشر والحادى عشر من الرسالة

الفهرس

أستاذى العزيز

ما زلت أوثر أن أكتب إليك بالفرنسية على الرغم من بلوغى فى البيان العربى بفضل الرسالة مكانة لا بأس بها . وسبب هذا الإيثار أن المرء يميل بطبعه إلى جهة القدرة لا إلى جهة العجز ، ويؤثر بغريزته جانب الكمال على جانب النقص . ولغتى العربية لا تزال عاجزة عن رياضة هذا القلم فى يدى ، فإذا كتبت بها إليك أهملتَ ما أكتب فتسىء إلىّ ، أو أعملت فيه قلمك فتزوّره علىّ . وأنا كأكثر النساء مستكبرة أنوفة ، فلا أحب أن أكون من الرجل فى موضع الإهمال أو المعونة

أكتب إليك فى صباح ليلة ساهرة ثائرة تقسمت مشاهدها العجيبة خواطرى ومشاعرى ، فكأننى لم أشهد قبلها ليلة ! والحق أن ليلة (مبرة محمد على) فى هذا العام كانت بِدْعاً فى نظامها وبرنامجها والاحتفال بها والإقبال عليها والديمقراطية فيها

لقد كان قصر المعرض بالجزيرة معرضاً حقيقياً لمجتمعنا الحديث . فالأميرات والعقيلات والآنسات والممثلات يصاحبهن أو يراقصهن أو يجاورهن الأمراء والكبراء والموظفون ورجال الفن ؛ وكلهم على النمط الغربى الرفيع فى أناقة الزى ورشاقة الحركة وأسلوب التحية ومراعاة الرسوم وإجادة الرقص، حتى خيل إلىّ أن الحفلة فى (الجران باليه) بباريس لا فى السراى الكبرى بالقاهرة

كنت أتنقل أنا وزوجى من مقعد إلى مقعد ، ومن مشهد إلى مشهد ، فى مسرح اللهو ، وفى حلقة الرقص ، وفى المقصف ، وفى (القهوة البلدية) ، فأجد أخلاطاً من الناس يشتركون فى المظهر ، ولكنك تستطيع أن ترجعهم إلى بيئاتهم المختلفة من طريق الهندام ولهجة الكلام واختلاف الوضع . يسهل ذلك التمييز فى الرجال ويصعب كل الصعوبة فى النساء ؛ لأن المرأة بفضل السينما والرياضة استطاعت أن تشأى الرجل فى مضمار المدنية الغربية، فهى فى إتقان زينتها وفستان سهرتها وانسجام سمتها لا تكاد تختلف عن كواكب هوليود ؛ أما هو فبطىء التطور عصى الطبع لا يغشى أمثال هذه الحفلات إلا مسوقاً بإرادة زوجته أو ابنته

لعلك تذكر أنى كتبت إليك منذ خمس سنوات كتاباً قلت فيه عن حرية المرأة إنها مسألة لا تتعلق إلا بنا، ولا يكون الحكم فيها إلا لنا ؛ وما دخول الرجل فيها إلا أثر من اعتقاده القديم أن فى يده زمام هذا الجنس المنكوب يرخيه ويشده على هواه ، والأمر لا يخرج عن كونه نظاماً طبيعياً يجرى على سنة الحياة من سيطرة القوة على الضعف ، وطغيان الأثرة الباغية على العدل الذليل . فحرية المرأة كحرية الأمة ، سبيلهما الفعل وحجتهما القوة ؛ أما الدفاع بالقول والإقناع بالحق فأصوات مبهمة كزفيف الريح المحبوسة فى مخارم الجبل لا تدل على الطريق ولا تساعد على الفرج

قلت ذلك وما كان يهجس فى صدرى أن المرأة فى هذه المدة القصيرة تستطيع أن تنزع من الرجل قيادتها وحريتها ثم تغلبه على إرادته وكرامته فتروضه هذه الرياضة وتخضعه هذا الخضوع !

لقد كنت أرى المرأة فى هذه الليلة تراقص الغريب وتضاحك الكأس ، وزوجها أو أبوها يهيئ لها فرصة المرفة ويسمى لها بوسائل اللذة ، فأجدنى أنا داعية الحرية النسوية بالأمس ، أشد النساء ضيقاً بها وسخطاً عليها اليوم ، لأن هذه الحرية — بالقياس إلى الحرية التى كنا ننعم بها وندعو إليها — إباحية وفوضى ؛ وذلك فى الحق علة ما نرى من التنافر بين الفتى والفتاة ، فقد كان الظن أن يزول بالتعلم ما بينهما من تنافر العلم والجهل ، فأصبح هذا التنافر معززاً بتنافر الحشمة والتهتك . وما دام الانسجام مفقوداً بين الجنسين إما لتقدم الرجل على المرأة فى العلم ، وإما لتقدمها هى عليه فى المدنية ، فهيهات أن تنفرج أزمة الزواج أو تستقيم حال الأسرة

كانت هذه الحفلة فى السنين الخوالى مظهراً للحرية القصد والبر الخالص ، فما زالت عوامل التقليد والتجديد تلح على مزايا الأنوثة وخصائص الجنس حتى أصبحت معرضاً للجمال والدلال والزينة ؛ وذلك بالطبع سر نجاحها ورباحها ، وهو مغنم لغايتها الشريفة على أى حال

إنى ألح على المرأة فى نادى السيدات وفى بعض الحفلات نزوعاً إلى تعدى الحدود التى جعلها الله بينها وبين الرجل ، فإذا لم نعاجله بالفطام والكبح أعضل الأمر وفسد المجتمع

ولعلى يا سيدى أشير فى (الرسالة) إلى مواطن الداء الحين بعد الحين ليتسنى لأرباب القلم وصفه، ويسهل على أقطاب الحكم علاجه.

أدام الله عليك التوفيق وأعانك بالسداد على مواصلة الجهاد فى تبليغ الرسالة ...

(حياة)

***

هذا كتابك يا سيدتى قرأته وترجمته ثم نشرته، وسأعود إليه بالتعليق والتحقيق فى فرصة أخرى .

احمد حسن الزيات

١ - فى أرجاء سينـــاء

للدكتور عبد الوهاب عزام

من السويس الى أبى زنيمة

تواعد السَّفْر ميدانَ ابراهيم صباح الأحد حادى عشر ذى الحجة سنة ١٣٥٨ – (٢١ يناير سنة ١٩٤٠)، ووقفنا على مصر الجديدة ريثما يركب الرفقاء الذين يقطنون هناك. ثم سار ركْبنا فى سيارات ست يؤم السويس، وليس فى طريق السويس ما يُتحدث عنه إلا بقايا المنارات التى كانت على طريق البريد.

ولما بلغنا السويس تواعدنا أن نلتقى عند منتهى الترعة الاسماعيلية بعد أن تتزود السيارات وسائقوها بما يحتاجون إليه من المدينة. وكان السائقون كلهم من هذه المدينة وممن خبروا طرق سَيناء.

فارقنا المدينة ظهراً، فوقفنا بعد قليل عند معبر القناة ريثما قدَّمنا الأوراق والصور التى تبين أشخاصنا ووجهتنا، ثم عبرنا. وكان الغداء قد حان، فرأينا أن نتزود للبيداء فتفرقنا يأكل كل واحد زاده... ولست أقول قول أبى العتاهية:

قد رمى المهدى ظبياً شق بالسهم فؤاده

وعلى بن سليما ن رمى كلباً فصاده

فهنيئــاً لهما كل امرئ يأكل زاده

وهى الوجبة الواحدة التى لم يجتمع عليها السفْر. وكنا استثنيناها تعجلاً للمسير، فاتفقنا على أن يأتى كل مسافر بالغداء فى اليومْ الأول.

وكان فى اختلاف الأطعمة مثار لأسئلة: ما ذا عندك يا فلان؟ وما ذا تأكل يا فلان؟ وكان أكثر الناس تطلعاً إلى السؤال بعض رجال التاريخ. وذكّرنى هذا قول أبى الطيب:

وكثير من السؤال اشتياق وكثير من ردّه تعليـل

تهيأنا للمسير، وصفر دليل الركب الدكتور حزين إيذاناً بالسير فلم نتهيَّب إقدامَنا على مجاهل سَيناء وسلوك طريق بنى إسرائيل، لأن الطريق مطروقة، والأمن شامل، والزاد موفور، والسيارات ضمينة بإبلاغنا غايتنا قبل الغروب...

سرنا صوب الجنوب فسايرنا القناة حيناً، ثم خليج السويس حتى حالت بيننا وبينه التلال. وبعد نصف ساعة مررنا بعيون موسى، وهى على ٢٤ كيلاً من معبر القناة. ولم نعرج على العيون إلا فى رجوعنا، وكنت رأيتها مرة من قبل. وهى ينابيع متفرقة متقاربة، يرى المتأمل فيها فوران الماء من قاعها إلى سطحها، وكل ينبوع بركة يفيض ماؤها فى الرمل فلا يجرى، وحولها نخيل وأشجار من الطرفاء؛ وهى اثنتا عشرة عيناً، وقد ذكرت فى القرآن الكريم: «وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، قد علم كل أناس مشربهم. كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين».



عيون موسى

وذكرت فى التوراة باسم إيليم. ففى سفر الخروج (الإصحاح ١٦): «ثم جاءوا إلى إيليم، وهناك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة، فنزلوا هناك عند الماء»

وقد نقلت الحكومة إليها سمكا لمنع حمّى الملاريا

مضت السيارات فى أرض مقفرة قليلة النبات، ثم تغيّر مرأى البيداء، ولاحت أشجار كثيرة من الطرفاء، جاوزناها إلى أرض غير مشجرة يسم وجهها نبات متفرق من العيثران والرتم والسلّة وأعشاب مختلفة. ثم دخلنا وادى الطيِّبة بين جبال عالية مختلفة الألوان والأشكال؛ فتكاثرت الأشجار البرية متفرقة، وبدت على وجه الأرض أمارات الحياة حتى انعطف الوادى إلى اليمين تلقاء البحر، فإذا غيضة يترقرق الماء فيها، ويلتف فيها الطرفاء والنخيل؛ وهو منظر يوحى إلى المسافر الرّوح والسرور بعد المناظر القاحلة التى طال سيره فيها. وبعد ثلاثة كيلات من هذه الغيضة بلغنا شاطئ الخليج – خليج السويس – بعد أن قطعنا من القناة مائة وعشرين كيلاً

هناك تبعد الجبال عن البحر قليلاً فتترك بينها وبينه أرضاً

رملية مستوية ، وعلى الشاطئ شركة انكليزية تستخرج المنغنيز وهو حجر مسود حديدى يستعمل فى صناعة الصلب أو الفولاذ. وهناك مبان للشركة ومساكن للعمال وهم زهاء ألف من المصريين، وسكة حديد لنقل المنغنيز إلى الميناء ، وميناء لإرساء السفن

سألنا عن منزل الحكومة (استراحة) فسار معنا خادم موكل به ، فرأينا بناء جيلاً طبقة واحدة فيها خمس غرف ومرافقها وأمامها طُنُف واسع . وهذا المنزل بنى حينما عزم الملك فؤاد رحمه الله على زيارة سيناء . فهو من آثار عنايته بالصحارى المصرية



البدوى مطير

نزلنا هناك بعد الغروب فأمضينا ليلة سعيدة فى هواء منعش معتدل يحيط بنا مشاهد رائعة من الجبال والبحر أضفت عليها القمراء نورها وبهجتها . ولا أنسى مطلع الشمس هناك بين قنن الجبال القريبة ومغربها على ساحل الخليج الغربى عند جبال الزعفرانة تلوح على بعد كأنها قطع السحاب أو الضباب

إن فى هذه الأمكنة وما يشبهها لمَراداً للمصريين يستجمون من عناء العمل ، ويمتعون الروح والجسم بين الهواء والماء ، وحرية الصحراء والمرائى الجميلة ، ويعرفون مجاهل وطنهم وما فيها من معادن ونبات

وأصبحنا يوم الاثنين مزمعين التجوال فى البرية ورؤية معادن المنغنيز وآثاراً مصرية قديمة فى مكان يسمى سراية الخادم فاستمعنا من الدكتور حزين كلمة عن سيناء وجبالها ومعادنها . ثم سرنا فى وادى الطيّبة وملنا ذات اليمين حتى رأينا معادن المنغنيز وهى حفَر ساذجة تقطع منها الأحجار لا يكلف قطعها عناء ولا تغلغلاً فى بطن الأرض . ثم سرنا نبحث عن الآثار ولقينا فى طريقنا بدوياً معه غنمة وجمال تحمل رحله ونساء وصبية، فكلمناه وأخذنا صورته . وسألته عن شجر صغير يكثر فى البادية لا جذع له تنبت أغصانه من جذره مستقيمة دقيقة ، له ورق مستطيل دقيق. فقال : هذا الرَّتَم . فذكرت قصة المتنبى حينما خرج من مصر



بئر النصب

وسلك سيناء وخانه عبيده فضرب واحداً منهم بالسيف فخرَّ على على رتمة . وأنشدت قول الراجز :

نظرت والعينُ مبينة التهم ... إلى سنا نار وقودها الرَّتم
شبت بأعلى عاندين من إضم

واسم الرجل مُطير وهو من قبيلة القرارشة

واستأنفنا المسير فبلغنا مكاناً به نخلات وأشجار وزرع قليل، وإذا بئر تسمى بئر النصب ماؤها قريب عذب

تركنا السيارة وسرنا نبحث عن الآثار واستدللنا رجلاً من غير البدو ادعى معرفة المكان فطال سيرنا وبحثنا على غير هدى ، ورجعنا وقد استفدنا من المشى ، ورأينا من الأودية والجبال والأشجار والعشب ما عزانا عن الآثار المفقودة . ولم نقل : قتل أرضاً عالمها ، وقتلت أرض جاهلها .

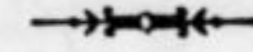
(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

في الاجتماع اللغوي

صراع اللغـــات

للدكتور على عبد الواحد وافى

مدرس العلوم الاجتماعية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول



يحدث بين اللغـات ما يحدث بين أفراد الكائنات الحية وجماعاتها من احتكاك وصراع وتنازع على البقاء وسعي وراء الغلب والسيطرة . وتختلف نتائج هذا الصراع باختلاف الأحوال : فتارة ترجح كفة أحد المتنازعين ، فيسارع إلى القضاء على الآخر مستخدماً فى ذلك وسائل القسوة والعنف ، ويتعقب فلوله فلا يكاد يبقى على أثر من آثاره ؛ وتارة ترجح كفة أحدهما كذلك ، ولكنه يمهل الآخر ، وينتقص بالتدريج من قوته ونفوذه ، ويعمل على خضد شوكته شيئاً فشيئاً حتى يتم له النصر ؛ وأحياناً تتكافأ قواهما أو تكاد ، فتظل الحرب بينهما سجالاً ، ويظل كل منهما فى أثنائها محتفظاً بشخصيته ومميزاته .

وينشأ هذا الصراع عن عوامل كثيرة أهمها عاملان : أحدهما أن ينزح إلى البلد عناصر أجنبية تنطق بلغة غير لغة أهله ؛ وثانيهما أن يتجاور شعبان مختلفا اللغة ، فيتبادلا المنافع ، ويتاح لأفرادهما فرص للاحتكاك المادى والثقافى .

وكلا العاملين ينتهى أحياناً إلى تغلب إحدى اللغتين على الأخرى ، وأحياناً إلى بقائهما معاً جنباً لجنب .

وسنقتصر فى هذا المقال على بيان الحالات التى يؤدى فيها العامل الأول إلى تغلب إحدى اللغتين على الأخرى ، وما يمتاز به هذا التغلب من خصائص ، وما يتصل به من شئون ، مرجئين تكملة البحث إلى مقالات تالية .

***

قد يحدث على أثر فتح أو استعمار أو حرب أو هجرة ... أن ينزح إلى البلد عنصر أجنبي ينطق بلغة غير لغة أهله ، فيشتبك اللغتان فى صراع ينتهى أحياناً إلى تغلب إحداهما ، فتصبح لغة جميع السكان قديمهم وحديثهم ، أصيلهم ودخيلهم . ويحدث هذا فى حالتين :

الحالة الأولى : أن يكون كلا الشعبين همجياً قليل الحضارة منحط الثقافة ، ويزيد عدد أفراد أحدهما على عدد أفراد الآخر زيادة كبيرة . ففى هذه الحالة ، تتغلب لغة أكثرهما عدداً سواء أكانت لغة الغالب أم المغلوب، لغة الأصيل أم الدخيل؛ على شريطة أن تكون اللغتان من شعبة لغوية واحدة أو من شعبتين متقاربتين

والأمثلة على ذلك كثيرة فى التاريخ . فمن ذلك أن الإنجليز السكسونيين ، حينما نزحوا من أواسط أوربا إلى انجلترا ، لم تلبث لغتهم أن تغلبت على اللغات السلتية[1] التى كان يتكلم بها السكان الأصليون . وذلك لأن عدد من بقى من السلتيين بهذه الأقاليم لم يكن شيئاً مذكوراً بجانب عدد المغيرين ؛ وكلا الشعبين كان همجياً منحطاً فى مستوى حضارته ومبلغ ثقافته ؛ وكلتا اللغتين تنتمى إلى فصيلة اللغات الهندية — الأوربية — والنورمانديون Normands ، حينما أغاروا على إنجلترا فى منتصف القرن التاسع الميلادى واحتلوا معظم أقاليمها ، لم تلبث لغـة الشعب المقهور أن تغلبت على لغتهم ، فأصبح جميع السكان ، أصيلهم ودخيلهم ، إنجليزيهم ونورمانديهم ، يتكلمون الإنجليزية السكسونية . وذلك لأن الإنجليز المغلوبين كانوا أكثر عدداً من النورمانديين الغالبين ؛ ولم يكن لأحد الشعبين إذ ذاك حضارة ولا ثقافة راقية ؛ وكلتا اللغتين من الفصيلة الهندية — الأوروبية[2]

وقد يحدث أحياناً فى هـذه الحالة أن تتغلب لغة على أخرى من غير فصيلتها . ولـكن هذه الظاهرة نادرة الحدوث ، ولا يتم التغلب فيها إلا بصعوبة وبعد أمد طويل . واللغة التى تنشأ من هذا التغلب ينالها كثير من التحريف فى ألسنة المحدثين من الناطقين بها لشدة الاختلاف بينها وبين لغتهم الأصـلية ، فتبعد بعداً كبيراً عن صورتها الأولى . فالبلغاريون وهم من أصل « فينوانى Finois » حينما نزحوا إلى البلقان وامتزجوا بشعوب الصقالبة (السلافية Slaves) ، أخذت لغتهم تنهزم شيئاً فشيئاً أمام لغة هذه الشعوب حتى انقرضت وحل محلها لسان صقلبي . وذلك لأن عدد البلغاريين لم يكن شيئاً مذكوراً بجانب عدد الصقالبة الممتزجين بهم ؛ وكلتا الفئتين كانت إذ ذاك همجية منحطة فى مستوى حضارتها ومبلغ

(١) لغة شعوب السلت Celtes وهى شعوب كانت تقطن قديماً أوربا الوسطى ، ثم انتشرت عشائر منها فى بلاد الجول Gaule (فرنسا الآن) وإسبانيا وبريطانيا

(٢) هى فصيلة لغوية تشمل ثمانى طوائف من اللغات : الهندية — الايرانية والأرمنية ؛ واللغات الاغريقية ؛ والألبانية ؛ واللغات الايطالية التى تشمل اللاتينية ؛ واللغات السلتية ؛ واللغات الجرمانية ؛ واللغات البلطيقية — الصقلبية

ثقافتها. وقد حدث هذا التغلب مع اختلاف اللغتين فى الفصيلة؛ فلغة البلغاريين الأصلية كانت من الفصيلة الفينية[١]، على حين أن اللغات الصقلبية من الفصيلة الهندية — الأوروبية، ولكن هذا التغلب لم يتم إلا بصعوبة، وبعد أمد طويل، وصراع عنيف خرجت منه اللغة الغالبة مشوهة محرفة عن مواضعها فى ألسنة المحدثين الناطقين بها، فبعدت بعداً كبيراً عن صورتها القديمة. فالبلغارية الحديثة هى أكثر اللهجات الصقلبية تحريفاً وبعداً عن أصولها الأولى

(الحالة الثانية): أن يكون الشعب الغالب أرقى من الشعب المغلوب فى حضارته وثقافته وآداب لغته، وأشد منه بأساً وأوسع نفوذاً. فى هـذه الحالة يكتب النصر للغته فتصبح لغة جميع السكان، وإن قل عدد أفراده عن أفراد الشعب المغلوب؛ على شريطة أن تدوم غلبته وقوته مدة كافية، وأن تقيم بصفة دائمة جالية يعتد بها من أفراده فى بلاد الشعب المغلوب، وأن تمتزج بأفراد هذا الشعب، وأن تكون اللغتان من شعبة لغوية واحدة أو من شعبتين متقاربتين

والأمثلة على ذلك كثيرة فى التاريخ. فقد نجم عن فتوح الرومان فى وسط أوربا وشرقيها أن تغلبت لغتهم اللاتينية على اللغات الأصلية لإيطاليا وإسبانيا وبلاد الجول La Gaule (فرنسا وما إليها) والألب الوسطى Alpe Centrale والإليريا Illyrie، مع أن الرومان المغيرين كانوا فى هذه البلاد أقلية بالنسبة لسكانها الأصليين. وقد نجم عن فتوح العرب فى آسيا وأفريقيا أن تغلبت لغتهم على كثير من اللغات السامية الأخرى وعلى اللغات القبطية والبربرية والكوشيتية[٢]؛ فأصبحت اللغة العربية لغة الحديث والكتابة فى معظم مناطق شبه الجزيرة العربية وفى مصر وشمال أفريقيا وفى جزء كبير من قسمها الشرقى المتاخم لبلاد الحبشة؛ مع أن الجالية العربية فى هذه البلاد كان عددها أقل كثيراً من عدد السكان الأصليين

وفى كلتا الحالتين السابقتين لا يتم النصر غالباً لإحدى اللغتين

(١) هى فصيلة لغوية تشمل الفنلدية والأستونية والبلغارية القديمة

(٢) اللغات السامية هى فصيلة لغوية يندرج تحتها: اللغات الأكادية (الآشورية — البابلية)، والآرامية (وتشمل الكلدانية والسريانية)، والكنعانية (ويدخل فيها الفينيقية والعبرية)، والعربية، والحميرية، والحبشية — أو اللغات البربرية وهي لغات السكان الأصليين لشمال أفريقيا — واللغات الكوشيتية هى لغات القسم الشرقي من أفريقيا المحصورين بين درجة العرض الرابعة جنوب خط الاستواء وحدود مصر ما عدا المناطق الحبشية وبعض مناطق السودان

إلا بعد أمد طويل يصل أحياناً إلى أربعة قرون، وقد يمتد إلى أكثر من ذلك. فالرومان قد أخضعوا بلاد الجول La Gaule (فرنسا وما إليها) فى القرن الأول؛ ولكن لم يتم النصر للغتهم اللاتينية على اللغة السلتية التى كان يتكلم بها أهل هذه البلاد إلا حوالى القرن الرابع الميلادى. ومع ما كان للعرب من قوة الشوكة، ورقى اللغة، واتساع الحضارة، وحماية الدين، وسطوة الغالب، لم يتم النصر للغتهم على القبطية والبربرية إلا بعد أمد طويل. على أن اللغة القبطية لا تزال مستخدمة فى كثير من الطقوس الدينية الأرثوذكسية؛ واللغات البربرية لا تزال إلى الوقت الحاضر لغة محادثة لدى بعض العشائر المغربية

وغنى عن البيان أن انتصاراً لا يتم إلا بعد أمد طويل وجهاد عنيف لا يخرج المنتصر من معاركه على نفس الحالة التى كان عليها من قبل. فاللغة التى يتم لها الغلب لا تخرج سليمة من هـذا الصراع. بل إن طول احتكاكها باللغة الأخرى يجعلها تتأثر بها فى كثير من مظاهرها وبخاصة فى مفرداتها

ويختلف مبلغ هذا التأثر باختلاف الأحوال: فتكثر مظاهره كلما طال أمد احتكاك اللغتين وكان النزاع بينهما عنيفاً والمقاومة قوية من جانب اللغة المقهورة؛ وتقل مظاهره كلما قصرت مدة الصراع أو خفت وطأة النزاع أو كانت المقاومة ضعيفة من جانب اللغة المغلوبة. فلطول الأمد الذى استغرقه الكفاح بين لغة الإنجليز السكسونيين بانجلترا، ولغة الفاتحين من الفرنسيين النورمانديين (الذين أغاروا على بلاد الإنجليز فى القرن التاسع الميلادى واحتلوا معظم مناطق انجلترا كما سبقت الإشارة إلى ذلك) ولشدة المقاومة التى أبدتها اللغة النورماندية المقهورة، خرجت اللغة المنتصرة (الإنجليزية) من هذا الصراع، وقد فقدت أكثر من نصف مفرداتها الأصليـة واستبدلت به كلمات من اللغة النورماندية المغلوبة، واقتبست منها فضلاً عن هذا مفردات أخرى جديدة. على حين أن لغـة بلاد الجول La Gaule التى انتصرت عليها اللغة اللاتينية لم تترك فى اللغة الغالبة أكثر من عشرين كلمة[١]؛ واللغات القبطية والبربرية المغلوبة لم تكد تترك أى أثر فى اللغة العربية الغالبة. وذلك لأن الصراع فى هذين المثلين، على طول أمده، لم يكن عنيفاً، ولم تلق فى أثنائه اللغتان الغالبتان (اللاتينية فى المثال الأول والعربية فى المثال الثانى)

(١) على أن بعض هذه الكلمات كان قد انتقل إلى اللاتينية قبل غزو الرومان لبلاد الجول

مقاومة شديدة من جانب اللغات المقهورة (لغة الجول السلتية فى المثال الأول ، والقبطية والبربرية فى المثال الثانى)

وتختلف كذلك النواحى التى يبدو فيها تأثر اللغة الغالبة باللغة المغلوبة تبعاً لاختلاف الأحوال التى تكون عليها كلتا اللغتين فى أثناء اشتباكهما . ويبدو هذا التأثر بأوضح صورة فى النواحى التى تكون فيها اللغة المغلوبة متفوقة على اللغة الغالبة . ولذلك تألف معظم المفردات التى أخذتها الإنجليزية الغالبة عن الفرنسية النورماندية المغلوبة ، من كلمات دالة على معان كلية وألفاظ تتصل بشئون المائدة والطهى والطعام . وذلك لأن النورماندية كانت غنية فى هاتين الطائفتين من المفردات ؛ على حين أن الانجليزية كانت فقيرة فيهما كل الفقر ؛ فعمدت إلى خصيمها المقهور واستلبته ما كان يعوزها قبل أن تجهز عليه . وإلى اقتباسها منه الألفاظ المتصلة بشئون المائدة والطهى وألوان الطعام يرجع السبب فى أسلوبها الغريب فى تسمية الحيوانات المأكولة اللحم . فكثير من هذه الحيوانات يطلق على كل منها فى الانجليزية اسمان : اسم جرمانى الأصل يطلق على الحيوان ما دام حياً : Cheep, Galf, Ox, Pig. واسم آخر فرنسى الأصل يطلق عليه بعد ذبحه وإعداده للطعام : Mutton, Veal, Beef, Pork.

والألفاظ الأصيلة للغة الغالبة ينالها كثير من التحريف فى ألسنة المحدثين من الناطقين بها (المغلوبين لغوياً) ، فتبعد بذلك فى أصواتها ودلالاتها وأساليب نطقها عن صورتها الأولى ويبلغ بعدها هذا أقصى درجاته إذا كانت اللغة المقهورة من فصيلة أخرى غير فصيلة اللغة الغالبة كما سبقت الإشارة إلى ذلك بصدد البلغارية القديمة والصقلبية

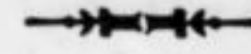
والألفاظ الدخيلة التى تقتبسها اللغة الغالبة من اللغة المغلوبة ينالها كذلك كثير من التحريف فى أصواتها ودلالاتها وطريقة نطقها ، فتبعد فى جميع هذه النواحى عن صورتها القديمة ، ويظهر هذا بالموازنة بين الكلمات الإنجليزية الآتية والكلمات الفرنسية التى اقتبست منها : Mutton (Mouton), Veal (Veau), Beef (Bœuf). فإن كل كلمة منها تختلف عن أصلها اختلافاً غير يسير فى صوتها ودلالتها وطريقة النطق بها . حتى أن الفرنسى الذى لا يعرف الإنجليزية لا يكاد يتبينها أو يدرك مدلولها إذا سمعها من انجليزى — وليست هذه الظاهرة مقصورة على الاقتباس الناشئ من الصراع بين لغتين ، كتب لإحداهما النصر ، بل هى ظاهرة عامة تتحقق فى جميع الحالات التى يحدث فيها انتقال مفرد من لغة إلى أخرى .

وتقطع اللغة المغلوبة فى سبيل انقراضها مراحل كثيرة تمتاز كل مرحلة منها بمظهر خاص من مظاهر الانحلال وضعف المقاومة ففى المرحلة الأولى تقذفها اللغة الغالبة بطائفة كبيرة من مفرداتها فتوهن بذلك متنها الأصلى وتجرده من كثير من مقوماته ولكن اللغة المغلوبة ، تظل طوال هذه المرحلة محتفظة بقواعدها ومخارج حروفها وأساليبها فى تطبيق الكلمات : فيؤلف أهلها عباراتهم ويصرفون مفرداتهم وفقاً لقواعدهم التنظيمية والمورفولوجية : « السنتكس والمورفولوجيا ، أو النحو والصرف » . وينطقون بألفاظهم الأصلية وما انتقل إليهم من ألفاظ دخيلة طبقاً لأسلوبهم الصوتى ومخارج حروفهم؛ حتى أنهم ليستبدلون فى الكلمات الدخيلة بالحروف التى لا يوجد لها نظير لديهم حروفاً قريبة منها من حروف لغتهم . . . وفى المرحلة التالية تتسرب إلى اللغة المغلوبة أصوات اللغة الغالبة ومخارج حروفها وأساليبها فى نطق الكلمات . فينطق أهل اللغة المغلوبة بألفاظهم الأصيلة ، وما انتقل إليهم من ألفاظ دخيلة من نفس المخارج ... وبنفس الطريقة التى يسير عليها النطق فى اللغة الغالبة . فيزداد بذلك انحلال اللغة المغلوبة ويؤذن نجمها بالأفول . ولكنها تظل طوال هذه المرحلة مستبسلة فى الدفاع عن قواعدها الصرفية والتنظيمية (قواعد المورفولوجيا والسنتكس) وفى مقاومة قواعد اللغة الغالبة . فيركب أهلها جملهم ويصرفون كلماتهم وفق أساليبهم الأولى . وفى المرحلة الأخيرة تضعف هذه المقاومة شيئاً فشيئاً ، فتأخذ قواعد اللغة الغالبة فى الاستيلاء على الألسنة حتى يتم لها الظفر ، فيتم بذلك الإجهاز على اللغة المغلوبة . فالقواعد فى اللغة المغلوبة أشبه شىء بالفلمة التى يحتمى بها فلول الجيش المنهزم وتقاتل عنها حتى آخر رمق ، والتى يتم بسقوطها استيلاء العدو على البلاد .

على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة باريس

٢ـ الحق والقـــوة

للدكتور إبراهيم بيومى مدكور
أستاذ الفلسفة بكلية الآداب



ليست فكرة الحق بأعلى من فكرة القوة ، وليست الحقوق الفردية والاجتماعية من الوضوح بحيث تستلفت النظر كالقوى الطبيعية والإنسانية . ومن المحقق أن الجميات الهمجية خضعت لسلطان القوة وانقادت لعوامل البأس والشدة قبل أن تعرف لغة الحق والقانون ، ولم تتكون لديها فكرة عن الحقوق واحترامها والتعهدات والتزامها إلا بعد أن خطت خطوات فى سبيل الحضارة والمدنية . ولعلها لم تعترف أول الأمر ببعض الحقوق إلا لأنها رأت القوة تلزمهـا بالاعتراف بها ، ثم لم يلبث هذا الاعتراف القهرى أن يحول إلى شعور باطنى اختيارى يدفعها إلى القيام ببعض الأعمال راحة للنفس ومرضاة للضمير . ففكرة الحق إذن بطيئة التكوين ، والحقوق الإنسانية لم تثبت ولم تنضج إلا بعد أجيال عدة وحضارات متعاقبة ، على أنها لا تزال حتى اليوم خاضعة لسنة النشوء والارتقاء ، ولا تزال طائفة منها مختلفاً عليها بين الأفراد والجماعات

ويظهر أن الحقوق فى تطورها مرت بأدوار عدة ، فكانت فى أول أمرها دينية شعبية وشكلية مادية مقصورة على فريق من الناس . فلا حق إلا ما أحقته الآلهة ، ولا التزام إلا بما أوجبته التعاليم الدينية ، والحقوق فى جلها فريضة فرضتها السماء وطاعة أعد لمؤديها الثواب المقيم ولتاركها العذاب الأليم . فمن القساوسة ورجال الدين تملت الجماعات الأولى بعض الحقوق ، وإليها لجأت فى إقامة شعائرها والمطالبة بأدائها ؛ ولهذا لم يكن ثمه فرق فى الشرائع القـديمة بين أمر دينى وآخر دنيوى ، وإنما الأوامر كلها وحى الآلهة ، وترجمة لإرادة عليا يقف البشر أمامها خاشعين خاضعين . . . هذا إلى أن الحقوق كانت فى بدء نشأتها شعبية طائفية ، فعُرِفت حقوق الأسرة والقبيلة قبل أن تعرف حقوق الفرد مهما كانت منزلته ، وكثيراً ما ضحى به فى سبيل قومه وعشيرته دون ذنب أو جريرة ، فما كانت له شخصية معروفة ولا وجود مستقل محترم . وإذا كانت الحقوق قديماً مظهراً من مظاهر الحياة الدينية ، فلا بد أن تؤدى على شكل معين وصورة ثابتة، شأنها فى هذا شأن الطقوس المختلفة والعبادات المعروفة . وما كانت القبائل الهمجية تفهم من الحق إلا مظهره الخارجى، وجانبه المادى، فلم يكن هناك حق معنوى ولا التزام روحى. ولا يمكننا أن نتوقع فى تلك البيئات المحدودة والقبائل المتخاصمة حقوقاً تشمل الأفراد على اختلافهم ، بل لأبناء القبيلة الواحدة حقوق لا يمكن أن يقاسمهم فيها أبناء القبيلة الأخرى، ولا زلنا حتى اليوم نفرّق بين الأجنبى والوطنى فى بعض الحقوق والواجبات .

غير أن الحقوق الإنسانية لم تقف عند هذه المظاهر الأولى ، بل تطورت وتدرجت ، فتولد إلى جانب الحقوق الدينية حقوق أخرى مدنية ، وأخذت العادات والتقاليد تنزل من النفوس منزلة التعاليم الدينية ، وصيغت فى قالب أوامر وقوانين محترمة . ورأينا الفرد يبرز بجانب الشعب والقبيلة ، فعرفت شخصيته واحترمت حقوقه ؛ ومن أهم مميزات حضارتنا الحاضرة احترام الشخصية الإنسانية وتقديس ما لها من حقوق . ومن آثار هذا التطور أن تجردت الحقوق من قيودها الشكلية ومظاهرها المـادية ، فنشأت حقوق معنوية وروحية تمتاز كل الامتياز عن الحقوق الشخصية والعينية ، وأضحى الإنسان ، وكلمته حجة ، وتعهده وثيقة لا تقبل النقض . وانتهت الإنسانية أخيراً إلى طائفة من الحقوق يتساوى فيها الجميع ولا يفرق فيها بين صغير وكبير ، ولا بين أمير وحقير ، ولا بين أجنبى ووطنى ؛ هى حقوق الإنسان كيف كان أصله ومنبته ومستواه الاجتماعى وجنسيته .

ولم يتم هذا التطور عفواً ولم تتنوع هذه الحقوق اعتباطاً ، وإنما أثرت فيها عوامل مختلفة وساعدت على نموها واطرادها أسباب شتى . فغرست الديانات بذورها الأولى ، ولولا الدين ما عرفت القبائل الهمجية حقاً ولا احترمت مبدأ ، وفى تشعب الحياة السياسية والاقتصادية ما قضى بتنوع الحقوق وازديادها ، فالنظم الدستورية تعترف للأفراد بحقوق ما كانت تسلم بهـا الحكومات الاستبدادية ، وكثيراً ما طالبت الجماعات بحقوق تحميها من ظلم الظالمين وعدوان المعتدين ، والأجهزة والآلات فرضت للعمال على أصحاب المصانع ورءوس الأموال حقوقاً ما كانوا يطالبون بها من قبل ، وكلما امتدت وسائل الحضارة فى بيئة ما

كثرت الحقوق وتمددت المسئوليات ، وليست الحقوق فى رقيها وتطورها بخاضعة لعوامل اجتماعية فحسب ، بل للفرد فى هذا التطور دخل كبير ، فكثير من الحقوق لم يسلم به إلا بعد أن دافع عنه وناضل فى سبيله أفراد متعاقبون ، وكم أدخل العلماء والباحثون على فكرة الحق من تهذيب وتنقيح ما كان للجماهير أن تصل إليهما

أظننا، بعد أن عرضنا للحقوق فى نشأتها وتطورها، نستطيع أن نفصل فى تلك الخصومة المشهورة المتصلة بأصل فكرة الحق وطبيعتها ؛ والأخلاقيون ، كدأبهم فى المسائل العامة والقضايا الكلية، إزاء هذه المشكلة فريقان : فريق مثالى ينظر إلى الحقائق من حيث هى وبصورها بصورها العليا سواء أطابقت الواقع أم لم تطابقه ، وفريق آخر واقعى يعتد بالأمور الملموسة ولا يعول إلا على الحس والتجربة ، ويرى الفريق الأول أن الإنسان من حيث هو إنسان يستلزم طائفة من الحقوق ثابتة على اختلاف العصور والأزمنة لا تخضع لبيئة ولا لمجتمع ، فهى حقوق أقرها العقل واقتضتها الطبيعة دون أن تتقيد بالحياة الاجتماعية أو تتأثر بها ، وأما الفريق الثانى فيذهب إلى أن فكرة الحق مكتسبة لم تصل إلى كمالها إلا بعد أن مرت بأدوار عدة وتأثرت بعوامل مختلفة ، فليس ثمة حقوق مقدسة لذاتها ، ولا مبادئ أقرتها الإنسانية بصرف النظر عما يترتب عليها من أثر ، والحقوق الطبيعية المزعومة لا يؤيدها الواقع فى شىء ، وإذا شئنا أن نوضح فكرة الحق توضيحاً تاماً فلا بد أن نلم بهذين الاتجاهين ، ونلقى نظرة على هاتين النظريتين

ليست النظرية المثالية حديثة العهد ، فهى ترجع إلى القرن السادس عشر ، ويأبى أنصارها إلا أن يصعدوا بها إلى التاريخ القديم فيتلمسوا لها أصولاً لدى مشرعى الرومان وبعض فلاسفة اليونان ؛ ومُضى المدة كان ولا يزال وسيلة من وسائل ترجيح طرف على آخر . بيد أنها لم تبد فى ثوبها الكامل إلا فى القرن السابع عشر والثامن عشر لدى كثير من المشرعين والأخلاقيين وفى مقدمتهم الفقيه الهولندى « جروسيوس » والأخلاقيان الكبيران « روسو وكانت » ثم جاءت الثورة الفرنسية فأخذت بها وأعلنت حقوق الإنسان تطبيقاً لها وعول عليها نابليون كل التعويل فى وضع قانونه المشهور . وما إن ظهر المذهب الواقعى الذى نادى به « أوجست كونْت » فى القرن التاسع عشر وأيده فيه علماء الاجتماع الآخرون حتى أخذت فى التضاؤل والتراجع وأصبح الفقهاء والأخلاقيون يشكون فى قيمتها العلمية

وتتلخص هذه النظرية فى أن العقل الإنسانى يقضى بطائفة من الحقوق أقرها الناس أو لم يقروها ، فهى ثابتة للأفراد على السواء ولا تسقط بمضى المدة ، ومحاربتها فى جيل من الأجيال لا تقوم دليلاً على بطلانها، كبعض الفضائل السامية التى لم يستطع أفراد بيئة ما التحلى بها . وهذه الحقوق ، فوق أنها عقلية ، طبيعية أيضاً ، فهى ثمرة من ثمار الطبيعة الإنسانية وضرورة من ضروراتها ، ولا يستطيع الإنسان أن يؤدى وظائفه الجنسية والعقلية ويحقق كماله المنشود بدونها ؛ ومن هنا جاء هذا التعبير المشهور : « الحق الطبيعى » الذى يعتبر عنوان النظرية المثالية . وإذن الحق فكرة لا أمر وجودى ، ومبدأ عقلى لا ظاهرة واقعية ؛ والظواهر الواقعية على اختلافها ما كانت لتصل إلى تصوير الحقوق بهذه الصورة المثلى . وقد يسلم بعض المثاليين بوجود حقوق مكتسبة ، ولكنها تختلف عن الحقوق الطبيعية كل الاختلاف ، ولا تسمى حقوقاً إلا بضرب من التوسع والمجاز ؛ وفرق ما بين الحق الطبيعى والمكتسب أن الأول مصحوب دائماً بعاطفة داخلية وشعور باطنى يقدسه ويحترمه وتجمع العقول السليمة على التسليم به

لا نزاع فى أن هذه النظرية المثالية تصعد بفكرة الحق إلى مستوى المبادئ الثابتة والحقائق المسلمة ، وتريد أن تقول إن الحق لم يكن حقاً لمجرد أن العرف رآه كذلك، بل لأن العقل والطبيعة استوجبت أحقيته ، ولا نزاع أيضاً فى أن المثاليين بوجه عام يذهبون إلى أن الحق والخير والفضيلة ذات قيم ذاتية قدسها من أجلها الناس ، وكل ذلك اعتداد بفكرة الحق وتدعيم لها على أساس عقلى لا نتردد فى أن نقدره ونجله . غير أن هؤلاء المثاليين يتناسون الواقع والتاريخ ويغفلون كل التطورات التى مرت بها الحقوق الإنسانية ولا ينظرون إليها إلا فى مرحلة كمالها ويزعمون أن الحقوق كلها نشأت على هذه الصورة . مع أن حقوق الإنسان لم يعترف بها إلا بعد أجيال وثورات عديدة ، ولا تزال حتى اليوم

مجال أخذ ورد ؛ والحقوق الطبيعية ليست من الجلاء والوضوح بالدرجة التي يتصورها بها أنصارها ، فإنا لا نفهم حقاً كانت الطبيعة وحدها مبعثه . وفوق هذا ففكرة الحق مصحوبة بشيء من الحرمة والتقديس لا تستطيع النظرية المثالية أن تفسره ، فهناك حقوق نرى من الإثم الكبير أن نخل بها أو نعدو عليها ، وما ذاك إلا لأن التعاليم الدينية أحاطتها بسياج من الجلال والرهبة . وفي اختصار، لئن كان المثاليون قد تلمسوا في بعض الحقوق أسباباً عقلية وطبيعية تؤذن بأحقيتها ، فليس معنى هذا أن هذه الحقوق إنما استمدت من العقل والطبيعة

لذلك أحسن الواقعيون كل الإحسان في دراستهم للحقوق دراسة تاريخية وتتبعهم لنشأتها وتطورها . والنظرية الواقعية أشبه ما يكون برد فعل للنظرية المثالية ، نبتت في القرن السادس عشر ؛ ثم نمت نمواً عظيماً في القرن الثامن عشر بفضل جهود بعض المشرعين والأخلاقيين ، وبلغت أوجها في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . والواقعيون في الحقيقة قسمان : قسم يرد الحقوق كلها إلى أصل من المنفعة العامة ، ويرى أنها لم تنشأ ولم تتكون إلا تحت تأثير هـذه المنفعة ؛ ويذهب القسم الآخر إلى أن الحق وليد القوة ، نشأ في كنفها وتربى على حسابها ، ولولا القوة ما عرفت الحقوق ولا سلم بها

وربما كان مشرعو القرن الثامن عشر وفلاسفته أول من بنى فكرة الحق على أساس من المنفعة العامة ، وفي مقدمتهم أستاذ القانون الجنائي بيكاريا الإيطالي ، والأخلاقي الإنجليزي بنتام ، والفيلسوف الفرنسي هلفسيوس . ثم جاء واقعيو القرن التاسع عشر عامة ورجال المدرسة الفرنسية خاصة فساروا في هذا الاتجاه وأيدوه كل التأييد . فنرى في انجلترة جون استورت مل وسبنسر ، وفي ألمانيا جيرنج ، وفي فرنسا الفقيه الشهير ديجي ؛ وكل هؤلاء يلتقون في نقطة واحدة ، وهي أن الحقوق أثر من آثار الحياة الاجتماعية ، ولولا المجتمع ما عرف حق ولا قدس واجب . فالحقوق إذن تتغير من بيئة إلى أخرى ، وتخضع لمختلف العوامل الاقتصادية والسياسية والدينية . وإذا كانت المصلحة الذاتية تدفع بعض الأفراد إلى التشبث ببعض الحقوق والمطالبة بها ، فإن المصلحة العامة هي الحكم الفصل في كل هذه الشئون ؛ والشرائع الراقية تتخذ من هذه المصلحة الدعامة لكل القوانين ، فلا حق إلا ما طابقها وجاء موافقاً لمقتضياتها ، وإذا كان أنصار النظرية المثالية يبتدئون بالفرد وحقوقه ، فإن هذه الحقوق لم تعرف إلا عن طريق المجتمع ؛ وقد سبق لنا أن أشرنا إلى أن الحقوق أول أمرها كانت شعبية طائفية ، ثم تطورت على مر الزمان وظهرت حقوق الأفراد بجانب حقوق الهيئات والجماعات

لقد نجح هؤلاء الواقعيون في تفسير الحقوق على ضوء الحاضر والماضي ، وربطوا فكرة الحق بالمجتمع ؛ فأصبحت ذات وجود خارجي ، وبهذا أمكنهم أن يحللوها ويميزوها ببعض الخصائص . ولا نستطيع في العصر الحاضر بوجه خاص أن ننكر ما للمنفعة العامة واعتبارها من أثر في الحياة الاجتماعية ، ولكن رد الحقوق كلها إليها يتنافى مع الواقع ، فهناك حقوق عمرت طويلاً ودان الناس بها مع مخالفتها الصريحة لها . على أن النظم الاجتماعية لا تخضع لموازنة منظمة بين المنافع المختلفة ، وفكرة المنفعة نفسها غامضة غير قابلة للتحديد في يسر ، وقد فشلت في توضيح فكرة الخير والشر ، ولن تكون أعظم نجاحاً في تدعيم فكرة الحق . ومن الغريب أن أنصار هـذه المنفعة العامة هم الذين يقولون إن حب الذات غريزة أولية في حين أن حب الغير غريزة ثانوية فكيف تستطيع هذه الغريزة الثانوية أن تكوّن الحقوق وتتغلب على الغريزة الأولى ؟ ومهما يكن من أمر هذا التناقض فإن هؤلاء النفعيين وفقوا كل التوفيق في ربط الحقوق بحياة المجتمع وعدها ظاهرة من ظواهر تخضع لكل ما يطرأ عليه من عوامل ومؤثرات

ابراهيم مدكور

الـكلام هو اللفظ المركب المفيد

شرح الأجـــرومية !

للدكتور زكى مبارك

ابتسم الزيات وقال : ما هذا التعسف الذى يقع فيه أصحابك الصوفية ؟

فقلت : وما شواهد ذلك التعسف ؟

فقال : ألم تعلم أن أحدهم شرح الأجرومية بطريقة صوفية ؟

***

ثم رجعت إلى نفسى أحاورها فى صمت هو أعنف ما يكون من الضجيج ، فقد تذكرتُ أن حالى فى دنياى كان حال الرجل الذى شرح الأجرومية بطريقة صوفية ، وأخشى أن أصير إلى ما صار إليه ، فلا أظفر من الناس بغير السخرية والاستهزاء !

ولـكن ، هل أملك التوبة من الشطط والجوح فلا أفجع الناس فى أوهامهم من وقت إلى وقت ، ولا أشرح لهم الأجرومية بطريقة صوفية ؟

وكيف أسكت عنهم وأنا أريد أن أطمئن إلى أن لهم وجوداً ذاتيًّا يسمح لهم بالرضا والغضب ، والقهقهة والأنين ؟

إن القلم فى يد الـكاتب هو المِشرط فى يد الطبيب !

وكنت لعهد اشتغالى بالطب أعرف مصير المريض بعلامة صريحة ، هى إحساسه بوخز المِشرط ، فإن صرخ عرفت أنه مرجوّ العافية ، وإن سكت سكوت الجمود لا سكوت الصبر ، عرفت أنه صائر إلى الموت ...

وهل أنسى اليوم الذى سمعت فيه أقبح ألوان السباب من مريض أعملت فيه المِشرط بلا تهيب ولا ترفق لأنقذه من أظفار المنية ؟ !

ثم اتخذت من القلم مِشرطاً أعالج به أمراض القلوب بعد أن فرغت من علاج الأبدان ، فما الذى رأيت ؟

قضيت سنين بدون أن أسمع من مرضاى صرخة جزع أو شهقة بكاء ، فـكدت أيأس من سلامة مرضاى ، وهممت بتوديع مهنة الأدب كما ودعت مهنة الطب ، لأرجع فلاحاً يصاحب الفأس والمحراث فى حقول سنتريس ...

ثم لطف الله بمرضاى فهداهم إلى الصراخ والأنين لأعرف أن الأمل فى نجاتهم ليس من المستحيلات

أما بعد فقد حان الوقت لشرح الأجرومية والألفية والسنوسية بطريقة صوفية

حان الوقت لشرح عجائب النهار وغرائب الليل

حان الوقت لعلاج العقول والقلوب والأذواق والأحاسيس

ولـكننى أخاف ...

ما الذى أخاف ؟

أخاف من عواقب القلم ما كنت أخاف من عواقب المشرط

والدولة تسأل الطبيب الذى يجنى على حياة مريض ، ولكنها لا تسأل المريض الذى يجنى على حياة طبيب

وهل يعرف زملائى كيف هجرت مهنة الطب ؟

هجرت تلك المهنة هجراً غير جميـل بسبب حادث رأيت به شبح الموت

كنت أعمل المشرط بيمناى فى جسد عليل فمس أصبعاً من يسراى فارتجفتُ ، لأن أساتذتى بكلية الطب فى باريس علمونى أن العلم بخطر المرض قد يُفضى بصاحبه إلى الفناء ، ومن هنا جاز أن تصنع جرثومة واحدة بجسم الرجل الصحيح ما لا تصنع ألف جرثومة بجسم الرجل العليل

وفى ذلك الوقت عللت نفسى فقلت : إنما هى جرثومة فانية من جسم يدبّ إلى الفناء ، ولا خوف علىّ وأنا أطاول الدهر بجسم يصارع أجسام العماليق ، وبعد يوم أو يومين أمنت عواقب ذلك الجرح ، ثم انصرفت إلى غير رجعة عن مهنة الطب

واليوم يصنع القلم ما صنع المشرط

أسمع صراخ مرضاى فأبتسم ، لأن صراخهم يشهد بأنهم أهلٌ للحياة ، ولـكن ذلك الصراخ تقع فيه أحياناً ألفاظ غلاظ ينزعج لها ذوقى بعض الانزعاج ، فهل تكون هذه الألفاظ كتلك الجراثيم ؟

إن كان ذلك فسأستشهد فى ميدان الأدب بعد أن فاتنى الاستشهاد فى ميدان الطب ، وعند الله والحب جزائى !

وما خوفى من تلك الألفاظ الغلاظ وأنا بعافية وأستطيع التمرد على جميع الأدواء ، وفى صدرى من اليقين ما يزعزع رواسى الجبال ؟

وهل يصل الطبيب إلى شىء إذا عرف المبالاة بأوهام مرضاه ؟ لقد كتب مرضاى ما يزيد على ألف مقال ، وأسمعونى صراخهم فى كل بلد توجهت إليه ، ولم أر منهم غير الاستخفاف بصُنع الجميل ، وكنت مع ذلك آية فى الصبر على مكاره المعقوق ، فكيف أجزع وقد أمدتنى الأيام بقوة القلم والمِشرط ، كما أمدتنى بقوة الظفر والناب ؟

* * *

قال الزيات : الرسالة تنتظر منك مقالاً لعدد الهجرة لا تكفر فيه كما كفرت فى مقال السنة الماضية !

سبحان الله !

وأنا كفرت فى السنة الماضية ، يا زيات ؟

ألم تعلم ، يا زيات ، أن مقالى كان فرصة ذهبية لعشرات أو مئات يأكلون الخبز باسم الغيرة على الحق ؟ !

إن مقالى عن « النواحى الإنسانية فى الرسول » علَّم أقواماً سهر الليالى فى البحث والتنقيب ، فكيف تبخل فلا تعد ذلك المقال من حسناتى ؟ وكيف تنسى أننى هجت به صدوراً كنت أخشى عليها الموت بالصدأ والجمود ؟

وهل تصدّق أن فى خصومى من يدرك عظمة الرسول كما أدرك ؟

إن بينى وبين الرسول صلة وثيقة هى البلاء بالدنيا والناس ، فكيف يتوهم قومٌ أنهم يغارون عليه أكثر مما أغار عليه ، وهم لا يتقدمون لنصرته إلا مدفوعين بالثمن الذى أعرف وتعرف ؟

إن فى خلق الله من يأكلون الشهد بفضل الرياء ، فكيف يؤذيهم أن نشرب أكواب الصاب والعلقم بسبب القول الصريح؟

ألم يكف ما نعانى من الإيذاء فى سبيل الصدق حتى نشرب السم من أيدى المرائين ؟

وإلى متى يستريح المرضى من أمراضهم بالصراخ ؟

ألا يتقدم الطب فيجد للمرضى علالة غير الصراخ ؟

إن الصراخ كان صوت الطفل وكان أسلوبه فى التعبير عن ألمه قبل أن يعرف النطق ، فما بال قوم يصرخون وقد علمناهم أساليب البيان بالكلام المفيد ؟

ما بال قوم يصرخون وقد هديناهم إلى النطق وشرحنا لهم الأجرومية بطريقة صوفية ؟

ما بالهم يصرخون وقد علمناهم أساليب الصبر الجميل ؟

ولكن لا بأس فالصراخ فن من التعبير عن الألم ، ولا يحس الألم غير الأحياء ، ومعنى ذلك أن مرضانا غير أموات ، ولله الحمد وعليه الثناء

قلت لنفسى : هذا زيد الذى كان يرانى من أشرف الناس ، وذاك عمرو الذى كان يرانى من أعظم الرجال ، وذلك بكر الذى كان يرانى من الأبطال ، فما بالهم ينوشوننى بلا ترفق ولا استبقاء وكنت لهم ظهيراً فى أحرج الظروف ؟

فأجابت النفس : أولئك مرضاك عاودتهم العافية على يديك فهم يشهدونك على أنهم أصبحوا من الأصحاء

فقلت : أما يملكون من التعبير غير هذا الأسلوب البغيض ؟

فقالت النفس : ألست أنت الذى قال بأن الكفر لا يكثر فى غير الأمم القوية ؟

ومن هذا الحديث عرفت أننى نقلت مرضاى من المرض إلى الصحة ، ومن الصحة إلى التمرد ، ومن التمرد إلى الجحود

أما بعد ، ولى فى كل لحظة « أما بعد » لأن ذهنى ينتقل فى عراك الأفكار من ميدان إلى ميادين بسرعة البرق

أما بعد فقد عشت دهرى زاهداً كل الزهد فى خلق المودّات والصداقات ، لأن أهل زمانى لا يرون هذه الأواصر الجميلة إلا ضرباً من ضروب المنافع ، وفيهم من يرى الشكر على المعروف أعظم من المعروف ، فلا يرضيهم إلا أن تعترف بأنك مَدين وإن طوقتَ أعناقهم بقلائد الجميل

وأنا والله راض عما يصنعون ، لأن اللغو الذى يلقوننى به من وقت إلى وقت يشهد بأنهم يملكون من الصحة ما يقدرون به على شتم الطبيب المجاهد الذى استعذب من أجلهم شقاءه بالدنيا والزمان

ولكن ما أصل البلاء الذى نعانيه من الناس ؟

يخاصمنى فريق باسم الأدب ، ويخاصمنى فريق باسم الدين

فأين يقع الحق مما يريد أولئك أو هؤلاء ؟

هل يستطيعون القول بأنهم لا يبتنون من مخاصمتى غير وجه الحق ؟

إن كان ذلك فأين ما هتفوا به من أن الشهرة التى ظفرت بها هى التى تضللنى فتحملنى على مجانبة الحق فى بعض الأحيان ؟

وهذه الشهرة هى أصل تلك الضغائن والحقود ، ولكن ما الذى أصنع وقد هربت من الشهرة مليون مرة فكانت تلاحقنى بلا هوادة ولا رفق ؟

دلونى على جريدة أو مجلة عرضت عليها أدبى بثمن أو بغير ثمن

دلونى على ناد ألقيت فيه محاضرة بدون دعوة

دلونى على عمل توليته بدون أن أستمد له بأهلية الفكر والعقل

هل سمعتم حديث الإذاعة اللاسلكية ؟

يسألنى الناس كل يوم عن سبب انقطاعى عن الإذاعة ، فأين فيهم من يعرف أن لى بمحطة الإذاعة صديقاً كريماً هو الأستاذ سعيد لطفى ؟ وأين فيهم من يعرف أن ذلك الصديق يعجب من انصرافى عن الإذاعة مع أن المستمعين يرحبون بصوتى كل الترحيب ؟ وأين فيهم من يعرف أن الحرص على الوقت هو الذى يضيع علىّ شرف التحدث إلى أصدقائى فى مصر والأقطار العربية ، مع أن لتلك الأحاديث أجراً غير قليل ، ولو شئت لجعلته أجراً غير ممنون كما يصنع بعض الناس !

وأين يضيع وقتى ؟

وهل عندى وقت يصلح للحفظ أو الضياع ؟

وهل للموظف وقت غير السويعات التى يتكلف إحياءها بين الأهل والأبناء ؟

ومن تلك السويعات أخلق الفرصة لمسايرة الحياة الأدبية فأقرأ جميع الجرائد والمجلات ، وأراجع ما يهمنى النظر فيه من المؤلفات العربية والفرنسية ، وأكتب ما أراه من الملاحظات على ما أقرأ وما أسمع ، ثم أخلو بعد ذلك إلى قلمى فى صحبة العفريت الذى سمعتم أخباره فى خطابى إلى الدكتور طه حسين !

وبهذه المناسبة أذكر أنى ركبت المترو منذ أيام فرأيت بالقرب منى فتًى يُشبه كلود ، فقطعت المسافة وأنا مرتاب فى أنه كلود ، ثم عرفت فى النهاية أنه كلود ، ولم أسلم عليه لئلا يتوهم أنى أغضيت عنه كل ذلك الوقت

فكيف قضت الأيام بأن أجهل وجه ابن أخى ، وما عرف فى طفولته أن لأبيه صديقاً أعرف منى بالود ، وأحفظ للهو ؟

ثم أرجع فأقول إن ما تقرأونه بقلمى من وقت إلى وقت هو عصارة تلك السويعات أو تلك اللحيظات ، فما غيظ بعض الناس من الشهرة التى جناها الصبر على سهر الليل ؟

الليل ؟ الليل ؟

وأين من يعرفون سهر الليل فى هذه الأيام ، السهر فى صحبة الورق والمداد ؟

كان من حقى أن أصوّب سنان القلم إلى صدور من يأكلون السُّحت ، صدور الذين يأكلون الخبز باسم اللغة العربية وقد تمضى الأعوام ولا يزوّد أحدهم نفسه بكتاب ثمنُه خمسة قروش ، فضلاً عن المساهمة فى البحث والتأليف

وكان من واجب من عابوا نشاطى أن يوجهوا ملامهم إلى الكسالى الظرفاء من أمثال فلان وفلان وفلان ، وهم قوم أعطاهم الزمن حقوقاً لن أنالها ولو عُمِّرت عمر نوح ، لأن هيامى بصحبة الورق والمداد سيضيع علىّ جميع المنافع الدنيوية ، وقد أموت بسبب الكدح الموصول قبل أن يموت فلان مع أنه وُلد قبل أن يولد أبى. رحم الله أبى وأسبغ على ذلك الفلان ثوب العافية!

ثم ماذا ؟

ثم أوجه القول إلى من يتوهمون أنهم أحرص منى على الدين وأمرى مع هؤلاء عجبٌ من العجب ، فقد شقيت ما شقيت فى خدمة الدراسات الدينية ، ثم كانت النتيجة أن أُتهَم برقة الدين وأن يظفروا بحسن السمعة مع أن فيهم ناساً لا يعرفون أخبار المؤلفات الدينية إلا بالسماع

إسمعوا كلمة الحق مرة واحدة ، أيها الناس

الإسلام دين العدل والتوحيد ، ولكن أين من يخدمه بلا جزاء ؟

فى « مصر الجديدة » نحو خمس وعشرين مدرسة أسسها رجال لهم عقائد من أتباع موسى أو المسيح . فهل فى مصر الجديدة مدرسة أسسها رجال من أتباع محمد ؟

وفى « شبرا » نحو خمس عشرة مدرسة أسسها رجال من ذلك الطراز . فهل استطاع أشياخنا أن يحتلوا فى « شبرا » غير مسجد واحد أنشأته إحدى السيدات المسلمات ؟

وفى أسيوط مدارس أقامها أمثال أولئك الرجال ، فهل بين علمائنا من يقول إنه قدم حجراً واحداً لبناء معهد أسيوط الدينى؟

وفى الأزهر أكثر من سبعمائة مدرس ، فهل فيهم من يرضى أن يعيش باللقمة كما يعيش المكافحون من الفرير والجزويت ولهم مدارس فى أكثر بقاع الأرض ؟

وفى مصر مدارس كثيرة تديرها الراهبات ، فهل بين علمائنا من خلق الروح الدينى فى زوجته فأنشأت مدرسة لتثقيف الفقيرات واليتيمات ؟

إن الأزهر يرسل وعاظاً لبعض الأقطار البعيدة من حين إلى حين ...

ولكن هل تعرفون مصاير أولئك المبعوثين ؟

إذا قامت حرب فى الحبشة أو فى الصين صرخوا واستغاثوا وكلفوا الدولة ردهم إلى أوطانهم فى أقرب وقت !

فهل سمعتم أن مبشراً مسيحيا ترك مقر عمله بسبب الحرب ؟

ومع ذلك يقرأ علماؤنا مقالات رجل مثلى حرفاً حرفاً ليبحثوا عن لفظة نابية يثيرون حولها الأراجيف

ومن يكون المؤمنون إذا حُرِم رجلٌ مثلى نعمة الإيمان الصحيح ؟

آه ، ثم آه ! !

الجهاد فى سبيل الأدب ضائع ، والجهاد فى سبيل الدين ضائع فماذا أصنع وقد شقيت بوطنى وزمانى ؟

من زَغَب الظلم أخذت الخيوط لصياغة الورق

ومن دم الظلم أخذت الحديد لسنان القلم

ومن غضبات الظلم أخذت الكهرباء التى يطالعكم بها بيانى

وعن جنون الظلم نقلت إليكم أقباس الجنون ، وهو على سنان قلمى أشد تماسكاً من العقل

وبفضل الظلم رأيتمونى داعياً من أنصار العدل

زكى مبارك

من الذروة !

شفتاك أغنيتان

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

شَـفَتَاكِ أُغْنِيَتَانِ نا ... غَمَتَانِ فى وَتَرٍ حَزِينْ
صَبَغَتْهُمَا بِلَهِيبِها الْ ... قُـدْسِىِّ نارُ الْمُغْرَمِينْ
وَشَـدَتْهُمَا شَـبَّابَةٌ ... لِلّهِ طاهِرَةُ الرَّنِينْ
أَزَلِيَّـةُ الأَنْغَامِ تَيَّـ ... ـمَ سِحْرُها قَلْبَ السِّنِينْ
فَاهْـتَزَّتَا حِيناً ، وَنُو ... رُكِ مَدَّ فَوْقَهُما السُّكونْ
فإذا هُما شَفَقانِ فى ... أُفُقٍ تَضِلُّ به الْعُيُونْ
مُتَوَهِّجَانِ عَلَى سَنا ... كِ مِن الصَّبابَةِ وَالحنينْ
سَجَدَتْ لِطَيْفِهما التَّمَا ... ئِمُ فى شِفاهِ السَّاحِرِينْ
وَسَجَت جِراحاتُ الْمَسا ... ءِ عَلَى قُلوبِ الحائرِينْ...
إلاّ جِراحًا فى مَسا ... ئِىَ صَاحِبَاتٍ بِالأَنِينْ
سُلْوَانُها شِـعْرُ الشِّفا ... هِ الصَّامِتُ النَّغَمِ الحَزِينْ!

محمود حسن اسماعيل

خليفة حافظ

[بحث نشرته مجلة العصبة البرازيلية فى عددها الممتاز]

للأستاذ توفيق ضعون

لما كنتُ من عشّاق الشعر السائغ ، السهل المبنى ، الواضح المعنى ، المؤدى صورة صادقة من عاطفة ناظمه وهدفه فى الوجود ، ومن كارهى الإغراق والتعقيد ومواراة المعنى المقصود وراء أكثف الحجب التى لا تخترقها البصيرة ولا تعين على استجلائها كتب اللغة ومعاجمها ، بحيث يصبح الشعر كناية عن رموز وطلاسم لا يحلها إلا الله والراسخون فى العلم — فلا بدع أننى كلما وقعت فى يدى جريدة أو مجلة رحتُ أقلب صفحاتها على أعثر على سطور مشطّرة فأقرأ مطلعها راجياً أن يستدرجنى إلى قراءة ما يليه وإلا اكتفيتُ به وقلبت الصفحة آسفاً ، نادماً على الوقت الذى أضعتهُ ، لأن المطلع عندى بمثابة الوجه الذى قد تستهويك النظرة الأولى إليه فتقبل على صاحبه ، أو تنفرك فتعرض عنه

وكان خير ما يستهوينى ، نظراً إلى استيفائه الشروط المقدّم ذكرها ، شعر حافظ ابراهيم ، فلما ارتحل عن هذا الوجود أخذتُ أفتش فى صفحات المجلات المصرية عن خليفة له أجلسه على عرش إعجابى واحترامى فلا أجد ، حتى وقع يوماً فى يدى جزء من مجلة الرسالة التى وجدت فيها ضالتى من حيث الأدب العالى والثقافة العميقة الدقيقة ، فقلبت بعض صفحاته وإذا بى أعثر على أبيات من الشعر استهوانى مطلعها واستدرجنى إلى الإتيان عليها حتى ختامها . وكنا فى إدارة « العصبة » فرحتُ أتلو على مسامع الإخوان تلك الأبيات التى لستُ فيها روح حافظ وأسلوبه الطلى الأخاذ فشاطرونى رأيى . وطفقت منذ ذلك الحين ألتمس آثار محمود غنيم الأدبية فى تلك المجلة الفنيّة بنتاج أدمغة المجلين فى مضمار الأدب فى ذلك القطر السعيد

وعلمت بعد التنقيب أن محمود غنيم مدرّس فى كوم حماده إحدى قرى الصعيد (الصواب أنها فى مديرية البحيرة) يحمّل شعره المجنح شكواه من سوء حاله وضيق مجاله ، فهو يحسب نفسه سجيناً فى تلك القرية يتوق إلى الإفلات منها ولا توق الطائر الغرّيد إلى الإفلات من قفصه ولو كان من ذهب فكيف به وهو من معدن بخس وخشب . مجال ضيق وعيش على وتيرة واحدة يسئم النفس ، وعشرة لا مطمع فيها للأديب الذى يؤثر تغذية روحه على تغذية جسده . وعلام أطيل فى تصوير الحال التى هو فيها ، وقد وصفها هو على أدق وأكمل شكل فى القصيدة التالية وعنوانها « كأس تفيض » . قال :

تعللتُ دهراً بالمنى فإذا بها ... قواريرُ من مسّ الصبا تتحطمُ
لعمركَ لا أدرى على أىّ منطق ... أُشاهد فى مصر الحظوظَ تقسمُ
فمن يكُ ذا قربى وصهرٍ فإننى ... بمصرَ وحيدٌ لا شقيقٌ ولا حمُ
فلا غروَ أنى قد سكنتُ بأرضها ... كما سكنتْ أهرامها والمقطمُ

***

أيذوى شبابى بين جدران قريةٍ ... يبابٍ كأن للصمتَ فيها مخيّمُ
أكاد من الصمت الذى هو شاملى ... إذا حُسب الأحياء لم أكُ منهمُ
وعاشرتُ أهلها سنينَ وإننى ... غريبٌ بأحسامى وروحى عنهم
يقولون : خضراء المرابعِ نضرةٌ ... فقلتُ : هبوها ؛ لست شاةً تُسوّم
على رِسلكم إنى أقيم بقفرةٍ ... يجوز على الأحياء فيها الترحم
حياةٌ كسطح الماء والماء راكدٌ ... فليس بها شىء يسرُّ ويؤلم
وما أبتغى إلاَّ حياةً عنيفةً ... تسرُّ فأرضى ، أو تسوء فأنقم
حياةً كلجّ البحر والبحرُ زاخر ... تدوّى بها الأنواء والرعدُ يهزم
حياة بها جدٌّ ولهوٌ ، بها رضًى ... وسخطٌ ، لها طعمانِ : شهدٌ وعلقمُ

***

حنانيكَ إنى قد برمتُ بفتيةٍ ... أروحُ وأغدو كلّ يوم إليهمُ
صغارٌ نربيهم بمثل عقولهم ... ونبنيهمو لكننا نتهدّمُ
لأوشك أن أرتدّ طفلاً لطول ما ... أُمثل دورَ الطفل بين يديهمُ
فصولٌ بدأناها وسوف نعيدُها ... دواليك ، واللحن المكرر يُسأم

فمن كان يرثى قلبه لمعذَّبٍ فأجدرُ شخصٍ بالرثاء المعلَّم
على كتفيه يبلغُ المجدَ غيرُه فما هو إلا للتسلُّق سُلَّمُ

* * *

يقولون: مِنطيقٌ أغرُّ بيانُهُ فقلت لهم: لكنّ حظى أبكم
أرى الحظّ منقاداً لكل مهرجٍ فأما على الأكفاء فهو محرّم
ألا فليسُدْ مَن شاء حسبيَ أننى ضننت بماء الوجه حين تكرموا

فهل هناك ما هو أوهى من هذه القوارير التى كنى بها عن أمانيه العاثرة، وقد وصفها بكونها تتحطم من مس أخف وألطف النسمات؟ وهل هناك ما هو أدل على حقيقة الواقع من أن لا منطق على الإطلاق فى توزيع الحظوظ؟ وربما صح هذا الحكم على الشهرة نفسها إذ لم يقم أديب إلا اختلف الناس فى تعيين مقداره، وطالما كانت الشهرة نصيب من لا يستحقها لعوامل وأسباب لا علاقة لها بالكفاية المجردة، كأن تسخر الأقدار لغير كفء ما لا تسخره للكفء من المذيعين والمطبلين والمزمرين لهوس أو غاية فى النفس. وأين نجد صورة للعزلة التامة لمقيم فى القطر المصرى كالأهرام والمقطم، يلى ذلك وصف الضجر والسآمة، فحياة الملم والأدوار التى يمثلها، فالاعتصام بعد كل الشكاوى المؤلمة بالصبر والاستمساك بالأنفة والإباء؟

ثم عثرت على صورة ثانية استوثقت منها أن محمود غنيم لا يعدم تعزية، عما هو فيه مستمدة من محيا صغيريه اللذين لا يسأم مداعبتهما كلما عاد إلى منزله عودة الطائر إلى عشه طلباً للراحة والدفء والقوت وهاك ما يقوله فى وصف هذا المشهد بعنوان: «حول المدفأة — أنا وابناى»:

وأطيب ساعِ الحياة لديَّا عشيةَ أخلو إلى ولديَّا
فأُجلس هذا إلى جانبى وأُجلس ذاك على ركبتيَّا
وأغزو الشتاء بموقد فحمٍ وأبسطُ من فوقهِ راحتيَّا
وأحسبنى بين طفلى «شاهاً» وأحسب عشىَ قصراً عليَّا
وما حاجتى لغذاء وماء بحسبيَ طفلاىَ زاداً وريَّا

* * *

فيا ليت شعرى أُعتدُّ بى حياتى فأجنىَ غرس يديَّا
وأشهدَ طفلىَ حين يشبُّ فتًى عالىَ النفس شهماً أبيا
أبوك امرؤ من رجال الكلام فكن أنت يا ابنى امرأً عمليا
فما احتقر الناس إلا الأديب ولا احترمَ الناسُ إلا الغنيَّا

* * *

أيا ابنىّ أحبب بما تكسرانِ وأهوِن بما تتلفانِ عليَّا

فانظر إلى العاطفة الوالدية الصادقة المتجسمة فى هذه الأبيات وأكبر معى التضحية إلى أقصى حدودها كرماً لتلك العاطفة الفياضة بالشعور والحنان، إذ ترافق عدم الإمكان الاستهانة التامة بكل ما يمكن أن يكسره الصغيران المحبوبان، أو يتلفاه إلى حد استحلاء الإضرار وتشجيعهما عليه، وما يتخلل ذلك من تمنيات وعظات.

ومما تقدم رأيت كل الجمال فى روح محمود غنيم. على أنى افتقدته فى رسمه القائم فى بعض صفحات «الرسالة» شاهداً على أن لا علاقة ألبتة بين المظهر والمخبر، ولكن حبذا الدمامة فى الخَلق إذا كانت ترافقها مثل هذه الوسامة فى الخُلق. وعلام أشكو مما يزيد غنيماً شبهاً بحافظ كما يزيد ترشيحه لخلافته تبريراً!

هذا هو محمود غنيم الذى أقدمه الآن لقراء العصبة فخوراً بأننى أقدم شاعراً مجيداً، إذا لم يضارع حافظاً فى أصيله فإنه يجاريه فى ضحاه، وها حاضره يبشر بمستقبل ربما كان أخصب وأجدى. ومما يرجح كفته فى نظرى هو عقم محيطه بالنسبة إلى محيط حافظ أيام كان يطلق صيحاته وأغاريده فى القاهرة حيث المجال الرحب والموحيات والمستثيرات على أنواعها، وكلها مما يفجر الشاعرية، ويبعث الكوامن ويعين على الإجادة. أضف إلى ذلك أنه منذ البداءة حافظىٌّ فى تأنقه وتدقيقه وبراعته فى تخير الألفاظ والبحور والقوافى التى تماشى روح القصيدة، وتكسبها خاصة الإعراب عن مرامى ناظمها، وتساوق حركات وسكنات الحدث الذى تدور عليه أو المناسبة التى اقتضتها

أما مستندى فما سبق وما سيلى مما اقتبسته واجتزأت به مكرهاً بداعى ضيق المجال، من بضع قصائد احترت فى ما أختاره وما أهمله من أبياتها الحسان، وهذا بذاته يدعو إلى الإعجاب بخصب

قريحة الشاعر وسعة اطلاعه ومقدرته على الإجادة ، حتى فى أتفه الموضوعات المطروقة وأبعدها عن استرعاء الالتفات ؛ إذ يغلب فى الشعر أن يكون الجيد منه هو الأندر ، فكيف وقد رأيت الندرة نصيب ما يمكن الاستغناء عنه على رغبتى فى الاختصار تفادياً من التطويل وخشية الملل ؟

شعر تصويرى سداه الدقة ، ولحمته الأمانة فى الأداء ، ونزعة حرة ، وفكر طليق من سيطرة الأوهام ، وخيال واسع يتغلغل فى الأعماق ويكشف الخفايا ، ونفس طموح لا يكبح جماحها إلا الإباء المستحب .

اسمعه يصف راتبه بأبلغ ما يدل على سهولة وسرعة التفلت وقلة الوفاء بالحاجة ، ويجيد التخلص إلى نصيحة غالية يسديها إلى أبناء قومه محذراً إياهم من عواقب الوكل ، وكارهاً لهم الأعمال ذات الكسب المحدود :

ولى راتب كالماء تحويه راحتى ... فيفلت من بين الأصابع هاربا
إذا استأذن الشهر التفت فلم أجد ... إلى جانبى إلا غريماً مطالبا
فقل لشباب النيل قالةَ ناصحٍ ... تعافُ له أخلاقه أن يواربا
إذا مصر لم ترفع قواعد مجدها ... بساعدها لم تقض منه مآربا
وإن نك فى كل المرافق عالة ... على غيرنا عشنا بمصر أجانبا

***

وهناك مطالب أخرى لم تفته فى أبها الإجادة المبتغاة . فمن قوله مخاطباً ملكة الجمال العالمى المصرية بعنوان « ملكة الجمال » بيتان ضمنهما نزعته الاستقلالية ، هما :

كم عاهل ذى سطوة لم يفتتح ... قلباً وإن فتح المدائن والقرى
ما للمها فى مصر تحكم عالماً ... والليث يعجز أن يعيش محررًا

***

وما هى إلا فترة من الزمن حتى يتجلى غنيم فينزع عنه أطمار التذمر والشكوى ويرتدى وشاح الحكمة والاختبار ويتسنم منصة الوعظ والإرشاد ، مصوراً حقيقة الحياة ، ومزيلاً انخداع البشر بأنفسهم ، ومبطلاً ما يدعونه عادة من عفة وتقشف ، ويرشحون ذواتهم من أجله لسكنى دار الخلود ، كما يضرب الرياء والتظاهر ضربة قاضية ، إذ يقول بعنوان « المادة » :

فتشت بين الناس عن زاهدٍ ... فلم تقع عينى على واحدِ
ما أزهد المرء إذا لم يجد ... وأبعدَ الزهدَ عن الواجدِ
فقيمةُ الشعبِ إذا قستها ... بقيمة الصادرِ والواردِ
قد يُحسد المرء على رزقهِ ... ولا أرى للفضلِ من حاسد
لم يخترِ الناس دياناتهم ... بل أخذوا بالمذهب السائد
ليس جمالُ الطبع فى غادة ... مثل جمالِ اليدِ والساعد
يا زاعم العفةِ فى حبه ... ما تبتغى من كاعب ناهد ؟
لم يتقِ الله امرؤ للتقى ... بل لنعيم الجنة الخالدِ
لولا جمال الحور ما لامست ... أرض المصلى جبهة الساجد
هل كنت تلقى فى الورى ساعيا ... لو كان يسعى الرزق للقاعد
سيان من يسعى إلى قوته ... بالسلب أو بالورع الزائد
كم لحية أجدى على ربها ... من ألف سهم بيد الصائد
صاح دعِ الروح ودع قدسها ... نحن عبيد الجسد الفاسد

***

فإذا وقفته على الشاطئ الرملى فى الإسكندرية يمتع طرفه بمرأى المستحمات ويشبع نهمه من محاسنهن خلع العذار وأجاد فى وصف ذلك المشهد البديع وسال رقة بمقطعات غزلية موشاة منمقة مطرزة كأنها بستان فيه من كل فاكهة زوجان . وهذا بعضها :

أعوارٍ تلك الدُّمى أم كواسى ... بلباسٍ يفصّل الأجساما ؟
لا وقاه الله البلى من لباسٍ ... إنه كان واشياً نماما

***

أيها المشتكى من الإقلالِ ... متّع النفسَ بالجمال متاعا
لم يُبيحوا لنا شيوعَ المالِ ... وأباحوا لنا الجمال مشاعا

***

لا تضيّقوا بالمعصم المكشوف ... وتقولوا : خير الجمال المصونُ
ما غناء الشذى بغير أنوفٍ ؟ ... قيمةُ الحسن أن تراهُ العيون

وانظر إلى رشاقته فى وصف راقصة أخذت عقله بخفتها ومرونة أعضائها وحسن تثنيها إذ يقول :

كأن تحت إخمصيها جمرة مشتمله
باسمةٌ يحسبها كل فتى تبسم له
أبدلهــا خالقها بكلّ عظمٍ عضله
جسم كوج عيلم تسبح فيه الأخيله
تحسب فيــه كل عضوٍ وحدةً منفصله
فى مرقص لا يعــرف الهم فؤاد نزله
الهمُّ فيــه واقفٌ خجلان يخفى خجله
دعنى أملْ ساعة عبء التقى ما أثقله
ما كنت من أهل المسوح والذقون المسبله
كم ورعٍ مصطنعٍ وعفــةٍ مفتعله

***

وأخيراً انظر إليه فى النقد الصائب واللوم العادل والتنبيه إلى الواجب ، إذ يصف بنى قومه الذين يترسمون خطى الغرب دون تخير أو استثناء :

يترسمون الغرب حتى يوشكوا أن يعبدوه عبادة الأصنام
ما قلدوهم مبصرين وإنما تبعوا نظامهمُ بغير نظامِ
ماصاغ ربك من نضار خالص شعباً ، وشعباًمن حصىً ورغام

***

هذا الكثير المختار من بضع قصائد عامرة قليل من كثير ، ولعمر الحق إن شاعراً تقع له مثل هذه الإجادة وتصاد من ساحله كل هذه الدرر، لهو بحر زاخر لا يجوز أن نطمره أو نضع فى سبيله الحواجز والسدود ، بل يجب أن نهيء له الحياة التى اختارها وأحسن وصفها فيما سبق لى نقله من أنات آلامه وحشرجات شكاويه ولعل هذا الصوت الضعيف يصل إلى آذان القادرين من إخواننا المصريين ، فيجد صدًى فى نفوسهم يستفزهم إلى إنصاف هــذا الشاعر المجيد المغبون فيعود إلى مصر حافظها متقمصاً فى شخص محمود غنيم .

توفيق ضعون

الربيــع
فى باريس

نظم الشاعر هذه الأغنية وهو موجع الجنب ، سنة ١٩٢٨ ؛ ثم نظر فيها وزاد عليها . وفى المقطع الثانى من القصيدة إشارة إلى انبثاق الربيع فى باريس بعد طول حبس الشتاء له ، وإشارة إلى الثلج المغشى وجه الأرض يمحوه الربيع فيعيد المعالم .

عانقِ العــودَ وهاتِ هَمْسَ أنغامِ الشكاةِ
خففِ اللَّمْسَ عن الأو تارِ واضربْ فى أناةِ
كلُّ مارنَّ وبثَّ الــهمَّ نَبْضٌ من فؤادى

يا ربيعاً واثباً كالنَّــهْدِ من ظُلْمِ حجابِ
ناثراً فوق مشيبِ الــأرْضِ آياتِ الخِضابِ
هدأ الحظُّ به هَدْ أةَ حيرانَ بهادِ

يا ربيعاً ناسجاً أسْرارَ تحنانِ الفتاةِ
حولَ أثمارٍ رطابٍ تتدلّى داعيــاتِ
فرِح الطَّيْشُ به فرْ حةَ محرومٍ بزادِ

عُطِّلتْ عيــدانُك الغُــنُّ بتردادِ عِتابى !
جئتَ كالفجر يُعانى خدَّه جَهْمَ الضَّبابِ
جئتَ بالهوِ فؤاداً طاحَ مسلوبَ القيادِ

عانقِ العــودَ وهاتِ هَمْسَ أنغامِ الشكاةِ
خففِ اللَّمْسَ عن الأو تارِ واضربْ فى أناةِ
كلُّ مارنَّ وبثَّ الــهمَّ نَبْضٌ من فؤادى

باريس *بشر فارس*

٢ - لقب السفاح

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

نقل الأستاذ العبادى البحث فى هذا الموضوع إلى ميدان آخر غير الأول ، فأنكر أن يكون السفاح لقباً لأبى العباس ، وذهب إلى أنه لقب عمه عبد الله بن على واليه على الشام ، وحجته فيما ذهب إليه من ذلك تنحصر فيما يأتى :

١ — أن الرواية التاريخية القديمة كرواية ابن سعد وابن عبد الحكم والبلاذُرىّ وأبى حنيفة الدِّينَوَرِىّ وطَيْفُور واليعقوبى والطبرى والنُّوبَخْتىّ والكندىّ لم تلقِّب أبا العباس بالسفاح ...

٢ — أن تلقيب أبى العباس بالسفاح من رواية المؤرخين الأدباء كالجاحظ وابن قتيْبةَ والأصفهانى

٣ — أن رواية ابن سعد واليعقوبى وصاحب أخبار مجموعة وصاحب الإمامة والسياسة تجعل السفاح لقباً لعبد الله بن على عم أبى العباس

٤ — أنه رجع إلى سيرة أبى العباس قبل الخلافة وبعدها فلم يجد فيها ما يسوغ تلقيبه بالسفاح بمعنى القتال ؛ أما سيرة عمه عبد الله وما سفكه من دماء بنى أمية بالشام فتسوغ له ذلك اللقب

ونحب أن نبين ما فى هذه الحجة الأخيرة من غفلة ظاهرة ، قبل أن نمنى برد ما قبلها من الحجج ، فإن أبا العباس هو الذى سلط عمه عبد الله بن على على بنى أمية بالشام، فهو مسؤول عن كل ما فعله معهم ، وشريكه فى الدماء التى سفكها ، والنفوس التى أزهقها ، على أن أقسى ما فُعل مع بنى أمية مختلف فى نسبته إليه أو إلى عمه عبد الله بن على ، وهو ما روى أن شبل بن عبد الله مولى بنى هاشم دخل على أبى العباس أو عمه عبد الله على اختلاف الروايتين ، فوجد عنده عدة من بنى أمية نحو تسعين رجلاً ، وقد اجتمعوا عند حضور الطعام ، فأنشده :

أصبح المُلكُ ثابت الآساسِ ... بالبهاليل مِنْ بنى العباسِ
طلبوا وِتْرَ هاشمٍ فشفوْها ... بعد مَيْلٍ من الزمان ويأسِ
لا تُقيلنّ عبد شمس عِثاراً ... واقطعنْ كل رَقلةٍ وغِراسِ
ذُلُّها أظهر التوَدُّدَ منها ... وبها منكم كحدِّ المَوَاسِى
ولقد ساءنى وساء سوائى ... قربهم من نمارق وكراسى
أنزلوها بحيث أنزلها اللـ ... ـهُ بدار الهوان والإتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد ... وقتيل بجانب المِهْراس[(١)]
والقتيل الذى بحرّان أضحى[(٢)] ... ثاوياً بين غُربةٍ وتَناسِ

فأمر بهم أبو العباس أو عبد الله فضربوا بالعمد حتى وقموا ، وبسط عليهم الأنطاع ، ومد عليهم الطعام ، وأكل الناس وهم يسمعون أنينهم ، حتى ماتوا جميعاً

وإذا لم يكن أبو العباس هو الذى فعل ذلك فقد سلط عمه عبد الله عليه ، وافتخر به فى بعض أحاديثه ، ونسب ما حصل لبنى أمية من القتل والتمثيل إلى نفسه ، فروى المسعودى أنه لما أتى برأس مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية ووضع بين يديه، سجد فأطال ، ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله الذى لم يُبق ثأرى قِبَلك وقبل رهطك ، الحمد لله الذى أظفرنى بك وأظهرنى عليك، ثم قال : ما أبالى متى طرقنى الموت ؟ قد قتلت بالحسين وبنى أبيه من بنى أمية مائتين ، وأحرقت شِلْوَ هشام بابن عمى زيد بن على ، وقتلت مروان بأخى إبرهيم ، وتمثل :

لو يشربون دمى لم يرْوِ شاربُهم ... ولا دماؤُهمُ للغيظ ترْوينى

ثم حول وجهه إلى القبلة فأطال السجود ، ثم جلس وقد أسفرَ وجهه ، وتمثل بقول العباس بن عبد المطلب من أبيات له :

أبى قومنا أن يُنصفونا فأنصفتْ ... قواطعُ فى أيماننا تقطرُ الدَّما
توورِثْن من أشياخ صِدْقٍ تقربوا ... بهنّ إلى يوم الوَغى فتقدَّما
إذا خالطتْ هام الرجال تركْنها ... كبيض نعام فى الوغى مُتحطَّما

ومن يقرأ هذا يجزم بأن أبا العباس كان يحمل قسطا كبيراً من دماء بنى أمية مثل عمه عبد الله أو أشد ، لأن كل هذا الذى سفك من دمائهم لم يكن بحيث يروى ما عنده من الحقد

(١) هو ماء بأحد قتل عنده حمزة بن عبد المطلب
(٢) هو إبراهيم الامام أخو أبى العباس

ولقد كان له سفاح آخر نسيه المؤرخون ، ولم يكن بأقل من عبد الله بن على سفكاً للدماء ، ذلك هو سليمان بن على أخو عبد الله وعم أبي العباس ، فقد ولاه البصرة وسلطه على من كان بها من بنى أمية ، فقتل من كان بها منهم ، وألقاهم فى الطريق فأكلتهم الكلاب ، وكذلك سلط عمه داود بن على على من كان منهم بالحجاز فسفك دماءهم وأفناهم

وقد تولى هو بنفسه سفك بعض من الدماء أيضاً ، ومن ذلك دم سليمان بن هشام بن عبد الملك ، فإنه كان قد وفد عليه من الشام فرحب به وقربه واستلطفه ، للذى كان بينه وبين ابن عمه مروان بن محمد ، فكان سليمان يختلف إلى مائدة أبي العباس فى كل يوم ، فيتغدى معه ويتعشى ، وكان كأحد وزرائه أو فوقهم ، وكان يجلس أبا جعفر عن يمينه وسليمان عن يساره ، وما زال هذا شأنه حتى دخل سديف بن ميمون مولى بنى العباس فأنشده :

لا يغرّنك ما ترى من رجالٍ إن تحت الضلوع داء دَوِيّا
فضَعِ السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهـرها أمويّا

فأمر أبو العباس بسليمان فقتل ، ونسى ما كان من أمانه وإكرامه له ، وكذلك قتل وزيره أبا سلمة الخلاّل ، ولم يكن له ذنب عنده إلا اتهامه بالميل لبنى علي ، وأمر أيضاً بقتل ابن هبيرة بعد أن أخذ عليه من الأمان ما أخذ ، فلما مضوا نحوه خر ساجداً وقال : ويحكم نحُّوا عنى هذا الصبي لا يرى مصرعى ، فضربوه حتى مات ساجداً

ويطول بنا الكلام لو ذهبنا نستقصى ما سفك أبو العباس وأعمامه وإخوته من الدماء ، ولقد كانوا كلهم شركاء فيها ما عدا سليمان بن على ، فإنه كان أحنّهم على بنى أمية ، وكان يكره سفك دمائهم ، ويجير كل من استجار به منهم ، حتى كان أبو مسلم يسميه كنف الأمان ، وهو الذى كتب فى بنى أمية إلى أبى العباس : يا أمير المؤمنين ، إنا لم نحارب بنى أمية على أرحامهم ، وإنما حاربناهم على عقوقهم ، وقد دفت إلى منهم دافّة لم يشهروا سلاحاً ، ولم يكثروا جمعاً ، فأحب أن تكتب لهم منشور أمان . فكتب أبو العباس منشور أمان لهم ، وقد مات سليمان وعنـده بضع وثمانون حرمة لبنى أمية[1]

فهذا هو العباسى الوحيد الذى كره سفك الدماء ، ولم يكن يباهى بسفحها كما باهى أبو العباس وغيره من أعمامه وإخوته ، وهو الذى كان يصح أن يهتم الأستاذ العبادى بنفى لقب السفاح عنه لو ألصق به ، أما أبو العباس فإن سيرته بعد الخلافة طافحة بسفك الدماء ، ومن التجنى على التاريخ أن يقول الأستاذ العبادى إنه رجع إلى سيرته قبل الخلافة وبعدها فلم يجد ما يسوغ تلقيبه بالسفاح بمعنى القتال ، وهو فى هذا أشد من أبي العباس غيرة على نفسه ، أو كما يقولون: ملكى أشد من الملك ، لما سبق من تباهى أبى العباس بسفك الدماء ، ومن وصفه نفسه فى بعض خطبه بما لا يرضى الأستاذ العبادى أن يوصف به

وسنبين للأستاذ العبادى كيف اختلفت الروايات بعد هـذا فى لقب السفاح بين أبى العباس وعمه عبد الله ، وليكن هذا فى مقالنا الآتى

عبد المتعال الصعيدى

(١) هكذا روى عنه صاحب العقد ، وهو ينافى ما ذكرناه من قتله من كان من بنى أمية بالبصرة ، وأنه ألقاهم فى الطريق فأكلتهم الكلاب ، فلعل هذه الشفقة أدركته أخيراً عليهم


رسالة الشعر


وحدة

للأستاذ أمجد الطرابلسى

ـ أيها الحائر عبْرَ المدى   على جناح الزمن الدائرِ
صرخْ، وشُقّ الجوّ قبل الصّدى   وامخرْ عبابَ الأفق الباهرِ
بحثْ عن السّلوى وتاج الهدى   هيهات ! ما فجـرك بالسّافر
هل من وراء البحث إلا الرّدى ؟
فما ضياع العمر فيه سُـدَى ؟
كما ذوَى الوردُ وجفّ الندَى ...

تَ الذى من قبل أن يولدا   قُدّرَ أن ينزلها أوحدا
والغدُ مثلُ الأمسِ والحاضرِ ...
فما الذى تَنْشُـدُ يا شاعرى ؟

يحك أنّي ساورتك الهمومْ   والجرح يسلو ههنا مَوْجِعَهْ ؟
ـ عرسِ الدنيا تَملُّ الوجوم !   حيث تُجَنُّ الأكؤسُ المترعه
حيث اللذاذات تؤز الجسوم   والنور يغرى الظلمة المفزعه
فأين ترجو أن يكون النعيم ؟
يا ابن الثوانى وسـليل الرميم !
فى اليمّ ، أم فوق ظهور النجوم ؟

ـنت الذى من قبل أن يولدا   قدّر أن ينزلها أوحدا
والغد مثل الأمس والحاضر ...
فما الذي تنشـد يا شاعري

حيران يا حيران ! أين الضياء   إن لم يكن حيث تَشَكّى العمى؟
الحسن والحبُّ ومِرْحُ الهناء   حيث تَرَى هذا المدى المظلما ...
انظر إلى حولك يا ابن الفناء   فالوردة الحمراء ليست ... دما !
تدوس نعـلاك كنوزَ العزاء
وأنت تمضي ناظراً للعـلاء
فما الذى ترجوه عند السماء ؟

أنت الذى من قبل أن يولدا   قدّر أن ينزلها أوحدا
والغد مثل الأمس والحاضر ...
فما الذي تنشد يا شاعرى ؟

أمسِ لدي الأهل وبين الصّحاب   كنت تُحِسُّ السّأمَ الراعبا
فى صفحةِ الجدول تَلْقى السّرَابْ   وفى الجِنانِ العَدمَ الشاحبا
واليومَ ، فى دنيا الهوي والشباب   تشتاقُ ذاك الألمَ الذاهبا
لاراحة ... لافرح ... لاعذابْ !
تزيح كفاك ستورَ الضّباب
فى زَحمة النـور البَهِيّ المُجاب

أنت الذى من قبل أن يولدا   قدّر أن ينزلها أوحدا
والغد مثل الأمس والحاضر ...
فما الذى تنشد يا شاعرى ؟

كرعتَ مما زعموه الجمالْ   وخُضْتَ للسّلوى خِضَمَّ البشرْ
شاطرتَهُمْ نُسْكَهُمُ وَالضّلالْ   فمنك فى كل مكان أثر
ياليت شعرى ! بعد طولِ النّضال   هل قد سلا قلبُك.. أم هل شَعَر؟
أنّى ! ولو نلتَ بعيـدَ المنالْ
وهِضْتَ فى التّحليق جُنْحَ الخيالْ
فأنت فى كهفكَ رهنُ الحِبالْ

أنت الذى من قبل أن يولدا   قُدّر أن ينزلها أوحدا
والغد مثل الأمس والحاضر ...
فما الذى تنشـد يا شاعري ؟

الصخرة الصمّاء بين الصّخَرْ   جرداء لكنْ لا تَعى قَفْرَها
سيّانِ حيّاها النّدى فى السّحَرْ   أم ألهبَ الحرُّ ضحّى ظَهرَها
ياسعدها ! ليستْ تُحس الكدَرْ   لا ساءها القحطُ ولا سرّها !
وأنت في قفرك رهن الفِكَرْ
تلمس بالكف طيوف الضّجَر
يا ويل قلبٍ لم يُصَغْ من حَجَر ... !

أنت الذى من قبل أن يولدا   قُدّر أن يَنْزلها أوحدا
والغدُ مثل الأمس والحاضر ...
فما الذى تنشد يا شاعرى ؟

« باريس »   أمجد الطرابلسى

اثنان في سيارة

للدكتور ابراهيم ناجى

مِنْ أى أكوان وأى زمان   يا ساعةً بسطت ظلال أمان
هل كنت حين هبطتِ غير ثوانى   ومداك فوق الظن والحسبان !
العمر أكثره سدى وأقله   صفوٌ يتاح كأنه عُمران !
كم لحظة قصُرتْ ومَدت ظلها   بعد المغيب كدوحة البستان
وتمر فى الذكرى خيال شبابها   فكأن يقظتها شباب ثان !
مَنْ ذلك الطيف الرقيق بجانبي   كفاه فى كفي هاجعتان !
إنى التفتُّ إلى مكانك بعد ما   أخليته فبكيتُ سوء مكانى !
لكأننا والأرض تطوى تحتنا   نجمان فى الظلماء منفردان !
لكأننا والريح دون مسارنا   خطان فى الأقدار منطلقان !
هل كان ذاك القرب إلا صيحة   همَّتْ بها شفتان ترتجفان
هل كان ذاك القرب إلا لوعة   ونداء مسغبة إلى حرمان !
والناس مُستبقون كلٌّ يبتغى   غرضاً يكافح دونه ويعانى
حُمَّى مقدرة على الإنسان   تبقى بقاء الأرض فى الدوران
وكأنما هذى الحياة بضوئها   وضجيجها ضربٌ من الهذيان

يا سرَّها !...

للأديب محمود السيد شعبان

يا سِرَّها ... أنا عَابِدُ الـ   أَسْرَارِ فى مَلَكُوتِ قلبِي !
أنا مَنْ سَكَبْتُ الرُّوحَ قُرْ   باناً عَلَى مِحْرَابِ حُبِّي ...
إنْ كُنتُ أهوَى فيكَ أحْـ   لَامِي فما حُبِّيكَ ذَنْبِي !
مِنْ طُولِ حِرْمانِي أَنِفْـ   تُ تَعَاسَتِي وَعَشِقْتُ جَدْبِي !

***

يا سِرَّها ... مَنْ لِلْخُلو   دِ سِوَاكَ يا ابْنَ النُّورِ مَنْ لَهْ ؟
أشرَقْتَ فى التَّارِيخِ يَحْـ   دُوكَ الهوَى فجَمَعْتَ شَمْلَهْ
وَأَضَأْتَ لِلأَزَلِ الخَفِـيِّ   طَرِيقَهُ فهدَيْتَ عَقْلَهْ ... !
عَيْبُ الهُدَى أَنَّ الهُدَا   ةَ عَلَيْكِ يا دُنْيَايَ قِلَّهْ !

***

يا سِرَّها ... أهواكَ لَـ   كِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ نَفْسِي !
أَرْجُوكَ لِي وَحْدِي وَمَا   أَنَا مَنْ خَلَقْتُ شَقَاءَ نَفْسِي
ظَمْآنُ وَالْخَمْرُ الحَلَا   لُ تَفِيضُ مِنْ دَنِّي وَكَأْسِي !
ضَيَّعْتُ فى بِيدِ الحَيَا   ةِ مَوَاهِبِي وَفَقَدْتُ حِسِّي

***

يا سِرَّها ... مَنْ لِي سِوَا   كَ إِذَا تَرَكْتَ القَلْبَ وَحْدَهْ ؟
لَا الوَهْمُ يُؤْنِسُهُ وَلَا الدُّ   نْيَا تَرُدُّ عَلَيْهِ سَعْدَهْ ...
أَشْقَاهُ أَنَّ الوَحْدَةَ الْـ   خَرْسَاءَ تَرْعَى الْيَوْمَ عَهْدَهْ !
يا لَيْتَ مَنْ يَهْوَى تَصُو   نُ وِدَادَهُ وَتَحُفُّ مَهْدَهْ ...!

***

يا سِرَّهـا ... أنَا تَائِهٌ   ضَلَّ السَّبِيلَ إِلَى مَرَادِكْ
أَنَا شَاعِرٌ شَاقَتْهُ أَطْـ   يَافٌ تَرِفُّ عَلَى مِهَادِكْ !
أَنَا عَابِدٌ فِي هَيْكَلِ الْـ   أَشْوَاقِ حَنَّ إِلَى وِدَادِكْ !
أَهْوَى الحَقِيقَةَ فِيكَ فَاجْـ   عَلْ مِنْ حَيَاتِي بَعْضَ زَادِكْ !

***

يا سِرَّها ... فِي مَعْبَدِ الْـ   أَلْحَانِ قَدْ بَارَكْتُ رُوحِي !
وَمَضَيْتُ وَحْدِي فِي الحَيَا   ةِ تَئِنُّ مِنْ أَلَمٍ جُرُوحِي !
حَيْرَانَ أَحْمِلُ عِبْءَ آ   مَالِي وَأَكْبَحُ مِنْ جُمُوحِي!
الجَـدْبُ أَتْعَسَنِي وَمَا   مِنْ قَبْلُ أَسْعَدَنِي طُمُوحِي!

***

يا سِرَّها ... هَاتِ النَّعِيـ   مَ بِجُرْعَةٍ لِي مِنْ دِنَانِكْ !
وَاسْكُبْ عَلَى قَلْبِي الحَنَا   نَ فَقَدْ ظَمِئْتُ إِلَى حَنَانِكْ
وَامْسَحْ بِكَفِّكَ كُلَّ آ   لَامِي لِأَسْعَدَ فِي زَمَانِكْ
مَا لِلشَّقِيِّ طَغَتْ عَلَيْـهِ الْـ   مَادِيَاتُ سِوَى أَمَانِكْ !

***

يا سِرَّها ... قَدْ ضَـلَّ بِي   أَمْسِي فَجِئْتُ إِلَيْكَ وَحْدِي!
وَدَّعْتُـهُ وَمَضَيْتُ يَهْـ   دِينِي إِلَى دُنْيَاكَ وَجْدِي !
النُّورُ مِلْءُ دَمِي فَكَيْـ   فَ أَضِلُّ يا نَجْوَايَ قَصْدِي ؟!
وَالحُبُّ ؟ ... هَلْ كَانَ الهَوَى   إِلَّا أَنَاشِيدِي وَمَجْدِي ؟!

***

يا سِرَّها ... أنَا عَابِدُ الْـ   أَسْرَارِ فِي مَلَكُوتِ قَلْبِي !
أَنَا مَنْ سَكَبْتُ الرُّوحَ قُرْ   بَاناً عَلَى مِحْرَابِ حُبِّي ...
إِنْ كُنْتُ أَهْوَى فِيكَ أَحْـ   لَامِي فَمَا حُبِّيكَ ذَنْبِي
مِنْ طُولِ حِرْمَانِي أَنِفْـ   تُ تَعَاسَتِي وَعَشِقْتُ جَدْبِي !



الشعر والشعراء

أخشى أن يكون أهمُّ أركان الشعر إحساسُ الشاعر بمعانيه إحساساً كاملاً نافذاً متغلغلاً، لا يدعُ للمنطق العقلي المجرَّدِ عملاً في تكوين شعوره. وليس معنى ذلك أن يَتعرَّى الشعر من المنطق العقلي المجرد، بل معناه أن ينقلب المنطق العقلي — بكماله وتمامه وقوته واستوائه واستقامته — حاسةً دقيقة مدبِّرة تعمل في حياطة الإحساس والقيام عليه وتصريفه في وجوهه على هُدًى لا يضل معه، فلا يشرُد عن الغرض الذي يرمي إليه في التعبير عن الصور التي تنشأ لهذا الإحساس. وإذن فأكبرُ عمل المنطق العقلي في الشاعر — أن يُمِدَّ الإحساسَ بما ليسَ لَهُ من الاستواءِ والاستقامةِ والسداد، وكذلك تتداعى إليه الألفاظُ التي يريدُ التعبير بها مقترناً بعضها إلى بعض، بحيث لا تخرج هذه الألفاظ في الكلام حائرة قلقة، تجول في عباراتها من انقطاع الرباط الذي يربطها بالمعاني التي أحسها الشاعر، فهاجته فغلبته فأراد التعبير عنها تعبيراً صافياً مهتزاً متغلغلاً قوياً، فيه صفاء الإحساس، واهتزازه وتغلغله وقوته

وأداة المنطق العقلي هي اللغة، والعقل بغير اللغة لا يستطيع أن يستوي ويتسلسل ويتصل، ولا أن تتدفق معانيه في مجراها الطبيعي.

فالمنطق العقلي كما ترى هو خزانة اللغة التي تمول الإحساس، فهو يتقاضاها ماتستطيع أن تمده به من المادة التي تمكنه من الظهور والانتقال. فربما أخذ من اللغة ما هو «موصل رديء» للاحساس، وربما أخذ منها ما هو «موصِّل جيد» يستطيع أن يسري فيه إلى قارئه أو سامعه. فإذا عرفت هذا أيقنت أن الشعر يتصل أول ما يتصل بإحساس قارئه وسامعه، فيهزه بقدر ما تحمل ألفاظه من إحساس قائله. فإذا أخفق أن يكون أثره كذلك، فرجع هذا إلى أحد أمرين:

إما أن الشاعر لم يُوَفَّق إحساسُه في الاستمداد من لغته ـ ما يطابق الإحساس ويكون «موصِّلاً جيداً» له؛ لأن منطقه العقلي لم ينبذ إليه من مادته ما هو حق المعاني التي يتطلبها إحساسه، هذه واحدة. أو لأن مادة هذا المنطق العقلي أفقر من إحساس الشاعر، فهي لا تملك عندها ما يكفي للتعبير عن إحساسه، فهذه أخرى. ولهذه العلة الأخيرة تجد كثيراً من عامة الناس ليسوا شعراء، ومع ذلك فربما كان أحدهم أدق إحساساً وأعمق وأعنف، ويكون إحساسه أحفلَ بالمعاني وأغنى، وإنما يقطعهُ عن الشِّعر هذه العلة، وهي فقر المنطق العقلي من اللغة التي هي مال له. أو انقطاع المنطق العقليّ دون الوصول إلى المنطقة التي ينقلب فيها هذا المنطق ـ بكماله وتمامه وقوته واستوائه واستقامته ـ حاسة دقيقة مدبِّرة تعمل في حياطة الإحساس والقيام عليه وتسديده للغرض الذي يرمي إليه في التعبير عن معاني الإحساس، كما قدمنا آنفاً.

وأما الأمر الثاني ـ الذي يُخفِقُ بسببه الشعر في التأثير ـ فمردُّهُ إلى القارئ أو السامع. فإذا كان إحساسُ السامع أو القارئ ضعيفاً بليداً غثًّا، فمهما يأته من شعر حافل قويٍّ عنيف دقيق العبارة عن إحساس شاعره ـ فهو لديه شيءٌ فاترٌ ضعيفٌ لا يهزُّه ولا يبلغُ منه ولا ينفذُ فيه؛ وهذا الضرب من العامة الذين لا يتأثرون بالشعر لا يُعتد بهم ولا ينظر إليهم، ولكن هناك ضربٌ آخر يكون بليغ الإحساس جيد التلقي، صالحاً للتأثر بما ينتقل إليه من هزة الإحساس فيهتز لها ويطرب، وقد يكون مع ذلك خِلْواً من اللغة التي يعبِّر بها الشعر، إذ ليس له منطقٌ عقليٌّ سامٍ متخير للكلام يختزن اللغة لنفسه إذا فكَّر، ولفهمه إذا حُدث أو أُنشد؛ فهو ربما سمع الشعر الجيد فلم يبلغ منه المبلغ الذي أريد له هذا الشعر، وكثر هؤلاء في عصرنا هذا حتى سقط الشِّعر ولم يحفلْ به إلا قليلٌ؛ وهم لم يكونوا كذلك إلا لفساد التعليم وقلة احتفاله باللغة وبيانها وأسلوب مجازها، ولأن الجهلاء والسخفاء هم سوادُ الناس؛ وفساد الطبائع فيهم راجعٌ إلى هذين: فمخالطة الجهالة تورث الجهالة والخبال، وترك التعلم وسوء التعليم ذريعةٌ مفضيةٌ إلى الجهل والبلادة، فكيف — مع هذين — يخلص أحدهم من فقر العقل وبلادة التأثر بالشعر البليغ الحافل بالإحساس المشبوب العنيف؟

فأنت ترى : أن اللغة المتخيرة المرصدة للتعبير عن الإحساس تعبيراً مسدداً بالمنطق المقلى الذى لا يزلّ على مدارج المجاز فتنقطع صلاتُه بحقائق المعانى التى وضعت لها هذه الألفاظ اللغوية ... ، ثم المنطقُ العقلى الذى يختزن هذه اللغة ، ويستطيع أن يتحوّل حاسة دقيقة مدبرة تقوم على الإحساس وتحوطه من الضلال ... ، ثم المعانى التى يتمثلها إحساس الشاعر حين يَهيجه ما يؤثّر فيه تأثيراً قوياً عنيفاً ــ هذه الثلاثة هى ، مادة الشعر الجيد ، فإذا سقط أحدها أو انحط أو ضعف ؛ سقط الشّعرُ بسقوطه أو انحط أو ضعف

وأنا أقول : إن أكثر شعر العصر العربى الحاضر قد انحط وضعف وسقط ، لأن أكثر الشعراء قد بلغ منهم العيب مبلغاً أفسد كل ما يمتدُّ به من آثار « الشاعرية » التى بقيت فيهم ؛ ولم يخلص لأحد منهم جميع هذه الثلاثة التى ذكرنا . ولكن بقى لشاعرين أو ثلاثة ما يمكن أن يُلحقهم بأهل الرتبة الأولى من الشعراء العبقريين ؛ وهذه الرتبةُ الأولى إنما نتخيلُها ولا نكاد نعرف أحداً استوى عليها، فملك فيها بيان العربية وشعرها يصرفهما كيف شاء ، فيكون فى تاريخ اللسان العربى عبقرية جديدة كامرئ القيس ، ومسلم بن الوليد ، والمتنبى ، وأبى نواس ، والبحترى ، وأبى تمام ، وغيرهم ممن يعد لساناً وحده ...

شاعر ! !

وأحد هؤلاء الشعراء الثلاثة الذين سيدفعون أنفسهم فى مجاز العربية حتى يبلغوا الرتبة الأولى — فيما نتوهم — هو « محمود حسن إسماعيل » : فهو إنسان مرهف الحس دقيقه ، متوهِّجُ النفس ، سريع التلقى للمعانى التى يصورها له إحساسه ، وإن إحساسه لينشئ له من هذه الصور والمعانى أكثر مما يستطيع أن يطيق صبره ؛ وهو ــ إذ فقد الصبر على مطاولة هذه المعانى من إحساسه ــ تراه يثبُ وثباً من أول المعنى إلى آخره لا يترفّق ، كأن فى إحساسه روح « قنبلة » . فلذلك تجد المنطق العقلى فى شعره متفجراً أبداً لا يبالى « أوقع على اللفظ من اللغة ، أم وقع اللفظ عليه » ، ولكنه على كل حال منطق يقظٌ حساس بعيد الوثبة ، يحاول دائماً أن يضبط هذا الإحساس الذى لا يهدأ ولا يستقر . وسينتهى — بعد قليل من المصابرة والمرابطة لإحساس شاعره — إلى القدرة على متابعة إحساسه وكبحه وتوجيهه على هدى واحد مؤتلف غير مختلف ، وذلك حين يجتاز الشاعر السن التى هى علة التوقد الدائم والاهتزاز المتتابع تتابع البرق إذا خفق وومض وضرب بعضه بعضاً بسياط من الضوء فى عوارض السحاب ... وأما لغته ، فقد ملك منها ما يكفيه بقدر حاجة بعض إحساسه ، فإذا امتدت يده إلى خزائن العربية التى لا تنفد ، وتداخل فى أسرار حروفها بالدارسة الطويلة ، تآمرت — ثلاثتُها — على تسنية الأبواب له واحداً بعد واحد ، حتى يستطيع أن يستوى على سَرارة المرتبة الأولى للشعر غير مدافع .

هذا ... وإن فى كثير من شعره الذى نشره إلى اليوم ، ما يحملنى على ثقة ــ إن شاء الله ــ من أنه مدرك ذلك لا محالة ، فهو قد استولى على كل ما هو به شاعر ، ولا أظن ظن السوء بقدر الله أن يكون هو قاطعه دون المنهج الذى تمبّد بين يديه ، ولم يبق له إلا قليل حتى يبلغ الذروة العليا

قصيدة الزلزال

وقد قرأت قصيدته[1] الأخيرة فى « فاجعة تركيا » ــ كما سماها ــ ثم سمعتها ، فوجدت لزاماً علىّ فى هذا الباب أن أثبت بعض رأيى فى الشعر والشاعر ، ثم فى « محمود حسن اسماعيل » خاصة ، ثم فى هذه القصيدة . وقبيح أن يجهل مريدو الشعر الجيد هذه القصيدة الفذة ، التى تكشف عن السر المستكن وراء هذا الشاعر . وإذ قد عرضنا مرة لبعض الشعر الأسود المظلم ، فلا بد إذن من أن نمحو آيته ببعض آيات الشعر المشرق المضىء

وقد كان « زلزال الأناضول » عذاباً من العذاب الأكبر بأهواله ، حتى قالوا إنه أشد ما عرف من الزلازل وأخطرها وأفظعها موقعاً وأثراً ، وقد كان ما تنشره الصحف اليومية من أخباره هولاً هائلاً مفزعاً يكاد يجعل الولدان شيباً . فلا شك إذن أن يكون هذا الرعب الراجف فى إحساس شاعر فزِعٍ « كمحمود » رجفةً يُرعد بها رِعدة طائرة مدوية مصلصلة مجلجلة

وأنت إذا بدأت القصيدة :

هات الشدائد للجريحةِ هاتها ... فالصبر فى الأهوال دين أساتها
واحشُد صروفك يازمان فربما ... لهب المظالم شُب من نكباتها
ولعلها خمرٌ تدور فيستقى ... خمر الكفاح الشرق من كاساتها

(١) وهى طويلة تزيد على ثمانين بيتا ، فلذلك لم نستطع أن نستوفى الكلام عنها وإنما دللنا على منهاجها وروعتها

رأيت الأمر والنداء ، نداء الفزع الطامى بطغيان أمواجه على إحساس الشاعر ، فلم يملك إلا إسلام نفسه إلى اليأس ، فيستزيد من البلاء ويطلبه فيقول : « هات الشدائد » ثم يعود فيقول : « هاتها » ليثبت إيمانه بالصبر على هذا البلاء ، فهو إيحاء ؛ إذ قد يئس أن يصرف عن إحساسه ما طمى به عليه هول ما سمع من صفة الزلزال . ويدلُّك على أن هذا المطلع قطعة من اليأس ، عودتُه إلى الشك فى هذه الشدائد الموقدة بنارها ولهيبها ، والتى زَلزلتْ أمة من الناس فكانوا كما قال الله تعالى فى صفة زلزلة الساعة : « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » . فكذلك عاد الشاعر يشك بعد طغيان البلاء عليه — أن ينقلب كل ذلك الرُّعب الذى اضطرب به الناس سُكراً يجرِّئ — هذا الشرق المغلوب — على الكفاح ، فى زمن يرى من أهواله شدائد ترجف بالشرق رجفة كأشد ما رَجفتْ زلزلة الأناضول ، فلذلك قال : « ولعلها خمر ... »

هى أمةٌ زلزلتَ جنبَ مِهادها ونفختَ ريحَ الموتِ فى جَنباتها

وهذا البيت يكاد يكون الحد الفاصل بين يأس الشاعر الذى طمى عليه حتى أنساه روح الزلزلة التى كانت فى إحساسه ، وهو نفسه الذى يردُّه مرة أخرى فزعاً ثائراً متوثباً تتقاذفه تهاويل إحساسه فى رعب بعد رعب

شوَّهتَ صفحتها بمديةِ جازرٍ الرحمة انتحرت بحدِّ شَباتها
مجنونةُ الحدَّين لو هى لوحتْ لانهد ركن الأرض من حركاتها
ذئبية الشهوات جاع حديدُها وأراق جوع الوحش فى لهواتها

وهنا موضع يوقف عنده ، فإن المعنى الذى أراده الشاعر ، والصورة التى نشأت من شدة إحساسه بهول الزلزلة — طغتْ فلم يستطع المنطق أن يضبط اللغة على قياسها ؛ فهو يريد أن يقول : إنه يرى هذه المدية الصقيلة الذئبية الجائعة المهلكة المجنونة فيرى على حدَّيها وصفحتها من فِرِندها وضوئها ومائها ما ينسابُ ويتريَّق ويتلألأ ويرمى بأضوائه كأنه ضوء جائع يريد أن يلتهم كل ما يلقاه ، وذلك قوله : « وأراق جوع الوحش فى لهواتها » فقوله : « وأراق » هنا لا توافق المعنى ، وقد أوقعه عليها اختلاط « فرند المُدْيَة » ـ وهو ماؤها ـ بالمعنى الذى أراده ، ولو قال : « يذكى سعار الوحش فى لهواتها » أو ما يقارب ذلك لكان أجود

ثم يمضى الشاعر فى تصوير ما تخيله — حين فجأت الزلزلة الأناضول — :

والناسُ غرْقى فى السكون سَجتْ بهم
سِنَةٌ يَنامُ الهوْلُ فى سَكناتِها
بَيناهمُ فَوْق المهودِ عوَالمٌ غشَّى ضبابُ الصمت كلَّ جهاتها
وإذا بقلبِ الأرض يرجفُ رجفةً :
دُكَّ الصباحُ وذابَ فى خفقاتِها
وانشقَّت الدُّنيا لديه فلم يَجِدْ أرضاً يفيئُ النورَ فى ربواتِها
فطوَى المدائن والقرَى وهَوَى بها
فى سدْفَةٍ تهوِى على ظلماتِها
... ...
وبنى اللحودَ على المهودِ وهدَّها فنضا ستورَ الموت عن عَوراتها
زأرت جراحُ الأرضِ فاهتاجَ الردى
وتهدَّ الزلزال فى ساحاتها

وإذا الذى أتى به فى وصف الزلزلة إلى آخر القصيدة شىء هائل مخيف تقشعر له الأبدان ، وتراه متدفقاً طاغياً لا تكاد تقف على كلمة منه إلا مرتاعاً قد قفَّ شعرك عن هول ما تنقل إليك ألفاظه من معانى إحساسه الثائر المتفجر

أنفاسه لهبُ الجحيمِ وخطوه خطو المنايا السود فى فجآتها

الى بعضه القراء

... وبعد ، فإن العالمَ الثقةَ الثبت المحقق الدكتور بشر فارس قد عَـلِمَ فعـلَّمَ ! ! وأنا أشكرُ له ما عـلَّمنى ، فأنا لا أحبُّ أن أكون كالذى قيل فى أمره : « لا تناظرْ جاهلاً ولا لجوجاً ، فإنه يجعل المناظرة ذريعة إلى التعـلُّم بغير شكر » . ثم بـصَّرنى « بشر » أيضاً بما كنت أجهل من العروض واللغة والبيان ، فأوغر صدرى ، فنثرت حول قَهْرى ما ملكت من نُفاية الكلام ، وكذلك طوَّقتُ نفسى به زينة وحلية أتبرَّج بهـا للناس ، أو كما قال ! وهو كذلك ...

فأنا أحمد الله الذى كفانى شر الغرورِ والخيلاء ، ولم يجعلنى كالجاهلة الخرقاء التى زعموها تأنَّقت بما ليس فيها ، ولا هو من

طباعها ، حتى ضربوا بها المثل فقالوا : « خرقاء ذات نيقة[1] » والحمد لله الذي لم يجعلني ممن يتزين بما ليس تملكه يداه ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المتشبع بما لم يُعط كلابس ثوبي زُور» ؛ والحمد لله الذي جعلني جاهلاً يعرف أنه جاهل ، ومن أين لمثلي العلم ؟ أليس قد « ذهب العلم إلا غبارات في أوعية سوء » كما قال ابن شبرمة في رواية بشر فارس عن ابن شبرمة : (يريد « الرسالة » العدد ٣٤٦) .

وقد قرر الأستاذ بشر أنه بصرني بأمور ثلاثة ، وأني سلمت مرغماً بأنه بصرني بما كنت أجهل من أمرها ! ! وإذا قرر الأستاذ بشر فقد وجب عليّ وعلى الناس التسليم بما قرر ؛ أليس ذلك كذلك ؟ بلى ، « سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير »

ومع ذلك ، فمن غَلَبة الجهل علينا أن البحر الذي وضعه وسماه « المنطلق » ، لا يزال عندنا وعند أصحابنا من علماء العروض — هو من « مجزوءة المتدارك » أدخَل الشاعر الأستاذ على ضربها العرج أو الفساد أو الخبن أو ما شئت فسمِّه ، ثم ألزمها ذلك في سائر أبياته ، ثم قال إنه وضع بحراً . ومن غلبة جهلنا أيضاً أننا نعده وزناً ثقيلاً غثاً كسائر الأوزان الممكنة التي تركتها العرب لثقلها على السمع ، فلم تجزها في شعرها ؛ ومن غلبة جهلنا أيضاً أننا لا نزال ندعي أن لن يوجد في أصحاب الألسنة العربية من الشعراء المجيدين من يتابع النظم على هـذا الوزن الجافي من « مجزوءة المتدارك » ، وكذلك أهملناه وسنهمله

وأما حديث « الزلزلة » ، فلا نزال نقول إن كل حرف من حروف العربية ينقل إلى المجاز ، فهو يتطلب دائماً حقيقته ، وإلا فسد مجازه . فإذا كان أصـل الحرف « زلزل » وحقيقته : أن يزلّ الشيء عن مكانه مرة بعد مرة ، أي أن ينتقل ويتحرك ويسقط ويخرج عن الموضع الذي يستقر عليه ، فلا بد في كل مجاز لهذا الحرف أن يكون ما يقع عليه فعل الزلزلة — (أي نائب الفاعل أو المفعول) — شيئاً منتقلاً من مكان إلى مكان أو شيئاً يجوز أن ينتقل من مكان إلى مكان ، فهذا هو شرط المجاز أو الاستعارة في هذا وأمثاله ، وإذ ليست الأذن كذلك ، فقولك « زلزل الطرب أذُني » مجازٌ فاسدٌ لأن الأذُن ثابتة لا تتحرك

(١) قال الميداني في مضرب هذا المثل : « يضرب الجاهل بالأمر وهو مع ذلك يدعي المعرفة »

وإذا قال كتاب « خلاصة الطبيعة ، في الصوت ! ! » في باب « شرح عمل الأذن » إن الصوت يهز غِشاء طبلة الأذن حين تصكها الأمواج الهوائيـة التي يُحدثها مصدر الصوت ، فليس معنى « يهز الغشاء » هنا أنه ينقله من مكان إلى مكان آخر ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان غشاء طبلة الأذن مثبتاً لا يتحرك أي لا ينتقل من مكانه ، وإنما هو اهتزازٌ يلحقه ، فليس في الدنيا « ناي » أو غيره يستطيع أن يجعله يتحرك أي ينتقل من مكانه ، ولو كان في قلب هذا « الناي » عشرون فرقة من فرق « الجاز بَنْد » ... ولو كان ذلك فتحرك الغشاء قليلاً عن مكانه لتمزّق وانخرَق ، وكان الصمم . وإذن فليس يجوز في العربية أن يقال « زلزل الطرب أو الناي غشاء طبلة أذُني » ! وإلا فهو مجازٌ فاسدٌ أيضاً

وأما ما يقال من أن الزلزلة والطرب على مجاورة في لغتنا ! ! فهو شيء لا أصل له ، وهي عبارة لا تؤدي إلى معنى ، وهو كلام « يدخل بعد العِشاء في العرب »

وأخيراً ... ، فمن عظة نبينا صلى الله عليه وسلم قوله : « من طلب العلم ليماري به السفهاء ، أو يباهي به العلماء ، أو يصرف به وجوه الناس إليه ، أدخله الله النار » . ونحن نعوذ بالله أن نخالف عن أمر نبينا ، أو نكون ممن يستخف بما أُنذر به ، فنباهي الأستاذ بشر بما نعلم ، وإذن فلست أجمل حديثي هذا إلا للقراء وحدهم لأضع به عن نفسي أمانة العلم ...

حتى إذا ما الصباحُ لاح لهم بيَّن ستُّوقهم من الذهب
والناس قد أصبحوا صيارفة أعـلم شيء بزائف النسب

فأستأذن القراء وأستغفرهم ، فأنا امرُؤٌ لا يحب أن ينصب نفسه لمن هو عند نفسه أكبر من نفسه والسلام

ابن شبرمة !!

وما دمنا في حديث أمانة العلم ، فقد رأيت أن الأستاذ المحقق « بشر فارس » روى خبراً عن ابن شبرمة القاضي قدمناه آنفاً وهو : « ذهب العلم إلا غبارات في أوعية سوء » . وقد رأيت صاحب العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٥ طبعة بولاق أيضاً !) قد أورده بهذا النص عينه ، وهو يبدو لنا نصاً عربياً مظلم النور وتحرير رواية الخبر : « ذهب العلم إلا غُبّرات في أوعية



دراسات فى الفن :

هما أحدبان

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

ما هذه الأرقام التى تحسبها فى الورقة ؟

— هى تكاليف أحدب نوتردام أحلم بأنى سأخرجها فى مصر

— بعد أن رأيناها من لون شانى ولاوتون ... من يخرجها ومن يمثل لك الأحدب فى مصر ؟

— هذا شىء لا أفكر فيه إلا بعد أن يعطينى الله هذا المال كله

— إذن فلن تفكر فيه أبداً

— ومن يدريك أني لن أفكر فيه غداً ... « غد غيوب وأقدار وأسرار »

— رحم الله شوقى

— وفيكتور هيجو ، ولون شانى ، وكل من فتح قلبه لله فألقى الله فيه ما شاء من نوره ، أتعرفين كم احدودب هيجو حتى كتب الأحدب ، وكم احدودب لون شانى ثم لاوتون ؟

— أما لون شانى ولاوتون فقد احدودبا أو قل هما اصطنعا أنهما احدودبا حينما كانا يمثلان فى الاستوديو فقط ، أما هيجو فلا أظنه احدودب ، لأن كتابة الرواية لا تستدعى أن يمثل الكاتب صورها ...

— لم يرد الدنيا أحدب عاش مثلما عاش أحدب نوتردام . فلا بد أن يكون هو الأحدب الأحدب ، وإنه لكذلك لأنه هيجو لما احدودب . كم فى الدنيا من شقى يعيش ويشقى ويفنى ، وفى الدنيا شقى يعيش ويشقى ويخلد ... أولئك يغمرهم شقاؤهم ويعدمهم عن ذكر ربهم ، وهذا يمعن فى الشقاء بالرضا والتأمل بحثاً عما فيه من عبرة ولذة

— وهل يجد اللذة من يمعن فى الشقاء حتى ليحدودب ؟ ...

— وأية لذة ؟ ألم يقل هيجو على لسان غجرى قصد باريس وأراد أن يمنعه عنها حراسها : « ما هذه الأوامر ؟ هذه أرض الله جئتموها أنتم بالأمس وجئناها نحن اليوم ! » ألم يقل هيجو هذا ؟ وكيف كان يمكن أن يقوله لو لم يشعر بأن هذه الأرض أرض الله حقاً ، وأنه للناس أن يعيشوا فيها كما يعيش الطير فى السماء ... والله يرزقهم ... وهل فى الدنيا شعور باللذة أبلغ من شعور الطلاقة هذا ؟ لا ريب أن هيجو كان يشعر باللذة حين كان يشعر بالشقوة ولا ريب أنه عانى فى هذا الاضطراب كثيراً ، ولعلك تذكرين أنه عبر عن اضطرابه هذا بلسان الأحدب إذ أفلتت منه معشوقته ، ورأى أن عليه توديعها لصاحبها : « رب ! لماذا لم تخلقنى حجراً ؟ ! » ... واحتضن صنما ...

— فهو كان يرى الحجر أسعد من البشر ...

— وهذا الذى يراه كل من عجز ، وهو الذى يراه أخيراً

سوء » بضم الغين المعجمة وفتح الباء المشددة . والغُبّرات جمع غُبّر ، وهو آخر الشىء وعقابيله وما يبقى منه . يريد ابن شبرمة : أن العلم لم يبق منه إلا قليل قد وقع فى صدور رجال من الفخار والخزف لا تضىء ولا تقبل الضوء

وقد ورد هذا الحرف (غبرات) فى حديث عمرو بن العاص يقول لعمر بن الخطاب : « إنى والله ما تأبطتنى الإماء ، ولا حملتنى البغايا فى غُبّرات المآلى » . والمآلى خرق للنساء يكون فيها الدم ، وغُبّراتها بقايا الدم . ومن ذلك أيضاً قول أبى كبير الهُذَلى يصف ابن زوجته تأبط شراً الشاعر الفاتك :

حملتْ بِهِ فى ليلةٍ مَزْؤودةٍ كرْهاً وعقدُ نِطاقِها لم يحللِ
فأتتْ بِهِ حوشَ الفؤاد مبطناً سُهداً إذا ما نام ليل الهوْجل
ومبرّأً من كل « غُبّرِ حيضة » وفساد مرضعة، وداء مُغيل

فهذا تحقيق رواية الخبر على التحرير والدراية ، فمن كانت عنده نسخة من (العقد الفريد طبعة بولاق !) فليصححه

محمود محمد شاكر

كل من كفر ... أما يقول القرآن : إن الكافر سيقول يوم القيامة « يا ليتنى كنت ترابا » ؟ !

— وهل كان الأحدب كافراً ؟

— بل كان هيجو مؤمناً ...

— ما لهيجو ؟ إنما نحن الآن فى الأحدب .

— والأحدب من هيجو ، وليس هو وحده الذى منه ، وإنما منه أيضاً كل من فى القصة وكل ما فيها ، فإذا رأيت أنه يضطرب فى الأحدب العاجز حتى ليتمنى أن يكون حجراً ، فانظرى إليه كيف يختم حياة ملك الشحاذين بثقل ينزل عليه من فوقه فى الوقت الذى يتزعم فيه ثورة عنيفة فيها ضرب وكر وفر ، وفيها موت يراه بعينيه يتخطف الناس من حوله ولا يحسب لنزوله به حساباً ثم انظرى هيجو كيف يغمس فى التوفيق شاعر القصة الذى سيق إلى الملك متهماً بإثارة القلاقل وتهديد الأمن العام بالشعر الحانق فما زال الشاعر المؤمن بشعره يقنع الملك بوجهة نظره حتى يحكم الملك فى قضية الشعب حكما عدلاً يضع حداً للثورة التى لو لم يعمد ملك الشحاذين إلى القوة فيها وانتظر حتى يحق الحق القول الصادق لما لقى فيها حتفه ، ولفاز فى آخر الأمر بالذى كان ينشد، أنظرى إلى هذا وانظرى إلى غيره ترى أن هيجو كان مؤمناً ... وأنه كان ينظر إلى الأحدب نظرته إلى الكافر

— إذن فقد كان هيجو يكره الأحدب ؟ ...

— لا ، وإنما كان يرثى له . لأنه لما احدودبت نفسه قدّر نعمة الرحمة ، وقد نصحه ونصح كل أحدب أن لا يطمع فى غير ما هو أهله وأن يرضى بما هو فيه ، كما نصح ملك الشحاذين وكل من هو معتز بقوته مثله أن يكف عن القوة والاعتزاز بها . كما أظهر رضاه عن الشاعر الراضى الفيلسوف الذى يصبر على حبيبته أن تحب غيره حتى تهتدى إليه وتحبه، كما أنه حذر الناس جميعاً من التراجع عن تلبية حسهم، حين جعل الملك يحكم الخنجرين فى أمر الغجرية إذ عصب عينيها وقال لها : اختارى من هذين واحداً، فإذا قبضت على خنجرى فأنت بريئة فإذا أمسكت الآخر فأنت مذنبة، فامتدت يدها أولاً إلى خنجر البراءة ولكنها تراجعت فماتت بعد ذلك ما عانت ... كل هذه دلائل إيمان وصبر أضاءا فى نفس هيجو ... فأضاءا قصته هذه وخلداها ... وإلا فما الذى تحسبينه حفظها وأبقاها ؟

— إنها مكتوبة بلغة رائعة وأسلوب رائع ...

— لا . فما خلدت اللغة وما خلد الأسلوب شيئاً فما هما إلا من أدوات الفن وليسا الفن نفسه ... إن ملايين الناس فى الأزمنة والأمكنة المختلفة ليحبون هيجو ، ومنهم من لا يقرأ ولا يكتب لا الفرنسية ولا غيرها ، ولكنه يفهم هيجو من إشارات الممثلين وأصواتهم ويقنع بهذا ... إن الناس جميعاً يرون فى أحدب نوتردام صدقاً وعدلاً وأحكاماً تجب فى مواقف تستوجبها ، فالموت لمن يستحق الموت حيث يجب الموت ، والهناء لمن يستحق الهناء حيث يجب الهناء ... لم يشذ هيجو عن العدل فى حكم من أحكامه ولم يحاب بطلاً من أبطاله ، ولم يمط فى دنياه هذه التى جمعها حقاً لغير صاحبه ، ولم ينزل بها نكبة على مؤمن

— وهذا القسيس النبيل الذى عشق الغجرية فكان فى غرامه هلاكه، ما ذنبه ؟

— ذنبه ضعفه ... هذا قسيس وهب نفسه لله ، واطمأن بهذه الهبة على حياته ومستقبله ، فما له يريد أن يسترد مما أعطى الله شيئاً من نفسه يعطيه غانية صغيرة ؟ ... ما له يشعر بهذا الضعف ، وما له حين يشعر به لا يعالجه بإيمانه وعزمه ، وما له حين يضعف عن علاجه بإيمانه وعزمه لا يكون صريحاً فى إعلان ضعفه؟ فإما أن يرتد على عقبيه خطوات فى طريق تقواه وورعه ، فيخلع مسوح القسيس ويدع الكنيسة وينزل إلى الدنيا ، كالمؤمن إذا ارتد ، يعرض نفسه على غانيته كما يعرض كل رجل عليها نفسه فإذا اختارته سعد فإذا أعرضت عنه كان عليه أن يرضى ... كان هذا هو الواجب عليه أن يصنعه ولكنه لم يصنع منه شيئاً ، بل طرأ عليه الضعف فلم يرض أن يشهر على هذا الضعف سلاحاً من نفسه وإنما غطاه بستر منها كان غشاً لكل من حسبوه قسيساً ، وكان حجاباً حال بينه وبين التغلب على نفسه ... فألم به ما ألم به من نشتت

البال فى الموازنة بين مظهره الظاهر ، وبين الكامن من اللوثة فى نفسه ... هذا القسيس كان سليم المظهر ولكنه كان الكافر المشوه النفس، الذى ترجمه هيجو بذلك الأحدب للعاجز بيدنه عن إغراء الغجرية ... إن هـذا القسيس هو أحدب نوتردام أكثر مما كانه الأحدب ... فإن الأحدب قد دلته طويته السليمة إلى حركة بلهاء أراد بها أن يغرى فاتنته ... إذ غطى لها يوماً البشاعة فى وجهه وكشف لها عن عينه الرقراقة الحلوة ، ونظر إليها كمن يقول لها ادخلى إلى نفسى من هذا المنفذ ، ولو كان فى الفتاة حكمة، ولو لم يكن بها من نزق الجمال والصبا طيش وخفة، فلعلها كانت تحبه إن أنعمت التفرس فى عينه تلك، ولكنها لم تكن من الحكمة ... أو لم تكن من البذل بالرأفة ... وعلى أى حال فالذى يعنينا هو أن الأحدب وجد فى نفسه شيئاً جميلاً عرضه ، ولكن القسيس الأحدب الروح لم يجد عند روحه ما يعرضه على غانيته ! إنه قسيس، وكان يستطيع على الأقل أن يكون مثلما كان الشاعر المجنون محباً على غير أمل ، وكان على هذا يستطيع أن يحملها على حبه ، وكان بعد هذا يستطيع أن يسلمها « لنوتردام » ما دام قد أقام نفسه فى « نوتردام » راعياً ... ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا وانخذل أمام نزوة من نزوات نفسه ... فكان على علمه وعلو شأنه، وسلامة بدنه أشقى حالاً من الأحدب، فقد رضى الأحدب أن يتمنى الجمود والتحجر وأن يروض نفسه عليهما ، أما هو فقد أبى إلا أن يشعل النار فى الدنيا وأن يضرب الناس بالناس حقداً وغلاً وعمى عن واجبه وحقه ...

— إذن فإن هذا هو الأحدب

— إنه على الأقل الأحدب الأول . وقد كنت أحب أن يمثله لاوتون ، فهذا الدور من غير شك معرض لعواطف وتقلبات أكثر من الطارئة على الأحدب الآخر ...

— ولكن هذا الدور لم يلتفت إليه أحد هذه اللفتة ، وإنما يعنى أبطال التمثيل بالدور الآخر ...

— لعل ذلك لأنه أظهر للعيون ، ولأن تمثيله يحتاج إلى مكياج بارع يتحدى الممثلون بعضهم بعضاً بإجادته وإتقانه . وهذا عيب من عيوب السرعة الآخذة برجال الفن فى هذا العصر، وقد كنت أحسب لاوتون ينجو منها هذه المرة كما نجا منها مرة سابقة فى بؤساء هيجو أيضاً ... فإنه ترك دور جان فلجان لفردريك مارش ومثل هو دور جافيير البوليس السرى ، وجافيير كان أبأس من جان فلجان نفساً وأشقى روحاً وإن كان يظهر لجان فلجان أنه الأبأس ... كما أن الناس يحسبون قارع الأجراس فى أحدب نوتردام أنه الأحدب بينما ذاك القسيس هو الأحدب ...

— ولماذا لا يكونان بائسين ، وأحدبين ؟ ...

— هما بائسان وهما أحدبان حقاً ... ولكن البائسين أحدهما تجسد البؤس فيه وظهر فخف عنه تكاثف البؤس وانحباسه فى نفسه ، والآخر توارى البؤس بين جنبيه واستتر فهو ينفث سمه فى داخله ولا ينتثر من بؤسه شىء خارج نفسه ، والأحدبان أحدهما تفجر بالقبح بدنه فانزاح القبح عن روحه ، والآخر ازدرد هذا القبح وهو لا يفتأ يجتره فهو غذاؤه ومادة عيشه ... هذه هى شجرة الزقوم التى يأكل منها الكافرون لا تطعمهم ولا تسمنهم ولا تغنيهم من جوع ، وأسوأ ما فيها علمهم بنغصتها ، وأسوأ من هـذا نهمهم إليها وشغفهم بها ... ما كان أروع لاوتون لو أنه مثل هذا الأحدب ! ...

— ومن كان يمثل الأحدب الآخر ؟

— أى واحد ! بوريس كارلوف مثلاً

— ولكن بوريس جامد أصم

— كان أمام لاوتون لا يستطيع إلا أن يتحرك ... فبوريس مسكين . كل ما يسندونه إليه من الأدوار شاذة كثيرة الحركة ، وما أقل الفرص التى أعطوها ليمثل ... فإذا لم يكن بوريس يعجبكم فقد كان على لاوتون أن يمثل الدورين معاً وهذا ممكن فى السينما ... إننى حسبت حساب هذا مع هذه الأرقام التى كنت أكتبها ...

— ولكن هذا عمل شاق قد لا يستطيعه ممثل

— إن لاوتون يستطيعه ، ولكنها فكرة لم تخطر له حين كان يدرس الأحدب ، فلا ريب أنه أسرع فى دراستها أكثر مما أسرع فى دراسة البؤساء ، فوقع على أحدب المظهر وفاته أحدب المخبر ؛ ولا ريب أيضاً أنه وضع فى قرارة نفسه نية المباراة مع المرحوم لون شانى .. ولو كان قد أغفل هذه لكان قد خلص فأخلص فاستخلص ...

— يا للرزية ! حتى لاوتون تميه ... فمن يعجبك ؟ ...

— لاوتون حينما يصفو ... ولاوتون فى الأحدب أيضاً ... بل لقد راعنى أكثر مما راعنى لون شانى ... ذلك أنى خرجت من « لون شانى » وأنا كارهه ... كاره الأحدب ... بينما قد حببنى فيه لاوتون ... أو حملنى على الترحم له على الأقل

— إنى لا أرى الفرق بينهما محدداً هكذا كما تراه ، ولعل ذلك راجع إلى طول عهدنا بلون شانى فى الأحدب ...

— على أى حال فإنى لا أجزم بهذا الفرق بينهما وإنما أجزم به فى نفسى ، وقد يكون مرجعه اختلاف كل منهما عن صاحبه فى تذوق الأحدب وتفهمه ، وقد يكون مرجعه اختلاف نفسى بين ما أنا عليه اليوم من القدرة على التذوق والفهم، وبين ما كنت عليه فيما مضى، وقد يكون مرجعه كذلك اختلاف دواعى التذوق والتفهم عندى بين اليوم والأمس

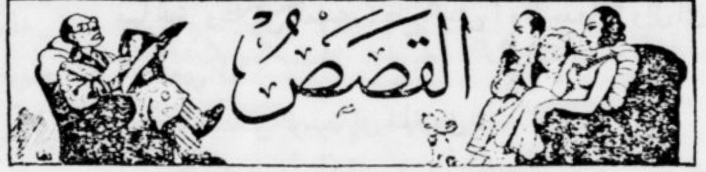
— وما دواعى التفهم والتذوق هذه ... ؟

— ربونا على أن يخيفنا « أبو رجل مسلوخة » ... ولم أكن فى صباى قد تخلصت مما غرس فى ذهنى ولم أكن بعد قد أحببت المشوهين والضعفاء والعجزة والمرضى ...

— وأنت الآن تحبهم ؟

— أحسب ذلك . فإذا لم أكن أحبهم فإنى على الأقل أتحبب إليهم ...

عزيز أحمد فهمى



حلم شاعر

للأستاذ محمد سعيد العريان

الليلةَ عيد مولده !

أولئك أصحابه وصواحبه قد أحاطوا به فرحين مهلّلين ، يضيء البشر فى قسماتهم ، وترفّ على شفاههم بسمات الفرح والمسرة ؛ قد تنادَوا إلى موعدهم ودَعَوه معهم إلى ناديهم ، ليحتفلوا بعيد مولده !

وإنه لجالس بينهم ولكنه ليس منهم ؛ إنه هنا ولكنه هناك !

* * *

. . . وفى يده زهرةٌ يعبث بها ... وضمها بين راحتيه ومال عليها برأسه . ما به أن يشمّها ؛ فإن عطرها ليأرج حوله وينتشر ، ولكنه ينظر ويفكر ...

. . . وراحت أصابعه تنثرها ورقة ورقة تساقط عند قدميه وهو يعدّ ، وعدّ ثلاثين ورقة ، ثم تعرّت الزهرة من أوراقها إلا عوداً أخضر ليس له عطر ولا رواء ؛ وهمس الشاعر : هذه هى دنيانا . . واختلجت شفتاه وأطرق ؛ وعاد يعد الأوراق المنثورة تحت قدميه ...

... ثلاثون ورقة ! ... ذلك كل تاريخ الوردة ؛ فما هى بعد الثلاثين إلا عود ذابل متغتر وورقاتٌ منثورة على التراب ، وكانت وردةً عطرة يعبق بأريجها الجو وتهفو إليها الزهرات الطيارة من فَراش البستان ... فماذا يكون هو بعد الثلاثين وقد غربت شمسها منذ ساعات ... ؟

* * *

وعاد ينظر إلى أصحابه وصواحبه ، يبادلهم تحية بتحية ، وكلمات بكلمات ؛ لا يكاد يشعر أن هؤلاء جميعاً قد التقوا على ميعاد ليحتفلوا به فى عيد مولده ؛ فإن سيلاً من الخواطر والذكريات يتدافع فى رأسه الساعة ، فما يكاد يرى أو يسمع إلا نجوى نفسه وهمس أمانيه ؛ وغامت على عينيه غامة ، فشطح إلى واد بعيد . . . وإن أصحابه وصواحبه من المرح والبهجة لا يكادون يشعرون أنهم هنا وأنه هناك ؛ وما اجتمعوا إلا حفاوة بعيد مولده ...!

وأحس الشاعر إحساس الوحدة ، وإنه لبين أصحابه وأدنى الناس له ؛ فتركهم لما هم فيه وتركوه ، وإن وجهاً فى وجه ، وإن ابتسامة تجاوب ابتسامة ، وإن كلمة تحيّي وكلمة ترد ...

وانفض السامر ومضى كلٌّ لوجهه ، ومد الشاعر يده يصافحهم ويشكر لهم ؛ ثم تفرقت بهم السبل ...

* * *

... ووجد الشاعر نفسه وهو يمشى وحده فى جنح الظلام ، وأحس الوحدة الرهيبةَ التى يعيش فيها منذ كان ؛ فمضى يتحدث إلى نفسه وتحدّثه ، وخنقته العبرة فأرسلها ، ثم تتابعت عيناه . وعاد الزمان القهقرى ينشر على عينيه ماضيه ويذكره أمانيه ...

وقالت له نفسه : هذا سبيلك فامض فيه على هدًى وبصيرة ، وانظر ماذا أعددت لغد ؟

وقال لنفسه : وهل ترين الغد يا نفس إلا صورة من أمس الذى كان؟ وهل تريننى فى غدٍ غير مَن أنا اليوم وغير مَن كنت فى الماضي ؟ ...

لقد تجاوز الثلاثين ولم يزل حيث كان يوم بدأ ؛ فماذا يكون غيرَ الذى كان ؟

وأوى إلى فراشه وأطفأ المصباح ، ليقضى ما بقى من الليل يراوح بين جنبيه فى فراش الوحدة لا يهدأ ولا يستقر !

* * *

كان شاعراً بروحه وفطرته قبل أن يكون شاعراً له لسان وبيان : نظر إلى الناس فى دنياه فاستوعبهم بنظرة ، ثم عاد ينظر إلى نفسه فلم يعرف أين هو من نفسه وأين هو من الناس ؛ وشعر بالوحدة منذ شعر أنه يعيش فى جماعة . وكان له خيال وفى نفسه أمل ؛ فتوزّعته دنياه ودنيا الناس ؛ فلا هو عاش فى دنيا الناس واحداً منهم ولا هو عاش فى دنياه وحده !

وألحت عليه ضرورات الحياة ، فأبت عليه فطرةُ الشاعر أن يلتمس بعض وسائل الناس ؛ فعاش من ضروراته وفطرته بين قوتين تتجاذبانه ، لا سبيل إلى الخلاص منهما معاً إلا أن

يعيش روحاً بلا جسد أو جسداً بلا روح ؛ وهيهات !

وفكر فيما خلق الله وفكر فى نفسه ؛ فكأن فى كل ما يراه لساناً يحدثه ، وفى كل ما يسمعه معنى يهتف به ؛ وكأن فى كل منظور حقيقة غير منظورة لا تتكشف إلا لعينيه ولا يسمع نجواها أحد غيره ؛ فإن وراء الغمام طيوفاً تتخايل له فى شكول وألوان ، وإن فى لمعان البرق ومضات من الإلهام ، وإن فى الصمت لكلاماً أبلغ من الكلام ، وإن بين السماء والأرض لعوالم غير منظورة تفضى إليه بأسرارها !

وتكشفت له الدنيا ونضت أستارها ؛ فألهمته أن يغنى . . .

وفاض ما فى جنانه على لسانه سحراً من النغم يعبر عن أخفى خفايا النفس وأعمق أسرار الحياة ؛ ولكن ألحانه القدسية قد تلاشت أصداؤها فى صخب الحياة وضجة الأحياء ؛ فلم يستمع إليه أحد !

وضاق الشاعر بوحدته بين هذا الناس وضاقت به دنياه ؛ فاعتزم الخلاص ... ولكن روحاً لطيفاً أطل عليه من سماواته فثبّت فؤاده ...

وابتسمتْ له فابتسم ، وعادت إلى الحياة نضرتُها فى عينيه ، ووجد أنساً من وحشته حين أيقن أنه ليس وحيداً فى دنياه !

وعاد يغنى ... ولكن غناءه اليوم ليس له وحده ؛ إنه لحن مؤلف من خفقات قلبين قد اجتمعا على أمل ...

وغـنى بها عن الناس ، وغنيتْ به ؛ فما يهمه اليومَ أن يسمع الناسُ ما يصدح به من أغاريد الحب أو يكون لها وحدها شدوُه وغناؤه ! !

آه ... لشدّ ما تقسو عليه دنياه !

كان ذلك منذ سنين ، أما اليوم ، فقد عادت تقاليد الجماعة تضرب بينه وبينها بسور ليس له باب ؛ وعاد إلى الحياة وحده ، لا يدرى من أمرها ولا تدرى من أمره . . .

***

... وأشرق الصبح عليه صبيحة عيد الميلاد ، وما زال يراوح بين جنبيه فى فراش الوحدة لم تغتمض عيناه !

ما هو ؟ وأين هو ؟ وما دنياه ؟

إنه ليحس من حوله فراغاً هائلاً ليس له قرار ؛ وإن الوحدة لتكتنفه ، فما يشعر أن ثمة أحداً بجانبه يفزع إليه ليؤنس وحشة قلبه ؛ وإنه ليعيش من زحمة الحياة وصخب الأحياء فى ضجة يموت فيها النغم ويتلاشى الصدى ؛ ففيم العيش ؟ وما جدواه ؟ وإلى أى غاية يمضى ؟

وعاد يلتمس الوسيلة إلى الخلاص ! ...

وقالت له نفسه : أتحسب يا صاحبى أنك قد فرغت من دنياك حين خلوت إلى نفسك ؟ فما أنت بشاعر ! ... لئن كنت قد عفت الحياة وكرهت المقام فى دنياك لأمر من أمور دنياك — إن الحياة ما تزال تطالبك بحقها عليك ؛ فإن أدّيته ... وإلا ، فلست من شعرائها ، ولا كنت ! ...

... ما الشعر إلا رسالة الحياة إلى الأحياء تعبر عن أسرار الحياة ومعانيها ؛ وما هو إلا قبَس من نور السماء يتنزل على قلب بشر لتنير به السماء ما حوله من ظلمات البشرية ؛ وما هو إلا إحساس زائد على إحساس الناس يرى ما لا يرى ذو عين ويسمع ما لا يسمع ذو أذن ؛ وما هو إلا وحىٌ يوحَى من وراء الغيب إلى إنسان تكون فيه زيادة على الإنسانية ؛ وماهو إلا إدراك كامل يكشف عن مظاهر الجمال فى الكون ويهدى إلى الحق والخير

... أفتراك يا صاحبى قد بلغت رسالة الشعر حين حسبت أنك قد فرغت من دنياك ، أم أنت ... ؟

وأطرق الشاعر برهة يفكر ثم نهض لأمره ...

بلى ، إن عليه رسالة يؤدّيها وواجباً ينهض له ؛ فلا عليه من الناس حتى يبلغ ، فإذا انتهى من أمره فإن نفسه له خالصة يمضى بها حيث يريد

وأمات فى دخيلته دواعى النفس ونوازع الهوى ومضى لغايته ...

وعاد يغنى ... غير آمل ولا خائف ، وما به من شىء ضجرٌ ولا ملالة ؛ وأنس وسمتْ روحه فى آفاقها إلى ظل عرش الله ، حين قمع شهوات نفسه ونوازع هواه وآثر أن يكون نوراً يضىء للناس وهو يشتعل ؛ فلقيت أغانيه من يسمع فيعى !

وأفاق النـاس على لحن علوىّ ساحر ينشده شاعر وهب نفسه للدعوة إلى الحق والفضيلة والجمال ؛ ونظروا ، فإذا هو هو ، ولكنه صار شخصاً غير من كان ، لا تتصباه المنى ولا يعبث به هواه ، وليس له فى الحياة إلا هدفٌ واحد يسعى إليه ...

وجاءه المجد حين لا حاجة إليه ...

وأشارتْ إليه من النافذة بنانٌ مخضوبة وتقول : إنه لَهْو ! ولكنه لم ير ، ولكنه لم يسمع ...

شجاعة المرأة الكردية

[قصة تاريخية واقعية لم يحن الوقت بعد لذكر أصحابها]

للآنسة الأديبة سانحة أمين زكى

حدث أنه كان فى منطقة ... رجل نبيل مهيب الجانب قد وهبه الله من الشجاعة والكفاية قدر ما وهبه من جمال الرجولة وقوة الشباب ، ومن ذلك كان رجاله يحترمونه ويقدسونه حتى ليرفعونه إلى مصاف الآلهة ، وقد هيأت له الأقدار زوجة هى صورة مصغرة له ولصفاته ، قد حباها الله ثروة من الجمال والذكاء والشجاعة ، فهى تجيد الرماية إلى أقصى حد ، وتتصدر المجالس سامرة ، وتنافس الرجال فى أعمالهم ، والشعراء فى فنهم ، والعلماء فى علمهم ؛ فكانت بذلك مثلاً أعلى لبنات قومها ، وصورة بديعة ناطقة للمرأة الكردية

كان الرجل يحب زوجته ، وكانت هى تبادله حباً بحب فعاشا مدة من الزمن يرفرف عليهما طائر السعادة بجناحيه ، يخرجان معاً للصيد ويتسابقان فى العدو ، وأتباعهما يشيعونهما بنظرات ملؤها الحب والغبطة وهما فى لهوهما لا يحملان هماً من هم الحياة !

وحدث أن قدم الملك ... إلى هذه المنطقة تمهيداً للاستيلاء عليها وضمها إلى ممتلكاته . فلما تم له الأمر ، أولم وليمة فاخرة ، دعا إليها جميع نبلاء وحكام هذه المنطقة ، وكان من بينهم هذا النبيل ، فما كاد الملك يراه حتى أعجب بذكائه ، فلما سأل عنه سمع مازاده حباً له وتعلقاً به ، فرغب فى ضمه إلى بطانته ليأنس به ، ويستمتع بعلمه وفضله ويتخذه سلاحاً من أسلحته ؛ فلما عرف هذا النبيل رغبة الملك لقيها بالقبول لما رآه من عطفه على المغلوبين من إخوانه، وتواضعه لمن حوله؛ ورضى أن يكون مرافقاً له، وشد الرحال مع زوجته وخدمه ميممين شطر العاصمة ، ولو درى المسكين ما يخبأه له القدر وراء هذه الرحلة من الشر لما رضى أن يرحل ولما خطا خطوة فى هذا السبيل

وصل النبيل وحاشيته إلى قصبة الملك ، فأفرد له الملك قصراً فخماً، فى وسط حديقة غناء ، سكن فيه هو وزوجته فى أسعد حال وأهنأ بال ، واستأنفا ما كانا عليه من قبل : من صيد وقنص ومرح، والجميع يتغنون بمحاسن هذه المرأة وجمالها الذى جلب عليها الوبال فيما بعد . وما زال جمال المرأة منذ كانت أس البلاء ومنبت الشر ، وما زال سبباً إلى الكوارث الفاجعة ، ما دام هناك رجال تسوّل لهم نفوسهم أن ينظروا إلى ما لا تملك أيديهم . وكان واحد من النبلاء - وإن لم يكن فى طبعه شىء من صفات النبل وكرم النفس - مقرباً من الملك، صديقاً له، لا يخطو الملك خطوة إلا عن أمره، ولا يقطع فى رأى إلا بمشورته ؛ فرآها يوماً خارجة لنزهتها المعتادة ، منتصبة فوق صهوة جوادها ، رافعة الرأس ، باسمة للطبيعة يتبعها خادماها الأمينان لا ينفكان يلاحظانها بعيونهما ، كما ينظر الكلب الأليف إلى صاحبه ، ولكنهما على ما كان يبدو عليهما من الضعف بإزائها ، كان من شجعان الرجال ، قد أخذا الأهبة للذود عن سيدتهما وقتل كل شرير تسول له نفسه الخبيثة أن يحاول الاقتراب منها؛ فلم يجد النبيل سبيلاً إلى التقرب منها أو سماع صوتها واكتفى بالنظر إليها والتملى بمحاسنها على بعد؛ وأحست المرأة بغريزتها أن هناك من ينظر إليها، فالتفتت ، وحين التقت نظراتها بنظراته ، ورأت ما فى عينيه من حديث نفسه الدنيئة ... ظهر الغضب فى وجهها ، وأدارت رأسها ، كأن النظر إلى وجهه يدنسها ... لكن ذلك النبيل لم يبال ما رأى ، بل ابتسم ابتسامة فيها وعيد وتهديد . وحين رجع إلى بلاط الملك قص عليه قصة هذه الحسناء ووصف له تعلقه بها وحبه لها بلا حياء ... وأخذ يستعطفه ،

وسعى ساعيها إليه يسأله : أتنك لأنت ... ؟

قال : نعم ، قد كان ذلك يوماً !

* * *

وعلى باب الكوخ المنفرد على حدود العمران ، جلس الشاعر على الرمل مرتفقاً إلى صخرة ناتئة ، يسرّح بصره فى الفضاء الممتد إلى ما لا يبلغ النظر ، وفى نفسه أُنس ، وفى قلبه هدوء ورضاً واطمئنان ، وعلى لسانه تسبيح وعبادة !

لقد كان فى مجلسه ذلك بحيث لا تراه عين ولا تسمعه أذن ، ولكنه لم يكن وحده ، لأن الله معه !

واستيقظ الشاعر بعد غفوة ، وابتسم ...

لقد أدّى رسالته ، ولكنه لم يكن فى أىّ أيامه أكثرَ حباً للحياة منه يومئذ !

لقد تحقق حلمه بعد لأى ، ووجد تعبير رؤياه !

محمد سعيد العريان

٢٣ . ١٤

ويطلب منه العون ... فأثر ذلك فى نفس الملك، وهوَّن عليه الأمر وطلب منه الصبر ، حتى يحين الوقت المناسب ...

* * *

والتقت الزوجة بزوجها ، فقصت عليه ما رأت ، بصوت يرتجف من الغضب ، ويدل على ما كانت تشعر به من الذل والمهانة لما أصابها ... فهدأ الزوج الكريم ثائرتها ، وذهب يستطلع الأمر وحين علم أن الملك راضٍ عن عمل صديقه ، ثارت نفسه الأبية للدفاع عن عرضه ، وزاد فى غضبه ، ما رأى من سوء معاملة الملك لأصدقائه ، واحتقاره لهم ، وتنكيله بهم ، وما فرض من الضرائب المرهقة على المنطقة التى ينتسب إليها، والتى يشعر أن عليه حقاً لها، وما سلب أهلها من الحرية ...

هذه العوامل مجتمعة ، فعلت فعلها فى نفس هذا النبيل ؛ فمحقت ما كان يشعر به من الحب للملك ، وحملته على التفكير فى قتله ، ليريح منه ، ولينتقم ! غير مبال بعاقبة ذلك ، ما دام فيه صيانة لشرفه ، وتخليص لشعبه من آصار العبودية التى يرسف فيها تحت ظل هذا الملك الطاغية !

* * *

رجع النبيل إلى زوجته ، والغضب يطويه وينشره ، وعوامل مختلفة تصطرع فى نفسه ، وأخبرها أنه ذاهب لقتل الملك ، فإن نجح فى ذلك فقد بلغ ما أراد ؛ وإن لم يتمكن من قتله أو لم يستطع الإفلات بعد تنفيذ عزيمته ، فعليها أن تدافع عن شرفها حتى آخر لحظة من عمرها . ثم تمنطق بغدارتين ، وودع زوجته وداعاً حارا ومضى لشأنه . وأبت الزوجة الشجاعة أن تلجأ إلى البكاء والنحيب بلا جدوى ؛ بل اكتفت بالسكوت وبالنظر إلى زوجها كأنها تحاول أن ترسم صورته فى مخيلتها جيدا

وصل الرجل إلى البلاط ، وتمكن من الدخول بسهولة؛ لأنه كان معروفاً هناك، ووصل بهدوء إلى غرفة الملك الخاصة، وكان الملك فى ذلك الوقت جالساً يطالع غافلاً عما بدّبر له . وحين رأى صديقه بالأمس داخلاً والشرر يتطاير من عينيه ، استولى عليه حب الحياة ، فحاول الهرب ، ولكن الرجل لم يمهله ، بل أطلق عليه خمس رصاصات من الغدارة الأولى ، ولكنه لم يصبه لشدة انفعاله ، فأراد أن يرد الغدارة إلى منطقته كى يستعين بالغدارة الثانية ، ونسى أنه لا يزال هناك رصاصة أخرى فيها ، فما كاد يضعها فى منطقته ، حتى انطلقت هذه الرصاصة وأصابت منه مقتلاً . فسقط متضرجاً بدمائه الزكية تحت أقدام الملك

أما الزوجة فإنها بعد ذهاب زوجها صعدت إلى أعلى غرفة فى منزلها ، وتزوَّدت بما قدرت عليه من الطلقات ، وحصنت الغرفة بما وضعت من الأثاث خلف الباب كالمتاريس ، وجلست فى حصنها متأهبة لما يكون، وهى فى شك من قدرة زوجها على الإفلات بعد تنفيذ عزيمته ، ولكنها لبثت تنتظر ! ولم يطل انتظارها طويلاً حتى قدم جنود الملك وأحاطوا بالمنزل ، فحينذاك عرفت كل ما كان ، وأيقنت أن زوجها قد مات ! فتلاشت رغبتها فى الحياة ، ولم يبق فى نفسها إلا سعير يضطرم يدفعها إلى الثأر . وطلب إليها الجنود أن تنزل ، فأجابتهم بإطلاق الرصاص فأجابوها ناراً بنار ، ودارت المعركة ، فما استطاع الجنود أن يصيبوها وهى فى ذلك الحصن الحصين ؛ على حين استطاعت هى أن تقتل اثنى عشر رجلاً منهم . وعلم الجنود أنهم لن يبلغوا منها مبلغاً ، وصغرت نفوسهم حيال هذه المرأة الجريئة فلم يجدوا إلا أن يشعلوا النار بالمنزل ليحترق بها وتموت بين الأنقاض ، وأيقنت المرأة أنها على شفا الموت حرقاً ، فصاحت بالجنود تخبرهم أنها تستسلم على شرط أن يتقدم الرجل الذى سبّب هذه الكارثة فيعطيها الأمان ويضمن لها السلامة، ففرح الرجل الفاجر وأيقن أنه قد بلغ أمنيته ، وتقدم متبختراً يريد المنزل ، فلم يكد يقترب من الباب حتى أصابته رصاصة فى جبينه ، نخر على الأرض قتيلاً جزاء وفاقاً على ما سبب لهذه الأسرة الهانئة من الشقاء والبلاء !

ولما انتقمت المرأة لنفسها ولزوجها وللأرواح التى أزهقت، هدأت ثائرتها وعلمت أنها قد أدت واجبها ؛ تخيَّل إليها كأن صوتاً من الغيب يناديها إليه ، هو صوت زوجها ، فوضعت فوهة المسدس على جبينها وهتفت باسم زوجها لآخر مرة ثم أطلقته ؛ فصعدت روحها الطاهرة إلى بارئها ، وانطفأت شعلة حياتها وهى فى ريعان الصبا وزهرة الشباب !

(بغداد) سائحة أمين زكى



الى أين تتجه ايطاليا ؟

[ملخصة عن « ذى كونتمبورارى رفيو »]

مهما قيل فى تصريح الحكومة الإيطالية فى بدء الحرب عن التزامها طريق الحياد ، فما لا شك فيه أن هذا التصريح قد قوبل بالثقة التامة داخل إيطاليا وخارجها .

وقد كانت الصحافة الإيطالية صريحة فى التعبير عن نيات موسولينى فى حماية المصالح الإيطالية الخاصة . فكتبت جريدة « رجيم فاشستا » بعد إعلان الحرب ببضعة أيام تقول :

« إن إيطاليا ستفى بتعهداتها ولا شك ، ولكن فى حدود مصالحها الخاصة التى تضعها الحكومة فوق كل اعتبار ، وتنظر إليها كما تنظر إلى النجم القطبى ، كلما أرادت تحريك الدفة لتوجيه سفينة البلاد . فما هى مصلحة إيطاليا فى الموقف الحاضر ؟ قد تنضم إيطاليا إلى ألمانيا وروسيا ضد الحلفاء ، ولكن الحكومة الفاشستية لا تخطو هذه الخطوة إلا إذا كانت على ثقة تامة من انتصار الدكتاتوريات الثلاث على الديمقراطية الغربية . وإذا صح هذا الفرض ، فإن إيطاليا ستعجز عن الوقوف أمام ألمانيا وروسيا إذا أرادت أن تطالب بنصيبها من الغنيمة فى البحر الأبيض المتوسط والمستعمرات باعتبارهما صاحبتى السلطة الحقيقية فى أوربا وما يتبعها من البلاد . وسوف تنال روسيا ما تريده من آسيا والبلقان فضلاً عما نالته فعلاً فى بولندا وولايات بحر البلطيق ، وتترك إيطاليا لتلعب دوراً آخر تكون فيه سياستها الخارجية المالية والاستعمارية والثقافية ، تابعة لأهواء الألمان المنتصرين .

وهناك الفرض الآخر وهو الأكثر احتمالاً : وهو انتصار الدول الديمقراطية . وفى هذه الحالة تستطيع إيطاليا أن تختار بين صداقة الأمم المنتصرة كما يدل سلوكها مدة الحرب ، ومعارضة يدفعها إليها شىء من عدم الثقة ، الذى قد يبعثه غموض الموقف ويضاعف تأثيره اختلاف المبادئ السياسية ...

وإذا كنا لا نستطيع أن نصل إلى حل هذه المشكلة التى يرجع أمرها إلى الظروف والأحوال التى تظهر بعد الحرب ، فإننا نستطيع أن نحلق حولها ، ونلم بأطرافها

إن الذين يقدرون مستقبل الشعوب بالنظر إلى قواها المادية ، ويهملون تقدير القيم الأدبية والأخلاقية ، يخدعون أنفسهم فى الحقيقة ، فهذه القيم هى مصدر النصر فى النهاية ، إذ الدافع الروحى قوة لا يستهان بها فى حياة الأمم

لذلك يرى رجال السياسة الذين يستمتعون بالنظر البعيد ، أن يكون إلى جانب حرب السلاح حرب المبادئ والأفكار . يجب أن يعرف المحاربون أنهم يحاربون للمحافظة على القيم الأخلاقية لا للاستيلاء على الأرض والمادة . يجب أن يعرفوا أنهم يحاربون للحرية الإنسانية وللدفاع عن الضعفاء والمظلومين

لقد كنا نقول فى سنة ١٩١٤ إن الحرب قائمة لإنهاء الحرب ، ولكنا اليوم نقول : إن الحرب قائمة للدفاع عن الوحدة الأوربية وسلامتها ...

فهل تستطيع إيطاليا أن تقف أمام أوربا المنتصرة ، لتعارض مبادئ الحرية والعدالة التى تدعو إليها بعد الحرب ؟ . الجواب : لا

العمل والعمال فى تركيا

[ملخصة عن « لا جورنال دى روبيه »]

ليس فى تركيا إنسان واحد بغير عمل ، فكلمة (متعطل) لا وجود لها فى قاموس اللغة التركية اليوم . فإذا وجد رجل بغير عمل فمعنى ذلك أنه يغير العمل الذى كان يشتغل فيه . ولا يستغرق (تغيير العمل) أكثر من ثلاثة أسابيع على أكبر تقدير . إذ يذهب الرجل أو المرأة ممن يريدون (تغيير العمل) إلى مكتب خاص صباح كل يوم من هذه الأسابيع الثلاثة فيوكل إليه عمل مؤقت يقوم به ريثما يعين له العمل الدائم . وهكذا أصبحت تركيا الحديثة لا تعرف الكسل ولا التحول

ولا تعرف تركيا كلمة الحرمان من الحقوق الاجتماعية ، فجميع الحقوق التى للرجل تتمتع بها النساء . أما الرجال فقد فقدوا سلطانهم القديم على المرأة . وإن كانت لا تزال لهم بعض المزايا على وجه العموم ، إلا أن المرأة على الرغم من الجهود التى بذلت بشأنها لا تزال متأخرة عن الرجل فى ميدان الحياة العامة ... إننى ممن يؤمنون بحرية المرأة ؛ إلا أن التجارب العديدة قد برهنت لسوء الحظ على تفوق الرجل على المرأة . وقد أتيح لى كرئيس لإحدى قوات الطيران أن أضع تحت رآستى خليطاً من الرجال والنساء ، فلم أجد من يدرك فهم ضرورة النظام بين النساء إلا النذر القليل، وغالبهن ممن يمتزن فى الأصل بالذكاء الشديد ، بينما يبرهن الرجال جيماً حتى الذين لم يرزقوا من الفهم إلا الشىء القليل على فهمهم للنظام وخضوعهم له

لقد جربت الجوع فى الأيام الخالية ، ولكنى لا أجد الآن تركيا واحداً يعرف الجوع .

وإذا كانت الإحصاءات الرسمية قد دلت على أن عدداً يتراوح بين ألفين وثلاثة آلاف من الأتراك كانوا يموتون جوعاً كل عام ، فقد ثبت أنه لم يمت فى خمس السنين الأخيرة تركى واحد بعامل الجوع

وتقوم الحكومة التركية بالإشراف على غذاء كل عائلة ، وفحصه من الناحية الصحية مرة كل شهرين . وتكلف رب كل عائلة بتقديم بطاقة عن حالة أفراد عائلته الصحية فرداً فرداً إلى السلطات المختصة مرة كل شهر

وتلزم الفتاة التركية التى تصل إلى الثانية عشرة من سنها بدراسة منهاج خاص فى الأحوال الصحية وتربية الأطفال . ولا يباح الزواج للفتيات إلا إذا اجتزن امتحاناً خاصاً فى هاتين المادتين . وقد زاد عدد المواليد فى بعض المدن التركية إلى ٣٠ فى المائة للعناية الفائقة التى تبذلها الحكومة

وقد بلغ عدد الأتراك الذين يحملون شهادات بإتقان القراءة والكتابة من الذين ولدوا منذ سنة ١٩١٨ ، ٩٥ فى المائة من الفتيان والفتيات ، ويزاد صداق المرأة فى تركيا بمقدار التفوق الذى تظهره فى خدمة بلادها .

أما عدد الجرائم والمجرمين فقد نقص إلى حد عظيم فى السنين الأخيرة ...

أليس هذا جميعه دليلاً على أن تركيا تسير بخطوات واسعة نحو التقدم والفلاح ؟



« وحي الرسالة » في رأي مطران

تفضل إمام الصناعتين وشاعر القطرين الأستاذ خليل مطران بك فأرسل إلينا الكتاب الآتي :

حضرة الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات

أشكر لك إهداءك إليّ نسخة من كتابك « وحي الرسالة » وإنه حقاً لوحي رسالة

أقرر أنه وحي رسالة، وما أرمي بذلك إلى محاولة بديعية أستمد منها وسيلة سهلة للتقريظ ، بل أرمي إلى غرض أبعد وأسمى، ذلك أنك منذ أجريت قلمك في الترجمة ثم في الإنشاء التزمت ما لم يلتزمه غيرك من سلامة العربية وفصاحتها مع قربها إلى التناول . وكان الأمر غير يسير فذللت له صعاباً ، وخضت دونه غماراً . ويعلم الله وأهل الذكر ما يعاني الأديب في هذا المطلب ، وإنه لوعر شاق . وإن إدراك الغاية فيه لفخر ما بعده فخر. وقد جعلتُ بلوغك هذه الغاية رسالة لك ، وأعظم بها من رسالة ما دام يتحتم على الناطقين بالضاد استبقاء الفصحى ، وليس هذا فحسب بل تطويعها ، وهي لا تعي ولا تضعف ، ولا تهن ولا تسخف ، لأداء أدق الأفكار وأبدع المعاني في هذا العصر، بأصدق ما يكون البيان، وأروع ما يأتي الأسلوب ، وأمتن ما تكون التراكيب ، بين أصيلة ومتشبهة بها

أمتعتني بمراجعة تلك الفصول القيمة التي جمعتها بين دفتي كتابك ، فما زادتني المراجعة إلا إكباراً لها وإعجاباً بها . وإني لأرجو أن يكون من أثرها في نفوس فتياننا ، ردّهم إلى محجة الصواب التي نكبتهم عنها مولدات عجيبة من مقاطر الأقلام في هذه الأيام .

فبارك الله فيك ومد في أجلك لتجيد وتزيد ، وإليك في الختام خالص التحية مع فائق الاحترام .

المخلص
خليل مطران

هذا الكلام لأفلاطون

روت مجلة (الهلال) الغراء في آخر أجزائها هذا القول عازية إياه إلى عمر بن الخطاب (رضوان الله عليه) : « لا تقصروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم »

وقد جاءت (لا تقصروا) بالصاد ، وهي بالسين ، وما قيل في الإبدال في هذا الباب معلوم ، بيد أن قصة (أبي صالح . . .) تقسرنا على أن نقصر (القسر) على الإجبار أو الجبر و (القصر) على الحبس . والقول المروي ينسبه ناسبون إلى علي (رضوان الله عليه) . والحق الذي لا مرية فيه أنه إغريقي سليل إغريقيين ، وقائله ـ كما أخبروا ـ هو الحكيم أفلاطون . وقد ترجمه أبو الفرج بن هندو فيما عرّب[1] من الحكم اليونانية في (الكلم الروحانية) وربما نقل القول من قبل . ولو شاء الخليفتان الثاني والرابع (رضي الله عنهما وعن جميع الصحابة) أن يقولا شيئاً في هذا المعنى لقالا نقيض ذاك الكلام، إذ يستحيل أيما استحالة أن يرى صاحبا رسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) أن لكل وقت آداباً ، كأن الآداب (أزياء) نساء في الماهر في باريس ، فيوصيا أهل دهرهما بهاتيك الوصية العريقة في الإغريقية

قل : إن ذلك إنما يقوله ويوصي به يونانيون ، رومانيون ، أوربيون ، أمريكيون ، عربيون عصريون ، لا صحابيون ولا تابعون ولا مهتدون بهديهم

يا كتاب ، يا رواة ، اعقلوا ... !

(طنطا) (أزهري)

حول شمال أفريقية

١ — إلى حضرة نصير العروبة الأستاذ الكبير ساطع الحصري:

في جوابكم المنشور في العدد ٣٣٩ من الرسالة الغراء على كلمة لي سابقة حول رحلتكم إلى « شمال أفريقية » ما يدعوني إلى الخجل إذ كانت سبباً في تألمكم . غير أني سررت لنتيجتها كما سر الشباب المغربي الطموح ، فقد كانت باعثة لكم على إفادتنا بأشياء وإطلاعنا على أشياء . وكنت أود تحريضكم على كتابة فصول عن مشاهداتكم في المغرب ، إذ نعد ذلك فرصة نرجو ألا تضيعوها علينا ، لأن وجود العراقي أو المصري في بلاد المغرب « أندر من وجود المطر في القاهرة » . وإذا وهبتمونا قليلاً من وقتكم ووصفتم

---

(١) أخطأ الأستاذ أسعد داغر في تخطئته من يقول عرب الكتاب أو الجملة أو المقالة ، كما أخطأ في (تذكرة الكاتب) في أشياء كثيرة « ومن البر ما يكون عقوقا »

للعرب فى «رسالتهم» بمض بلادهم ، فستشكركم العروبة قبل أن يشكركم أبناؤها .

وأما الملحوظة التى ذكرتم عقب جوابكم ، فستصلكم منى فى شأنها رسالة خاصة لمقركم بالعراق . والسلام عليكم ورحمة الله

٢ — حضرة الأستاذ أحمد الكندى :

جاء فى ردك المنشور فى العدد ٣٤١ من مجلة الرسالة على كلمة سابقة لى ما يفيد أننى أنفى وجود الأباضية من « شمال أفريقية » وهذا ما لا تدل عليه كلمتى قط ، لأنى إنما نفيت وجودهم فى المغرب الأقصى . وهذا نص كلامى (الرسالة ٣٣٩) :

« أما الوحدة المذهبية ، فالمغرب من أقصاه لأقصاه على مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس وليس فيه طوائف دينية كالرافضة أو الأباضية أو غيرهما ... »

وهو كما ترى صريح فى نفى وجود الأباضية فى المغرب الأقصى « مراكش » لا فى جميع شمال أفريقية كما قد فهمت .

أما أننى لا أعتبرهم من الفرق الإسلامية فمعاذ الله أن أقصد ذلك لأنى قد حصرت الأقليات الدينية غير الإسلامية بالمغرب فى طائفة اليهود وبعض الأجانب من الذين أقاموا فيه بعد الحماية ثم عدت إلى الكلام عن الوحدة المذهبية بالمغرب ، فنفيت أن يكون فيه طوائف دينية أعنى بها المذاهب الإسلامية غير مذهب مالك

أما المذاهب الإسلامية فى الشمال الإفريقى غير المغرب فهى زيادة على الأباضية (التى فصل الكلام عنها صاحب الأزهار فى أئمة وملوك الأباضية) يوجد فى تونس والجزائر وطرابلس وبرقة المذهب الحنفى والمالكى كما يحتمل وجود غيرها

وقياساً على استعدائك علىَّ عالم الأباضية إبراهيم طفيش كان ينبغى أن تستعدى علىَّ شيخ الإسلام الحنفى بتونس وقاضى الأحناف بعاصمة الجزائر وقاضيهم بطرابلس وبرقة ، ومذهبهم أكثر انتشاراً وأعظم أتباعاً ؛ وبهذا كان يتم لكم القول بأن (الحق أن النزعة الإسلامية المتأصلة فى قرار نفوسنا تضطرنا لإصلاح أغلاط إخواننا فينا) كيف وهذا الاستعداء والاستنجاد من أصله قد بنى على فهم خاطئ

وأنا فوق ذلك أحترم نقدك وغيرتك ، ولى كامل الفخر بأن أكون أحد الذين يغارون على الإسلام . وعليك من الله السلام

(فاس) « أبو الوفاء »

« البستانى » أيضاً

قرأت فى العدد (١٥٩) من السياسة الأسبوعية رداً على نقدى لأناشيد البستانى . وفى الحق لقد أعجبنى من الأستاذين فؤاد البعى وتوفيق أبو السعد أن يتقبلا النقد فى صدر رحب ، وأن يستسيغاه فى هدوء ؛ غير أنى لا أستطيع أن أومن معهما بأنهما يريدان أن يميشا « وهذا الشاعر فى لحظات من السموّ والقداسة والجمال ... » لأننى ما زلت أرى أن هذا العمل تعوزه الدقة والاهتمام ، ويفتقر إلى العناية والأناة

وإذا كان المعربان قد ألقيا مسئولية الغلطات السابقة على عاتق « عامل المطبعة » برغم أن من ورائه من يراجع ويصحح ، فلا ضير ، فأنا أغتفرها جميعاً « لعامل المطبعة » ؛ ثم أعود إلى الأناشيد المنشورة فى العدد (١٥٩) فأقول :

لقد جاء فى المقطع الأخير من النشيد الخامس والعشرين : وهنا من تنوء أقدامى بأثقال قلبى . (كذا) وهذه عبارة لا أستطيع فهمها على ما فيها من أخطاء فى اللغة والمعنى معاً . فأول ما يجذب النظر فى هذه العبارة هى كلمة : أقدامى . فهل كان للشاعر أكثر من قدمين ؟ وهذه غلطة تكررت فى المقطع الرابع من النشيد الثلاثين حيث كانت الترجمة : أقدامكِ فى حمرة الورد . . . والشاعر هنا يعنى قدمى الحبيبة . وفى التعبير اللغوى غلطة أخرى ، فهناك فرق بين « تنوء قدماى بأثقال قلبى » وبين « تنوء أثقال قلبي بقدمى » والمعنى الأخير هو الذى يريده الشاعر فى نشيده

وجاء فى النشيد السادس والعشرين «لو تفضلتِ علىّ بزهرة برية فسأحفظها بين طيات فؤادى وإن لم أحظ إلا بشوك واخز» وهذا حديث فيه أخذ ورد بين الحبيبين يجب أن يكون هكذا :

— لو تفضلت علىّ بزهرة برية فسأحفظها بين طيات فؤادى

— وإن لم تفز منى إلا بالشوك ؟ ثم يتم الحديث بينهما

وسقط من هذا النشيد ثلثه الأخير وترجمته كما يأتى :

— ليتك ترفعين إلى وجهى نظراتك الحبيبة مرة واحدة . إذ تنفثين فى حياتى السعادة الأبدية

— وإذا كانت حدجات قاسية ؟

— إذن أدعها تخز قلبى

— نعم ، نعم إننى أعرفك أيها السائل الرفيق ، فأنت تطلب كل ما أملك

وبعد فإن زحمة العمل تحول بينى وبين أن أفند كل ما أجد فى الأناشيد ، وإن مقدرة الأستاذين كفيلة بأن توفر علىّ جهداً أدخره لأشياء أخر ، والسلام

كامل محمود حبيب

مجلة العصبة فى عامها السادس

دخلت زميلتنا (العصبة) فى يناير عامها السادس وهى أقوى ما تكون إيماناً برسالتها العظيمة وصبراً على جهادها الجاهد .

و (العصبة) — كما يعلم قراء (الرسالة) — مجلة شهرية للأدب والفن يصدرها فى سان باولو الأستاذ المجاهد « حبيب مسعود » ويحررها جماعة العصبة الأندلسية ، وهى بحق سفارة الأدب العربى بين أهله فى الوطن وبينهم فى المهجر ، تصل ما بينهم بوشائج روحية من نسب الفكر والبيان والأمل والذكرى ، وتلقى فى روعهم على الدوام أن لهم تاريخاً ولغة وأدباً وأمة حتى لا يفقدوا على تراخى الزمن ونزوح الدار مقوماتهم الجنسية والوطنية فيذوبوا فى غمار الأمم

وبين يدينا الآن عددها الممتاز الذى اعتادت أن تصدره فى آخر كل مرحلة من مراحلها البالغة ؛ وهو طرفة من طرف الأدب النادرة يقع فى نحو ١٨٠ صفحة ويمتاز من سوابقه بغزارة مادته ووفرة صوره وجمال تنسيقه وتنوع موضوعاته ، وكان المظنون أن يكون أبناء العروبة فى أقطارها عوناً لهؤلاء الأدباء المجاهدين الصابرين على رفع لوائها فى بلاد الغرب ، ولكنا نستنتج وا أسفاه من فاتحة هذا العدد وخاتمة هذه المرحلة أن الأدب الحر والصحافة الرشيدة هما فى كل مكان تضحية ومحنة . فقد قال محررها الفاضل فيما قال :

« . . . أما عددنا فمحدودة ، لأن الفئة التى تُقبل على صحيفة من طراز « العصبة » قليل عددها بالنسبة إلى تلك الفئة التى لا يهمها من الصحيفة غير أن تكون متحفاً للأشخاص لا معرضاً للأقلام

حبذا لو أننا عند آخر كل مرحلة نقول : لا علينا ولا لنا . غير أن « على » حليفتنا الأمينة . وما فى ذلك لغز وإبهام ، لأن ما ننفقه مستمد أكثره من المشتركين لا من موارد أخرى تغنى عن الاشتراكات . ومع ذلك ليس للتذمر مجال فى أنفسنا ، لأن الجندى فى ساحة الحرب لا يتطلّب مائدة تبسط عليها ألوان الطعام والشراب ولا فراشاً وثيراً . وحسبنا من جهادنا أن نترك صفحة نقية فى تاريخ الصحافة العربية فى المهجر . . . »

اشتراك « العصبة » فى السنة ستة دولارات أمريكية

وعنوانها : LIGA ANDALUZA
CAIXA POSTAL, 1812
S. PAULO (Brasil)

بين بشر وشاكر

الزلزلة تفيد فى اللغة معنى الاضطراب والتقلقل ، ولكن هل هذه الإفادة تجيز أن يقال إن « الأذن تزلزل طربا » بمعنى الاضطراب والتقلقل ؟

الدكتور بشر فارس يجيز هذا ، لأنه يرى مجاورة فى لغة العرب بين الزلزلة والطرب ، وهو يسوق على ذلك الشواهد ويعزز رأيه بنصوص من كلام البلغاء ، ولكن يغيب عنه أن هذه المجاورة — فى كل الشواهد التى جاء بها — تعتمد على أساسين : جواز الاضطراب والتقلقل على الشىء أولاً ، وإمكان الإحساس والشعور بهذا الاضطراب والتقلقل ثانياً .

وقد لمس الأصل الأول منهما الأستاذ المحقق محمود محمد شاكر ، ومن هنا كانت موضع مؤاخذته على صاحبه أن يقول : « أذنى زلزلت طربا » . وهو يقرر أن شرط مجاز الزلزلة أن يكون الشىء يتحرك ويضطرب ويتقلقل . ومن هنا يصح عنده القول إن الرجل يتزلزل ، والأقدام والأيدى والرؤوس والقلوب وما إليها من سائر أعضاء الإنسان المتحركة حركة ما ، وكذلك الحيوان كالإبل جاء راعيها « يزلزلها » ، ولكن لا يصح عند ظنه القول بأن الأذن تتزلزل من الطرب أو الغضب (أو تحت تأثير أى انفعال آخر) ، لأن الأذن لا تتحرك ، وهذا صحيح !

ولكن الدكتور بشر فارس يرى الأذن تهتز طبلتها على جانب المائلة لحركة مصدر الصوت ، ومن هنا يجوز عنده أن يقال إن الأذن تتحرك ويصح رأيه فى أن الأذن تتزلزل طرباً . ولكن هذه الحركة الاهتزازية لا يمكن الشعور بها ، وشرط مجاز الزلزلة ليس الحركة وحدها ، وإنما الحركة أولاً ، ثم وجوب الشعور بها ثانياً . ومن كل الشواهد والأمثلة التى دارت على قلمى المتناظرين تجد أن الإحساس والشعور بالحركة شرط مجاز الزلزلة للشىء المتحرك . ومن هنا نرى أنه لا يجوز لغة القول بأن الأذن تطرب

(أو تنفمل) زلزلة ، لأنه لا يمكن الإحساس والشعور بحركة اهتزاز طبلة الأذن ...

على أن تخريج الدكتور بشر للموضوع طريف، وطرافته تجىء من جهة أن كل عضو من أعضاء الحس تهتز دخائلها . وهذا الاهتزاز حين ينتهى إلى مراكز الإحساس فى الدماغ يحدث الشعور بالإحساس . ومن هنا يمكن أن نقول إن العينين تتزلزلان من الجمال . . . ومن الواضح سخافة مثل هذا المجاز ! ...

ومن المهم أن نقول إن نزعة الدكتور بشر فارس التجديدية ، وجريه وراء مذهب المجددين المفرقين فى تجديدهم فى الغرب ، هى التى أملت عليه هذه الصورة الشعرية النابية عن الذوق وفن اللغة عامة والمجاز خاصة. ألا ترى بيراندللو يقول فى مسرحية له : « واضطربت أذنها وتقلقلت من موسيقى الجاز المزعجة التى كانت تدق فى القاعة » (أنظر فردريك ناردىللى فى كتابه — الإنسان المقدس — حياة وآلام بيراندللو، الترجمة التركية، استانبول ١٩٣٩ ص ١١٨ ـ ١١٩) . إن فى هذه الصورة أصلا لتعبير الدكتور بشر: « أذنى زلزلت طربا » ؛ الموروث من طبيعة بدويّة ، أعرابية ، لجاء متخذاً هذا الكساء .

والدكتور بشر على الرغم من حبه للتجديد فيه لوثة أعرابية على حدّ تعبير أسود بن أبى خزيمة (البيان للجاحظ ج ١ ص ٧٠ طبعة مصر)

(الاسكندرية) اسماعيل أدهم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)



8me Année No. 348

Lundi - 4 - 3 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

مصـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
٢	ثمن هذا العدد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٤٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ محرم سنة ١٣٥٩ — الموافق ٤ مارس سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

« الفهرس »

محمد الزعيم



ولدت سنتنا الهجرية الجديدة وا أسفاه فى هذه الأيام التى اختبل فيها إنسان الغرب فزلزل جوانب الأرض على نفسه؛ وأبكم فى فمه حجة العقل ووحى الضمير فلا يتكلم إلا بلسان النار، ولا يصول إلا ببأس الحديد ؛ وراحت المنايا الرواعد تدكدك المدن والناس فى فجوات القنابل ، فلا ترى اليوم فى بلاد الحرب غير مقبور أو منتظِر ، ولا فى بلاد الحيدة غير مذعور أو حَذِر. ومفزَع الشعوب فى غشية هذه الخطوب الزعماء والقادَة . فليت شعرى إلى من يفزع العرب والمسلمون من هول هذه الساعة ؟ لم يُتح الله لهم بعد محمد وخلفائه زعيماً يجتمع عليه القلوب وترجع إليه الأمور فى أقطارهم البعيدة ووجوههم المختلفة ؛ وإنما ابتلاهم

بالانقسام والفرقة حين ضلوا الطريق فكان فى كل قطعة من الوطن الأكبر سرير وأمير ، وتوزعت زعامة محمد فى كل جيل وفى كل قبيل بين عشرات من الرجال المجاف ، فكانت كالشعلة العظيمة الوهاجة تقطعت أقباساً كشموع الأطفال لا تقوى على نَسَم الريح ولا تظهر فى حلَك الليل !

* * *

تعالوا يا زعماء اليوم عانين خاشعين ألق عليكم درساً من زعامة محمد ! إن فيكم زعماء أحزاب ، وليس فيكم زعيم أمة ؛ أما هو فكان زعيم الإنسانية جماء

بلغتم مكان الزعامة الإقليمية عن طريق الحزبية أو الثروة أو القوة ، ثم لم تستطيعوا أن تنسوا ضعف القمىء الصغير الذى ارتفع على كواهل غيره ؛ أما هو فقد بلغ الزعامة العالمية عن طريق الألم والفقر والغربة والجهاد ؛ ثم جمل فى عشر سنين من الرعاة الجفاة الشتتين على رمال القفر ، أمةً متماسكة الأجزاء ، متحدة الأهواء ، متساندة القوى ، متجانسة الطباع ، بلغت رسالة الله وحكمت عامر الأرض ومدنت أكثر العالم

إنكم تكونون قبل الزعامة ناساً كالناس ، ثم تصبحون بعدها آلهة كالآلهة ، تنكرون الخاصة ، وتزدرون العامة ؛ ثم تمتازون فتدخلون بفضل المبادئ المزورة والمناصب المسخَّرة فى دنيا النبلاء والأغنياء ، وماذا بعدهذا ؟ أما هو فقد ملك الحجاز واليمن ، وجبى الجزيرة كلها وما داناها من العراق والشام ، وظل ينام على فراش من أدم حشوه ليف ، ويبيت هو وأهله الليالى طاوين لا يجدون العشاء ، ويمكثون الشهر لا يستوقدون ناراً إنْ هو إلا التمر والماء ، ويلبس الكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على الناس أقبية الديباج المخوص بالذهب ؛ فإذا أقبل على أصحابه فقاموا إجلالاً له قال لهم : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً . إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » . وكان ذات مرة فى سفر فأمر أصحابه بإصلاح شاة . فقال رجل : علىَّ ذبحها ، وقال ثان : علىَّ سلخها ، وقال ثالث : علىَّ طبخها . فقال الرسول صلوات الله عليه : وعلَىَّ جمع الحطب . فقالوا : يا رسول الله نكفيك العمل . فقال : علمت أنكم تكفوننى إياه ولكنى أكره أن أتميز عليكم !

ولما استعز الله بقاسم الفىء وزعيم الجزيرة وسيد الملوك كانت درعه مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله !

إنكم حينما تتزعمون لا تفكرون إلا فى مثوبة الصديق وعقوبة العدو ، ثم لا تخرج أعمالكم وآمالكم عن دائرة الحزبية الصغيرة الحقيرة ؛ فالمنفعة تقاس بمقياس الحزب ، والسياسة تتلون بلون المنفعة . أما هو فكان يعادى فى الله ويصادق فى الله . اشتط في أذاه المشركون فى مكة والمنافقون فى المدينة ، فلما أمكنه الله منهم بسط عليهم جناح عفوه . وقال لقريش يوم الفتح : يا معشر قريش ! ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ! أخ كريم وابن أخ كريم ! قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء

ثم كانت سياسته كنور الله لا تعرف الحدود ولا الخصوص ولا الزمن ؛ إنما هى سر الخالق العظيم استعلن فى سكون الصحراء على لسان الرسول العظيم ، ثم دوَّى فى غياهب الآفاق ومجاهل الأبد ليكون الشعاع الهادى لكل ضال ، والنداء الموقظ لكل غافل

إنكم تُسيرون الجنود إلى الخنادق وتبيتون على حشايا الديباج ، وترسلون العمال إلى المهالك وتظلون فى أبراج العاج ؛ أما هو فكان يقاتل مع الجندى حتى يدمَى ، ويعمل مع العامل حتى ينصب . وكان صحبه إذا احتدم البأس واحمرت الحدَق اتقوا به فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه !

ذلك محمد يا زعماء اليوم وهؤلاء أنتم ! فهل تحسون بينكم وبينه صلة ، أو تجدون بين سياستكم وسياسته مشابهة ؟

لا تقولوا إنه الوحى ، فما كانت حياة الرسول كلها ولا سياسته كلها من هُدى الوحى ؛ ولكن قولوا إنها الرجولة الكاملة والُخلق العظيم والعبقرية الفذة والشخصية القوية . وصفة القوة لا تدل على شىء فى شخصية الرسول ، فإنها لم تظهر فى أحد قبله ولا بعده حتى يقوم بها وصف . وما ظنكم بشخصية تُخضع لليتيم العديم الزارى على الآلهة والسادة ، الرءوسَ الطاغية والنفوس العاتية والقلوب الغلاظ ، فيسمتون سمته فى الخلال ، وينهجون نهجه فى العيش ، ويأخذون إخذه فى المعاملة ، ويجمعون على حبه وطاعته وتفديته إجماعاً لا يخرقه إلا الكفر بالله . فأقواله سنن تتبع ، وأعماله عهود تحفظ ، وآراؤه أوامر تطاع ، وأحكامه أقضية تُنفذ . فعليكم يا زعماءنا بسيرة محمد وسياسة محمد ؛ فلعل فيكم من تدركه نفحة من نفحاته القدسية فيجدد ما رث من دعوته ، ويجمع ما شت من وحدته ، ويصلح ما فسد من أمته ! « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها »

أحمد حسن الزيات

الهجرة مبدأ التوحيد والوحدة

لإمام المسلمين الأستاذ الأكبر
الشيخ محمد مصطفى المراغي
شيخ الجامع الأزهر



فى سبيل الله هاجرَ سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه إلى يثربَ . هاجر ليجاهد الشرك بالتوحيد ويعالج الشتات بالوحدة . والتوحيد هو روح الإسلام وجوهره ، وسبيل الرسول وغايته . وليس التوحيد الذى تضمن سر الدين كله مقصوراً على ما تعارفه الناس من تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الشريك والند ؛ وإنما يشمل كل ما يكفل للأُمة وللانسانية الألفة والوحدة والتعاون، من توحيد الله وتوحيد العقيدة وتوحيد الكلمة وتوحيد الغاية وتوحيد الدنيا والدين. وفى سبيل التوحيد فى شتى مظاهره كابد الرسول ما كابد من عنت الشرك وسفه الجهالة وإفراط العصبية .

دعا إلى توحيد الله ، وقد كانت الآلهة تتعدد بتعدد القوى والقبائل والأمم، وكان الإنسان أهون على نفسه من الحيوان والشجر والحجر فعبد مالا يضر ولا ينفع « وحاجَّه قومه قال: أتحاجونِّى فى الله وقد هدانى ؟ إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىَّ أنما إلهكم إله واحد . ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ؟ »

ثم دعا إلى توحيد الرأى والجهد فألف بين الأوس والخزرج ، وآخى بين المهاجرين والأنصار، فأصبحوا أشداء على الكفار رحماء بينهم ؛ ثم عاهد بين المسلمين واليهود فانطفأت فى المدينة بعد الهجرة نار العداوة بين الأهل والأهل وبين الجيرة والجيرة .

« إن المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس ... وإن اليهود أمة من المؤمنين لهم النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ... وإن الجار كالنفس غير مضارٍّ ولا آثم »[1]

ثم دعا الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً إلى توحيد العقيدة بالرجوع إلى مصدرها الصافى وجوهرها الحق : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون »

ثم دعا الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى توحيد الإنسانية بمحو العصبية القَبَلية وقتل النُّعَرة الجنسية وتغيير القياس لدرجات الناس ، فجعل التقديم والتكريم بالتقوى ، وبذلك زالت الفروق الاجتماعية بين الباهلى والقرشى، وبين الفقير والغنى، وبين الأسود والأحمر « إن ربكم واحد . وإن أباكم واحد . كلكم لآدم وآدم من تراب . إن أكرمكم عند الله أتقاكم . لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى »[2]

ثم واءم بين الدنيا والدين وقد كانت الشرائع الأخرى تفصل بينهما كل الفصل ، فجعل اليهودُ الكهانة فى اللاويين ثم انصرف سائرهم إلى الصفق والاجتراح . ودعا المسيحيون إلى الرهبانية والنسك وترك ما لقيصر لقيصر . ولكن الإسلام جعل الدين للدنيا كالروح للجسم، فلا تعمل إلا بوحيه ، ولا تسير إلا بهديه، فكان خليفةُ الرسول هو ملك الناس ، وكان إمام المصلين هو قائد الجنود

وأنت إذا نظرت فى حياة الرسول بالبصيرة ، وبحثت فى أصول الإسلام بالروية، وجدت مبدأ التوحيد والاتحاد مرمى كل عمل وأساس كل قاعدة . وبفضل التوحيد والوحدة جعل الله العرب القلال الضعاف أئمة للناس وورثة لكسرى وقيصر . فلما انشقت العصا وتمزق المسلمون ونسوا الله وفصلوا بين دينه ودنياهم، ضعفوا ولانوا واستكانوا وأصبحوا بين الأمم القوية قطماناً تسام وسلماً تساوَم

(١) من الصحيفة التى كتبها الرسول مهداً بين المهاجرين والأنصار واليهود

(٢) من خطبة الوداع

عبقرية محمد العسكرية

للأستاذ عباس محمود العقاد



خطر لى أن أجعل موضوع مقالى فى هذا العدد الخاص بالعرب والإسلام بحثاً مجملاً عن عبقرية النبى عليه السلام من الوجهة العسكرية لتتم المناسبة بين المقال وبين موضوع العدد كله والوقت الذى يصدر فيه وهو وقت قتال أو تحفز لقتال

ولا محل للمشابهة بين الحرب فى عهدنا هذا وبينها فى عهد الرسالة الإسلامية ، لأن الحرب قد أصبحت منذ ابتداء القرن العشرين حرب مواقع ، كالحصون المنيعة من خط ماجينو وخط سيجفريد ، أو كالخنادق التى كانت غالبة فى الحرب الماضية ، ولا سيما فى الميادين الغربية

أما فى القرن الماضى فقد كانت الحرب « حرب حركة » كما كانت قبل أربعة عشر قرناً أو قبل عشرين قرناً بغير اختلاف كبير فى المبادئ والأفكار ، وغاية ما هنالك أن الرامية حلت محل القوس والسهم ، وأن المدفع حل محل المنجنيق ، وأن القذائف حلت محل النار الإغريقية وما إليها

لهذا اخترنا أبرع القادة المحدثين على أسلوب « حرب الحركة » وهو نابليون بونابرت ، لنبين السبق فى خطط النبى العسكرية ، بالمضاهاة بينها وبين خطط هذا القائد العظيم

١ — فنابليون كان يوجه همه الأول إلى القضاء على قوة العدو العسكرية بأسرع ما يستطيع ، فلم يكن يعنيه ضرب المدن ولا اقتحام المواقع ، وإنما كانت عنايته الكبرى منصرفة إلى مبادرة الجيش الذى يعتمد عليه العدو بهجمة سريعة يفاجئه بها أكثر الأحيان ، وهو على يقين أن الفوز فى هذه الهجمة يغنيه عن المحاولات التى يلجأ إليها جلة القواد

وعنده أنه يستفيد بخطته تلك ثلاثة أمور : أن يختار الموقع الملائم له ، وأن يختار الفرصة ، وأن يعاجل العدو قبل تمام استعداده

وقد كان النبى عليه السلام سابقاً إلى تلك الخطط فى جميع تفصيلاتها

فكان لا يبدأ أحداً بالعدوان ، ولكنه إذا علم بعزم الأعداء على قتاله لم يمهلهم حتى يهاجوه جهد ما تواتيه الأحوال ، بل ربما وصل إليه الخبر كما حدث فى غزوة تبوك والناس مجدبون والقيظ ملتهب والشدة بالغة ، فلا يثنيه ذلك عن الخطة التى تعودها ، ولا يكف عن التأهب السريع وعن حض المسلمين على جمع الأموال وجمع الرجال ، ولا يبالى ما أرجف به المنافقون الذين توقعوا الهزيمة للجيش المحمدى فلم يحدث ما توقعوه

وكان عليه السلام يعمد إلى القوة العسكرية حيث أصابها فيقضى على عزائم أعدائه بالقضاء عليها ، ولا يضيع الوقت فى انتظار ما يختاره أولئك الأعداء ، وإضعاف أنصاره بتركه زمام الحركة فى أيدى الهاجين ، إلا أن يكون الهجوم وبالاً على القدمين عليه ، كما حدث فى غزوة الخندق

٢ — وقد كان نابليون مع اهتمامه بالقضاء على القوة العسكرية لا يغفل القضاء على القوة المالية أو التجارية التى يتناولها اقتداره ، فكان يحارب الإنجليز بمنع تجارتهم عن الوصول إلى القارة الأوربية ، وتحويل المعاملات عن طريق انجلترا إلى طريق فرنسا

وهكذا كان النبى عليه السلام يحارب قريشاً فى تجارتها ، ويبعث السرايا فى أثر القوافل كلما سمع بقافلة منها

لقد آن للمسلمين أن يرجعوا إلى ما دعا إليه نبيهم ، ويتبعوا ما صلح عليه أولهم ، فيوحد زعماؤهم الجهود ، وتحدد أحزابهم الخطط ، وتستعد شعوبهم للقيام بنصيبهم الأكبر من بناء حضارة روحية جديدة تقوم على العدل ، وتستقيم بالمساواة ، وتستضىء بالدين ، ويرتفع فى جنباتها المترامية ذكر الله « ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » .

محمد مصطفى المراغى

وأنكر بعض المتعصبين من كتاب أوربا هذه السرايا وسموها « قطعاً للطريق » وهي هي سنة المصادرة بعينها التي أقرها القانون الدولي ، وعمل بها قادة الجيوش في جميع العصور ، ورأينا تطبيقها في الحرب الحاضرة والحرب الماضية ، رشيداً تارة وبالغاً مبلغه من الشطط والغلواء تارة أخرى .

٣ — وقد أسلفنا أن نابليون كان يوجه همه إلى الجيش ولا يقتحم المدن أو يشغل باله بمحاصرتها لغير ضرورة .

ونرجع إلى غزوات النبي عليه السلام ، فلا نرى أنه حاصر محلة إلا أن يكون الحصار هو الوسيلة العاجلة لمبادرة القوة التي عسى أن تخرج منها قبل استعدادها ، أو قبل نجاحها في الغدر والوقيعة، كما حدث في حصار بني قريظة وبني قينقاع، فكان الحصار هنا كمبادرة الجيش بالهجوم في الميدان المختار بغير كبير اختلاف

٤ — لم يعرف عن قائد حديث أنه كان يعنى بالاستطلاع والاستدلال عناية نابليون .

وكانت فراسة النبي في ذلك مضرب الأمثال ، فلما رأى أصحابه يضربون العبدين المستقيين من ماء بدر ، لأنهما يذكران قريشاً ولا يذكران أبا سفيان ، علم بفطنته الصادقة أنهما يقولان الحق ولا يقصدان المراء . وسأل عن عدد القوم ، فلما لم يعرفا العدد ، سأل عن عدد الجزور التي ينحرونها كل يوم ، فعرف قوة الجيش بمعرفته مقدار الطعام الذي يحتاج إليه . وكان صلوات الله عليه إنما يعول في استطلاع أخبار كل مكان على أهله ، وأقرب الناس إلى العلم بفجاجه ودروبه ، ويعقد ما يسمى اليوم مجلس الحرب قبل أن يبدأ بالقتال ، فيسمع من كل فيما هو خبير به، ولا يأنف من الأخذ بنصيحة صغير أو كبير ...

٥ — واشتهر عن نابليون أنه كان شديد الحذر من الألسنة والأقلام ، وكان يقول إنه يخشى من أربعة أقلام، ما ليس يخشاه من عشرة آلاف حسام

والنبي عليه السلام كان أعرف الناس بفعل الدعوة في كسب المعارك وتغليب المقاصد، فكان يبلغه عن بعض أفراد أنهم يشهرون بالإسلام أو يثيرون المشاعر لقتاله أو يقذعون في هجوه وهجو دينه ، فينفذ إليهم من يحاربهم في حصونهم أو يكفل له الخلاص منهم

وعاب هذا بعض المغرضين من الكتاب الأوربيين وشبهوه بما عيب على نابليون من اختطاف الدوق دانجان وما قيل عن محاولته أن يختطف الشاعر الإنجليزي كولردج الذي كان يخوض في ذمه ويستهوي الأسماع بسحر حديثه

ولكن الفارق عظيم بين الحالتين ، لأن حروب الإسلام إنما هي حروب دعوة لدعوة أو حروب عقيدة لعقيدة ، وإنما هي في مصدرها وغايتها كفاح بين التوحيد والشرك أو بين الإلهية والوثنية ، وليس وقوف الجيش أمام الجيش إلا سبيلاً من سبل الصراع بين الدعوتين والغلاب بين العقيدتين

فليس في حالة سلم مع النبي إذن من يحاربه في صميم الدعوة الدينية، ويقصده بالطعن في لباب رسالته الإسلامية، وإنما هو مقاتل في الميدان الأصيل ينتظر من أعدائه ما ينتظره المقاتل من المقاتلين، ولا سيما إذا كانت الحرب قائمة دائمة لا تنقطع فترة إلا ريثما تعود

أما نابليون فالحرب بينه وبين أعدائه حرب جيوش وسلاح ، فلا يجوز له أن يقتل أحداً لا يحمل السلاح في وجهه أو لا يدينه القانون بما يستوجب إزهاق حياته . وما نهض نابليون لنشر دين أو تفنيد دين ، ولا كان للرسول الإسلامي من غرض لو جاز له أن يقبل المسالمة ممن يحاربونه في دينه وإن لم يشهروا السيف في وجهه ، فإن الضرب بالسيف لأهون من المقتل الذي يضربون فيه

تلك مقابلة مجملة بين الخطط التي سبق إليها محمد ، وجرى عليها نابليون بعد مئات السنين ، ومن الواجب أن نحكم على قيمة القيادة بقيمة الفكرة أو الخطة قبل أن نحكم عليها بفخامة الجيوش وأنواع السلاح .

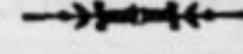
ولم يتخذ محمد الحرب صناعة ، ولا عمد إليها كما أسلفنا إلا لدفع غارة ، واتقاء عداوة ، ورائده في ذلك ما جاء به القرآن الكريم : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين . فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين »

فإذا كان محمد لم يتخذ من الحرب صناعة وكان يتقن منها ما يتولاه مدفوعاً إليه ، فله فضل السبق على جبار الحروب الحديثة الذي تعلمها وعاش لها ولم ينقطع عنها منذ ترعرع إلى أن سكن في منفاه ، ولم يبلغ من نتائجها بعض ما بلغ القائد الأمي بين رمال الصحراء .

عباس محمود العقاد

شريعة الإسلام نظام لكل عصر

للأستاذ علي الخفيف
أستاذ الشريعة بكلية الحقوق





جاء الإسلام فكان مبيناً فى عقائده ، محكماً فى دلائله ، أسس على اليقين فتمت له قوته ، ومثّل الفطرة فكان له بساطتها وصفاؤها وكان لهذا ديناً صالحاً للناس أجمعين ، يسوى بينهم جميعاً ، فإذا هم أمة واحدة ، لها شرعة واحدة ورياسة واحدة . على هذا الأساس شرعت مبادئه حتى تكون على الدوام أساساً لصلاح المجتمع الإنسانى

ولقد أطلق الإسلام العقول من قيود الأوهام ، وزكى النفوس من دنس الأباطيل ، فأبصرت ما فى هذا الكون من آيات ، فإذا المشرك مؤمن ، والجاهل عالم ، والضعيف قوى

أما عقيدته التى جاء بها ، فهى الفطرة خلصت لله سبحانه وتعالى ، فاطرحت كل ما سواه ، وقررت أنه هو الإله وحده ، وهو الخالق وحده ، له الأمر وإليه المصير

ذلك التوحيد ، وهذا الخلوص هو ما فطر عليه الناس ، وما يجدونه عند مفزعهم ، حين ينسون مشاغلهم ، وما يحسونه من نفوسهم إذا صفت ورجعت إلى طبيعتها ، خالصة مما حاق بها من نزعات شهوانية ورغبات مادية ، وليس يسع الرجل الرشيد ، وقد تبين له الأمر إلا أن يستجيب لتلك الدعوة ، تكريماً لنفسه ، وإطلاقاً لعقله ، وتلبية لفطرته . وإذن فعقائد الإسلام مستكنة فى النفوس ، لا يعوقها عن الظهور إلا ما غشى النفوس من أوهام موروثة ، وغطى على القلوب من شهوات مشبوبة ، وأضعف الضمائر من عادات فاشية ، وهى بذلك فى غنى عن التعريف بصلاحها ، وعن التدليل على عمومها . وأما أخلاقه وفضائله ، فقد جاءت صلاحاً للنفوس وحاملاً لها على الخير

هذان الأمران هما : لب الإسلام وأساسه ودعامته التى قام عليها ، وغايته التى يرمى إليها بما شرع بعد من وسائل وما أمر به من أعمال وما نهي عنه من محرمات . عنى بهما الإسلام حين جاء فدعا محمد صلى الله عليه وسلم الناس أول ما دعا إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأهاب بالوثنيين أن يتركوا أوثانهم ، وبالمشبهين أن يتطهروا من تشبيههم ، وبالطبعيين أن ينظروا بأبصارهم ويتدبروا بعقولهم ، وبالمثلثين أن ينبذوا تثليثهم ويتذكروا فى خلقهم . جاء بهذه الدعوة كى يحرر الناس عقولهم ويخلصوا أنفسهم ويطهروا قلوبهم ويدينوا جميعاً لمن فطر السموات والأرض وما بينهما

قام عليه الصلاة والسلام بهذه الدعوة فقرن بينها وبين دعوته إلى الأخلاق وعنايته ببيان آثارها وتفصيل حقائقها والموازنة بينها وبين ما شاع فى الناس يومئذ من الطبائع الخبيثة والعادات السيئة لتتعاون الدعوتان على إصلاح النفوس لتتهيأ لما سيشرع من نظام يكون به عُلو كلمة الإسلام فى الوجود ، ونشر سلامه على العالم . أقام على ذلك جاهداً لا يلويه عن غرضه قوة ، ولا يرده عن غايته أذى . إلى أن أمر بالهجرة إلى المدينة ؛ فلما اطمأن إلى مقامه فيها ، شرع للمؤمنين من الشرائع الاجتماعية ما تقوم عليه دولتهم وتتأسس به حكومتهم ، وما يدفع عنهم العدوان ، ويقيهم أسباب الانحلال

تلك هى غاية الشرائع الإسلامية الاجتماعية والحكمة التى روعيت فى فرضها ؛ لم تفرض لتكون وسيلة من وسائل العبادة فحسب ، ولكنها وضعت لتكون العلاج الذى يشفى النفوس من عللها ، ويقى الجماعات من أمراضها

لذلك امتدت وتشعبت حتى انتظمت جميع نواحى الحياة . فانقسمت إلى شرائع مالية تنمى المال وتقرر الحقوق وتقوم على تحقيق الاقتصاد ، وإلى شرائع اجتماعية تبين للأسر حقوقها وتوثق الصلات بين أعضائها حتى تكون لبنة قوية فى بناء الأمة ، ثم تتجاوز الأسرة إلى شؤون العمل فتحض عليه وتنظمه ، وإلى شؤون التربية والصحة وغيرها من الشؤون الاجتماعية فتضع لها الأسس وتبين لها الطرق إلى غاياتها ؛ ثم إلى شرائع الزجر منعاً للعدوان ؛ وإلى شرائع الحرب إعداداً للقوة وتحديداً للعلاقات بين المتقاتلين فى الأموال ، ومعاملة الأسارى ، والتصرف فى الغنائم ؛ ثم إلى شرائع سياسية تنظم العلاقات الخارجية وتعين

الإدارة الداخلية من حيث اتصال الحاكم بالمحكوم ، وغير ذلك مما يؤسس عليه بناء الدولة ، ويقوم عليه عمرانها

هذه هي مناحي الإسلام في تشريعه وهي كما ترى جامعة لكل نواحي الحياة الاجتماعية الحاضرة؛ غير أن تشريعه فيها كان تشريعاً كليًّا يقرر المبادىء العامة ويضع الأسس الثابتة ويدع المجال للتفصيل والتطبيق ليتم له الخلود، ولم يكن له من مصدر إلا القرآن الحكيم وبيان الرسول الكريم . أنزل القرآن بالأصول العامة وجاء بيان النبي صلى الله عليه وسلم وسنته بالفروع التي تخرج منها. أتى القرآن بالإجمال والعموم وتكفلت السنة بالبيان والتطبيق ؛ فإذا قرأت القرآن وتدبرت آياته وجدت في تشريعه عناية ببيان هذه الأصول العامة وحض الناس على المحافظة عليها . فإن أردت المثال فارجع إلى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم » وقوله تعالى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا . وأحل الله البيع وحرم الربا » . « يمحق الله الربا ويربي الصدقات » وقوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة ... » . وقوله تعالى : « والجروح قصاص » . وقوله تعالى : « الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » . وقوله تعالى : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » . وقوله : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » . وقوله : « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً » . وقوله : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين »

هذه سنة القرآن في التشريع لم تتخلف إلا في النزر اليسير. استنها ليكون تشريعه نظاماً لجميع الأمم، وليبقى صالحاً على مرور الزمن . فهو الشريعة العامة التي تمهد لتحقيق الجامعة الإنسانية وتهيئ العقول لتتجه وجهة واحدة في تبيين الحق وتقدير الجزاء ووضع المعاملات على أسس ثابتة ، وإنماء الأموال بطرق خالية من الخداع، وتدبير الشئون الاجتماعية على نمط يحقق المصلحة العامة؛ ثم هو يقارب بين الأمم المختلفة حتى تتعاون جميعاً في العمل إلى خيرهم مجتمعين . ذلك لأن الأحكام الجزئية والفصل في الحوادث المتجددة لا يستقر مع الزمن ولا يصلح لكل مكان، لأن الناس في تطور لا ينتهي إلى غاية، وفي تجدد ليس له نهاية

فإذا رجعنا إلى ما شرعه الإسلام في الأموال من أصل وجدنا أنه أسس التعامل فيها على الرضا إذ يقول « إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » ويقول « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » وإذن فليس علينا عند التفصيل إلا أن نرد كل عقد إليه على ألا يتعدى ذلك حقوقنا وألا نخرج به عن رشدنا، فإن تعدينا الحدود بالخديعة والغش فقد اقترفنا الإثم الكبير وأذنا الله ورسوله بالحرب

يعجب كثير من الناس لتحريم الربا وقد زعموا أنه دعامة التجارة وعماد العمارة ومدعاة التعاون، وقد أصبح على أي افتراض ضرورة الزمن . زعموا ذلك وكأنهم لا يسممون بكاء صرعاه ، ولا يبصرون مصارع قتلاه . ائن قام عليه بيت فقد خربت به مئات البيوت ، ولئن انفرج به يوماً ما ضيق فكم ضيق على صاحبه السبل . وماذا فعل الربا بأهل الأسر الكريمة منا ؟ ألا ترى أن الدين قد طغى على رأس المال بسبب تراكم فوائده حتى صار أضعافاً مضاعفة على الرغم من أداء ما كان يفي بأكثره إن لم يزد على أصله ، وأنهم قد أصبحوا على شفا هاوية الإفلاس المدمر ؟

إذا تقدم صاحب المال به لاستثماره وإنمائه فليس له إلا أن يضع نفسه منه حيث يكون إذا اتجر فيه فربح أو عمل فخسر ، وفي هاتين الحالتين له ربحه وعليه خسارته، وليس له عن هذا مفر فتلك طبيعة السعي وسنة التجارة ، وإذا كان هذا مآله وهو الحريص على ماله الطامع في ربحه فلم يطلب من غيره وقد قام مقامه فيه أن تكون الأسعار في قبضته فلا يتجر إلا ربح ، ولا يطلب إلا ظفر ، حتى لا يرضى منه أبداً إلا بالربح المقدر أو الثواب المعجل ؟ أليس ذلك بالطمع المرذول والتحكم الظالم ؟

وكذلك الحال في طريق الحكم وإدارة أمور الدولة ، جعل الأساس فيه المشورة فقال «وشاورهم في الأمر» ، فنفى الاستبداد بأنواعه وقضى عليه بأشكاله ، وأقام أمر الناس على الشورى ، وجعل لهم بعد ذلك الخيرة في نوع الحكم الشوري الذي يلائمهم ويتفق مع ثقافتهم ويتصل ونشأتهم ، ويتدرج مع نموهم ملكياً كان أو جمهورياً بمجلس واحد أو بمجلسين ذلك لأنه لا يوجد نظام معين للحكومة صالح على الإطلاق، إذ الصلاحية وصف عرضي معناه التناسب بين نوع الحكم وحال الأمة التي اتخذته نظاماً لسلطانها

وفي شرائع القتال سن القواعد الكفيلة بمنعه، والمخففة لويلاته إذا وقع ، والداعية إلى السلم إذا أمكن ، فقال « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا» وقال: «وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » وقال : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا

إن الله لا يحب المعتدين » وقال: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » وقال: « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » والحرب إذا كانت للدفاع ومنع الظلم وخلت من العدوان والبغى ولم تتجاوز فى أهوالها ما اقتضته الضرورة وانتهت عند حد الدفاع كف البغى، كانت صيانة للسلم وضرورة يتطلبها الوجود، من تركها هلك

أما أساس الروابط بين المسلمين فهى الأخوة. إنما المؤمنون أخوة. وبينهم وبين غيرهم البر والإقساط، لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. وذلك كفيل بتوثيق العلاقات بين الأمم وتأكيد المودة بينهم ما لم يبغ بعضهم على بعض طمعاً فى مال أو علواً فى الأرض أو تحكما فى العقائد. هذا إلى ما شرعه من القواعد فى إصلاح حال اليتامى وإدارة أموال السفهاء، وما فرضه من الحقوق فى أموال الأغنياء للفقراء، وما جاء به من الأوامر حاضاً على التعلم والعمل والسعى فى الأرض، والمحافظة على الأجسام حتى تتعاون الأمة فى إصلاح أمورها والمحافظة على أموالها، والقضاء على الأمية فيها، والقضاء على البطالة، وحتى لا تجد مبادئ الاشتراكية المتطرفة السبيل إلى نفوس أفرادها، ولا الأوتقراطية القاسية الوسيلة إلى المقام فيها

هذه سنة القرآن فى تشريعه فى جميع نواحى الحياة شخصية واجتماعية، سياسية ومالية، إدارية وقضائية، لم تتجاوز القواعد العامة إلى التفاصيل التى تتطور بتطور الأمم، وتتجدد بتجدد الحوادث، وتختلف باختلاف البيئات، ولذا بقيت مبادئه سليمة، تناسب كل الأمم، فيتسنى لها أن تتخذها أساساً فى تشريعها حسب ما تقتضيه بيئتها ومصالحها.

كانت هذه طريقته، إلا فى مسائل معدودة عمد فيها إلى نوع من التفصيل والتطبيق، لأن مصلحة الناس فى ذكره ومفسدتهم فى تركه، فإنه وإن ترك أمر تقدير العقوبة إلى أولى الأمر لابتنائه على ما يحيط بالجانى من ظروف، وما يتصل به من أسباب، وما له من ثقافة وتربية، استثنى من الجرائم خمساً لما فيها من الاعتداء البالغ على الدين والنفس والمال والعرض، وهى السعى فى الأرض بالفساد والقتل والزنا والسرقة والقذف، جعل لكل منها جزاء يمكن أولاً أن يتخذ معياراً فى تقدير العقوبة على الجملة مع مراعاة قوله تعالى: « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » فبين جزاء الأول فى قوله تعالى « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو ينفوا من الأرض، ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم، إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم » وجزاء الثانية فى قوله: « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى: الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ». وجزاء الثالثة فى قوله: « الزانية والزانى، فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » وجزاء الرابعة فى قوله « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله » وجزاء الخامسة فى قوله «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة » فهذه عقوبات دائمة تتناسب فى شدتها وصرامتها مع عظم آثار جرائمها حتى تكون مانعة من العود مصلحة للنفس، ومن كبير القول وصفها بأنها عقوبات لا تتفق مع هذا الزمن أو لا تتلاءم مع حال هذه الأمة وما وصلت إليه من ثقافة وحضارة وتمدين، لأن حضارتها أو ثقافتها إذا جنبتها هذه الجرائم فقد تجنبت، كذلك جزاءها، وإن اقترفتها كان جزاؤها العلاج الواقى من تكرارها. وقد ترك بعض الأمم عقوبة القتل وما لبث أن عاد إليها، وكذلك أهملت العقوبات الأخرى فانتشر الزنا وعمت السرقة وفحش القول، ولا منجاة إلا باتباع ما سنه القرآن فى جزائها، وليس يوزن الجزاء بموافقته للهوى وائتلافه مع الميل وإنما يوزن بما يفيد من أثر فى الردع ونتيجة فى الإصلاح

وكذلك فعل فى تشريع الميراث فعين لكل وارث حظه مما ترك مورثه، لأن المال كان ولا زال مثار الفتن، ومصدر البغضاء والإحن، ومنشأ الخصومة والفرقة، والاتفاق على توزيعه بين الورثة عسير، ورده إلى مقاييس معقولة وموازين مسلمة غير ممكن، فكان لا بد من أن يجنب الورثة ما يجلب عليهم الشقاء ويشيع فيهم الخلاف وذلك بأن يقسم بينهم الحكيم العادل القسمة المرضية المبنية على كمال الحكمة والمحققة لتمام العدل وسكون النفس ورضا الغير

اقترن التشريع القرآنى بالتشريع النبوى وهو المعروف بالسنة فكان الثانى للأول مبيناً لإجماله مطبقاً لقواعده، وليس كل ما يؤثر عن النبى صلى الله عليه وسلم من التشريع، لأنه عليه السلام بشر من الناس لهم مثل مالهم من الأمور العادية والمهام البشرية فما يؤثر عنه فى هذا المحيط لا يعد من التشريع ولا يتخذ أساساً لأمر ونهى، ولكل إنسان عادته البشرية يتبع فيها قومه وسلفه ويتأثر

موقعة عين جالوت

للدكتور عبد الوهاب عزام



— ١ —

أردت أن أكتب مقالاً للرسالة - لعددها الهجرى الممتاز - فنقب فكرى فى أرجاء التاريخ الإسلامى ، حتى عنّ لى هذا الرأى . قلت : لماذا لا يسجل فى هذا — العدد الهجرى — بعض الخطوب الكبيرة فى التاريخ الإسلامى ؟ ولا سيما الخطوب التى وقعت فى نظائر السنة التى تصرمت ، أو السنة التى استهلت. قد تصرمت سنة ١٣٥٨ ، وأقبلت سنة ١٣٥٩ ، فأستعرض نظائرهما . عبرت سنى ٥٨ و ٥٩ من قرون التاريخ الهجرى كله ، فرأيت أحداثاً كثيرة ، وغِيَراً عظيمة . فلما هممت بالكتابة ، تبينت أن مقالاً يكتب على هذا الشرط ، لا يعدو أن يكون ثبتاً للحوادث مختصراً ، أو مقالاً مفصَّلاً يزيد على حاجة المجلة .

فلم أجد بدًّا من تخيُّر بعض الحوادث ، فررت بخطوب جسام ، وحادثات صغار ، حتى انتهيت إلى عام ٦٥٨ فوقفت وقفة كدت أمسك فيها القلم لأكتب فى واقعة هائلة عظيمة الأثر كانت فى هذا العام ، ثم جاوزتُها إلى واقعات أخرى ، حتى بلغت وقتنا هذا ، ثم رجعتْ بى الرغبة إلى تلك الواقعة ، إذ رأيتها عظيمة الأثر فى تاريخ المسلمين عامة وتاريخ مصر خاصة ، فأخذت القلم لأكتب عن « موقِعَة عين جالوت » :

كان عام ٦٢٨ فاتحة شر مستطير فى العالم الإسلامىّ : سالت فيه جيوش جنكيز من هضاب الصين تفرق كل شىء وتدمّر كل شىء ، طغت على التركستان فجرفت عرش ملوك خوارزم ودارت بالمدن العظيمة تخريباً وتدميراً ، وفر محمد خوارزمشاه وكان كما قال مسلم بن الوليد :

وطار فى إثر من طار الفرار به خوف يعارضه فى كل أخدود

وورث ابنه جلال الدين ملكا فى أيدى التتار ، ومجداً بين الطعان والضراب ، فصبر وصابر وجاهد ما بين نهر السند إلى حدود العراق يحاول جهده أن يلمّ الشمل ويرأب الصدع ، ويخلق من الفرقة اجتماعاً، ومن الضعف قوة، ومن الذعر ثباتاً، ومن اليأس رجاء، حتى اغتالته المنون بعد أن أعجزتها مصاولته ، وختلته بعد أن أعيتها مجاهرته

وانتشر الرعب ، وعمّ الفزع ، ولم يثبت للتتار جيش ولا حصن فى شرقىّ البلاد الإسلامية

وما لى أكلف نفسى الوصف ولا أستمع لابن الأثير ، وقد عاش على شاطىء هذا الطوفان ، وأحسّ لفح هذه النار ، يحدّث حديث هذه الوقائع :

فيها ببيئته؛ أما غير ذلك مما يتصل بالتشريع للناس وإلزامهم باتباعه فهو السنة المتبعة. غير أن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الدائرة كانت مكونة من عملين: الأول بيان التشريع القرآنى، الثانى تطبيقه على الحوادث الواقعة والمسائل المتجددة، فأما البيان فهو متمم للقرآن ولتشريعه وهو لهذا أصل من أصول التشريع الإسلامى واجب اتباعه، وعلى الناس مراعاته. وأما التطبيق على الحوادث بالفصل فى الخصومات وفض النزاع فى المشكلات، فذلك ينبنى على ما لكل حادثة من ظرف، وما لابسها من ملابسات، وما أحاط بها من عوامل مما لا يعيه إلا المتصدى لحلها الذى أقام نفسه لحل إشكالها، فإذا نقل الحكم فيها صعب على ناقله أن يستوعب جميع دواعيه، فذكر منها ما تنبه له ووعاه وما حفظه وأحصاه وما استقر فى ذاكرته فلم ينسه، ومن هذا أتى اختلاف الرواة عند ما يرون حادثة واحدة، فكان ذلك سبباً فى اختلاف الآراء وتعدد المذاهب وتنوع العمل. ومن هذا يتبين أن التشريع النبوى لم يخرج فى أغراضه وحكمته عن التشريع القرآنى بل الغرض فيهما واحد والحكمة واحدة والغاية واحدة، وهى أن تهيأ للناس حياة صالحة يستمتعون فيها جميعاً بحرياتهم وتتوافر لهم فيها حقوقهم ، ويعتمدون فيها على عقولهم وأفكارهم وتنتهى بهم إلى مجتمع مؤسس على الإخاء والتعاون يقوم على النشاط الفكرى ويعتمد على العمل المنتج الاجتماعى ولا يهمل الشأن الفردى .

على الخفيف

هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عقمت الأيام والليالى عن مثلها عمت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال قائل : إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتل بمثلها ؛ لكان صادقاً ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها ... الخ

— ٢ —

مات جنكيز خان سنة ٦٢٤ بعد أن قسم بين أولاده ما فتح من الأرض وما لم يفتح ، وامتد الفتح فى آسيا وأوربة ، وكانت غِيَر ، حتى أرسل بنكو قاآن حفيد جنكيز - أخاه هولا كو سنة ٦٥١ ليفتح حصون الاسماعيلية ثم يفتح بغداد فأخضع أمراء إيران والقوقاز إلى عام ثلاثة وخمسين واستولى على أكثر قلاع الاسماعيلية .

ثم جاءت الطامة الكبرى فاستولى على بغداد ، ومحا الخلافة العباسية تاسع المحرم سنة ست وخمسين وستمائة (١٦ يناير ١٢٥٨) لقد طوى أجداده الممالك الإسلامية إلى العراق ، ثم أصاب هو المسلمين فى الصميم إذ أخذ بغداد التى لبثت مقر الخلافة وقبلة المسلمين فى العلم والحضارة أكثر من خمسة قرون

ماذا يصد هولاكو عما يشاء ؟ من ذا يقف للجيوش التى لبثت ثلاثين سنة تسير من ظفر إلى ظفر ، ومن مملكة فتحتها إلى مملكة قدر لها أن تفتحها ؟ إن آسيا ما بين قراقروم وبغداد فى قبضة أبناء جنكيز ، وإن أوربا الشرقية إلى البحر الأدرياتى قد عنت لأمرهم . ليس على هلاكو إلا أن يسير الجيوش فتطوى الأرض ، ويثير الحروب فتخر الممالك ، ويوعد الملوك فيخذلها جندها، وينزل بالمدينة فتسلمها أسوارها . عزمة تسخر له الشام، وأخرى تقهر له مصر ، ثم عزمات تبلغ به بحر الظلمات

— ٣ —

سار التتر إلى الشام فلم تستطع حلب لهم دفعاً ، وهؤلاء المتعصمون بقلعتها لن يجديهم الاعتصام ، ولا مناص لهم من الاستسلام بعد شهرين . وسارع أهل حماة إلى حلب فأعطوا هلاكو مفاتيح المدينة . ولم تثبت للقوم مدينة بين حلب وغزة

وأما أمراء الشام من بنى أيوب فمنهم من انحاز إلى التتر مؤثراً العافية ، ومنهم من لجأ إلى مصر مستنجداً . والملك الناصر أكبر هؤلاء ترددت به الحيرة بين حدود مصر والشام فلم يجد إلا المسير إلى هلاكو

وأبت مصر التى تجاهد الصليبيين منذ مائة وستين عاماً ، أن تذل للتتر ؛ فجمعت ما فيها من إيمان وقوة وخرجت فى رمضان سنة ٦٥٨ وصمدت للقوم فالتقى الجمعان على عين جالوت فى فلسطين .

فأما التتر فلم يعرفوا فى الحرب إلا الانتصار منذ سال سيلهم على البلاد الإسلامية قبل ثلاثين سنة . ماذا يخشون من جيش مصر وقد مزقوا المسلمين جيشاً بعد آخر ، ولم تصدّهم البسالة والاستقتال دون غاية . وأما جيش مصر الذى جمع المصريين وعرب البادية من مصر والشام فقد أيقن أنها الموقعة الفاصلة ، وأن هزيمةً فى عين جالوت تفتح طريق العدو إلى مصر فالمغرب ، فصمّموا أن ينتصروا ؛ وكثيراً ما تلد العزيمة الظفر . ولم يزلزل عزائمهم أن رأوا بعض أمراء المسلمين فى صفوف العدوّ - ذلك الأمير الشقى المتسمّى الملك السعيد

التقى الجمعان يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان عام ثمانية وخمسين وستمائة، واحتدم القتال وصبر المسلمون ثم صبروا ، ولقوا من حملات التتار مايوهن العزائم فلم يهنوا . إلى من يكلون الدفاع عن الإسلام والمجد إذا لم يستميتوا فى عين جالوت ؟

كتبغا قائد التتر قتيل ، وابنه أسير ، وجنده مصرَّعون فى حومة القتال ، وبقايا السيوف منهم يلوذون برءوس الجبال

علم المسلمون يومئذ أنه يستطاع هزم التتر فلم يثبت القوم فى بقعة من بقاع الشام وأسرعوا فى الرجوع إلى الشرق

جمع التتر شملهم وأعدوا للحرب عُددهم ثم رجعوا فاستولوا على حلب بعد شهرين من موقعة عين جالوت ، ولكن عين جالوت قد فصلت فى القضية من قبل وعلمت المسلمين أن الأمل والعزم والإقدام تغلب كل عدو ولو كان التتر جنود هلاكو حفيد جنكيز

اجتمع المسلمون على حمص وسار التتر إليهم . فليشهد القارئ قبل المعركة جمعاً من أمجاد العرب يسيرون إلى حومة الوغى :

قال الشيخ شهاب الدين الحلبى : كنت فى نوبة حمص فى واقعة التتار جالساً على سطح باب الاصطبل السلطانى بدمشق إذ أقبل آل مرا[1] زهاء أربعة آلاف فارس شاكين فى السلاح على الخيل المسوَّمة والجياد المطهمة وعليهم الكزغندات[2] الحمر، والأطلس المعدنى والديباج الرومى ، وعلى رؤوسهم البيض كأنهم صقور على صقور ، وأمامهم العبيد تميل على الركائب ويرقصون بتراقص المهارى ، وبين أيديهم الجنائب ، ووراءهم الظعائن

(١) آل مرا من آل ربيعة من طيئ

(٢) كزغند معرب خزكند وهو قباء محشو بالحرير يلبس فى الحرب

والخول ، ومعهم مغنية لهم تعرّف بالحضرمية طائرة السمعة سافرة من الهودج وهى تغنى :

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ليالىَ لاقينا جُذاماً وحميرا
ولما لقينا عصبة تغلبية يقودون جرداً للمنية ضُمّرا
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض أبى النبع أن يتكسرا
سقيناهم كأساً سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

ودارت الحرب عند حمص يوم الجمعة خامس عشر المحرم سنة تسع وخمسين وستمائة ، فإن تسألنى كيف كانت عاقبتها فهى العاقبة التى بشرت بها موقعة عين جالوت

فارق التتار الشام إلى غير رجعة

عبد الوهاب عزام

ميراث لا وارث له

للأستاذ عبد الله عفيفى بك



لعلنا أعظم الأمم ميراثاً من الذكريات ولعلنا كذلك أقل الأمم نصيباً من هذا الميراث العظيم .

ما تمر بالمسلمين أيام حتى تساق إليهم ذكرى ينحنى لها تاريخ الإنسان ، وفى سياق هذه الذكرى تسمع الرأى الثاقب ، والقول المهذب ، والشرح والتحليل ؛ ثم تنطوى تلك الصفحة ، ولا يذكر الناس إلا أن شاعراً أرقّ من شاعر ، وكاتباً أبين من كاتب ، وخطيباً أفصح من خطيب ! !

وما أسرع ما تستيقظ المشاعر وينتبه الرأى ويثور الوجدان !

ولكن شيئاً واحداً لا يستيقظ ، ولا ينتبه ، ولا يثور ، وهو الروح ... والروح وحده مصدر الحياة ومصدر القوة ومصدر العزم ومصدر الاحتمال ...

وليس بشىء أن تنتبه المشاعر ، وتنفطر القلوب ؛ فحسب المشاعر لتنتبه ، وحسب القلوب لتنفطر ، كلمة باكية من ممثل موهوب . وليس بشىء أن يستيقظ الرأى ، ويثوب التفكير ، فما من أحد من المسلمين لا يعلم علماً لا شك فيه كيف كان المسلمون ، وإلام صاروا ، وما الذى أخافهم بعد أمن ، وبددهم بعد التئام ...

ما من رجل تراه إلا يعيب الخطيئة بلسان طلق وأسلوب مبين ، ثم يجترح الخطيئة بقوة جامحة وهوى مبيح

نحن إذن لا نشكو ضعف الرأى ولا هوان الشعور ، ولكننا نشكو خمود الروح وضعف الروح

ومن خمود الروح أن نرى الحق يثقل على الناطق به ، والمستمع له ، فلا ترى لرسالة الحق من ولىّ ولا نصير

ومن خمود الروح أن نبدأ العمل بقوة صاخبة ، ثم ما يزال يذوى ويتساقط ويتبدد ذووه حتى ينقضى أثره ويصير خبره حديث السامرين ، وسخرية الشامتين

ومن خمود الروح أن نأخذ الهيّن التافه والغث المبتذل من ألوان المدنية ، ونترك القيّم المكين الذى يحتاج إلى جهد وإيثار ، حتى أصبحت حياتنا مجموعة من المناظر والصور والأشكال

ففيم الذكرى ؟ وفيم القصائد والخطب ؟ وفيم الفصول المتناسقة والبحوث المتلاحقة ؟ وفيم الكلام عن رسول الله ، وأعتقد أن لو بعث رسول الله بعثاً ثانياً للقى من تخاذل هذا العالم أضعاف ما لقى من عناد العالم الأول . كان يجد عالماً مملوءاً بالكيد والأنانية والخداع والرياء — رياء فى الدين ورياء فى الدنيا ، وبيع لجانب الله بالثمن الخسيس من جاه زائف ودنيا زائلة

أرأيت كيف بعث محمد رسول الله عربياً ، وكيف قامت رسالته على سواعد العرب ؟

لم يكن العرب فى شىء من عظمة الدولة ، ولا نظام الجماعة ، ولا سمو الفكرة ، ولا علو الحياة

ولكنهم كانوا فى الذروة العليا من يقظة الروح وقوة الروح

وبهذا الروح اليقظ القوى كانوا يعافون الضيم ويأبون

الهوان ، ويؤثرون النار على العار . وكان الرجل يقول الكلمة فيرتهنها بروحه وأرواح ولده وأهله وعشيرته . وكانوا يشبون الحرب لكلمة جارحة تصيب أدنامهم، وقد يصمدون لها أربعين عاماً

وكان هذا الروح اليقظ أو هذا الأتون المشتعل فى حاجة إلى من يوجهه ويهديه الطريق القويم

وبهذا التوجيه تمت المعجزة التى لم تشابهها معجزة فى الوجود فأخرج رسول الله من أبناء الصحراء الغارقين فى الدماء، الخابطين فى الجهالة الجهلاء، أعلام العلم، وأقطاب الحكمة، وأئمة السياسة، وأبطال الحرب، وكواكب الهداية . وهؤلاء الذين كانوا فى نطاق فارس والروم ، ملكوا فارس والروم ، وما وراء فارس والروم فى طرفة عين

ولعل أروع حادث تمثلت فيه يقظة الروح وقوته وسطوعه بنور الإيمان حادث الهجرة . وما ظنك بهذا الرسول الأمين، وهو فى غار نشر الموت ظله عليه، وأطل برأسه على من فيه، فالسيوف الظامئة الظامئة ترصده ، والوحشة والظلمات والهوام القاتلة تطبق عليه — ما ظنك بهذا الرسول الكريم وهو فى تلك الحال يقول لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا ؟ ! !

ثلاثة أيام تتقطع فى كل ساعة من ساعاتها نياط القلوب ورسول الله أثبت قلباً من ذلك الجبل الذى يضم ذلك الغار

وهذه الأيام الثلاثة تتمم ثلاثة عشر عاماً أقام بها محمد صلى الله عليه وسلم يدعو أهل مكة إلى الله ولم يكن فى يوم من أيامها أخف عبئاً ولا أقل اقتحاماً للأهوال من هذه الليالى الثلاث

وفى ظل ذلك الموت الجاثم على الجبل وما حوله فى ليالى الغار كانت للصبية أسماء بنت أبى بكر تحمل الزاد والماء كل ليلة من دار أبيها فما تزال تخوض بحراً من رمال الصحراء ، ترفعها رافعة ، وتخفضها خافضة ، حتى ترتقى الجبل ، وتصل إلى الغار ، فتقدم الزاد وتاتى ما تعلمه من خبر مكة ثم تعود فى جنح الليل ، فلا ينبثق الصبح إلا وهى فى فراشها كأنه لم يكن ثم شىء

وما كان أقوى تلك الطفلة الناشئة أسماء بنت أبى بكر حين اقتحم رجال قريش عليها البيت وامتحنوها بألوان من العذاب لتدلهم على مكان أبيها فما كان لهم منها من جواب ، ولطمها الشريف النذل أبو جهل بن هشام لطمة أطارت قرطها من أذنها لتتكلم فما نطقت إلا بعبرة واحدة سقطت من عينها على الأرض

هى إذاً روح قوى شديد كان ينتظم كل مسلم ومسلمة ولا يقف أمام هذا الروح شىء مما عساه يعترض الناس

فهل فى الإمكان أن يستيقظ الروح فى صدور مسلمى هذه الأيام؟

إن هذه الأرواح كالأجساد ، تختلف عليها الصحة والمرض، والقوة والوهن ، والنشاط والخمول ؛ وهى كالنحل تجتمع على اليعسوب القوى ، وكالجند تقوى بالقائد الفادى المجيد . فهل يقوم فى المسلمين داعية من دعاة الله يهب نفسه لله ، ويفنى ذاته فى ذات الله ؟

داعية واحد لا يقوم بينه وبين الله شىء ، لا يجمع المال ولا ينشد الجاه ، ولا يؤثر نعمة الحياة على رضا الله ... وهو خليق إن وجد أن يجتمع حوله رجال على غراره ... داعية واحد من هذا الطراز إذا وجد أثمر الأمل وصحت الأحلام

فهل يقوم المهدى المنتظر ؟

لا أدرى .. لعل أوانه قد آن

عبد الله عفيفى

بلاغة العرب

كليلة ودمنة

للدكتور محمد صبري



البيان فى لغة العرب، يجرى فى منازلها وأساليبها جرْى الماء فى فروع الدوحة .. ومنذا الذى لا يحب ظل الدوح وثمره المتهدل الذى يملأ اليد والعين والقلب ؟ ومنذا الذى لا يحس طراوة العيش وبهجة الدنيا فى نواحيها ؟ ومنذا الذى لا يحركه السحر الذى يتبرج فى كل لون نضير ؟

إن لكل لفظة ولكل أسلوب لوناً ولكل لون فتنة ، وقد جمع أسلوب ابن المقفع بين الجزالة والسلاسة ؛ وكانت كل لفظة منه تنحت من خير مقطع ، ومن عجب أن هذه الألفاظ والتراكيب السهلة الممتنعة كان ينظمها ابن المقفع فيخدعك صفاؤها وانسجام نغمها وموسيقاها عما تكبده من تعب وجهد

وأسلوب ابن المقفع فى الكتابة كأسلوب البحترى فى الشعر: فى كل منهما تتجلى روعة الفن والصقل والذوق

قال الطائر فنزة إلى الملك فى كليلة ودمنة: « ... أنا الفريدَ الوحيد الغريب الطريد قد تزودت عندكم من الحزن عبئاً ثقيلاً لا يحمله مى أحد . وأنا ذاهب فمليك منى السلام » وقال البحترى :

وقفة فى العقيق أطرح ثقلاً   من دموعى بوقفة فى العقيق

وقال :

أعاتب الخل فيما جاء واحدةً   ثم السلام عليه لا أعاتبه

هذا نثر منظوم وذاك شعر منثور ينتظمهما نفس واحد وموسيقى واحدة تتحد مع المعنى ... الأول يطول نغمه ويمتد كموج البحر لأنه يدلل على ثقل العبء الذى يؤوده ... « قد تزودت عندكم من الحزن عبئاً ثقيلاً » والثانى يقصر نغمه ويطرد لأنه يدلل على طرح الحمل ... « وقفة فى العقيق أطرح ثقلاً »

وإنى أجتزئ اليوم بهذه المقارنة وأقول : إنه يخيل إلى أن ابن المقفع كان محزون النفس لأن وتر الحزن فى كتابته يرن بين آونة وأخرى كلما ذكرت الصداقة وكلما ذكر الوطن ...

كانت الصداقة عنده كما كانت عند إسماعيل صبرى ظلاً يأوى إليه كلما كثر النهار ...

جاء فى باب الحمامة : « قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت مثل المتحابين .. فحدثنى إن رأيت عن إخوان الصفاء ، كيف يبتدأ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض ... » . وجاء فيه أن المطوقة نادت الجرذ باسمه : « فأجابها الجرذ من جحره : من أنت ؟ قالت : أنا خليلتك المطوقة . فأقبل إليها الجرذ يسعى »

« أنا خليلتك المطوقة » ... أظن كثيرين من القراء يعرفون قصص (لافونتين)...ويذكرون باب (المطوقتين الراحلتين) وسؤال إحداهما للأخرى: «هل عند خليلتى الكفافُ من الرزق والمأوى؟»

وجاء أيضاً فى باب الحمامة المطوقة : « إنه لا شىء من سرور الدنيا يعدل صحبة الإخوان ، ولا غم فيها يعدل البعد عنهم » . وقالت السلحفاة ترغب الظبى فى الإقامة معها وصحبتها : « نحن نبذل لك ودنا ومكاننا ، والماء والمرعى كثيران عندنا » . ثم قالت : « لا عيش مع فراق الأحبة ، وإذا فارق الأليف أليفه فقد سلب فؤادَه وحرم سروره وغشى بصره »

والأمثلة كثيرة فى مقدور كل قارئ أن يهتدى إليها ، والآن أنتقل إلى الوطن والوطنية ، وأرجو أن نقف قليلاً على باب (البوم والغربان) فإن فيه بلاغة وفيه دروساً نافعة

تتلخص هذه القصة فى أن ملك البوم أغار فى أصحابه على الغربان فقتل وسبى منها خلقاً كثيراً ، وكانت الغارة ليلاً ، فلما أصبحت الغربان اجتمعت إلى مَلِكها وأخذت تتشاور معه فى الأمر، فنصح اثنان منهما بالهرب فقال الملك: « لا أرى لكما ذلك رأياً، أن نرحل عن أوطاننا ونخليها لعدونا من أول نكبة أصابتنا فيه ولا ينبغى لنا ذلك، ولكن نجمع أمرنا ونستعد لعدونا

ونذكى نار الحرب فيما بيننا وبين عدونا ونحترس من الغرة إذا أقبل إلينا فنلقاه مستعدين ونقاتله قتالاً غير مراجعين فيه ولا مقصرين عنه، وتلقى أطرافنا أطراف العدو ونتحرز بحصوننا وندافع عدونا بالأناة مرة وبالجلاد أخرى حيث نصيب فرصتنا وبغيتنا ، وقد ثنينا عدونا عنا »

أبى ملك الغربان أن يستسلم للعدو المغير وأن يخلى له وطنه ودياره وأبى إلا أن يقاتل وأن « تلقى أطرافنا أطراف العدو ... »

وأفتى الثالث بالصلح مع العدو « على خراج نؤديه إليه فى كل سنة ندفع به عن أنفسنا ونطمئن فى أوطاننا . . . » أو بعبارة أخرى كان يرى فى البقاء فى الوطن فى ظل الاستعباد بعض الطمأنينة ، وقد رد الرابع أنه لا يرى هـذا الصلح رأياً « بل أن نفارق أوطاننا ونصبر على الغُربة وشدة المعيشة خير من أن نضيّع أحسابنا ونخضع للعدو الذى نحن أشرف منه مع أن البوم لو عرضنا ذلك عليهن لما رضين منا إلا بالشطط . ويقال فى الأمثال : قارب عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك، ولا تقاربه كل المقاربة فيجترىء عليك ويضعف جندك وتذل نفسك . ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة فى الشمس ... إذا أملتها قليلاً زاد ظلها وإذا جاوزت بها الحد فى إمالتها نقص الظل ... وليس عدونا راضياً منا بالدون فى المقاربة ، فالرأى لنا ولك المحاربة ... »

قال الملك للخامس : ما تقول أنت ؟ وماذا ترى ؟ القتال أم الصلح ؟ أم الجلاء عن الوطن ؟ . . .

قال : أما القتال فلا سبيل للمرء إلى قتال من لا يقوى عليه وقد كان هذا الأخير أرجحهم عقلاً لأنه خشى مغبة قتال القوى ومقاربته كل المقاربة والجلاء عن الوطن ... ورأى أن يصيب أبناء جنسه حاجتهم من البوم بالرفق والحيلة قال : « وإنى أريد من الملك أن ينقرنى على رؤوس الأشهاد وينتف ريشى وذنبى ، ثم يطرحنى فى أصل هذه الشجرة ويرحل الملك وجنوده إلى مكان كذا فأرجو أنى أصبر وأطلع على أحوالهم ومواضيع تحصينهم وأبوابهم فأخادعهم وآتى إليكم لنهجم عليهم وننال منهم غرضنا إن شاء الله تعالى »

انطلت على البوم حيلة الغراب وأنست له حتى إذا طاب عيشه ونبت ريشه واطلع على ما أراد أن يطلع عليه راغ روغة فأتى أصحابه وقال لهم : « إن البوم بمكان كذا فى جبل كثير الحطب . وفى ذلك الموضع قطيع من الغنم مع رجل راع . ونحن مصيبون هناك ناراً ونلقيها فى أثقاب البوم ونقذف عليها من يابس الحطب ونتراوح عليها ضرباً بأجنحتنا حتى تضطرم النار فى الحطب فمن خرج منهن احترق ومن لم يخرج مات بالدخان موضعه . ففعل الغربان ذلك فأهلكن البوم قاطبة ورجعن إلى منازلهن سالمات آمنات ... »

لقد أرسل الله إلى البوم من يهلكها ويبيدها ، لأنها ظلمت القرى والعباد ، وإنى لأتمثل الغربان وهن يتراوحن على النار ضرباً بأجنحتهن حتى تضطرم فى الحطب ... تلك أجنحة ملائكة ... ملائكة الرحمة والانتقام ...

ويعجبنى فى هذه القصة حكاية الصفرد الذى طالت غيبته عن مكانه فجاءت أرنب فسكنته فلما عاد الصفرد تنازعا وقررا أن يحتكما إلى سنور متعبد بساحل البحر « يصوم النهار ويقوم الليل كله... » ما كادا يسألانه أن يقضى بينهما ويقصان عليه قصتهما حتى قال :

« قد بلغنى الكبر وثقلت أذناى فادنوا منى فأسمعانى ما تقولان » فدنوا منه وأعادا عليه القصة وسألاه الحكم . فقال :

« قد فهمت ما قلتما وأنا مبتدئكما بالنصيحة قبل الحكومة بينكما فأنا آمركما بتقوى الله وألا تطلبا إلا الحق فإن طالب الحق هو الذى يفلج وإن قضى عليه ... » قال صاحب كليلة ودمنة :

« ثم إن السنور لم يزل يقص عليهما من جنس هذا وأشباهه حتى أنسا إليه وأقبلا عليه ودنوا منه ثم وثب عليهما فقتلهما »

تلك عاقبة المتنازعين الذين يحتكمون إلى القوى فيخدعهم برياء قوته وجبروته ناسين « أن العاقل لا يغتر بسكون الحقد إذا سكن . فإنما مثل الحقد فى القلب إذا لم يجد محركاً مثل الجمر المكنون ما لم يجد حطباً فليس ينفك الحقد متطلعاً إلى العلل كما تبتغى النار الحطب فإذا وجد علة استعر استعار النار » (باب الملك والطائر فنزة)

أنظر إلى كلمة « المكنون » التى يصف بها الجمر وكلمة « متطلعاً » التى يصف بها الحقد وكلمة « تبتغى » فى قوله « كما تبتغى النار الحطب » هل رأيت أبلغ منها فى مثل هذه المواطن ؟

ثم انظر إلى قوله فى الحقد :

« فإذا وجد علة استعر استعار النار » تر من جمال التعبير ما يرقص له البيان . فإن الكلام كان يمشى وئيداً ثم اندفع كالنار فى الجملة الأخيرة ، وكذلك كان الشأن فى قصة المطوقة :

« فأجابها الجرذ من جحره : من أنت ؟ قالت أنا خليلتك المطوقة ، فأقبل إليها الجرذ يسعى » فإن هذه الكلمات القصيرة المتتابعة « فأقبل ، إليها ، الجرذ ، يسعى » تنم عن الحركة السريعة المطمئنة وتؤدى المعنى خير أداء ، وإن من البيان لسحرا

محمد صبرى

في الطريق إلى يثرب

للأستاذ محمود الحفيف



طافت الذكرى فطوفى بقصيدى ... واسكبى فى مسمع الدهر نشيدى
جددى قيثارتى اللحن وهاتى ... من حديث أبلج الذكر فريد
الهدى والحق فيه والعلى ... والبطولات وآيات الخلود

* * *

هيه... غنينا بألحان وضاء ... جد بالقلب حنين للغناء
فصلى أسجاعها واستلهمى ... كل نشوان الصدى حلو الأداء
رجعى أنشودة خالدة ... كم سهت عنها أغانى الشعراء
أسمعيها الشرق شعراً سلسلاً ... وأهيبى ببنيه البسلاء

* * *

سيرة من جانب الله سناها ... ومعان يوقظ الروح صداها
كل نور هو منها قبس ... وإليها كل مجد يتناهى
خطوات مبتداها عزمة ... دونها الوصف، ونصر منتهاها

* * *

إقبسى قيثارتى الوحى وهاتى ... من حديث قدسى اللمحات
أنشدينا فيه أعلى مثل ... خطه التاريخ فى ماض وآت
عظة الأجيال فيه ساقها ... من أتاها بالهدى والبينات
النبى العربى المصطفى ... خاتم الرسل سماء المكرمات

* * *

حدثى كيف اتقى كيد الطغام ... ومشى تحت الدجى هادى الأنام
ثانى اثنين ترامت بهما ... فى سبيل الله بيد ورجام
أيها المخرج فى جنح الدجى ... بك ينجاب عن الدنيا الظلام

* * *

وصفى الصديق يخفى البرحا ... فى مسرى بكره أن يفتضحا
مرسلاً عينيه فى سدفته ... كلما أبصر فيها شبحا
وهو من لا يرهب الليل ومن ... طلب الصحبة فيا فترحا
وبكى ... حتى إذا فاز بها ... راح يبكى من جديد فرحا!

* * *

يا دموع البر خلدت الولاء ... وتساميت شكاة وانتشاء
يا نجوماً يتحدرن على الد ... هر جمالاً وسناء وضياء
يتملاك بنو الدنيا إذا ... طلبوا فى هذه الدنيا الوفاء

* * *

ستر الليل الرفيقين فسارا ... كيف يجتازان فى الليل القفارا؟
آثر الصديق أن يختبئا ... فمضى يطلب فى البيداء غارا
عند (ثور) يبتغى موضعه ... قبلما يوحى له النجم النهارا
ومشى فى إثره صاحبه ... يسأل الله لعبديه اصطبارا

* * *

يبصر الصديق طوراً سابقاً ... يسرع الخطو، وطوراً لاحقا
ويراه بعد حين قربه ... صامتاً، يرنو إليه مشفقا
مرهفاً أذنيه فى البيد إذا ... هفت الريح بليل أغسقا

* * *

حذراً يرتاب إن كان أمامه ... فهو لا يأمن فى الليل ظلامه
ومتى عاد إلى خلف رأى ... موضعاً ليس ترى فيه السلامة
ولئن سار إلى جانبه ... لم يصب فى ذلك السير مرامه
جهده أن يتلقى وحده ... إن بدا الشر، من الشر سهامه

* * *

أيُّهَا البَاذِلُ فِي اللهِ الحَيَاهْ   يَا رَفِيقًا فَاتَ فِي البِرِّ مَدَاهْ
أيُّهَا المُرْخِصُ فِي إيمَانِهِ   مَا يُعِزُّ النَّاسُ مِنْ مَالٍ وَجَاهْ
سِرْتَ فِي الدُّنْيَا حَدِيثًا عَطِرًا   تَنْشَقُ الدنيا عَلَى الدهرِ شَذَاهْ

* * *

بَلَغَا (ثَوْرًا) وَمَا حَانَ السَّحَرْ   فَمَشَى يَأوِي إلَى الغَارِ القَمَرْ
يَا مِرَاجًا يَنْسَخُ اللهُ بِهِ   مَا تَدَجَّى مِنْ ضَلَالٍ وَاعْتَكَرْ
قَدَّرَ اللهُ لَكَ الظَّعْنَ فَكَمْ   عِبْرَةٍ فِيهِ وَذِكْرَى لِلْبَشَرْ
إنْ تَكُنْ أُوذِيتَ فِي اللهِ لَقَدْ   كُنْتَ أَسْمَى مَنْ تَأَسَّى وَصَبَرْ

* * *

لَمَحَ الغَارَ فَأَوْمَى عِنْدَ بَابِهْ   لِلنَّبِيِّ المصطفى ، خَيْرُ صِحَابِهْ
قِفْ ! تَمَهَّلْ .. بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي   رُبَّ شَرٍّ خَبَأَ اللَّيْلُ لَنَا بِهْ
وَمَضَى يَسْتَبْرِئُ الغَارَ لَهُ   لَيْسَ يَخْشَى مَا دَعَاهُ لاجْتِنَابِهْ

* * *

لَمْ يَخَفْ فِيهِ الظَّلَامَ المُعْتِمَا   بَلْ دَعَاهُ حِرْصُهُ أَنْ يَقْدُمَا
مَدَّ فِي الظُّلْمَةِ رِجْلَيْهِ إلَى   كُلِّ رُكْنٍ بَاحِثًا لَنْ يُحْجِمَا
رُبَّ رَقْطَاءَ أَثَارَتْ رِجْلُهُ   أَوْ أَثَارَتْ فِي دُجَاهُ ضَيْغَمَا
يَفْتَدِي بِالنَّفْسِ طٰهَ رَاضِيًا   كُلُّ سِلْمٍ عِنْدَهُ أَنْ يَسْلَمَا

* * *

لَاذَ بِالغَارِ الرَّسُولُ المصطفى   معه الصِّدِّيقُ أَوْفَى من وَفَا
يَقِظَ الطَّرْفِ بِهِ ذَا أُهْبَةٍ   مُنْصِتًا فِي صَمْتِهِ مُسْتَهْدِفَا
كُلُّ هَوْلٍ عِنْدَهُ مُسْتَعْذَبٌ   فِي سَبِيلِ الحقِّ حتى يُنْصَفَا

* * *

إمْلَأِي اللَّحْنَ خُشُوعًا وَاحْتِشَامَا   وَاجْعَلِي شِعْرِي صَلَاةً وَسَلَامَا
أَسْعِدِي قِيثَارَتِي وَاقْتَبِسِي   مِنْ جَلَالٍ فَاتَ فِي الأَرْضِ الكَلَامَا
أَعْجَزَ القَوْلَ وَكَمْ هَامَ بِهِ   مَنْ رَأَى فِيهِ قُصَارَاهُ الهُيَامَا !
كُلَّمَا اسْتَشْرَفَ ذُو لُبٍّ لَهُ   كَانَ كَالأُفُقِ : تَدَانَى فَتَرَامَى !

* * *

هَلْ رَأَى قَطُّ بنو الدُّنْيَا كِفَاحَا   غَيْرَ نُورِ الحَقِّ لَمْ يَهْزُزْ سِلَاحَا ؟
هَلْ رَأَوا قَطُّ يَتِيمًا مُمْلِقًا   يَتَحَدَّى وَحْدَهُ اللُّسْنَ الفِصَاحَا ؟
ذَلِكَ اللَّائِذُ بِالغَارِ غَدًا   يَمْلَأُ العَالَمَ رُشْدًا وفَلَاحَا

* * *

هَلْ رَأَى قَطُّ بنو الدُّنيا يَقِينَا   مِثْلَ هذا حَيَّرَ المُسْتَكْبِرِينَا ؟
ظَلَّ عَشْرًا وثلاثًا صابرًا   يَتَحَدَّى سَفَهَ المُسْتَهْزِئِينَا
كُلَّمَا زَادُوه مِن كَيْدِهِمُ   وَجَدُوا مِنْهُ قَنَاةً لن تَلِينَا
أيُّهَا الصَّابِرُ ، بالصَّبْرِ غَدًا   يَفْتَحُ اللهُ لَكَ الفَتْحَ المُبِينَا

* * *

أيُّهَا الهَامِسُ تَحْتَ الغَلَسِ   وَهْوَ مَنْ يَحْمِلُ أَسْمَى قَبَسِ !
أيُّهَا المُخْرَجُ لَيْلًا لم يَكُنْ   هَمْسُكَ القُدْسِيُّ بِالمُحْتَبَسِ
هذِهِ الدُّنيا غدًا تشدو بِهِ   مِن ضِفَافِ السِّنْدِ لِلْأَنْدَلُسِ

* * *

ذلك الغارُ الَّذِي لاذَا بِهِ   جِدَّةُ الدُّنيا غدًا مِنْ بابِهِ
يَدْرُجُ التَّارِيخُ مِنْ رُقْعَتِهِ   وَيَفِيض النُّورُ مِن مِحْرَابِهِ
يَمْحَقُ البَاطِلَ فى أصْنَامِهِ   وَيُمِيتُ الشِّرْكَ فى أَنْصَابِهِ
يَسَعُ الدُّنيا غدًا هَيْكَلُهُ   وَيَلُمُّ المَجْدَ مِنْ أنسابِهِ

* * *

سَوْفَ يطوِي مُلْكَ كِسْرَى لَوْ دَرَى   غَيْرَ بَاغٍ ، وَيُذِلُّ القَيْصَرا
مَوْضِعٌ فى البيد يسمو رُكْنُهُ   للثُّرَيا وَهْوَ فى أَصْلِ الثَّرَى
مَوْئِلُ الدِّين مشى فى هجرةٍ   أَذِنَ الله بها أنْ يُنْصَرَا

* * *

عُصْبَةُ الشِّرْكِ محا الصُّبْحُ دُجَاها   وَأَتَى الحقُّ بِمَا أَلْجَمَ فَاها
لَيْتَهَا لَمَّا أَتَاها أَذْعَنَتْ   وَمَعَ الصُّبْحِ أَفَاقَتْ مِنْ كَرَاها
صَدَفَتْ عَنْهُ عِنَادًا وَمَضَتْ   تُؤْثِرُ اللَّيْلَ عَلَى الصُّبْحِ اتِّجَاها
يَا لَهَا مِنْ عُصْبَةٍ غَاشِمَةٍ   كَهْلُهَا يَسْبِقُ فِي الشَّرِّ فتاها

* * *

طَلَبَتْ فِي رُقْعَةِ البِيدِ الرسُولَا   وَأَتَتْ تَسْعَى شَبَابًا وَكُهُولَا
يَسْمَعُ الصِّدِّيقُ جَمْعًا ها هنا   وَهُنا يَسْمَعُ مِنْ قُرْبٍ فُلُولَا
أيُّ ثَأْرٍ هاجَهَا فَانطَلَقَتْ   لا تَرَى عن ذَلِكَ البَغْيِ عُدُولَا ؟

* * *

أتُرَى تُدْرِكُ معنى الارْتِحَالِ   وَتَرَى أَوَّلَ آيات النِّضَالِ ؟
لو تَخَطَّتْ حُجُبَ الغَيْبِ رَأَتْ   مِلْءَ هذِي البِيدِ مِنْ سُمْرٍ عَوالِ
تَرْجُفُ الأَرْضُ بِجَيْشٍ لَجِبٍ   ظَافِرِ الإقْدَام نشوانِ النِّصَالِ
رَفَعَ الرَّايَةَ فِيهِ سَيِّدٌ   يَجْعَلُ العَفْوَ بِهِ فَوْقَ القِتَالِ

قالَ عِندَ الغارِ: يا قومِ هنا! … قائلٌ منهم... ونادى موقنا
ورأى الصِّدِّيقُ ما أزعجه … فشكا البثَّ وأبدى الحزَنا
قال لا آسَى إذا نُجِّيتَ مِنْ … ذا وإن أوذيتُ أوْ مِتُّ أنا

***

ورأى أحمدَ لا يخشى العِدا … ولئنْ كدَّرَهُ ذاكَ الصَّدى
قال: لا تحزنْ! وصلَّى قائماً … يحمَدُ اللهَ على ما أبدا
أنزلَ اللهُ عليهِ سكَناً … ووَقى الجارَيْنِ من شرٍّ بدا
وتولّتْ عصبةُ الشِّرْكِ؛ فما … يفتحُ الباطلُ حِصناً مُوصَدا

***

أيُّ حصنٍ صدَّ هاتيكَ الجُموعا … فتولَّوا عنهُ مِن يأسٍ رُجُوعا؟
صِيغَ مِن أوْهَنِ نَسْجٍ بابُهُ … لا يُرى إلاّ خيوطاً وَرُقوعا
ما دنا منهُ فتى إلاّ انثنى … واجِفَ القلبِ ومَا كانَ هَلوعا

***

أفزعَ الشِّرْكَ منَ الغارِ غِناه … فإذا أفئدةُ الشِّرْكِ هَواه
ذاتُ طوقٍ جاوَبَتْها أُختُها … يا دُعاءً راحَ يتلوهُ دُعاه
روَّعا الشِّرْكَ بلحنٍ هاتِفٍ … إنّما كانَ مِنَ اللهِ النَّجاه
إنْ أتى النَّصرُ منَ اللهِ فما … ينسجُ العنكبُ - دِرْعٌ ووِقاه

***

وصفا من جانبِ الرَّحمنِ حشدا … ملأَ الباطلَ رُعْباً لو تبدَّى
طافَ بالغارِ أولو أجنحةٍ … قدْ تلاقَوْا عندَهُ وفداً فوفدا
مِن جنودٍ لم يرَوْها حُوَّمٍ … أينَ من يحشُدُ كالرَّحمنِ جُنْدا؟

***

حبَّذا أسماءُ كالطّيفِ الرَّفيقْ … تسرِقُ الخطوَ على هَوْلِ الطّريقْ!
تحمِلُ الزّادَ عشيّاً وَحْدَها … ذاتُ قلبٍ هو بالخوفِ خليقْ
يا ابنةَ الصِّدِّيقِ هل منْ نبأٍ … للرَّفيقَينِ عنَ الشِّرْكِ وَثيقْ؟
أمْسِكي عنْ لطمةٍ فاجرةٍ … طرحتْ قُرْطَكِ منْ وَغْدٍ صَفيقْ

***

هيهِ عبدَ اللهِ... قُصَّ الخبَرا … هاتِ منْ نِيّاتِهِمْ ما ظهَرا
وخذِ الحيطةَ واحذَرْ مكرَهمْ … وتَخَيَّرْ من يُعَفِّي الأثَرا
وتأهَّبْ... آنَ أن يستأنفا … في سبيلِ اللهِ هذا السّفَرا

***

تبِعا في وَحْشةِ البيدِ الدليلا … يتوخّى بهما سيراً طويلا
يدْرُجُ الحقُّ إلى غايتهِ … وقد اختارَ لهُ اللهُ السّبيلا
ينصُرُ اللهُ به مَن هاجرُوا … مِنْ جُنودٍ صبَرُوا صبراً جميلا
آيةُ اللهِ انجلتْ في هِجْرةٍ … تهتِفُ الدنيا بها جيلاً فجيلا

***

هِجرةٌ تحمِلُ بُرْهاناتِها … وهْيَ وحْيٌ للنُّهى في ذاتِها
كلّما أمعنَ فيها ناظرٌ … كشَفَ المكنونَ مِنْ آياتِها
قبسُ اللهِ الذي أنزَلَهُ … ينجَلي للنفسِ في غاياتِها

***

ذلك الداعي الذي يلقى الصِّعابا … لِمَ يختارُ مِنَ القومِ العذابا؟
وهوَ لوْ يختارُ مُلكاً نالَهُ … من سَراةِ القومِ طوعاً لا اغتصابا
أوْ يشاءُ المالَ ساقوهُ لهُ … وهوَ منْ يَفنى لهُ الناسُ طِلابا
إنّما يسعى إلى اللهِ، وإنْ … قذفوا في وجهِهِ السَّمْحِ التُّرابا

***

لمْ تكنْ هِجرتُهُ إلاّ جِهادا … وإباءً وحِفاظاً وجِلادا
راحَ يستأنِفُ في هِجرتهِ … في سبيلِ اللهِ؛ أعباءً شِدادا
سارَ يستصرِخُ مَنْ ينصُرُهُ … ليُذِلَّ السّيفُ في الشِّرْكِ العِنادا

***

هادِيَ البيداءِ قدْ طالَ المَسيرْ … ورجَتْ يثربُ إقبالَ البشيرْ
إيهِ لا تُبطئْ فهذا فارسٌ … يقتفي خلفَكَ آثارَ البعيرْ
التفتْ تُبصرْهُ قدْ ساخَ بهِ … فرسٌ كادَ منَ الزّهوِ يطيرْ
صاحَ بالرَّكْبِ تنكَّبْتُ الأذى … ولَئِنْ أُطلِقْتُ إنّي نَصيرْ

***

ومشى حتّى إذا ما اقتربا … راحَ يروي للرّسولِ السَّبَبا:
أرخصَ المالَ لمن يأتي به … فأتى يطلُبُ فيمنْ طلبا
مُذْ رأى ما حلَّ في السّيرِ بهِ … طلَبَ الأمْنَ وعافَ الذّهبا

***

أقبِلي يثرِبُ منْ كلِّ البقاعْ … بلَغَ السَّفْرُ ثنيّاتِ الوداعِ
إجعلي في كلِّ وادٍ موكِباً … مُشرَئِبّاً، وامْلأي كلَّ يَفاعِ
سِرْتِ في الدُّنيا إلى جبهتِها … مُنذُ آويتِ بها أشرفَ داعِ

الخفيف

الإسلام عدو الشرك والنفاق

للأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلي



رأى المشرع الإسلامى : أن يُبْقِىَ على فريضة الحج ، والحج معروف فى تضاعيف الزمان ومن أقدم العهود ، أبقى عليه المشرع الإسلامى إبقاء مهذباً مطهراً خالصاً من أدران الشرك ومن دنس الاعتقاد الرجس . أبقاه الإسلام ، بعد أن أفرغ عليه من جلال التوحيد ، وأفاض عليه من معانى التقوى ما جعله منسكاً حافلاً بالخير .

وأى خير أوفر من شهود المنافع وتعرُّف شؤون الأقطار الإسلامية ، وشدّ أواصر المجتمع وإعداد النفوس لتلقّى أسمى الفيوضات واستلهام الهدى واجتماع الكلمة ؟

ونحن بسبيل أن نبين كيف اختار الإسلام موسم الحج ميداناً لإصلاح اجتماعى خطير ؟ هذا الإصلاح هو : مواجهة النفاق والكشف عن المنافقين وتمييزهم عن المجتمع ونبذهم ، بعيدين عن المؤمنين لكى يسلم للأمة خلقها وتصح عناصرها ...

***

أنزل الله على رسوله — صلى الله عليه وسلم — فى ختام ما نزل من القرآن سورة « براءة » ، أو السورة « الفاضحة » التى فضحت الشرك وكشفت عن المنافقين ، أنزلها الله فى السنة التاسعة من الهجرة فى موسم الحج .

وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم — من قبل ذلك — يعرف خصومه من المشركين السافرين فيحذرهم وينكل بهم . ثم كان يعرف - أيضاً - أن بين أتباعه بعض المنافقين ، فكان لا يجبههم ولا يكشف عن أضغانهم ولا يبرز للمسلمين دخائل نفوسهم ، إبقاء على الدعوة الإسلامية وهى فى دور النمو والتكوين ، حتى لقد بلغ من قسوة تلك الحالة على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه ، أن صاروا فريسة لمكايد النفاق وهدفاً لمؤامرات المنافقين يدلون المشركين على عورات المؤمنين ويوضِعون خلالهم يبغونهم الفتنة ومع هذا ، هم لاصقون بالجماعة المحمدية ...

« يحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ، ولكنهم قوم يفرقون »

وقد بلغ من خطر النفاق على المجتمع يومذاك — أن وقعت أزمة حربية عنيفة للرسول — صلوات الله عليه — ولأصحابه ، فكانت سانحة للمنافقين ، أرجفوا فيها بموت محمد عليه السلام لتثبيط العزائم ، وتمكين الهزيمة ، والمؤمنون فى ساعة عصيبة يجمعون شملهم ويربطون على قلوبهم ، والرسول عليه السلام ثابت فى مكانه لا يريم

تلك الحوادث أبانت عن أنه لا يزال بين المجتمع الإسلامى — بل وسط جماعة المسلمين — قلوب مطوية على الإحن تتربص بالإسلام وبالرسول الدوائر

وأنها لحال تنغص على المسلمين أمورهم ، وتهدد كيانهم وتقلقل مجتمعهم

وقد كاد صبرهم ينفد يوم وقف واحدٌ من هؤلاء يعيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمه للصدقات ويغمز العدالة المحمدية . هذا الرجل هو « ذو الخويصرة التيمى » دفع به النفاق ، فخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إعدل يا محمد ... ولا ، والله ، ما قصد ذو الخويصرة عدلاً ولا طلب حقاً . ولكنه قصد إلى أن يشكك الناس فى العدالة المحمدية ، وينبه الأطماع ، ويثير الإحن . فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « ويلك ، من يعدل إذا لم أعدل ؟ »

واستمع لهذا الحوار الرجل المؤمن حقاً عمر بن الخطاب ، فعرف أنها دسيسة . فقال : يا رسول الله ، ائذن لى فأضرب عنقه ، فأخذ صلى الله عليه وسلم يُهَدِّئ من نفس عمر ، ويذهب عنه الغضب ، ويقول : لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ونزل فى تلك الحادثة من السورة « الفاضحة » قول الله تعالى :

« ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يُعطَوْا منها إذا هم يسخطون »

بقى النفاق — هذا الوباء الأخلاقى — يأكل فى أجزاء من جسم المجتمع ، ولولا صدق اليقين ، ومناعة الجسم ، لأودى النفاق بالدعوة الإسلامية

* * *

إن لله مواقيت تنتهى لديها أمور وتبدأ من عندها أمور . فلما أذن الله بافتضاح هـذا النفاق ، وشاء للمنافقين أن يشهَّروا ويعلَّموا ويؤخذوا بسيماهم ، ثم يعزلوا ـ مرضى موبوئين ـ عن بقية المجتمع السليم ، اختار — عز وجل — لذلك وقتاً علا فيه شأن الإسلام ، وتمت له الكلمة ، وأثخن المسلمون فى أعدائهم أسراً وقتلاً واستيلاء وغلبة . فليس يخيفهم أن يبتروا الأعضاء السقيمة العليلة

وكانت الحياة المحمدية المباركة قد آذنت بالانقضاء ، ولا بد من صيانة مجتمعه وشريعته ودينه من هذا المرض ، مرض النفاق الدمّر الفتاك

عند ذلك أنزل الله سبحانه وتعالى السورة « الفاضحة » كما ورد عن ابن عباس رضى الله عنه : نزلت تفضح النفاق ، وتكشف عن المنافقين ، وتصور ألوانهم وأقوالهم ، وتطلع المؤمنين على دخائل نفوسهم ، وتنشر للملأ مطويات سرائرهم ... وقد كانوا من قبلها يخافون ذلك ويحذرونه

« يحذر المنافقون أن تُنَزَّل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم » ولكن الله أوقع بهم ، فكان ما يحذرون ووقع ما يرهبون

* * *

اختار المشرع الإسلامى غزوة من غزوات المسلمين ، جعلها اختباراً أخيراً للمنافقين . وهى : غزوة تبوك ، آخر الغزوات فى حياة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وكان الوقت عسيراً والبلاد جدباء ، والحر لافحاً والشقة بعيدة ، والأعداء هم الروم الأقوياء الأغنياء

هنا أخذ النفاق يطل برأسه ، وينفث فى العقد ، ويبعث التخاذل ، ويحبب التقاعد بين الجيوش الإسلامية . فقال جماعة المنافقين وعلى رأسهم كبيرهم « عبد الله بن أبى » : « أيغزو محمد بنى الأصفر (الروم) مع جهد الحال ، وشدة الهجير ، والبلد النائى ؟ أيحسب محمد أن قتال بنى الأصفر لعب ولهو ؟ والله ... لكأنى أنظر إلى أصحابه مُقَرَّنين فى الأصفاد »

ثم أخذ المنافقون يقولون : لا تنفروا فى الحر ، قل نار جهنم أشد حرًّا لو كانوا يفقهون

وهكذا جعلوا يعتذرون عن الخروج بأعذار تافهة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلها ، حتى عاتبه القرآن فى ذلك وعفا عنه : « عفا اللهُ عنك ، لِمَ أذنتَ لهم حتى يتبيَّن لكَ الذينَ صدَقوا وتعلمَ الكاذبين »

عرَّفت السورة « الفاضحة » أو سورة « براءة » المنافقين ، وحددت أوصافهم : فمنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أُذُنٌ ومنهم من يلمزك فى الصدقات . ومنهم من عاهد الله ثم أخلف عهده . ومنهم ، ومنهم ...

ثم خاطب الله رسوله عليه السلام الخطاب الحاسم فى شأنهم فقال : « سيحلفونَ بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتُعْرِضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون »

ولقد نكل الله بالشرك فى تلك السورة فسميت « المنكلة » وأزرى واحتقر النفاق ورسمه بأنه رجس ، فافتضح النفاق

وجاء صدر تلك السورة قضاء حاسماً على بقية الشرك ، وإبادة لمرضه الخبيث فى أنحاء الجزيرة العربية

فقد اجتمع إلى الشرك مآثم وأوزار وشناعات ، لا مناص من القضاء عليها تطهيراً للمجتمع وإصلاحاً للأمة

* * *

وفى السنة التاسعة للهجرة أمَّرَ النبى عليه السلام على الحج « أبا بكر » الصديق . فلما نزلت السورة — المنكلة الفاضحة — بعث صلى الله عليه وسلم ابن عمه على بن أبى طالب على ناقته العضباء ليقرأ فى موسم الحج على الناس كافة صدر السورة المنزلة ، قضاء على الشرك والمشركين ، فلما دنا على من أبى بكر سمع أبو بكر رغاء الناقة ، فوقف وقال : هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما لحقه علىّ قال له أبو بكر : أمير أم مأمور ؟ قال : مأمور

فلما كان يوم الحج الأكبر ـ يوم النحر ـ عند جمرة العقبة قام على فقال: «أيها الناس، إنى رسول رسول الله تعالى إليكم» فقالوا: بماذا ؟ فقرأ « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله ، وأن الله مخزى الكافرين ، وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم

الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله » إلى آخر الآيات الثلاثين أو الأربعين من السورة

ثم قال : « أمرت بأربع : ألا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة ، وأن يتم كل ذى عهد عهده »

وفى هذا الموطن الحاشد ، وبهذا البيان القاطع تقررت حياطة المجتمع ، وصيانة التوحيد ، كما تقرر — فى أثناء السورة — إبراء المجتمع من داء النفاق بإقصاء المنافقين وتعرفهم بسيماهم ؛ ثم نبذهم أحياء أو ميتين

« ولا تُصَلِّ على أحد منهم مات أبداً ، ولا تَقم على قبره »

« يحلفون لكم لترضوا عنهم ، فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين »

* * *

انتهى أمر النفاق ، وانتظم شأن المجتمع الإسلامى . فلما كان العام التالى ، أراد صاحب الشريعة عليه السلام أن يحج ، وترامى ذلك إلى أقطار الجزيرة ، فانثال الناس من كل حدب ، حتى بلغ الحجيج مائة ألف أو يزيدون . وفى يوم الحج الأكبر ، خطب صاحب الشريعة خطبته الجامعة التى بين فيها أصول الدين ، وحقوق الإنسان وأعلن فيها المساواة ، وحقن فيها الدماء وبين الحدود ، وحشد فيها الفضائل الإسلامية

وزاد فى جلال الموقف ورهبته إشعار النفوس أن محمداً عليه السلام يودع المسلمين ويتوقع اقترابه من اليوم المحتوم ، ويستشرف إلى الرفيق الأعلى

قال صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله ، نحمده ونستغفره ونتوب إليه . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ... أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعة الله ، وأستفتح بالذى هو خير . أما بعد :

أيها الناس ، إسمعوا منى أبيِّن لكم ، فإنى لا أدرى .. لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا ، فى موقفى هذا

أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذى ائتمنه عليها . وإن ربا الجاهلية موضوع

أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ، ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد

إن لنسائكم عليكم حقاً ، فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وإنما النساء عَوان أخذتموهن بأمانة الله ، فاتقوا الله فى النساء ، واستوصوا بهن خيراً

أيها الناس ، إنما المؤمنون إخوة ، فلا يحل لامرىء مال أخيه إلا عن طيب نفسه . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد

فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض ؛ فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد

أيها الناس . إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ؛ كلكم لآدم ، وآدم من تراب . أكرمكم عند الله أتقاكم . ليس يُعرف فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم : قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب ... »

بتلك الخطبة الحافلة بأسمى المعانى الإنسانية ، تمت كلمة الله صدقاً وعدلاً ، فاكتمل أمر الدين ، وأتم الله نعمته على المؤمنين ، وقد أنزل الله فى أعقاب ذلك من سورة (المائدة) : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

أقام صلى الله عليه وسلم بمكة بعد ذلك عشرة أيام . وأخذته نوازع الشوق وهو فى موطنه الأول (مكة) إلى موطنه الثانى ، إلى دار الهجرة ، فسار إلى المدينة ...

ولما أشرف عليها ، وبدت أعلامها كبَّر ثلاثاً وقال : « لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد وهو على كل شىء قدير ... آيبون ، عابدون ، ساجدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبدَه ، وهزم الأحزاب وحده

محمد عبد الرحمن الجديلى

في جنازة الشرك!

آلهة الكعبة يسجدون..

للأستاذ محمود حسن إسماعيل



[أسطورة وثنية جديدة يتخيل فيها الشاعر لوناً من الفزع الذى حل بأصنام المشركين ، على ألسنة الجبابرة الخرس من الآلهة الحجرية : « اللات ، والعزى ، ومناة ! » فى اجتماع لهم غداة أشرق فى ظلمة محاريبهم شعاع من نور محمد !]

مَناة (فى حال من الكبرياء والجبروت يحيي رفيقيه هنيب ليلة طال فيها سجود المشركين في ساحة الأصنام) :

سَلامَ الألوهةِ يا صاحِبيَّ   وَحَيِّتُكُما عِزَّتى العاليَهْ !
وَحَيَّتْكُما مِن شعابِ الجِبالِ   قُلوبٌ لِأَطيافِنا جاثِيَهْ
وَشَعْبٌ عَلَى الأرضِ عانى الجِباهِ   تَخِرُّ لنا رُوحُهُ العاتِيَهْ
تأبَّى فسوَّى شُعاعَ النُّجوم   لِحَبّاتِهِ طُنُباً زاهِيَهْ
وَأَلْقَى الزَّمانَ على خَطْوِهِ   حَديثاً لِأَمجادِهِ السّارِيَهْ
تَحاراهُ أُنشودَةُ الأنبياءِ   وَمَسْرَى شُعاعَتِها الهادِيَهْ
وَحَقْلُ السَّماءِ الّذى فَجَّرَتْ   عليْهِ يَنابيعَها الصّافِيَهْ ...
بَنو السَّيْفِ وَالبِيدِ أَهلُ الوَغى   وَأَبْطالُ دَوْرَتِها الخامِيَهْ
فَمُ الدَّهرِ يَبْلَى وَأَشْعارُهُمْ   تَظَلُّ الغُيُوبُ لَها رَاوِيَهْ !
أُولَئِكَ مَنْ طَوَّفوا حَوْلَنا   خُشوعاً لِصَوْلَتِنا الطّاغِيَهْ
وَمَنْ قَدَّسُونا فَكُنّا لَهُمْ   حَياةً لِأَعْمارِهِمْ ثانِيَهْ ...

اللات (فى تعجب وسخرية) :

أَراكَ تَعالَيْتَ فى ذِكْرِهِمْ   وَكُنْتَ لَهُمْ فى الوَرَى داعِيَهْ
إِلهٌ يُمَجِّــدُ عُبّــادَهُ   وَيَكْسُوهُمُ المِدحَ الغالِيَهْ !
وَيَخْلَعُ مِنْ قُدْسِ أَوْصافِهِ   عَلَى رِجْسِهِمْ حُلَلاً ضافِيَهْ
لَبِئْسَ الهُدَى عِنْدَهُ وَالرَّشادُ   وَتَبّاً لِشِرْعَتِهِ الغاوِيَهْ !

مناة (صارخا فى وجه « العزّى » وقد كان فى إطراق عميق) :

سَمِعْتَ مِنَ اللاتِ هُجْرَ الحديثِ   وَسُخْفَ المَلامِ وَزَيْفَ الكَلِمْ
وَأَطْرَقْتَ لم تُلْقِ بالاً لَهُ   ولم يَسْتَثِرْكَ انتِهاكُ الحُرَمْ
إِلهٌ وَتَرْضَى بِهــذا الهَوانِ   وَتَغْرَقُ فى الصَّمْتِ مِثْلَ الصَّنَمْ !

العُزّى (فى دهشة واستغراب) :

وما أنا إلّا كما قَدْ نَعَتَّ   جَمادٌ عَلَى الأرضِ خاوٍ أَصَمّ
وما أنتَ يا صاحِ ! . . .

مَناة :

. . . . . . رَبٌّ عَظيمْ   تُرَجَّى لَدَيَّ المُنَى وَالنِّعَمْ
وَتَمْشِي بِصَوْلَجِيَ السّافِياتُ   وَتَنْهَلُّ مِنْ راحَتَيَّ الدِّيَمْ
وَباسْمِي تَغَنَّى حُداةُ الجِمالِ   وَمالوا نَشاوَى بِسِحْرِ النَّغَمْ
وفى الرَّوْعِ تَجْثُو لَدَيَّ السُّيُوفُ   وَبى تَسْتَجيرُ ، وَلى تَحْتَكِمْ
وَبى تُقْسِمُ البِيدُ فى عَهْدِها   جَلالاً ...

العُزّي (بفاطمه) :

...وَأَهْوَنْ بِهذا القَسَمْ !

كذبتَ ! ألسْنا هنا ثلةً   من الصَّخرِ خرساءَ مُنذُ القِدَمْ؟
تلَهَّى بأحجارنا النَّاحتونَ   وألقوْا بنا في مَهاوِى الظُّلَمْ
سكنَّا الحضيضَ أسارى البِلَى   وكانتْ مرابِعُنا في القِمَمْ
دموعُ الجبالِ على ذُلِّنا   هي السَّيلُ يرزِمُ فوقَ الأكَمْ
أبعدَ النَّدى مِن كئوسِ الغَمامِ   يُصابحُنا بالرَّحيق الشَّبِمْ !
وبعدَ الرِّياحِ وتَطوافِها   صلاةً ونُسْكاً بِعالى الأُطُمْ !
وبعدَ الشَّذى من خُزامى السُّفوح   تفتَّقَ نُوّارُهُ وابتسَمْ !
وبعدَ المَدارِجِ دوَّى بها   فمُ الجِنِّ فى لَيْلِنا واحتدَمْ
وبعدَ المزاميرِ أذكى بها   حنينَ البَرارى رُعاةُ الغَنَمْ !
وبعدَ السُّهوبِ التى موَّجتْ   أسارِيرَها البِيضَ كفُّ النَّسَمْ
وكانتْ مُصلَّى شُعاعِ الغُيوبِ   ودَيْرَ السَّماءِ، وكَهفَ الحَرَمْ !
وبعدَ الضُّحى العَبقريِّ العُبابِ   عرايا الصُّخورِ به تَستحِمْ ...
... أقمْنا بزاويةٍ أهلُها   ذُبابُ القبورِ، ودُودُ الرِّمَمْ
وخُفّاشُها ونَنيُّ الصَّدى   يُوَصْوِصُ في جانبيْه البَكَمْ !
معَ الصَّمتِ صمَّاءُ لا همسةٌ   ولا هجسةٌ غيرُ صوتِ العَدَمْ !
نُصِبْنا مذابحَ للسَّائماتِ   ومجزرةً لضحايا النَّعَمْ
تبولُ الثَّعالبُ فى ساحِنا   وتَسلَحُ فوقَ الجباهِ الرَّخَمْ
كفانا خداعاً !

اللات :

كفانا هواناً

مناة (فى ندم وحزن) :

أحِسُّ بجَنبَيَّ عصْفَ الألَمْ !
يَدورُ على عِزَّتى بالفَناءِ   ويَهوى بها فى سَعيرِ الضَّرَمْ !
أعينا صِفانى على هَولِها !

العزى :

نجرَّعْ لهيبَ الأسَى والنَّدمْ !

« فترة سكون وذهول تخيم على الكعبة ، ويشرق خلالها أول شعاع من نور النبي »

اللات :

أرى قبَساً فى حِمانا غريبا   وألمحُ فى الأفقِ ضوءاً عجيبا !
على الأرضِ دفَّقَ أنوارَهُ   فسالتْ على الرملِ طُهراً وطِيبا
وأذهلَ بالَمْحِ قلبَ الشُّموسِ   ودَاراتِ أفلاكِها ، والغُيوبا
وريعَتْ صُخورُ الفَلا فارتمتْ   على خَطوِهِ واستحالتْ قلوبا
أهلَّ على جلمَدى فاستطارَ   وأوشكَ من رهبةٍ أنْ يذوبا
أعزَّاىَ ماذا ؟

العزى :

شُعاعُ الضُّحى   توهَّجَ فى البيدِ غضّاً قشيبا !

مناة :

هوَ النَّجمُ خفَّ لنا ساجِدًا

اللات :

خسئتَ أو خيِّلتَ ظنّاً كذوبا!
فما النَّجمُ ؟ ماضوءُهُ الكوكبيُّ؟   وكم لاحَ يُضنى الأسى والشُّحوبا
وما الشَّمسُ؟ كم عصَّبتها السِّنينُ   وكادتْ نضارتُها أنْ تشيبا !
ضلَلْتَ وضلَّ الذى خالَهُ   على الدَّهرِ يوماً سيَلقى غروبا
هوَ النُّورُ قد رفرفتهُ السَّماءُ   يهدِّى الحيارى ويمحو الذُّنوبا
رأى الشِّركُ أقباسَهُ فارتمى   وخرَّ على صفحتيها مُنيبا
وهذى جنازتهُ فى الفلا   تجوسُ القِفارَ وتطوى السُّهوبا
... ...
فهيَّا نؤدِّي صلاةَ الجِهادِ   ونسجُدُ فى الأرضِ حتى نذوبا !

« ويسجدون !! » ...

(القاهرة)   محمود حسن اسماعيل

من مذكرات ابن أبي ربيعة

الحقيقة المؤمنة

للأستاذ محمود محمد شاكر



« قال عمر بن أبي ربيعة » ...

فبادرت أعدو يكادُ ينشقُّ عليَّ جِلْدِي من شدَّة العَدْو ، فقد أكلتْ مني السنُّ وتعرَّقتني أنيابُ الكِبَر؛ فما جاوزت رَوْضة قصر أمير المؤمنين حتى تقطعت أنفاسي من الجهد، وتلقاني الآذِنُ: ما عدا بِكَ يا أبا الخطاب ؟ فقلت: إِيذَنْ لي على أمير المؤمنين [هو الوليد بن عبد الملك] ، فقد نزل بنا ما لا ردَّ له، وتبعتُه ... ووالله إنَّ فرائصي لَترْعَدُ وكأني محمومٌ قد جرت عليه هبَّةُ رِيحٍ باردة ... وغاب الآذنُ : فما هو إلا أمير المؤمنين يستقبلني كالفزِع ، وقد خرج إليَّ فقال : أيُّ شيء هو يا ابن أبي ربيعة ؟

قلت : والله ما أدري يا أمير المؤمنين ، فما كان إلا ومحمد بن عروة [بن الزبير] تحت سنابكها ، فما زالت تضربه بقوائمها ، وما أدركناه إلا وقد تهشم وجهه وتحطمت أضلاعه ! ! ...

وكأنما فارقتني الروح ، فما أشعر إلا وأمير المؤمنين قائم على رأسي ينضح الماء على وجهي ، وقد قُرِّبتْ إليَّ مِجْمَرَةٌ يسطع منها ريح المندَلِ الرطيب، فلما أفقتُ ورجعتْ إليَّ رُوحي سألني أمير المؤمنين أن أقصَّ عليه الخبرَ ...

قلت : خرجنا أنا ومحمد بن عروة وهشامٌ أخوه نريد منزلنا من قصر أمير المؤمنين ، نرجو أن نتخفَّف من بعض ثيابنا، فقد أنهكنا الحرُّ ... فنظر محمد إلى مرآةٍ من فضَّة مُجلوَّة معلقة في البيت ، ثم قال : أتذكُر يا أبا الخطاب حَجَّتنا تلك؟ قلت : أيَّتهنَّ ؟ فقد أكثرتَ وعمَّك الحجَّ ، فقال : سرعان ما نسي الشيخ ، لقد كبرت والله يا أبا الخطاب ! وقد حدثني أبي بالذي كان منك ، فقد كنت تسايره وتحادثه ، فلم تلبث أن سألته : وأين زينُ المواكب[1] يا أبا عبدالله ؟ فقال لك : أمامَك ، فأردت رَكْضُ راحلتك تطالبني ، فقال لك : يا أبا الخطاب ، أوَ لسنا أكفاء كِراماً لمحادثتك ، ونحن أولَى أن تسايرنا ، فقلت له : بَلَى ، بأبي أنت وأمي يا أبا عبدالله ! ولكني مُغرًى بهذا الجمال أتبعهُ حيث كان ، ثم عدلتَ براحلتك وضربتها وأقبلتَ إليَّ ، وجعل أبي يتعجب منك ويَضحك ، وقد استنار وجهه ... إحدى سوآتك هي والله يا أبا الخطاب ...

فضحكت لقوله وتناقلنا الحديث وإذا هو ساكنٌ ساجٍ كأنما غشيَتْه غاشية همٍّ ، فقلت : ما بك يا محمد ؟ فزفر والله يا أمير المؤمنين زفرة كأنما انشقت لها كبدي ، ثم قال : أرأيت هذا الجمال الذي تبعته يا أبا الخطاب ، يوشك أن يكون طعاماً يلحسه تراب القبر فما ترى إلا عظما أغبر من جمجمة تقذف الرعب من محجريها . . . لقد روَّعني والله يا أمير المؤمنين حتى تطيَّرتُ وما بيَ الطِّيَرة ؛ فأردت أن أصرفه عن بعض همه أن يكون الصيف قد أوقد عليه حرَّه فحيَّره . فانطلقنا جميعاً [يعني هو وهشام ومحمد] إلى سطح البيت نستظل بظُلَّته ونستروح للنسمات وأقبلنا نضحك ونعبث ونلهو من بعض اللهو ، وإذا طائر يحوم يصفق بجناحيه ثم رنَّق فكسرهما من الإعياء ثم سقط ثم درج ثم اضطرب قد كاد يقتله الظمأ ، فجرى إليه « محمد » ليأخذه فيبُل ظماه ، فخفَّ الطائر فهوى إليه محمد ليدركه ، فما نرى والله محمداً . . . قد اختطفه أَجله فجذبه فهوى به إلى اصطبل الدواب ، فيقع بينها فيثيرها فتهيج ، وإذا « زين المواكب » تحت سنابكها تضربه ، فما أدركناه والله يا أمير المؤمنين إلا جثة قد ذهب رأسها ، وما نرى إلا الدم . . . رحمة الله عليه ، لقد . . .

قال أمير المؤمنين : إنا لله وإنا إليه راجعون ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، فكيف محتال لهذا الأمر يا ابن أبي ربيعة ؟ قلت :

(١) كان يسمى محمد بن عروة زين المواكب لجماله وبهائه ...

فيم الحيلة يا أمير المؤمنين وقد ذهب القدر بما يُحتال له ! فقال : أههنا أنت يا عمر ، نمت وسار الركب ، هذا أبوه أبو عبد الله شيخ كبير يوشك أن يصاب فى نفسه ؛ قلت : يا أمير المؤمنين ، هذا مصابه فى ابنه ، فما مصابه فى نفسه إلا أن يكون الخبر إذ يبلغه ؟ وسأحتال له . قال أمير المؤمنين : مهلاً يا عمر ، لقد علمت أن أبا عبد الله [عروة بن الزبير بن العوام] كان قد اشتكى رجله وما زال يشتكى ، فبينا نحن الساعة جلوس إذ دخل علينا « أبو الحكم » الطبيب النصرانى ، فاستأذنت أبا عبد الله أن يدَع « أبا الحكم » حتى يرى علة رجله ، فما راعنا إلا « أبو الحكم » يقول إنها الأُكلة ، وإنها قد ارتفعت تريد الركبة ، وإنها إذا بلغت الركبة أفسدت عليه جسده كله فقتلته ، فما بُدٌّ من أن تقطع رجله الساعة خشية أن تدب الأكلة إلى حيث لا ينفع القطع ولا البتر

فوجَمتُ والله لهذا البلاء ، وقد اختلف به القدَر على شيخ مثل أبى عبد الله فى إدبار من العمر ، وأخذ أمير المؤمنين بيدى وقام . فدخلنا مجلس الخلافة وإذا وجوه الناس قد جلسوا إلى عُرْوة أبى عبد الله يواسونه ويصبّرونه ويذكرونه بقدَر الله خيره وشرّه ؛ وإذا فيهم سليمان بن عبد الملك أخو أمير المؤمنين ، وعمر بن عبد العزيز ، والقاسم بن محمد ، وعبد الله بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب ، وقد حضره ولده هشام فأرَمَّ قد انتُسف لونه من الحزن على أخيه والرحمة لأبيه . وأقبل أمير المؤمنين وأنا معه على عرْوة ؛ فتفرق الناس إلى مجالسهم ، وإذا عُرْوة كأنْ ليس به شىء ، يرفُّ وجهه كأنه فِلْقة قمر وهو يضحك ويقول : لقد كرهت يا أمير المؤمنين أن يقطعوا منى عضواً يحط عنى بعض ذنوبى ، فقد حُدّثنا أن أبا بكر قال : يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية « ليس بأمانيّكم ولا أمانىّ أهل الكتاب مَنْ يَعمَلْ سُوءًا يُجزَ بهِ » ، فكل سوء عملناه جُزينا به ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غفر الله لك يا أبا بكر ؛ ألستَ تمرَضُ ؟ ألستَ تَنصَبُ ؟ ألست تحزَنُ ؟ ألست تصيبك اللأْوَاء ؟ قال : بلى يارسول الله . قال صلى الله عليه وسلم : فهو ما تُجزَوْن به ، فإن ذاك بذاك . لَوَدِدْت يا أمير المؤمنين أنها بقيتْ بدائها فهى كفَّارةٌ تحتُّ الذَّنب

قال أمير المؤمنين : غفر الله لك ، غفر الله لك ، وما أعجبُ لصبرك ، فأمّك أسماء بنت أبى بكر الصديق « ذات النِّطاقين » وأبوك حَوارىُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته الزبير ابن العوام ، فرضى الله عنك وأرضاك يا أبا عبد الله

فما كدنا حتى أقبل أبو الحكم ، وهو شيخ نصرانىٌّ طويل فارعٌ مَشبوحُ العظام ، قد تخدّد لحمه ، أحمرُ أزهرُ أصلع الرأس إلا شعرات بيضاً قد بقيت له ، كثُّ اللحية طويلها ، لو ضربتها الريح لطارت به ؛ ودخل أبو الحكمَ وراء لحيته وهى تسعى بين يديه ، حتى وقف على عروة بن الزبير فقال : لا بدّ مما ليس منه بُدٌّ يا أبا عبد الله ، وإنى والله لأرحمك وأخشى أن يبلُغ منك الجهد ، فما أرى لك إلا أن نسقيك الخمر حتى لا تجد بها ألم القطع .

قال عروة : أبعدك الله من شيخ ، وبئس والله ما رأيت ! إنا والله ما نحبُّ أن يرانا الله بحيث نستعين بحرامه على ما نرجو من عافيته ! قال أبو الحكم : فنسقيك المُرْقِدَ ، يا أبا عبد الله ! قال عروة : ما أحبُّ أن أُسلَبَ عضواً من أعضائى وأنا لا أجد ألمَ ذلك فأحتسبه عند الله

قال أبو الحكم : وقاك الله يا أبا عبد الله ! لقد ألفت منا قلوباً كانت قاسية ؛ ثم التفت (أبو الحكم) إلى رجال سود غِلاظ شداد قد وقفوا ناحية فقال : أقبلوا ، فأقبلوا ... فأخذتهم عينُ عروة فأنكرهم فقال : ما هؤلاء ؟ فقال أبو الحكم : يمسكونك ، فإن الألم ربما عزب معه الصبر ؛ قال عروة : أما تُقلع أيها الشيخ عن باطِلك ، انصرفوا يرحمكم الله ، وإنى لأرجو أن أكفيكم ذلك من نفسى ، ولا والله ما يسعنى أن هذا الحائط وقانى أذاها فاحتمل عنى ألمها . أقبل يا أبا الحكم ، وخذ فيما جئتَ له « ربّنا إننا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِى للإيمانِ أنْ آمِنوا بِربِّكم فآمنا ، ربَّنا فاغفِرْ لنا ذُنوبَنا وكفِّرْ عنا سيئاتِنا وتوفَّنا مع الأبرار . ربَّنا وآتِنا ما وعدْتَنا على رُسلِكَ ولا تخزِنا يومَ القيامةِ إنك لا تخلفُ الميعاد »

فرأيت أبا الحكم وقد برق وجهه وتوقد كأنما أسلم بعد كفر ، ثم نشر درجاً كان فى يده وأخرج منشاراً دقيقاً طويلاً صقيلاً يضحك فيه الشعاع ووُضع الطست ومَد أبو عبد الله رجلَه على الطست وهو يقول : باسم الله والحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله « ربنا ولا تحمّلْنا ما لا طاقة لنا به واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا » . تقدم يا أبا الحكم فقد احتسبتها لله

فما بقى والله أحدٌ فى المجلس إلا استَدارَ ودفَنَ وجههُ فى كفيه ، وبكى القوم فملأ نشيجهم ، وإن عرْوةَ لساكن قارٌّ

ينظر إلى ما يرادُ به ، وكأنما ملَكٌ قد جاء إلى الأرض يستقبل آلامها بروح من السماء . ووضع أبو الحكم منشاره فى اللحم إلى العظم ، وإن عروة لصائم يومه ذاك ، فما تضور وجهه ولا تقبض ، والنشار يأكل فى عظمه الحى ، وما يزيد على أن يهلل ويكبر ويسبح الله ، وكأن الدار والله قد أضاء جوها كأنه شعاع ينسكب من تهليله وتكبيره ؛ ودخل رجال يحملون مغارف من حديد يفور منها ريح الزيت وقد غلى فيها على النار ، ودنوا فما هو إلا أن فرغ أبو الحكم وقد فار الدم منها وتفجر مثل الينبوع ، فأخذها أبو الحكم يغمسها فى الزيت فيسمع نشيشها فيه حتى حسم الدم . وإذا عروة قد غشى عليه ، وإذا وجهه قد صفر من الدم ، وقد نجِدَ فنضح وجهُه بالعرق ، ولكنه بقى مشرقاً نيراً يرفُّ كأنه عرارة تحت الندى . قال أبو الحكم : ما رأيت كاليوم يا أمير المؤمنين إنه الرجل ، وإنها الحقيقة المؤمنة ، وإن إيمانه ليحوطه ويثبته ويسكنه وينفض عنه الجزع ، ثم التفت إلى عروة يقول : جزاك الله خيراً يا أبا عبد الله ، لأنت والله تمثال الصبر فى إهاب رجل

وما لبثنا ، حتى إذا أفاق أبو عبد الله جلس يقول : لا إله إلا الله والحمد لله ، ويمسح عن وجهه النومَ والعرق بكفيه ، وينظر فيرى قدمه فى يد رجل يهم أن يخرج بها فيناديه : على رِسْلِك أيها الرجل ، أرنى ما تحمل ؛ فيأخذ قدمه فى يده فيرنو إليها وقد سكن وحرّك شفتيه ، ثم يقلبها فى يده ثم يقول لها : أما والذى حملنى عليك ، لقد علمتِ أنى ما مشيت بك إلى حرام ولا معصية ، اللهم هذه نعمة أنعمت بها علىّ ثم سلبتنيها أحتسبُها عندك راضياً مطمئناً إنك أنت الغفور الرحيم ، خذها أيها الرجل ؛ ثم أضاء وجهه بالإيمان والصبر عن مثل الدرة فى شعاع الشمس ... ...

قال أمير المؤمنين : غفر الله لك يا أبا عبد الله ، وإن فى الناس لمن هو أعظم بلاء منك ، يا عمر [يريد عمر بن عبد العزيز] ، ناد الرجل من أخوالى [يعنى من بنى عَبْس] فيقبل عمر ومعه رجلٌ ضريرٌ محطومُ الوجهِ لا تُرى إلاّ دمامته ، فيقول لهُ أمير المؤمنين : حدِّثْ أبا عبد الله بخبرك يا أبا صعصعة ، فيلتفت الرجل إلى عُروة ويُقبل عليه فيقول : أبنَ الزُّبير ، قد والله لقيتَ البلاء ؛ يا فقيه المدينة وابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإنى والله محدثك عنى بخبرى عسى أن يرفع عنك : فقد بتُّ ليلة فى بطن واد ، ولا أعلم عَبسيًّا فى الأرض يزيد ماله على مالى ، فطرقنا سيلٌ جارفٌ كأنه الطوفان ، يتقاذف بين يديه موجاً كالجبال ، فذهب بما كان لى من أهل ومال وولد إلا صبياً مولوداً وبعيراً نِضواً ضعيفاً . فندَّ البعيرُ يوماً والصبى معى ، فوضعته واتبعت البعير أطلبه ، فما جاوزت ابنى قليلاً إلا ورأسُ الذئب فى بطنه قد بعجها بأنيابه العُصل فاستل أحشاءه ، وإن الصغير ليصرخ ، ويركض برجليه الأرض ، فكدت والله أسوخ فى الأرض مما رأيت ، ولكنى ذكرت الله واستمنته واحتسبتُ الصغير فتركته لقدر الله واتبعت البعير ، فهممت آخذ بذنبه وقد أدركته ، فرمحنى رمحة حطم بها وجهى وأذهب عينىَّ ، فأصبحت لا ذا مال ولا ذا ولد ولا ذا بصر ، وإنى أحمد الله إليك ، يا أبا عبد الله ؛ فاصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور . قال عُروة : لقد أفضل الله عليك يا أبا صعصعة وإنى لأرجو لك الجنة

قال عمر بن أبى ربيعة : وألاح إلىَّ أمير المؤمنين أن أقبل ، فدنوت إليه فأسر إلىّ : إن أردت الحيلة فقد أمكنتك ، فاذهب إلى أبى عبد الله فانعَ إليه ولده « زين المواكب » ، قلت : هو والله الرأى يا أمير المؤمنين ، ثم مضيت إلى عروة وقد غلبتنى عيناى بالبكاء

فلما قاربته قلت : عزاءك يا أبا عبد الله ؛ قال عروة : فيم تعزينى يا أبا الخطاب ؟ إن كنت تعزينى برجلى فقد احتسبتها لله ، قلت : رضى الله عنك ، بأبى أنت وأمى ، بل أعزّيك « بزَين المواكب » ، فدهش وتلفَّت ولم يرَ إلا هشاماً ولده ، فرأيت فى وجهه المعرفة ثم هدأ فقال : ما لَهُ يا أبا الخطاب ؟ فجلست إليه وتحلّق الناس حوالينا وتكنّفونا ، وأخذت أحدِّثه بشأنه ، ووالله ما يزيد على أن يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، إنّا لله وإنا إليه راجعون ، فلما فرغت من خبرى ما زاد على أن قال :

وكنتُ إذا الأيامُ أحدثْنَ هالكا أقولُ شَوًى ما لم يُصبنَ صميمى

ثم رفع وجهه إلى السماء وقد تندَّت عيناه ثم قال : اللهم إنه كان لى أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لى ثلاثة ، فلك الحمد فيما أخذت وأبقيت ؛ اللهم أخذت عضواً وتركت أعضاء ، وأخذت ابناً وتركت أبناء ، وايمُ الله لئن كنت أخذت لقد أبقيتَ ، ولئن ابتليت لطالما عافيت ، سبحانك ربنا وإليك المصير . قوموا إلى جهاز أخيكم يرحمكم الله ، وانظروا لا تكون عليه نائحة ولا مُعوِّلة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النياحة ، ومُروهنَّ بالصبر للصدمة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على امرأة تبكى

خواطر تلهمها ذكرى الهجرة

للأستاذ عبد العزيز البشرى



ليس ما يضرب فيه القلمُ اليوم بحثاً قامت فى الذهن حدوده ، وبانت طرقه ، واتضحت معالمه ، واستشرفت مقدماتُه لنتائجه . إن هى إلا خواطر تجول بها ذكرى الهجرة الشريفة . هى خواطرُ تتوالى على النفس كما توالى مناظر الخيالة (السينما) فى جريدة الأخبار مثلاً . على أنهـا قد تجيء بحكم تداعى المعانى ، وبحكم أضعف المناسبات ، وأدنى الملابسات

وبعد ، فليس من شك فى أن مما يستدعى العجب ، بل مما يكاد يَستهلك كل العجب ، شأن أولئك العرب إلى آخر جاهليتهم ، وما صاروا إليه بعد إسلامهم بيسير من الزمان :

لقد كانوا ، فى جملتهم ، قوماً أميين جهالاً ، لم تفتتح عيونهم على علم ، ولم يتذوقوا فناً ، اللهم إلا فن الـكلام ، وهو غير مُغنٍ فى قيام الأمم إذا أغنى إلا قليلاً

لقد كانوا جاهليين حقاً لا يرتبطهم بأى لون من ألوان الحضارة أى سبب ، ولا تنفذُ عقولهم إلى شيء مما وراء تلك البوادى التى يسكنون ؛ حتى لو اضطربوا فيما يجاورهم من البلاد التى أخذت بحظ من الحضارة ، بحكم التجارة ونحوها ، رجعوا إلى قومهم وكأنهم لم يشهدوا شيئاً غريباً من شأنه أن يلفت أنظارهم ، ويحرّك أفكارهم ، كأنما غلّقت الأذهان وغلقت القلوب ، و (إنها لا تعمى الأبصارُ ولكن تَعمى القلوبُ التى فى الصدور) صدق الله العظيم !

على أنهم لم يسلخوا فى الإسلام إلا صدراً يسيراً من الزمن حتى حذقوا علوم من سبقوهم إلى الحضارة وفنونهم ، بل سرعان ما أنشأوا هم علوماً واستحدثوا فنوناً أوفوا بها على حضارة الزمان !

ولا ينبغى ، فى هذا المقام ، أن يذهب عن المفكر أن ما نقل العرب من علوم غيرهم وفنونهم قد طبعوه أولاً بطابع الفكر العربى ، وسوّوه حتى مرىءَ فى مساغ الذوق العربى أيضاً ، وهذا وهذا فوق ما وسعوا فى آفاق هذه العلوم والفنون ، واستحدثوا فيها من القضايا التى ذهبت بها إلى أبعد الغايات .

وأنت خبير بأنه إنما يمت على العجب فى أمثال هذه الغرائب هو غفلة الذهن عن وصل الأسباب بالمسببات . ولهذا قيل : إذا عرف السبب ، بطل العجب ...

فى الحق أن العربى على ما كان فيه بحكم البيئة من الجفاء والانصراف عن إرسال الفكر فى شيء من دواعى الحضارة التى يشهد أو يترامى إليه أمرها ... الحق أنه — مع هذا — حديد الفطنة ، سليم الطبع ، مستقيم الفطرة . فلما جاءه الإسلام ، وهو دين الفطرة ، أذكى مواهبه ، وحرر فكره ، وأجلى ما كان رِينَ على قلبه ؛ فإذا إنسان كفيء أى كفيء لأسمى النظر وعلاج جُلَّى المعظمات فى الحياة ، وكذلك يمضى طلقاً إلى ابتغاء المجد الحق من كل سبيل ! ...

ولقد كان من المتعيّن على مفكّرى العرب وقد دخلوا فى الإسلام ، أن يكون أبلغ سعيهم ، وأول ما تتقلب فيه أذهانهم ، هو هذا الدين طلباً لحفظ أصوله وتفصيل أحكامه . نجد منهم من جد فى جمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم

صبياً لها فقال لها : اتقى الله واصبرى، فقالت : وما تبالى بمصيبتى ! فلما ذهب قيل لها : إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذها مثل الموت ، فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين فقالت : يا رسول الله لم أعرفك ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنما الصبر عند أول الصدمة

وجزاك الله خيراً عنى وعن ولدى يا أمير المؤمنين ، « فلله الحمدُ ربِّ السموات وربِّ الأرض ربِّ العالمين ؛ وله الكبرياء فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم »

محمود محمد شاكر

بطريق الرواية عن الثقات من التابعين أو تابعيهم ، ثم عن الصحابة راوياً بعد راوٍ إلى من سمع منهم بأذنه أو رأى بعينه (ففعل النبي (ص) وإشارته كذلك من السنة)

ولقد أفنى جامعو الحديث أعمارهم فى شدة التحرى والتحقيق والتثبت والتأكيد ، للتمييز بين صحاح الأحاديث وموضوعاتها . بل للتمييز بين الصحاح ، وتبيين حظ كل منها من القوة طوعاً لحظ رواتها من الثقة والدراية . ثم كان من أثر هذا أن نشأ علم جديد ، هو علم (مصطلح الحديث) . ولعله كان من الخير أن يدعى علم (نقد الحديث)

وفى الوقت نفسه اجتهد آخرون فى استنباط الأحكام الشرعية من هذه الأصول الأربعة : الكتاب ، والسـنة ، والإجماع ، والقياس ، مهتدين جميعاً بسلامة الفطرة ، وحدة الفطنة ، وصحة التفكير ، ودقة الإحساس ، حتى لقد ارتجلوا – فى هذا الباب – قواعد وقضايا تخلب باختصارها ووضوحها ودقتها أبرع المشرعين . ولأسق طائفة يسيرة منها على جهة التمثيل : الضرورة تقدَّر بقدرها – الأصل بقاء ما كان على ما كان – إن كنت ناقلاً فالصحة ، وإن كنت مدعياً فالدليل – ما جاء على أصله لا يسأل عن علته – لا اجتهاد مع النص – الاعتراف حجة قاصرة – اليد دليل الملك – المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً – ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ... الخ

ولعمرى لم يكن كل هذا الابداع والابتكار أثراً لدرس مدرس أو تقليب للفكر فى كتاب مكتوب، إن هو كما قلنا من فضل سلامة الفطَر وحدة الذكاء ، وصحة التفكير

وإذا كان علماء العرب قد نقلوا بعد ذلك علم المنطق إلى لغتهم عن اليونانية فإنهم سرعان ما أجالوا فى قضاياه هذه الأذهان الحادة وأراقوا عليها تلك الأفكار الخصبة ، فابتكروا ما ابتكروا ، واستحدثوا ما شاء الله أن يستحدثوا ، طلباً لوفاء هـذا العلم على الغاية من الهداية إلى صحة التفكير ، وابتغاء النتائج الحق من صحاح المقدمات .

ثم لم يكفهم هذا ، فلقد نقلوا عن اليونانية أيضاً علم (آداب البحث والمناظرة) ، وغاية هذا العلم تنظيم وسائل المجادلة بين المتجادلين ، وإلزام كل من الطرفين حده فى الخصام ، وبيان الطرق للأدلاء بحجته ، أو إدحاض حجة خصمه . وكذلك تضحى المناظرة مجدية منتجة ، تظهر الحق على الباطل بقيام الحجة الواضحة غير مضيَّمة بين سفسطة ومهاترة، أو نقل لموضوع النزاع. على أن العرب كذلك قد طبعوه بطابعهم ، وأفاضوا عليه من سابغ تفكيرهم ، ووصلوه بفنونهم ، وأجروا فيه الأمثلة والشواهد مما يعرض لما يعالجون من العلوم

أما وقد عرضنا للقضايا المسلمة وللمنطق ولآداب البحث والمناظرة فقد حق علينا أن نقف وقفة قصيرة لعلنا نرفه بها عن القارئ بعض الترفيه

لا غرو علىَّ إذا زعمتُ أن تسعين فى المائة ، إن لم أقل تسعة وتسعين فى المائة ، من المناقشات والمجادلات التى تدور بيننا، نحن المصريين ، سـواء أكانت باللسان فى المجالس الخاصة ، أم بالقلم فى الصحف السيارة، لا يمكن أن تنتهى بالتسليم من أحد المتحاورين. ذلك بأننا ، حتى الـكثير من متعلمينا ، قل أن يُعـنَوا فى جدلهم بترتيب المقدمات المنطقية الترتيب الذى يفضى بها ، فى صحيح القياس إلى النتائج الصحيحة . ولقد يدفعنا الحفاظ للنفس ، والرغبة فى الفلج والخصم أن ننكر القضايا المسلمة . أما نقل موضوع النزاع ، إذا سطت بناحجة الخصم ، فهذا مايقع عندنا بغير حساب !

ودعنا الآن من المجادلات العلمية أو الفنية ، وخذ بنا فى ألوان الحوار التى تجرى كل ساعة بين الأصدقاء وغير الأصدقاء :

يقول لك فلان : إن فلاناً صنع كيت وكيت مما يتعاظمك ويروعك لضخامته أو لتعذر أسـبابه ، فإذا بادبته ولو بالشك فيما يزعم ابتدرك بقوله : (دليه لأ ؟) كأن الأصل أن تضاف إلى الناس الأفعال أو الأقوال ، وعلى المنكر أن يقيم هو الدليل على العكس ، أى العدم أو استحالة الوقوع ، ناسين أبسط القضايا وأوضحها : (البينة على من ادعى) !

ويقول لك آخر : إن فلاناً يرتكب كذا وكذا من المؤثمات؛ فإذا أنكرت منه هـذا القول قال : فى غير ورع ظاناً أنه يقيم الحجة عليك : كيف وأنا أقارف معه تلك المؤثمات ؟! وقد فاته أن الاعتراف حجة قاصرة على النفس ، فإذا أشرك الغير كان دعوى تحتاج إلى الدليل !

ولقد تروى ، فى بساطة ، ما انتهى إليك من خبر نشرته إحدى الصحف ، أو جملت تردده المجالس من أن فلاناً اتهم فى كذا ؛ فيبادرك رجل من شيعته طبعاً ! حضرتك مبسوط من كده ! ... وترى أن الخبر قد التبس على النبى بالأمنية ، اللهم إلا أن يكون فاسد الضمير فاجر النية ! ...

ومما يضحك ويبكى نقل موضوعات النزاع ، إما فراراً من لزوم الحجة، أو طلباً للكيد والأذى، أو جهلاً وشدة غباء .

وأذكر نموذجاً واحداً مما وقع لى فى هذا الباب على جهة التمثيل أيضاً . ولم يكن ثمة موضع نزاع ، بل كان هناك سؤال استحال فى غير موجب إلى نزاع :

من بضعة أيام طلبت عيادة طبيب الأسنان ليخلع ضرساً ألح علىّ ألمه ، وورم له صدغى ... وبينا أنا فى غرفة الانتظار ريثما ينتهى الطبيب من علاج من تقدمنى ، إذا رجل حسن السمت ، أنيق البزّة . ويبدأ بالتحية ، فأردها بأحسن منها ... وما يكاد يأخذ مجلسه حتى يطارح الحديث كعادتنا نحن المصريين إلى من نعرف ومن لا نعرف. فادرته الحديث على ما بى. فى الأسباب العامة طبعاً، ومن حديثه أدركت أنه رجل مزخرف الثقافة مزوّق اللسان ؛ ثم إذا هو يفاجئنى بهذا السؤال : حضرتك من أهل الريف ؟ فأجبته من فورى: لا يا سيدى، فأنا مولود فى القاهرة، وما زالت موطنى إلى الآن . فردّ على فى ثورة عنيفة : « ليه ! هيه العيشة فى الريف وحشة ؟ ! »

لقد ثار ثائرى ، ونهضت لتوّى ، وخرجت مسرعاً إلى دارى مؤثراً وجع الضرس وضرباته على هذا اللون من الحوار !

إذن ، لقد كان علىّ أن أخلق قبل أن أُخلق ، وأن أولد قبل أن أولد ؛ حتى إذا بلغت سن التميز فى النشأة الأولى ، كان على القدر، أن يخيرنى الولادة فى الريف والحضر، فأختار أول الأمرين، ثم أتبختر فى الأثير ، ثم أُبعث فى الريف من جديد ! وإلا كنتُ امرءاً آثماً يستحق اللوم والتأنيب !

وبعد هذه الوقفة المريحة أو المتعبة المضنّية نرجع سياقة الحديث على اسم الله :

لقد اقترنت عناية السابقين فى الإسلام بعلوم الدين ، بعناية غيرهم بعلوم اللسان ، من نحو وصرف وأدب وبيان . وذلك لأنها الوسيلة إلى فهم لباب الدين .

وفى أعقاب هذا أو على الأدق ، فى أثنائه ، التفت مفكرو العرب إلى المنطق ، على أنه مما ينظم الفكر وييسر الطرق لاستنباط الأحكام الشرعية على الوجه الصحيح . ثم اتجهوا كذلك إلى نقل قوانين البحث والمناظرة على ما تقدم به الكلام لم يمنع اشتغال مفكرى العرب بهذا وهذا وذلك من أن يلتفتوا إلى علوم الدنيا من رياضة وهندسة وطب وفلك وغيرها . فسرعان ما جادوا وما برعوا ، وسرعان ما أجلُّوا ووسموا ، وما ابتكروا وما اخترعوا ... ولم ينسلخ من الزمن غير يسير بالإضافة إلى أعمار الأمم ، حتى صارت هذه العلوم إليهم وكادت تقطع صلتها بغيرهم ، فأصبحوا هم المتحدثين فيها والمتحدثين عليها بين أمم الأرض جماء . وكذلك أنشأوا أجل حضارة وأزكاها فى هذا العالم !

فإذا تعاظمتك تلك النهضة فى مثل ذلك الزمن ، فإن مما يدفع عنك العجب أنه قد لاقت تلك الفطرة العربية دين الفطرة ... دين صاحب الهجرة .

عبد العزيز البشرى

مُناجاة الهلال

للأستاذ محمود غنيم



ماذا وراءكَ ، مرحباً بك عاما ؟ رحماكَ إن الكون فى الدّم عاما
لم أدر حين بدا هلالُك أحدباً أحملتَ غُصناً أم شهرتَ حساما ؟
وجه البسيطة عابسٌ متجهمٌ فاجعل هلالك ثغره البسّاما
جفّفْ دم الدنيا وكفكفْ دمعها وانشر عليها رحمةً وسلاما

***

ما بال ظهرك يا هلال مقوّسا أحملت أعباء السنينَ جِساما ؟
أصبحت فى زىّ الكهول فهل تُرى قد شبتَ مثلهمو وكنت غلاما ؟
مابال وجهك شاحباً ياابن الدجى أفنِيتَ مثلى فى الملاح غراما ؟
أم بِتّ تخشى الحربَ أن ترقى إلى أفق السماء فتلحقَ الأجراما ؟
فى الجو طير كالحمام محلّقٌ لكنه إن طار كان حِماما
فاحذر فإن الحرب منك قريبة والجوّ يمطر يا هلال سهاما
وانصح خيالك فى البحار وقل له: أوصيك ألا تقربَ الألغاما

***

العالم العُلوىّ سر غامضٌ فما كشف لأهل الأرض عنه لثاما
هل ثَمّ أغراض وثَمّ مطامعٌ تُجرى الدماء به وتَبرى الهاما ؟
أهناك خَلْقٌ مثلنا يقضى كما نقضى الحياة تطاحناً وخصاما ؟
زعموك مسكوناً ، وليتك بلقعٌ إن كنت تأوى يا هلال أناما
زعموك مسكوناً كأمك ليتها كانت عشية أنجبتك عقاما

***

قاد الممالكَ معشرٌ متسلّطٌ هدَمَ السكينةَ حائطاً ودِعاما
فتشتُ فى عصر الضياء فلم أجد إلا شعوباً تشبه الأنعاما
أم تسبّح باسم أفرادٍ ، كما كانت قديماً تعبد الأصناما
كم أمةٍ إن يهتدِ الفرد اهتدت وتهيمُ فى الظلمات إن هو هاما
هذا زمان الفرد ليس ببارح هيهات ما دام السّوادُ سَواما

***

قل للهلال إلام تسرى فى الدجى ؟ يا ابن السبيل أما نويت مُقاما
ساقتك كفُّ ساقت الدنيا فهل تدرى علام تسوقها وإلاما ؟
حتّام تُدلج فى الظلام كعاشق يخشى الرقيب ويتقى اللواما ؟
أتبيت فى جنح الظلام موكلاً بالكون تحرسه إذا هو ناما ؟
هم شبهوك بمِنجَل من فضة ماذا حصدت ، أتحصد الأياما ؟
يرد الأنامُ عليك أنت معمّرٌ وهمو يزورون الحياة لماما
يا رُب قوم ألهُوك فأومئوا لك بالتحية سجداً وقياما
أتت القرون عليك وهى عذيدة وأراك طفلاً ما بلغت فطاما

***

ياابن الدجى حدّثْ أعرك مسامعى فلأنت أصدق من «حذام» كلاما
أشهدتَ مجد الشرق فى ريعانه وسناه إذ كان الوجود ظلاما ؟
أشهدت رسْل الله تذرع أرضَه تتلو الشرائع فيه والأحكاما ؟
أشهدت عيسى والكليم كليهما يتلقيان الوحى والإلهاما ؟
أشهدت أحمد يوم هاجر أحمدٌ يطوى الضلال وينشر الإسلاما ؟
إذ جاء يحمل فى اليمين هداية للعالمين وفى الشمال حساما
فغزا بشرعته الضمائر قبلما يغزو بمجدٍ حسامه الأجساما
كانت مبادئه القويمة فيلقاً يغـزو به الأفكار والأفهاما
فإذا بتيجان الملوك وإن علت أقدامهم من حوله تترامى

***

نشيد العام الهجري

للأستاذ علي الطنطاوي



سلوا عنا رمال الجزيرة، وجنان الشام، وسهول العراق

سلوا ربوع العجم، ومجاهل الترك، وسفوح القفقاس

سلوا بطاح إفريقيةَ، ومغاني الأندلس، ومساكن الإفرنج

سلوا حفافي الكنج، وضفاف اللوار، وأطراف الدانوب

سلوا عنا كل أرض في «الأرض»... فعندها كلها خبر من بطولاتنا وتضحياتنا، ومفاخرنا وأمجادنا، وعلومنا وفنوننا.

نحن «المسلمين»

***

نحن «المسلمين»... هل روّى رياض المجد إلا دماؤنا؟

هل زانت جنات البطولة إلا أجساد شهدائنا؟

هل عرفت الدنيا أنبل منا أو أكرم، أو أرأف أو أرحم، أو أجل أو أعظم، أو أرقى أو أعلم؟

نحن «المسلمين»... لنا في كل أرض شهيد قضى في سبيل الإسلام والسلام والإيمان والأمان، وتحت كل سماء رفرف لنا علم، وامتد لنا حكم، فكان الحكم المسدد العادل، وكان العلَم الظافر الغلاب!

***

نحن بنينا الكوفة والبصرة، والقاهرة وبغداد

نحن أنشأنا حضارة الشام والعراق والأندلس

نحن شدنا بيت الحكمة، والمدرسة النظامية، وجامعة قرطبة، والجامع الأزهر

نحن علمنا أهل الأرض، وكنا الأساتذة وكانوا التلاميذ...

نحن «المسلمين»!

منا أبو بكر وعمر ونور الدين وصلاح الدين، منا خالد وطارق

صف لي زمان الراشدين وزهدَهم … والأرضَ إذ كانوا لها حكاما

بالله كيف رعى الشعوبَ وساسها … من كان يرعى الشاءَ والأغناما؟

صف لي بربك قادة الإسلام إذ … فتحوا العراق بيأسهم والشاما

قل لي بأية قوةٍ جبارة … نزلوا بمصر وزلزلوا الأهراما؟

ما كان جند المسلمين أشد من … أعدائهم بأساً ولا إقداما

لكنه الإيمان في ساح الوغى … ربط القلوب وثبت الأقداما

شاهدت دولة «عبد شمس» فانعَها … وانعت «معاوية» لنا و«هشاما»

واذكر لنا بغداد كيف رأيتها … تحوى العلوم وتجمع الأعلاما

واذكر لنا صَلَفَ الرشيد وكبرَه … لما تحدى في السماء غماما

وأعد على أذني خطبة «طارق» … «البحر خلفاً والعدوُّ أماما»

أشهدت شعباً من سلالة «يعرُب» … في الغرب شاد حضارة ونظاما؟

ما خطب هذا الشعب كيف وجدته … يقظان إذ كان «الفرنج» نياما؟

حدِّثْ عن الإسلام ذكرَ أهله … وقِّعْ لنا تاريخه أنغاما

مجد إذا اجتر الزمان حديثه … خفض الزمان جبينه إعظاما

ما كان أخلق أن يدوم لأهله … لو أن مجداً قبل ذلك داما

***

يا ابن السبيل ألا حملت رسالتي … قد سار ركبك يسبق الأوهاما

حيِّ العروبة ثم طف ببلادها … مترفقاً واستنهض الأقواما

استرسل الأقوام في أحلامهم … فاقطع عليهم هذه الأحلاما

واعطف على البسفور والمس جرحه … إنا نُحسُّ لجرحه آلاما

سترى البعول هناك قد ناحوا على … زوجاتهم وترى النساء أيامى

وترى كهولا ودعوا أبناءهم … في مهدهم وترى بنينَ يتامى

وترى أناساً فيه لا مأوى لهم … أمست أسرّتهم حصى ورَغاما

فاذهب إليه باسم مصرَ مواسياً … عزِّ الأقارب فيه والأرحاما

احمل لهم منا السلامَ مع الأسى … لا تنسَ أنَّ لهم عليك ذِماما

لا تنس أنك رمزُ مصرَ ورمزُهم … بك يا هلال تزيَّن الأعلاما

«الاسكندرية»

محمود غنيم

مدرس بالمعلمين

وقتيبة وابن القاسم ، منا أبو حنيفة والشافعي ، منا البخاري وابن حنبل ، منا الغزالي وابن رشد ، منا ابن سينا والرازي والفارابي والبيروني ، منا الخليل والجاحظ وأبو حيان ، منا أبو تمام والبحتري والمتنبي والمعري ، منا إسحاق الموصلي وزرياب ... لقد أنجبنا خلفاء وقواداً ، ومحدثين وفقهاء ، ورياضيين وأطباء ، ولغويين وكتاباً وشعراء وموسيقيين ... لقد أنجبنا مائة ألف عظيم وعظيم ... نحن « المسلمين » !

* * *

تنظم في مفاخرنا مائة إلياذة ، وألف شاهنامة ، ثم لا تنقضي أمجادنا ولا تفنى ، لأنها لا تعد ولا تحصى

من يعدّ معارككنا الظافرة التي خضناها ؟ من يحصى مآثرنا في العلم والفن ؟ من يستقرى نابغينا وأبطالنا ... إلا الذي يعد نجوم السماء ، ويحصى حصى البطحاء ، ويستقري رمال الدأماء !

اكتبوا (على هامش السيرة) ألف كتاب ، و (على هامش التاريخ) مثلها ، وأنشئوا مائة في سيرة كل عظيم ، ثم تبقى السيرة ويبقى التاريخ كالأرض العذراء والمنجم البكر !

* * *

نحن « المسلمين » ...

هل تحققت المُثُل البشرية العليا إلا فينا ؟ هل عرف الكون مجمعاً بشرياً – إلا مجمعنا – قام على الأخلاق والصدق والإيثار ؟ إن بين واقع الحياة وبين أحلام الفلاسفة وآمال المصلحين ، لحرباً أزلية باقية ، ما اصطلحا وما تواءما إلا في صدر الإسلام ، يوم كان الواحد منا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويؤثره عليها ولو كان به خصاصة . وكانوا أطهاراً في أجسادهم وأرواحهم ومادتهم ومعناهم ، وكانوا لا يأتون أمراً ولا يدعونه ، ولا يقومون ولا يقعدون ، ولا يذهبون ولا يجيئون إلا لله . قد أماتوا الشهوات من نفوسهم ، فكان هواهم تبعاً لما جاء به القرآن ...

لقد كنا خلاصة البشر ، وصفوة الإنسانية ، وجعلنا حقاً واقعاً ما كان يراه الفلاسفة والمصلحون أملاً بعيداً ، نحن « المسلمين » !

* * *

نحن « المسلمين » . . قوتنا بإيماننا ، وعزنا بديننا ، وثقتنا بربنا ، وقانوننا قرآننا ، وإمامنا نبيّنا ، وأميرنا خادمنا ، وضعيفنا الحقّ قويّ فينا ، وقوينا عون لضعيفنا ، وكلنا إخوان في الله ، سواء أمام الدين ... نحن « المسلمين » !

* * *

نحن « المسلمين » ملكنا فعدلنا ، وبنينا فأعلينا ، وفتحنا البلاد فكنا الأقوياء المنصفين . سننّا في الحرب شرائع الرأفة ، وشرعنا في السلم سنن العدل ، فكنا خير الحاكمين ، وسادة الفاتحين ، نحن « المسلمين » !

أقمنا حضارة ، فكانت خيراً كلها وبركات ، حضارة روح وجسد ، وفضيلة وسعادة ، فعمّ نفعها الناس ، وتفيّأ ظلالها أهل الأرض جميعاً

* * *

نحن « المسلمين » ... لسنا أمّة كالأمم تربط بينها اللغة ، ففي كل أمّة خيّر وشرير ؛ ولسنا شعباً كالشعوب يؤلف بينها الدم ، ففي كل شعب صالح وطالح ؛ ولكنا جمعية خيرية كبرى ، أعضاؤها كل فاضل ، من كل أمة ، تقيّ نقيّ ، تجمع بيننا التقوى إن فصل الدم ، وتوحد بيننا العقيدة إن اختلفت اللغات ، وتدنينا الكعبة إن تناءت بنا الديار ...

أليس توجهنا كل يوم خمس مرات إلى هذه الكعبة رمزاً إلى أنها مركز الدائرة وقطب الرحى ، تدور عليه وتطيف به ، مهما اتسعت الرقعة وطال المحيط ؟

* * *

نحن « المسلمين » ... ديننا الفضيلة الظاهرة ، والحق الأبلج ، لا حجب ولا أستار ، ولا خفايا ولا أسرار . هو واضح وضوح الشذنة ... أفليس فيها ذلك المعنى ؟ هل في الدنيا جماعة أو نحلة تكرر مبادئها وتذاع كل يوم ، عشر مرات ، كما تذاع من مشارق الأرض ومغاربها عشر مرات كل يوم ، مبادئ ديننا نحن « المسلمين » : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ؟

نحن المسلمين ... لا نهن ولا نحزن ، ومعنا الله ، ونحن نسمع كل يوم ثلاثين مرة هذا النداء العلوي المقدس ، هذا النشيد القويّ : الله أكبر

نحن « المسلمين » ... البطولة سجية فينا ، وحب التضحية يجري في عروقنا ، لا تنال منها صروف الدهر ، ولا تمحوها من نفوسنا أحداث الزمان ...

نحن « المسلمين » ... كم حلّ بنا من أرزاء ، وكم رأينا من مصائب ، وكم نزل بساحتنا من كوارث ، فهل باد روح البطولة من بين جوانحنا ؟

لا . لا . لا نكون مسلمين إذا لم نكن أعزّ في نفوسنا من أهل الأرض جميعاً ، وإن لم نعد إلى ربنا ، ونستلهم تاريخنا ، ونعد أمجادنا ، نحن « المسلمين » ... المستقبل لنا ... قد تيقظنا فلن ننام بعدُ أبداً ... المستقبل لنا نحن « المسلمين » !

دمشق – (المدرسة الثانوية الأولى) **علي الطنطاوي**

أسرى غزوة بدر

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي



المشهور بيننا أن المسلمين لما انتهوا من غزوة بدر اختلفوا فى شأن من أسروه من المشركين ، فرأى فريق قتلهم ، ورأى فريق أخذ الفداء منهم ، فجمع النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه ليشاورهم فيما يفعله مع أولئك الأسرى ، وكان يأخذ بالشورى فى أموره ، ليعلم أصحابه الأخذ بها ، وإن كان هو غنياً عنها ، لأن من يكون معه وحى السماء ، لا يحتاج إلى رأى أهل الأرض ، وهو عرضة للخطأ والصواب .

فجمع النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال لهم : ما تقولون فى هؤلاء ؟ (يعنى الأسرى) ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، إستبقهم واستأنْ بهم ، لعل الله أن يتوب عليهم ، وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار .

وقال عمر رضى الله عنه : يا رسول الله ، كذبوك وأخرجوك فَدَعهم نضربْ أعناقهم . مَكّنْ علياً من عَقيل (أخيه) فيضرب عنقه . ومكنْ حمزة من العباس (أخيه) فيضرب عنقه . ومكنّى من فلان (نسيب لعمر) فأضرب عنقه ؛ فإن هؤلاء أئمة الكفر !

وقال عبدالله بن رَواحةَ الشاعر المعروف : يا رسول الله ، أنظر وادياً كثير الحطب ، فأدخلهم فيه ، ثم أضرِمهُ عليهم ناراً ... وهو رأى يتفق مع طبيعة الشعراء فى تأثرهم بالعاطفة أكثر من العقل ، وشأن العاطفة المغالاة فى الحب والبغض ، وشأن العقل الاعتدال فيهما .

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ، ثم تركهم ودخل ، فقال ناس من أهل المجلس : يأخذ بقول أبي بكر . وقال ناس منهم : يأخذ بقول عمر . وقال آخرون : يأخذ بقول عبدالله ابن رواحة . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله لَيُلِينُ قلوب رجال حتى تكون ألينَ من اللابن ، ويشدُّ قلوب رجال حتى تكون أشدَّ من الحجارة . وإن مَثلكَ يا أبا بكر مَثلُ إبراهيم ، قال : « فَمنْ تَبعنِى فإنه مِنى ، ومَنْ عصانى فإنك غفورٌ رحيم » . ومثلكَ يا أبا بكر مثل عيسى ، قال : « إنْ تُعذِّبهمْ فإنهم عِبادُكَ ، وإن تَغفرْ لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » . ومثلك يا عمر مثل نوح ، قال : « ربِّ لا تذَرْ على الأرض من الكافرين دَيّاراً » . ومثلك يا عبدالله بن رواحة كمثل موسى ، قال : « رَبَّنا اطمسْ على أموالهمْ واشدُدْ على قلوبهم ، فلا يُؤْمِنوا حتى يَرَوُا العذابَ الأليمَ » .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اليوم أنتم عالَةٌ ، فلا يَفلتنّ أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق ...

وروى ابن عباس عن عمر أنه قال: فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت ، وأخذ منهم الفداء . فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدان يبكيان ، فقلت : يارسول الله أخبرنى من أى شىء تبكى أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبكى على أصحابك من أخذهم الفداء . لقد عرض علىّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة — لشجرة قريبة منهم — فأنزل الله عز وجل عليه (ما كانَ لِنَبىٍ أنْ يَكونَ لَهُ أسرى حتى يُثْخِنَ فى الأرْضِ ، تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنيا واللهُ يُريدُ الآخِرَةَ ، واللهُ عَزيزٌ حكيمٌ . لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبقَ لمَسَّكُمْ فِيما أخَذْتُمْ عذابٌ عَظيمٌ)

فهذا هو المشهور بيننا في سبب نزول هاتين الآيتين (٦٧،٦٨) من سورة الأنفال التي نزلت في غزوة بدر ؛ وهو يفيد أن الله تعالى غضب على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه لهذا العمل الإنساني العظيم الذي أشار به أبو بكر، من البرّ بالأسرى والرفق بهم . وهذا مع أن الذي أشار به أبو بكر هو الذي يتفق مع ما جاء به الإسلام في شأن الأسرى ، ومع ما امتازت به الحروب الإسلامية على الحروب السابقة من الإحسان إليهم . على أن الله قد نصر المسلمين في غزوة بدر نصراً عظيما ، وشفى نفوسهم من صناديد قريش ، فقتلوا فيها كلهم ، ولم يفلت إلا قليل منهم ، وكان منهم في الأسر النَّضر بن الحارث وعُقْبةُ بن أبي مُعَيْط ، فقتلهما رسول الله في طريقه إلى المدينة ، ولم ينتظر بهما ما فعله في غيرهم من الأسرى . ولما اختار رسول الله رأى أبي بكر في الفداء قال له عبد الله بن مسعود : إلا سُهَيْل بن بَيْضاء ، فإني سمعته يذكر الإسلام . قال ابن مسعود : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما رأيتني في يوم أخوفَ أن تقع عليّ الحجارة من السماء من ذلك اليوم ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إلا سهيل بن بيضاء

ولم يبق بعد هؤلاء في الأسرى إلا العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وإلا عَقيل بن أبي طالب أخو علي ، وإلا أمثالهما ممن لم يكن من أولئك الصناديد . وقد حقق الله في كثير منهم رجاء أبي بكر (لعل الله أن يتوب عليهم) فأسلم العباس بن عبد المطلب ، وأسلم عقيل بن أبي طالب ، وأسلم كثير غيرهما من أولئك الأسرى . والرأى الذي تحققه الأيام لا يليق بحكمة الله تعالى أن يغضب من إشارة على غيره ذلك الغضب

وإني أرى أن الإسلام إذا كان قد أباح قتل الأسير مع ما أباحه فيه من الاسترقاق والإطلاق بفداء أو بدون فداء ، فإنه يجب ألا يصار إليه إلا عند الضرورة القصوى والأسباب الموجبة . وإنه ليعجبني ما روى عن الحسن وعطاء رحمهما الله تعالى أنهما قالا : لا يُقتل الأسير ، ولكن يُفادى أو يمنّ عليه ، وكأنهما اعتمدا في ذلك ظاهر قوله تعالى : « فإذا لقيتُمُ الذينَ كفرُوا فضربَ الرِّقابِ حتى إذا أثخنتموهم فشُدُّوا الوَثاقَ فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وإمَّا فِداءً حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أوْزارَها » — المبسوط للسرخسي ج ١٠ ص ٢٤ — وهذا الذي يذهب إليه الحسن وعطاء في الأسير هو الذي تذهب إليه القوانين الحربية الحديثة

ولهذا كله لا أرى أن السبب في نزول آيتي الأنفال هو إنكار الفداء الذي أشار به أبو بكر واختاره النبي صلى الله عليه وسلم على رأى عمر وعبد الله بن رواحة ، ولا سيما أن هذا الفداء في غزوة بدر لم يكن أول فداء أخذه النبي (ص) من الأسرى ، فقد أخذ الفداء فيما حصل قبلها من السَّرايا ، ولم ينكر الله عليه أخذه له ، وكان ذلك في سَرِيةَ عبد الله بن جحش إلى نخلة بين مكة والطائف ، فرصد فيها عيراً لقريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارة من تجاراتهم ، فيها عمرو بن الحضرمي ، وعثمان ونوفل ابنا عبد الله المخزوميان ، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة ، فقتلت سرية عبد الله بن جحش بعضهم ، وأسرت عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، واستاقت العير إلى المدينة ، فبعثت قريش في فداء الأسيرين ، فقبل النبي صلى الله عليه وسلم فداءهما . فأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام بالمدينة حتى استشهد يوم بئر معونة ، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة ومات بها كافراً

والذي أراه أن تينك الآيتين نزلتا في أمر آخر حصل في غزوة بدر ، وذلك أن تلك الغزوة كانت أهم قتال بدأ به المسلمون بعد هجرتهم إلى المدينة ، وكانوا لا يزالون في نشأتهم قِلة بالنسبة إلى قريش ، وهذا إلى غيرهم من المشركين الذين تموجُ بهم الجزيرة ، فاهتم النبي صلى الله عليه وسلم بأمرها ، وأمر الله فيها المسلمين ألا تأخذهم في قتال المشركين رأفة ولا شفقة ، وأن يثخنوا فيهم إذا مكن لهم منهم ، حتى يَهِيَ أمرهم ، ويضعف شأن الشرك بضعفهم ، ويكون ما يحصل لهم عبرة لغيرهم من المشركين . وفي هذا يقول الله تعالى في سورة الأنفال (سأُلقِي في قلوبِ الذينَ كفروا الرُّعبَ فاضرِبوا فَوْقَ الأعناقِ وَاضرِبُوا مِنهُم كلَّ بَنانٍ) — ١٢

ولكن المسلمين في هذه الغزوة لم يكادوا يرون النصر فيها بعد أن قتل الله من قتل من صناديد قريش حتى أدركتهم مُحيزُهم

من وحي الصحراء

محمد ينبوع العبقريات

للأستاذ صلاح الدين المنجد



تعالى أغرودتى أسمعك نشيد فتى الصحراء، الذى عشقته الرمالُ، وقبّلته الشمس، وحضنته النار، وحنَتْ عليه الجبال ... !

تعالى ... فإنّ هذا الفتى الجميل، ذا العينين السوداوين، والبشرة الزهراء، قد فَتنَ الدنيا فهى تناغى اسمه ... وخلبَ القلوب فهى ترِفُ لذكره، وأعشى بنوره العيون فهى تَنفضُ لمرآه ! ...

لقد كان هذا البطل يافتاتى بِشراً وسِحراً ورحمة ... وكان ينبوعَ نورٍ ومصدرَ هُدى ... إن عالَمَه مملوء بالترانيم والتسابيح فأنصتى ... أنصتى إليه ... !

ليتك رأيتِه يا أغرودتى وهو يرعى الغنمَ فوق البطاح ... يرف حوله الطُهرُ والصفاء. وليتك سمعت نجوى الرمال، إذ رأته، إلى الرمال ... وليتك رأيته تحف به تلك العصبةُ من قريش فتنصرُه وترعاه ... وليتك بصرت بالنور يتألّقُ فى حواشى الصحراء، ويَتوَهجُ فى قمم الجبال ... إذن، لَرأيتِه سيداً بطلاً ! ... ولسمعتِ حديثاً عجباً ! ... ولبصرتِ بما يُذهل ويعجب ! ...

لقد روّق الليلُ ... ولَفَ الوجودَ ... كان ليلَ الجاهلية والأوثان ... وإذا بالّلهبِ الزاهى يتمايل فى مكة العروس ... وإذا بفتى الصحراء يخطو فى الزمن ... يدعو الناسَ إلى الهدى ... إلى الله ... !

الأولى فى الجاهلية، واستبدلوا الأسر فى المشركين طمعاً فى الفداء بالإثخان فيهم، والضرب فوق أعناقهم

فلما وضع القوم أيديهم يأسرون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش، وسعد بن مُعاذ قائم على باب العريش متوشّحاً فى نفر من الأنصار، يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافون عليه كرةَ العدو — رأى رسول الله فى وجه سعد بن معاذ الكراهيَة لما يصنع الناس، فقال له: والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم، قال: أجل والله يا رسول الله، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان فى القتل أحب إلىّ من استبقاء الرجال

فهذا هو الإثخان الذى نزل فيه قوله تعالى فى الآيتين السابقتين (ما كان لنبى أن يكون لهُ أسرَى حتى يُثخِنَ فى الأرض) وهو إثخان تبيحه الشرائع العادلة، ويقتضيه الحزم والتدبير، وقد أمر الله به فى أثناء القتال، ولم يأمر به فى الأسرى بعد الانتهاء منه، كما هو المشهور فى سبب نزول تينك الآيتين

وأما عرض الدنيا الذى قصده الله تعالى بقوله: (تريدون عرض الدنيا) فليس هو الفداء الذى أباحه الله لنا بعد القتال، وإنما هو ما حصل منهم أثناء القتال من إيثار الأسر على القتل طمعاً فى الفداء، والقتال فى الإسلام لا يصح أن يكون لغرض من أغراض الدنيا، لأن ذلك هو قتالهم فى الجاهلية للسلب والنهب والإسلام أشرف من أن يباح فيه القتال لذلك الغرض

وهذا المعنى الذى نقوله فى تفسير الآيتين هو الظاهر منهما، لأن العتاب فيهما لم يرد إلا على نفس الأسر، أما تفسيرهما المشهور فالعتاب فيه على الفداء، وهو إنما يصح تفسيراً لمثل: كان لنبى أن يُبقى على أسرى. وقد قال ابن السبكى فى تفسيرهما: إن المعنى ما كان لنبى غيرك أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض. فجعل هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم، وهو تفسير يخالف التفسير المشهور أيضاً، ولكنه بعيد عن نظم الآية، والذى يتفق مع نظمها هو تفسيرنا.

عبد المتعال الصعيدى

لقد رفّت حوله طيوف الأجيال ... فغازلته ... وإذا به يجمعُ في نفسه العظيمة تلك العبقريات التي ظهرت منذ بعيد ... لا ، لا ... بل جمع عبقريات السنين الخوالي والسنين القادمات ...

لقد مادت الصحراء وهي سكرى إذ رأته ... وضجت الرمال وهي نشوى إذ غازلته ... فراحت تقفزُ متوثبةً نحو البيت العتيق تهزج وتقول :

هـذا فتانا ... هـذا فتانا

يهدى الدنيا ويحيى الوجود ...

هو لنا يا رجالُ فلن تؤذوه ...

هو ابنُ الصحراء ... فسيقهر العالم

إسمى يا رمالُ إليه ... وقبلى قدميه ...

ثم انفذى إلى عيون مناوئيه ...

ألا تسمعينه يا أختاه ... ألا تسمعينه !

إن نشيده رخيمٌ ساحر ! ...

إن قرآنه معجز باهر ! ...

إن لحنه عبقريٌ بارع ! ...

أنظرى ... أنظرى يا أختاه ...

إن الجان ينصتون إليـه ...

هاهم أولاء الشياطين يفزعون منه

لقد تمايلت بنات الجبل [1] العابثات لهذا القرآن

هاهنّ أولاء يرددنه بزهو فرحات

يقفزن ليودعنه الكهوف ، ويسمعنه الأودية ويلقنّه بنات السهول

إسمى يا أختاه صداه ... فلقد عمّ وانتشر ...

فالله يحفظه يا أختى ويرعاه ... !

أيتها النسمات ... تعالى فاحملينا إليه ... علنا نقبل أقدامه ... ونسجو بين يديه ...

***

ومضى محمدٌ يا فتاتى ... وجاء الهدى ... وتمت المعجزة !

يا لله ! أفى يوم وليلة ... تهدم الأوثان ... وتحطم الآلهة ! أفى يوم وليلة تُهدى قلوبٌ ... وترجع إلى الله نفوس ... ! يا للمعجزة ! يا لعظمتك يا محمد ... يا لسموك أيها القرآن !

لقد ردّدوه يا فتاتى فخروا سُجّداً ... وتلوه فشفيت به صدورٌ وبرئت أرواح ... وكانت معجزة فى الصحراء ...

أنظرى ... أغرودتى ... أنظرى

إن هذا النور الذى يرقص على سفوح يثرب ، ويسيل من قمم أحد ... ما يزال يشع ولا يخبو ... ! لقد كانت تلك الرمال الشقر ينبوعه الثّر ... ولن ينضبَ وعيشك ما دام فى تلك الصحراء رمال ... وفى مكة كعبة ... وفى الدنيا إلـه ... وعند الناس قرآن !

يا لروعة هذه الشعلة المتوثبة ويا لجلالها ... ! لقد هبّت عليها الرياح الهوجُ ... ولعبتْ بها الأيادى السود ... وأقسموا ليطفئونها بأقوالهم ودمائهم ... ولكن الشعلة ما زالت تتوثبُ ضاحكةً جذلى ، رهيبة مخيفة ، إنهـا تصمدُ قويّةً زاخرة ، لا تعبأ بالشركِ ولا تحفِل بالدسيسة ... إنها من نور الله ... إن فيها قوة زلزلت الأرضَ ... قوة ما وقفَ أمامها كسرى ولا أعوانه ... وقيصر ولا خُلاّنه ... لقد تداعت لرؤيتها القصور الشمُ على شواطئ دِجلة وجنبات فارس ، وعربدت لها المروج الخضرُ فى سفوح الأندلس وشطئان المغرب ... إنها ما انطفأت أبداً ... ولكنها ما تزال تعلو وتسمو

لقد كان هذا النور يا أغرودتى مباركا ليناً ، كان يلمس القلوب الوجيعة فيبرئها ، وينفذ إلى الصدور المظلمة فيضيئها ، ويدغدغ النفوس المفجوعة فيواسيها ... فما للقلوب اليوم تصدف عنه ، وما للنفوس لا تحِنُ إليه ... ؟

يا حسرتا عليها يا فتاة ... إنها أشعة الجمال ... إنها ومضات الإيمان ... إنها من نور الله ... !

***

وما الحجاز يا أغرودتى لولا محمد وأشعة محمد ! أكان الناس يذكرون تلك البطاح لولاه ... ؟ وماذا كانوا يقولون بربك ... ؟ أيقولون بلاد الرعاة أم مرابع الخيام أم وأدة البنات ... ؟ لا وفتاك

---

(١) قالت العرب بنات الجبل وعنوا بها الأصداء

يا أغرودتى ... لولا محمد لما كان هناك حجاز ، ولما رفّت إليه قلوب وعشقته نفوس . ولما كان للعرب أمس فى الدنيا ولا اسم مشرق فى التاريخ ... ! « ولكانت تلك البقاع سماء من غير أضواء ، وأصواتاً من غير أصداء ، ومساكن من غير أحياء »[1]

فاضحكى لهذا النور، وغنّى من هذا الينبوع. فلقد تدفق من حراء ، ثم سقى الصحراء ، ثم أقبل يتهادى بين زهور دمشق وعطور الغوطة ، ثم فاض فرقص له النخيل وصفق له النيل حتى أدرك البرانس ... وبلغ هملايا ...

اللهم إنه دينك الذى أحببت ، أتممته ورضيته لنا ، فبارك لنا فيه ، واهدنا إليه . إنك أنت الهادى الحكيم ...

***

وأنت يا قلب !

حدثنى ... من يأخذنى إلى تلك البقاع ... أستنشق عطر الخزامى، وأطأ الرمال التى قبلت أقدام الرسول

حدثنى ... كيف أرى الغار العظيم ، وأرى الجبل الأشم ، وأهبط الوادى الهادئ ... وأرى مكة العروس متمددة فوق الرمال ... !

***

حدثنى ... متى تقف أمام قبر البطل المشرّع ، والفارس المصلح ... أمام خالق أمة ، وواضع شريعة ... فتخشع فى روضته وتردد ألحانه وقصيدته وتنادى :

السلام عليك يا سيدى يا رسول الله

السلام عليك يا أيها النبى الرحيم

السلام عليك يا أيها الرسول العظيم

السلام عليك يا من كنت رحمة للناس وهدى للعالمين ...

متى تقف يا قلب ... متى ... متى ... !

(دمشق) صلاح الدين المنجد

(١) لامارتين فى (رفائيل)

نفحة نبوية

صبراً دعاة الحق!

للأستاذ محمد عبد الغني حسن



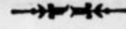
هذا الهدي فاملأ به الصحراء — وانشره في خلل الظلام ضياء
واصدع بأمر الله لا متهيباً — ضراً ولا متخوفاً بأساء
من كان في الحق المبين بلاؤه — هيهات يخشى في العدو بلاء
يأيها الداعي إلى دين الهدى — وفيت قسطك في الجهاد دعاء
شبوا عليك النار شاوية اللظى — ورموا عليك الغارة الشعواء
وترصدوا لك في الطريق مجاهداً — فرأوك أنفذ في الطريق مضاء
نثروا عليك الحقد من شهواتهم — فنثرت من نبل الخلال وفاء
نور النبوة في جبينك ساطع — يجلو الدجى ويبدد الظلماء
فإذا المجاهل قد غدون معالما — واليأس أصبح في يديك رجاء
بدلت صحراء الجزيرة روضة — وجعلت منها جنة فيحاء
الجاهلية من غراسك أثمرت — وتفجرت ظلاً هناك وماء
وتألفوا في الله صفاً واحدا — ونسوا لديك الحقد والبغضاء
يبنون للإسلام ركناً خالداً — ويرون فيك المنشئ البناء
حجر أقمت على التقى آساسه — فرساً . وأدرك سمته الجوزاء
يمتد في كسف السحاب تطاولاً — ويزيد في كبد السماء نماء
ويزلزل الدنيا ويصدع ركنها — ويهد من نصب الضلال بناء
بطحاء مكة أشرقت جنباتها — ما كان أكرم هذه البطحاء!
ولد الهدى فيها فكان محمداً — وغدا لكل المكرمات سماء
هـذا اليتيم أتى فألف أمة — شتى ، وقوماً فرقوا أهواء
ويشـد بينهمو أواصر ألفة — ويزيد ما بين القلوب إخاء
سوى من الفانين كل تمايز — ومحا بهـا العصبية العمياء
لا يستقيم الحق بين جماعة — إن لم يكونوا في الحقوق سواء
يأيها الهادي صبرت على الأذى — وحملت من أوطانك الإيذاء
وضربت في الصبر الجميل نواحياً — وكشفت عن نبل الخلال غطاء
قل للذي سئم الجهاد وملّه — هلا اتخذت من الرسول عزاء؟
ما قيمة الدنيا إذا هي لم تكن — صبراً وأخذاً دائماً وعطاء؟
يأيها الهادي لقيت إساءة — فحملت فيها الصفح والإغضاء
إن الكريم يغض طرف سماحة — ويرد من إحسانه اللؤماء
لمـا قدرت عفوت أجمل قادر — وأسرت عفواً من إليك أساءا
تلك الخلال الضاحكات خليقة — أن تستميل لصفك الأعداء
ولقد كرهت بأن تقيم على الأذى — فهجرت أرضاً أنبتتك وماء
وتأثروك فما خبت لك جذوة — يوماً ولا قدروا لهـا إطفاء
ووجدت في ظل المدينة جيرة — ولقيت من أنصارها نصراء
آواك فيها معشر بك آمنوا — واستقبلوك مرحبين وضاء
عجباً! رأيت من المدينة رقة — ورأيت مكة قسوة وجفاء
صبراً دعاة الحق إن نصيبكم — أن تقطعوا أيامكم غرباء
مهلاً دعاة الحق إن سبيلكم — ليست يساراً كلها ورخاء
لا تحسبوها بالورود تزينت — أو رفت الدنيا بهـا أنداء
لا تحسبوها الظل أفيح ناعماً — والعيش حلواً والمنى خضراء
هي أن تضحوا بالحياة رخيصة — وتقدموها للجهـاد فداء
الحق لا يحيا شهيـداً بينكم — ما ضر لو متم له شهداء؟؟

محمد عبد الغني حسن

من ضوء الإسلام

هل من سبيل للسعادة أفراداً وأمة ؟

للأستاذ محمد يوسف موسى





كل منا يلتمس لنفسه الخير ويبذل فى ذلك وسعه ، وكلنا يزعم أنه برٌّ بأمته حفِيّ بها ، فهو لا يألو جهداً فى القيام بالواجب فى عمله ، وبما يعود على أمته بالسعادة والرفعة . فلِمَ إذاً لا يجد المرء أنى تلفت إلا من يندب شقاوة الجد ، وخسارة الأمس ، واليأس من الغد ؟ وليس حال الجماعات بأهنأ من حال الأفراد . هؤلاء المزارعون يشكون عدم البركة وفتك حشرات الأرض بخيراتها ، والمعنوْنَ بالشئون العامة يحز فى نفوسهم تفكك وحدة الأمة وتعثرها فى طريقها . لماذا هذه الظاهرة التى تدعو للرثاء ، وليس منا إلا من يزعم أنه البار بأمته العامل لخيرها ؟ فى رأيى أن مرد ذلك كله أمران : أحدهما علة شقاء الأفراد ، والآخر علة شقاء الأمة .

يصبح الواحد ولا هم له إلا الألم اللاذع لما يرى أنه فاته فى أمسه ، والتفكير الرمض فيما قد لا يكون فى غده ، فيصرفه ذلك عن تذوق ما فى حاضره من لذة وسعادة . تجد هذا الفلاح دائم الحسرة موصول الألم لأنه لم يبع قطنه بأربعة جنيهات كما باعه جاره ، والتلميذ دائم الهم خشية ألا يجد عملاً متى فرغ من دراسته ، وهكذا إذا تقصَّيْت أحوال الناس جميعاً ، تجد الأسى على الماضى والخشية من الغد ، يفوتان علينا التنعم بالحياة وما تفيضه من هناءة وسرور . ليعمل الواحد منا واجبه ، وليطرح الأسى الفارغ على الذاهب ، والخشية المبالغة من الآتى ، وأنا كفيل بأنه سيجد برد السعادة . « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ؛ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » . هل رد الأسى نعيماً ذهب ؟ وهل يرد الألم مقدماً للمستقبل ما قد يجيء به من محنة ؟ اللهم لا . إذا فلم يعمل الإنسان بنفسه لشقائه وتكدير أيامه ؟

من المأثور عن إيبكتيت الرواقى[(1)] أنه كان يوصى بأن يتعرف المرء ما يتعلق به من الأعمال فيعمله على أكمل وجوهه ، وما هو لله فيتركه له . للإنسان أن يسعى لغرضه فى شرف ونبل أو فى غش ودس ، كل ذلك ممكن ، فليمض إذاً قدُماً لغرضيه فى شرف ونبل ، وليس له أن تذهب نفسه حسرات إن حيل بينه وبين إدراك ما يريد إذا بذل ما فى طوقه ، لأن الوصول فعلاً للغايات رهن بإرادة الله وحده . هذه فلسفة لها جلالها وبساطتها وجمالها ، ولكن أجل منها أن أصحابها أخذوا أنفسهم بها . هذا أحدهم وهو هِلفيدْيُوس بْرِسْكِس[(2)] كان عضواً بمجلس الشيوخ بروما فطلب منه الأمبراطور ذات يوم أن يتأخر عن حضور جلسة خاصة ، فكان بينهما هذا النقاش :

— لا أريد أن تذهب للمجلس

— لك أن تفصلنى من العضوية ، أما أنا فسأذهب مادمت عضواً .

— إذا شهدت الجلسة فلا تبد رأيك

— لك ألا تطلب رأيى ، وإذاً فلن أتكلم

— لكنه إذا حضرت الجلسة فسأضطر لسؤالك رأيك

— إذاً فسأدلى بما أراه عدلاً

— ذلك معناه أنك تسعى للموت

— ومتى قلت لك إنى من الخالدين ! كلانا يفعل ما يتعلق به ؛ لك أن تأمر بقتلى ، ولى أن أصبر أو أجزع ، وإذاً فسأتحمل الموت وآلامه صابراً[(3)]

---

(١) إيبكتيت Epictèt فيلسوف رواقي معروف ، عاش فى القرن الأول للميلاد ، وكانت حياته تمثل فلسفته الرائعة البسيطة

(٢) أحد الرواقيين الرومان . نفى فى عهد نيرون ، وقتل بأمر الأمبراطور فيسباسيان Vespatien سنة ٧٥ م

(٣) دروس الأخلاق تأليف ماريون Marion

لله ما أنبل هذا المبدأ وما أروع تطبيقه ! وما أسهل ما يكون المرء سعيداً إذا وثق بالله، واحترم ما فيه من رجولة فأرضى ضميره!

أما الأمة فى مجموعها ، فأرى أن علة تعثرها فى خطواتها ، وابتلاءها بكثير من المحن فى الأنفس والأموال ، وتفكك الروابط وانحلال الأواصر ، وتفرق الزعماء — أرى أن ذلك كله يرجع إلى انسلاخنا عن الدين شيئاً فشيئاً ، وإلى مبدأ الأثرة الذى أخذ منا بالزمام. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمس ، وأعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن ؛ ما ظهرت الفاحشة فى قوم يعمل بها علانية إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ، وما منع قوم الزكاة إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، وما بخس قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان ، ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط عليهم عدوهم فاستنقذوا بعض ما فى أيديهم ، وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيه إلا جعل الله بأسهم بينهم » أعتقد أنه بالاحتكام لهذا الحديث المبين نجد الأمر واضحاً ، وأن السبب فيما نحن فيه من بلاء جلى

لم نعجب من حبس الله عنا عونه ، وفينا من الرجال المحسوبين على الدين من لا يبالى أن يسخط الله ، كما يبالى أن يغضب عبداً من عبيده ؟ وما بالنا نجزع من ازدياد الإجرام وسببه الفقر وتأصل الحقد فى القلوب ومأتاه عدم القسم فى الحقوق والواجبات؟ ولماذا نجأر بالشكوى من استئصال حشرات الأرض لكثير من الزروع والأثمار ، وقد منعنا الزكاة أربابها ؟ إن الله غنى عن صيام النهار وقيام الليل إذا كان لا يصحبهما إعطاء الحقوق لأصحابها . إن تربة مصر لتدر الذهب ، فليت شعرى كيف تتحجر منا قلوب ، فلا تحس الآلام التى تنضح بها نفس الفقير ، ولا يجد مواسياً ؟ ! ولماذا نعمى ، فلا نبصر الشقاء مجسما فى أناس لم يبق لهم من الآدمية إلا الاسم بفضل جحودنا وأثرتنا ؟! إن لهؤلاء المحرومين ، وهم شركاؤنا فى الإنسانية ، وإخواننا فى الوطن ، حقاً معلوماً فيما رزقنا الله من ثراء يتسع لقضاء الصيف فى أوربا وغير أوربا ، وتضييع مئات الآلاف من الجنيهات على اللهو الفارغ والمتاع الدون ...

هل تريدون دليلاً على ما يسود أخلاقنا من أنانية ممقوتة وعدم رعاية للصالح العام؟ دونكم أدلة لا دليلاً واحداً : ماذا ترون فى انعدام التناسب بين صغار الرتبات وكبارها إلى درجة شنيعة ، لا توجد إلا فى بلاد الشرق المسكينة؟ وفى التفرقة بين الطبقات فى كثير من مرافق الحياة ؟ بل ماذا تقولون فى المريض المعدم لا يجد له راثياً ، ولا لآلامه مواسياً ، ويطرد من مستشفى لآخر ، حتى يموت وعياله وأهله تتفطر نفوسهم حسرات ، بينما يحدثنا القفطى فى كتابه « أخبار الحكماء »[1] أن وزير المقتدر بالله العباسى على بن عيسى وقع إلى سنان بن ثابت كبير الأطباء « بإنفاذ متطببين ، وخزانة من الأدوية والأشربة يطوفون فى السواد ، ويقيمون فى كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة إلى مقامهم ، ويعالجون من فيه ، ثم ينتقلون إلى غيره » . أليس فى بعض هذه المثل ما يدل على ما يتملك أمرنا من أثرة هى بعض السبب فيما نحن فيه من بلاء مبين ؟

وأخيراً ما هو العلاج ؟ هو فى رأيى أن ننعم بحاضرنا دون أسى على الماضى ، وأن نحارب الأنانية فى أنفسنا وفى غيرنا ، وأن يعمل كل منا واجبه وإن كان فى ذلك أذى له ، وأن يطلب حقه من سالبيه ويلح فى اقتضائه ؛ فإن السكوت عن طلب الحق جريمة تعدل عندى عدم القيام بالواجب. نسأل الله حسن الحال والتوفيق والسداد .

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

(١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء للوزير جمال الدين القفطى المتوفى سنة ٦٤٦ هـ .

كمال الدين بن يونس

للأستاذ قدري حافظ طوقان



لم يكن عند كمال الدين خبر من أحوال الدنيا ، يلبس بلا تكلف ، لا يعنى بزى أو هندام منصرفاً بكليته إلى العلم بين درسه وتدريسه . تفقه بالموصل على والده وكان ذلك فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر للميلاد . وفى سنة ٥٧١ هـ ذهب إلى بغداد وأقام بالمدرسة النظامية يدرس على السلمانى والقزوينى والشيرازى فقرأ الخلاف والأصول ، وبحث فى الأدب على الأنبارى ، ثم عاد إلى الموصل حيث عكف على الاشتغال بالعلوم الدينيـة والعقلية والأخيرة كانت غالبة عليه « ... فكانت تعتريه غفلة فى بعض الأحيان لاستيلاء الفكرة عليه بسبب هذه العلوم ... » ، وأخذ من أحد المساجد (فى الموصل) مكاناً يدرّس فيه عُرف فيما بعد بالمدرسة الـكمالية . وبقى كذلك إلى أن توفاه الله فى منتصف القرن الثالث عشر للميلاد ...

ذاع صيته وانتشر فضله « ... فانثال عليه الفقهاء وتبحَّر فى جميع الفنون وجمع من العلوم ما لم يجمعه أحد ... »

رجع إليه الملوك والأمراء والعلماء فى المسائل العلميـة ، واستعان به ملوك الإفرنج فى ما أشكل عليهم من مسائل تتعلق بالنجوم . فقد ورد إلى الملك الرحيم صاحب الموصل رسول من الأمبراطور فردريك الثانى وبيده مسائل فى علم النجوم ، وقد قصد أن يرد كمال الدين أجوبتها . فأرسل صاحب الموصل يعرفه بذلك ويقول له « ... أن يتجمل فى لبسه وزِيِّه ويجمل له مجلساً بأبهة لأجل الرسول ، وذلك لما يعرفه عن ابن يونس أنه كان يلبس ثياباً رثة بلا تكلف وما عنده خبر من أحوال الدنيا ... » فاستعد كمال الدين ، وعندما اقترب الرسول من داره بعث من الفقهاء من يستقبله ، فلما حضر عند الشيخ (كمال الدين)

— يقول أحد الحاضرين وهو من بغداد : نظرنا فوجدنا الموضع فيه بسط من أحسن ما يكون من البسط الروميـة الفاخرة « ... وجماعة مماليك وقوف بين يديه وخدام وشارة حسنة ، ودخل الرسول وتلقاه الشيخ ، وكتب له الأجوبة عن تلك المسائل بأسرها ، ولما راح الرسول غاب عنا (يقول البغدادى) جميع ما كنا نراه ؛ فقلت للشيخ : يا مولانا ، ما أعجب ما رأينا من ساعة من تلك الأبهة والحشمة، فتبسم، وقال يابغدادى هو علم ... »

كان كمال الدين متواضعاً ذا روح علمى صحيح سما العلم بنفسه وصقل روحه ، فإذا الإخلاص للحق والحقيقة يسيطر على جميع أعماله فلم يترك مناسبة دون تبيان الحقيقة وإعلاء شأن الحق وكان يسير على القول السائر : « العلم يزكو بالإنفاق » فـكان يجيب على ما يأتيه من مسائل من بغداد وغيرها من حواضر الإمارات ويوضح المشكلات التى ترد عليه من سائر الأقطار فى مختلف فروع المعرفة ، وجاء أن أحد علماء دمشق أشكل عليه مواضع فى مسائل الحساب والجبر والمساحة وأقليدس ، فكتب إلى كمال الدين يستفسره عنها فأجابه عليها وقد كشف عن خفيها وأوضح غامضها ، وذكر ما يعجز الإنسان عن وصفه . ثم كتب فى آخر الجواب : « فليمهد العذر فى التقصير فى الأجوبة فإن القريحة جامدة والفطنة خامدة قد استولى عليها كثرة النسيان وشغلتها حوادث الزمان ... »

لقد اعترف له الأقدمون من العلماء والباحثين بالفضل والنبوغ فقال ابن خلكان : « ... وكان يدرى فى الحكمة والمنطق والطبيعى والإلهى وكذلك الطب ، ويعرف فنون الرياضة — من أقليـدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطى وأنواع الحساب المفتوح منه والجبر والمقابلة وطريق الخطأين والموسيقى والمساحة — معرفة لا يشاركه فيها غيره إلا فى ظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على حقائقها ، واستخرج فى علم الأوفاق طرقاً لم يهتد إليها أحد ... » وفوق ذلك كان عالماً بالعربية

والتصريف ، قرأ سيبويه والإيضاح والتكملة لأبى على الفارسى والمفصل للزمخشرى « وكان له فى التفسير والحديث وما يتعلق به وأسماء الرجال يد جيدة ... » ولم يقف علمه عند هذا الحد بل عنى بتاريخ العرب وأيامهم فقد كان يحفظ الشيء الكثير من أشعارهم ووقائعهم ، ودرس التوراة والإنجيل ، ووقف على كثير من دقائقهما ، وقد قرأهما عليه بعض أهل الذمة واعترفوا بأنهم لا يجدون من يوضحهما لهم مثله : « ... وبالجملة ، فإن مجموع ما كان يعلمه من الفنون لم يسمع عن أحد ممن تقدمه أنه قد جمعه » واعترف أيضاً معاصروه بتفوقه ، فقال أثير الدين المفضل الأبهرى ـ وهو عالم كبير فى الخلاف والأزياج بفضل كمال الدين وعبقريته ـ « ليس بين العلماء من يماثل كمال الدين » وقال موفق الدين عبد اللطيف البغدادى — وهو من كبار علماء القرن السادس للهجرة — إنه لما لم يجد فى بغداد من يأخذ بقلبه ويملأ عينه ويحل ما يشكل عليه سافر إلى الموصل سنة ٥٨٥ هـ ، فوجد فيها كمال الدين بن يونس متبحراً فى الرياضيات والفقه عالماً بأجزاء الحكمة الأخرى ، قد استغرق حب الكيمياء عقله ووقته . وكان فقهاء زمانه يقولون : إنه يدرى أربعة وعشرين فناً دراية متقنة ، وكان جماعة من الحنفية يشتغلون عليه بمذهبهم ، « ... ويحل لهم مسائل الجامع الكبير أحسن حل مع ما هى عليه من الإشكال المشهور وكان يتقن فن الخلاف والعراقى والبخارى وأصول الفقه وأصول الدين ... » ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد وُجد فى قومه مَن يتهمه فى دينه ، وقد يكون هذا الاتهام آتياً من اهتمامه بالعلوم العقلية وتعمقه فيها . ونظم أحد الشعراء المعاصرين لكمال الدين البيتين الآتيين اللذين تتبين منهما الفكرة التى كانت سائدة عند الناس فى دينه :

أجدك إن قد جاد بعد التعبس   غزال بوصل لى وأصبح مؤنسى
وعاطيتـه صهباء من فيه مزجها   كرقة شعرى أو كدين ابن يونس

ويقول ابن أبى أصيبعة : « ... كان كمال علامة زمانه وأوحد أوانه وقدوة العلماء وسيد الحكماء ، قد أتقن الحكمة وتميّز فى سائر العلوم ... » برع فى الحساب ونظرية الأعداد وقطوع المخروط وكتب فى المربعات السحرية والجبر والسيمياء والكيمياء والأعداد المربعة والمسبع المنتظم والصرف والمنطق ، وقد حل مسألة تتعلق بإنشاء مربع يكافئ قطعة من دائرة . ويقال إن الأبهرى الذى سبق ذكره قد برهن على صحة حل ابن يونس وعمل فى ذلك مقالة . وعلى ذكر الأبهرى نقول إن له مؤلفات قيمة فى علم الهيئة والاسطرلاب ورسائل نفيسة فى الحكمة والمنطق والطبيعيات والإيساغوجى

ويقول سارطون : « ... إن كمال الدين من أعلم علماء زمانه ومن كبار المعلمين — أو هو المعلم المظيم — ومن أصحاب النتاج الضخم ، وهو مجموعة معارف شتى فى العلوم والفنون ... » ويمكن القول إنه كان لبحوث كمال الدين قيمة كبرى عند علماء عصره وأثر فى تقدم العلوم

لقد سبق كمال الدين غاليلو فى معرفة بعض القوانين التى تتعلق بالرقاص ، فقال سمث : « ومع أن قانون الرقاص هو من وضع غاليلو إلا أن كمال الدين بن يونس لاحظه وسبقه فى معرفة شيء عنه . وكان الفلكيون يستعملونه لحساب الفترات الزمنية أثناء الرصد ... » ومن هنا يتبين أن العرب عرفوا شيئاً عن القوانين التى تسيطر على الرقاص ثم جاء من بعدهم غاليلو ، وبعد تجارب عديدة استطاع أن يستنبط قوانينه إذ وجد أن مدة الذبذبة تتوقف على طول البندول وقيمة عجلة التثاقل ووضع ذلك بشكل رياضي بديع وسع دائرة استعماله وجنى الفوائد الجليلة منه

ونظم كمال الدين الشعر ، وله قطع غزلية رقيقة تفيض عذوبة وسلاسة . منها :

ما كنت ممن يطيع عذالى   ولا جـرى هجره على بالى
حلتُ كما حلتَ غادراً وكما   أرخصتَ أرخصتُ قدرك الغالى

وله أيضاً :

حتى ومتى وعدكم لى زور   مطـل واف ونائل منزور
فى قلبى حب حبكم مبذور   زوروا فعسى يثمر وصلاً زوروا

ومن المؤسف أنه لم يصلنا من نتاج كمال الدين إلا القليل فقد ضاع أكثره أثناء الانقلابات ، والفتن التى حدثت فى العراق . وورد فى المصادر بعض مؤلفاته التى تتعلق بالفقه والمنطق والنجوم وهى : كتاب كشف المشكلات وإيضاح المعضلات فى تفسير القرآن ، شرح كتاب التنبيه فى الفقه (مجلدان) ، كتاب مفردات ألفاظ القانون ، كتاب فى الأصول ، كتاب عيون المنطق ، كتاب لغز فى الحكمة ، وكتاب الأسرار السلطانية فى النجوم

وخلّف كمال الدين أولاداً أتقنوا الفقه ، وسائر العلوم « ... وهم من سادات المدرسين وأفاضل المصنفين ... » كما يقول ابن أبى أصيبعة .

(نابلس)   قدرى حافظ طوقان

أم عربية تضحي

للأستاذ خليل هنداوي

وتأبى المقادير إلا أن تخلق (ذاقار) ثانية في ضاحية السواد، ولكن وقعة ذي قار الثانية تمتاز عن الأولى بأن العرب حشدوا ما عندهم من المقاتلة يدفعون بصدورهم صدور مقاتلة الفرس الذين أقبلوا من أقاصي فارس وأدانيها يذودون العرب عنهم!

أحست القادسية وطء هذه الجموع الزاحفة بخيلائها وعزائمها وأدركت أنه يوم سينضح ثراها فيه بالنجيع، ويسطع على سمائها كوكب من كواكب عهد جديد!

أشرق الفجر تغمر أنواره الباهتة جوعاً تيقظت قبل أن يتيقظ وعلت أصوات تخللها نداء وصهيل ورغاء! والقوم خلال ذلك منكبون على جيادهم يمسحون أعرافها، أو متلمسون مقابض سيوفهم يهزونها، أو مادّون برماحهم يُسرون إليها ما يُسرون! ففريق يتبعه فريق، وكردوس يشد خلفه كردوس، يغشون والأهازيج ملء الفضاء، والنقع يوشك أن يحجب السماء. فهذه فئة مقاتلة تمشي إلى النصر بأهازيجها وتلك فئة منصتة يدوي فيها صوت يرجع صوتاً رن منذ عهد لم يطل عليه الأمد فوق هذه الأرض التي أرادت الفارسية أن تقهرها وما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

صوت هانئ بن مسعود يدوي كالرعد القاصف: «يا معشر العرب! هالك معذور خير من ناج فرور، المنية ولا الدنية، استقبال الموت خير من استدباره، والطعن في ثغر النحور أكرم منه في الأعجاز والظهور، وإن الصبر من أسباب الظفر، فاتلوا فما للمنايا من بد، فتح لو كان له رجال! يا معشر العرب شدوا واستعدوا، وإلا تشدوا تردوا»

تسمع هذه الأقوام أصوات خطبائها فتحن أنفسها لذلك اليوم الذي هو أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وإن هذا ليوم آخر أقبلت فيه الفارسية الوثنية تنازل الجزيرة المسلمة التي تغلي بدم الحياة!

وغير بعيد عن الساحة المستوية التي أعدت للقاء الأبطال - بطحاء انتصبت فيها خيام تقيم فيها الظعائن، وكانت أهازيجهن تجاوب أهازيج الرجال، ومن فوقها الصدى يكاد يلائم بينها، يحملها إلى القيمان البعيدة التي حنت إلى الحرية المكتوبة على أسنة العرب

في خيمة منفردة حمراء الأديم عجوز تخدد وجهها، ولعل الكبر قد نال منها شيئاً، لكن أحداث الدهر لم تبق منها إلا على شبح نسيه الموت أو تناساه، تمشي بهراوتها الغليظة مشية وئيدة مستقيمة، وعلى بدنها صدار أسود ممزق الإهاب، يدل على أنه علامة فاجعة قديمة العهد؛ لكنها حية كأنها بنت ساعتها. وقفت في ناحية لا يصل إليها تيار الزاحفين؛ وحولها أربعة فتية ما أنضر الشباب الذي تفيض به أعينهم، وما أسمى العزيمة التي تتلألأ على وجوههم! تلمست العجوز هؤلاء الفتية بيديها، وتلمست محاسنهم وأكبت على رءوسهم ووجوههم تشم ريحهم، وما إن انتهت من ذلك حتى بادرتهم بوصيتها:

«أي بَنِيَّ! إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين. والله الذي لا إله إلا هو، إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنتُ أباكم ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم. واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية. اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها فيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والقيامة

أي بَنِيَّ! اطلبوا الموت توهب لكم الحياة»

كانت تسيل هذه الكلمات العاصفة من فمها دون ما تلجلج ولا اضطراب، لم ينل منها موقف التوديع شيئاً، وكان أولادها يسمعون خطابها، وكأن نفوسهم ارتابت في شك أمهم منهم، وهم الذين أقدموا إلى الجهاد مختارين بعد أن باعوا أرواحهم واستقلوا ذلك في جنب الله

قبلوا يد أمهم، وودعوها توديع مفارق لن يؤوب، وزحفوا على جيادهم وهي لا تزال تتجه بمسامعها نحو وقع الحوافر حتى تلاشى وقعه، وقرت كل حركة حولها. فعادت إلى خيمتها، وكأنما ضاقت بها نفسها فهي لا تستطيع القعود إلا قليلاً فنهضت تتلمس الأرضَ بعصاها، ولكن أين تريد أن تدب؟ في نفسها خواطر كثيرة، منها ما يتعلق بالمعركة ونهايتها، ومنها ما يخص أبناءها وحدهم. أتلقاهم كدأبها في المساء؟ أم تلقى بعضهم، والآخر أكلته شفرات السيوف! خواطر كثيرة تحاول أن تطغى على طمأنينتها وإيمانها، ولكنها لا تريد الآن أن

تعرف شيئاً عن رجوعهم وعن مصارعهم ، وإنما تريد أن تعرف كيف استقبلوا الموت ، بنحورهم أم بظهورهم ! ولكن فيم تشك فى أشبالها ، وما علمتهم يوماً إلا أهل مروءة ونجدة !

قضت يومها تغالب هذه الخواطر ، وما إن دنا الأصيل حتى هتفت أصوات البشرى فى القوم بهزيمة الفرس . تخرجت النساء يستقبلن البعولة والإخوة والأبناء . ومن مثل الخنساء تنشط إلى تنسم الأخبار وهى متوكئة حانية على عصاها ترتفع الأصوات من فوقها ومن تحتها، وعن يمينها وشمالها ، والظافرون عائدون بالأردية الحمراء ، والسيوف المضرجة بالدماء ، قد أذهلهم النصر عن النصب، يُحَيي بعضهم بعضاً وما تحيتهم إلا مصافحة بالسيف أو السنان !

تعلو الضجة آناً وآناً تخفت ، وإنها لتدل على أن أكثر المقاتلة أووا إلى بيوتهم إلا مصاباً يتحامل على نفسه ، أو فارساً يتظالع به فرسه بعد أن أبلى ، ولكن ما لأولاد الخنساء لم يطل أحد منهم على هذه العجوز المرتقبة التى أخذت ترتجف من الريح الباردة ! ومن ذا ينبئها بمصيرهم بعد أن أبطأوا عليها

ولكنها اعتقدت أن واحداً منهم أدركه مصرعه ، وأن إخوته قعدوا يبحثون عنه بين القتلى لأنهم يؤثرون أن يدفنوه بأيديهم !

ها هى ذى تنتظر ! يمر بها أحد رجال القادسية ممن شهدوا مصرع أولاد الخنساء ، يراها شاخصة فى الناحية التى أطل منها وقد رفعت رأسها تهم بتكليمه لولا أنها خفضت رأسها لأنها تريد أن تكون كلمتها الأولى لأحد أولادها

شاهدها الرجل وغلبت على عينيه دمعتان محرقتان أسقطهما الحزن على هــذه العجوز التى نالت منها القادسية أعظم تضحية . حتى لتحسب فيها رمزاً للأمومة التى ضحت بأبنائها فى هذه الوقعة ... آثر أن يمشى وهو يخطو الخطوة ويلتفت إلى خلفه ، كأن شيئاً — لا يستطيع أن يدركه — يبعث الروع فى نفسه . حاول أن يخبرها أكثر من مرة ، وتردد أكثر من مرة ، وأقل ما يحمله على التردد أنه لا يريد أن يكون ناعياً لأربعة أولاد فى يوم واحد ، ولكن ماله يكتم عنها ما كان ، وماله لا يشفق على هــذه العجوز التى تنتظر ، والتى لا تزال تنتظر حتى مطلع الفجر ! فلينبئها بمصيرهم ، وليمزها بكلمة قد تقع موقعاً حسناً أو لا تقع ، وليصنع الله بها بعد ذلك ما يشاء ! وإن أعظم ما ينتظره لها الموت ، وما يدريه أنها هى التى تفتش عن الموت بعد مصرع بنيها . فعاود إليها مرة ثانية ؛ وسمعت الخنساء وقع الخطا من ورائها فهمت بالاستغراب ، ولكنها شعرت أن هذه الخطا تسر أمراً لها وحدها ، فناداها :

— يا خالتاه ! لا إخالك تألمين إذا أنبأتك أن أولادك الأربعة يسرحون هذا المساء مع شباب ... الجنة !

فاه بهذه الجملة ، والحزن يكاد يقطع عليه أنفاسه ؛ ولم يبلغ كلمة (الجنة) إلا بعد أن قاسى من ألم النفس مثل ما قاساه من نصب يومه ؛ فتقدمت منه وكأن الخبر لم يعصف بنفسها ، ولم يظهر أثره على وجهها . . .

— ويك ماذا تعنى ؟ أقُتلوا جميعاً ؟

— رأيتهم الواحدُ يصرع بعد الآخر ، يذودون عن موقف تهافت العدو على أخذه تهافت الجراد على النار

— أذهبوا متاعاً رخيصاً ؟

— إنهم — وحدهم — كانوا جيشاً ، كأنما الموت مورد عزموا أن يردوه جميعاً ؛ كلما فترت عزيمة واحد منهم هتف به الآخر « وصية العجوز يا أخاه » !

وكأن هذه الكلمة أيقظت فيها الروح التى كلمت بها أولادها فقالت :

— ذلك ما يبعثنى على أن أقول : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وإنى لأرجو الله أن يجمعنى وإياهم فى مستقر رحمته ؛ ولكن أنبئنى ما صنع الله بكم ؟

— جئنا بالنصر معقوداً على راياتنا

— هذه التعزية المثلى لى فيما تبقى من أيامى المعدودة ، لقد مات أخى صخر من قبل ، فلم يسعنى من دنياى بعده إلا هذا الصدار الأسود ، وهيهات أن أجد مكاناً للتعزية فيه ، وها يموت أبنائى الأربعة فيعزينى عن موتهم هذا الظفر

والتفتت إلى ناحية بيتها ، وأخذت تدب وئيداً ، والرجل يتبعها صامتاً حتى توارت عنه ، فوا الله ما إن سمع لها أنة ، ولا رأى لها عبرة ، وذهب وهو لا يكاد يوقن بأن هذه التى كانت مثل الأخت المفجوعة الحزينة التى لا يسرى عنها شىء ، والتى قضت أيامها تبكى حتى ابيضت عيناها من البكاء ، هذه الأخت الولهى تصبح المثل الأعلى للأم التى تعتقد أن أولادها للوطن والواجب قبل أن يكونوا لها ، وإذا أراد الوطن استئثاراً بهم قدمتهم، وإذا استوهب الوطن منهم أنفسهم لم تضن بها ولم يضنوا ،

من الإلياذة الإسلامية

للأستاذ أحمد محرم

الجزء الثانى

بنو غطفان وسيدهم عيينة بن حصن

لما علم أهل خيبر أن المسلمين قادمون لغزوهم بعثوا إلى حليفهم عيينة ابن حصن سيد غطفان يستمدونه وقومه عليهم ، ولهم فى ذلك نصف ثمار خيبر ، وقيل إن النبى صلى الله عليه وسلم بعث إليهم ينهاهم من مظاهرة اليهود ، فأبوا ، وقالوا حلفاؤنا وجيراننا ، ثم خرجوا لنصرتهم ، فسمعوا صوتاً فى ديارهم وقع فى نفوسهم أنه صوت الغزاة من المسلمين ، فأخذهم الرعب وارتدوا على أعقابهم مسرعين .

أَمَا تَدَعُ الْعَمَايَةَ (يَاابْنَ حِصْنٍ)   وَتَسْلُكُهَا مُعَبَّـدَةً سَوِيَّهْ ؟
أَضَلَّتْكَ الْيَهُودُ ، فَرُحْتَ تَبْغِى   ثِمَارَ النَّخْلِ ، يَا لَكَ مِنْ بَلِيَّه
لَبِئْسَ الْأَجْرُ أَجْرُكَ مِنْ أُنَاسٍ   يَرَوْنَ الْحَقَّ مَنْزِلَةً دَنِيَّه
أَتَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمْ حَلِيفاً ؟   لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ شَرُّ الْبَلِيَّـه

رَمَوْكَ بِرُسْلِهِمْ يَبْغُونَ نَصْرًا   فَمَا وَجَدُوكَ مِنْ أَهْلِ الرَّوِيَّه
أَهَبْتَ بِقَوْمِكَ: انْطَلِقُوا وَرَأْى   فَتِلْكَ سَرِيَّةٌ تَتْلُو سَرِيَّه
تُرِيدُ (مُحَمَّداً) وَبَنِى أَبِيهِ   أُولِى النَّجَدَاتِ وَالْهِمَمِ الْعَلِيَّه
حُمَاةَ الحقِّ ، ليس له سواهم   إِذَا غَلَتِ الْحَفِيظَةُ وَالْحَمِيَّه
نَهَاكَ (مُحَمَّدٌ) فَأَبَيْتَ رُشْدًا   لِنَفْسِكَ ، إِنَّهَا نَفْسٌ غَوِيَّه
وَقُلْتَ : أَنَتْرُكُ الْخُلَفَاءَ نَهْبًا   وَنَحْنُ أُولُو السُّيُوفِ الْمَشْرَفِيَّه ؟

* * *

رُوَيْدَكَ يَا (عُيَيْنَةُ) أَىُّ خَطْبٍ   أَصَابَكَ؟ مَا الْحَدِيثُ وَمَا الْقَضِيَّه؟
وَمَا الصَّوْتُ الْمُرَدَّدُ يَا ابْنَ حِصْنٍ   وَرَاءَكَ فِى مَنَازِلِكَ الْقَصِيَّه ؟
وَرَاءَكَ يَا (عُيَيْنَةُ) لَا تَدَعْهَا   فَمَا هِىَ عَنْ دِفَاعِكَ بِالْغَنِيَّه

* * *

رَجَعْتَ بِجُنْدِكَ الْمَهْزُومِ رُعْبًا   فَرُحْمَى ، مَا الْهَزِيمَةُ كَالْمَنِيَّه
لَوَ انَّكَ جِئْتَ (خَيْبَرَ) وَهْىَ ظَمْأَى   سَقَتْكَ مِنَ الرَّدَى كَأْساً رَوِيَّه
نَوَيْتَ غِيَاثَهَا ، فَشُغِلْتَ عَنْهَا   وَأَمْرُ اللهِ يَغْلِبُ كُلَّ نِيَّه
بِرَبِّكَ يَا فَتَى (غَطَفَانَ) آمِنْ   فَإِنَّ لَهُ لَآيَاتٍ جَلِيَّه

* * *

رَجَعْتَ إِلَى (النَّبِىِّ) تَقُولُ مَالَا   يَقُولُ الْمَرْءُ ذُو النَّفْسِ الْحَيِيَّه
أَلَسْتُ لِمَنْ ظَفِرْتَ بِهِمْ حَلِيفاً ؟   فَهَبْ لِى مِنْ مَغَانِمِهِمْ عَطِيَّه
وَإِنِّى قَدْ أَبَيْتُ ، فَلَمْ أُعِنْهُمْ   عَلَيْكَ ، وَمَا تَرَكْتُكَ عَنْ تَقِيَّه
فَقَالَ: كَذَبْتَ ، مَالَكَ مِنْ خَلَاقٍ   وَمَا تَخْفَى عَلَى اللهِ الطَّوِيَّه
عَلَيْكَ (بِذِى الرُّقَيْبَةِ) إِنَّ فِيهِ   لَمَا أَحْبَبْتَ مِنْ صِلَةٍ سَنِيَّه
تَأَمَّلْ: هَلْ مَلَكْتَ عَلَىَّ أَمْرِى؟   وَهَلْ صَدَقَتْكَ رُؤْيَاكَ الْغَبِيَّه ؟
لِكُلٍّ مِنْ دُعَاةِ الشِّرْكِ حَرْبٌ   مُظَفَّرَةُ الْوَقَائِعِ (خَيْبَرِيَّه)
سَجَايَا الْمُرْهَفَاتِ الْبِيضِ أَوْلَى   بِمَنْ جَعَلُوا النِّفَاقَ لَهُمْ سَجِيَّه

أحمد محرم

لما فتحت خيبر جاء عيينة بن حصن إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : أعطنى مما غنمت من حلفائى ، فقد أبيت أن أقاتلك . قال له : كذبت ، إنما أنفذك إلى أهلك ما سمعت من صياح ، لك ذو الرقيبة — وهو جبل بخيبر رأى عيينة فى منامه أنه قد ملكه — فقال لقومه : أبشروا ، لقد والله أخذت برقبة محمد

وكأنها بعد ذلك كله لم تبذل شيئاً ولم تفقد شيئاً

فى الإيمان سر تنحنى الإرادة عنده ، وكيف يريد علماء النفس أن يعللوا مزاجين مختلفين فى نفس واحدة ، هذه المرأة التى فجعتها إحدى الوقائع بأخيها الجرئ الجميل فى الجاهلية ، والتى لم تترك منها هذه الفاجعة إلا لساناً يندب وصدراً يزف ! جاء الإسلام ، فلم يقدر أن يصرفها عن حزنها ، ولكنها أصيبت فى الإسلام بفاجعة قد تهون الأولى عندها وهى فاجعة أبنائها ، فلم تحرك من نفسها شيئاً ، لأنها وهبت مصيبتها لله ! ...

فكرت فى المصيبة الأولى ، فلم تجد ما ينفس عنها ، فاحتفظت بأثرها فى منطقة منعزلة من مناطق نفسها ، تكشف فيها عن ذكرياتها ، وتخوض فى أرجائها وحدها ... أما المصيبة الثانية ، فقد تولاها الإيمان الذى فاض على نفس الخنساء كلها ، حتى أصبح سواء عندها أفقدت واحداً أو أربعة ، أو جميع من فى الكون فى سبيل هذا الإيمان ...

رباه ! ... ألست بقادر على أن تحيى الموتى ؟ !

خليل هنداوى

ذكرى الهجرة النبوية

للأستاذ محمد فريد وجدي



لا يذكر ذاكر الهجرة إلا ذكر القرآن والإسلام ومحمداً، وهي ذكريات حافلة بالأحداث، موقرة بالانقلابات التي تعتبر مبدأ انتقال عالمي لم يسبق للعهود البشرية أن مر بها مثله.

نعم لأن الانتقال الذي أحدثه الإسلام في جزيرة العرب لم يقتصر عليها، ولكنه تناول العالم كله إما مباشرة وإما بواسطة فكان أثره أبعد أثر سجله تاريخ العلم الاجتماعي للانسانية من لدن نشأتها إلى اليوم

انتقال في فهم معنى الدين، انتقال في إدراك حقيقة العبادة، انتقال في تعيين أهداف الاجتماع، انتقال في اعتبار مكانة العلم، انتقال في الاعتداد بسلطان العقل، انتقال في تقرير حقوق الإنسانية، انتقال في إقامة الحقوق الطبيعية، انتقال في تحديد معنى المساواة والعدل

انتقالات ذريعة في كل ضرب من ضروب الشئون الإنسانية مرت إلى العالم كله بتقلب المسلمين في البلاد، فأثرت في مجموع البشرية تأثيراً لا يشتبه بغيره من الانتقالات الأدبية، كان من نتائجها تطور بعيد المدى في كل مجالات الحياة العالمية. فإذا كان الذين استفادوا منه يتثاقلون في عزوه إلى القرآن والإسلام ومحمد فإن أولي العلم يعرفون هذا الحق وقد أعلنوه في مؤلفاتهم (راجع ما كتبه جيبون الإنجليزي ودربير الأمريكي وسديو وجوستاف لوبون وغيرهما من الفرنسيين)

قلنا انتقالات، فأي لفظ أدل من هذا اللفظ على ما نحن بصدده؟

كان الناس قبل القرآن ومحمد يعتبرون الدين ذلاً واستكانة، واستخذاء لذوي المكانة، فلما جاء الإسلام صاح بالناس: ارفعوا رءوسكم، إنما التقوى في الصدر، وعلو الهمة من الإيمان، ولا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه، « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »

وكانوا يظنون أن العبادات سخرة، فقال لهم الإسلام: كلا إنها صلة بين المخلوق والخالق، وإنها يجب أن تكون ميسرة غير مرهقة « فقم ونم، وصم وأفطر، فإن لبدنك عليك حقاً، ولزوجك عليك حقاً، ولزورك (أي زائريك) عليك حقاً » إن الرجل ليعتبر عابداً لله في كل فاضلة تصدر منه حتى في اللقمة يرفعها إلى فم امرأته

وكانت الجماعات لا تفكر في المقاصد الأدبية المرجوة من الاجتماع، فلما جاء الإسلام قال لها: إنما الاجتماع للتعاون على استكمال وسائل البقاء، وهي لا تكون مباركة إلا إذا كان فيها تعاون على البر، وتضافر للتأدي إلى أكمل ضروب الحياة؛ أما التعاون على الإثم والعدوان فليس من شرف الإنسانية في شيء

وكانوا لا يقيمون للعلم وزناً إلا ما صدر عن الذين نصبوا أنفسهم بين الناس وبين الله حجاباً، فقال لهم الإسلام: « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ». « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »

وكانوا يعدون العقل عدواً للدين، ويتعمدون الخروج على أحكامه مشايعة للذين ربوهم على عصيانه، فقال لهم الإسلام: الدين أساسه العقل، ولا دين لمن لا عقل له

وكانوا يتخيلون أن كل من خالفهم في الجنس والدين واللغة أعداء لا يصح أن تجمعهم بهم صلة، فلما جاء الإسلام صاح بأهل الأرض قاطبة: « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عندالله أتقاكم

إن الله عليم خبير » . فكان الإسلام بهذا الأصل أول من أوجب أن تكون بين الناس كافةً زمالة إنسانية ، يتعاونون تحت ظلالها على تحقيق أغراض الحياة العامة ، بصرف النظر عما يفرق بينهم من جنس ولغة ودين

وقوّى هذا الأمر وضوحاً فقال : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين »

بل وصاهم بالرحمة ومراعاة قواعد العدل مع أعدائهم الذين قاتلوهم ليفتنوهم عن دينهم ، وأخرجوهم من أرضهم فقال : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، وقال : « ولا يجرمنكم شنآن قوم (أى ولا يحملنكم بغضكم لقوم) أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب »

وزاد فى التنبيه على وجوب مراعاة الحقوق الإنسانية ، فأمر ألا يتعقب المنتصر فى الحرب مهزوماً ، وألا يجهز على جريح وألا يقتل شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ولا رجلاً غير محارب حتى خدم المقاتلين ، وألا يهدم ديار الأعداء ولا أن يحرق أشجارهم ، ولا أن يعثو فيها فساداً

وكان الناس لا يعرفون الحقوق الطبيعية لإخوانهم فى الإنسانية بصرف النظر عن أديانهم وأجناسهم ولغاتهم ، فكانوا يجردون من ليس منهم من كل حق ، ويسمحون لأنفسهم بقتلهم وسلبهم إن ظفروا بهم ، فإن منّوا عليهم بالبقاء استعبدوهم وأذلوهم ، فلما جاء الإسلام قرر أن لبنى آدم مهما كانت مللهم وبيئاتهم ولهجاتهم حقوقاً طبيعية لا يجوز العدوان عليها بغير حق

وكان الناس لا يدرون كنه المساواة والعدل ، فخضعوا لنظام الطبقات ذوات الامتيازات ، فكان لرجال الدين والسراة والمحاربين حقوق ليست لغيرهم من أفراد الشعب ، فكانوا يبهظون الدهماء بالتكاليف والأتاوات ويخلون أنفسهم منها . فلما جاء الإسلام حطم كل هذه الأوضاع ، واعتبر الناس كلهم سواء أمام العدل : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الأقربين ، إن يكن غنيًّا أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً »

فنحن إذا ذكرنا الهجرة ، وهى دور من أدوار الكفاح الإسلامى فى سبيل الإصلاح ، ذكرنا كل هذه الانتقالات الأدبية التى لو اطلع عليها علماء الاجتماع لدهشوا ، لأن كلا منها لم يتقرر فى العالم المتمدن إلا بعد ثورات دموية ، تلتها انقلابات عنيفة ، وسبقتها تطورات عقلية وأدبية دامت قروناً طويلة ؛ فإن كانت قد تولدت طفرةً على يد خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، فى مدى أقل من ربع قرن ، وفى أبعد البيئات عن توليد أمثالها ، فهى كبرى الآيات الإلٰهية ، جاءت مناسبة لموطن الاقتناع من عقول أهل الزمان الأخير ، فإنهم قد يرون القمر ينشق ، أو الجبال تندك فلا يتأثرون ، ويمضون يلتمسون لها عللاً طبيعية ، ولكنهم لا يستطيعون أن يلتمسوا لهذه الانتقالات الفجائية الباهرة عللاً طبيعية ، ولا سيما فى بيئة لا تنتج واحدة منها . ولقد نسيت جميع الآيات التى صحبت الرسالات السابقة ومضت بمضى أيامها ، إلا هذه الآية التى خص الله بها خاتم رسله ، فستبقى ما بقى الإنسان ذا عقل يجيله فى الأمور ، وما بقى العلم يجلو كل مستور .

محمد فريد وجدى

الإسلام دين النضال

للدكتور زكي مبارك



خلوتُ إلى قلمي لأكتب فصلاً للرسالة أتحدث فيه عن بعض الخصائص الإسلامية ، ثم أخذت أستعرض تاريخ الإسلام في القديم والحديث عساني أجد مسألة واضحة الحدود يصل فيها القلم إلى شيء بعد جهاد ساعة أو ساعتين

وما هي إلّا دقائق حتى اهتديت إلى موضوع تضيق عنه الأعمار ، ولكنه مع ذلك واضح المعالم لا يكلّف القلم إلا بعض العناء ، ليصل الكاتب إلى طوائف من الصور تمنحه التشرف بالمشاركة في إحياء ذكرى الهجرة النبوية

اهتديت إلى القول بأن « الإسلام دين النضال » . فما معنى ذلك؟

ارجعوا إلى تاريخ الرسول وتواريخ الخلفاء ، ومن تلا الخلفاء من الملوك والسلاطين في الممالك الإسلامية ، لتعرفوا أن الإسلام في جميع عصوره لم يكن إلا دين نضال

وشريعة الكفاح وضع قواعدها نبيّ الإسلام : فهو أوّل رسول تجشم مكاره الجندية في سبيل العقيدة ، وأول رسول تعرض للقتل مرات كثيرة في سبيل المبدأ ، وأول رسول عاش عيش التأهب للقتال في جميع الأحوال

دخلت عليه ابنته وهو يعاني سكرات الموت فتوجعت لما هو فيه من الكرب فنظر إليها وقال : لا كرب على أبيك بعد اليوم !

والناس يفهمون أن الكرب الذي تحدث عنه الرسول هو كرب الموت . أما أنا فقد فهمت أنه يشير إلى ما عاني في حياته من أرزاء وخطوب ، وقد عاش دهره كله وهو في بلاء بالناس والزمان ، فما انتقل من حرب إلا إلى حرب ، ولا خلص من عناء إلا إلى عناء ، فحياته هي الشاهد على أن المجد لن يكون إلا من حظوظ المكافحين

والعبرة الأصيلة من حياة هذا الرسول هي الصفة الجدية بين شمائله العالية . والصفة الجِدية تظهر في سيرته منذ عهده الأول ، فقد نشأ يتيما ، واليُتم يحمل النفس على الشعور بالغربة في محيط الوجود ، والغريب يقهر على اصطناع الجد في جميع الشؤون

ومن هنا يظهر السر في عنايته بتدليل سِبطيه الحسن والحسين ، فقد كان يشعر أنه يقدم إليهما سروراً فاته الظفر بمثله وهو يتيم

ثم اتفق له في صباه أن يشتغل بالتجارة لحساب زوجته خديجة ، فكان مسئولاً أمام قوة السوق التي لا يربح فيها غير أهل الجد والصدق من الذين يكتوون بنيران المعاملة مع أقطاب الكسب من السريان واليهود ، وكانوا في ذلك العهد دهاقين الأخذ والعطاء

لم يحدثنا التاريخ عن تفاصيل الحياة التجارية التي عاناها الرسول ، ولكنا نعرف أن التاريخ لم يكن يسمح بالسكوت عن ذلك الرسول لو أنه استطاع أن يأخذ عليه هفوة من الهفوات التي تجرح الأمانة والصدق ، وهما فضيلتان لا يتحلى بهما التاجر إلا بعد جهاد شديد للشهوات والأهواء

وبفضل الكفاح الذي عاناه الرسول في ذلك العهد استطاع أن يدرس أخلاق العرب والسُّريان واليهود ، وهي أمم كانت تقتتل في سبيل المنافع أبشع الاقتتال ، واستطاع كذلك أن يتصل من قرب أو من بعد بالأخلاق الحبشية والمصرية والهندية والفارسية والرومانية واليونانية. ومن هذه التجارب تهيأت نفسه للاحساس بقيمة الجد والنضال

فإن قيل إن أكثر الأنبياء عانوا رعاية الغنم في طفولتهم ليتعودوا الصبر ، فإنا نقول بأن محمداً عانى ما هو أشق من رعاية الغنم ، عانى رعاية التجار وهو قومٌ يأكلون الجمر ، ويلتهمون السم ، ويدوسون على أشلاء الضمائر والنفوس

ومن المؤكد أن الرسول عرف الثورة على انحطاط الأخلاق بفضل ما شهد من مكاره الحياة التجارية لذلك العهد

ومن المؤكد أيضاً أن اشتغاله بالتجارة هيأ الفرصة للمعرفة العميقة بالأحوال السياسية والاقتصادية فى ذلك الزمان

ويغلب على الظن أنه لم يكن يخلو بنفسه من وقت إلى وقت إلا ليجد الفرصة للسلامة من مكايد الناس، وقد عرفهم فى ظروف لا يسلم من شرها غير من يعتصمون بالعزلة من حين إلى حين

وفى لحظة من لحظات الصفاء عرف محمد أن العناية الربانية أعدته لغرض أعظم من تثمير الأموال لزوجته الغالية ، ولكن كيف يصارح قومه بذلك الغرض وهو فى ظاهره من الكفر المُوبق فى بلدٍ قد استراح إلى الأوهام والأباطيل ؟

لا بدّ من نضال جديد ، وفى ميدان لا تكون حِراره من الصخور والجلاميد ، وإنما تكون حِراره وعِقابه من القلوب الغُلف والضمائر السوء

لا بدّ لليتيم الكهل من نضال جديد، ولا بدّ من توديع الاتجار بالعُروض والأموال للدخول فى تجارة جديدة لا يكون فيها الربح غير الهلاك بالقتل والاستشهاد ، إن لم يعصمه الله من الناس

وبرز محمد لقومه برأى كان فى نظرهم أجْرَأَ الآراء

برز لهم وهو أعزل لا يملك من السلاح غير اليقين ، وهو أضعف أدوات القتال فى عصور الظلمات

وما كان قوم محمد إلا قروماً فحولاً طاولوا الدهر وصابروا الزمان ، وكان فيهم من يملك التصرف بأحلام الأمة العربية ، ومن يقدر على إيذاء سمعته بكلمة أو كلمتين . وما هى إلا أيام حتى شاع فى جميع القبائل أن محمداً أصيب بالخبال والجنون، وفى أى أرض ؟

فى أرض بدوية تسير فيها قالة السوء بأسرع من ومض البرق

فما الذى يصنع اليتيم الكهل وقد أشيع أنه مخبولٌ مجنون ؟

رجع إلى عزيمته يستفتيها ، فحدثته بأن النضال هو أشرف ما يعتصم به كبار الرجال

وكانت أيامٌ عرف فيها محمد أن حراسة الغنم أسهل من حراسة الأصدقاء . كانت أيام عرف فيها أنه يعاود حياة اليُتم من جديد

فما الذى يصنع ؟

لا بدّ من نضال ، لا بدّ من نضال

لقد انتهى عهده بالنضال الهين الخفيف يوم كان يسهر على زاده وتجارته ليأمن غوائل الأعراب بالليل ، انتهى عهده بالجزع على ضياع صرة فيها دراهم أو دنانير يدّخرها لسرور زوجته الغالية حين يرجع من أسفاره فى تثمير ماتملك من أصول المنافع الدنيوية ، وأقبل عهد جديد ، هو عهد السهر على الضمائر والقلوب ليحميها من غوائل الشرك ، وليقيها شر الفساد والانحلال

ولكن الذين يعنيه أمر هدايتهم يرونه من أهل الفضول ، ويسمعونه أقبح عبارات السخرية والازدراء ، فماذا يصنع ؟

لا بد من النضال ، ولا بد من الترحيب فى سبيل العقيدة بالظمأ والجوع والقتل . وهنا تظهر عظمة محمد المؤيد بقوة خفية تهوّن عليه المصاعب والأرزاء

هنا تظهر عظمة الرجل المؤمن بقيمته الذاتية ، والذى يرى أن خصومه ليسوا إلا هباء فى هباء ، وإن تحصنوا بآطام السياسة والمال ، وهما أقوى الحصون

وما الذى يخاف عليه بعد ما لقى ؟

لا بدّ من نضال ، لا بد من نضال

والتفت اليتيم الكهل فرأى أنه وحيد مُضطهَد لا يؤمن قومه برسالته ، وإن كان لم يفقد عطف زوجته الغالية فى ذلك الظرف العصيب

الله وحده هو الذخيرة الباقية للمضطهدين من أصحاب العقائد والمبادئ . الله وحده هو سناد المكروبين ، وغياث الملهوفين . الله وحده هو الذى يحمى أهل الصدق والأمانة من عدوان الكاذبين والخائنين . الله وحده هو الذى يقدر على مواساة المكروب المحزون، وهو وحده الذى يبعث الشجاعة فى صدر اليائس من انتصار الحق

الله وحده هو الذى أوحى إلى اليتيم المضطهد أن يستبسل فى سبيل الحق ، ليرى انتصار الحق على القوة بعد حين

وتلفت محمد فلم ير لرسالته من ظهير أو معين غير القوة الخفية التى تحدّثه بأنه قد يصل إلى الفوز إن صبر على المكاره صبر أولى العزم من الرسل

التوجيه الأول

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى



اتجه نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشام وما جاورها قبل أن يستتب له الأمر فى الجزيرة بزمان طويل ، بل قبل أن يفرغ من قريش، ويفتح مكة ، وصحيح أنه كان قد عقد مع قريش صلح الحديبية ، فاطمأن ، واطمأنت قريش بذلك بعض الاطمئنان ، ووسع النبي أن يتفرغ لغير قريش ، ووسع قريشاً أن تستأنف تجارتها مع الشام وهى آمنة ، ولكن هذا كان قبل فتح مكة بعامين ، وكان هناك اليهود أيضاً ، وأمرهم غير هين ، وقد قضى عليهم بعد عودته من الحديبية ، فغزاهم فى خيبر ، واستخلصها منهم ، ثم دعا يهود فدك فخضعوا بغير قتال ، وتلاهم يهود وادى القرى بعد قتال يسير . ولكن هذا وسواه لم يكن قد تم لما شرع النبي — أو لما بدا أنه شرع يفكر — فيما وراء جزيرة العرب . وأكبر الظن أن تفكيره فى الشمال قديم ، فما يسع قارئ السيرة النبوية إلا أن يروعه عمق النظرة ، وبعدها ، ورحابة الآفاق التى تمتد إليها

ومن أول مظاهر هذا الاتجاه ، إرساله إلى هرقل ، وكسرى ، والمقوقس ، وملك الحيرة ، وملك اليمن ، ونجاشى الحبشة... يدعوهم إلى الإسلام ؛ وقد كانت هذه دعوة عامة ، وإذا تركنا الحبشة : فإنها فيما وراء البحر ، واليمن : لأنها داخلة فى شبة الجزيرة . فإنه يبقى الشمال ، الذى جاءت الحوادث بعد ذلك بما يخصصه . وعسى أن يكون من أول دواعى هذا التخصيص أن الحارث الغسانى ملك الحيرة، لما تلقى كتاب النبي بالدعوة إلى الإسلام بعث إلى هرقل ملك الروم يستأذنه فى أن يقوم على رأس جيش ، لمعاقبة صاحب هذه الدعوة الجديدة ، ولكن هرقل صرفه عن ذلك لأسباب لا تعنينا هنا ، فما أريد أن أكتب تاريخاً حديثاً — فقد تكفل بذلك الصديق الزميل — على الرغم من الوزارة

هو إذن نبيّ ، والنبوّة توجب التضحية بجميع المنافع ، وتفرض الاستهانة بأكاذيب المفترين على العِرض والشرف ، فلا بأس من أن يشيع كذباً أنه رجلٌ غير شريف ، وإن كان قومه عدّوه من أقطاب الأمناء ، يوم كان لا يجهر بالاعتراض على ما يرتطمون فيه من الزيغ والضلال

لا بدّ من نضال ، وهو فى هذه اللحظة يقع فى ميدان واحد هو الصبر على عدوان المكذّبين ، فإن انتصر محمد على هذا الكرب فلا كرب عليه بعد اليوم

وصرخ محمد بصوت ارتعدت له الجبال : يا معشر قريش ، أنا رسول الله إليكم !

وما كاد يفوه بهذه الجملة حتى ظهرت لعينه وقلبه ألوف وملايين من الأفاعى والصلال هى وساوس المرتابين فى دعوته السامية

ونظر فإذا هو طعام سائغ للسفهاء والأغبياء من أعداء الحق وأنصار البهتان وحدثته النفس بأن طلب السلامة أمر يوجبه العقل

ولكن القوة الخفية سارعت فحدثته بأن الرجل الحق هو الذى يستهين بأراجيف السفهاء

الرجل الحق ؟ ومن الرجل الحق بجانب النبي الحق ؟

الروح الأمين يحدثه بأنه خاتم الأنبياء ، فما الذى يمنع من أن يتحمل فى سبيل رسالته أضعاف ما تحمل سائر الأنبياء ؟

ومضى محمد يناضل ويقاتل ويجاهد حتى نقل العرب من الشرك إلى الإيمان بعد أن دفع ثمن النصر من دمه الغالى ، الدم المسفوك بالأكاذيب والأراجيف والأباطيل

ولكن ، لا بأس ، فقد سنّ لأتباعه الأوفياء شريعة النضال

زكى مبارك

والرتبة ، الدكتور هيكل باشا ، جزاه الله عن المسلمين خيراً ... وإنما كل ما أقصد إليه من ذكر هذه الدعوة التي وجهها النبي إلى الملوك ، هو الإشارة إلى الاتجاه فيها ...

ومن المحقق أن عين النبي كانت على الشام خاصة ، والشمال عامة ، وهو يعرفها حق معرفتها ؛ فقد سار فيها صبياً ، وشاباً ، ورجلاً قبل البعث . ولم يكن يخفى عليه أن حياة الجزيرة رهن بتجارتها مع الشام ، ولهذا رأى في الهجرة إلى المدينة وسيلة تعينه على السيطرة على مكة ، والتحكم في طريق تجارتها ، وكانت قبائل العرب قبل عهده ، لتفككها ، محتاجة إلى مصانعة الملوك المجاورين ، لتطمئن على هذه التجارة ، على أن النبي — فضلاً عن ذلك — كان يرى أن الشام وما جاورها ، هي الطريق الطبيعي لامتداد دولة الإسلام وانتشار الدعوة إليه ، وتخطيها حدود الجزيرة ، وغير مستغرب أن يتطلع إلى ما وراء الجزيرة ، من جاء بدين الحق للناس كافة ، لا للعرب خاصة ...

وقد تأنى ، ولم يعجل بفتح مكة ، لأنه كان واثقاً من الظفر بها في أوانه المقدور ، ولكنه وجه إلى الشمال ثلاثة آلاف قاتلوا في مُؤتة ، وكانت هذه « حملة تأديبية » صارت مقدمة لغزوة ذات السلاسل ، ثم لغزوة تبوك ، لما بلغ النبي عليه الصلاة والسلام أن الروم يتهيئون لغزو حدود العرب الشمالية . على أن الروم لم يحاربوا بل انسحبوا لما بلغهم أمر الجيش الذي سيره النبي وقوته ، فآثر النبي ألا يتبعهم ، واكتفى بالإقامة عند الحدود متحدياً متحفزاً عاملاً على كفالة هذه الحدود وتأمينها ، وقد خضع له غير واحد من الأمراء هناك وأعطوه الجزية ، وسار خالد بن الوليد بأمره فاستولى على دومة وبذلك أمّن النبي عليه الصلاة والسلام الحدود الشمالية ، وجعل من البلاد التي تعاهد مع أمرائها ، معاقل وحصوناً قائمة بينه وبين الروم ، وانتفى كل خوف من العدوان على الجزيرة وأهلها

ولكن النبي لم يكتف بذلك ، فما كاد يعود من حجة الوداع حتى أمر بتجهيز جيش عظيم أمر عليه أسامة بن زيد بن حارثة ليسير به إلى الشام . فخرج من المدينة ، ولكن الله لم يكتب له الذهاب إلى الشام فقد مرض النبي ، واشتد عليه الأمر ، فحال ذلك دون مسير الجيش ، وكان أن انتقل رسول الله إلى الرفيق الأعلى . فانصرف المسلمون إلى شئونهم العاجلة ، مثل دفنه ، واختيار أمير للمؤمنين، ثم الردة وما استوجبت من التفرغ لقمعها ولكنهم بعد أن انتهوا من ذلك ، واطمأنوا إلى استقرار الأمور في شبه الجزيرة ، شرع أبو بكر رضي الله عنه ، في إمضاء سياسة الرسول ، فوجه الجيوش إلى الشمال

والمؤرخون الغربيون يصفون أبا بكر أحياناً بأنه « محمد الثاني » ولا يعنون بذلك أكثر من أنه هو الذي شرع في رفع بناء الدولة الإسلامية التي وضع الرسول (ص) قواعدها وأرساها وقررها ، وأن موقفه من المرتدين هو الذي كفل لدولة الإسلام أن تبقى قائمة ، وأن يتيسر لها الامتداد ... على أن هذا موضوع آخر ، لا نرى أن نستطرد إليه فنخرج عما قصدنا إليه ، من بيان أن النبي عليه الصلاة والسلام هو الذي وجّه المسلمين إلى فتح الشام وما جاورها ، ولو امتد به العمر لتم ذلك في حياته ، فقد كان من الجلي أنه بعد أن اطمأن على الجزيرة وبسط عليها سلطان الدين الذي بعث به ، صار همه هذا الشمال ، ولكن الله اختاره إلى جواره ، بعد أن أتم رسالته ، وفهم عنه أبو بكر ، فاتجه بالمسلمين إلى حيث أراد النبي أن يوجههم . ومن الممكن أن يقال إن أبا بكر أراد بالزحف على الشمال أن يشغل المسلمين بالحرب والفتح ، بعد الردة وحروبها ، وهذا صحيح ، ولكن أصح منه أن هذا هو توجيه النبي عليه الصلاة والسلام ، كما فهمه أبو بكر وعمر من بعده . فالنبي لم يجيء بالدين وحده ، بل وضع قواعد الدولة الدنية أيضاً ، ورسم لها مستقبلها العالمي وعين لها اتجاهاتها جميعاً

ابرهيم عبد القادر المازني

صيام رمضان

وموازنته بصيام الثلاثين عند الصابئة والمانوية

للدكتور علي عبد الواحد وافي

لا نعلم على وجه اليقين متى نشأت فكرة الصوم فى المجتمعات الإنسانية ، ولا نكاد نعرف شيئاً يعتدُّ به عن الأسباب الأولى التى دعت إليه ، كما أن ما وصلنا عن النظم الدينية للأمم الغابرة ، لا يرشدنا إلى أول شريعة جاءت به ، ولا يقفنا على أول شعب ظهر فيه . وكل ما يذهب إليه بعض الباحثين بصدد هذه الأمور يتألف من آراء فطيرة تعتمد فى بعض نواحيها على الحدس والتخمين، وفى نواح أخرى على حجج ضعيفة قلقة ، لا يطمئن إلى مثلها المنطق السليم .

غير أنه مما لا شك فيه ، أن الصوم من أقدم العبادات الإنسانية ، ومن أكثرها انتشاراً . فلم يكد يخلو منه دين من الأديان ، ولم تتجرد عنه حياة شعب من الشعوب : جاء بملل الطوطميين والمجوس والوثنيين والصابئين والمانوية والبوذيين وعبدة الكواكب والحيوان ، كما جاء بشرائع اليهود والنصارى والمسلمين

وقد اختلفت أشكاله باختلاف الأمم والشرائع ، وتعددت أنواعه بتعدد الظروف المحيطة به والأسباب الداعية إليه . فنه ما يكون بالكف عن الأكل والشرب والاتصال الجنسى والكلام، ومنه ما لا يقتضى إلا الكف عن الأكل والشرب ، ومنه ما يتطلب الكف عنهما وعن الاتصال الجنسى ، أو عنهما وعن الكلام ... والإمساك عن الأكل والشرب يقع على وجوه كثيرة، فنه المطلق الذى يشمل جميع المأكولات والمشروبات ، ومنه المقيد الذى يتم بالكف عن بعض أنواعهما، وهو بجميع ضروبه يقتضي حرمان الجسم حرماناً اختيارياً من بعض حاجاته الطبيعية ...

ومن أنواع الصيام ما يقتضى الإمساك عن هذه الأمور اليوم كله نهاره وليله ، ومنه ما لا يقتضى الإمساك إلا نهاراً أو شطراً من النهار ، ومنه ما يبدأ بغروب الشمس ويستغرق الليل كله ، أو شطراً منه

ومن أنواع الصيام ما يكون متتابعاً يجرى فى أيام متتالية ، ومنه ما يكون مقصوراً على يوم واحد أو ليلة واحدة أو جزء من يوم أو ليلة ، ومنه ماشرع فى أيام غير متتابعة يفصلها بعضها عن بعض فترات معينة

ومن أنواع الصيام ما هو واجب يتحتم على جميع الطبقات أو بعضها بشروط خاصة ، ومنه ما هو مستحب يندب إليه جميع الأفراد أو بعض طوائف منهم . وجميع أنواع الصيام التى شرعها الدين الإسلامى تقتضى الإمساك عن الأكل والشراب والاتصال الجنسى من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس ، وليس منها ما هو فرض على جميع المكلفين العاقلين إلا صيام رمضان

هذا ، ويشبه صوم رمضان فى ظاهره صياماً شرعته ديانة الصابئين والمانوية، وسمى صيام الثلاثين، فقد جاء بالجزء التاسع من كتاب الفهرست لابن النديم أن شريعة الحرانيين المعروفين بالصابئة أو الصابئين « تفترض عليهم من الصيام ثلاثين يوماً أولها لثمان مضين من اجتماع آذار » ، وأنهم كانوا يؤدون هذا الصوم تكريماً للقمر، وأنه كان إمساكا مطلقاً عن جميع المأكولات والمشروبات من طلوع الشمس إلى غروبها . وقال فى نفس الجزء فى أثناء كلامه عن الثنوية الكلدانيين أو المانوية[1] إنه « إذا أهل الهلال ونزلت الشمس الدلو ومضى من الشهر ثمانية أيام يصومون حينئذ ثلاثين يوماً يفطرون كل يوم منها عند غروب الشمس » . وتدل عباراته أن صيامهم هذا كان تقديساً للأفلاك السماوية وبخاصة الشمس

وقد حاول كثير ممن فى قلوبهم مرض ، وممن وقفوا جهودهم على النيل من الإسلام والكيد له تحت ستار البحوث التاريخية ، والتحقيقات العلمية ، حاولوا أن يرجعوا صيام رمضان إلى صيام الثلاثين عند الصابئين والمانوية ، زاعمين أن محمداً عليه السلام قد اقتبسه من هاتين الشريعتين

ومن هؤلاء الدكتور جاكوب الألمانى . فقد قرر فى رسالة كتبها فى موضوع صيام رمضان ، بعد تحقيقات حسابية طويلة وموازنات بين التاريخ العربى والميلادى والبابلى ، أن أول سنة شرع فيها هذا الصوم وهى سنة ٦٢٣ ميلادية كان أول يوم من شهر رمضان فيها يوافق الثامن من شهر آذار ، أى أن أول رمضان صامه المسلمون كان موافقاً فى مبدئه ونهايته لتاريخ صيام الحرانيين ، وإن فى هذا أكبر دليل على أن محمداً قد اقتبس صومه عن شريعة الصابئين

(١) نسبة إلى زعيمهم الدينى مانى بن فتق . وديانتهم خليط من البابلية القديمة والمسيحية والفارسية ، وبها كثير من مظاهر تقديس الكواكب

وذهب العلامة الفنلندى وسترمارك Westermarcke إلى ما يقرب من هذا الرأى حيث يقول فى مؤلفه : The Origin and Development of Moral Ideas « إن وجوه الشبه بين صيام رمضان وصيام الثلاثين عند الحرانيين والمانوية لتحمل على الجزم برجوعهما إلى أصل واحد . فلا بد إذن أن يكون محمد قد نقل صيامه عن الحرانيين أو عن المانوية أو عنهما معاً »

وهذه لعمرى شنشنة عرفناها عن معظم من تصدى من الفرنجة لبحث عقائد الدين الإسلامى وشعائره ، فتراهم قبل أن يفهموا الموضوع الإسلامى الذى يتصدون لدراسته حق الفهم ، يوجهون كل همهم إلى البحث عن نظير له فى الشرائع الأخرى ، ولا يلبثون أن يمتروا عليه حتى يوحى إليهم تعصبهم أن هذا منقول عن ذاك، ثم لا تعوزهم الحيل والمنافذ لإلباس أهوائهم ثوب الحقائق

ومع أن المقام لا يتسع لرد مفصل على مازعموه بصدد صيام رمضان ، فإن فى النقط المجملة الآتية ما يكفل نقض مزاعمهم هذه من أساسها :

(أولاً) : لم يحدث فى الجاهلية أى اتصال فكرى أو دينى بين قريش التى نشأ فيها الرسول وبين الصابئين أو المانوية ، وقد حال دون هذا الاتصال أمور كثيرة، منها اختلاف اللغة والخط والثقافة والحضارة ، ومنها بعد المسافة بين مواطن هؤلاء وأولئك ، فقد كانت بلاد الصابئين والمانوية فى حدود فارس من الغرب على حين أن القرشيين كانوا يقطنون الحجاز والمواطن المتاخمة له ، وكانت أسفارهم التجارية لا تتجاوز طريقى الشام واليمن ، يسلكون أحدهما فى رحلة الشتاء والآخر فى رحلة الصيف ، ولم ينقل عن الرسول عليه السلام أنه اتصل قبل بعثته بأحد من الصابئين أو المانوية أو عنى بدراسة شرائعهم أو وقف على شىء منها ، وظل هذا حاله إلى ما بعد رسالته بأمد غير قصير

(ثانياً) إن صوم رمضان يختلف اختلافاً جوهرياً فى شروطه وقواعده ومقاصده ووقته وطريقة أدائه وحكمة تشريعه عن صوم الثلاثين عند الصابئين والمانوية ، فليس بينهما من وجوه الشبه إلا الاتفاق فى عدد الأيام وتتابعها ؛ وهذه ناحية شكلية من التعسف اتخاذها دليلاً على أن أحدهما منقول عن الآخر . على أنهما يختلفان فى هذه الناحية نفسها اختلافاً غير يسير .فالصيام الإسلامى مدته شهر عربى (وهذا الشهر يختلف باختلاف السنين ، فتارة يكون ثلاثين يوماً وتارة تسعة وعشرين) ؛ على حين أن صيام الصابئين والمانوية مدته ثلاثون يوماً . والصيام الإسلامى يبتدئ بابتداء الشهر وينتهى بانتهائه ، أما صيامهم فيبتدئ من اليوم الثامن من الشهر وينتهى فى الشهر التالى له

(ثالثاً) إن اختيار رمضان بالذات ليس سببه اتفاق مبدئه فى أول عام شرع فيه الصوم مع مبدأ صيام الصابئين ، كما ذهب إلى ذلك الدكتور جاكوب ، وإنما سببه — كما صرح بذلك الكتاب العزيز ، وكما يدل البحث التاريخى المجرد عن الهوى — أنه الشهر الذى أنزل فيه القرآن . فلا غرو أن اختصه الله بهذه المزية من بين سائر الشهور

(رابعاً) هذا إلى أن القرآن الكريم ينص على أن ما سن لنا من الشرائع قد سن مثله لكثير من الأمم قبلنا . قال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيمَ وموسى وعيسى ... الآية » . وقال عزّ وجل : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ... » فمن الممكن إذن أن يكون صيام الثلاثين عند الصابئين والمانوية مستمداً فى الأصل من شريعة سماوية تقادم عليها العهد فدخلها التحريف والتبديل وبعدت عن غايتها الأولى وصبغت بصبغة التقديس للكواكب ، وأن الدين الإسلامى قد كتب نفس الصوم الذى كتبته هذه الشريعة ، فأحياها طاهرة نقية وقضى على كل ما علق بها من أدران الشرك

وقد ذهب بعض المؤرخين من المسلمين وغيرهم إلى أن صيام رمضان كان منتشراً عند بعض قبائل العرب فى الجاهلية ولا سيما قريش ؛ ويؤيدون رأيهم هذا بأن النبى عليه الصلاة والسلام نفسه كان قبل بعثته يقضى فى غار (حراء) شهر رمضان من كل عام متحنثاً صائماً . وقد اختلفوا فى أصل هذا التشريع . فمنهم من يرى أنه من الشرائع التى جاء بها إبراهيم عليه السلام ، ويستدل على ذلك بأن الذين ثبت أداؤهم لهذه الشعيرة فى الجاهلية كانوا من المعروفين باتباعهم لملة إبراهيم ؛ ومنهم من يرى أن عبد المطلب جد النبى عليه الصلاة والسلام هو أول من سنه وسار عليه (وقد أخذ بهذا الرأى الأستاذ موير فى كتابه « حياة محمد »)

ولكن لم يثبت بعد شىء من هذا كله بالدليل القاطع . ومهما يكن ، فإنه لا يضير الدين الإسلامى فى شىء أن يكون صيام رمضان متبعاً عند العرب قبل بعثة الرسول . فمن المحقق أن الشريعة المحمدية أقرت كثيراً من عادات العرب وشعائرهم ، وأن ركناً كبيراً من أركانها وهو الحج لم تدخل على أوقاته ومناسكه فى الجاهلية تغييراً كبيراً .

على عبد الواحد وافى

باسمك اللهم

للأستاذ محمد سعيد العريان



اليومَ هلالُ المحرم من السنة السابعة بعد البعثة

وقد وقف أبو الحكم ابن هشام المخزومى موقفه من نادى قومه، واجتمع إليه قبائلُ من أشراف مكة وذوى الرأى من قريش يسمعون مقالته؛ وما منهم أحد إلا كان له بلاء فى إيذاء محمد وصحابته حتى بلغوا فى الكيد لهم ما بلغوا ولم ينالوا منهم منالاً؛ فإن أبا الحكم وأصحابه اليوم لفى هم ناصب وأمر عظيم ...

إن أمرهم ليوشك أن يفلت من أيديهم، وهم أعلى قريش منزلة ومكانة بين سائر العرب، من الساحل إلى أطراف البادية. وهذا محمد وإنه لرجل فرد ليس له منعةٌ من أهل ولا عصبيةٌ من دم ولا جاه من غنى، وإنه على ذلك ليحاول أمراً يفرّق جماعتهم ويفيّل رأيهم ويلحد فى آلهتهم وما يعبدون؛ حتى ليوشك لو خلّوا سبيله أن يكون هو صاحبَ الرأى والسلطان فى العرب جميعاً ... وأين هو من هؤلاء وأنى يبلغ ؟

ولقد افتنَّت قريش فى حربه ومناهضة دعوته والكيد له ولأصحابه ما بلغ بهم الجهد، ليصرفوه عن وجهه ويفضّوا صحابته من حوله؛ فما بلغوا شيئاً مما أرادوا، وإن دعوته لتنتشر وتذيع حتى يتسامع بها العرب، وإن أصحابه ليزيدون ويكثرون، وإن قبائل العرب من قريب ومن بعيد لتسمع عنه وتعرف من خبره ما لا يريد أبو الحكم بن هشام وحزبه أن يعرف أحد؛ بلى، وإن هـذه الدعوة لتطوى البيداء وتجتاز البحر من ساحل إلى ساحل حتى تجد الطمأنينة والسلام فى بلد المسيحية من مملكة النجاشى !

يا للعاقبة لو بلغ محمد ما أراد !

***

... واجتمع وجوهُ قريش وأصحاب الرأى فى مكة يتشاورون ليدبروا لهم أمراً ...

وقال أبو الحكم بن هشام :

« يا قوم، أما إنه ليوشك أن يكون أمرٌ شديد ! وإن هذا الرجل ليبالغ فيما يدعو إليه حتى كان ما كان من أمره؛ فإن لم يكن قتْلُه واستئصال خضرائه حتى نذهب بدعوته وتذهب به، فليكن تدبيرٌ جديد ... »

وتطاولت الأعناق تترقب ما يكون من تدبير أبى الحكم فى جهاد محمد وأصحابه، واسترسل يقول :

« ... ألا إن هذا الحيّ من بنى عبد مناف هو منا ومنكم حيث علمتم؛ وإنهم ليطلبون غايةً ليس إليها سبيل، أفنتركهم وما يحاولون حتى يئول أمرهم إلى أمر ؟ ...

« ... وهذا أبو طالب بن عبد المطلب يمنع ابن أخيه أن يخلص إليه ما يكره، فما لنا سبيل عليه بعدُ؛ فليجتمع أمرهم على ما يريدون وليجتمع أمرنا؛ ولتكن براءةٌ قاطعةٌ بيننا وبين هذا الحى من قريش : لا معونة بيننا وبينهم فى أمر؛ فلا نبيعهم شيئاً، ولا نبتاع منهم، ولا نخالطهم فى شيء؛ وكل رحم بيننا مقطوعة حتى يفيئوا إلى أمرنا؛ فإنهم يوشكون إن بلغتْ هذه القطيعةُ أن تجف خضراؤهم فيموتوا جوعاً وعطشاً وعُرْياً، أو يعودوا إلينا مغلوبين وما تجرد سيف من غمده ولا أُريقَ دم !

« يا قوم، فإن رأيتم فهذه يدى، وليكن بيننا عهد مكتوب نعلقه فى جوف الكعبة توكيداً لما تقاسمنا عليه ... وإن أبيتم ... »

وصاح صائح من أقصى المجلس : « رضينا يا أبا الحكم ! »

وجاء كاتبهم منصور بن عكرمة فأملى عليه :

« باسمك اللهم ...

« هذا ما تعاهد عليه أشراف مكة وذوو الرأى من قريش : أبو الحكم بن هشام، وأبو لهب بن عبد المطلب، ومنصور ابن عبد شرحبيل، وبغيض بن عامر ... أنهم بُرآء من بنى هاشم وبنى المطلب، لا يبيعونهم شيئاً، ولا يبتاعون منهم، ولا يخالطونهم

فى شىء ، وكل رحم بينهم مقطوعة ، حتى يفيئوا ... »

وتناول أبو الحكم الصحيفة فطواها ، ثم علقها فى جوف الكعبة ، ليشهد الله أمرهم وأمر بنى عبد مناف !

***

وأوى محمد وأصحابه إلى شعب أبى طالب من شعاب مكة ، حتى يقضى الله أمراً بينهم وبين بنى عمهم من قريش ، ليس لهم مطامع إلا فيما بين أيديهم من طعام ولباس وشراب ، ولا يعرفون إلى كم يمتد الحصار المضروب عليهم فى هذا الشعب الضيق ليس له إلا باب واحد يقف الأعداء بمرصد قريب منه يمنعون أن يدخل إليهم داخلٌ بشىء من الزاد أو الميرة ...

وتتابعت الشهور شهراً فى أذيال شهر ، والمسلمون فى معتقلهم من شعب أبى طالب ، لا يجدون من الطعام ما يغنى من جوع ولا من اللباس ما يدفىء من قر ، إلا ما يتسلل إليهم فى جنح الليل من شىء ليس فيه غناء يُرسله إليهم مَن يرسل من أبناء عمومتهم على حذر ورقبة !

وجاء الموسم ، وأمَّ الحجيج من قبائل العرب سوقَ مكة يسوقون الإبل قد أُوقِرَت طعاماً وبزّاً ليبيعوا ويشتروا ويتعوضوا

وطمع المسلمون أن يكون لهم من أولئك شىء ؛ فإن هؤلاء التجار العرب فى حل مما تعاقد عليه بطون قريش ، فإن لهم أن يبيعوا أبناء عبد مناف ما يشاءون من بضاعتهم يداً بيد ؛ فما كان لهم فى تلك (الصحيفة) الظالمة رأى ولا عقد

ويخرج مَن يخرج من المسلمين ليشترى زاداً من زاد القوم ويبيعهم مما عنده ، ويقف على صُبرة من قمح بهم أن يشتريها ، ويبصر به أبو لهب فيقوم فى السوق منادياً :

« يا معشر التجار ، غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئاً ، فقد علمتم مالى ووفاء ذمتى ، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم ! »

ويسمع التجار ما قال أبو لهب ، فيزيدون على المسلمين فى السلعة قيمتها أضعافاً ، فيرجع المسلمون إلى أهليهم وما باعوا ولا اشتروا وليس فى يدهم شىء يَطعمون به ؛ ويغدو التجار على أبى لهب فيربحهم فيما معهم من الطعام واللباس !

ومضى عام وعام وأوشك ثالث ، والمسلمون حيث حَصرهم أبناء عُمومتهم من قريش ، حتى جهدوا وأشفتْ نفوسهم على التلف جوعاً وعُريا ...

ويرى محمد ما أصاب أصحابه فى سبيل الله ، فيثبتهم ويربط على قلوبهم ، ويقول :

« لقد كان مَن قبلكم ليُمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه ؛ ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ، ما يصرفه ذلك عن دينه ؛ وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله ! »

فتهدأ نفوسهم مطمئنين إلى العاقبة !

ويبلغ بهم الجهد ، حتى يأكلوا ما يسقط على الأرض من ورق الشجر ، وحتى يصنعوا ما تصنع الشاة : لا تجد أكلاً إلا ما تتقمَّم من خَشاش الأرض ومن بارض النبت فى مسايل اللِّوَى ...

ويشد سعد بن أبى وقاص على بطنه من ألم الجوع حتى يكاد يلتصق بظهره ؛ وينال منه الجوع حتى يخرج فى سواد الليل يلتمس رمقَه ، فيطأ على شىء رطب ، فيضمه فى فمه فيبتلعه ، لا يدرى ما هو ، ولا يجد له فى فمه مذاقاً ! !

ويتضاغَى أطفال المسلمين من الجوع ، وتُسمع أصواتهم من وراء الشعب صائحين من السغب والمتربة !

والمسلمون على ما بهم : لم ينل منهم الكفارُ منالاً بما صنعوا لأنهم وهبوا نفوسهم لله ؛ فلا عليهم أن يموتوا جوعاً أو يموتوا مجاهدين فى سبيل الله ! ...

***

وتسامع المشركون بما نال محمداً وأصحابَه من الجهد والمسغبة فمنهم من سرَّه ذلك ، ومنهم من ساءه ...

ويفرح أبو الحكم بن هشام بما نال المسلمين من الجهد والمسغبة ، ويستخفه الفرح حتى يأمل أملا ...

ويغضب من يغضب من قريش لما نال إخوانَهم وأبناء عمومتهم من بنى عبد مناف ، وإن كانوا على دين محمد !

ويشفق هشام بن عمرو بن ربيعة على ما نال أخاه لأمه نضلةَ ابن هشام بن عبد مناف ، وكان مع المسلمين فى شعب أبى طالب ، فيأتى ببعيره قد أوقره طعاماً وبزّاً ... فيُقبلُ به فمَ الشعب ليلاً وقريشٌ فى غفلاتها ، ثم يخلع خطامَه ويضرب على جنبيه فيدخل الشعب عليهم ليقتسموا ما يحمل من طعام وبَزّ ... وماذا يغنى بعيرٌ واحد والمسلمون كثرةٌ يكاد يقتلها الجوع والعرى ؟ ...

ويقول أبو طالب لابن أخيه : « لقد بلغ الجهد منا ما ترى ، وإن رجالاً من قريش قد استشعروا الندمَ على ما تعاقدوا عليه ، لولا شرفُ السمعة وتهمة الخيانة لأحلوا أنفسهم مما ارتبطوا به من عهد الصحيفة ! »

وابتسم محمد بن عبدالله، وقال: «يا عم، إن الله قد سلّط الأرَضة على صحيفة قريش؛ فلم تدعْ فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها، ونفتْ منها الظلمَ والقطيعةَ والبهتان!» ...

ويفرح أبو طالب ويقول: «أربك أخبرك بهذا؟»

قال: «نعم!»

... وخرج أبو طالب إلى قريش فى ناديهم ليتحدث إليهم فى أمر ...

ويصعب على هشام بن عمرو ما يلقى أخوه نضلة والمسلمون معه، فيمشى إلى جماعة من أشراف قريش لهم فى بنى عبد مناف صهر وخئولة؛ فيحرضهم على نقض الصحيفة، رعاية لحرمات النسب وحفاظاً على حق الدم، فيجتمع على رأيه بضعة نفر، فيتوافون على ميعادهم إلى حيث كان وجوه قريش مجتمعين فى ناديهم من الحجر؛ ويقدمهم زهير بن أمية (وأمه عاتكة بنت عبد المطلب) فيطوف بالكعبة سبعاً ثم يقبل على الناس فيقول:

«يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباع ولا يبتاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة!»

ويرتاع أبو جهل بن هشام لما يسمع، فلا يكاد يرد رأيه حتى تأخذه الأصوات من كل جانب: «مزقوا الصحيفة، لا نرضى ما كُتب فيها ونبرأ إلى الله منه!»

تلك كانت أصوات هشام بن عمرو وأصحابه الأربعة: المطعم ابن عدى بن عبد مناف، وزهير بن أمية بن المغيرة، والعاص ابن هشام، وزمعة بن الأسود

ويبلغ الغيظ بأبى جهل وأصحابه ما يبلغ، أن رأوا ما أجمعوا عليه يحاول أن يخرج من أيديهم حين ظنوا أنهم من الغاية التى يهدفون إليها على خطوات، وأن محمداً وأصحابه يوشكون أن يفيئوا ...!

وقال أبو جهل: هذا أمر قضى بليل، وما أحسبكم إلا دبرتموها فى غير هذا المكان!

ويقدم أبو طالب بن عبد المطلب فى جماعة من بنى أبيه قد لبسوا أحسن ما يجدون من الثياب؛ فما إن يسمعون ما يقول أبو جهل حتى يبتدره أبو طالب: «بل هو أمرٌ قد قضاه ربُّ محمد!»

والتفت أهل النَّدِىّ إلى حيث كان أبو طالب فى أهله، لا يدرون ما يعنى مما يقول!

وتقصَّفَ الناس على أبى طالب يستثبتونه عما قال، ومضى فى حديثه:

«... بلى، وإن بيننا وبينكم هذا العهد المكتوب فى الصحيفة، فإن ابن أخى أخبرنى من أمرها ... فهلم إلى صحيفتكم؛ فإن كان كما قال ابن أخى فانتهُوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها؛ وإن كان كاذباً دفعتُه إليكم فما شئتم فافعلوا به!»

ووثب المطعم بن عدى إلى حيث كانت الصحيفة فى جوف الكعبة، وفض غلافها، ونظر، ونظر القرّاء؛ فإذا الأرَضةُ قد لحستْها لم تتركْ فيها من شىء يُقرَأ إلا «باسمِك اللهمّ ...»

... ...

* * *

وخرج المسلمون من شِعب أبى طالب إلى فضاء مكة كعهدهم يوم كانوا؛ وانفك الحصار الذى كان مضروباً عليهم ثلاث سنين لا يبيعون ولا يُباعون؛ وإن كانوا من عداوة المشركين لهم وائتمارهم بهم فى حصارٍ أمنع وأبلغ؛ ولكن شيئاً من ذلك لم ينلْ من نفوسهم ولم يوهِن عزائمهم

ومضت أربع سنوات أُخر؛ ثم انطلق المسلمون من الحصار المضروب عليهم حول مكة كلها مهاجرين إلى حيث يؤلف محمد وصحابته حكومتهم فى دار الهجرة؛ ولا تمضى إلا سنواتٌ من بعدُ، حتى يكون محمد وأصحابه فى طريقهم إلى مكة يقودون الجحفل اللجب ليحاصروا مكة كلها ويُسلم إليهم أهلها صاغرين!

ودار الفلك دورته؛ فإذا تلك القِلّة من بنى عبدمناف وجيرانهم الذين كانوا بالأمس محصورين فى شعب من شِعاب مكة لا يجدون ما يأكلون — قد وثبوا أكبر وثبةٍ عرفها التاريخ، فإذا منهم القادة والسادة والأمراء، يضمون يدهم على مفاتيح خزائن الدنيا، ويبشرون بدين الله فى أربعة أقطار الأرض. ورفرفت الراية الإسلامية على قلاع فارس والروم والمغرب وأوربا؛ ومضى جنود المسلمين من أبنائهم وحفدتهم يطئون العروش ويقتحمون الممالك وهتافهم يدوِّى حيث كانوا: «باسمك اللهمّ! باسمك اللهم!»

محمد سعيد العريان

حكم استئنافياً بحبس مصطفى حسنين صالح الجزار بالزيتون بالقضية ن ٣٤١ السيدة سنة ١٩٣٩ استئناف ٥٦٠ سنة ١٩٤٠ بجلسة ١٦ ديسمبر عشرين يوماً لبيعه لحوماً أزيد من التسعيرة.

ضع يدك في يد محمد

للأستاذ عبد المنعم خلاف



ضع يدك فى يد محمد وسر معه فى الطريق الذى شقه له بارىء الطبيعة بين السبل المتفرقة إلى الحقيقة والعدالة والسلامة الاجتماعية، وقوة الاعتزاز بالقيوم على السموات والأرض، وشدة الحرص على اتباع أسلوبه فى حفظ الفطرة سليمة من زيغ الحس وخداع الهوى وأفن الرأى وألاعيب الذكاء... تسلم لك نفسك أولاً، والإنسانية ثانياً، والطبيعة كلها ثالثاً

فلم يبق لك بد أن تفر إلى هذا الرجل وتستعينه فى جهاد ما يجتاح الأرض الآن من الشر والتقدير السيء للنفس الإنسانية والحياة والاجتماع

ولم يبق لك بد كذلك أن تقيم المثل الأعلى الذى رسمه الله فى قلب هذا الرجل وعقله وتقذف به على الأمثلة السفلى التى رسمها الأنبياء الكذبة فى هذا الزمان

نعم إنك لست فى قوة هؤلاء الجبابرة، ولكن من هنا ستكون المعجزة. معجزة محمد فى صرع طواغيت الظلم والجبروت والحيوانية وتفريق الإنسانية وردها إلى الوحشية الأولى

إنك عرفت برأيك الحق الذى مع محمد، وتعرف الباطل الذى مع هؤلاء، فاعرف بعزمك وجهدك فى أى الصفين يجب أن تقف. ولن يغفر لك رب الحياة القيوم عليها والغيور على اطراد أسلوبه فيها أن تقف شيطاناً أخرس ترى الإنسانية — أثمن ودائع الله فى الأرض — تتخطفها الشرور وتتوزعها الأباطيل وتصرفها عن وجه الحقيقة والعدالة وتخرب بناء أجسامها وعمرانها بعد ما طال وسما

لقد سار شباب كل أمة وراء نبى كاذب يقول لهم: نحن! نحن! ولا أحد غيرنا ... فالشمس والهواء والغبراء والزرقاء لم تخلق فى عرف هؤلاء إلا لهم. وهذا كذب صارخ على الله، وحرب مصرَّحة مستعلنة لما أراده من تنويع الناس، وشرود جامح عجيب من عقل الإنسان ذى الشطحات

ونحن لن نبحث عن رجل آخر نسير وراءه ينعق لنا وننعق له ونطلب منه مبادىء أخرى تجدد حياتنا، وإنما سنبعث محمداً فى نفوسنا ونسير وراءه فيهتف لنا ونهتف معه بما هتفت به السموات والأرض وكل قائم حقيق فى الفكر والحياة والزمان الأزل الأول وفى الأبد الآخر

فلن نصاب بعبادة الأشخاص وتأليه الأفراد. وهذه إحدى نعم الله فى محمد على الديمقراطية وميراثها. فقد كفل الله لكل نفس حق سيادتها واستقلالها بالعلم والرأى حين خولها القرآن: « مأدبة الله فى أرضه » وجعل مبادئه واضحة أمامها دائماً: « ولقد يسرنا القرآن للذكر، فهل من مدكر » وعلى قدر الامتلاء من مبادىء محمد و « تمثيل » الأشخاص لها يكون مركزهم من قيادة أمتهم من غير سيادة فردية أو خيلاء عاهرة أو مجد شخصى يطلبونه ... وإنما هو ظلُّ مجد محمد وقع عليهم فأضفى عليهم لوناً من ألوانه

إن محمداً نفسه لم يطلب مجداً ولم يرد ذكر كلمة المجد الإنسانى على لسانه... وإنما كان يعرف أن المجد لله كله والتوفيق منه. وما كان قلبه يبيح له أن يطلب هذه الصغائر التى تذهب قيم العظائم. وإنما كان يذكر كلمة « الواجب » والجهاد له كثيراً...

وإن من طبيعة الرسالة المحمدية أن تحطم الأنانية الفردية والكبرياء والخيلاء والادعاء، لأنها تعرف أن هذه الصغائر لا يقوم معها حق ولا فضيلة ولا دولة ولا سيادة قومية ولا مِلِّية. ولذلك خرج العرب بعد ما وعوا ما فى ألواح هذه الرسالة خافضى الجوانب من الطاعة والرحمة والتواضع فى غير ذلة « تتكافأ دماؤهم

ويسى بذمتهم أذنابهم » قد يركب عبدهم على دابة والسيد يسير بجواره. وقد يضع ابن البيضاء لابن السوداء خده على التراب استغفاراً من تعييره مرة بسواده وتوكيداً لاعتذاره ...

لقد أوشك أن يختفى اسم الله عن إنسانية هذا العصر، ويختفى ما كان يحيط بهذا الإسم من عالم الطهر والخير والصبر وانتظار الجزاء من وجهه ذى الجلال ، ويظهر وجه الشيطان والإنسان وحدهما . فأبطال الدنيا الحاضرة يخفون اسم الله عن أعين القطعان التى أسلمت قيادها لهم ، وهم يجحدون بذلك كل جهاد أولى العزم من الرسل والمصلحين السابقين الذين أوصلوا الإنسانية إلى ما وصلت إليه ، ويبدءون فلسفة أنانية ، ولا يرون من حقائق الحياة العليا إلا القوة

إنهم شككوا الناس فى رحمة الله وعدله وأوشكوا أن يريبوهم فى وجوده ! وبذلك خبلوهم وصرفوهم عن رؤية أول حق يجب أن يرى ...

لقد يتساءل بعض الذين لم يتصلوا بأصول الحياة : أين رحمة الله فى حرب مثل الحرب العظمى أو هذه الحرب التى توشك أن تكون أعظم ؟ وأين قيمة الإنسانية التى نزعم لها القداسة مع أن بعضها ينظر للبعض الآخر باحتقار ؟ إن معنى الإنسانية لم يتحقق حتى نعترف لها بالقداسة . إن الأبيض يدوس الأسود ، والأحمر يحتقر الأصفر ، والأصفر يحقد على الأبيض، وهكذا ... فهى إلى الآن لم تعترف لنفسها بحق، ولم تعرف وضعيتها فى الحياة، ولم تدر غايتها فيها ، ولم تتفق على كلمة سواء فيما بينها . وهى لا تزال فى بلبلة من آرائها ومعتقداتها ومذاهبها . وهى لا تزال تعيش بمنطق الأحراج والغابات ، ولم تقلع بعد عن فجراتها وغدراتها وغفلاتها عن عالم السمو والعلم الذى ما خلقت إلا له .

وهذا التساؤل وهذا التشكك لا جواب له ولا شفاء منه إلا فى « الكتاب » الذى طبع اسم الله على كل شىء وفى كل وقت حتى يرى الناس به الحق دائماً ولا ينسوه . ولن يستقر كل شىء من عالم الآفاق وعالم الأنفس فى مكانه إلا إذا طبع اسم الله عليه. وعبثا يطلب مصلح استقرار النفوس ما لم يكن هـذا أداته الأولى . وهذه هى طريقة القرآن فى كل آية : أن يذيِّلها بذكر جانب من صفات الله وشؤونه

إن منطق الإسلام يستمد من قوانين الفطرة الضامنة لكل ما أخرجته من الأحياء حق الحياة وأدواتها ، ومن روح الحق الذى يملأ كل ذرة من ذرات الخليقة

إن محمداً اتصل ببارئ الفطرة وواضع قوانينها التى لا تتبدل وأتى بمنطقه ووضعه دائماً أمام عين الإنسان ، حتى لا ينسى أخلاق الله فى ملابسته لجميع أعمال دنياه ...

ألم يقل : « تخلقوا بأخلاق الله » ؟ ما أعجب هذا القول ! وما أعظم ربطه بين النفس الإنسانية والطبيعة ذات القوانين التى لا تضل ولا تُخلف !

وخلافة الإنسان فى الأرض هى أن يعمرها على أسلوب الله : أى أن يضمن الحياة لكل حى يستحقها ويقيم العدل الموزون بين العناصر ، ويستعمل قدرته ، ولا يعطلها بالجهل والمرض ... ويخلق من طين الأرض وموادها البكر الميتة آلات يقلد بها صَنعة الله ، ويسيرها بعقله وذكائه كما يسير الله الأحياء بروحه وإلهامه ... على شريطة ألا يخرجه ذلك عن نطاق الطبيعة فينسى أنه من أبنائها وأشيائها ؛ ولكنه دائماً يضل وينسى هذا ، لأنه ذو اختيار وذكاء وشطحات تباعد بينه وبين أسلوب الطبيعة ، وفتنته من هنا ... فهو يخلق بذكائه جواً صناعياً حوله يجعله منفصلاً عن سير الحياة بما عداه من الأحياء ، ويجعل بين عالمها وعاله حاجزا ! ...

فلو أنه ملك فكره وقدرته حين بدء سير حياته العقلية ، ونظر نظرة فى النجوم : نجوم السماء ونجوم الأرض ، وقال كلمة القرآن التى هى معنى الإسلام : « إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً » ومضى مع مواكب الطبيعة حادياً لها بعقله وبيانه ، نائباً عنها فى النطق باسم ربها وربه ... إذاً لوضحت أمامه طريق الحياة وتراءت له غايتها مما يبعث فيه الطمأنينة واليقين والصبر وحب العمل لها ولما بعدها . والمنطق البسيط المأخوذ من هذه النظرة الواضحة يقول : مادام الناس متفرقين مختلفين فى الفطرة ولهم حق الحياة ، فمن الجهل والظلم أن أحتقر جنساً غير جنسى أو احتكر الحياة لنفسى وحدها ما دام كل إنسان لم يخلق نفسه ... ومن حسن الحظ أن هذه النظرة الأولية الطبيعية تلتقى مع النظرة الناشئة من تتبع الميراث الصناعى لأساليب حكم الجماعة الإنسانية : أى مع أهم مخلفات الحياة الديمقراطية التى ارتاح لها الإنسان السياسى : ألا وهى حق الحياة وحريتها لكل فرد ولكل جماعة ...

ومن حسن الحظ أيضاً أن حراس الديمقراطية الآن — وإن كانوا أنقص من المسلمين بدرجة عظيمة فى تقديرهم معنى المساواة والحرية والرحمة والأخوة الإنسانية — مستعدون أن يسمعوا دعوة الإسلام لها وأن يأخذوا أصواتنا القديمة والحديثة فى الدعوة إليها والدفاع عنها ليضموها إلى أصواتهم وهم يحاربون أعداءهم

نعم نحن نفترق عنهم فى التقدير وفى الغاية ، فنحن نطلب الحق والحرية والعدالة لذاتها وللذة إحساس نفوسنا بسموها إحساساً مستنداً على حرارة الإيمان ويقين العقيدة الدينية ، وهم يطلبونها ويقدرونها لحفظ ما فى أيديهم من الحطام وأعراض الدنيا

غير أننا يجب أن ننتهز هذه الفرصة لندخل بمبادئ محمد إلى قلوب حراس الديمقراطية ، فلعل ما هم فيه من المحن والنكبات يجعلهم يقبلون على الخير والحق لذات الخير والحق ...

وما دمنا نعتمد على إعانة رب الحياة الذى نستمد من قوته وقهره للدفاع عن أسلوبه فى الطبيعة وحفظ فطرته كما أرادها ؛ فإننا واثقون أنه سيفتح لنا ثغراً فى حياة الغربيين ينفذ منها نوره الذى وضع مِشعاله الأخير فى يد محمد

وأحس أن هذا الزمان يتمخض عن انقلاب خطير ! إما إلى عصر ارتداد وانتكاس وجاهلية جهلاء ... وإما إلى عصر سمو حقيقى للانسانية . فعلى الذين وهبوا أنفسهم للحق الذى عرفوه أن يأخذوا مكانهم فى الصف الذى اختاروه : صف الطبيعة ورب الطبيعة فى هذه المواقع الفاصلة بين قوى الخير وقوى الشر

إن قلب الإنسان يفعل الأعاجيب إذا ما اتصل بالخير ...

إن المرصد الذى يرصد إرادة القدر ووجهاته حين يريد رب القدر أن يَفرقَ أمراً حكيما أو يبرمه

إنه مذياع أرضى يذيع النداء العلوى المتجدد ...

* * *

ونريد من الذين لا يعترفون بالديانات ولا يؤمنون بالغيب ولكنهم مألومون من حالة الشر التى فى الأرض الآن ، أن يقفوا فى صف محمد على أنه بطل يمثل آراءهم أصدق تمثيل وأقواه

وإن فى مبادئه عناصر بشرية خالصة مستمدة من طبيعة الأرض لا من روح السماء

فليعيشوا بمبادئه هذه فقط ، وليتركوا مبادئه السماوية للذين فى قلوبهم نوافذ ترى مالا تراه القلوب الضعيفة

ولعل النصر الذى يلاقونه من السير وراء محمد يرشدهم إلى أن فيه جانباً آخر ، فيحملهم ذلك على الإيمان بمصادر وحيه جميعها

وأؤكد أن ما فيه من السمو المتفرد سيحمل كل منصف على أن يرى تفرد قلبه وعقله بصفات لم يتصف بها أحد . وهذا أول درجات الاعتراف له بالاتصال بعالم خارج عن نطاق الأرض ما دام قد تفرد بين أبطال الدنيا الذين نظروا إلى الحياة من جهة واحدة ، بأن قلبه وسع كل حيوات الناس ، واستوعب قضاياهم ، وأتى من الله بصميم الحق الذى لا يتبدل فى الأمم والأمكنة والأزمان .

ولا يعرف قدر محمد رسول الله وطبيعة تفرده بين البشر إلا الذى أغرم بقراءة تاريخ أبطال الدنيا . إنه لن يجد قلباً ولا عقلاً وعى ما وعى عقله وقلبه من الحق الصادق والحكمة البالغة ووسائل إمساك الإنسانية على حدود العدالة

وكثيراً ما أفترض أنى نشأت غير مسلم ، وأتخيل حياتى العقلية على هذا الفرض ، وقد أصابها ما يصيب أى عقل باحث من الشكوك وآثار استعراض الآراء والمعتقدات ، فأجدنى حينئذ كأعمى يخبط فى صحراء ، كل ما لديه من الإيمان ناتج من شعوره بالعجز المطلق أمام جبروت الكون وإبهامه وإصراره على إخفاء ما وراءه من أسراره ... فماذا عساه أن يفعل إزاء هذا غير البكاء الدائم من عينيه المغلقتين المظلمتين إن كان محساً بالحياة مقدراً لمصيرها المجهول ... ؟ وغير اللعن الدائم للسموات والسعى بالإفساد فى الأرض إن كان بليد الإحساس بالحياة ، غافلاً عن مصيرها ... ؟ وغير اللِّياذ بصنم : بشرى أو حجرى أو شجر أو شمس أو قمر أو ثعبان أو بقر إن كان محدود النفس جبان الرأى ؟

أما الإيمان المشرق الواضح الذى يميز كل شىء ويضعه فى مكانه ، ويعرِّف ربَّ الكون بما يشبع رغبات العقل من غير إفساد لائتلاف العقيدة مع العلم ومع الفلسفة ويضع للانسان غاية معروفة للحياة ... فذلك ما كنت أفقده لو لم أنشأ مسلماً

وهكذا يبزغ الفجر العقلى الجديد لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وسيتحول حب المؤمنين به الباحثين فيه إلى حب عقلى وتقدير بمقاييس موضوعية لا ذاتية إذ عرفوا أن رسالته لا تضارعها رسالة حديثة أو قديمة على كثرة تقلب الدنيا فى المعتقدات والمذاهب والآراء .

(القاهرة) عبد المنعم خلاف

خبّاب بن الأرتّ

للأستاذ كامل محمود حبيب

« رحم الله خباباً ، أسلم راغبا ، وهاجر طائعاً ، وعاش مجاهداً ، وابتلى فى جسمه أحوالا ، وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا » (على بن أبى طالب)



هذا هو (خباب ابن الأرتّ) فتى لم يبلغ الثلاثين من سنى حياته ، أيدُ جَلد، وثيق الأركان متكتل العضل يغدو ويروح على حاجات مولاته (أم أنمار) وحديث قريش ما ينفك يصك مسمعيه ، وهو عنه فى شغل ... ودوّى الحديث فى أرجاء مكة يزلزل القلوب والأقدام وعلى كل لسان كلمة واحدة : محمد ... محمد ! وإن زعماء قريش وذوى الجاه فيها ليضطربون يوجسون خيفة مما جاء به محمد

وجلس خباب إلى نفسه يقلب الرأى ، وقد فرغ من حاجات سيدته : محمد ! أى بأس على الرجل ، وهو الصادق الأمين ؟ تالله ما علمنا عليه من سوء منذ كان . أفيفترون عليه الكذب بعد أن بدا الشيب فى صدغيه ؟ ثم ما هذه الأصنام التى أراهم يعبدون ؟ أخفاً أن فيها آلهة ؟ ليت شعرى أى الحزبين أهدى سبيلاً وأقرب رشداً ؟

ثم ... ثم غدا على مجلس رسول الله (ص) يريد أن يستطلع خبر الدين الجديد ؛ وإن رجليه لتختلجان من الرعب ، وإن قلبه لينفزّع من الذعر ، خشية أن تراه أعين شياطين قريش فيبطشوا به ، وهو هنا وحده لا تربطه بالقوم آصرة رحم ولا وشيجة قربى فيأمن كيدهم أو ينجو من مكرهم .. وفى مجلس النبى الكريم جلس خباب يسمع ، وإن حلاوة الحديث لتبدد وساوس نفسه ، وإن الإشراق الإلهى ليتدفق فى قلبه فيجلو صدأه ، ثم ... ثم اطمأن قلبه للإيمان ، فبدا رجلاً غيره ، يعلن عن إسلامه فى غير رقبة ولا حذر

يا عجبا ! أى سر خفى انصب فى قلب الرجل فأصبح لا يفزع من شر قريش جيماً ، وهو كان يفرق من أن تراه عين وهو يدلف إلى مجلس رسول الله (ص) ؟ لا ريب فهذا هو الإيمان الحق حين يتغلغل فى النفس ، فينتزع الإنسان من معانيه الأرضية ليكون فى معانيه السماوية فحسب

ورضى رسول الله (ص) عن خباب فكان يحبوه بعطفه ، ويخصه بعنايته ، ويألفه ويأتيه. وتناهى الخبر إلى سيدته (أم أنمار) فحاولت عبثاً أن تقف بينه وبين سيده . ولما أعجزها أن تنال بغيتها راحت تذيقه العذاب البئيس فى غير شفقة ولا رحمة . ثم ... ثم انفلت إلى رسول الله (ص) يكشف له عن أثر ميسم أم أنمار فى رأسه ، وعيناه تتحلبان من فرط الأسى ، فدعا له النبى : اللهم انصر خباباً . فما تلبث غير قليل حتى أخذت أم أنمار العلة ، فهى تعوى عواء الكلاب ، وخباب يكوى رأسها بميسم يتوهج ، علها تبرأ من علتها أو تذوق وبال أمرها

وكبر على قريش أن يقوم رجل منهم يثلب آلهتهم ويسفه أحلامهم ويعيب دينهم ، فشرى الأمر بينهم وبين النبى الكريم ، فتذامروا يتواثبون على المسلمين يعذبونهم فنوناً من العذاب ، وإن الشيطان ليوسوس لهم يريد أن يدنمهم إلى غاية ، وهم يرتدغون فى الضلالة ، ويتخبطون فى الظلمات ، وقد طم العمى على قلوبهم ، وبين أيديهم جماعة من ضعفاء المسلمين : خباب وصهيب وبلال وعمار وسمية و ... يلبسونهم أدراع الحديد ، ثم يلقون بهم بين لفحات الحر ووقدات القيظ ، وهم صُبُر على حر الحديد وأوار الشمس ، وخباب من بينهم تسخر شجاعته من غيظ الكافرين .

يا لله ! إن فى الإنسان نوازع إذا سيطرت عليه استحال إلى حيوان لا يجد فى نفسه معنى من معانى الإنسانية ، وهكذا كانت قريش حين أخذتهم ثورة الغضب والغيظ ، ورانت عليهم سورة السلطان والجاه ، فذهبوا يفتنون فى أذى المستضعفين من المسلمين ...

أى شىء جنى خباب فيلصقوا ظهره بالرضف فى قسوة وغلظة ثم ما يزالون به حتى يذهب لحم متنه ؟

أى ذنب ارتكب خباب فيأخذوه إلى نار تتسعر يسلقونه فيها ، ثم ما يبرح الواحد منهم يضع رجله على صدره ، فما يتقى الأرض إلا بظهره ؟

واستشمر خباب العذاب يأكل لحمه ويفرى جلده ، وما له مفزع سوى رسول الله (ص) فانطلق إليه يستنصره على ما يلقى من فظاظة قريش وجفوتهم ... فقال له رسول الله (ص) وإن أثر الغضب ليبدو فى وجهه : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض، ثم يجاء بالمنشار فيجعل فوق رأسه ما يصرفه عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب ما يصرفه عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ، ولكنكم تعجلون » . فخرج خباب ورفاقه من لدن الرسول يستعذبون الأذى فى سبيل الله

وفزع المسلمون بدينهم إلى الحبشة ، وخباب بإزائهم يودعهم إلى مهاجرهم ، وعيناه تفيضان من الدمع حزناً على فراق أحباء نفسه فى العزاء ورفقاء قلبه فى الشدة ، ثم هو ما يريد أن يتحول عن مشرق النور من وجه النبى الكريم ، على حين يرى فيه السلوة والعزاء ؛ وقريش تشتط فى عذابه ، فما تنال منه أرباً ، ولا تبلغ منه غرضاً وفى قلبه الإيمان ...

وهاجر ـ فيمن هاجر ـ إلى المدينة ليعيش إلى جانب سيده يشهد المشاهد كلها لا يستشعر الوهن ولا يتسرب إلى نفسه الخور، ثم هو بين صحابة الرسول (ص) فى المنزلة والشرف ...

ولحق النبى الكريم بالرفيق الأعلى ، فتهطلت عبرات خباب مدراراً حين أحس لذع الفراق فى قرارة نفسه ، غير أن الأسى ما كان ليبذر فيه غراس الوهن فى دينه أو الضعف فى إيمانه ، فانطلق إلى غايته يبذل النفس والمال فى سبيل الله ، وصحابة رسول الله (ص) يعرفون له حقه ويكرمون وفادته . وإن عمر ابن الخطاب فى خلافته ليراه يدخل عليه فيقول له : ادنُ ، فما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا عمار بن ياسر . فيأخذ خباب يريه آثاراً فى ظهره مما عذبه المشركون ...

لقد كشف عن ظهره لينشر آلام جسمه على عينى عمر ، أو ليكشف عن سمات جهاده فى دين الله ، فإذا هو قد برص من كثرة ما ناله من أذى ...

وانشقت العصا ومرج الأمر وراح كل حزب بما لديهم يفاخرون ، وخباب بالكوفة بين صحابة على تحبسه العلة ، ويقعده السقام ؛ فلا يجد القوة على نصرة علىّ بنفسه... وألح عليه المرض يدفعه إلى غاية كل حى وفى نفسه أن يتمنى الموت ، من طول ما عركه المرض ، لولا أنه سمع رسول الله (ص) يقول : لا ينبغى لأحد أن يتمنى الموت ...

وعاد خباباً نفرٌ من أصحاب رسول الله (ص) وهو فى علته التى مات فيها فقالوا له : أبشر يا أبا عبد الله ، إخوانك تقدم عليهم غداً . فتدفقت العبرات من عينيه وهو يقول : أما إنه ليس بى جزع ، ولكن ذكرتمونى أقواماً وسميتموهم لى إخواناً ، وإن أولئك مضوا بأجورهم كما هى ، وإنى أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا من بعدهم . هذا هو كفنى قباطى ، ولكن حمزة عم النبى (ص) كفن فى بردة كانت إذا مدت على قدميه قلصت عن رأسه ، وإذا مدت على رأسه قلصت عن قدميه حتى جعل عليه إذخرٌ[1] . ولقد رأيتنى مع رسول الله (ص) ما أملك ديناراً ولا درهماً ، وإن فى ناحية بيتى الآن ، فى تابوتى ، ألف وافٍ . ولقد خشيت أن تكون قد عجلت لنا طيباتنا فى حياتنا الدنيا

لا ضير ، فهذا حديث خباب بن الأرت سادس ستة أسلموا أول ما بزغ النور الإلهى من جبين المصطفى (ص) هو حديث الإيمان المحض الذى ما يزال يتوثب فى القلب فيشغله عن آلام نفسه ليذره بين الطمع والخوف

ودفن خباب ـ أول من دفن ـ بالظهر من الكوفة

ومرّ علىّ ـ حين رجع من صفين ـ بقبر خباب ، يشيّع الراحل بكلمات : رحم الله خباباً ! أسلم راغباً ، وهاجر طائعاً ، وعاش مجاهداً ، وابتلى فى جسمه أحوالاً ، وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

فرحم الله خباباً .

كامل محمود حبيب

(١) هو حشيش أخضر طيب الريح .

في دار الأرقم

للأستاذ ناجي الطنطاوي



اختفت شمس مكة وراء الأفق الساجي ساحبة ما تبقى من أشعتها الذهبية على قمم الجبال الشامخة، وعلى صدور الهضاب المتموجة، بعد أن لبثت نهاراً كاملاً تبعث الدفء والنور والحياة، وغام الأفق في مكة وبدأ ينتشر فيها الظلام، وما هي إلا لحظات حتى لفها الليل بردائه الحالك وظهرت الكواكب في سمائها تلتمع خافقة واجفة، تزيّن تلك السماء الرحيبة الواسعة كما تزين الأوسمة الفضيّة الثمينة صدر القائد الكبير؛ وأوى الناس إلى دورهم يستنشقون فيها نسيم الراحة بعد تعب النهار الطويل، ويفيئون فيها إلى الدعة والسكينة بعد صخب النهار الشديد، وبدأت أضواء المصابيح الخافتة في الليل الأسود كأنها رقع في ثوب أو دنانير في جيب

وعمّ جبل أبي قبيس سكون رهيب، وصمت بالغ، وامتدّ (الصفا) في ذروة هذا الجبل رحيباً واسعاً باسماً جميلاً، يتمشى مع (المروة) جنباً إلى جنب، يحضن بضع دور قامت على جانبيه هي دور نفر من أهل مكة رغبوا عن سكنى مدينتهم التي تعجّ بالآهلين، فأحبّوا الانطلاق إلى الفضاء الواسع، إلى الطبيعة الفاتنة، إلى النسيم الصافي العليل، فلم يُلفوا خيراً من جنبات الصفا يُلقون فيها عصيهم، ويبنون بها دورهم، ويَحيون فيها حياة هادئة سعيدة

وكان الناظر إلى هذه الدور القليلة المنثورة هنا وهناك على أرض الصفا، يستقرّ بصره على دار قد نأت قليلاً وانفردت، دار متواضعة صغيرة شيدت بالطين والقصب، وأحاطت بها الرمال الدكناء والصخور الجرداء، لا يشك أنها دار الأرقم بن أبي الأرقم ذلك الرجل العربيّ الذي كان يعيش من نتاج ناقته من اللبن، ومحصول أرضه من الشعير، لا يعرفه إلا نفر قليل من صحابه، ولا يدري بوجوده إلا أفراد معدودون من أهله

كان الأرقم مغمور الذكر، مجهول الاسم، يحيا كما كثر رجال قومه حياة ساذجة بسيطة فارغة متشابهة، هي بحياة الحيوان أشبه، يقضي نهاره في جمع الماء والحطب وسقي الزرع واستدرار النوق والأغنام، ويقضي ليله بين أهله يحدثهم ويحدثونه ثم يستلقي نائماً حتى الصباح

وقد كان من الممكن أن تظل حياته سائرة على هذا النمط ثم يموت فلا يدري به أحد؛ كما مات كثير من قومه فمات معهم ذكرهم، وقد كان من الممكن أن تبقى داره متواضعة حقيرة لا يعرفها أحد ولا يهتمّ لها إنسان، لولا أن الله سبحانه أراد لحكمة بالغة أن يجعل اسم الأرقم في فم الزمان، يتألق في التاريخ الإسلامي كما تتألق الدرة الثمينة في القصر الفخم المظلم، وأن يجعل تلك البنية الخاشعة الصغيرة المشيدة بالطين والماء، منبع حضارة هدّت العالم، ومُنبثق دين ساد الكون...

كانت الدار حقيرة كأمثالها من دور العرب في زمن الجاهلية الجهلاء، يقطنها عربي جاهلي ساذج مع أمه العجوز وزوجه الشابة وصغارهما، يحيون حياة بدوية بسيطة، لا تمتُّ بنسب إلى الحياة الفخمة المعقدة ذات التكاليف والواجبات الثقيلة، أكان يدور بخلده أن حياته ستُقلب رأساً على عقب؟ أكان يحلم أن داره ستصبح في يوم قريب أعظم مجلس نيابي قام على الأرض؟ أكان يظن أن شمساً ستشرق من داره فيعمّ نورها أرجاء الأرض ويحيا بها العالم؟...

خرج صباح يوم من داره يجول جولة بين قومه على عادته، يتسقط الأخبار، ويصغي إلى الهمسات والأحاديث... فسمع نفراً منهم يتحدثون عن محمد بن عبدالله بن عبد المطلب، حديثاً أثار

اهتمامه ، فأصغى إليه بكل جوارحه ، ولاح له من كلامهم أن دعوة جديدة سيئة منكرة يقوم بها هذا الرجل ، وبدت له شناعة هذه الدعوة وقبحها من كثرة الشتائم التي سمعها تنهال على صاحبها ، فأكبر الأمر ، وهاله أن يكون في قومه من يبتدع منكراً من القول يلفت به الناس عن دين آبائهم وعاداتهم وأخلاقهم ، وصمم ليفتشن عن محمد ، وليجتمعن به ، وليسمعن كلامه الجديد ... ومشى ذاهلاً يتملكه العجب من هذا الذي سمعه ، وهو يعرف « الأمين » أحسن قومه خلقاً وأطهرهم نفساً وأبعدهم عن المفاسد والمعاصي ، وأكثرهم أدباً وعقلاً ورزانة وحلماً وعفافاً ، وأصدقهم ، وأرقهم قلباً وأكثرهم عطفاً على المساكين والأطفال واليتامى والبائسين ... إنه لا يعرف رجلاً أطهر ولا أشرف ولا أكرم ولا أصدق من محمد ... إن قومه لم يعرفوا له كذبة واحدة ، ولم يستطيعوا أن ينسبوا إليه عملاً سيئاً قبيحاً واحداً ، فما الخبر ؟ وما هذه الدعوة الجديدة ؟ !

وسار الأرقم ، وظل سائراً ، وهو يسأل الناس الذين يلقاهم عن محمد ، حتى دل عليه ، ووصل إليه ؛ فرآه في جماعة من قومه يدعوهم ويحدثهم ، فجلس لا يشعر به أحد ، وأصغى ، فسمع محمداً يقول : « قل تعالوا أتلُ ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً، وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحشَ ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون »

وسكت محمد رسول الله ، وانفض القوم ساخرين ، واقترب الأرقم منه وقال : إن كان الإسلام ما تقول ، فأنا على دينك ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ...

***

قام النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويتلو عليهم بعض آيات القرآن الذي كان ينزل عليه ، فلا يجد منهم إلا الإعراض والهزء والسخرية ، بل كانوا يتجاوزون ذلك إلى إنزال الأذى به وبأصحابه القلائل الذين فضلوا الإسلام على الشرك ، وأمعنوا في الأذية ، وتدرع المسلمون الصبر ، ورأى الأرقم ذلك فداخل قلبه الهم الكبير والحزن المضني ، وعزم على تخفيف آلامهم وشقائهم مهما كلفه ذلك ، ووطّن نفسه على تضحية روحه وأهله وما يملك في سبيل هذه الدعوة الجديدة التي تغلغلت في كل جارحة من جوارحه

جلس في إحدى زوايا داره الصغيرة يفكر ويمعن في التفكير : لقد كنت ضالاً فأنعم الله عليّ بالإسلام ، وكنت لا أهتم بسوى نفسي وأسرتي فأصبحت يملأ رأسي التفكير في هؤلاء الإخوان الذين تربطني بهم أقوى رابطة في العالم ألا وهي رابطة الإسلام ؛ وكان أكبر واجب ملقى على عاتقي هو تأمين معاش هذه الأسرة الصغيرة فأصبح من أوجب الواجبات عليّ اليوم أن أنهض لأدعو إلى الإسلام ، لألاقي من الأذى ما لاقاه إخواني ، أو أن أحميهم بما أحمي به أهلي وولدي ، وكيف لي بحمايتهم ؟ أم كيف لي بدفع الأذى عنهم ؟ لا بد من العمل ، لا بد من العمل

وراح يستعرض المسلمين في مخيلته ليقف على عددهم ، فوجدهم ستة ورأى نفسه السابع[1] ، وفاجأته فكرة ملهمة برد لها قلبه واطمأنت إليها جوارحه : إن في داري متسعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولإخواني المسلمين ، وإن فيها أمناً لهم وخلاصاً من شقائهم ، أفلا أستطيع أن أضمهم فيها على غير علم من المشركين ؟

وأسرع إلى رسول الله ، فأعلن أمامه الرأي الجديد ، وبسط بين يديه الأسباب التي دعته إليها وقال له :

— إننا ضعاف يا رسول الله ، لا قبل لنا بهذه الوحوش الكاسرة ، وإن الأذى الذي يصيب المسلمين قد اشتدت وطأته أفلا نأوي إلى داري لنجمع شتات أمرنا ونغيب عن أعين أعدائنا وننتظر فرج الله ؟

فأكبر فيه الرسول الرحيم صلى الله عليه وسلم هذه التضحية ، وأذن له بإيواء المسلمين .

***

نشر الفجر البسّام أجنحته اللؤلؤية الخفاقة على أرجاء الكون الغارق في السكون ، المجلّل بالسواد ، الرازح تحت أعباء الوحشة ، النائم تحت كلّة الليل ، فاخترقت سُدف الظلام ومزقتها ، وأضاءت

(١) المستدرك للحاكم

أرجاء الفضاء الرحيب وأنارتها ، واحتدمت المعركة بين الجيشين : جيش الليل الذى أنهكه طول السهر وكثرة السمر، وجيش النهار الذى يملأ بردتيه عزم الشباب وتدفعه الأمانى المذاب ، وانجلى النضال عن تبدد العتمة وإشراق النور ، وأطلت ذكاء من وراء الأفق البعيد الصافى ، باسمة طروباً خلابة ، وافترت لوهاد مكة وجبالها ودورها عن ابتسامة مغرية جذابة ، فابتسمت لها مكة مجيبة شاكرة ، ورقصت على جنبات الأفق الوهاج أطياف من السحر والشعر استيقظ الناس على منظرها الخلاب ، وبدأت الحياة تدب فى أرجاء مكة التى نضت عنها رداء النوم لتستبدل به درع الجد والنشاط ، وهب المشركون غاضبين صاخبين مصممين على إفناء هذه الطغمة التى تضم أفراداً قلائل منهم ، فتنوا عن عقيدتهم بعقيدة جديدة تقضى على كل ما خلف لهم الآباء والأجداد من آلهة . وليس بعجب أن يقوموا منذ الصباح الباكر يعدون العدة لعملهم السافل الدنىء ؛ فلقد كانوا يحلمون فى الليلة الماضية — وفى كل ليلة — بهؤلاء الأفراد الذين تحملوا كل أنواع الأذى فى سبيل عقيدتهم ، ولم يكن يبدو على أحد منهم أنه سينفد صبره وتضعف مقاومته ، كانوا يعجبون لقوة رسوخ هذا الدين الجديد فى النفوس وتمكنه فيها واستهانته بكل أنواع الأذى والعذاب فى سبيل بقائه سالماً ، وكانوا يخشون إن هم خلوهم وغضوا عنهم الأبصار ولم يأبهوا لهم ، أن يجذبوا إليهم عدداً كبيراً من العرب فيصبحوا قوة لا طاقة للمشركين بها ،

وراح المشركون يفتشون عن الأفراد الصابئين فى الأسواق وفى الساحات العامة ، وفى ظل الحرم ، وفى دور مكة المجتمعة ، ولكنهم باءوا بعد سعيهم بالفشل، ولم يجدوا لهم أثراً، كأن الأرض ابتلعتهم وغيبتهم ، فعادوا خاسرين أذلاء كما يعود الجيش مهزوماً مدحوراً . أجل، لقد اختفى المسلمون فى تلك الدار النائية القائمة على الصفا ، جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخفف عنهم الأذى ويزول عنهم الألم ، تحلقوا حوله فى خشوع وصمت يستمعون إلى آيات القرآن الكريم التى يوحى الله إليه بها ، ويصغون إلى مواعظه فتمتلئ أفئدتهم برداً وسلاماً وإيماناً ويقيناً ، وتفيض نفوسهم شجاعة وعزماً، فيشعر كل واحد منهم أن فى استطاعته أن يقاتل ألفاً من المشركين وأن يدحرهم ويردهم على أعقابهم خاسرين

جلس إلى جانب النبى صلى الله عليه وسلم فتى فى ربيع حياته ، كانت له دالة كبيرة عليه حتى إنه كان يدعو نفسه زيد بن محمد ؛ لقب نفسه بذلك حين أخرجه رسول الله إلى الحجر وقال : اشهدوا أن زيد بن حارثة ابنى يرثنى وأرثه وكان أول من أسلم من الموالى ، وجلس إلى جانبه رجل ربعة حسن الوجه رقيق البشرة ، عظيم اللحية ، بعيد ما بين المنكبين ، وضىء ، أبيض مشرب بصفرة ، جعد الشعر ، ذو جمة عند أسفل أذنيه ، جذل الساقين ، طويل الذراعين ؛ ذلك هو عثمان بن عفان ذو النورين الذى يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل نبى رفيق ، ورفيقى فى الجنة عثمان . وجلس إلى جانبه طفل صغير لا يتجاوز العاشرة من عمره هو الزبير بن العوام حوارى رسول الله وابن عمته صفية بنت عبد المطلب علقه عمه فى حصير ودخن عليه ليعود إلى الكفر فقال : لا أكفر أبداً ، وظل متمسكاً بدينه يحرص عليه حرصه على روحه . وجلس إلى جانبه رجل طويل القامة أبيض مشرب بحمرة ، حسن الوجه ، رقيق البشرة ، أهدب الأشفار ، أقنى الأنف ، طويل النابين الأعليين ، ضخم المنكبين ، غليظ الأصابع هو عبد الرحمن بن عوف . وإلى جانبه شاب فى العشرين من عمره نشيط قوى حديد النظرات مفتول الساعدين هو سعد بن أبى وقاص. وجلس فى الناحية المقابلة رجل مربوع إلى القصر ، أبيض يضرب إلى الحمرة ، ضخم القدمين ، رحب الصدر آدم كثير الشعر ليس بالجعد ولا بالسبط هو طلحة ابن عبيد الله الذى أسلم على يدى أبى بكر . وإلى جانبه رجل نحيف ، معروق الوجه ، خفيف اللحية ، يبدو عليه الخشوع والتذلل هو عامر بن عبدالله بن الجراح أمين هذه الأمة . وإلى جانبه أخ لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع هو عبد الله بن عبد الأسد الذى يكنى أبا سلمة . ولقد أسلم عثمان والزبير وعبدالرحمن وسعد وطلحة على يد أبى بكر الذى كان يجلس إلى يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ملتفعاً بعباءته متوجهاً بقلبه وجسمه إلى إخوانه المسلمين يؤنسهم ويكبر فيهم الثبات على الحق

وكانت الغرفة الأخرى فى الدار ممتلئة بأفراد آخرين من المسلمين كعثمان بن مظعون وأخويه قدامة وعبد الله و كعبيدة بن الحارث وسعيد بن زيد وامرأته فاطمة ابنة الخطاب . كانوا يتحدثون تارة ويذكرون الله أخرى ، ويتواصون بالصبر والثبات على كل أذية حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا

فى هذه الدار المنعزلة ولد الإسلام من جديد ، وشـيِّد أول ركن من أركانه ، وبزغ أول شعاع من أشعته الوهاجة التى أضاءت العالم ... إلى هذه الدار المنعزلة كان يأوى كل يوم أفراد من العرب يهجرون أباطيل أجدادهم وأصنامهم ويسلمون على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وينضمون إلى إخوانهم فيزيدون قوة ... ولم تمض إلا أيام قليلة حتى أصبح المسلمون فيها تسعة وثلاثين يعبدون الله مستخفين ينتظرون القوة والمدد من الله ، ولكن رجلاً لا كالرجال أسلم وانضم إليهم وكملوا به أربعين لم يرضه أن يبقوا مستخفين خائفين بل قال : يا رسول الله ، ألسنا على الحق؟ قال : بلى . قال : والله لن نبقى هنا ، ولا بد من الخروج ... ذلك هو عمر بن الخطاب

وكانت خاتمة هذه الدار التى كانت أول مرحلة من مراحل الإسلام ، خاتمة رهيبة عظيمة سارة نخمة ، إذ خرج منها المسلمون وهم يكبرون معتزين فخورين ، فكأن جدرانها وأرضها وسماؤها وكل شبر فيها قد نفخ فيهم روح العزة والفخار والجرأة ، فأصبحوا لا يبالون شيئاً فى سبيل الإسلام

لك الله أيتها الدار ! لقد لمت شمل المسلمين بعد أن كادت تفتنهم وحشية المشركين ، ولقد آويت المسلمين وأمنتهم وزدتهم قوة بزيادة عددهم . لقد كنت الحصن الذى رد عن المستضعفين قنابل الظالمين ، ولقد كنت أول مسجد جمع المؤمنين تحت راية رسول الله وفى كنفه

سنذكركِ كلما ألمت بنا النكبات ، وحاقت بنا المصائب ، ودهتنا الدواهى ، وسنتأسى بذكراك كلما رأينا ضعف المسلمين وخذلانهم ، وتأخرهم وذلهم ، فلن يعرف اليأس إلى نفوسنا سبيلاً ولن يزيدنا الضعف إلاّ قوة . لقد كان المسلمون فيك أفراداً معدودين لا سلاح لهم إلا إيمانهم وعقيدتهم ، تألب عليهم قومهم وناصبوهم العداء والأذى وهم ألوف مؤلفة ، ولكن النتيجة كانت للاسلام الذى قضى أيام طفولته فى دار الأرقم

عليكِ وعلى صاحبكِ وأضيافه رحمة الله ، وعلى أشرف الخلق صلاة الله وسلامه

(دمشق) ناجى الطنطاوى

من معاني الهجرة

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى



لعل أكبر أيام الإسلام بل أيام الإنسانية كلها بعد يوم الرسالة هو يوم الهجرة

لقد كانت الهجرة الكريمة بدء عهد عزة الإسلام وانتشاره ، عهد الجهاد الإيجابي فى سبيل الله بالنفس والمال . إن النبي صلوات الله عليه كان طبعاً يجاهد فى سبيل الله بالنفس منذ الأول بتعريضه نفسه الشريفة للخطر الشديد فى تبليغ الدعوة قبل الهجرة . أما المسلمون قبل الهجرة فكان جهادهم جهاد المستضعفين : كان جهاد صبر على الأذى وتمسك بالدين رغم الاضطهاد ، ومن يقرأ تاريخ الإسلام قبل الهجرة ير عجباً من أمثلة ذلك التمسك رغم الأذى البالغ والعذاب الشديد . لكن الجهاد فى سبيل الله يجب ألا يقتصر على الجهاد السلبي ، جهاد الصبر على الأذى من غير مقاومة إيجابية للمؤذين . صحيح أن المسلم يجب أن يتمسك بدينه وأن يعمل به رغم كل المثبطات ورغم كل الصعاب لكن يجب عليه أيضاً ألا يقر للذل ، ولا يقيم على الضيم ، فإن الإسلام دين عزة « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » . فإذا وُجد المسلم بدار مَذلة ، لا يستطيع أن يقيم فيها دينه كما يجب أن يقام ، وجب عليه أن يهجر تلك الدار ولو عزت عليه ، وأن يهاجر منها إلى حيث يستطيع أن يعبد ربه ويقيم دينه حراً عزيزاً لا يخضع إلا لله ، ولا يرى لأحد حقاً عليه إلا بحق الله

وهذا هو درس الهجرة الأول . لقد هاجر النبي صلوات الله عليه من مكة وهى أحب بلاد الله إليه ، وهاجر المسلمون الأولون وقلوبهم تتلفت إلى ما خلفوا وراءهم من الأهل والمال والوطن . تتلفت ولكن لا تؤثر على الدين من ذلك كله شيئاً . إذا لم يمكن إعزاز الدين وإحياؤه وإقامة أحكامه إلا بمفارقة ما يعز من أهل ومال ووطن ، فليفارقه المسلم ويهاجر فى سبيل الله فراراً بدينه وطلباً لإعزازه . « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مُراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » وصدق الله

إن واجب الإنسان الأول هو واجبه نحو خالقه الذى خلقه ورزقه الأهل والولد والمال والوطن . الأهل والولد والمال والوطن والنفس من أجلّ نعم الله على الإنسان ، لكن من الحق أن يجعل الإنسان نعم الله عليه سبباً لمعصية الله أو الكفر به ، من الحمق الطبق أن يؤثر الإنسان على ربه شيئاً مما وهبه ربه ، فإيثار الدين على كل ما يعزه الإنسان من مال وأهل ونفس ووطن هو درس الهجرة الثانى ، الذى يجب أن يتعلمه المسلم ولا ينساه ، هما درسان عظيمان من دروس الهجرة النبوية الكريمة يجب ألا ينساهما المسلم : درس عدم الإقرار للذلة فى الدين بأى صورة أو لأى سبب ، ودرس إيثار الله ودينه على كل شىء مما خلق الله ومما يعلق به قلب الإنسان

إن قلب المسلم يجب ألا يستشعر خوفاً غير خوف الله ، ولا رجاء إلا رجاء الله الذى خلقه والذى له مقاليد السموات والأرض وبيده نواصى العباد . هذا هو التوحيد المطلق ، وهذا هو الإسلام لله ، ومدى التفاضل والتفاوت فى هذا واسع عظيم كما نرى ، لكن على المسلم أن يجتهد فى تحقيقه ما استطاع . عليه أن يحب الله فوق كل شىء ؛ ويؤثر الله على كل شىء ، ويضحى فى سبيل الله إذا لزم الأمر بكل شىء ، ولو اقتضى ذلك الخروج فى سبيل الله عن المال ، والتضحية فى سبيل الله بالنفس والأهل والمهاجرة فى سبيل الله عن الوطن ، إن كان الوطن مما لا يستطيع المسلم أن يقيم فيه الدين

لكن من فضل الله علينا وعلى المسلمين اليوم أن عافانا من ذلك الامتحان الشديد ، امتحان ترك الوطن فى سبيل الدين . فوطننا والحمد لله وطن إسلام وليس وطن كفر ، وهو والحمد لله وطن أمن للدين والمتدينين وليس وطن اضطهاد كما كانت مكة

حين هاجر منها الرسول صلوات الله عليه . فوقف المسلمين اليوم فى هذا البلد وفى كل بلد مسلم ليس هو موقف الرسول صلوات الله عليه والمسلمين فى مكة قبل الهجرة ، ولكن هو موقف الرسول صلوات الله عليه والمسلمين فى المدينة بعد الهجرة . أعزوا الإسلام فيها ودافعوا عنه كل مهاجم أو مغير ، ولم يقبلوا لحظة واحدة أن تكون كلمة فى مدينتهم فوق كلمة الله ، أو يكون الحكم فى أرضهم إلا لله؛ وهذا هو واجب المسلمين الآن، واجبهم أن يعزوا دين الله فى بلادهم كما أعزه رسوله والمؤمنون الأولون ، فلا يقبلوا فى دينهم مطعناً ، ولا لأحكامه مخالفة ، واجبهم أن يثبتوا فى بلادهم ويثبتوا الإسلام فيها كما فعل النبي فى المدينة ، وأن يدفعوا عن دينهم وبلادهم كل مهاجم ومغير

وليس الدفاع عن الإسلام وبلاده بالسيف والمدفع فقط . هذا هو آخر الدفاع ، لكن أول الدفاع وأهمه هو الدفاع عن روح الإسلام فى بلاده . إن روح الإسلام إذا ضعف فى المسلمين فلن يتحملوا فى سبيل الإسلام أذى ولا جهداً ، فضلاً عن أن يريقوا فى سبيله من دمائهم دماً . إن روح الإسلام وحبه يجب أن يتغلغل فى قلب كل مسلم ، فإن تغلغل فسيحرص المسلمون على إقامة الدين وسيعرفون كيف يعزونه ويعزون أنفسهم به

لكن أنى لروح الإسلام أن يتمكن من قلب المسلم وهو يجهل الإسلام ولم يُنَشَّأ فيه ؟ إن النشأة والتربية هى التى تصبغ الناشئ بصبغتها وتوجهه فى الحياة . والنشأة الإسلامية مفقودة فى الأقطار الإسلامية منذ أمد طويل، ولو كانت موجودة كما ينبغى أن توجد، لعرف المسلمون دينهم كما ينبغى أن يعرفوه، وإذن لعرفوا كيف يحبونه ويعزونه كما ينبغى أن يحبوه ويعزوه . إذن لعرفوا كيف يدفعون شر العوامل الكثيرة التى تحاول أن تضعف الإسلام فى نفوسهم وتغزوه فى قلوبهم ، ولعرفوا ماذا يقبلون من هذه المدنية الغربية المغيرة عليهم وماذا ينبذون . ليتهم عرفوا الإسلام ! إذن لأدركوا أن المدنية الغربية ليس فيها ما يحتاجه المسلمون إلا هذا العلم الطبيعى التجريبى الذى هو ملك للعقل البشرى عامة ، والذى ينبغى أن يكون ملكاً للأمم كافة ، لأنه نتيجة استعمال العقل الصادم فى بحث ما خلق الله وليس نتيجة العاطفة ، فليس فيه شىء من خصائص الأمم التى تظهر عادة فى آدابها . العلم التجريبى هو كل ما يحتاجه المسلمون من هذه المدنية الغربية . أما اجتماعيات الغرب فليس المسلم فى حاجة إلى شىء منها ، لأن رب الشرق والغرب وخالق الخلق كلهم هو الذى شرع للمسلم وللإنسانية كلها أحكام الاجتماع وأصوله مفصلة فى الإسلام ، كما أجمل للمسلم وللإنسانية كلها أمر طلب العلم الطبيعى فى القرآن إجمالاً هو أشبه شىء بتفصيل

لكن إذا كان شباب المسلمين قد فاتهم أن يربَّوا تربية إسلامية ، فإن عليهم أن يتداركوا من ذلك فى أنفسهم ما ضيعه الناس . ولا يسوِّفُن فى هذا ، فإن الأمر ليس أمر حياة أو موت ، وعزة أو ذلة ، فى الدنيا فقط ، ولكن هو أمر سعادة أو شقاء إلى الأبد فى الآخرة . ولا يقولن إن الفرصة فاتت ما داموا لم يتعلموا الدين على وجهه فى المدارس . إن الفرصة موجودة والطريق إلى تدارك ما فات مفتوح بسيط ممتع . أويدرى المسلمون وشباب المسلمين ما هو ؟ قراءة سيرة الرسول صلوات الله عليه ، وقراءة القرآن ، وقراءة الحديث ؛ ثم بعد ذلك أو بين ذلك قراءة تاريخ الخلفاء الراشدين

إن القارئين من شباب الإسلام من بنين وبنات يقبلون على قراءة الروايات ، فلماذا لا يقبلون على قراءة السيرة النبوية وهى تاريخ نشأة دينهم وحياة نبيهم ؟ إنها أمتع من أى رواية صاغها الخيال، وهى بعد ذلك حق وقع ، ومنها يعرفون من أمر دينهم، كيف نشأ وكيف نما ، مالا يعرفه كثيرون ممن لم يدرسوا الدين إلا فى كتب الفقه والأحكام

ثم إنهم يقرأون الأدب العربى: يقرأون لأدبائه المحدثين وقد يقرأون للأقدمين . فلماذا لا يقرأون الأدب السهل الخالص البالغ فى كتب الحديث ؟ إن كتب الحديث الصرف ليست كتب حواش وشروح كتلك التى يتصورها الشبان تدرس فى الأزهر . إنها كلام الرسول صلوات الله عليه يحادث أصحابه : يأمرهم وينهاهم ويعظهم ويهديهم ويشير عليهم فيما يستشيرونه فيه من أمور الحياة . إنها أنفع لطلاب الأدب من أى أدب آخر يمكن أن يقرأوه أو يدرسوه ، لأن أمور الحياة كلها يتناولها ذلك الكلام الكريم بأعذب لفظ وأسهل أسلوب : لفظ الرسول صلوات الله عليه وأسلوبه فى تبليغ رسالة الله للناس ليأخذ شبان المسلمين أى كتب الحديث الصحيحة شاءوا . ليأخذوا البخارى مثلاً وليقرأوه

بين الذكرى والعبرة

معجزة الإسلام الخالدة

للأستاذ محمد عرفة

[شعب يظهر على شعوب، ودين يعلو على أديان، وحضارة تغزو حضارات ، وقوة معنوية تزلزل الأرض وتهد الجبال]



يعجب كثير من الناس كيف استطاع محمد صلى الله عليه وسلم أن يفتح بفئة قليلة من المهاجرين والأنصار الحصونَ التي كانت حول المدينة ومكة ؛ وأن يظهر بهم على أقيال الجزيرة العربية ورجالاتها ، وعلى عقائدها وعاداتها ؛ وأن يرفع بهم في غيابة الجهل ، وضلال العقل وحيرة الإنسانية ، لواء الحق والفضيلة ، والخير والرشاد ؛ فينشر في أرجاء الجزيرة ، بهذه الفئة الصغيرة ، هدى السماء ، وشريعةَ التوحيد ، ويأتيه أهلها طائعين ، يدخلون في دين الله أفواجاً ؛ ثم كيف استطاع أصحابه بعده أن يفتحوا بهؤلاء دولَ العالم القديم: فارس والروم وبلاد السند ومصر وأفريقية والأندلس ... وقد كانوا أقلَّ عدة ، وأضعف جنداً ، وأقل دراية بفنون الحرب ، ودربة على أساليب القتال – من أمة كفارس والروم .

يعجبون من شأن هؤلاء المسلمين الأولين ، لقد كانوا بين تلك الدول والشعوب ، وهذه الحضارات والمدنيات ، كالشعرة البيضاء في فرس بهيم ، وكالطفل الصغير يصارع شجاعاً جباراً .

ولكني لا أعجب عجبهم ؛ بل أعجب كيف لم يفتحوا الأرض جمعاء ، ثم يحاولوا بعد ذلك فتح السماء ؟

كيف أعجب من ذلك ؟

لعلي أغفل قانون الكثرة ، والقوة المادية ، والفنون الحربية

لعلي أغفل البروج المشيدة ، والحصون الشامخة ، والمساكر والدساكر ، والمدن والذخائر ، والقوة والمنعة ، والعزة والشوكة ، والعلم والرأي ، والغنى والتدبير ...

لا ، لست أغفل شيئاً من هذا كله ، فقد جعلت لكل أمر قدراً ؛ بيد أني لم أغفل القوة المعنوية ، فقدرتها حق قدرها ، ووازنت بينها وبين كل ذلك ؛ فرأيتها ترجح بها كافة .

كانت القوة المعنوية في جانب ، وكانت القوة المادية في آخر

تاركين الأسانيد ، أو ليبدأوا بقراءة مختصر البخاري المسمى « مختصر الزبيدي » المحذوف منه الأسانيد الطويلة والأحاديث المكررة، ثم ليرجعوا بعد ذلك إلى البخاري نفسه إذا شاءوا، إذن لرأوا العجب العجاب من فصاحة العربية وبيانها إن كانوا طلاب فصاحة وبيان ، ولفقهوا من أحكام الدين وروحه ما لا يفقهه أو يعرفه إلا الذين استقوا من هذا الورد العذب الفياض ، وكل ذلك في غير كلفة أو عناء

ثم القرآن ! لماذا لا يقرأ الشباب الإسلامي القرآن ؟ لماذا لا يجعلون لأنفسهم حصة ولو قصيرة يقرأونها من القرآن كل يوم ؟ لماذا لا يمضي المسلم يقرأ من القرآن كل يوم شيئاً يسيراً حتى يتم القرآن كله في الزمن الذي يتمه فيه ، قصر أو طال ؟ إن القرآن كلام الله عز وجل ، حفظه الله للمسلمين وللانسانية كلها من التحريف والتغيير رحمة للناس ، فهل يغفل الشبان عن كلام ربهم سبحانه فلا يقرأونه وهم يقبلون على دراسة كلام الناس ؟

ليقرأوا القرآن – فالقرآن سهل يسره الله للذكر – وإذا لم يفهموا كلمة منه فعندهم القواميس ، وإذا لم يفهموا آية فليسألوا عنها أهل البصر بالدين . إن فعلوا — وحياتهم ونجاتهم في أن يفعلوا — فسيشعرون ، إذا قرأوا القرآن وتدبروه بطهارة نفس واطمئنان قلب لا يجدهما من لا يقرأ القرآن

ليقرأ المسلمون القرآن والحديث وسيرة الرسول وتاريخ الخلفاء الراشدين ، عندئذ لا يخشى المسلمون على شبابهم فتنة ، ولا تعلق بنفوسهم شبهة ، ولا يغلب الإسلامَ على قلوبهم غالب .

عندئذ يستطيعون أن يقوموا بحق الدين بإحسان الدفاع عنه والعمل به ، ويعرفون أي نعمة أنعم الله بها عليهم وعلى الإنسانية كلها حين أرسل صاحب الهجرة صلوات الله عليه رسولاً منه إلى الناس .

محمد أحمد الغمراوي

وكان من الحتم أن تتغلب القوة المنوية على كل شيء عداها ...

كان فى هذه الفئة القليلة من المسلمين قوة معنوية ، بعثها فيهم دينهم ، وأججها فى صدورهم نبيهم ، فآتت أكلها كل حين بإذن ربهم ، وظهرت بها معجزات الإسلام الخالدة على يد هؤلاء البواسل الأرواع حتى فتحت أرضاً ، ونشرت ديناً ، وفرضت لغة على هؤلاء الأقوياء الظاهرين فى الأرض ، ثم بعثت الحضارة والمدنية والثقافة والعرفان فى الشعوب جيماً

إنه لخليق بالباحث أن يتبين هذه القوى المنوية التى كانت تخفق بها قلوب المسلمين ، والتى أتت بهذه المعجزات الباهرة الخالدة بعد قليل من السنين

لقد فتشت عنها ، وبحثت عن مصادرها ومظاهرها ، فرأيتها تتجلى فيما يأتى :

١ — الإيمان

آمن المسلمون بشريعة الإسلام ؛ وآمنوا بأنهم على حق فى عقائدهم وآرائهم وأعمالهم ، والناس جيماً على باطل ، ومن حق هـذه العقائد الحقة ، والآراء الحقة ، والأعمال الحقة ، أن تعم البشر وأن يؤمن بها الناس جيماً ؛ وآمنوا بأنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الإنسانية السعيدة على أسس العدالة والحق والسلام . لقد آمنوا بأنهم مصلحو البشر ، وهداة الكون ، وأنهم إن مُكن لهم فى الأرض بعثوا فيها هدى ونوراً وعدلاً ، وأنقذوها من يد الظلم والوحشية ، وحرروها من استبداد الطغاة وقسوة القساة ، وغطرسة المتزعمين والمتكبرين « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »

وآمن المسلمون مع ذلك بأنهم منتصرون فائزون ، لأنهم على حق ، والحق لا بد ظافر منصور ، يستوى فى درك ثمرة النصر الأموات والأحياء ، فكل موقعة تقع ، وكل حرب تشبّ نارها ، هم فيها الرابحون ، وأعداؤهم هم الخاسرون ، فالمجاهدون من المسلمين إما أن يُقتلوا أو يَقتلوا ، فمن قُتلوا فلهم الفوز بالسعادة الآخرة الباقية ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ، ومن قَتلوا فلهم النصر والبقاء فى الأرض ، والعزة والدولة

لقد غرس هذا الإيمانَ المتشعب النواحى فى نفوس المسلمين كتابُهم الحكيم ، ورسولهم الكريم . بعث فيهم الله روح القوة والرجولة ، والإباء والبطولة ، ووعدهم بالنصر المؤزر والفوز المبين « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » . « أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » ، وزاد الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الروح فيهم اشتعالاً بقوله وفعله . أفلم تسعَ قريش إلى عمه برجالاتها ووجوهها يناشدونه البقيا على الرحم ، والحفظ للجوار ، وكفّ محمد عن تسفيه أحلامهم والسخرية بأصنامهم ، فطلب أبو طالب من ابن أخيه أن يبقى عليه وعلى نفسه وألا يحمّله ما لا يطيق من عداوة قومه ، وخصومة أرومته ، فثار هذا الداعى الكريم ، ونطق هذا الروح العظيم : « يا عمّ ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه » . وكان هذا القولَ الفصل بين قريش وبين محمد الرسول الكريم ، وضرب بهذا أروع مثل للأجيال السابقة واللاحقة

وقبس المسلمون هذه الروح ، فتجلت فى أسارير وجوههم ، ورسمت على صفحات قلوبهم ، وبدت فى كلامهم ، وفى أفعالهم ، كأنها الشهاب الثاقب ، أو الصبح المبين

فهذا رسول الله يستشير المسلمين فى محاربة قريش وقد خرج للقائهم فى غزوة بدر الكبرى ، فيقول: «أشيروا علىّ أيها الناس». فينطلق سعد بن معاذ : « والله لكأنك تريدنا يا رسول الله » . فقال : « أجل » . فقال : « يا رسول الله ، لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غداً ، إنا لصُبُرٌ فى الحرب ، صدق فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك ، فسر على بركة الله »

وهذا زيد بن الدثنة يرسله النبى صلى الله عليه وسلم فى رهط من الصحابة مع وفد من العرب ليقرئوهم القرآن ويعلموهم شرائع الإسلام ؛ فيغدر هؤلاء الأعراب فى الطريق بزيد وأصحابه ، يقتلون بعضاً ويأسرون آخرين ؛ ثم يبيعون زيداً لقريش لتقتله بدل من قتل من رجالها بيد المسلمين ؛ ويقول له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أتحبُّ أن محمداً عندنا الآن فى مكانك تُضرب عُنقه وأنك فى أهلك ؟ فيجيبه زيد : والله

ما أحبُّ أن محمداً الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنى جالس فى أهلى

هؤلاء هم المسلمون ، آمنوا فلم يقف فى طريقهم شىء فى الأرض ، وساروا كالسيل العرم لا ترده سدود ولا عقبات ، فُتِنوا فى دينهم وعذبوا ونُكل بهم وشردوا فى الأرض وأخرجوا من ديارهم وأموالهم ، فما وهنوا ولا استكانوا ولا ذلوا ولا أخلدوا إلى الأرض ، بل صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً

٢ – الاتحاد والألفة

ونرى القوةَ المعنوية فى اتحاد المسلمين الأولين وتوادهم ، كما رأيتها فى إيمانهم ويقينهم ، فقد اتحدت قلوبهم ، وتحابت نفوسهم ، وصاروا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، وأصبح المسلمون جميعاً جسماً واحداً ، سرت فيه روح واحدة قوية ، فكان يشعر بشعور واحد ، ويفكر بفكر واحد ، إذا اشتكى عضو منه تألم له سائر الأعضاء

وقد بلغ من ذلك الاتحاد المتين والمحبة الصادقة أن آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار حين نزل المدينة ليُذهب عن المهاجرين وحشة الغربة، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والوطن ، ويشد أزر بعضهم ببعض ، فكان الأنصارىُّ يقسم ماله بينه وبين المهاجر، ويؤثره على نفسه ولو كان به خصاصة

وقد ضرب المسلمون فى هذا السبيل أبلغ الأمثال للأمم التى تصبو إلى المجد والسؤدد ، فكان عطف بعضهم على بعض ، ومواساة الغنى للفقير ، والبرىء للمريض ، وتوقير الصغير للكبير ، وحنان الكبير على الصغير ، كان كل ذلك مضرب الأمثال فى مشارق الأرض ومغاربها ، ولا يزال ذكراً جيلاً لهؤلاء الأمجاد الأبطال ، والأجواد السروات الغطاريف

أين نحن من هؤلاء ؟ وأين الأرض من السماء ؟ لقد خلف من بعدهم خلف أضاعوا إيمانهم، وبددوا اتحادهم وألفتهم، فتفرقوا شيعاً، وتمزقوا بدداً، فضعفوا عن كثرة، وذلوا بعد هذه المزة الرفيعة المنيعة

فإذا شاء المسلمون أن يعود لهم مجدهم الباذخ وعزهم التليد ، فليبحثوا عن إيمانهم الذى فقدوه، وعن اتحادهم الذى بددوه، وعن ألفتهم التى أضلوها، وليكملوا أنفسهم بهذا تَعُدْ الذلة عزة، ويصرْ الضعف قوة ، وترجع إليهم العظمة الدائرة ، والسؤدد الدارس

ليؤمنْ رجال الدين أنفسُهم كإيمان السالفين ، إيمان قوة وعزم ، لا إيمان ضعف وذلة ؛ فمجرد التصديق لا ينقل قدماً ولا يحرك ساكناً . إنما الإيمان هذه الحركة المتقدة، والنار الملتهبة، والحمية للحق ، والمحبة للبشر ، والإخلاص لله، والغيرة أن تنتهك حرماته ، وتستباح محارمه، وتعصى أوامره؛ إنما هو العمل على أن يأخذوا بأيدى الناس من الظلام الدامس إلى النور المبين ... ومتى عاد هذا الإيمان إلى أهل الدين أنفسهم أعادوه إلى الناس جميعاً

... وإذا أردنا الألفة والمحبة — لنستعيد الماضى المجيد ، ونؤسس المستقبل الجديد ، على عبر اليوم وعظات الأمس — فلننظر بماذا ألف الإسلام بين قلوب أصحابه ، وبماذا غرس فيها المحبة والإخاء ؛ لقد جمع الإسلام بين قلوب المسلمين بنزع أسباب الفرقة منهم . كان العرب قبائل متعددة كل قبيلة وحدة برأسها يتعصب المرء لقبيلته ، وتعادى كل قبيلة الأخرى ، فكان بأسهم بينهم شديداً ، وحطموا أنفسهم بأيديهم ، ووأدوا سؤددهم بلجاجهم فى الخصومة والفرقة ، وأضعف بعضهم بعضاً فضعف الجميع . ثم جاء الإسلام فوسع أفقهم الضيق ، وبعد أن كان المرء يرى نفسه فرداً من قبيلة ، أصبح يرى أنه فرد من أمة ، ورأى الجميع أنهم أعضاء من أسرة أوسع ، هى أسرة الإسلام ؛ وخاف الإسلام أن يعودوا إلى ما كانوا عليه أشلاء ممزقة وقبائل متفرقة ، فقسا أعظم القسوة على من يعيد روح التعصب إلى القبيلة جذعة ، وعد هذا ذنباً خطيراً وإثماً كبيراً

فلنتبع المنهج الذى ألف به الإسلام بين المسلمين ، ولنطبّق سياسته الحكيمة الرشيدة من جديد ، فسترون المعجزة تتجدد ، والرجاء يتحقق، والحياة تبسم لنا، والمجد يصافحنا بعد عبوسها وجفائه

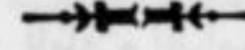
لست خيالياً أسمى إلى توحيد المسلمين جميعاً قبل اتحاد الأمة الواحدة منهم ، فأطلب الكثير وقد عجزت عن القليل ، وأطلب الفرع مضيعاً الأصل

كل أمة من الأمم الإسلامية قد قُطِّعت أحزاباً ، وفرّقت شيعاً، ففى مصر لا يتحد المصرى، كل يرى نفسه فرداً من حزبه ، قبل أن يرى أنه فرد من أمته ، وفى الأمم الشرقية الشقيقة كما فى مصر من الفرقة والانقسام .

فداء الصلح

أبو جندل بن سهيل بن عمرو

للأستاذ شكري فيصل



جلس أبو جندل بن سهيل بن عمرو في غرفته ، وقد طغى الليل على مكة ، فلفّها برداء من الصمت والسكون ؛ فما تسمع فيها إلا همسات الريح ، وحديث النجوم ؛ وحفيفاً خفيفاً تبعثه أشجار النخيل من أعماق الوادي ، كأنها بث الشكاة ، أو نجوى المحبين

واستسلم الفتى الجريء إلى نفسه ؛ وأسلس قياده إلى الذكريات تحمله على جناحيها الرفيقين ... فتخرج به من هذا الأسر الذي أراده له أبوه ، واضطره إليه ، لتطوف به في دنياه الحبيبة من الأرض ، حيث يشرق النور ، وتشع الهداية ، ويتنزل الوحي ،

ويعيش النبي الكريم في طائفة من المهاجرين المجاهدين ، والأنصار المدافعين ، والصحابة الذين آمنوا بهذا الدين ؛ فوهبوا دمهم له ، وهجروا عشيرتهم من أجله ...

وعرضت لعينيه صور ، وتدافعت في نفسه أخيلة ؛ واتقد في قلبه الحنين ؛ ... وبكى ... بكى لأنه بعيد عن رسول الله ؛ ... وأين منه يد رسول الله تمسح آلامه ، وتبارك إيمانه ، وتشع في قلبه الراحة والهدوء ؟ ! ... إن بينه وبينه لآماداً بعيدة ؛ ولقد صدوه عن هجرته إليه ، وأقاموا من دونه الأرصاد والرقباء ؛ ورموا به في هذه الغرفة الضيقة ، لا يملك أن يخرج منها أو ينصرف عنها

وتناثرت دموعه على خديه ، كقطرات الندى الناعمة ... فبللت الشعرات المبعثرة على أطراف وجهه ، وفي أسفل ذقنه ، على غير نظام ، كالنبت السائب ...

ومضى في هذه التأملات العميقة ، واستغرق فيها ... وعاش ساعاً من الزمن ، في دنيا الذكريات ، وظلال النبوة ، وعبق الإسلام ... وأحس النشوة تجرى في عروقه ، وتسرى في دمه ، ورفع بصره إلى السماء ، يسأل الله العافية في دينه أن يفتنه عنه أهله وذوو قرباه ...

ولم يطل به هـذا السكون ، فقد سمع حركة خفيفة في صحن الدار ؛ فقام يسترق الخطو إلى النافذة ... فإذا فتاة في ريق الشباب ومقتبل العمر ، تشق ظلام الليل بإشراقتها الرائعة ، فيرى لعينيها بريقاً ، ولجبينها وضاءة ، وإذا الفتاة تناديه ، وإذا هو يتحسس في صوتها صوت أخته ، فيقبل على الباب يفتحه ؛ وما يلبث أن يتبينها حتى يرتمي يقبلها ، وترتمي تقبله ، في حنان الأخوة ، وانقاد العاطفة ؛ وحماس الحب

لشد ما كان يذكرها في أيامه ولياليه ! ... فقد أنس ألواناً من وفائها الحنون ، وبرها الجميل ؛ حين كان يشتد عليه أذى أبيه ، سهيل بن عمرو ، فيدفع به إلى رمضاء مكة ؛ في لهب الظهيرة واشتداد الهاجرة ، مع طائفة من المستضعفين يكتوون باللظى المشبوب ، ويلتوون فوق الرمل المكروب ، ويذوقون أصناف العذاب الأليم ، ليرتدوا عن هـذه البدعة التي ابتدعها محمد ، فما يزيدهم ذلك إلا إيماناً فوق إيمانهم العتيد

ويجلس إليها ... ويلقى إليها برأسه ، فتمر عليه يديها

علينا أن نداوى هذا الانقسام الداخلي أولاً ، فإذا أحرزناه سعينا إلى الاتحاد الخارجي

لقد كان من شرور الحزبية ما سمعتم أولاها وشاهدتم أخراها ، حرب وانتقام ، وكراهية وانقسام ، وإغداق على الشيع والأنصار بالمناصب والألقاب ولو كانوا غير أهل ، وحرمانٌ للآخرين ونقمةٌ عليهم ولو كانوا من ذوى الكفايات

من طاوع العصبية الحزبية فانظروا إليه شذرا واعلموا أنه داعي فرقة وانقسام ؛ أنظروا إلى الحزبية كما تنظرون إلى الداء المهلك المبيد ، والشرّ الماحق المبير ، إنها قطّعت أوصالاً ومزقت شملاً ، وزرعت أحقاداً ورفعت جهلاً ، وأقصت علماء وقربت جهلة ، إنها أبعدت المصلحة العامة وأدنت المصلحة الفردية الحقيرة الزائلة

حرّموا يا قوم النظر الحزبي ، كما حرم الإسلام النظر القبلي ، وكونوا أفراداً من أمة لا شيعة من أحزاب

الإيمان والاتحاد

خطوا عليهما يا قوم مجدكم ، وارفعوا بهما مستقبلكم تتجدد المعجزة مرة أخرى « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

محمد عرفة

الناعمتين ، تهدهد أحزانه ، وتكفكف أشجانه ، وتبعث فيه العزم ويسألها عن أبى بصير عتبة بن أسيد بن جارية ، وعن أم كلثوم أخت الوليد ، وعن فلانة وفلان ، من جيرانه وإخوانه ... هل ثبت الله أقدامهم ، فصبروا على العذاب ، وصمدوا للفتنة ؛ وسكتوا على الإهانة ؟! ... ويستنطقها خبر « يثرب » والنبى ؟ ... وهذا النور الذى يغالب الظلمات ، ويكافح الضلالات ويخترق السحب ... ما شأنه ؟!! ... ألم تلمح سناه فى أفق مكة ؟ ... ألم تر بريقه فى سماء البيت الحرام ؟ ... ألم يبلغ بعد هذا الوادى غير ذى الزرع ؛ فينبت فى حفافيه الإيمان ؛ وينشر فى أجوائه الرحمة ؛ ويفجر من حجارته الصلدة القاسية ينابيع الخير والحكمة ؟ ...

وتتحرك نفسه لهذا الأمل الخاطف يلمع فى خاطره ، وهذه الأخيلة الفاتنة تداعب روحه الحزين ، فيهتز هزة الواثق المطمئن ويتحرك ... فتسمع لحركته أصوات الأغلال فى رجليه ... فتذعر أخته ، ويتملكها الخوف ، وتخشى أباها أن تصل إلى سمعه هذه الحركة فى هدأة الليل ، فيكشف من أمرها ، ما أخفته عنه وتطلب إلى أخيها أن يستقر فى مكانه فإن لها معه لحديثاً ؛ وإن الكلام ليتدفق فى فمها فلا تعرف كيف تبدأ

وينصت أبو جندل إلى أخته ، وقد أحس هذه الكلمات تتواثب على شفتيها ؛ وأدرك أن وراء هذه الزيارة المفاجئة فى حلكة الظلمة وامتداد الليل لأمراً جللاً ... فلعل الله جاعل له فرجاً ... ولعل السماء قد أنصتت إلى صلواته الخاشعة فى ساعات النسمة الهادئة

وتلتفت أخته هنا وهناك ... كأنها تخشى الرقباء ؛ ثم تنهض إلى النافذة ، وتلقى نظراتها التائهة على غرف البيت وصحن الدار ، وتجلس لتحدثه فى همس رفيق :

— إن مكة يا أخى لتنام منذ أسبوع فى مهاد من القلق ، وإنها لتتقلب على الشوك ... فما تدرى ما هى صائرة إليه ... لقد نمى إليها أن محمداً غادر المدينة « وأنه استنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه » ؛ وأنه سار نحوها فى سبعمائة رجل ... يقول إنه يريد زيارة البيت ... فما تصدقه قريش فى دعواه

وتنبسط أسارير أبى جندل ... وتملأ شفتيه ابتسامة عريضة وتتواثب الآمال فى صدره ؛ وتتراءى له هذه الجموع فى طريقها إلى مكة ، وبهم ينادى : « الله أكبر » ... ولكن أخته لا تلبث أن تضع يدها على فيه ، تسأله أن يكتم الفرحة الطافرة ، ويكبت الصيحة الظافرة ؛ ويخفى هذا المرح الشديد ... فما يرضيه أن يسلط عليها سهيل أبوه سوط العذاب

ويتظاهر أبو جندل بالخضوع للرجاء ، ويتمنى عليها بقية الحديث ، ويسألها :

— وماذا فعلت قريش يا أختاه ؟

— لقد خرجت حين سمعت بمسيره بالعوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله لا يدخلها عليهم أبداً ، فلما رأوا أن النبى قد خالفهم عن طريقهم رجعوا منذ أيام إلى مكة ، واستقبلهم الناس فى فتور ، وما أدرى ماذا صارت إليه خيل قريش يا أخى ... لقد كانت زاهية فخورة ، تقرأ فى وجهها النصر ، فإذا هى اليوم كالحة كابية ، ليس لها ذاك الزهو ، ولا تلك الإشراقة النيرة ... ترى ألست معى فى أن ذلك هو أول الانحلال ومبدأ التراجع ، وطلائع الفتح المبين الذى نترقبه من بعيد ؟!

— بلى يا أختاه ... لينصرن الله محمداً ودينه ... ثم ماذا كان ؟

— لقد أوفدت قريش رجالها إلى النبى تستوضح نياته ، وتتفهم غاياته ، وتسبر أغواره ... ولقد رجع هؤلاء الرجال يلهجون بذكر محمد ويقولون إنه « كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه ، والنجاشى فى ملكه ، وأنهم لم يروا ملكاً فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه » ويتحدثون عنه أبرع الأحاديث ، ويكبرون حجته ، ويخشون قوته ، ويعجبون ببيانه ... فلقد قال بُديل ابن ورقاء حين جاءه مع وفد من خزاعة : « إنه لم يأت يريد حرباً وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمته » وأقبلت علينا خزاعة تقول : « يا معشر قريش ، إنكم تعجلون على محمد . إن محمداً لم يأت لقتال »

ولكنك تعلم عزة قريش ، وهذه العصبية التى تعصف فى نفسها ، وهذه الحمية التى تتأجج فى صدرها ، وهذه الزعامة التى تتبوأها من العرب . وقد خشيت لذلك أن يتحدث الناس فيقولوا إن محمداً دخلها عليهم عنوة ... فلم يطمئنوا إليه ، ولم يسكنوا إلى غايته البريئة ؛ فاتهموا وفد خزاعة وجبهوهم ... ورأيتهم اليوم يتداولون الرأى ، ويتبادلون المشورة ، ويعقدون

المجالس . فهذا أبوك يذهب إلى أبى سفيان ؛ وهذا أبو جهل يسير فى وقدة الظهيرة، فيتنقل من بيت إلى بيت ، وقد ركبه الغم وغشاه القلق ، وعلت جبينه كآبة المهموم

— يا للبشرى يا أخت عبد الله[1] ! من لى بجناحين أطير بهما من هذا الأسر . . . فأكون مع النبي فى عمرته وزيارته ؟! فأين هو الآن يا أختاه ؟...

— إن محمداً وصحبه فى « ثنية المرار » يا أبا جندل ... وإنهم الآن إلى جانب تلك الشجرة[2] الضخمة القائمة هناك ... ألا تذكر لقيانا إياها فى البكور والأصائل ... والتجاءنا إليها فى الظهيرة والضحى حين كنا نمر بها فى طريقنا إلى الوادى ... صغيرين نقسم باللات ، ونقدس العزى ، ونعبد الأصنام ... ؟ ! لقد وهبنا الله عقولنا ، وبث فيها النور ، ... فآمنا ... ولن يضيع الله إيماننا يا أخى ... وسنجتمع إلى النبى ، وسنصلى معه ، وسنقرأ القرآن ... وما أحسب إلا أن وثنية مكة تتضيف للأفول ... وأن ظلامها سينجاب ... وأن جبالها ستطفح بالنور الذى يملأ الأرض ... فلقد اضطرب فيها الأمر فقام الحليس بن علقمة سيد الأحابيش يهدد قريشاً فيمن يهددها ، ويقول فى البيت الحرام بملء فيه : « يا معشر قريش ... والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أيصد عن بيت الله من جاء معظما له ... والذى نفس الحليس بيده لتُخَلُّنَّ بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفِرَنَّ بالأحابيش نفرة رجل واحد ... »

— وهل خضعت قريش لهذا التهديد ؟

— إن قريشاً لا تدرى ما تدع وما تأخذ يا عبد الله ... وهى منقسمة مختلفة فيما بينها ، لا يستقر لها رأى ، ولا تستقيم لها خطة ... وهذا (أبان بن سعيد بن العاص) يجير عثمان بن عفان رسول النبى ، وقد وصل مكة اليوم ... وصافحت عيناه أرضها بعد هجرة سنوات ، وجاء يبلغ رسالة محمد إلى أبى سفيان وعظماء قريش ... فتحتبسه قريش عندها ، وتعقد ندوتها ...

ويخرج أبوك منذ الصباح البكر ... فلا يعود إلا مع الشعاعات التى كانت تودّع المدينة ، لتنام فى أحضان الأفق ... ويدخل غرفته لا يكلمنا ولا يتحدث إلينا ... ويستدعى أمك يطلب إليها أن تسرج فرسه ، وتجمع بعض متاعه ، فهو مسافر غداً إلى النبى فى ثنية المرار

***

وتنتصب الفتاة قبل أن تنتهى من كلماتها الأخيرة ... ويتطلع إليها أبو جندل ، فيرى وجهها من جديد على أنوار القمر الضئيلة التى اخترقت النافذة الضيقة ، فيود لو أنها بقيت إلى جانبه تؤنس وحدته وتطرد وحشته ... ولكن الليل مضى إلا أقله ... وهذا غبش الفجر فى طرف السماء ، وما من شك فى أن أباه سيبتدر الصباح ، وسينهض مبكراً ليبلغ النبى قبل أن ترتفع الشمس ؛ وقد يمر به ويتفقده قبل غدوه ، فليحرص على ألا يرى أثر أخته عنده ...

وتقترب الفتاة من أخيها ... وتلامس شفتاه جبينها الوضاء ويطبع عليه قبلته كأنما يشكر لها فيها هذا الحديث الشائق، وهذه البشرى الحلوة ... ويهم بتركها لولا أن عارضاً مر بخاطره ... لم لا يهرب من الأسر ؟ ... إن أخته لتستطيع أن تمينه بما لها من حيلة ، وإن فيه لبقية من عزم لم تأت عليها هذه القيود ، وإن فى قلبه لإيماناً يدك الجبال . . . وإن كبده الحرى ليذيبها الحنين إلى النبى وإلى الجهاد ... وإن أباه ليسافر غداً ؛ وستنزاح هذه الغمة الثقيلة التى تظلل سماءه فتغيض فيها الكآبة والعبوس وتتضح هذه الفكرة فى رأسه وتتكامل صورها وأجزاؤها .. إن النبى قريب من مكة ، فليمض إليه وليسع نحوه ليجد فى كنفه الراحة والإيمان والخلاص

ويهمس فى أذن أخته هذه الكلمات ... ويسألها فى ضراعة ورجاء أن تمينه ؛ فقد سئم هذه الحياة الصعبة وبرم بالقيد الغليظ ، وإن الله لمنجيه ... والنصر قريب فلن يلحق بها مى عذاب

ويبيِّتان الأمر ... وتنصرف إلى غرفتها ، وينصرف إلى فراشه ... وينام ... ملء عينيه الأحلام المخضلة ، وملء رأسه الأمانى الندية

***

(١) الروايات مختلفة فى اسم أبى جندل، فبعضها يثبت له اسم عبد الله هذا كما فى الجزء الخامس من أسد الغابة ، وبعضها يجرده منه ويكتنى بكنيته كما فى الطبقات الكبرى لابن سعد

(٢) هى شجرة الرضوان حيث بايع النبى أصحابه على الموت ـ أو عدم الفرار كما فى رواية ثانية ـ حين بلغه خبر مقتل عثمان رسوله إلى قريش .

وفى أصيل اليوم التالى كان النبى صلوات الله عليه فى مجلسه مع سهيـل بن عمرو ، وبين يديه علىّ بن أبى طالب يكتب صلح الحديبية ، وإلى جانبه أبو بكر وعمر وعبد الرحمن وسعد ؛ وقد تناثرت فى السماء قطع من السحاب الخفيف كأنها حمامات السلام البيضاء ... وغشّى الأفق لون وردى جميل من أثر الشمس المتضيفة ، وكان يحس الناظر فى جانب من جوانبه كتلة نور لا يستطيع أن يحدق فيها ... والنسيم يروح خفيفاً هيناً يحمل السلام إلى كل نفس والهدوء إلى كل قلب ... وجماعات الصحابة تقوم لوضوئها ، وتستعد لصلاتها ، وتنعم بهذه الهداية الخالدة

فى تلك الساعة سمع الناس جلجلة قيود ، وأصوات أغلال ؛ وأبصروا . . . فإذا شبح لا يبين . . . حتى إذا اقترب رأوا فيه « أبا جندل » يرسف فى الحديد ؛ وقد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب فى جواره الأمان ، ويرجو السلام ، ويبنى الحياة لله ورسوله ... فيقبلون عليه بقلوبهم وأفئدتهم ... وعيونهم تفيض من الدمع

ويدرك النبى الكريم كل شىء ؛ وينتفض انتفاضة لا يحسها غير أبى بكر فى جواره . فقد كان نفذت منه قولة : « هذا ما عاهد عليه رسول الله سهيل بن عمرو ... » فماذا هو فاعل فى أبى جندل ؟

ويرى سهيل ابنه أبا جندل ، فيقوم إليـه « يضرب وجهه ويأخذ بتلبيبه » والمسكين ينظر إلى رسول الله وينادى : « أأرد إلى المشركين يفتنوننى فى دينى ؟ ... »

ويخفق قلب النبي الرحيم وتطرف عيناه ويغشيهما الدمع ؛ ويغمض جفنيه يحبسه أن يتدارف، وتتراءى له فى هذه الإغماضة الخفيفة أنوار « جبريل » ، وتنتشر من أمامه صفحات المستقبل ويبرز له يوم الفتح القريب وقد أقبل « سهيل » يطلب جوار ابنه ويحتمى به ، ثم تعرض له صورة سهيل بعد ذاك « كثير البكاء ، رقيقاً عند قراءة القرآن » وتظهر له الجنة فى خاتمة هذا الطواف وأبو جندل وسهيل أبوه إلى جنبيه ، قد خرجا من الدنيا شهيدين فيسرى عنه ، وتخالط أحزانه ابتسامة حلوة ، ويتمتم بكلمات صامتة ، ويقول :

« يا أبا جندل . اصبر واحتسب . فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً . إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم »

ويخالط الجزع قلوب المسلمين ، وتتملكهم الروعة ؛ ويداخلهم الهم لمصير أبى جندل ... ويقف هذا الشاب يتفرس فى الوجوه ، وقد اطمأن إلى وعد رسول الله الذى لا ينطق عن الهوى ... وتراءت له أيامه القريبة النضر ، وقد انفلت من الأسر ، وانضوى تحت راية الجهاد ... وتبرق فى نفسه بارقات الأمل ، وينصرف بعد أن يقبل يد النبى ، ويدس رأسه فى صدره

ويثب عمر بن الخطاب إلى جنبه وهو يقول : « إصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب »

***

ثم لا تكون إلا لحظات ... حتى يغيب الليل فى برده الحالك هذا الفتى الصابر ... فترتد عنه عيون الصحابة ، ولكنها تظل تفكر فيه ، وتتبع خطوه ، وتتساءل عنه ... ويسير هو إلى مكانه من البيت ، وإلى موضعه من القيد، وإلى عذابه من المشركين

(القاهرة) شكرى فيصل

الله أكبر! هلكت خيبر!

للأستاذ أحمد الشامي

[خرج النبي من المدينة لغزو خيبر في بقية المحرم من السنة السابعة وفتحها في صفر]

— ١ —

مر « كنانة بن الربيع » على « حيي بن أخطب » سيد بني النضير فرآه واجماً ينكت الأرض بعود في يده ثم يصعّد الطرف بين الفينة والفينة في حصون خيبر

فقال كنانة: أرى هذه القرية قد راعتك بحصونها، وحلت من فؤادك محلاً. طبت نفساً وطابت خيبر!

قال حيي: وكيف تطيب نفسي؟ وها نحن أولاء منذ ثلاث سنوات نعيش في غير أوطاننا مشردين في الآفاق! ونحن الذين بنينا « يثرب » بأيدينا، فأصلحنا أرضها، وأجرينا ماءها، وغرسنا جنانها، وأقمنا حصونها؛ وترانا اليوم ننزل في غير دارنا، ونأكل من غير زادنا، لأن محمداً افتتحها علينا، وأخذها عنوة منا!

لله تلك الأيام العزيزة التي قضيناها هناك أعزاء أشداء!!

كنا نقاتل الأوس بالخزرج، ونقاتل الخزرج بالأوس، ونسعر نيران العداوة بينهما ونمدها بالأسلحة ويمدوننا بأموالهم فما يزالون في تناقص وفناء، وما نزال في نعمة سابغة، وسيادة دائمة.

ولكن جاءنا ذلك الساحر الطريد، ففرقهم عنا، ونفر موالينا ولا ندري كيف جمع بين قلوبهم النافرة، وغسل أحقادهم الثائرة وشفى جراحهم الناغرة، وجعلهم أمة واحدة يأكل بهم يهود والعرب

قال كنانة: ولكنا أحسن حالاً من بني عمومتنا فلقد أخذنا من أموالنا ما تحمله دوابنا ونزلنا بخيبر هذه القرية ذات البروج المشيدة فأوينا إلى ركن شديد. أما بنو قينقاع فياحسرتاه على ما أصابهم، فعندما أخرجوا من المدينة قصدوا (أذرعات) فتناولتهم أوبئة الشام، فما انقضى الحول على نسمة تحت الشمس منهم!

— ونسيت « قريظة » إن قلبي ليطفح بالنيران كلما ذكرتهم! ماذا جنوا حتى يحكم محمد السيف في رقابهم؟ ويح يثرب! خلت من يهود!

— وكأنك أنت الذي جنى عليهم يا حيي، حركتهم ليثوروا على محمد وينبذوا له عهده. وأطمعك في ذلك اجتماع الأحزاب عليه، ولكنه سرعان ما خُذل الأحزاب، وفُت في عضدهم، وسرعان ما انقلب محمد على بني عمنا، فشفى غيظه منهم

— أجل؛ وما أردت أن يُطعن محمد بخنجرين، أقتلهما الذي يأتيه من وراء ظهره! ولكني كلما دبرت كيداً أبطله بسحره، وكأنه ملهم يوحى إليه!!

— أو تشك في أنه النبي؟! وأنت من أهل العلم والكتاب

— كلا، ما ارتبت فيه. ولكنه جاءنا من العرب وحسبناه من إسرائيل! كيف نتبعه فيملو به أجلاف الأعراب على أهل الكتاب؟ لا ورب موسى لا نلقي إليه القياد أبداً، وسنظل على بغضه وحربه حتى نفنيه أو نفنى دون ذلك.

— أتظن الرجل الذي خضعت قريش له وطالبت منه السلام في « الحديبية » ينكسر لنا؟ ما أظنه أسكت قريشاً إلا ليثور علينا وعلى قبائل العرب. أليس هو الذي يقول:

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا كلمة الإسلام فإذا قالوها حقنوا مني دماءهم ».

— ولكنّ قريشاً لم تقلها

— ستقولها يوم أن يُجلب عليها بخيله ورجله، ويخيّرها بين الكلمة أو السيف

— ونحن أيتركنا ههنا؟

— إخاله سيتعقبنا

— أو بلغك نبأ؟

— أما من محمد فلا؛ كيف يدري الناس من أمره شيئاً وهو حوّل قلّب؟ إذا أراد أن يحارب شمالاً اتجه جنوباً!

— ومن أدراك إذن بما تقول؟

— إنها رؤيا رأتها بنتك التي تحبّ فأوّلتُها

— صفية بنتي! إنها لترى وكأنما ترى بعينيها! ماذا رأت الخبيثة؟

— كأن قمراً من السماء سقط في حِجرها

— إنه وايم الحق محمد!

— ٢ —

لا هُمّ لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلّينا
فاغفر فداء لك ما أبقينا وألقينْ سكينةً علينا
وثبّتِ الأقدام إن لاقينا إنا إذا صِيح بنا أتينا
وبالصياح عوّلوا علينا

على توقيع هذا النشيد المطرب ، وترجيع صوت الحادى اللبِّن سارت قافلة المسلمين تحت ظلال الراية البيضاء تتبع محمد ابن عبد الله ، وما زالت تصعد وتهبط حتى تراءت للعين حصون خيبر شامخة تشق السماء وقد لفها غلس الدجى ، وعلى قيد أميال منها وقف النبي يتأملها فوقف الركب معه ، فرفع يديه يناجى ربه ويقول :

« اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ؛ ونعوذ بك من شرها ، وشر أهلها ، وشر ما فيها »

وأمضى المسلمون ليلتهم على مرأى منها ، فلما أصبحوا قام النبي يقول :

« الله أكبر ، الله أكبر ، هلكت خيبر ! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين »

وانطلق المسلمون يكبرون ؛ وكأنهم كلما رفعوا بالتكبير أصواتهم ، بالغوا فى إظهار إخلاصهم لبارئهم ؛ وإن من الجبال لما يهتز لتكبيرهم ودعائهم ، وإن منها لما يتصدع من خشية الله

فقال لهم النبي : « اربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم »

* * *

وخرج عمال خيبر إلى مزارعهم فراعهم جيش المسلمين فرجعوا إلى أهلهم يصيحون :

— محمد والخميس !

وفزعت خيبر وأغلقت أبوابها ، وظل المسلمون يحاصرونها ويضيقون عليها . ومن برج مشيد أطل « حيي بن أخطب » على جيش المسلمين فرأى الراية البيضاء فى يمين « على بن أبى طالب » فكأنما رأى ملك الموت يدلف إليه ، فقال :

— تباً لكم ! ألا فتى غير هذا يحمل اللواء ؟

والله ما ذقنا العذاب إلا تحت لوائه !

أخرجنا من بيوتنا بيثرب ، وها هو ذا جاء يخرب قريتنا !!

فلمحه الإمام يتكلم بصوت خفيض ، فقال له :

— ماذا تقول يا عدو الله ؟!

قال حيي : وماذا تريدون منا — معشر المسلمين — ألم يكفكم أن أخرجتمونا من ديارنا وأموالنا ؟ فجئنا وحططنا رحلنا بهذه القرية ، فما كدنا نستنبت ريشنا بعد أن قصصتم أجنحتنا حتى جئتم إلينا بخيلكم ورجالكم ، فإلى أى أرض نهرب من شركم ؟!

قال على : ألست يا عدو الله الذى جمعت علينا الأحزاب من كل فج ، فصرنا فى أضيق من كفة الحابل ، ولم تكتف بذلك حتى هجت قريظة فنبذوا إلينا عهدنا فى ساعة العسرة فوقفنا بين شق الرحى . وحسبت أنك بذلك قضيت علينا ، ولكن الله ربنا مشتت شملكم ، وكتب على أيدينا قتلكم

قال حيي : إنكم لن تصلوا إلينا ، فأنتم فى الأرض ونحن فى السماء ، إن سهمكم لن يخرق حجراً ، وخيلكم لن تكون طيراً . فامكثوا ما شئتم أن تمكثوا وإن لنا فى كنوزنا وخيراتنا لسعة

قال على : أتحسب أن حصونكم ما نعتكم ؟ ! إن الذى دك الجبل تحت أقدام موسى هو الذى يخسف بها الأرض . فنلتقى على سواء وكأنى بكم يا بنى النضير بعد ليال ، فطاحت رءوسكم ، وأصبحتم طعمة للطير والسباع فأسلموا تسلموا

قال حيي : لن يأخذ منا وعيدكم شيئاً

قال على : وأنتم لا تعجزون الله ، يا خيل الله اركبى ! !

* * *

واستمر المسلمون أياماً يحاصرونهم ، فلما أجهدوهم نزل اليهود إليهم يبارزونهم ، فدارت الدائرة عليهم فأسرت رجالهم ، وسبيت نساؤهم وذرياتهم

قال على لحيي وهو مقدم للقتل : أأغنى عنك حصنك شيئاً ؟ لولا أويت إلى ركن شديد !

قال : وما هو ؟

قال : ربك الذى نسيت ، ودينه الذى أنزل ! ونبيه الذى أرسل !

قال : خذ رأسى إن كانت لك به حاجة

قال : أجل ، إن السيف ليضحك حينما يجز رقاب أعداء الله

* * *

وتقدم « دحية الكلبى » إلى صفية بنت حيي وقال لها : تعالَىْ يا ابنة حيي ! لقد وجدت فيك عروسى التى أنتظرها فأمسك بيدها ، فانفلتت منه كالمهرة العربية وقالت له :

ومن تكون أنت ؟

قال : رجل من بنى كلب

قالت : لست هناك ! مالك وسيدة قريظة والنضير ؟ !

قال : ومن تنتظرين ؟

قالت : القمر المنير ! !

قال : أتطمعين في رسول الله ! ؟ لشد ما خدعتك نفسك ، وحدثتك الأماني . أبعد علج من علوج يهود تطمحين إلى الطاهر الطيب ؟ !

قالت : إن الكريمة كفء الكريم

وسمع النبي بحديثها فاختارها لنفسه زوجاً وجمل لدحية بنت عمها ...

وبنى النبي بعد أيام بها ، وهو في طريقه إلى المدينة تحت قبة ضربت لها . فلما انبثق نور الفجر وخرج النبي لصلاته ، رأى « أبا أيوب الأنصاري » متوشحاً سيفه قريباً من بيته

فقال له : مالك يا أبا أيوب ؟

قال : يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة وهي امرأة قتلتَ أباها وزوجها وقومها وكانت حديثة عهد بكفر فخفتها عليك

فقال النبي : « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني »

وحدث صفية بذلك فقالت :

والله يا رسول الله لأنت أعز على من أبي وأمي وأما على دينك

— ٣ —

وباتت قريش بمكة تتسمع أخبار الرسول مع خيبر ، وتمنت أن تدور الدائرة على المسلمين ، فتكفيهم يهودُ شر قتالهم ، وبينما كانوا يرصدون الطرق لعلهم يقفون على خبر يبل غلتهم ، ويطفئ أوار غيظهم رأوا قادماً في شملة أعرابي من بعيد فتبينوه فإذا هو « الحجاج بن علاط السلمي »

قالت قريش : هذا لعمر الله عنده الخبر !

قال لهم : وما ذاك ؟

قالوا : بلغنا أن القاطع خرج إلى خيبر وهي بلد يهود وريف الحجاز

— بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم

— إيه يا حجاج !

— هُزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقُتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط ، وأسر محمد أسراً ، وقالوا لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم

فصاحت قريش طرباً ، وقالوا لأنفسهم : قد جاءكم الخبر ! وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقدَم به عليكم ، فيقتل بين أظهركم

قال الحجاج : فأعينوني على جمع مالي بمكة ، وعلى غرمائي فإني أريد أن أقدم خيبر فأصيب من فلّ محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك

قالوا : لك ما تحب وترضى ، وأعانوه حتى جمع ماله كله

فلما سمع العباس بن عبدالمطلب الخبر جاء الحجاجَ وهو جازع وقال له :

— ويحك يا حجاج ! ما تقول ؟

— أكاتم أنت على خبري ؟

— إي والله !

— فالبث على شيئاً حتى يخف موضعي ، ثم سار إليه العباس فقال له الحجاج : الخبر والله على خلاف ما قلت لهم ، خلفت رسول الله ؛ وقد فتح خيبر ، وخلفته والله معرّساً بابنة ملكهم ؛ وما جئتك إلا مسلماً .

ولكن قريشاً تحسبني لا أزال على دينها فأطوِ الخبر ثلاثاً ، حتى أُعجِز القوم . ثم أشِعْه ، فإنه والله الحق

قال العباس : ويحك ! أحق ما تقول ؟

— إي والله

— ولكنك كذبت الناس ، ودينك لا يسمح بالكذب

— استأذنت الرسول في أن أقول فأذن ، وكانت حيلةً لأجمع مالي وأخرج من بين أظهرهم إلى غير رجعة . والآنَ أذهب

— على عين الله

فلما كان بعد ثلاثة أيام تخلق العباس وأخذ عصاه وخرج يطوف بالبيت

قالت قريش : يا أبا الفضل ! هذا والله التجلد لحر المصيبة

قال : كلا والله الذي حلفتم به ، لقد فتح محمد خيبر وأعرس بابنة ملكهم ، وأحرز أموالهم

قالوا : ومن جاءك بهذا الذي تزعم ؟

قال : الذي جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلماً ، فأخذ ماله ، وانطلق لمحمد وأصحابه ليكون معه

قالوا : يالعباد الله ! أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ! أولى له ! انفلت عدو الله !

قال العباس : الله أعلم بعدوه ووليه ... !

أحمد التاجي

أحدث مطبوعات

مكتبة النهضة المصرية

لأصحابها: حسن ويوسف محمد واخوانهما

١٥ شارع المدابغ تليفون ٥١٣٩٤

		مليم
من الأدب التمثيلى سوفوكليس	الدكتور طه حسين بك	١٠٠
أديب	» » » »	١٠٠
عابر سبيل (ديوان)	للأستاذ عباس محمود العقاد	٨٠
عالم السدود والقيود	» » » »	٨٠
مسرحيات توفيق الحكيم جزءان	للأستاذ توفيق الحكيم	١٨٠
تاريخ التعلم فى مصر فى عهد محمد على باشا	للأستاذ أحمد عزت عبد الكريم	٧٠٠
قضية الفلاح	للآنسة ابنة الشاطئ	١٠٠
السينما	للأستاذ أحمد بدرخان	١٠٠
جوله فى ربوع أوربا	للأستاذ الرحالة محمد ثابت	٨٠
» » آسيا	» » » »	٨٠
» » الشرق الأدنى	» » » »	٨٠
» » أفريقيا	» » » »	٨٠
» » أستراليا	» » » »	١٠٠
» » العالم الاسلامى	» » » »	١٨٠
فلسفة اللذة والألم	للأستاذ إسماعيل مظهر	١٥٠
مصر فى قيصرية الاسكندر المقدونى	» »	٦٠
الحب الأول أو قيصر وكليوباترة	» »	٥٠
علم الاجتماع	للأستاذ مصطفى فهمى	٧٠
الحرب والغازات	للأستاذ عبد الرحيم رشوان	٥٠
فى الطريق	للأستاذ عبد القادر المازنى	١٥٠
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للامام فخرالدين الرازى.	الشيخ مصطفى عبد الرازق بك	٦٠
جهاد الأمم فى سبيل الدستور	الأستاذ محمد شوكت التونى	١٠٠
التحقيق التام فى علم الكلام	محمد الحسينى الظواهرى الشافعى	٨٠
الأيام المائة عهد وزارة رفعة على ماهر باشا	الدكتور محمود عزمى	١٠٠
وحى الخاطر والشعر المنثور	الأستاذ على سعد مراد	١٠٠
قانون العقوبات المصرى	الدكتور السعيد مصطفى السعيد	٢٥٠
النظم الاسلامية	للدكتور حسن ابراهيم حسن والدكتور على ابراهيم حسن	٢٥٠
نيتشه	الأستاذ عبد الرحمن بدوى	١٠٠
رضا شاه بهلوى	الأستاذ أحمد محمود الساداتى	١٠٠
الطبع والصنعة فى الشعر	الأستاذ محمد الهباوى	١٠٠
دائرة المعارف المنزل الحديث أربعة أجزاء		٦٥٠

سيظهر قريبا جدا الكتاب الذى صودر فى سويسرا
وأحدث ضجة فى ألمانيا والعالم

هتلر يتكلم (قال لى)

تأليف : Hermann RAUSCHNING

تعريب : كاتب من الكتاب المصريين المعروفين

سيظهر فى حوالى ٤٥٠ صفحة

الاشتراك قبل الطبع ١٠ } خلاف أجرة البريد ٣ قروش
وبعد الطبع ١٥

التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية

دراسات لكبار المستشرقين
رتبها وترجمها عن الألمانية والايطالية

الأستاذ عبد الرحمن بدوى

أعمق بحث فى جوهر الحضارة الاسلامية،
وأدق تحليل للحياة الروحية فى الاسلام
الثمن ٢٠ قرشا — البريد ٣ قروش

سجل تجارى رقم ٢٤٤

من سجل البطولة

روعة التضحية

للأستاذ فريد عين شوكة



[كان للخنساء أربعة أبناء أرسلتهم إلى الجهاد فى سبيل الله فاستشهدوا جميعا فى موقعة القادسية فقالت : « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم »]

— ١ —

(انتقض أهل السواد على المثنى فى خلافة عمر ، فهبت الدعوة إلى الجهاد)

الخنساء :

خـبر لافح الشرر ... ناوح القلب فاستعر
ثارت الفرس ثورة ... زعزعت كل ما استقر
واستطالت تخربت ... كل ما شيد أو عمر
سيرى القوم فى غد ... كل ما فيه مزدجر
يوم نسقيهم المنو ... ن ونرديهم الحفر
ويخـلى حصونهم ... صفصفاً عافى الأثر

يدخل بنوها فيراعون لحالها :

إيه يا أم

الخنساء : أقبلوا ... قد غدونا على خطر
صرخ الدين يبتغى الـ ... موت فى الموقف العسر
أما علمتم جنود الفرس كيف بغوا ... على المثنى فأجلوه عن الوادى

أحدهم : بلى علمنا

الخنساء :

فماذا صدّ أنفسكم ... عن الجهاد وأنتم أهل إنجاد
أخفتم الحرب أن تطغى فأقعدكم ... حب السلامة عن بذل وإجهاد

كبيرهم :

رحماك يا أم حاشا أن يكون بنا ... ما تزعمين فإنا خير أجناد
وقد نكون حيال السلم فى دعة ... لكننا فى الوغى أشبال آساد
وقد صبرنا لنسعى فى مضاعفة ... من الكتائب لا فى بعض أفراد

الخنساء :

فأجمعوا أمركم وامضوا إلى عمر ... يخمد بكم نزوات الثائر العادى
فإن قتلتم فدار الخلد تجمعنا ... وإن رجعتم فعود الظافر الشادى

أحدهم :

سينفر اثنان منا

الخنساء : بل جميعكمُ

كبيرهم :

لا حاضر يرتضى ما قلت أو باد
ومن يمولك إن متنا وليس لنا ... مال تصيبين منه أقفر الزاد

الخنساء :

بنىّ أصيخوا إن فى النفس حاجة ... سأقضى بها حتى أكون على رشد
لئن كان بغض الحرب منكم مخافة ... علىّ إذا أصبحت بين الورى وحدى
فلا تحفلوا خوفاً وهبوا إلى الوغى ... ففى الله معوان على النوب الرُّبد
يميناً لأنتم مهجة فى جوانحى ... وعين أرى فى ضوئها جنة الخلد
أخاف عليكم هبة السوء إن هفت ... وأفديكم بالروح إن عز من يفدى
ولكننى أرمى بكم دون رحمة ... إذا ما دعا داعى البطولة والمجد
إذا الوطن العانى أهاب بأهله ... فكيف تخاف الأم فيه على وُلْد

كبيرهم :

كفى يا أم ملهبـة فإنا ... سنمضى أجمعين إلى القتال
ونصرع فى سبيل الله صرعاً ... تقرّ به السموات العوالى

الخنساء :

وداعاً يا بنى ليـوم نصر ... يضوىء بالبطولة والجلال

— ٢ —

(فى ساحة فسيحة يعرض الخليفة عمر جيش المسلمين الذاهب إلى الحرب)

عمر :

مرحى رجال الوغى شيباً وشباناً ... حياكم الله أنصاراً وأعواناً

إنى موجهكم للفرس

بعض الجنود: ويلهمُ   ومن يشايعهم كفراً وعصيانا

هيا بنى العرب هيا

عمر: بل رويدكم   حتى أزودكم فى الحرب تبيانا

لا تقتلوا الهرم الفانى ولاتخزوا   مسالماً لم يَرُدْ للحرب ميدانا

ولا تمدوا يداً بالسوء لامرأة   ولا تذيقوا طعام الموت صبيانا

الجنود : السمع والطوع

عمر : فامضوا حول قائدكم

واسموا إلى الحرب أبطالاً وشجعانا

يد العناية تحدوكم وتحفظكم   وأعين الله ترعاكم وترعانا

الجند يسيرون منشدين :

مرحى صراع الردَى   مرحى قراع الخطوبْ

إنا جنود الفـدى   للوطن المحبوب

أهاب داعى الوطن   بنـا فلبينـاهْ

فضبّرى يا محن   وودعى يا حيـاه

فـكل غال يهون   فى نصرة الأوطانْ

مهد الشباب الحنون   وروحـه الفينـان

هيـا بنـا هيـا   هيـا بنى العُربِ

نطوى الفـلا طيّا   إلى رحى الحرب

(تسمع الخنساء بالنصر العربى فتسعى إلى لقاء البشير فى دار الخلافة)

الخنساء: مرحباً بالبشير

البشير : أهلاً تماضرْ   فخر أماتنـا وزين الشـواعرْ

الخنساء : أنتصرتم ؟

البشير : أعز نصر رجوناه

الخنساء : لك الحمدُ يا مُذِلَّ الأكاسرْ

أيهذا البشير أثلجت صدرى   بأحب المنى وأغلى البشـائر

فتحدث بعض الحديث عن الحر   ب فذكرى الوغى تهز المشاعر

البشير :

قد ركبنا القفار سعياً إلى الفـر

س كسـيل ينصبُّ فى الأرض هادر

فبعثنا الهيجاء واستبسل الجند   وضجت بنا الجيـاد ثوائر

واستحر القتال وارتجّت الأر   ض وقد وافت القلوب الحناجر

كم أطيحت فيه الرؤوس قوار   ىَ وفاضتْ به الدماء غزائر

ثم دارت رحى المنون على القو   م فأهووا كطائر إثر طائر

وانتصرنا فـكان نصراً عزيزاً   زلزل الدين وقعه والدساكر

الخنساء :

عزت البيد كل أبنائها البُسل   سيوف لدى الطعان بواتر

وبنىَّ هل أبلوا بساحات الوغى

البشير :   أبلوا بلاء لا يفيه جزاء

الخنساء :

ومن استطال به الزمان ومن ثوى   بين الرجام

البشير :   جميعهم شهداء !

أحد الحاضرين :

لا تفـزعى لمماتهم

الخنساء : لا والذى   يبقى وكل العـالمين فناء

ليسوا بأموات فإن مماتهم   فى نصرة الدين الحنيف بقاء

ما مات من باعوا الحياة رخيصة   لله بل هم عنـده أحياء

فريد عين شوكة

كلها

من القطن المصرى الخالص

هى منتجات

شركة مصر للغزل والنسج

اطلبوا منتجاتها من شركة بيع المصنوعات

المصرية ومن كافة محلات المانيفاتورة



8me Année No. 349

Lundi - 11 - 3 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٤٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ صفر سنة ١٣٥٩ — الموافق ١١ مارس سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

عبقرية محمد السياسية

للأستاذ عباس محمود العقاد

السياسة على معان كثيرة فى العرف الحديث . فمنها ما يكون بين بعض الدول وبعض من المراسم والعلاقات ، ومنها ما يكون بين هذه الدول من معاهدات وخطط فى أعمالها الخارجية ، ومنها ما يكون بين الراعى ورعيته أو بين الأحزاب والوزارات من برامج ودعوات ، ولكل معنى من هذه المعانى اصطلاحه فى العرف الحديث ، وإن جمعتها كلمة السياسة فى اللغة العربية

وقد تولى النبى عليه السلام أعمالاً كثيرة مما يطلق عليه لفظ السياسة فى عموم مدلوله ، ولكننا لا نعرف بينها عملاً واحداً هو أدخل فى أبواب السياسة وأجمع لضروبها وأبعد عن المشاركة فى صفة القيادة العسكرية أو صفة الوعظ الملى أو سائر الصفات التى اتصف بها عليه السلام من عهد الحديبية فى مراحله جميعاً منذ ابتدأ بالدعوة إلى الحج إلى أن انتهى بنقض الميثاق على أيدى قريش

ففى عهد الحديبية تجلى تدبير محمد فى سياسة خصومه وسياسة أتباعه وفى الاعتماد على السلم والعهد حيث يحسنان ويصلحان ، والاعتماد على الحرب والقوة حيث لا تحسن المسالمة ولا تصلح العهود

بدأ بالدعوة إلى الحج فلم يقصره فى تلك السنة على المسلمين المصدقين لرسالته ، بل شمل به كل من أراد الحج من أبناء القبائل

العربية التى تشارك المسلمين فى تعظيم البيت والسعى إليه . فجمل له وللعرب أجمعين قضية واحدة فى وجه قريش، ومصلحة واحدة فى وجه مصلحتها ، وفصل بذلك بين دعواها ودعوى القبائل الأخرى

ثم أفسد على قريش ما تمدوه من إثارة نخوة العرب وتوجيهها إلى مناوئة محمد والرسالة الإسلامية . فليس محمد وأصحابه أناساً معزولين عن النخوة العربية يضمون من شأنها ويبطلون مفاخرها ، ولكنهم إذن عرب ينتصر بهم العرب ولا يذلون بانتصارهم ، أو يقطعون ما بينهم وبين آبائهم وأجدادهم . فإذا خالفوا قريشاً فى شىء فذلك شأن قريش وحدهم أو شأن المنتفعين من قريش بالسيطرة على مكة ، وليس هو بشأن القبائل أجمعين

ثم أفسد على قريش من جهة أخرى ما تمدوه من إغضاب العرب على الإسلام بما ادعوا من قطعه للأرزاق وتهديده للأسواق التى يعمرها الحاج ويستفيد منها الغادون إلى مكة والرائحون منها. فها هو ذا محمد نفسه يأخذ معه المسلمين إلى مكة كما يأخذ معه من شاء مصاحبته من غير المسلمين قصاد البيت الحرام ، فإذا حال بينهم حائل وبين ما يقصدون إليه فتلك جنايته وذلك وزره على نفسه وعلى قومه ، ولا وزر فيما أصاب الأرزاق أو أصاب الأسواق على المسلمين

وقد سمعنا كثيراً فى العصور الحديثة عن المقاومة السلمية أو المقاومة التى تجتنب العنف ولا تعتمد على غير الحق والحجة . سمعنا بها فى الحركة الهندية التى قام على رأسها غاندى وتابعه فيها بعض مريديه ، حتى كان لها من الأثر فى إزعاج الحكومة البريطانية ما لم يكن للقنابل ولا للمشاغبات الدامية

وقيل يومئذ إن غاندى قد تتلمذ فى هذه الحركة للمصلح الروسى الكبير ليون تولستوى . وقيل بل هو أحرى أن يعرفها من آداب البرهميين والبوذيين التى تحرم إيذاء الحيوان فضلاً عن الإنسان قبل أن يشرع ليون تولستوى مذهبه الجديد

والذين قالوا بهذا الرأى الأخير استبعدوا أن يتفق المسلمون والبرهميون والبوذيون على حركة غاندى وتبشيره بتلك المقاومة السلبية لاعتقادهم أن الإسلام قد شرع القتال فلا يوائم المسلمين ما يوائم البوذيين والبرهميين من اجتناب القوة والتزام السلم وترك المقاومة .

لكنّ المثل الذى قدمه النبى صلوات الله عليه فى رحلة الحديبية ينقض ما توهموه ويبين لهم أن الإسلام قد أخذ من كل وسيلة من وسائل نشر الدعوة بنصيب يجرى فى حينه مع مناسباته وأسبابه، فلا هو يركن إلى السيف وحده ولا إلى السلم وحده ، ولكنه يضع كليهما حيث يوضع ، ويدفع بكليهما حيث ينبغى أن يدفع ، وهو الحكم المتصرف حيث يختار ما يختار ، وليس بالآلة التى يسوقها السلم أو الحرب مساق الاضطرار

وقد خرج النبى إلى مكة فى رحلة الحديبية حاجاً لا غازياً يقول ذلك ويكرره ويقيم الشواهد عليه لمن سأله ، ويثبت نية السلم بالتجرد من السلاح إلا ما يؤذَن به لغير المقاتلين

فلم يفصل بهذه الخطة بين العرب وقريش وحسب ، بل فصل بين قريش ومن معهم من الأحابيش ، وجعل الزعماء وذوى الرأى يختلفون فيما بينهم على ما يسلكون من مسلك فى دفعه أو قبوله أو مهادنته ، وهو عليه السلام يكرر الوصاة لأتباعه بالمسالمة والصبر منعاً للاتفاق بين خصومه على قرار واحد ، وقلَّ من أتباعه من أدرك قصده ومرماه حتى الصفوة المختارين

ولما اتفق الطرفان ـ المسلمون وقريش ـ على التعاهد والتهادن كانت سياسة النبى فى قبول الشروط التى طلبتها قريش غاية فى الحكمة والقدرة « الدبلوماسية » كما تسمى فى اصطلاح الساسة المحدثين

دعا بعلىّ بن أبى طالب فقال له : « أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم »

فقال سهيل بن عمرو مندوب قريش : أمسك ! لا أعرف الرحمن الرحيم ، بل اكتب باسمك اللهم

فقال النبى : أكتب باسمك اللهم

ثم قال : أكتب « هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل ابن عمرو »

فقال سهيل : أمسك ! لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك

وروى أن علياً تردد فسح النبى ما كتب بيده ، وأمره أن يكتب « محمد بن عبد الله » فى موضع محمد رسول الله

ثم تعاهدوا على أن من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً من رجال محمد لم يردوه عليه ، وأنه

من أحب من العرب محالفة محمد فلا جناح عليه ، ومن أحب محالفة قريش فلا جناح عليه ، وأن يرجع محمد وأصحابه عن مكة عامهم هذا على أن يعودوا إليها فى العام الذى يليه ، ويقيموا بها ثلاثة أيام ومعهم من السلاح السيوف فى قربها، ولا سلاح غيرها.

ولو كان عهد الحديبية هذا قد كتب بعد قتال انهزم فيه المشركون وانتصر فيه المسلمون لوجب أن يكتب على غير هـذا الأسلوب ، فيعترف المشركون كرهاً أو طوعاً بصفة النبوة ولا يردون أحداً من مواليهم أو قاصريهم يذهب إلى النبى ويلحق بالمسلمين .

ولكنه عهد مهادنة أو عهد « إيقاف أعمال العداء إلى حين » كما يسمونه فى اصطلاح العصر الحاضر ، فلا يعوزه شىء من الأصول المرعية فى أمثال هذه العهود من إثبات صفة المندوبين التى لا إرغام فيها لأحد الطرفين ولا مخالفة لدعوى الفريقين ، ومن حفظ كل لحقه فى تجديد دعواه واستئناف مسماه

فلو أن النبي عليه السلام شرط على قريش أن ترد إليه من يقصدها من رجاله لنقض بذلك دعوى الهداية الإسلامية ، ونقض الوصف الذى يصف به المسلمين . فإن المسلم الذى يترك النبي باختياره ليلحق قريشاً ليس بمسلم ولكنه مشرك يشبه قريشاً فى دينها وهى أولى به من نبي الإسلام

أما المسلم الذى يُرَد إلى المشركين مكرهاً فإنما الصلة بينه وبين النبي الإسلام وهو شىء لا سلطان عليه للمشركين ولا تنقطع الصلة فيه بالبعد والقرب . فإن كان الرجل ضعيف الدين ففتنوه عن دينه فلا خير فيه ، وإن كان وثيق الدين فبقى على دينه فلا خسارة على المسلمين

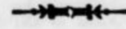
وما انقضت فترة وجيزة حتى علمت قريش أنها هى الخاسرة بذلك الشرط الذى حسبته غنماً لها وخذلاناً لمحمد صلوات الله عليه ، فإن المسلمين الذين نفروا من قريش ولم يقبلهم محمد فى حوزته رعاية لعهده قد خرجوا إلى طريق القوافل يأخذونها على تجارة قريش وهى أمان فى عهد المدنة بين الطرفين ، فلا استطاع المشركون أن يشكوهم إلى النبي لأنهم خارجون من ولايته بحكم المدنة ، ولا استطاعوا أن يحجزوهم فى مكة كما أرادوا يوم أملوا شروطهم فى عهد الحديبية ، ولو قضى العهد بولاية للنبى على من ينفر من مسلمى مكة لجاز للمشركين أن ينقضوه أو يطالبوا النبي بالمحافظة عليه . وتم العهد فعرف من لم يعرف ما أفاء على الإسلام بعد قليل فجهر بمحالفة النبى من لم يكن يجهر بولائه، واستراح النبي من قريش ففرغ ليهود خيبر وللممالك الأجنبية يرسل الرسل إلى عظمائها بالدعوة إلى دينه، وفتح الأبواب لمن يفدون إليه ممن أنكروا بنى قريش وأمنوا أن تكون نصرتهم للاسلام حرباً يبتلون فيها بما لا يطيقون

ويوم نزلت الآية الكريمة على أثر اتفاق الحديبية « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما » لم يفقه الكثيرون معناها فى حينها ولم يتبينوا موضع الفتح من ذلك الاتفاق الذى حسبوه محض تسليم ، ولكنهم فهموا أى فتح هو بعد سنتين ، وعلموا أن من الفتوح ما يكون بغير السيف وما يشبه الهزيمة فى ظاهره عند من يتعجلون ولا يحسنون النظر إلى بعيد

وهكذا تجلت عبقرية محمد فى سياسة الأمور كما تجلت فى قيادة الجيوش فكان على أحسن نهج فى سياسته إذ نادى بعزيمة الحج وهو لم يفتح مكة بعدده وعدته ، وإذ دعا المسلمين وغير المسلمين إلى مصاحبته فى رحلته ، وإذ توخى ما توخى من طريقة المسالمة وإقامة الحجة فى إنفاذ عزيمته ، وإذ قبل العهد الذى كبر قبوله على أقرب المقربين من عترته ، وإذ نظر إلى عقباه ووصل به إلى القصد الذى توخاه .

عباس محمود العقاد

إنما يزدهر الأدب
في عصور الفوضى الاجتماعية
للدكتور زكى مبارك



[أقيمت فى كلية الآداب مناظرة بين الدكتور زكي مبارك والأستاذ لطفى جمعة برياسة الدكتور ابراهيم مدكور ، واشترك فيها فريق من طلبة الكلية ، وانتصر الحاضرون للرأى الذى دافع عنه الدكتور مبارك بهذه الخطبة الصريحة ، الخالصة من شوائب التودد للجمهور]

تعلمون أن أمثال هذه المناظرات لا يراد بها غير إيقاظ العقول بعرض طوائف من المذاهب والآراء ، فالمُناظِر لا يؤاخَذ بالرأى الذى ينحاز إليه ، ولا يطالَب بالوقوف عند ما يؤمن بصحته من الأدلة والبراهين

ليست هذه المناظرات إلا حركة عقلية يراد بها عرض صور مختلفة للوجه الواحد من وجوه الفكر والرأى ، فليس من حق أحد أن يقول : إنى أدعو إلى الفوضى حين أقرر أنها من الفرص السوانح لازدهار الآداب والفنون

وبعد تسجيل هذا التحفظ أقول : إنى مؤمن بالرأى الذى أعرضه اليوم من فوق منبر كلية الآداب ، فلا يضيرنى أن أُتهَم بحمد الظروف التى تُشيع الفوضى فى المجتمع ، ولا يؤذينى أن تكون أصواتكم فى صف خصمى ، وهو صديق أعاديه فى هذه الساعة عداوة مؤقتة

وأسارع فأعترف بأنى أخاف أن تكون الهزيمة من نصيبي ، لأنى اخترت الجانب الشائك من مناظرة اليوم ، ولأنى أخشى أن يميل السامعون إلى إيثار السلامة ، فيعلنوا تأييدهم لرأى الخصم المحترم ، حتى لا يقال : إن كلية الآداب تشجع من يرى أن « الفوضى الاجتماعية » قد تعود بالنفع على الآداب والفنون ، وهى معهد يثور حوله الغبار من حين إلى حين

وأنا أفترض سلفاً أن الهزيمة ستكون من نصيبي لأواجه المناظرة بعزيمة المستقتل المستميت ، ولأجد ما أعزى به نفسى حين ترونني أبليت فى الدفاع عن رأيى أحسن البلاء

ومن أجل هذا ، زهدت فى البراعة الخطابية ، وأعددت خطبتى ، وقـدِمتُ بها مكتوبةً بلغة صريحة ، لتكون حجة باقية على صحة الرأى الذى تعصبت له وانحزت إليه

أنا أرى أن الأدب لا يزدهر إلا فى عصور الفوضى الاجتماعية ، فما هى الحجج التى تؤيد هذا الرأى الجرىء ؟

أستطيع أن أقول إن الفوضى الاجتماعية ترج الأذهان رجاً عنيفاً ، وتفتح أمام الأذواق أبواباً ومذاهب ، وتقهر العقول على التفكير فى مصاير الإنسانية عند اضطراب المجتمع

وأستطيع أن أقول إن الفوضى هى التى مهدت السبيل إلى ظهور الحكمة على ألسنة الحكماء ، ولو شئت لقلت إن النبوّات لم تظهر إلا فى الأوقات التى غلبت فيها الفوضى على المجتمع

فيكم من قرأ القرآن ، وفيكم من قرأ التوراة ، وفيكم من قرأ الإنجيل ؛ فهل فيكم من يجرؤ على القول بأن تلك الكتب المقدسة خلت من الثورة على اضطراب المجتمع ؟ وهل فيكم من ينكر أن أعظم الجوانب فى تلك الكتب هى الجوانب الخاصة بالتشريع ؟

ولمن توضع قواعد الشرائع إذا اطمأن الأنبياء إلى أن المجتمع فى أمان من شر الفساد والانحلال ؟

وما قيمة الفضائل التى تمدّح بها الصالحون إذا صح أن العالَم صحيح الأديم وأنه لا يعرف التمييز بين الفاضل والمفضول ، ولا يشهد الفرق بين الصحة والاعتلال ؟

وهل سُمّيت الفضائل فضائل إلا بالقياس إلى الرذائل ؟ وهل تصوّر الناس معنى الحياة إلا بعد أن شهدوا صورة الموت ؟ وهل أدركوا رَوْح اليقين إلا بعد أن أدركوا قلق الارتياب ؟

اسمعوا كلمة الحق

إن سلامة المجتمع من الفوضى والاضطراب لا تصل بالناس إلا إلى غاية واحدة : هى الأمان المطلق ، والأمان المطلق يقود الناس إلى هاوية البلادة والغفلة والحمق

وأنا لا أنكر أن السعادة قد تكون من نصيب الأحمق والغافل والبليد ، ولكنى أنكر أن يكون التفوق فى الأدب من نصيب هذا الطراز من « السعداء » فالأدب فنٌّ من المحنة باصطراع العقول ، واصطخاب الأهواء ، واضطرام الأباطيل ، وهو التعبير الصادق عما يثور فى المجتمع من الاقتتال المنيف بين الرشد والغيّ

هل قرأتم وصف الجنة فى الكتب الدينية ؟ فيها من كل

فاكهة زوجان ، وفيها حورٌ عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، فيها كل الطيبات ، وفيها الأمان المطلَق من المرض والموت . ولكن هل سمعتم أن الجنة سيكون فيها كتّاب وشعراء وخطباء وجرائد ومجلات وكلية آداب ؟

وكيف تكون هذه المعانى فى الجنة وقد أراح الله أهلها من صيال الشهوات والأهواء ؟

قيل إن أهل الجنة سيكون أكثرهم من البُله ، وقيل فى تفسير ذلك إن البُله يقلّ تعرضهم للموبقات فيخرجون من الدنيا بسلام وقد أهّلتهم البلاهة لاحتلال الفردوس

وأقول بغير ذلك التفسير ، أقول إن أهل الجنة سيكونون بُلهاً لأن الله سيرحمهم من التعرض لآفات الشطط والجموح فى ميادين الفكر والعقل والوجدان

وما حاجة أهل الجنة إلى الذكاء وهو عناء؟ إن الذكاء وسيلة للتخلص من المعاطب ، وأهل الجنة فى أمان من المعاطب

والأدب فى جوهره تعبيرٌ عن بلاء الإنسانية بالصّراع بين الُحسن والقُبح ، والنضال بين الشك واليقين ، فما حاجة أهل الجنة إلى ذلك التعبير وهم يُرزَقون بلا حساب ، ولا يحسّون الخوف من تلون النفوس وتقلب القلوب ؟

وأنتم تستطيعون الوصول إلى ما يشبه نعيم الجنة فى كل وقت ، إن رضيتم بحظوظكم فى الحياة ، ولكنكم لن تكونوا أدباء ، لأن الأدب ليس إلا تعبيراً عن ظمأ الأرواح والقلوب إلى غايات عالية لا يدركها الراضون عن حظوظهم فى الحياة

الأدب يأخذ وَقوده من قلق الأفئدة والأرواح والعقول ، ولا يقع ذلك القلق إلا عند اضطراب المجتمع . فليت شعرى كيف يجد خصمى حجته وهو ينتظر ازدهار الأدب فى رحاب المجتمع الهادئ الرزين ؟

الأدب من صور الحياة ، والحياةُ تقلُّبٌ وتفزُّعٌ وصراع ، وهل يعرف السلام المطلق غير الأموات ؟

إن أساتذة الآداب يتحدثون بأن عصور الانحطاط السياسى فى الدولة العباسية كانت عصور تقدم فى العلوم والآداب والفنون وهم يعللون ذلك بالتنافس بين الرؤساء والأمراء والملوك

فما رأيكم فيمن يذكر لذلك سبباً آخر هو اليقظة التى خلقها انحلال المجتمع السياسى فى العصر العباسى ؟

وهل كان النزاع بين العرب والفُرس إلا صورة من صور الاضطراب فى المجتمع الإسلامى ؟ هو ذلك ، ولا ريب ، فأين من ينكر أن النزاع بين العرب والفرس عاد على الحياة الأدبية بأجزل النفع ، وقدم للأدباء فرصاً ثمينة لتشريح خصائص الشعوب ؟

وتسمعون فى كل يوم أن مصر لها الزعامة الأدبية بين الأمم العربية . فمن أين وصلت إلينا الزعامة وهى حق ؟ أترونها نزلت علينا من السماء بعد انقضاء عصور الوحى ؟ أترون الأمم العربية قدمتها إلينا هدية ؟ لا هـذا ولا ذاك ، وإنما كانت لنا الزعامة الأدبية لأننا نفوق سائر الأمم العربية فى التمتع بأكبر نصيب من اضطراب المجتمع ، وإليكم بعض البيان :

فى بلادنا تصطرع جميع المذاهب والعقائد وفى بلادنا تقتتل جميع العادات والتقاليد . وفى بلادنا يلتقى البحران : بحر المدنية الشرقية وبحر المدنية الغربية . وفى بلادنا يجتمع الضب والحوت ، وتمتزج أنغام المؤذنين بأصوات النواقيس

عندنا برج بابل المشهور فى التاريخ ، بل عندنا برجان هما الأزهر والجامعة المصرية ، يتجه أحدهما إلى الشرق فيكون خلف الضفة الشرقية للنيل ، ويتجه ثانيهما إلى الغرب فيكون حول الضفة الغربية

وهذا اضطراب بلا جدال ، لأنه تقلُّب للوجوه بين الشرق والغرب ، ولكن من هذا التقلب ظفرتْ مصر بالزعامة الأدبية بين الأمم العربية

فالأديب المصرى يغرِّب إن شاء فيرى القاهرة فى ثياب (أليس) و(مرجريت) ، ويشرق إن شاء فيراها فى عباءة ليلى وظمياء

وبفضل هذه البلبلة بين الحضارة والبداوة نهضت قواعد الأدب المصرى الحديث

وقد حدثت تلاميذى بكلية الآداب فى سنة ١٩٢٧ أن الأدب لن يسمو ولن يرتفع إلا إذا اشتركت المرأة فى سياسة المجتمع

ومعنى ذلك أن المرأة تخلُق فى حياة الرجل ألواناً من الرضا والغضب ، والقسوة واللين ، وتسوق إليه فنوناً من الرفق والعنف والبؤس والنعيم

المرأة مصدر اضطراب فى حياة الرجل ، وبفضل عصيان جدتها حوّاء عرف جدنا آدم هـذه الأرض ، فحرث وزرع وحصد ، وعرف معانى اليأس والرجاء ، ومهّد لأبنائه سبيل الأدب الرفيع بوصف ما فى الحياة من أزهار وأشواك ، وحقائق وأباطيل

والمرأة الوديعة لا تخلُق الأديب ، وهل فى الدنيا امرأةٌ وديعة ؟

غضبة الله على جميع بنات حوّاء!

وما يهمني أن أدعوكم إلى الاصطباح والاغتباق بما عند الرعابيب من نزق وطيش، فلست من أنصار الفوضى الاجتماعية. واشتراك المرأة فى المجتمع يجره حتماً إلى الفساد والاضطراب، وإنما يهمني أن أنص على أن الشر الذى يصحب حياة المرأة يورِّث الحاسة الأدبية والفنية، بفضل ما يورِّث من الأذواق والأحاسيس

وفى الدنيا أحبار ورهبان وأشياخ كفاهم الله شر المرأة، فعاشوا سعداء، لا ينتقلون من البيت إلا إلى المعبد، ولا من المعبد إلا إلى البيت، وذلك نموذجٌ للحياة الخالصة من شوائب القلق والانزعاج

ولكن هؤلاء لن يصيروا أدباء، ولن يكون لهم مكان بين أقطاب الفكر والعقل والذوق، وإن ظفروا بنعمة عظيمة هى السلامة من شر الناس.

ومالى أبعُد بكم فى عرض الشواهد؟ نحن اليوم فى كلية الآداب، فما هو السرُّ فى تفوق هذه الكلية من الوجهة الأدبية؟ أيكون السرّ فى أنها تدرس علوماً لا تدرس فى الأزهر ودار العلوم؟

إن كان اختلاف العلوم هو سرّ التفوق فمن حق الأزهر أن يقول إنه يدرس علوماً لا تدرس فى كليات الجامعة المصرية. ليس السرّ فى المكان، وإنما السر فى السكان، كما يقول أهلنا فى الريف

إنما تتفوق كلية الآداب بسبب ما تعانى من الفوضى الاجتماعية فهى أول معهد يلتقى فيه الفتيان والفتيات بلا تحجُّب ولا مداراة، فإن لم تكن أول معهد يلتقى فيه الفتيان والفتيات فى الدرس الواحد فهى أول معهد كثر فيه بنات حواء حتى بلغ عددهن المئات

ومن المؤكد أننا غير راضين فى سرائر أنفسنا عن هذه الصورة من صور المجتمع، وليس فينا من يطمئن كل الاطمئنان إلى أن تكون ابنته غرضاً للعيون، يتأثر خطواتها من يشاء من أهل الفضول.

كلية الآداب فى فوضى اجتماعية بشهادة الأفاضل من رجال الدين وبشهادة الأستاذ أمين الخولى. وفى هذه الفوضى إثمٌ كبير وفيها منافع، فما هى تلك المنافع؟ هى إذكاء المشاعر والعواطف والأحاسيس. هى قهر الفتيان والفتيات على تجميل مذاهبهم الحيوية فى تناول شؤون الوجود

وهل من العيب أن يقال إن كل فتًى يسرُّه أن يكون موضع الإعجاب من إحدى الفتيات؟

اتركوا النفاق لحظة واحدة واسمعوا صوت الحق

إن الطالب فى كلية الآداب لا يستطيع ولن يستطيع أن ينسى أنه محوط بأرواح لطاف ستنال حياته الحاضرة بالتغيير والتبديل. وهذا الطالب أحد رجلين: رجل بسيط يتجمل بالظواهر والأشكال فيحرص على هندامه بعض الحرص أو كل الحرص، ليظهر أمام الفتيات بمظهر مقبول. ورجل عبقرىّ الروح لا تهمه المظاهر والأشكال، وإنما يهمه أن يكون رجلاً يملك السيطرة بالمنطق والعقل والبيان

ومن هنا يجوز لكم أن تنتظروا مطلع الشمس من هذه الكلية، يوم يكون فيها طالبات لا يرون الرجولة فى المظاهر والأشكال، وإنما يرون الرجولة فى فحولة الأفكار والآراء والعقول. وإنما اخترت كلمة «يرون» بهذه الصورة الصرفية لأن بنات هذه الكلية «سيكونون» فى إسناد الضمائر «مساوين» للرجال فى مضمار المذاهب والآراء

ولن يقع ذلك بدون فوضى اجتماعية، ولكن تلك الفوضى ستصنع الأعاجيب فى تأريث القلوب والعقول

أنا أكره الفوضى، وأرجو أن تخلو منها حياتى وحياتكم وحياة الأساتذة بهذه الكلية، إن صح أن فيكم وفيهم من ابتلته المقادير بالشكاية من اضطراب المجتمع الجديد

ولكنى أقف هنا موقف المؤرخ لظاهرة من الظواهر الأدبية فى معهد قد اشتغلتُ فيه بالتدريس أربع سنين، ومن حق عليه أن يسمح بأن أجهر فى رحابه بقول الحق، فأقرر أن الأدب يزدهر فى عصور الفوضى الاجتماعية

وهل أرانى فى حاجة، بعد الذى سلف، إلى أدلة وبراهين؟ اسمعوا، اسمعوا:

(البقية فى العدد الآتى)

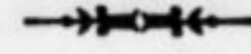
زكى مبارك

فى الاجتماع اللغوى

صراع اللغـــات

للدكتور على عبد الواحد وافى

مدرس العلوم الاجتماعية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول



ذكرنا فى مقال سابق[1] أن الصراع بين اللغات ينشأ عن عوامل كثيرة أهمها عاملان : أحدهما أن ينزح إلى البلد عناصر أجنبية تنطق بلغة غير لغة أهله ؛ وثانيهما أن يتجاور شعبان مختلفا اللغة ، فيتبادلا المنافع ، ويتاح لأفرادهما فرص للاحتكاك المادى والثقافى . ثم تكلمنا عن الحالات التى يؤدى فيها العامل الأول إلى تغلب إحدى اللغتين على الأخرى وما يمتاز به هذا التغلب من خصائص وما يتصل به من شؤون

وسنعرض فى هذه الكلمة للحالات التى يؤدى فيها العامل الثانى إلى مثل هذه النتيجة

* * *

يتيح تجاور شعبين مختلفى اللغة فرصاً كثيرة لاحتكاك لغتيهما فتشتبكان فى صراع ينتهى أحياناً إلى تغلب واحدة منهما على الأخرى فتصبح لغة الشعبين ؛ ويحدث هذا فى حالتين :

الحالة الأولى : إذا كانت نسبة النمو فى أحد الشعبين كبيرة لدرجة يتكاثف فيها ساكنوه ، وتضيق مساحته بهم ذرعاً ، فيشتد ضغطه على حدود الشعب المجاور له ، وتكثر تبعاً لذلك عوامل الاحتكاك والتنازع بين اللغتين . وفى هذه الحالة تتغلب لغة الشعب الكثيف السكان على لغة المناطق المجاورة له ؛ على شريطة ألا يقل عن أهلها فى حضارته وثقافته وآداب لغته . ويتأكد انتصاره إذا كان أرقى من أهلها فى هذه الأمور

والأمثلة على ذلك كثيرة فى التاريخ. وأكثرها دلالة بهذا الصدد ما كان من أمر اللغة الألمانية ؛ فقد طغت على مساحة واسعة من المناطق المجاورة لألمانيا بأوربا الوسطى (بسويسرا وتشيكوسلوفاكيا

(١) عدد ٣٤٧ صفحة ٣٢٥ وتوابعها

وبولونيا والنمسا ... الخ) وقضت على لهجاتها الأولى[1]

الحالة الثانية : إذا تغلغل نفوذ أحد الشعبين فى الشعب المجاور له ، وفى هذه الحالة تتغلب لغة الشعب القوى النفوذ ، على شريطة ألا يقل عن الآخر فى حضارته وثقافته وآداب لغته ؛ ويتأكد انتصاره إذا كان أرقى منه فى هذه الأمور

والأمثلة على ذلك كثيرة فى مختلف مراحل التاريخ . فلغة شعوب « الباسك » Basque قد أخذت تنهزم أمام اللغــة الفرنسية فى المناطق التى تغلغل فيها نفوذ الفرنسيين ، وأمام اللغة الإسبانية فى المناطق التى تغلغل فيها نفوذ الإسبانيين حتى كادت تنقرض فى كلتيهما[2] . — واللهجات السلتية[3] التى كان يتكلم بها معظم السكان بإرلندا واسكتلندا وويلز قد أخذت تنهزم أمام اللغة الإنجليزية منذ أن تغلغل نفوذ انجلترا فى هذه البلاد ، حتى زالت من لغة الأدب والكتابة ، وكادت تنقرض انقراضاً تاماً من لغــة الحديث . وهكذا كان مصير اللهجة السلتية التى بقيت بمقاطعة البريتون Bretogne (فى القسم الغربى من فرنسا على سواحل الأطلانطيق) ، فقد أخذت تنهزم أمام اللغة الفرنسية منذ أن تغلغل نفوذ فرنسا فى هذه المقاطعة ، حتى لم يبق

(١) يرجع بعض مظاهر هذا التغلب إلى الغارات التى شنها الجرمان قديما على هذه المناطق ، أي إلى أمور تتصل بالعامل الأول لا بهذا العامل . فالتمثيل هنا مقصور على الحالات التى تم فيها تغلب اللغة الألمانية فى صورة سلمية تحت تأثير الجوار وتكاثف السكان

(٢) تقطن شعوب « الباسك » منطقة جبال البرانس الغربية فى المدونتين الأسبانية والفرنسية بمناطق بيسكاى Biscaye وألافا Alava وجويبوزكوا Guipuzcoa ونافار Navarre (بأسبانيا) وبمناطق بيون Bayonne وموليون Mauléon بفرنسا — وتسمى لغتهم بالباسكية أو الأسكارا Euskara . وهى ليست من فصيلة اللغات الهندية الأوربية ، ولا من فصيلة اللغات السامية

ويدل الاحصاء الذى عمله الأستاذ لويس لوسيان بونابرت Louis Lucien Bonaparte عام ١٨٧٣ على أن عدد المتكلمين بهذه اللغة يبلغ نحو ٦٦٠ ألفا فى أسبانيا ونحو ١٤٠ ألفا فى فرنسا — ولكن ليس من شك فى أن منطقة اللغة الباسكية ، وبخاصة منطقتها الأسبانية ، كانت قديما أوسع كثيراً مما يرشد إليه هذا الاحصاء ؛ وقد ضاقت الآن عما كانت عليه عام ١٨٧٣ لتغلب اللغتين الفرنسية والأسبانية على كثير من أجزائها وخاصة فى إقليم نافار Navarre

هذا ، وقد هاجر إلى أمريكا عقب كشفها بعض أسرات من الباسكيين فانتشرت لغتهم فى المناطق التى حلوا بها ، ولا ينفك يتكلم بها الآن بضعة آلاف من أعقابهم ، وتصدر بها بعض صحفهم ومجلاتهم .

(٣) هي لهجات شعوب السلت Celtes ، التى كانت قديما تقطن أوربا الوسطى ، ثم انتشرت عشائر منها بفرنسا وإسبانيا وبريطانيا . ولغاتها من الفصيلة الهندية — الأوربية

لها إلا آثار ضئيلة فى لغة الحديث بين الأميين من الشيوخ[١] . — واللغة الفرنسية قد تغلبت على لهجات المناطق المجاورة لها ببلجيكا وسويسرا ؛ فأصبحت الآن لغة الحديث والكتابة لجميع سكان والونيا Wallonie[٢] ببلجيكا ولنحو ٢٢٪ من سكان سويسرا . — واللغة الإيطالية قد تغلبت على لهجات المناطق المجاورة لها بسويسرا ، فأصبحت الآن لغة الحديث والكتابة لنحو ٥ر٣ ٪ من سكان هذه الجمهورية

وعلى هذا الأساس نفسه تتغلب فى المملكة الواحدة لغة المقاطعة التى تكون بها العاصمة أو يكون لأهلها السلطان والنفوذ؛ فلوقوع عاصمة بلجيكا (بروكسل) فى مقاطعة والونيا ذات اللسان الفرنسى ، ولأن سكان هذه المقاطعة يتمتعون بقسط كبير من النفوذ والسلطان فى هـذه المملكة ، أخذت اللغة الفرنسية تتغلب على الفلامندية (لغة القسم الشمالى من بلجيكا المسمى « فلاندر ») وتنتقصها من أطرافها . ولوقوع عاصمة سويسرا (برن) فى القسم الناطق بالألمانية ، ولأن سكان هذا القسم يتمتعون بأكبر قسط من النفوذ والسلطان وتتألف منهم الأغلبية الساحقة (يتكلم الألمانية فى سويسرا نحو ٧٠٪ من أهلها) أخذت اللغة الألمانية تطغى على ألسنة الناطقين بالفرنسية من السويسريين . وقد أخذت لغة قريش قبيل الإسلام تتغلب على اللغات المضرية الأخري ، لما كانت تتمتع به من سلطان أدبى ، ويستأثر به أهلها من نفوذ دينى وسياسى

وفى كلتا الحالتين السابقتين لا يتم النصر غالباً لإحدى اللغتين إلا بعد أمد طويل يبلغ أحياناً بضعة قرون ، فالصراع بين الألمانية والفرنسية بسويسرا قد بدأ منذ عهد سحيق ؛

(١) ظلت هذه المقاطعة تتمتع بشىء من الاستقلال الذاتى حتى عام ١٤٩١ (فى عهد شارل الثامن) . ومن ذلك العهد اعتبرت تابعة للتاج الفرنسى . ولـكن لم يتم ضمها إلى فرنسا إلا عام ١٥٣٢ فى عهد فرنسوا الأول — وقد انقرضت اللغة السلتية فى هذه المقاطعة انقراضا تاما من لغة الـكتابة والأدب . وانقرضت كذلك من لغة الحديث بين أبناء الجيل الحاضر وكادت تنقرض من لغة الشيوخ أنفسهم — وقد زرت هذه المقاطعة وقضيت بضعة أشهر متنقلا فى بلادها ، فلم أسمع هذه اللغة إلا من عدد قليل من الشيوخ الأميين . وحتى هؤلاء أنفسهم لا يتكلمون لغتهم هذه إلا فيما بينهم؛ أما مع غيرهم فيتكلمون الفرنسية . ولـكن ينال كلماتها وتراكيبها وأساليبها فى ألسنتهم كثير من التحريف

(٢) هو القسم الجنوبى من بلجيكا ، وينحدر سكانه من أصول سلتية ولاتينية . على حين أن القسم الشمالى المسمى بالفلاندر Flandre ينحدر سكانه من أصل جرمانى ويتكلمون الفلامندية وهى إحدي شعب اللغات الجرمانية الغربية

ومع ذلك لم يتم بعد للألمانية النصر النهائى . والصراع بين اللغة الفرنسية واللسان السلتى الذى يتكلم به البريتونيون (سكان مقاطعة البريتون Bretogne) قد نشب منذ عدة قرون ؛ ومع ذلك لا يزال كثير من شيوخ البريتون فى العصر الحاضر يتكلمون بهذا اللسان . ولا تزال اللهجة السلتية لغة محادثة بين عامة الإيرلنديين فى العصر الحاضر ، مع أن تغلب الإنجليزية عليها قد بدأ فى هذه البلاد منذ أواخر القرن الحادى عشر الميلادى . وقد أخذت لغة قريش تطغى على اللغات المضرية الأخرى منذ العصر الجاهلى ؛ ومع ذلك ظلت هذه اللغات حية فى كثير من المواطن إلى أواخر العصر العباسى

وغنى عن البيان أن انتصاراً لا يتم إلا بعد أمد طويل لا يخرج المنتصر من معاركه على الحالة التى كان عليها من قبل . فاللغة التى يتم لها الغلب لا تخرج سليمة من هذا الصراع . بل إن طول احتكاكها باللغة الأخرى يجعلها تتأثر بها فى بعض مظاهرها وبخاصـة فى مفرداتها كما سبقت الإشارة إلى ذلك فى العامل الأول[١] . غير أن تجرد العامل الذى نحن بصدد الـكلام عنه من عنف النزاع وشدة المقاومة ، وحدوث نتائجه فى صورة سلمية متدرجة بطيئة ، كل ذلك يعمل على وقاية اللغة الغالبة ، ويخفف من مبلغ تأثرها باللغة المغلوبة

والألفاظ الأصيلة للغة الغالبة ، ينالها بعض التحريف فى ألسنة المحدثين من الناطقين بها (المغلوبين لغوياً)، فتختلف بعض الاختلاف فى أصواتها ودلالاتها وأساليب نطقها عن صورتها الأولى .

والـكلمات الدخيلة التى تقتبسها اللغة الغالبة من اللغة المغلوبة ينالها كذلك بعض التحريف فى حروفها ومعانيها وأساليب نطقها فتبعد فى جميع هذه النواحى عن شكلها القديم

***

وتقطع اللغة المغلوبة فى سبيل انقراضها نفس المراحل التى أشرنا إليها فى العامل الأول[٢] فينفذ الانحلال أولاً إلى مفرداتها ثم إلى أصواتها ومخارج حروفها وأساليبها فى نطق الـكلمات ويتم الإجهاز عليها بالقضاء على قواعدها .

على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة باريس

(١) عدد ٣٤٧ صفحتى ٣٢٦ ، ٣٢٧
(٢) عدد ٣٤٧ صفحة ٣٢٧

العقلية الألمـــانية

من خلال الدراسة اللغوية

للأستاذ أبي حيان

كنا في ساعة من تلك الساعات الجميلة التي تتكاشف فيها الأذهان، وتتصافى فيها العقول، وتنطلق فيها الخواطر؛ والتي تدّخرها الذاكرة بين أطوائها، لتكون ذخيرة من السعادة، تستمدها النفس في أيام الشقاء، وتنعم باستحضارها كلما طغت عليها الآلام، وحزبتها الأيام. وكنا نتدارس في تلك الساعة طرفاً من علم اللغات المقارن، مما يتعلق بعلامات الإعراب، ومكانها في مختلف اللغات، وأنها سمة من سمات اللغات البادية: كاللاتينية القديمة، واليونانية الأولى. وما بقاؤها في اللغة العربية الشريفة، وقد جازت دَور البداوة، وشاركت في بناء الحضارة، وأعرقت في ذلك إعراقاً، إلا مظهر من مظاهر القداسة التي أسبغها القرآن الكريم عليها، بنزوله بها. والقرآن خالد خلود النفس: لا تبديل لكلمه، ولا تغيير في نظمه، ولا تحوير لوضعه؛ وكذلك اللغة العربية التي ارتبط كيانها بكيانه، وأخذت مكانها من مكانه. فهذه العلامات الإعرابية هي في حقيقة وضعها وصرد أمرها، مظهر من مظاهر البداوة الإنسانية في دور من أدوارها.

ولقد تنزل هذا الرأي من عقولنا ومشاعرنا منازل متفاوتة، فمنا من مال إليه وأخذ به لطرافته، ومنا من أنكره لغرابته، إلى غير ذلك من الحالات المختلفة باختلاف المزاج العقلي، ولكنه لم يلبث أن أثار في أنفسنا طائفة من الخواطر متعارضة، فلم يلبث ذلك المجلس الهادئ القارّ الرزين أن تحول عن هدوئه، حين انطلقت تلك الخواطر متدافعة متضاربة... فماج الجو من حولنا وثار، وطال الجدل واشتد... وقد اختلفت أساليب المحاجة، وتشعبت طرائق القول وأفانينه، على ما يقع في الخاطر، وعلى ما توحي به المناقشة.

ولكن أحدنا، وكان في معارضة الرأي منذ بدا، وكأنما كان يدخر - لحاجة في نفسه - هذا الوجه الأخير من المعارضة، أخذ يقول: «كيف يستقيم هذا الرأي لكم، وكيف يصح في الاعتبار العلمي، إذا كان بين يدينا ما يأبى بنيانه من القواعد؟ أنسيتم أن اللغة الألمانية من اللغات المعربة التي تلتزم الإعراب التزاماً لا هوادة فيه ولا تسامح في قواعده؟ إذن، فاعلموا أنكم بين اثنتين لا ثالثة لهما: إما أن تنزلوا عن رأيكم، وتحتسبوا لدى «الجدل المجرد» جهدكم، وإما أن تلجوا في مذهبكم - وأعيذكم من اللجاجة في الباطل حين يكشف عنه غطاؤه - فتزعموا أن اللغة الألمانية لغة متبدية، وأن الجنس الألماني لا يزال في دور من أدوار البداوة. ويالها إذن من جرأة على الواقع ومجازفة بالقول! إذ ما كان لأحد أن يذهب به وهمه هذا المذهب، فاللغة الألمانية هي - فيما يعترف الناس جميعاً - لغة الحضارة في أوسع معانيها، وأكمل ما عرف من صورها...»

ثم أخذ صاحبنا يمد شعب الحديث في كل مذاهبه الممكنة، ويفيض في بيان هذه الحضارة وتمجيد أصحابها، ويستشهد من هنا وهناك، في حماسة متقدة، وبلاغة خلّابة، حتى لحسبناه - ونستغفر الله - داعية من دعاة النازي، فهو يجرب فينا أساليبه، ويتخذ منا موضوعاً له. وهكذا لم يلبث الميدان أن تحول - على غير إرادتنا - من بحث لغوي ومدارسة علمية، إلى جدل سياسي، يهدأ ويفور، ويعتدل ويجور؛ وبقيت المسألة الأولى في موضعها حتى اليوم - فيما أعلم - لم يبتّ فيها برأي، ولم ينته فيها إلى مقطع.

انفض هذا المجلس ومضى كل ما فيه، إلا من هذه النفحة الروحية الخالدة - التي أودعها الله فينا - وأطلقنا عليها كلمة «الذاكرة»، فقد أضفت عليه معنى الخلود، ومضت به تختزنه بين ما تختزن، مما يعمل دائباً في تكوين شخصية هذا الإنسان الظاهرة والمستكنة، والحاضرة والمستقبلة؛ حتى إذا هاجته الحوادث، واستثارته الأشباه والنظائر، برز من مكمنه، وأخذ يؤثر في خيالنا، كما تؤثر المحسوسات في حواسنا.

وأنا منذ الحرب القائمة لا تزال الذاكرة تطلق لي صورة ذلك المجلس، وما تفتأ هذه الصورة تختال لي، وترود أمامي، وتتبرج لعقلي. فإذا بي أسائل نفسي: أيكون الشعب الألماني لا يزال يعاني البداوة في دور من أدوارها؟ أليست هذه المظاهر المختلفة في مسلكه من الحرب وإثارتها، وفي تقديره للحرية الشخصية وقيمتها، وفي تلك الدعاوى العريضة التي لا يفتأ يقررها ويلج فيها، وفي غير ذلك من الملابسات التي تنتظم الماضي والحاضر، أليس كل ذلك

تحقيق تاريخي

عام الفيل وميلاد الرسول

[تقدمة تحية إلى الدكتور محمد حسين هيكل باشا]

للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

عام الفيل

كان الرأى الشائع فى الدوائر التاريخية العلمية أن المصادر اليونانية لم تتحدث عن تعرض الأحباش للحجاز ، ولا عن سفر الفيل[١] غير أن المباحث الدقيقة التى نشرها المستشرق العلامة تيودور نولدكه عن تاريخ صلات الفرس بالروم[٢] . بينت أن المؤرخ پروكوب اليونانى تحدث عن تعرض الأحباش للحجاز بتحريض الروم[١] ، ومن ذلك الحين اتخذت الدراسات التاريخية وجهة أخرى تبدأ فيها بدراسة الوقائع من وجهة نظر المصادر اليونانيـة ، وتمحص على أساسها ما ورد فى كتب المؤرخين العرب[٢] ، وهذه الوجهة التى مال معها المستشرقون صحيحة الأسس ، لأن مؤرخى العرب تأخر بهم المهد نحو ثلاثة قرون من الزمان ، تدرجت فيها وقائع الجاهلية العربية على الأفواه وتنقلت على الألسنة فى فترة من الزمان ، حمل فى تضاعيفه من الأسباب القوية ما يجعله يتناول الواقعات والحوادث التاريخية بتأثيره ، فينسج من حول مادتها الأقاصيص المتقومة بروح العصر وهكذا كان أن سلمت وقائع الجاهلية العربية لعصر التدوين فى القرن الثانى للهجرة ، بعد أن غابت حقائق هذه الوقائع فى تيه من الأساطير التى حيكت من حولها والتى غطت على أمرها[٣] ، ومن هنا نجد للمصادر اليونانية قيمتها التاريخية ، باعتبارها مصادر معاصرة للوقائع التى جرت ، ومن هنا يمكن اتخاذها محكا لدراسة الروايات العربية ، واستخراج العناصر التاريخية منها

يذكر لنا پروكوب أنه فى السنة الخامسة من حكم الامبراطور جوستنيان ، أعنى حوالى سنة ٥٣٠ ميلادية ، حمل الأحباش على اليمن واستولوا عليها . وهو يصوّر أسباب هذه الحملة اعتماداً على ما يقدره يوحنا المؤرخ اليونانى فيقول : ان يوسف ذا نواس (دومينوس الحميرى : عند يوحنا) قبض على بعض التجار من نصارى الروم وقتلهم ، واستعبد نصارى نجران ، وأخذ يقطع السبيل على تجارة اليونان ، فكان نتيجة ذلك أن كسدت التجارة وساءت الحالة الاقتصادية . وقد تضرر من هذه السياسة أقيال اليمن ، فخرجوا تحت لواء أحدهم ، وهو « أيدوج » الوثنى ، وجرت بينهم وبين ذى نواس معارك وحروب لم يثبت فيها ، وانتهى أمره بأن قتل . وانتهز الأحباش فرصة تحارب اليمنيين فشنوا الغارة على بلاد اليمن تحت قيادة « أبرهة » ـ الذى كان فى الأصل عبداً لأحد تجار الروم النازلين ثغر أدوليس ـ وفتكوا

(١) Caussin de Percival فى Essai sur l'Histoire des Arabes avant l'Islams ، باريس ١٨٤٧ ، ص ١٤٥

(٢) Theodor Noldcke فى Geschichte der Perser und Ara-berzur zeit der Sasaniden ، ليدن ١٨٧٩ ، ص ٢٠٠

(١) Prokop فى De Bello Persico ، بن ١٨٣٣ ، ج ١ ص ٢٠ ، ١٠٤ ، ١٠٧

(٢) Leone Ceatani فى Annali dell'Islam ، ميلانو ١٩٠٥ ، فقرة ١١١ و ١١٧

(٣) I. A. Edham فى Islam Tarcki ، استانبول ١٩٣٥ ، ج ١ س ٢٩١ وكذا من مصادر التاريخ الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٣٦

أشبه بالعقلية البدوية ؟ وهذه المظاهر الفخمة المتطاولة التى تزعم للناس أنها واهبة الحضارة ، ورافعة بنيانها ، ومثبتة أركانها ؟ ألا يمكن أن يكون وراءها روح بدوية غلابة متغلغلة فى العقلية الألمانية ، هى التى تنهج لهـذا الشعب سبيلها ، وتفرض عليه قوانينها ، وتحدد له غاياتها ؛ وهى التى بعثته إلى هذا المسلك وإلى نظائره فى التاريخ القريب ، مما نحن فى مشاهده المنكرة ، وآثاره المروّعة ؟

لعل ذلك كله جائز مقبول ، وإن الدراسـة اللغوية هى — فيا نعتقد — من صميم الدراسات المتعلقة بعلم الإنسان Anthropologie ، ومن خير المقدمات التى تهدى إلى معرفة طبائع الشعوب وخصائص الأجناس . فإذا اطردت هـذه الدراسة اللغوية مع نتائج الأبحاث الاجتماعية كان ذلك أقوى لها ، وأجدر أن يخرجها من دائرة الفروض ، ويدنو بها إلى منطقة الحقائق العلمية . فهل لنا أن نذهب ذلك المذهب فيا نحن الآن بصدده ؟

أبو عيانه

بأيدوج ، وأخضعوا اليمن لسلطة نجاشي الحبشة[١]

غير أن المصادر العربية تجمل من أيدوج هذا قائداً حبشياً ، وتسميه أرياط وأنه باسم النجاشي حارب ذا نواس ، وبعد أن تغلب عليه حكم اليمن ؛ إلا أن « أبرهة الأشرم » أحد قواد الحملة الحبشية ثار عليه ونجح في إزاحته عن السلطة ، وتمكن من قتله وبسط نفوذه على اليمن كلها وحكمها باسم النجاشي[٢] . ونقطة الاختلاف هذه من الممكن تحقيقها ، لكنها لا تقع من غرضنا في هذا البحث، وإنما الذى يهمنا تقديره أن المصادر العربية تماشى المصادر اليونانية فى أن اليمن سقطت تحت حكم الأحباش بعد عهد ذى نواس (دومينوس[٣]) . وبعد أن استولى الأحباش على اليمن واستقروا فيها مدّة ، حدث أن أرسل الامبراطور جوستنيان سفيراً يدعى جوليان ، عرض من قبله على النجاشى فكرة عقد محالفة مع الروم ضدّ الفرس ، ويكون دور الأحباش فيها التعرض للفرس من جهة بلاد العرب المتاخمة لجنوب غربى الحدود الفارسية ، وذلك لتخفيف الضغط على الروم فى صراعهم مع الفرس على تخوم الحدود بين الامبراطوريتين[٤] . وهذه السفارة حدثت فى حدود سنة ٥٤٠ ميلادية[٥] ، كما يعيّن ذلك التاريخ المصادر اليونانية ، فى وقت كانت الصلات قوية ووثيقة بين النجاشى وامبراطور الروم . ومما لا شك فيه أن جوستنيان اعتمد على هذه الصلات أولاً ووحدة العقيدة الدينية التى تجمعه بنجاشى الحبشة ثانياً ، ليطلب مؤازرة النجاشى له فى الحرب التى اشتدت بينه وبين كسرى أنو شروان سنة ٥٤٠ ميلادية[٦]

ولم تكن فكرة إمكان مساعدة الأحباش للروم فى صراعهم ضد الفرس ، إلا فكرة خيالية لا يمكن أن تتحقق فى عالم الواقع . إذلم يكن الأحباش أصحاب أسطول بحرى ضخم يمكنهم من غزو

(١) Prokop فى المرجع السالف الذكر

(٢) حسن ابراهيم حسن فى تاريخ الاسلام السياسى ، القاهرة ١٩٣٥ ج ١ ص ٤٤ واسرائيل ولفنسون فى تاريخ اليهود فى الجاهلية وصدر الاسلام ، ص ١١٦

(٣) I. A. Edham فى المرجع المذكور سابقا ، ص ٢٩٢

(٤) Th. Noldeke فى المرجع السالف الذكر ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١

(٥) Leone Ceatani فى الكتاب المذكور ، فقرة ١٠٨ ، الحاشية رقم ١

(٦) الكاتب فى الكتاب المذكور له ، ص ٢٩٢ وكذلك ص ٢٠٠

فارس من جهة الخليج الفارسى ، ولا كان فى إمكانهم إرسال حملة من اليمن قاعدتها فى بلاد العرب عبر صحرائها للتعرض للتخوم العربية الفارسية ، لأن طبيعة تضاريس بلاد العرب ، لا تجعل وجهاً لإمكان نجاح مثل هذه الحملة[١] . وقد أمكن النجاشى أن يدرك هذه الحقيقة ، لإلمامه بالموقف الذى غاب عن الروم وقيصرهم ومن هنا كانت المماطلة دائماً من جانب النجاشى والاعتذار عن إمكان تقديم مساعدة فعالة للروم فى صراعهم ضد الفرس[٢] . فلما اشتد الصراع وبلغ أقصاه سنة ٥٤٠ ميلادية ، وأرسل جوستنيان رسولاً خاصاً (سفيراً) هو جوليان ، اضطر النجاشى مجاملة أن يأمر عامله على اليمن ، أبرهة ، أن يرسل قسماً من قواته شمالاً على زعم التحرك للتعرض للتخوم الفارسية . والطريق الطبيعى الممتد من اليمن إلى حدود فارس يمر بمكة وينتهى عند وادى الرمة أحد روافد الفرات فيما مضى[٣] . ومما لا ريب فيه أن الأحباش اتخذوا هذا الطريق مسلكهم نحو الشمال . غير أن القوات التى أرسلوها حين انتهت إلى الحجاز ، كان التعب قد نال منها والمرض قد أفنى معظم رجالها، والجدرى فتك بجنودها[٤] فاضطر الأحباش أن يسحبوا قواتهم ويعتذروا بخسائرهم إلى الروم ، ويقفوا عند هذا الحدّ . غير أن العرب من سكان الحجاز كان قد هالهم تقدم الأحباش فى جيش عرمرم (بالنسبة لهم) ورأوا أنهم يبيتون لهم شرّاً ، فلما أصيبوا بالوباء ، ورجعوا ، أيقن العرب أن ذلك أثر من تداخل العناية الإلهية التى حفظتهم مما كان الأحباش يبيتونه لهم[٥] . وهذا هو المصدر التاريخى الذى حيك من حوله

(١) البرنس ليون كاتيا فى الحوليات الاسلامية ، ميلانو ١٩٠٥ ، فقرة ١٠٨

(٢) Prokop فى De Bello Persico ، ج ١ ص ٢٠ و١٠٤ و١٠٧

(٣) Charles M. Soughty فى Travels in Arabian Deserta, Cambridge 1888 ، ج ٢ ص ٣٢٩ و D. G. Hogalh فى The Near East ، لندن ١٩٠٢ ، ص ٦٩ ، ٧١ و ٧٢ و ٧٦

(٤) انظر لنا تاريخ الاسلام ص ٢٩٤ وكذا انظر كايتانى فى الحوليات الاسلامية ، ميلانو ١٩٠٥ ، فقرة ١٠٨ وتاريخ الخميس ، بولاق ١٣٠٢ ص ١٢ ، ٢١٦ ، وعلى وجه خاص ص ٢١٦ سطر ١٩ وكذا ابن دريد فى الاشتقاق ص ١٠١ سطر ٣ وابن خلدون طبعة بولاق ج ٢ ص ٩١ ، ٦٢ وتفسير الكشاف طبع الهند ج ٢ ص ١٦٣٢

(٥) تاريخ الاسلام ص ٢٩٥

كل روايات العرب عن سفر الفيل[١]

***

تروى المصادر العربيّة أن السبب فى تمرض الأحباش لمكة يرجع إلى أن أبرهة الأشرم شيد هيكلاً فى صنعاء حاضرة اليمن[٢] ، وذلك بغية صرف الناس عن الكعبة . غير أننا نعلم من المصادر المسيحية أنها لم تشر ألبتة إلى مسألة بناء هيكل جديد فى صنعاء حاضرة اليمن (العربية السعيدة Arabia Felix) على عهد أبرهة[٣] . هذا فضلاً عن أن المؤرخ أوزيب فى بحثه عن « تاريخ الكنيسة » ، يتناول بالذكر النصارى من العرب وقساوستهم وأصحاب المآثر منهم على الكنيسة، وهو لا يذكر شيئاً عن أبرهة، وعن تشييد هيكل فى صنعاء[٤]

غير أننا نعلم أن المسيحية كانت منتشرة فى نجران ، وفى بعض المناطق من اليمن ، وأنه كان باليمن قسس من النصارى على عهد حكم الأحباش لها[٥] . ولا شك أن هؤلاء القسس الذين يرعون شؤون طائفتهم الروحية ، كانوا يتخذون لأنفسهم فى حاضرة اليمن هيكلاً ، يظهر أنه كان النواة التى حيكت من حولها روايات العرب . هذا ، وربما كان الأحباش وهم نصارى اعتنوا بهذا الهيكل وزينوه بما يليق بمكانتهم كنصارى حاكمين للبلاد ؛ وربما حمل هذا العمل عند بدو الصحراء وعرب الحجاز على محاولة الأحباش أن يجعلوا من هيكلهم نظيراً للكعبة . ولا شك أن هذا الوهم لم يكن ليمكن تصوره ، خصوصاً وأن الأحباش إذا فرض أنهم قاموا بمثل هذه المحاولة التى ينسبها مؤرخو العرب لهم ، فستكون هذه المحاولة وقفاً على النصارى من العرب وهؤلاء بحكم دينهم منصرفون عن الكعبة . فإذا جاز أن نحمل هذه المحاولة على الرغبة فى التبشير بالمسيحية بين العرب ، فلا شك أن مثل هذا الحادث الخطير لم يكن ليمر بدون إشارة فى كتب تاريخ الكنيسة الشرقية . ومن هنا لا نرى محلاً لقبول ما يقول رواة العرب عن سبب تمرض الأحباش للحجاز[١] .

***

إذا صحت استقراءاتنا ونظرتنا للموضوع ، فإن الصلة تكون مفصومة بين تمرض الأحباش للحجاز ومكة ، وبين وجود هيكل للنصارى بصنعاء . على أنه بعد ذلك مما يستوقف النظر، ما نراه من الاتفاق عند مؤرخى العرب فى تسمية الحملة الحبشية بسفر الفيل ، وذلك على اعتقاد وجود بعض الفيلة فى قوات الأحباش[٢] . على أن اعتقاد وجود بعض الفيلة فى جيش الأحباش باليمن يسوقنا إلى مواقف على جانب كبير من الخطورة ، يميل معها بعض المؤرخين الأعلام من الغربيين إلى إنكار وجود الفيلة فى قوات الأحباش[٣] . ذلك لزعمهم أنه لا يمكن تصور إمكان الاحتفاظ بالفيلة فى اليمن وتسييرها فى صحارى نجران[٤] . فضلاً عن أن الفيلة الإفريقية (التى قد يكون الأحباش جلبوها إلى اليمن إذا صح هذا الاعتقاد) من الصعوبة ترويضها حتى أن بعض الثقات الأثبات من علماء الحيوان يرون استحالة ذلك[٥] وهذه الاستحالة جعلت المؤرخين يرجحون أن تكون الفيلة التى ورد ذكرها فى حروب القرطاجنيين قديماً فيلة مجلوبة من الهند[٦] غير أن افتراض جلب الأحباش فيلتهم من الهند يقف فى سبيل قبوله أن الأحباش لم يكونوا على دراية بترويض الفيلة[٧] ،

(١) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ١١١ وما بعده ، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٣ ، ٦١ . وأخبار مكة للأزرقى ص ٨٦ — ١٠٢ وأخبار الأول لابن اسحاق ص ١٩ — ٢١ وسيد أمير على فى مختصر تاريخ العرب ، لندن ١١١٩ ص ٤١.

(٢) أبو صالح الأرمينى فى كنائس وبيع مصر وبعض الأقطار المجاورة طبع لندن ١٨٩٥ ، ص ٣٠٠ — ٣٠١ من الترجمة الانجليزية و ص ١٣٩ المتن العربي

(٣) البرنس ليون كايتانى فى الحوليات الاسلامية ، ج ١ فقرة ١٠٨ الهامش رقم ٢

(٤) المرجع السابق ذكره توا

(٥) Adolf Harnack فى Die Mission und ausbereitung des christenthums in den Easten Drei jahrhundert طبعة ليبزيغ ١٩٠٢ ، ج ١ ص ٤٧٧ سطر ٢٠

(١) أنظر لنا — تاريخ الاسلام — استانبول، ١٩٣٥٢ ص٣٠٤ و ٣٠٥

(٢) أنظر المصادر الاسلامية والعربية فى هذا الباب

(٣) البرنس ليتون كايتانى فى الحوليات الاسلامية ، فقرة ١٠٩ هامش رقم ١

(٤) أنظر لنا — تاريخ الاسلام — ١٩٣٥ص٣٠٤ وما بعده

(٥) Edmond Perrier فى La Vie des Animaux Illustrée

(٦) Edward Charton فى Voyages anciens et Modernes باريس ١٨٦٧ ج ٢ ص ٢٩ وكذا P. Armandi فى Histoire militaire des éléphants ، باريس ١٨٤٣ ، ص ١٢

(٧) ليون كايتانى فى الحوليات الاسلامية ، فقرة ١٠٩ وهوامشها . ومما يحسن الاشارة إليه هنا أن الأحباش استعملوا فيلة هندية فى حروبهم أنظر Henry Zule فى The book of M. Blo لندن١٩٠٣ج٢ص٤٣٤

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لأنهم لم يكونوا أصحاب أسطول يمخر عباب البحر الهندي ، حتى يمكنهم جلب الفيلة الهندية [1] على أن هذه الاعتراضات من الممكن ردها إذا لاحظنا أمرين غابا عن هؤلاء الباحثين : الأول أن الأحباش استعانوا بأسطول الروم لنقل جيوشهم عبر باب المندب والبحر الأحمر حين شنوا الغارة على اليمن [2] . وثانياً أنه كان للروم سفائن حربية وأخرى تجارية في البحر الأحمر [3] . وهذا يجعل من الممكن جلب بعض الفيلة من الهند بواسطة سفائن الروم وأن يستعين الاحباش ببعض الهنود في تسيير هذه الفيلة في حملتهم على فارس . ولاشك أن تعاون الروم مع الأحباش أولاً ، والغرض من الحملة وهو مساعدة الروم ثانياً يجعل لتفسير تسمية حملة الأحباش بسفر الفيل وجهاً مقبولاً.

تقدم الأحباش بقواتهم شمالاً ، لكنهم لم يكادوا يقربون مكة حتى ألمت بهم كارثة أودت بهم . وبعض المراجع العربية ترجح أن تكون هذه الكارثة هي تفشي الجدري في جيش الأحباش [4] . والقرآن الكريم يؤيد كلام المؤرخين العرب

على أن إشارة القرآن إلى أصحاب الفيل ، تحمل في تضاعيفها دلائل قوية على معرفة العرب لقصة سفر الفيل من جهة ، وعلى أنها حديثة العهد بهم ؛ على أن ما قدمه القرآن لنا في صورة موجزة توسع فيه رواة العرب وخلطوه بالأقاصيص وشحنوا به كتب التاريخ والسيرة والأدب . وهنا لك بعض الشعر المزعوم قوله في حادثة الفيل ، تجد بعضه منسوباً لابن الزبعرى والبعض الآخر لأمية بن أبي الصلت . فمن المنسوب للأول هذه الأبيات :

وتنكلوا عن بطن مكة إنها ... كانت قديماً لا يرام حريمها
لم تُخلق الشعرى ليالي حرّمت ... إذ لا عزيزَ من الأنام يرومها
سائل أمير الجيش عنها ما رأى ... ولسوف ينبي الجاهلين عليمها
ستون ألفاً لم يؤوبوا أرضهم ... بل لم يعش بعد الإياب سقيمها
كانت بها عاد وجُرْهم قبلهم ... والله من فوق العباد يقيمها

أما الأبيات المنسوبة لأمية فهي :

ومن صنعه يوم فيل الحبو ... ش إذ كل ما بعثوه رَزَم
محاجنهم تحت أقرابِه ... وقد شرّموا أنفه فانخرم
وقد جعلوا سوطه منوَلا ... إذا يمموه قفاه كُلِم
فولى وأدبر أدراَجه ... وقد باء بالظلم من كان ثَم
فأرسل من فوقهم حاصباً ... فلفّهم مثل لف القُزُم
تحض على الصبر أحبارُهم ... وقد ثأجوا كثؤاج الغنم

ويفهم منها أن الكارثة التي ألمت بأصحاب الفيل كانت مزدوجة : ريح سموم هبت عليهم ، ووباء تفشى فيهم ، وحمل الوباء عند العرب على الريح السموم [1] . على أنه مما يستوقف النظر في هذه الأبيات ورود لفظة « الأحبار » في البيت الأخير مع أن الأحباش لم يكونوا هوداً ، حتى يصح افتراض اصطحابهم لأحبارهم ! والذي عندي أن هذه الأبيات مفتعلة في العصر الإسلامي .

إذا وضعنا أمام النظر كل هذه التحقيقات بان لنا أولاً : أن قصة مسير الأحباش إلى مكة بقصد هدم الكعبة دون غيره ليست جاهليّة ، وإنما تعود بأصل إلى الإسلام

ومن هنا نجد أن تعليل تعرض الأحباش للحجاز في طريقهم إلى فارس بأن القصد منه محاولة هدم الكعبة وصرف الناس عنها ليست إلا أسطورة نشأت بعد أن قام الإسلام وذاع وانتشر بين العرب واستقر في الشرق وارتفع شأن مكة وأصبحت الكعبة قبلة المسلمين . فعمل الرواة على أن يربطوا بين وجود هيكل النصارى في اليمن وبين حملة الأحباش على الحجاز في سبيلهم إلى فارس فكان لهم من ذلك قصة محبوكة . ومما لا ريب فيه أننا قد وضعنا اليد على مواضع الصنع في هذه القصة التي ترويها الكتب العربية ، وكشفنا عن الخطوط التاريخية التي استمد منها النسيج الأول الذي حيكت بعده بقية خيوط القصة كما تجيء في المصادر العربية. وهكذا نميز معنا الجانب التاريخي من الجانب الأسطوري فيها ،

(١) ابن جرير الطبري طبعة ي غوييه ج١ص٩٢٢س٨
(٢) نولدكه في Geschichte der Pesser ، ص ١٨٨ هامش رقم ١
(٣) نفس المرجع
(٤) الطبري ، ج٢س١١١ وما بعده وسيرة ابن هشام . ج١ص٤٣ — ٦١ وأخبار مكة للأزرقي ص٨٦ — ١٠٢ وابن خلدون طبعة بولاق ج٢ ص ٦١ — ٦٢ والزمخشري في الكشاف طبع الهند ، ج ٢ س ١٦٣٢ والسيرة الحلبية ج١ ص٨١و٨٢و٨٣ طبعة مصر ١٢٨٠ وتاريخ الخميس طبع بولاق ، ج ١ ص ٢١٢ — ٢١٦ وعلى وجه خاص ٢١٦ س ١٩ وابن دريد في الاشتقاق ص ١٠١ س ٣

(١) المرجع ذاته ، ج ١ ص ٣١٥ والبرنس كايتاني في الحوليات الاسلامية ، ج١ فقرة ١١٧ر١١٩

واتضحت ناحية خفية من نواحى تاريخ العرب فى الجاهلية [1]

ميلاد الرسول

ربط الكثير من مؤرخى العرب ميلاد الرسول (ص) بعام الفيل ليتخذوا من ذلك دليلاً آخر على نبوّة الرسول بأن عناية الله ردّت كيد الأحباش عن مكة تكريماً له إذ كانت أمه آمنة فى ذلك الحين حاملة به [2]. والواقع أن نبوة الرسول تحمل فى ذاتها آيات صدقها ، فهى لا تحتاج لدليل خارجى يدعمها . وحياة الرسول تثبت أنه كان مخلصاً طيلة حياته ، وهذا وحده يردّ كل محاولة يراد بها التشكيك فى نبوته [3]

ولما كانت حملة الأحباش التى عرفت بسفر الفيل جرت سنة ٥٤٠ ميلادية [4] كما ثبت من التحقيقات التي كشفنا لك عنها من قبل ، فإن الصلة تبدو مفصومة بين عام الفيل وهى السنة التى كان فيها سفر الفيل وبين ميلاد الرسول (ص) ، فنحن نعرف أن محمداً عليه الصلاة والسلام ولد فى حدود سنة ٥٧٠ ميلادية كما حقق ذلك الباحثون [5] . فإذن هنالك نحو ثلاثين سنة تفصل بين عام الفيل وميلاد الرسول . وبعض المؤرخين العرب يثبت هذا ، فمثلاً يقول البغوى : إن سفر الفيل حدث قبل ميلاد الرسول بنحو أربعين سنة [6] ومحمد بن السائب الكلبي ينزل بهذه السنين إلى ثلاث وعشرين سنة [7] . ونلاحظ أن خلفاء أبرهة حكموا اليمن ٣١ سنة [8] وأنه فى سنة ٥٧٠ ميلادية ذهبت قوات القدس لتخليص اليمن من الأحباش [9] وهذا يجعل حكم أبرهة الذى أغار على الحجاز حوالى عام ٥٤٠م وهذا ما يؤيده عن طريق غير مباشر بعض المصادر العربية التى تقرر أن الرسول ولد بعد خمسين سنة من استيلاء الأحباش على اليمن [1] وأنهم طردوا بعد عامين من ميلاد الرسول [2] . وهذا كله إن أثبت شيئاً فإنما يثبت أن الصلة مفصومة بين ميلاد الرسول وعام الفيل وأن محمداً ولد بعد عام الفيل بثلاثين سنة تقريباً [3]

ومن المهم أن نقول هنا إن هذه الحقيقة التاريخية برغم وضوحها ورغم ثبوت أن حملة الأحباش على الحجاز كانت فى حدود سنة ٥٤٠ ميلادية وأن ميلاد الرسول كان سنة ٥٧٠ ميلادية ، فإننا نجد معظم المشتغلين بالتاريخ الإسلامى يخطئون ، فيجعلون ميلاد الرسول مقروناً بعام الفيل . وربما كان لبعضهم العذر فى هذا الخطأ لجهلهم هذه التحقيقات المعروفة فى دوائر التاريخ فى العالم المتمدن ، ولكن ما عذر بعض الأساتذة الجامعيين الذين نجد فى مصنفاتهم جميع أصول هذه التحقيقات ، وبعد ذلك يخطئون ويقولون إن الرسول ولد فى عام الفيل [4] ومهما يكن من شيء فالتاريخ يرفض كل محاولة يراد بها ربط ميلاد الرسول بعام الفيل كما أن التحقيقات التاريخية تبين أن الصلة مفصومة بين التاريخين بنحو ثلاثين سنة . ونرجو أن يكون فى هذا البحث تصحيح لما تجرى به أقلام الباحثين فى العالم العربى من أن رسول الله محمد بن عبد الله ولد عام الفيل .

(الاسكندرية)

اسماعيل أحمد أدهم
دكتور فى العلوم والفلسفة من موسكو
ودكتوراه فخرية في الآداب من لينغراد وموسكو

(١) أنظر أثر ذلك فى التاريخ العربى الجاهلى ، فى تاريخ الاسلام ، ج ١ ص ٣٩٠ وما بعدها

(٢) الطبرى ، ج ١ ص ٩٦٧ — ٩٦٨

(٣) ليون كايتانى — الحوليات الاسلامية — المقدمة

(٤) نولدكه فى تاريخ القدس ، ص ٢٠٥ ، الهامش

(٥) Baussin de Percival فى Essai sur l'Histoire des Arabes ج ١ ص ٢٨٢ — ٢٨٣ و se Sacy فى 7ém de l'Academie مجلد XLVIII ص ٥٣٠

(٦) ليون كايتانى فى الحوليات ، ميلاد الرسول .

(٧) المرجع السابق الذكر توا ، ميلاد الرسول

(٨) نولدكه فى تاريخ الفرس ، ص ١٢٠ ، هامش رقم ٣

(٩) نفس المرجع .

(١) البيرو فى Chron ص ٤ سطر ٢٤

(٢) الأزرقى فى تاريخ مكة، ليبزيغ ١٨٥٨ ، ص٩٢ س٢ وما بعده

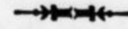
(٣) Sprenger فى Zietschrift der Deutschen Iorgenlandischen Gesellschaft جـ ١٣ ض ١٣٧ و ١٤٢

(٤) حسن ابراهيم حسن في تاريخ الاسلام العباسى ، جـ ١ ، فصل تعرض الأحباش لليمن ، وحربهم علي عرب الحجاز ، وقابله بما يذكره من مولد الرسول

محمد تيمور

الممثل والناقد والمؤلف المصرى

للأستاذ زكى طليمات



[نص الكلمة التى ألقاها الأستاذ زكى طليمات مفتش شئون التمثيل بوزارة المعارف فى الحفلة التى أقامتها جماعة أنصار التمثيل والسينما بدار الأوبرا الملكية مساء يوم الأربعاء الموافق ٢٨ فبراير ١٩٤٠ تكريماً لذكرى المرحوم محمد تيمور ، وذلك بمناسبة مرور عشرين عاما على وفاته]

إن الحديثَ عن تيمور لا تَخْلقُ جِدَّتهُ لمن نَعِمَ بصداقة تيمور الراحل ، ومن قرأه فى أشعاره وفى مسرحياته . وحديثُ اليوم حديثُ الوفاء لمن عَمِلَ إلى جانب تيمور للمسرح وللفن ، واتفق وإياه فى المبدأ والفكرة العاملة . وحديثُ اليوم أيضاً هو درسُ الشبابِ ، الشبابِ الدارج الذى فاته أن يعرف تيمور أو أن يُطَالعَهُ فى كتبه الثلاثة

حينما لبى تيمورُ نداءَ ربه منذُ عشرين عاماً ، وريعت مصرُ بفقده، وانتظمت جنازته فى شِبهِ موكبٍ قومى حافل — لم نشيعْ السرىَ ابنَ الجاهِ الواسع والحسب الأصيل ، لم نشيعْ الشاعرَ الملهمَ فحسب ، وإنما شيعنا رجل المسرح المصرى الحق ، وكبير كتّابه ، وأخلص نصرائه

على هذا الاعتبار الذى يطغى على أى اعتبار آخر ، شيعنا محمد تيمور إلى مرقده الأخير ، ولما يتجاوز العقد الثالث من عمره . وليس فى ذلك إرخاص لشباب غض ذَوَى قبل أوانه ، وخُلق رضى متواضع قلما تُلمَحُ مخايله فى شباب الأعيان وأبناء الأرستقراطية التى تحسب أن النعم وقف على أبنائها ، ولا خفض لشأنِ البيانِ الذى كان تيمورُ من فرسانه ؛ وإنما إعلاء لشأنِ تلك الموهبةِ الفنية الخصبةِ التى أمدّت المسرح المصرى ، وهو يرقى أولى درجات نموه بكثير من مقومات كيانه بعد أن ركّز فيه تيمور أعلاماً من العمل الباهر والجهاد الصادق

وما اجتمعنا اليوم إلا بنفس الدافع الذى دفع الناس من قبل إلى تشييع جنازة تيمور ...

اجتمعنا لنحيى ذكرى تيمور فى جهاده للمسرح المصرى : ممثلاً وكاتباً وناقداً .

وقد نجتمع غداً لنفس الدافع ، ولعين الغرض ، وسيحمل الجيل القادم شرف هذه الرسالة ليسلمها بدوره إلى الجيل الذى يليه . هذا أمر أعتقدهُ وأومن به ، لأننا ، وقد شملتنا اليقظة القومية، لا بد من أن نمجد ذكرى من عملوا لهذه القومية.

لأننا ، وقد أخذنا بتدعيم أسباب مسرح مصرى صحيح ، لا مناص من أن نشيد بذكر من جاهدوا فى سبيله ، وأن ننتزع من النسيان تلك الوجوه الكريمة ، التى شقت أفقاً ، ومهدت طريقاً ، وأهوت بيدها تنشئ فى جدار ! ...

تيمور والمسرح

أتحدث الآن عن ذلك الجيل الذى عاش فيه تيمور ، جيل الجهاد الأول من جانب الشباب المثقف لاستخلاص طابع مصرى لفن التمثيل العربى ، ولإعلاء شأنه ، جيل الهواة الذين يرجع إليهم الفضل فيما انتهت إليه الحركة المسرحية اليوم

لئن قلت إن التمثيل كان قبلة تيمور فى مختلف أدوار حياته ، فإنى لا أقرر غير الواقع الذى شهد به كل من اتصل بتيمور

فما كان تيمور المراهقُ الذى كان يتخذ من أبهاء قصور آبائه مسارح مرتجلة ، ومن شقيقيه ومنّى ومن خلصائه ممثلين لفرقة مزعومة ...

هـذا الجوّاب الصغير لدور التمثيل فى سن لا يحسُن فيها الذهاب إلى دور التمثيل، هذا المقلد (لسلامة حجازى) فى إنشاده ، ما كان تيمور هذا ، إلا ذلك الشاب اليافع ، الذى أعجب به الجمهور بعد ذلك ممثلاً فى حلقات السمر ، وفى حفلات الجمعيات التمثيلية ، ثم حياه ناقداً جريئاً ، ثم مجده مؤلفاً لمسرحيات مصرية طريفة هى الأولى من نوعها فى العهد الذى عاش فيه تيمور

وإذا حاولنا أن نقيمَ صلةً بين هَوِية تيمور بالمسرح وبين نشأته وبيئته وتقاليد أسرته لما وجدنا إلى ذلك سبيلاً ، ولانتهينا إلى أن الإنسان حقاً لا يستقيم إلا على محتوم قضائه ومكتوب سيرته . (فتيمور) سليل بيت عريق فى الغنى والمجد وفى التقاليد التى تعتبر التمثيل رِجْساً من أعمال الشيطان . و (تيمور) ابن بيت عُرِف بالاشتغال بالأدب ، فعمته الشاعرة عائشة

التيمورية ، ووالده المؤرخ واللغوى المحقق أحمد تيمور باشا .

و (تيمور) اجتاز مراحل الدراسة فى مصر ، وسافر إلى أوربا لدراسة الحقوق ، ولم يكن بينه وبين نيل إجازته شىء ، لولا أن قطعتْ عليه الحرب العالمية الأخيرة سيرَ دراسته ...

ومع كل هذا فقد اعتلى تيمور المسرح ممثلاً قبل عودته من أوربا وبعد عودته منها وعلى الرغم من تبرم أهله وعشيرته بفن التمثيل ...

اعتلى المسرح وهو يشغل وظيفة التشريفى لدى عظمة السلطان حسين فى قصر عابدين ؛ فضرب بذلك المثل الحىّ على أن التمثيلَ هوايةٌ شريفةٌ جديرة بأن يعمل فيها أكبر الناس حمولةً من العلم والجاه والمركز الاجتماعى الممتاز . وهذا المثل فيه ما فيه من دلالة على أن المسرح يجب أن يكون مما يُعنَى به الشبابُ المتعلم والشباب الكريم المحتد . وأن المسرح ليس بالأرض التى قضى عليها بألا تحمل إلا الأغرار ومن تنكّبت بهم سبل العيش ومن خلت مواهبهم إلا من الجرأة والصوت الجهير ! ...

تيمور الممثل

ترأس (تيمور) أكثر من هيئة تمثيلية ، وعمِلَ مخرجاً وممثلاً فيها . بيد أن حياته فى فن المثل ليست بالحياة الطويلة ، ولكنها على قصرها رسمت فن المثل فى نسقه العالى ، وأقامت مدرسة لفن الإلقاء والتجويد لم تكن معروفة فى ذلك الوقت ، لأنها مدرسة كانت تقوم على الاعتدال والاتزان وصدق التعبير وجمال التأثير . جمع تيمور فى إلقائه قوة التصور والإدراك إلى قوة الأداء والتعبير فى تلك البساطة الفنية والحذق الباهر الذى يعمل على إرخاص الحواشى وإعلاء جوهر الكلام ، والذى يحمل التأثير إلى قلوب المستمعين ، لا إلى آذانهم !

هكذا شق تيمور الفجر الأول لما يجب أن يكون عليه الإلقاء والتمثيل من جانب المثل والملقى

إلا أن الحركة التمثيلية لم تستفد الإفادة كلها من مواهب تيمور المثل ؛ لأنه لم يكن فى وسع تيمور — وظروف بيئته على ما أجلنا وصفه — أن يحترف التمثيل فى الفرق العاملة

ويقينى أن تيمور لو احترف التمثيل لما أصاب فيه خيراً ، ولا اقتصرت مواهبه على تأدية بعض الأدوار ، ولا انصرف بذلك عما هو أهم وأجدى ، ولتبرم فى النهاية بالمسرح ومحترفيه

تيمور المؤرخ والناقد

إذا صح أن المسرح المصرى فقد فى إمساك تيمور عن احتراف التمثيل ممثلاً قديراً كان فى وسعه أن يرقى بفن المثل إلى الدرج المرغوب فيه ، إذا صح هـذا فإن المسرح لم يفقد فى تيمور ناقداً له ومؤرخاً لعصر من عصوره

إن ما كتبه تيمور ناقداً ومؤرخاً للمسرح المصرى متفرد فى بابه بالدقة والصراحة ، متفرّد فى ابتعاده عن التشيع وتلمس العيوب وحرق الباخر تحت ذقون زعماء المسرح المصرى

كان تيمور لا يكتب لشهوة الكلام ، أو للتظاهر بأنه حذق المسرح وفنونه ، ولا لأى غرض من الأغراض التى تدفع بعض نقاد المسرح إلى امتشاق القلم وخوض معارك الجدل ، وإنما كان يكتب لينزل الأشياء منازلها الصحيحة ، وليخط للنقد المسرحى طريقاً ، وليقيم له عرفاً ، وليذيع اسم المسرح فى كل مكان ، ثم ليرسم للعاملين فى المسرح الطرق والوسائل التى ترق بهم وبفنهم نحو الكمال المنشود . ولعل تيمور أول من كتب منادياً بوجوب استقلال المسرح المصرى عن المسرح الغربى برواياته وتصانيفه ، وبوسائل تأدية ممثليه

لو قال تيمور هذا وسكت لقلنا إنه إنما يزف نظريات استلهمها من تاريخ المسرح الغربى وتطوره ، وهو المسرح الذى نهل منه تيمور أعذب الموارد

تيمور المؤلف

ولكن تيمور قرن القول بالعمل والنظر بالتنفيذ ، فألف للمسرح مسرحيات تمتاز بطابع مصرى أصيل ، هذبت حواشيه وصقلت صميمه مطالعات بعيـدة وتأملات واسعة فى نفائس الأدب المسرحى العام ، امتزجت بوفرة الاستعداد وخصب الموهبة وروح الشاعر

كتب تيمور ثلاث مسرحيات (العصفور فى القفص) ، و (عبـد الستار) و (الهاوية) كما وضع مسرحية (العشرة الطيبة) ، والجديد فى هذه الروايات أنها عالجت موضوعات منتزعة من صميم الحياة المصرية والشرقية فى أسلوب أخذ نصيبه الوافر من طرافة الحوار ، ووضوح الفكرة ، وتغلغل هابطاً فى أعماق النفس البشرية ليسجل منها أصدق الخلجات وأخلص المشاعر

والجديد فى هذه الروايات أيضاً ، أنها كتبت باللغة العامية ، وهذا موضع العجب ، لأن تيمور كان يملك ناصية البيان العربى وله شعر رصين ينم عن تعمق فى دراسة اللغة ، والأخذ ببيان الأقدمين .

وكان التأليف للمسرح من جانب من هم على شاكلة تيمور فى ثقافته وأدبه إنما يجرى باللغة العربية الفصحى

تيمور واللغة العامية

يفسر هذا أن تيمور كان يعتقد — كما سبق أن جاهر بذلك فى مقالات عديدة — بأن لغة المسرح يجب أن تكون غير لغة المقال والأدب ، وأنه يجب مخاطبة الجمهور المستمع باللغة التى يفهمها ويحذقها ، أيًّا كانت لهجة هذه اللغة ونصيبها من البيان ، وأنه فى سبيل ذلك لا ضير على المؤلف للمسرح أن يكتب باللغة العامية ما دامت هـذه اللغة فى متناول كل الأذهان ومختلف الطبقات ، وأن لا ضير من إهمال جانب العربية فى الكتابة للمسرح حتى يجتاز التمثيل المصرى المرحلة الأولى من مراحل تكوينه ، وهى مرحلة نشره وإذاعته بين الجماهير

كان تيمور أول من سن هذه الشرعة الفنية فى وقت كانت تصدر فيه أغلب المسرحيات فى أسلوب عربى لو اهتم كاتبه بمقتضيات الفن فى نسج الرواية اهتمامه بتنميق اللفظ وإشراق البيان ، لـكان للمسرح المصرى اليوم روايات عربيـة مقطوع بصحتها الأدبية والفنية معاً

تيمور والمصرية

وفوق هذا فقد كانت تعمُر قلب تيمور فكرة « المصرية » وهى فكرة ترمى إلى أن يكون الأدب المصرى مستقلاً عن الأدب العربى ، لا فى مناحى التفكير فحسب ، ولكن فى العبارة وأسلوبها إذا لزم الأمر

وهـذه « المصرية » تجلت فى كل ما كتبه تيمور قصاصاً وشاعراً .

والمصرية اليوم فكرة قد لا تلقى ترحيباً لدى بعض الرؤوس المفكرة ، ولها ما لها عند البعض ، وعليها ما عليها عند البعض الآخر ، إلا أننى أقول ـ وقد أخذت عن تيمور الكثير من ثقافتى الفنية والأدبية ـ إنه ستكون للمصرية، ولا شك، دولة فى القريب العاجل ما دمنا قد استكملنا مظاهر استقلالنا السياسى ، وما دمنا قد استشعرنا العزة القومية ، وأخذنا بأسباب نهضة ترمى فى الصميم إلى استقلال الفكر والأسلوب فى جميع نواحى الحياة الاجتماعية

ولم يك غريباً بعد أن أصدر تيمور مسرحياته باللغة العامية وهى تعالج موضوعات مصرية، لم يك غريباً أن يقيم مدرسة جديدة فى الأدب المصرى ، والأدب العربى المستحدث ، اجتذبت نحوها مريدين وأنصاراً

وقد ننسى أن تيمور كان ممثلاً فذاً ، وكان ناقداً جريئاً ، وأنه أضاف جديداً إلى دولة الشعر والبيان ، وأنه دبّج للاصلاح الاجتماعى مقالات عديدة . قد ننسى كل هذا ، ولكننا لا نستطيع أن ننسى أن تيمور عمل للقومية المصرية الحقة بتأليف مسرحيات جديرة بالخلود لوفائها بشرائط الفن الرفيع ، مسرحيات تعتبر بحق من أحسن ما أخرجته الأقلام المصرية الدائبة على أن تجعل المسرح شقة من الأدب العربى المستحدث

كذلك لا نستطيع نسيان شىء آخر ، وهو نزول شاب عريق فى الحسب والجاه ، إلى العمل فى حقل جديد ، فى فن وافد حديث العهد بفنون هذه البلاد وتقاليدها ، ترمقه الأكثرية الغالبة من الناس بعين ملؤها الشك والازدراء ...

لا ننسى أن تيمور كان سبباً فى أن أخذ الناس يحسنون الظن بهذا الفن . وشد ما يحتاج هذا الفن إلى حسن ظن الناس به ! وأنه عمل له مجاهداً فدائياً بقدر ما وسعته بيئته وزمانه ، وأنه لم يلق قلم الجهاد حتى الساعة الأخيرة ، ويالها من ساعة سقطت فيها زهرة ندية بقطر الشباب ، تتنفس عن عطر فاغم ، بعد أن جادت بروائها وبنورها وبعطرها لتبقى منابت الورد موارد الإلهام وحصاد الخيال ومباعث الحنان ...

أيها السادة :

إن الذى نحتفل اليوم بتمجيد ذكراه ، شاب قضى فى ميعة العمر ونضوج الصبا ... فحيوا معى العروس المختضر ، وأرسلوا البسمات صافية ، لأن الدموع على الشباب الراحل ضرب من السخرية ، ولون شائع من الحزن الرخيص ...

زكى طليمات



مجلس ظريف

شهدت من كثب ذلك المجلس في مقهى، ومن عجب أن تقع عيناى على مجلس ظريف في مثل ذلك المكان. أقول ذلك وإن عجب القارئ لقولى؛ على أنى أرجو منه المعذرة، فأنا أكره المقاهى حتى ما أطيق الجلوس فيها إلا لضرورة. ولئن أنكرت وجود مجلس ظريف فى أحدها فرد ذلك إلى جهلى بها لا ريب فى ذلك ... ولست أدرى لم أسأل نفسى أبداً كلما مررت بمقهى: أيتفرج الجالسون فيه على السابلة، أم هم أنفسهم صنف من المعروضات يتفرج عليهم المارة فيما يتفرجون عليه من معروضات الشارع؟ أما عن نفسى فأنا أتفرج دائماً على هؤلاء الجلوس ضاحكا؛ وكم يذهب خيالى فى تصورهم لى مذاهب لن أطاوع قلمى فى ذكرها

ذهبت فى المساء أطلب الهدوء فى أحد أطراف المدينة فلت إلى مقهى هناك كاد يكون خالياً، وقد اجتذبنى ما بدا لى من هدوئه. وجلست وحدى فى ركن من أركانه أمنى النفس بجلسة تميد لى خيال منزلى فى القرية؛ ولكنى لم أكد أستشعر الهدوء حتى أقبل جماعة لم أشك أنهم من طالبي الهدوء مثلى. وآية ذلك أنهم كانوا يضحكون فى جلبة شديدة، ويقطع بعضهم على بعض الحديث قبل أن يأخذوا أماكنهم! ورأيتهم جلسوا فى نصف دائرة أمام واحد منهم جعلوا له الصدارة، وقد دل مظهره على أنه جدير بهذه الصدارة. والحق لقد كان فى مجموع شكله يخيل إلى أنه نكتة تمثلت بشراً!

وبدأ الحديث أو قل استمر، فهم لم يمسكوا منذ رأيتهم مقبلين. وكأنما اعتزم هؤلاء أن يضحكوا أكثر ما يستطيعون من الضحك كما لو كانوا واثقين أن هذه آخر فرصة للضحك فى حياتهم!

كانوا إلا واحداً أو اثنين قد جاوزوا الأربعين بقليل كما تراءى لى. أما كبيرهم فأحسبه كان يحبو للخمسين من عمره المبارك، وكانوا جميعاً يشتركون فى صفة واحدة؛ ذلك أن عليهم طابع الديوان، فما تلبث العين — ولو بغير منظار — أن ترى فيهم نفراً من هؤلاء الذين يتربعون أمام المكاتب أثناء النهار وقد ارتسمت على وجوههم أمارات الجاه واتضحت دلائل الحكومة

ودار حديثهم أول ما دار حول «عزومة» كانوا خارجين منها لتوّهم، فلم أسمع إلا النكتة تتلو النكتة. ولقد غابت عنى لسوء حظى أكثر هاتيك النكات فيما كان ينطلق من أفواههم من قهقهات عالية متواصلة! ورأيتهم يرسلون ضحكاتهم العريضة قبل النكتة وبعدها، فما تنفرج شفتا زعيمهم حتى تنبث الضحكات مجلجلة من بين شفاههم، وإن لم يسمعوا ما يقول. فلقد كان يضحك الواحد منهم أحياناً ملء شدقيه، ثم يميل على جاره يسأله: ماذا كانت النكتة؟ وكانت تسمج بعض النكات، ولكن الضحك يظل على حاله من الشدة، حتى لا أدرى أيحمل هنا على المجاملة أم أن سخف النكتة إذا اشتد قد يكون فى ذاته باعثاً من بواعث الضحك منها؟ على أننى رأيت للمجاملة هنا شأناً كبيراً، فكل من هؤلاء يضحك لكى يضحك لقوله الآخرون بدورهم، وإن جاوز فى السخف أبعد حدوده ...

ومن غريب أمر هؤلاء الظرفاء أنهم لم يتورعوا عن ذكر اسم مضيفهم المسكين أكثر من مرة، ولم يتركوا شيئاً مما قدم لهم من الطعام، ولا مما رأوه من متاع بيته إلا جعلوه موضعاً لظرفهم وقلبوه على أوضاعه جميعاً، فهذا زفت مجسم سمى «بالكفتة»؛ وهذه «الفتة» كان ينقص أن تقدم فى طست الغسيل؛ وهذا الصنف جيء به من «السمط»، وهذا الخبز سيسأل عن تقديمه لهم بين يدى الله، أو ذلك البرتقال من «سوق الكانتو» وتلك الأطباق والملاعق لا شك وقف عزيز من أوقاف المرحوم جده ... وإنه إذا أراد أن ينتقم غداً من الرئيس فلان فليس أبلغ فى الانتقام منه من أن يدعوه إلى مثل هذه «الأكلة» ...

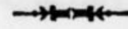
وليتهم استمروا فيما هم فيه، ولم يخرجوا منه إلى استعراض الكثير غيره من أعراض الناس فى مجلسهم الظريف، وللحديث شجون كما يقولون، وليس يبالى هؤلاء القوم فى ساعة «حظهم» إلى من يتطرق الحديث، ولا أى موضع يتناول

وشبعت نفسى مما طلبت من هدوء، فانصرفت مسروراً برؤيتى هذا المجلس الظريف؛ وأنا أقول فى نفسى كم يوجد من أشباه هذا المجلس الظريف ونظائره فى الطبقات الأخرى من المجتمع وفى غير أركان المقاهى من النواحى، فما تلك المجالس إلا براهين قاطعة على أننا قد بدأنا نأخذ أنفسنا بالجد من الأمور، وأننا إذا لهونا فإنما نحسن اللهو كما نحسن الجد فى هذه الحياة.

«عين»

ذكرى أخى الهراوى

للأستاذ على الجندى



قبل وفاة صديق المرحوم الهراوى بشهر ، أرسل إلىّ بطاقة لطيفة حمّلها (ألف قبلة وتحية) ورجانى فيها أن أزوره بمقر وظيفته ليحادثنى فى شأن من الشئون الأدبية . وقد عدتنى عواد عن تلبية هذه الدعوة فى حينها ، ثم ذهبت بعد ذلك إلى دار الكتب فسألت عنه ، فقال لى البواب : « تعيش » لقد توفى أمس إلى رحمة الله !

كانت الصدمة عنيفة أذهلتنى عن كل شىء حتى عن واجب العزاء لأسرته ، وحاولت أن أرثيه فلم أستطع ، فقد غال الحزن بيانى وغشى على مشاعرى ، وكان أنكى علىّ من ذلك ما تهامس به بعض الناس : من أنى أخللت بواجب الإخاء ! كأنهم لا يدرون — عفا الله عنهم — أن من الألم ما يحمى صاحبه الكلام كما يحميه الطعام !

والآن وقد انكسر الحزن ورسب سعيره فى الأعماق ، أهدى إلى روح صديق فى مسراه العلوى هذه الطاقة الشعرية مستنزلاً عليه الرحمة والرضوان العميم :

جهلَ العاذلونَ فيك مُصابى ... فأطالوا مَلامتى وعتابى
وأذاعوا : أنى بخلتُ بدمعى ... ورثائى على أبرّ الصِّحابِ
وعزائى عِلمى بأنك تدرى ... ما أعانى من حُرقة واكتئاب
رُبّ باكٍ يذرى دموع التماسيـ ... ـح من الموجعات خالى الوطاب
وجليدٍ يفترّ عن سنّ جذلا ... ن طوَى كشحه على الأوصاب
وخلىّ الفؤاد من لاعج الحبّ (م) ... يُري صابياً وليس بصابى
أعذَرُ الناس من دهته الرزايا ... وبَهتْ دمعَه عن التَّسكاب
فهنيئاً لهم بكوا فاستراحوا ... وكتمت الجوى ، فطال عذابى
أيها اللائمون عدُّوا عن اللو ... م وُقيتمْ ـ على الإساءة ـ ما بى
لو بكم ما بنا ، وبان عليكم ... لَلبِستمْ به سوادَ الغراب
لا يُحسّ الآلام من دينه اللهـ ... ـو ولا يدرِكُ الصبى بالتصابى
كثرت بيننا الجِياد ولكن ... قصبُ السبق للمذاكى العِراب
وحمامُ الرياض يبكى فنشجى ... حين تبكى مطوّقاتُ الرِّقاب
كيف ينسى الوداد مثر من الجـ ... ـد رفيع الذرا كريم النِّصاب
مُعرِقٌ فى الوفاء يجرى على العر ... ق ويسرى فى بُلجة الأحساب
لا وربى لم أنقض العهد يوماً ... لا ولا بتّ سالياً أحبابى
أنا أكسوهم الدائمَ أحيا ... ءً ، وأروى صداهمو فى التراب
وأصوغ الرثاء فيهم رياحيـ ... ـن تمجّ الشذا على الأحقاب

* * *

يا أخى فى الوداد ، والودُّ أبقى ... أثراً من علائق الأنساب
ومُعينى على نوائب دهرٍ ... أنا منها ما بين ظفر وناب
ومَنارى إذا دجا الشك حولى ... وتنكبت عن طريق الصواب
وصفيى ، وجُلُّ من أصطفيهم ... صُورُ الإنس فى طباع الذئاب
كنت أخشى طوارق السوء إلا ... طارق الموت لم يقع فى حسابى
أين أيامنا نواعم كالغيـ ... ـد تخايلنَ فى رقيق الثياب
بين صبح مُفضّض ، وأصيل ... شرِق الأفق بالنُّضار المذاب
نسجتها يد الزمان من البهـ ... ـجة والأنس والأمانى العِذاب
فهى من عمره الربيعُ المُوشّى ... وهى من عمرنا لُباب اللباب
وليال كأنها من سَناها ... ومضات الأحداق خلف النقاب
نتساقى بها الودادَ سُلافاً ... أين منها سلافة الأعناب
كيف مرّت بنا عِجالاً فكانت ... كحباب طفا على الأكواب
أو كطيف الحبيب يدنو به النهـ ... ـض وتُقصيه رقصة الأهداب
خُلسٌ من بشاشة العيش ولّتْ ... تستحث الخطا لغير إياب
آه لو سامنى زمانى فيها ... بشبابى ، شريتها بشبابى

* * *

فجعتنا المنون بالشاعر الملـ ... ـهم آى البيان والإعراب
بالأديب المفنّ من يسكب المعـ ... ـنى رحيقاً فى المنطق الخلّاب
بمُحيل الطروس روضَ جنان ... مُونِقاً للعيون والألباب
بسجيح الطبع الرقيق الحوا ... شى وسرىّ الخُلق النقىّ الثياب
بمؤدٍّ حقّ الأخلاء فى النا ... دى وحق الإله فى المحراب
جامع الخلّتين : ظَرف الألبا ... ءِ ، ونُسك المطهّر الأواب

* * *

يا لذكرى هاجت بلابل صدرى ... وأعارتْ قلبى جناحىْ عُقاب
قلِقٌ تحتىَ الوسادُ كأنى ... أتنزّى على رؤوس الحراب
بين ليلين : من دجى وهموم ... ناهضات إلىّ من كل باب
مثّلالى الخضمّ(1) يغشاه موجٌ ... تحت موج مجلل بسحاب

(1) نظم للآية الكريمة « أو كبحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب » وشتان بين كلام الخالق والمخلوق

٣ ـ لقب السفاح

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

وعدت فى مقالى الثانى أن أبين للأستاذ العبادى كيف اختلفت الروايات فى لقب السفاح بين أبى العباس وعمه عبد الله ابن على ، وقد سلك الأستاذ العبادى فى اختلاف هذه الروايات مسلكاً ليس من الإنصاف العلمى فى شىء ، فجعل تلقيب أبى العباس بالسفاح من رواية المؤرخين الأدباء كالجاحظ وابن قتيبة والأصفهانى ولهذا لا يوثق بها عنده ، وإنما يوثق بالرواية التاريخية القديمة التى سكتت عن تلقيب أبى العباس بهذا اللقب ، كرواية ابن سعد وابن عبد الحكم وغيرهما . ويؤخذ بما رواه غير أولئك المؤرخين الأدباء من تلقيب عبد الله بن على بالسفاح ، وإنما كان هذا ليس من الإنصاف العلمى فى شىء ، لأن سكوت أولئك المؤرخين عن تلقيب أبى العباس بالسفاح لا يصح أن يطعن به فى رواية من لقبه به ، لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ ، وهذه قاعدة مشهورة عندنا معشر الأزهريين ، ولا يمكن أن يجادل فيها الأستاذ العبادى ، وإنما يصح الطعن برواية أولئك المؤرخين إذا وردت بنفى ذلك اللقب عن أبى العباس ، وحينئذ يكون مما نافٍ ومثبت ، وقد اختلف علماء الأصول فى تقديم أحدهما على الآخر . على أن الأستاذ العبادى لا يمكن أن يدعى أنه استوعب الرواية التاريخية القديمة كلها فى ذلك ، وقد فاته من هذه الرواية رواية أبى الحسن المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، فقد جاء فى كتابه « مروج الذهب » تلقيب أبى العباس بالسفاح ، والمسعودى مؤرخ مشهور ، وقد كان معاصراً للطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ وهو ممن عده الأستاذ العبادى فى أصحاب الرواية التاريخية القديمة فيكون المسعودى من أصحابها أيضاً ، وسيجد الأستاذ العبادى بعد هذا كله أنه لا تعارض بين هذه الروايات ، وأننا لسنا فى حاجة إلى إنكار بعضها أو ترجيحه على الآخر

وقد أراد الأستاذ محمود شاكر أن يسلك هذا الطريق فى الجمع بين هذه الروايات المختلفة، فذكر أن قول اليعقوبى (عبد الله بن على الأصغر وهو السفاح) منقول من ابن سعد فى طبقاته حين ذكر أولاد على (عبد الله بن على الأكبر وعبد الله بن على الأصغر السفاح الذى خرج بالشام) ، ولا يريد ابن سعد بذلك التلقيب كما يرى من اليعقوبى ، وإنما ذلك صفة كالسفاك والقتال ، وبهذا لا يكون السفاح لقباً لعبد الله بن على ، وإنما يكون لقباً لابن أخيه أبى العباس عبد الله بن محمد بن على ، وقد كان يسمى عبد الله الأصغر أيضاً، كما كان أخوه أبو جعفر يسمى عبد الله الأكبر . ثم ذكر الأستاذ محمود أن أبا جعفر قد لقبه أبوه بالمنصور فيما يعلم ، فلا غرو أن يكون أبو العباس قد لقبه أبوه بالسفاح كما لقب أخاه بالمنصور

ولما قرأت هذا للأستاذ محمود سألته عما يعتمد عليه فى إسناد تلقيب أبى جعفر وأبى العباس بالمنصور والسفاح إلى أبيهما محمد ابن على ، فلم أجد عنده ما يعتمد عليه فى ذلك . وقد بحثت بنفسى لعلى أجد ما يؤيده فيه ، فلم أجد إلا ما ذكره صاحب العقد الفريد ، من أن محمد بن على ولد له من امرأته الحارثية ولدان سمى كل واحد منهما عبد الله ، وكنّى الأكبر أبا العباس ، والأصغر

كلما طار فى السماء شهاب   طار قلبى وَثْباً وراء الشهاب
أوذ كالبرق فى الدُّجنّة[(١)] ناراً   شب نار الأحزان ملء إهابى
تُسعد الذكريات أهلها، وأَلْقى   ذكرياتى محطِّم الأعصاب

***

ياصديقى لبيت دعوة « رضوا   ن » وخلّفتنى كحرّ المصاب
لم تزوّد أخاك بالنظرة العجْـ   لى على وَشْك نيةٍ واغتراب
ووداع الأحباب فن من السلـ   وى وعون على احتمال الغياب
ليت آذنتَ بالفراق ، فكنّا   ننثر الدمع فى طريق الركاب
كذَبَ الشعر ما لمن حان عِلْمٌ   بالذى سجلتْه «أمُّ الكتاب»
إن من مِنة الإله علينا   أن توارتْ أسرارنا بالحجاب
لو درى الناس ما تستّر عنهم   قعدوا عن تناول الأسباب
لمع الغيب للظماء سراباً   ضلّ صاد يجرى وراء السراب
روّض الغيث قبر من كان روضاً   حالياً بالعلوم والآداب
بان عنا ، فبان كلُّ جميل   فعزاء للآل والأصحاب

على الجندى

---

(١) الدجنة : السحاب المطبق تطبيقا

أبا جعفر(١) ولم يذكر أنه لقبهما بذينك اللقبين ، بل الظاهر مما سننقله فيما يأتي عن صبح الأعشى أن أبا جعفر تلقب بالمنصور بعد انتقال الأمر إليه من أخيه أبي العباس

والرأى عندى أن أبا العباس لم يلقبه أبوه بهذا اللقب قبل أن تقوم دولتهم ، ولم يلقب هو نفسه به بعد أن صار إليه الأمر ، لأن مثل هذا اللقب لا يتفق مع الألقاب الإسلامية التى عرف بها الأمراء قبل أبي العباس وبعده ، وإنما هو لقب لصق به لصوقاً ، وأطلقه عليه الناس وكثير من المؤرخين ، لوصفه نفسه به فى خطبته عند ما بايعه الناس ، فقد ذكر الطبرى أنه لما بويع صعد المنبر فقال : الحمد لله الذى اصطفى الإسلام تكرمة ، وشرفه وعظمه ، واختاره لنا وأيده بنا ، إلى أن قال مخاطباً أهل الكوفة : وقد زدتكم فى أعطياتكم مائة درهم ، فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المبير

وقديماً لقب العرب كثيراً من الشعراء بمثل ما لقب به أبو العباس ، فلقبوا عائذ بن مِحْصَن بن ثعلبة العبدى بالمُثَقِّب لقوله :

رَدَدْنَ تحية وكَنَنَّ أخرى وثَقَّبْنَ الوَصَاوِص للعيون(٢)

ولقبوا عمرو بن سعد بالمرَقِّش الأكبر لقوله :

الدار قَفْرٌ والرسومُ كما رَقَّشَ فى ظهر الأديم قَلَمْ

وكذلك كثير من الشعراء غيرهما

وإذن يكون لقب السفاح فى أصله وصفاً بالنسبة إلى أبي العباس ، كما كان فى أصله وصفاً بالنسبة إلى عمه عبد الله ابن على ، ثم اشتهر به أبو العباس عند بعض المؤرخين ، كما اشتهر به عبد الله بن على عند بعض آخر منهم ، ولكل منهم فى ذلك رأيه واختياره ، وليس فيه شىء من الغلط والاشتباه الذى يدعيه الأستاذ العبادى

وعلى هذا لا يكون لقب السفاح هو اللقب الحقيقى الذى اختاره لنفسه أبو العباس ، وإنما هو لقب غلب عليه عند المؤرخين بذلك السبب السابق ، حتى أنسى الناس لقبه الحقيقى الذى اختاره لنفسه بعد أن صار إليه الأمر ، بل دعا هذا إلى عدم الاهتداء إلى لقبه الحقيقى بيقين ، وإلى ذلك الخلاف الذى سنذكره فيه ، ولكنه مع هذا هو اللقب الذى يصح أن يضمه لنفسه مثل أبي العباس ، ويتلاءم مع ألقاب من أتى بعده من العباسيين .

قال الخطيب البغدادى : عبد الله أمير المؤمنين السفاح بن محمد ابن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، يكنى أبا العباس ، ويقال له أيضاً المرتضى والقائم ، ثم قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق ، أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق ، حدثنا محمد بن أحمد بن البراء قال : أبو العباس المرتضى والقائم عبد الله بن محمد الإمام بن على السجاد ابن عبد الله الحبر ابن عباس ذى الرأى ابن عبد المطلب شيبة الحمد .

وذكر القَلْقَشَنْدِىّ أن خلفاء بنى أمية لم يتلقب أحد منهم بألقاب الخلافة ، وأن ذلك ابتدئ بابتداء الدولة العباسية ، فتلقب إبراهيم بن محمد حين أخذت البيعة له بالإمام ، وأن الخلف وقع فى لقب السفاح فقيل القائم ، وقيل المهتدى ، وقيل المرتضى ، ثم تلقب أخوه بعده بالمنصور ، واستقرت الألقاب جارية على خلفائهم كذلك إلى أن ولى الخلافة أبو إسحاق إبراهيم بن الرشيد بعد أخيه المأمون ، فتلقب بالمعتصم بالله ، فكان أول من أضيف فى لقبه من الخلفاء اسم الله ، وجرى الأمر على ذلك فيما بعده من الخلفاء

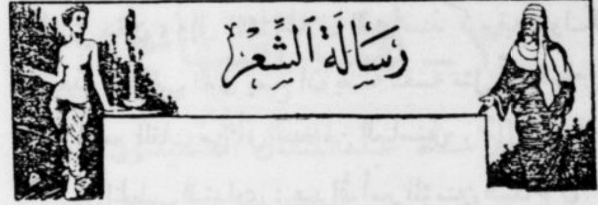
وفى هاتين الروايتين وخصوصاً الأخيرة من العناية بتحقيق تلك الألقاب ما يجعلنا نثق بهما ، ونطمئن إليهما ، وفيهما لا يدخل لقب السفاح فيما قيل إنه لقب أبي العباس ، وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه فيه ، وقد جاء بعد أبي العباس من تلقب بالقائم بأمر الله ، ومن تلقب بالمهتدى بالله ، ولم يتلقب أحد بالمرتضى بعده ، فلعله كان اللقب الذى اختاره لنفسه ، على أن ظاهر رواية الخطيب البغدادى أنه كان يقال له المرتضى والقائم معاً

هذا ولا يفوتنا فى ختام كلامنا أن نبين حقيقة ما جاء فى تاريخ ابن العبرى عن السفاح ، من أنه كان رجلاً طويلاً أبيض اللون ، حسن الوجه ، يكره الدماء ، ويحامى على أهل البيت ، فإن هذا لا يراد منه إلا كراهته لدماء أهل البيت وحدهم ، بدليل ما قدمنا من أمره فى دماء غيرهم ؛ على أن العبرى يقيس فى ذلك أمره بأمر من جاء بعده من العباسيين .

عبد المتعال الصعيدى

(١) هذا يخالف ما سبق من أن الأصغر هو أبو العباس ، ويخالف المعروف أيضا من أن أم المنصور كانت أم ولد بربرية يقال لها سلامة .

(٢) الوصاوص : براقع صغار تلبسها الفتيات



البعث . . .

للدكتور ابراهيم ناجى

يا جمالاً وجلالاً يتدفقْ رجع البلبل أم عاد الربيعْ !
بهر النور عيونى فترفقْ حين تدنو إننى لا أستطيعْ !

***

أيها الورد الذى طاف بنا أيها الطلُّ الذى بَلَّ الظما
لا أراك الله حالى وأنا أطأُ الشوكَ ويغزونى الظما

***

يا أمانىَّ وحبي وخيالى لا تضيِّع لحظة فالعمر ضاعْ
لا أراك الله حالى والليالى كاسفات ليس فيهن شُعاعْ !

***

قد بلوتُ الويل فيها لا بَلَوتا وأنا أبدأ يومى بالمَساء
وعرفتُ الضيق ضِيقَ القلب حتى لم أجد فى الكون ثقباً من رجاء !

***

لا وربى ليس للدنيا ختامْ حين يغدو البعث نجوى من حبيب
حين يستيقظ قلبٌ من منامْ والمنادى أنت! والحب المجيب !

مطارف الربيع

[إلى الصاخبين دائماً على الأيام المرة القاسية]

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

ما لهـذا الرَّوضِ ظمآنا ؟ ما لهـذا الزَّهرِ نعسانا ؟
ما لتلك الأرض قد لبست من نسيج الموتِ أكفانا
ما لهـذا النَّجمِ مُرتقبا ومَضاتِ البرقِ حيْرانا
ما لقرص الشمس مكتئبا عابسَ الألحاظ غضبانا
ما لهمسِ الريح منطلقا مثلَ عَزفِ الجن مِرْنانا
ما لتلك الأرضِ ثائرةً مثلما تسمعُ بُركانا
ما لهـذا الطفلِ منسربا تحت جنح الليل عُريانا
يتشكَّى البردَ آونةً ويعانى الجوعَ أحيانا ؟

***

الشِّـتاء المرُّ فارقَنا والربيعُ الحلوُ واتانا
مِطرَفٌ وشَاهُ صانعُه وحباهُ الحسنَ ألوانا
ما لتلك الأرضِ فاتنةً ما لهـذا الروض سكرانا
ما لهـذا الزَّهرِ مؤتلقا يَنفحُ الأرواحَ رَيحانا
ما لهـذا الطيرِ مُنطلقا يمـلأُ الأنحاء ألحانا
ما لهـذا النُّور منسكبا قد أصارَ الكونَ غرقانا
ما لقرص الشمس ملتهبا ضاحكَ الألحاظ فتَّانا
ما لهـذا الطفلِ مُنْسربا فى المروج الخُضرِ جذْلانا
يتمـنَّى فى خمائلها لو قضى الأيامَ وَسنانا ؟ !

***

نرتجى الأيامَ صافيـةً آهِ لَوْ صَافينَ إنسانا !
قُلْ لمن ضاقتْ مسالكهُ بالليـالى حَسْبُكَ الآنا
الشـتاء الجَهْمُ يعقبه ألربيعُ الطَّلقُ مُزْدانا

أناشيدي ! . . .

للأديب محمود السيد شعبان

هُنا دُنيـا أناشِيدى ! فَعِشْ يا قَلْبُ للذِّكري
بنَيْناها كما شـاءتْ لَنا أوْهامُنا السَّكْرَى !
وَصُغناها مِنَ الأحْلا مِ وَالإلهامِ ألحَانَا . . .
فهيَّا نَلْقَ فيها سَا عَـةً يا قَلْبُ سَلْوانا
وَنترُكُ هَـذِهِ الأشْجَا نَ فى دُنيا الأَسَى حَيْرَى !

وَنَمْـلأُ بالرِّضى وَالبِشْـ ـرِ والأفراحِ دُنيـانا

***

أَلاَ يا رَبَّةَ الأَلحـا نِ مَنْ مَنْ غَنَّاكِ أَلْحانى ؟!

وَمَنْ يا فِتْنَـةَ الدُّنيا سَقَاكِ السِّحْرَ مِنْ حانى ؟!

أَنا الشّادِي ... وَأَنتِ صَدَى أَغارِيدِى وَأَنفَاسى !

إِلَيْكِ قَدْ اهْتَدَى وَهْمِى وَلَكِنْ ضَلَّ إِحْساسى !

كِلانَا يا هُدَى رُوحى نَزِيلُ العَالَمِ الفانى

خُلِقْنَا لِلخُـلُودِ مَعًا وَإِنْ كُنَّا مِنَ النَّاسِ !

***

مَلَكْنَا هَـذِهِ الدُّنيا وَصُغْنَاها كما نَهْوَى

مَلاَعِبُ فِتْنَـةٍ أَصْدَا ؤُها سِحْرٌ مِنَ النَّجْوَى

فَيا قِيثَارَ أَحْـلاَمِى تَعَبَّدْ لِلجَمَالِ هُنـا !

وَإِنْ أَبْصَرْتَ وَلْهَاناً يَطُوفُ بِهِ ... فَذَاكَ أَنا !

إِلى المـاضى رَجَعْتُ أَرُو مُ فِى ذِكْراهُ لِى سَلْوَى

فَكَمْ خَلَّفْتُ في وَادِيـ ـهِ مِنْ بَعْدِ الهَنَاءِ مُنًى !

***

فَيَاشِعْرِى ! خَلَقْتُكَ مِنْ هُدَى قَلْبِى وَمِنْ وَجْدِى !

وَهَبْتُ لكَ الخُـلُودَ فلا تَخَفْ إِنْ عِشْتَ مِنْ بَعْدِى

وَصُغْتُكَ مِنْ دَمِى فِتَناً وَأَوْهاماً أُنَاجِيها ...

فَخُذْ أَنفَاسِىَ الوَلْهَى إِلَيْكَ صَبَتْ أَمانيها !

مَلَكْتُ بِكَ الحياةَ فَما أَرَدْتُ أَخَذْتُهُ وَحْدِى

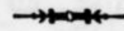
وَهَلْ كانَ الهَوَى والشِّعْـ ـرُ إِلاَّ خَيْرَ مَا فيها !!



تأملات في الفن :

يا علماءنا ... نريد أن نعرف !

للأستاذ عزيز أحمد فهمي



— خذ كل من هذا الحمص . إنه من السيد البدوى

— وهل كنت فى طنطا ؟

— نعم . ضيفة عند ناس

— أو لم يعجبك شىء فى طنطا غير الحمص ؟

— السمن هناك جيد ، والخضار أجود

— تَمّ بطنك ولا شىء يشغلك غيره ، ألم تفكرى فى زيارة السيد البدوى الذى تأكلين حمصه هذا ؟

— زرته . ولم أنس أن أدعوه لك

— شكراً . فلست أدعو غير الله ... أو لم يعجبك شىء فى مسجد السيد البدوى ؟

— لا أذكر ، فهو مسجد كبقية مساجد ربنا

— صحيح . ولكن فيه منبراً هو نفسه صلاة صامتة قائمة دائمة

— يا سلام ... لم يلفتنى أحد إليه

— وعيناك هاتان البرقتان محملقان ولكنهما لا تريان . امرأة ! ...

— تركنا منبر السيد البدوى وعدنا إلى امرأة ورجل ، مالها الامرأة ؟ كل ما حدث أنى شغلت عن النظر إلى المنبر بالنظر إلى السيد نفسه ...

— ولا السيد . بل قولى إلى الزوار

— آى ، كنت أنظر إلى الزوار . أليس فى النظر إلى الرجاء المتألق فى وجوههم لذة ؟

— وأى لذة عند المرأة أحلى من أن ترى الرجاء متألقاً فى وجهه

— كان الزوار كلهن نساء

— ولماذا هذا التخصيص ، ولماذا أسرع إلى ذهنك هذا الخاطر السيء فتسرعى إلى إنكاره بهذا الحسم الجازم ... أفتظنين أنك هربت من السوء إلا إلى الأسوأ ؟

— وهل يسوء مجتمع النساء أكثر مما يسوء إذا اختلطن بالرجال ؟

— من غير شك . فهن بين الرجال قد يخجلن فيحتشمن ، ولكنهن إذا انفردن انطلقن تفترس كل منهن فى الأخرى . وتفترس كل منهن الأخرى . وما أعجبها إذن مممة حين تشب فى ضريح أو مسجد ، ينقلب المسجد من مطهرة إلى ... إلى مدرسة !

— مدرسة ؟ ! على أى شكراً لله فقد توقعت أن تقول شيئاً آخر ... ولكن لماذا تقول إن اجتماعنا فى المسجد يقلبه إلى مدرسة ...

— لأنكن بطبيعتكن ، إما أن تكن تلميذات ، وإما أن تكن معلمات ، ولا يمكنكن أن تكن غير ذلك إلا إذا فسدت طبيعتكن . فإذا وصف إنسان اجتماعاً من اجتماعا تكن بأنه مدرسة كان يبنى وصفه هذا على خير الفروض فيكن ...

— كلامك محتاج إلى برهان

— هذا يحتاج برهاناً ؟ لا بأس ... اسمى ... منبر السيد البدوى ...

— عدنا إلى منبر السيد البدوى ... لن نعود إلى ذكره حتى ننتهى مما كنا فيه ...

— سننتهى منه ومما كنا فيه معاً ... أريد أن أقول لك إنه آية فنية رائعة ، وإنه على ضخامة حجمه وتعقيد تركيبه ، مؤلف من قطع صغيرة التحم بعضها إلى بعض من غير غراء ولا صمغ ولا مسمار واحد ، وإنه صنع فى عهد واحد من الخديويين المتأخرين . ولقد أقيم للأستاذ الذى صنعه استوديو أو « أتيليه » خاص كان مؤلفاً من عدة خيام ، وإن الخديو طلب يوماً أن يشرف هذا الاستوديو بالزيارة ليشاهد المنبر أثناء تأليفه ، فاعتذر الأستاذ بأنه لا يستطيع أن يعمل إذا كان عليه رقيب غير الله ... كما أنه لا يستطيع أن يصلى وبينه وبين القبلة إنسان ممتنع عن الصلاة جالس أو واقف ينظر إليه ويحصى عليه حركاته وسكناته ... فهو

لا ريب يشغله ويعوقه عن إحسان الصلاة على الأقل ...

— عجيبة ! ومن هو هذا الأستاذ الفيلسوف ، وماذا كان رد الخديو عليه ...

— ما كان الخديو محب الفن إلا ليقدر مثل هذا الاعتذار وأن يجيزه إكراماً لفن الأستاذ « على جَلَّـطْ » !

— على ماذا ؟ جلط ؟ ! ياله من اسم مضحك !

— و «ميكيلانج» أليس اسماً مضحكا؟ ! أَلِأن علياً مصرى تضحكين من اسمه، ولأن الآخر من سادتكم أهل الغرب تستسيغين اسمه على ما فيه من عجمة؟... إن ميكيلانج وميكى ماوس ليسا من أسمائنا ، وإنه من أسمائنا « جلط » ، وبهنس ، وغلوش ، وزينهم وما أشبه ... فلماذا نتحرج من أسمائنا ونضحك منها ساخرين ، وحقنا أن نضحك — إن ضحكنا — معجبين بما فيها من النكتة فلا ريب أن هذه الأسماء الغريبة لا تطلق فى مصر إلا لمناسبات

— أريد أن أسألك عن هذه المناسبات ، ولـكنى أخشى أن نخرج من الأستاذ على إليها ، فلا نعود منها ، وقد كنا قبل هذا وذاك فى موضوع آخر هو موضوع « المدرسة » ، الذى أظن أنك لا تزال تذكر أننا تركناه معلقاً ...

— امرأة مرة أخرى : لا تغفل ولا تنسى ، وهو من شروط التلميذة الناجحة . والمعلمة البارعة ... أما الأستاذ على يا أبلة ، فلعلهم لقبوه بلقبه ، لأنه « جلط » يوماً لحيته بزجاجة أو حدث منه شىء كهذا ... وأما منبره يا آنستى ، فهو الآية الفنية التى لا يمكن أن توصف ، وإنما يجب أن ترى وأن تدرس ، وأما أنت فامرأة ، ولم تلتفتى إلى هذه الآية الفنية العجيبة ، لأن أحداً لم يلفتك إليها ، وهذا شأن التلميذات ، وأنا أراهن أنك إذا زرت السيد البدوى بعد اليوم ، فإنك ستصحبين صاحبة أو اثنتين ، لا لشىء ، إلا أن تلفتيهما أنت إلى المنبر لتكوني لهما معلمة وتكونا هما تلميذتين ، ولست أراهن على هذا إلا لثقتى منه، ولست واثقاً منه إلا لعلمى بأنه شىء فى طبعكن ، فالله أعدكن لتكن أمهات ، والأمهات مربيات ، والمربيات معلمات ، والمعلمات يكن تلميذات قبل أن يصبحن معلمات ... ولا شىء غير هذا يا زين البنات ...

— تلفيقات وترهات ! فنحن أكثر مما تظن ، فمنا الآن مهندسات وطبيبات وفنانات ومحاميات ... كما أنه منا معلمات !

— هؤلاء جميعاً تلميذات ، حتى المعلمات ... كى ترتاحى وتسكتى ...

— أسكت ؟ إن سكت عن خطل الرأى ، فلن أسكت عن تراجعك وانتقاضك على ما سبقت وقررته ... كيف أسكت وقد رددت المعلمات تلميذات ؟ !

— لأنهن هكذا ، فليست فيهن واحدة . . . لها طريقة خاصة بها فى مهنتها أو فنها ... وعلى الرغم من أن الله قد أعدهن ليكن معلمات ، فإنهن لا يعلمن إلا ما تعلمن ...

— وهل تريدهن يعلمن ما لم يعلمن ؟ ...

— أفهن لا يعلمن إلا إذا تعلمن ؟ ... لماذا لا يتعلمن هكذا من الحياة رأساً ... أفنامت عقولهن عن تجاربهن وخبرتهن ومشاهدتهن فى كل شأن من شئون الدنيا إلا المسألة الدنيا ؟

— كلا ! إنى لا أوافقك فى هذا . فإن فينا إمامات وعلى الخصوص فى التربية وفى الفنون . كيف يمكنك أن تجحد المربية مونتسورى ، والممثـلة جريتا جاربو ، والمغنية جريس مور ، والراقصة جنجر روجرز و ... و ... و ...

— أما مونتسورى فعلمة جاد بها الزمن فى القرن العشرين بعد أن ظل الزمن يجود بالمعلمين من قبل سقراط وأرسطو. وعلى أى حال فإن مدام مونتسورى لا تزيد على أن تكون مخترعة لبعض ألاعيب الأطفال . وأما الباقيات اللواتى ذكرتهن هؤلاء فلا أزال أقول إنهن تلميذات فجريتا جاربو لم تكن شيئاً قبل أن يكتشفها أستاذها المخرج السويدى الذى نسيت اسمه وأظن أنك تذكرينه ، وأما جريس مور فإنى أتحداها أن تغنى شيئاً إذا لم يلحن لها الملحنون الأغانى ، وأما تلك التى ترقص كالعفاريت التى اسمها جنجر روجرز فقد جربت أن تنفصل عن أستاذها فريد أستر فأخفقت فعادت إليه ومع ذلك فهى لا تزال تتطاول عليه وتقول عنه إذا ذكرتها إنه زميلها وليس قائدها وأستاذها ...

— وكاى فرانسيس التى تحبها ؟

— أنا أحب عينيها أكثر مما أحب فنها

— عينيها ؟ ! لقد قلت مرات إنها ممثلة نابغة

— لو لم يهبها الله هاتين العينين ما كانت نابغة وما كانت ممثلة . هما عينان لو رزقهما رجل لما استطاع إلا أن يكون قديساً ربانيا من غير ما شىء يعرقله . . . فيهما صفاء وشفافة فهما ينضحان

بما وراءهما من فكرة أو عاطفة ، فصاحبهما لا يستطيع أن يكذب إلا إذا أغمضهما أو سبح بهما فى الفضاء لا يوجههما إلى عينى محادثه ، وهذا شىء يدل على الكذب والصدق أهون منه ، فإذا داوم صاحب هذين العينين الصدق عجزاً عن الكذب فى أول الأمر فإنه سيداومه بعد ذلك اعتياداً له ، ثم يداومه أخيراً حبًّا له ، والصدق كما قلت لك مرات هو الخطوة الأولى نحو الله ... وعلى هـذا كانت كاى فرانسيس بهاتين العينين مقصرة حين انتهى أمرها عند أن تكون ممثلة نابغة ... فهمتِ ؟!

— إذن فقد انقلبت على نفسها إذ تمارس الآن الكذب ؟ فليس التمثيل إلا الكذب

— لو كانت كاى فرنسيس تكذب ما كانت أعجبتنى ، وإنما هى تصدق ، ولا تمثل إلا ما تحبه أو ما أحسته ، ولعلك تلحظين أنها لا تكثر من الظهور ، ولعلك أدركت أن سبب هذا هو أنها تنتظر حتى يوافيها الدور الذى يلائمها والتى تكون قد أحاطت بمثله فى حياتها ... وحياتها كما أظنك تعرفين فيها ما فيها ، وأبرز ما فيها أنها تمثل بهاتين العينين الصافيتين الشفافتين ... فرغ الحمص . أليس معك غيره ؟

— خذ ، ولكن بعد أن تعترف ولو لكاى فرنسيس وحدها بأنها أستاذة .

— ليس ما يعنينى من ذلك . فلها أن تكون أستاذة ، ولك أنت أيضاً ذلك إذا زرت منبر السيد مرة أخرى وأديت له حق التأمل والدرس والترحم على صانعه ، ولم يشغلك فى زيارته النظر إلى الزائرات من أترابك والتحقق من ملبسهن وزينتهن ولثاتهن

— ولكنك قلت إن هذا من طبع المرأة

— هو طبعها فى التلمذة ، وأنت تريدين أن تكونى أستاذة ، والأستاذة هى التى فرغت من النظر إلى غيرها وبدأت نفسها تفيض بما فيها ... وأظن أن المرأة لا تكره هذا إلا لسبب واحد ...

— ما هو هذا السبب أيضاً ؟

— هو خشيتها من الكبر ، فبهذه الخشية تدمن النظر إلى غيرها تخدع نفسها متخيلة أنها صغيرة لا تزال فى حاجة إلى التعلم ... حتى إذا ما فاجأتها التجاعيد آمنت بأنها أستاذة ، ولكنها بعدئذ تقضى الحياة فى حسرة بدلاً من أن تقضيها فى عمل ... سنة الله التى شاءت لكن أن تقبعن فى بيوتكن ...

— سأقبع ولن أزور المنبر ...

— زوريه أولا تزوريه ، فستعرف الدنيا خبره يوم ترقى مصر ويبحث علماؤها عن تاريخ على جلط ومحمد البقرى وغيرهما من أهل الفن العربى الذى يقدره الغربيون حق قدره ويردون إلينا من أقصى الأرض وأدناها لينعموا بمشاهدته وليأخذوا عنه ، حتى إذا سألونا عمن أنتجه من آبائنا قلنا : اللهم إنا لا نعرف

— أما الأستاذ على فقد عرفته بمنبر السيد ، ولكنك لم تذكر لى من هو محمد البقرى ...

— صاحب الزخرفة العربية الرائعة التى يتحلى بها « بنك مصر » وتياترو حديقة الأزبكية ... وإذا كنت أنا أعرف هذين فإنى أجهل صاحب السلطان حسن وصاحب مسجد القلعة والمؤيد والرفاعى ، وغير ذلك من الآثار العربية الخالدة ... فهل لك أن تسألى لى واحداً من علمائنا عنهم ؟ ...

— بإذن الله سأسأل ... ولكن لماذا لا تهتم أنت بتتبع أخبار هؤلاء وهو أمر شديد الصلة بعملك ؟ ...

— قد يكون هذا حقاً ، ولكن الوثائق تعوزنى ، فإن أغلب الآثار العربية ، قد أرخت منسوبة إلى الملوك الذين أنشئت فى عصورهم ، ولم تنسب إلى الفنانين الذين عصروها من دمائهم ، وقد جرينا على هذه السنة حتى فى عصرنا الحديث فنحن لم نذكر «على جلط» ولا «محمد البقرى» فى آثارهما مع أنهما محدثان قريبان وهما لم يعنيا بهـذا لأنهما كانا أخلص للفن من أمثالهما الغربيين ، ولم يكونا يسميان بالفن إلى الذكر الباقى ولا إلى الربح المـادى ، وإنما كانا يؤديانه زكاة عما وهبهما الله من ملكة وبصيرة ونظر . ولقد كانا يتعبدان به عبادة ، ولو أنه خطر لأحدهما أن يستغل فنه استغلالاً مادياً لخلف الأموال الطائلة والصيت الرنان ... ولـكن الواحد منهما كان لا يعمل إلا إذا احتاج إلى القوت ، فإذا عمل تفانى فى عمله وجاء فيه بالمعجزات المحيرة .. وهو الأمى الذى لا يقرأ ولا يكتب ، والذى إذا سئل عن نفسه قال إنه « نجار دِق » !

— فأى شىء هو ؟ ...

— إنه مهندس زخرفة ينفذ بيـده ما يتصوره عقله من غير أن يستعين على ذلك برسم التصميم على الورق ... وهذا شىء لا يستطيعه إنسان فى الغرب وعلى الخصوص إذا تصدى للزخرفة العربية المجردة المعقدة المتجددة

عزيز أحمد فهمى



الكون يكشف عن نفسه

خفايا الضوء

للدكتور محمد محمود غالى

أينحصر الكون فى ست وحدات أصلية يرد إليها كل ما فيه ؟

عند ما تطالع هذه السطور فانك تراها بفضل أحد هذه الوحدات الدقيقة وهي كائنات نحاول أن نتعرف إليها

نُشيِّد داراً للسكنى وتدخل مواد عديدة فى تشييدها من أحجار البناء إلى الحديد ، ومن رخام الدرج إلى ما يحيط سياجه من نحاس ، ومن أخشاب النوافذ إلى ما يتوسطها من زجاج ، ولا نذكر ما تحتويه الدار من العناصر الكثيرة والمركبات العديدة وأن فى الزجاج وحده من العناصر المتعددة والمركبات المتباينة ما يجعلنا نفطن إلى العدد الكبير من المواد التى نستخدمها فى إقامة البناء ، بل إن مواد من نوع آخر ، مواد عضوية تدخل أيضاً فى تشييد الدار ، وشد ما يختلف ما فى حديقتها من أشجار وزهور عن سائر ما فى البناء : هذا النبات له دور من المراهقة كدور الإنسان ومن الشباب كشبابه ومن الهِرم كهرمه ، وله أعمار تنتهى عندها الحياة ، فيضع البستانى غيره من النبات ينصبه مكانه كما ينصب الابن نفسه مكان أبيه بعد أن يتوارى هذا فى الرمن ، ويترك الابن الدار بدوره لحفيد يستمتع بها ما بقيت أجزاؤها متماسكة تسمح بالحركة بينها وبالحياة فى أنحائها ، يقضى الحفيد فيها سنين طويلة وسط هذه الأجزاء من المادة بين المرح طوراً وظلمة الأيام تارة ، بل إن مواد حية غير المدنية والعضوية قد تدخل بين مكونات الدار تستمتع فيها كما يستمتع صاحبها وتقاسى فيها كما يقاسى ربها ، فقد نشيد فى الحديقة أحواضاً للسمك أو نقتنى داخل الأقفاص أنواعاً من طيور الزينة ، وما هذه وذاك إلا مجموعة من العناصر المعقَّدة تدخل هى أيضاً فى مجموع الدار الفسيحة ، ولا تختلف عن الأولى إلا بما لها من مزاج يشبه مزاجنا وآمال تقارب آمالنا

عديدة هذه العناصر ومتباينة هذه المركبات التى دخلت الدار بعمل المهندس وفعل البستانى ، فنشأ عنها مكان صالح نثوى إليه بعد النصب ونقضى فيه ساعات من العمر بين لحظات مجدودة وفترات مكدودة ؛ ولو أن امرءاً قال إن الدار مكونة من عشرات العناصر ومئات المركبات لما كان فى قوله انحراف عن الواقع ، ولو أنه قال أيضاً إنها مكونة من ست وحدات أصلية فى الكون وإن كل ما نراه فيها من عناصر عديدة ومركبات متباينة يتكوّن من هذه المكونات الستة فإنه قد لا يعدو الحقيقة ، ولو أنه خطر ببال أحد أن من يسكن الدار من أحياء كأولادنا ، ومن يؤمها من زائرين كأصدقائنا ، وما يعيش بين جدرانها من أسماك وطيور يدخلون أيضاً فى عداد المكونات الستة المتقدمة ، فإن ثمة علماء عديدين يعتقدون اليوم بصحة ما خطر بباله ، ولديهم من الأسباب العلمية ما يستطيعون بها محاولة إقناعه بأن ما ذهب إليه ليس مما يتطرق إليه الشك

ولا يدور بوهم أحد بعد الذى ذكرنا أن ما نعنيه بهذه المكونات الستة هى « عناصر » مثل الحديد والنحاس ، فإننا بذلك نصل إلى تعداد العناصر جميعها التى تبلغ ٩٢ عنصراً والتى نعثر على الكثير منها فيما استخدمناه فى رفع البنيان ؛ ولا يعتقدنّ كذلك أننا نعنى بها بعض المركبات كالماء والحجارة فلا مشاحة أن ما يوجد من هذه المركبات فى المنزل يبلغ المئات ، إذ أن هذه المكونات الستة إنما هى وحدات كونية نستطيع أن نَرُدَّ إليها كل ما يتعلق بهذه الدار.

هنالك أمر آخر أود أن يحظي بعناية القارئ ، ذلك أن الوحدات الست التى تكون كل ما يتعلق بالدار ، والتى من بينها وحدة يتسنى لنا بها رؤية الدار وما فيها ، هى بذاتها الوحدات المكونة لمجموع الكون ، فهى كافية اليوم ليرد العلماء كل ما عرفناه فى الكون إليها

هذه المكونات الستة تعد معرفتها من المسائل الثقافية التى

يحسن معرفة شيء عنها ، فهي اليوم موضع بحث أقطاب العلم ، ولذلك نذكرها للقارئ في الجدول الآتى ، فيعرف شيئاً هاماً عن منشأ الدار التى يسكنها ، بل الكون الذى يحيا فيه ويموت

المكونات أو الوحدات التى يتكون منها الكون فى مجموعه بما فيه من مادة أو كهرباء أو إشعاع أو طاقة			الشحنة الكهربائية
مكونات كهربائية وسالبة	خفيفة	الألكترون	−e
	ثقيلة	غير معروفة	
مكونات كهربائية وموجبة	خفيفة	البوزيتون	+e
	ثقيلة	البروتون	+e
مكونات مادية	خفيفة	النيترينو أو الأرجون	صفر
	ثقيلة	النيترون	صفر
مكونات ضوئية		الفوتون	صفر
مكونات معقدة (Complex)		الديبلون	+e
		الهيليون (نواة الهيليوم)	+2e

إذا رمزنا لوحدة الشحنات الكهربائية بالرمز والقدر e فان شحنة الألكترون أى الوحدة الكهربائية السالبة تكون (e −) وشحنة البوزيتون أى الوحدة الموجبة تكون (e +). وفى هذه الحالة تكون الشحنة للوحدات الأخرى كما هى مبينة فى الجدول

هذه المكونات باتت الأصل فى كل شىء ، فهى تكون الهواء الذى نستنشقه كما تكون الرئة التى نستنشق بها هذا الهواء ، وهى التى تتكون منها السمكة التى تسبح فى حوض الحديقة كما تتكون منها النجوم النائية والسدم البعيدة ، وما المنزل والزائر والطير ، بل وما يعلوها من كواكب وعوالم إلا أمور ترجع أصولها إلى هذه المكونات الستة التى يشاد منها الكون

***

نعود فنتأمل الجدول السابق الذى يلخص لنا موقف العلماء من الكون ، ونود أن يعتبر القارئ وهو يطالع هذه المسميات العلمية التى قد تكون جديدة لديه أنها من المسائل التى يلزم معرفتها ، وكيف لا يجب علينا أن نعرف ما يُكَوِّن منازلنا والأرض التى تحملنا والعوالم التى تعلونا والكون الذى يحتوينا بل ما يُكوِّن أجسامنا وعقولنا ، ومهما يكن من أمر الكون ، فإننا لا نستطيع أن نستوعب فيه الأشياء إلا على الصور التى عهدناها فيه ، والأوضاع التى ألفناها عنه . ثمة عدد ضئيل من الأوضاع نستوعبها فى الكون طوراً ونستوعب الكون فيها تارة ، وهذه الصور أو الأوضاع هى المادة والكهرباء والأشعاع وكذلك الطاقة ، وقد ذكرنا فى الجدول هذه الصور ، ورجعنا بالكون إلى وحدات كهربائية ومادية وضوئية ، كما ذكرنا فى ذيل الجدول مكونات أخرى معقدة

أما المكونات الكهربائية ، فهى سالبة كالألكترون[١] ، وموجبة كالبوزيتون ، وقد حدثنا القارئ عنها فى سلسلة من المقالات كذلك البروتون Proton الذى يكون نواة الهيدروجين. أما المكونات المادية ، فهى وحدات أخرى لا تحمل الكهرباء ، وهما وحدتان النيترينو: Neutrino أو الأرجون Ergon والنيترون Neutron . وقد تناول بالبحث هذه الوحدة الأخيرة[٢] حديثاً سنة ١٩٣٣ أيرين كيرى وقرينها جوليو من أساتذة السوربون . ولا يفت القارئ أن الكهارب أو الألكترونات موجودة فى المادة مع النيترونات . وكما أن الكهرباء فى تكوينها ترجع إلى هذه الوحدات الأولى التى يسمونها: ألكترونات أو بوزيتونات، كذلك الضوء يرجع فى تكوينه إلى وحدات أصلية يسمونها فوتونات جمع فوتون Photon . وباعتبار أن الوحدة الثقيلة للكهرباء السالبة غير معروفة ، وباعتبار أن الوحدات المعقدة كالديبلون[٣] Diplon والهيليون[٤] Hélion قد ترد فى تكوينها إلى غيرها من الوحدات ، فإنه يغلب على ظنى أن الكون يمكن أن نردّه

(١) الألكترون Electron هو الوحدة السالبة للكهرباء وقد اقترح هذه التسمية جونستون ستونى Johnstone stoney فى سنة ١٨٩١ . وقد شرحنا للقارئ كيف استطاع « مليكان » R. A. MiHikan فى أمريكا وجان بيران Jean Perrin من السوربون فى فرنسا أن يقيسا بطريقتين مختلفتين الأقدار الذرية وشحنة الألكترون .

(٢) مما هو جدير بالذكر أن بوث W. Bothe وبيكر H. Becker استطاعا فى سنة ١٩٣٠ أن يفصلا النيترون

(٣) الديبلون وحدة من وحدات الكون المعقدة كتلته ضعف كتلة البروتون أو ضعف كتلة النيترون ويسميه الباحثون أيضا ديتون Deuton أما شحنته الكهربائية فتساوي شحنة البوزيتون

(٤) الهيليون نواة ذرة غاز الهيليوم وكتلته أربعة أمثال كتلة النيترون وشحنته ضعف شحنة البوزيتون

بما فيه من مادة أو إشعاع أو كهرباء أو طاقة إلى وحدات ست هى : الألكترون والبوزيتون والبروتون والنيترينو والنيترون والفوتون .

وقد يصل العلماء إلى الكشف عن وحدات جديدة ، ولكن يغلب على الظن أن عدد الوحدات سيظل قليلاً وسيظل اللاعبون على مسرح الكون بهذا القدر الضئيل .

* * *

ندع الآن المسميات لنتعرف على أحدها وهو الفوتون أو الذرة الضوئية ، وهو الكائن العجيب الذى يعاوننا فى مطالعة هذه السطور

عند ما نرى فى الليل بريق النجوم اللامعات، أو يخطف العين ضوء إحدى المنارات فى الليل البهيم ، أو تقع العين ذاتها على صورتنا فى المرآة ، أو نحصل بواسطة الجهاز الفوتغرافى على صورة شمسية، أو نرى على الشاشة حوادث العالم، أو نرى بالمرناة (التليفزيون) إحدى هذه الحوادث فى حينها ، فإننا قد استخدمنا الذرة الضوئية أو الفوتون كأداة كبرى لنستمتع بهذه الأشياء

وليس فى عزمى التعرض فى هذه المقالات للتركيب الطبيعى للفوتون، وأذكر أنه على رأى لويس دى بروى Louis de Broglie مكون من نصفى فوتون ، وإنما أكتفى بأن ألفت النظر إلى ثلاثة أمور : الأول أنه أحد المكونات الثلاثة فى الكون غير المكهربة إذ لا يوجد فى كل ما نعرفه من وحدات كونية غير الفوتون والنيترينو والنيترون كوحدات لا تمت للكهرباء بشىء . والثانى أنه المكون الوحيد الذى لا يوجد إلا فى حالة حركة بالنسبة للمادة . ويسرنى أن أذكر أن للأستاذ الدكتور على مصطفى مشرفة بك أبحاثاً قيمة فى علاقة المادة بالأشعاع أود أن أعود لذكرها فيما بعد . والثالث أنه كائن سريع جداً بالنسبة للمادة وتبلغ سرعته أى سرعة الضوء (٢٩٩٨٠٠) كيلو متر فى الثانية

ولقد توصل العلماء بوسائل جديرة بالإعجاب إلى قياس هذه السرعة العظيمة وإلى الوصول إلى معرفتها معرفة دقيقة . وللقارئ أن يتصور عظم هذه السرعة إذا ما عرف أن الضوء يقطع المسافة من مصر للاسكندرية فى أقل من واحد على ألف من الثانية

وقبل أن نستمتع للمذياع (الراديو) بعشرات السنين ، استطاع علماء عديدون أن يقيسوا سرعة الفوتون ، هذا الكائن العجيب ، وكان لقياس هذه السرعة ولما عرفناه عنها أثر كبير فى معارفنا الحديثة ، وقد تعدى هذا الأثر كل شىء ، حتى أنه تدخل تدخلاً فعليا فى معرفتنا قوانين الكون

ولعل القارئ الذى نفرض ونحن نتوجه إليه بهذه السطور أنه من غير المشتغلين بالعلم أو المختصين فى العلوم الطبيعية ـ قد سمع بالدور الهام والمرحلة الكبرى التى تمت فى العلوم من معرفة سرعة الضوء فى اتجاه ومعرفة سرعته فى اتجاه مغاير للاتجاه الأول ، وما كان لذلك من الأثر فى تدعيم نظريات « أينشتاين » الحديثة فى النسبية . ولعل القارئ يستنتج الآن نوع الاتجاه الذى أحاول أن أوجهه إليه فيما سأعمد إليه من مقالات قادمة ، ولعلنا فى النهاية قد وفقنا بعض الشىء لكى نصف له شيئاً من الدار التى يسكنها والكون الذى يعيش فيه .

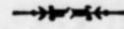
محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية. ليسانس العلوم الحرة. دبلوم المهندسخانة



نهاية الطريق

للكاتب المعروف دى فيرسنا كبول

للأستاذ محمد بدر الدين



فى سنة ١٩١٣ كنت أجول فى أنحاء إيطاليا ، أطوف بمواطن الروعة والجمال فيها ...

وكنت أستقبل فصل الخريف ، حين خلفت روما ورائى ، وسرت نحو جبال الأبنين ، دون أن أحمل من المتاع سوى حقيبة صغيرة ، ودون أن أترك عنوانى لأحد ، كيلا أدع الفرصة لشخص يراسلنى ، فمن الخير أن تطوف وحيداً ، إذا أردت أن تشاهد بلداً من البلدان أو أن تدرسه خير دراسة

انطلقت فى طريقى وحيداً لا ترافقنى غير مزارع الكروم والحقول المخضوضرة النضرة ، والسماء الزرقاء ، و... فلاحى إيطاليا ذوى البشرة السمراء ، لوحتها أشعة الشمس الحامية . فاستطعت أن أرى إيطاليا تتكشف أمامى على حقيقتها ، وإذا بها رغم الطرق الحديدية التى تخترق أرجاءها ، ورغم مخترعات ماركونى المنبثة فى بقاعها ، لا تزال نفس إيطاليا القديمة ، التى كانت فى عهد آل بورجيا

وفى ذات أصيل ، أفضت بى الطريق إلى فندق قام فى معزل إلى اليمين ، لا يلوح إلى جواره منزل أو بناء ، وكأنما أقيم فى مكانه هذا ليرحب بالقادمين الذين أنهكهم المسير ، وليغريهم على التماس الراحة ، وعلى استعادة النشاط فى كأس مترعة من الشراب ...

أغرانى الفندق المنفرد فى عزلته ، والذى بدت لى عند بابه حروف زرقاء باهتة ألهبها شواظ الشمس ، تعلن عن اسمه ... « أوستريا ديل سولى » فتقدمت ، فإذا بكهل يجلس إلى يمين المدخل ، على مقعد طويل ، يمتع النفس بشمس الأصيل . وقد استلقت إلى جواره قطة سوداء . وما لبثت أن عرفت فيه صاحب النزل الذى قدم نفسه إلىّ باسم « الفريدو باولى » ... وسرعان ما كنا نجلس فى غمرة الأشعة الدافئة ، نتجاذب أطراف الحديث ، ونحن نجرع خلاله كئوس « الكيانتى » الذى قدمه الرجل إكراماً وترحيباً ...

تكلمنا عن إيطاليا ، وعن محصول الكروم ، وعن الضرائب ، وعن ذكرى غاريبلدى ... الذكرى التى عادت بالرجل إلى سنى عمره الباكرة . وما لبثت أن عرفت أن المدينة التى كنت أسعى إليها ، تبعد عن النزل بما يعادل ستة أميال. فاقترح الرجل أن أنزل عنده تلك الليلة ، وراح يغرينى بما سوف أجده فى حجراته من نظام وراحة ونظافة ، قائلاً :

— إنه ليس بالفندق العادى ... فنحن هنا لا نرتقب من الضيفان غير الرحالة الذين يدفعهم النصب إلى التماس كأس من الشراب . ولكن حديثك يطيب لى ، حتى لقد ملت إليك ، فأنت على الرحب والسعة

كان ينبغى لرحالة مثلى يجوب البلاد على قدميه حاملاً معه مالاً ، أن يخشى من وراء دعوة كهذه شراً ، أو أن يتوقع غيلة من أجل هذا المال الذى يحمله . بيد أننى لم أك بطبيعتى ممن يستسلمون للهواجس والريب ، كما أننى لم أر فى باولى العجوز ، الشخص الذى يستطيع الإقدام على سرقة أو قتل ...

ومع ذلك فقد سلبنى نوم ليلة ... وقتل راحة كنت أنشدها فما إن قبلت دعوته حتى اضطجع فى مجلسه ونادى صائحاً :

— جيوفانا !

فأجابه صوت نسائى من داخل الدار ، ظهرت على أثره امرأة رزح ظهرها تحت عبء السنين . فأمرها — والشمس ترسل شعاعها الأخير — أن تعد العشاء ، وأن تهيئ الحجرة كما تملى واجبات الضيافة ، فتلقت الأوامر صامتة ، ثم كرت عائدة إلى الداخل ، بينما تحولنا إلى حديثنا عن غاريبلدى نتابعه

فلما فرغنا من تناول العشاء ، عدنا إلى مقعدنا خارج الدار ثانية ، وراح الكهل يقص علىّ قصته ... قصة شبابه التى لم أسمع فى حياتى مثلها ، ولم أصغ لقصة من قبل أو ... بعد ، إصغائى لها فقد مضى يتكلم كما لو كان يفضى بقصة سواه ، وقد لاح كما لو كان الزمن قد حوله إلى كائن يغاير كل مظهر إنسانى ، تتخلل حديثه حيوية المتفنن الذى يتفانى فى عشق فنه ، وحرارة الخطيب يحاول أن يأسر بفصاحته وبلاغته ألباب المستمعين ...

قال: ولدت فى بيروجيا ، وهى غيرها اليوم، وكان والدى تاجر عاديات ، يقوم متجره على ناحية الطريق التى تصل ميدان البابا

برحبة واسعة تتراءى خلفها تلال « أومبريان »

ولقد يخيل إليك - لأول وهلة - أن الموقع كان رديئاً. بيد أن والدى لم يكن بالرجل الذى ينصب شراكه فى مكان غير ملائم، إذ كان يعرف كيف يجتذب العملاء، ويغرى الزائرين على الابتياع منه.

وكانت أسرته تتكون من ابنين ... أنا وأرتورو ، وقد كنا توأمين متشابهين كل الشبه . غير أن أرتورو كان ذا روح مغامرة، حببت إليه البحر، فما لبث أن غدا بحاراً، بينما مارست أنا - وكنت أكبره بخمس عشرة دقيقة - تجارة العاديات، فصرت مساعداً لأبى

كانت المهنة - رغم أنها تتطلب دراية تامة بالأشياء وبنفسيات الأشخاص - تعتمد كل الاعتماد على الخبرة التامة بتقدير ثمن السلعة والتأكد من أنها حقيقية غير زائفة ، وقد كانت لوالدى هذه الخبرة بالسليقة ، إذ انحدر من سلالة تمشقت هـذا الفن ، هواية أو احترافاً ... كما كانت لى نفس الخبرة إلى حد ما ، فقد كانت إيطاليا القديمة تتمشى فى دماء والدى ، كما كانت تسرى فى عروق بكل ما كان فيها ، وبكل ما كانت تتميز به ، و ... بكل ما عرف عنها من عواطف ومن حقد وكراهية ...

وسارت الحياة سهلة لينة، حتى بلغت العشرين ربيعاً، وإذ ذاك جاء يوم تغيرت فيه حياتى

ففى ذات يوم ، قابلت فى طريق « دى بونتمبن » فتاة كثيراً ما صادفتها من قبل ، وطالما تلاقيت وإياها فى بعض المناسبات ، إذ كانت تصلها بى قرابة بعيدة . وكانت تسكن فى ذلك الميدان الذى يطلق عليه الآن اسم « فيكتور عمانويل » . . . ثم كانت تنحدر من أسرة نشأت فى جنوا . فأضفى عليها أصلها هذا ، جمالاً أشقر رائعاً ، تبدى لى فى ذلك اليوم فى أبهى روعته ... فقد تمثلت لى يومذاك ، فتنة الشباب ، وجمال الربيع ، فى « جيوفانا باتستينا » ، ولاحت لى ، مع أننى كنت أعرفها - كما ذكرت - وكأننى لم أرها قبل ذاك اليوم ...

وبالرغم من أننى كنت أحس جمالها ... إلا أنه لم يبعث فى نفسى يوماً أكثر من إعجاب وقتى ، لا يلبث أن يتلاشى ... أما فى ذلك اليوم ، فقد لاح لى أكثر فتنة وسحراً ... فما هى إلا نظرة من عينيها حتى وقعت فى شراكها ...

وحتى هـذه اللحظة ، لم يبد لى الأمر جدياً يثير اهتمامى ، فلو أننى سمعت إذ ذاك نبأ موتها ، لما نال منى كثيراً ... !

لم أقل لها إذ ذاك شيئاً ، ولم أنبس ببنت شفة ، بل مضيت فى سبيلى ، كشخص عثر بَغتةً على كنز فى طريقه ، فأسرع يخبئه فى ثنايا ردائه ، وانطلق يجد فى خطاه نحو بيته ...

حتى إذا كان اليوم التالى ، قابلتها مرة أخرى ... وفى هذه المرة أيضاً ، أفضت إلى عيناها بما لم أجرؤ أن أصدقه . .

كنت حديث عهد بالهوى ، فلم أدر ما أفعل ... ولو أننى خلوت بها فى مكان ناء لكان فى وسعى أن أقدم على تصرف سريع ، دون أن أتفوه بحرف واحد . أما وقد كنت فى بيروجيا فلم يك أمامى غير أن أزورها حيث تسكن ، أو أن أبوح لها بحبى على قارعة الطريق ، فى جرأة أستمدها من أناة أتذرع بها ... ! وما كنت لأجد فى نفسى هذه الجرأة ، فما عتمت أن تحولت تاركا الأمور تجرى فى أعنتها.. ولكنها لم تلبث أن غادرت المدينة !...

لم تك غيبتها هذه إلا لنزهة قصيرة ما كانت لتستغرق الشهر أبداً ، بيد أننى كدت أقضى حزناً وأسى ، إذ أذكى البعاد أوار الحب فى قلبى ، وأصبحت أرى فى البقعة التى كنت أصادفها عندها ، قبلة أحج إليها . كما كنت أقف فى الأمسيات أمام دارها ، وقد غمرنى شعاع القمر ، والوجد يلهب أحشائى ، والأسى يمزقنى بأنيابه الحادة القاسية ... حقاً ، إن الحب جنون ! ...

لست أود أن أثقل عليك ، ولكننى أحببت أن أريك كيف شاء القدر أن يسعى للقضاء على ...

وأمسك الرجل برهة ليفرغ فى جوفه بقية كأسه ، بينما انبعث صوت العجوز من داخل البيت :

- الفريدو ... إننا الآن فى ساعة متأخرة

فضحك سائلاً إياها أن تدعه وما يشاء ، ثم عاد يتابع حديثه :

- برح بى الهوى حتى لم يبق منى غير هيكل بال لرجل ضعيف . فلم أعد أهتم بالعمل ، أو آبه للفن حتى لطالما اشتجرت مع والدى إذ أضعت عليه كثيراً من الصفقات المربحة

ولو أن الأمور سارت على هـذا المنوال ، لغادرت بيروجيا إذ ذاك مطرحا عملى ، هاجراً موطنى . غير أن الأقدار أشفقت علىّ ، فساقت إلى الشفاء يوماً . فقد عادت جيوفانا إلى المدينة ، وقابلتها فى الطريق، فلم أتردد فى البوح لها بما يعتلج بين جوانحى من غرام. فأطرقت تصغى إلىّ برهة، ثم تحولت لتحدق فى عينى، وابتسمت عند ذاك ، أيقنت أنها أصبحت لى ، فصرت رجلاً آخر...

كانت ثروتى وفيرة لا بأس بها ، وكانت أخلاقى حميدة لا عيب فيها، فلم أجد معارضة من والدى جيوفانا عند ما تقدمت

لطلب يدها . وصار لنا أن نلتقي كل مساء ، فننعم بجولة بديعة خارج المدينة ، عند الكروم الغناء ... ملتقى العاشقين ...

وقررنا أن يكون الزواج فى الصيف ...

ثم حان عيد « الكرنفال »

كان « الكرنفال » فى تلك الأيام الخوالى أكثر مرحاً وبهجة منه الآن . فكان الناس يطرحون عنهم شؤونهم ، وينصرفون عن كل شيء ، ليندمجوا فى ملاهيه وأفراحه

وفى آخر ليالى « الكرنفال » كنت على موعد مع جيوفانا عند بقعة قريبة من « دومو » ، وقد حلا لها أن تتنكر فى رداء غانية أسبانية، بينما اخترت أنا للباسى حلة مزركشة وقناعاً قرمزياً. ولما كانت صحة والدى معتلة فقد لزم البيت طيلة اليوم بعد أن أخبرته بالأماكن التى أعتزم ارتيادها، وبالمواقيت التى سأكون فيها هناك، حتى يكون فى وسعه الاتصال بى، إذا كانت ثمة حاجة لهذا الاتصال

كان موعدى مع جيوفانا فى الساعة السادسة إلا عشر دقائق عند « فونتى مادجيورى » على مقربة من « دومو » . وقد يخيل إليك أننى كنت هناك قبل الموعد شأن كل عاشق مستهيم ... بيد أننى فى الواقع وصلت إلى مكان الملتقى متأخراً . إذ كان بساعة صديقى مانفريدى الذى قضيت عنده فترة الظهيرة ، خلل جعلها تؤخر فى الوقت . بينما تعمدت أن أترك ساعتى فى البيت خشية أن يسلبنيها اللصوص الذين كانوا يندسون وسط المهرجانات فى مثل هذا العيد ... فلما وصلت إلى فونتى مادجيورى ، كانت النواقيس تدق ، فلم أكد أصدق سمعى ، لا ولا بصرى ، عندما ترامت الدقات إلى أذنى ، ولم أجد جيوفانا ...

ثم حدث ما وقع ... فلا بد أنها حضرت فى الموعد ، حتى إذا لم تجدنى انصرفت عائدة . ولو أننى فكرت فى هذا ، لأدركت مدى استحالة بقاء فتاة وحيدة فى الانتظار عند فونتى مادجيورى فى ليلة العيد ، ولأنحيت باللوم على نفسى بدلاً من أن أسمح للغضب أن يطغى فيجتاح قلبى ...

كنت أعلم أن جيوفانا رغم ليونتها ورقتها ، ذات طباع حادة قاسية . فظللت واقفاً أتلفت حولى وهذه الفكرة توحى إلى بما يذكى نيران الغضب ويزيد شعلتها لهيباً . بينما كان القوم يمرون بى فى طريقهم إلى الساحة لمشاهدة موكب العيد ، وهم فى أحاديثهم وضحكهم عنى لاهون . . . ثم تحولت إلى حانة ، فاتخذت لنفسى فيها مجلساً ، وطلبت شراباً قوى التأثير ، رحت أحتسيه وأنا غافل عن رجل أسمر ، كان يجلس إلى منضدة قريبة ...

لم أسرف فى الشراب قط مثلما أسرفت فى تلك الليلة . فقد لاح لى الكحول ساحراً بدد غضبى وأبدل به شيئاً من اليأس، الذى لم يلبث أن تحول إلى شعور من عدم المبالاة . وسرعان ما تناسيت جيوفانا ، واندمجت فى الحديث مع الرجل الأسمر ، الذى عرفنى ونادانى باسمى ، يدعونى إلى مجالسته

كان الرجل أحد تجار التحف فى بيزا ، وقد رأيته فى متجر والدى يومذاك ، إذ ذهب ـ رغم العيد ـ يسعى وراء صفقة . بيد أنه لم يحظ بفائدة لمرض والدى . وكانت لديه تحف رائعة ثمينة يبتغى بيعها بثمن بخس ، إذ حصل عليها فى سرقة ارتكبها فوجد أن من الخطر استبقاءها فى حوزته فى بيزا . وقد أرانى منها بودينى ـ إذ كان هذا اسمه ـ صليباً من الذهب المرصع ببعض الأحجار الكريمة ، وقرطاً ، وخنجراً من الخناجر الفلورنتينية ذا مقبض فضى. فعرضت عليه أن أبتاعها منه، غير أننى لم أك أحمل الثمن الذى ابتغاه. فلم يأبه لذلك، إذ كانت معاملاته معنا على ما يرام لذلك تناولت منه هذه الأشياء، فوضعت الصليب فى صدر ردائى، ودسست الخنجر ـ وقد غاب فى قرابه ـ فى جيب خفى ...

وما إن فارقنى بودينى، حتى عدت ثانية، نهبة للهواجس وفريسة للهموم . ولما بارحت الحانة، كانت الأضواء تتلألأ مؤتلقة فى المدينة وقد تصاعد ضجيج الجماهير المندمجة فى مهرجانات « الكرنفال » كهدير الأمواج الصاخبة . فوقفت برهة موزع الخاطر متحيراً، ثم تحولت نحو ساحة الاحتفال ، وأنا أسائل نفسى ... أما كان يحسن بى أن أيمم شطر بيت جيوفانا ؟ ...

لاحت لى المدينة كمجنونة اكتسحتها نشوة الفرح التى يمنها العيد ، وقد تراءت كشعلة من النيران ، وبدا الناس وهم صرعى نوبة من الخبل المرح ، يحيطون بالساحة يشاهدون « مصارعة الثيران » فاندمجت بينهم ، وقد تناسيت جيوفانا . حتى إذا انتهى الصراع ، وتشتت القوم متفرقين وجدتها أمامى !

كانت فى صحبة رجل ... وقد أوليانى ظهريهما فلم يريانى ، بينما أحاط الرجل خصرها بذراعه ، ومضى يشق لكليهما طريقاً وهم يضحكان فى حبور . فدوت ضحكاتهما فى مسمعى كقصف الرعد . إذ كان يخيل لى أننى الرجل الوحيد فى بيروجيا ، الذى اصطفته جيوفانا خليلاً ، وتمرفت إليه ...

وقفز الخنجر من جيبى إلى يدى ، فكدت أغمده فى ظهر

رفيقها لو لم تندفع كوكبة من الخيل إلى الساحة تتسابق ، فحالت بيني وبينهما . فلما مضت لم يك ثمة أثر لجيوفانا ورجلها ! ...

ولك أن تتصور موقفي ، وقد أعمتني ثورة الغضب ، بينما أخذ الخنجر يحز راحة يدي ، وضحكات القوم تستثيرني وتوهمني بأنهم جميعاً يعرفون قصتي ويسخرون مني . بيد أن إرادتي كانت قوية فلم ألبث أن أعدت الخنجر إلى جيبي وأنا أحمل النفس على الصبر وأعللها بالأماني ... واندفعت مع القوم

وما لبثت أن ظفرت بثمرة صبري ، إذ عثرت على جيوفانا ورفيقها في طريق « بيكولو امبرتو » ، فرحت أقترب منهما حتى بات في وسعي أن أحصي الشعيرات خلف رأسها ، أو أن أحل الرباط الذي يثبت القناع على وجه صاحبها . ولكن يدي لم تعد تتحسس الخنجر هذه المرة ؛ فقد وجدتني في أهدأ الحالات ، أتحين اللحظة الملائمة لإنفاذ انتقامي دون أن أعرض نفسي لأتفه الأخطار

تبعتهما في طريق « بيكولو امبرتو » وهما يسيران في عزلة عن القوم لاهيين ، وقد غابا في غمرة سعيدة أنستهما ما حولهما ، حتى أنهما لم يلتفتا نحوي مرة واحدة ...

ثم ... لحظة واحدة يا سيدي ...

وهم باولي من مجلسه لحمل زجاجة الشراب الفارغة ، وغاب في المنزل ... وسمعته يسأل جيوفانا عن مفتاح المخزن ، فأجابته بصوت نم عن غضبها لإقلاق راحتها ، وكأنما كانت متذمرة لبقائه ساهراً حتى تلك الساعة المتأخرة ، في جو الليل الرطب البارد ، يتناول الشراب مع شخص أجنبي لم يسبق لهما التعرف إليه ...

ثم عاد يحمل زجاجة جديدة من الشراب ، فاتخذ مجلسه ثانية وتابع حديثه وكأنما لم يقطعه على نفسه ...

اتبعتهما في الطريق ، حتى وصلنا إلى أخرى تفضي إلى بيتها . وقبيل باب الدار ، افترقا ...

لم أصدق عيني وأنا منزو في مخبأ في الطريق . فقد كانت بيروجيا بأسرها — لا الحي وحده — تعرف أنني خطيبها وأننا سنصبح عما قليل زوجين . ومع ذلك ، فهأنذا أراها قبيل الزواج ببضعة أشهر تساير شخصاً غريباً على أثر إهمال بسيط صدر مني عفواً ودون إدراك مني ... شخصاً التقطته من بين الأفواج المتدفقة في ساحة « الكرنفال » !

وولجت هي بيتها ، بينما عاد هو في الطريق يصفر فرحاً جزلان ، فما إن ابتعد عني ثلاثين خطوة ، حتى تسللت في أثره ، وقد قررت — بعد إذ رأيت ما بينه وبينها من علاقة — أن أقدم له الجزاء الذي يستحق ... كان يجب أن يموت ، وكان ينبغي أن تموت هي أيضاً ، ولكنه الأجدر بالأسبقية في تلقي الجزاء !

كان من السهل أن أغتاله في تلك الطريق ذات الأضواء الضئيلة ، التي لا تكاد تقوى على مكافحة الظلام الطاغي ... ولكن ... ألا يجوز أن يقبضوا عليّ ، فتفلت هي من انتقامي ؟ ...

وصمت العجوز مرة أخرى ، لينزع عن الزجاجة سدادها ، فيملأ الكأسين ، بينما كان القمر قد اعتلى كبد السماء ، وازداد ضوؤه الفضي تألقاً ، حتى تراءى لنا المنظر المحيط بنا ، وكأنه يبدو في وضح النهار . حتى إذا أفرغ كأسه في جوفه ، عاد يقول متابعاً قصته :

« لعلك تقدر موقفي يا سيدي ، فقد كان عليّ أن أحرص على حياتي ، حرصي على كنز ثمين ، حتى أتم انتقامي كاملاً ، وهذا لا يتأتى إلا إذا فرغت من حساب جيوفانا على ما قدمت ...

ومع ذلك ، ظللت أتعقب الرجل ! ...

والظاهر أنه كان قد اختطف ألعوبة « شخشيخة » أحد المهرجين ، أثناء المهرجان ، فراح طيلة الطريق يهزها يمنة ويسرة ويضرب بها ظهور الناس خلال الزحام ، وهو يضحك ساخراً لاهياً في غفلة عن ذلك الذي يتعقب خطاه ، معداً خنجره للقضاء على حياته

كان يلوح كمن يبتغي اجتذاب أنظار القوم . فكان يسخر من كل فتاة أو شاب يعترض طريقه ، ويهزأ بكل عجوز أو كهل يصادفه ، مرسلاً قهقهته عالية في الجو . وكأنما هو لم يكتف بما نعم به من سعادة في رفقة جيوفانا ، فما لبث أن أوقع في أحبولته فتاة أخرى ، أحاطها بذراعه ثم دفعها معه ، وقد تبعتها صويحباتها وهو غير مكترث بهن . ولعله كان يحمل نقوداً وفيرة إذ لجأ إلى مشرب راح يبعثرها فيه بغير حساب ...

ما كنت أرى وجهه ، فقد كان ظهره نحوي . بيد أنني كنت أرى أنه قد وفق في أن يبدو الروح الحية التي ظهرت في المشرب فطغت على كل من فيه ، ثم . . . تفرق الجميع كل إلى وجهته ، فعاد وحيداً يسلك طريق « أندريا دوريا »

وهنا ... وجدت الفرصة الملائمة ! ...

كانت الطريق مقفرة ، ولم يك ثمة من يرانا ، وحتى لو وجد هذا فقد كان الظلام الضارب فيما بين المصابيح ، لا يدع لأحد الفرصة كي يتأملنا جيداً ؛ فلم ألبث أن أمسكت بكتفه ، ورحت أنظر إلى وجهه الذي كان شاحباً ، تعلوه كآبة تبعث في النفس

الرغبة فى تهشيمه... كنت مجنوناً، وقد أخذت الوقائع التى حدثت فى ذلك اليوم تتتابع متزاحمة فى رأسى... كان هناك حبى لجيوفانا، وغيرتى، وحقدى، ثم... مفعول الكحول القوى... كل هذا كان يدفعنى نحو الجنون، بينما أخذ الشاب يقاومنى فى نضال، وأحسست بسكين تصيب كتفى الأيسر، ثم هويت إلى الأرض بينما كنت أغمد خنجرى فى قلبه بكل ما واتانى به الحقد والغيرة من قوة !...

سقط الرجل عند قدمى جثة هامدة شاحبة، وما يزال الخنجر مدفوناً فى صدره. ولكننى لم آبه لذلك، ولم أسع إلى الفرار... ولعل هذا أغرب ما حدث... فقد كنت أنتوى قتل جيوفانا، ثم أنتحر، ولذا لم أجد ما يحث على الفرار !

لم أك أدرى لكل هذا سبباً. غير أننى أدركت فيما بعد، أن عقل الإنسان لا يطيعه فى كل الأحوال، وإنما هو - فى المآزق الحرجة والمآسى المروعة - يتمرد عليه ليعمل بإملائه ووحيه...

جررت الجثة إلى مدخل المبانى القائمة فى الطريق فأسندت ظهرها إلى الباب حتى بدا صاحبها تحت ضوء المصباح النازى الصغير الملق فوق المدخل، وكأنه ثمل غلبه النعاس. ثم انطلقت فى طريقى بعد أن تحققت من المكان الذى تركت فيه جثة غريمى لم يعد أمامى بعد هذا إلا أن أحاسب جيوفانا، لذلك يممت شطر بيتها، ودققت الباب ثم ولجت...

كانت أسرتها ما تزال غائبة فى « الكرنفال »، وكانت هى لم تأو بعد إلى فراشها، فما لبثت أن هبطت للقائى...

وكنت أقف فى الحجرة التى اقتدت إليها عند حضورى، متكأ إلى منضدة فى قبالة الباب، عند ما قدمت. فما رأتنى حتى حدقت فى وجهى دهشة وتساءلت :

— لماذا عدت ثانية ؟

فأطلقت ضحكة عالية، ولم أنبس ببنت شفة. وإذ ذاك تراجعت وقد لاح على محياها الفزع ؛ غير أننى لم أفكر فى أن خوفها هذا قد يكون منبعثاً عن غرابة مظهرى وعن إخلاصها لى. وإنما خلت أنها فطنت إلى أننى كشفت خيانتها، فكان هذا مصدر جزعها، لذلك صحت بها :

— ما اسمه ؟

— اسم من ؟

— من !؟ الرجل الذى أوصلك إلى باب هذا المنزل منذ ساعة

— إننى لم ألتق بسواك هذا المساء...

لاح لى أنها كانت تنطق عن حقيقة وصدق. فبدأت أفهم الأمر... لا بد أن ثمة شخصاً اتخذ مظهرى وتقدم إليها منتحلاً شخصيتى. فلما أفضيت إليها بما ساورنى ضحكت قائلة :

— لقد كنت أنت الذى رافقنى، وقد وضعت على وجهك قناعاً زائفاً... ثم كان موعدنا وملتقانا عند فونتى مارجيورى، وهذا ما لا يعرفه سوانا...

فصحت :

— يا لله !... ولكننى لم أقابلك إذ تأخرت عن موعدنا...

خيل إلىّ أنها ظنتنى مجنوناً أو كاذباً... وتراءى لى الأمر كحلم، فظللت صامتاً يداخلنى الشك فى صحة قواى العقلية ؛ بل لقد أيقنت أننى مجنون، فرفعت القناع القرمزى عن وجهى وأطرقت إلى الأرض. ثم... تذكرت الرجل الذى خلفته مستنداً إلى الباب فى تلك الطريق المقفرة بعد أن سلبته الحياة. وإذ ذاك خيل إلىّ أن ثمة قوى خفية تسيطر علىّ وتدفعنى إلى أن أغادر البيت.. البيت الذى دخلته لأقضى على جيوفانا، فخلفته وأنا نصف مجنون، تسوقنى قوى خفية - رغم إرادتى - إلى حيث لا أدرى...

وجدتنى أخيراً عند باب بيتى... وكان المنزل مظلماً عند ما ولجته، فأغلقت الباب خلفى وتقدمت. وإذ ذاك سمعت والدى يصيح متسائلاً عن القادم، إذ كان ملازماً حجرته لمرضه. فلما وصلت إليه، وجدته جالساً فى الفراش، متدثراً بالأغطية، وعلى ركبتيه كتاب مفتوح، وإلى جانبه المصباح. فما إن رآنى حتى بادرنى :

— آه، أهذا أنت ؟... وأين أرتورو ؟...

والآن... لعلك تذكر أننى أخبرتك فى بداية القصة، أنه قد كان لى أخ أحب البحر فعمل كملاح. وأنه كان يشبهنى كل الشبه، إذ كنا توأمين

صحت بدورى أسأل والدى :

— ماذا تعنى ؟... إن أرتورو فى البحر...

بيد أننى لم أتم كلامى حتى خالجنى شعور رهيب، كاد قلبى أن يقف له عن الوجيب، بينما سمعت والدى يقول :

— لقد عاد أرتورو اليوم، فانطلق يبحث عنك، بعد أن أخبرته أن فى وسعه أن يعثر عليك عند فونتى مادجيورى فى الساعة السادسة، إذ أخبرتنى أنك ستلتقى جيوفانا...

وإذ ذاك، شعرت بالأرض تميد بى، فتهالكت على مقعد

بجوار فراش أبى ، ومضيت أقول دون وعى :

— لقد تأخرت عن الموعد ، وسبقنى أرتورو إلى هناك ، فظنته جيوفانا إياى ، وتقدمت إليه ، ولما كان يعرف أنها خطيبتى فقد شاء — حباً فى المزاح — أن يدعها على اعتقادها ، وبعد أن طاف برهة فى رفقتها ، أوصلها حتى باب دارها ثم ودعها وهو ما يزال منتحلاً شخصيتى . اتخذ طريقه عائداً ، يساوره الأمل فى أن يلقانى فيضحك معى للفصل الذى أتقن تمثيله . بيد أنه لم يك يدرك أننى أتعقبه طيلة ذلك الوقت ، ظاناً أنه شخص غريب سلبنى خطيبتى ، وأوقد فى أعماق نيران الغيرة

فانتفض والدى بغتة فى فراشه ، وكأنما أصابته رصاصة ، وصاح :

— ماذا تقول ؟ ... ما الذى تعنيه ؟ ... أين أرتورو ؟ فأجبته : لقد مات غيلة بخنجرى الذى لا يزال فى صدره ...

فهت بهذه الكلمات وأنا هادئ كل الهدوء ، كما لو كنت أنقلها عن شخص آخر كنت لا أستطيع أن أتصور ما فعلت ، وأن أعتقد حقاً أننى ارتكبت تلك الجريمة ! ...

أجل يا سيدى، كان هذا عين ما حدث .

وأطرق الرجل برهة ، وكأنما غلبه الأسى لتلك الذكرى ، ثم ما لبث أن عاد يقول :

— غير أنهم لم يعاقبونى ، إذ أخذتهم بى الشفقة عندما رويت لهم قصتى ، كما أرويها لك الآن ...

وما لبثت بعد ذلك أن تزوجت جيوفانا ، سافرنا إلى بيزا معاً فاستقر بنا المقام هناك ...

كان هذا منذ سنوات ، وقد مضينا عقب ذلك فى الحياة ، دون أن نوفق إلى جمع ثروة أو عقار ، اللهم إلا هذا الفندق الذى امتلكناه أخيراً ...

ومع ذلك فإننا فى نهاية المرحلة ... فماذا يهمنا ؟ ...

وفرغنا من الشراب ، فقادنى إلى الغرفة التى أعدت لنومى . وفيما كنت مستلقياً فى فراشى ، يقظاً أتأمل شعاع القمر ، وقد تساقط على جدار حجرتى ، وأنصت إلى حفيف أشجار الزيتون ، يداعب أغصانها نسيم الهزيع الأخير سمعت جيوفانا تقول ساخطة:

— هل أويت إلى فراشك أخيراً ؟ ... جميل حقاً ، أن تدعنى يقظة حتى الآن فى انتظارك ! ! ...

محمد بدر الدين



رجماله

١ — قرأت كلمة العالم الثقة المتواضع « أزهرى (طنطا) » فى العدد الـ ٣٤٧ . وفيها نبه الكتاب والرواة إلى أن أفلاطون هو الذى قال : « لا تقصروا (تقسروا) أولادكم على آدابكم ، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم » . ويحلو لى أن أعود إلى مناقلة ذلك العالم ومثاقفته ، فأخبره بأن هذا القول ورد منسوباً إلى أفلاطون أيضاً ، على قلم أسامة بن منقذ فى « لباب الآداب » — مصر ١٩٣٥ ص ٢٣٧

٢ — كنت استشهدت فى مقالى « مناقلة ومثاقفة » (الرسالة ٣٤٦) بكلمة بليغة لابن شبرمة ، وهى : « ذهب العلم إلا غبارات فى أوعية سوء » . فذهب صاحب « الأدب فى أسبوع » فى العدد التالى إلى أن هذه الكلمة « تبدو له نصاً عربياً مظلم النور » . فقال — معترضاً — : إن تحرير روايتها يكون بوضع : « غُبّرات » (أى : بقايا الشىء) موضع : « غبارات » . وجلب لأجل ذلك قولاً لعمرو بن العاص وآخر لأبى كبير الهذلى ، وردت فيهما كلمة « غُبّر » وجمعها « غبرات (المآلى) » لبقايا دم الحيض (المعذرة أيها القارئ!) . ثم خرج المعترض من وراء « تحقيقه على التحرير والدراية » ، يأمر الناس يقول : « فمن كانت عنده نسخة من العقد الفريد (طبعة بولاق) فليصححه » ، (وذلك لأن تلك الكلمة مثبتة فى العقد وروايتها «غبارات») .

ألا إن مثل هذا الضرب من التحقيق ينطوى تحت ما يسميه علماء الفرنجة لهذا العهد فى المنهج الذى يجرون عليه فى تحرير المخطوطات والمطبوعات : « التحكم فى رفض رواية النص » . ومنهج القوم فى ذلك هو معتمدنا اليوم (وهو على كل حال سنّة العلماء من عرب وأعاجم فى عهد ترسخ فيه قواعد العلم) . وفى نقدى لكتاب « الإمتاع والمؤانسة » (الرسالة ٣٣٧) مثل على ذلك التحكم . وبيان هذا أن نص رواية من الروايات لا يرفض إذا صح لغةً وأداءً وبياناً ؛ وليس للقارئ أن يستبد بذوقه فيحمل القدماء على أن ينطقوا على هواه أو على مبلغ «تحريره ودرايته» ، وإن صحّ رأيه من جانب . وعلى هذا ، فمعلوم أن الغبارات — أى الشىء الحقير القليل [1] — تعلو الوعاء المهمَل لفساد ما فيه وتطمئن فى زواياه . فلا حاجة بك إذن إلى اجتلاب استعارة قد ينبو عنها بعض الأذواق . ولو كان استشهد المعترض بنص ورد فيه قول ابن شبرمة و «الغبارات» فيه « غبّرات » لكان رأيه نجا من نصف التحكم ؛ ولو كان جلب نصاً فيه « غبرات (المآلى) » تليها « أوعية » سوء أو نحو ذلك لكان رأيه مقبولاً

هذا والغبارات وردت فى غير طبعة بولاق (مصر ١٢٩٣) للعقد الفريد . فإنك تصيبها فى طبعة المطبعة العثمانية مصر ١٣٠٢ ج ١ ص ٢٠٥ ، والمطبعة الشرفية مصر ١٣٠٥ ج ١ ص ١٥٥

وبعد ، فإنى أريد أن أكون عند حسن ظن المعترض بى . ألم يكتب عن غزير فضل : « إن العالم الثقة الثبت المحقق الدكتور بشر فارس قد علِم فعلّم » . وهأنذا فى دار الكتب المصرية — أبقاها الله حصناً للمحققين — وإلى جانبى الصديق الكريم (وفى الناس من تكرم صداقته) الأستاذ كامل المهندس رئيس قسم الفهارس العربية، والأستاذ عبد الرحيم محمود المصحح بالدار ، وبين يدىّ جانب من نسخة مخطوطة، قديمة تصعد إلى المائة السادسة [2] ، مشرقة الخط ، مشكولة ، إن هى إلا « الجزء السادس من كتاب العقد وهو بعض كتاب الياقوتة فى العلم والأدب » . وفى أسفل الورقة الـ ٢٢ ما حرفه بالشكل الكامل المحكم : « ذهب العلمُ إلا غُبارَاتٍ فى أوعيةِ سَوْء »

هذه كلمة لن أردفها بثانية مهما خطر للمعترض أن يقول .

بشر فارس
دكتور فى الآداب من جامعة باريس

---

(١) أنت تعلم أن الهباء هو الغبار ، والهبوة الغبرة ؛ فاذكر الآية : « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً » : « شبه عملهم المحبط بالهباء فى حقارته وعدم نفعه » عن البيضاوى

(٢) على ما أخبرنى به الأستاذ الشيخ محمد عبد الرسول مفهرس المخطوطات العربية فى دار الكتب . وهذه المخطوطة غير التى عول عليها لطبعة بولاق ، وسيعرف المعترض سبب ذلك عند المراجعة . ورقم المخطوطة ٢٦٠٦ أدب

« ارتجال المصادر »

طالعت فى العدد ٣٤٧ من الرسالة مقالاً فى البريد لكاتبه الأستاذ إسماعيل أدهم يحاول فيه أن يرجع تعبيراً للدكتور بشر فارس هو «أذنى زلزلت طرباً» إلى تعبير إيطالى يقاربه، فى زعمه، للكاتب المسرحى لويجى بيراندللو عن ترجمة تركية

ونحن لا نريد أن نناقش هذا الأسلوب فى ترجيع تعبير إلى آخر فى غير اللغة التى كتب بها مباشرة (من الإيطالية إلى التركية ثم إلى العربية) ، وإنما نريد أن نبين للقارئ كيف يواصل الأستاذ أدهم طريقته فى « ارتجال المصادر » (راجع هنا ما قاله الدكتور بشر فارس نفسه فى هذا الصدد : الرسالة ٣٢٩و٣٣٠) وإليك الحديث :

قد كنت وضعت رسالة عن الكاتب المسرحى لويجى بيراندللو ونشرتها تباعاً عام ١٩٣٥ على صفحات مجلة الحديث الحلبية ، وذلك بمناسبة فوزه بجائزة نوبل ، وكنت أثبت فى هذه الرسالة المصادر الأفرنجية التى اعتمدت عليها فى اللغة الفرنسية ، ومن بينها كتاب مستعرض أوربا Carte d'Europe لمؤلفه الناقد Daniel Rops وفى هذا الكتاب وغيره وردت مصادر إيطالية وجدت من تتمة البحث أن أذكر عناوينها ، ومن هذه المصادر كتاب L'uomo Segreto أى « الإنسان الخفى » لمؤلفه فردريكو ناردييللى

وقد تبين لى بعد ذلك أنى أخطأت فى ترجمة عنوان هذا المصدر بأن ذكرت « الإنسان المقدس لمؤلفه فردريك ناردييللى » وجاء هذا الخطأ نتيجة وهمى أن كلمة Segreto تفيد « مقدس » والصواب أن الكلمة التى ترادف « مقدس » هى بالإيطالية Sacro وهكذا يرى القارئ أن مصدر الخطأ جاء من تقارب خروج حروف اللفظتين الإيطاليتين

هذا وقد استند الأستاذ أدهم فى مقاله المذكور آنفاً إلى هذا الكتاب ، وادعى أنه راجع ترجمته التركية (ص ١١٨ ــ ١١٩) ؛ فذكر عنوان الكتاب هكذا : « الإنسان المقدس » . ونحن نقول إن هذا الكتاب لو كان ترجمه أحد إلى اللغة التركية حقيقة لكان أصاب فى ترجمة العنوان وهو سهل الألفاظ واضحها ، (وإلا فكل الترجمة خطأ ولا يعول عليها إطلاقاً)

والحقيقة أن الأستاذ أدهم سطا على هذا العنوان بخطئه — كما رأيت — من صلب الرسالة التى كنت نشرتها فى مجلة الحديث عام ١٩٣٥ كما قدمت

ونزيد على هذا أن الأستاذ أدهم فى محاولته فى مقاله المذكور استند إلى الترجمة التركية « ؟!! » على حين أنه فى كتابه « توفيق الحكيم — الفنان الحائر » أثبت عنوان هذا الكتاب ذاته فى جدول مصادره باللغة الإيطالية كأنه اطلع عليه . فلم يعمد إلى ترجمة تركية لكتاب سبق أن اطلع عليه فى لغته الأصلية إلا لأنه يعرف أن التركية الحديثة غير شائعة عندنا ، فمن يتتبعه ؟

وإذا كابر الأستاذ أدهم فى هذا الصدد فليرسل إلى إدارة مجلة الرسالة الترجمة التركية المزعومة لمجرد الاطلاع عليها والإفادة منها

محمد أمين حسونة

الحجز على المتاع

سيدى الفاضل الأستاذ الزيات

تحية وسلاما . وقع نظرى على إعلان حجز نشر فى جريدة البلاغ يوم الجمعة الماضى أو السبت الذى يليه على ما أذكر ؛ فقد أردت أن أحتفظ بالعدد المنشور فيه هذا الإعلان لولا عبث أطفالى به وهم لا يأبهون بما فيه ، ولكن إليك ملخصه (ولك أن تراجع أعداد البلاغ المشار إليها للتحقق منه)

« فى يوم ٤ مارس سنة ٩٤٠ سيصير بيع المنقولات الآتية وهى : حلة وأبجر (وكيلة ذرة) ملك . . . وهذا البيع بناء على طلب حضرة صاحب المعالى وزير الأوقاف وفاء لمبلغ . . قرشاً »

وكان بودى لو تعيرنى قلمك لأعلق على هذا الإعلان المؤلم ؛ بيد أنى خشيت أن يكون فى يدى قصبة لا روح فيها أو كالمهند فى يد طفل ضعيف. والموضوع يحتاج إلى صرخة مدوية تهز أوتار القلوب ، وأنت فارس هذا الميدان ، ولنفائس يراعتك ما ينفس عن القلوب المكلومة ، وفيك الرجاء فى معالجة الأمر بحد القلم الذى حرك أولى الأمر فى أكثر من حادثة

إن بعض القوانين تحرم الحجز على كثير من أنواع المتاع فما بالك بالحجز على القوت الضرورى ؟ فهل بلغ الحرص بوزارة الأوقاف على أموالها هذا المبلغ وهناك الكثيرون من أبناء الأثرياء الذين أضاعوا أموالهم على الخمر والميسر وأنواع الفجور، أصبحوا يعيشون فى رغد من المرتبات التى تصرف لهم من الأوقاف من غير استحقاق أو عمل يعملونه لأنفسهم ولبلادهم ، وناهيك بغير هؤلاء ممن تعرف

ومما يزيدنا تألماً أن يصدر هذا التصرف الشاذ فى عهد وزير خلق وزارة الشؤون الاجتماعية لخدمة الإنسانية

فمتى نعرف البر بالفقير إذا كانت وزارة البر والإحسان تأخذ اللقمة من فم الفقير لتطعم بها أبناء الأعيان أو تؤثث بها غرف موظفيها بأنواع الأثاث الفاخر ؟

يا لله ... وزارة الأوقاف تنزع من فقير « حلة وأجر وكيلة ذره » وهي بالطبع كل ما يملكه من حطام الدنيا !

أين الرحمة ! أين الشفقة ! ... يا للإنسان من ظلم الإنسان !

احمد محمد على

استفهام

فى كتاب « تاريخ الأدب » المقرر بالمدارس الثانوية تحت عنوان : « نماذج من شعر المخضرمين » شعر لأبى دهبل الجمحى على أنه مخضرم ، وعلى أنه قيل فى مدح رسول الله عليه الصلاة والسلام، وأول الأبيات هو :

إن البيوت معادن فنجاره ذهب وكل بيوته ضخم

وروى الأغانى فى الجزء السابع « طبعة دار الكتب ص ١٣٤ » أن هذه الأبيات فى مدح عبد الله بن عبد الرحمن الملقب بابن الأزرق ، والى عبد الله بن الزبير على بعض أعمال اليمن . فأى هاتين الروايتين نصدق؟ ومم استقى الأساتذة الأجلاء المؤلفون الرسميون روايتهم تلك؟ وكيف يحتمل أن يكون مخضرما وقد عاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان ؟

هذه أسئلة غرضى منها تعرف الحقيقة فحسب ، فلعلى أظفر بمن يهدى إليها « محموداً مشكوراً » قارى

البروفسور ويلسن

وصل إلى القاهرة عن طريق الجو فى الأسبوع الماضى البروفسور دوفر ويلسون أستاذ البلاغة والأدب الإنجليزى فى جامعة أدنبرة ، قادماً إلى مصر بدعوة من المجلس البريطانى ، والاتحاد المصرى الإنجليزى، لإلقاء طائفة من المحاضرات العامة، يدعى إليها كبار رجال التعليم فى وزارة المعارف والجامعة ، كما أنه سيباح الاستماع إليها لكل راغب فى ذلك

وسيلقى الأستاذ دوفر أولى محاضراته فى الساعة السادسة من مساء يوم ١٤ مارس الحالى ، بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية ، تحت رعاية الاتحاد ، ويتحدث فيها عن « شكسبير وعصره »

ويلقى بعد ذلك محاضرات أخرى عن نظم التعليم الحديثة فى انجلترا وعن الحياة الاجتماعية والسياسية فى لندن يلقيها فى المعهد البريطانى وفى قاعة يورت التذكارية . ثم يلقى محاضرات أخرى فى الأسكندرية وبور سعيد والسويس

وللأستاذ ويلسون أبحاث قيمة عن شكسبير ومؤلفاته ، وإليه يرجع الفضل فى إخراج الطبعة الحديثة من مؤلفات هذا الشاعر العظيم التى أصدرتها جامعة كمبردج أخيراً . وقد أخرج فى شئون التعليم ونظمه كتباً يسترشد بها رجال التعليم فى انجلترا إذ كان أستاذاً للتربية والتعليم فى جامعة لندن ، ثم أستاذاً للأدب الإنجليزى فى جامعة كمبردج

حول لقب السفاح

قرأت فى مجلة (الرسالة الغراء) فى الجزء ٣٤٢ وغيره ما كتبه الكاتبان (الأستاذ محمود شاكر والأستاذ الصعيدى) فى (لقب السفاح) . وعجبت لقول الأستاذ العبادى — على ما نقله الأستاذ الصعيدى — : إن الرواية التاريخيـة القديمة كرواية ابن سعد وابن عبد الحكم والبلاذرى والدينورى وطيفور واليعقوبى ، والطبرى والنوبختى والكندى لم تلقب (أبا العباس) بالسفاح

فالمؤرخون كالمجمعين على تلقيبه بذلك ، بل هو أشهر من لقب بهذا اللقب جاهلية وإسلاماً

ولعل من المفيد أن أنقل ما قاله الحافظ بن حجر فى كتابه (نزهة الألباب فى الألقاب) من مخطوطات دار الكتب المصرية . قال : «السفاح : أول خلفاء بنى العباس ، هو أبو العباس عبد الله ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس . ولقب به من القدماء سلمة بن خالد بن كعب التغلبى رئيس بنى تغلب أحد فرسان الجاهلية ، وقيل له ذلك لأنه سفح الروايا يوم الكلاب الأول »

غسان صلاح الدين

حول لوبيا المجهولة

حضرة الأستاذ على معمر الطرابلسى

قرأت مقالك المنون بلوبيا المجهولة فى العدد ٣٤٤ من مجلة الرسالة الغراء ، فكانت دهشتى منه كبيرة ، ولو كنت تعلم أن الإنسان الذى حملت عليه تلك الحملة الهوجاء يحمل فى قلبه غيوماً من الأسى المض والألم المبرح على شقيقتنا (طرابلس الغرب) الإسلامية العربية — لما أقدمت على إذابة قلبه بكتابة ذلك المقال ... لو كنت تعلم أن ذلك الإنسان لا يعترف بالوطنية الضيقة ، بل هو يعتبر كل وطن إسلامى — بله العربى — وطناً له

يعتز به ويفخر بالانتساب إليه ويعتقد أن له عليه من الحقوق مثلما لوطن المولد — ما جرحت قلبه بمثل ذلك الرد

ومع ذلك فالذنب ليس ذنبك ولا هو ذنبي، إنما هو ذنب «السياسة ومراعاة الظروف» وكفى بأستاذنا الزيات شاهداً على أنني ما أغفلت ذكر طرابلس الغرب من كلتى ولا سهوت عن تسطير قلمي بها

لقد ذكرت طرابلس الغرب على انفراد وفى أسطر خاصة، لأن لها فى قلبي مكاناً ممتازاً؛ ثم جاء قلم من الأقلام فحذفها جلة رعياً للظروف الحاضرة. ولم أجملها فى ضمن بلدان «الشمال الأفريقي» لأن هذه اللفظة بفضل السياسة أصبحت لا يراد بها إلا الأقطار الواقعة تحت حماية فرنسا أو استعمارها وهى: تونس، والجزائر، والمغرب ... أفتراني يا حضرة الأستاذ مقصرين فى حقوق الجارة الشقيقة وجاهلين بجهادها وبلائها ومحنتها التي ينفطر لها كل قلب عربي مسلم؟

ثم أسألك كيف جاز لك أن تسمى طرابلس الغرب «لوبيا» وهو لفظ أطلقته عليها السياسة لتمحو به المعنى العربي، والتاريخ العربي لهذه البلاد، وتنقل السامعين له فوراً إلى عهدها الأول قبل الإسلام يوم كانت أحد أجزاء الامبراطورية الرومانية؟ وأنت طرابلسى فهل ترضى أن ننسبك إلى لوبيا؟

إن المسلم حين يسمع لفظة (الأندلس) يمر بخياله تاريخ مجيد للإسلام والعروبة، مضى وترك مآسيه منقوشة فى القلوب؛ ولكنه قد لا يمر بخياله شيء من ذلك إذا سمع لفظة (أسبانيا)، مع اعترافى بأن طرابلس الغرب أمة عربية خالدة بخلود الزمن

فيأيها الأستاذ، لتكن شديد الثقة بأن العرب وحدة لا تتجزأ، وأن الدم العربي أينما حل لن تنقطع وشائجه ولن تنفصم أواصره مهما جار عليه الزمان وبدد شمله على الأوطان، والسلام عليكم ورحمة الله. (فاس) «أبو الوفار»

تصويبات فى العدد الممتاز

جاء فى آخر المقال الافتتاحى (محمد الزعيم): «قد جاءتكم بصائر من ربكم» والصواب جاءكم

وفى مقال الأستاذ العقاد: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله» والصواب حذف (كله)

وفى مقال الأستاذ فريد وجدى: «ولو على أنفسكم أو الأقربين» والصواب (ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين)

٣ - وحى الرسـالة

[من واجب «الرسالة» أن تنشر ما يتفضل به علينا الأدباء الزملاء والأصدقاء من صادق النقد وجميل الرأى فى كتاب «وحى الرسالة» تسجيلا للفضل منهم والشكر منا]

قالت زميلتنا المقتطف فى عددها الصادر فى أول مارس:

قال الزيات: «قارئى العزيز، اخترت لك هذه الفصول مما كتبته للرسالة فى ست سنين. وكان من عادتى أن أكتب الفصل منها أصيل السبت من كل أسبوع، ثم لا أكتبه طوعاً لتأثير قراءة، أو تحرير فكرة، أو تخمير رأى. وإنما كان أثراً لوحى ساعته أو حديث يومه أو صدى أسبوعه. فالزمن جزء منه متمم لمعناه: يبين ملابسته للحادث، ويمين مناسبته فى التاريخ، لذلك أعقبت كل فصل بذكر اليوم الذى كتب فيه ليتضح موضعه بفعله وحاله وظرفه»

هذا خير ما يوصف به هذا الكتاب. فأنت ترى أنى لا أستطيع أن أزيد فى صفته من حيث التأليف والتبويب، ولكنى أستطيع أن أقدم بين يدى قارئه بعض الرأى فى أدب صاحبه

وأنت إذا تناولت هذا الجزء فقرأت فهرسه، رأيت مائة وعشرين باباً من أبواب القول قد افتتحها «الزيات» بقلمه وسناها برأيه، ومهدها بحسن بيانه، ولكل باب منها غرض، ولكل غرض أسلوب، ولكل أسلوب لفظ يصلح عليه ولا يصلح عليه غيره. وإذا كان الكتاب كذلك كانت المشقة فيه أعظم من مشقة التأليف المرسل إلى غرض واحد لا يتميز إلا بالاتجاه، فإن الغرض الواحد قلما يخرج أسرار البيان من قلب الكاتب ولسانه، لأن الأسلوب إليه قلما يختلف. فإذا اختلفت الأساليب باختلاف الأغراض محصت قدرة الكاتب على ما اعترض له وهمّ إليه من الكتابة

فإذا أنت أخذت هذا الكتاب بين يديك وسايرته فصلاً فصلاً وأسلوباً أسلوباً، عرفت الجهد الذى لقيه صاحبه فى إبداعه، ورأيت «الزيات» فى كل أسلوب هو «الزيات» لا يختلف

ولا يتنافر ، والكاتب إذا صار إلى هذه المرتبة — حيث تراه هو هو مهما اختلفت الأغراض وتباينت الأساليب — فاعلم أنه إنما يشتق لك كل ما يكتبه من حر نفسه ، فيضنيها ويهلكها مخلصاً صابراً لا يمل . وإذا كان الكاتب كذلك فهو كاتب لا يزيف لك ولا يقبل الزيف ، وهو يعطيك ولا يسألك ، ويبذل لك ولا يمن عليك ، ويعلمك ولا يدعى لك أنه أعلم منك ... ذلك بأنه قد بلغ من العقل والفكر والصفاء والبيان حيث يعلم أنه ملك قارئه لا أن القارئ ملك له ، وأنه مرشد لا مسيطر ، وأنه أخوك الذي يناقلك الحديث وإن كان بمنزلة الأب

و « الزيات » — كما عرفته من كتابته — روح هادئة متكتمة مسترسلة ، يكاد يختفي في نفسه حين يفكر كأنه فيلسوف من فلاسفة الصين : يمشي هادئاً ، ويفكر ساكناً ، ويحاسب نفسه ولكن على التسامح والرضا والاستسلام ؛ فإذا أراد أن يقيد أحلامه وأفكاره وهواجسه كان هو الهادئ الساكن المتسامح ، فإذا اشتد وحمس وأراد أن يتفجر ، خيل إلىّ أنه عين حمئة ترسل لواذعها سكباً ساخناً حامياً كالماء إذا غلى ثم هدأ أول هدأة لا يضرب بعضه في بعض . ولذلك ترى نقده إذا نقد شديداً بالغاً ، ولكنه رفيق غير عنيف ، ولكنه على ذلك مما تخشى صواعقه . وهذه الروح التي وصفناها هي التي تجعل كل كلامه قطعاً مزينة ناضرة محكمة مقدرة الألوان لا يختلط شيء منها بشيء ، ولا يجور لون منها على لون . وهي التي تجعل كل لفظه مبنيًا على الإيجاز دون الإطناب ، وعلى مذهب الحكمة دون المذهب الكلامي ؛ وإذا أردت أن تتبين كل ذلك حقيقة التبين فلا تتكلف أكثر من أن تقرأ إهداء كتابه . يقول لولده « رجاء » الذي احتسبه عند ربه في سنة ١٩٣٦ :

« إلى روحك اللطيفة المعذبة — يا ولدي رجاء — أقدم هذا الكتاب ، فلولاك ما أنشأت الرسالة ، ولولا الرسالة ما أنشأت هذه الفصول »

فإن في هذه الكلمات القلائل لوعة مستكنة باقية إلى يومها هذا ، ولكنها ساكنة راضية هادئة لا تثور ولا تتأجج ، ولكنها تسرى وتدب وتمشى في روحه الهوينا الهوينا

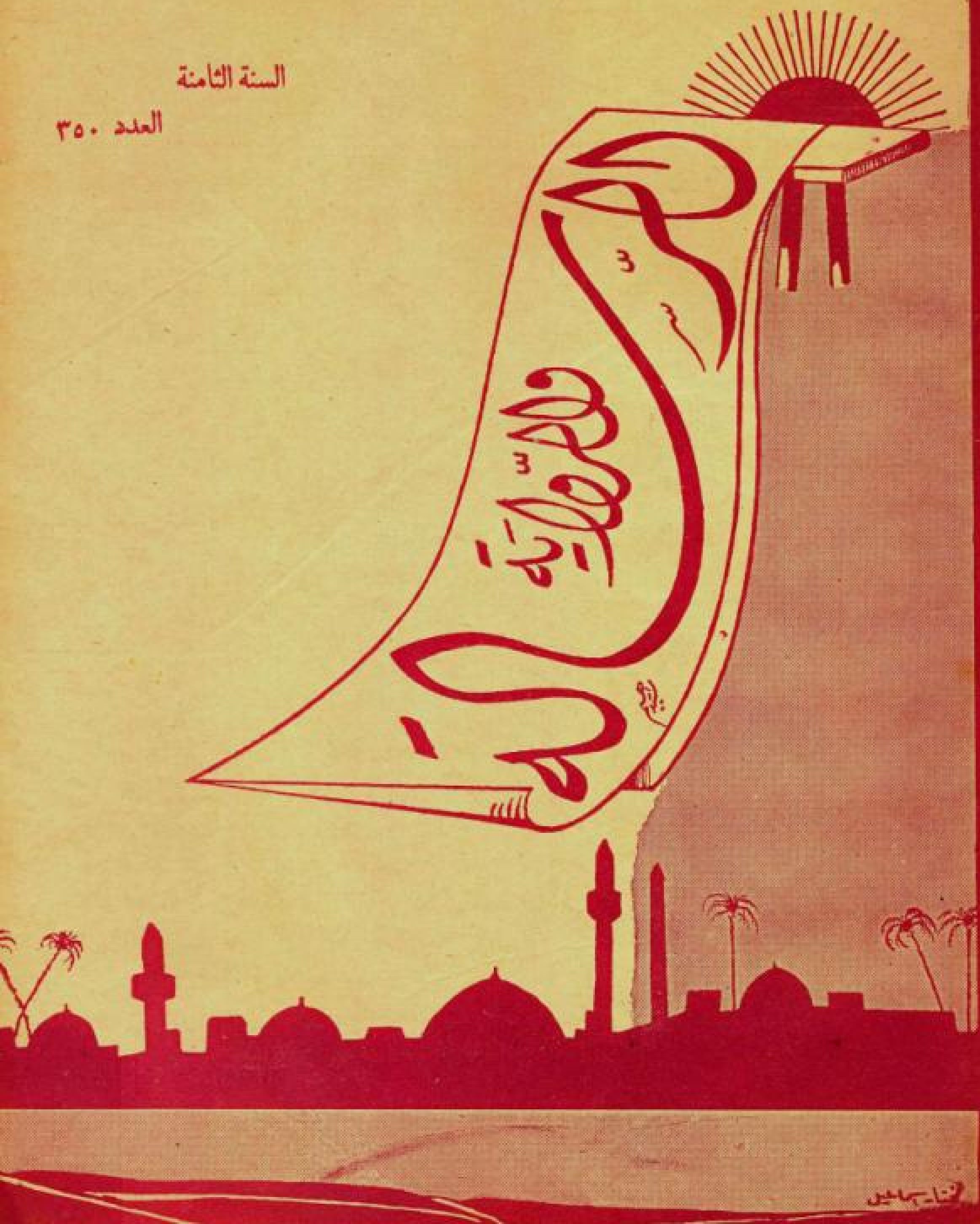
هذا سر أسلوبه . وأما أسلوبه وبيانه واقتداره على عربيته وحسن تصريفه لألفاظه في وجوه أغراضه ومراميه ، فالزيات — ولا أشك — هو بقية أصحاب الأقلام العربية التي لا تخلط ولا تتقمم من هنا وهنا — فأنت إذا نفذت إلى كل جملة من كلامه في هذا الكتاب لم تجد إلا عربية خالصة مطاوعة لينة ، لا ينافر حرف منها حرفاً — على كثرة الأغراض التي رمى إليها واختلافها ، وعلى ظن من لا يعلم أن العربية لا تطيع في التعبير عن الضرورات الحديثة التي قسرتنا عليها مدنية القرن العشرين من ميلاد المسيح

فلو أتاح الله لهذه العربية من يخلص لها في معاهد التعليم على اختلاف أغراضه وأنواعه ، وأراد أن يرد على العربية شباب أيامها حتى تكون لغة مدنيتنا في الأدب والعلم والفن ، لوجد في الذين أبادوا شبابهم بالعمل لإحياء اللسان العربي في هذا العصر قوماً قد استطاعوا أن يجعلوا عربيتهم أصلاً في الحياة ، إذ جعلوا الحياة أصلاً فيها ، وبقية هؤلاء هو « الزيات »

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين }

السنة الثامنة

العدد ٣٥٠



8me Année No. 350

Lundi - 18 - 3 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مص
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٥٠ « القاهرة في يوم الاثنين ٩ صفر سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٨ مارس سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

١٤٠٣١

بعد اسدال الستار على مأساة فنلندا

فشل العقـــل ...

فشل العقل في السياسة كفشل القلب في الطب معناه الانخذال والانحلال والموت . وليس في مقدورنا نحن أصحابَ الكلام وأرباب الأقلام إلا أن نصنع ما يصنع صاحب القصر الأبيض في واشنطون ورب القصر المقدس في روما : نصوغ اللفظ والدمع مراثي ومآسي وأكاليل كلما فشل الضمير والعقل، فمات بفشلهما الحق والعدل ، وكان لذلك ضحايا من الأمم والناس ذهبوا أشلاءً ودماء بين الألم والعَدم !

أُسدل الستار الختامي أول أمس على المأساة الفنلندية الفاجعة بعد ما ظلت ثلاثة أشهر ونصفاً تمثل على مسرح من الجليد والدم اصطرعت عليه القوة والحق، والبغي والعدالة، والكثرة والشجاعة، والنذالة والحميَّة ، والعالم كله يشهد هذا الصراع الهائل وهو شاخص البصر مشـدوه اللب لا يملك إلا التصفيق للبطل والتصفير للنذل !

كان كل واحد من الفنلنديين أمام ستين من الروس ! وكان هذا الواحد ضئيل الحظ من الميرة والذخيرة والسلاح والمدد ؛ وكان هؤلاء الستون وراء صفوف متلاحقة من آلات الحديد والنار ، ومع ذلك استطاع هذا الواحد أن يمعن في أولئك

الستين تقتيلاً وتنكيلاً وأسراً ، وهو يغوص فى الثلج ويكز من البرد ولا يكاد يجد الدفء ولا القوت ولا النوم !

ذلك هو الإيمان الصادق الصابر الذى يأذن به الله أن تغلب الفئة القليلة الفئة الكثيرة . وتلك هى البطولة القائمة على عزة النفس وكرامة الجنس وإيثار التضحية وتقديس الوطن . فلو أن العقل السياسى فى جارتى فنلندة ساعد هذه المزايا النادرة فنهضتا لمناصرتها، ومكنتا الحليفتين من مؤازرتها، لخنس ستالين خنوس الجبان ، وذلّت البلشفية ذل الأبد !

* * *

حاربت فنلندة مكرهة ثم سالمت مكرهة . أكرهها أعداؤها على الحرب ، وأكرهها أصدقاؤها على السلم ، فدافعت عظيمة، ثم صالحت كريمة . والجانى عليها فى الحالين هو فشل العقل فيمن عادى وفيمن صادق . فلو أن ستالين لم يصب باحمرار العقل فى مفاوضته لفنلندة قبل الحرب ، لظفر منها بخير مما ظفر به بعد الصلح . إنه اقتطع من الوطن الفنلندى مقاطعات عزيزة ، ولكنه أخذها بعد أن جعلها المرشال البطل مانرهايم مقبرة هائلة ، دفن فيها مائتى ألف جندى من الروس معهم ألف وخمسمائة دبابة وسبعمائة طائرة ؛ وكل أولئك مكفن بهيبة الجيش الأحمر وكرامة قواده وقيمة عتاده !

ولو أن الدول الشمالية لم تصب بشلل العقل لفكرت قبل هذه الحرب أو أثناءها فيما تفكر فيه اليوم من التحالف العسكرى بينها ، فإن ذلك كان عسيًّا أنه يشفى الدب من غروره ويكسر من طماحه

ولو أن الدول الديمقراطية لم تصب بتردد العقل لخرقت حياد السويد والنرويج لتدفع الموت المحقق عن الجارة الباسلة الصغيرة . وهل عليك من بأس إذا وطئت حمى الجار لتعاقُ الحريق فى بيت جاره ؟

* * *

إن فنلندة حاربت فى سبيل الحق والسلام والمدنية ، وكان لها على المجاهدين فى هذه السبيل الحفيظة والنصرة . ولو لم يكن لها وللحلفاء قضية عادلة مشتركة توجب التضامن والتعاون، لكان من شهامة الطبع المدنى ألا يدعوا هذه البطولة العجيبة التى أدهشت العالم فى مغربى الأرض ومشرقيها تيأس من النصير فتستكين للظالم وتستنيم للمذلة !

فما أحرى الذين فرطوا فى جنب فنلندة بالأمس أن يتداركوا عواقب تفريطهم اليوم ! لقد تثاقلوا عن إسعافها حتى اندك القائم وأقفر الآهل وأجدب الخصيب ، فأصبح أربعمائة ألف من أهلها لا يجدون مورداً ولا مأوى . إنهم ساعدوا العدو سلباً على التدمير ، فليساعدوها إيجاباً على التعمير . ومن لم ينهض ليقيك الطعنة النفاحة ، فلا أقل من أن يساعدك عليها بالضماد والمرهم

هذا أوان الثمر المرجو من عطف الديمقراطية فى أوربا وأمريكا على فنلندة البائسة . ولن يخالجنا الشك فى أن دعاة الحرية وحماة المدنية سيذكرون اليوم أن فنلندة أصيبت بنقص شديد فى الأنفس والأموال والثمرات ، ففقدت من شبابها البر العامل خمسين ألفاً بين قتلى وعجزة ، وخسرت من ثراها الغالى الثمر ثلاثين ألف كيلو متراً من أزكى الأرض تربة وأوفرها ثروة . وسيذكرون غداً متى جلسوا للصلح على أنقاض البلشفية والنازية أن صلح فنلندة قد انعقد على دخن، وجرحها قد اندمل على بغى[1] ، وسيرون يومئذ أن هذا الجرح لا يزال تحت جُلبته[2] الخادعة يجيش ويقيح ويضرب . فهى حرية أن تعد محاربة معهم بالقوة ، وإن لم تستطع مباشرة هذه الحرب بالفعل

* * *

إن فى أخطاء الناس وأرزاء القدر عبراً لا تنقضى الإفادة منها . فاستشهاد بولندة واستخذاء فنلندة نذيران للأمم الصغيرة بخطر التواكل والتخاذل والعزلة . وقد قلنا مرة فى هذا المكان إن سياسة الاتحاد هى وحدها الأمان من سياسة السمك . فإذا أرادت الدويلات المتجاورة التى حكمت عليها الطبيعة بالضعف لقلتها أو جهالتها أن تحافظ على نفسها الحياة وتضمن لشعوبها الحرية ، فليس لها غير سبيل الولايات المتحدة الأمريكية ؛ فإن فى الاتحاد القائم على صلات الدم والروح والجوار الخيِّر المتصل للعالم ، والضمان الدائم للسلام !

احمد حسن الزيات

---

(١) انعقد الصلح على دخن أى على حقد ، واندمل الجرح على بغى أى على فساد (٢) الجلبة : القشرة التى تعلو الجرح عند البرء

فى أرجاء سينـــاء

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ٢ —

من أبى زنيمة الى الدير

خرجنا من أبى زنيمة والساعة ثمان من صباح الثلاثاء ثالث عشر ذى الحجة ، فسرنا على الساحل بين البحر عن يميننا والجبل عن يسارنا صوب الجنوب زهاء أربعين دقيقة ، ثم ملنا ذات اليسار تلقاء الشرقية فى سهل واسع كثير الحجارة والتلال قد استبانت فيه الطريق واستقامت ، فأسرعنا عشر دقائق حتى بلغنا وادياً تشرف على جانبيه جبال رملية مصفرّة ثم جبال حمراء شاهقة ، أدّى بنا إلى صخور عظام عليها نقوش بخط سريانى ، فنزلنا عندها قليلاً والساعة عشر ، ثم ركبنا فررنا بعد ساعة بواحة ناضرة جميلة وجبال رائعة شاهقة محمرّة لا مختلطة الألوان .

وجبال سيناء كثيرة الأشكال والألوان ، قد ألحت عليها الشمس والرياح والأمطار على مرّ العصور تحطيماً وتشكيلاً وتلويناً، فما يزال الرائى فى عجب من اختلاف مرائيها وكثرة أشكالها . وقد وجدت فيها تفسيراً بيّناً للآية :

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ، ومن الجبال جُدَد بيض وحمر مختلف ألوانُها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك . إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء »

وبعد نصف ساعة من الراحة الأولى رأينا أشجاراً ونخيلاً تملأ الوادى ، فعرفنا أننا فى وادى فاران. وبعد مسيرة خمس دقائق فى هذه الخضرة بلغنا ديراً عليه سور قصير وفيه حديقة، وهو دير فاران التابع لدير سنت كترينا الكبير. نزلنا هناك لنستريح فى الدير ونرى ما فيه .

دخلنا الدير فرأينا مجرى ماء بارد عذب ، فعرفنا أنه ينبوع الحياة فى هذه الواحة الكبيرة. وصعدنا على سفح الجبال المشرفة على الدير فإذا بناء قديم من اللبِن مهدم هو بقية كنيسة . ورأينا على عدوة الوادى الثانية وفى بسطته أنقاض أبنية وآجر وحجارة منثورة قيل إنها آثار مدينة فاران، وصوامع كانت لتعبد الرهبان فيه

وهى على ١٢ كيلاً شمالى الطور وعلى ١٣٠ كيلاً إلى الجنوب والغرب من قلمة النخل



فى وادى فاران

وهى مذكورة فى التوراة فى أخبار إبراهيم وموسى. ففى سفر التكوين أن اسماعيل سكن برية فاران وأخذت له أمه زوجة من مصر . وفى التثنية : « هـذه هى البركة التى بارك فيها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته فقال : جاء الرب من سينا ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبل فاران ... »

وعلى مقربة من الوادى جبل شاهق جداً يفرع الجبال كلها يسمى جبل سربال ، ويقال إنه جبل المناجاة الذى تجلى فيه الله سبحانه لموسى عليه السلام

وبعد أن طعمنا خرجنا من الدير والساعة واحدة بعد الظهر فسرنا بين أشجار ونخيل متكاثف خمساً وعشرين دقيقة بالسيارات . ورأينا على عدوة الوادى اليسرى أنقاباً فى الجبل، يقال إنها قبور قديمة كان أهل فاران يدفنون موتاهم فيها

والنخيل فى هذا الوادى متروك بطبيعته لا يؤبر ولا يقلع

فسيله فترى نخلات كثيرة من أصل واحد ، وترى جريد النخلة أو كربه يابساً حول جذعها طبقات بعضها فوق بعض لا يقطع ولكن يجف فيسقط أو يبقى معلقاً فى الجذع

وقد سألت رجلين هناك : لماذا لا تقطعون الجريد ؟

قالا : لنصعد عليه .

قلت : إن النخل لا يثمر كثيراً إذا لم يقطع جريده كل عام. هل تعرفون ما يفعل أهل مصر بالنخيل ؟

قالا : نعم .

قلت : فلماذا لا تفعلون فعلهم فيكثر تمر نخيلكم ؟

فسكتا .

وبعد خمسين دقيقة من فاران ، رأينا أشجاراً كثيرة من الطرفاء ، ثم سرنا فى أرض جرداء إلى أن مررنا بجبلين متقاربين مشرفين على الطريق ، بينهما ممر ضيق يسمى « بويب فاران » ؛ ثم عطفنا إلى اليمين إلى واد يسمى « وادي الشيخ » ، أو وادى النبي صالح ، وسأذكره فيما بعد .

وجئنا إلى أرض مرملة ساخت فيها بعض السيارات وتقدمت السيارات التى تجنبت هذه الورطة ، فوقفنا عند تل عليه مقابر وقباب من الطين فيها بعض القبور ، وكنيسة وقبر يقال إنه قبر هارون عليه السلام ، وينشعب الوادى وراء هذا التل إلى اليسار ، فيرى السائر جبالاً شاهقة جداً ، بينها واد ضيق ينتهي إلى بناء كبير أبيض يلوح من وراء الشجر ويتضاءل على ارتفاعه بجانب الجبال الشاهقة المشرفة عليه ، وهذا الدير « دير سنت كترينا »

وقبل أن أصفه ، أنقل ما ذكره صاحب مسالك الأبصار نقلاً عن الشابشتى :

وهذا الطور هو طور سيناء الذى صعق عليه موسى عليه السلام . والكنيسة فى أعلى الجبل ، مبنية بحجر أسود ، عرض حصنه سبعة أذرع ، وله ثلاثة أبواب من الحديد ، وفى غربيّه باب لطيف ، وقدامه حجر لقيم ، إذا أرادوا رفعه رفعوه ، وإذا قصدهم متغلّب أرسلوه ، فانطبق ، فلا يعرف أحد مكان الباب . وداخلها عين ماء ، وخارجها عين أخرى .

قال :

« زعم النصارى أن بها من أنواع النار الحديدة التى كانت ببيت المقدس ، يوقدون منها فى كل عشية السراج ، وهى بيضاء ضعيفة الحر ، لا تحرق . ثم تقوى إذا هم أرادوا أن يوقدوا منها »

وهو عامر بالرهبان . فلا يخلو من أحد من أهل البطالات للتفرُّج فيه والتبرك — على رأيهم — به

وهو من الديارات الموصوفة والأماكن المقصودة . وممن وصفه ابن عاصم . قال فيه :

يا راهبَ الدَّيرِ ، ماذا الضوء والنورُ
فقد أضاء بما فى دَيْرك الطور ؟

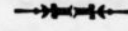
هل حلّتِ الشمسُ فيه دونَ أبرُجها
أو غُيّب البدرُ فيه فهو مستور ؟

فقال : ما حلَّه شمسٌ ولا قمرٌ ،
لكن يُقرَّب فيه اليومَ قوْرير !

عبد الوهاب عزام

الحرب ومستقبل الانسان

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى



كلما قرأت أن الحكومة تجرب أسباب الوقاية الدنية من الغارات الجوية ، أو رأيت خندقاً محفوراً وعلى جانبيه أكياس الرمل ، أو سمعت صفارة تنطلق بالإنذار والدعوة إلى الاختباء وإطفاء الأنوار ، أرانى أتساءل : « أترى سيعود الإنسان إلى حياة الكهوف والغيران ؟ » ولست أعنى الكهوف بالمعنى الحرفى ، وإنما أعنى الحياة فى جوف الأرض . وماذا يكون مصير الإنسان يا ترى إذا دفعه الترقى فى القدرة على التخريب إلى باطن الأرض ؟!

وتذكرت هـ . ج . ولز وكتابه « آلة الزمان » وهى آلة يتصور الكاتب أن صانعها يذهب بها مطوفاً فى الزمن (فى الماضى أو المستقبل كما يشاء) كما نذهب الآن شرقاً أو غرباً وشمالاً أو جنوباً — ويقول ولز إن رحالته بعد أن قطع مرحلة كافية من الزمن الآتى ، ألفى الإنسان قد صار إنسانين — واحداً يعيش فى جوف الأرض وواحداً بقى فوقها . فأما الذى دخل فيها ، وألف الحياة فى السراديب والظلام ، فقد ارتد إلى الحيوانية فى مظهره وطباعه وعاداته ، فهو يمشى على أربع ، وبدنه يكسوه الشعر ، وعينه واسعة ترى فى الظلام ويُعشيها النور ، وتفزعها النار . ولهذا الإنسان السفلى صناعاته وآلاتها ، وهو يستدرج إلى سراديبه أبناء العالم العلوى ويفتك بهم ، ويأكل لحمهم . وأما الذى بقى فوق ظهرها فهذا من سلالة المترفين الأغنياء ، وقد انحط وضعف وتشابه ذكوره وإناثه ، فى اللين وصغر الجسم ، وفَقَدَ القدرة على العمل والاحتيال والسعى ، وصار معوله فى حياته على العالم السفلى ، وخوفه منه ، لفرط ما انتابه من الانحطاط والطراوة

ويقول ولز إن بداية هذا الانقسام ظهرت فى زماننا ، وإن الإنسان شرع ينحدر إلى باطن الأرض . فبُناتنا ومصانعنا لها طبقات تحت الأرض ، وفى عواصمنا تجرى القطر فى سراديب إلى آخر ذلك

وقد كنت وأنا أقرأ كتاب ولز هذا قبل حوالى عشرين عاماً ، ثم وأنا أنقله إلى العربية منذ عامين أو نحو ذلك ، أقول لنفسى إن ولز مبالغ ، وإن الدخول فى جوف الأرض لا يستدعى أن يصبح الإنسان إنسانين متميزين على نحو ما يصف ، وإن الناس يختلفون ويتفاوتون ولكن تفاوتهم لن يبلغ من أمره أن يصير بهم إلى مثل هذا المصير المرعب الذى يصوره ولز كأنه يراه

ثم جاءت هذه الحرب ، وعرفنا ما صنعت الطيارات الألمانية فى بولندا ، وما فعلت الطيارات الروسية بالمدن الفنلندية ، وشهدنا صوراً من آثار التخريب فيما تعرضه دور السينما ، وكنا قبل ذلك رأينا مناظر من تخريب الطيارات اليابانية فى الصين ، ولكن الحرب اليابانية الصينية كانت لبعدها تبدو لى كأنها تدور فى غير كوكبنا ، ولم أكن أتصور أن تدور الحرب على هذا النحو فى عالمنا القريب . ثم أخلفت الحوادث هذا الظن السخيف وغرقت عواصم الأمم المتحاربة وبلدانها الكبيرة فى ظلام دامس ، وقامت حكومتنا تتخذ الأهبة لدفع الأذى عن المدن وأهلها ، إذا امتدت الحرب إلينا فأطفأت الأنوار إلا أقلها ، وحفرت الخنادق ، وبنت المخابئ ، وأطلقت الأنوار الكاشفة فى الليل ، ونصبت المدافع فألفيت نفسى أتساءل : أترانى لا أزال أعد ولز مبالغاً فى التخيل ومشتطاً فى التصور ؟

ماذا تصنع الأمم بعد هذه الحرب ؟ أتظل ترفع البنى وتعليها فوق الأرض وتقيم المصانع على ظهرها ؟ لا أظن ؟ إلا إذا اهتدت إلى مادة لا تنال منها القنابل الهادمة والمحرقة ، وعسير بلوغ هاتيك جداً — كما يقول الشاعر . ومهما فعلت واهتدت ، فإن العلم الذى يوفقها إلى ذلك خليق أن يدلها على ما يهدمه ، فإن البلاء والداء العياء أن كل ما يثمره العلم ، يسخر لأغراض الحرب كما يسخر لأغراض السلم ، فلا سبيل إلى السلامة إلا بالفرار إلى باطن الأرض ، وحرى بذلك أن يكون له أثره فى هندسة البناء ، أو بعبارة أدق فى شيوع طراز جديد ، فقد ظهرت فى البلاد

المحاربة مبان ذات طبقات ممتدة فى جوف الأرض يلجأ إليها الناس ويحتمون بها من الغارات الجوية

وفى هذا المعنى يقول الجنرال بوشيرى فى فصل له نشرته مجلة Monde Souterratn ونقلته عنها صحف بريطانية « إن الحرب الحديثة تعرض سكان البلاد كلها لأخطار القتال ، وتفرض على الأمم أن تتخذ الأهبة الكافية للدفاع السلبى ، وهذا يستوجب أن تجرى الأعمال الحيوية كلها — من مدنية وعسكرية — فى جوف الأرض ، ومن الجلى أن المساكن الجديدة يجب أن تكون لها طبقات سفلية أو متصلة بمبان سفلية مجاورة لها تصلح أن تكون بديلاً من المساكن العلوية ، إذا اقتضت الحاجة الالتجاء إليها »

ونحن أبناء هذا العصر ، نستغرب أن تنتقل حياتنا من فوق ظهر الأرض إلى قلبها ، فإن ظهر الأرض مقرون فى أذهاننا بالحياة ، أما باطنها فمقرون بالموت والدفن ، ولكن أحفادنا لن يستغربوا هذا التحول ، أو ينكروه ، لأنهم سيألفونه من الصغر . ويا ليت من يدرى هل تندس المدارس والمستشفيات ، كما تندس المصانع فى جوف الأرض ؟ وإلى أى عمق يا ترى يضطر الإنسان أن يحفر وينقب ، ويسوّى ويوسع ؟

وعلى الأيام — بل الحقب الطويلة والأدهار المديدة — يألف الإنسان باطن الأرض ، وتطول حياته فيه ، ويقل خروجه إلى نور الشمس ، وتكر آلاف السنين ومئات الآلاف ، والناس أكثرهم يعملون تحت الأرض ولا يكادون يبرزون إلا فى الندرة القليلة والفلتة المفردة . فيكتسب الإنسان خصائص الحيوان الذى يأوى إلى الجحور ، ويصدق ما تنبأ به هـ . ج . ولز فى كتابه : « آلة الزمان » !

وكيف تكون الحروب يا ترى فى ذلك المستقبل البعيد ، إذا بقيت الحروب تدور بين جماعات الإنسان ؟ أحسب أن اندساس الإنسان فى جوف الأرض سيكون بداية انحطاطه ، فما أغرب أن يكون رقيه العلمى مفضياً إلى انحداره وهويّه ؟ وتلك جناية استخدام العلم فى الحرب ، فإذا بقيت الحروب فهذا مآل الإنسان ، ولا نجاة له من هـذا المصير إلا بالقضاء على الحرب ، فيما أرى ، أى بإعفائه من بواعث الاحتماء بجوف الأرض والسكون إلى الحياة فيه

مآل الإنسان مرتهن بالسلام الدائم ، لا الطويل فحسب ، على الرغم مما يقال من أن طول عهد السلام يفضى إلى اللين والتطرى والرخاوة ؛ وكفى بالكفاح فى سبيل العيش واقياً من هذا التطرى . وعلى أن التطرّى خير ألف مرة من الارتداد إلى الحيوانية . ولأن يكون المرء طرياً ليناً ، آثر عندى من أن يكون أرنباً ! ! واللين عيب أو ضعف فى دنيا تقوم فيها الحياة على العنف ، ويكثر فيها الفتك والبطش ، ويحتاج الإنسان فيها من أجل ذلك إلى القوة والخشونة . أما فى دنيا تنعم بالسلام ولا يزعجها خوف الفتك وتوقعه ، فما ضير أن يلين الإنسان ويطرى ، إذا بقيت له قوة العقل ؟

ابرهيم عبد القادر المازنى

إنما يزدهر الأدب
في عصور الفوضى الاجتماعية

للدكتور زكي مبارك

[بقية ما نشر في العدد الماضي]

أيها السادة :

يقال في كل يوم : إن جوّ مصر معروف بالاعتدال ، فما الذي جنينا في ذلك الاعتدال ؟ كانت النتيجة أن نخاف من الاضطراب في بقاع الأرض. وكانت النتيجة أن نشعر بالغربة حين ننتقل من حُلوان إلى قَليوب . وكانت النتيجة أن تخمُد العواطف بفضل ما نحن عليه من قرار وسكون

أعترف بأن مصر استفادت من اعتدال الجو فائدة عقلية ، هي التفوق العظيم في التأليف ، فمصر أقدر الأمم الإسلامية والعربية على التفكير المنظم الدقيق بفضل هذا الجو المعتدل الجميل

ولكن مصر في ماضيها تخلفت في ميدان الأدب عن الشام وفارس والعراق ، لأن الفوضى الجوية ، لا يحسها المصريون كما يحسها الشاميون والفرس والعراقيون ؛ وإلا فأين وصف الثلوج والأمطار والأعاصير في أشعار من يعيشون في ضيافة النيل ؟ ثم شاءت المقادير أن تتفوق في الأدب بعد تخلُّف ، فما مصدر ذلك التفوق ؟ لم نعرف قسوة الطبيعة كما يعرفها الناس في الشام وفارس والعراق ، وإنما رمتنا المقادير بقسوة أعنف من قسوة الطبيعة ، هي الثورة الجامحة التي نحس أعاصيرها الفواتك في الأذهان والعقول والقلوب

نحن كلّ يوم على شفا الهاوية : إن اصطرع الشرق جزعنا ، وإن اضطرم الغرب نظرنا . ألم تسمعوا أنه كان معروفاً عندنا أن الميدان الأول في الحرب الحاضرة سيكون حول ضفاف النيل ؟

ومن هذه المحرجات التي تتجدد كل يوم ، إن لم أقل في كل ساعة أو كل لحظة ، من هذه المحرجات خُلقت لنا مكاره سياسية تفوق المكاره الجوية في الشام وفارس والعراق

وما هي نقطة الارتحال من وضع إلى وضع في الأدب الحديث ؟

لن أرجع إلى ما فصلته في مؤلفاتي ومقالاتي ، ويكفي أن أنص على أن الأدب في مصر لم يرتق إلا بفضل الفوضى السياسية ، وهي صورة من الفوضى الاجتماعية

النهضة الحقيقية للأدب الحديث ترجع إلى عهد مشئوم ، هو النزاع بين الرجلين العظيمين : عدلي يكن وسعد زغلول . في ذلك العهد صارت الكتابة والخطابة عنصرين أساسيين في تكوين الأدب المصري الحديث . وبفضل النزاع بين عدلي وسعد خُلقت جرائد ومجلات وأندية صار لها في نهضة الأدب مكان ملحوظ . وبفضله استطعنا أن نبدع في الشرق فنًّا جديداً ، هو الأدب السياسي ، وهو فنّ كان انقرض بانقراض النضال بين أشياع بني أمية وأتباع بني العباس . وإليكم هذه النكتة :

كان شاع أني أخاصم الأستاذ الدكتور طه حسين ، فكتبت في الهجوم عليه مقالات كان لها وقعٌ حسنٌ أو سيء عند قراء اللغة العربية ، واطلع الأستاذ محمود بسيوني على بعض تلك المقالات فانزعج أشد الانزعاج وسعى للصلح بيني وبين الدكتور طه في حفل مشهود حضره العمداء وكبار الأساتذة بكليات الجامعة المصرية ، فهل تعرفون نتيجة ذلك الصلح المشئوم أو الميمون ؟

تلفّت الناس متوجعين لضياع فرصة ثمينة هي فرصة الجدل حول المذاهب الأدبية ، فهل فيكم من يتفضل بالسعاية بيني وبين الدكتور طه حسين لأرجع إلى مصاولته من جديد ؟

كان بيني وبين الدكتور طه ودٌّ وثيق ، ولكن رعاية ذلك الود لم تنفع الأدب بشيء ، لأن كل ما يصدر عنه كان يقع من نفسي موقع القبول ، فلما ثار عليّ وغضبت عليه أتيت في مصاولته بالأعاجيب ، فمن ذا الذي يتفضل فيفسد ما بيني وبينه لأجد الوقود لسنان قلمي ؟ أليس فيكم دساس ظريف ينقل إليه أنني اغتبته من فوق منبر كلية الآداب ؟

اتقوا الله وأفسدوا بيني وبينه وبين سائر الأساتذة لتسمعوا صرير القلم الذي تعرفون ! وهل فيكم من ينكر أن مجموعة نهج البلاغة من أعظم الذخائر الأدبية ؟ فهل كان يمكن أن يظفر الأدب بتلك المجموعة النفيسة لو اعتدل الميزان فصار عليّ ابن أبي طالب أول خليفة أو ثاني خليفة بعد الرسول ؟

إن غيظ ابن أبي طالب على أهله وزمانه هو الذي أرّث

فى صدره نيران الحقد على الدنيا والناس فزفر بتلك الخطب الروائع التى غالبت الدهر وصابرت الزمان

وما هى الظروف التى خلقت مواهب الشيخ محمد عبده ؟

هى ظروف الفوضى الاجتماعية فى انتقال الأزهر من حال إلى أحوال ، يوم كان تدريس العلوم الحديثة موضع خلاف ، ويوم كان القول بكروية الأرض يلقى ألف اعتراض

والشيخ المراغى من أكابر هذا الزمن ، ولكنه سيذهب بعد عمر طويل بلا تاريخ طويل ، لأن بيئة الأزهر قد صلحت واستنارت فلم تعد محتاج إلى مصلح يتشرف بعدوان الاضطهاد

فإن أراد الأزهريون أن يكون لشيخهم تاريخ طويل فليتكلفوا الغفلة عن مطالب العصر الحديث ليجد شيخهم فرصة الدعوة إلى اعتناق مذاهب التفكير فى الجيل الجديد

أرجوكم للمرة الثانية أو الثالثة أن تذكروا أنى لست من أنصار الفوضى الاجتماعية ، وإنما أنا مؤرخ لظاهرة من الظواهر الأدبية والفلسفية ، والمؤرخ غير مسئول عن حوادث التاريخ

وكم تمنيت السلامة من مكاره الفوضى التى تثور فى صدرى والتى قضت بأن يكون ميدان قتال بين الملائكة والشياطين

فى صدرى أتون يأخذ وقوده من الأحلام والأوهام والحقائق والأباطيل ، ثم يقول فى كل لحظة : هل من مزيد ؟

وهذا الأتون يفرض علىّ أحياناً أن ألقم فم الشره الأكول بأكداس من الآراء تشبه الحطب المعطوب ليسكت عنى لحظة أو لحظتين ، كما يقدم الأعرابى لناره الموقدة أكداساً من العظام والتراب ! ويشهد الله أنى أكره أشد الكره بعض ما يصدر عن قلمى ، ولكن ماذا أصنع وفى صدرى نار تأكل الحجر والطوب حين يعييها أن تجد الوقود الصالح من جذوع الشجر والنخيل ؟

ولكنى أتعزى كلما ذكرت الحكمة التى تقول : «لو أنصف الناس استراح القاضى» . فشيوع المظالم بين الناس هو الذى خلق الثروة التشريعية ، وهو الذى قضى أن يكون فى الدنيا قضاة ومفتون ومحامون. ولو سلم المجتمع من الاضطراب لأغلقت المحاكم ، ولم يبق أمام الأستاذ لطفى جمعة إلا الفرار إلى الريف ليأخذ قوته مما تخرج الأرض بجهاد الفأس والمحراث ، ويومئذ يحرَم الأدب من خطبة نفيسة يحاورنى بها فى المدرج الأكبر بكلية الآداب ، ويحرمون تكلُّف الرفق فى التصفيق له بغير حق !

لو أنصف الناس واستراح القاضى لخلت الدنيا من المؤلفات النفيسة التى صدرت عن الرومان والعرب والفرنسيين فى أصول التشريع . لو أنصف الناس واستراح القاضى لخلت الدنيا من الأدب الرائع الذى صدر عن رجال الأخلاق من الذين سمعتم أخبارهم ودرستم آثارهم مع منصور فهمى ومصطفى عبد الرازق وأحمد أمين.

لو أنصف الناس لمات سقراط غير مسموم ، ولم نقرأ الوثيقة الأدبية الرائعة التى جاد بها قلم أفلاطون ، والتى فتنت لامرتين حين قرأها بترجمة كوزان فنظمها بقصيد رائع يفتت الجلاميد .

لو أنصف النـاس لحرِمنا نفثات ابن مسكويه فى أدب الصديق . لو أنصف الناس لضاع على الأدب حظٌ نفيس هو أشعار أبى العلاء فى نقد أخلاق الحكام والقضاة والفقهاء . لو أنصف الناس لأمن هابيل شر قابيل فلم يصنع التمثال الرائع الذى نراه فى متحف (البتى باليه) فى باريس. لو أنصف الناس لحرِم الأدب قصائد ابن الرومى فى تشريح نائرة الحقد والبغضاء . لو أنصفت الطبيعة لحرمت الإنسانية من عبقرية باستور فى حرب الجراثيم . لو أنصف المجتمع لأمن بعض الرجال شر الاغتراب وهو فرصة ليقظة العقول . ولو أنصفتْ ليلى — عفا الحب عن ليلى — لحرِمتم نفثات المجنون القديم والمجنون الجديد

أنا أكره الفوضى لأنها كدرت حياتى ، ولأنها جعلت صدرى ميداناً لاصطراع الهدى والضلال ، ومع ذلك أجد العزاء ، حين أشاء

فبفضل الفوضى فى تقسيم الحظوظ نشأت مذاهب أدبية وفلسفية واقتصادية صنعت ما صنعت فى توجيه الأذهان والعقول بالشرق والغرب . وبفضل الفوضى فى توزيع الممالك كانت الحروب التى صاغت عزائم الأبطال . وبفضل الفوضى فى تكوين مدرس اللغة العربية قام النزاع بين الأزهر ودار العلوم والجامعة المصرية ، وهو نزاع محمود العواقب ، وسيؤتى ثماره بعد حين . وبفضل الفوضى فى تصور الغاية السياسية للأمم العربية والإسلامية خُلقتْ عبقريات الكواكبى وجمال الدين ومحمد عبده ومصطفى كامل وسعد زغلول . وبفضل الفوضى فى فهم الغاية الأدبية كان الصراع بين أنصار القديم وأنصار الجديد . وبفضل الفوضى فى أحوال الجو كان التنويع الطريف بين الربيع والصيف والخريف والشتاء . وبفضل الفوضى فى الأخلاق والعقائد كان الجمال المرموق فى تزيين

الوجود بالحرب بين الفجور والعفاف والكفر والإيمان . وبفضل الفوضى فى تحديد الآراء كانت المناظرات التى تنظمها المعاهد والأندية والجميات . وبفضل الفوضى فى فهم الغاية الصحيحة لمصاير الإنسانية كان النزاع بين الديانات ، وكان الصراع بين المذاهب المختلفة فى الدين الواحد ، وتلك فتنٌ جوامح نشأت عنها آداب وفنون لا ينكرها إلا غافل أو جهول

لما تلطفت وزارة المعارف العراقية فدعتنى لتدريس الأدب العربى بدار المعلمين العالية فى بغداد ، سألت عن مبلغ بغداد من الحضارة فقيل لى إنها تشبه طنطا ، فجزعت أشد الجزع ، لأن طنطا يقلّ فيها الصراع بين المذاهب والآراء ، وإن كانت عامرة بالقصور والمتنزهات ، وهى البلد الوحيد الذى لا أبيت فيه حين أمضى إليه لمهمة رسمية

ودخلت بغداد فرأيتها أقل من طنطا فى الحضارة والعمران ، ولو شئت لقلت إن أصغر شارع فى طنطا أجمل من أكبر شارع فى بغداد ... وكذلك أحسست قسوة الوحشة حين دخلت عاصمة العراق ، ولولا الخوف من غضب « العقيدة الأدبية » لرجعت فى السيارة التى أقلتنى إلى هناك

وبعد يومين اثنين رأيت أن بغداد البدوية غير طنطا الحضرية فى طنطا شوارع عريضة وقصور شوامخ ، ولكن سكانها لا يعرفون الصراع الجميل بين المذاهب والآراء ، لأنها مدينة مصرية صميمة يقل فيها الأجانب ، ويكثر فيها ائتلاف الأذواق ، وهو باب من السكون والجمود

أما بغداد الجافية التى لا تعرف الحضارة فى غير شارع واحد فهى مضطرب عريض لاختلاف المذاهب والمشارب والأذواق ، فيها عصبيات عربية وفارسية وهندية وكرديه ويهودية ، وفيها جاليات فرنسية وانجليزية وأمريكية ، وفيها على جفوتها بقايا من الحضارات المختلفات ، وفيها ألف مجال ومجال لاضطرام الأذواق والأحاسيس

وكذلك ألقيت نفسى فى ضرام بغداد فكتبت فى نحو تسعة أشهر ألوفاً من الصفحات نشرتُ منها ما نشرت وطويت ما طويت

فى طنطا الحضرية يعيش شعبٌ واحد ، وفى بغداد البدوية تعيش شعوب ، ومن الاختلاف والائتلاف يحيا الأدب الرفيع

ليس فى بغداد كلها قصر يشبه أصغر قصر من قصور حاضرة « الغربية » ولكن بغداد فيها جرائد ومجلات وأندية لا تعرفها حاضرة « الغربية » لأن الهدوء فى طنطا عجز عما قدر عليه القلق فى بغداد . وكذلك فهمت أن الأدب يزدهر فى عصور الفوضى الاجتماعية وفى أقطار الفوضى الاجتماعية ، بدليل ازدهاره فى القاهرة وبغداد وباريس ولندن وبرلين ، على شرط أن تقع الفوضى فى قوم أصحاء ، لا يُقلقهم الاضطراب ، وإنما يزيدهم قوةً إلى قوة ومضاء إلى مضاء . وما رأيكم فى الشواطئ المصرية ؟ ألم تسمعوا أن رجال الدين اتفقت كلمتهم على أنها من الأرجاس ؟ ألم تروا حيرة شيخ الأزهر فى تخليص سمعة مصر من مآثم تلك الشواطئ ؟

لا جدال فى أن شواطئنا فى الصيف تمثّل الفوضى الاجتماعية أعنف تمثيل ، فهى مضطرَبٌ طويل عريض تثور حوله الآراء فى الإسكندرية وبور سعيد ودمياط ، ويمتدّ شرُّه حتى يصل إلى بحيرة التمساح ، ثم تنتقل عدواه إلى حمامات مصر الجديدة والمعادى وحلوان

ينظر الرجل المؤمن إلى هذه الشواطئ نظرة مخطوفة ، ثم يهتف : اللهم أن هذا منكَرٌ لا يرضيك ! وأقول وأنا صادق إنى أنظر إلى شواطئنا أحياناً بعين الغضب والمقت ؛ ولكن هذه الشواطئ المُجرمة خلقت فنّاً جديداً فى اللغة العربية هو « أدب الشواطئ » ، وقد ألفتُ فيه كتاباً سأنشره يوم أطمئن إلى أن الجمهور يفهم أن المؤرخ غير مسئول عن حوادث التاريخ .

ويوم يُنشر هذا الكتاب ستعرفون أن مصر دانت الأدب العربى بثروة طريفة من تشريح العواطف والأهواء ، وسترون الغرائب حين تعرفون أن تلك الشواطئ أنطقت رجال الدين أنفسهم بأقوال هى من عيون الأدب الرفيع

كان الأستاذ الأكبر قد اتفق مع سعادة حامد باشا الشواربى على تخصيص جزء من شاطئ الاسكندرية للنساء بلغة العصر القديم ، أو السيدات بلغة العصر الحديث ، وتسامع رجال الأزهر بذلك فأمطروا شيخهم الكبير وابلاً من برقيات الثناء

ثم ماذا ؟ ثم أُعِدّ الشاطئ النسوى إعداداً محتشماً وأزيلت منه القهوات المخضرَمة التى تجمع من الأشربة ما نعرف وما نجهل

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

ثم شاع أنه حمام خاصٌ بالمجانين فلم تقبل عليه ستٌ ولا ستُّونه ولا بنتٌ ولا بنُّوتة ، ورفعت أسواره بعد يومين اثنين !

لا تظنونى خلقتُ هذه النكتة ، فما هى إلاّ واقعةٌ وقعت ،

ولها حواش وذيول ستعلمون أنباءها بعد حين

حياة الشواطئ إفك وسفاهة وضلال ، ولكن الأدب يستفيد من كل شيء ، لأن مهمة الأدب هي الوصف والشرح والتعليل ، وحياة الشواطئ تمدّه بوقود رائع جزيل

الشواطئ كلها مآثم ، ولولا الخوف من بني الحاسدين والحاقدين لقلت إن المآثم لا تخلو من بريق يزلزل القلوب والأذواق والعقول ، ومن هذه الزلزلة تكون الرجفة التي تثير شياطين الشعر والخيال . والشواطئ المصرية لها سوابق في تاريخ الأدب العربي . وقد وقعت تلك السوابق فوق أرض مقدسة تعطر ثراها بأقدام الرسول. هل تعرفون ما أعني ومن أعني؟ عندكم عمر بن أبي ربيعة وعندكم الشريف الرضي ، وهما شاعران جعلا مواسم الحج معالم صبابة ومدارج فتون

عمر بن أبي ربيعة فاجر بحسب الاصطلاح، وهيامه بزائرات مكة هيام أثيم ، ولكن أشعار ذلك الفاجر صارت من ذخائر الأدب العربي . وقد شرّقت وغرّبت حتى فهرت بعض الجامعات الأوربية على إفراد أشعاره بدرس خاص

كان يقال : ما عُصِيَ الله بشعر أكثر مما عُصِي بشعر عمر بن أبي ربيعة

وهذا حق ؟ فهل تضمنون أن يرفع اسمه من مطبوعات وزارة المعارف ؟ وكيف وهو من الذين ستحفظ أقدارهم في كتاب « أعلام الإسلام » بدراسة يقدمها الأستاذ عباس العقاد ؟

وتسمعون في كل يوم أن مصر تحارب الخمر لأنها في طليعة الأمم الإسلامية ، ولكن رجال الأدب في مصر لن يستطيعوا غض النظر عن « خمريات أبي نواس » لأن الأدب وإن تَجَرَّ في بعض نواحيه له سلطانٌ قهار لا ينكر جبروته غير الأغبياء !

أنا أبغض الفوضى أشد البغض ، وأرجو الله في كل وقت أن يحفظ عليّ نعمة السلامة من مكايد الشياطين ، ولكني أؤرخ الأدب ، والمؤرخ لا يصدُق إلا إن تناسى منافعه الذاتية ، ونظر في الحوادث بلا غرض ، والنزاهة عن الغرض هي التي تقفني هذا الموقف الشائك فأسجل على نفسي القول بأن الأدب لا يزدهر إلا في عصور الفوضى الاجتماعية ، وهو قول يعرّضني لقوارص الاغتياب والتجريح

ولكن ماذا أصنع وأنتم دعوتموني لمواجهة المنطق والعقل فوق منبر كلية الآداب بين شباب وكهول لا يلقاهم الرجل الحازم بغير الصراحة والصدق ؟

أحب أن أعرف كيف يطيش السهم الذي صوبته إلى صدر الباطل بهذه الكلمات التي شقيت في تحريرها ليلتين طويلتين ؟ أحب أن أعرف كيف يضيع الرجل الصادق في هذه البلاد؟ أحب أن أعرف كيف ينال خصمي أصواتكم بعد هذه البينات ، وعلى ضوء هذه الكهرباء ؟ له أن يصول ويجول كيف شاء ، ولكم أن تحكموا له أو عليه كيف شئتم، فما أملك من القدرة غير صرير القلم وهدير الوجدان . ولكن ، ما الذي يستطيع أن يقول ؟

أيقول : إن النظام أفضل من الاضطراب ، وإن الأدب الذي يصدُر عن الحالة الأولى أفضل من الأدب الذي يصدر عن الحالة الثانية ؟

آمنت وصدّقت ! ولكن هل يستطيع القول بأن النظام صدر عنه أدب رفيع ؟ وما حاجة الناس إلى الأدب حين يعيشون في نظام وأمان ؟ وهل للآمنين أدب وهم يعيشون في غيبوبة بفضل الراحة والاطمئنان ؟

الأدب حظُّنا ، جماعةَ المكتوين بالدنيا والناس ، وليس لسوانا غير الأحلام ، أحلام الناعمين بهدآت الليل !

عنّا يصدُر قلق الفِكر وانزعاج البال ، وهما مصدر يقظة الرأي والعقل. فما بال قوم يتوهمون أنهم قادرون على مساورة الشعر والخيال وهم يشاركون الأموات في الهدوء والاطمئنان؟ عنا يصدر الإحساس بالدنيا والوجود ، لأننا أشقياء بالدنيا والوجود ، فما بال قوم يتوهمون القدرة على اقتحام جحيم الأدب وهم بفضل نعيم النظام سعداء ؟ عنا يصدر الأدب الصحيح ، لأننا أصحّاء ، وهل يحس وخز الألم غير من يملك عناصر العافية ؟

من أنتم ، في عالم الفكر والعقل ، أيها الوادعون في ظل الأمن المكفول برعاية القوانين ؟ أنتم أشبه بالأطفال الذين يعيشون في ظلال ما ورثوا عن الآباء والأجداد ، ولن تحسوا من الدنيا أكثر مما يحس هؤلاء ، أما نحن فقد كتب علينا أن نعيش بحس مرهف وذوق مشبوب ، بفضل البلاء بالدنيا والناس ، والفرق بيننا وبينكم أبعد مما تظنون ، فجرّبوا الاطمئنان إلى الوهم الخادع إن صح للمريض بالهيام أن ينخدع بالسراب !

النظام قرار ، والاضطراب حركة ، والحركة أدلّ على الحياة من السكون ، جعلني الله وإياكم من الأحياء !

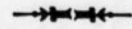
زكي مبارك

أفانين

أثر الإيحاء فى جلب التفاؤل

للأستاذ على الجندى

— ٢ —



أوردنا فى مقال سابق أمثلة للإيحاء الذاتى، كانت سبباً فى ردّ التشاؤم عن أصحابها ، وجلب التفاؤل إليهم

وسبيلنا فى هذا المقال أن نسوق شواهد طريفة للإيحاء الخارجى ، أى إيحاء الإنسان إلى غيره

وطرافة هذه الشواهد أن جلها بل كلها وقعت عفو البديهة ومسارقة الخاطر ! ولولا ذلك ما كان لها هذا الأثر الذى يشبه فعل السحر ! لأن مجىء الإيحاء فى وقته أشبه بمعالجة المرض إبان طروئه . هذا إلى أن ذلك يطبعه بطابع الإلهام العلوى والنفحات اللّدنية ! ويجمل له وقع البُشريَات التى تنفرج عنها سجوف الغيوب فى الحين بعد الحين !

وطبيعى أن هؤلاء السحرة أو الرُّقاة – على الأصح – الذين استطاعوا أن يتلعّبوا بالنفوس ، فأروْها النحوس سعوداً ، والسواد بياضاً ! واستنقذوها من القلق والشك والارتماض ، لم يكونوا إلا جماعة من أهل اللسن والبيان ! ومن أقدر من أهل اللسَن والبيان على قلب الحقائق والتصرف فى أهواء النفوس ؟ وإن من البيان لسحراً !

بل الحق أن البلاغة وحدها لا تغنى غناءها فى هذه المواقف المتضايقة ، ما لم تسعدها شدة العارضة ودقة الفطنة وحسن التأتى وبراعة الاحتجاج وقوة التعليل

وسنذكر هذه الشواهد فيما يلى مرتبة بحسب الزمن قدر الاستطاعة :

١ – بنى عبد الملك بن مروان(١) باباً من أبواب المسجد الأقصى ببيت المقدس ، وبنى الحجاج باباً إلى جانبه ، فنزلت صاعقة فأحرقت باب عبد الملك ، فتطيّر بذلك وشق عليه ! فبلغ ذلك الحجاج فكتب إليه : بلغنى كذا وكذا ، فليهن أمير المؤمنين أن الله تقبّل منه ! وما مثلى ومثله إلا كابنىْ آدم إذ قرّبا قرباناً ، فتُقُبِّل من أحدهما ولم يتقبّل من الآخر

فلما وقف عبد الملك على الكتاب سُرّى عنه واستبشر

قال صاحب المثل السائر : وهذا معنى غريب استخرجه الحجاج من القرآن الكريم ، ويكفى الحجاج من فطانة الفكرة أن يكون عنده استعداد لاستخراج مثل ذلك

٢ – خرج المنصور العباسى إلى قتال أبى يزيد الخارجى فى جماعة من الأنصار . فلما واَجه الحصن سقط الرمح من يده ، فأخذه بعضهم فسحه وقال :

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى ... كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

فضحك المنصور وقال : لم لا قلت : فألقى موسى عصاه ؟

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، العبد تكلم بما عنده من إشارات المتأدبين ، وتكلم أمير المؤمنين بما أنزل الله على النبى من كلام رب العالمين

فكان الأمر على ما ذكر ، فأخذ الحصن وتم الظفر للمنصور

٣ – قلّد المأمون(١) خالدَ بن يزيد بن مَزْيد ولايةَ الموصل ، فر خالد ببعض الدروب فاندقّ اللواء ! فاغتمّ خالد بذلك وتطيّر منه ! فقال أبو الشّمقمق :

ما كان مُنْدَقُّ اللواء لطيرةٍ ... تُخشَى ولا سوء يكون معجّلا
لكنّ هذا العودَ أضْعفَ مَتْنَهُ ... صِغَرُ الولاية ، فاستقلّ الموْصِلا

ففرح خالد ! وكتب صاحب البريد بذلك إلى المأمون ، فزاده ديار ربيعة ، وأعطى خالدُ أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم

٤ – كان المنصور(٢) بن أبى عامر الأندلسى إذا سار لغزوة ، عقد لواءه بجامع قرطبة ولم يسرْ إلى الغزوة إلا من الجامع

فاتفق أنه فى بعض حركاته للغزو ، توجه إلى الجامع لعقد اللواء ، فاجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة ، ورفع حامل اللواء اللواء ، فصدم ثُريّا من قناديل المسجد فانكسرت على اللواء ، وانسكب عليه زيتها ! فتطير الحاضرون من ذلك ، وتغير وجه المنصور !

---

(١) المثل السائر ١٢٢

(١) العمدة (١ — ٤٠)

(٢) ثمرات الأوراق (١ — ١٥٣)

فقام رجل وقال : أبشر يا أمير المؤمنين بغَزَاة هيّنة وغيبة سارّة ! فقد بلغت أعلامك الثريّا، وسقاها الله من شجرة مباركة ! فاستحسن المنصور ذلك ، وكانت هـذه الغزوة من أبرك الغزوات !

٥ — كان سيف الدولة[1] بن حمدان ، قد ضرب خيمة كبيرة عجيبة الصنع (بميّا فارقين[2]) فهبت ريح شديدة فقوضتها ، فتكلم الناس فى ذلك وأكثروا ، فقال المتنبي :

أيقدح فى الخيمة العُذَّلُ … وتشمل مَنْ دهرَها يشمل
وتعلو الذى زُحَلٌ فوقه … مُحالٌ لعمرك ما تُسْأل
تضيق بشخصك أرجاؤُها … ويركض فى الواحد الجحفل
وكيف تقوم على راحةٍ … كأن السحاب لها أَعْنُل
فلا تنكرنّ لهـا صرعة … فمن فرح النفس ما يقتل
ولو بلغ الناس ما بُلِّغت … لخانتهمو حولك الأرجل
ولمـا أمرت بتطنيبها … أشيع بأنك لا ترحـل
فما اعتمد الله تقويضها … ولكن أشار بما تفعل
فما العاندون وما أمّلوا … وما الحاسدون وما قوّلوا
همو يطلبون فمن أدركوا ؟ … وهم يكذبون فمن يَقبلُ ؟
وهم يتمنّون ما يشتهون … ومن دونه جدُّك المقبل

٦ — كان أبو إسحاق[3] ابراهيم بن عبدالله البحترى يوماً عند أبى المسك كافور الأخشيدى ، فدخل عليه الفضل بن عباس فقال : أدام الله أيام سيدنا الأستاذ (بخفض أيام وحقها النصب) فتبسم كافور إلى أبى إسحاق البحترى ! فقال مرتجلاً :

لا غرو إن لحن الداعى لسيدنا … وغص من هيبة بالريق والبهر
فمثـل سـيدنا حالت مهابته … بين البليغ وبين القول بالحصر
فإن يكن خفض الأيام من دهش … من شدة الخوف لا من قلة البصر
فقد تفاءلت فى هـذا لسيدنا … والفأل مأثرة عن سيد البشر
بأن أيامه خفض بلا نصب … وأن دولته صـفو بلا كدر

٧ — كان لعضد الدولة[4] أحد الرؤساء ابن خُلِعَ عليه خلعة سنية ، وركب إلى منزله – والناس بين يديه – فعثرت[5] به فرسه فسقط من فوقها ، ثم ركبها ثانية من ساعته ، فلهج الناس بالقول فى الطيرة ، فقال الوجيه[1] الشاعر :

لا تمذل الفرسَ التى عثرتْ … بك أمسِ قبل سماعك العذْرا
قالت مقالاً لو علمتَ به … لم تولها لوماً ولا هجرا[2] :
لمـا رأى الأملاك أنّ على … سرجىَ فتًى أعلى الورى قدْرا
رفعتْ يدى حتى تقبّلها … شغفاً بها فهوت يدى الأخرى

٨ — كان[3] السلطان حسن الناصرى المصرى يريد أن يبنى لمدرسته (مسجد السلطان حسن) أربع منائر . فلما بنيت ثلاث منها سقطت المنارة التى على الباب ، فهلك تحتها ثلاثمائة من الأيتام الذين كانوا يقرءون القرآن وغيرهم من الناس !

فتحدّث الناس أن هذا نذير بزوال الدولة ! فقال فى ذلك الشيخ بهاء الدين السبكى :

تلك الحجارة لم تنقضْ بل هبطتْ
من خشية الله ، لا للضعف والخلَل
وغاب سلطانها فاستوحشت فرمتْ
بنفسها لجوًى فى القلب مُشتعِل
لا يقرب البؤسُ بعد اليوم مدرسةً
شـيدتْ بنيانها للعلم والعمل
ودمت حتى ترى الدنيا بها امتلأتْ
علمـا ، فليس بمصر غـير مشتغل

ومما يتصل بهـذا وإن لم يكن منه أن الناجم دخل على ابن الرومى ، وهو ينظم قصيدة فى مدح أبى العباس المرثدى ويهنئه بأن وُلدَ له ، وكان أول القصيدة :

شمسٌ وبدرٌ ولدا كوكبا … أقسمت بالله لقد أنجبا

فقال الناجم : لو تفاءلت لأبى العباس بسبعة من الولد لأن معكوس أبى العباس : أبو السابع ، إذاً لجاء المعنى طريفاً ! فقال ابن الرومى :

---

(١) ديوان المتنبي
(٢) مدينة باقليم ديار بكر
(٣) زهر الآداب (٣ — ٣٧)
(٤) غير عضد الدولة بن بويه
(٥) معجم الأدباء (١٧ — ٦١)

---

(١) مثل ذلك قول ابن حيوس فى محمود بن نصر وقد زلت قوائم فرس كان تحته :

حاشا لأشقرك الميمون غرته … يزل ، والفلك الدوار خادمه
وإنما عاين الأملاك ساجدة … إلى علاك فلم تثبت قوائمه

(٢) بفتح الهاء : القطيعة . وبضمها : القول الفاحش . وكلاهما محتمل
(٣) زهر الآداب (٢ — ٨)

١ - تأمـــلات



فى يوم سبت من يناير من عام منصرم تحركت عاطفة مكنونة فإذا هى تضطرم ، وإذا ظرفها الطارئ يطبع أربعة عشر عاماً من حياتى بطابع خاص . كانت العاطفة فى غضونها مودة فحسب، اشتدت حيناً وفترت أحياناً ، وتفاوتت درجاتها بتفاوت الظروف لكنها بقيت مودة يغذيها ميل وألفة وجميل وعرفان ؛ حتى كان يوم السبت ، فحالت العاطفة شيئاً آخر بدأ غبطة يكتنفها ذهول واستسلام ؛ ثم تنبه القلب إلى زائر جديد لا يعرف الاستئذان واستقر بين الضلوع شيء نسيت على مر الأيام اسمه ، فأحسست اليوم فعله ، وكان جارفاً ، أطار كل شيء من لب ونوم ، وبسط على نفسى الهادئة سلطانه ، فاضطربت واضطرمت ، ولم تك تدين من قبل لسلطان كهذا يشبه البُحران

ومضت بين السبت والسبت سبعة أيام ، لزمت فيها الفراش

وقـــد تفاءلتُ له زاجراً	كنيتَه ، لا زاجراً ثعلبا
إنى تأمّلتُ له كنيةً	إذا بدا مقـــلوبها أعجبا
يصوغها المَكْسُ أبا سابع	لا كَذَّب اللهُ ولا خيَّبا
بل ذاك فألٌ ضامنٌ سبعةً	مثل الصقور استشرفت مرقبا
يأتون من صُلب فتًى ماجد	وذاك فألٌ لم يَمُدَّ مُمْطبا
وقد أتى منهم له واحـدٌ	فَلْنَنتظرهم ستّة غيَّبا
فى مـــدة تثمرها نعمةٌ	يجعلهـــا الله له تُرتَبا[٢]
حتّى تراه جالسًا بينهم	أجلَّ من رضْوَى ومن كبكبا
كالبدر وافى الأرض من نوره	بين نجوم سبعة فاحْتَبَى
ولْيشكر النّاجمُ عن هـذه	فإنها من بعض ما وَهَّبا
سَدَّي وألحمُ أخٌ لم أزَلْ	أشكر ما أسْدى وما سَبَّبا

هذه الشواهد وما قبلها تدل دلالة واضحة على أن التفاؤل والتشاؤم من عمل الإنسان نفسه ، وأن المصاب بمرض التطير يستطيع بقوة الإرادة ، واصطناع الرجاء ، والنظر إلى الحوادث بمنظار أبيض وهاج ، فى ظل الثقة بالله وبشاشة الإيمان ، أن يبرأ منه برءاً تاماً ، ولله الخلق والأمر .

على الجندى

(١) بضم التاء الأولى وفتح الثانية وضمها . من معانيها : الأبد والشيء المقيم الثابت (هامش شرح المفصل للزمخشرى)

يومين ، وبخدعى ثلاثة ، وحرت فى بقيتها بين البيت والمكتب ، تارة آلم ، وتارة أنتم ، وطوراً تفترسنى كآبة تبيت معها قوتى ضعفاً ، ولا أملك أن أرفع فيها جفناً . أما طبى الذى لم يبال فى حياتى أحداً ، فخاننى هذه المرة ، فكففت عن أن أكون ما كنت

كنت أحب الوحدة ، والظلام الذى لا يقربه الخفاش ، لأنه تضيئه التأملات . وكنت أوزع مودتى على غير واحد من بنى البشر ، وأحس الميل الجامح إلى غير واحدة من بناتهم . فلم أعرف فى التوزيع غير القسطاس . وكنت أعجب أحياناً كيف أحب الناس هذا الحب العادل ، وكيف أتحرر إلى هذا الحد من سلطان التحيز والتحامل ، لكنى هذه المرة قد اضطرب ميزانى ، فإذا بى أميل إلى ناحيته كل الميل ، وإذا تلك التى رجحت كفتها تستبد بى من دون أن تعلم ، وتستحوذنى على عظم جرمى فى طى إشارة لو شاءت ، وهى بعد لم تشأ ولم تدرِ . بل قل : إنها تدرى ولكن لا تدرك . وكيف تدرك وهى تعبث ، والأمر عندى جد وهى تلهو ، وأنا جدُّ حزين ؟

ما بك يا فتاتى ! الشباب الذى ترفلين فى غفلته ، وتخطرين فى روعته ، وتمر فيه نظراتك واهنة ، فتصمى مع هذا إصماء السهم ؛ ثم لا شيء فى ذهنك غير الفراغ ، وكل شيء يضطرب به ذهنى ، ويدمى ، ويتألم ...

أأحسست دفء الإيمان فى راحتى حين احتوت راحتك الدافئة بدم الشباب ؟

إذن فدعينى أذكر لك يا فتاتى بعض الذى بى : أحبك حبًّا خالط كل حواسى ، فأنا أبداً على ذكر منك ، وأنت على مرأى ومسمع منى

رسمك أبداً ماثل لعينى ، حاضر فى ذهنى ، فأنا فى الحياة أعيش بك وأنساق بإرادتك . أكون مع الناس جميعاً فى كل مكان ، ولا أكون إلا معك ... النبطة التى تطفى على مصدرها أنت ؛ والألم الذى يهد كيانى مبعثه أنت . والمشاعر على اختلافها تتناوبنى منك ولا أملك أن أشعر لنفسى وبإرادتى

أتحبين يا فتاتى أن أصارحك بما ساورنى ليلة أمس ؟ إن نظرتك الواهنة التى خلتك تؤثرينى بها نظرة للجميع ، فهى من هذه الناحية عادلة وهى مما خلاها ظالمة خادعة

إنك يا فتاتى لغز ، ميزتك الكبري جاذبيتك ، فأنت تجذبين محبيك ومبغضيك على السواء . ولا يملك المرء ألا يكترث لك

ليس جمالك بالفاتن ولا بالذى يلفت النظر . وقد تمرين بالألوف من دون أن تستوقفى أحداً ، ويمر بك الألوف من الكرام . لكن كيانك جميل كل الجمال ، فاتن كل الفتنة ، ولا بد من الوقوف عندك والتأمل فيك ليملكك من يشاء ومن تشائين، ويأسره منك إلى الأبد تلك النظرة الواهنة ، والابتسامة الحائرة ، والوجه الذى لا يمتاز بشيء فى تفاصيله ولكنه فى جملته وحدة أخاذة

ما قولك يا فتاتى فيمن ظل أربعة عشر عاماً على رأى واحد فيك ، وميل واحد نحوك ، وكنت فى خلالها طفلة فى العاشرة ، وزهرة فى الرابعة عشرة ، وثمرة شهية فى العشرين ، فما فكر فى غير الحدب عليك ، واستنشاق عبيرك ، والتطلع إليك . لكنه لم يقطفك ولم يخنك

كانت زهرتك تغرى بالقطف ، لكنه كان فيك ما يرد الأيدى عنك . وكانت ثمرتك ناضجة شهية ، لكنها كانت الثمرة المحرمة . وكنت عزلاء إلا من ذلك العفاف الذى ينبعث من كيانك طهراً وبراءة

ثم سددت يوماً إلى قلبى نظرتك المعهودة وفيها بريق غير معهود ، ومعها حاشية طيبة من الضحك الواهن الغالب عليه الحياء . وألفيتك فى مجلسي مرحة قد وسع فهمك مغازى الكلام ، ودقت إجاباتك عليها

ثم ظللت جبينك العالى غمامة فأطرقت برأسك ، واحتوتك كآبة وخفت صوتك ، وكان سكون طال عليه الزمن أو قصر لا ندرى ، أو على الأقل لا أدرى

واحتوت راحتك راحتى فإذا هما شعلتان ، وحاولت أن أحدق فى عينيك فلم ترفعيهما إلىّ ، وألقيت عليك كلمة من عفو الساعة فلم تردى علىّ

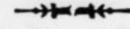
ولبثنا هنيهة على هذه الحال من الصمت فإذا نحن نتساءل معاً : هل أسأت إليك ؟!

وكيف تسيئيننى يا فتاتى وقد أشعرتنى الهناء الذى كنت أحوّم حوله أيام الشباب ولا أناله ، حتى كان يوم السبت من يناير من عام منصرم فخلقتنى خلقاً آخر يدين لك بالوجود

(م . د)



عرفان الجميل



نهضت للقائه وقد أقبل علىّ هاشًّا محيياً، وصافحته شاكراً له تحيته مجيباً عليها بأحسن منها، وجلست وجلس وهو يحمد الظروف التي جمعت بيننا في القرية على غير انتظار

وكان يعلم أني لا تتاح لي فرصة للمجيء إلى القرية إلا اغتنمتها فمال بالحديث إلى ذلك المنى، وأخذ يبدئ ويعيد في بيان مبلغ كرهه للقرية، وهو لن يرى أبلغ من أن يقول إنه يكرهها بقدر ما أحبها؛ وإنما يجيء إليها مضطراً في بعض عمله ثم يغادرها بأسرع ما يستطيع

ولما كنت أفهم العلة الحقيقية لتلك الكراهية لم أشأ أن أناقشه فيما أبداه من غيرها من العلل الزائفة، بل لقد ثقل علىّ كلامه وأنكرت ما يفيض به من تكلف سخيف وما ينطوي عليه من خبث بغيض

ورأيته يبالغ في الحذر على ملابسه أن يعلق بها التراب فهو لذلك يمسحه عنها بمنديله بين آونة وأخرى لا يمل ذلك ولا يفتر عنه؛ وكيف يطيق أن يرى الغبار على حلته (الإفرنجية)، وإنه ليزهى أكبر الزهو بأن يخطر فيها على أعين الناس في القرية يذكرهم بها كيف أنه أصبح ذلك «الأفندي» الوجيه الذي لا يقل في وجاهته وعظمته شأناً عن سراة القرية ووجوهها. ولعل هذا المظهر الذي تبتهج له نفسه هو وحده الذي يجعله يطيق البقاء يوماً أو بعض يوم في تلك القرية

وقطع علينا الحديث قدوم شيخ أربى فيما قدرت على الستين يتوكأ على عصا غليظة، ويكاد من الضعف لا تقوى على حمله رجلاه، ولم يكن ذلك الشيخ المتهدم إلا والد ذلك الأفندي الوجيه؛ ونهضت أستقبله مظهراً له حفاوتي به؛ وعجبت أن أرى ابنه يقف متثاقلاً متباطئاً؛ وأسند الرجل عصاه إلى أحد المقاعد وهمّ ليجلس على الأرض فأمسكت بيده وأجلسته بعد إلحاح على المقعد...

وأطرق الرجل لحظة، ولكني تبينت في عينيه كلاماً؛ وفطنت إلى أنه يرتاح لوجود ابنه معي في تلك الآونة إذ يستطيع أن يسمعه ما يريد ويشهدني على قوله ويبثني شكواه؛ وزدت وثوقاً من ذلك بما رأيته من اضطراب وغيظ على ملامح ابنه الوجيه.

وتنهد الرجل تنهدة طويلة ثم انطلق يتحدث ولم يكن حديثه إلا شكاة مرة موجعة من هذا الذي أنفق عليه الرجل ماله جميعاً حتى صار إلى ما صار إليه. وذكر لي فيما ذكر والدموع تبلل لحيته البيضاء، أنه ذهب إلى بيت ابنه في المدينة فأنكر الابن وجوده هنالك، فذهب أبوه يطلبه في مقر عمله فدله عليه بعض الخدم، فانتحى به الابن جانباً وهو يحاول كتمان غيظه ثم صرفه بعد دقائق، فما كاد الرجل يبلغ عتبة الحجرة حتى سمع ابنه يقول لزملائه ضاحكا: إن هذا الرجل كان فيما قبل مزارعاً أجيراً عند أسرته وإنه يطلب إحساناً... وخنقته العبرات لحظة ثم عاد إلى حديثه يسألني: هل يكون ذلك نتيجة التربية؟ وهل يكون جزاؤه على بيع ما كان يملك في تعليم ابنه أن يقابله بما يقابله به؟

والتفت أطلب الجواب من الوجيه المتعلم الذي يكره القرية وحياة القرية، فهالني ما سمعته من عبارات فاجرة أخذ يوجهها إلى الذي كان سبباً في نعمته، دون أن يستحي، وكانت أقل تهمة ألصقها بأبيه أنه قد صار شيخاً خرفاً لا يؤاخذ

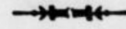
وبلغ بي الغيظ كل مبلغ فنصحت إلى الرجل أن يرفع إلى القضاء دعواه، فنظر إلىّ نظرة شكر ولكنه قال: «يا بني نفضحك علينا البلد ونسمع بنا الناس؟ لا، أنا عندي أموت من الجوع ولا يقول الناس إن ابني ناكر للجميل»

وأخذت أسرى عن الرجل بما أستطيع من الكلام وقد عزني في هذا الموقف الكلام. كل ذلك وابنه صامت كأنه جاد، ثم وعدت الشيخ أني سأبذل قصارى جهدي من أجل راحته وودعته مواسياً مشفقاً

وهم ابنه بالانصراف بعده فمددت إليه يدي على كره مني؛ وجلست وأنا أقول: أيكون بعد ذلك غريباً أن نجهل القرى وحياة ساكني القرى وأن نظل وكأننا بما بيننا وبين هؤلاء المساكين من قطيعة شعبان يعيش أحدهما من كد الآخر؟ وإذا كان هذا شأن بعض الأبناء مع الآباء فكيف تكون الحال فيمن لا تربطهم بأولئك المساكين بنوة أو قرابة؟ «خفيف»

حول لقب « السفاح » أيضاً

للأستاذ عبد الحميد العبادى



وأخيراً يدلى الأستاذ عبد المتعال الصعيدى دلوه فى الدلاء وينبرى للبحث عن لقب « السفاح » لمن هو على التحقيق . وقد كتب الأستاذ فى هـذا الموضوع ثلاث مقالات نشرت فى الأعداد ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٩ من « الرسالة » الغراء . ونحن لا شأن لنا بالمقالة الأولى من هذه المقالات ، لأن الأستاذ ذهب يدلل فيها على أننا مسبوقون إلى تفسير لفظ «السفاح» بالمعطاء للمال، وفاته وهو يكتب تلك المقالة أننا قد نزلنا عن هذه الدعوى عند ما ثبت عنـدنا أن الذين لقبوا الإمام أبا العباس بذلك اللقب لم يقصدوا إلى مدحه بل إلى ذمه ووصفه بأنه سفاك قتال . أما مقالتاه الثانية والثالثة فهما اللتان نعنى بمناقشتهما اليوم . وقد حاول الأستاذ فى المقال الثانى أن يفند قولنا إن أبا العباس لم يكن سفاحاً ، كما حاول فى المقال الثالث أن يبين لنا كيف اختلفت الروايات فى لقب السفاح بين أبى العباس وعمه عبد الله بن على



ولقد كبر على الأستاذ الصعيدى أن نقول : « إنا رجعنا إلى سيرة أبى العباس قبل الخلافة وبعدها فلم نجد فيها ما يسوغ تلقيبه بالسفاح » فاندفع يرمينا بالغفلة الظاهرة والتجنى على التاريخ ويزعم أن سيرة أبى العباس بعد الخلافة « طافحة » بسفك الدماء ولقد ظننت الأستاذ سيأتى فى الأمر بجديد فإذا به يعزو إلى أبى العباس ثلاثة حوادث: أولها قتله ابن هبيرة غدراً، وهذا قد نبهت أنا عليه فى أول مقال نشرته لى الثقافة فى هذا الموضوع . وثانيها قتله أبا سلمة الخلال، ولم أعد أنا أبا العباس مسئولاً عن هذا الحادث شخصياً ، فالباعث عليه من قبيل ما نسميه الآن بتهمة الخيانة العظمى ، ولذلك لم أعتد به على أبى العباس . على أن هذا الحادث قد تولى كبره أبو مسلم الخراسانى من غير مراء . الحادث الثالث قتل أبى العباس سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد أن آمنه ، ولو تتبع الأستاذ قصة هذا الأمير فى أقدم مظانها وأصحها وهو تاريخ ابن جرير الطبرى لعلم أن الطبرى يتتبع أخبار سليمان هذا بكثير من العناية والإسهاب حتى سنة ١٢٩ ثم لا يعود إلى ذكره بعد ذلك التاريخ ، وسياق حديث الطبرى يفيد أن هذا الأمير قتل فى وقعة مرو الشاذان التى كانت سنة ١٢٩ بين جيش ابن معاوية الثائر بفارس وبين جيش ابن هبيرة أمير العراق؛ وإذاً يكون سليمان ابن هشام قد فارق هذه الحياة قبل قتله المزعوم على يد أبى العباس بنحو أربع سنوات على أقل تقدير . وإذاً لا يمكن أن ينسب من هذه الحوادث إلى أبى العباس إلا حادث واحد فقط هو مقتل ابن هبيرة ، وحتى هذا لا يعدم عند تدقيق النظر توجيهاً وتأويلاً . فقد كان ابن هبيرة زعيماً عربياً قوياً ، وكان له حزب عربى عظيم فى مدينة واسط ، وكان أبو العباس يعتقد أنه يرقب الأمور ، ويتربص الدوائر ليثب وثبة ترد عليه ما ضاع منه ، فرأى أن يعاجله قبل استفحال شأنه

ولما لم يجد الأستـاذ الصعيدى من حوادث القتل ما يصح أن ينسبه إلى أبى العباس رأساً أخذ ينحله جرائم غيره ، فزعم أنه هو الذى قتل تسعين من بنى أمية كانوا على مائدته بتحريض سديف الشاعر؛ مع أن هذا الحادث الفظيع إنما كان بفلسطين وهو المعبر عنه فى تاريخ الطبرى بيوم أبى فطرس ، والمسئول عنه هو من غير نزاع عبد الله بن علىّ وحده . بل إن الأستاذ الصعيدى ليجعل أبا العباس مسئولاً عمن قتل عبد الله بن على بالشام وداود بن على بالحجاز وسليمان بن على فى البصرة ، لأنه هو الذى «سلطهم» على بنى أمية فى البلدان المذكورة . وهذه قصة الذئب مع الخروف معادة بشكل آخر . ولست أدرى على أى مصدر يعتمد الأستاذ فى دعواه هذا « التسليط » فالمصادر لا تذكر إلا لفظ « التولية » على تلك البلدان . والتولية ليس معناها « التسليط » بطبيعة الحال . ثم أين عدالة الإسـلام وأدب القرآن الذى يقول « كل نفس بما كسبت رهينة » « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ؟ وأين مبدأ شخصية الجريمة وشخصية العقوبة وهو من الإصلاحات العظيمة التى جاء بها الإسلام ، وكانوا فى الجاهلية ربما أخذوا القبيلة كلها بجريرة فرد واحد منها ؟ الحق أن أبا العباس كما بينت فى مقالاتى

السابقة كان مغلوباً على أمره لأبي مسلم بالمشرق ولعمه عبد الله ابن على بالشام ، ولو رجع الأستاذ الصعيدى إلى تاريخ الطبرى وقرأ فيه سيرة أبي العباس لتبين له ذلك بأجلى بيان ، فلعله فاعل إن شاء الله

ولقد بلغ من حرص الأستاذ الصعيدى على اتهام أبي العباس أن وقع فى تناقض عجيب حقاً . فقد كتب فى مقاله الثانى يقول : « ولقد كان له (أى لأبي العباس) سفاح آخر نسيه المؤرخون ، ولم يكن بأقل من عبد الله بن على سفكاً للدماء . ذلك هو سليمان بن على أخو عبد الله وعم أبي العباس ، فقد ولاه البصرة وسلطه على من كان بها من بنى أمية ، فقتل من كان بها منهم وألقاهم فى الطريق فأكلتهم الكلاب » وبعد أسطر قليلة يقول الأستاذ الذى يرمينا بالغفلة : « ويطول بنا الكلام لو ذهبنا نستقصى ما سفك أبو العباس وأعمامه وإخوته (مع العلم بأن التاريخ لا يعرف لأبي العباس إخوة سفاكين يسأل عن جرائمهم) من الدماء . ولقد كانوا كلهم شركاء فيما عدا سليمان بن على فإنه كان أحنهم على بنى أمية وكان يكره سفك دمائهم ، ويجير كل من استجار منهم الخ » والظاهر أن الأستاذ أحس هذا التناقض العجيب وأراد أن يتلافاه فكان تلافيه له أعجب وأغرب ، إذ عقب على الفقرة الأخيرة بقوله فى هامش المقال الثانى : « هكذا روى عنه صاحب العقد وهو ينافى ما ذكرناه من قتله من كان فى بنى أمية بالبصرة ... فلعل هـذه الشفقة أدركته أخيراً عليهم » . ولولا أن الأستاذ الصعيدى جاد فيما يقول لقلنا إنه تعمد أن يورد فى هذا البحث الدامى فصلاً مضحكا يرفه به عن القراء

والواقع أنه لا أبو العباس ولا عمه سليمان بن على يمكن أن يوصفا بأنهما سفاحان سفاكان ، وذلك لسبب واضح هو أنه لم يكن فى العراق فى وقتهما أمويون يمكن أن يبسطا إليهم يد القتل والمثلة . فمن يتعمق درس التاريخ الأموى يعلم أن العراق لم يكن فى وقت من الأوقات موطناً لبنى أمية وبخاصة فى أخريات عهدهم عند ما انبثقت عليهم فيه البثوق التى زعزعت ملكهم ، وكادت تأتى على سلطانهم قبل زحف العباسيين من المشرق . إنما كان موطن بنى أمية ومحل عصبيتهم الشام ثم الحجاز . فإذا سكتت المصادر التاريخية القديمة عن أن تنسب إلى أبي العباس قتل بنى أمية أو قال صاحب العقد إن سليمان بن على كان شديد الحنو على من يلجأ إليه من بنى أمية ، كان هذا السكوت وذلك القول هو المعقول والمتفق وحقيقة الحال . وإذا اقتصر الطبرى على ذكر من قتل الأمويين إنه إنما كان فى الشام والحجاز كان ذلك منطبقاً على الحقيقة والواقع

مما تقدم يرى القارئ أن الأستاذ الصعيدى على عنف محاولته « إدانة » أبي العباس وتسويغ تلقيبه بالسفاح لم يكن موفقاً ، بل هو لم يخرج فى واقع الأمر قيد شعرة عن مضمون قولنا : « إن سيرة أبي العباس قبل الخلافة وبعدها لا تسوغ تلقيبه بالسفاح بحال من الأحوال »

***

ولننتقل الآن إلى مناقشة موقف الأستاذ الصعيدى من المصادر واختلافها فى لقب السفاح بين أبي العباس وعمه عبدالله بن على . وهو موقف عجيب حقاً ، فالأستاذ الصعيدى ينظر إلى المؤرخين والأدباء الذين تعرضوا لسيرة أبي العباس وأخباره نظرة واحدة ، ويضعهم فى مرتبة واحدة من حيث العدالة والضبط والحجية ، لا فرق عنده بين متقدم ومتأخر ، وبين متخصص فى الرواية التاريخية وغير متخصص فيها ، وبين من يتتبع الرواية بإسنادها إلى من شهد الواقعة ومن يتسقط الأخبار من هنا وهنا . وما هكذا كان السلف الصالح من علماء المسلمين . فإنهم كانوا يزنون الرجال والأخبار بأدق موازين النقد ؛ وما علم الحديث منا ببعيد ، فقد رجحوا كتاب البخارى على غيره من كتب الحديث ، لأنه أقل من غيره رجالاً تُكلم فيهم بالضعف ، وأقل من غيره أحاديث شاذة أو معلولة . فإذا جئنا إلى التاريخ ، وجدناهم يقولون : إن أصح التواريخ تاريخ ابن جرير ، وإن كتاب «فتوح البلدان» للبلاذرى لم يؤلف مثله فى موضوعه ، وإن طبقات ابن سعد أقدم وأعظم كتاب فى السيرة وتاريخ الصحابة والتابعين . وقالوا فى ابن قتيبة إنه قليل الرواية

ولقد أدى هذا الموقف الأستاذ الصعيدى إلى نتيجة هى عجب من العجب ، فالمصادر التى لقبت أبا العباس بالسفاح صادقة لأن ، أبا العباس عنده سفاح ، والمصادر التى لقبت عبد الله بن علىّ بنفس اللقب صادقة لأنه كان سفاحاً . والمصادر التى سكتت عن تلقيب هذا أو ذاك باللقب المذكور لا يصح الطعن بها فى رواية المصادر التى ذكرت هذا اللقب « لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ » وهى قاعدة مشهورة عند الأزهريين ويقول الأستاذ إنه لا يمكن أن أجادل فيها . وأنا لا أجادل فى القاعدة ولكن أجادل فى تطبيقها فليس هذا محل تطبيقها ، والمسألة ليست مسألة حفظ وتضييع ، وإنما هى مسألة تخليط وعدم تخليط ، فهل يسلم الأستاذ بقول من يقول « إن من خلط حجة على من لم يخلط » ؟

أما نحن فنظرنا إلى المصادر نظرة نقد وتقدير كما فعل الأقدمون من علماء الحديث ؛ فوجدنا أن أقدمها وأوثقها وأشدها تخصصاً بالرواية التاريخية لا تلقب أبا العباس بالسفاح، وتصور هذا الخليفة فى الصورة التى أجلناها غير مرة ، ووجدنا المصادر التى شوهت صورة هذا الخليفة ولقبته بالسفاح ونسبت إليه الفظائع هى من وضع رجال ليسوا متخصصين فى الرواية التاريخية الجدية ولا معروفين بالعدالة والضبط اللذين يعرف بهما أصحاب الرواية التاريخية القديمة كابن سعد والبلاذرى والطبرى وغيرهم . هذا هو موقفنا بإزاء المصادر القديمة من حيث موضوع « السفاح »

وبعد فلئن كنت حزنت لشئ وأنا أقرأ المقال الثالث والأخير للأستاذ الصعيدى فلقد حزنت للعبارة التى علق بهـا على جملة لابن العبرى المؤرخ المسيحى المتدين الزاهد . فقد قال ابن العبرى : « وكان أبو العباس رجلاً طويلاً أبيض اللون حسن الوجه يكره الدماء ويحامى على أهل البيت » فعلق الأستاذ الصعيدى على ذلك بقوله : « إن هـذا لا يراد منه إلا كراهته لدماء أهل البيت وحدهم » مع أن المؤرخ وهو يترجم لأبى العباس لم يسند إليه حادثة قتل واحدة ، ومع أنه فى تاريخه السريانى المطول والمترجم إلى الإنجليزية لا يلقبه بالسفاح مطلقاً .

عبد الحميد العبادى

من وحى الفوضى !

الدكتور مبارك يناظر

للأستاذ شكرى فيصل

منذ أيام وقف الدكتور « زكى مبارك » يناظر الأستاذ « لطفى جمعة » فى موضوع : « يزدهر الأدب فى عصور الفوضى الاجتماعية » . وكان طبيعياً أن يؤيد الدكتور المبارك هذه الفكرة وأن ينتصر لها ، ويدافع عنها ؛ ويجرد حملاته على خصومها ، ويسوق عليهم القوى والهجمات من منطق العقل ومنطق العواطف

وقد ود الناس لو سمعوا الدكتور خطيباً يرتجل حججه وسط هذا الحماس المضطرم ، وينتزع آراءه من قلب هذا التيار العاصف ، ويمتع ساميه بلفتاته الذهنية البارعة . ولكن الدكتور زهد — كما يقول — فى البراعة الخطابية ، فانصرف عنها ، وأوى إلى قلمه فى ساعة من ساعات الفوضى والاضطراب فكتب خطابه فى دائرة محدودة وصفحات معدودة ونهج بيّن

وكان هذا فى الواقع صدمة شديدة الأثر ... تناثرت معها أمانى وأحلام . فالناس يعجبهم من هذه المناظرات أنها متعة من متع الفكر ، يستفيق فيها الحس ؛ ويتفتح معها الذهن وتضطرم فيها الحياة ، وتنبثق فى خلالها المعانى والخطرات كما ينبثق الماء الثر فإذا هم — هذه المرة — فى نطاق من الفكر ، وفى مدى من الجدل ، وفى مجال ضيق قد رسمت فيه الخطوط ، وعينت الاتجاهات وصدرت عن أصل مكتوب

ولئن فات الناس أن ينعموا ببراعة الدكتور الخطابية التى زهد فيها ، فقد عوضهم أن يروا نظارته المزدوجة (المتفلسفة) من فوق عينيه (١)

***

وأنا أشهد يا سيدى الدكتور أنك استطعت أن تأسر الناس ، وأن تأخذهم بالإعجاب بك ، والتصفيق لك ، والانسياق معك

(١) الدكتور يدعى أن لكل فيلسوف نظارتين . وأن له مثلهما !

فى هـذه الوديان المترعة بالحسن التى حملتهم إليها ، وهذه الربوع المليئة بالجمال التى دفعتهم نحوها ... وتلك الأجواء العبقة التى حلـّقت بهم فيها ...

ولقد حدثتَ يا سيدى حديث العواطف الثائرة والشعور الطاغى والقلب الذى كوته النـار والصدر الذى اضطرم فيه الحب ... وسمعك الناس تقرأ لهم صفحة من بلائك بالدنيا ، وصدامك مع الناس ، وحربك مع هـذا العالم ... وأنصتوا يصغون لهذا النشيد الدائم الخالد : نشيد « الأحلام والأوهام » و « الحقائق والأباطيل » و « الأزهار والأشواك » و « العقول والقلوب » ... فنفثت فيهم بيراعتك ولباقتك السحر والعطر والجمال ...

ولم تنس يا سيدى أن تقص علينا طرفاً من حياتك . . . فأنت فى كلية الآداب ، ولـكلية الآداب فى تاريخك صفحات وصفحات ... فَلِم لا تنشر هذه الصفحات فى مدرج الـكلية ، وعلى عينى طلبتها وطالباتها ... ليروا مدى برّك بها ، وميلك إليها ، وغيرتك عليها ؟!. ولم لا تغتنم هذه الفرصة فتضع أيديهم على أمور وأمور تعتقد أن من واجبك أن تنبه إليها ، وتتحدث عنها ؟! ...

وحديث ليلى يا سيدى ... حتى ليلى هذه كان لها فى خطابك نصيب ، وفى موضوعك حظ ... وفى أوراقك ذكر ... وكانت ليمينك يمين ... ولجيشك جناح ...

ولقد استطعت يا سيدى بما آتاك الله من طلاقة ووهبك من اندفاع وبما أفضت من روعة ونثرت من رياحين أن تهدئ ثورات وتسكن نفوساً ، وتسكت غاضبين . . . وأن تخرج من وسط الضجة الناقمة ، والصخب الثائر بالهتاف الذى ملأ الجو ، والتصفيق الذى كان يمثل نبضات القلوب الخافقة ...

وضمن لك هذا الأسلوب البارع ، وهذه القدرة الخطابية ، أن تمر بكثير من القضايا ... فتعرض على الناس طرفاً منها ووجهاً لها ؛ ثم تخلص منها إلى غيرها على أنها قضية مسلمة ، وحقيقة واقعة ... ولقد بلغت أ كثر من ذلك ... حين خضت طريقاً شائكا وعراً ... وقدت الناس فيه ، وخرجت منه مظفراً ... لم تدم لك قدم ، ولم يقف فى طريقك ما يقف فى طريق الناس من عقبات وحواجز ...

ولـكن ، أليس من حق الناس ، وقد ا كتسبت المعركة ، وظفرت بالنصر ، وا كتسحت الخصوم الأقوياء ، أن يقفوا عند هذه القضايا التى طويت عليها كتابك أمس ... فيتحدثوا عنها ، وقد هدأ الحماس الثائر ، وسكنت الأ كف المصفقة ، وتنفس الصبح عن الوضح المبين ؟ ! ...

* * *

نحن نحب أن نتساءل عن قولك: «إن أ كثر أهل الجنة من البُـله » . كيف استطعت أن تنجو منها من إخواننا الأزهريين الذين كانوا يملأون جنبات المدرج ؟ وكيف سكتوا عنها حتى لـكأنك لم تمر بها ؟ ... إن تعليلك طريف حقاً ... ولـكن هل ترضاه الآن بعد أن خرجت من ميدان المعركة ؟ !

وشيء آخر يا سيدى ... إنك تقول إن الأدب لا يزدهر فى البيئات الساكنة ، وإن رجال الدين ومن فى مثل منزلتهم لم يصدر عنهم أدب صحيح قيم ... فهل أنت مؤمن بهذه الدعوى المريضة ؟ ... وهل يستطيع أحد أن ينكر أن للبيئة الهادئة أدبها الهادئ الجميل ... وأن كثيرين من رجال الدين والمتدينين قد صاغوا من هذا الهدوء الذى نعموا به ، وهذه اللذاذات العقلية التى عاشوا فيها الوجدانيات من الأدب الرفيع ؟ !

وهل يغفل الإنسان عن الحقيقة الناصعة فى أن طائفة كبيرة من أدباء الشرق العربى فى الجيل الماضى وفى الجيل الحاضر هم من رجال الدين الذين قرأ لهم الناس الشعر ، وقرأوا لهم النثر ، وكانوا من عمد هذه النهضة الجديدة ؟ ! ...

أو ليس صحيحاً أن الأ كاديمية الفرنسية تضم فيما تضم بعضاً من رجال الأ كليروس ... أم أن ذلك كان بعد رجوع الدكتور من باريس ؟ ! ...

وماذا بعد ؟ إنى لأحاول أن أجوز إلى الناحية الثالثة التى استوقفتنى فى خطاب الدكتور لولا أنى أخشى أن أتهم بالعصبية أو الإقليمية أو الهوى . . . وإنما هواى مع مصر ، وعصبيتى لها . . . ولكن ما يمنعنا أن نكون أقرب إلى الدقة

وإلى الانصاف ؟! ... وهل يعاب الحق إن هو لم يساوق بعض الأهواء الجامحة ؟!

ما على إذن إن أنا وقفت عند كلة الدكتور : « إن مصر أقدر الأمم الإسلامية على التفكير الدقيق وعلى التأليف » وما علىَّ أن أتساءل ويتساءل معى كثيرون ، وأن نرجوا الدكتور أن يكون متئداً هادئاً ، لا يدل ولا يتيه فمصر زعيمة العالم العربى . وهى موطن أمله ، وموضع رجائه ، ومحط أمانيه ؛ وهى بلد رجاله ومنبت أبطاله ، ومبعث النور فيه ... ولكن هذا لا يمنى يا سيدى الدكتور ألا تكون الأقطار الإسلامية الأخرى قادرة على مثل هذه الدقة فى التفكير ، وهذه الكثرة فى التأليف ...

والذين هم فى مكان القيادة يا سيدى ، ليأخذوا بيد الضعيف ، ويمدوا فى قوة العاجز ، وينيروا السبيل للضال ... لا يعيبون على الضعيف ضعفه ، ولا يأخذون عليه عجزه ، لأن هذا لا يتسق مع تواضع النعمة ؛ وحق الأخوة ، وشكر الله ...

وفى الأقطار التى تعنيها يا سيدى نهضة وحركة ... وقدرة على (التفكير الدقيق) غير أن ألواناً من الجهاد تطغى على هذه النهضات ، وتكبت هذا النشاط ، وتفل هـذه القدرة ، وتحاول أن تطفىء شعل النور فيها ...

لقد كنت وقفت منذ حين أرد على الذين أعماهم الغرور فى لبنان وغير لبنان ، فادّعوا الدعاوى وتقوّلوا الأقاويل وحاولوا أن يغمزوا الأدب المصرى وأن ينالوا منه ، وأن يتعرضوا لطائفة كبيرة من الأدباء ... وأنا أجدنى اليوم مضطراً أن أقف مرة ثانية موقفاً لا يختلف فى حقيقته عن الموقف الأول ... فنحن فى الأقطار الإسلامية الأخرى نؤمن بكل هذه الجهود التى تبذلها مصر ؛ ونحن نكبر هذا النشاط الذى يتراءى فى أجوائها ساطعاً كالنور ؛ ونحن نغذى نهضتنا وأدبنا بكل ما ينطلق من قيثارة شعرائها ، وصفحات كتابها ؛ ونحن ننعم بهذا المطر الذى تنشره مع النسائم ، وهذا الألق الذى تشمه فى سموات الفكر ... ولكننا نريد ألا نُغفَل هذا الإغفال ، ولا نُهمل هذا الإهمال

إن زعامة مصر أمر لا شك فيه ... وليس ثمة من يناقش فى الأمور البديهية المسلّمة ؛ فلم نخرج بالأمور إلى مفاضلات ومقارنات لا تفيد فى تقرير رأى ، ولا تنفع فى الوصول إلى نتيجة ، ولا يكون من ورائها إلا اللغط ؟

وبعد ... فإن لك يا سيدى فى قلوبنا حرمة ، وفى نفوسنا منزلة ، ونحن نحاول هنا أن نحملك على أن تجلو هذا الذى استغلق على الناس ، ولقد متّعتهم بصفحة رائعة ؛ ووقفت منهم موقف الخطيب الموفق ... واهتزت لك أفئدة وتولاّك الإكبار من كل جانب ... وتهافتت عليك البطاقات معجبة راضية مغتبطة ، فتقبلتها باسماً ضاحكا مغتبطاً ... فهلاّ تقبلت معها هذه الكلمة ؟ ...

(القاهرة) شكرى فيصل

النسر المهيض

للأستاذ محمود الخفيف



بعد الهزيمة

حُلمُكَ القَيْصَرِيُّ كيفَ تقضَّى   أيُّها السَّاهِمُ المُلْقَى الهَوَانَا ؟
ضَاقَ عَنْكَ الفَضَاءُ طولاً وعَرْضا   وتَعَالَيْتَ لَسْتَ تَحْفِلُ بُغْضَا

لاَ ولاَ كُنْتَ أَمْسِ تحفِلُ حُبّا
لِبَنِي الطِّينِ ، أَوْ تَهَابُ الزَّمَانَا

كنتَ بالأمسِ الامبراطورَ تُدْعَى   بَعْدَ نَعْتٍ بالكُرْسِكِيِّ الصَّغِيرِ
تتَهَاوَى أَلْقَابُ مَجْدِكَ صَرْعَى   وتَرَى مَنْ وَالَوْكَ كَرْهاً وطَوْعَا

بَيْنَ رَاثٍ وَشَامِتٍ يَتَشَفَّى
فِي مَصِيرٍ مَا مِثْلُهُ مِنْ مَصِيرِ !

لمْ تَرَ الأرْضُ مثلَ عُقْباكَ عُقْبَى   هَلْ رَأَتْ مِثْلَ مَا بَلَغْتَ ارْتِقَاءَ ؟
نِلْتَ مَا نِلْتَ مِنْ زَمَانِكَ غَصْبَا   لمْ تَجِدْ فِي الحَيَاةِ سَهْلاً وَصَعْبَا

ثُمَّ حلَّقْتَ تَبْتَغِي غَيْرَ وَانِ
أيُّها النَّسْرُ ، أنْ تنالَ السَّمَاءَ !

قُضِيَ الأمْرُ! هلْ رَضِيتَ القَضَاءَ   أيُّها اللاَّعِبُ المَهِيضُ الجَنَاحِ !
كَيْفَ تَرْضَى وَمَا عَرَفْتَ الرِّضَاءَ   مَرَّةً أَمْسِ أَوْ عَدِمْتَ الرَّجَاءَ

أيُّها الوَاجِمُ العَبُوسُ تَلاَشَتْ
خُدَعُ الحُلْمِ فِي يَقِينِ الصَّبَاحِ

قَدْ تَزَيَّدْتَ فِي غُرُورِكَ حَتَّى   كِدْتَ تُنْمَى لِنَيِّرِ هذا الوُجُودِ !
وَتَأَنَّى مِنْ زُورِهِ مَا تَأَنَّى   فَتَغَابَيْتَ فِي مَوَاطِنَ شَتَّى

لَشَجَانِي بِرَغْمِ ذَلِكَ مَرْأَى
شَبَحِ الذُّلِّ فِي العُقَابِ الصَّيُودِ !

تَصِفُ العَيْنُ فِي مُحَيَّاكَ خَوْفَا   وابْتِئَاسًا وَذِلَّةً وَانْكِسَارَا
لاَ يُوَفِّيكَ غَيْرُ مَرْآكَ وَصْفَا   عُدْتَ كَالنَّاسِ بَلْ لَقَدْ زِدْتَ ضَعْفَا

لَيْتَ شِعْرِي يَا مَنْ هَزَمْتَ المنايا
كيفَ تَحيا؟ هل تستطيع اصطبارا ؟

بَهَرَ النَّاسَ فِي صُعُودِكَ بَرْقٌ   لمْ يَرَوْا فِي سَنَاهُ مِنْكَ العُيُوبَا
كلُّ إِفْنٍ أَرَدْتَهُ فَهْوَ حَقٌّ   وَتَحَدَّى الزَّمَانَ عِنْدَكَ سَبْقٌ

تُشْفِقُ العَيْنُ أنْ تَرَى الشَّمْسَ حَتَّى
تَتَرَاءَى لَهَا تُرِيدُ الغُرُوبَا

كَمْ تَرَى العَيْنُ فِي غُرُورِكَ نُمَّا   يَمْلأُ القَلْبَ مِنْ شَتِيتِ المَعَانِي
أنْتَ فِي الأرْضِ مِنْ بَنِي الأرْضِ مَهْمَا   مَلأَتْكَ الحَيَاةُ وَهْمًا وَعَزْمَا !

عَبْقَرِيَّ الحُرُوبِ ، كَمْ كُنْتَ تَبْدُو
أَمْسِ كَالطِّفْلِ أَطْمَعَتْهُ الأَمَانِي !

رُحْتَ كَالطِّفْلِ لاعِبًا بالعُرُوشِ   لَعِبًا حَارَ جُنْدُ عَرْشِكَ فِيهِ !
النَّجِيعُ الصَّبِيبُ أَبْهَى النُّقُوشِ   والدُّمَى مِنْ أَسِرَّةٍ وَنُعُوشِ

كُرَةُ الأَرْضِ بَيْنَ رِجْلَيْكَ حَيْرَى
وَالمَنَايَا تَجْرِي بِمَا تَشْتَهِيهِ

وَيْكَ! قَدْ كُنْتَ كَالشِّهَابِ التِمَاعَا   وَسَنَاءً وَرَوْعَةً وَانْطِلاَقَا
كُلَّمَا زَادَ فِي السَّمَاءِ ارْتِفَاعَا   وَتَبَدَّى لِلْعَيْنِ أَبْهَى شُعَاعَا

وَمَضَى يَخْطَفُ العُيُونَ سَنَاهُ
لمْ يَزِدْهُ المَضَاءُ إِلاَّ احْتِرَاقَا

إعصــــــار

للأستاذ أمجد الطرابلسى

هذى الليالى السودْ كيف أُقضِّيها ؟
أشدو وهل فى العودْ من وَتَر مشدودْ ؟
والـكأس . . . هل فيها ؟

الريحُ ، نجواها تنشـدها الآفاقْ
والليـلُ ، أوّاها ، قد ذاب أمواهاً
تهوى من الأعماقْ . . .

وتلك أبــوابى يلطمها الإعصارْ . . .
أطيافَ أحبابى ! أشباحَ أوْصابى !
كيف عرفتِ الدار ؟

يا ذِكَرَ الغابرْ بِينى كما بانا . . .
لا تقلقى السادرْ فى وَحشةِ الحاضرْ
دعِيــه مَهمانا . . .

. . . .

هذى الليالى السُّودْ كيف أُقضِّيها ؟
أشدو وهل فى العودْ من وَتَر مشدودْ ؟
والـكأس . . . هل فيها ؟

(باريس) أمجد الطرابلسى

أشبهتْ مُلكَكَ الفقاقيعُ مَعْنًى وبِناء وَبَسْطَةً وَفنــاء
بهْرَجُ المجدِ كان زُورًا وَإِفْنًا وَبَريقاً يكسُو الفقاقيعَ حُسْنًا
وَهْيَ مِثْلُ الهواء أوْ هِيَ أوْهَى
وَهْيَ كالبَرْقِ وَمْضَةً وَانطِفاء !

الخفيف

تحت الليــــل

للأستاذ محمود محمد شاكر

أهيمُ .. وقلبِي هائمٌ .. وَحُشاشَتِي تهيمُ .. فهلْ يبقَى الشَّقِيُّ المبعْثَرُ ؟
وهلْ يهتَدِي غاوٍ أضاعَ حياتَهُ بحيثُ يضِيعُ الطامحُ المتَجَبِّرُ ؟
وهلْ تسكنُ الدُّنياوَيسكنُ صَرفُها ويسكنُ هذا النَّابضُ المتَفجِّرُ ؟
وهلْ تُطفِئُ الأيامُ نيرانَ ظُلْمِهَا وَتطفأُ نارٌ في دَمِي تَتَسعَّرُ ؟

لئِنْ أَبْقَتِ الآمالُ مِنِّي ، لَطالما تقَلَّبْتُ فى آلامِها أَتَصَوَّرُ
تنازَعنِي من كلِّ وَجْهٍ بساحِرٍ يُمَثِّـلُ لى إقبالَهَا وَيُصَوِّرُ
فيَهْوِي لهابعضِي وَبَعْضِي مُوثَقٌ بأشواقِهِ الأُخرى إلى حيثُ يَنظرُ
أضاليلُ من سِحْرِ الحياةِ وَفِتْنَةٌ تهَاوَى إليها مُستهامٌ مُسَحَّرُ

أبَى القلبُ إلاَّ أَنْ يَرَاها قريبةً كأَنَّ رضاها مُزْنَةٌ تَتَحَدَّرُ
يَرِفُّ شبابُ القلبِ فى قَسَماتِها تكادُ تراهُ ضاحكاً يَتَحَيَّرُ
تُضِيء ليالِي هَمِّـهِ بخَيالِها كما سَلَّ همَّ اللَّيْلِ نجمٌ مُنوَّرُ
وهيهاتَ ! ضَلَّ القلبُ إنَّ بقاءها بَقاءُ ربيعِ الزَّهْرِ أوهُوَ أَقْصَرُ

سَرَتْ فِي دَمٍ يَغْلِي كأَنَّ اندِفاقَهُ مِنَ القلبِ ينبُوعٌ منَ الوجْدِ يُسْجَر
تمرُّ به الأفكارُ وَهْيَ نَدِيَّةٌ فما هِيَ إلاَّ جَمْرَةٌ تَتَدَهْوَرُ
إذاسكَنتْ فى اللَّيْلِ كلُّ خَفِيَّةٍ سمِعتُ صَليلا فى دَمِي يتحدَّرُ
فهَلْ ترحمُ الأيامُ أو تهدأُ المُنَى؟ أبَى حُبُّهَا إلاَّ شقَاءً يُدَمِّرُ

محمود محمد شاكر



تأملات في الفن :

مدرســـة الاحساس

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— لا تنهري القطة بهذه القسوة . كوني صاحبة إحساس وكوني ذات رحمة

— أرحمة بلصة تسرق طعامي ؟

— ليس مكتوباً عليه بلغة تقرأها هي أنه طعامك ، وإنما هو عندها رزق يسره الله

— ولكنها كانت تدب إليه مشفقة حريصة محاذرة متنبهة متلفتة يمنة ويسرة كاللص الذي يدرك حين يعتزم السرقة أنه يعتزم المنكر

— هي معذورة فقد تعلمت هذا التلصص منا ؛ فهي لا ترانا نفترس ما نأكل وإنما ترانا نربي الحيوان والطير ثم ندب إلى فريستنا منهما دبة اللص فنختلس حياته اختلاساً لا يسبقه صراع ، ولا يسبقه إنذار ... ولم يكن القط هكذا إلا منذ استأنس ، وقبل ذلك كان يفترس ، أو يأكل مما يخلفه كبار السباع

— وهل في القط ذكاء يدرك به هذا كله ؟...

— إن الأمر لا يحتاج إلى ذكاء ، وإنما هو يحتاج إلى إحساس . ألست تدخلين على جماعة من الناس فتعرفين إذا كانوا على حزن أو على فرح ، أو على صدق أو على غش ؟!

— قد أعرف ذلك مما أرى في وجوههم من أثره ...

— ومن الناس من يعرف وهو مطرق إلى الأرض ، ومن الناس من يعرف وهو مغمض العينين والأذنين ، ومن الناس من يعرف وهو على البعد لا يتمكن من نظر ولا سمع

— باللاسلكي ؟!

— نعم ؛ ففي قلب كل مؤمن جهاز يدله ، ومن هذه الأجهزة طويل الموجة ، ومنها قصير الموجة ، ومنها ما هو متصل بتيار لا ينقطع ، ومنها ما يعبأ (ببطاريات) تفرغ وتملأ ، ومنها ما يستقبل القريب فقط ، ومنها ما يستشف المحطات البعيدة ... وهكذا ، فالكون كله إذاعات واستقبالات جلت على ماركوني وإن سلست للأستاذ حسن كامل

— هذا العجوز الذي ظهر سكيراً في فيلم العزيمة ؟ إنه ممثل ممتلىء حقاً ولكني لم أكن أحسب أنه يعلم ما لا يعلمه ماركوني ...

— ويعلم ما لم يكن يعلمه فرويد كذلك

— ما شاء الله ! لعله اخترع آلتين تتزاوجان وتنجبان البنات من الآلات والصبيان !

— بل تمكن من إيجاد إنسان يعيش من غير غريزة فرويد فيستطيع أن يتحادث مع الطير والحيوان

— على طريقة سيدنا سليمان ؟

— إذا لم تكن هناك إلا طريقة سليمان فهو إذن على طريقة سليمان . وهو إذن يعيش بين دجاجه وأرانبه وإوزه وكلابه ومعيزه ملكاً مدبراً حكيماً لا يعيبه إلا أنه يأكل رعاياه

— وكنت تريد ألا يأكل منها

— ربما كان هذا أحلى ؛ ولكن الذي يصنعه على أي حال حلال ؛ فلا ريب أنه للانسان على ما هو دونه ومن في حماه حق الرعاية بالحكمة وله أن يتقاضاه روحاً وحياة

— أنت تجمل الذي بيننا وبين الحيوان عشرة أظن لها عندك قوانين وأصولاً

— الطبيعة فرضت هذه القوانين والأصول ، وقد كان القدماء شديدي الاعتراف بها ، ولا يزال الفلاحون يحترمون هذه القوانين والأصول فيما بينهم وبين ما ينفعهم من الطير والحيوان ، وإن كنا نحن في المدن قد أنكرنا هذه القوانين إنكاراً استدعى أن تقوم فينا جمعيات للرفق بالحيوان تصيح في آذاننا تطلب له رحمة كان يجب علينا أن نحسها من تلقاء أنفسنا لولا أننا قد تحجرت نفوسنا وتخشبت من شدة إقبالنا على عشرة الحديد والحجر والخشب ... فلم يعد أحد منا يعطف على حيوانه عطفه على ولده الذي في عنقه

— هذا الذى تطلبه كثير ، وهو ليس من الطبيعة فى شىء

— لو لم يكن من الطبيعة لذبح إبراهيم ولده

فلو أنك كنت تشعرين بالحياة حولك، لكنت تبادلت الحس مع الحيوان ... ولكنت أدركت الحق فيما أقول ... ولكن كيف أطلب منك الإحساس بالحيوان وأنت منصرفة حتى عن الإحساس بالناس، وحتى عن الإحساس بنفسك ...

— حتى نفسى ترميني بإغفالها والبعد عنها ؟ ...

— ولست وحدك هكذا، وإنما أغلب أهل هذا العصر هكذا وأكثرهم تردياً فيه أهل المدن ، وأكثر أهل المدن تردياً فيه وانطماساً أولئك الذين يتعلمون فى المدارس ، وأكثر المتعلمين تخبطاً فيه وانطماساً أبناء معاهد الفن فى مصر ، فهؤلاء يستعرضون صوراً مختلفة للحس ، ولكنهم لا يقفون عند واحدة منها وقفة التأمل والتذوق ، وإنما هم يحصونها عداً ويحسبون هذا الإحصاء علماً ، فيخرجون به إلى الدنيا ونفوسهم مشوشة مختلطة حائرة ... ومع هذا كله ، فمغرورة متكبرة ...

— وهذا فى مصر وحدها أو فى العالم كله ؟

— أظنه فى مصر وحدها ... فهم فى الغرب إذا كفروا لم يكفروا حتى يؤمنوا بكفرهم ، ونحن هنا ننتظر حتى يكفروا فنجرى وراءهم ، فإذا آمنوا آمنا ، فإذا كفروا كفرنا ونفوسنا فارغة لا يعمرها إيمان ولا كفر ...

— وهل يعمر الكفر النفوس ؟ ...

— إذا كان كفراً خالصاً لوجه الحق كذلك الكفر الذى شاع فى أوربا فى القرن الماضى وفى سوابقه ، إذ تفتحت عيون عشاق الحق هناك على أباطيل رأوا أهل الدين يستمسكون بها ، فقالوا لهم تعالوا ندع هذه الأباطيل ونحرر أنفسنا ونفكر بعقولنا، فقال لهم أهل الدين: ليست لنا عقول إذا ردتنا المعقول عما وجدنا عليه آباءنا ، وإنه لدين آمنا به ولن نحول عنه ، فقالوا لأهل ذلك الدين : فليكن إذن لكم دينكم وليكن لنا ديننا ، ثم قالوا للناس جميعاً : إنما نحن نسمى إلى الحق بعلومنا وعقولنا ، وليس لنا شأن بأخصامنا ، ولسنا ندعو الناس إلى جنة أو نار ، فالجنة والنار حديثهم ، وإنما نحن نقول إن عباد الشمس الأزرق يحمر إذا أضيف إلى حمض ، كما نقول إن الهيدروجين أخف من الأكسجين وثاني أكسيد الكربون ، وإن الأرض مجذوبة إلى الشمس ، وإن الشمس تسبح فى الفضاء وإن وإن... وليستمع لنا من يريد وليستمع لهم أيضاً ، فإذا شاء أن يودع عقله بين أيديهم فليستغن عن عقله وهو عندهم حتى إذا جاءنا استحضره ... هذه حال حدثت فى أوربا ، ولأنها حدثت فى أوربا فقد أحدثنا مثلها قولاً فى كلية الآداب عندنا وقلنا إن العلم شىء وإن الدين شىء ، مع أن ديننا هو العلم نفسه ، وهو العقل نفسه ، ولم يحدث أن احتضن يوماً خرافة ، أو أظل باطلاً ... وإن كان بعض أصحاب الغرض قد رشقوا فى حواشيه بعض ما ينافيه ، مما هو ظاهر للعين زيفه وغرابته عن سلامة الفطرة وحكمة الحق ... وقال الغرب يوماً إننا لن نؤمن بشىء حتى نبدأ بالشك فيه ونمضى بعد ذلك إلى نهايته حتى نصل إلى حقيقة أمره ، فنراها فنؤمن عندئذ بها ، ولم يقل الغرب هذا إلا من ثقل ما كان يراد به أن يحشره فى إيمانه من أوهام ، وأكاذيب ... فقلنا نحن أيضاً مثلما قال الغرب: لن نؤمن بشىء حتى نشك فيه أولاً وبدأنا نشك فى أغلى تراثنا حتى لقد شككنا فى قصة إبراهيم يوماً

— وهل أثبت التاريخ قصة إبراهيم ؟ العلم لا يرضى إلا بالإثبات العلمى ، وللإثبات العلمى شروط

— وهل أثبت التاريخ أن الأرض كانت جزءاً من الشمس إثباتاً علمياً بالشروط إياها ؟ وهل يستطيع التاريخ أن يثبت كل حقائق الوجود ؟ إذا كان الأمر كذلك فقولى لى كيف يثبت التاريخ أن هانيبال كان يتنفس مثلما تتنفس نحن مع أن هذا شىء لم يرد فى وثيقة تاريخية واحدة مستوفاة لشروط التحقق والتحقيق التى تطلبينها ! بل إنه لم يرد فى وثيقة أصلاً ! أفتستطيعين أن تشكى فى أن هانيبال وأباه كانا يتنفسان لأنه لا وثائق تثبت ذلك ؟ أفإذا ضاعت منك شهادة ميلادك ظننت أنك ربما تكونين قد انعدمت لأنه لا ورقة رسمية معك تعترف بك ؟ حتى لو حلف الناس بوجودك وشهد أهل بلدك بنسبك ؟

فتذوق العلم ... وتذوق الأدب ... وتذوق الفن ... وتذوق الحياة ... عيشى على مهل ، تفرسى فى كل شىء ... أيقظى إحساسك ، ولا تقفزى بعقلك إلا بعد أن يرتاح إحساسك إلى ما أنت فيه ... فلو فعلت أنت هذا ، ولو فعله الناس جميعاً ، ولو فعله أهل الغرب على الخصوص ، لخفت كوارث البشرية ولهان من مصائبها الكثير ... أفلو تريث أولئك الذين يخترعون الغازات السامة والقنابل والبلاوى الزرق الفتاكة بالناس ، وحاسبوا عقولهم بضمائرهم واستشعروا ما تجره اختراعاتهم على إخوانهم من ويلات ...



الأسماك العجيبة

للأستاذ أحمد على الشحات

تحدثنا فى مقال سابق عن بعض الأسماك التى تجلت فيها غريزة الحنان ، فدفعتها إلى القيام بالمحافظة على بيضها والصغار التى تخرج منه ، وألمنا ببعض الطرق الطريفة التى تقوم بها هذه الأسماك فى سبيل حماية نسلها . وسنرى فى حديث اليوم كيف أن تلك الغريزة تدفع بعض الأسماك إلى القيام ببناء مأوى لصغارها يقيها شر هجمات عدو يفترسها ، حتى يستقيم عودها وتستطيع أن تذود عن نفسها . وأشهر هذه الأسماك هى المسماة : « ذات الأشواك الظهرية » ؛ ففى النوع ذى ثلاث الشوكات على الظهر ، يتجلى نشاط الذكر فى الربيع والصيف بأن يقوم ببناء عش على أرض عمقها قليل ، والمواد المستعملة فى بنائه هى النباتات المائية ، والحشائش والقش وغيرها ؛ ويشد بعضها إلى بعض بمادة مخاطية يفرزها الذكر ، ولهذا العش فتحات جانبية ؛ فإذا انتهى من بنائه أخذ يبحث عن أنثى يدعوها لتضع بيضاً فى هذا العش ، فإن لم تخضع ، أخذ يطاردها بعنف إلى أن تذعن لأمره . وقد يحدث أنها لا تضع من البيض الكمية التى يقنع الذكر بها ، عندئذ يبحث عن أنثى أخرى لتزيد كمية البيض ، ويقوم بتنظيم وضع البيض فى العش ، ويخفره ومحتوياته الثمينة ليل نهار . وإذا اقترب غريب منه أثخنه بالجروح بفعل أشواكه ليحمى عشه ، حتى إذا كبرت صغار السمك هدم الأب الجزء الأعلى من العش ، واستطاعت الصغار أن تنطلق فى الماء تسعى لرزقها


سمكة الجنة وعشها العائم

ولعل أطرف عش يبنى هذا الذى تعمله سمكة الجنة التى تعيش فى الصين ، وليس هذا العش إلا فقاعات هوائية يخرجها الذكر من فمه ويتماسك بعضها ببعض بمادة لزجة ، فإذا تم بناء هذا العش العجيب العائم على سطح الماء أخذ الذكر يبحث عن أنثى ، فإذا ما وفق ابتدأت تضع البيض واحدة واحدة يلتقطها الذكر بفمه

أكانوا يبرزونها للناس كالحمى المجنونة ، حملها من الجحيم شيطان أثيم ... لو أن هؤلاء العلماء العقلاء تريثوا ، وحادثوا أنفسهم لما أطلقوا الخراب من مكامنه عاصفاً يلهف البرىء وغير البرىء ... ولكنهم علماء مثلما تريدين أنت أن تكونى عالمة

— وأى شبه بينى وبين هؤلاء ؟

— هؤلاء يجمعون من الحقائق ما يقتل الناس ، وأنت تجمعين من الحقائق ما يقعد على الإحساس ، وهؤلاء لو أنهم استغنوا عن استغلال حقائقهم لوفروا على الناس هلاكاً لا غناء فيه ، وأنت لو أنك استغنيت عن حقائقك التاريخية لوفرت على نفسك هلاكاً لا غناء فيه كذلك ...

— وهل أنا هالكة ؟

— وأى هالكة يا من لا تمنيك فى قصة إبراهيم إلا أن تعرفى إذا كانت قد حدثت أو إذا لم تكن ، ولم تحاولى أن تتذوقيها ... مسكينة أنت ... ما أحوج أمثالك إلى أن تنشأ لهم مدرسة للاحساس !

عزيز أحمد فهمى

ويرفعها إلى العش ، ويلتصق هذا البيض بالمادة اللزجة . ولما كانت الأنثى شرهة تأكل بيضها إن لم يحمه الذكر ، فإنه يتولى المحافظة عليه حتى يفقس ، ويظل لمدة أسابيع أخرى يرعى صغاره خشية أن تنقض الأم عليها وتأكل أولادها

وفى أحد أجناس الأسماك الغضروفية المسمى Lamprey — وهى كلمة تشتق من لفظين Lambère بمعنى يلتصق ، Petra بمعنى صخر ، وسمى بذلك لأنه يلتصق بالصخور بوساطة فمه — يتعاون الأبوان فى عمل جحر صغير حيث تضع الأم البيض ، ثم يحركان الأحجار المحيطة به فينتج عن ذلك أن ينهار سيل من الرمال يغطى الجحر فيصبح محجوباً عن أعين الأحياء المائية الأخرى التى تبحث عن غذاء لها

وهناك أسماك فى كاليفورنيا تحمى بيضها بدفنه فى رمال الشاطئ حين يجرفها المد إليه ، ويبقى هذا البيض جافاً وبعيداً عن الماء لمدة تناهز أسبوعين حين يغمر الماء الشاطئ ثانية فتكشف المياه عن البيض الذى تنطلق منه الصغار آئذ إلى الشاطئ

الأسماك الذهبية

وهى أسماك قد حبتها الطبيعة لوناً جميلاً وذكاء تستطيع به أن تقوم ببعض الألعاب المسلية ، ولذا فإنه يحتفظ بها فى أحواض للزينة ، وعلى الهاوين أن يتعهدوا هذه الأسماك بتربية أجمل الأفراد منها بعضها مع بعض حتى ينتج نسل ذو لون زاه ، وإلا فإن الأجيال الناتجة تفقد تدريجياً بهاء الألوان التى كانت لسلفها ، وقد حدث هذا فعلاً عند ما وفد على أوربا ممثلو إحدى الجزائر الواقعة فى المحيط الهادى ، وأعجبوا بهذه الأسماك فحملوا حين قفلوا راجعين إلى بلادهم الآلاف من هذه الأسماك وأطلقوها فى أنهارهم . ولما أن كانت محاربة الطبيعة لا تجدى نفعاً بل تنتج ضرراً ، كما حدث مثلاً حين نقل الإنسان الأرانب إلى استراليا ، فإنها زادت وتنتذ زيادة بليغة فانطلقت تبحث عن غذاء لها فلم تبق على أخضر هناك رغم ما قامت به الحكومة من مجهودات للقضاء على هذا الحيوان . فكذلك هذه الأسماك حين نقلها أهل الجزيرة إلى بلادهم ، فمع أنها فقدت بهاء ألوانها لأنه لم يعن بتربية أزهى الأفراد لوناً مجتمعة فإنها قضت على النوع الوحيد من السمك الذى كان يعيش فى مياه تلك الجزيرة والذى كان يعتمد الأهالى عليه فى غذائهم



مجموعة من الأسماك الذهبية

وليست هذه الأسماك بالذهبية اللون دائماً فقد يكون بعضها فضياً أو أحمر ، وقد تكون الزعنفة الظهرية عالية وتقوم بمهمة قلاع المركب حين تسبح السمكة . ولبعض هذه الأسماك عيون محمولة على نتوءات بارزة من الرأس ، وتسمى بذات الأعين التلسكوبية ، ولا تظهر هذه النتوءات إلا بعد أشهر من عمر السمكة

وتستطيع هذه الأسماك أن تعيش خارج المياه لمدة محدودة ، فقد وضع العلامة « فرنك بكلاند » بعضها وسط حشائش رطبة وأحاطها بقطعة من سجاد ، فظلت محتفظة بنشاطها مدى أربع وعشرين ساعة . ويراعى أن تزود هذه الأسماك فى أحواض تربيتها بمقدار وافر من الماء ، ويتكون غذاؤها من قطع صغيرة من لحم الثيران ودود الأرض ويرقات الناموس وبيض النمل

ومن الميسور تدريب هذه الأسماك على القيام ببعض الألعاب

السلية ، كدقها ناقوساً إذا كانت فى حاجة إلى الطعام . وكيفية ذلك أن يربط ناقوس بقطعة من مادة تطفو كالفلين ، ويتدلى خيط إلى قاع الحوض الذى به السمكة ، وتتصل بهـذا الجهاز الصغير كأس بها الغذاء الذى يقـدم للسمكة ، فإذا ما جاءت شدت الخيط إلى أسفل فيدق الناقوس وتنقلب الـكأس فتنزل إليها محتوياتها

ويمكن تمييز الذكر عن الأنثى فى دور التناسل بخشونة جسمه فى منطقة الخياشيم لوجود بروزات صغيرة لا توجد فى جسم الأنثى وتستطيع الأنثى أن تضع سبعين ألف بويضة ، إلا أنها عادة تضع أقل من ذلك ، فحين تكون فى الثانية من عمرها تضع ألفى بويضة وكلما تقدم بها العمر تضع مقداراً أكبر ، ففى الثالثة مثلاً تضع خمسة وعشرين ألف بويضة تقريباً ، والأنثى فى هذه الأسماك شرهة جداً حتى أنها لا ترحم صغارها بل تلتهمها ، ولذا يجب فى أحواض التربية فصل الكبير منها عن الصغير

الأسماك العمياء

هناك أسماك قد حرمت نعمة البصر إلا أنها تروح وتغدو تبحث عن غذائها بنفسها ، وقد يكون عجيباً أن تستطيع سمكة ضريرة أن تبحث عن غذائها بنفسها ، وأن تحافظ على حياتها

سمكة عميـاء

فى وسط حيوانات ينقض أحدها على الآخر تلتهمها غذاء لها . إلا أنا نعلم أن رحمة الله قد وسعت كل شيء ، فالإنسان الضرير مثلاً قد منح غالباً قوة فى استراق السمع وفى حاسة اللمس ، فكذلك هذه الأسماك قد زودت بحساسية فى السمع وبأعضاء لمس حساسة . وقد يكون فقد البصر فيها كلياً فلا توجد عيون لها ألبتة ، وقد توجد فى بعضها بحالة أثرية ، حتى أنها تكون عديمة الفائدة كعضو إبصار . وتجريدمثل هذه الأسماك من العيون لا يلحق بها أذى لأنها تعيش فى ظلام دامس. فلو فرض أن كانت لها عيون لما استطاعت الإبصار فى هذا الجو المظلم. والظلام هنا مرجعه إلى العمق البعيد عن سطح الماء حتى أن الأشعة الضوئية لا تستطيع اختراق هذه المسافة الطويلة إلا أنه لا يتحتم أن تكون جميع الأسماك التى فى قاع البحار عمياء لأن هناك ضوءاً ينبعث فى قاع البحار ليس مرجعه إلى الأشعة الضوئية التى تخترق الطبقات العليا ، وإنما مرجعه إلى إشعاعات فسفورية تنبعث تقريباً من كل الـكائنات التى تعيش فى قاع البحر ولا توجد هذه الإشعاعات فى المياه العذبة

وتتناول هـذه الأسماك غذاءها مما يعلق بسطح الماء ، ولذا تحور شكل الفم فأصبحت فتحته تقرب من السطح العلوى ، وقد يستطيع الإنسان أن يمسك سمكة منها بيده حين تصعد إلى سطح الماء إذا لم يحدث أدنى صوت ، وإلا فإنها قادرة أن تشعر بأقل حركة وعندئذ تختفى سريعاً .

أحمد على الشحات
كيميائي بمعمل السكة الحديد



قصة واقعية

حقيبة الذكريات

للأستاذ محمد سعيد العريان

في حارة « قصر الشوق » من حيّ الجمالية بالقاهرة ، وإلى الشمال الغربي من مسجد « أبي عبد الله الحسين » حيث لا تزال القاهرة التي بناها المعز لدين الله قائمة في هذه القباب والمآذن ، وتلك الدُّروب والسارب ، وهذه الدُّور الرحيبة المتقادمة التي تفضى إليها من باب إلى باب إلى أبواب ...

... هناك ، حيث التاريخُ الغابر ما يزال حيًّا ناطقاً في كل ما تقع عليه العين من مشاهد وآثار وناس ؛ كأنما اجتمع تاريخ مصر الإسلامية كله في زمان ومكان ، فلا يزال النظر ينتقل من منظر إلى منظر يذكّر بالماضي كمهده يوم كان ، من جيل إلى جيل إلى أجيال ...

... هناك ، حيث لا تزال ترى وتنظر ألواناً من الناس في سمات وأزياء وملامح ، كأنما تشهد بقايا من سِلائل الفاطميين وأبناء المماليك وجند السلطان سليم ...

... هناك في هذا الحي نشأ « توفيق » ...

تراه ، فلولا طربوشه الأحمر ولسانه العربي لحسبتَه واحداً من أولئك السياح الأجانب الذين يفـدون إلى بلادنا كل شتاء للدرس أو للرياضة . أما أبوه فله في الحيّ جاه واعتبار ، وإن له ميراثاً من تاريخ هذا الحي العريق يمتد إلى أجيال ، منذ دخلت مصر جيوش السلطان سليم . وأما أمه فنازحة من دمياط ، فلعلها بقية من سلالة بني أيوب . وأما هو فإنه ابن أمه وأبيه ...

ونشأ نشأة أهله على صلاح وتقوى ودين ؛ لا يعرف له طريقاً إلا إلى المدرسة أو المسجد ، فلم يعبثْ به الهوى مرة ولم يَفْتِرْه الشباب ...

وأتم في التعليم مرحلتين ، فأراد أبوه أن يلحقه بالجامعة ، ولكن ميراثاً في دمه كان يزين له ركوب البحر ؛ فسافر إلى انجلترا ليدرس فنون الملاحة ويتهيأ لما أراد ...

***

وانتقل توفيق من جو إلى جوّ : من حي الجمالية في ظلال القباب والمساجد وأضرحة الأولياء ؛ إلى دنيا الهوى ومسارح اللهو وملاعب الجمال ... ورأى ، وسمع ، وعرف ...

ونظرت إليه جارته الحسناء ، فما كان إلا نظرة وجوابها حتى كانا ذراعاً إلى ذراع ...

وعاد توفيق إلى غرفته في الفندق وقد أوشك الصبح ، وإنه من صاحبته على ميعاد ؛ وكأنما كان في حلم فاستيقظ ؛ فلم يأو إلى فراشه إلا بعد ما أخرج دفتره ليكتب في مذكراته . إنها لحادثة جديرة بأن يذكرها في تاريخه — ثم أغمض عينيه ونام ...

وعرف توفيق منـذ اليوم أن في الحياة أشياء غير ما كان يعرف ! ... ...

وكان في طريقه إلى صاحبته ذات مساء ، حين اعترضتْ سبيله فتاة ؛ ونظر ونظرت ، ثم كان تاريخ ، وذاق توفيق لوناً جديداً من ألوان الحب !

وعاد إلى غرفته ليكتب في مذكراته ، وطوى صحيفة وبسط أخرى ، وكتب ...

وخلع توفيق وقاره وألقى بنفسه في تيار الحياة ؛ وتتابعت حوادثه في فصول وأبواب ، وامتلأت حقيبته صوراً وذكريات ...

***

وتجرّد توفيق من ماضيه ، فلم يبق في ذكراه من صورة الأمس إلا رسوم حائلة يكاد يبليها النسيان ؛ ولكن شيئين اثنين لم يغفلهما توفيق : دروس الملاحة التي هجر من أجلها وطنه وأهله ، ومذكراته التي يثبت فيها مغامراته في الحب كل ليلة قبل أن ينام !

وانتهى توفيق من دروسه ؛ فالتحق بشركة كبيرة من شركات الملاحة الإنجليزية التي تجول في البحار بين سواحل القارات الخمس ؛ وركب ظهر البحر يتنقل بين البلاد ، وفي يده « حقيبة الذكريات » يثبت فيها فصلاً من مغامراته كلما هبط ميناء من الموانى . لم ينس واجبه قطّ في ليلة من ليالى الأرض أو ليلة من ليالى الماء ...

لكأنما كان يجوب البحار على هذه السابحة لغاية واحدة ، هى أن يذوق الحب فى كل ميناء تُرسى فيه السفينة فيكتب ويصف . . . !

وذاق الحب فى كل ألوانه ، إلا اللونَ الواحد الذى يكون معه الدمع !

لقد كان يخلع حبه دائماً فى الظلام قبل أن يفارق الغرفةَ المسدَلةَ الستائر ويغلقَ البابَ وراءه ؛ فإذا عاد إلى غرفته من الفندق أو من السفينة بسط أوراقه وكتب ؛ وتنتهى قصة حب ؛ فلا يبقى منها إلا سطور مكتوبة !

ومضى توفيق على وجهه ، والشر يغرى بالشر . . . !

* * *

. . . واجتازت السفينة مضيق جبل طارق فى طريقها إلى الشرق ، وأسرَّ إليه صاحبه « ماجدو » حديثاً فابتسم ؛ ومضت السفينة بهما تمخر عباب الماء ، واجتازت الدردنيل إلى البحر الأسود ، لترسى فى ميناء « كوستازا » على ساحل رومانيا ، بلاد الجمال والحب

وهبط توفيق وصديقه إلى البر ، وراحا يضربان فى المدينة ليذوقا الحب . . . الحب الذى ينتهى فى الظلام ، فى غرفة مسدلة الستائر مغلَّقة الأبواب !

وقال ماجدو : إن فى هذا المتجر يا صديقى فتيات للحب . . . لقد أخبرنى صديقٌ زار « كوستازا » من قبل . . . !

ودخل الصديقان المتجر وراحا ينظران ، ووقف « ماجدو » يتحدث إلى بائعة المناديل وذهب توفيق إلى جارتها ؛ ونظر إليها ونظرتْ إليه ، وتحدثت عينان إلى عينين ؛ وقالت الفتاة بصوت مُطرب : هل يريد سيدى . . . ؟

ولكن توفيق لم يكن يريد شيئاً غيرها . . .

لقد ذاق توفيق من الحب ألواناً وفنوناً ، ولكنه لم ير من قبل مثل هذا الفن وهذا الجمال !

لكأنما كان يتنقل فى البحار من شرق الأرض إلى غربها ليدرك موعداً واعده القدر فى هذا المكان !

وإن صوتها لينفذ فى أعماقه وله رجع بعيد كأنما كانت تهتف به من وراء البحار : إلىَّ يا حبيبى إلىَّ فإنى أنتظرك منذ أزمان !

وأحس لأول مرة أنه وأنها . . . وأحست ، وتواعدا على اللقاء !

والتقيا على موعدهما ، وجلسا يتحدثان ، وقال وقالت ، وعرفت أن صاحبها مصرى ، فصاحت فرحانة : مصرى ! ما أجمل هذا ! إن بيننا نسباً يا صديقى . إن أبى من تركيا ، أعنى جدِّى . إننى لست رومانية خالصة ، ومع ذلك . . .

وسكتت « مارتزا » فلم تتم . لقد رأت فى عينى صاحبها نظرة زعمت أنها تفهم معناها

وأحس توفيق إحساساً جديداً منذ الساعة . إنه ليشعر كأنما يتحدث إليه القدرُ بلسان هذه الفتاة حديثاً لا يكاد يبيه . . .

وتناول يدها بين راحتيه ، ومال عليها فقبَّلها ، واغرورقت عينـاه !

لقد جلس توفيق مثل هذا المجلس من قبل مرات ومرات ؛ ولكنه لم يكن فى مرة منها فى مثل حاله الليلة

هذه فتاة لم يعرفها إلا منـذ ساعات ، دعاها إلى خلوة لِلهو والشراب فما تأبَّت — ماله يُحسّ فى مجلسها هذا الإحساسَ الغامض حتى لا يكاد ينظر إليها نظرةَ رجل إلى امرأة ! وما باله يشعر فى مجلسه منها كأنه قد ارتفع عن بشريته حتى ليستشعر الندم لأنه دعاها إلى هذا المجلس من مجالس اللهو الحرام !

وشعر كأن روحاً خفيًّا يهمس فى نفسه ، وشعاعاً لطيفاً من نور الله ينفذ إلى قلبه ؛ فكأنما قام بينهما حجاب من الوهم يمنعه أن ينفذ إليها ويمنعها

وأطاف به طائف فأطرق ، ثم رفع إليها عينيه ونظر . . . وامحتْ فيه كلُّ معانى (الجنس) لتحل فيه معانى (الإنسان)

. . . وفاء إلى نفسه بعد برهة فسخر من نفسه ، وراح يقاوم هذا الطارئَ الجديد فى قلبه ويسكب فى كأسها وفى كأسه ؛ وأخذا يشربان ! . . . وانتصف الليل وصحبتْه الفتاة إلى غرفته . . . فإنها لتعرف أن عليها لِصديقها حقاً ينبغى أن تتهيأ له ؛ فما يَدْعوها مثلَه من روّاد البحار إلا لمثل ذلك . . . !

. . . ولكنه . . . ولكنه فى تلك الليلة كان غيرَ من كان ، ونام ونامت كما يقتسم الأَخوان الفراش ! . . .

ولما قام ليودِّعها فى الصباح إلى الباب ، كانت مطرقة برأسها إلى الأرض وفى عينيها دموع !

وتلاقيا من بعد مرات ، ودَعتْه إلى زيارة أهلها فلبَّى ، وتوثقت بينهما عقدة الحب على طهر وعفاف !

وذاق توفيق لوناً من الحب لم ينعم بمثله فيما فات من أيامه !

وقال لها : مارتزا ! سنفترق يا حبيبتي ؛ وستبحر السفينة بعد أيام لتضرب في مجاهل البحار ؛ فاذكريني ، واكتبي إليَّ كلما تهيأت لك فرصة !

وتغرغرت عينا الفتاة وقالت : توفيق ! بربك لا تذكر الفراق ! خذني معك ! إنني لا أطيق !

وفكر الفتى قليلاً ، ثم ذهب إلى الرُّبان يرجوه أن يقبل مارتزا وصيفة في السفينة . ولكن السفينة لم تكن في حاجة إلى وصيفة على من فيها ؛ فعاد توفيق إلى صاحبته ينوء بهمه !

وأبحرت السفينة بعد أيام ، وراحت مارتزا تودِّع صاحبها ، وهي تتجلد ؛ ووقفت على الرصيف تلوِّح بيدها ويحييها ؛ ثم صفرت السفينة ، وراحت تشق الماء ، وسقطت الفتاة بين يدي أمها في غشية !

وحملوها إلى دارها ، وجاء الطبيب ؛ ولكن مارتزا كانت من الصدمة التي نالتها بحيث لا يجدي عليها احتيال الطبيب !

وجلست أمها بجانب فراشها تبكي ، ووقف الطبيب حيران ، ولم تفق مارتزا من غشيتها !

وراحت السفينة تشق البحر بحيزومها ، وعلى ظهرها توفيق وخلَّفت على الشاطئ فتاة بين الحياة والموت !

ولكن السفينة لم تكد تمضي على وجهها ، حتى جاءتها الأنباء بأن المجاز مغلق في طريقها ، فعادت أدراجها إلى كوستانزا ، حتى يصدر إليها الأمر بالمسير

وأرست السفينة ، فهبط توفيق مسرعاً إلى البر ليرى فتاته ويأنس بها ساعة ، وهو لا يعرف من أمرها شيئاً

ودق الباب ودخل ، وكانت تهذي باسمه ، وفزع توفيق ، وجرى إليها وهو يصيح : ماريتزا ! ماريتزا !

وأفاقت ماريتزا بعد غشية يومين ، وشفاها لقاء حبيبها حين عجز الطبيب

وثابت إلى الفتاة قوتها رويداً رويداً ، ولكنها لم تفارق فراشها ولم يفارقها توفيق . ومضت أيام ، وصدر الأمر إلى السفينة باستئناف رحلتها . وخاف توفيق أن ينال الفتاة ما نالها أول مرة لو علمتْ أنه موشك أن يفارقها ؛ فأسر الخبر إلى أمها لتحتال في أمرها ...

ومضى توفيق ليؤدي واجبه في السفينة ، وهو محزونٌ أسوان وكان باقياً على إبحار السفينة ساعات حين جاءه الربان يسأله :

« توفيق، إنك تعرف فتاة كانت تريد أن تعمل وصيفة في السفينة؟ فهل يمكن أن تدعوها الآن ؟ إن إحدى وصيفاتنا مريضة وقد غادرت السفينة إلى المستشفى ونحن في حاجة إلى بديل ! »

ولم يتلبث توفيق ؛ فما هو إلا أن أسرع إلى صديقته يدعوها ، وأبحرت السفينة وعلى ظهرها الحبيبان ...

وكانت على رصيف الميناء امرأة عجوز تلوح بمنديلها !

***

توفيق وأخته ، هكذا كان يعرفهما ركاب السفينة جميعاً : الملاحون والركاب

ومضت السفينة بهما تشق البحار من الشرق إلى الغرب ، ومن الجنوب إلى الشمال ، ينعمان بالحب وسعادة اللقاء ، لا يظنان أن سيفرق بينهما شيء . وتمازجت روحاهما حتى ليس بينهما سر ، وسالمتهما الليالي ... ومضت سنوات ...

وكانا في أحد الموانى حين جاءت الفتاة برقية بأن أمها تحتضر! . وكان الفراق ؛ وباعدت الحادثات بينهما ، ولكنه لم ينس ، ولكنها لم تنس ؛ فإنه ليكتب إليها وإنها لتكتب إليه !

وفعل به الفراق ما فعل حتى لا قرار له ؛ فليس له أمنية من بعد إلا أن يعود ما كان ! وتصرمت السنون، والفتى في حنين دائم وشوق لا يُغلَب !

***

وحنَّ توفيق إلى أهله ، فآثر العمل في شركة مصر للملاحة ليكون جهاده لبلاده ؛ ولم ينس « حقيبة الذكريات » فإنها معه أين يكون ؛ يستروح منها نسمات الحب ويأنس إليها في ساعات الوحشة ...

ومضت الباخرة « زمزم » تتهادى من ميناء السويس في طريقها إلى « جدة » في ديسمبر سنة ١٩٣٨ وعلى ظهرها الملاح « توفيق » ثم أرستْ ، وركب الحجاج الفلك إلى رصيف ميناء جدة ، ومعهم توفيق مُحْرِماً بالحج

وطاف الحجيج بالبيت ملبين ضارعين ، ووقف الفتى حيث بدأ الناس ، لا يتقدم ولا يتأخر ؛ وحضرته الذكرى فرأى كتابه منشوراً على عينيه بما فيه من خطايا وآثام ؛ وهمَّ يرفع رأسه



هل تصبح أوربا ولايات متحدة نازية

[ملخصة عن « ذي ساين » نيويورك]

إذا انتصرت ألمانيا فى الحرب الحاضرة، فليس لهذا الانتصار غير نتيجة واحدة: هى أن تصبح أوربا ولايات متحدة نازية. فهل وازن مستشارو دول وسط أوربا هذا الاحتمال؟ أم أنه مجرد وهم وتخمين؟ لقد طرحت هذا السؤال للبحث مع عضوين من كبار رجال السلك السياسى البريطانى. أحدهما يقيم فى (صوفيا) والآخر (بنودابست).

فجاء فى حديث الأول عن الدول البلقانية: أن كل إنسان فى الجنوب الشرقى لأوربا يشعر بأنه مهدد بالموت من يوم لآخر. فقد أصبحت ألبانيا خنجراً مصوباً إلى قلب البلقانيين. وسواء أكانت السلم أم كانت الحرب، فلا يخال أحد أن موسلينى يخرج من هذه الأزمة، ولا ينال من الفطيرة نصيبه الأوفى. قد يكون موسلينى أكثر صبراً من هتلر وأبعد نظراً، ولكن مما لا شك فيه أنه أكثر رجال السياسة الحاليين نظراً للواقع. وإذا كان موسلينى مؤسس الإمبراطورية الرومانية الحديثة، فهو على هذا الاعتبار يعد من المتهمين بمذهب التوسع

وقد جاء فى حديث الثانى: أن ثمانين فى المائة من تجارة هنجاريا تتقاسمها دول المحور. ويبلغ ما تدفعه ألمانيا إليها فى تجارة الحبوب ضعف ما تدفعه الدول الأخرى

أما إيطاليا فتستورد ما لديها من البرتقال والليمون، وزيت الزيتون والحرير. ولا يصح هنا أن نهمل الصلات الجغرافية والاقتصادية التى تربطها بتلك البلاد. لاشك أن هؤلاء الهنجاريين الذين يبلغ عددهم أحد عشر مليوناً، شعب شجاع منتج؛ ولكننا ونحن لا نعدو أن نكون أصدقاء نراقب الأمور عن كثب، لا نشك فى أن هنجاريا لا تستبقى اليوم من استقلالها أكثر مما كان للنمسا قبل الحالة التى طرأت عليها أخيراً. إن اليوم الذى يموت فيه الأدميرال (هورثى) وهو فى السبعين من عمره الآن، سيكون علامة لتغيير جوهرى فى حياة تلك البلاد

ومن رأيى أن سادة النازى يقصرون وقتهم للسعى وراء السيادة. وهم اليوم فى حاجة إلى هنجاريا باعتبارها قنطرة بين الريخ والبحر الأسود. وينقل الزيت، والحبوب، والخشب،

فما أطاق، كأنما يحمل أوزار السنين على كاهله؛ وتندّت عيناه بالدمع ... وتذكر يوم كان ... فتى يخطو إلى العشرين، فى حارة « قصر الشوق » لا يحمل من هم وليس له ماض؛ فتراءى على أستار الكعبة نادماً يستغفر، وانهملت دموعه على خديه ... ...

* * *

وعادت « زمزم » تخطر على ثبج الماء، وعلى ظهرها ركابها مهللين داعين ترف على شفاههم بسمات الرضا والاطمئنان!

وعاد توفيق إلى غرفته من السفينة راضياً مبتسما طاهر القلب كما كان يوم ركب السفينة أول مرة من ميناء الاسكندرية منذ تسع سنين ليتعلم الملاحة

ونظر إلى متاعه فرأى ... وكأنما برزت حقيبة الذكريات لعينيه أول ما نظر لترده إلى ذلك الماضى الذى رماه عن كتفيه منذ قريب!

ونازعته الذكرى تخار عزمه وأحس فى نفسه الوهن؛ واصطرعت فى نفسه قوتان، فعاد ينظر إلى الحقيبة بين لهفة وندم وإشفاق، ثم دنا منها فتناولها ومشى بطيئاً ثقيل الخطو حتى بلغ ظهر السفينة ... وطوّح بها وهو يقول: « أيها الماضى الذى كان، إذهب إلى غير مَعَاد! »

* * *

... وفرغ صديقى من قصته؛ فما كاد يبلغ نهايتها حتى اختلجت شفته وتندّت عيناه بالدمع؛ ثم أردف:

يا صديقى! لقد أذكرتنى ما كنت أريد أن أنساه وحسبتُنى قد فرغتُ من أمره منذ عام وبعض عام؛ فإنى لأحس الساعةَ أن الجرح الذى اندمل قد عاد يَدْمَى! ... لا لا، ولكنه ماض قد انطوى وفرغتُ من أمره!

وصمت ساعة، وانطفأ بريق عينيه وأطرق؛ ثم عاد فرفع رأسه وكأنه عائدٌ من سفر بعيد ... ثم تناول قلمه وبسط بين يديه ورقة وراح يكتب إليها:

« عزيزتى مارتزا!

« ... ... »

محمد سعيد العريان

والمعادن من الشرق إلى الغرب عن هذه الطريق . ويرى هتلر وجورنج وفرانك هيس أن الألمان يجب أن يطعموا شيئاً غير البطاطس هذا الشتاء .

وفضلاً عن هذا ، فإن هنجاريا تمد عاملاً قوياً فى نظر النازى للتوغل فى رومانيا . فنى اللحظة التى يشعر فيها المنجاريون بأن قوى الريخ الحربية من ورائهم سيثيرون العاصفة على الجبهة الرومانية . أما روسيا التى أصبح لها مركز ممتاز فى البلطيق ، فهي تطمع فى توطيد مركزها فى البلقان فقد كانت فكرة الحصول على نافذة تطل على البحر الأبيض المتوسط حلم رجال السياسة الروسية منذ عهد بطرس الأكبر . ومن السهل مهاجمة القسطنطينية وهى العاصمة السابقة للبلاد التركية من الناحية البرية

وإذا كانت تركيا تقف اليوم بين عدوين قويين ، فإننا لا نستطيع أن نعرف موقف الدتشى فى هذه الظروف . إن الدتشى قد ينذر أو يحذر أو يهدد بالحرب ، ولكنه فى الواقع لا يستطيع أن يتقدم أو يتحرك . إذا جد الجد تبين مواطن الخطر !

إن المشكلة الحقيقية التى يعانيها موسولينى ، هى ارتباطه مع هتلر لإلغاء معاهدة فرساى فى وقت لم يستطع أن يقدر فيه موقف الشعب الإيطالى بإزاء فرنسا التى ارتبط معها بصلات لم تنفصم عراها منذ ١٢٥ عاماً .

إن الوقت والمال يعملان لمصلحة الحلفاء ، ولا شك أن الذهب فى هذه الحروب الطويلة له الغلبة على السلاح . فإذا لم يقدم موسولينى لموازنة القوى ، فقد وصل حليفه أدولف هتلر إلى نهايته

البلشفيون هم فاشيون

[من مجلة « باريد »]

كتب الصحفى والمؤلف المشهور « فنسنت شيان » مقالاً فى العدد الحديث من « كارنت هستورى » التى تصدر فى نيويورك قارن فيه بين البلشفية والفاشية

ويقول « فنسنت شيان » فى هذا المقال إن البلشفية هى فى الحقيقة نوع من الفاشية فى ثوب اشتراكى خداع . والفاشية قائمة على التغرير بعقول الناس بالادعاءات والوعود الخلابة والآمال التى لا ظل لها من الحقيقة ، فتخلع على العبودية المريرة ضوءاً خلاباً من ألفاظ البطولة والتضحية حتى تكون آلامها ومتاعبها سائغة المذاق إلى حد ما . وقل أن تختلف الوسائل التى تتبع فى ألمانيا عنها فى روسيا ، فالشعب فى كلا البلدين يقوم بأشق الأعمال ويتناول عنها أقل الجزاء . وهكذا أتيح للحكومات الفاشية والبلشفية أن تخدع الملايين من المستعبدين !

إن حجر الزاوية فى الحكم الفاشى هو تمجيد التضحيات القاسية التى تفرض دون حد على الأهلين ، وإخضاعهم للعبودية المقوتة بإذكاء عواطفهم نحو الرق والتقدم . وقد سار هذا المبدأ بنجاح فى روسيا كما سار فى ألمانيا على حد سواء . وما زال الملايين من العمال فى روسيا ، وكذلك فى ألمانيا ، مسلوبين كل حق . فلا يستطيعون اختيار العمل الذى يريدونه ، أو المكان الذى يسكنون فيه ، ونوع التسلية التى يرغبونها معتقدين ـ وهذا ما يسممون على الدوام ولا يسممون شيئاً غيره ـ بأن هذا هو النوع الرفيع من الحياة التى يجب أن تسود العالم أجمع بفضل جهادهم

ولكن الفاشية روسية كانت أو ألمانية ليست فى الحقيقة نظاماً دوليا عاماً سواء من الناحية الفكرية أو الناحية العملية . بل هى على النقيض من ذلك ، فقد ثبت أنها تقدس العصبية وترفع الوطنية إلى حد لم يسبق له مثيل فى تاريخ العالم

وتعمل الدعاية الروسية بكافة الوسائل لإقناع الشعب بأن حكومة روسيا السوفيتية تمتاز فى سائر أعمالها على حكومات العالم ، وأن الشعب الروسى خير من سائر الشعوب ، وأن الجيش الروسى أفضل الجيوش التى فى العالم .

لقد كانت البلشفية التى دعا إليها لينين وتروتسكى على شىء من المنطق ، لذلك كانت غير فاشية ، وكذلك كانت تحمل معنى الدولية أما بلشفية ستالين ، فتبدأ بنظرية « الاشتراكية داخل المملكة المنفصلة »

فإذا فرضنا أن للفاشية أتيح لها أن تتغلب على أوربا ، فسوف لا يستقر لها أمن أو سلام ، إذ أن مبادئها القائمة على تأليه الجنس ، وتقديس الوطنية ، ودعوى التفوق والامتياز سوف تصطدم بمبادئ الأمم الأخرى التى تزعم لنفسها مثل هذه المزاعم

إن الفاشية لا تحتمل دعوى التفوق أو المساواة من أى شعب من الشعوب . والعقل الفاشى يعتقد كما يقول موسلينى ـ أن السلم ما هو إلا فترة بين الحروب ـ وخير ما تفعله الإنسانية هو أن تقضى هذه الفترة فى التدريب والتأهب على الدوام

فإذا أصبحت أوربا قارة مقسمة بين فاشية ستالين وهتلر وموسلينى ، فمعنى ذلك أن أوربا لا تخرج من الحرب إلا لتعود إليها ؛ ولكن الحرب فى هذه المرة لا تكون إلا بين الفاشيين المتنافسين



كتاب كريم

تفضل إمام المسلمين الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر فقرأ كتاب (وحى الرسالة) ثم أرسل إلينا هذا الكتاب الكريم :

عزيزى الأستاذ أحمد حسن الزيات

إن كثير الثناء عليك ليقل بجانب ما تسديه للأدب والعربية والثقافة من جهد وفضل. فما أنا ببالغ حق الثناء عليك وإن أطلت وتأنقت، ولاحق تقديرك وإن أطنبت وجودت. وعجيب ألا يكون لوحى الرسالة فضل على الرسالة، فما هو إلا جنى أشجارها، وزهرات أغصانها، جمعت فى باقة واحدة بعد أن كانت متناثرة، وقربت إلى اليد بعد أن كانت متباعدة. ولقد كنت فى هذه الفصول مترجماً صادقاً منصفاً للتاريخ فيمن ترجمت لهم من الرجال؛ وكنت مصوراً ماهراً فيما صورت من عيوب المجتمع وآلام الحياة، وأبرزت خفايا النفوس ودبيب الهواجس حتى لتكاد تلمس وتحس؛ وقبل هذا كنت محيطاً إحاطة دقيقة بما عرضت له من بحوث. كل أولئك بأسلوب رصين نقى الجوهر تتصل فيه بأسلافك الأولين من فحول العربية والأدب، ممن أثروا فيك فجريت على سننهم دون أن تقصد، وسرت على نهجهم دون أن تحاكى

ولست أملك بعد إلا أن أدعو لك بحياة طويلة سعيدة يدوم لك فيها الإلهام، فتثابر على رسالتك حتى يقرأ لك الناس مجلدات عديدة من وحى الرسالة

والسلام عليك ورحمة الله

[٦ مارس سنة ١٩٤٠] محمد مصطفى المراغى

غبرات لا غبارات

قال شيخُنا أبو عثمان الجاحظ فى « كتاب الحيوان » يذكرُ ما يعرض للكتاب المنسوخ من آفات الناسخين :

« ... ثم يصيرُ هذا الكتاب بعد ذلك لإنسان آخر، فيسير فيه الورّاقُ الثانى سيرةَ الورّاق الأول؛ ولا يزال تتداوله الأيدى الجانية، والأعراض المفسدة، حتى يصير غلطاً صرفاً وكذباً مُصْمتاً. فما ظنكم بكتاب يتعاقبه المترجمون بالإفساد، وتتعاوره الخطّاط بشرٍّ من ذلك أو بمثله ...، كتاب متقادِم الميلاد، دهرىّ الصنعة »

ولم يزل أئمتنا وعلماؤنا وأصحاب العقل من شيوخنا، يردون الكلام المنقول المكتوب إلى العقل — بعد التحرى للفظه المكتوب — اتّقاء لما عرفوه من تحريف الناسخين، وانتحال المبطلين وغفلة الجاهلين. ونحن إنما نمضى على سنتهم - إن شاء الله - ولا نقف عند القول نخرُّ عليه تعبُّداً لحرفه، وخضوعاً لنصّه. ولئن فعلنا لمحق الله منا نصف العقل وبقى النصف الآخر متردّداً بين قال فلان وكتب فلان

... وعلى ذلك، فقد صححنا قول ابن شبرمة فى رواية صاحب العقد الفريد فى العدد (٣٤٧) من الرسالة، فجعلناه « ذَهبَ العلم إلا غُبَّرات فى أوْعية سوء »، ورفضنا نص العقد وهو : « إلا غبارات ». ثم رأيت فى البريد الأدبى من الرسالة (٣٤٩) كلمة للدكتور بشر فارس يردّ ما ذهبنا إليه بثلاثة براهين نثبتها بالترتيب من تحت إلى فوق :

الأول : أن الحرف (غبارات) قد وَرَد كذلك فى جميع نسخ العقد الفريد المطبوعة، وكذلك فى مخطوطة منه بدار الكتب يُظَنُّ أنها كتبت فى القرن السادس

الثانى : أن هذا النص يصحُّ لغة وأداء وبياناً. وإذا صحّ كذلك فمن الاستبداد أن يُرَدّ على الهوَى

الثالث : مخالفة نهجنا فى ذلك لنهج علماء الفرنجة (المستشرقين)

وجوابنا على الترتيب من تحت إلى فوق :

أننا أدرى بأساليب هؤلاء الأعاجم الذين اتخذوا العربية عملاً من أعمالهم — من أن نخالفهم فى الجيّد من مذاهبهم، فتحرير النص ومراجعته على جميع النسخ التى ذكر فيها وما إلى ذلك، عملٌ ضرورىٌّ لكل باحث. ولكن هؤلاء الأعاجم تقعد بهم سلائقهم عن معرفة أسرار العربية، فلم يتجاوزوا الوقوف عند النص المكتوب، وذلك لعجزهم عن بيانها. فلما عرفوا ذلك

من أنفسهم ، كان من أمانتهم أن يتوقفوا ، فلا يقطعون برأى فى صواب أو خطأ . وهى أمانة مشكورة لهم

ولكن العربىّ إذا أخذ بأسبابهم ، فلا بُدّ له من أن يهتدى بعربيته إلى ما عجزوا عنه بأعجميتهم ، فكذلك فعلنا فى كلمة ابن شبرمة وقلنا « إنه نصٌّ عربىٌّ مُظلم النور » . وبيان ذلك أنه ليس من قياس العربية أن يجمع « غبار » على « غبارات » ولا غيرها من الجموع ، وأن ابن شبرمة لم يُرِدْ تحقيرَ العلم نفسه فيجعل ما بقى منه « غباراً » ، وإنما أراد أنه بقى من العلم شىء هو من صحيح العلم ، ولكنه وقع فى صدور رجال من أهل الباطل يفتونَ الناسَ يضِلّ بهم من يضِلُّ إذ يحسبونهم لا ينطقون بباطل ما داموا أصحاب فقه ودين وعلم . ولم تكن الشهادات وألقابها عرفت لعهد ابن شبرمة حتى تكون هى التى تقدر العلماء وتميزهم للناس ، وإنما كانوا يتميزون بالعلم ، فإذا لم يكن عندهم علم لم يعدهم الناسُ فى العلماء . ثم إن الغبارَ لا يمكن أن يُوكى عليه فى وعاء حتى يصح أن يجعل - ما أغلقت عليه صدورهم من بقية العلم - غباراً . فلو صح نص العقد لكان المراد تحقير العلم وأصحابه جميعاً

وأخيراً ، فنحن نرفض نص العقد من جهة بيان العربية وتحريرها ، ونقول : إنه لا يصح أن يروى إلا هكذا : « ذهب العلم إلا غبرات فى أوعية سوء » . وإذا كان الدكتور بشر أو غيره يريد أن ينحاز إلى رأينا بنص آخر ، فلا بأس علينا أن ندله عليه فقد روى ابن عبد البر فى كتابه « جامع بيان العلم وفضله » — المطبوع فى سنة ١٣٤٦ عن نسختين قديمتين : إحداهما للامام الشيخ الشنقيطى ، وعليها خطه فى الجزء الأول منه (ص ١٥٣ سطر ٦) بإسناده إلى محمد بن سيرين (وليس ابن شبرمة) قال : « ذهب العلم فلم يبق إلا غبرات فى أوعية سوء » . فهذا نص ، وهناك نصوص غيره ؛ فمن شاء أن يبحث فليبحث ، ونصيحتنا إلى من عنده نسخة من العقد - أى الطبعات كانت - فليصححها بالذى أثبتناه ، وما سوى ذلك ، فهو — كما قال — أبو عثمان : غلط صرف وكذب مصمت ... والسلام

محمود محمد شاكر

الأدب الإنجليزى والروح الإنجليزية

ألقى الأستاذ دوفر ويلسون ، أستاذ البلاغة والأدب الإنجليزى فى جامعة أدنبره ، بعد ظهر الإثنين الماضى فى المدرسة الإنجليزية بالإسكندرية ، أولى المحاضرات التى دعى إلى إلقائها من انجلترا ، وكان موضوعها « الأدب الإنجليزى والروح الإنجليزية » فاستهل كلامه بقوله إن بريطانيا استطاعت أن تعمر نصف أقطار العالم ، وإنها تعد مهد الديمقراطية ومؤسسة الصناعات الحديثة ، وفيها نشأ باكون ونيوتن وداروِن . وقد تسنمت من الخيال الذروة العليا حيث يتربع شاعرها العظيم شاكسبير كأنه أمبراطور تقدم له أمم العالم فروض الطاعة والولاء

ثم قال إن الأدب الإنجليزى أقدم أنواع الأدب الحديث ، إذ يرجع عهده إلى القرن الخامس الميلادى ، أى قبل أن يجد الإنجليز والسكسونيون طريقهم إلى بريطانيا ، وبين هذا التاريخ وبين غزو النورمانديين للبلاد مضت ستة قرون ، كانت حافلة كلها بالشعر والنثر

وعرض للصفات التى كان يتحلى بها من ترنموا بالشعر فى هذا الحين ، فأبان أنها كانت هى نفسها ما يتحلى به الخلق الإنجليزى الآن ، فالبريطانيون يذهبون إلى الحرب وكأنهم ذاهبون إلى مشاهدة مباراة فى كرة القدم

ثم أبان أن تاريخ الأدب الإنجليزى كان دائماً تاريخاً لقوة هذه الأمة يتمشى مع انتصاراتها فى مختلف الحروب التى خاضتها ، قال : إن أهم الظواهر التى تلفت النظر فيه اعتماده على آداب اللغات فى البلدان الأخرى إلى حد كبير . ولقد ظهرت فى أوربا اليوم اصطلاحات كثيرة كالأوتقراطية والمنصرية ، ومقدرة الدولة على سد حاجاتها بنفسها ، فلم يلفت هذا نظر الشعب الإنجليزى ولم يثر إعجابه ، لأن قوة انجلترا تتوقف على اختلاط أجناسها ومقدرتها على إدماج العناصر الجديدة فيها . لهذا كان قليلاً أن تجد لغات ركب أصلها من عدة عناصر كاللغة الإنجليزية ، وكان أقل من ذلك أن تجد أدباً اعتمد على مختلف المصادر كالأدب الإنجليزى

وقد رد الأستاذ ولسون هذا إلى أن الكتاب الإنجليز نهلوا من كل مورد ، وضرب كثيراً من الأمثلة : فقال : إن الشاعر

العظيم شوسر ، من أكثر شعراء الإنجليز الذين تأثروا بشعر الفرنسيين والطليان . ومنذ عهد الإصلاح إلى مستهل القرن الثامن عشر كان الأثر الرومانى والإغريقى هو السائد فى الأدب الإنجليزى. وفى خلال هذا القرن تلقى الإنجليز أصول الأدب عن الفرنسيين . وفى أوائل القرن التاسع عشر كانوا يدينون لألمانيا إلى حد كبير . وفى الوقت الحاضر تدين الدراما الإنجليزية بوجودها للشاعر النرويجى ابسن . وكذلك تأثر كتاب الروايات القصصية من الإنجليز بالكاتب الروسى الشهير دستوفسكى

ثم قال إنه إذا صح القول بأن انجلترا منفصلة عن أوربا ، فإن هذا الوصف لا ينطبق عليها فى الواقع من ناحية الأدب . وقد يكون من متناقض القول أن شعباً كالشعب الإنجليزى عرف بأنه أنجب فى ميادين السياسة والعمل والتجارة رجالاً أفذاذاً لا يكون أيضاً من أوائل الشعوب فى ميادين الأدب بجميع أنواعه

وذكر المحاضر بعد ذلك أن انجلترا لم تتزعم دول العالم فى الصناعة والتجارة فحسب ولكن فى الرياضة أيضاً . وأن الإنجليز فى الوقت نفسه أكثر الشعوب تديناً . وقد يكون أهم ما يلفت النظر عند زائر انجلترا أن يلاحظ أن الشعب الإنجليزى شعب لا يعرف اللهو ، أو هم كما يسمونهم « يلهون بحزن » ولكن قلما يوجد شعب آخر فى بساطة الطفل ووداعته مثلهم

وبعد أن ذكر الأستاذ ويلسون أنه يجوز أن تتحد هذه العناصر من الرياضة والشعر والخوف من الله ، وتؤلف ظاهرة غريبة ، فإن رجال الأدب فى انجلترا هم بدون شك من أشد الناس تمسكا بأهداب الدين والفضيلة قال إن الفلسفة والفضيلة كانتا على الدوام رائد الشعراء الإنجليز فيما أنتجوا . فهذا ملتون كان يعمل فى كتاباته ليظهر للناس طريقهم إلى الله . وكذلك كان يفعل من قبله لانجلاند وسبنسر وبوب ووردزورث وتيسون وبراوننج وغيرهم ؛ حتى شيللى ، ولم يكن يعترف بالله ، كان يبشر فى كتاباته بإنجيل اجتماعى جديد . وقد ابتدأ ذلك منذ العصر الفيكتورى ، وما زال حتى الآن يحمل لواءه أشهر الكتاب الحاليين أمثال برنارد شو وولز وهكسلى

وهناك من يتهم هذا النوع من الكتابة بأنه ليس من الأدب فى شىء ، ولكن الأدب لم يكن فى يوم من الأيام يتوقف على عقيدة الشخص ، وإنما يتوقف على أسلوبه ، وهذه كتابات بانيان التى لا تخرج عن أنها دعاية دينية ، فهى تعد عملاً أدبياً عظيما

ولما كان الإنجليز فى جميع العصور يدينون سياسياً إما بمبدأ الأحرار ، وإما بمبدأ المحافظين ، فإنه ليس غريباً أن كان لهذين المبدأين شأن أى شأن فى الأدب الإنجليزى .

وقد كان شوسر من أصحاب المذهب الأول ، وقد عرف عنه العطف على كل مخلوق ، وإحساس رقيق ، واهتمام خاص بالحياة العادية للرجل العادى فى حين كان معاصره لانجلاند على نقيضه، إذ كان من أنصار الأحرار الذين يعتقدون بالمثل الأعلى للإنسان

وأما من وجهة شكسبير ، فهى تماثل شوسر ولكن على نطاق أوسع ، فقد كان شكسبير من أشد رجال الأدب الكاثوليكيين فى العالم تديناً

وفى نفس هذا العصر ظهر ميلتون أكبر شاعر بروتستنتى دعا إلى التعصب لمذهب الراديكالية البريطانية فى أوسع حدودها . وكان يعتقد بالقضاء والقدر فى حياة الإنسان .

وبعد أن أبان المحاضر أن هذه التفرقة نفسها قائمة بين أشعار وردزورث وشيللى ، ختم كلامه بقوله : لقد كان للحرية فى كل عصر أنصارها المتحمسون؛ ومع أن ثمن الحرية غال مرتفع، فإن انجلترا قبلت أن تدفعه عن طيب خاطر ولو كلفها ذلك دم أعز أبنائها . ولكى يفهم الأجنبى الروح الإنجليزية على حقيقتها يجب عليه أن يدرس الشاعر وردزورث الذى تتميز أشعاره بانجليزيتها عن جميع الشعراء

وكما حارب الإنجليز فى عام ١٩١١ الداغركيين وهم لا يحملون لهم حقداً ولا ضغينة ، كذلك نرى هذه الروح هى المتغلبة عليهم فى جميع حروبهم ، وهى نفسها الروح التى تتسلط عليهم فى حربهم الدائرة رحاها اليوم

اختراع جديد فى طب الأسنان

نشرت المجلة الطبية الأمريكية أن طبيب أسنان من ميشيجان وفق إلى إجراء عمليات جديدة فى جراحة الأسنان ستحدث قريباً ثورة فى عالم طب الأسنان. وتقول المجلة المذكورة إن الطبيب يخلع الأسنان الفاسدة والمسوسة من أفكاك مرضاه؛ وبطريقة خاصة

من اختراعه يردها إلى مكانها من الفك بعد تنظيفها وإزالة الأجزاء الفاسدة والتى مشى فيها السوس

وتعاد السن إلى التجويف وتستقر فى مكانها الأصلى بواسطة جبيرة من الذهب حتى تنمو حولها اللثة والنسيج . والأسنان التى تعد بهذه الطريقة تصلح للعمل مدة أقلها عشر سنين

حول آلهة الكعبة

قرأت العدد الممتاز من رسالتكم الزاهرة الخاص بذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأقدم لكم جميل الشكر والثناء على عنايتكم بهذه الذكرى المباركة ، كما أتقدم بالحمد لحضرات الكتاب الكرام الذين عاونوا على إصدار العدد بما جادت به قرائحهم. بارك الله فيكم وجزاكم عن نبيه وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء

ولقد استوقف نظرى عنوان قصيدة الأستاذ الشاعر محمود حسن إسماعيل « آلهة الكعبة » بإضافة آلهة إلى الكعبة . فالتحاور فى القصيدة محصور بين مناة واللات والعزى ، وليس واحد من هذه الثلاثة من أصنام الكعبة، بل لم يكن واحد منها داخل الكعبة ولا حولها. فمناة كان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلّل بقدَيد بين المدينة ومكة . واللات كانت بالطائف وكانت موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم . والعزى كانت بواد من نخلة الشآمية يقال له حُراضٌ بإزاء الغمَير عن يمين المصعد إلى العراق من مكة : راجع كتاب الأصنام لأبى المنذر هشام بن محمد الكلبى : ص ١٣ و ١٦ و ١٨

وقد يعتذر عن هذا الإبهام بأن إضافة آلهة إلى الكعبة لأدنى ملابسة كما يقول النحويون فى مثل هذا، كما قد يقال أيضاً إن ما تضمنته القصيدة إنما هو أسطورة غير واقعية بل خيالية فاضت بها قريحة الشاعر ، وقد أشرتم إلى هذا فى الرسالة . غير أنه حدث أن بعض طلاب العلم كانوا يزوروننى وأحدهم يسمعنى بعضاً من المقالات والقصائد من عدد الرسالة حتى قرأ « آلهة الكعبة » فتبادر إلى ذهن البعض منهم أن هذه الأصنام كانت فى الكعبة فصححت لهم ما ظنوا . وتبيّن لى أن ما اشتبه على هؤلاء ربما اشتبه على غيرهم ؛ لذلك رأيت أن أكتب إليكم هذه النبذة إيضاحاً وكشفاً لهذا الإبهام غير المقصود :

ومما يناسب هذا البحث ما رواه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت « الكعبة » وفيه الآلهة ، فأمر بها فأُخرجت ، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فى أيديهما الأزلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قاتلهم الله ! أما والله لقد علموا ما اقتسما بها قط ، ثم دخل فكبّر فى نواحى البيت . (مسند الإمام أحمد ج ١ ص ٣٣٤)

محمد صبرى

إلى الأستاذ إسماعيل أحمد أدهم

قرأت مقالك فى عام الفيل وميلاد الرسول فأعجبنى رأيك فى تحقيق ذلك الميلاد ، وكنت موفقاً كل التوفيق فى تأييدك وجود الفيل فى حملة الأحباش . وقد أشكل على فى مقالك أمور أعرضها عليك لتتفضل بإيضاحها

١ — ذكرت أن النجاشى كان يرى أن فكرة هذه الحملة خيالية لا يمكن تحقيقها ، فكيف يعلم النجاشى هذا وهو من شعب فطرى ، ثم يغيب على الروم وهم أهل علم وثقافة ودراية بفنون الحرب وطبائع البلاد؟

٢ — وذكرت أن مساعدة النجاشى للروم لم تكن ممكنة من جهة الخليج الفارسى ، لأنه لم يكن له أسطول ينقل به جنوده إليه ، مع أنك ذكرت أنه كان للروم أسطول بالبحر الأحمر والمحيط الهندى ، وأن هذا الأسطول هو الذى نقل جنود الأحباش إلى اليمن ، وكانت الأفيال تأتى به إليهم من الهند

٣ — وذكرت أن الأحباش تعرضوا للحجاز بتحريض الروم ، ثم عدت فذكرت أن الأحباش لم يكن قصدهم التعرض للحجاز ، وإنما كانوا يقصدون مساعدة الروم

٤ — ويفهم من كلامك أن المرض والوباء الذى حصل للأحباش عند وصولهم إلى مكة لم يكن بعناية إلهية ، وأن أهل الحجاز هم الذين فهموا ذلك حين فهموا خطأ أن الروم يقصدون هدم الكعبة ، ولكن الأمر فى هذا لا يقف عند فهم أهل الحجاز فقد جاء القرآن الكريم موافقاً لما فهموه من تلك العناية ، وذلك فى قوله تعالى : (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم فى تضليل) الآيات

٥ — وقد جعلت الرواية اليونانية تناقض الرواية العربية فى سبب حملة الأحباش ، مع أنه لا تناقض بينهما ، والشىء

الواحد قد تتعدد أسبابه ، ولا يضير الرواية العربية أن تجهل أمر سفير الروم إلى النجاشي ، لأن ذلك جرى بين النجاشي وجوستنيان ، ولم يكن العرب في ذلك الوقت في حالة تمكنهم من الاطلاع على هذه السفارة (قارئ)

« سؤال »

جاء في مقال الأستاذ الكبير عبد الله عفيفي بك بالعدد الممتاز « ميراث لا وارث له » :

« وما كان أقوى تلك الطفلة الناشئة عائشة بنت أبي بكر حين اقتحم رجال قريش عليها البيت . . . ولطمها الشريف النذل أبو جهل بن هشام لطمة أطارت قرطها من أذنها لتتكلم فما نطقت إلا بعبرة واحدة سقطت من عينها على الأرض » .

وجاء في قصيدة الأستاذ محمود الخفيف بالعدد نفسه « في الطريق إلى يثرب » :

حيِّيا أسماء كالطيف الرفيق تسرق الخطو على هول الطريق
... ...
يا ابنة الصدِّيق هل من نبأ للرفيقين عن الشرك وثيق
أمسكي عن لطمة فاجرة طرحت قرطك من وغد صفيق

فيتضح من مقال الأستاذ عفيفي بك أن لطمة أبي جهل كانت لعائشة بنت أبي بكر ، ومن قصيدة الأستاذ محمود أن اللطمة كانت لأسماء . فعلى أي شيء جاء هذا الاختلاف ؟ أسهَا أحدهما فأورد القصة على غير ما هي ، أم ماذا ؟

(صا الحجر) السيد محمد أحمد الفقي

(الرسالة) : الصحيح أن اللطمة كانت لذات النطاقين أسماء ، أما ذكر عائشة فهو سهو

« جواب »

سأل (قناوي) عن كلمة وردت في كتاب « تاريخ الأدب » الذي ألَّفه مؤلفو وزارة المعارف العمومية ! حيث زعموا أن أبا دهبل الجمحي من شعراء المخضرمين (بين الجاهلية والإسلام) وقالوا إنه مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبياته التي أولها :

إنّ البيوت معادنٌ ، فنجارُه ذهبٌ وكلٌّ بيوته ضَخْمُ

ونحن نقول إن الأساتذة المؤلفين قد بلغوا الجهد وسلكوا الحجَّة واهتدوا بأساليب الثقاتِ من أصحابهم في الاستنباط والتحقيق العلمي ، فأهدوا إلى العربية ما كانت تجهل من ميلاد أبي دهبل الجمحي ! وكان طريقهم إلى ذلك أنهم رأوا في شرح الحماسة للتبريزي ج ٣ ص ٧٥ ما نصه :

« قال أبو دهبل الجمحي - وقالوا يمدح النبي صلى الله عليه وسلم » ثم ذكر الشعر ، فاستخرجوا من ذلك أن أبا دهبل مخضرمٌ . وهذا نهايةٌ في التحقيق

أما تحقيقنا فهو يخالف ما ذهبوا إليه ، فإنك إذا قرأت شرح هذا البيت رأيت التبريزي يقولُ في شرح قوله « وكلٌّ بيوته ضخمُ » : « يعني ما اكتنفه من أخواله وأعمامه من بني هاشم وأمية ومخزوم » والتبريزي لا يجهل بلا شك أن بني أمية وبني مخزوم ليسوا من أعمام رسول الله أو أخواله ، وهو يعلم بلا شك أيضاً أن الأبيات في مدح عبد الله بن عبد الرحمن ابن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي (ابن الأزرق) كما جاء في الأغاني ، وهو الذي أعمامه وأخواله من بني هاشم وبني أمية وبني مخزوم

وإذن فصوابُ العبارة في التبريزي على ما نظن : « وقالوا : وهو أحق بمدح النبي صلى الله عليه وسلم » فوقف عليها بعض النساخ فلم يفهمها ، فحذف قوله « وهو أحق » ، فصار الكلام « وقالوا يمدح النبي . . » وصار أبو دهبل في زماننا هذا مخضرماً بعد أن عرفه علماء العربية كل هذه القرون شاعراً أموياً .

(م)



من التاريخ الاسلامي

تأليف الأستاذ علي الطنطاوي

« يصدر في الأيام القريبة هذا الكتاب للأستاذ علي الطنطاوي مصدراً بهذه المقدمة البليغة. ونحن نسارع إلى نشرها تعريفاً بالكتاب وتشويقاً إليه »

لو رجعت إلى أصول هذه القصص التي يشتمل عليها هذا الكتاب، لرأيت أنها لا تجاوز بضع صفحات « من التاريخ الإسلامي » متفرقة في مواضع منه شتى، وفصول مختلفة لا ينتبه إليها القارئ ولا يقف عليها. وليست أروع ما في تاريخنا ولا هي من أروع ما فيه، وإنما هي أخبار عادية استطاع قلم الأديب أن ينسج منها هذه القصص وأن يعرضها على الناس شيئاً جديداً أو هو كالجديد. فكيف إذا تولاها قلم أقوى من هذا القلم؟ وكيف إذا اختار لها مواقف من التاريخ رائعة عظيمة حقاً؟ وإذا كان أصل هذا الكتاب الذي تفرع عنه، وأساسه الذي بني عليه، بضع صفحات من هذا التاريخ العظيم فكم صورة رائعة، وكم قصة بارعة، وكم من الآثار الأدبية الخالدة يمكن أن تخرج من هذا التاريخ؟ أما إن ذلك ليزيد عن العدد ويجل عن الحسبان، وإن السيرة وحدها لتمد الأدب بألف كتاب أدبي... ولكن أدباءنا لم يردوا هذا المورد!

وليست هذه القصص كاملة ولا هي الثمرة الناضجة لهذه الدوحة الباسقة، ولكنها بواكير ثمارها، وإن فيها لنقائص وعيوباً أدرك أنا الآن بعضاً منها، وإن عشت وقدر لي الله أن أسلك سبيل الأدب سلوك المسافر المطمئن، لا المتعثر الضال، وأراحني من هم الكد للعيش ونكد الحياة النمطية الجافة « حياة الموظف ». فلأخرجن على الناس بقصص من التاريخ تبكي منها عيون الصخر ويرق قلب الجماد. وإني لأقرأ في التاريخ ما يزلزل شعوري وهو على اختصاره وجموده على أساليب العلماء، فما له لا يصنع الأعاجيب إذا فصل ووسع وطار في آفاق الأدب؟

وإن لنا من تاريخنا لثروة ما لأمة مثلها. لنا منه عالم يفيض بالحب والإخلاص والنبل والتضحية والبطولة والخلود فيه مآس وفيه ملاحم وفيه من كل فن من فنون الأدب.

ولكن عيب هذا التاريخ أنه لنا، وأنه ليس لأمة من « تلك » الأمم الحية، وأن علماءنا — أعني الفقهاء والمحدثين والمفسرين — قد انصرفوا عنه جملة، وكانوا يعدونه إلى عهد قريب من فضول الكلام، ويرون الاشتغال به مضيعة للوقت. ثم إنهم إذا عرفوه لم تفدهم معرفتهم به، فيما نحن بصدد الكلام عنه، لأنه ليس لأكثرهم أقلام، ولا بصر لجمهورهم بالأدب، ولا يعرفون من البلاغة إلا حدودها الجافة وتعريفاتها الجامدة التي بقيت في الكتب واشتملت عليها « شروح التلخيص » فهم يعرفون الاستعارة وأقسامها ولكنهم لا يستعيرون؛ ويحفظون أنواع المجاز ولكنهم لا يتجوزون. فاترك العلماء وقف على الشبان الذين اشتغلوا بهذا الفن، وكانوا هم المرجع فيه وكانوا معلميه، تر أكثرهم قد تلقى تاريخنا على غير أهله، وقرأه في غير كتبه، ولم يأخذ من التاريخ رواياته، ولا عن الرجال نقولهم، ولكن أخذ آراءهم وأغراضهم وحسب أن التاريخ يكون بالعقل، وأنه يرتجل ارتجالاً، ونسي أو هو لم يعرف أن العقل لا يصنع في التاريخ شيئاً إن لم تكن معه الرواية، وأن القيمة فيه للنص الصحيح، وأن نصوص التاريخ عندنا لا عند غيرنا ... والبلية بهذا النفر من الناس كبيرة. ثم إن هؤلاء كلهم أو من عرفنا منهم لا يكتبون ولا يبينون عن أنفسهم، وأنهم في البعد عن الأدب كالعلماء، إلا أن العلماء حفظوا قواعد النحو والصرف والبلاغة، وقرأوا فيها الشروح الضخمة والحواشي، وهؤلاء استراحوا من ذلك كله . . . بقي الأدباء فاسأل الأدباء، أن ما حال بينكم وبين التاريخ وما منعكم أن تمدوا أيديكم إلى هذا الكنز العظيم؟ وانظر ماذا يقولون!

***

على أن من الإنصاف أن نقرر أن هذا التاريخ الذي انصرف عنه علماؤنا وعدوه من فضول الكلام، وأخذه شبابنا من غير مأخذه، إنما هو التاريخ السياسي، تاريخ الملوك

والأمراء ، والحروب والوقائع ، وهو أضعف جانب فى تاريخنا — على قوته وعظمته إذا قيس بتواريخ الأمم الأخرى —

أما التاريخ القوى حقاً ، الحافل بالأمجاد الطافح بالعظمة فهو تاريخنا العلمى الذى عنى به العلماء بعض العناية ، وانصرف عنه الشبان الانصراف كله ، ولم يكونوا منه فى قليل ولا كثير ، لأن دراسته تحتاج إلى آلات لا يملكونها ، من اطلاع على اللغة وتمكن منها ، إلى معرفة بمصطلحات أهل الحديث والفقه ، إلى وقوف على التفسير ومعرفة بالأثر ؛ فإذا عرضوا له على جهل بهذا كله ، فإنما يعرضون نفوسهم إلى الفضيحة وانتضاح الجهل كما افتضح من هو أعلم منهم ، من « أولئك » القوم ، واتضح جهلهم ، وظهرت أغراضهم . إن تاريخنا القوى حقاً العظيم الماجد هو التاريخ العلمى ، تاريخ الرجال . وابدأ فيه بسيرة سيد البشر ومعلم الخير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التى ألفت فيها المئات من الكتب، ثم عرج على سير الصحابة فاقرأها فى الإصابة أو فى أسد الغابة أو فى الاستيعاب، ثم انظر العمل الذى قام به مؤرخو رجال الحديث، ومبلغ ما وصلوا إليه من الإحاطة والتدقيق والصدق، وانظر هل أفلت منهم خبر ، أو خفيت عليهم حقيقة . وهل صنع علماء أمة كانت أو تكون كالذى صنعوا ، أو تصوروا إمكان هذا الصنيع المعجز الهائل ؟ لقد صنفوا فى الرجال الكتب الجامعة ، وأفردوا الضعاف والمتروكين بالتأليف ، ووضعوا الكتب فى ضبط الأسماء وبيان ما تشابه منها وما اشتبه وبحثوا فى تواريخ الوفاة ، وحققوا الأسانيد ... ثم انظر ما ألف من كتب لرجال فى سائر العلوم والفنون ، كطبقات الأطباء وأخبار الحكماء ، والنحاة ، والأدباء ، وفى المذاهب كتاب السبكى الجليل القيم ، طبقات الشافعية ، والديباج فى أعيان المذهب المالكى ، وطبقات الحنابلة والحنفية ، وما ألف منها فى المدن كتاريخ بغداد الذى ترجم لكل من دخل بغداد فلم يبق ولم يذر ، والكتاب الذى لم يؤلف فى بابه مثله كتاب ابن عساكر العجيب الذى عجزت دمشق عن طبعه ونشره ... وما ألف بحسب العصور ، وعندنا سلسلة كاملة لأعيان كل عصر من العصر السابع إلى الثانى عشر الهجرى ، وما كان منها جامعاً كوفيات الأعيان الكتاب النفيس الممتاز ، وغير ذلك مما يتعسر الإحاطة به ، وتقصى خبره فى مثل هذا المقام ، وفى كل صفحة من هذه الكتب مبعث إلهام الأديب ، وأصل قصة للكاتب ، وكنز من كنوز العقل والقلب لا يفنى

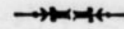
ومعلمو التاريخ لا يدرون بهذه الكتب ولا يعرفونها ، بل هم ينفِّرون منها على جهل بها ، وينعتونها بالكتب الصفراء . وإذا عرفوا المشهور منها لم يعرفوا التفريق بين رواياته ، ولا دراية لهم برجاله . وإذا وقع أحدهم على خبر فى تاريخ الطبرى أو ابن الأثير طار به فرحا ، يحسبون أن كل ما بين دفتى الطبرى فى درجة واحدة من الصحة ، مع أن الطبرى يروى القوى الثابت من الأخبار وما دونه ، وهو حين يذكر سند الرواية يسقط عن نفسه تبعتها . وعليك أنت أن تعرف السند الموثوق به من السند الواهى — ومن الرجال من هو معروف بالكذب كابن الكلبى — ومع ذلك فقد رأينا مدرساً من « هؤلاء » المدرسين يعتمد عليه فى رواية عرضها ابن الكلبى بصيغة التضعيف ، ويقرر لتلاميذه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يسجد للأصنام فى الجاهلية ، وأن ذلك معنى قوله تعالى : « ووجدك ضالا فهدى » . ومنهم من ادعى حل الخمر عند فقهاء العراق ظناً منه أن النبيذ معناه الخمر المعروف . . .

ومما يقع فيه « هؤلاء » المعلمون الذين يحملون يداً فيها « الشهادة الرسمية » ورأساً مثل فعل (قال) فى الصرف ... أنهم لا يعرفون درجات الحديث ولا مصطلح أهله . وهم لذلك يروون الحديث الموضوع على أنه صحيح ، ويأخذون الأحاديث من كتب الأدب والمحاضرات . ولقد قرأت فى كتاب لأديب من أدباء هذا العصر نسبة حديث إلى الصفحة (كذا) من كتاب الأغانى ، وإثباته ذلك فى حاشية الصفحة كما يعزو العالم إلى « البخارى » أو « مسلم » !

وأكثر « هؤلاء » المعلمين ، يدرّسون التاريخ بالهوى ، ويسيرون فيه بالغرض ، ويضعون النتائج أولاً ، ثم يختلقون لها المقدمات ، فعل أساتذتهم من المستعربين . فالشيوعى منهم يدرس التاريخ بهوى شيوعيته ويسوقه مساق هواه ، ولو جار على الحق أو خالف الرواية ؛ والقومى « النازى » يبحثه بقوميته وإلحاده ، فيكذب فيه على الواقع ويقول بأن العرب كانوا بالغين ما بلغوه ولو لم يأتهم الله بالإسلام ، وأن الإسلام فرع من العروبة ، ويعوّه على

رضا شـــــاه بهلوى

تأليف الأستاذ أحمد محمود الساداتى



بين مصر وإيران صلات تاريخية عريقة ، وقد توثقت هذه الصلات بالمصاهرة الكريمة بين الأمتين الخالدتين ، وكان أن انتهزها الكتاب والباحثون فرصة حميدة للاشادة بمجد الشعبين ، وتمكين التعارف بينهما تعريفاً رباطه الدين والعلم ، وقوامه الآمال المشتركة ، والأغراض المتفقة ، وغايته المودة والأخوة الكاملة

وهذا الكتاب الذى كتبه الأستاذ الساداتى إنما هو ثمرة من تلك الثمرات الطيبة ، فقد أراد أن يشيد برجولة رضا شاه بهلوى وما قام به نحو شعبه من ضروب الإصلاح ، ولكنه رأى من حق البحث أن يرجع إلى الماضى السحيق يستقبل تاريخ إيران من عهد الإمبراطورية القديمة ، ثم الإمبراطورية الوسطى ، ثم ما كان من شأن آل ساسان ، وما زال يتدرج فى البحث حتى انتهى إلى نهضة إيران الحديثة ، وما كان يصطرع فيها من نزاع بين الشرق والغرب ، والجمود والتقدم ، والرجعية وروح الإصلاح ؛ ثم ما كان من جهود رضا شاه بهلوى فى إنقاذ بلاده والسير بها فى سبيل الرقى والتقدم حتى بلغت إلى ما وصلت إليه وما زالت تواصل الجهود ...

فهذا الكتاب فى الواقع هو كما يقول الدكتور عبد الوهاب عزام فى تقديمه : يتضمن طرفاً من تاريخ إيران وجغرافيتها وأحوالها الحاضرة ، وهو يجدى كثيراً على قراء العربية فى التعريف بأمة إسلامية لها مكانتها فى ماضى الإسلام وحاضره ، ويعد فاتحة طيبة لكتب أخرى تفصل الكلام فى تاريخ إيران ومكانتها بين الأمم عامة ، وصلاتها بالأمم الإسلامية خاصة ، وحسب الأستاذ الساداتى أنه السابق

ولا شك أن الأستاذ الفاضل قد وجد عناء كبيراً فى كتابة كتابه ، لأن المصادر التى تناولت تاريخ إيران فيها كثير من الشبهات وبعضها قد كتب بروح التعصب ، وخصوصاً ما كتبه الاستعماريون الذين حقدوا على إيران فى نهضتها وأزعجتهم جهود رضا شاه فراحوا يزيعون عنه الأراجيف والأكاذيب ، وقد اجتهد الأستاذ فى الابتعاد عن هذه الشبهات ، وحرص على تخير الصحيح الثابت من الروايات ، وهذه لا شك مهمة تحتاج إلى كثير من الذكانة والحذر والفطنة التى تنفذ إلى ما وراء الظواهر .

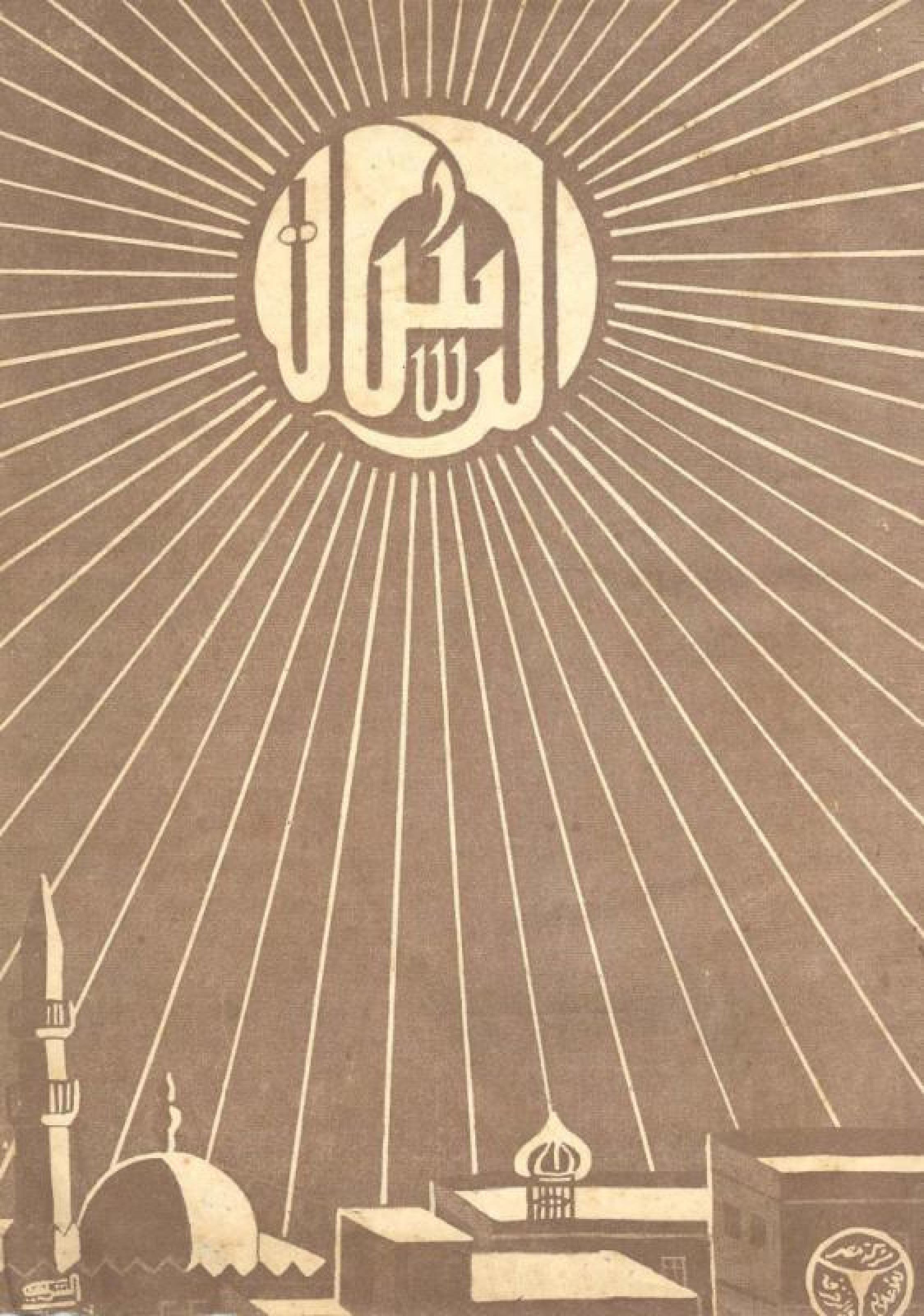
ضعاف المفول بقوله : « نحن عرب قبل أن نكون مسلمين » مع أن العرب ما كانوا شيئاً لولا الإسلام ، وأن تاريخ العرب الحق يبدأ بسيد كل عربى خاتم الأنبياء محمد رسول الله إلى الناس كافة ، الذى قال: «لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى» . وقديماً حرف التاريخ ذوو الأغراض والنحل وصرفوه إلى غاياتهم وأغراضهم .

***

وبعد فهذه طائفة قليلة من القصص التاريخية ، ليست كاملة ولا مبرأة من العيوب ، ولكنها باكورة الثمار وهى مكتوبة فى أزمنة مختلفة ففى أسلوبها تفاوت ، ولعل الله يوفق إلى الثمار الناضجة ، ويكتب لنا وللمشتغلين النجاح ، ويلهم الكسالى العمل ، ويجعل منا أمة كالأمة التى كتبت بفعالها هذا « التاريخ المظلم » .

الثانوية الأولى (دمشق) — على الطنطاوى

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }


الرسالة

8me Année No. 351 — Lundi - 25 - 3 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر المالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٥١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ صفر سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٥ مارس سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

التبشير عدو للسلام

وهو فى مصر عمل لا يليق

كان للتبشير وللتجارة رائدَى الِاستعمار السياسى منذ اعتزم الغرب الطموح الإغارة على الشرق الغافل . وكان التبشير أشد الرائدين تدخلاً فى شؤون الناس، وتغلغلاً فى أصول المجتمع، لما تهيأ له من شتى الوسائل فى التعليم والتطبيب والتمريض والاستشراق والخدمة العامة ، فاستطاع أن يُرهج بين الأمة المتحدة العجاج الخانق، ويزرع بين الملة الواحدة الزرع الخبيث ، ويخلق فى كل شعب من شعوب الشرق بالعصبية الدينية والتربية المذهبية قِلّةً حاقدة تعارض الكثرة فى الرأى، وتخالفها فى الهوى، وتغرى بها الشر، وتمالئ عليها العدو، وتحاول أن تتحيز فى السكن والعمل، وتتميز بالشعار والجنس ، فلا تكون من قومها فى دنيا ولا آخرة

ليس التبشير بهذا المعنى ولهذا الغرض من ألسنة الدين ولا من سبل الحق ؛ فإن الدين مهما تعددت أسماؤه وغيّر فيه أبناؤه لا يزال فى حقيقته الحبل الذى يصل به الله من انقطع ويجمّع عليه من تفرق . وإن الحق مهما تفرقت سبله وتنوعت وسائله لا تزال له غاية واحدة يهتدى إليها من ضل ، ويتوافى عليها من تأخر . وإذن لا يكون هذا التبشير القاطع

المفرق إلا وسيلة من وسائل السياسة الماكرة ، أو حيلة من حيل العيش الرخيص

وأعجب العجب أن الدول الديمقراطية الثلاث هي التي تحضن هذا النظام الطفيلي وتموله وتقوده وتحميه . وكان أقرب الظن بها أن تنكره بعد ما أمكن الشرق من يده وخلى بينها وبين ميراثه ؛ فإن السلام والوئام والحب هي التي تقرب إليها من تسوس ، وتحفظ عليها ما تملك . وهؤلاء المبشرون الذين اضطرهم اليأس أو البؤس أو العجز إلى الاتجار بالدين والعيش على ضلالات العقول وحزازات النفوس وسفاهات الألسن ، لا يستطيعون أن يبذروا غير الخلاف ، ولا أن يحصدوا غير الضغينة

***

إن ميدان الدعوة إلى الله لا يكون بالطبيعة إلا في بلاد الوثنية والجهالة . هنالك يجد المجاهدون في سبيل الحق والخير ملايين من عُمى القلوب يخبطون الظلام ويطأون الشوك ويعانون الحيرة ويكابدون اللغوب ، فيخرجونهم إلى نور الله ويلحقونهم بركب الإنسانية . ولكننا لا نرى جمهرة المبشرين ولا معركة التبشير إلا في مصر ، كأنما انحصر جهد هؤلاء المتعطلين في فتون المسلم عن دينه ، وإخراج المسيحي عن مذهبه ! فهل حسب أولئك الناس أن الإسلام بالنسبة إلى المسيحية كفر ، وأن الأرثذكسية بالقياس إلى البروتستانتية فسوق ؟ لا يمكن أن يقع هذا في حسبان عاقل ؛ والقوم قد جاوزوا العقل والفطنة إلى الدهاء والخبث ؛ فهم أكيس من أن يجهلوا حقيقة الإسلام وينكروا أثره الإلهي المحمدي في تكريم الإنسان وتنظيم العيش وإصلاح الأرض ؛ ولكن الأشبه بالحق أنهم اطمأنوا إلى العيش الغرير في ظلال النيل، فأمنوا وسمنوا وخاروا، وعز عليهم أن يبعدوا عن مَصابّ الدولار والجنيه والفرنك في بنوك القاهرة ، فأدخلوا في روع الشيوخ والعجائز من المؤمنين الترين في أوربا وأمريكا أن البلد الذي يقوم فيه الأزهر هو المكان الذي لا يزال يصاب فيه المسيح . واستعانوا على خديعتهم بما افتراه قساوسة القرون الوسطى على الإسلام من الزور النبي والكذب الأحمق . وأوهموهم أنهم إذا أمدوهم بالمال ورفدوهم بالنفوذ جندوا الجنود، وأحكموا الخطط، وهجموا على الإسلام فصرعوه في عقر داره من أجل ذلك كان المبشرون حِراصاً على أن يجمعوا الأزهريين للمناظرات أو المحاضرات بشتى الحيل ؛ فإذا ما اجتمعوا أخذوا صورهم في أروقة الكنائس أو في أفنية المدارس ، ثم بعثوا بها إلى مرسليهم ومموّليهم مدسوسة بين صحيفتين بارعتين إحداهما تبشر بتنصير (العلماء) ، والأخرى تلح في مضاعفة الجزاء !

وفي سبيل أن ينعم المبشرون بالطعام الدسم ، والشراب السائغ ، والفراش الوثير ، والفراغ الوادع ، تتمزق العلائق بين الإخوة في النسب والوطن والعقيدة ، وتكون الجفوة بين المسلم والقبطي في مصر ، وبين المسلم والماروني في لبنان !

***

إن التبشير عدو للسلام، لأنه تأريث للعداوة وتشتيت للوحدة في غير طائل . وهو في مصر عمل لا يليق ، لأنه إهانة وخة لدينها وعقلها ، وإن لها في تاريخ الحضارة والثقافة والمجد صفحات لا يزال إشراقها السماوي يضيء جوانب الحاضر ويبدد غياهب المستقبل

لقد آن للديمقراطيات التي تقاتل عصبية الجنس في ألمانيا ، وتناضل عصبية المذهب في روسيا، أن تخلص سياستها من عصبية الدين ؛ فإن ذلك أخلق بالسلام الأدبي الدائم الذي تحارب الطغاة على سلطانه ، وتريد أن تقيم العالم الجديد بعد الحرب على أركانه

إن للتبشير في مصر فواجع لا تزال الضلوع محنيّة منها على نار. ولعل أرمضها للقلب وأبعثها للدمع مأساة ابنة الوزير الذي حال المبشرات بينه وبينها بالقوة لأنها نذرت نفسها للمسيح ، ثم أخفوها عن العيون حيناً من الدهر ، ثم نقلوها على رغم الأسرة والحكومة إلى فرنسا فانقطعت الأسباب بين أهلها ودينها ووطنها إلى الأبد !

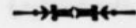
***

ذلك ما خطر لي أن أكتبه ساعة قرأت ما كتبته مجلة التبشير الدولية عن حركة التنصير في مصر . وإن في ذلك المقال الخبيث من اقتراح تأليف مجلس مسيحي وطني لتنظيم التبشير وتعميمه في المدن، وإنشاء المدارس الإلزامية لفتنة الصبية والأيفاع في القرى، كَبلاغاً للقائمين على سلامة التربية وحماية العقيدة من لصوص الضمائر وشياطين القلوب !

أحمد حسن الزيات

عبقرية محمد الادارية

للأستاذ عباس محمود العقاد



فى الإسلام أحكام كثيرة مما يدخل فى تصرف رجال الإدارة كما نسميهم اليوم

وفيه وصايا كثيرة عن المعاملات ، كالمساقاة والمبايعة والاستقراض والشفعة والتجارة وسائر شؤون المعيشة الاجتماعية يقتدى بها المشترعون فى جميع العصور

ولكنا لا نريد بما نكتب عن النبي أن نسرد أحكام الفقه ونبسط وصايا الدين ، فهى مشروحة فى مواطنها لمن شاء الرجوع إليها

وإنما نريد أن نعرض لأعماله ووصاياه من حيث هى ملكات شخصية وسلائق نفسية تلازمه حيث كان مؤدياً لرسالة الدين ، أو مؤدياً لغير الرسالة من سائر أعمال الإنسان

كذلك لا يعنينا مثلاً أن نتكلم عن « الإدارة » كأنها نصوص المنشورات و « اللوائح » التى تدار بها الدواوين وتجرى عليها تفصيلات الحركة فى مكاتب الحكومة ، فإن هذه وما إليها هى أعمال منفذين مأمورين وليست أعمال مديرين آمرين

وإنما نعنى الملكة الإدارية من حيث هى أساس فى التفكير من اعتمد عليه استطاع أن يقيم بناء الإدارة كلها على أسس قويمة ، ثم يدع لغيره تفصيلات الأضابير والأوراق

فليس فى وسع رجل مطبوع على الفوضى مستخف بالتبعة أن يؤسس إدارة نافعة ولو كان فيما عدا ذلك كبير العقل كبير الهمة أما السليقة المطبوعة على إنشاء الإدارة النافعة فهى السليقة التى تعرف النظام وتعرف التبعة وتعرف الاختصاص بالعمل ، فلا تسنده إلى كثيرين متفرقين يتولاه كل منهم على هواه

وقد كانت هذه السليقة فى محمد عليه السلام على أتم ما تكون كان يوصى بالرياسة حيثما وجد العمل الاجتماعى أو العمل المجتمع الذى يحتاج إلى تدبير . ومن حديثه المأثور : « إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم » . ومن أعماله المأثورة أنه كان يرسل الجيش وعليه أمير وخليفة للأمير وخليفة للخليفة إذا أصيب من تقدمه بما يقعده عن القيادة

وكان إلى عنايته بإسناد الأمر إلى المدبر القادر عليه حريصاً على تقرير التبعات فى جميع الشئون ما كبر منها وما صغر على النهج الذى أوضحه صلوات الله عليه حيث قال : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وهى مسئولة عنه ، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه . ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »

وقد كانت أوامر الإسلام ونواهيه معروفة لطائفة كبيرة من المسلمين أنصاراً كانوا أو مهاجرين ، ولكنه عليه السلام لم يترك أحداً يدعى لنفسه حقا فى إقامة الحدود وإكراه الناس على طاعة الأوامر واجتناب النواهى غير من لهم ولاية الأمر وسياسة الناس

فلما قتل بعض المسلمين غداة فتح مكة رجلاً من المشركين غضب عليه السلام وقال فيما قال من حديثه المبين : « ... فمن قال لكم إن رسول الله قد قاتل فيها فقولوا إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحللها لكم يا معشر خزاعة ... »

ولما أراد أن يصادر الخمر نهج فى ذلك منهجاً يقصد به إلى التعليم والاستئنان كما جاء فى رواية ابن عمر حيث قال :

«أمرنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن آتيه بمدية ، فأتيته بها . فأرسل بها فأرهفت ثم أعطانيها فقال اغد على بها . ففعلت ، فخرج بأصحابه إلى أسواق المدينة وفيها زقاق الخمر قد جلبت من الشام . فأخذ المدية منى فشق ما كان من تلك الزقاق بحضرته ثم أعطانيها، وأمر الذين كانوا معه أن يمضوا معى ويعاونونى، وأمرنى أن آتى الأسواق كلها فلا أجد فيها زق خمر إلا شققته ففعلت ، فلم أترك فى أسواقها زقاً إلا شققته »

وهذا تصرف المدير بعد تصرف النبى الذى يبين الحرام ويبين الحلال

فالخمر شربها وبيعها ونقلها حرام يعلمه جميع المسلمين من تفقه منهم ومن لم يتفقه فى الدين ، ولكن المحرمات الاجتماعية ينبغى أن تكون فى يد ولى المسلمين لا فى يد كل فرد يعرف الحلال والحرام . وليست المسألة هنا مسألة تحريم وتحليل ولكنها مسألة إدارة وتنفيذ فى مجتمع حافل يشتمل على شتى المصالح والأهواء

ولا يصاب ببلاء هو أضر عليه من بلاء الفوضى والاضطراب واختلاف الدعاوى وانتزاع الطاعة وتجاهل السلطان؛ فلم يكتف النبي بصريح التحريم في القرآن، ولا اكتفى بإسناد الأمر إلى غير معروف الصفة في تنفيذ الأحكام، بل خرج بنفسه ثم أمر رجلاً بعينه وأناساً بأعينهم أن يمضوا في إتمام عمله، ولم يجعل ذلك إذناً لمن شاء أن يفعل ما شاء

وما أكثر ما سمعنا في أيامنا الأخيرة عن الأمن والنظام، وتوطيد أركان الشريعة والقانون، ولكننا لا نعرف في كل ما قيل كلاماً هو أجمع لوجوه الصواب في هذه المسألة من قول النبي: «السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» ومن قوله فيما رواه عبادة بن الصامت «... ألا تنازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بَواحا عندكم من الله فيه برهان» ومن قوله: «الإمام الجائر خير من الفتنة، وكلٌ لا خير فيه. وفي بعض الشر خيار» ومن قوله: «إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم» إلى أحاديث في هذا المعنى هي جماع الضوابط التي تقوم عليها الإدارة الحكيمة، والخطط السليمة المستقيمة، بين آمر ومأمور: نظام وفوق النظام سلطان، وفوق السلطان برهان من الشرع والعقل لا شك فيه، وجميع أولئك على سماحة لا تتعسف النزاع ولا تتعسف الريبة ولا تلتمس الفلواء

هذا الإلهام النافذ السديد في تدبير المصالح العامة، وعلاج شئون الجماعات، هو الذي أوحى إلى الرسول الأمي قبل كشف الجراثيم، وقبل تأسيس الحجر الصحي بين الدول، وقبل العصر الحديث بعشرات القرون، أن يقضي في مسائل الصحة واتقاء نشر الأوبئة بفصل الخطاب الذي لم يأت العلم بعده بمزيد، حيث قال: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها»

فتلك وصية من ينظر في تدبيره إلى العالم الإنساني بأسره لا إلى سلامة مدينة واحدة أو سلامة فرد واحد. إذ ليس أصون للعالم من حصر الوباء في مكانه، وليس من حق مدينة أن تنشد السلامة لنفسها أو لأحد من سكانها بتعريض المدن كلها لعدواها

***

على أن الإدارة العليا إنما تتجلى في تدبير الشؤون العامة حين تصطدم بالأهواء وتنذر بالفتنة والنزاع، فليست الإدارة كلها نصوصاً وقواعد يجرى الحاكم في تنفيذها مجرى الآلات والموازين التي تصرف الشؤون على نسق واحد، ولكنها في كثير من الأحيان علاج نفوس وقيادة أخطار لا أمان فيها من الانحراف القليل هنا أو الانحراف القليل هناك

وذلك هو المجال الذي تمت فيه عبقرية محمد في حلول التوفيق واتقاء الشرور أحسن تمام. فما عرض له تدبير أمر من معضلات الشقاق بعد الرسالة ولا قبلها إلا أشار فيه بأعدل الآراء، وأدناها إلى السلم والإرضاء

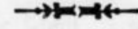
صنع ذلك حين اختلفت القبائل على أيها يستأثر بإقامة الحجر الأسود في مكانه، وهو شرف لا تنزل عنه قبيلة لقبيلة، ولا تؤمن عقبى الفصل فيه بإيثار إحدى القبائل على غيرها ولو جاء الإيثار من طريق المصادفة والاقتراع فأشار محمد بالرأي الذي لا رأي غيره لحاضر الوقت ولمقبل الغيب المجهول. فجاء بالثوب ووضع الحجر الأسود عليه وأشرك كل زعيم في طرف من أطرافه، وكان من قسمته هو على غير خلاف بين الناس أن يقيمه بيده حيث كان، وأن يتسلف الدعوة وهي مكنونة في طوايا الزمان، ولو علموا بها يومئذ لما سلموا ولا سلم من عدوان وشنآن

وصنع ذلك يوم هاجر من مكة إلى المدينة فاستقبلته الوفود تتنافس على ضيافته ونزوله وهو يشفق أن يقدح في نفوسها شرر الغيرة بتمييز أناس منهم على أناس أو اختيار محلة دون محلة، فترك لناقته خطامها تسير ويفسح الناس لها طريقها حتى بركت حيث طاب لها أن تبرك، وفصلت فيما لو فصل فيه إنسان كبير أو صغير لما مضى فصله بغير جريرة لا تؤمن عقباها بعد ساعتها ولو أمنت في تلك الساعة على دَخل وسوء طوية

وصنع ذلك يوم فضَّل بالغنائم أناساً من أهل مكة الضعيف إيمانهم على أناس من الأنصار الذين صدقوا الإسلام وثبتوا على الجهاد. فلما غضب المفضولون لم يكن أسرع منه إلى إرضائهم بالحجة التي لا تغلب من يدين بها بل تريه أنه هو الغالب الكاسب، وأنها تصيب منه القنع والإقناع في وقت واحد: «... أوجدتم يا معشر الأنصار في لُعاعة من الدنيا تألّفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر

ليلة نابغة !

للدكتور زكي مبارك



أخي الأستاذ الزيات :

في نيتي أن أريح قراء « الرسالة » من شطحات قلمي شهراً أو شهرين لأفرُغ لواجبات أدبية لا يصح معها الانشغال بمواجهة القراء من أسبوع إلى أسبوع، وهي واجبات كواجبات الفراء (١)

وقبل أن أشرع في تناسي الشوق إلى قرائي ، وهو تناسٍ موجع ، أصوّر لك ولهم ما وقع بيني وبين الأستاذ لطفي جمعة ليلة المناظرة بكلية الآداب ، وكانت مناظرة عنيفة لا يزال صداها يقرع سمعي فيبدّد ما أشتهيه من الأنس بالهدوء والصفاء

وما ذكرتُ تلك المناظرة إلا جزعتُ ، وتولاني الندم على الاشتراك في جدال يضيق به صدر الغالب والمغلوب ، لأنه لم يمض بلا هنوات مزعجات

ولهذه المناظرة تاريخ :

سألني فريق من أعضاء اتحاد كليـة الآداب أن أشترك في مناظرات هذا الموسم ، وعرضوا عليّ طوائف من الموضوعات لم يرقني منها غير موضوع :

« يزدهر الأدب في عصور الفوضى الأخلاقية »

ولكنني اقترحت أن يُعدَّل فتوضع « الفوضى الاجتماعية » مكان « الفوضى الأخلاقية » فراراً من التجني على كلية الآداب باسم الغيرة على الأخلاق !

ومضت أيام وأسابيع، والاتحاد مشغول بالبحث عمن يناظرني من أساتذة كلية الآداب ، ثم علمت أن الأساتذة لم يَرُقهم أن يناظروا « الشاغب الأكبر » على حد تعبير الدكتور هيكل باشا .

وهل من المعقل أن يتقدم أحد الأساتذة لمناظرتي وقد شاع وذاع أني أكبر الشاغبين ؟ !

هي تهمةٌ ظالمة ، كما تعرف ، ولكنها حقّت عليّ ، وسأقضي بقية العمر في الدفاع عن نفسي ، ولكن بلا نفع ولا غناء ، لأن الناس عندنا يؤذيهم أن يصححوا رأيهم في رجل ظلموه بلا بينة ولا برهان !

وأخيراً ، ظفر اتحاد الكلية برجل يناظرني . ولكن ، أي رجل؟ كاتب مشهور كانت لي معه وقائع في بعض الجرائد والمجلات؟ فقلت في نفسي : هي مكرمة من مكرمات الأستاذ لطفي جمعة ، فقد هداه القلب الطيب إلى أنني رجل ينهاه الأدب والذوق عن الاستخفاف بأقدار الزملاء

واتصلت به تليفونيًّا لأقول له : إني أريد أن تكون هذه المناظرة مثالاً في التلطف والترفق ، وإني سأبدأ خطبتي بكلمة في الثناء عليه ، وإني أنتظر أن يقابل الجميل بالجميل !

وكنت صادقاً فيما قلت ، لولا خاطرٌ واحد كدَّر صدق بعض التكدير ، وهو الحرص على أن يبقى هذا المُناظر فلا يطير من يدي ، كما طار من كنت أرجو مناظرتهم من أساتذة الكلية . صفح الله عنهم وعفا عني ! !

كان الأستاذ لطفي جمعة متردداً في القبول، ثم قبل بعد تمنّع ؛ والحرُّ قد ينخدع في بعض الأحايين !

وفي تلك الأثناء نقلت الإذاعة اللاسلكية مناظرة قامت بين الدكتور طه والدكتور هيكل في كلية العلوم ، مناظرة مرتجلة قام بها الرجلان بدون استعداد ، فقلت : يجب أن أستعدّ لتكون

(١) إشارة إلى قول الفراء : « سأموت وفي نفسي شيء من حتى » ويريد الكاتب أن يقول إن الباحثين شواغل قد يراها الجمهور من التوافه مع أنها في الواقع من الأمور ذوات البال عند من يعرف

الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار . اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار . . . »

كلام مدبر فيه الإدارة والرياسة هبة من هبات الخلق والتكوين ، فهو مدبر حين تكون الإدارة تدبير أمور ، ومدبر حين تكون الإدارة تدبير شعور ، وهو كفيل ألا يلي مصلحة من المصالح تمتورها الفوضى ويتطرق إليها الاختلال ، لأنه يسوسها بالنظام وبالتبعة، وبالاختصاص وبالسماحة. وما من مجتمع يساس بهذه الخصال ويبقى فيه منفذ بعدها لاختلال أو انحلال ، أو لخلل في إدارة الأعمال .

عباس محمود العقاد

مناظرة كلية الآداب أقوى من مناظرة كلية العلوم ، ولأعطى الدكتور طه والدكتور هيكل درساً فى وجوب الاحتفال بمقامات الكلام ، ولأحمى نفسى من شر المرجفين ، وأنا أدافع عن رأى شائك لا ينظر إليه المجتمع بغير الاستخفاف

ورجعت إلى مذكرات كنت أعددتها يومَ عُرِض علىّ الموضوع أول مرة ، ولكنى لم أجد تلك المذكرات ، فأقبلت على الموضوع من جديد وشغلت به نفسى سهرتين طويلتين ليصل فى الجودة والقوة إلى ما أريد

وبعد أن فرغت من تحريره وتحبيره دعوت أحد أبنائى ليقرأه علىّ فكانت فرصة لدرس طريف من دروس التربية ، فقد عرفت أن الرجل لا يدرك ما فى أسلوبه من نَبَوات إلا حين يسمعه من رجل سواه ، وكذلك غيّرتُ بعض الألفاظ وعدّلتُ بعض التعابير ، فظهرت الخطبة وهى فنٌّ من الكلام المصقول

* * *

ثم مضيت إلى كلية الآداب فى أصيل اليوم الأول من أيام آذار ، ولا يمكن الوصول إلى كلية الآداب إلا بالسير فى شارع فؤاد الذى يعبُر الزمالك مرة ويعبُر النيل مرتين ، ثم انعطفت السيارة فسايرت النيل حتى وصلت إلى شارع الجامعة المصرية ، عليه وعليها أطيب التحيات !

هو اليوم الأول من أيام آذار ، وأيام مصر كلها آذار ، فما تعرف بلادنا غير نضرة النعيم فى جميع الفصول

ونظرت فى الساعة فلم أجد من فسحة الوقت غير خمس دقائق ، وهى مدة لا تسمح باجتلاء المحاسن فى شارع الجامعة ، الشارع الجميل الذى كان يستهوينى فأسير فيه بتأدب واستحياء رعاية لحقوق العين والقلب فى البقعة التى صارت مراتع ظباء ، ومرابض أسود

الله أكبر ولله الحمد !

هذه كلية الآداب التى قضيتُ فيها مواسم شبابى ، يوم كنت فتًى عارم الدزيمة يؤذيه أن يقال إن فى الدنيا كتاباً لم يطلع عليه ، ويوم كنت معمور القلب بأرواح الأمانى ، ويوم كنت أتوهم أن الجِد فى طلب العلم لا يظفر صاحبه بغير الإعزاز والتبجيل ، ويوم كنت إخال أن الكفاح فى سبيل الأدب قد تنصب له الموازين، ويوم كنت أومن بأن الجهاد لا يضيع فى هذه البلاد ! ! !

تقع كليتنا الغالية على يمين من يدخل حَرَم الجامعة المصرية ، جامعة فؤاد الأول . وسميت بذلك ، لأن فؤاداً العظيم كان أول رئيس للجامعة المصرية. وكليتنا الغالية لها روح قهار، لأنها شرعت للناس مذاهب التفكير فى الآداب والفنون ، ولأنها أول معهد فى مصر فتح أبوابه لحرية الفكر والعقل بلا تمييز بين العقائد والآراء

كاد الدمع يطفر من عينى حين دخلتُ كليتنا الغالية، فقد خُيِّل إلىّ أن أحجارها لا تنطق ، وإلا فكيف غاب عنى تفصيل ما فيها من حُجُرات وغُرُفات ؟ وكيف نسيتُ الأماكن التى كنت ألقى فيها دروسى ومحاضراتى على قرب العهد ؟ وكيف غفلتْ عَتَباتها عن الوثوب لمصافحتى وقد صحِبتُها طالباً ومدرساً من سنة ١٩١٣ إلى سنة ١٩٣٧ ودرت معها من ميدان الاسماعيلية إلى ميدان الفلكى ، ومن حى المنيرة إلى قصر الزعفران ، ثم إلى حديقة الأرمان ، ولم يزاحم هواها فى فؤادى غير الأعوام التى قضيتها بكلية الآداب فى جامعة باريس ؟

وزاد فى أساى وشجاى أنى سأخرج مهزوماً فى المناظرة التى تقام بكليتنا الغالية ، لأنى سأدافع عن رأى جرىء لا يقول به إلا من يخاطر بنفسه فيتعرض لغضب المجتمع . ولكن لا بأس فكليتنا الغالية قد علمتنا الثورة على أوهام المجتمع

والتفتُ ما تبدد من شمل عزيمتى وصمدت إلى غرفة الأساتذة ، الغرفة التى صاولتُ فيها من صاولتُ ، وكايدتُ من كايدتُ ، يوم كنت أحسب أن مغايظة الرجال لن تكون لها عواقب سود ... فماذا رأيت ؟

رأيت الأستاذ لطفى جمعة قد انحاز إلى شابين من طلبة الكلية يدبّر معهما خطط النضال ، فأردت أن أفسد ذلك التدبير بدعوته إلى المسارعة بالنزول إلى المدرّج الأكبر حيث ينتظر جمهور المستمعين . ولكنى لم أفلح ، فقد تعلل بأنه ينتظر فنجاناً من القهوة ، ورجانى أن أعفيه من حضورى لحظات !

وسألت عن نصيرىّ فى المناظرة فرأيت فتاة حييّة اسمها ليلى، وفتًى ناشئاً اسمه صادق ، فحدقت فيهما وقلت: أين تقعان مما أريد ؟!

ونزلت إلى المدرّج بعد أن أعلن الدكتور ابراهيم مدكور أن الطلبة هم الذين سيبدأون ثم تقع الموقعة بينى وبين غريمى

وبعد تلبُّث وتمكُّث حضر الأستاذ لطفي جمعه ومعه نصيراه من الطلبة، ونصيرٌ ثالث هو الدكتور أحمد موسى، وهو فيما سمعت أديب متمكن من ناصية الفكر والبيان

ثم صرّح رئيس المناظرة بأنه أستاذ ونائب، وأنه سيطبّق اللائحة الداخلية إذا وقع بين المتناظرين شجار، فعرفتُ أن الأمر جِدٌّ في جد، وأني سأعاني من هذه المناظرة ليلةً نابغية

وشرعتْ ليلى تتكلم، ليلى يوسف، وهي فتاة جمّلها الله بالأدب والحياء، فما كانت إلا دُمية مصقولة صيغت من العقل والذوق، وسيكون لها في حياة الأدب تاريخ، وقد تفوق الفتاة البنومة الصوت التي نضجت قبل الأوان فأضر بها الزهو والخُيلاء

ولكن ليلى ستلحن كما تلحن سائر « الليالي » ستلحن لحناً خفيفاً في مواطن لا تسلَم فيها ألسنة « بعض » الأساتذة، ومع ذلك يثور الجمهور ويصخب ليصح له أن يضايقني ويضايقها باسم الغيرة على قواعد اللغة العربية!

ثم يتكلم الشيال أفندي فيقترح أن يحال الدكتور زكي مبارك إلى المعاش لأنه من دعاة الفوضى الاجتماعية ولأن مؤلفاته تشهد بأنه يستهين بالعادات والتقاليد!

ويتكلم بعد ذلك محمد عبد الرحمن صادق أفندي بأسلوب يشهد بأنه من طلبة كلية الآداب، كليتنا الغالية التي نذكر عهدها بالحب والعطف، ونعرف فضلها في تثقيف الأذواق والعقول

ويميل بدير متولي أفندي على أذني فيسرُّ إليّ أنه قد يستبيح ما لا يباح في تحقير الرأي الذي أرتضيه، فآذن له بذلك، لأني من أقوى أنصار حرية الرأي، ولكن الفتى يخلف ظني به كل الإخلاف فيعلن عجبه من أن أكون مفتشاً بوزارة المعارف مع أني من دعاة الفوضى الاجتماعية، ويدعو الجمهور إلى الحذر من آرائي!

ويجيء دوري في الكلام فأبدأ بالثناء على الطالبين اللذين شتماني بلا ترفق ولا استبقاء، لأنهما من طلبة كليتنا الغالية، ولأنهما سمعا أصوات مصطفى عبد الرازق وطه حسين وشفيق غربال، ولأننا حضرنا لتمرينهم على النضال والصيال

ثم أشرع في الخطبة التي أعددتها في سهرتين طويلتين، وبعد لحظات يقوم شاب ثائر فيقاطعني مقاطعة عنيفة ويؤلب عليّ الجمهور بشطط وإسراف، وأنظر فأراه أحد تلاميذي، التلاميذ الذين كنت أشقى في سبيلهم إلى عهد قريب

ويدور رأسي من هول ما أراه، فهذا الشاب كان موضع ثقتي، وكنت أكرمه لنفسه ولأخيه ولقرب بلده من سنتريس

وتطوف بذهني أخيلة مزعجة: فليس هذا الشاب أول من يغدر ويخون، وليست ليلتي هذه أول ليالىّ في الحرجات والمضجرات، ولن تكون آخر العهد بشقائي في رحاب كلية الآداب، فسأرجع إليها لخدمة الأدب والفلسفة بعد عهد قريب أو بعيد، يوم يعتدل الميزان. وأنظر فأرى الأستاذ لطفي جمعة قد اطمأن واستراح، وأرى أنصاره في جذل وانشراح

هي إذن معركة جدية سأنهزم في ميدانها المشئوم وسيلحقني عارها الباقي، والله الحفيظ!

وينهض رئيس المناظرة فيهدد الشاب الذي يقاطعني، يهدده بالطرد، فيخشع الشاب ويستكين، ويصفق الجمهور إيذاناً بالشوق لسماع صوتي، فأمضي في إلقاء خطبتي وأنا جريح، وأضيف إلى خطبتي كلمة أقول فيها: إني اشتغلت بالتدريس في كلية الآداب أربع سنين ومن حقي عليها أن تسمح بأن أجهر في رحابها بكلمة الحق

وما قيمة الاشتغال بالتدريس أربع سنين في معهد مصريّ وقد صرّح شاعرنا شوقي بأن كل شيء في مصر ينسى بعد حين!

ما قيمة الاعتماد على الماضي وهو ذُخر الفانين؟ وبأي حق أغضب على شاب يقاطعني وقد أخذ عني أصول الثورة والصيال؟

ثم أمضي في خطبتي كالسيل الجارف فأفتن الجمهور فتنة ماحقة يضج لها خصومي بتصفيق الإعجاب ليسلموا من سخرية الجمهور الذي سَحَرَهُ بياني

ويميل الأستاذ لطفي جمعة على أذني وهو يقول: أهنئك على أن عرّضت سمعتك للأراجيف في سبيل الحق. فأبتسم وأنتظر أن يصنع كما صنعت ليظفر بتهنئتي! وينهض الخصم الشريف فيسلك في تحقيري جميع المسالك، ويدّعي أني فوضويٌّ أثيم، وينهى الجمهور عن الانخداع بآرائي، ويعلن عجبه من أن يكون لي كتاب اسمه التصوف الإسلامي في مجلدين كبيرين مع أني من أنصار الفوضى الاجتماعية، ويقضي في تحامله وتجنّيه ساعة وبعض ساعة وأنا ساهم مطرق أكاد أذوب من الخجل والحياء

وأعود إلى نفسي فأندم على تعريض سمعتي لهذا الضيم البغيض

وأعرف أنى أخطأت فى قبول المناظرة مع هذا الخصم الشريف، وأعاهد الله على اعتزال الناس إلى يوم الممات. وما الذى يغريني بصحبة بنى آدم ولم أر منهم غير شجا الحلوق، وقذى العيون؟

لقد أقمت دارى على حدود الصحراء لآنس بظلمات الليل، ولأنسى أننى موصول الأواصر بهذا الخلق، ولأناجى مَوَات البادية حين أشاء، ثم قهرنى حب العُزلة على أن أغلق نوافذ دارى فلا أرى الوجود إلا بأوهام من طيف الخيال

لطفى جمعة الرجل الفاضل الذى أثنيت عليه فى خطبتى يقضى فى شتمى ساعة وبعض ساعة؟ تلك إحدى الأعاجيب، إن كان النكر فى زماننا من الأعاجيب!

أين أنا من دهرى وزمانى؟ أمثلى يُشتَم جهرة فى كلية الآداب، وقد حملتُ على كاهلى أحجار الأساس؟

هو ذلك، وعلى نفسى أنا الجانى، فقد عرّضت سمعتى للجدال الذى يسمونه مناظرات! وينتهى الأستاذ لطفى جمعة من خطبته بعد أن مزّق آرائى كل ممزّق، وبعد أن شفى صدره منى، وكانت بينى وبينه ترات وضغائن وحُقود

ويعلن رئيس المناظرة أن ليس لى غير خمس دقائق. وما الذى أستطيع أن أصنع فى خمس دقائق وقد جُرّحت أشنع تجريح؟ ما الذى أستطيع أن أصنع وقد سمعت ما أكره فى معهد يؤذينى أن أذكر فيه بغير الجميل؟ فى خمس دقائق يعرف الأستاذ لطفى جمعة أن لحمى مرّ المذاق، ويؤمن وهو كاره بأن التطاول على رجل مثلى لا يمرّ بلا جزاء، ويعرف من قاطمونى أن شأنى أعظم مما يظنون. فى خمس دقائق تحوّل السامعون إلى من حال إلى أحوال فصاروا جميعاً من أنصارى، فى خمس دقائق شهدتْ أحجار كلية الآداب بأن المنطق أعظم من التنكيت، فى خمس دقائق عرف غريمى أن سهر الليل فى الاستعداد للحرب أمر يوجبه العقل الصحيح

وبعد كلمات ألقاها الأستاذ مندور والدكتور موسى طلب رئيس المناظرة أصوات الحاضرين فكانوا جميعاً فى صفى، وهتف هاتف: «تحيا الفوضى الاجتماعية!»

فأجبت: «تسقط الفوضى ويحيا النظام!»

والآن، يا صديقى الزيات، أحب أن أسجل فى مجلتك ظاهرة من شمائل الجيل الجديد، لتعرف أن اليأس الذى يساورنا قد يكون من الأوهام فى أكثر الأحايين

وهذه الظاهرة هى يقظة الجمهور فى هذا المعهد، وقلة انخداعه بالتزاويق والتهاويل. وأؤكد لك أنه كان مفهوماً عند أنصارى أنى لن أخرج من تلك المعركة بغير الهزيمة، وأن التملق بالشكليات سينفع خصومى فيظفرون بالنصر المبين

وقد أراد الأستاذ لطفى جمعة أن يغض من جهودى فقال إنى شغلت نفسى بالموضوع أياماً وليالى، ولكن هذه السخرية لم تنفع، لأن الاستعداد للنضال من أصول التشريف، وهو يقابل عند الجمهور بالإعزاز والتبجيل. وهل كان يجوز لى أن أستخف بمناظرة تقام فى كلية الآداب؟

وهذا النصر الذى نظفر به من وقت إلى وقت هو الذى ينسينا ما قد نجنى من الحنظل فى الحياة الأدبية، وهو الذى يهوّن ما نعانى من عقوق الزملاء، أو «بعض» الزملاء!

وقد حدثتك فى مطلع هذا الحديث أنى سأريح قراء الرسالة من شطحات قلمى شهراً أو شهرين، فلتعلم وليعلموا أنى قد أشتاق إليك وإليهم فأرجع بعد أسبوع أو أسبوعين، والسلام.

زكى مبارك

* * *

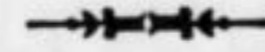
حاشية: قرأت الكلمة الطريفة التى نشرتها الرسالة للأستاذ شكرى فيصل، وأنا واثق بأنه رأى أمر العتاب هيناً بعد أن قرأ خطبتى فى الرسالة. أما احترامى للأقطار العربية وحبى لها وشغفى بها فهو أظهر من أن يحتاج إلى براهين.

في الاجتماع اللغوى

صراع اللغـــات

للدكتور على عبد الواحد وافى

مدرس العلوم الاجتماعية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول



ذكرنا في المقالين السابقين[1] أن عوامل الصراع بين اللغات يرجع أهمها إلى عاملين: أحدهما أن ينزح إلى البلد عناصر أجنبية تنطق بلغة غير لغة أهله، وثانيهما أن يتجاور شعبان مختلفا اللغة فيتبادلا المنافع، ويتاح لأفرادهما فرص للاحتكاك المادى والثقافى. وقلنا إن نتائج هـذا الصراع تختلف باختلاف الأحوال: فتارة ترجح كفة إحدى اللغتين المتنازعتين فتصرع اللغة الأخرى؛ وتارة تتكافأ قواهما أو تكاد فتعيشان معاً جنباً لجنب

ثم عرضنا للحالات التى يحدث فيها تغلب إحدى اللغتين على الأخرى. فذكرنا أنها ترجع إلى أربع حالات: اثنتان منها تتصلان بالعامل الأول (نزوح عناصر أجنبية إلى البلد) واثنتان تتصلان بالعامل الثانى (مجاورة شعبين مختلفى اللغة). فأما حالتا العامل الأول فهما:

١ — أن يكون كلا الشعبين همجيًّا قليل الحضارة منحط الثقافة، ويزيد عدد أفراد أحدهما عن عدد أفراد الآخر زيادة كبيرة. ففى هذه الحالة تتغلب لغة أكثرهما عدداً سواء أكانت لغة الغالب أم المغلوب، لغة الأصيل أم الدخيل؛ على شريطة أن تكون اللغتان من شعبة لغوية واحدة أو من شعبتين متقاربتين: كما كان شأن الانجليزية مع النورماندية

٢ — أن يكون الشعب الغالب أرقى من الشعب المغلوب فى حضارته وثقافته وآداب لغته، وأشد منه بأساً، وأوسع نفوذاً. ففى هذه الحالة يكتب النصر للغته، فتصبح لغة جميع السكان، وإن قل عدد أفراده عن أفراد الشعب المغلوب؛ على شريطة أن تدوم غلبته وقوته مدة كافية، وأن تقيم بصفة دائمة جالية يمتد بها من أفراده فى بلاد الشعب المغلوب، وأن تمتزج بأفراد هذا الشعب، وأن تكون اللغتان من شعبة لغوية واحدة أو من شعبتين متقاربتين: كما كان شأن اللاتينية مع لغات كثير من الأمم التى تغلب عليها الرومان فى العصور القديمة؛ والعربية مع لغات معظم الأمم التى تغلب عليها العرب فى العصور الوسطى

وأما الحالتان اللتان يؤدى فيهما العـامل الثانى (مجاورة شعبين مختلفى اللغة) إلى هذه النتيجة، فهما:

١ — أن تكون نسبة النمو فى أحد الشعبين المتجاورين كبيرة، لدرجة يتكاثف فيها ساكنوه، وتضيق مساحته بهم ذرعاً، فيشتد ضغطه على حدود الشعب المجاور له، وتكثر تبعاً لذلك عوامل الاحتكاك والتنازع بين اللغتين. وفى هـذه الحالة تتغلب لغة الشعب الكثيف السكان على لغة المناطق المجاورة له؛ على شريطة ألا يقل عن أهلها فى حضارته وثقافته وآداب لغته؛ ويتأكد انتصاره إذا كان أرقى منهم فى هذه الأمور: كما كان شأن الألمانية مع لغات المناطق المجاورة لألمانيا بسويسرا وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا والنمسا

٢ — أن يتغلغل نفوذ أحد الشعبين فى الشعب المجاور له. وفى هـذه الحالة تتغلب لغة الشعب القوى النفوذ؛ على شريطة ألا يقل عن الآخر فى حضارته وثقافته وآداب لغته؛ ويتأكد انتصاره إذا كان أرقى منه فى هذه الأمور: كما كان شأن الفرنسية والاسبانية مع لغة شعوب الباسك بمناطق البرانس؛ والإنجليزية والفرنسية مع اللغات السلتية بإيرلندا واسكتلندا وويلز ومنطقة البريتون

وسنختم هذا البحث فى مقال اليوم بالكلام عن الحالات التى تعجز فيها كلتا اللغتين عن التغلب على الأخرى



فيما عدا الحالات الأربع السابقة تتكافأ قوى اللغتين المتنازعتين فتعيشان معاً جنباً لجنب، وتسلك كل منهما فى سبيل تطورها المنهج الذى يتفق مع طبيعتها، وترسمه لها نواميس الارتقاء اللغوى والأمثلة على ذلك كثيرة فى تاريخ الأمم الغابرة وفى العصر الحاضر.

فاللغة اللاتينية لم تقو على اللغة الإغريقية، مع أن الأولى كانت لغة الشعب الغالب، وذلك لأن الإغريق، مع خضوعهم

---

(١) أنظر عدد ٣٤٧ صفحة ٣٢٥ وتوابعهـا، وعدد ٣٤٩ صفحة ٤٤٧ وتوابعها

١٤٠٣٤

للرومان ، كانوا أعرق منهم حضارة وأوسع ثقافة وأقدم لغة . وقد سبق أن انهزام لغة الشعب المغلوب أمام لغة الشعب الغالب لا يحدث إلا إذا كان الشعب الثاني أرقى من الشعب الأول في جميع هذه الأمور

ولهذه الأسباب نفسها لم تقو لغات الشعوب الجرمانية التي قوضت الامبراطورية الرومانية الغربية في فاتحة العصور الوسطى على التغلب على اللغة اللاتينية في البلاد التي قهرتها بمناطق الجول La Gaule (فرنسا) وما إليها

واللغة اللاتينية لم تقو على التغلب على لغات أهل بريطانيا العظمى ، على الرغم من فتح الرومان لبلادهم واحتلالهم إياها نحو مائة وخمسين سنة ، وعلى الرغم من أن الشعب الغالب كان أرقى كثيراً من الشعب المغلوب في حضارته وثقافته . وذلك لأن الجالية الرومانية في الجزر البريطانية لم تكن شيئاً مذكوراً ، ولم تمتزج امتزاجاً كافياً بأفراد الشعب المغلوب . وقد تقدم أن التغلب اللغوي لا يتم في مثل هذه الحالات إلا إذا أقامت في البلاد المقهورة جالية يعتد بها من أفراد الشعب الغالب ، وتم الامتزاج بينها وبين أفراد الشعب الآخر

واللغة العربية لم تقو على الانتصار على اللغة الفارسية ، على الرغم من فتح العرب لبلاد فارس وبقائها تحت سلطانهم أمداً طويلاً ، وذلك لأن الشعب العربي لم يكن إذ ذاك أرقى حضارة من الشعب الفارسي ، ولقلة عدد الجالية العربية بفارس وضعف امتزاجها بالسكان ، ولانتماء اللغتين إلى فصيلتين مختلفتين (فالعربية من الفصيلة السامية ، والفارسية من الفصيلة الهندية ـ الأوربية)

واللغة العربية لم تقو على الانتصار على اللغات الإسبانية على الرغم من فتح العرب للأندلس وبقائها تحت سلطانهم نحو سبعة قرون . وذلك لانتماء العربية إلى فصيلة غير فصيلة اللغات الإسبانية ولعدم امتزاج الشعوب القوطية بالشعب العربي

واللغة التركية لم تقو على التغلب على لغة أية أمة من الأمم التي كانت خاضعة للامبراطورية العثمانية بأوربا وآسيا وأفريقيا ، على الرغم من بقاء هذه الأمم مدة طويلة تحت سلطان تركيا ، وذلك لاختلاف فصائل اللغات (فالتركية من الفصيلة الطورانية ، على حين أن لغات معظم الأمم التي كانت خاضعة لتركيا من الفصيلة السامية — الحامية أو الهندية — الأوربية) ، ولأن الترك كانوا أقل حضارة وثقافة من معظم الشعوب التي كانت تابعة لهم ، ولقلة عدد جاليتهم في بلاد هذه الشعوب ، ولضعف امتزاجها بالسكان

ولم تقو الانجليزية على التغلب على اللغات الهندية ، على الرغم من خضوع الهند لانجلترا منذ أمد طويل ، وذلك لأن شعوب الهند أعرق حضارة من الانجليز ، ولقلة عـدد أفراد الجالية الانجليزية بهذه البلاد ، وعدم امتزاجها بالسكان

والجوار بين فرنسا وانجلترا وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال لم يؤد إلى تغلب لغة شعب منها على لغة شعب آخر . لأن احتكاك لغاتها لا ينطبق على حالة من الحالتين اللتين يحدث فيهما التغلب بالمجاورة .

ولهذا السبب نفسه لم يؤد الجوار بين الفارسية والعراقية والتركية والأفغانية إلى تغلب لغة منها على لغة أخرى

وكذلك شأن الإنجليزية في الولايات المتحدة بأمريكا الشمالية مع الأسبانية المجاورة لها في المكسيك ، وشأن البرتغالية التي يتكلم بها في البرازيل مع الأسبانية التي يتكلم بها في الجمهوريات المتاخمة للبرازيل بأمريكا الجنوبية ؛ وشأن الحبشية مع الصومالية. وهلم جرا

* * *

ولـكن عدم تغلب إحدى اللغتين لا يحول دون تأثر كل منهما بالأخرى .

فقد تأثرت اللاتينية بالإغريقية في أساليبها وآدابها ، واقتبست منها طائفة كبيرة من مفرداتها .

وقد تركت اللغة العربية آثاراً قوية في الأسبانية ، وبخاصة في المناطق التي كانت تسمى بالأندلس أو أندلوسيا Andalousie حيث دام سلطان العرب عدة قرون .

والصراع بين العربية والفارسية ، وإن لم ينته إلى تغلب إحداهما قد ترك في كل منهما آثاراً واضحة من الأخرى ؛ وبخاصة من ناحية المفردات .

والصراع بين التركية ولغات الأمم التي كانت خاضعة للامبراطورية العثمانية ، وإن لم ينته إلى تغلب لغوي ، قد ترك في التركية آثاراً قوية من هذه اللغات ، وبخاصة من اللغة العربية وترك كذلك في كثير من هذه اللغات آثاراً ظاهرة من التركية وقد بلغ هذا التأثر مبلغاً كبيراً في بعض هذه اللغات : فلغة العراق في العصر الحاضر مثلاً قد أخذت عن التركية كثيراً من المفردات

وبعض الأصوات التي لا نظير لها في العربية ، (كالصوت الذي ينطق به بين الشين والجيم المعطشة في مثل « عربنجي ») وطائفة من القواعد الصرفية كقواعد النسب والنعت والإضافة في مثل « عربنجي » (نسبة إلى العربة) ، « خوش ولد » : (خوش كلمة فارسية الأصل معناها : حسن) — كتبخانة « دار الكتب »

والإنجليزية الحديثة في انجلترا والفرنسية الحديثة في فرنسا تتقارضان المفردات منذ أن أتيح للشعبين المتجاورين فرص للاحتكاك وتبادل المنافع .

***

وكذلك تفعل الفرنسية بفرنسا مع الألمانية بألمانيا[1] ومع أخواتها المجاورة لها في الجنوب الشرقي والغربي بإيطاليا وأسبانيا والبرتغال .

وتجاور التركية والفارسية ، وإن لم يؤد إلى تغلب إحداهما على الأخرى ، قد ترك في التركية آثاراً واضحة من الفارسية ، وبخاصة في المفردات، وترك كذلك في الفارسية بعض آثار من التركية

وتجاور الفارسية والعراقية في العصر الحاضر ، وإن لم ينته إلى تغلب لغوي ، قد نقل إلى كل منهما كثيراً من آثار الأخرى في المفردات والقواعد والأساليب

وتجاورة الجرمانية واللاتينية في العصور القديمة ، وإن لم يؤد إلى تغلب واحدة منهما على الأخرى ، قد نقل إلى أولاهما كثيراً من مفردات الثانية[2] ، وترك في الثانية بعض آثار من الأولى[3]

وقصارى القول : متى اجتمع لغتان في بلد واحد أو تجاورا لا مناص من تأثر كل منهما بالأخرى ؛ سواء أتغلبت إحداهما أم كتب لكلتيهما البقاء . غير أن هذا التأثر يختلف في مبلغه ومنهجه ونواحي ظهوره ونتائجه في الحالة الأولى عنه في الحالة الثانية .

فإذا كان التغلب كتب لإحداهما تراها تسيغ كل ما تأخذه من الأخري مهما كثرت كميته ؛ فيستحيل إلى عناصر من نوع عناصرها ، فتزداد به قوة ونشاطاً ، بدون أن تدع له مجالاً للتأثير في بنيتها أو تغيير تكوينها الأصلي . على حين أن المغلوبة لا تقوى على مقاومة ما تقذفها به الغالبة من مفردات وقواعد وأساليب ، ولا تكاد تسيغ ما تتجرعه منها ، فيتخمها ويضعف بنيتها ، فتخور قواها ، وتفنى أنسجتها الأصلية شيئاً فشيئاً حتى تزول : كما كان شأن الإنجليزية مع النورماندية ، والعربية مع القبطية

وإذا كان البقاء قد كتب لكلتيهما تعمد كل منهما إلى ما تأخذه من الأخرى فتسيغه ، وتفيض عليه من حيويتها ، وتقاوم آثاره الهادمة . فتبقى كل منهما متميزة الشخصية ، موفورة القوى سليمة البناء : كما كان شأن الفارسية مع العربية .

علي عبد الواحد وافي
ليسانسيه ودكتور في الآداب من جامعة باريس

(١) انتقل إلى الألمانيـة الحديثة ، تحت تأثير جوارها لفرنسا ، كثير من المفردات الفرنسية ، لدرجة أزعجت أولي الأمر وحملتهم على التدخل لصد هذا التيار وإحلال مفردات ألمانية محل المفردات الفرنسية الدخيلة . ولكن قسطاً كبيراً من جهودهم بهذا الصدد قد ذهب أدراج الرياح

(٢) كثير من المفردات الألمانية تبدو جرمانية خالصة ، ولكن يظهر عند البحث أنها مقتبسة في الأصل من اللاتينية . فمن ذلك مثلا : Schreiben يكتب، lesen يقرأ ، katze قط ، pflanze نبات. فانها على الرغم من ظاهرها الجرماني ماخوذة من الكلمات اللاتينية scribere, legere, catta, planta

(٣) غير أن تأثر اللاتينية بالجرمانية كان في حكم العدم قبل غارات الجرمان على الأمبراطورية الرومانية الغربية في فاتحة العصور الوسطى

الانتاج العقلى للأمم

للدكتور جواد على

كانت الفكرة السائدة حتى أوائل القرن الثانى عشر تقول بتطور البشرية تدريجياً من نقص إلى كمال ، ومن جهل إلى علم . وقد اختلفوا فى المبدأ ، هل كان الإنسان فى بدء خلقته كاملاً ، ثم انتكس وتدهور لخطيئة وقع فيها ، ثم بدأ يستغفر من ذنبه ، ويكفر عن سيئاته ، أو أنه بدأ كما نعرفه الآن ، ثم هو آخذ فى التطور إلى التكامل شيئاً فشيئاً ، حتى يعود الإنسان الكامل ذا المثل العليا التى يريدها بعض الفلاسفة وأصحاب الأحلام البعيدة[١] . غير أن تطور العلم الطبيعى ، وانتصار أوربا فى ساحات الفن والصناعات الضخمة والاستعمار ، زلزل هذه الفكرة وولد فى نفوس العلماء من أبناء تلك القارة ، فكرة الاستئثار بالزعامة والقيادة العالمية . فقسمت الشعوب العالمية إلى طبقات وأجناس لكل منها خواص وأوصاف كما هو شأن عالم الحيوان والنبات . وإذا كان علماء النبات أو الحيوان يقسمون العالم النباتى أو الحيوانى إلى فصائل وأجناس ، فلم لا يقسم علماء الأجناس البشرية ، البشر إلى فصائل وأجناس كذلك ؟ تستأثر أوربا بالفصائل العالية والأوصاف الراقية ؛ ثم تعطى ما تجود به للفصائل التى تمت إليها بصلة وقرابة ، ثم الأبعد فالأبعد .

وبعض الآراء المعتدلة ترى العالم مؤلفاً من مجموعة حضارات[٢] مستقلة لكل منها روحية خاصة ونفسية سماها (نفسيات الحضارة Kulturseelen) كما هو رأى الفيلسوف Spengler و Oswald تمر عليها جميع أدوار الحياة المعروفة من ولادة وطفولة وشباب ثم شيخوخة فمات ، تستغرق هذه المدة حوالى ألف سنة ، وأن ثلاث حضارات جاءت على التوالى تكمل الواحدة الأخرى وهى الحضارة اليونانية وسمتها (apollinische) والحضارة العربية وخاصيتها (magic) والحضارة الأوربية الجرمانية وهى (faus-tische)[١] بينما رأى الفيلسوف الألمانى الآخر Graf Herman Keyserling (كراف هرمان كيسرلنك مؤسس مدرسة الحكمة فى مدينة دارمشتد Darmstadt) تنوع الحضارات البشرية كذلك واختلافها ولكنها ترجع كلها إلى أصل واحد ومنبع منظم هو القوة الخارقة الموجودة فى البشر التى تدفع الأمم بالسير إلى الأمام . قد تكون هى الحكمة (weisheit) لذلك كان يرى وجوب الاستفادة من الحكمة بدلاً من العلم المجرد[٢]

وقد نشأ من جراء البحث المتوالى فى اختلاف عقليات الأمم وقابليات إنتاجها بحث خاص يسمى Kulturmorphologie غايته التعمق فى دراسة أم الأرض ، واستخراج الأسباب التى أدت إلى ازدهار الحضارات أو هبوطها . وقد قسم العالم A. Sutherland شعوب العالم إلى أربع طوائف :

١ — الشعوب الفطرية ، أو التى تعيش على الطبيعة الأولى وسماها Naturvölker

٢ — الشعوب المتوحشة البربرية Barbarvölker

٣ — Zivilvölker أو الشعوب المتمدنة

٤ — Kulturvôlker أو الشعوب المتحضرة . ولكل من

---

(١) انظر ذلك فى الفلسفة المسيحية وخصوصاً الدور المسمى scholastik ومبحث Gnade أو الخلاص من الخطيئة وفلسفة Fichte ١٧٦٢ــ١٨١٤ وكذلك Herder (١٧٤٤ ــ ١٨٠٣) فى كتابه I deen mur Philo-sophie der Geschichte der menschheit وكذلك الفيلسوف هيكل Hegel (١٧٧٩ ــ ١٨٣١) فى كتابه Die Vorlesungen über die Philosophie der Geschichte

(٢) تميز اللغة الألمانية بين كلمة Kultur المأخوذة من اللاتينية Cultura من Colere ومعناها الاعتناء بالأرض وإصلاحها وزرعها فاستعملتها للعناية بالبشر وخصصتها بالمسائل الروحية فقط والناحية النفسية مثل الشعور والعواطف والديانة والموسيقى والاجتماع والسياسة والتربية على اختلافها (انظر ص ٣٥١ Philosophisches wörterbuch و Heinrich Schmidt واستعملت كلمة Zivilisation المدنية المأخوذة من اللاتينية كذلك Civis للدلالة على الحالة التى تعقب التوحش ثم خصصت بعد ذلك للاتجاهات العقلية =

= الظاهرة مثل أشكال المدن الصناعات أى الصناعات والفنون الآلية من البشر . ومتى ما انحطت الحضارة تهبط إلى المدنية قد يمكن أن تتساوى الشعوب فى المدنية أما من ناحية الحضارة فلا يمكن ذلك إذ أن لكل شعب عواطف وروحيات خاصة به انظر نفس الكتاب كذلك ص ٧٤٦ واللغة الانكليزية والفرنسية لا تميز بين الكلمتين انظر كتاب Geschichte der Z. in England

(١) انظر كتاب Phi. wörterbuch ص ٦٢٠ وكتاب Lehrbuch der Oeschichte der Philosophie و Windelband ص ٦٠٩ مادة ٣ فصل ٤٩

(٢) أنظر Phi. wörterbuch ص ٣٢٨ وكتاب Der mythus ص ٢٩٦ ، ٦٠ ، ١١٥ ، ٤٠٣

هذه الأقسام درجات ثلاث : واطئة ، ووسطى ، وعليا[1]

ولكن هنا مشكلة عظيمة تجابه الباحث ، وهى الدوافع الخفية التى تدفع بالشعوب إلى الحضارة وإلى إنتاجها الروحى ، هل هو عامل داخلى يدفعها إلى ذلك دون مؤثر خارجى ، أو عامل خارجى بحت كما يذهب إليه الماديون وأتباع كارل ماركس، أو دوافع المحيط الخارجى كالزمان والمكان كما هو رأى العالم Les Frobenius (ولد ١٨٧٣) (أنظر ص ١٩٣ Phi. wörterbuch) وبين البدأين بون شاسع كما يظهر . ومن أتباع المذهب الأول العالم الفرنسى Gustave Le Bon و Gobineau (١٨٤١ـ ١٩٣٠) و H. st. Chamberlain و Ratmenhafer و Waltmann و V. Eickstedt فى ألمانيا و Ward فى أمريكا. جعلوا العنصرية العامل الأساسى فى تكوين الحضارة. ومن هذه النظرية استحدثت النازية رأيها من أن الحضارة العالية نتيجة العقلية الآرية فقط، وأن العالم يتألف من طبقات ثلاث حسب رأى هتلر مؤسس هذا المذهب ، من :

١ — شعوب أسست الحضارة Kulturbegrunder

٢ — وشعوب تنقل الحضارة دون أن تضيف إليها شيئاً أو تغير فيها ، وسماها Kulturträger

٣ — وشعوب هدمت الحضارة وأفسدتها سماها : Kulturmerstörer ومن هذه الشعوب الروسي البلشفى، ولا أدرى أغير رأيه الآن بعد اتفاقه مع البلاشفة أم لا

وتتلخص فكرته فى أن الحضارة البشرية نتيجة عاملين فقط : الدم والأرض Blut und Boden والعنصرية هى المظهر الخارجى للروح[2]

على عكس هــذه النظرية تماماً نظرية « كارل ماركس » Karl Marx (١٨١٨ — ١٨٨٣) مؤسس المذهب المنسوب إليه والبلشفية والشيوعية التى تتخذ المادة كأساس فى كل شيء، إذ يقول : « الآراء السائدة فى زمن ما تمثل آراء الطبقة الحاكمة فى ذلك الزمن[1] » وكذلك قوله: «غيروا الوضع السياسى والوضع الاقتصادى تغيروا بذلك البشر[2] » ولذلك تحارب البلشفية النظام الرأسمالى لأنها تعتقد أنه مصدر كل شر، وبإزالة هذا النظام تتغير العقلية البشرية وتفكيرها ويظهر تفكير عالى جديد . وهذا الرأى مأخوذ بصورة مكبرة عن المبدأ المادى الذى يجعل المادة أساس كل شيء والروح نتيجة عمل الدماغ . بل لقد غالى الفيلسوف فوىرباخ (١٨٠٤ — ١٨٧٢) Ludwig Feurbach حتى قال: « الإنسان يكون حسبما يكون أكله[3] »

لست بمتعرض للنقد هنا ولكن أقول: للطرفين غلو عظيم، وكلا الرأيين قديم فى تاريخه يرجع إلى عصور اليونان وربما يرجع إلى أقدم من ذلك . وإنى أرى أن هنالك آراء عامة تطرق إليها عقل كل إنسان، كل على حسب قابليته ومحيطه ، ومن هذه الآراء هــذه المشكلة ، ولكن الأساليب فى معالجتها تختلف والمشكلات تتغير ؛ والاكتفاء بالدم والأرض فى تعيين الإنتاج العقلى للأمم أمر يخالفه الواقع . ونرى أن التطور الاقتصادى مثلاً قد قلب أوربا رأساً على عقب وغير مقاييسها الأدبية والأخلاقية والنزعة الروحية المتصوفية التى سادت ألمانيا والعالم بعد الحرب العظمى ، وأن حب التشاؤم الذى ساد كذلك، وظهور مايسمى بـ Sexualität أو الميول الشاذة بأجلى مظاهرها ومعالجتها علناً،وظهور مذهب expressionismus ومذهب impressionist[4] تدل على أن المادة مؤثرة فى الروح لا محالة . وكذلك من باب المغالطة جعل الإنسان آلة تتحرك بمؤثر خارجى كالآلات الصماء التى تشتغل فى المعامل. وما نجده من العوامل الروحية فى الطفل وفى حالات المجرمين بالطبيعة ، والذكاء

---

(١) أنظر كتاب Phi. wörterbuch ص ٣٠٣ وكتابه المشهور aiber den wrsprung und das wachstum des moralischen instinhts 1898

(٢) انظر كتاب هتلر كفاحى Mein Kampf جـ ١ ص ٢٨٥ ، ٣١٦ ، وكذلك كتاب روزنبرك Der Mythus ص ٦٠ ، ١١٥ ، ٤٠٣ وكتابه Blut und Boden ١٩٣٤

(١) انظر كتاب الاشتراكي الهولندى Hendrik de man المسمى Der Somialismus als Knltur bewegung ص ٥

(٢) انظر نفس الكتاب ص ٦

(٣) انظر كتاب Geschlchte der Philosophie, Vorländer ص ٤٢٢

(٤) أنظر كتاب Curt Gebauer المسمى : Detsuche Kultur Geschichte der Neumeit فصل الحضارة بعد الحرب العظمى

أو الجمود الفكرى يناقض النظرية المادية تماماً

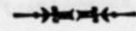
ولـكن ما هى المقاييس التى ستنتخب للحكم على أمة بأنها متحضرة وعلى درجة حضارتها ؟ أجـد أن الأساليب المتبعة الآن فى أوربا فى تعيين الحضارات كلها مقاييس واهنة ، إذ هى تقيس كل حضارة بالنسبة إلى المقاييس التى لديها ، وبالنظر إلى العرف أو العادات أو الذوق الذى تراه ، وهذا ما يدعو إلى الحكم الخطئ طبعاً . أضف إلى ذلك أن دراسة الإنتاج الروحى أمر عسير جداً ويحتاج إلى إلمام كثير بالظروف والأحوال التى تحيط بتلك الأمة التى ستدرس أو يحكم عليها . فالعزم Wille مثـلاً يجعله كتاب أوربا اليوم من أهم ميزات الأوربى ، وكذلك حبه للسيطرة eroberung Geist ولكن لو حللنا الظروف والأحوال التى حطمت هذه الميول ، وجو الشرق المحرق وخيراته الكثيرة لوجدنا أن تلك لم تعد ميزة عقلية، إنما هى ناحية وردت عن طريق الحاجة والمحيط

إن الفيلسوف نيتشه يجعل الحضارة ترادف « العزم على العمل » التى يرددها دائماً will mur macht . وقد أخذت الفاشية ذلك ، وموسولينى من أكبر المحبين لفلسفة نيتشه ، فجعل الامبراطورية تشمل الناحية الروحية كذلك ، فهو ينص فى كتابه الذى ألفه فى مبادئه على أن السيطرة والاستيلاء Impero لا تقصر على السيطرة بكثرة الجنود والأراضى ، بل تشمل سيادة العالم الروحى وتقوية الإرادة والعزم . وضعف هذه معناه الانحطاط والتدهور [1]

مراد على
خريج جامعة هامبرك بألمانيا

(١) أنظر كتاب موسولينى Benito Mussolini, La dottrina del Fascismo Con Una Storia del Movimento fascista di Gioachino Vo'pe. 1932.

تأمــــلات



لا أدرى يا فتاتى كنه نظراتك، ولا أخدع النفس بتصوراتى؛ إنما بعينيك سواد يغمر ضوؤه فؤادى، ويذيب حره جنانى. أسمع صوتك المتهدج محاولين أن تخالى عليه المستحيل من ثباتك، وأحس خفقان قلبى يعلوه هذا الشحم واللحم، فتخفى ضرباته على وجدانك.

تضربين يا فتاتى فى حدود الثلاثين، ولما تكادى، وأغذ أنا السير والأربعون من ورائى؛ فبيننا ما يسوغ لك مناداتى بيا أبى. وكم يحمل هذا النداء من عطف ومن مرثية! وكم تتجلى فيه الحقيقة المرة، وتشرق به النفس الظمآى إلى فيض الحب!... كم ردنى إلى اليأس قدر ما أرتد إلى الأمل... لكن، يا فتاتى، قد آثرتك بحواسى، وهى تهتف بك وتهيب، فهل تستجيبين؟

وكيف تستجيب يا صديقى، وقد كان ما مضى كله عبثاً فى عبث... لقد فتحت عينىّ عليه، وكانتا مغمضتين، فروعنى ما رأيت: رأيت سداً هائلاً يقوم بينى وبينها، هو فرق ما بينى وبينها من سن... دروجى إلى الكهولة، وخطرها فى مطارف الشباب هو الذى أترع قلبى غماً، وأزال الغشاوة عن عينىّ...

رأيت الأوهام بعين الحقيقة تمضى فراراً لا تلوى على شىء. وكأنها خشيت أن تلقانى وجهاً لوجه، فأبصق من مر الحقيقة على وجهها. خجلت أوهامى فانحسرت عن بصيرتى، وخلفت أثرها فى الكآبة التى لا تبرح تلازمنى

ظلمتنى يا فتاتى حين أرخيت لى فى حبل الأمل فتعلقت به وشددت عليه، وتشبثت وكأنى أتشبث بالحياة، وأية إماءة حادة كانت تكفى لقطع الحبل لأنه من عمل الشذوذ ومجانبة الحقائق، والعمى عن الحدود. لكن حبلى لم ينقطع بشىء حاد. نظرة لا حياة فيها، لأنه لا اكتراث فيها، كفت لأن تقطع حبل آمالى بعد إذ كانت تحييها فى سالف الأيام نظرة أخرى. وفتور أذن إلى التثاؤب وأوهى منه، طعننى فى الصميم فكانت الصرخة التى فتحت عينىّ على حلمى المنكوب

بلى يا فتاتى! لقد نكبت كما لم ينكب غافل، وعاودنى الرشد غير رشيد، وحزّت الحسرة فى فؤادى ولن تزال تحز إلى الأبد

كنت ماثلة لعينى، فى اليقظة وفى المنام، فى السر وفى العلن، وخلياً ومشغولاً، ومغتبطاً ومكموداً

ومثلت لعينى بعد الخيبة أجلى ما تكونين، وأنضر ما تكونين، تعلو شفتيك تلك الابتسامة الحائرة فتزيد فى حيرتى وتثير من حسرتى

شربت المر ليعوضنى من حُلوكِ، وألزمت حواسى حدها لأفر من طيفك. ثم عمدت إلى مخيلتى وقد خفت على نفسى الخبال فمسحت منها صورتك إلى حين. ثم ضبطت خيالك متلبساً بالسطو على رأسى المضطرب وأعصابى المحطمة وليس بها لمثلك غناء فأقصيته، وأغمضت عينى دونه، وذهبت ألتمس السلوان

وكيف تسلو يا صديقى، بل كيف تجبن عن احتمال الذكرى وتتهيب وجه الحبيب؟ أتراك خشيت الألم ولوعة الهوى، وما الهوى من دون لوعة وألم؟ أتريد المتعة الرخيصة؟ إنك إذن لأنانى أو عابث؛ وإنى لأعيذك يا صديقى أن تكون هذا أو ذاك

فَلْيَغْشَ نومك طيف الحبيب، وذهنك رسمه؛ وليكن تفكيرك فيه وعيشك به وله؛ وليكن بعد ذاك ما يكون. فالنار التى تتأجج فى قلبك، والجرح الذى يحسه صدرك، يطهران نفسك التى بين جنبيك. وما هو إيثار الروح على الجسد إن لم يكن فى تعففك وعفافها، واطراح الإغراء من جانبك وجانبها

ليكن جمال نفسها هو الذى يستهويك لا فتنة الجسد. وليكن صوتك فى سمعها كصوتها فى سمعك رحمة وخيراً لا شراً وإغراء

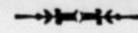
ستألم حين لا تطفئ المتعة نار قلبك المتأججة، فما نفعك بمتعة تطفئ الإيمان وتميت القلب؟ إنما نفعك بالألم الذى يرهف حسك، ويضىء نفسك، ويخضع جسدك. إنما نفعك فى البقاء لا الفناء، فى بقاء نارك متأججة، ونفسك نيرة، بقاء للحب الذى لا تعرفه المادة ولا ينبغى أن تعرفه، بقاء لروحانية البشر التى تتمثل فى الألم، الألم يا صديقى ولوعة الحب والكآبة التى تذيب جسدك كالشمعة لتحترق وتضىء

كل أولئك يا صديقى عناصر تجعل منك الإنسان المنشود لا الإنسان الموجود.

(م. د)



مجلس أدباء



طالما رغبت أن أرى هذا المجلس حتى أتيح لى هذا الحظ العظيم فقادنى إلى حيث ينعقد أحد الرفاق ؛ وكان المجلس لحسن حظى ليلة خففت إليه حافلاً لم يغب عنه كما علمت إلا واحد أو اثنان ممن يشتركون فى حلقته

وأنا رجل طالما أحسنت الظن بالأدباء حسن ظنى بالكتب فيما سلف وإن كان أكثرهم ليزعمون أنى متكبر أعيش فى علبة لأنى ظللت حتى تلك الليلة لا أعرف أكثر هؤلاء إلا فى آثارهم

جلست بين هؤلاء الشباب صامتاً أنقل بصرى من وجه إلى وجه، وأتبين الأشخاص من أحاديثهم، وهم قد وضعوا أنفسهم بحكم رسالتهم فى مركز وسط بين الملائكة والناس ؛ ولم تمض لحظة حتى عرفت من كلامهم أولاً أنهم جميعاً شعراء ؛ ثم تبين لى بعد ذلك أن كلا منهم يسمو فى فنه على الباقين حتى ما يلحق به أحد وإن كان لا يصرح أحدهم بذلك ، وإنما يشير إلى ذلك المعنى فى لباقة عجيبة

وأعجبنى منهم لعمر الحق أنهم كانوا يديرون بينهم كؤوس الثناء بدل كؤوس الصهباء إن جاز فى ذوقهم هذا التعبير . فهذا يثنى ما وسعه الثناء على القصيدة الأخيرة لجاره ؛ وذلك يمتدح ديوان صاحبه حتى ليجعله من مفاخر العصر ومآثر الجيل، وفلان يستزيد فلاناً من طرفه ... وهكذا يتبادلون بينهم الثناء حتى لا يتركون معنى من معانيه

ولكننى ما لبثت على الرغم من ذلك أن تبينت فى حلقتهم أحزاباً ، وساعدنى على فهم ذلك ما عرفته من سالف كتاباتهم ، فهذا شخص أعرفه من قبل قد جمل لصاحب له الزعامة فيما كتبه عنه ، وأراه فى المجلس يقبل عليه إقبالاً شديداً فما تبدو منه نكتة إلا انطلق وراءها مقهقهاً مستحسناً مهما بلغ من تفاهتها ، وما يبدى رأياً إلا انحاز فيه إليه مهما خالف فيه كل قياس وخرج به على كل ذوق ... وهذا شخص آخر يعلم أن بين فلان وفلان حقداً وهو يحقد على أحدهما فيما أعرف فلا يزال يمتدح الآخر بكل ألوان المديح ، وألمح أنا الامتعاض على وجه المغضوب عليه فأفطن وأبتسم

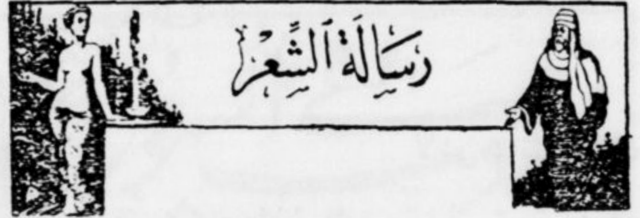
وأعجب لهذا التناقص الغريب ، وهم كانوا قبل ذلك يبدون لى وقد ألف الفن بين قلوبهم وملأها بالمحبة ... ! وينتقل بهم الحديث من تبادل الثناء ثم من اللمز إلى المباهاة والمفاخرة . فهذا تنهال عليه رسائل الإعجاب حتى ليترك بعضها دون قراءة لكثرتها ؛ وذلك يتهافت على قصائده كبار الملحنين ولكنه يضن بها ضناً بالشعر عن التكسب والتبذل ؛ وثالث يقول فى خجل مصطنع إنه يشار إليه فى كل ناد ويتهامس الفتيان والفتيات باسمه ، ويرد عليهم من يذكر كيف يحرص على مودته أصحاب الصحف اليومية والأسبوعية على اختلاف نزعاتها ؛ ويسكت أحدهم تاركا لصاحبه المفتون به أن يتلو عليهم من حالاته ما يعجبون معها لشذوذه المحير، ذلك الشذوذ الذى يصل به إلى الجنون، ولكنه بأى حال لا يفسر إلا بأنه شذوذ العبقرية وجنون الملهمين ، وإن كانوا ليعلمون أنه متكلف يبلغ غاية السخف فى تكلفه ...

واجتمع هؤلاء الشباب على رأى واحد ، وذلك هو رأيهم فيمن سموهم شيوخ الأدب فأولئك عندهم قوم نالوا من الشهرة ما لا يستحقون ، وليس فيهم إلا من يحقد على الشباب وعبقرية الشباب وطموح الشباب ، ولذلك فهم يحاربونهم ويضعون فى طريقهم العقبات ، ولكن الغلبة فى النهاية لا شك للجيل الناهض ...

ويحمل هؤلاء الملهمون حملة صارمة على هذا البلد الجاحد ويألمون لحظهم فيه ، ويتساءلون: لم أطبقت الغفلة على هذا الجيل إلى مثل هذا الحد ؟ فإذا مال الحديث إلى أصل من أصول الأدب رأيت بين هؤلاء الذين يرمون الجيل بالغفلة تناقضاً وتباينا واختلافاً شديداً حتى ليصعب على من يقرأ مثل آرائهم أن يصدق أنهم يعيشون فى عصر واحد وفى بلد واحد ، وكيف يلتقى هؤلاء على ذوق أدبى والمسألة بينهم رياء وتقارض ثناء؟

وبعد أفلا يسهل على بعد أن بلوت مبلغ صدق هؤلاء بعضهم تلقاء بعض أن أصدق ما يقال عن مبلغ صدق أكثرهم فى فنهم؟ ذلك الصدق الذى ترى من آياته أن ينظم أحدهم فيما رأى من جمال الربيع وهو لم يخرج من مكتبه ، أويصف الشروق والغروب والليل فى القرية وهو لم ير مدى عمره قرية ، أو يتوجد ويتوجع ويشتكى إلى ملهمته وهى لا توجد إلا فى مخيلته ! لقد أسرفنا فى الهزل فمتى نجد ، وبالغنا فى الاستهتار فمتى نستحى ؟

« خفيف »



من شكوى الزمن

للدكتور ابراهيم ناجي

يا ويلتا من عُمرى الباقي هذا سوادٌ تحت أحداقي
هذا بياض الشيب وا عجبى من مَغربٍ فى زى إشراق
وبلى على كأس معربدة وعلى دم فى الكأس مُهراق
وعلى سراب خادع وعلى متألق اللمحات برّاق
طاف الزمان به على نفر ملوا بهاماتٍ وأعنــاق
صُرعوا وكنت تظنهم سكروا مات الندامى أيها الساقى !
يا دهر لم أشك الكلال ولا مَلكتْ خطوب الدهر إرهاقى
عذبت أيامى بعِفتهــا وقتلتنى بصفاء أخــلاقى
يا كَمْ غرستُ وكم سَقيتُ وكم نضّرتُ من زهر وأوراق
ما حيلتى والأرض مجدبة سيّانِ إقــلالى وإغداقى
أين الذين رفعتُ فانحدروا وبنيتُهم بُنيان خلّاق
إن الوفاء بضاعة كسَدتْ ومآل صاحبها لإملاق
إفلاس أرواح ومَضيعةٌ لقلوبنا فى شر أســواق
إن كنتُ لم أغنَمْ فقد ظفروا منى بتغفرتى وإشــفاقى
لكننى والجرح يُلهب لى حِسّى ويكوى كىّ إحراق
هيهات أنسى أنهم عبثوا وَوَفيتُ لم أعبث بميثاق

احترق ... احترق !

للأستاذ أمجد الطرابلسى

لا تقف يا قطــارْ لا تهِن يا خَفِقْ
نخــلات الدّيارْ من وراء البحــارْ
لَمعَتْ فِي الافقْ
ويك ! لا تحــترقْ
قد بلغنا الفِنــاءْ بعــد كَدّ المسيرْ
ليس دونَ اللقاءْ بعدَ هــذا المساءْ
غيرُ بعض العصورْ ...
وبحــارِ تمــوزْ ...
مرّ بنا مرّ بنــا فى الدّجى يا أملْ
الهوَى نايُنــا والمــدَى ... غابُنا
يا هَنا مَنْ وَصَــلْ
بعدَ فَوْتِ الأجَلْ ...
. . . .
قفْ بنــا يا قطارْ واسترِحْ يا خفِقْ
بيننــــا والدّيارْ غمَرَاتُ البحـــارْ
وظــلامُ الافقْ
احترق ... احترق !

يومــان

للأستاذ صالح جودت

اليوم الاول

(المنظر : هو وهى على الشاطىء)

هى : ما لعَيْنَيْكَ يا رهيبُ تُثيرا نِ طيوفَ الأوهام حول أمانى؟
هو : أنا يا فتنةَ الوجود ؟
هى : أجل أنت
هو : وكيف اتّهمتِ ؟
هى : مجنونتان !
فيهما حيرةٌ وغمرة شكٍّ ومعان ما تُرجمتْ بلسانِ
كم عَلَتْنى غِشاوةٌ عند لُقيا كَ فأنكرتُ رؤية الإنسان
لستَ كالناس !
هو : هل أكون ملاكاً ؟
هى : حيرتى فى الملاك والشيطان !
هو : أنتِ يا مَنْ سكبتِ خمرةَ إلحا دى وأترعتِنى من الإيمانِ
عند عينيكِ تنتهى أعيُنُ اللــه فأنّى مضيتُ شارفتانى

مهدُ جَفْنَيهما من السَّرْمَدِ الخا   لِدِ مهما استطال لا يَغْفُوَان
غير أني أحس سرًّا دفينا   وهما دون غَيْبِهِ مُغلقان

هي: ثم ماذا؟

هو: أهواكِ يا ربة الحُسْنِ!

هي: وماذا أعددتَ للقربان؟

هو: كل ماشئتِ لايعزُّ، وإن كا   ن محالاً فإنه لكِ دَانِ

هي:
قمْ بهذا الكراز أنضِبْ لِيَ البَحْرَ!

هو: وهل أستطيع ما فوق شاني؟

هي:
خَلِّ عنكَ.. قم وأنْضِب من الشا   طيء بعض المياه

هو:
يختلطان

هي:
كاختلاط الشَّهَوات بالأثَرةِ العميـاء في لجة من الوجدان
واختلاط الحِجَى ببوتقة الجنـس فتَبْني من المحال الأماني!
أَوَ ما قلتَ إنه لِيَ دانِ؟   مالكَ الآن نُؤْتَ بالبرهان؟

هو: لستُ ربًّا!

هي: وما أنا؟

هو: أنتِ عندي رَبَّةٌ في سماوة الفنَّان

هي:
كيف ترجو إذَنْ هواي وما أنـتَ بصنوٍ مكانه كمكاني؟

هو: إجعليني فيما مَلَكْتِ قطيناً   أو هبيني مُوَكَّلاً بالجِنَانِ!

هي: هل رأيتَ الجِنَان؟

هو: في جسم أنثى عبقريِّ الظلال والألوان
فعلى صدرها الثمار وفي الثَّغْـرِ من الخمر سلسبيل المعاني
وعلى شَعْرها للذَّهَبِ أشبا   حُ قصورٍ ما شَيَّدَتْها يدانِ

اليوم الثاني

(المنظر: هو وهي خارجين من الصومعة)

هي: كنتَ في الليل راعيًا في الجِنَانِ

هو: ليل أمس في ذمة النسيان
كنتِ فيه إلٰهةً!

هي: ما أنا الساعة؟

هو: لا شيء، أنتِ كالجثمان
أنتِ مخلوقةٌ تعيشين بالجسـمِ وتُفْنيكِ شهوة الحيوان

هي: قُبْلةً!

هو: ما وراءها؟

هي: هِيَ معنًى

هو: هتكتْ شهوةُ الجسوم المعاني
ونَضَتْ سِتْرَ ناظريكِ وذاع السِّـرُّ فيما فَقَدْتِ من أكوان

هي: أَوَ أنزلتني عن العرش لما   ذاع سري لديكَ؟ أيَّ بيان!

: ... ...
... ...
: ... ...
... ...
: ... ...
... ...

: غادرٌ أنتَ؟

هو: نحن للفن نحيا   ونراكم له من القربان
نُضَحِّي بكم على مَذْبح الفكـر ليُهْدَى بالفكر جيلٌ ثان

صالح جودت



العودة

إن بعض الحوادث فى حياة الرجل لتنزل منزلة الآية المحكمة: تنسخ ما كان قبلها، ثم يأتى بعضها كالقنبلة: تخسف الأرض أمامه فلا يرى إلاّ هوةً وغبارها ، فإذا تلاحقا لم يدر المرء ما يستدبرُ من أمره ولا ما يستقبل ، وإنما هو الحيرة والضلال والرُّعبُ ، والتردّى كلما أقدم أو أحجم ... بَلَى ، إن علينا أن نصارع الحياة بالقوة ، وأن نداورها بالحيلة ، حتى نخلص إلى الأرض المطمئنة ، ولكن هل يستطيع أحدنا بعد ذلك أن يصل إلى هذه الأرض ؟! لولا أن اليأس هو باب الموت ، لكان هو — فى الحقيقة — إحدى الراحتين ...

كتب

ولنعُدْ ... أصدرت المطابع المصرية فى الأسابيع الماضية طائفة كثيرة من الكتب العربية ، بعضها لأصحابنا من المعاصرين ، وبعضها مما أنقذه المعاصرون من المكتبة العربية المدفونة فى خزائن الكتب ، فنحن نختار من هذه الكتب ثلاثة يجرى الحديث فيها مجرًى واحدًا فى الغرض الذى نرمى إليه ، وهى كتاب : « التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية » وهو دراسات لكبار المستشرقين مثل : بكر ، وجولد تسيهر ، ونلينو ، ومايرهوف . ترجمها إلى العربية الأستاذ عبد الرحمن بدوى ؛ وكتاب « الرسالة » لإمام المذهب محمد بن إدريس الشافعى . نشره العالم المحدِّث الثقة الشيخ أحمد محمد شاكر ، وكتاب « الذخيرة » لأبى الحسن على بن بسام ، نشرته كلية الآداب مستعينة بمراجعة الأساتذة محمد عبده عزام ، وخليل عساكر ، وبخاطره الشافعى ؛ وأشرف على عملهم أساتذة الجامعة : أحمد أمين ، ومصطفى عبد الرازق ، وعبد الحميد العبادى ، وعبد الوهاب عزام ، وطه حسين

وهذه الكتب الثلاثة لا يجمعُها بابٌ واحدٌ من حيث موضوعها ، فالأول آراء للمستشرقين فى فروع من الحضارة العربية والآراء الإسلامية ، ورسالة الشافعى هى أصل علم « أصول الشريعة » . والثالث فى تاريخ الأندلس، وشعرائها ، وبلغائها ، وكتابها . فالذى حملنا على جمعها فى باب واحد من كلامنا هو الرأى فى المستشرقين ، وما يجب علينا أن نتابعهم عليه ، وما ينبغى لنا أن نحذره منهم

المستشرقون

فقد قرأت مقدمة كتاب « التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية » — كتبها الأستاذ « بدوى » بحرارة الشباب التى تتضرم فى دمه ، وجمل يتهدّمُ فيها على التُّراث العربىّ بآراء كالمعاول: تضربُ فى الجذع بعد الجذع على غير هُدًى ولا كتابٍ منير . فلما توغلت فى الكتاب رأيت أن آراء المستشرقين — الذين ترجمَ لهم كلامهم — هى التى وضعتْ فى يديه هذه الفأسَ ليعمل بها ؛ ونحن لا نرى أن مثل ذلك مما يُضر بالتراث الإسلامى بشىء، ولكننا نرى أنه يُضرُّ بأصحابه والعاملين عليه أوّل ، لأنه يأ كل قوامهم فى شىء لا يمكن أن ينال منه شيئاً «ولو كان بعضهم لبعض ظَهيراً» . والمُشكلة كلُّها هى فتنَةُ أكثر الناس بأسماء المستشرقين ، وأن ما يكتبون فى التاريخ الإسلامى والعربى ينزل من قلوب كثير من شبان الجامعة وغيرهم منزلة الكلام القُدْسى : تحريف معانيه إبطال لقوة « الاستشراق » التى فتنتهم . ونحن — حين قرأنا بعض آرائهم التى ترجمها الأستاذ « بدوى » — وجدناها عملاً صالح المذهب من ناحية مَدْرَجِه ، وأما من ناحية التحقيق العلمى ، والغاية التى يرمى إليها ، فهو عمل غير صالح . فكان هذا الذى عرفناه هو الذى دفعنا أن نخصص هذه الكلمة للكتب الثلاثة المذكورة آنفاً ، ولمذاهب المستشرقين فى تناول الكتب العربية القديمة بالتحقيق لنشرها ، ثم مذاهبهم خاصة فيما يمالجون من تاريخ الفكر الإسلامى أو الحضارة الإسلامية . وليس غرضنا هنا أن نعرض لنقد شىء بعينه من آرائهم ، وإنما نريد أن نثبت لهم حقهم الذى وجب لهم بما بذلوه من جُهْدٍ، ونحذر شبّاننا من الافتتان بباطل من باطلهم

وينقسم أمر المستشرقين كما ترى إلى عملين : أحدهما عملهم فى الكتب العربية القديمة التى نشروها من بدء توجههم إلى هذا

الغرض ، والآخر ما كتبوه من دراساتهم فى الآثار العربية ، وما أرّخوه من تاريخ الإسلام ، وتاريخ آرائه ومذاهبه العلمية والفلسفية .

نشر الكتب العربية

فالمستشرقون حين بدأوا فنشروا الكتب العربية القديمة لم يقصّروا فى بذل المال والوقت لاستجلاب الأصول التى يطبعون عنها هذه الكتب ، ثم يتفرغ أحدهم لمقارنة الأصول بعضها ببعض ، وإثبات الاختلاف بين النسخ الكثيرة التى تقع لهم ، وتحرير ذلك بالحرف والنقط والشكل على ما هو عليه فى أصل من الأصول ، وأمانتهم فى إبقاء المحرّف على تحريفه والخطأ على صورته ... إلى غير ذلك من الدقة والأمانة فى إعطاء القارئ صورة كاملة فى نسخة واحدة من الكتاب المطبوع ـ لعدة نسخ مختلفة متباينة من الأصول المخطوطة . حتى إنهم ليثبتون فى « الهامش أو الاستدراك » ما هو خطأ بيّن لا يصح على وجه من الوجوه ، وإنما هو جهلُ ناسخٍ وإفسادُ كاتبٍ ، ثم لا يعطونك رأياً يرجّحون به لفظاً على لفظ ... وحتى إنهم ليثبتون الخطأ الصرف فى صلب الكتاب ويكون صوابه فى الاستدراك ، وحجتهم فى ذلك أنهم يعتمدون أقدم النسخ عندهم ، يطبعونها كما هى ، وأما اختلاف سائر النسخ فهو من حق المستدرك وإن كان هو الصواب الذى لاصواب غيره

وهذا — على علّاته — عمل جيد وأمانة صحيحة . ثم جاءتنا هذه المطبوعات فى بلادنا على فترة جهل وإهمال ، وعلى زمن كلُّ أصحاب المال الذين ينشرون الكتب فيه ، إنما هم عامة لا يعنيهم إلا الربح من طبع الكتب حروفاً قد جُمع بعضها إلى بعض على غير نظام ولا تحرير ولا فن ؛ فلما قارن بعضنا هذا بهذا ونحن عرب وهم أعاجم لا يعنيهم من عربيتنا ما يجب أن يعنينا — انبثق بثق الفتنة ، ووجد الناس همة هؤلاء المستشرقين الأعاجم — وحقٌّ لهم — وجعل جماعة ممن لُبِّس عليهم يدفعون القول بعد القول فى تعظيمهم والمغالاة فيهم بغير الحق ... ثم مضى ذلك وانسحب التبجيل على آرائهم فى الفكر الإسلامى والتاريخ العربى كما انسحب على أعمالهم فى نشر الكتب ... وأين هذا من ذاك ؟

ثم انبثقَ بثقٌ آخر ، فظن بعضُ المغالين أنّ المذهب الذى سلكه المستشرقون فى التصحيح ، هو المذهبُ لامذهبَ غيره ، وجعلوا ينْعَون على مَنْ يخالفهم من أصحاب اللسان العربى فى طريقة نشر الكتب العربية . ومع ذلك فهم على الحق فى بعض ما يقولون ، ولكنه ليس كل الحقّ ؛ فإن المستشرقينَ لم يذهبوا هذا المذهب ، ولم يقفوا هذا الموقف من اختلاف النُّسخ ، إلا لعجزهم عن ترجيح بعض الكلام العربىّ على بعض ، وذلك لعِلَل بيّنة : أولها جهلهم بالعربية على التمام ، فإن تمامَ العربية هو السليقة التى لا تكتسب ، كما أن تمام الإنجليزية والفرنسية هو السليقةُ والنشأة والاندماج فى الوسط الإنجليزى أو الفرنسى من بدء المولد والحضانة ؛ والثانى أنه قلّما يوجد فيهم المتخصص فى فقه علم بعينه حتى يكونَ حجّة فيه ، اللّهمّ إلا أن تكونَ الحجة ـ عندهم ـ فى جمع نصوص كثيرة فى موضوع واحد من كتب شتى ، ولكنهم لايدّعون أبداً أنهم أصحاب رأى فى البيان والتأويل والترجيح

رسالة الشافعى

ويجب أن نضرب المثل هنا « برسالة الشافعى » التى طبعها العالم الجليل الشيخ أحمد محمد شاكر ، فهو طبعها عن أصول مخطوطة ومطبوعة ، وأقدمها نسخة منها بخط الربيع بن سليمان تلميذ الشافعى وراوى كتبه ؛ فالأستاذ الشيخ شاكر حجة فى علم الحديث النبوى ، وفقيهٌ مُتقِنٌ للسنة التى هى أصل من أصول الدين ، فلما تناولَ « الرسالة » بعدّها للطبع لم يتركْ شاردة ولا هائمةً من اللفظ إلا ردّها إلى مكانها من عربية الشافعى وأصوله التى فى كتبه ، وأثبت الاختلاف ورجح بعضه على بعض ، وعمل فى ذلك عمل العقل المفكّر بعد أن ضبط كل اختلاف رآه إلى غير ذلك من أبواب التحرير والضبط . فإذا أنت قرأت الأصل دون التعليق رأيته قد سلم من كل عيب ، وصار بياناً كله ، بعد أن كان فى الطبعة الأولى من « الرسالة » شيئاً متخالفاً يتوقف عليه البصير ، فما ظنك بسائر الناس ممن يقرأ وليس له فى هذا العلم قديم معرفة أو مشاركة ؟ وأنت إذا قارنت هذه الرسالة بأى كتاب من الكتب التى أتقنها أصحابُها من ثقات المستشرقينَ ، وجدت الفرق الواضح ، وعرفت فضل العربى على الأعجمى فى نشر الكتب العربية ، إذا هو حمل أصولها على أصول الفقه والدراية والتثبت ، ولم تخدعه فتنة برأى لعله غيره أقوم منه وأجود

وأنا أذكر بهذه المناسبة أن الأستاذ قد أرسل إلىّ فى (إبريل سنة ١٩٣٢) يسألنى عن كلمة وردت فى حديث من مسند أحمد ابن حنبل ، ولم أكن قرأتها قبل ذلك ، فكتبت إلى الرافعى رحمه الله أسأله عنها وعرضت له ما رأيت من رأى ، فخالفنى الرافعى ، ثم لم تمض أيام حتى وجدت فى الطبرى ما يوافق بعض رأيى أو يدل عليه ، وأبى الرافعى أيضاً . ثم لم ألبث أن وجدت نصاً بعينه على الذى رأيت ، وهذه الكلمة هى فى الحديث ... « رجل قد جرد نفسه ، قد (أطَّنها) على أنه مقتول » ، فرأيت أن قراءتها : « أَوْطَنَها » والهمزة فيها منقلبة عن الواو فهي « وطنها » وكذلك وردت فى الطبرى ، ولكن أصحاب كتب اللغة لم يثبتوا ذلك فى كتبهم كما أثبتوا « وكَدً وأكَدَ ، ووثل وأثل » إلى غير ذلك . فأنت ترى أن الطبع والسليقة ربما هدت إلى ما لا يقع إلا بعض طول التنقيب والبحث والتجميع

الذخيرة

وهذا أيضاً كتاب « الذخيرة » فإن الجهد الذى بذل فى تصحيحه وضبطه على الأصول المخطوطة التى طبع عنها وبيان اختلاف النسخ ، قد أوفى على الغاية ، وقلّ من المستشرقين من يستطيع أن ينفذ إلى إجادة مثله فى التحرير ، ومع ذلك فقد وقع فيه بعض ما كان يمكن تجنبه ، لولا أن الأساتذة المصححين قد تهاونوا فى تحطيم أسلوب المستشرقين الأعاجم ، فى التوقف الذى لا معنى له عند العربى ، ونضيف إلى هذا علة أخرى ، هى أنهم ليسوا ممن تخصص لشىء بعينه من تاريخ الأندلس وأدبه ، فكذلك بقى بعض الخطأ كما هو، وأثبت على ذلك وليس له أى معنى. وترْك مثل ذلك للقارئ مما لا يصح ولا يستحسن ، ولنضرب لذلك مثلاً أو مثلين: ففى ص ٨٢ « ... دبّروا جميعاً عليه فقتلوه ليلاً ... » وفى نسخة أخرى « بدروا » ؛ وكلا الحرفين لا معنى له فى الجملة ، والصواب عندى أن يكون « اندَرَأوا عليه ... » أى هجموا عليه واندفعوا ، ومن قرأ النص عرف أن هذا هو حق السياق ، وكذلك فى ص ١١٠ « وفارس ميدان البيان ، وذات صدر الزمان » وفى نسخة « وأذات » وكلاهما ليس له معنى ، وهو محرف عن « ودُرَّة » أو أى شىء يكون حلياً للصدر ... ونحن لا نتتبع وإنما نقلب بعض أوراقه الآن على غير ترتيب ، ومع ذلك فهو أجود بكثير من أغلب كتب المستشرقين هذا ... ، وليس كل المستشرقين ممن يصح الاعتماد عليهم فى كل شىء ، فقد طبعوا كثيراً من الكتب ...، وأقل كتاب وأردأه مما يطبع فى مصر هو خير من مثل هذه الكتب. فلو أخذت مثلاً « كتاب الزُّهرة » لابن داود الظاهرى ، الذى طبعه الأستاذ « لويس نيكل » بمساعدة الأخ « ابراهيم طوقان[1] » ، لوجدت أكثره خطأ ، بعد الذى بذله الأستاذ طوقان فى الاستدراك عليه ... ولو شئنا أن نضرب المثال بعد المثال على ذلك لضاقَ المكان عن إتمام ذلك

مباحثهم

أما مباحث المستشرقين فهذه هى موضوع الإشكال كله ، والمستشرقون ـ كما لا يشك أحد ـ ثلاث فئات : فئة المتعصبين الذين تعلموا العربية فى الكنائس لخدمة التبشير ، وهم الأصل ، لأن الاستشراق فى أوله كان قد نشأ هنالك بين رجال الدين ...؛ وفئة المستشرقين الذين يخدمون السياسة الاستعمارية فى الشرق العربى ، وفئة العلماء الذين يظن أنهم تجرّدوا من الغرضين جميعاً ... فأما الفئة الأولى والثانية فما نظن أكثر أقوالهم فى المباحث الإسلامية إلا جانحاً إلى غرض أو مركوساً بقوله إليه ، وهم أكثرية المستشرقين ، ولا نظن أن كلام هؤلاء مما يمكن أن يعتمده أحدٌ إلا أن يكون مفتوناً جاهلاً . وأما الفئة الثالثة ، فهي أيضاً موضع الإشكال ؛ فمن غير الممكن فيما نظن أن يتجرد هؤلاء عن الغرض الخفى الذى يدب من وراء الكلام ؛ هذا على أنهم كما قدمنا ليسوا أصحاب سليقةٍ فى فهم النصوص العربية على التحرى لوضوعها ، وتمامِ الفقه لمانيها التى يتعاطونها ؛ وإذن فمن واجب قارئ كلامهم أن يقف عند آرائهم موقف الناقد الذى لا يقبل إلا ما تقبله الطبيعة الفطرية للغة فى المعانى التى يستخرجونها من الكلام . ومع ذلك أيضاً فمن عيوب هذه الفئة أنهم ربما استخرجوا قولاً ضعيفاً فاسداً ليس بشىء فى تاريخ الإسلام والعربية ، ثم يكتبون وقد اتخذوا هذا القول أصلاً ثم يجرون عليه سائر الأقوال ويؤولونها إليه ، ثم يحشدون لذلك شبهاً كثيرة مما يقع فى تاريخ مهمل

(١) ترجم الأستاذ بدوى هذا الاسم فجعله « توقان » !! ص ١٠ من كتابه .



تأملات في الفن :

نبئيني غداً بما تسمعين

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— لست أدرى لماذا تحب أن تسمع موريس شفالييه وهو يغني بالإنجليزية ، مع أنه إذا غنى بالفرنسية كان أبدع

— من غير شك يكون أبدع ، ولكني أسمعه يغني بالإنجليزية لكي أضحك لا لكي أطرب ؛ فهو ينطق الإنجليزية بلكنة فرنسية فيزيد هذا الشذوذ تهريجه حلاوة وخفة

— وهل موريس شفالييه مهرج ؟

— وأي شيء هو غير هذا ؟ إنما هو مستساغ ومحبوب لأن تهريجه في طبعه ، فلو لم يكن شفالييه مهرجاً محترفاً يربح من تهريجه المال الوفير ، لكان مهرجاً في أي عمل يعمله وأينما كان وكيفما كان

— ليت عندنا مهرجين مثله

— وهل عندنا غيرهم . . . ولكن الذين عندنا لا يحترفون التهريج ويدعون الوقار ويصطنعون الجد والتعالى عن سفاسف الأمور

— مثل من ؟

— دعينا من هذا ، فأهلنا هنا في مصر وجمهم الحق. عودى بنا إلى موريس شفالييه واذكرى له حسنة أخرى إلى ما ذكرنا له من حسنة التهريج الصريح

— خفة روحه

— إنها مع تهريجه وفي خلاله ، بل إنه منها وبها . ونحن نريد له حسنة أخرى لا صلة لها بالتهريج ...

— مثل ماذا ؟

— مثل لكنته هذه . أليست تدل على شيء طيب في نفسه ؟ أليست تشهد بأن موريس شفالييه قوى الشخصية، ومن قوى شخصيته هذه القوة الفرنسية التي لم تخذلها رغبته في الربح وطمعه في الدولار الأمريكاني الرنة الإنجليزي اللغة ... إني أرى في شفالييه هذه الحسنة

— ولكني أرى هذه سيئة لا حسنة . فالممثل هو الطيع النفس الذي يستطيع أن يتشكل بسهولة لا الجامد النفس الذي يستعصى عليه التلون

لم يمحص كالتاريخ الإسلامي ، وكذلك يلبسون على من لا يعلم تلبيساً محكما لأنه حشد وجمع ، وتغرير بالجمع والاستقصاء الذي يزعمون . وسنتناول ذلك بعد قليل بعرض بعض الآراء التي ترجمها لنا الأستاذ بدوي في كتابه لنحقق كل ذلك إلى نهايته ، حرصاً على أن نحصر الفساد في أضيق محيط

العقاد

وأنا لا أحب أن أختم هذا الحديث بغير مثل أيضاً . فهذا الأستاذ « العقاد » ، وكلنا يعلم أنه قلما كان يتناول الأغراض الإسلامية بالتحرير والبحث ، ولكنه منذ العدد الهجري للرسالة كتب مقالة عن عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم العسكرية ، ثم عن عبقريته السياسية ، فاستوفى القول في ذلك وأشبعه ، ورد كثيراً من الشبه التي كان يلبس بها الأعاجم على الأغرار من شبابنا : وليس يستطيع مستشرق أن ينفذ في فهم التاريخ العربي ، والاجتماع الإسلامي ، والفلسفة الإسلامية ، كما يستطيع كاتب قارىء مطلع كالأستاذ العقاد . ثم هو فوق ذلك أديب عربي يستطيع أن يحمل فطرته العربية الأدبية عوناً له على التغلغل في أسرار تاريخية مطموسة ، لا يطيقها المستشرق لفقدانه مثل هذه الفطرة ؛ ثم لأن البيئة العلمية والاجتماعية التي نشأ فيها وتثقف على أساسها لا تطاوعه أو تلين معه، حتى يكون في نظره إلى التاريخ العربي أو الفلسفة الإسلامية ، خرّاجاً ولّاجاً على طبيعة العرب وطريقتهم في تداول معاني حياتهم ، وحياة أفكارهم وفلسفتهم . ونحن نرجو ألا يخلي الأستاذ العقاد مباحثه من هذا النوع الجديد من الفكر في تاريخ تتقذف عليه كل يوم جهالات كثيرة مفسدة ليس لها أصل ولا بها قوة

محمود محمد شاكر

— هذا حق . وإنى أعتقد أن موريس شفالييه إذا مَثَّلَ شخصية إنجليزية معينة فإنه سيكون فى تمثيله هـذا أقرب إلى سلامة « التجنلز » منه وهو يمثل شخصيات غير محدودة لا ينطق الإنجليزية بلسانها بضرورة فنية ، وإنما لضرورة تجارية ألزمته إياها شركات السينما الأمريكية ... ولو لم تكن الأدوار التى يخرجها موريس شفالييه كلها تهريج ومرح ومجون وفكاهة لا تجب معها المؤاخذة على سلامة كيانها لقضى لفشل موريس شفالييه ولعاد إلى التمثيل بلغته الفرنسية كما عاد إميل جاننجز إلى التمثيل بلغته الألمانية على ما تكبد فى ذلك من خسارة مادية هائلة ، إذ كانت أمريكا تعتبره ممثل الدنيا الأول

— أو إلى هذا الحد يصعب على الإنسان أن يمثل بلغة غير لغته؟

— إذا كانت لغته متغلغلة فى نفسه قابضة على زمام روحه

— وكيف يكون هذا وكيف لا يكون ؟

— اللغة هى لسان فريق من الناس يقال لهم شعب، لأنهم تشعبوا من أصل البشرية إلى اتجاه إنسانى خاص يستدعى سلوكه مميزات نفسية خاصة . وهذه المميزات يظهر بعضها فى التفكير ، ويظهر بعضها فى الذوق ، ويظهر بعضها فى الأفعال والحركات ، ويظهر بعضها فى اللغة وفى طريقة إلقاء هذه اللغة . وكلما تأصلت هذه المميزات فى نفوس الشعب وضحت آثارها فى المظاهر التى ذكرناها ، وليس هذا الوضوح إلا دليلاً على تمكن هذه المظاهر من تلك النفوس ، وشـدة ارتباطها بها ، فإذا أكرم شعب من الشعوب أفراده تأصلت فى أفراده مظاهره حتى لتكون هى الطابع الذى يطبعهم ، وإنهم لينمون هذا مدفوعين إليه بالذى يشعرون به من الاعتزاز بانتسابهم إلى أنفسهم ، وهم لا يشعرون بهذا إلا إذا كانوا على خير ، وإذا كانوا بهذا الخير راضين . وليس هناك شك فى أن موريس شفالييه يعتز بانتسابه إلى فرنسا ، كما أنه ليس هناك شك فى أن إميل جاننجز يعتز بانتسابه إلى ألمانيا، كما أنه ليس هناك شك فى أن شارلى شابلن يعتز بانتسابه إلى العبرية ، أما موريس فإنه رأى الناس لا يطلبون منه إلا أن يضحكهم وأن يمازحهم ، فلم يعبأ بأى لسان يتحدث إليهم ويغنيهم ، فهو ينطق أحياناً بالفرنسية وأحياناً بالإنجليزية ، ولو كفل له استديو مصر حاجته من المال لمثل بالعربية ولم يجد مانعاً من ذلك ما دام غرضه وغرض الناس منه هو العبث ، وأما شارلى شابلن فإنه يمثل من غير أن يتكلم لأنه لا يهرج ، وإن كان يضحك الناس على أنفسهم ، ولأنه يريد أن يحسه الناس جميعاً مجرداً من كل بلبلة مما فرق البشرية وَشَعَّبها ، وقد كان شارلى يستطيع أن يمثل بالإنجليزية وهو مولود عليها، ولكنه يشعر بالحق فيما بينه وبين نفسه أنها لغة طارئة على تكوينه غريبة على نفسه ذات المميزات العبرية الشرقية التى أنعم الله بها على بنى إسرائيل ، وهذا الشعور مع رغبته فى الشيوع مع النفوس المختلفة هما اللذان يلزمانه التمثيل الصامت وإلا فقد كان يمثل بالإنجليزية وهى لغة جمهور السينما

— أو بالعبرية وهى لغته

— ولكن أهلها قليلون جداً وحرام أن يخصهم شارلى وحدهم بفنه مثلما خص إميل جاننجز أهله الألمان وحدهم بفنه بينما كان الواجب الإنسانى عليه أن يظل فى أمريكا يمثل صامتاً مثلما يفعل شارلى ، وقد كان ينجح كل النجاح ويوفق كل التوفيق فهو فى الممثلين آية . أذكر أنى رأيته مرة فى فيلم يبكى بضلوع ظهره بكاء أبكانى وأبكى كثيرين معى ، وليس كل ممثل بقادر على هذا

— فما الذى منعه ؟

— لست أدرى ، وإن كنت أظن أن إميل لو كان صاحب ثروة مدخرة لبقى فى أمريكا وفعل الذى يفعله شارلى ولما اضطره الفقر إلى أن يقف موقف الاختيار بين ما يريده الأمريكان من التمثيل الناطق ، وما يريده الألمان من النطق بالألمانية وحدها

— إذن فلو كان إميل غنياً لكان قد تخلص من ألمانيته ، فالألمانية إذن ليست متغلغلة فيه كما تدعى ، وما دام الأمر كذلك فقد كان يمكنه أن يظل فى أمريكا وأن يمثل بالإنجليزية

— لا . إن الألمانية متغلغلة فيه، فلا أحد ينكر أن الألمان من الشعوب الذين يعتزون بأنفسهم ، بل الذين يصل بهم اعتزازهم بأنفسهم إلى أن يصبح صلفاً وتكبراً مذمومين ، وكل الذى كان يستطيعه إميل مع هذه الألمانية المتمكنة فيه من ألوان الكفاح هو سترها بالصمت ، ولكنه لم يكن ليقوى على أن يسترها إذا نطق فبأى لسان نطق ظهرت ألمانيته ، وظهر فيها صلفه وكبرياؤه وغروره ، والصلف والكبرياء والغرور من الصفات التى يراها البشر عامة شذوذاً وانحرافاً عن الفطرة الإنسانية السهلة السمحاء وليس يقبل فريق من الناس أن يكون الإنسان ذا صلف وكبرياء

وغرور إلا الألمان ، لأنهم كلهم هكذا أصحاب صلف وكبرياء وغرور ، فمجتمعهم مملوء بهذه الصفات حتى إنهم لم يعودوا يرون فيها غرابة ولا شذوذاً ولا عيباً ، وقد يقبل الناس من غير الألمان أن يروا إميل جاننجز فى دور تمثيلى فيه صلف وغرور وكبرياء ، ولكنهم لن يقبلوه فى هذا الدور بهذه الصفات إلا إذا كانت هذه الصفات مما يستدعيه الدور ، كأن يكون دور قائد من المحاربين الناصرين المفتونين ، أو حاكم من الحكام المستبدين المغرورين ، أما إذا لم يستدع هذا الدور هذه الصفات وظهرت هذه الصفات فى لهجة إميل جاننجز وإلقائه للانجليزية أو الفرنسية فإن الناس سيضحكون عليه من غير شك لأنها صفات غريبة على الدور خارجة عن طبيعته ... أولا تضحكين أنت من التكبر المغرور إذا لم يكن له جاه يبرر — ولو للعرف — كبرياءه وغروره ؟ ... لهذا عجز إميل جاننجز عن التمثيل بالإنجليزية

— وهؤلاء الممثلون جميعاً الذين يمثلون فى هوليوود باللغة الإنجليزية وهم من شعوب مختلفة ولهم ألسنة مختلفة ، ألا يراعون هذا الذى راعيه إميل جاننجز وشارلى شابلن وموريس شفالييه ؟

— أما شفالييه ، فهو لا يراعى شيئاً كما قلت لك ، واللذان يراعيان هما شارلى شابلن وإميل جاننجز ، فهما من عشاق الكمال الفنى ، وقد تركزت فى كل منهما خصائص قومه ، فهو فى فنه يمثل شعبه فى حياته ، فهذا شارلى ضاقت العبرية به ، فصمت وانتشر بصمته فى الأرض ، كما ضاقت الأرض المقدسة عن بنى إسرائيل ، فصمتوا عنها وانتشروا فى الأرض ، وهذا إميل جاننجز ضاقت به الألمانية ، فتشبث بها وانحصر فى حدود بلاده يجتر كبرياءه وصلفه وغروره كما ضاقت ألمانيا نفسها بأبنائها فلم يصمتوا عن صلفهم وكبريائهم وغرورهم ، وإنما انحصروا فى أرضهم يأكلون صراخاً وزعيقاً وصخباً وجلبة . ولو كانوا على شىء من الحكمة ، لنزلوا عن شىء من صفاتهم هذه ، ولكانوا كالإنجليز معتدين بأنفسهم ولا غرور ، أو كانوا كالمسلمين معتمدين على الله ساعين فى أرضه الواسعة بالحق والسلام والصبر فى البأساء ويوم البأس ... كم أريد أن أسمع صوتاً مسلماً : فى حديث أو غناء أو ترتيل أو تمثيل لحال أو موعظة تلقى ... ولكن أين نحن من هذا ... إنه لن يكون إلا إذا أسلم كاتب من الكتاب ، فاهتدى إلى موضوع مسلم ، فكتبه ، فعهد به إلى مخرج مسلم ، فسلمه إلى ممثلين مسلمين وملحنين مسلمين ومغنين مسلمين ، فعندئذ فقط نسمع الصوت المسلم ...

— وهذه الأصوات التى تسمعها ؟ ألا يشبعك منها ولا صوت جورج أبيض ؟ ...

— فيه رنة لذيذة كرنة الذهب ، ولكن فيه أيضاً عجمة غريبة تشربها فى فرنسا حيث تعلم التمثيل ، وإنه فى هذا يشبه الدكتور طه حسين بك فى إلقائه ، فهو ينطق الحروف العربية سلة مسلمة نقية مجودة ، ولكنه إلى هذا يموج صوته فى إلقائه تمويجاً فرنسياً فيه التلطف ، وفيه القصد إلى التأثير ، وفيه التأنق فى الاسترسال والتأنق فى الوقف ، وهذا شأن مستشرق فرنسى تعلم العربية فأجادها ، وليس شأن عربى يتكلم . والدكتور طه معذور فى هذا فقد تعلم فى مصر ولكنه تربى فى فرنسا وقد اختار أن يتفرنس ثم يستشرق لأنه رأي المستشرقين الفرنسيين أرق علماً وأخصب حالاً من المصريين ومن العرب ، وأنا مؤمن بأن الدكتور طه لو كان قد احتك بمثل إنسانى حى أعلى منه ومحبب لديه من المسلمين أو المصريين أو العرب لكان قد مكن لغته العربية من نفسه على مثال تمكنها من نفس ذلك المثل الذى لم يره فلم يجد بداً من أن يبحث عنه بين المستشرقين ، كما تعلم الأستاذ جورج أبيض التمثيل على يد أستاذ فرنسى فَطَوَّع له نفسه حتى تترجمت إلى نفس فرنسية تلقى العربية برنة فرنسية هى صدى لأسلوب الإحساس الفرنسى الذى دربه عليه أستاذه ...

— وهل للاحساس أساليب ؟

— من غير شك. تصيب المسلم المصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ويقبل على الحياة مجاهداً وهو يقول: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ، والمؤمنون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وتصيب الكافر المصيبة فيهلع لها ويتخبط من جزعه فى أرجائها فلا يخرج منها - إن خرج - إلا منهوكا زادته المحنة كفراً وبعداً عن الله واستغلاقاً على نفسه، له أسلوبه فى الحس وللمسلم أسلوبه، وأسلوب الكافر ظاهر فى لهجته وكلامه، فهو مضطرب حائر يلفظ الكلمة يكاد يخفيها أو يأكلها خشية أن تفضح ما فى نفسه ، فإذا أفصح انفضح اضطرابه وهلعه وجزعه ، وأسلوب المسلم ظاهر فى لهجته وكلامه، فهو مطمئن هادئ مستبشر واثق من رحمة ربه ... ولكل شعب من الشعوب أسلوب فى الحس ويختار من الإحساس يحبه



تضـــارب فى الرأى
يؤدى إلى كشف خطير

للدكتور محمد محمود غالى

الفكرة الموجية والفكرة الحدثية — لماذا تمذهب العلماء بالفكرة الحدثية أو الموجية — ظاهرة التداخل الضوئى والاستقطاب

فيم كان التضارب ؟ وفى أى المناحى ظهرت أزمة علمية ؟ لقد كان فى أهم مرحلة من المراحل العلمية التى تتصل بفهمنا للكون ورؤيتنا له ، وللقارئ بيان ذلك

حاولنا أن نُرجع الكون فى مجموعه إلى ظواهر أربع : الكهرباء والمادة والإشماع والطاقة . وحاولنا أن نُرجع كل هذه الظواهر إلى ست وحدات أصلية ، وذكرنا أن ظاهرة الإشماع ترجع إلى ذرة ضوئية يسمونها الفوتون ، والواقع أن ظاهرة الإشماع تتكون من الفوتون ومن موجة مستصحبة له ، وذكرنا أن هذه الذرة الضوئية تسافر بسرعة عظيمة تبلغ حوالى ثلاثمائة ألف كيلو متر فى الثانية . ولا نتوسع اليوم مع القارئ فى شرح الطرق التجريبية المختلفة التى توصل بها العلماء لقياس سرعة الفوتون الذى لا يمكن أن نعثر عليه إلا وهو فى حالة حركة سريعة بالنسبة للمادة ، ولكنا نستعرض مناحى التفكير فى فهم الظاهرة الضوئية ، والوسط الذى ينتقل فيه الضوء ، والكيفية التى تصور بها الباحثون هذا الوسط الذى يتصل فى أساسه بالكون وبالوجود والحالة التى اضطر لها العلماء فى تعديل تصورهم والاتجاهات العلمية التى تناولت هذا التعديل ، وبهذا نستعرض موضوعاً تضاربت فيه الآراء ، وأزمة كانت من أشد الأزمات العلمية ، أزمة لم تنته إلا بتطور على جديد ، عَدّل تصوراتنا عن الكون وهذّب طريقتنا لمعرفته

* * *

ولا عجب فى ظاهرة ترجع فى تكوينها وفى معرفتنا لها إلى ظروف معقدة يجمل بنا أن نذكرها ، فالضوء الذى ترسله إلينا الشمس مثلاً أو المصباح يصل لنا فى الحيز من أجسام مادية ، لا نعرف على وجه التدقيق ما حدث فيها من عمليات يصل أثرها إلى حاسة من أهم حواسنا هى البصر نعرف به صور الأشياء بالمظهر ذاته الذى يراه كل من وهب هذه العيون

كذلك عند ما يتلقن الطفل أن هذا اللون هو اللون الأحمر وذاك هو الأخضر ، فإنه بعد المران يعرف دائماً الأحمر من الأخضر ، ولا يحدث خلاف بين بنى الإنسان فى تمييز لون معين من بين الألوان، فثمة اتفاق عام على أن هذا أحمر وذاك أخضر، تلك مسألة نقررها بتجاربنا اليومية ، ولكنها تجارب بدائية تقف فى حد ذاتها عن الكشف عن طبيعة الظاهرة التى تجعلنا جميعاً نتفق فى هذا التمييز

وقد يكون غريباً على القارئ أن نقول له إن الضوء عملية موجية ، وإن اللون يترجم عدداً من الذبذبات فى الزمن ، وإنه إنما يميز الأحمر من الأخضر، لأن ثمة عددا من الذبذبات فى الثانية أثرت على العين ليرى اللون الأحمر. وثمة عدد آخر من الذبذبات يختلف عن العدد الأول وصل إلى العين ليرى اللون الأخضر ،

ويغذيه من نفسه وينميه فيها فيظهر فى لهجته وكلامه . فالألمان يعتقدون أنهم أقوى ما فى الدنيا ولذلك فإنهم يقبلون على الدنيا بهذا الإحساس يتحدون كل قواها مقمقمين بلغتهم وكلامهم كأنهم المدافع، والفرنسيون يعتقدون أنهم أجمل ما فى الدنيا وأشد ما فيها عصفاً وهم لهذا يقبلون على الحياة مدللين متأنقين متلطفين مغرين الناس بأنفسهم قد أرهفوا انتباههم إلى مسة تخدشهم فما تخدشهم حتى يثوروا فما يسترضون حتى يرضوا ... طبيعة الجيل المدلل الأنيق المتلطف ؛ وكل هذا باد فى لغتهم ومطاتها الرشيقة ووقفاتهم الأنيقة كما يبدو فى عواصف إلقائهم وزوابعه إذا هم غضبوا ... وأهل لبنان فى إلقائهم للعربية بداوتهم الباقية وعنجهيتها الفخور ... وأهل المغرب فى سرعة إلقائهم ومضغ الحروف و « كركبة » الألفاظ بعضها فوق بعض لا يزالون فى الهلع الذى أصابهم منذ أزيحوا عن الأندلس بما كانوا يلهون فيها ...

— وأهل مصر ؟

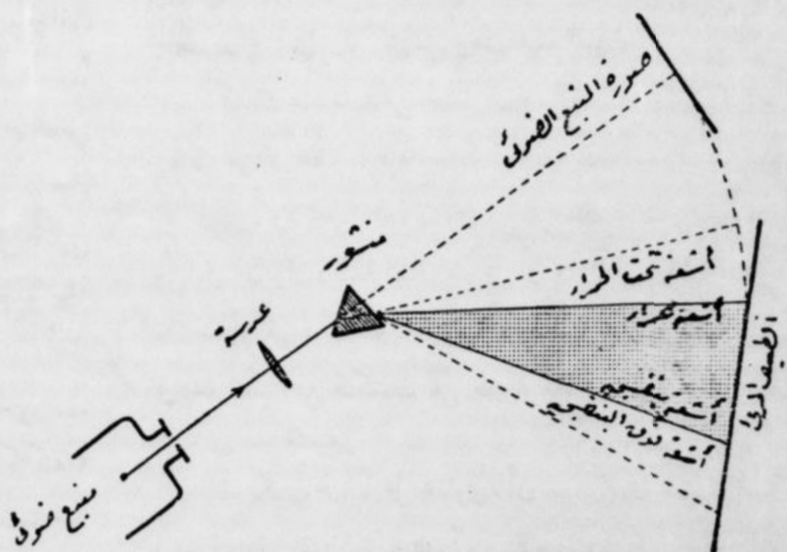
— تسمّيهم أنت ... وتنبئنى غداً بما تسمين

عزيز أحمد فهمى

ذلك أن القارئ لا يرى هذه الذبذبات، وليس فى تجاربه اليومية ما يؤيدها ، ولكننا نطالبه أن يتبعنا قليلاً ليرى معنا ماذا تكنه هذه الظاهرة العجيبة التى عرف عندها الأشياء بصورها واستوعب الألوان بحالتها

***

أول معارفنا عن الضوء ترجع لملاحظة الظواهر العادية التى تتصل بما يسمونه الضوء الهندسى Optique Geomertrique الذى يبين مسيرات الأشعة الضوئية . كلنا يعرف أن الضوء يسير فى خط مستقيم ما دامت المادة التى يسير فيها لا تتغير، ويعرف أن الأشعة تنكسر عند انتقالها من مادة إلى أخرى ، وما السراب إلا ظاهرة حادثة من انكسار الضوء فى الهواء الذى يتكون منه فى الواقع طبقات تختلف كثافتها لاختلاف درجة حرارتها وقد عرف نيوتن ظاهرة انكسار الضوء فى الزجاج ، ودرس من ذلك ظاهرة تحليل الضوء الأبيض إلى الألوان المعروفة ، وبذلك عرف أن الضوء الأبيض الذى يصلنا من الشمس خليط من أشعة مختلفة ألوانها وقد أثبت ذلك بأن جعل الضوء يمر فى منشور زجاجى فيتحلل إلى الألوان المعروفة : الأحمر ، والبرتقالى ، والأصفر ، والأخضر ، والأزرق ، والأرجوانى ، والبنفسجى ، وهى ظاهرة الطيف التى نشاهدها أيضاً فى قوس قزح حيث تلعب كرات الماء المنتشرة فى الفضاء دور المنشور فيتحلل الضوء عند اختراقها إلى ألوانه السبعة



(شكل ١) تحليل الضوء الأبيض بواسطة منشور زجاجى

ويرى القارئ فى الشكل (١) تحليل الضوء بواسطة المنشور ، ويرى المنطقة التى يكون فيها اللون الأحمر واللون البنفسجى ، كما يرى المنطقة التى تكون فيها الأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية

ولو أننا وضعنا ـ كما فعل نيوتن ـ أمام الأشعة المبعثرة عدسة فإن هذه الأشعة تتجمع مرة أخرى بعد خروجها من العدسة وتكون الضوء الأبيض من جديد

ولقد كان الانكسار فى الضوء الأساس فى اختراع كل الأجهزة الضوئية : كالمنظار الفلكى (التليسكوب) والمجهر (الميكروسكوب) والجهاز الفوتغرافى . بهذه الأجهزة جال الإنسان بنظره وفكره من العوالم البعيدة إلى الدقائق التى لا تراها العين ، واستطاع أن يحتفظ بصور الأشياء والحوادث ، اجتماعية كانت أم علمية ؛ وهكذا بتعديل فى شكل الزجاج خرجت صناعة هامة هى صناعة العدسات ، واقترنت هذه بأعمال الإنسان حتى بات فريق كبير يحملها على العيون ليرى للعالم صورة أوضح من التى تسمح له بها حواسه ، وكان ذلك امتداداً عجيباً لوظيفة العين البشرية ، أى امتداداً لحياتنا البيولوجية

لم تكن هذه الظواهر : من مسار الضوء فى خط مستقيم ، وانكساره عند اختراقه المواد ، وتحليله إلى ألوان مختلفة ـ بكافية لنتعرف حقيقة الضوء ؛ وكان على الباحثين لمعرفة ذلك أن يدرسوا خواصه دراسة وافية ، وهذا ما عكف عليه العلماء الذين ذهب التفكير بهم إلى افتراض احتمالين :

الأول أن يكون الضوء مكوناً من جسيمات صلبة مقذوفة فى الحيز

والثانى أن يكون الضوء حادثة وقعت على جسيمات أخرى مادية ، وليس هو الجسيمات بذاتها ، وفى الحالة الثانية يكون الكون بأسره مملوءاً بهذه المادة التى سموها الأثير Ether وهذه المادة لا نراها بالذات إنما نرى ما يحدث فيها من تعديل أو تموجات، وظل الرأيان يتناوبان المكان الأول عند العلماء الذين اعتقدوا أولاً فى الفكرة الشيئية (أى الجسيمية) ثم اعتقدوا ثانياً فى الفكرة الحدثية (أى الموجية) ، ولأسباب سنذكرها هنا انتصرت الفكرة الأخيرة عهداً طويلاً ، وظلت النظرية الصحيحة إلى أن حولت النظريات الحديثة ونظرية الكم Quanta مرة أخرى المعاند نحو الفكرة الأولى

أما النظرية الشيئية فقد أسسها نيوتن Neuton ففرض أن

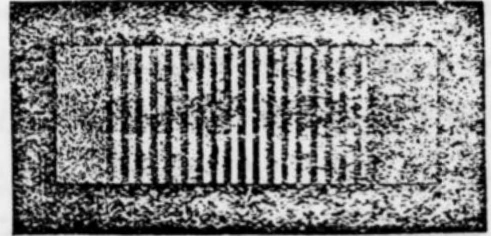
الضوء مكون من جسيمات صلبة صغيرة مقذوفة فى خط مستقيم فى الفضاء ، وكان لما يتكون من ظل لأى جسم موضوع أمام منبع ضوئى دليل عند نيوتن على ما احتجزه الجسم من هذه الكرات التى حال الجسم دون مرورها

أما النظرية الحديثة ، فقد أسسها الرياضى الهولاندى ويجانز Huyghens وقامت فى المبدأ على اعتبارات نظرية وحسابات قام بها هذا العالم ، وكان لا بد من أسباب علمية هامة لكى يهجر العلماء نظرية نيوتن الجسيمية Corpusculaire على ما لمؤسسها من مكانة ليتمذهبوا بالمذهب الجديد .

على أننا نلخص المهم من هذه الأسباب التى خرج بها علينا العلم التجريبى :

السبب الأول كان فى ظاهرة يسمونها (التداخل الضوئى) Intérference ، والسبب الثانى كان فى ظاهرة يسمونها الاستقطاب[1] Polèrisation ، وللقارئ نوجز الظاهرتين :

عندما يقع شعاع على جسم يضيئه شعاع آخر ، فإنه من البديهى أن يزداد توهج الجسم بهذا الشعاع الثانى ، وهى نتيجة حتمية لنظرية « نيوتن » التى تقول بازدياد عدد الجسيمات الضوئية الواقعة على الجسم ، وبرغم هذه الحقيقة التى نشاهدها فى تجاربنا العادية توصل العلماء إلى تجارب من نوع معين يتبين منها أن هذه الإضافة لشعاعين من الضوء ينتج عنها ظلمة حالكة بدل أن ينتج عنها زيادة فى الضوء



(شكل ٢) ما نراه فى ظاهرة التداخل الضوئى

وقد كشف هذه الظاهرة الطبيب والطبيعى المعروف توماس يونج[2] Thomas Young وتتلخص تجربته فى أنه وضع حاجزاً به ثقبان أمام منبع ضوئى وشاهد على حاجز آخر موضوع خلف الأول سلسلة من الخطوط المضيئة والظلمة المتجاورة ، ذلك أن هذا الحاجز يضاء بما ينبعث من ضوء خلال الثقبين ، وفى الشكل (٢) يرى القارئ صورة لهذه الظاهرة التى لا يمكن تفسيرها بنظرية « نيوتن » ويمكن تفسيرها بالوسائل الرياضية إذا اعتبرنا الضوء ظاهرة موجية[1] ، ذلك لأن موجتين متضادتين وحادثتين فى مكان واحد تمحو إحداهما أثر الأخرى ، ويظهر ذلك فى هذه الخطوط السوداء التى رغم تعرضها للمنبعين لا يظهر عليها أثر للضوء.

وليس المجال هنا لنذكر التجارب المختلفة التى وفق فيها العلماء لرؤية هذه الظاهرة ، ولا بد أن يكون قد رآها كل من أتيحت له فرصة عمل تجارب فى إحدى كليات العلوم ، مثل التجارب المعروفة باسم حلقات « نيوتن » أو « مرآة فرنل » وغيرها . كذلك لا ندخل فى تفصيل التطبيقات العديدة التى استخدمت فيها ظاهرة التداخل لكل مهندس تتاح له الفرصة فى معرفة ما تقدمه العلوم الطبيعية من تطبيقات مفيدة يعلم أنه يستطيع أن يعرف درجة تمدد أو ضغط إحدى الأعتاب الحاملة للجسور الحديدية[2] بواسطة أجهزة ضوئية تستند إلى ظاهرة التداخل الضوئى ، كما يعرف أنه من السهل الآن تمييز سمك لوحة رفيعة أو دراسة ما على سطحها من تعاريج أو حركة بالاتجاه إلى أمواج الضوء ، واستخدام ظاهرة التداخل فى القيام بما يصعب قياسه بالطرق العادية[3]

أما الظاهرة الثانية فهى ظاهرة الاستقطاب التى تفرغ لدراستها أيضاً المهندس والعالم « فرنل » ونشرحها هنا فى كلمتين :

ثمة نوعان من الأمواج فى الظواهر الطبيعية المختلفة ، أمواج طولية حيث تتذبذب الجسيمات فى اتجاه سير الموجة ، وأمواج مستعرضة حيث تتذبذب الجسيمات فى اتجاه عمودى على سير الموجة. وأظهر مثال للأخيرة تلك الأمواج التى نشاهدها على سطح المياه حيث يرتفع الماء ويهبط فى مكانه عموديا على الاتجاه الظاهرى لسار الموج دون أن يتحرك الماء من مكانه نحو هذا الاتجاه ،

---

(١) فى محاولة لا أدرى مدى نجاحها أعتقد أنه ربما نستطيع معرفة سرعة المياه فى المنطقة المجاورة لقاع النيل والترع بالالتجاء إلى ظاهرة الاستقطاب دون ما التجاء لاستخدام الجهاز المعروف لدى مهندسى الرأى باسم « السكارنتيمتر » Current metre أو moulinet Hydrométrique الذى يصعب استعماله فى المنطقة القريبة من القاع

(٢) أعتقد أنه كان ليونج بالذات بحث هام قام به فى مصر عن الآثار المصرية

(١) يرجع تفسير ظاهرة التداخل إلى المهندس الفرنسى المعروف فرنل Fresnel الذى قام أيضا بتجارب هامة عن الضوء الموجى والذى توفى عن ٣٩ عاما

(٢) قام بهذه التجربة الأستاذ « ميناجيه » من أساتذة مدرسة الكبارى والجسور بباريس

(٣) مما هو جدير بالذكر أن ثمة ظاهرة أخرى اسمها ظاهرة الحيود الضوئية Diffraction ، ولا ندخل فى تفاصيلها ، أيدت أيضا النظرية الموجية وعارضت النظرية الجسمية

ولقد أثبت «فرنل» أن الضوء ظاهرة موجية من النوع الأخير فهي كموجة الماء تتذبذب فى اتجاه عمودى على مسار الموجة، ولا تختلف عنها إلا فى أنها مع مرور الوقت تدور هذه الذبذبة فى المستوى العمودى الذى تتذبذب فيه، وقد لاحظ «فرنل» أن الضوء عند ما يخترق نوعاً من البلور فإنه يتذبذب عمودياً كما كان قبل اختراقه البلورة، ولكن الذبذبة تتخذ صفة جديدة، ذلك أنها تتذبذب فى اتجاه واحد، ويسمى هذا الشعاع مستقطَباً؛ وقد بيّن «فرنل» أن ظاهرة التداخل لا تحدث بين شعاعين من هذا النوع إلا إذا كانا مستقطبين فى اتجاه واحد. وظلت فكرة «فرنل» التى تتلخص فى أن الضوء ظاهرة موجية مستعرضة تستلزم وجود مادة أثيرية لحدوث هذه الموجات فكرة غير مقبولة من العلماء الذين لم يؤمنوا بوجود مثل هذه المادة فى الكون، وهى المادة التى لجأ إليها كل من «فرنل» و «ويجانز» لتفسير ظاهرتى التداخل والاستقطاب التى صعب تفسيرها بنظرية «نيوتن» الجسمية، وظل الأثير وسطاً يتطلب الدراسة

وهكذا لم يكن من المستطاع التعرف على الضوء كحالة موجية دون أن يكون هناك هذه المادة الأثيرية التى تملأ الكون، وكان شأن الأثير من الضوء شأن الماء فى بحيرة سقط فيها حجر، وإلا فكيف تصل لنا آثار الحجر إذا لم يوجد الماء، وكيف تصل لنا هذه الدوائر على سطح البحيرة تتسع رُوَيداً رويداً حتى تبلغ الشاطىء إذا خلت البحيرة مما يحمل هذه الدوائر، ومع ذلك ظل الأثير فرضاً لا نعرف عن خواصه شيئاً، وكل ما نعرفه أنه مادة خفيفة شبيهة بالغازات، لا نستطيع تفريغها مهما كانت أجهزتنا قوية، فهو يملأ المصباح الكهربائى مهما كان مفرّغاً، وبواسطته يمر الضوء من السلك المعدنى إلى الغلاف الزجاجى وإلى ما وراء هذا الغلاف

ولقد صادفت فكرة «فرنل» عن الموجات الضوئية ووصفها بأنها مستعرضة عقبة جديدة، ذلك أن الأثير باعتباره مادة شبيهة بالغازات لا يقبل غير الموجات الطولية، وقد استمسك «فرنل» برأيه فى أن الضوء أمواج مستعرضة حتى أنه، عند ما تشبث «بواسون» Poisson بأن التموجات الطولية هى وحدها الكائنة فى الأجسام الغازية، لم يسع «فرنل» إلا أن يطلب من هذا العالم أن يصحح رأيه فى خواص الأثير الذى قد يكون له خواص الأجسام الصلبة، ويقول «ريشنباخ» Reichenbach إن تصميم «فرنل» هذا كان سبباً لكى يمتنع زميله «أراجو» Arago من أن يوقع معه للنشرة العلمية النهائية الخاصة بهذا الموضوع. وفى القرن التاسع عشر عكف العلماء على القيام بتجارب عديدة يتبيّنون منها وجود هـذا الأثير ويتعرفون بها على شىء من خواصه، وتساءل بعضهم ماذا يحدث فى الأثير عند ما يتحرك جسم فيه؟ ثمة احتمالات ثلاثة:

الأول أن يحمل الجسم معه الأثير بأسره المحبوس بين جزيئات الجسم. والثانى أن للأثير مرونة عظيمة تسمح أن يمر الجسم فيه دون أى احتكاك ظاهر

والثالث أن يكون للأثير حالة متوسطة، أى أنه يشترك جزئياً مع حركة الجسم، وهو رأى مال إليه «فرنل» وعززه بحسابات أراد منها أن يعرف درجة اشتراك الأثير فى مثل هذه الحركة

وقد عمد فيزو Fizeau لتحقيق ما ذهب إليه فرنل، وفى تجربة معروفة أرسل شعاعاً فى أنبوبة مملوءة بالماء الجارى كما أرسل فى الأنبوبة ذاتها شعاعاً آخر فى الاتجاه المضاد، بحيث يسير مع الماء أحد الشعاعين ويسير بعكسه الشعاع الآخر، وباعتبار أن المادة الحاملة للضوء هى الأثير وأن هذا، وفق النظرية المتقدمة، يتحرك مع الماء بعض الشىء؛ فإنه يجب أن تختلف السرعة لشعاعى الضوء فى الحالين. وباللجوء إلى طريقة دقيقة استخدم «فيزو» فيها لقياس السرعة ظاهرة التداخل الضوئى استطاع أن يقيس الفرق بين السرعتين، فأيدت صحة هذه التجربة فكرة «فرنل» عن وجود الأثير وعن معرفة شىء عن حركته[1]

على أن تجربة أخرى تعد فى نظرى من أهم التجارب التى أحدثت انقلاباً فى التفكير الحديث قام بها العالم المعروف «البرت ميكلسون» Albert michelson فى سنة ١٨٨١، وكان لها أثر فى عقيدة العلماء فيما يخص الأثير، هذا الوسط الوهمى، وسيرى القارئ كيف سببت تجربة ميكلسون تضارباً فى الرأى وأحدثت أزمة علمية عصيبة، وماذا كان أثرها على التفكير الحديث فى فهم الكون.

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون

ليسانس العلوم التعليمية. ليسانس العلوم الحرة. دبلوم الهندسخانة

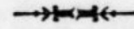
---

(١) سيتضح من التجربة التالية لميكلسون خطأ «فيزو» ومهما يكن من أمر تجربة «فيزو» هـذه، فانها توحى للباحث بفكرة أخري تهمنا فى حياتنا العملية، وهى احتمال قياس السرعة المتوسطة لمياه الأنهار كالنيل بارسال ذبذبة صوتية فى اتجاه سير المياه، ولمسافة كبيرة تبلغ بضعة الكيلومترات، وإرسال ذبذبة مماثلة فى الاتجاه المضاد، ومحاولة استنتاج السرعة المتوسطة لمياه النهر وبالتالى تصرف النهر من مقارنة الفترتين اللتين وصلت فيهما هذه الذبذبات ومن معرفتنا لسرعة الصوت فى الماء



عفـــراء الغجرية

للأستاذ محمود الخفيف



كان على صهوة مهره الجميل ذات صباح من أصباح يشنس البهيجة فى طريقه إلى حقل من حقول أسرته المترامية البعيدة ، وقد برزت الشمس من وراء كِلّتها الوردية ، وأخذ ذوبها العسجدى يرف فى ذرى الأغصان وأطراف السعف وأجنحة الطير . وكان نسيم الصباح الندىّ ينفح الناس والشجر والدواب فى تلك البطاح المنبسطة التى لم تبق فيها مناجل الحاصدين إلا جذور القمح ، والتى تلمح العين فيها على أبعاد ، مزارع القطن الخضراء ، وقد أخذت تدب القوة فى شجيراته الموموقة المصفوفة ...

وكانت الحقول آهلة بالناس ، فهنا وهناك جماعات الحاصدين قد تحلقوا حول الفطير والعسل ، أو تمددوا على فرش الحصيد ، أو انحنوا فرادى على السنابل الذهبية يجذونها بمناجلهم ... وهنا وهناك حاملات الفطور بين غاديات ورائحات ، ولاقطات السنابل لا يزال بعضهن يلتقطنها ؛ بينما يخطر بهـا الأخريات حزماً على رؤوسهن يزداد بها قوامهن رشاقة وملاحة ؛ والطرق إلى القرية تتقاطر فيها الإبل تحمل السنابل ويتغنى خلفها الفلاحون — وهم بين هاتف وزامر — وبينهم بعض البـدو ممن يهبطون القرى بجمالهم فى هذا الموسم لنقل أحمال الحصيد إلى البيادر ...

كان كل شىء باعثاً على البهجة ، فما ترى العين ولا تسمع الأذن إلا فيض السرور ؛ ولـكن « حسيناً » كان يحس وحده الانقباض وسط هذا المرح الناصر ... وكم كان يحسد هؤلاء الفلاحين على ما رأى من مظاهر هناءتهم ، وكم كان يتمنى لو أتيح له مثل ما يتاح لهم من نعيم ، ولو اشتراه بما يملك جميعاً ! بل لقد كان يحسد مهره ، وقد خيل إليه كأنما طاف به طائف من هذا السرور ، فهو يتبختر تبختر النشوان ، حتى لو تكلم لباهى بفتوته وجمال غرته ، ولام صاحبه على ما يبدو عليه من هم !

وتنهد الفتى ، وقد ذكره ذلك السرور شجونه ، واستحث مهره يريد أن يصل به سريعاً إلى حيث كان يريد أن يقضى النهار فى منزله ، فى ذلك الـكوخ القائم على ضفة الترعة الـكبيرة ، بالقرب من أكواخ تلك الأسرة البدوية التى تقيم هناك منذ سنين لحراسة الزرع ؛ وما كان يأوى حسين إلى ذلك الـكوخ إلا حين كان يضيق بهمه ، وتثقل على نفسه الحياة

وانعطف به مهره عند نهاية قناة طويلة تجرى وسط مزارع أسرته ، فلم يكد يتجه اتجاهه الجديد ، حتى وقعت عيناه خلف شجرة كبيرة على بعض أخبية للبدو لم يرها من قبل هناك ، ينبعث الدخان من كوانينها ، وتنبح الـكلاب المارين بها . ونظر ، فإذا هو يرى بأحد هذه الأخبية فتاة مضطجعة ، عجب لأول وهلة كيف يتأتى وجود مثلها فى خباء من الشعر ، وهى لولا ملابسها البدوية ، وحليها البدوية ، لظنها الرائى إحدى غانيات القصور ، ففى وجهها الرائع القسمات ، وفى بدنها البض، مخايل النعيم والترف، وفى سمتها معانى الـكبرياء والأنفة ، هذا إلى بياض بشرتها على نحو لا يكون إلا فى الناعمات البيض من ربات الجمال ...

ورشقته الفتاة بنظرة من عينيها الدعجاوين الرائعتين ، نظرة فهم بفطرته منها كثيراً من المعانى : ففيها الإغراء والدلال ، وفيها الإعجاب به وبمهره الجميل ، وفيها الأنفة وعدم المبالاة ، وفيها الإقرار بما يبدو عليه من جاه ، وفيها الإيحاء إليه بجاهها هى وإن كان من نوع آخر غير جاهه ، نوع كم ذل له كل جاه ، وكم دانت له من جباه ... وسار ، وقد انطبعت فى مخيلته صورة هذه البدوية الجميلة ، ورآها بين من أحطن بها كأنها وردة رائعة فى بقعة من الشوك ... وحدثته نفسه وهو من لا يهاب ولا يضطرب أن يرجع ، فيجلس ساعة بين هذه الأخبية ليرى مبلغ كبرياء تلك الفتاة ، وهو لم ير هناك رجلاً ولا فتى ، ولن يضيره أن يحضر الرجال جميعاً ، فهم يقيمون فى ملـكه ، ولا يسعهم إلا الإذعان لسلطانه ... ولـكنه ما لبث أن رغب عن ذلك ، ومضى فى سبيله إلى منزله ...



وبلغ كوخه فترجّل وأسرع إليه صبى من البدو المقيمين

هناك فأخذ المهر إلى مربطه ؛ وجلس حسين فى الكوخ ينظر إلى المـاء فى الترعة السـاكنة الهادئة ويمنى نفسه بيوم هادئ ؛ وطافت برأسه أول الأمر طيوف عمه ، ثم طاف بها خيال تلك البدوية الجميلة، وتمثلت له عيناها الجريئتان الساحرتان، فسرى عنه بمض ما به لحظة أسلمه بعدها إلى وجد عميق إذ تداعت إليه آلام حبه ولواعج قلبه ... وأفاق من أحلامه على صوت ارتفع من قرب بالتحية ... ونظر فإذا الشيخ مصطفى مقبـل نحوه ، وامتعض حسين ولكنه أخفى امتعاضه بابتسامة متكلفة قائلاً : « وعليكم السلام يا عم الشيخ مصطفى . من أين أنت قادم ؟ »

— من عزبة على بك ، حيث كنت أحادثه فى شأن الأطيان التى يريد عمك البك استئجارها وقد قضيت الليل عنده

— هنيئاً لعمى ما يملك وما يستأجر ... أما أنا ... ولكن ماذا أقول ربنا موجود ياعم الشيخ مصطفى

— يامى حسين بك دائماً تشكو ، قريباً تأخذ ملـكك وتتمتع به ، المسألة زيادة حرص من سيدنا البك عليك

— قريباً ... نعم قريباً ، بمشيئة الله وبإرادتى أنا لا بإرادة سيدنا البك

وخشى الشيخ مصطفى أن يسمع عن سيده ما لا يحب ، فاستأذن ونهض يريد الانصراف ، ومد يده إلى حسين فسلم عليه وهو مضطجع والشر يلمع فى عينيه وقال له وفى وجهه جذوة الغضب : « قل لسيدنا البك إن حسين لم يعـد صغيراً وهو لن يطيق بعد اليوم أن يحيا هذه الحياة وله عندك أكثر من ثلاثمائة فدان ... كنى ... كنى أنى انقطعت عن التعليم بسبب شحه علىّ وكنت قريباً من النهاية ... لا ! لا ! الصبر بعد اليوم مذلة »

ومضى الشيخ مصطفى ، يشيعه حسين بلعناته ، وقد كان هذا الرجل من أبغض الناس إليه ، لمـا عرفه عنه من الملق والمداهنة وشدة المكر ، هذا إلى أنه لا يذكره عند عمه إلا بالسوء كأنه يرى فى ذلك وجهاً من الزلفى

وتشاءم حسين بمرأى الشيخ مصطفى كاتب زراعة عمه ونائبه فى أعماله وزاده مرآه همـًّا على هم؛ وتذكر أنه ما كان يراه مرة أيام كان طالباً إلا رسب فى امتحانه أو أصابه المرض إن لم يعقب مرآه امتحان

والتفت حسين نحو الترعة يريد أن يغيب فى سكونها ثورة نفسه فأبصر تلك البدوية الحسناء وقد حسرت ثوبها عن ساقيها الجميلتين ونزلت فى المـاء تغترف منه فى إناء صغير من الفخار ، وتبدت لعينيه كأنها تلك الجنية التى كان يسمع من أوصافها وهو صغير ما كان يخفق له قلبه رعباً ... ولقد خفق قلبه الآن لمرآها ولكنها اليوم خفقات الإعجاب بهذا المنظر الساحر الفاتن ...

وكأنما كانت بما تأتيه من حركاتها الرشيقة تدعوه ليحدثها وما كان بحاجة إلى هذه الدعوة فقد خف إليها وحياها فى جرأة فردت فى فتور وهى تغريه بعينيها وتتكلف الحياء فتشيح بوجهها عنه وهى منحنية على الماء ، وسألها عن اسمها فتباطأت لحظة وهى تبسم له ابتسامة نفذت إلى قلبه ثم قالت : « خادمتك عفراء ... »

ووثبت إلى الشاطئ ووضعت الإناء فوق رأسها وهمّت معجلة بالانصراف ، فاستوقفها فتأبت ، فقال : إنه لن يسمح لها بالسير إلا على موعد . فضحكت وقالت : حتى ترى القمر فى الضحى ؛ وأجاب من فوره: ها قد رأيته ، وأشار إلى وجهها الجميل ...

ولم تكد تخطو حتى مر بالكوخ فتى فى نحو الثلاثين كره حسين مرآه ، فى لفتته لفتة الذئب ورآه ينظر نحو عفراء نظرة ملؤها الغضب والغيرة

عاد حسين إلى القرية بعد عشرة أيام قضاها فى منزله على ضفة الترعة ، حيث كانت توافيه إليه عفراء كل ليلة فتجلس معه ساعة أو بعض ساعة

ووصل إلى منزل عمه وقد غربت الشمس فوجده جالساً على كرسيه أمام داره وحوله جلساؤه وعلى مقربة منه كاتب زراعته ؛ وألقى الفتى إليهم السلام فردوا جميعاً إلا عمه فقد نظر إليه نظرة كريهة لمح فيها لأول مرة إلى جانب البغض ما يشبه التشفى ... وعجب حسين أن رأى معانى الرثاء واضحة فى نظرات من لقيهم من الخدم وقرأ على وجوه الخادمات وبخاصة عزيزة أن كلا منهن تريد أن تفضى إليه بنبأ ، فاضطرب قلبه فى جوانحه وقد فهم كل شئ ...

ونادى عزيزة فأقبلت عليه لا تدرى كيف تفضى إليه بما تريد من نبأ ، فارتسمت على شفتيه ضحكة متكلفة حزينة كأنما يقول

لما بها : هيه لا تخافى . وقالت عزيزة « يا سيدى حسين ستى ثريا هانم خطبوها خلاص وكتب الكتاب بعد شهر ... »

وأحس كأن قلبه يدمى فى جوانحه ؛ وتقطعت أنفاسه كأنما مسه نصب شديد ، ولكنه تجلد ريثما صرفها ، ثم أسند ظهره إلى حائط البيت يخشى أن يسقط على الأرض ... ثم مشى يجر رجليه فأوى إلى مضجعه وجلس فى الظلام ساعة ...

وبث اليأس فى قلبه البأس والقسوة فلن يعبأ بعد اليوم بشئ وهو يريد أن يعرف أولا ماذا ترى ابنة عمه فيما أريد لها، ولذلك وثب من مكانه لا يدرى أين يذهب ولا من يسأل ، وفى مخيلته نظرة عمه وما فيها من معانى التشفى ، وفى نفسه وساوس وهواجس ونيات سود فزع حتى فى ساعة يأسه منها ... وما قيمة حرمانه مما يرث إلى جانب حرمانه من أمله الذى لا يرى للحياة معنى من دونه ؟ ولم يكد يخطو من منزله إلى منزل عمه حتى رأى عزيزة فناداها وهم بسؤالها ولكنه لم يعرف كيف يدير الحديث إلى غرضه ففهمت ما يريد فقالت فى لهجة الواثق : « ما تخافش أبداً يا سيدى حسين أنا عارفه ... »

— عارفه إيه ؟ هل قالت لك حاجة ؟ لازم أعرف

— لا مافيش حاجة إنما أنا عارفه وبكره تشوف وابقى قول عزيزة قالت لى ولى عندك الحلاوة

وانصرفت عزيزة مخافة أن يراها سيدها ، ووقف حسين فى مكانه يدير كلامها فى عقله متسائلاً هل أتت به من عندها أم سمعت شيئاً من سيدتها ولكنها لا تذكره لأنها لم تؤمر بذكره ؟ وفزع بآماله إلى الرأى الثانى فهدأت ثورته قليلاً

مضى حسين إلى (دوار) عمه، وجلس وحده فى ركن هناك، وظل يتفكر فى همه مطرقاً حتى أحس بيد على كتفه فرفع بصره فإذا هو ابن عمه أحمد ، وكان هذا على خلاف أبيه ، يبدى المودة لحسين ، ويكاشفه بما فى نفسه ... ومال الحديث بين الفتيين أول الأمر إلى الأرض التى يريد أن يستأجرها البك بالقرب من عزبة على بك ، وأظهر أحمد خوفه من عاقبة هذا العمل ، ثم أفضى إلى حسين أن على بك يستأجرها كل عام من البنك ، وعلى بك رجل خطر فتاك وبينه وبين أبيه ضغائن وإحن قديمة وليس من الحكمة أن يأتى أبوه هذا العام فيغرى البنك بأن يأخذها هو نظير زيادة فى الإيجار ، وليست به حاجة إليها ، بينما يحتاج إليها على بك أشد الحاجة لأنها تفرج عنه ضائقته التى يعانيها منذ بضع سنين، فضلاً عما فى فعل والده من معنى التحدى والتعدى وهو أمر له خطره الشديد عند الأمر

ووثبت إلى ذهن حسين صورة ذلك الفتى الذى مر به غداة ذهب إلى كوخه ، والذى كره حسين مرآه ورأى الإجرام واضحاً فى وجهه الشبيه بوجه الذئب ؛ ولم يدر حسين لم يذكر الآن ذلك الفتى ولم يبعث تذكره فى قلبه الرهبة ويشيع فى نفسه الكآبة . ورأى حسين فى وجه ابن عمه أنه يريد أن يحدثه فى أمر ، فسبقه حسين إليه وقال ضاحكاً : « مبارك النسب الجديد يا سى أحمد »

— لا دى مسألة وتفوت . عمك يريد معاندتك ... إحنا كلنا معك ، مين يفوت ابن العم ويفضل الغريب — لا تهتم غاية ما فى الأمر لا تعاند عمك . وازدادت المحبة فى قلب حسين لابن عمه أحمد ، وقد تبين فى لهجته الجد والصدق

* * *

لم ينم حسين ليلته إلا غراراً وقد ذهبت به الهواجس كل مذهب ، ولما أخذته سنة رأى فى نومه أنهم قد ذهبوا به إلى القبر وأنه فزع من ضمة القبر وظلمته ؛ وأنقذته الديكة بتصايحها من حلمه المخيف ، فهب ، ولكنه تمنى لو كان الحلم حقيقة ... أتزف ثريا إلى غيره وهو حى ؟ ... ثريا ابنة عمه التى ما أحب غيرها وهى منذ الصغر مسماة عليه ؟ أ كان يفعل عمه ذلك لو كان أبوه حيًّا ؟ وماذا جنى حتى يطعنه عمه تلك الطعنة ؟ لا شىء إلا أنه يطالب بحقه ... وما قيمة الحياة مع هذا الهوان ؟

وتمثلت له أيامه الجميلة ، أيام سعادته بحب ابنة عمه ، أيام كان يناقلها الأحاديث العفة ، وهى مطرقة فى سذاجة خلوة تستروح نسمات الحب ، وتحلم أحلام الحب ، وترى فى ابن عمها دنيا آمالها ، ويرى فيها جنة أحلامه ...

وعول من فوره أن يذهب إلى منزله على ضفة الترعة ، فما يطيق العيش على مقربة من عمه ... بل إنه ما يطيق الوجود

كله ، وامتطى مهره وانطلق بعد أن قابل عنزوة ؛ ومر فى طريقه بخيام البدو فلم ير عفراء هناك . . . على أنه كان من همه فى شغل عنها وعن سالف لهوه معها .

* * *

— كيف الحال يا شيخة العرب ؟

— الحمد لله . . ربنا يخليك يا سيدنا البك

— مين هوه الجدع اللى كان هنا الغريب ده ؟

— ربنا يكفينا شره ... الله يسهل له ... دا بعيد عنك .. دا يقتل الرجل بجنيه أو بكيلتين حب

— ولم يأتى عند كم ؟

— دا يروح عند أى جماعة من العرب ، ما حدش يقدر يكلمه ... يا ما ياخد من هنا خبز ولحم وشاى . . .

وكان حسين يعرف الكثير من أحوال هؤلاء الأعراب الذين يحترفون القتل ، وليس يدرى لم لاح له شبح الجريمة منذ رأى ذلك الأعرابى ... هل جاء لقتل عمه ؟ يفعلها على بك ولا يبالى ...

فكر حسين وأطال التفكير ، وبينا هو يقلب الأمر على وجوهه ، إذ لمح عفراء مقبلة تحيت بأسمة ولحت عيناها السريعتان الهم فى وجهه ، فقالت مداعبة :

— أعرف البخت وأقرأ الضمير ... فهل تريد ؟

— أين الرمل والودع ؟

— لا ... يكفى هذا الطمى ... ارم بياضك

ودهشت الفجرية أن رأت حسيناً يرمى إليها جنيهاً براقاً كعين الشمس ، ولم تصدق أنه لها أول الأمر حتى استيقنت من ذلك فراحت تقول وهى تخطط الطمى بأصبعها :

— عدو جديد ... احذره ، ولكن الوردة لك لا لغيرك ... صلى على النبى ... واحد يكرهك وواحد يوزّ عليك والباقى بحبوك وانت منصور ... شر كبير ولكن يفوت وربنا يسلم

وسكتت العرافة وتلعثم لسانها ، وجرت صفرة فى وجهها الوردى ، واختلجت عيناها واضطربت أصبعها ، ثم قالت :

— وفيه وردة تانية ، لكن آه ! تعرفك وتتملى نورك ، وانت موش دارى

وفهم ما تريد ولكنه تغابى ، ودنت العرافة منه وهمست فى أذنه كلاماً دق له قلبه وانطفأت حمرة وجهه وارتعدت مفاصله .. وانطلقت وبودها لو عرف الوردة الأخرى وشمها شمة ...

إذاً فقد أصبح الوهم حقيقة ... فهذا الذئب ما جاء إلا ليفتك بعمه ، ولكن من أدرى عفراء ؟ لعلها سمعته يفضى بسره إلى زميل له من البدو . وماذا يفعل حسين ؟ لقد مرت برأسه فكرة ارتاع منها وانتفض لها جسمه ... لا ، كيف يسكت؟ أيطيق أن تفجع ثريا فى أبيها ؟ ... وهو ؟ أليس هو عمه على الرغم من كل شىء ؟ ألم ينحدر هو وأبوه من صلب واحد فهو بذلك قطعة من أبيه ... ؟ وكيف يلقى الله ودم عمه على يديه ؟ وكيف يهنأ بعيشه بعد الجريمة ... إنه يحس أن سكوته اشتراك بكل معانى الاشتراك

ويوسوس له الشيطان فيقول : هبك لم تعلم ومات عمك أفلا تتمتع بملكك وحبيبة قلبك ؟ كلا ... كلا ... إن الدم لا يهون؛ وهو يعلم ما يبيت لعمه ... ولكن كيف تزف ثريا إلى غيره ثم لا يحدث ذلك إلا نكاية فيه ؟ ويحه ما باله ! تتنازعه هذه الهواجس والأمر بين ؟ ماله يلتفت نحو النزعة ؟ أيريد أن يعبر إلى العدم لجتها ؟

* * *

قضى ليلته مشرد اللب خائر البدن تفزّعه الرؤى السود وتنهش أحشاءه المخاوف ، وبات يخشى على نفسه هو ، ومن يدريه فلعل ذلك الذئب قد علم من حيث لم يدر هو ولم تدر عفراء ، بما أفضت به إليه ... لعله رآها تهمس فى أذنه ومثله من يرتاب فى كل شىء ومن يفهم باللمحة الخاطفة ، وأغمض جفنه، فرأى وهو بين اليقظة والنوم أنه ماثل أمام أبيه مغلول اليدين والدماء على ملابسه وبديه ، وعمه فى أكفانه ينظر إليه من كثب ولا يستطيع أن يتكلم ... ومرت بوجهه أنفاس الفجر الندية فقام وهو لا يكاد يقوى على القيام ... ثم عقد النية أن يخبر الشيخ مصطفى بما علم وهو الكفيل بأن يقضى على الذئب قبل أن يقضى الذئب على عمه

وأرسل من جاءه بالشيخ مصطفى ، وجلس كاتب عمه بين يديه ساكتاً ، وسكت حسين لحظة

— تألمت والله يا سيدى حسين لما علمت بنبأ الخطوبة الجديدة

— ليه ؟ هذا نسب عال ...

— على كل حال أنت أولى من الغريب ولكن ما الحيلة ؟

— يا سيدى دى قسمة وربنا هو اللى عمل كده.. هل يكون العقد بعد شهر صحيح ؟

— لا ، ربما كان قبل ذلك فالبك مستعجل

وأمسك حسين وصمم على كتمان ما علم ، ولكنه حار كيف يصرف الشيخ مصطفى ... واستأذنه لحظة وراح يمشى على ضفة الترعة جيئة وذهاباً وهو ضائق بما كان يبدو له من نظرات التشفى فى وجه الشيخ مصطفى وإن بالغ فى إظهار تألمه ... وناداه فأفضى إليه بما علم ، ثم صحبه إلى القرية وقد أصبح يخاف من كوخه

وانقضت أيام ، أخذ يزداد فيها حسين قرباً من عمه بعد أن كان موضع الريبة والحذر الشديد ، فقد اتهمه الشيخ مصطفى عند عمه بتدبير الجريمة ، ولكن الشيخ مصطفى ما لبث أن جاء من لدن عفراء بالخبر اليقين ... وأجل العقد الذى أريد من قبل ليحل محله بعد التخلص منه عقد آخر ... وأخذت الأيام تبتسم لحسين بعد عبوس مخيف طويل، ولم يعد يكدر على الأسرة صفوها إلا خوفها وحذرها البالغ على حياة البك ، ذلك الحذر الذى كان يتجلى فى إحاطة منزله ليلاً بالحرس الساهرين

ولم تحل يقظة الحراس دون أن تفزع الأسرة كلها بعد العشاء ذات ليلة من صوت انطلاق بندقية استقر مقذوفها فى كتف البك وهو فى مدخل الحارة المؤدية إلى بيته

وهرع إليه ذووه يعتقدون أنه قد فارق الحياة ... ولكن الله سلم فخالته لا تنذر بالخطر ... لقد أخطأ الجانى مرماه ؛ وشغل الناس هول الفزع عن تعقب المجرم ، فتسلل تحت جنح الظلام وهو من يعرف كيف يفلت مهما نصب فى طريقه من الفخاخ

ولئن أخطأ الذئب مرماه هنا فلقد أصابه بعد ساعة أو بعضها فى مكان آخر ؛ فهؤلاء البدو يهبون من خيامهم مذعورين على صوت مقذوف ... أعقبه صرخة ، ونظروا على ضوء مصباح صغير فإذا الدم الحار يتدفق من قلب عفراء ، ووجهها الجميل لا تزال عليه بسمة أحلامها وهو متجه إلى السماء ...

الخفيف



الحصار لا يكفي

[ملخصة عن « ذي كونتمبورارى رفيو » لندن]

كثير مما يقال عن تأثير الحصار فى الحرب العظمى ، ويلفظ به الناس، يحمل طابع المبالغة. فعلى الرغم من موقعنا الجغرافى الممتاز وتفوقنا البحرى المعظم ، فإن هذا الحصار لم يؤت ثماره إلا بعد اشتراك أميركا فى الحرب . إن تنفيذ مبدأ كهذا المبدأ على البضائع التى تصدرها دولة قوية محايدة: كالولايات المتحدة يعد من الأمور المستحيلة . فإذا حاولنا ذلك تعرضنا لمشاكل سياسية لا نهاية لها .

ومما لا شك فيه أننا كنا إلى منتصف عام ١٩١٧ غير قادرين على منع كثير من البضائع الهامة التى ترسل إلى ألمانيا عن طريق اسكاندينافيا وغيرها من الأمم المحايدة

ولم يكن للحصار تلك القوة القاهرة التى تقضى على خصومنا القضاء المبرم كما يعتقد الكثيرون ، حتى حين أصبح أمراً واقعاً على الأعداء . فلا نعرف أن خطة حربية ذات أهمية تذكر أخفقت بسبب نقص السلاح أو الذخيرة وكان الحصار السبب المباشر لهذا النقص . ولم يشك أحد من قواد الألمان فى جميع الميادين نقص السلاح أو الذخيرة طيلة الحرب ، وإن كانوا يشكون قلة الرجال . ولا نستطيع أن نعزو انعدام الدبابات فى الجيش الألمانى إلى الحصار كما أننا لا نستطيع أن نقول إن الطائرات الألمانية أو الغواصات نقصت بهذا السبب

ولكن ضغط الحصار كان واقعاً فى الحقيقة على السكان المدنيين دون الجنود أو البحارة أو الطيارين . ولم يكن حتى هذا الضغط بالذى يؤدى إلى كبتهم وشل حركتهم كما يعتقد الكثيرون ويستدل من الكتاب الذى ألفه « جنرال واندوهر » بعنوان « الجوع » ـ وهو كتاب موضوع فى هذا الشأن ـ على أن ضغط الحصار لم يكن إلا نوعاً من حرب الأعصاب التى تضايق السكان بحرمانهم من الحصول على المواد التى اعتاد الرجل المتوسط الحال أن يحصل عليها فى سهولة ويسر ، ولم يكن بذى أثر فعال يصل إلى الإضرار بأجسامهم ونفوسهم كما قد يفهم وهذه نتيجة أستطيع أن أعززها بملاحظاتى الشخصية

ولا يفهم من هذا أن الحصار كان عديم الفائدة أو أن العدو لم يعان من أجله مصاعب لا يستهان بها ، ولكنى أرمى إلى الحقيقة التى لا شك فيها ، وهى أننا نستطيع أن نحاصر ألمانيا وأن نحكم عليها هذا الحصار ، ولكن لا يمكن أن نلجئها بذلك إلى التسليم

قد يكون من المعقول أن يفوز الملاكم على خصمه إذا وقف أمامه موقف الدافع فى جميع حركاته ، حتى إذا أنهكت قواه تغلب عليه بقوة الاحتمال ، ولكننا لا نعرف فيما نعلم أن ملاكما نال جائزة التفوق على خصمه بهذه الوسيلة

وقد يكون من المعقول كذلك أن تتغلب أمة عظيمة على أمة أخرى بإحكام الحصار عليها ، ولكننا لم نر ولم نسمع أن حرباً اكتسبت فى الواقع بهذه الوسيلة ، ولا نستطيع أن نستثنى الحرب الحاضرة من هذا الوصف

فإذا أردنا أن نربح الحرب يجب علينا أن نضع خطة حربية إيجابية نقدم عليها بكل ما لدينا من القوة ، فإذا كنا سنتعرض فى سبيل ذلك إلى بعض الأخطار ، فإن هذه الأخطار ستكون عوناً لنا على قهر الأعداء

يجب أن نفهم الفرنسيين

[ملخصة عن « ذى نيوستيتسمان » لندن]

منذ بضعة أسابيع دعا أحد الرجال الإنجليز البارزين ممن يدعون إلى فكرة الاتحاد الدولى ، شخصية ممتازة من الرجال الفرنسيين البارزين إلى اجتماع فى أكسفورد . فشرح الإنجليزى رأيه فى النظام الأوربى الحديث ، وصور لضيفه الفرنسى نظرية الاتحاد الدولى الأوربى ، والأساس الذى يقوم عليه ، ثم استطرد قائلاً : « سوف ينتخب المجلس بطبيعة الحال من الدول القوية ، وسوف يكون عدد الممثلين فيه بنسبة عدد سكان كل دولة » . فاعترضه الضيف قائلاً : « ولكن عدد الألمان ٨٠,٠٠٠,٠٠٠ وعدد الفرنسيين ٤٠,٠٠٠,٠٠٠ ، فهل تعنى أن يكون عدد ممثلى الشعب الألمانى ضعف عدد الممثلين الفرنسيين » . قال الإنجليزى : « أو ليس هذا هو المنطق المعقول » ؟

لقد وقع هذا الحوار بين رجلين من رجال الأعمال . ولعل الفزع الذى أوقعه كل منهما فى نفس الآخر، هو مقياس ما بين وجهتى النظر البريطانية والفرنسية فى السياسة الخارجية . فهذا الإنجليزى ينظر إلى الحق بالطريقة الحسابية المجردة ، وينظر إلى جميع الاعتبارات التى نسمها باسم الضمان الوطنى ، كشىء لا يتفق مع قواعد الأخلاق . بينما يهتم الفرنسى بالضمانات الحربية التى تطلبها بلاده ، ويرى أن فكرة الحكومة الدولية ، ما هى إلا فكرة (يوتوبية) خيالية أو سياسة مكيافلية للعود إلى موازنة القوى الدولية ضد فرنسا . ومن ثم غادر اكسفورد وصدره يغلى بالضغينة وفؤاده يفيض بالسخط

إن من الواجب علينا قبل أن نطالب حكومتنا بالبيانات الوافية عن المقاصد الحربية ، وقبل أن نتقدم إليها بمزيد من المقترحات ، أن نضع حلاً للمشكلة الإنجليزية الفرنسية . فكل ما نشأ منذ نهاية الحرب الماضية ، من الاختلافات التى قد تعكر صفاء العلاقات الودية بين الدولتين فى بعض الظروف ، لم يكن منشأه اختلافاً جوهرياً فى المبدأ ، فنحن مرتبطين مع الفرنسيين برباط وثيق من تقاليد المدنية الغربية المتيدة منذ زمن بعيد ، ولكنه يرجع فى الغالب إلى اختلاف الطبيعة نظراً للفوارق الجغرافية والتاريخية بين البلدين

يزيد هذا الاختلاف تأثيراً ، أن كلتا الدولتين ديمقراطيتان ، فبينما تستطيع الدول الدكتاتورية أن تتفاهم فيما بينها على إهمال الرأى العام ، وعدم الاهتمام بآرائه ومعتقداته يظل رجال السياسة الديمقراطية مرتبطين بشعور الرأى العام وهو ينظر إلى الظروف الحاضرة من وجهة نظره المحدودة الضيقة

فالرأى العام الفرنسى والبريطانى كلاهما يعانيان تلك النظرة الديمقراطية المحدودة . فاذا أردنا أن نجد حلاً لهذه المشكلة يجب أن نضع قواعد وأسساً صالحة لفهم وجهتى النظر التى تذهب إليها كل من الدولتين . فبدلاً من مناهضة فكرة الضمان التى تغالى بها الوطنية الفرنسية يجب أن نفكر فيما إذا كنا نستطيع أن نعود منها بفائدة صالحة للدولتين



« وحى الرسالة »

تفضل صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم فبعث إلينا بهذه الرسالة الكريمة :

صديقى العزيز الأستاذ الزيات :

أتيح لى أن أستمتع ساعات بقراءة ذلك الكتاب النفيس : « وحى الرسالة » الذى تفضلت بإهداء نسخة منه إلىّ . وليست هذه هى المرة الأولى التى أتعرف فيها إلى سمو أسلوبك ، وبلاغة تعبيرك ، واتساع أفق خيالك ؛ ولكنها قد تكون المرة الأولى التى ترتبط فيها وتتركز تلك الفصول ، والآراء ، والأفكار ، والمشاهد الفنية التى تمخضت عنها مواهبك ، فيضمها كتاب ينعكس على كل صفحة من صفحاته شعاع من جمال روحك ، وفيض من نبع ثقافتك ، وذكريات غالية عرفت كيف تحرص عليها وتحتفظ بها ، ثم تنشرها تذكرة للناس وموعظة لهم .

إن أدب المقال يا صديقى من فنون الأدب الكبرى . وقل أن تشهد أديباً فحلاً لم يضمن أدبه وعمله الفنى آراء اجتماعية ونظرات فكرية ، واتجاهات ثقافية . و « وحى الرسالة » يحمل صورة نابضة حية من ذلك « الأدب الكبير » الذى أشرت إليه . فهو فى الواقع مجموعة دراسات عميقة ناضجة للمجتمع ، وتصوير بارع للتطورات الخلقية والنفسية ، وإشارات دقيقة وجولات موفقة فى الأدب والحياة ، استقرت عواطفك فى أجمل بقاعها ، وتغنى قلمك الرصين بأبهج مفاتنها .

جميل منك إذن أن تحرص على تدوين هذه الذكريات الغالية ، وتنشر هذه الفصول القيمة ، لتكون ذكرى للماضى ، وعظة للحاضر ، وإيماناً بالمستقبل .

المخلص
توفيق الحكيم

الأدب الجاهلى فى فجر الإسلام

كتب الأستاذ سليم الجندى عضو المجمع العلمى العربى « بدمشق » مقالاً رائعاً عن المناهج التى تتبع فى دراسة الأدب العربى ، تطرق فيه إلى الردّ على بعض ما وهم الأستاذ أحمد أمين فى بحثه عن الأدب الجاهلى فى كتابه « فجر الإسلام » وقد رأينا أن من الخير لقراء الرسالة أن ننقل إليهم قسما من مقال الأستاذ ليتبادل أدباؤنا الرأى وتظهر الحقيقة .

قال الأستاذ الجندى : « وأنت إذا أنعمت النظر تبينت أن البلية كل البلية أتت اللغة من الكتاب الباحثين ، وهؤلاء أتتهم البلية من التهاون فى البحث وعدم الاستقراء . مثال ذلك أن صاحب فجر الإسلام قال فى الجزء الأول من كتابه ص ٥٥ : إن ألفاظ اللغة فى العصر الجاهلى كانت فى منتهى الدقة والسعة إن كان الشىء الذى وضع له اللفظ من ضروريات الحياة فى المعيشة البدوية . فالإبل خير مآكلهم ومشربهم ومراكبهم وعماد حياتهم ، ولذلك لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة تتعلق بها إلا وضعوا لها لفظاً أو ألفاظاً

« وإذا انتقلت من الجمل إلى السفينة رأيت اللغة فى غاية القصور فهم لم يوفوها حقها كما وفوا الجمل ، ولم يحصوا كل أجزائها ، ولم يضعوا اسماً لكل نوع من أنواعها . نعم إن هناك ألفاظاً تتعلق بذلك ، ولكنها لا تكاد تذكر إذا قيست بالألفاظ الموضوعة للإبل وشؤونها . بل إنك إذا فحصت الألفاظ المستعملة فى السفن ومتعلقاتها وجدت كثيراً منها معرباً غير عربى كالسيابجة والنبامرة ... وكثير منها لا نشك فى أنه وُضع بعد العصر الجاهلى » انتهى كلام الأستاذ أحمد أمين

قال الأستاذ الجندى : « وأنت إذا رجعت إلى كتب اللغة تبين لك أن هذا الحكم قائم على استقراء غير تام ، وأن العرب فى الجاهلية ما غادروا صغيرة ولا كبيرة تتعلق بالسفينة المعروفة فى عهدهم إلا وضعوا لها لفظاً أو ألفاظاً غير ما أدخل بعد ذلك فى العصور التالية ، وأنهم نعتوها وشبهوا بها

وإذا تذكرنا أن السفينة فى ذلك العهد كانت تتألف من أجزاء بسيطة ، وليس لها أنواع كثيرة التفاوت فى الأشكال والمقادير ، ونظرنا ما وضع لها ولأجزائها من أسماء ونعوت ، وجدنا أن اللغة ليست فى قصور فى هذا الأمر .

انظر إلى دقة الوضع فى التفريق بين الأنواع والأجزاء عند الجاهليين ، فإنهم قسموا ما يركبه الإنسان فوق الماء إلى أنواع . فإن كان من قرب تنفخ ويشد بعضها إلى بعض فتجعل كهيئة سطح فوق الماء سمى طوْفاً ورمَثاً ، وربما كان من خشب أو غيره . وما عدا ذلك فهو سفينة . ويقال للسفن الصغيرة زورق وقارب

وركوة ومعبر . وللكبيرة : فلك وخلية وقرقور وماخرة ومصباب وجارية وجفل وعدولى . وما يتخذ للقتال منها بارجة

ووضعوا لكل جزء اسماً مختصاً به . فالسقائف ألواحها ، والدُسُر خيوط تشد بها الألواح أو المسامير ، والطائف ما بين كل خشبتين منها ، والشراع رواق السفينة ، والصارى خشبة فى وسطها يمد عليه الشراع ، والقلس حبل الشراع من ليف ، والصابورة ما يوضع فى بطنها من الثقل ، والمايير خُشب فيها يُشد بها الهوجل ، والمردى خشبة يدفع بها الملاّح ، والقذاف خشبة فى رأسها لوح عريض تدفع به السفينة ، والمرساة حديدة تلقى فى الماء ، والكفر القير الذى تطلى به

وكذلك اختصوا كل قسم منها باسم : فالمرنحة صدرها ، والكوثل مؤخرها ، والسكان ذنبها ، والجمة الموضع الذى يجتمع فيه الماء الراشح

وجعلوا لكل عامل فيها اسماً خاصاً به : فالملاّح سائس السفينة ، والدارى الملاّح الذى يلى الشراع ، والردفان ملاّحان يكونان فى مؤخرها ، والربان رئيس الملاحين

وقد وضعوا لكل حالة تعرض لها اسماً يميزها من غيرها ، فقالوا مخرت السفينة إذا جرت تشق الماء مع صوت ، وسخرت إذا أطاعت وطاب لها الريح ، ودسرت الماء بصدرها إذا عاندته ، وجمحت إذا تركت قصدها فلم يضبطها اللاحون ، وجنحت إذا انتهت إلى ماء قليل فلزقت بالأرض فلم تمض ، وماهت إذا دخل فيها الماء ، وكبت إذا جنحت إلى الأرض فحوّل ما فيها إلى أخرى ، وقمص البحر بها إذا حرّكها الموج . . . ولولا أن الإطالة تدعو إلى السأم لأتينا على كثير مما يتعلق بالسفينة . فلا يجوز بعد ذلك أن يُقال إن اللغة فى غاية القصور ، وإنما القصور فى البحث والتقرى . وإذا كان ما جُمع من كلام الجاهليين فى الجمل أكثر مما جمع فى السفينة فذلك منشؤه أمران : الأول أن صاحب المخصص إنما ذكر فيه ما أحاط به علمه فى السفينة ، وليس هذا كل ما يتعلق بها . الثانى أن السفينة لا تساوى الجمل فى كل شىء فهو أكثر أجزاء وأطواراً وأعراضاً وأمراضاً وأغراضاً . . . والسفينة فى ذلك العهد مؤلفة من أجزاء قليلة بسيطة .. الخ . اهـ »

هذا ما كتبه الأستاذ الجندى . والقارئ يلاحظ معنا أن الأستاذ أصاب الحقيقة ، وبدّد الوهم الذى وقع فيه الأستاذ أحمد أمين فما قول أولئك الذين يرمون اللغة بالقصور ؟ صلاح الدين المنجد

مكانة اللغة العربية فى العالم

نشرت جريدة « يوركشير بوست » البريطانية مقالة افتتاحية عن المركز الهام الذى تتبوأه اللغة العربية بين لغات العالم جاء فيها :

« للغة العربية جاذبية خاصة تجذب الشعب البريطانى فى الشرق . ولقد كان هنالك فيما مضى كثير من المستشرقين ولكننا لا نغالى إذا قلنا إن بريطانيا هى التى أطلعت العالم فى الأعوام الأخيرة على أندر ثمار الثقافة العربية »

« كثيراً ما كانت الإمبراطورية البريطانية تعجز عن إدراك أهمية اللغة العربية ، ومع ذلك فهى اللغة الرسمية فى مصر والسودان والمتغلغلة فى صميم أفريقيا حتى البحيرات العظمى . وهى اللسان السائد فى جميع أصقاع شبه جزيرة العرب ، كما أنها أداة التخاطب فى العراق . وهى اللغة التى يستخدمها مسلمو الهند — إخواننا فى الرعوية وعددهم ثمانون مليون نسمة — كل يوم فى صلواتهم وفى تلاوتهم للقرآن الكريم . وهى تعد لغة مراكش ، والجزائر وتونس

وهى اللغة التى يستطيع بها العلماء فى إيران وأفغانستان أن يدرسوا أحاديث النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم . ولا تقل الحروف العربية انتشاراً عن الحروف الرومانية ، فهى ليست قاصرة على اللغة العربية وحدها ، وإنما هى أساس اللغات الفارسية والهندستانية ولغات البوشتو والهاوسا والأردية وغيرها من اللغات الشرقية

ولا مراء فى أن اللغة العربية من أعظم ينابيع المعرفة التى يغترف منها العالم

وبينما كانت أوربا تعيش فى ظلمات الجهالة كان علماء العرب فى بغداد وقرطبة خير أمناء على مدنية اليونان والرومان وأورثوهما للعالم فيما بعد

ومما يبرهن على أهمية هذه اللغة العظيمة ، أنها كانت أولى اللغات التى استعملتها هيئة الإذاعة البريطانية . ويزداد عدد المتكلمين باللغة العربية يوماً عن يوم ، وتتسع حدودها . فهى لغة التخاطب فى زنجبار وتنجانيقا وفى بلاد بعيدة كجزر الملايو ، وتتبوأ اللغة العربية مكان الشرف فى مدرسة اللغات الشرقية بلندن

ولقد أدركت الحكومة البريطانية أهمية اللغة العربية ، فلا تسمح



بطل الاستقلال الاقتصادى طلعت حرب

تأليف الأديب مصطفى كامل الفلكى

هـذا كتاب وضعه مؤلفه لبيان ما لزعيم مصر الاقتصادى طلعت حرب من أثر فى نهضة مصر الحديثة ؛ فبدأ بالإشارة إلى أحوال مصر الاقتصادية والسياسية فى أواخر القرن الماضى، مبيناً ما كانت تتطلبه مصر من أوجه الإصلاح وعلى الأخص فى الجانب الاقتصادى ، مشيراً إلى حاجة البلاد يومئذ وتطلعها إلى « المصلح المنتظر » حتى أذن الله فمن عليها بطلعت حرب

ثم تتبع المؤلف جهاد الرجل العظيم منذ استهلال القرن الحالى، حتى ظفر بتحقيق أمنيته ، فظهرت المعجزة فى هيكل بنك مصر وشركاته ؛ وأورد المؤلف كلمة عن كل شركة من هذه الشركات المباركة الميمونة . وهذا لا ريب من خير البراهين على ما أسدى هذا الرجل العظيم من خير لبلاده ، فإنما يعرض المؤلف صحيفة أعماله الجليلة .

ولما كان المؤلف كما يذكر : « قد أتيحت له فرص حسان ألم فيها بكثير من دخائل ذلك النضال السلمى الرائع » ، فإن بحثه لا ريب بحث الخبير العليم . والكتاب مطبوع طبعاً جيداً ومحلى بكثير من الصور للزعيم العظيم فى كثير من مواقفه المشهورة ، وهو خليق بأن يطلع عليه بنو هذا الجيل ليكون لناشئتهم نبراساً ولرجالهم قدوة .

رحلة الباخرة المصرية مباحث فى المحيط الهندى

تأليف الدكتور حسين فوزى

يذكر قراء العربية ذلك الكتاب القيم الذى نشره فى مصر منذ عامين الدكتور حسين فوزى مدير معهد الأحياء المائية بعنوان

لأى موظف من موظفيها بالاشتغال فى الشرق الأدنى والأوسط ما لم تكن له مؤهلات فى اللغة العربية

نقد وتصويب

وافانا العدد (٣٤٩) من مجلة « الرسالة » الغراء بقصيدة خلابة للأستاذ على الجندى يرثى فيهـا صديقه الحميم المرحوم الحاج محمد الهراوى ، والقصيدة من مطلعها حتى الختام تتجلى فيها براعة الشعر ، ودقة التصوير ، ورقة الأسلوب ورصانته ؛ ومع تقديرى لعبقرية الشاعر فإنى لا أرى مانعاً من لفت نظره إلى بيت من الأبيات لاحظت فيه خروجاً عن الوزن وهو :

تسعد الذكريات أهلها والتى ذكرياتى محطم الأعصاب

وأرى أن لو كان كما يلى لكان أحكم :

يسعد الذكر أهله والتى ذكرياتى محطم الأعصاب

أبو الفضل الساعى ناصف

الى الدكتور مبارك

قرأت محاضرتك الطريفة ووقفت عند فقرة بشطرها الثانى المنشور بالعدد ٣٥٠ من الرسالة الغراء هاك نصها : « الشواطئ كلها مآتم ولولا الخوف من بنى الحاسدين والحاقدين لقلت إن المآتم لا تخلو من بريق يزلزل القلوب والأذواق والعقول . ومن هذه الزلزلة تكون الرجفة التى تثير شياطين الشعر والخيال » ا . هـ ثم رحت أستعيد المعانى الباقية فى ذهنى لمعنى الزلزلة مما تفضل بشرحه الأستاذين شاكر وبشر فارس ، فخلصت إلى أن البريق لا يزلزل القلوب والعقول قياساً على أن الطرب لا يزلزل الآذان .

وأظن سيدى الدكتور لا يزال يذكر هذا النقاش حول كلمة الزلزلة فهل للأستاذ أن يتفضل بشرح هذه الكلمة التى شككنا فيها الأستاذ شاكر، وله الفضل والشكر

محمود الاشرم

« سندباد عصرى » وضمنه أثر رحلته فى بعثة السير جون مورى على ظهر الباخرة المصرية مباحث فى المحيط الهندى سنة ١٩٣٣ .

ذلك كان كتاب الأديب والفنان والشاعر ؛ أما الكتاب الذى نتحدث عنه اليوم فهو كتاب العالم والباحث والرحالة ، يصف فيه الدكتور حسين فوزى الرحلة منذ بدأت حتى انتهت ، فلا يترك صغيرة ولا كبيرة مما تهم معرفته والاطلاع عليه إلا عرض لها بأسلوب شائق ، ووصف كاشف . والكتاب يقع فى أكثر من ١٢٠ صفحة من الحجم الكبير، وهو مطبوع طبعاً أنيقاً على ورق فاخر ، ومحلَّى بكثير من الصور الجميلة

وقد صدره صاحب المعالى الأستاذ سابا حبشى وزير التجارة والصناعة بمقدمة تدل على قيمة هذه الرحلة التى يتحدث عنها الدكتور فوزى ، كما يتحدث عن قيمة هذا الكتاب .

وهذا الكتاب على أن المقصود به أن يكون وصفاً علمياً — لم يستطع مؤلفه أن يتجرد من روحه الأدبية وإحساسه الفنى فى وصف بعض ما يعرض له ، فجاء كتاباً جديداً فى فنه وفى أسلوبه .

وقد ختم الكتاب بفهرس كامل الموضوعات والصور .

أخطاؤنا فى الصحف والدواوين

تأليف الأستاذ صلاح الدين سعد الزعبلاوى

هو كتاب جديد فى اللغة ، جمله مؤلفه فى بابين : باب للموضوعات ، وباب للمفردات ؛ وعرض فيه لكثير من الأوهام اللغوية التى تشيع على أقلام الكتاب فى الدواوين والصحف ؛ ثم فرَّع هذين البابين إلى فصول ، فباب الموضوعات أحد عشر فصلاً جمع كل فصل منها ما تداخلت أو تجاذبت مباحثه ؛ وأما الباب الثانى وهو باب المفردات فقد توزعته الفصول على تتابع أحرف الهجاء . وقد حذا المؤلف فى ترتيب المواد طريقة الجمهور فى اعتبار أوائل الكلمات ، ثم جعل فى خاتمة الكتاب فهرساً للموضوعات والمفردات التى تناولها بحثه حتى لا يتعب القارئ فى التماس موضوعه

وقد تناول المؤلف فى كتابه طائفة من المباحث اللغوية التى يهم كل قارئ وكاتب عربى أن يلم بها ، وعالجها علاجاً يدل على اطلاعه وصحة نظره

والكتاب يقع فى ٣٢٠ صفحة من الحجم المتوسط ، وهو مطبوع طبعاً جيداً على ورق مصقول فى المطبعة الهاشمية بدمشق

علم الصحة

تأليف الدكتور عبد الواحد الوكيل بك

هذه هى الطبعة الثانية من كتاب « علم الصحة » للدكتور عبد الواحد الوكيل بك ، وقد صدرت الطبعة الأولى منه منذ سنوات فاستنفدها إقبال القراء ؛ فزاد فيه ما زاد من الفصول ثم أصدره فى هذه الطبعة الجديدة

وكتاب علم الصحة من الكتب التى لا يصح أن تخلو منها مكتبة قارئ يلتمس أسباب الوقاية مما قد يعرض له أو لأهله وولده من المرض ؛ وفيه عون كبير للمعلمين والمعلمات فى المدارس على النهج الذى يدرسون لتلاميذهم من علم الصحة الوقائى ؛ وفيه للوالدات والمولدات والممرضين ومعاونى الصحة وطلاب الخدمة الاجتماعية نفع لا يجزئ بما فيه كتاب غيره .

ويقع الكتاب فى نحو ستمائة صفحة من الحجم المتوسط ، ويباع فى مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

---

٤ – وحي الرسالة

[من واجب « الرسالة » أن تنشر ما يتفضل به عليها الأدباء الزملاء والأصدقاء من صادق النقد وجميل الرأي في كتاب « وحي الرسالة » تسجيلا للفضل منهم والشكر منا]

قالت جريدة (الأهرام) الغراء :

للأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات ، أسلوب فني امتاز بالأناقة والطلاوة وحسن البيان

وقد عرف قراء العربية هذا الأسلوب المذب فيما أخرجه المؤلف من كتب بعضها مترجم وبعضها الآخر من تأليفه ؛ ثم عرفوه في مجلة الرسالة ، حيث ظل الأستاذ الزيات سبع سنوات يطالع قراءه كل أسبوع بمقال افتتاحي يمس فيه مختلف الموضوعات . فكان له من قرائه الكثيرين ما للمطرب النابغ من معجبين . أليس هؤلاء المعجبون يحاكون مطربهم ، ويرددون أناشيده وأغانيه ؟ نعم ، وفي هذا إذاعة لسر نبوغه

وإن للأستاذ الزيات لمعجبين من هذا الطراز الرفيع يذيعون سر نبوغه بمحاكاة أسلوبه القوي الرصين ، وهذا في الواقع ليس كسباً للزيات بقدر ما هو كسب للبيان العربي الصحيح

ولقد أخرج الأستاذ الزيات منذ أسابيع : الجزء الأول من « وحي الرسالة » وهو مختارات مما نشره في مجلته « الرسالة » ، ولعل هذا التعريف الموجز يكفي للدلالة على ما لهذا الكتاب من قيمة أدبية عظيمة . وسنقف عند ذلك ، إذ أنه في رأينا معنى من معاني الإطراء يحسن الوقوف عنده

وكتاب « وحي الرسالة » يقع في ٤٨٠ صفحة من القطع الكبير ، طبعت طبعاً أنيقاً على ورق صقيل ، وهو يباع في جميع المكتبات العامة ، وثمن النسخة الواحدة منه خمسة وعشرون قرشاً .

« س »

***

وقالت مجلة (الشعلة) الغراء في عددها الأخير :

نغمط الأستاذ أحمد حسن الزيات حقه ونقلل من قدره إذا كنا نحاول أن نقدمه هنا إلى القراء . فالأستاذ الزيات أعظم من أن يحتاج اليوم إلى تقديم ، لا هنا في مصر وحدها بل وفي أنحاء الشرق كله .

ولقد أخرج الأستاذ الزيات منذ أسابيع كتابه الجديد « وحي الرسالة » فكان هذا سبباً في حيرة وحرج تملكانا

ماذا نقول في هذا الكتاب ؟

أنتكلم عن أسلوب الزيات الأخاذ الجذاب ؟ أنتكلم عن أناقته وذوقه الممتاز في انتقاء ألفاظه ؟ أنتكلم عن « الفكرة الرائعة » يقدمها الزيات إلى قرائه في عبارة قوية ومنطق متين ؟

ولكن هذا كله معروف ، وإعادته وترديده هو من قبيل تحصيل الحاصل . أنسكت إذن ولا نكتب شيئاً عن الكتاب ؟

ولكن هناك تقليداً ، تواضعت عليه الصحف جميعاً ، أن تقول كلها عن كل ما يجد في عالم التأليف !

وأخيراً فكرنا في تقليد جديد : أن نذكر هنا أن الزيات قد أخرج كتاباً . والقراء من أنفسهم يعرفون !

وهنيئاً للزيات كتابه الجديد .

وهنيئاً للكتاب الجديد مؤلفه .

وهنيئاً لقراء العربية أديبهم ، وهنيئاً لهم كتابهم الجديد .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)



8me Année No. 352

Lundi - 1 - 4 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثامنة «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ صفر سنة ١٣٥٩ — الموافق أول أبريل سنة ١٩٤٠» العـــدد ٣٥٢

الفهـرس

فقهـــــاء بيزنطة

فقهاء بيزنطة هم الذين كانوا يجادلون فى البيضة والدجاجة : أهذى أصل تلك ، أم تلك أصل هذى ، بينما كان محمد الفاتح يرسل الصواعق دِراكاً على أسوار القسطنطينية ، فلا يخرجهم من شدة الخلاف وحدة الجدل ما فوقهم من حمم المنايا ، ولا ما حولهم من صرخات الفزع !

وفقهاء بيزنطة هم الذين يجادلون اليوم فى محراب المسجد بعد ألف ومائتى عام : أهو سنة فيبقى ، أم هو بدعة فيزول ؛ وفى محمل شجرة الدر : أهو موافق للشرع فيسير ، أم هو مخالف له فيقف ! يجادلون فى هذا وفى ذاك بين أعمدة الجرائد والمساجد ، ويسرفون فى الجدال حتى يتشعب الخلاف ويتمادى ، ويتقسم الرأى ويتعادى ، فيكون لكل شيخ شيعة ، ولكل شيعة عصبية جاهلة تمزق ما وصل الدين به القلوب من وشائج الإخاء والمودة

نعم يجادل فقهاء بيزنطة اليوم فى المحراب والمحمل ، ومن قبل كانوا يجادلون فى زر العمامة أُيبتر أم يُبقى ، وفى شعر الذقن أيُحفى أم يُعفى ، وفى قبر الميت أيسوى بالأرض أم يُقام ؛ حتى أدخلوا فى روع العامة من طول ما شغلوهم بهذه الصغائر أن الدين هو

هذا وليس غير هذا . فلو تسنى لك أن تكشف عن عقيدة الإسلام فى ذهن العامى أو شبهه لما رأيت إلا صورة مشوهة من رسوم العبادات وأوضاع العادات وألوان الأدعية . أما الإسلام الذى وضع الدساتير الخالدة لسعادة الفرد والأسرة والأمة والإنسانية فى كل زمان وفى كل مكان، فذلك معنى لم يجر فى شعوره ولم يدخل فى علمه . والعوام وأشباه العوام هم جلة الأمة الإسلامية اليوم ، فما تسمعه من هذا تسمعه من ذاك ، وما تراه هنا لا بد أن تراه هناك . وعلة هذه الجهالة الفاشية هى طريقة أهل الدين فى تعلمه وتعليمه ونشره ، فهم يقفون فى تحقيقه عند النقل ، ويقتصرون فى تطبيقه على الشكل ، ويكتفون فى نشره بهذه المظاهر الصوفية الباطلة ؛ فكان من جرائر ذلك عليهم أن قصُرت مداركهم عن مداه ، وبان على القدر الذى شَدَوه منه الضيق والضحل والجمود ، ووهم الناس أن ما عندهم هو الدين كله فزهدوا فيه ونفروا منه .

***

إى والله لا تزال فقهاء بيزنطة يفرقون بين الناس بصدعات الرأى والهوى فى المحراب والمحمل ، وفيما هو أدنى عن المحراب والمحمل ، وهم يعلمون أن الأديان البشرية التى وضعها الطغاة تحدياً لله وتهجماً على دينه ، تحاول بقوة الجيش وحجة المدفع ودعاية المذياع أن تخفت ذكر الله فى كل أرض، وتطفئ نوره فى كل سماء. وهذه المذاهب الأرضية إنما تجادل خصومها فيما تزعمه لنفسها من قتل البؤس ومحو الفروق ونشر العدالة، لا فيما تتخذه لشعائرها من زِىّ ، أو تبتدعه لمظاهرها من شكول

ثم جعلوا غاية الدين أن يتزيوا بالورع ، ويتفقهوا فى علومه بتشقيق الجمل وتوليد الألفاظ وتمديد الفروض ، فإذا زادوا على ذلك شيئاً فهو الوعظ الذى يميت الطموح ويخمد العزيمة ويحقر الدنيا ويهيئ النفوس المثقفة التى أعوزها النور الهادى والصوت المهيب لأن تصغى لما يتقوله المبشرون على الإسلام من الأباطيل ويزورونه عليه من الشُّبه .

***

ليس من البر بالدين يا ورثة الأنبياء أن تخذلوا دعوة الله لتنصروا دعوة الإنسان

إن الدعوات السياسية التى تتخذ شعار الإصلاح، أو تلبس مسوح الدين ، تسلك إلى النفوس المؤمنة المطمئنة سبل الغرور والنى فى غفوة من العقل أو سورة من الجهالة ، فتزعزع إيمانها بالشكوك ، وتذهب اطمئنانها بالفتون . فماذا أعددتم لحماية هذه النفوس الغريرة الغضة من وساوس الفتنة وهواجس الجهل ؟ إننى ألقى هؤلاء النشء فى كل يوم ، وأحدثهم فى كل لقية ، وأكشفهم فى كل حديث، فلا أجد عندهم من الإسلام إلا ما كان عند نصارى القرون الوسطى منه ؛ ثم لا تسمع منهم إلا غماغم من الألفاظ المنكورة المكرورة عن الزواج والطلاق وحرية الفكر ومجافاة التمدن . فإذا أخذت تقرر لهؤلاء كيف كان الإسلام بتوحيده بين الدين والدنيا علاجاً لأدواء المجتمع ونظاماً لفوضى الطبيعة، وتدلل على أن ميزة الإسلام التى تفرد بها هى أنه يساير التطور ويطاول الزمن ، فلا يمكن أن تكون فيه مناقضة للمدنية الصحيحة ولا معارضة للتقدم الحق ، سألوك دهشين : وأين نجد بيان هذا ؟

والمعضلة التى لم نجد لها إلى اليوم حلاً هو إجابتهم عن هذا السؤال : وأين نجد بيان هذا ؟ الواقع الذى يكسف البصر ويرمض الفؤاد أنك لا تجد فى مكتبة الدين الإسلامى على ضخامتها وسعتها كتاباً واحداً يشرح للناس عبقرية هذا الدين وفلسفة تشريعه ووجوه إصلاحه وأسباب خلوده ، على ضوء العلم الكاشف ونظام التأليف الحديث . وما أظن ديناً من الأديان قد نكب فى نفسه وفى أهله بمثل هذه النكبة !

فلو أن الله وفق (جماعة كبار العلماء) فألفوا هذا الكتاب بدلاً من تأليفهم فى (المياه التى يجوز بها التطهير) مثلاً لدفعوا عن أنفسهم معرة الجمود وعن دينهم نقيصة التخلف.

ولكن كبار العلماء لم يدخلوا هذه (الهيئة) إلا ليعظم القدْر ويضخم الرتب، فكيف نجشمهم أن يبطلوا كيد المبشرين بوضع هذا الكتاب ، أو يفصلوا بين المجادلين المتقاتلين فى المحمل والمحراب ؟

أحمد حسن الزيات

٣ ـ فى أرجاء سينـــــاء

للدكتور عبد الوهاب عزام

دير سنت كترين

— ١ —

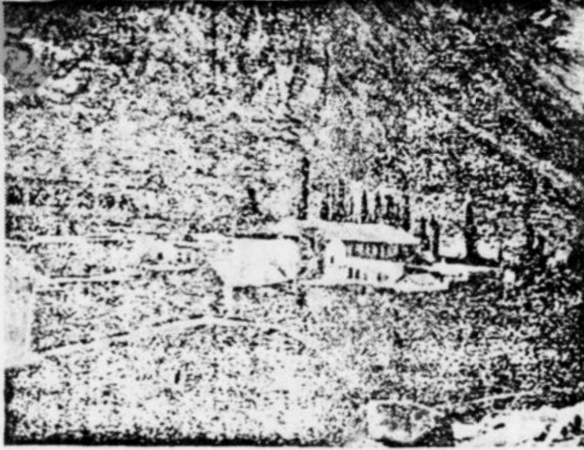
عطفنا إلى اليسار فى شعب من وادى الشيخ ، فررنا بأبنية قليلة الملاط كأنها حجارة مرصوصة ، وعرفنا من بعدُ أنها كانت للجنود الذين رافقوا عباس باشا الأول حينما أقام فى هذه البقعة من سيناء ، وقد رأينا بناء كبيراً على جبل شامخ قريب من الدير وهو قصر عباس باشا ، وكان يحب الإقامة فى البرارى ، ولا سيما فى برّية سيناء . وبلغنا الدير قبيل الغروب ، فإذا حديقة إلى اليمين ذات سور قصير ، بينها وبين الجبل طريق ضيقة تؤدى إلى الدير

والدير بناء واسع عال يحيط به سور متين علوه أحد عشر متراً

وفى جداره الغربى باب صغير دخلناه إلى باب آخر وراءه باب ثالث إلى اليمين . وهذا السور الضخم ، وهذه الأبواب الصغيرة المتتابعة تدل على ما كان يخشاه أهل الدير من غارات البدو وغيرهم فى العصور السالفة . وللدير فى أعلى جداره الشمالى باب عليه وقاية من الخشب أعدّ للدخول إلى الدير وقت الخوف . فيرفع الداخل فى سلة معلقة ترفعها حبال على بكرة كبيرة تسمى « الدوّار » ، وتشد الحبال إلى عمود له ترس كبير يدور به عدة رجال ، فتلتف الحبال وتمرّ على البكرة فترفع السلة ، ومن هذا الباب أدخلت أمتعتنا

دخلنا إلى أبنية كثيرة لا يتيسّر وصفها ، فإنها لم تخطّ فى وقت واحد ، بل بنيت فى عصور مختلفة . صعدنا درجاً إلى مستوى ، ثم صعدنا مرتين فلقينا رئيس الدير فدخلنا إلى حجرة كبيرة، فجلسنا نتحدث وقدّمت إلينا القهوة على الطريقة المصرية وعرض علينا النبيذ، والنبيذ يصنع فى الدير وفى الواحات التابعة له فى أنحاء سيناء، وهو من التمر، ولخمور الأديرة صيت ذائع فى الشعر العربى ، ومن أجل هذا كثر ذكر الأديار فى الشعر منذ عهد أبى نواس ، كان الشعراء يقصدونها لبعدها عن البلدان ونزاهتها وما فيها من خمور .

ثم خرجنا من الحجرة لنرى الحُجر التى أعِدّت لنزولنا ، فصعدنا إلى طبقة ثم أخرى فى الجهة الغربية ، فإذا مكتب رئيس الدير ، ثم غرفة كبيرة للجلوس والمائدة ، ثم مطبخ ، ثم صفّ من الحجر أمامها طنف يفضى إلى الجناح الجنوبي من الدير ، وقد عُمّر حديثاً بالأسمنت المسلح فكان شذوذاً فى هذه الأبنية العتيقة



منظر عام للدير

ويُفضى الدرج الصاعد إلى هذه الطبقات العليا إلى سطح تحده من الشمال والغرب شرفات السور المطلة على حديقة الدير ومدخله . وهناك مدافع صغيرة يقال إن بعضها من أيام السلطان سليم ، وقد أهديت إلى الدير لمدافعة المغيرين

أكرم القوم مثوانا فأنزلونا فى عشر حجرات فى كل حجرة سريران . فأمضينا ليلتنا مستريحين

— ٢ —

بنى هذا الدير القيصر جستينيان حوالى سنة ٥٤٥ م ، باسم كترين زوجه التى عرفت من بعد باسم سنتا كترينا ، فى موضع يعلو سطح البحر بنحو خمسة آلاف قدم ، وهو يشبه مربعاً طول ضلعه ثمانون متراً. وله أوقاف كثيرة فى سيناء ومصر وبلاد اليونان. وكان له أوقاف كثيرة فى بلاد الروس استولى عليها البلشفيون . له فى سيناء بساتين كثيرة وأديرة وكنائس ، وله أبنية فى القاهرة والإسكندرية والسويس، ويقيم مطران سيناء فى القاهرة وقت الشتاء

وأعظم غلات الدير الآن ريع مائة فدان فى سرياقوس وهبها له عباس باشا الأول . وكان دخل الدير زهاء ستة آلاف جنيه نقصت كثيراً بعد استيلاء الروس على أوقافه

وينفق بعض الريع على أعراب سيناء، يعطون الخبز كل يوم ولكل واحد من الأعراب الذين يقصدون الدير أن يأخذ الخبز

يوماً بعد يوم ، ثلاثة أرغفة لكل إنسان . وكان فى الدير رهبان كثيرون ثلاثمائة أو أكثر وهم الآن زهاء الأربعين .

— ٣ —

وفى صبيحة يوم الأربعاء ١٥ ذى الحجة (٢٣ يناير) سار معنا أحد الرهبان ليرينا بعض أبنية الدير فذهبنا إلى الكنيسة الكبرى : باب ضخم من الحديد ثم باب خشبى دقيق الصنع عتيق يقال إنه من عهد جستنيان

ويلقى الداخل بهو كبير على جانبيه صفان من عمد الجرانيت ثم رواقان وراء الأعمدة. وفى الكنيسة من النقش والتذهيب ومن الصور والألواح ما يعيي الناظر إحصاؤه بله التأمل فيه ومعرفة دقائقه

ومما أذكر من هذه المناظر منبر إلى اليمين عليه صورة للدير واضحة ملونة ، وهى من تصوير الأب كرنارس الكريتى من مصورى القرن الثامن عشر الميلادى ؛ ومن الصور القديمة صورة للسيدة مريم تحمل عيسى عليه السلام ويقال إنها من صنع لوقا الإنجيلى ، وصورة أخرى يقال إنها صنع جستنيان

ويعلو هيكل الكنيسة عقد قد صور عليه المسيح والرسل والأنبياء بالفسيفساء فى جمال وإتقان الخ

ووراء هذه الكنيسة كنيسة صغيرة لسنت هيلانة وتسمى كنيسة العليقة ويقال إنها فى مكان شجرة العليق التى رأى فيها موسى عليه السلام النار ، وفى الجدار الشرقى كوة تقابل صدعا فى الجبل. وتدخل الشمس يوم ٢٣ مارس من الصدع إلى الكوة فتقع على مكان الشجرة . ووراء الجدار شجرة يزعمون أنها هى شجرة موسى ، ولكنى لم أرها

ويُلزم داخل هذه الكنيسة الصغيرة بخلع نعليه اقتداء بموسى عليه السلام فى القصة التى ذكرت فى القرآن الكريم: « فلما أتاها نودى يا موسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى »

وخرجنا من الكنيسة إلى مشاهد أخرى منها مكتبة الدير وفيها كتب دينية كثيرة قليل منها باللغة العربية . وقد رأيت هناك تمثالاً لاسماعيل باشا الخديو فسرنى جداً أن رأيته فى هذا المكان فشعرت أن سلطان مصر ممتد إلى هذا الدير

ثم رأينا مسجد الدير ، ولا ريب أن القارىء سيعجب حين يقرأ هذا التركيب المتناقض : « مسجد الدير » ، ولكنها حقيقة ، ففى الدير مسجد صغير ملاصق كنيسة صغيرة . وهو مسجد ساذج له منبر قديم قد وضعت عليه أعلام مزركشة جديدة مصنوعة فى مصر ؛ على العلم الأمامى « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » من فؤاد الأول . وعلى كل من العلمين الجانبيين : لا إله إلا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله صادق الوعد الأمين . من فؤاد الأول . والتاريخ ١٣٤٩



منظر فى الدير تظهر فيه مئذنة المسجد

وفى جانب المسجد منضدة عليها كسوتا ضريحين مصنوعتان فى مصر أيضاً أهداهما الملك فؤاد رحمه الله ؛ إحداهما لقبر النبى هرون والأخرى لقبر النبى صالح ، وتؤخذان فى مواسم الزيارة ، ثم تردان إلى الدير فتحفظان فى المسجد

وبجانب المسجد مئذنة مربعة لها سلم خشبى وفيها ثلاث طبقات أو أربع صعدت فيها مع بعض الرفاق وشاقنى الأذان هناك فأذنت، ولعل هذا الأذان كان إيناساً لهذا المسجد المعطل المستوحش

وكنت قرأت فى كتاب نعوم شقير عن سيناء، أن على منبر هذا المسجد كتابة قديمة ، وأن فيه كرسياً قديماً ، ولكنى لم أجد الكتابة ولا الكرسى، فسألت المطران، فقال: حفظناهما فى المكتبة. ولست أدرى لماذا لم يحفظا فى موضعهما من المسجد . وكان المرحوم أحمد زكى باشا زار الدير ونسخ الكتابة التى على المنبر والكرسى . فأما الكتابة الكوفية التى على المنبر فهى مصورة فى كتاب شقير ، وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير. نصر من الله وفتح قريب، لعبدالله ووليه أبى على المنصور، الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتصرين

أمر بإنشاء هـذا المنبر السيد الأجل الأفضل أمير الحرمين سيف الإسلام ناصر الإمام ، كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو القاسم شاهنشاه عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلا كلمته . وذلك فى شهر ربيع الأول سنة خمس ميه . أثق بالله »

والخليفة الآمر الفاطمى تولى الخلافة من سنة ٤٩٥ إلى سنة ٥٢٤

وأما الكتابة التى على الكرسى فهى أعظم خطراً ودلالة على عناية الفاطميين ببناء المساجد فى هذه البقعة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بعمل هذا الشمع والكراسى والجامع المبارك الذى بالدير الأعلا والثلاث مساجد التى فوق فاران والمسجد الذى تحت فاران الجديدة والمنارة التى بمحضر الساحل ، الأمير الموفق المنتخب منير الدولة وفارسها أبو منصور أنوشتكين الآمرى »

والآمرى نسبة إلى الآمر بأحكام الله . فالكرسى والمنبر صنعا فى زمان الخليفة الآمر

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

مزامير للنفس العربية !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

تمهيد :

أستوحى روح مولى نفوسنا وسيد عقولنا وآخذنا إلى رب الحياة ومقدمنا إليه بسنته وحنيفيته السمحاء (محمد) ، ليملأ قلبى ويفيض على قلمى ويهديه ويسدده فى وفائه له ولقوميته التى حملت أجمل الأمثال العليا فى الفكرة والفطرة والخلق والمعاملة

أستوحى هذا الروح الأكبر ، ويتعرف قلبى الصغير إلى قلبه الكبير ، كما يتعرف الجدول الضَّحْضَاح إلى النهر البَرَّاح ؛ وأستعينه فى خدمة النفس العربية بالمساهمة فى حملها على إدراك فضائلها وحاجة الإنسانية إليها .

وإنما أتوجه إليه إذ هو باعث روح أمته العجيبة ومخلدها على مر الأيام وكر الأعوام ، وموحد شملها ، وفارض أمجادها على القلوب والعقول

وأومن إيماناً لا يتزعزع أن أمته هذه لا ينقصها إلا الوحدة فى القلوب أولاً كما توحدت على يديه حتى تعود فتنهض بجسمها العملاق الهائل فتستلم الشمس من الشرق لتسلمها إلى الغرب



صورة رمزية للعرب
بريشة الأستاذ سعيد تحسين

وأستوحى المهد الأول الذى درجت فيه هذه الأمة العجوز وانبثق منه ينبوعها الأزلى ... ذلك المهد الناطق بالصمت ، العامر بالنجوم ، الحصين بالتجرد والتفرد ، المبنى بالجبال ، المفروش بالرمال ، مَراد الأرواح ، ومُجتلى الإلـهية ، ومبعث النبوات ، ومركز المعمور ، وملتقى الشرق بالغرب ...

كما أستوحى بلادها الثانية التى فاضت عليها أمواجها ، وتلاحقت أرتالها ، ونشرت عليها سلطانها الروحى واللغوى ، وسطرت على أديمها تاريخها بعروشها وفتوح سيوفها وأقلامها

وحينما أستوحى كل أولئك أجد السماء تنطق والأرض تنطق وكل شىء يوحى ويلهم ويدفع القلم دفعاً إلى التسطير والتحرير لبعث هذه الأمة والتفانى فى خدمتها والتفادى فى إحياء مثلها الأعلى الذى رسمه الله فى قلب أبيها محمد ، وملء أسماعها بأناشيد مجدها وترانيم وحدتها حتى تعود فتملأ الدنيا وتشغل الناس وتنثر

أشخاصها وكلماتها الصامتة والناطقة فى مجاهل الأرض ، كما تنتثر النجوم فى مجاهل السماء

غير أنى أبادر فأبرأ إلى الله من العصبية القومية الجاهلية وضيقها وسفاهتها على غيرها ، وإنما أرجو أن تقوم العربية كما قامت أول أمرها على يد أبيها محمد أداة تنظيف للبشرية وتوكيد لوحدتها ... ولذلك أبادر فأنبه إخواننا وأصدقاءنا من الجنسيات الإسلامية الأخرى إلى هذا حتى يستيقنوا أننا لا نريد مفاخرة ولا منافرة جنسية دموية قائمة على زعم فروق جوهرية بين الأجناس والألوان ؛ وإنما هى دعوة للعرب — وهم مادة الإسلام الأولى وقوم القرآن — إلى الاعتداد والاستمساك بالمثل العليا التى اختار الله القومية العربية لحملها إلى الناس ، وبالصفات الطبيعية العربية العليا التى كانت سنداً لهذه المثل

وقد دعانى إلى اختيار هذا الزمان للبوح بهذه الأناشيد التى طالما ترنمت بها نفسى معانى مطلقة حرة غير مصبوبة بألفاظ ، أننى وجدت الأقدار تنزل فيه وتتلاحق بسرعة وتتولى تغيير مقدرات الأرض وأوضاعها النفسية والجغرافية ، ووجدت صراع القوميات والآراء والمعتقدات والفلسفات فى رءوس الناس وقلوبهم لا يقل قسوة وعنفاً واحتداماً عن صراع القوى الحديدية العمياء النارية التى تأكل الأخضر واليابس وتحطم القائم والحصيد وبين هذين الصراعين يقف قومى العرب متفرقى الرأى فى الحاضر مختلفى التقدير للمستقبل حائرى الألباب لا يكادون يعرفون فى أى النواحى موضعهم ، ولا من أى الآفاق مطلع مستقبلهم . ولا يكادون يعرفون ما فى مصاحفهم ودساتيرهم من المثل العليا التى تستطيع أن تجمع أمم الأرض كلها على حدود العدالة والسلامة الإجماعية متى وجدت قوماً يؤمنون بها ويحسنون ذلك الإيمان ، ويمثلونها خير تمثيل ويدعون إليها بأسلوب هذا العصر الذى يعتمد على براعة الاستلفات والإعلان

وذلك لأن قومى فقدوا « الأب » الواحد الذى يجب أن « يلدوه » فى كل جيل ليتكلم بلسانهم ويتبنى قضيتهم ويتولى حراسة ميراثهم القلبى والفكرى والمادى حتى لا تمحوه الغفلة أمام الأقدار التى لن تزال تغير أوضاع الناس ومقدرات الأمم ، ولا ترحم الضعيف الكسلان المتوانى فى حراسة حقه وأمجاده بالسيف والقلم ، ولا تقيم وزناً لمن لا يقيم وزناً لقوانين الطبيعة وسنن الله فيكتفى بالأمانى والأحلام وتزويق الكلام ويترك ما آمن الله به وأولو العلم وهو الوحدة والعدالة والعلم والعمل

فإلى أن يوجد الأب الواحد العادل العالم العامل ، فيتولى بوحدة فكره وفنه وضع القضية العربية الوضع المحكم وتنسيق قواها التنسيق البديع ، ويتولى بعدله توزيع الاهتمام والشعور على كل بقعة فى الوطن العربى الأكبر ، ويتولى بعلمه الإحاطة بالدقيق والجليل من شئون أمته فى بطون وديانها وشعاب جبالها فى صحرائها وخضرائها، فى حواضرها وبواديها، من الخليج الفارسى إلى الأطلسى ، ويتولى بعمله جمع أيديها حتى تكون يداً واحدة ، تصفق بها فى مواثيقها وعهودها صفقة واحدة ، وتلوح بها لأعدائها قبضة واحدة وتضرب بها قيودها وأغلالها ضربة واحدة أقول إلى أن يوجد ذلك الأب لا أقل من أن ينشد لها القادرون على الإنشاد والبيان بمزامير وأبواق تهتف فى أرضها النائمة بنداء اليقظة والانبعاث فى فجر الحياة الجديدة التى لا بد فيها لطالبى المجد من التبكير للسبق فى المضمار

وإن قدر الله — لا قدر ! — فأفلت الحاضر الراهن من أيدى العرب من غير أن يجمعوا أمرهم ويخفّوا فى طريق الحياة مع الزمن الذى يجرى بالناس ، ويخضعوا أجسامهم وعقولهم لضرورات العلم والقوة والاتحاد وملاقاة الصعاب بجبهة متحدة ، فسوف تموت آمال وتحبط أعمال وتحدث أهوال !

ولست أعلم زمناً أصلح للسعى إلى تحقيق الجبهة العربية الواحدة ، وأدعى إلى الإيمان بها من هذا الزمن الذى تداس فيه الأمم الصغرى ، ولا يكون فيه لغير القوميات الكبرى وزن ، أو اعتبار فى أى ميزان . .

ولست أعلم كذلك قوماً لهم مثل أوطاننا المتصلة المكونة من مجموعة نادرة فريدة من الوديان والسهول والجنات والأنهار ، ولهم مثل أعلى واحد فى العقيدة والتقاليد والأخلاق ، ولهم لغة واحدة يفرغ عليها التاريخ والدين جلالاً وسحراً ، ثم يتوانى قادتهم وزعماؤهم فى استغلال هذه الظروف والفرص هذا التوانى الذى وراءه التفكك وتبديد الميراث

ويشهد الله أننى لا أعنى قيام القومية العربية للانتفاع فقط بما فيها من العزة لكل فرد ينتسب إليها ، ولا لما فيها من الخيلاء والكبرياء اللتين تصاحبان الغرور القومى لدى أكثر الأقوام ...

ولكنني أتمنى قيامها للاعتزاز أولاً بمثلها الأعلى الذي رفعته ورفعت الحياة به أيام أن كان لها السلطان والصولجان ... ذلك المثل الذي لا يتحقق التوازن الدولي ، والعدل الطبيعي إلا به ، ولا يضع علاقات مودة ، ومعاني بر جديدة بين شعوب الأرض إلا هو . لأنه مثل أعلى يقوم على كلمتين من كلمات الله رب الناس جميعاً ، وجاعلهم صنوفاً ، وأنواعاً وأجناساً ، وألواناً كما يصنف البستاني أزهار البستان ... : على كلمة ناطقة تدور بها الألسنة وتستوحي منها الأفكار ، وهي القرآن ! وعلى كلمة صامتة مستخفية فيها أسرارها وأوتارها وأشواقها وأوطارها وهي القلب العربي !

وفي الكلمة الأولى اعتمد الله على بلاغة هذه الأمة وفصاحتها وصراحتها في الكشف عن كل مخبوء في الضمير وفي الشعور وفي الفكر وتسجيله بلغة موسيقية موجزة مبينة ، وإلقائه على الأسماع والأفهام آيات منزلة من حول العرش ...

وفيها يضع الله كل شيء في الطبيعة في موضعه أمام الفكر البشري « إنا كل شيء خلقناه بقدر » « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » فلا يجوز الاعتراض والثورة على نظام الكون ومحاولة تبديله « لا تبديل لخلق الله »

وفيها ينظر الله إلى أمم الأرض كأمة واحدة « يا أيها الرسلُ كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون »

وفيها يحطم الله الأصنام الحجرية والبشرية ويسحق « العجل الذهبي » وعبّاده ، ويكسر كل قيد يقيد النفس بالمادة ويجعلها تخلد إلى الأرض وتتخذ الأهواء آلهة وتشبع للشهوات السفلى وتعيش في الأرض في غفلة عن الجمال الأعلى ؛ فيخرج الإنسان بعد هذا كله طليقاً حراً قديس الروح نظيف الجسد متجرداً من كل شيء لله الذي أعطاه كل شيء ...

وفيها يعقد الله بينه وبين الإنسان صلة مبنية على منطق الفكر ومنطق الوجدان ، فما يقدره الله في الطبيعة ويحترمه يقدره الإنسان ويحترمه ، وما يبغضه الله ويمتهنه يبغضه العقل الإنساني ويزدريه ؛ فالعقل البشري صورة مصغرة من العقل الأعلى الذي يدير الكون ويحرسه ويمسكه أن يزول . ألم يقل : « ونفختُ فيه من روحي » « إني جاعلٌ في الأرض خليفةً » ؟

وبدهي بعد ذلك أن يصدر العربي من بين يدي القرآن الذي يضعه في الحياة هذا الموضع الأكرم الأعلى ، وهو معتقد أنه قوة من قوى الله مستخلفة لحراسة الأرض وحراسة النفس والإنسانية من فتن الحياة وقوى الشر ونوازع الإثم ، وأن ينظر إلى الناس كما ينظر إليهم الله نظرة رحمة وغيرة على مصالحهم وسعي حثيث لها ، لا كما ينظر الملحدون إلى أنفسهم وإلى الناس نظرة ضياع وحيرة بين القوى العمياء ، ولا يعتقدون أن القوة المتسلطة على الكون تأبه لهم أو تقيم لهم وزناً ، فهم كذلك لا يقيمون لقوانينها في الطبيعة وزناً ، وإنما يدخلون الحياة ويخرجون منها كما تدخل وتخرج السباع إن كانوا أقوياء ، أو كما تحيا وتموت الخراف البلهاء إن كانوا ضعفاء

وبدهي كذلك أن تكون هذه الصداقة المعقودة بين العربي ورب الطبيعة مبعث اعتزاز وقوة واعتصام بقوة الذي بنى السماء والأرض ، يتحول بها إلى قوة مندمجة في قوى الكون التي في يد الله . وينظر بها إلى ما في السماء والأرض وكأنه ينظر إلى أشياء موضوعة مهيأة له في دار أبيه . . .

* * *

أما القلب العربي ، وهو الكلمة الصامتة ، ففيه حيثما كان وراثات مدخرة من بساطة الحياة في الصحراء واتساعها وعزلة الفكر فيها عن المؤثرات الصناعية ، وإشراق النجوم عليها ، واحتكاك الفكر فيها بالسماء دائماً ، وانطلاق النفس من غير سدود وقيود ، واعتداد الإنسان فيها بنفسه ، واعتماده على قواه الذاتية ، وسبح الخيال وراء المجهولات والغيوب ، وتجرد الحياة فيها من الزينة الصناعية والتكليفات الوضعية التي لا تطلق النفس لدواعي الفطرة بل تجمل عليها ركاماً من قيود التقاليد

يضاف إلى هذه الوراثات الاستعداد الدائم لبذل الدم والمال في سبيل الشرف وحسن الأحدوثة ، وعدم الارتباط بالأرض إلى درجة التضحية بالحرية والخضوع لسلطة مذلة واستبداد مُهْدر لكرامات الإنسان وحرمات الحياة . . .

وهذه صفات ترشح قومها لحمل دعوة كالدعوة الإسلامية التي تطلب الدم والمال للوصاية على كل حق في الحياة . ولن تستطيع نفس مترفة معقدة الفكر بتعقد الحياة التي نشأت فيها ، معقدة النفس بتعقد التربية السياسية ذات الأوضاع والقوانين الكثيرة ، محبة للحياة حريصة عليها لما فيها من الترف والنعمة ، بعيدة عن الطبيعة لأنها عاشت سجينة بين الجدران أو مكبة

على عبادة الزراعة والصناعة ، مثقلة بالأموال والخيرات الكثيرة فليس لها فراغ للفكر فى الكون وربه ... لن تستطيع هذه النفس أن تحمل ما تحمل النفس العربية من رسالة البساطة والمساواة والرجوع إلى قوانين الطبيعة والنظر إلى أوليات الحياة ومبادئها والتجرد من التعقيد وركام التقاليد

ومن أجل ذلك لم يصطف الله أمة من الأمم المتحضرة كالرومان والفرس لحمل رسالة الإسلام مع أنهما كانتا على علم كثير وحضارة عظيمة ، بل اصطفى العرب لتلك الرسالة ، رسالة الفطرة والبساطة ، لأنهم أقرب الناس فى حياتهم من مبادئ الحياة العامة التى تجعل الإنسان شيئاً من الطبيعة غير منفصل ولا معزول عنها بجو صناعى ، ولأنهم يكونون وهم الغالبون أسرع من المغلوبين إلى ما يحقق العدالة والمساواة ، إذ لا يشعرون بفرق كبير بين حياتهم فى الحكم وأبهته ، وبين حياتهم على قدم المساواة مع أقل الناس تكاليف

واعتقادى أن الرجل الأوربى أو « الرجل الأبيض » على العموم لا يمكن أن ينهض برسالة المساواة بين الناس ، لأنه يجد فى شكله جمالاً وفى قده اعتدالاً وفى عقله تركيباً ، وفى حياته على العموم زيادات لا يجدها عند سواه ... بل إن بعض أنواع الرجل الأبيض — وهم الجرمان — قد بدأوا فلسفة جديدة فى الفروق الجنسية لا يمكن مطلقاً أن تقوم معها عدالة أو مساواة حتى بين أنواع الرجل الأبيض نفسه ...

وقد يكون للبيض بعض العذر من ملاحظة الفروق الظاهرة بين بيئاتهم وبيئات الأجناس الملونة ، فلا يجدون أنفسهم تطاوعهم على تناسيها ، والنزول بين غيرهم من بنى البشر على قدم المساواة ، لأنهم أولاً معزولون من قديم الزمان عن الاتصال بالأجناس الملونة التى تسكن فى وسط الأرض وحوله ، فلا يعلمون جوهر نفوسهم ولأنهم ثانياً يعتدون بشكليات الحياة اعتداداً كبيراً ، وقد ملأوا حياتهم بها ؛ فلا يمكن مطلقاً أن يتنفروا الفرق بين الجلدة البيضاء والجلدة الصفراء والسوداء والحمراء ... وإنهم ليغفرون الفروق بين الإنسان والكلب ، فيحتضنون الكلاب ويقبلونها ويبكون رحمة لها ويعاملونها بالحسنى ، ولكنهم يأنفون من رؤية الرجل الملون ويهينونه ولا يرحمونه ولا يجتهدون فى رفع حياته وإنقاذه من وثنياته وخرافاته . مع أنهم فتحوا دياره بالقوة منذ أكثر من قرن ، وعندهم من وسائل إخضاعه للتعليم والتهذيب بالإحسان والقوة الشىء الكثير ... ولكنهم مشغولون فقط بالبحث عن الذهب الأصفر والذهب الأسود ... !

والذين شاهدوا الشريط السينمائى الذى عرض فى بعض دور السينما بالقاهرة منذ قريب عن حياة « لفنجستون » الكاشف الإنجليزى المشهور ، يدركون تماماً ما يرى إليه واضع هذا الفلم ومخرجه من نقد ، لإهمال التبعات الملقاة على عاتق الرجل الأبيض فى تحضير هذه البقايا من الإنسانية الباقية على وثنياتها وخرافاتها وانقطاعها عن حياة العلم والدين .

دع عنك المؤثرات الطبيعية والصناعية التى جعلت الرجل الأبيض يهمل فى واجباته نحو إخوانه من بنى البشر هذا الإهمال وتعال معى ننظر إلى نعم الله على القومية العربية حيث وضعها هذا الوضع الوسط العجيب بين أجناس الناس وبقاع الأرض ...

إن وضعها هكذا من الخليج الفارسى إلى المحيط الأطلسى وسطاً بين أمم الشرق والغرب والشمال والجنوب لتلتقى عندها الألوان والأجناس والدماء والأجواء والثقافات والحضارات والطباع والأمزجة ، فتأخذ قلوبها من جميع القلوب ، وعقولها من جميع العقول ، وأجسامها وألوانها من جميع الأجناس والألوان ، ثم يمتزج كل أولئك ويصهر فى طبيعتها المعتدلة ويخرج للناس بعد هذا ثقافة نفسية وسياسية يلتقى عليها الشرق والغرب لقاء يحطم القيود ويجتاز الحدود . لأن فيها من كل جنس رفداً ، ومن كل عقل مدداً ، ومن كل قطر ورداً ...

فإذا خاطب الله برسالته الأخيرة وكلمته الخاتمة هذه الأمة التى فى مركز الأرض فإنما يخاطب البشرية جمعاء متمثلة فى هذا الجنس

وإذا خاطب العربى المتحضر أمم الشمال والغرب المتحضرة ، أخذوا عنه خطابه وعقلوه لأن فيه مسحة من بياضهم وثقافتهم ، ولأنه أقرب الأجناس إليهم وأكثرها اختلاطاً بهم

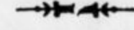
وإذا خاطب العربى المتبدى أمم الجنوب والشرق ، أخذوا عنه وعقلوا منه ، لأن فيه بساطتهم ومعارفهم ، ولأنه من أقرب الأجناس إليهم وأكثرها اختلاطاً بهم

وتلك نعمة عظمى حتمٌ على العرب أن يتفطنوا لها ويبنوا جهادهم ورسالتهم عليها ويدركوا امتنان الله عليهم بها فى قوله : « وكذلك جعلناكم أمّةً وسَطاً لتكونوا شهداء على الناس »

عبد المنعم خلاف

(القاهرة)

نشر الثقـــافة
وكيف يكون
للأســتاذ محمود العمرى



نشرت الصحف فى المدة الأخيرة أن وزارة المعارف قررت تكليف بعض المؤلفين وضع كتب فى سير أبطال الإسلام ، وعهدت إلى بعض المترجمين ترجمة مؤلفات أجنبية إلى اللغة العربية

ولا شك أن عناية وزارة المعارف بنشر الثقافة أمر توجبه عليها مهمتها ، إذ الحقيقة التى لا مفر من الاعتراف بها أنه لا يغنى عن البلاد كثرة حملة الشهادات الدراسية فيها ، وليس مما يشرفها أن يقال فى التدليل على انتشار التعليم إن الناجحين فى امتحان شهادة كذا بلغ عددهم كذا ألفاً . ولكن الذى يدل دلالة حقيقية على انتشار التعليم أن يقال إن أحد المؤلفات قد بيع منه كذا ألفاً . فهذا وحده هو القياس الصحيح الدال على أن التعليم انتشر انتشاراً حقيقياً كان له أثره فى أمرين لا غنى عنهما فى كيان أمة ، أولهما انتشار الثقافة وسريانها سرياناً طبيعياً اختيارياً تتكيف به حياتها الفكرية ، وثانيهما عيالة طبقة من المؤلفين

أما أن تقتصر الحياة العلمية على البرامج الدراسية وتحصيل الشهادات فحالة سطحية مصطنعة . وقد شعر المفكرون منذ مدة بعدم كفاية هذه الشهادات فى تكوين الحياة الفكرية ، بل لقد نزل مستوى التعليم لدى حامليها ، وفطنت الأمة إلى ذلك بعد أن قطعت شوطاً بعيداً فى الإكثار منهم . كما تبين أن من أكبر أسباب ضعف التعليم المدرسى عدم وجود المؤلفين والباحثين الذين يتغذى التعليم بمؤلفاتهم وبحوثهم ، وتقوم الحركة العلمية على جهودهم قياماً مستقلاً يرفعها إلى حيث تمد البرامج بعناصرها وتنشىء المثل الفكرية العليا نشأة قائمة بذاتها مما يجعلها أساساً للتعليم والتطبيق بدلاً من أن تكون مقصورة عليهما

ولا شك أيضاً أن مساهمة وزارة المعارف فى زيادة الثروة الفكرية على النحو الذى انتحته لا تخلو من فائدة ، ولا سيما إذا أحسنت الاختيار وتوخت ملء فراغ ، كما فعلت فى سير أبطال الإسلام ، وفى ترجمة كتاب هانوتو فى تاريخ الأمة المصرية

إن أولى الكتب بالنقل إلى العربية وأحقها بالجهود المحدودة التى فى طاقتنا فى الوقت الحاضر الكتب التى لا تفقد شيئاً من معانيها إذا هى ترجمت إلى لغتنا ، والتى تتسق مع حياتنا الفكرية فى المرحلة التى نجتازها الآن . أما مؤلفات شكسبير وأضرابه من أعلام الأدب الغربى الذين ترجمت وزارة المعارف كتبهم فى عهود مضت وتزمع الآن ترجمتها ، فإن كثيراً منها يعد نقلها إلى العربية من الكماليات

يعرف الملمون بالأدب الغربى أن اختيار المؤلفات التى تفيد ترجمتها أمر فى غاية الدقة ، إذ أن كثيراً منها ترجع قيمته إلى اللغة الأصلية وإلى الفنون الأدبية والأوضاع الاجتماعية المحلية ، فهى حافلة بإشارات لها مدلولها فى ذهن قارئها فى بلادها أو على الأكثر فى البلاد القريبة الشبه بها فى البيئة . ولسنا نأتى بجديد إذا قلنا إن الناحية الفنية فى الأدب الغربى تتأثر كثيراً بالنقل إلى العربية لبعد الشبه بينها وبين اللغة الأصلية . بل إن المعانى الأدبية العميقة فى الأدب الأوربى العويص كثيراً ما تخفى على غير المتعمقين فيه من المبتدئين فى الاطلاع ، معتمدين على مجرد فهم المعنى اللفظى دون أن يغوصوا إلى ما وراء اللفظ وما بين السطور

فخير لوزارة المعارف أن تختص بعنايتها بالنقل إلى العربية الكتب التى تستساغ لدى قراء العربية دون غيرها من اللغات ، فتنسجم ضمن غذائهم العقلى ولا تفقد معانيها شيئاً بالترجمة لأنها تتناول مادة عامة وعلى الأخص الكتب التى تتناول مادة أصلها عربى ككتاب هانوتو ، فإن معانيها تزداد فى العربية وضوحاً

والكتب التى من هذا القبيل كثيرة فى اللغات الأوربية ، من أهمها كتب المستشرقين فى تاريخ العرب والإسلام ، وقد سبق أن عرض كاتب هذه السطور مقترحاً بترجمتها أيام وزارة المرحوم زكى باشا أبو السعود ، كما تكلم فى هذا الشأن مع المرحوم الشيخ شاويش

ولا جدال فى أن ترجمة المؤلفات المذكورة تعد من قبيل رد مادة إلى أصلها العربى فتزداد بالترجمة وضوحاً كما أنها تدخل مع ثقافتنا فى نسق واحد مستساغ

على أن أهم ما أقصده من كتابة هذه الكلمة أن أتناول الرأى الأساسى فى نشر الثقافة عن طريق تكليف بعض المؤلفين أو المترجمين وضع كتب أو ترجمتها

هذا الرأى على عدم خلوه من فائدة كما قدمت لا يؤتى فى النهاية إلا ثمرة محدودة الفائدة، وليس فيه دواء حاسم للمشكلة الأصلية وهى فقر الثقافة وعدم انتشارها

لا شك أن أفاضل المؤلفين والمترجمين الذين كلفتهم الوزارة القيام بذلك العمل سيبذلون جهداً مشكوراً وستظهر لهم كتب قيمة، إلا أن الداء الأساسى سيظل كما هو

قامت الوزارة منذ مدة بعمل آخر فى تشجيع الثقافة فجرت على عادة شراء مقادير من المؤلفات التى تصدر من وقت إلى آخر تعضيداً للمؤلفين وتعويضاً لهم عن قلة ما يباع من كتبهم. ولا ريب أن هـذا التشجيع بشراء الكتب ولو لوضعها فى مخازن الوزارة كان فيه بعض الفائدة فى ذاته، إلا أنه كان من قبيل دخول الحكومة فى سوق القطن بالشراء إنقاذاً لقيمة المحصول من أن يباع بقيمة دون قيمته، وضنا بثمرة جهود المنتجين أن تضيع هباء، وتشجيعاً لهم على المضى فى الإنتاج

غير أن الناس لم يلبثوا أن فطنوا إلى ما نبه إليه المستر طود الاقتصادى المختص بشئون القطن وهو أن هذا العلاج محدود الأثر؛ فإن القطن الذى تشتريه الحكومة اليوم لا بد أن تبيعه غداً، وعندئذ يزيد المعروض فيهبط السعر. وإن شراء الحكومة ليس شراء بمعنى الكلمة لأنها ليست مستهلكة له فى واقع الأمر، وإنما الشراء الحقيقى من الوجهة الاقتصادية شراء المصانع التى تستهلكه فى الصناعة وتستبعده نهائياً من عداد المادة الخام وتقوم بتصريفه فى شكل جديد

يحضرنى عند التفكير فى حل هذه المشكلة حلاً طبيعياً أساسياً ذكر ما توصلت إليه دول أوربا للنهوض بالزراعة ووضعها على أساس علمى

بذلت تلك الدول فى أول الأمر جهوداً عظيمة من الناحية المباشرة فذهب عناؤها هباء. ثم أتتها فترة تهيأت فيها ظروف ساعدتها على رفع أسعار المحاصيل الزراعية بسبب اتساع الأسواق العالمية وسهولة النقل، فما هى إلا أن أصبحت الزراعة مهنة رابحة، وسرعان ما انشحذت الملكات وانطلقت نحو الزراعة بأقصى ما أوتيت من قوة فازدهرت الفنون الزراعية من الناحيتين العلمية والعملية. وهكذا عولجت المشكلة من صميم أسبابها.

***

عانت فرنسا فى السنين الأخيرة أزمة نسبية هى ضعف انتشار المؤلفات الفرنسية، وذلك لأسباب منها انتشار الراديو والسينما والألعاب الرياضية، نخشى مفكروها ضعف ثقافتها وهى سند مدنيتها، وخافوا أن يهبط بذلك نفوذ بلادهم الأدبى فى العالم كما خافوا أن ينحط الإنتاج الفكرى عندهم لقلة ما يباع من مؤلفاتهم عن القدر الكافى لعيالة طبقة مؤلفيهم وشحذ هممهم

أجمع هؤلاء المفكرون أمرهم وأنشأوا جماعة برياسة جورج دوهاميل الكاتب المشهور واستمالوا بوزير معارفهم چان زاى وهو الوزير الذى رآه المصريون عند ما جاء منذ عامين لافتتاح معرض الفن الفرنسى الذى كان للكتب الفرنسية فيه حظ كبير؛ وقد تمت إجراءات مهمة بتعاون الوزير المذكور مع تلك الجماعة.

لا شك أن تصريف الكتب فى مصر قليل جداً لأسباب تختلف عن أسبابه فى فرنسا، وأن ما يباع عندنا من الكتب لا يكفى لسد حاجة البلاد إلى طبقة من المؤلفين المحترفين الذين يستطيعون أن يعيشوا من ثمرة أقلامهم. فعبثاً نحاول أن تخرج البلاد ما فيها من الملكات إلا بإيجاد الحافز.

قال أحد الأدباء فى عصر شبيه بعصرنا: « كان الناس فى الزمن الغابر يسألون: ما صناعة هذا الرجل؟ فيقال: هو أديب. والآن إذا عرفوا أدبه يسألون: ما صناعة هذا الأديب؟!»

هذه حال لا يصح السكوت عليها، ولا سيما أن لنا مزية انتشار لغتنا فى خارج حدودنا انتشاراً من شأنه أن يجعل لمؤلفينا من القراء فى غير بلادنا ما يزيد على عددهم فى مصر أضعافاً مضاعفة.

لا أريد فى هذه الكلمة أن أتكلم عن أسباب قلة الميل إلى القراءة، ولكننى لا أشك فى أن الكتب، حتى على أساس هذا الميل القليل غير منتشرة، وأن عدم انتشارها أمر غير طبيعى؛ ومن الأدلة على ذلك كثرة انتشار الصحف والروايات الخفيفة انتشاراً يدل على أن عدم الإقبال على القراءة قد بلغ هـذا المبلغ الشاهد فى الكتب.

صحيح أن الجمهور أميل إلى القراءة الخفيفة السطحية، غير أن هذا السبب لا يكفى لتعليل البون الشاسع بين انتشار الصحف وانتشار الكتب. إنما العلة الكبرى أن للصحف والروايات الخفيفة أصحاباً يتعهدون نشرها على أساس تجارى وإدارى محكم. أما

الكتاب فى مصر فيتبم ليس له من يتولى أمره ، إذ أن كل مؤلف على حدته لا يستطيع شيئاً ، والحركة التجارية غافلة عنه ، وذلك لسببين : أولهما أن التجارة فى مصر رائجة لسبب نأسف له وهو نشاط الأجانب ، وهؤلاء لا يقبلون على الكتب العربيـة إقبالهم على النواحى الأخرى . والثانى أن تجارنا تعوزهم ملكة الابتكار ، فتجارة الكتب تختلف عن غيرها فى أن الطلب فى أمرها يتبع العرض إلى حد بعيد ، مع أن العرض فى أمر غيرها يتبع الطلب بدرجة عظيمة . وهـذا ملموس فى كل بلاد وفى كل جهة حتى ليخيل للانسان أنه لا يوجد ميل إلى الاطلاع إلا بين الذين اعتادوا المرور فى حى معين فيه مكتبة يستوقف ما فى واجهتها من الكتب نظر المارة ، بل قد يدخل أحدهم بغير قصد شراء كتاب بذاته فيخرج وإذا بيده كتب

يعرف المؤلفون فى مصر أن كتبهم لا تباع إلا حيث توجد المكتبات فى مدينة واحدة وهى القاهرة ، فيخيل إليهم أن الميل إلى القراءة غير موزع بين سكان القطر وأنه مقصور على حى معين . ثم ما هى إلا أن يتطوع صديق فى جهة نائية فيبيع له عدداً كبيراً

لا ريب أن تشجيع نشر الكتب أمر حيوى وفيه شفاء للعلة الأصلية من أساسها بشكل يؤدى حتى فى ظروفنا الحاليـة إلى انتشار الثقافة فتربح التجارة ، وتنشط المطابع ، وتقوم فى البلاد طبقة من قادة الفكر على أساس الدافع الطبيعى الذى لا يقتصر على ما لا بد منه للمؤلفين من الاستقلال المادى والأدبى . بل إن فى انتشار مؤلفات أحدهم ما يقوم فى نفسه دليلاً على أنه أدى رسالته ، كما أن فى الإقبال على كتبه انتخاباً من القراء له وعملاً فيه الكثير من الصدق فى التعبير عن أنهم أولوه زعامة طبيعية نابتة من الحركة الفكرية فى ذاتها

ولست أريد أن أرسم خطة معينة تتبعها وزارة المعـارف فى تنفيذ برنامج عملى لنشر الثقافة عن طريق الكتب ، ولكننى أورد على سبيل المثال ما يعن لى من الوسائل :

١ — أن تتفق الوزارة مع مراقبات مناطق التعليم ومجالس المديريات على أن تقصر معاملاتها بقدر الإمكان على المكتبات الواقعة فى الجهات نفسها

٢ — أن تتفق مع مصلحة البريد على إعطاء الأفضلية فى بيع طوابع البريد وطوابع التمغة للمكتبات دون الصيدليات ومحلات العطارة وحوانيت التبغ

٣ — أن تحفظ لديها سجلاً بالمكتبات فى كافة جهات القطر ليرجع إليها الناشرون وأصحاب المطابع والمؤلفون للتعامل معهم ، وأن تقوم مراقبات مناطق التعليم بالاستيثاق من أن هذه المكتبات مكتبات حقيقية

٤ — أن تذيع بالراديو أسماء الكتب وخلاصات مشوقة موجزة عن محتوياتها

٥ — أن تتفق مع وزارة الشؤون الاجتماعية على أن تدمج فى المراكز الاجتماعية التى تزمع إنشاءها برامج ثقافية

٦ — أن تشجع على إنشاء هيئة مركزية فى القاهرة تجمع لديها فهارس ما يصدر من الكتب وتوزعها على جميع المكتبات فى القطر ، ويشترك أصحاب المكتبات فى هذه الهيئة بضمان أو تأمين لكل منهم بمائتى جنيه مثلاً يجعل لكل منهم حق أخذ كتب بقيمتها حسب اختياره عن طريق الهيئة ، وكلما سدد ثمن ما أخذه فتح له اعتماد بدلاً منه بقيمة ما يسدد ، حتى إذا كان نشطا فى البيع دار معه مبلغ الضمان خمس مرات أو عشراً ، فيكون قد اتجر فى رأس مال قدره ألف أو ألفا جنيه دون أن يدفع شيئاً ، اللهم إلا ضماناً قدره مائتا جنيه . وهـذه الطريقة تتبعها شركة من شركات المنسوجات الأجنبية فى مصر

ولا بد لى أن أختم هذه الكلمة بتكرار ما قلت فيما سبق ، وهو أننى لم أتعرض لمعالجة موضوع عدم الميل إلى القراءة ، إذ أن هذا أمر يتصل بمشكلة التعليم وبالرأى السائد فى البلاد وفى الحكومة عن غاياته وأقيسته

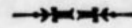
محمود العمرى

في الاجتماع اللغوي

تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات

وأثر انتشارها في هذا التفرع

للدكتور علي عبد الواحد وافي



تختلف اللغات الإنسانية في مبلغ انتشارها اختلافاً كبيراً فمنها ما تتاح له فرص مواتية ، فينتشر في مناطق شاسعة من الأرض ، ويتكلم به عدد كبير من الأمم الإنسانية ؛ كما حدث للاتينية والعربية في العصور القديمة والوسطى ؛ وللانجليزية ، والأسبانية ، والبرتغالية ، والفرنسية ، والألمانية في العصور الحديثة . ومنها ما تسد أمامه المسالك ، فيقتضي عليه أن يظل حبيساً في منطقة ضيقة من الأرض ، وفئة قليلة من الناس ؛ كما حدث للأينو[1] والبسكية[2] والليتونية[3] ، ومنها ما يكون حاله وسطاً بين هذا وذاك ، فلا تتسع مناطقه كل السعة ، ولا تضيق كل الضيق ؛ كما هو شأن الحبشية والفارسية

هذا ، ولانتشار اللغة أسباب كثيرة يرجع أهمها إلى ما يلي :

١ — أن تشتبك اللغة في صراع مع لغة أو لغات أخرى وتقضي نواميس الصراع اللغوي المتقدم ذكرها في المقالات السابقة[4] أن يكتب لها النصر ، فتحتل مناطق اللغة أو اللغات المقهورة ، فيتسع بذلك مدى انتشارها ، وتدخل أمم جديدة في عداد الناطقين بها : كما حدث للاتينية في العصور القديمة ، إذ تغلبت على اللغات الأصلية لإيطاليا وإسبانيا وبلاد الجول La Gaule (فرنسا وما إليها) والألب الوسطى والإليريا Illyrie ، فأصبحت لغة الحديث والكتابة في منطقة شاسعة في القسم الجنوبي الغربي من أوربا بعد أن كانت قديماً مقصورة على منطقة ضيقة في وسط إيطاليا ، هي منطقة اللاتيوم Latium ؛ وكما حدث للغة العربية إذ تغلبت على كثير من اللغات السامية الأخرى وعلى اللغات القبطية والبربرية والكوشيتية ، حتى بلغ الآن عدد الناطقين بها نحو ٤٠ مليوناً ينتمون إلى نحو خمس عشرة أمة بعد أن كانوا قديماً لا يتجاوزون بضعة آلاف يقطنون منطقة ضيقة في الجنوب الغربي من بلاد العرب ؛ وكما حدث للألمانية إذ طغت على مساحة واسعة من المناطق المجاورة لها بأوربا الوسطى (بألمانيا وسويسرا وتشيكو-لوفاكيا وبولونيا والنمسا ... الخ) . وقضت على لهجاتها الأولى ، فأصبحت الآن لغة الحديث والكتابة لنحو ٧٠ مليوناً من سكان أوربا بعد أن كانت قديماً مقصورة على بعض المقاطعات الألمانية

٢ — أن ينتشر أفراد شعب ما — على أثر هجرة أو استعمار — في مناطق جديدة بعيدة عن أوطانهم الأولى ، ويتكون من سلالاتهم بهذه المناطق أمة أو أمم متميزة كثيرة السكان ، فيتسع بذلك مدى اتساع لغتهم ، وتتعدد الجماعات الناطقة بها ، ويكثر أفرادها . والأمثلة على ذلك كثيرة في العصور الحديثة . فقد نجم عن استعمار الإنجليز السكسون لأمريكا الشمالية وأستراليا ونيوزيلندا وجنوب أفريقية أن انتشرت الإنجليزية في هذه المناطق الشاسعة ، فبلغ عدد الناطقين بها نحو ١٧٠ مليوناً موزعين على مختلف قارات الأرض ، بعد أن كانت قديماً محصورة في منطقة ضيقة من الجزر البريطانية . ونجم عن الاستعمار الأسباني في الدنيا الجديدة أن أصبحت الأسبانية لغة المكسيك وجزر الفيليبين وجميع دول أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية ما عدا البرازيل ، فبلغ عدد الناطقين بها نحو ٧٠ مليوناً ينتمون إلى نحو خمس عشرة أمة ، بعد أن كانت محصورة في منطقة ضيقة في الجنوب الغربي من أوربا . ونجم عن الاستعمار البرتغالي في الدنيا الجديدة وأفريقيا والأوقيانوسية أن أصبحت البرتغالية

(١) يتكلم بلغة الأينو Aïnou نحو عشرين ألفا من سكان جزر هوكادو Hokkado وساكهالين Sakhaine وشيكوتو Shikotau ، وكلها تابعة لليابان — ولم تثبت صلة قرابة بين هذه اللغة وأية لغة أخرى ، ولذلك عدت فصيلة على حدتها

(٢) يتكلم بالبسكية Basque الآن نحو ٨٠٠,٠٠٠ من الباسكيين الذين يقطنون جبال البرانس الغربية في الدولتين الأسبانية والفرنسية . ولم تثبت بعد بصورة قاطعة صلة قرابة بين هذه اللغة وأية لغة أخرى . ولذلك عدت فصيلة على حدتها

(٣) يتكلم بها سكان لتونيا Lettonie الذين يبلغ عددهم الآن ١,٨٤٤,٨٠٠ وهي من شعبة اللغات البلطيقية من الفصيلة الهندية الأوروبية

(٤) أنظر أعداد الرسالة ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥١

لغة سكان البرازيل بأمريكا الجنوبية وسكان المستعمرات البرتغالية بأفريقيا وجزر المحيط الهندى ، فبلغ عدد الناطقين بها نحو ٥٠ مليوناً ينتمون إلى عدة أمم ، بعد أن كانت محصورة فى منطقة ضيقة فى بلاد البرتغال نفسها

٣ — أن يتاح لجماعة ما أسباب مواتية للنمو الطبيعى فى أوطانها الأصلية نفسها فيأخذ عدد أفرادها وطوائفها فى الزيادة المطردة ، وتنشط حركة العمران فى بلادها ، فتكثر فيها المدن والقرى وتتعدد الأقاليم والمناطق ، فيتسع تبعاً لذلك نطاق لغتها ومدى انتشارها ، كما حدث لليابانية والفرنسية والإيطالية . فبفضل هذا العامل بلغ عدد الناطقين باليابانية فى اليابان نفسها نحو ٦٠ مليوناً ، وبفضله كذلك مع مساعدة العاملين السابقين بلغ عدد الناطقين بالفرنسية نحو ٥٠ مليوناً [1] وبالايطالية نحو ٤٥ مليوناً [2] .

***

ومتى انتشرت اللغة فى مناطق شاسعة من الأرض تحت تأثير عامل من العوامل السابق ذكرها ، وتكلم بها جماعات كثيرة العدد ، وطوائف مختلفة من الناس ، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلاً ، فلا تلبث أن تنشعب إلى لهجات ، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات فى سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها ، فلا تلبث مسافة الخلف أن تتسع بينها وبين أخواتها ، حتى تصبح لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها، وبذلك يتولد عن اللغة الأولى فصيلة أو شعبة من اللغات يختلف أفرادها بعضها عن بعض فى كثير من الوجوه ، ولكنها تظل مع ذلك متفقة فى وجوه أخرى ، إذ يترك الأصل الأول فى كل منها آثاراً تنطق بما بينها من صلات قرابة ، ولحمة نسب لغوى . وكثيراً ما يبقى الأصل الأول لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللغات المتفرعة منه ؛ ولكنه لا يلبث أن يتنحى عن ذلك بعد أن يكتمل نمو هذه اللغات .

ولهذا القانون خضعت اللغات الإنسانية من مبدأ نشأتها إلى العصر فاللغة الهندية — الأوربية الأولى ، قد انشعبت فى غحى الإنسانية إلى مجموعات كثيرة ، وكل مجموعة منها تفرعت إلى عدة طوائف ، وكل طائفة انقسمت إلى شعب ، وكل شعبة إلى لغات وهكذا دواليك ... ومثل هذا حدث للغة السامية الحامية الأولى ولجميع الفصائل اللغوية الأخرى .

وقد شهدت عصورنا التاريخية نفسها كثيراً من آثار هذا القانون ، فاللغة اللاتينية ، وهى إحدى لغات الفرع الإيطالى المنشعب من الهندية — الأوربية ، قد أخذت هى نفسها فى أواخر العصور القديمة وفى العصور الوسطى تنشعب إلى عدد كبير من اللهجات ، وأخذت كل لهجة من هذه اللهجات تسلك فى سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج أخواتها ، حتى انفصلت عنها انفصالاً تاماً ، وأصبحت لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها. وقد بقيت اللاتينية مدة ما لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللغات المتفرعة منها (الفرنسية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية ولغة رومانيا ...) ولكنها لم تلبث أن تنحت عن ذلك بعد أن اكتمل نمو هذه اللغات

والعصر الحاضر نفسه يشهد كثيراً من آثار هذا القانون . فلانتشار اللغة الأسبانية فى مناطق شاسعة من الأرض ولاختلاف الطوائف المتكلمة بها ، أخذت تفقد وحدتها ، فانشعب عنها فى أمريكا الجنوبية لهجات كثيرة تختلف كل منها عن الأسبانية الأصلية اختلافاً غير يسير فى كلماتها وأصواتها ؛ بل إن بعض هذه اللهجات أخذ يختلف عن الأسبانية الأصلية فى القواعد نفسها [1]

وهذا هو ما يحدث الآن للانجليزية والألمانية . فقد أخذت انجليزية الولايات المتحدة بأمريكا تختلف عن انجليزية الجزر البريطانية فى كثير من المفردات وأساليب النطق ؛ وأخذت ألمانية سويسرا تبتعد عن أصلها ويزداد تأثرها بجارتها الفرنسية ، حتى توشك أن تكون لهجة متميزة عن ألمانية الألمان وقد اتسعت مسافة الخلف بين اللهجات المنشعبة عن العربية حتى أصبح بعضها غريباً عن بعض ؛ فلهجة العراق فى العصر الحاضر مثلاً لا يكاد يفهمها المصرى . غير أنه قد خفف من أثر هذا الانقسام اللغوى بقاء العربية الأولى بين هذه الشعوب لغة أدب وكتابة ودين

***

(١) منهم بفرنسا نفسها نحو ٤١ مليونا والباقى ببلجيكا وسويسرا وكندا والمستعمرات الفرنسية .

(٢) معظمهم بإيطاليا نفسها والباقى فى سويسرا والمستعمرات الايطالية

(١) وقد ألف بعض العلماء كتبا مستقلة فى بعض هذه اللهجات ، ككتاب الأستاذ لنز Lenz فى قواعد لهجة شيلى

والعامل الرئيسى فى تفرع اللغة إلى لهجات ولغات هو سعة انتشارها . غير أن هذا العامل لا يؤدى إلى ذلك بشكل مباشر، بل يتيح الفرص لظهور عوامل أخرى تؤدى إلى هذه النتيجة . وباستقراء هذه العوامل فى الماضى والحاضر يظهر أن أهمها يرجع إلى الطوائف الآتية :

١ — عوامل اجتماعية سياسية تتعلق باستقلال المناطق التى انتشرت فيها اللغة بعضها عن بعض، وضعف السلطان المركزى الذى كان يجمعها ويوثق ما بينها من علاقات . وذلك أن اتساع الدولة وكثرة المناطق التابعة لها، واختلاف الشعوب الخاضعة لنفوذها ... كل ذلك يؤدى غالباً إلى ضعف سلطانها المركزى، وتفككها من الناحية السياسية، وانقسامها إلى دويلات أو دول مستقل بعضها عن بعض . وغنى عن البيان أن انفصام الوحدة السياسية يؤدى إلى انفصام الوحدة الفكرية واللغوية

٢ — عوامل اجتماعية نفسية تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق فى النظم الاجتماعية والعرف والتقاليد والعادات ومبلغ الثقافة ومناحى التفكير والوجدان . فمن الواضح أن الاختلاف فى هذه الأمور يتردد صداه فى أداة التعبير

٣ — عوامل جغرافية تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق فى الجو وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلها وموقعها . . . وما إلى ذلك، وفيما يفصل كل منطقة منها عن غيرها من جبال وأنهار وبحار وبحيرات ... وهلم جرا . — فلا يخفى أن هذه الفروق والفواصل الطبيعية تؤدى، عاجلاً أو آجلاً، إلى فروق وفواصل فى اللغات

٤ — عوامل شعبية تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق فى الأجناس والفصائل الإنسانية التى ينتمون إليها والأصول التى انحدروا منها، فمن الواضح أن لهذه الفروق آثاراً بليغة فى تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات

٥ — عوامل جسمية فيزيولوجية تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق فى التكوين الطبيعى لأعضاء النطق(١)

فمن المحال، مع فروق كهذه، أن تظل اللغة محتفظة بوحدتها الأولى أمداً طويلاً

* * *

فانقسام المتكلمين باللغة الواحدة، تحت تأثير هذه العوامل، إلى جماعات متميزة، واختلاف هذه الجماعات بعضها عن بعض فى شئونها السياسية والاجتماعية، وفى خواصها الشعبية والجسمية والنفسية، وفيما يحيط بها من ظروف طبيعية وجغرافية، كل ذلك وما إليه يوجه اللغة عند كل جماعة منها وجهة تختلف عن وجهتها عند غيرها، ويرسم لتطورها فى النواحى الصوتية والدلالية وغيرها منهجاً يختلف عن منهج أخواتها، فتتعدد مناهج التطور اللغوى حسب تعدد الجماعات، ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بين اللهجات الناشئة عن هذا التعدد، حتى تصبح كل لهجة منها لغة متميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها

* * *

ويبدأ الخلاف بين هذه اللهجات من ناحيتين : إحداهما الناحية المتعلقة بالصوت، فتختلف الأصوات (الحروف(١)) التى تتألف منها الكلمة الواحدة، وتختلف طريقة النطق بها تبعاً لاختلاف اللهجات ؛ والأخرى الناحية المتعلقة بدلالة المفردات، فتختلف معانى بعض الكلمات باختلاف الجماعات الناطقة بها

أما القواعد La Grammaire، سواء فى ذلك ما يتعلق منها بالبنية (المورفولوجيا) أو ما يتعلق منها بالتنظيم (السنتكس)، فلا ينالها فى المبدأ كثير من التغيير . وإليك مثلاً اللهجات العامية التى انشعبت عن العربية بالعراق والشام والحجاز واليمن وبلاد المغرب ... فإنه لا يوجد بينها إلا فروق ضئيلة فى نظام تكوين الجملة وتغيير البنية وقواعد الاشتقاق والجمع والتأنيث والوصف والنسب والتصغير ... وما إلى ذلك ؛ على حين أن مسافة الخلف بينها فى الناحيتين الصوتية والدلالية قد بلغت حداً جعل بعضها غريباً عن بعض، كما سبقت الإشارة إلى ذلك

ولكن هذه الوحدة فى القواعد لا تقوى على مقاومة عوامل التفرقة إلا لأجل معلوم ؛ ثم تهن قواها وتستسلم لهذه العوامل،

(١) ترجع هذه الفروق إلى عوامل كثيرة منها العاملان الجغرافى والشعبى المشار إليهما آنفاً تحت رقمى ٣، ٤

(١) الحرف هو ما يرمز إلى الصوت فى الكتابة . فالتعبير هنا بالأصوات أدق من التعبير بالحروف

فيصيبها منها ما أصاب الصوت والدلالة من قبل ، وحينئذ تقوى وجوه الخلاف بين اللهجات ، وتبدأ مرحلة تحولها إلى لغات مستقلة ، ولا تنفك تذهب حثيثاً فى هذا الطريق حتى تبلغ غايته

غير أنه يبقى بها ، على الرغم من هذا كله ، وجوه شبه قريبة أو بعيدة فى أصول المفردات وبعض مظاهر القواعد العامة . وإليك مثلاً طوائف اللغات الهندية الأوربية ، فعلى الرغم من استحكام ما بينها من حلقات الخلاف ، فإن الأصل الأول قد ترك فى كل منها آثاراً تنطق بما بينها من صلات قرابة وتشهد بتفرعها عن أرومة واحدة

ومن هذا يتبين أن اللغة لا تموت حتف أنفها . فما لم تصرعها لغة أخرى على الوجوه التى تقدم شرحها فى المقالات السابقة ، لا يتطرق إليها الفناء . وخلودها هذا يبدو فى أحد مظهرين . فأحياناً تحتفظ بوحدتها ، وذلك إذا ظلت حبيسة على منطقة ضيقة وفئة قليلة ، وأحياناً تنشعب إلى لهجات ولغات ، وذلك إذا انتشرت فى مساحات شاسعة من الأرض وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس

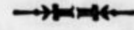
ومن ثم يظهر كذلك خطأ من يحاولون علاج تعدد اللغات بإنشاء لغة عالية (إسبرنتو Espéranto) يتحدث بها الناس من مختلف الأمم والعصور . وذلك أن هذه اللغة الصناعية على فرض إمكان اختراعها وإلزام الناس باستخدامها [1] ، لا تلبث بعد تداولها على الألسنة أن تخضع لجميع القوانين التى تخضع لها اللغات الطبيعية والتى خضعت لها أول لغة تكلم بها الإنسان . فما دام أفراد الأمم الناطقة بها مختلفين فى أصولهم الشعبية وفى التكوين الطبيعى لجسومهم وأعضاء نطقهم ، وفى الظروف الجغرافية والطبيعية والاجتماعية المحيطة بهم ، وفى قوام الإدراكية والوجدانية ، وما دامت سنة الطبيعة تقتضى أن يختلف كل جيل عن الجيل السابق له فى كل هذه الأمور ، فلا بد أن تختلف هذه اللغة الصناعية فى كلماتها وأصواتها ودلالاتها وقواعدها باختلاف العصور وباختلاف الشعوب الناطقة بها ، وتنقسم إلى لهجات يختلف كل منها عما عداه ، وتتفرع منها لغات عامية ، وتتسع الهوة بين لهجاتها قليلاً قليلاً حتى تنفصل كل لهجة منها عما عداها انفصالاً تاماً وتصبح غير مفهومة إلا لأهلها ، شأنها فى ذلك شأن غيرها من اللغات ، وهكذا لا يمضى زمن قصير أو طويل حتى يتولد من هذا العلاج نفس المشكلة التى يحاولون القضاء عليها : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين ، إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم ... » . « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، إن فى ذلك لآيات للعالمين »

على عبد الواحد وافى
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

(١) هذه الأمنية ، وإن كانت ممكنة نظريا ، يحول دون تحقيقها عمليا صعوبات جمة كما لا يخفى



صاحب الديوان



إياك أن تظنه صاحب « ديوان شعر » ، فمثل هذا أهون من أن يحفل به إلا من كانوا مثله من ذوى الأحلام والأوهام فى هذه الدنيا التى باتت لا تحفل بالأحلام ولا بذوى الأحلام ...

ولعلك فطنت بعد هذا إلى من أعنيه بهذا اللقب ؛ ثم لعلك فهمت لِمَ أسميه « صاحب الديوان » ، فما كان لفظ « الموظف » و « المستخدم » وما يجرى مجراها مما يفى بالغرض فى معرض الحديث عن ذلك الذى توافى له من أسباب الجاه والسلطان ما يسمو به على الناس ، رضوا بذلك أو لم يرضوا ؛ وما أرى نعته بمثل تلك الألقاب المتواضعة إلا ضرباً من الخطأ أسبق مجمع اللغة فى تلافيه ، فأمنع له هذا الاسم الجديد ، وبودى لو وقعت له على اسم آخر أكثر فخامة وأضخم جرساً وأبلغ رهبة

ولست أدرى وقد وقع منظارى على أنماط وأشكال من أصحاب الديوان إلى من أدير الحديث منهم أولاً فأجعله فى طليعة أصحابه فإنى لست بمعفيهم جميعاً من حديثى ولو لحقنى بعدها من سطوتهم ما أعض أصبع الندم عليه

أأبدأ بالحديث عن ذلك الشاب الماجن المتظرف الذى لا تساوى الدنيا فى نظره شيئاً ؟ أم أبدأ بصاحبه المتزمت المتبرم الذى يحمل الدنيا كلها على رأسه ؟ أم أدعهما إلى ذلك الكهل الذى أخلق برد الشباب على مقعده وهو يلتفت إلى الماضى فى حسرة ويحتمل الحاضر فى ملل وينظر إلى المستقبل فى يأس ، ولا ينى عن احتقار من هم دونه والحقد على من خلفوه وراءهم وكانوا وإياه فى صف واحد عند بدء الشوط ؟ أم أبدأ من عل غير متهيب ، فأتحدث عن ذلك الذى يخضع له هؤلاء جميعاً ويتملقه أكثرهم وليس فيهم من لا يكره أن يودع كرسيه فى أقرب فرصة ؟

الحق أنى حائر ، ولا مخرج لى من هذه الحيرة إلا بأن أعرض عليك فى هذه الكلمة صورة لفريق من أصحاب الديوان فى قاعة من قاعاتهم ، على أن أتناول هذا الإجمال بعد بالتفصيل

دخلت تلك القاعة فى شأن من الشؤون فوجدت نحو خمسة عشر من هؤلاء ينصتون إلى من يتلو عليهم حديثاً وهم على مكاتبهم يرنون إليه حتى إذا فرغ من قصته انطلقوا يضحكون فى صخب عظيم ، ثم أخذ كل منهم يسابق الآخر فى التعقيب عليها بما يسمه من نكتة أو قصة مشابهة ، ومضى على ذلك وقت ليس بالقصير ، وأنا واقف فى ركن عند مدخل القاعة لا أدرى من أقصد ولا أجد من يلتفت إلىّ كما لو كنت « صاحب ديوان » مثلهم لا حرج علىّ ولا غرابة فى أن أكون معهم فى حجرتهم

وكان قد مضى على بدء العمل أكثر من ساعة ، ولكن أغلب المكاتب كان لايزال خالياً من الأوراق، وبعضها كانت خالية حتى من أصحابها ؛ ونظرت إلى الباب فإذا فريق من الصبية يدخلون وفى أيديهم أصناف « الصينيات » ، فهذا يحمل « الفول » ، وذلك يقبل « بالطعمية » ، وثالث لا يحمل غير القهوة ...

وأخذ أصحاب الديوان فى تناول طعام فطورهم أو فى شرب القهوة، اللهم خلا ثلاثة أو أربعة، راح أحدهم يقرأ فى جريدة الصباح وراح الآخر ينظر إلى السقف كأنما يفكر فى حل معضلة ، ولعله كان ينتظر أن يفرغ صاحبه من جريدته ليتناولها بعده ، وأخذ الثالث يفتح أدراج مكتبه ويغلقها ولا يخرج منها شيئاً ، أما الرابع فقد تناول بعض « الدوسيهات » وصار ينظر فيها واحداً بعد الآخر ثم فتح أحدها أمامه وأخذ يصفر بشفتيه لحناً جميلاً

وكنت قد جلست على مقعد خال بجانبى ، وليس ما يمنع وإن لم يكن فى يدى عمل أن أكون أحدهم، ولعلهم ظنوا — إن كان فيهم من عنى بأن يظن — أنى أنتظر أحد الذائبين بناء على موعد سالف ؛ وكان علىّ فى الواقع أن أنتظر ولكنى كنت أنتظر الحاضرين حتى يفرغوا من طعامهم وشرابهم أو من قراءة صحفهم لأستطيع أن أعرف فيهم من يوجد لديه حل مسألتى

وأزف موعد عملى ، ودخل السعاة بأضابير من الأوراق وأخذوا يوزعونها على أصحابها، وحال ذلك دون أن أتقدم إلى أحد، فخرجت على أن أعود مرة أخرى إلى الديوان

« عين »

عقيدة النازى المالية

للدكتور جواد على

سميت سياسة الوطنية الاشتراكية المالية وآراءها الاقتصادية (عقيدة) ؛ لأن الهتلرية لا تعتقد بالنظريات العلمية ، ولا تعترف بالقواعد التجارية التى تسير عليها الدول الأخرى ؛ بل تدين بعقائد ثابتة مكتوبة ونصوص تخضع لها ولا تحيد عنها : هى نصوص العنصرية والدم والأرض Blut und Boden . وهى المفتاح لكل حضارة أو مدنية فى العالم ، والتجارة والثروة من نتائج الحضارة البشرية ، والحضارة البشرية Kultur هى المظهر الخارجى للعامل الداخلى الأساسى المختفى : الدماء

لذلك فاقتصاديات شعب مرتبطة بقوته وبسلامة العنصرية من الامتزاج بالدم الأجنبي الدخيل[١] . والروح التى تكون فى كل جسم ، كما أنها فى كل أمة ، هى التى تغيّر اقتصاديات أمة وتكيفها حسبما تريد ؛ لا الإنتاج كما هو مذهب كارل ماركس إذ يقول : « غيروا الإنتاج تغيروا البشر[٢] » . ولا المادية كما عليه البلشفية وأصحاب المادة ؛ والروح ليست من قبيل الأحلام أو الأفكار أو الاصطلاحات العلمية أو بالمعنى الذى ورد فى فلسفة أفلاطون ؛ بل هى حقيقة واقعة لا شك فيها ، عاملها الدم لا التفكير البارد فقط[٣]

وبما أن لكل شعب روحية خاصة وعقلية تميزه عن عقليات الشعوب الأخرى ، فاقتصاديات كل أمة ونظمها التجارية يجب أن تكون وفق نظمها وقواعدها السياسية والعقائد الاجتماعية والتاريخية وآرائها الثقافية العالية . وعلى ذلك يجب أن نجعل القواعد الاقتصادية وأساليبها خاضعة لمصلحة جماعة الأمة Volks-gemeinschaft والدولة ، لا أن نجعل الاقتصاد خاضعاً لنظريات وقواعد عالية وأصول علمية وضعتها أدمغة العلماء بصورة مجردة نظرية لم تستند إلى قواعد العنصرية والظروف التى تحيط بكل أمة . فهى لذلك تضحك من كل علم يحاول وضع قواعد عامة مسلمة أو آراء أممية يجب السير عليها . وهى تفتخر بأنها ألغت نظريات العلم الشائعة اليوم واتخذت قواعد مكتوبة وفق آرائها وعقيدتها[١] . وهى تحارب فكرة حرية التجارة وإلغاء الرسوم الكمركية ومبادئ « آدم سميث » و « ريكاردو » وجميع الـ Klassikern وهى بالجملة تقارب أصحاب فكرة حماية التجارة Patrioton فى فكرتها، وتحذو حذو مذهب الـ merkantilismus الذى يحاول أن يجعل الدولة المسيطرة على جميع اقتصاديات المملكة ومواردها التجارية[٢]

ولكنها تختلف هنا عن الشيوعية والبلشفية فى نظرية إشراك الدولة فى المسائل الاقتصادية رأساً . فالوطنية الاشتراكية تريد كما تدعى حق الإشراف المطلق على سياسة الأمة الاقتصادية فتسيرها وفق مبادئها وآرائها ، فلا تتساهل مع كل متوان أو متجاهل لأنظمة النازى بواسطة القوانين التى تضعها والمحاضرات التى تلقيها على التجار وبواسطة الهيئات التجارية التى تعينها من بين رجال حزبها لا بطريقة الانتخاب وبواسطة هيئة وضع الأسعار التى يشرف عليها قوميسير الأسعار Preiskommisar إلا أنها لا ترى وجوب اشتراك الدولة فى البيع والشراء وإدارة المعامل والإنتاج رأساً ، ولو أنها تتدخل فى الحقيقة فى كل شىء ، ولها فى كل معمل أو محل رجل معين من قبل الحزب يسمى Cebmann بمثابة عين على كل عامل، وذلك ما يخالف مبدأ البلشفية والمركسية الذى يدير المعامل رأساً وكذلك الاقتصاديات الكبرى .

رأت الهتلرية أن خير حل لمشكلة العمل والعمال هو الاعتراف بمبدأ الملكية الشخصية والرأسمال Der Kapital ولكنها ترى أن صاحب المال أو المعمل من جهة أخرى هو مدير لماله أو لمعمله أو قائداً يتصرف به وفق الأنظمة والقوانين والطرق الشرعية

(١) انظر كتاب Probleme des Deutschen Wirt schaftsle-bens, 1937 ص ١٦٠

(٢) انظر Hendrik de man و Der Somialismus als Kultur bewegung ص •

(٣) انظر Promblemе des D. W. L. 1937 ص ١٦١

(١) انظر كتاب الوزير Dietrich Klagges و Reichtum und Somiale Gerechtigkeit 1933 ص ٢٤ وكتاب Deutsche Somyalis-ten am werk 1935 ص ١٤

(٢) انظر كتاب Friedrich Bülow و Wolkswirtschaftslehre Kröner verlag be ص ٨٦ وكذلك ص ١٠٠ ، ١٦٠

الشريفة ، فسمته Betriebsführer أى مدير محل ، ولم تسمه مالكاً إذ يتصرف المالك قانوناً كيف يشاء بينما سلب منه هذا الحق هنا . وعلى ذلك فوضع الأسعار والأجور وأوقات العمل وأسعار التصدير إلى الخارج أو البيع فى الداخل لم يعد من حق أصحاب المال بل من حق الحكومة فقط[١] . وكل من يحاول استغلال ماله عن طريق يخالف مبادئ النازية يكون نصيبه العقاب الصارم أو الإعدام لأنه خائن للأمة ولص خطير[٢] . كما أن كل عامل رجل مؤتمن على العمل فعليه الإطاعة والخضوع لأنظمة العمال التى هى أنظمة الشعب والدولة وإطاعة أوامر من هو أعلى منه درجة، وكل مخالفة تكون عاقبتها العقاب الصارم أو الإعدام أيضاً

تعترف الهتلرية بالأنانية وحب الذات كصفات غريزية فى البشر، لذلك ترى مكافحتها بقاعدة « النفع العام قبل النفع الخاص Gemeinnutm vor Eigennutm » وهذه القاعدة تستدعى وضع تربية سياسية جديدة تكون أسسها مرتكزة على العواطف قبل التفكير وعلى الإطاعة قبل إدراك السبب أو الباعث وهو الطابع الحديث الذى تنطبع به فلسفة الوطنية الاشتراكية . ونظراً إلى ذلك وجب مراقبة الأرباح التى تدعو إلى كل مشكلة[٣] وتخليص البشرية من عبودية المرابين ، وذلك بجعل أصحاب المال تحت سيطرة سياسة الدولة رأساً لا الدولة تحت سيطرة أصحاب رؤوس الأموال الذين يطلقون عليهم لقب Goldenen Internationale كما هو الشأن فى الدول الديمقراطية والأمريكية ، ولذلك يجعلون هؤلاء مصدر كل حب وبغض إلى الألمان ويتهمون هذه الدول بكونها تخضع للسياسة اليهودية التى تنتمى إلى هذه الطغمة[٤]

ولإنقاذ الشعب والحكومة من عبودية الربا وجب تنظيم الأرباح

---

(١) Friedrich Bülow و Volkswirtschaftslehre ص ١٦٤

(٢) Gottfried Feder و Das Programm der N. S. D. A. P. ص٩ . و Feder فدر هذا من أقدم الوطنيين الاشتراكيين والمفكرين فى جماعة هتلر وهو الشارح لمنهج هتلر ولكنه لتطرفه فى آرائه لم يقدم فى الدوائر العليا حينما تسنم هتلر الحكم وظل معتزلا حتى الآن

(٣) انظر كتاب الاقتصادى الشهير الدكتور شاخت Dr. Hjalmar Schacht المسمى Grundsätme Deutscher wirtschaftspolitik 1932 ص ٩

(٤) انظر Herman Göring فى خطاباته المطبوعة سنة ١٩٣٨ ص ٢٦٢ وكذلك المنهج لفدر ص ٩

على قاعدة « الربح على قدر العمل »[١] والقضاء على بيوتات البيع الكبرى والشركات الاحتكارية وتقسيمها إلى محال صغيرة فنحو (١٠٠٠٠٠) اسكاف خير من وجود خمس شركات كبرى، لأن من طبيعة المحال الكبرى الميل إلى الأرباح دون الالتفات إلى التحسين[٢] ، وبتخليص الفلاح من الديون . والفلاح هو رمز العنصر الشمالى الآرى وكل سياسة اقتصادية لا تستند إلى محصولات الأرض landwirtschaft تكون سبباً لهلاك الشعب وتدهوره. والتاريخ يرينا كما يقول هؤلاء أن سبب سقوط الشعوب هو إهمالها الزراعة ، وبسبب تقدم الصناعات الكبرى توسعت المدن وظهرت روح جديدة هى روحية المدن بأمراضها المختلفة وازدراء الفلاحة وسكان الأرض وهذا معناه الانحطاط الثقافى . لذلك كان من واجب الوطنية الاشتراكية مقاومة توسع المدن وإرجاع السكان إلى العمل فى الأراضى خارج المدن واتخاذ سياسة استيطان جديدة وإلغاء القوانين التى تجعل الفلاح فى عزلة عن أهل المدن أو أقل منهم ثقافة واجتماعاً، وتحويل المدنيين إلى شعبيين ؛ وبذلك تعود الحضارة البشرية والروح الجرمانية التى يحلم بها هتلر ، وتختفى الفروق الموجودة بين الشعب الواحد ، وتنفيذاً لهذه السياسة ترى وجوب الإشراف على بيع الأراضى وتوزيعها بحيث تضمن ما تراه بصورة عملية[٣]

أما التجارة الخارجية للشعب فيجب أن تشرف عليها الدولة كذلك وتحدد أسعارها . وتقوم بذلك الدول فيما بينها بعقد معاهدات تجارية حسب رغبات الدول وحاجاتها لا على قواعد علم الاقتصاد ومبادئ حرية التجارة أو المبادئ المالية الأخرى، وتكتب هذه المعاهدات بلغات الدول المتعاقدة لا باللغة الفرنسية كما هو الشائع الآن[٤] . وأساس هذه المعاهدات هو نظام المقايضة أو تبديل بضاعة ببضاعة ، وهو نظام تراه الوطنية الاشتراكية أكمل نظام طبيعى ، وقد كانت تتبعه قبل الحرب العظمى فسبب حصول التوتر الشديد فيما بينها وبين بريطانيا وهو الذى يدعو

---

(١) انظر نفس المصادر

(٢) Das Programm ص ٤٥

(٣) Das Programm ص ١١

(٤) Rudolf Brinkmann و Wirtschaftspolitik aus national-momialistischen Kraftquell 1939 ص ١٥٠

إلى قلق الأمريكيين دائماً وخوفهم من تفوق التجارة الألمانية على أسواق أمريكا الجنوبية ، وذلك الذى تطلب منه واتخاذ أساس الشراء الحر

ونظراً إلى أن ألمانيا فقيرة فى المواد الابتدائية فمن الواجب إيجاد مصادر لها فى الخارج وهى المستعمرات . وتقسم ألمانيا مبدئيا العالم إلى قسمين : أمم متحضرة مستهلكة ومصدرة، وأمم كتب عليها أن تشتغل لتزويد هذه البلاد المختارة. ولكن ما هى المقاييس التى تتخذ قاعدة فى الشراء ؟ الذهب أو الإنتاج ؟ إن خلو ألمانيا من الذهب يجمل هتلر يرفض قاعدة الذهب ويطمن فى البلاد التى تتعامل به. وإن النشاط Fleiss والعمل هما رأس المال فقط. وعلى ذلك فكل دولة تشتغل بنشاط وتكافح فى سبيل قوتها تكون هى المملكة الغنية فى العالم ، ولهذا وضع مشروعاً سماه مشروع أربع السنوات غايته الاعتماد على المنتجات الداخلية واستخراج كل ما يمكن من الأرض الألمانية بتفضيل كل ما هو ألمانى على غيره ولو كان أقل جودة وأردأ نوعاً . فالمطاط يجب أن يستخرج من مواد ألمانية سرية ، وكذلك السللوز والنفط والبنزين من الفحم الألمانى ، وكل مملكة تسد نقصها من الخارج فهى دولة منحطة متأخرة ؛ حتى قوائم الأكل يجب أن تكون ألمانية بحتة ، ولذلك تستخدم لجنة مشروع أربع السنوات كل ما لديها من وسائط فى سبيل إقناع الأمهات وخصوصاً العجائز منهن بعدم شرب القهوة أو الشاى بكثرة ، وبعدم أكل القشدة المحبوبة لدى المسنات على الأخص Sahne بإفراط اقتصاداً وحفظاً للنقد الألمانى من الذهاب إلى الخارج . ولكن ذلك ليس من السهولة بمكان، فقد اختفت الأقمشة الصوفية الجيدة من الأسواق الألمانية ، وظهرت عوضاً عنها الأقمشة الصوفية السللولوزية mell woll واختفت المنتجات المتينة ولكنها أخذت تنافس أحسن الأقمشه البريطانية فى الخارج ، وتنافس بضاعات الأمم الأخرى حتى فى أسواقها المحلية . كل ذلك لجر النقد الأجنبى إلى ألمانيا وتغطية العملة الورقية فيها[1]

مراد على
خريج جامعة هامبرك بألمانيا

(٤) انظر كتاب هرمان جورنغ ساعد هتلر الأول Hermann Göring Reden und aufsätme 1938 ص ٢٦٢

أيها الأطفال !

للأديب أحمد محمود فهمي

أنتم أولاد الطبيعة أما نحن فأولاد الحياة !

أنتم تصورون لنا الطبيعة فى شكل آدمى لأنكم صورتها الآدمية !

تغريكم الدُّمى وتسركم الأضواء وتبهركم الألوان

لا تحتاجون إلى أسرار أيها الأنقياء الأطهار .

وما حاجتكم إلى صدر زاخر بالأسرار وأنتم الذين لا تقبلون الحياة إلا بسيطة سهلة لا تعقيد فيها ولا إشكال

خير عندكم من كل مباهج الكبار ومسراتهم ، دمية صغيرة محبوبة ، تدورون بها فى مجال المرح والسرور

يقينكم أنه ليس لكم يقين ، وظنكم أنكم لا تعرفون الظنون أأنتم لاهون عن الحياة أم الحياة لاهية عنكم ؟

تمر عليكم قافلة الحياة حافلة بشتى المعانى والألوان ،وأنتم عنها لاهون ، كأنكم من غير أعين ولا آذان

لا تعرفون من الحياة إلا طفولتكم ، ولا تعرفون من الطفولة إلا الفطرة والسذاجة والإخلاص !

نحن نحتاج أحياناً أن نجالسكم لنتذكر فى ظل طفولتكم أيام كنا مثلكم ، وننشق من عرف لهوكم وعبثكم ما كان لنا فى ماضينا الطفلى العجيب من لهو عابث وعبث لاه ، فى قلوب مطمئنة متوثبة معاً ، تعرف كل شىء ، ولكنها لا تعرف شيئاً !

حياتكم هادئة مطمئنة لا يفزعكم فيها شىء ؛ ونحن نثوب إليكم دائماً كلما ثارت بنا الحيـاة ، أو اضطرب علينا هدوؤنا وطمأنينتنا ، فنراكم فى حجر الطبيعة الأم الحنون ، تهدهدكم وتنثر بين أسرتكم الورود والرياحين

إن الحياة تفسد الطبيعة ، ولكن الطبيعة تصلح الحياة ، وإلا فما كانت الحياة تسلب من عَلَتْ به السن معالم الطبيعة ونقاء الفطرة

أيها الأطفال !

أراكم تجرون فى الممر تريدون أن تلحقوا بنا فى مضمار الحياة ، ونحن كذلك نجرى فى طريق العمر إلى مدى لا يعلمه إلا الله

إن منكم من سيظل طفلاً برغم تقدم الحياة والسن ، لأن لون الطبيعة قد انطبع على إهابه

وإن منكم من ستسلب منه الحياة فطرة الطبيعة ، فيصير كأهل الحياة ، يتعلم مكرهم وختلهم ، وتتلاشى من نظراته تلك الأضواء البراقة التى عرفها فى طفولته أسلوباً من لغة الطبيعة . والناس بهذا الوضع سيندفعون مع التيار ، وتنغمر عواطفهم فى العباب

ليت الطفولة لا تفارق الناس فى كبرهم ، ولكن هل كانت الحياة تستقيم على هذا المنهج ؟

إننا إذا خرجنا عن نطاق الفلسفة أو دخلنا فى نطاقها وجدنا أنفسنا أحوج ما نكون إلى أن نتخلق ببعض أخلاق الطفولة ، فليست كل مميزات الطفولة غير صالحة ؛ فإن بين طباعها الطهر والنقاء والصفاء ؛ وما أحوجنا فى كل حين أن نكون أنقياء بكل معانى النقاء !

إن الطبيعة والحياة لا تتنافران ، بل ما أحوج المجتمع أن يمزج بين عناصرهما ليتحقق الانسجام والاعتدال

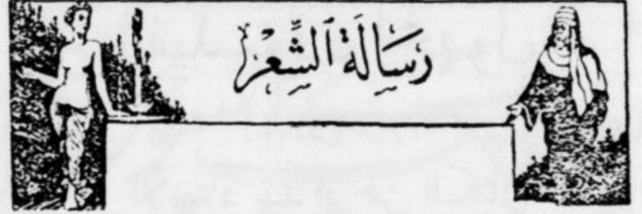
يريد المصلحون أن تقل من المجتمع الشرور والآثام ، وهل يتحقق ذلك إلا إذا مزجنا حياة الكبار بطبيعة الأطفال

وماذا يمحو الشر والإثم غير الصفاء والنقاء ...؟

الواقع أننا فى حاجة إلى مدرسة للطفولة نعلم فيها الكبار فطرة الأطفال ، نعلمهم أو نذكرهم فيها طبيعة الطفولة فيما تفردت به خصائصها ومميزاتها من الفطرة والسذاجة والنقاء

وهل ينسى من فارق مجال الطفولة أنه كان من أبناء الطبيعة فأصبح من أبناء الحياة !

أحمد محمود فهمى



عيد الربيع ...

للأستاذ أحمد محرم

هتف الداعى ، فلبوا يا رفاق — واجمعوا شمل الهوى بعد الفراق
ورد العيش صفا ، والجو راق — فهو طلق الساح ، فضى الرواق
ما لمن يزهد فيه من خلاق

عاد فى بهجته عيد الربيع — يزدهى فى معرض الحسن البديع
هو يا أهل الهوى عيد الجميع — ليس للهاجر فيه من شفيع
عيدكم عيد اجتماع وتلاق

كان للهجر زمان ، فانطوى — وخلت من شره دنيا الهوى
كم جريح فيه بالشوق اكتوى — كم جريح فيه بالدمع ارتوى
كم مشوق بات مشدود الوثاق

يا شفاه الزهر ، ما أبهى الشفاه — إضحكى بالله يا دنيا الحياه
وانظمى شعر الهوى ، إنى أراه — سلوة الصب المعنَّى فى هواه
اسكبيه سلسلا عذب المذاق

لك من شعرى ربيع دائم — كل بيت فيه عيد باسم
كل معنى فيه حب هائم — كل حب فيه معنى حالم
كل حلم يملأ السبع الطباق

مرحباً بالعيد ، عيد الشعراء — قادة الحب ، وأبطال الوفاء
اعرفوهم ، إنهم حول اللواء — صفوة القتلى ، وخير الشهداء
اعرفوهم واستعدوا للّحاق

يا قلوب الناس ، ما هذا الجمود ؟ — أجُنوب تلك منهم ؛ أم لحود !
أنتِ موتى ؛ وبنو الحب شهود — ليس فى الدنيا حياة أو وجود
حيث لا يوجد حب واشتياق

لا يحب الله من لا يعشق — يشهد العقل ؛ ويرضى المنطق
كل حسن أو جمال يخلق — فهو منه ؛ وعليه يطلق
وإليه فى معاليه يساق

كل حب ، فهو منه وإليه — وقلوب الناس ما بين يديه
عالم الغيب ، فلا يخفى عليه — كل مافى الكون مسطور لديه
فى كتاب أزلى العهد باق

يا كتاب الحب ، ماهذى السطور — حِكَم الإنجيل أم آى الزبور !
هى كالفرقان نور فوق نور — إن فيها لشفاء للصدور
وغنى للناس عن آس وراق

رددى يا طير آيات الحنين — وتغنى بحديث العاشقين
نبهى الأشواق فى رفق ولين — نبهيها فى قلوب الراقدين
الهوى استيقظ ، والحب استفاق

عبقُ الريحان ، يُهديه النسيم — وجمال الورد فى الروض الوسيم
وصفاء الجو فى دنيا النعيم — ووفاء الصاحب السمح الكريم
كل هذا من أناشيد الرفاق

كلما رددت آيات الكتاب — فى محاريب الهوى بين الصحاب
ضجت الدنيا وظلت فى اضطراب — إنما الدنيا عذاب فى عذاب
وبنو الدنيا بلاء لا يطاق

تلك خمرى يا رفيقى خذ وهات — ودع الهم لأهل الترهات
نحن فى المعبد نقضى الصلوات — هات كأسى يا صريع النشوات
يا لها يا صاح من كأس دهاق

نحن فى عالمنا السامى الجليل — ديننا الإيمان ، والحب النبيل
لا نبالى فى كثير ، أو قليل — كل من لام خليلاً فى خليل
ما لكم والحب يا أهل النفاق !

يا رفيقى ليس للحب مدى — وقلوب الناس لم تخلق سدى
أين من يعقل ، أو يبغي الهدى — لا أرى إلا غويًّا مفسدا
يتمادى فى ادعاء واختلاق

طال عهد الزهر بالوادى الخصيب — وتمادت وحشة النائى الغريب
وأتى (آذار) من بعد المغيب — فتلاقى ، من محب وحبيب
بين تسليم ، ولثم ، وعناق

يا نشيد الحب من ذا صنعك ! — غن يا (قيس) وقل ما أبدعك
كل طير يشتهي أن يسمعك — هذه (ليلاك) يا (قيس) معك
كاذب من قال (ليلى) بالعراق

أحمد محرم

وحي الطبيعة الغربية

الجبـــــل الأبيض

بشاموني — فرنسا

[مهداة إلى الدكتور بشر فارس تذكاراً لزيارة ممتعة]

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

يُطلُّ على الكونِ من شاهقٍ كنسرٍ يُرفرفُ مِنْ حالق
وتلمعُ فوقَ ذُراهُ الثلوجُ وتَبرقُ كالأمل البارقِ
له قِمَّةٌ كُلِّلت بالمشيب على ظهرِهِ الأدكنِ الغامق (١)
وشابَ ... ولكنَّه لم يزَلْ فتِيَّ الغواربِ والعاتق
فما قوَّسَتْهُ همومُ السنينَ ولا ضَرْبةُ الزمنِ الصاعق
تَسامَى إلى جَنباتِ السماء وطال على رأسِها السامِق
يلوحُ عليه اتِّزانُ الوَقورِ وتَبدو به ثقـــةُ الواثق
تمرُّ عليـــه توالى العُصورِ ثِقالَ المؤخَّرِ والسـابق
وتطرقه حادثاتُ السنين فيهزأ بالقَدَرِ الطارق ...

***

هُنـــاك صعدنا إلى مَتْنه وطُفنا على نَبْعـــه الدافق
وقد ثار جـــدولُه ثورةً تذكِّرني غَضبـــةَ الحانق
صعدنا هنـــاك إلى عالَمٍ لذيذِ المُنى خالصٍ رائقِ
تَخلَّصَ من صَرَخات الحياة ومن إنْسِها الناعبِ الناعِق !
وَمِنْ زَفْرة اختَنقِ بين القلوبِ ومن دُخْنَة النَّفَسِ الخانق ...

***

هناك رأيتُ شعاعَ الغروب يَدبُّ على الثلج كالسارق
وقد طالَ وجهُ النهار الضَّحوك كما طال ليلٌ على العاشق ...
وسار بياضُ الثلوج الكثيفِ على حُمرة الشَّفَقِ الفاسق
وقامت على مَزْج ألوانه يَدُ الصانع الماهرِ الحاذق
تُصَوِّرُ كلَّ طريفِ الجمالِ وكلَّ بديعِ الحِلَى شائقِ

محمد عبد الغني حسن

(١) الغامق بالمعنى الذي يريده الشاعر ليست عربية (الرسالة)

الفيلسوف المجهول

[إلى روح المرحوم الدكتور علي العناني بك]

للأستاذ عبد الرحمن الكيالي

ضلت ركاب الفكر عن أخباره فسعت تحت الخطو في آثاره
سبق الزمان إلى الزمان فقصرت عن شأوه الأيام في مضماره
هتفت بأذنيه الهموم وجلجلت في صدره الهمسات من أفكاره
فسمت به فوق السماء وأرسلت نغماته بالسحر من أوتاره
كالنجم أفرط في العلو وإنه ليذود لحظ الطرف عن إبصاره
لم يصبه للمجد طيف لم تزل همم النفوس تُساق في تياره
ورمى الخلود بنظرة لو صادفت طوداً أشم لدُكَّ من أقطاره
ما الخلد في عينيه إلا ومضة للوهم ترفل في شفيف دثاره
فتكت بأوطار النفوس ولم تكن لتفوز باللمحات من أوطاره
ما ضره ليـــل تجهم حوله وأحاطه بالسود من أستاره
والعود يذهب في الرماد إذا التظى وهج اللهيب يشف عن أسراره
فليرتفع عن دهره متكبراً وليجف هذا الدهر عن إكباره
وليشـــد في مزماره مترنماً ويرى النعيم الحق في مزماره
فدعوه لا تتسمعوا نغماته نغماته وقف على إسكاره
لا تنفحوه بالكؤوس فقلبه كأس تصفق في يدي خماره
ملئت بمعسول العقار ولم تكن لهواتكم تسمو لرشف عقاره
فليطلع الفجر الوضيء وخلفه حجب ترد العين عن أنواره
وليكتم الروض الأريج عبيره عن كل مشتم سوى أزهاره
وليحم ذو اللب الكبير شعاعه أن تخطف الأبصار من إسفاره
نفحاته قدسيـــة جياشة فاضت بماء القلب من قيثاره
ما بالها سلكت سبيلاً موحشاً يرتاح فيه العقل من أسفاره
نسلته من دنيا الفتون ولم تكن ترضى بهذا الكون من سماره
فنضا الكرى عن مقلتيه مغرد للفجر يهتف بانتعاش نهاره
كشف الصباح لناظريه فأبصرا صبح الأنام يموت في أسحاره



توطئة ...

كتبت — في هذا الباب — منذ أسابيع بعض رأيي في الشعر والشعراء ، ولم يكن همي أن أستوفي كل الرأي فيهما وليس من عملي الآن أن أفعل ذلك ، وإنما هي إشارات في لمحات يأخذ بها من يأخذ، ويدعها من شاء أن يدع؛ وأنا أحب أن أقدم بين يدي كلامي ... فإن بعض من يغافل نفسه عن حدود الألفاظ ومعانيها ينطلق من ورائها يمد منها بأوهامه مداً بعيداً حتى يخرج بما نكتبه عن المعنى الذي نريده إلى أحلام ووساوس وخطرات يحوم بها ثم يغلي ثم ينتفض... ثم لا يكون رأيه فينا إلا وهماً، من فوقه وهم ، من فوقه عناد ، ظلمات بعضها فوق بعض

فأنا حين أهجم على الغرض الذي أريده من النقد أو البيان ، لا أتلجلج دونه لما أخشاه من قالة السوء التي يوكل بها بعض من فرغ زمانه إلا من الفراغ الذي يستهلكه في اختلاق الأوهام واقعة وطائرة، رائحة وغادية، ثم هو يجلس إليها — بعد أن تفصل عنه — ليتأملها ويملأ عينيه وأذنيه من مغانيها وألحانها !

وأنا أحب أن يعلم من ليس يعلم أني حين أكتب أكتب عن صديقي وكأن ليس بيني وبينه سبب من مودة، وأكتب عن عدوي وكأن ليس بيني وبينه دخان من غضب . فإذا خُيِّل لبعض من يتخيل أني أماسح صديقي أو أتلفف على عدوي فقد أخطأ ، وإنما العيب منه لا منا . . . وذلك عيب علمه أن هذا عدو وهذا صديق ، فيرى من وراء اللفظ ومن تحته ومن فوقه ومن بين يديه معاني ليست منه ولا تتداعى إليه ، وإنما نحن نستوفي الكلام ونعطيه حقه على وجوهه في الرضا والغضب ، ونأخذ أنفسنا بذلك ما استطعنا ، فإن الحق في هذا الذي نكتبه هو حق القارئ لا شهوات من يكتبه ؛ ثم هو بعد ذلك رأينا أصبنا أو أخطأنا ، وليس علينا أن نوافق هوى قارئ لأنه هواه ، بل علينا أن نجتهد له في إمحاض الرأي الذي نراه ليأخذ منه أو يدع على قدر من اقتناعه أو مخالفته؛ فهذه كلمة أوطِّئ بها ما بيني وبين القراء ؛ ليسيروا إلينا ونسير إليهم في مهاد مذلل من الرأي والنصيحة ...

ويحسدُهُ قومٌ كثيرٌ تجارةً ويمنعني من ذا الدنيّ ومنصبي

الملاح التائه !

أما « الملاح التائه » فذاك هو الصديق الشاعر المهندس « علي محمود طه » ، وقد عاد بعد خمس سنوات فألقى على شاطئنا ديوانه الثاني « ليالي الملاح التائه » ثم نشر شراعه ومضى . وقد أحدث ظهور هذا الديوان الجديد — في معرضه الأنيق وشعره القوي الجميل — آثاراً في توجيه أنظار الناس إليه وإلى صاحبه ثم إلى الشعر خاصة ، ثم اختلف الأدباء عليه بأحاديثهم وآرائهم ، ولَغَوا لغواً كثيراً في الأغراض التي اشتملت عليها صفتا هذا الديوان الثاني من شعر « الملاح التائه » . ونحن لن نعرض لشيء مما قيل في ذلك إلا كما يدرج الكلام على أغراضه بالإشارة والتنبيه والبيان على مجاز السياق

والشعر أيضاً !

ولا بُدَّ من أن نعود مرة أخرى للحديث عن الشعر عامة ، ليكون بعض الرأي فيه مدخلاً للكلام عن « الملاح التائه » ،

دفن الرقاد قلوبهم برموسه ... وحبا الرياء نفوسهم بشعاره
فانساب تحت الليل يقبس لمعة ... كالمستجير من الصقيع بناره
وازورَّ عن أفق الظلام مُغبراً ... تتقطع الأعناق دون غباره
متبتــل ترك الأنام وراءه ... ونجا يحطم من وثيق إساره
حتى إذا نسج الظلام حياله ... ثوب الفناء وأتمـه بإزاره
أرست نوازعه وأشرق لبه ... ورمى الأزمة في يدي أقداره
فتطايرت آماله من قلبه ... مذعورة النسمات من إعصاره
وترنمت في ثغره ضحكاته ... بالسخر ترسل من فحيح جاره
ورد الحياة وفرَّ عن آفاقها ... مستهزئاً بقـدومه وفراره

(الخليل — فلسطين) عبد الرحمن الكيالي

فإن أكثر ما قيل – عن ديوان هذا الشاعر – إنما مردُّه إلى آراء فاسدة في معنى الشِّعر، وما هو، وكيف هو؛ وإلى الجهل بطبيعة الشاعر وفطرته ومن أين تأتي، وأنى تتوجَّه، وكيف تجرى به إلى أغراضها على نظام لا ينفكُّ عنه أراد أو لم يُرِدْ.

وليس يشكُّ أحدٌ أن الشِّعر في أصله هو معانٍ يريدُها الشاعرُ، وأن هذه المعاني ليست إلا أفكاراً عامَّة يشتركُ في معرفتها كثير من الناس، وأنها دائرةٌ في الحياة على صورتها التي تأخذُها بها كل عينٍ، ويتداولها من جهته كل فكرٍ، وأنها – إذ كانت كذلك – ليست شيئاً جديداً في الحياة ولا في معانيها وأوصافها وحقائقها، وإنما تصيرُ هذه المعاني شعراً حين يعرضُها الشاعر في معرضٍ من فنِّه وخياله وأدائِه ولفظه، فيجدد لك هذه المعاني تجديداً بنقلها من المعرفة إلى الشعور بالمعرفة، ومن إدراك المعنى إلى التأثر بالمعنى، ومن فهم الحقيقة إلى الاهتزاز للحقيقة، فتجد المعنى القريب وقد نقلك الشاعر إلى أغواره الأبدية وأسراره العظيمة وكأنه قد خرج عن صورته التي ضُربت عليه في الحياة إلى السِّر الأول الذي أبدع هذه الصورة، وإلى الصلة التي تصل ما بين المعلوم إلى المجهول البعيد الذي لا يُرى ولا يُلمس

فالشعور والتأثر والاهتزاز هي أصل الشعر، ولا يكون شعر يخلو منها ومن آثارها وتأثيرها إلا كلاماً كسائر الكلام ليس له فضلٌ إلا فضل الوزن والقافية وهذه الثلاثة لا يكتسبها الكلام من المعاني من حيث هي معانٍ معقولة مدركة، وإنما هي فيه من روح الشاعر وأعصابه، ونبضات الشوق الأبدي التي تنتزي في دمه؛ فأيُّما معنًى عرفه الشاعر، وأيُّما صورة رآها، وأيُّما إحساس أحس به، فهو لا يكون من شعره إلا حين يتحول في روحه وأعصابه ودمه إلى أخيلة ظامئة عارية تبحث عن زيها ولباسها من أسلوب الشاعر وألفاظه، ثم تريد بعد ذلك زينتها من فن الشاعر لتفصل عنه في مفاتنها الجميلة كأنها حسناء قد وجدت أحلام شبابها في زينتها وأثوابها . وبقدر نقصان خزائن الشاعر مما تتطلبه أخيلته الظامئة العارية، يكون النقص الذي يلحق المذاري الجميلة التي تسبح في دمه من معانيه

والشعر على ذلك هو فن تجميل الحياة، أي فن أفراحها الراقصة في نسمات من الألحان المعربدة بالحقيقة المفرحة؛ وفن أحزانها النائحة في هدأة التأملات الخاشعة تحت لذعات الحقيقة المؤلمة؛ وفن ثوراتها المزمجرة في أمواج من الأفراح والأحزان والأشواق، قد كُفِّتْ وراء أسوار الحقيقة المفرحة المؤلمة في وقت معاً

وهو على ذلك فلسفة الحياة، أي فلسفة السمو بالحياة إلى السر الأبدي الذي بث في الحياة أسراره المستغلقة المبهمة التي تُرى ولا تُرى، وتظهر ولا تظهر، وتترك العقل إذا أرادها حائراً ضائعاً مشرداً في سبحات من الجمال تضيء فيه بأفراحها كما تضيء بأحزانها، وتفرح بكليهما وتحزن، فرحاً سامياً أحياناً، وحزناً سامياً أبداً

وإذا كان الشعر هو فلسفة السمو بالحياة، فمعنى ذلك أنه النظام المعلى الدقيق الذي يبلغ من دقته أن يكون منطقه إحساساً مسدداً لا يخطئ ولا يزيغ ولا يبطل ولا يتناقض في أسلوبه الفني ونظامه الشعري البديع، وهذا النظام المعلى النابض الذي يتلقف مادة أفكاره من الحياة لا يستطيع أن يشعر أحياناً، ولا يشعر أحياناً، كما قال بعضهم، ولا يستطيع أن يتقيد بزمان ومكان يستوحي منهما الشعر ثم لا يكون هو يستوحي من غيرهما، كما ذهب بعض أصحاب الكلام إلى القول حين ظهر « ليالي الملاح التائه » في شعر الطبيعة المصرية، وشعر الطبيعة الأوربية وما إلى ذلك من فضول الحديث

إنَّ هذه الحاسَّة العاقلة المفكرة النابضة في الشاعر تأخذ مادتها من مَساقط الوحي في كل أرضٍ وتحت كل سماء؛ وربَّ تحول أو فترة تأخذُ هذه الحاسة في موطنها ومنشئها ومدرجها ثم تكونُ البلادُ البعيدة في مطارح الغُربة هي التي تنفُض عنها غبارها وتمسحه حتى تجلوها جلاء المرآة، إعداداً لها لتتلقى صُورها التي تجرى في مائها إلى دم الشاعر ثم إليها مرة أخرى، ولا تزال كذلك بين الأخذ والإعطاء حتى ينبثق ماء الينبوع من صخرة الحياة الشاعرة

فلا يخدعنَّك ما يقول فلانٌ وفلانٌ، فإنْ هم إلا أسماء قد ركبتْ على ألقابها تركيباً مَزجيًّا على خطأ وفساد، كما ركِّبتْ حضرَموت وبعلَبك تركيباً مزجيًّا على صحة وصواب

ليالي الملاح التائه

كل هذا الديوان شعرٌ من شعر « علي طه » بعد رحلتيه من مصر إلى أوربا في خلال هذه السنوات التي انقضت بعد نشره الجزء الأول من ديوانه وهو « الملاح التائه » . وقد كانت هاتان الرحلتان وحياً جديداً في نفس الشاعر وأعصابه وأحلامه ، وكانتا تغييراً في حياته عامة وفي أفكاره خاصة ، ولم يكن بد إذن أن يجدَ قارئُ هذا الديوان فرقاً بيِّناً بين شعر « الملاح التائه » و « ليالي الملاح التائه » . وليس هذا الاختلاف بشيء ألبتّة ، فإن شاعريّته لم تزل هي ما هي في كليهما على نمط لم يختلف ، ولكنه نزع في هذا الطَّوْر الجديد إلى السهولة والرِّقة ومعابثةِ المعاني والألفاظ بغزل رقيق من عواطفه . وعلةُ ذلك فيما نرى أنه انطلق من قيود مصر في أول رحلته وخرج شارداً يستجلي روائع الحياة الأوربية الزاخرة ببدائع الفن ومعجزات الحضارة والعلم ، ونزلَ المنازل المتبرِّجة بفتنتها في عواصم المدن الأوربية ، وعبَّ من مُسكِرَاتِ الجمال الفطريِّ والصناعيِّ البديع الذي تستجيده أناملُ الحضارة الرقيقة العابثة اللاهية ، والتي لم تدع للفن مَعقلاً إلا لعبت به واستخرجت كنوزه وتلاعبتْ بها على أصول أخرى غير التي بنى عليها الفن القديم البارع المحكم ، وعرضت له الصور التي تفتن الناس بجمالها وتهدمهم بفتنتها ، وتقعُ في دمائهم موقعاً لا تلبث معه إنسانية الإنسان أن تشتمل من جميع نواحيها بلهيب من اللذة والسكر والفرح . كل ذلك هزَّه وهزَّ أعصابه وألقى عليه من وحيه وتركه يقول من الشعر على الدجية غير متكلِّف ولا مُتقحِّم ولا راغبٍ في الكد والعناء و . . . ، والحنبليّة الفنية التي تريد البديع ، فإذا أدركته طلبت الأبدع ، فإذا بلغت تسامت إلى ما هو أبدع منهما ؛ لا تهدأ ولا تقرُّ ولا تستريح إلى جميل

كان هذا — فيما نرى — وكانت نفسه الشاعرة المتلقِّفة — والتي تهجم بعينيها على أبكار المعاني بنشوة الشباب العربيد — تتلفت تلفُّت الصائد ، تكاثرَ الصيد بين يديه ، فما يدري ما يأخذ وما يدع ، وهو مع ذلك لا يزال يذكر صِغاره وأحبابه وهوى قلبه ، ومن يريد أن يصنع لهم حياةً من صَيده ؛ فهو يتلفَّت إليه بقلبه حنيناً وذكرى وصبابة . فهذه العواطف الدائبة في تكوين شاعريته ، والتي تلوِّنها بألوانها وتخاريجها ، هي التي جنحت به إلى السهولة والرقة والغزل الحلو بينه وبين معانيه وألفاظه ، ومن غير الممكن أن يتقيد الغزل الشعري بقيودٍ تضبطه ، وإلا انقلب تكلفاً واستكراهاً وجفوة .

الجندول

وإذا أردت أن تعرف صدق الذي قلنا به من العوامل الجديدة في تلوين هذا الشعر ، فخذ هذه الأغنية الجميلة التي ترنَّم بها الشاعر الموسيقي ، ثم أعطاها الموسيقيّ البارع « عبد الوهاب » جوَّ تغريدها في ألحان هي من شعر الموسيقى ...

فإن الشاعر حين لعبت به فتن « عروس الإدرياتيك » في كرنفالها المشهور ، ودَفِئ دَمُهُ في أنفاسها الحبيبة المعطَّرة ، وفجأته فِتنة من فِتَنِها التي عرضت في صبابته ... أرقّ فتنة في أحلى جوٍّ في سِحر الليل المضيء في أجمل فن الحضارة في أحفل الليالي باللهو والعبث ، والضحكات التي تتردد بين أضواء الكهرباء ، حتى كأنها أمواجٌ من الضوء تضحك ضحكها — لم يستطع أن يضبط تلك الأمواج الفرحة المربدة في إحساسه الشاعر ، فبدأ يترنَّم :

أين من عينيّ هاتيك المجالي · · · يا عروس البحر يا حلم الخيال
أين عشاقُك سُمّار الليالي · · · أين من واديك يا مهد الجمال

ثم انطلق يصف عاطفته وجو عاطفته وعطر عاطفته ، كل ذلك بألفاظ غزلية عاشقية ، تتنفس أنفاسها من المعاني المرحة ، حتى في بعض اللوعة المستكنّة وراء نفسه ، والتي استعلنت في قوله :

« أنا من ضيَّع في الأوهام عمره »

بعد أن قال :

ذهبيُّ الشَّعر شرقيُّ السماتِ · · · مرح الأعطاف حلوُ اللفتات
كلما قلت له : خذ ، قال : هات · · · يا حبيب الرُّوح ، يا أُنس الحياة

كل ذلك والشاعر في مرح ونمة وخيال وافتتان ، وكأنه نسي الدنيا التي ولد فيها كما « نسي التاريخ أو أنسى ذكره » ... ولكنه لا يلبث يتلفت بعد ذلك تلفتاً مؤثراً عجيباً ، هو دليل الشاعرية الصحيحة التي اشتمل عليها تكوينه العصبي ... يقول :

قال : من أين ؟ وأصغى ورنا · · · قلت : من مصر ، (غريب) ههنا

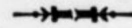
(غريب) ، هذه كلمة النفس الشاعرة في مكانها من العاطفة وفي أقصى مدّها من التأثير ، إنه حرف يبكي من الغربة والحنين



نحو التربية الفنية

هــــذا أستاذ

للأستاذ عزيز أحمـــد فهمى



— هل تستطيعين أن تساعدينى على ترشيح صاحب ديوان (الجداول) ليكون أستاذاً فى كلية الآداب ؟

— ما ديوان الجداول هذا ، ومن صاحبه ، وأين هو ، وما الذى يميزه على غيره حتى تطلب له أن يكون أستاذاً فى كلية الآداب عندنا ، وأنت تعرف أن للأستاذية فيها شروطاً ، منها ، أن يكون الأستاذ حاصلاً على الدكتوراه ؟

— ديوان الجداول هو مجموعة من شعر إيليا أبى ماضى ، وهو به يستحق أن يكون أستاذاً فى كلية الآداب ، أما الدكتوراه فشهادة يمنحها القارئون الكبار للقارئين الصغار، ولكن إيليا أبا ماضى لم يعد قارئاً، ولا كاتباً، وإنما هو إنسان ينفذ من هذا الوجود المحسوس إلى ما بعده ، ثم يعود إلى الناس يروى لهم ما رأى وما سمع وما أحس وما أدرك ... وهو من كثرة تجواله فى آفاق الكون ألم بالكثير من دروبه ، وأحاط بالكثير من طرقه ، فهو يستطيع أن يكون رائداً لجماهير من التلاميذ تتبعه ، يرشد منهم من يسترشد، ويوجه منهم من يحار ، ويطمئن منهم من يرتبك ، ويهدى منهم من يضل ... وهذا هو عمل الأستاذ . أستاذ الأدب

— هذا عمل الفارغ من حياته المستغنى عن عمره وليس عمل أستاذ الآداب

— ولن يكون الإنسان أستاذاً للآداب إلا إذا فرغ من حياته واستغنى عن عمره ، واشترى بهذه الدنيا شيئاً آخر ، هو الأدب . والأدب ليس كما تحسبين كلاماً منمقاً مزوقاً لبعض الناس قدرة على تخليقه ، والبعض الآخر عاجزون عنه ، وإنما الأدب تربية نفسية يجاهد اليتيم فى تقويم نفسه بها ، وغير اليتيم يسعد بما يربيه عليه أبوه أو أستاذه . واليتامى مساكين، قليلاً ما يوفقون إلى الهدى وكثيراً ما يفلت زمام أنفسهم من أيديهم فينطلقون فى الحياة ونفوسهم مشردة معربدة تنغمس فى الرذيلة حيناً ، وتتخبط أحياناً بين الرذائل والفضائل، ولكنها لا تستقر على فضيلة إلا ما فرضه عليها مجتمع اليتامى المشردين الذين يحيطون بها ، وليس يفرض هذا المجتمع كثيراً من الفضائل ، فهو كمجتمعات المشردين والمشبوهين من اليتامى والمساكين الذين تريهم ملقَين فى الشوارع ...

— وهل فرغ إيليا أبو ماضى من حياته حقاً وتوفر على تأديب نفسه ، فهو إذن قادر على أن يؤدب غيره ؟ وإذا كان قد فرغ من حياته حقاً فمن أين يأكل ... وكيف يعيش ؟

— إنه يأكل كما تأكل الطير فى السماء ، ويعيش كما يعيش الحر الكريم ؛ منذ سنوات وسنوات هبط مصر وأراد أن يستقر فيها ، فاتخذ لنفسه محلاً يبيع فيه السجاير والدخان ووقع عليه

والذكرى ، ولو سقطت هذه الكلمة من الشعر لسقط كل الشعر ولسقط معه رأينا فى العوامل التى عملت فى شعر « على طه » بعد رحلته إلى أوربا، لو قال: (من مصر) وسكت، أو أتى بذلك الحشو الذى لا معنى له، والذى يكثر فى شعر الضعفاء، لانسلخ عن الشعر إلى سؤال يتلقاه المرء من فضولى قائم على طريق المابلة ، وجواب استخرجه الفضول واللجاجة ... ثم هى بعد ذلك التفات يخيل لك معه أن الشاعر قد رد فقال : من مصر ، ثم انفتل بوجهه إلى مصر ، وتلقى دمعة يموّهها بيده ويمسح أثرها بمنديله — فى هذا الجو المرح العابث اللاهى — وهو يقول : (غريب ههنا)

هذا ... وقد أخذت هذا الموضع وحده من القطعة لشهرتها الآن وليتدبر من يسمعها فإن فيها من أمثال ذلك كثير ، مما هو دليل الشاعرية الناضجة التى لا تخطئ معانيها . ولو أخذت سائر شعره على هذا الأساس الذى كشفنا لك عنه فى حديثنا عن الشعر لوقفت على روائعه التى هى روائعه

محمود محمد شاكر

أنطون الجميل بك فرآه يكتب شعراً فى الدكان، فقرأ شعره فأعجبه فنشره فى مجلة كان يصدرها ، فقامت قيامة الأدباء والشعراء المصريين عليه فأوسعوه نقداً ، وأوسعوه تجريحاً ، وتناولوا ألفاظه ولغته وراحوا يناقشونه فى هذه القفاء ما موقعها من الإعراب، وهذه النون لماذا هى مفتوحة وهى فى الأصل مضمومة ، وهذه الهمزة ، لماذا قطعها وهى همزة وصل ؟ وتكاثروا عليه ، وكان فى مصر إذ ذاك أمير للشعراء هو المرحوم أحمد شوقى بك، وكان رحمه الله يستطيع أن يقول كلمة ينقذ بها إيليا من بين براثن هؤلاء الذين ينقدون الشعر بغير ما يصلح نقداً للشعر ، وكان رحمه الله يستطيع أن يقول لهؤلاء النقاد : إنى أربأ بالشعر أن يعيبه هذا الذى تروون مما يعيب اللغة والعروض والنحو وسائر ما يحصل بالقراءة والدرس ، وإنى أرفع الشعر فوق هذا كله ، فهو حديث النفس وللنفس من الله وليس لله لسان مما ننطق به .

كان شوقى بك رحمه الله يستطيع أن يقف من إيليا هذه الوقفة ولكنه — رحمه الله — كان مشغولاً بشعره هو وبنفسه هو ، وبالملك المريض الذى أرسله فيه الزمن ، فلم يشعر مطلقاً بالذى حدث لأبى ماضى ، ولم يطق أبو ماضى صبراً على هؤلاء الهاجين فشد رحاله إلى أمريكا ، حيث يتكلم الناس بالإنجليزية ، وحيث لا عرب إلا الباحثون عن الرزق ، والخارجون من أوطانهم وأيديهم صفر ، ثم استطاعوا هناك فى أشد معامع الحياة ازدحاماً واصطراعاً أن يجمعوا المال وأن يعيشوا به كراما ، لا ذل يرهقهم إلا الغربة ولا مستعبد يزيحهم عن الأرض ؛ وإنما لكل امرىء هناك ما سعى ، ولقد سعى أبو ماضى فأنشأ هناك مجلة اسمها السمير ويقولون : إنه أنشأ متجراً للدخان والسجاير أيضاً ؛ وراح بعد ذلك يتأمل الدنيا ويرنو إلى الآخرة ، ويقيد على الورق ما يتكشف له من الحقائق ، وما يلمحه من المبهمات ، ويسجل على نفسه بلوغها وقصورها ، وخيرها وشرها ، وهداها وحيرتها أفلا يصلح هذا أستاذاً لأدب النفس ؟ فإن كان لا يصلح ، فمن ذا الذى يصلح ؟ !

— ولكن هذا الذى رويته من حياته يدل على أنه من رجال الدنيا المناصرين الذين يجرون وراء الرزق والسادة من آسيا إلى أفريقا إلى أمريكا فكيف تقول إن هذا رجل فرغ من الحياة واستغنى عن مادتها ؟

— البلبل يطير من فنن إلى فنن يتلاقط رزقه ، ولكنه لا يقضى كل وقته فى البحث عن طعامه ، وإنما يقضى أغلبه فى الشدو والترتيل فهما طبعه وقد اختص بهما ، وليس الأكل من طبعه إلا كما هو من طبع الخلائق ، وليس الشدو والترتيل من خصائص غيره إلا من كان على طرازه من الخلائق . فأبو ماضى لم يجد رزقه فى الشام فطار إلى مصر ، فوجد فيها الرزق مقدوراً عليه فطار إلى أمريكا، فوجد فيها رزقاً مباحاً طاهراً قد يكون كثيراً وقد يكون قليلاً ولكنه نقى غير محسود ، فلا عجب إذا اطمأن أبو ماضى هناك ... ولكن ثق أنه يحن إلى الشرق ، ولعل أغلب حنينه يهتاج إلى مصر فهو يقول :

وطنان أشوق ما أكون إليهما	مصر التى أحببتها وبلادى
ومواطن الأرواح يعظم شأنها	فى النفس فوق مواطن الأجساد
حرصى على حب الكنانة دونه	حرص السجين على بقايا الزاد
بلد الجمال خفيه وجليه	والفن من مستطرف وتلاد
عرضت مواكبها الشعوب فلم أجد	إلا بمصر نضارة الآباد ...

— ولكن هذا شعر يسير المنى قريب اللفظ ... أليس له شعر أحلى ؟

— له ... له كل هذا الديوان الذى فى يدى ، وله غيره ... وبارك الله لصاحب الرسالة الذى ينشر فيها بين الحين والحين شيئاً من شعره ، وكم أريد أن أقول أيضاً بارك الله لوزارة المعارف لو أنها عطفت على تلاميذها وطلابها ويسرت لهم شيئاً من هذا الشعر

— ولكنه لا يزال حياً يرزق ، والدولة لا تخلد إلا من فارق الحياة . . .

— فأل الله ولا فألك ، فوزارة المعارف تخلد كلام الأستاذ الجارم الموظف بوزارة المعارف ، ووزارة المعارف تخلد كلام الأستاذ أحمد أمين عضو لجان وزارة المعارف ، ووزارة المعارف تخلد كلام الدكتور طه حسين بك مراقب الثقافة بوزارة المعارف ، ووزارة المعارف تكاد لا تلتفت إلا لمن كان فى وزارة المعارف، منذ حسنين باشا

صاحب كتاب الطبيعة ، وعبد الفتاح صبرى باشا ، وكل ما فى الأمر أن الصور تتبدل وتتغير ، وأن الكلام يتلون ويتشكل ، ولكن الأمر لا يزال كما كان : موظفون يؤلفون كتباً . ثم يؤلفون لجاناً . فتقرر اللجان الكتب ...

— إخسأ . لا تقل عن هؤلاء الأساتذة الأجلاء إنهم أصحاب أهواء ولا مطامع فهم الأدباء الذين فى البلد ، وهم الشعراء وهم الكتاب ، فإذا لم تأخذ الوزارة كتبهم فأى الكتب تأخذ ؟

— إن أساتذتنا هؤلاء هم أساتذة الجامعة ، فأحرى بهم أن يوفروا أنفسهم للعلم ؛ لأنهم على العكس من إيليا أبى ماضى . . . هو يتاجر فى الدخان ليأكل منه وليفرغ للأدب لايذل نفسه ، وهم يتاجرون بالأدب ليأكلوا منه لا يعتزون بأنفسهم ، ولا يشكرون الله على ما يسر لهم من وظائف ...

— ثق أنك مخطئ ، وثق أنهم أرفع نفساً مما تحسب ، وثق أنهم يتجشمون فى سبيل تثقيف البلد ما أسأل الله أن يجزيهم عنه خيراً ...

— آمين ... إسمع أبا ماضى يصف الشاعر :

أتقولون إنه مجنون
أتقولون إنه مفتون
أتقولون شاعر مسكين

كم مليك كم قائد كم وزير ود لو كان شاعراً مسكينا
عاش ملتن فلم يكن مذكورا
وهوميروس كالشيخ كان ضريرا
ولقد مات إبن برد فقيرا
أرأيتم كما رأى العميان أفلستم بنورهم تهتدونا ؟

— هل هو زاهد ؟

— نعم ، وهو يقول فى الزهد :

قيل : أدرى الناس بالأسرار سكان الصوامع
قلت : إن صح الذى قالوا ، فإن السر شائع
عجباً ! كيف ترى الشمس عيون فى براقع
والتى لم تتبرقع لا تراها ؟ ...
لست أدرى ...

— إذن فهو يسخر من الزاهدين ...

— إنه لايسخر من شىء مطلقاً وإنما هو متطلع إلى الوجود يتعلم الحكمة فكلما تعلم حكمة تفتقت له من ورائها حكمة ، فهو لا يزال كلما تعلم علماً تبين له فى نفسه جهل حتى يقول :

إننى جئت وأمضى ، وأنا لا أعلم
أنا لغز ، وذهابى كمجيئى طلسم
والذى أوجد هذا اللغز لغز مبهم
لا تجادل ... ذو الحجى من قال إنى ...
لست أدرى ...

— لعله كافر ...

— الكافر لا يقول للناس :

لو دخلتم هيا كل الإلهام
وسرحتم فى عالم الأحلام
واجتليتم سر الخيال السامى
وعرفتم كما عرفنا الله لخررتم أمامنا ساجدينا

— إذن فهو مؤمن ...

— ومسلم فى مسيحيته ، لو عرفته ، لوافقتنى على ترشيحه للأستاذية فى كلية الآداب يعلم طلابها الإيمان والحكمة شعراً ، ويؤدب نفوسهم أدباً ، فإذا تعذر هذا أو صعب فلا أقل من أن يعرض على التلاميذ ديوانه .

عزيز أحمد فهمى



تضـــارب فى الرأى

يؤدى إلى كشف خطير

للدكتور محمد محمود غالى

من الفكرة الشيئية إلى فكرة الأثير — هجر العلماء الفكرة الشيئية واعتناقهم الفكرة الحدثية — تجربة « ميكلسون » والأثير — هجر العلماء الفكرة الحدثية وترددهم فيها — تطور يتفتح عن تعديل فى الميكانيكا النيوتونية — لا تعديل فى الضوء

رافق القارئ فى مرحلة من العلوم تضاربت خلالها الآراء ، تلك المرحلة التى حاول الإنسان فيها أن يفهم الظاهرة الضوئية ، ويتعمق فى معرفة كنه « الفوتون » ، وهو الذرة التى تتكون منها الأشعة على اختلاف أنواعها ، والتى كانت عند « نيوتن » جسيما صلباً ، وعند « فرنل » موجة ، وهى اليوم عند « دى بروى » جسيم وموجة مستصحبة له ، وقد شرحنا للقارئ النظرية الشيئية للضوء التى أسسها « نيوتن » والتى نوجزها فى أن الضوء مكون من جسيمات صغيرة مقذوفة فى الحيز فى خط مستقيم وبسرعة كبيرة ، وذكرنا أن ظواهر الضوء الهندسى Optique Geométrique من تكوين ظلال الأجسام عند وضعها أمام منبع ضوئى ومن انكسار الأشعة الضوئية عند اختلاف نوع المادة التى يخترقها الضوء ، يجوز تفسيرها بالنظرية الشيئية النيوتونية ، وعرضنا للقارئ ظواهر أخرى للضوء مثل ظاهرتى التداخل والاستقطاب اللتين كشف إحداهما « يونج » Thomas Young لا يمكن تفسيرها بالنظرية الشيئية المتقدمة ، ويمكن ذلك باللجوء إلى فكرة فرضية ، فكرة أثيرية أسسها الرياضى « ويجانز » والمهندس الطبيعى « فرنل » ونذكر للقارئ اليوم أن ظاهرتى التداخل والاستقطاب لم تكونا وحدهما سبباً لهجر الفكرة النيوتونية واعتناق المذهب الأثيرى ، بل إن ثمة ظاهرة أخرى من أهم الظواهر المعروفة وهى ظاهرة «الحيود» فى الضوء Diffraction لم يتيسر تفسيرها أيضاً باللجوء إلى فكرة نيوتن ، وأمكن تعليلها بالنظرية الأثيرية أو الموجية المتقدمة ، وتتلخص هذه الظاهرة فى أنه قد ثبت بالملاحظة ، عند ظروف معينة ، أن الضوء لا يسير فى خط مستقيم كما هو المعتقد منذ القدم ، بل إن الأشعة الضوئية عند مقابلتها جسما محدداً بحافة مستقيمة تميل بحالة تدل على حيودها عن مسارها ، وتتضح نتيجة ذلك من ظاهرة تشبه ظاهرة التداخل التى تكلمنا عنها

وأمام ظواهر طبيعية لم يكن يعلمها الأقدمون شيد « ويجانز » الهولاندى هيكلا رياضياً رائعاً ، وقام « فرنل » بتجارب بالغة حد الإتقان وحسابات لا يتطرق إليها الشك ، وهجرا ، عن عقيدة ، النظرية الشيئية للضوء ، وأسسا افتراضاً لفهم الظواهر الضوئية نوجزه فى أن الضوء حادثة أو أمواج وقعت فى مادة تملأ الكون بأسره ، وهى مادة الأثير التى طالما سمع القارئ عنها فى الكتب العلمية البحتة وفى البحوث الفلسفية ، والذين يراجعون اليوم منا تلك الحسابات الباهرة لويجانز وفرنل ويعيدون بعضاً من هذه التجارب الرائعة يتجولون فى الواقع فى هيكل من أجمل الهياكل التى شيدها الإنسان المفكر ويشاهدون ناحية من أبدع مناحى العلم التجريبى ، وهكذا كانت ثقة فرنل بالوسط الأثيرى الذى افترضه افتراضاً ثقة علمية ذهبت به إلى حد معاملة « الأثير » معاملة الأوساط المادية ، وذلك بالقيام بحسابات رياضية حاول أن يعلم منها الدرجة التى يتحرك بها هذا الأثير عندما تتحرك المادة فيه ، وقد دلت تجربة فيزو Fizeau الذى قام بقياس سرعة الضوء فى أنبوبة تحمل ماء متحركا على أن سرعة الضوء فى اتجاه حركة الماء تختلف عن سرعته فى الاتجاه المضاد ، وبذلك بيّن بطريقة تجريبية حركة للأثير توهمها فرنل الذى نظر إليه كمادة موجودة فى الوجود تسرى عليها قوانيننا الطبيعية ونعاملها معاملة ميكانيكية ، ولم يصبح الأثير بذلك فرضاً رياضياً فحسب ، بل مادة كائنة فى الوجود نطبق عليها قوانين : « جاليليه » و « نيوتن » الميكانيكية ، وكانت ظواهر التداخل والاستقطاب والحيود السبب فى انتصار هذا النوع من التفكير ، وفى تأييد نظرية أثيرية موجية

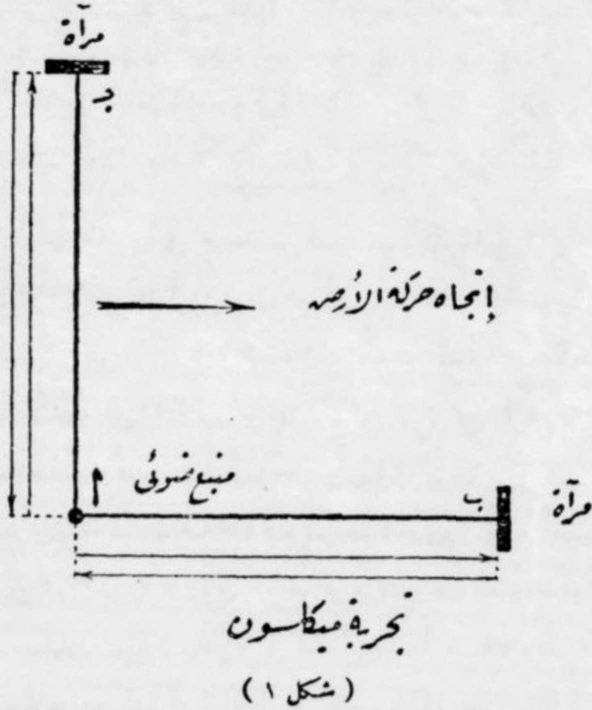
يصح أن نسميها هنا لأول مرة : « النظرية الفريجازية » نسبة لاسمى فرنل وويجانز .

ولكن رغم هذه الانتصارات المتتابعة ظل الأثير وسطاً عجيباً ، إذ يجب أن يكون له خواص الأجسام الصلبة بحكم أن الضوء أمواج مستعرضة ، وليس أمواجاً طولية ، وكانت الفكرة فى مولد الأثير عن فرض نظرى لتفسير وقائع معينة سبباً جعل العلماء ينظرون إليه بشىء من عدم اليقين ، ولم يكن هناك لإثبات وجوده وحركته غير تجربة واحدة لفيزو ، لا تكفى باعتبارها تجربة واحدة وصادرة من مصدر واحد أن تقوم دليلاً قاطعاً على وجوده

هذا الشك فى الوسط الوهمى الذى افترضه العلماء افتراضاً جعل العالم الكبير ميكلسون(1) Albert Michelson يقوم بتجربته الشهيرة التى وإن مضى عليها الآن ستون عاماً إلا أن الأثر الذى أحدثته لم يكن بالأمر الهين ، وهى التجربة التى أراد أن يعرف منها كيان هذا الأثير ، بل يعرف شيئاً عن وجوده أو حركته

لجأ ميكلسون إلى استنباط جهاز يتركب من ذراعين ا ب ، ا حـ طولهما واحد وأحدهما عمودى على الآخر ، ووضع مرآة فى طرف كل ذراع كما هو مُبيَّن بالشكل (١) ووضع عند ا منبعاً ضوئياً وأرسل منه فى الاتجاه ا ب شعاعاً ضوئياً يصل للمرآة ب وينعكس مرة أخرى إلى ا متتبعاً السهمين ا ب ، ب ا ، كذلك أرسل من ا وفى الاتجاه ا حـ شعاعاً آخر يصل للمرآة حـ وينعكس إلى ا وفق السهمين ا حـ ، حـ ا

وبديهى أنه فى الحالة التى لا يتحرك فيها الجهاز فى الأثير ، فإن الضوء يأخذ الوقت ذاته لعمل الرحلة ا ب ا ، والرحلة ا حـ ا . كذلك فى الحالة التى يتحرك الجهاز فيها فى الاتجاه ا ب مثلاً ، ويتحرك الأثير فى الاتجاه ذاته بنفس السرعة ، فإن الزمن للشعاعين يجب ألا يتغير ، ولكننا نعرف من تجربة فيزو السابقة أن الأثير يتحرك بحالة ضعيفة فى اتجاه الجهاز ، وعليه فيجب أن يكون هناك فارق فى سرعة الشعاعين ، ويدل الحساب على أن الشعاع ا ب ا ، يجب أن يأخذ فترة من الزمن أطول من الفترة التى يأخذها الشعاع ا حـ ا ؛ ومن الواضح أنه يجب لنجاح التجربة أن يتحرك الجهاز بأكبر ما يمكننا من السرعة ، حتى يكون فى الإمكان قياس الفرق بين الحالتين ، نظراً لعظم سرعة الضوء ، ولا شك أن القارئ يتساءل الآن : أنى لنا هذه السرعة للجهاز التى تجعلنا نستطيع أن نقيس الفارق بين سرعته وسرعة الضوء التى تبلغ ٣٠٠ ألف كيلومتر فى الثانية؟ ولكن ميكلسون وجد ذلك فى الأرض نفسها ، ذلك أن الأرض غير ثابتة ، وتسير حول الشمس سيرها الأبدى بسرعة تبلغ ٣٠ كيلومترا فى الثانية ، وعلى ذلك ، فقد كان على ميكلسون أن يعتبر الأرض ذاتها جزء من جهازه ، ويبحث دون تحريك الجهاز عما إذا كان هناك فارق فى الوقت الذى يتخذه كل من الشعاعين



(شكل ١)

ترى ماذا كانت النتيجة التى وصل إليها « ميكلسون » ؟ لقد وصل إلى نتيجة غير منتظرة بل نتيجة عجيبة . ذلك أنه لم يجد أى فارق بين سرعة الشعاعين رغم أن دقة التجربة كفيلة بأن تظهر أقل من ذلك الفرق . وهكذا كانت تجربة ميكلسون بمثابة ضربة قاضية على وجود الأثير .

ومع ذلك فإن وجود حالة موجية للضوء أمر لا يقبل الجدل وهى حالة تستدعى وجود مادة أثيرية لها خواص الأجسام الصلبة — من ذلك حصلت أزمة علمية عصيبة ، فلا المتذهبين بمذهب نيوتن بقادرين على تفسير ظاهرتى التداخل والاستقطاب وغيرهما ولا الآخذين برأى الموجية ووجود الأثير وهم التابعون لفرنل وويجانز بمستطيعين أن يفسروا لنا تجربة « ميكلسون »

(١) عالم أمريكى معروف حاز جائزة نوبل فى سنة ١٩٠٧ ، وقد استطاع فى سنة ١٩٢٠ أن يقيس قطر بعض النجوم الكبيرة بطريقة تداخل الضوء Interférence وقد توفى «ميكلسون» منذ بضع سنوات عن ٧٩ عاما

وإزاء هذه الصدمة العنيفة كان يجب أن يبحث العلماء عن طريقة جديدة ، وقد انتهى بهم البحث بعد وقت ليس بالقصير إلى أن الضوء ليس هو الذى يجب أن يكون موضع التعديل إنما هى معارفنا عن الميكانيكا وعن الحيز والزمن هى التى يجب أن تُعدَّل ، وكان على العلماء أن يتفهموا الكون وقوانينه بطريقة غير الطريقة النيوتنية ، التى اعتُبِرت صحيحة سنوات طوال ، والتى كانت فى الواقع طريقة تقريبية لكى نفهم الدار التى نعيش فيها ، ولكنها لم تكن كافية لكى نفهم تفاصيل هذه الدار

هنا ينحنى جيلنا أمام معادلات لورنتز Lorentz التى سنتكلم عنها ، وهى المعادلات التى أدمج فيها الزمن فى الحيّز والحيز فى الزمن ، بل وينحنى جيلنا أمام تفكير أينشتاين الذى أفاد من هذه المعادلات فخرج بنا من المأزق السابق ، وأفهمنا الكون على صورة غير التى عهدناها له ، ولعل القارئ قد أفاد من تتبع هذه الأزمة الطبيعية التى بدأ بتمثيل الدور الأول منها شيخ علماء الأجيال المنصرمة « نيوتن » والتى ظهر فى آخر فصولها شيخ علماء الجيل الحالى « إينشتاين »

ولكننا نورد ، قبل الدخول فى تفسير معادلات « لورنتز » ونظرية « أينشتاين » ، ملخصاً عن الضوء كظاهرة كهربائية وعنه كظاهرة مادية ، وسيعلم القارئ منها أن التموجات الضوئية ما هى إلا سلسلة تموجات عامة فى الكون ، تبدأ بتموجات كبيرة أطوالها بضعة كيلو مترات ، وهى الأمواج الكهربائية أو « الهرتزية » نسبة للعالم « هرتز » Hertz والتى نعرف منها الأمواج الطويلة والوسطى التى تنتقل من مكان إلى مكان متتبعة منحنى سطح الأرض ونعرف منها الموجة القصيرة [1] ، وهذه الأخيرة تصل من مكان إلى آخر بالانعكاس على الطبقات العليا من اليونات الجوية [2]

تلى هذه السلسلة من التموجات الموجات تحت الحمراء Infra - rouges ، ثم الموجات المرئية من اللون الأحمر إلى البنفسجى ، ثم تلى ذلك الموجات القصيرة غير المرئية ، التى تبدأ من الأشعة فوق البنفسجية وتستمر إلى الأشعة السينية Rayons X وتنتهى بإشعاع الراديوم وبالأشعة الكونية التى كتبنا عنها

وسيتبين للقارئ من استعراض الضوء كظاهرة مادية ما للضوء من ضغط على المادة ، وهو الضغط الذى أمكن حسابه وقياسه ، كل ذلك يقودنا إلى فكرة النسبية وإلى نظرية الكم Quanta اللتين نتناولهما قبل أن نتناول موضوع التفتت الذرى Désintegration وهو الموضوع الذى يتطلب الإنسان من ورائه مستقبلاً أرقى مما وصل إليه ، ويتطلع إلى نوع من المدنية عجيب ، قد يختلف جد الاختلاف عن المدنية التى نستمتع بها اليوم .

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

---

(١) بالأنجليزية Short Wave وبالفرنسية Onde Courte

(٢) يراجع القارئ المحاضرة القيمة لمسيو جيتون Gutton عضو المجمع العلمى الفرنسى التى ألقاها فى الجامعة المصرية منذ عامين والتى نشرت لها خلاصة فى محاضر الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية Proceeding of the Egyptian Math. & Phys. Society



أُمٌّ بلا ولد!

للأستاذ محمد سعيد العريان

كانت خديجة فى الخامسة والعشرين من عمرها ، أو لعلها قد جاوزتها ، وإن كانت تبدو لمن يراها أصغر من ذلك ؛ فهى قد نالت شهادة (المعلّمات) منذ سبع سنين ؛ فكم كانت سنها يومئذ ؟ ... على أن ذلك لم يكن يعنيها كثيراً ، ولعلها لم تشغل نفسها يوماً بحساب عمرها ؛ وماذا يجدى عليها ذلك وإنها لسعيدة بحياتها التى تحيا ؛ فما لها فكر فى غد ولا أمل يمتد إلى ما وراء غد !

وهل يشغل نفسَه بحساب عمره وما مضى من أيامه — إلا ذو أمل يعيش به من يومه فى غده ، أو عاشق تتجاذبه لهفة الذكرى وخطرات المنى ؟

***

منذ سبع سنين لم تغير خديجة شيئاً من نظام حياتها ، فهى تغادر مدرستها كل يوم قبيل العصر بعد أن تودع تلميذاتها وتلاميذها ، لتلقاهم فى صبيحة اليوم التالى أشوق ما تكون أمٌّ إلى بنيها وبناتها !

وفيما بين مسائها وصباحها لم يكن لها من عمل إلا أن تأوى إلى غرفتها تقرأ فى كتاب ، أو تشارك فى عمل هين من أعمال البيت، أو تخرج لزيارة بعض جاراتها وصديقاتها منذ أيام الدراسة؛ فإذا بدا لها يوماً أن تخرج إلى بعض الحدائق العامة للرياضة ، أو تشاهد رواية جديدة فى السيما ، أو تقصد إلى بعض المشاهد التى يؤمها الناس للتفرج ـ فلا بد لها يومئذ من رفيقات أو رفقاء من تلاميذها الصغار فى روضة الأطفال يشاركونها فى الرحلة والتفرج !

على أن هذا الحب العجيب الذى كانت تمنحه هؤلاء الصغار لم يكن بلا جزاء ؛ فقد كان تلاميذها يبادلونها حباً يفوق ما يمنحون آباءهم وأمهاتهم اللائى ولدنهم !

وما كانت خديجة هى المعلمة الوحيدة فى روضة الأطفال؛ فإن سبع معلمات يحملن معها أعباء العمل المدرسى؛ ولكنها هى وحدها — بهذه العواطف الأمومة الصادقة — كانت فى عيون أطفالها هى المعلمة الوحيدة . لا جرم كانت خديجة بذلك أسعد زميلاتها وأكثرهن شعوراً بمسرات الحياة !

***

وغنيت خديجة بدنياها تلك عن المنى والأحلام ؛ فما طوعت لنفسها أن تحلم أو تتمنى ، ولا هجس فى قلبها أن وراء هذه الحياة التى تنعم بهدوئها حياة تتخايل فى أوهام كل فتاة فى فنون وألوان !

وكان صباح ، وجاءها ساعى البريد بخطاب ...

ونظرت الفتاة فى غلافه قبل أن تفضه فأطالت النظر ، وكأنما أحست وراءه عينين تنظران إليها نظرة لم تفهم معناها ولا رأت مثلها لذى عينين ؛ وقرأت على الغلاف : « الآنسة خديجة ... » من يكون صاحب هذا الخط ؟ ... وترددت برهة ، ثم همت أن تفضه لتعرف ما فيه ، ولكنها لم تفعل ؛ لقد خيل إليها أن أربع عشرة عيناً تنظر إليها لتعرف قبلها ما فى هذا الخطاب ؛ إن زميلاتها فى المدرسة على مقربة ! ... وتصنعت عدم المبالاة ووضعت الرسالة فى حقيبتها وما قرأتها ...

ولأول مرة أحست خديجة أنها فى حاجة إلى أن تبتعد عن أطفالها لتخلو إلى نفسها برهة ، وكما تحاول الأم أحياناً أن يبعد عنها أطفالها وهم أحب إلى قلبها لتخفى عنهم بعض أسرار الأمومة، كذلك فعلت خديجة ... !

وأوت إلى ركن قصى تقرأ رسالتها ... ...

« عزيزتى خديجة !

« تُرَى هل تذكرين ؟ أو تعرفين ؟ ...

« إن أياماً لا أتمتع فيها بمرآك ، ليست من الحياة ؛ إن هذا القدر الذى أبعدنى عنك إلى حين ، قد صدع صدعاً فى أيامى !

« وفجأنى الفراق وأنا بين غفوة الأمل وصحوة الحلم ؛ فلم أودعك يا عزيزتى ، ولم أتحدث إليك ، وسافرت وما تدرين ...

« تُرَى بماذا تحدثك نفسك الآن يا عزيزتى ؟ ... ليتنى قريب

منك ، فأرى ، وأسمع ، وأعلم ... بل إننى لأعلمُ علمَ قلبى وإن لم تحدثينى ... وستعرفين عذرى ، وتغفرين لى ... وسنلتقى من بعد يا عزيزتى فأحدثك وتحدثيننى ؛ وأضحك وتضحكين مني حين نتذكر هذا الحاضر بعد أن تطويه الأيام فى مدرجة الماضى ...

« لست أغفر لنفسى ولكنك ستغفرين لى ؛ ويوم يجمعنا القــدرُ الذى فرّق بيننا يا عزيزتى ، ويعود ما كان . . . وأراك . . . ويعود الربيع النضر طلقاً ضاحكا يتهلل . . . يومئذ أقول لك . . . لا ؛ لستُ قائلها اليوم ، ولن أقولها غداً ، سأجعلها رسالة على فم طفل صغير يلثغ بها همساً فى أذنك ؛ فتضحكين ، وأضحك ، ويضحك الطفل الصغير كأمه وأبيه وإن لم يعرف لماذا يضحكان . . . !

« كيف أنت الآن يا عزيزتى ؟ هل رضيتِ وسرّى عنك ؛ إن كان كذلك فاكتبى إلىّ لتهدأ نفسى . . .

« مضى يومان وأنا فى هذا المنأى البعيد كأنهما ليلٌ مطابق ليس وراءه نهار ؛ فكيف تمضى الثلاثون ؟

« ارقبى مطلع الهــلال يا عزيزتى فإنى أرقبه كل مساء لأعرف متى يحين اللقاء !

« وأترك قلبى لديك وديعة إلى معاد ! »

محبك : أمل

***

كانت أناملها باردة كالثلج ، وكانت شفتاها تختلج ، وكانت الصحيفة مبسوطة تحت عينيها ولا تكاد ترى ؛ وأحست فجأة ، وقد بلغت آخر الرسالة ، مثل إحساس من يهبط من علوٍّ شاهق مغمض العينين إلى واد من أودية الجنة كان مخبوءاً عن عينيه فلما وطئته رجلاه فتح فرأى ...

وعادت تقرأ الرسالة ثانية وثالثة ، وكل مرة تجِــدّ لها فكراً وتوقظ معنى ؛ ثم طوت الكتاب برفق وأودعته غلافه ، وراحت تفكر ... وسألت نفسها : « تُرى من هو ؟ وأين هو ؟ ومتى رآنى ؟ وأين ... ؟ »

وتوزعتها الصور والأوهام ، وراحت تكدّ خاطرها ، لتذكر وتعاقبت على مخيلتها صور ورسوم ، ولكنها لم تعرف ... أىّ حيرة ! فتى يبلغ حبها من نفسه هذا المبلغ ، فيكتم هواه عنها وعن

الناس ، ويقنع منها بالنظر على مبعدة وهى لا تدرى ؛ ويطوى جوانحه على ألم الحب ، وبرحاء الوجد ، وشقة النوى ؛ وهى لا تعرف من أمره ، ولا تسمع من خبره ، ولا تحس وقع نظرته ؛ حتى إذا أبعدته بعض شئون الحياة عن طريقها ، وحيل بينه وبين أن يراها ، غلبه الهوى على الكتمان فباح بحبه وأمانيه فى رسالة .

أىُّ فتًى ذاك ؟ وأين مثله فى الشباب ؟ يا له من رجل !

***

وأحست الفتاة بعد فترة ، أنها قد غابت كثيراً عن أطفالها ؛ فأصلحت شأنها وعادت إليهم ؛ ولكن خديجة التى فارقتهم غير خديجة التى عادت ...

... ودق الجرس ، وقامت خديجة لتودّع أطفالها وتمضى لشأنها ، ولكن أين تذهب اليوم ؟

وأخرجت الرسالة من حقيبتها وأخذت تقرأ ...

« عزيزتى خديجة ! »

إنه يعرف اسمها ، على حين لم تكن تعرف اسمه ولا تحس وجودَه ؛ بلى ، وإنها إلى الساعةِ لا تعرف من اسمه إلا الكلمة الواحدة التى جعلها فى ذيل كتابه ؛ وكم مرة رآها ، وأتبعها عينيه ، واستمع إليها تحدّث صواحبها فى الطريق ، وهى لا تدرى .. !

وعادت تقرأ :

« وفجأنى الفراقُ وأنا بين غفوة الأمل وصحوة الحلم ؛ فلم أودّعك يا عزيزتى ، ولم أتحدّث إليك . . . وسافرتُ وما تدرين ... ! »

وخفق قلبها ، وأحست مثلَ إحساس الفارقِ حيلَ بينه وبين الكلمة الأخيرة ؛ وعضت على شفتيها ؛ واستمرت تقرأ وفى قلبها وجيب ، وفى دمها سعار يتلهب !

وجلست خديجة فى الشرفة فى المساء ترقب مطلع الهلال وتحصى ما بقى من ليالى البعاد !

***

تغيرت حياة خديجة بعد ذلك اليوم ؛ فكأنما هى تعيش فى دنيا غير الدنيا التى عرفتها منذ كانت ؛ وتضاعف إحساسها بالحياة مذ عرفت أن وراء اليوم غداً ، ورأت فى عيون أولئك الصغار الذين تعيش معهم نصف حياتها ـ معانى جديدة لم ترها

فى عيونهم من قبل ؛ إذ كانت فى نفسها معانى الأمومة حين نزغ فى قلبها الحب . وعمر ليلها بالأحلام ! ...

ولمحت طفلاً يهمس فى أذن رفيقه ؛ فاشتاقت أن تسمع رسالة على فم طفل صغير يلثغ بها همساً فى أذنها فتضحك ويضحك شخص ثان ... !

ووسع خيالها ما لم يكن يسع !

وتعاقبت الأيام ، والأحلام تطاولها وتمد لها ...

ولما خلت إلى نفسها فى غرفتها بعد أسبوعين من تلك الرسالة، اعترفت لنفسها بصوت مسموع أنها تحبه ، وأنها تكاد تعرفه لو رأته ... بل إنها لتعرفه يقيناً لا شبهة فيه ... هكذا زعمت وهى خالية إلى نفسها تحدثها !

وارتسمت فى خيالها صورة كاملة للرجل الذى جاءتها رسالته ولم تره قط ، ورسمت لنفسها صورة أخرى من خيالها يوم تراه فتعاتبه ثم تصفح عنه !

* * *

وبقى يومان على مطلع الهلال ... ...

وكانت واقفة فى الشرفة تستروح رَوْحَ الربيع ، حين سمعت رنين الجرس ... وكن ثلاثاً من صديقاتها ؛ وجلسن وجلستْ معهن فى غرفة الاستقبال . ومضى الحديث يتنقل من فن إلى فن إلى فنون ...

وقالت واحدة لجارتها : « متى زفاف أخيك ؟ »

قالت : « لقد أذكرتنى أمراً ... فقد أرسل أخى رسالة إلى خطيبته غداة سفره فلم تجبه ؛ فغضب وكتب إلىّ يشكوها ؛ وذهبتُ أزورها أمس فإذا هى غضبانة كذلك ، تشكو إلى أن أخى لم يكتب لها منذ سفره ... أرأيت ... ؟ »

واعتدلت خديجة فى مجلسها وقالت : « عجيبة ! تقولين إنه كتب إليها فلم ترد ؛ ففيم غضبها ؟ »

قالت : « هنا المشكلة ؛ فإن رسالة كامل لم تبلغها ! »

واختلجت خديجة ، وهجس فى نفسها هاجس ، وأردفتْ صديقتها : « وبذلك كتبت إلى أخى ليعرف الحقيقة ! »

واختلجت خديجة ثانية وقالت : « أتعنين ... ؟ »

قالت الفتاة : « أعنى أن رسالته لم تصل إلى خديجة ... ! » ...

* * *

ووضحت الحقيقة كاملة لعينى الفتاة ، وعرفتْ ، واستيقظت من الحلم الرائع الذى عاشت منه عُمراً سعيداً فى أيام ...

ونهضت متثاقلة إلى غرفتها لتفتح حقيبتها فتعود بالرسالة التى ضلت طريقها إلى صاحبتها لتضل هى بها ... ثم دفعتها إلى صديقتها وهى تتمتم معتذرة ... وتهاوت على مقعدها خائرة !

* * *

... وصفا ما بين الحبيبين وفاء قلباهما إلى الرضا ، وتحطم قلب ثالث ...

ولما بصرتْ بهما خديجة بعد أيام يمشيان ذراعاً إلى ذراع ، أتبعتهما عينيها فى ألم ولهفة ، ثم دارت على عقبيها ، ورجعت من حيث أتت

وعادت إلى أطفالها الذين كانوا ، تلتمس بينهم العزاء والسلوى؛ فما وجدتْ أطفالها ولكن أطفالَ الناس !

واستنجدت أمومتها ، فإذا أمومتها التى كانت عدتها من قبل فى تأليف هؤلاء الصغار – هى أمومة الأثِر الغَيْران الذى يتشهى ولا يجد ، ويرجو ولا يجد سبيلاً إلى تحقيق الرجاء !

ونظرت ، فإذا طفلٌ يهمس فى أذن رفيقه ، فابتسمت ؛ ثم قطبت ، ثم مدت يدها إليهما بالعصا !

وهم طفل أن يناديها ، فأخطأ النداء ونطق على عادته : أمى ! فلوت وجهها لتخفى عن أطفالها دمعة !

وأحس الصغار إحساس الطفولة الملهَمة فداروا بها يسألونها عما بها محزونين وفى كل عين دمعة !

ونظرت ثانية ، فابتسمتْ وسُرِّى عنها ؛ ثم ضمت أطفالها إلى صدرها وهى تتمتم :

« لا عَلىَّ يا أحبَّائى ما دمتم معى ! أنتم بنىَّ وبناتى ، وأنا لكم أم ، أم بلا ولد ! »

محمد سعيد العريان



عام الفيل وميلاد الرسول

كتب أستاذ فاضل بتوقيع « قارئ » كلمة فى باب البريد الأدبى من العدد ٣٥٠ من الرسالة ، جاء فيها عدة أسئلة إلىّ بخصوص بعض ما استشكل عليه فهمه فى مبحثى « عام الفيل وميلاد الرسول » المنشور بالعدد ٣٤٨ من الرسالة . والذى أراه أن الروم (البيزانس) كانت معرفتهم ببلاد العرب نظرية، ومن هنا كانت الخطة التى وضعها امبراطورهم جوستنيان مع قواد جيشه بارعة ، كخطة تجرى على خريطة الشرق الأدنى . فقد كان هو سيقوم بمهاجمة تخوم فارس المتصلة بحدود امبراطوريته فى الوقت الذى يتعرض فيه حلفاؤه الأحباش بقوات جسيمة من الجنوب الغربى لفارس ، فيضطر الفرس أمام هذا الهجوم المزدوج أن يقسموا قواتهم ، فيخف مجموعهم أمام الروم ، ويتمكن هؤلاء من ضربهم الضربة القاصمة التى تقضى على نفوذهم خارج بلادهم

وهذه الخطة لو رجعت بها إلى « الخريطة » لوجدتها مهلة ، تدل على براعة ؛ ولكن كل قيمتها تضيع حين تخرج للتطبيق ، فتصطدم بعالم الواقع ، لأن الوضع الاستراتيجى لفارس إزاء الحبشة لا يجعل مجالاً لهجوم كبير عليها ، سواء عن طريق البحر بالتعرض للخليج الفارسى ، أو عن طريق البر بمهاجمة التخوم الفارسية من جهة العراق العربى . ففارس تبعد عن الحبشة بحراً مسافة تتراوح بين ٢٠٠٠ و ٢٥٠٠ كيلومتر ، كما أنها تبعد مسافة ١٠٠٠ كيلومتر وأكثر براً من اليمن قاعدة الأحباش فى بلاد العرب . ونجاح حملة عسكرية على فارس تهاجمها من جهة البحر ، تحتاج على أقل تقدير إلى مائة ألف مقاتل ، وبالتالى إلى أكثر من ألف سفينة تنقلهم إلى الشواطئ الفارسية . ولم يكن الروم ولا الأحباش ولا الاثنان مجتمعين يمتلكون مثل هذا الأسطول الضخم فى البحر الأحمر والمحيط الهندى . ومن هنا كانت فكرة مهاجمة فارس بحراً غير ممكنة . ولا تناقض فى هذا القول مع القول بنقل الروم بأسطولهم الصغير فى البحر الأحمر قوات الأحباش إلى اليمن ، وهى قوات لم تزد على بضعة آلاف تقدمت لسواحل اليمن واحتلتها، وبقيت تنتظر تجريدات وإمدادات أخرى، كان هذا الأسطول الصغير ينقلها من الحين للحين، من الساحل الإفريقى المواجه لليمن ، إلى اليمن. ولا شك عندى أن اليمن لو كانت متحدة، ولو لم يكن النزاع يأكلها والصراع على أشده بين أقيالها وبينهم وبين مليكهم ، لما نجح الأحباش فى فتحها والاستيلاء عليها بقوات صغيرة . وفى هذا حل للاشكال الثانى الذى استشكله « قارئ » . أما نجاح الهجوم الحبشى براً ، فقد كانت تضاريس الجزيرة لا تجعله ممكناً ؛ والأحباش كانوا يعرفون هذا لدرايتهم بشؤون الجزيرة من الوجهة العسكرية عن طريق التجارب ، إذ كانوا يجردون التجريدات العسكرية على نجران بين الحين والحين لإخضاع القبائل الثائرة ، ومن هنا كانت الصعوبات التى يلقونها مضرب المثل . فلا عجب إذا كانت فكرة الأحباش أقرب إلى الواقع من فكرة الروم ، رغم تفوق الروم عليهم فى المعارف والأفكار . ولا يبعد أن يكون الروم لا يجهلون هذه الصعاب ، ولكن الحرب التى طالت بينهم وبين الفرس ، جعلتهم يتعلقون بالأوهام والخيالات علّها تأتيهم بمخرج مما هم فيه . وهذا الموقف تجد له شبيهاً اليوم فى الأحلام التى تداعب رأس هتلر ، فى إمكان مهاجمة حلفائه الروس الهند وضربهم انجلترة فيها ، مع أن هذا الحلم دون تحقيقه من الصعوبات ما لا يغيب على أحد ، والهنود يعرفون اليوم استحالته ، والألمان تدفعهم الرغبة لتحطيم بريطانيا لتصوره ، بل وتصور نجاحه . وهذا لا يضعف بأى حال من الأحوال من ثقافتهم وعلومهم التى جعلتهم متفوقين على معظم أمم الأرض . فإذا وضعنا هذا موضع النظر فإن الإشكال الأول يزول من نفسه ، خصوصاً إذا عرفنا أن معنا حكم التاريخ الحاضر وليس الماضى

بقى أن الفاضل « قارئ » لاحظ أننى قلت فى صدر بحثى أن بروكوب اليونانى تكلم عن تعرض الأحباش للحجاز بتحريض الروم ، مع أن الأحباش لم يكن قصدهم التعرض للحجاز بل مساعدة الروم . وهذا صحيح ، ولكن كما قلت (ص ٤٥١ عمود ٢ من العدد ٣٤٨ من الرسالة) إن إلحاح الروم على النجاشى اضطره أن يأمر عامله على اليمن بالتحرك شمالاً ومهاجمة التخوم الفارسية ،

ولما كان الطريق الطبيعي إلى هذه التخوم يمر بأرض الحجاز، فإن القوات الحبشية قد ابتلاها الله بالجدري الذي فتك بجندها فاضطروا إلى الرجوع والاعتذار للروم عن تقديم المساعدة إليهم. وتكون بذلك حملة مساعدة الروم وقفت عند حد التعرض للحجاز، ولم تتجاوزها إلى ما بعدها، فاتخذت في الظاهر شكل حملة على الحجاز، وكان العنصر المحرض فيها الروم، بدون أن يكون الغرض منها الحجاز نفسها في حال من الأحوال. وكان يحسن بقارئ أن يراجع نصوص بروكوب وشروح نولدكه وكايتاني وملاحظاتي على هذه الشروح في المصادر التي أثبتها في هوامش البحث، وفيها سيجد أن بروكوب يقدر أن الأحباش بتحريض الروم، حاولوا مساعدة جوستنيان بمهاجمة فارس، غير أن محاولتهم وقفت عند حد الحجاز فلم تتعدها، وهـذا هو تفسير الكلام، وليس فيه تناقض ولا تضارب مع ما يجيء بعده

اسماعيل أحمد أدهم

أبيات في ديوان اسماعيل صبري ليست له

في ديوان المرحوم اسماعيل صبري باشا الذي طبعته ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر مقطوعة في وصف النيل وردت في صفحة ١٣٠ منسوبة إلى الشاعر وهي لابن خروف النحوي المشهور نظمها حينما وفد إلى مصر ورأى نيلها الميمون.

قال الأستاذ الباحث الشيخ محمد الطنطاوي المدرس في كلية اللغة العربية في كتابه «نشأة النحو» صفحة ١١١: ومن شعره (يعني ابن خروف أبا الحسن الأشبيلي المتوفى سنة ٦٠٣) في وصف نيل مصر:

ما أعجب النيل ما أحلى شمائله ... في ضفتيه من الأشجار أدواح
من جنة الخلد فياض على ترع ... تهب فيها هبوب الريح أرواح
ليست زيادته ماء كما زعموا ... وإنما هي أرزاق وأرباح

والمقطوعة برمتها موجودة في كتاب «بغية الوعاة في طبقات النحاة» للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ

فننبه اللجنة الموقرة إذا قامت بطبع الديوان مرة أخرى أن تلتفت إلى تلك الحقيقة.

زكريا علي عبد الله
كلية اللغة العربية

وفاة الأستاذ المستشرق مرجليوث

نعت أخبار لندن في الأسبوع الماضي المستشرق الإنجليزي الشهور الأستاذ مرجليوث.

وقد تلقى علومه في جامعة أكسفورد وتولى تعليم العربية فيها من سنة ١٨٨٩. وقد نشر كتباً عربية هامة، منها معجم الأدباء لياقوت، كما نشر رسائل أبي العلاء مع ترجمتها إلى الإنجليزية. ونشر آثاراً عربية مختلفة تاريخية وشعرية، منها قطعة بردى عربية كانت في مكتبة أكسفورد. وألف في مشاهد أورشليم ودمشق كتاباً، وكتاباً آخر بالإنجليزية في السيرة النبوية

والأستاذ مرجليوث من علماء المستشرقين الأفذاذ الذين يعتز أهل العربية بما أدوا إلى لغتهم

نشر المودة بين العالم

ألقى الأستاذ كاتسفليس وكيل جمعية «الأصدقاء في العالم» محاضرة في قاعة «بابازيان» بالأسكندرية استهلها بقوله: إن من يدقق النظر في العالم يدهشه أمران: أولهما تعدد أسباب الموت والفناء من جراء الأعراض الطبيعية مثل البراكين والزلازل والعواصف والأمراض والوحوش المفترسة وغيرها. وثانيهما: ثبات الحياة وتغلبها على عوامل الفناء. ومما يلفت النظر أن ذوات الأجسام الضئيلة كالنمل والذباب تجد أسباب معيشتها على الرغم من وجود أعداء لها أكثر منها قوة وبطشاً

ويتحقق هذا أيضاً في الحياة الاجتماعية، إذ أن كثيراً من ضعفاء الأجسام والعقول يجدون طرق المعيشة إلى أمد طويل، في حين أن المتعلمين وأقوياء الإرادة يصعب عليهم أحياناً أن يجدوها

وهكذا، فإن الأمل لا يمكن ملاشاته من قلب الإنسان. وقد شوهد في جزيرة صقلية وغيرها، حيث قضت الزلازل على مئات الألوف من السكان، أن الذين ظلوا على قيد الحياة منهم سرعان ما أعادوا بناء منازلهم في الحال، وعلى مقربة من البركان الذي كان سبب الكارثة. وهذا ما حدث أيضاً في بلاد الصين واليابان وسواهما

ثم استطرد المحاضر فقال: إن الذي نستخلصه من ذلك هو أن قوة الحياة تتغلب على القوى الأخرى المضادة لها، وأن الأمر

يجرى على هذا النمط فى المجتمع الإنسانى ، فإن قوة المودة ستنتصر فى النهاية ، على الرغم من وجود أسباب الخصام والشرور والحروب والمنازعات . على أنه يجب بث هذه الفكرة ، فكرة المودة والمصافاة ، وتمهيد الطريق لها

ولهذا الغرض قد تأسست « جمعية الأصدقاء فى العالم » ، وجمعيات أخرى مماثلة لها

وقال : إن كثيراً من الناس يحبذون فكرة جمعية « الأصدقاء فى العالم » ولكنهم يقولون بأن تحقيق أمانيها مستحيل ، لأن الناس كانوا منذ بدء الحياة وعلى تعاقب الأجيال فى خلاف وحروب مستمرة

ولكننا نؤكد أنه ما دامت الإنسانية قد فازت على الطبيعة، وحققت التقدم المادى بالاختراعات والاستكشافات : كالطيران والإضاءة الكهربائية والراديو وغيرها ، فلا شك فى أنها جديرة بتحقيق التمدن الأدبى وهو الأهم ، ولهذا السبب ، أى لكونه الأهم، فإنه سيستغرق وقتاً أطول مما استغرقه التمدن المادى، إذ أنه يستلزم كفاح النفس ضد شهواتها وميولها . وهذا الكفاح صعب على الطبيعة البشرية ، ولكنه ليس من المستحيل . والبرهان على ذلك وجود كثير ممن فازوا وتغلبوا على ميولهم الأولى كالغضب والبخل ، وأصبحوا بكفاحهم الداخلى ذوى حلم وكرم

وانتقل المحاضر إلى القول بأن المساعى لم تنجح حتى الآن فى نشر لواء السلام ، لأن الداعين إليه يريدون تأسيسه على الماديات فقط لا على ما تكنه الصدور ، أعنى على القلب

ثم ختم محاضرته بقوله :

« إذا سقط رجل فى الشارع مصاباً بصدمة سيارة وشهده جمع من المارة ، ألا يتهافتون لمساعدته شفقة عليه دون أن يعنيهم مذهبه أو جنسه أو لأى حزب سياسى ينتمى ؟ »

فهذا يدل بلا شك على أن هناك شعوراً مكنوناً فى صدر الإنسان، وفى أعماق قلبه يمكن بوساطته التفاهم، وإيجاد المحبة بين الجميع . ذلك الشعور هو الأساس الذى يجب أن ينشأ عليه العالم الجديد الذى تسمى إليه جمعيتنا ، ذلك هو عالم المودة والوفاق والرقى الأدبى والروحى ، أى التمدن الحقيقى

وإذا اعترض أحد قائلاً : « ما هى فائدتى الشخصية فى السعى لإيجاد المودة بين الناس كما تقترحه على جمعيتكم ؟ » لأجبته قائلاً : « لأنك لو حققت السلم فى الوسط الذى أنت فيه لعرفت ما هى نفسك التى تجهلها الآن ، ولوجدت فى أعماقها ينبوع الحياة والسعادة التى لا تزول »

نقد وتصويب

تحت هذا العنوان لفت نظرى الأستاذ الفاضل أبو الفضل السباعى ناصف ، إلى بيت فى قصيدة الذكرى ندّ عن الوزن المعروف، وأبى إلا أن يمن فى كرمه فأزاح علة الشعر وأصلح زيفه .

وعذرى أننى مع دراستى الوافية للعروض لا أعتمد عليه بتاتاً فى الوزن ، بل أستشير أذنى مساوقاً للنغمات الموسيقية ، وهى حال قد يضل معها الإنسان أحياناً وبخاصة إذا كان قد نال منه الجهد

وإنى لأشكر للأستاذ جميل ثنائه وجم أدبه ورقيق إرشاده وبارع علاجه ، والسلام عليه ورحمة الله

على الجندى

رأى الأستاذ النشاشيبى فى نهج البلاغة أيضاً

سيدى الأستاذ الجليل محمد إسعاف النشاشيبى المحترم

تحية العروبة والإسلام

أما بعد فقد تفضل الأستاذ الكبير صاحب الرسالة الهادية المهدية فأدرج لى فى (البريد الأدبى) من العدد الـ ٣٤٦ كلمة صغيرة رجوته فيها نشر مافى تضاعيف كتابيكم الثمينين : (الإسلام الصحيح ، وكلمة فى اللغة العربية) مما يخص (نهج البلاغة) ، لأن الكتاب الأول ممنوع فى العراق ، والكتاب الثانى نادر الوجود عندنا وذلك تطميناً لرغبتنا الصادقة فى الاطلاع على رأيكم فى (النهج)

وفى نشر الأستاذ (الزيات) لكلمتى دون مقالتكم دعوة ضمنية لحضرتكم إلى تلبية طلبنا بنفسكم ، فأنتم صاحب المقالة ولكم الحق الأول فى نشرها وعدمه

وقد صدر بعد العدد الـ ٣٤٦ ثلاثة أعداد ولم نُتْحَف بمقالتكم ، كما لم نتلقّ من حضرتكم كلمة فى الجواب على رجائنا وهذا يحملنا على التساؤل : تُرى لماذا امتنع أستاذنا الجليل

للعلامة النشاشيبي عن نشر مقالته في (النهج) ؟

هل تراءت له جوانب جديدة في التحقيق ـ وهو هو المحقق الدقق الثبت الأمين ـ تنسف ، أو تلطف من حدة تلك المقالة فلم يشأ أن يدوس على وجدانه العلمي فينشر رأياً في مسئلة خطيرة لا يؤمن به — الرأي — الإيمان كله .؟

أم هل خشي النقد — ونريد من النقد هنا النزيه الخالص لوجه العلم والحقيقة لا يدلف إلى سواهما — يطلع به عليه بعض علماء العراق بعد أن يكونوا قد وقفوا على مقالته ؟

إن كانت الأولى : فإن واجب العلم والإخلاص له يحتمان على حامله ألا يتخاف لحظة في نشر ما يتوفق إليه من تصحيح أو تنقيح لآراء خطيرة سبق أن أذاعها وبسطها إلى الملأ من الناس ، وأديب العربية الفذ الأستاذ النشاشيبي ، والحمد لله ، من علمائنا الذين لا يدعون الكمال — إذ الكمال لله وحده — ويعترفون بما قد يقعون فيه من خطأ عن غير عمد (بالطبع) ، والذين لا يبخلون قط في الإفاضة من علمهم الغزير بأسلوب هو غاية في الروعة والتواضع وكرم النفس ، وقراء الرسالة المدمنون على حرثها والإفادة منها يعرفون جيداً هذه الخلة في أستاذنا الجليل (صاحب التواقيع المستعارة العديدة)

وإن كانت الثانية : فإن عهدنا بالنشاشيبي — ذلك الأديب الألمعي الفحل الصريح الشجاع المرفوع الرأس — لا يخاف في الحق — الذي يؤمن به — لومة لائم ، أو نقد ناقد ، أو تحامل جاهل

فكيف إذن نوفق يا أستاذ بين هذا وذاك ؟ ؟

وكيف نفسر عدم إجابتكم لرغبتنا الشديدة في نشر مقالتكم الخطيرة القيمة عن « نهج البلاغة » ، في مجلة العروبة والإسلام المفضلة « الرسالة » الغراء ؟ ؟

لعلنا نحظى بالجواب ...

مشكور الاسدى

عضو جمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف الأشرف

« وحي الرسالة » في رأي سيدة فاضلة

سيدي حضرة الكاتب الألمعي الأكبر الأستاذ الزيات :

كبرت مكانتكم الأبوية في نفسي ، فهي لك فيها ولاء وعلى لساني دعاء ... وبعد ، فقد خرج سفرك القيم ، وقرأه كل المعجبين به وبك إلا التي كان يجب أن تكون أول من تقرؤه ، ولكن حظي السعيد أبى حرماني التمتع بحكمه البليغة ، فقرأت منه ما قرأت ، وإذا بي بين « وحي الرسالة » ، وقد جاء طرفة هي في معانيها طرف عِدّة وتحفة في مجاليها تزداد على الزمن طرافة وجدّة . وإذا به خرج مخرج صدق في هذه الفترة التي ندر فيها من يعالج أدبنا واجتماعياتنا، وفتر وحي القرائح الخصيبة في دقائقها، وشحت الملكات المجيبة بأسرارها ، فكان كالمنبهة لأهل البصر بهما معاً ، والحذاقة فيهما أن يشحذوا هممهم من كلالها ، ويبرئوا ذمتهم من تبعة إهمالها، ويدأبوا دأبهم على خدمتهما، تارة بالتأليف يراجعون به ما انقطع، وأخرى بابتكار الجديد من عوامل النهضة بهما

وقصارى القول أنك فيه لم تدع غاية في التحقيق إلا ابتكرتها، ولا نهاية في التدقيق إلا استبقتها

ولقد عبرت كتابك هذا عبرة ، وجمته لفظاً ومعنى بنظرة ، فإذا لمحات من التحقيق لفن الذوق الأدبي تطبع على غراره الملكات فيكون فيها بلاغة فوق البلاغة ، وبياناً أسمى من البيان

فلك الشكر المثنى كفاء ما جهدت في عملك ، والله المسئول أن ينفع به قارئيه ويكثر في المؤلفين من أمثالك بمنه ويمنه وتوفيقه والسلام ...

المخلصة

وداد صادق عنبر

ذكرى الشاعر المصري اسماعيل صبري باشا

فكر قسم المحاضرات بجماعة الإخوان المسلمين بالمنصورة أن يحيي ذكرى الشاعر المصري الجليل « أستاذ الشعراء » المرحوم إسماعيل صبري باشا بمناسبة ذكرى وفاته في مارس سنة ١٩٢٣

ورغبة في أن يكون للحفل من الجلال : بما يتناسب مع عظم الفقيد المعظم لهذا نتوجه إلى أبناء الدقهلية عموماً وشعرائها وأهل العلم والفضل فيها أن يكتبوا باسم « الأستاذ ابراهيم عبد الوهاب » الإخوان المسلمين . المنصورة . بما تجود به قرائحهم من قصائد أو بحوث أو أفكار ليتسنى للجنة التي ستجتمع بعد خمسة عشر يوماً أن تقرر منهج الحفل وموعده ثم ندعو حضرات الأدباء والشعراء لإلقاء كلماتهم

ولنا كبير الأمل أن نجد للربيع الذي نستقبله والذي كان الشاعر الفقيد خير لسان له الأثر المرجو .

والله أكبر ولله الحمد .

ربيع ١٩٤٠

يوم الاثنين أول ابريل

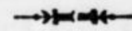




نشأة النحو

تأليف الأستاذ محمد الطنطاوى

بقلم الأستاذ محمود مصطفى



هذا أول كتاب من نوعه فيما أعلم ؛ إذ قد جرت العادة فى الكتب التى تؤرخ فيها العلوم والآداب ، أن يشغل الحديث فيها عن كل فن أو علم بضع صفحات يلم فيها المؤلف بمجمل من تاريخ ذلك العلم أو الفن . فأما أن يملأ الحديث عن علم واحد كتاباً تصل صفحاته إلى الخمسين بعد المائة من القطع الكبير فذلك ما لم نعهده قبل أن يخرج إلينا الأستاذ الجليل والعالم الفضال صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطنطاوى المدرس بكلية اللغة العربية كتابه « نشأة النحو »

والحق أن هذه التسمية « نشأة النحو » تسمية يتجلى فيها التواضع العلمى تمام التجلى فالكتاب ليس عن نشأة النحو فحسب ولكنه يتناول نشأته ودروجه ثم شبابه وكهولته ثم شيخوخته وهرمه وليس ذلك فى قطر واحد من الأقطار العربية ، بل هو حديث مفصل من كل هذه الأطوار فى كل قطر من الأقطار . حديث يتناول المذاهب واختلافها وأسباب نشوئها وعلل تمايزها وينوه بالأعلام من رجالها وما كان لهم من آثار بارزة فى خدمة علمهم وتجلية غامضه وتسهيل سبله

قد يتناول الباحث فى تاريخ العلوم والآداب دراسة علم أو فن لم يدرسه دراسة وافية مستوعبة ولم يكن له به صلة وثيقة ، فيكون همه جمع ما كتبه الكاتبون من ذلك العلم وترتيب أقوالهم بما يملك من قدرة على التقسيم والتبويب ، فيخرج عمله معجباً من يطلع عليه ، مرضياً من يريد الوقوف على تدرج هذا العلم وتسلسل أطواره ، ولكنه مع ذلك لا يستطيع أن يكشف عن أسرار العلم كما يكشف عنها عالم مارسه ودرس كتبه وألم بمسائله وأطال مناقشتها ووازن بين أقوال العلماء فيها ، وتكونت له ملكة الحكم وبيان الصحيح الجيد من الزائف البهرج . وذلك شأن مؤلفنا الفاضل فى هذا الكتاب . فهو إذا وازن بين قولين رأيت الحجة فى قوله واضحة المحجة ، والبرهان يدعم البرهان؛ كالبنيان يشد البنيان . وكذلك من فضل العالم الذى يؤلف لعلمه أن ترى أثر الاجتهاد ظاهراً فى بحثه فهو يضيف إلى أقوال السابقين ما يصبح مادة جديدة فى البحث، والفضل فى ذلك راجع إلى هداية الفكر الصائب والذهن الواعى لمسائل العلم ومباحثه المتشعبة

وفى هذا الكتاب نجد الأستاذ الطنطاوى ظاهراً موازياً تمام الموازاة لآثار السلف الذين نذكر لهم صنيعهم بالشكر ، فقد ذكر المؤلف حفظه الله كثيراً من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين وتلك مسألة ألف القدماء فيها الكتب وأحصوا فيها كل ما كان من ذلك بين أهل المذهبين ، ولكن المؤلف حفظه الله لم يشأ أن يكون ناقلاً فحسب بل إنه وازن بين المذهبين وكانت له بينهما جولة رجح فيها بحق مذهب البصريين على الكوفيين داعماً قوله بالشواهد الصحيحة والعلل المقبولة فكان الناقد الألمعى والحكم الرضى . كذلك تراه يعرض لأثر البغداديين أو المغاربة فى علم النحو فيجمع من آرائهم التى اشتغلوا بها، ما تفرق فى ثنايا الكتب مما لم يعن أحد قبل الشيخ الطنطاوى بجمعه وضم شتاته ، فهذا مظهر من مظاهر الاستقلال فى التأليف نذكره لصديقنا بالإعجاب الفائق

وبعد فكتاب (نشأة النحو) سجل واف لتاريخ هذا العلم منذ فكر فى وضعه الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه إلى أن انتهى المتأخرون من تنسيقه وتبويبه فلم يتركوا بعدهم مجالاً لقائل إلا أن يكون فى مثل فضل الأستاذ الطنطاوى الذى أرخ لدولة النحو من بدئها إلى ختامها تاريخاً لم يغادر من أمرها صغيراً ولا كبيراً إلا أحصاه ، فالله يتولاه ويمنحه على هذا الجهد المشكور أتم رضاه وأجزل نعماه .

محمود مصطفى
المدرس فى كلية اللغة العربية



8me Année No. 353 — Lundi - 8 - 4 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٥٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ صفر سنة ١٣٥٩ — الموافق ٨ أبريل سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهرس

خواطر يثيرها سائل

للأستاذ عبد المنعم خلاف

الى السائل المجهول فى بيروت

أحسب أن ما عندك من العلم والرأى كفيل أن يردك إلى الاطمئنان متى حرصت على أن ترى دائماً بدهيات الحياة ولا تنساها ، وعلى ألا تترك النظرات الفلسفية الشاردة تقودك إلى الخروج عن حدود الواقع المملى الذى لا ترى غيره فى الحياة متسلطاً على عقول الناس .

إن النظرات الأولية للحياة ، هى التى تفرض علينا الإيمان ، فإذا جاوزناها ، لا بد أن يكون لنا من القدرة على الرجوع إليها ما يضمن لنا الاعتصام بصخرة النجاة والطمأنينة على الحياة وقيمتنا فيها .

وينبغى لرجل الفكر أن يتذكر دائماً أن إنكار وجود الله ، أو القيمة السامية لحياة الإنسان هنا ، أو المصير السامى لحياته الأخرى هناك : معناه تخبيل العقل وتشريده . ولئن كان فى الإثبات بعض الإشكال عند من لم يتصل بأصول الحياة ، ففى الإنكار كل الإشكال .

وأمامك فرصة من التسامح المطلق لتوازن بين فكرتى

الإثبات والإنكار ؛ وأنت مجرد من أي تأثير نحو إحداهما ، لترى النتائج العملية لكل منهما .

وعلى هذا ، هب أن كل ما فى نفسك من الإيمان تحول إلى كفر ونكران ، وكل ما فى خلقك من البراءة والطهر تحول إلى نجس وعهر ؛ أفتتخيل أنك واجد الطمأنينة والسعادة ووضوح الحياة بعد هذا التحول ؟ لا شك أن مثلك يجيب : كلا ... ذلك لأن الكفر المبنى على فكر ، ليس معه طمأنينة ولا استقرار على شيء ، بل هو فى ذاته كل القلق وكل الضياع الذى يجعل الإنسان فى الحياة كطائر فى قفص يرى قضبانه محكمة متينة ، ومع ذلك يطفر ويحاول تحطيمها والانطلاق منها ، وليس له على ذلك طاقة ، « ولن نعجزه هرباً » .

فالإيمان ضرورة فكرية للراحة فى الحياة قبل أن يكون تقليداً موروثاً عن الأم والأب والبيئة . ثم إن حياة الإثم والانطلاق وراء الشهوات والآثام ليست مبعث سعادة عند ذوى الأفكار ولا عند الأغرار والسفهاء أنفسهم . واسألهم ينبئوك أنها ظمأ لا يرتوى . دع عنك عقابيلها من الأوجاع والضياع ؛ ولا يمكن للجماعة أن تقرها ، لا لأن الدين ينهى عنها بل لأن حياة الاجتماع تأباها وتعلن الحرب عليها بعد أن اختبرت نتائجها السيئة

فالدين لم ينزل بالفضيلة من السماء ، وإنما الاجتماع الإنسانى هو الذى قررها . ثم جاء الوحى فأقرها ، لأن الحسن والقبح عقليان يدركان بالعقل قبل الوحى ، ولذلك عبر القرآن عن الحسن والقبيح « بالمعروف » و « المنكر » أى ما يتعارفه الناس ، وما ينكرونه بطبائعهم العامة وأذواقهم المشتركة

ثم الواقع أن الخير الشخصى جزاؤه فيه والشر الشخصى جزاؤه فيه فى هذه الدنيا قبل الآخرة . وكذلك الخير الاجتماعى والشر الاجتماعى جزاؤهما معهما فى هذه الحياة إذا ما كان المجتمع حارساً متيقظاً لحقوقه وواجباته

هذا دفاع سلبى عن فكرة الإيمان بالله وفكرة الخير كأصل من أصول الحياة الاجتماعية . وقد سبق لى فى العام الماضى أن كتبت فى هذه المجلة سلسلة مقالات فى الإيمان كحقيقة من الحقائق العليا فى الحياة ، وعرضت فيها الكثير من القضايا والشبه التى تشغل بالك وأوردتها فى كتابك الأخير إلىّ ، فأرجو أن ترجع إليها فلعل ما فيها وما أنا بسبيله الآن يقع من قلبك الموقع المأمول

إن الذى عنانى أكثر من غيره مما أوردته فى كتابك هو شكك فى القيمة السامية للإنسان ومحاولتك أن تجعل حياته كحياة النبات والحيوان والحشرات : ليست أكثر من ظواهر طبيعية ودورات أبدية تأتى بها أيام وتذهب بها أيام

ومعرفة قيمة الإنسان هى فى رأيى أول المعانى الدينية ؛ لأن الذى يذهل عن قيمة حياة الإنسان لا يمكن أن يتيقظ لشيء آخر . فلن يفكر فى الكون ولا خالقه . فالذى لا يسترعى انتباهه هذا الجسم المتحرك المريد الناطق المتنوع الفكر لا يمكن أن ينتبه للصمت المطلق والسكون المطلق والاطراد المطلق فى الطبيعة . ودع ما وراءها من العالم الخفى الذى لا يناله الإنسان بالحواس ...

وأسألك : هل رأيت نوعاً آخر متسلطاً على الأرض يغيّر أوضاعها ويتصرف فى موادها ويسخر قواها وينقح الطبيعة ، يزيد فيها وينقص منها ، متنوع المرافق متجدد الأفكار ، له حياة فكرية وقلبية تكاد تكون لا حدود لمظاهرها ؟

وهل رأيت غير الإنسان اخترع شيئاً يزيد عن ضرورات حفظ حياته ؟ هل رأيته يكتب تاريخه أو يتطلع لمستقبله ، أو يركب آلات معقدة ، أو يغنى أغانى مُفَنَّنَة ، أو يستخرج أصواتاً موسيقية من الجلد والخشب والمعادن ، أو يقيم أهراماً وعمارات ذات أرصاد وأوضاع محبوكة وفنون بارعة ؟

وهل رأيت نوعاً آخر اخترع طيارة وسيارة وراديو وتلغراف وتليفون وتلفزيون وغيرها وغيرها مما يصيد به الأصوات ويقتنص الأضواء والمسافات ؟

ثم هل رأيت نوعاً آخر يسكر « ويحشش » ويدخن « ويشم » ويقامر ويقيم مهازل ومساخر بذكاء ومهارة ؟ هل رأيت غيره يزارع ويتاجر ويضارب بعمليات اقتصادية معقدة غاية التعقيد ؟

هل رأيت غيره يحارب بآلات كلها إبداع وبراعة تكاد تجعلها عند المتطلعين لما يولد فى الكون من عجائب والمتوسمين لما فى حياة الإنسان من بدع ، فرجة من فرج القلوب تعلى شأن الحروب ؟!

تخيل جميع الأساطيل الجوية والبحرية وجميع الجيوش البرية انطلقت فى الجو والبحر والبر ، يعبئها ويزجيها وينسقها الإنسان ذو الجمجمة العجيبة ... تملأ الأثير بلمحات فكره وومضات خواطره لتعلم أىُّ فن إلـهى هذا الإنسان المخلوق من ماء مهين !

[البقية على صفحة ٦٣٩]

عقيدة النازى المالية

للأستاذ عباس محمود العقاد

قرأت فى العدد السابق من الرسالة مقالاً عن عقيدة النازى المالية أو عن فلسفة النازيين فى علم الاقتصاد للأستاذ جواد على العراق « خريج جامعة هامبرك بألمانيا » فرأيت عرضاً صحيحاً لتلك الفلسفة من جانب واحد وهو الجانب الذى يكتبه النازيون ليبقى حبراً على ورق أو لينشروا به الدعوة ويكسبوا به الأنصار

ولهذا وجب أن نلم بتلك الفلسفة من جانبها العملى الواقعى تصحيحاً للآراء فيها وبياناً للحقيقة عن مقاصد أتباعها وأعمال المبشرين بها . فإن الجانب المكتوب والجانب المعمول من فلسفة النازيين الاقتصادية يختلفان كثيراً فيما هو حادث الآن ، بل يتناقضان كل التناقض فى أكثر الأحيان

مثال ذلك يقول الأستاذ جواد فى تلخيص بعض المبادئ النازية إنهم : « لإنقاذ الشعب والحكومة من عبودية الربا وجب تنظيم الأرباح على قاعدة الربح على قدر العمل، والقضاء على بيوتات البيع الكبرى والشركات الاحتكارية. وتقسيمها إلى محال صغيرة، فنحو مائة ألف إسكاف خير من وجود خمس شركات كبرى ، لأن من طبيعة المحال الكبرى الميل إلى الأرباح دون الالتفات إلى التحسين . . . أما التجارة الخارجية للشعب فيجب أن تشرف عليها الدولة كذلك وتحدد أسعارها . وتقوم بذلك الدول فيما بينها بعقد معاهدات تجارية حسب رغبات الدول وحاجاتها لا على قواعد علم الاقتصاد ومبادئ حرية التجارة أو المبادئ المالية الأخرى » .

هذا ما يقولون عن الأرباح ، وشركات الاحتكار . أما ما يعملون فهو تسليم شركات الاحتكار زمام التجارة والثروة فى جميع مرافق البلاد . فإن مديرى « الغرف الاقتصادية » المشرفين كذلك على فروع الصناعة والتجارة هم جميعاً من رجال الاحتكار المعدودين كالهر كارشر Herr Karcher مدير المصانع فى إقليم السار الذى اشتهر بالقسوة البالغة على العمال ، وكالمصرفى البارون فون شرودر Baron von Schroeder مدير غرفة أقاليم الرين ، وكالهر بيتزش Herr Pietzch مندوب الشركات الكيمية ومدير الغرفة الاقتصادية فى بافاريا . . وقس على ذلك سائر المديرين

وقد أصدر النازيون قانوناً سموه قانون إصلاح السهوم Akiensrechtsreform أو حصص الشركات حرموا فيه بقاء الشركات التى يقل رأس مالها عن مائة ألف مارك بعد نهاية سنة ١٩٤٠، ولم يوجبوا التصفية على الشركات التى يبلغ رأس مالها خمسمائة ألف مارك بل أوجبوا على كل شركة تؤلف بعد التاريخ المحدود ألا يقل رأس مالها عن ذلك المقدار

وكان النازيون يقولون قبل ولاية الحكم إنهم سيضمون أيدى الحكومة على المصارف ، ويمنعون الاتجار بمناصب الإدارة فيها، فصنعوا نقيض ما دعوا إليه وباعوا المصارف مرة أخرى جميع الحصص التى كانت الحكومات السابقة قد اشترتها منها تدعيما لرؤوس أموالها ومساعدة لها على مقاومة الصدمات التى استهدفت لها فى أيام الكساد ، وهذا ما حدث فى مصرف الدينش Deutsche Bank ومصرف درسدنر Dresdner Bank ومصرف التجارة Commerz und Privat Bank وغيرها من المصارف الكبيرة والصغيرة .

وكان المستشار برونينج Bruning قد أعلن فى مرسوم الطوارئ الذى صدر فى الحادى والثلاثين من شهر اكتوبر سنة ١٩٣١ ضرورة النقص من مكافآت رجال الإدارة والرقابة على الشركات والمصارف . فلم يزد النازيون فى المادة الثامنة والسبعين من قانونهم على الوعد بأن تكون « المكافآت مناسبة للأعمال التى يؤديها المديرون والمراقبون » ثم اكتفوا بتحريم الاشتراك فى أكثر من عشرة مكاتب للشركات والهيئات الاقتصادية من جهة المبدأ ... ومعنى « من جهة المبدأ » هذه أن الاشتراك فى أكثر من عشرة مكاتب جائز من جهة الواقع . مع أنها لو حرمت الاشتراك فى أكثر من ذلك العدد تحريماً باتاً لما صنعت شيئاً فيما زعمته إصلاحاً تحتاج إليه تلك البلاد

وعلى خلاف ما أذاعوه عن مكافحة الاحتكار أصبح المحتكرون وهم مالكون لزمام التجارة الخارجية فى كثير من الأقطار . فمقد الهر أوتو ولف Herr Otto Wolff اتفاقاً مع حكومة منشوكيو

بلسم المحتكرين للحديد فى ألمانيا الغربية يفرضون تلك الحكومة بموجبه مليونى جنيه ، ويشترطون عليها فيه أن تقصر الشراء عليهم دون سائر الشركات ، وكذلك انعقد الاتفاق بين مصانع كروب وبين اليابانيين على أمثال هذه الشروط

* * *

ويقول الأستاذ جواد: إن الهتلرية رأت «أن خير حل لمشكلة العمل والعمال هو الاعتراف بمبدأ الملكية الشخصية ورأس المال ، ولكنها ترى أن صاحب المال أو العمل من جهة أخرى هو مدير لماله أو لعمله ، أو قائد يتصرف به وفق الأنظمة والقوانين والطرق الشرعية الشريفة ... وكل من يحاول استغلال ماله عن طريق يخالف مبادئ النازية يكون نصيبه العقاب الصارم أو الإعدام .. »

وهذا أيضاً من الحبر على الورق الذى لا أثر له فى عالم الواقع . فقد سمعنا عن ألوف العمال الذين قتلوا بمحاكمة أو بغير محاكمة ، والذين أرسلوا إلى معسكرات الاعتقال أو حرموا العمل فى أنحاء البلاد كافة لأنهم يطالبون بحقوقهم أصحاب المصانع والشركات، ولكننا لم نسمع بصاحب مصنع واحد قتل أو أرسل إلى معسكرات الاعتقال أو أغلق مصنعه لأنه ظلم العمال أو حرمهم حصتهم من الربح والأجر المعقول

وقد ظل التفاوت عظيماً بين أرباح المديرين وبين جملة الأجور التى يعطاها العمال . فإن الهر كوتجن Herr Köttgen مدير شركة Siemens Shuckert يقبض وحده ثمانمائة ألف مارك فى السنة أجراً لإدارته، عدا الأرباح والمكافآت التى يتقاضاها عن الإدارات الأخرى. وفى مصرف التجارة السابق ذكره ستة مديرين يعطون تسعمائة وستة وخمسين ألف مارك فى السنة ، ولا يبالون تنقيص أجور العمال الصغار لزيادة الأرباح

واقترح بعضهم فى الشركة الأولى ، شركة Siemens أن توزع حصة من الأرباح على عمال الشركات من قبيل المكافأة لأن الأرباح العامة قد أربت فى تلك السنة — ١٩٣٧ — على عشرين مليون مارك ... فرفض النازيون الاقتراح

وقس على ما تقدم سائر المبادئ التى يدقون بها الطبول لإفهام العمال أنهم ينصفونهم ولا يحابون المحتكرين والمتجرين بالثقة فى الأسواق

* * *

أما التجارة الخارجية فـكل ما صدقوا فيه من قواعدها النازية أنهم خرجوا على قواعد علم الاقتصاد ومبادئ حرية التجارة والمبادئ الاقتصادية الأخرى، وأداروها على النصب والغش الصريح

وهذه خلاصة السياسة الاقتصادية التى يعاملون بها الأمم الأجنبية :

يغرون تلك الأمم بمعاملتهم فيعرضون عليها أثماناً أغلى من الأثمان التى تبيع بها محصولاتها فى الأسواق الأخرى

ثم يأخذون تلك المحصولات فيعرضونها فى الأسواق بأثمان أرخص كثيراً من أثمانها التى اشتروها بها

ثم يعطون البدل مقايضة لا نقداً ولا عملة تشبه النقد فى السداد العاجل ، فيعرضون مصنوعاتهم وأدواتهم بدلاً من المحصولات الزراعية التى هم فى حاجة إليها

ثم يتحكمون فى الأمم التى اشتروا منها تلك المحصولات الزراعية فلا يعرضون عليها إلا المصنوعات التى يستغنون عنها ولا حيلة لها فى رفضها ، لأنها لا تعرف وسيلة غير هذه الوسيلة للوصول إلى حقوقها

فماذا تكون النتيجة ؟

تكون النتيجة أن الأمم التى تعاملهم تخسر « عملاءها » الأولين لأنهم يشترون محصولاتها من النازيين بأرخص من الأثمان التى يشترونها بها منها

وتكون النتيجة أن الأمم تضطر إلى قبول مصنوعات لا تحتاج إليها . ثم تقبلها شيئاً فشيئاً بأثمان أغلى من أثمانها بعد أن تصبح مضطرة إلى البيع للنازيين والشراء من النازيين دون سائر « العملاء » الآخرين

وقد يُسمَّى هذا الأسلوب اختراعاً أو فلسفة أو مهارة كما يشاء السماسرة النازيون المعجبون بأمثال هذه الأساليب

لـكن الواقع أنه هو أسلوب التجار المجازفين اليائسين من قديم الزمان ، وعندنا يقول العامة عمن يباشر هذه المراوغات فى التجارة والمبادلة « إنه يلبس طاقية هذا لذاك » ، وإنه يعطى بالشمال ويأخذ باليمين . ولو سلك تاجر مثل هذا المسلك فى مدينة من المدن لضاع شرفه وضاعت سمعته بعد أشهر معدودات

* * *

بابر

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

لقد أعقب موت تيمورلنك عصراً من الاضطراب السياسي في إيران وما وراء النهر. وقد استطاع ابنه شاه رخ أن يثبت سلطانه على معظم ملك أبيه، ويكبح الثائرين من أقاربه. فلما توفي سنة ٨٥٠، عم النزاع، واشتد الاضطراب، حتى نشأت الدولة الصفوية، فكان انتصار الشاه اسماعيل في موقعة شرور سنة ٩٠٧ بعد قرن كامل من وفاة تيمور فاتحة حروب مظفرة مدّت سلطان اسماعيل إلى أفغانستان ونهر جيحون، فشمل هذه البلاد سلطان واحد.

ولقد كان لبني تيمور على ما كان بينهم من حروب، وعلى قصر زمان كثير منهم، أثر محمود في الفنون والآداب، وقد نبغ منهم جماعة من ذوي الآثار الواضحة في ذلك العصر مثل شاه رخ وألوغ بك، والسلطان أبي سعيد، والسلطان حسين مرزا.

— ٢ —

ونتكلم الآن في سيرة عبقري من سلالة تيمور تقلبت به غير الدهر بين هزيمة وانتصار، ونجاح وخيبة، فكشفت عن خلال من الهمة والطموح والشجاعة والصبر، انتهت به إلى إقامة دولة من أعظم الدول التي عرفها تاريخ الإسلام، وبقيت سيرته في صفحات التاريخ عبرة لقوى الهمم، ومثلاً لأصحاب النفوس الكبيرة.

ذلكم محمد ظهير الدين بابر الذي يصل نسبه بتيمور أربعة آباء: بابر بن عمر بن أبي سعيد بن محمد بن ميرانشاه بن تيمور.

ويمتاز هذا الرجل العظيم بأنه ترك للتاريخ سيرته مفصلة بينة مصورة صورة صادقة طبيعية بعيدة من التكلف والرياء في كتابه «بابر نامه» الذي سنذكره من بعد، ولست أعرف بين العظماء رجلاً كتب سيرته بيده في بيان مسهب ممتع طبيعي صريح كما فعل بابر.

— ٣ —

كان أبوه عمر شيخ أميراً على فرغانة تولاها سنة ٨٧٠ من قبل أبيه السلطان أبي سعيد؛ واستمر أميراً عليها بعد وفاة أبيه إلى أن توفي سنة ٨٩٩. وهنا تستمع حديث بابر عن أبيه في «بابر نامه»:

«كان حنفي المذهب، صحيح العقيدة، مواظباً على الصلوات في أوقاتها. قد قضى جميع ما فاته من الصلوات، وكان يديم تلاوة القرآن، وكان من مريدي الشيخ عبدالله — وهو المعروف بخواجه احرار — يحرص على صحبته والتبرك به، ويدعوه الشيخ ابنه

«وكان يحب الأدب، قرأ منظومات: نظامي والمثنوي والشاهنامه، وكتباً في التاريخ؛ وكان قادراً على نظم الشعر، ولكنه لم يحفل به

«وكان عادلاً يتبين حبه للعدل من هذه الواقعة: بغتت عاصفة شديدة من الثلج قافلة آتية من بلاد الخطا على سفوح الجبال شرقي أندجان. فلم ينج من ألف رجل إلا رجلان فلما بلغه الخبر بعث رجالاً أحرزوا أموال القافلة وأتوا بها فحفظها لأهلها مع احتياجه إلى المال. فلما عرف ورثتهم بعد سنة أو سنتين دعاهم وسلم إليهم أموالهم

«وكان سخياً حسن الخلق فصيح الكلام حلوه، شجاعاً باسلاً يحسن الضرب بالسيف، وكان وسطاً في الرمي بالسهام شديد اللكم لا يثبت للكمته مصارع» إلى أن يقول: «وكان يكثر من الخمر

نحن في الشرق نسمع كثيراً عن فلسفة النازيين في الاقتصاد، وفلسفة النازيين في التربية، وفلسفة النازيين في السياسة، وفلسفة النازيين في القوانين وغير القوانين

ومن الواجب أن نسمع كثيراً عن جميع أولئك على شريطة أن نسمع كل شيء وأن نحيط بكل جانب وأن نسمع الجعجعة ونحاول أن نرى الطحن الذي وراءها

وعندئذ نعرف الحقيقة ونعلم أنها جعجعة ولا طحن في كل شيء وفي كل مضمار

ونفهم أن «النازية» أكذوبة كبيرة حشوها الغش والخداع والأعراض الزائلة والتهويش الذي ينخدع به الأغرار ولا يجوز على أحد من المنصفين

عباس محمود العقاد

ولكنه اقتصد من بعد فكانت مجالس أنسه يوماً أو يومين فى الأسبوع الخ ... »

ويقول : « كان عمر شيخ مرزا قصير القامة مستدير اللحية بدينا ممتلىء الوجه يلبس ثوباً ضيقاً جداً فإذا شد أربطته ضغط على بطنه وكثيراً ما تقطعت الأربطة بعد أن يشدها ، وكان لا يتكلف فى ملبسه ومأكله ، يلف عمامته لفة واحدة ، وكانت العمائم إذ ذاك أربع لفات وكان يلفها دون طىّ ويترك لها عذبة . ويلبس فى أكثر أوقات الصيف خارج الديوان قلنسوة مغولية »

ويقول عن أمه إنها من بنات يونس خان وهو من ذرية جغتاى بن جنكيز . وبعد أن يتكلم عن نسب يونس خان وسيرته يذكر أولاده واحداً واحداً إلى أن يقول: «وكانت بنت يونس خان الثانية أمى قتلق نكار ، وقد رافقتنى أكثر أيام كفاحى ومحنى وتوفيت رحمها الله عام ٩١١ بعد استيلائى على كابل بخمسة أشهر أو ستة »

ويذكر أولاد أبيه فيقول : « ترك ثلاثة بنين وخمس بنات ، وكنت أنا ظهير الدين محمد بابر أكبر أبنائه وأمى تدعى قتلق نكار »

— ٤ —

مات عمر شيخ سنة ٨٩٩ هـ فورث ابنه بابر ملك فرغانة ، وهى ولاية على نهر سيحون وكانت سنه إذ ذاك اثنتى عشرة سنة

ومن الممتع أن نقرأ فى بابرنامه الفصل الأول الذى يفتتحه بابر بقوله :

« فى شهر رمضان من سنة ٨٩٩ وفى الثانية عشرة من عمرى صرت ملكاً على فرغانة وهى من الإقليم الخامس فى طرف المعمورة تحدها كشغر من الشرق وسمرقند من الغرب وجبال تبرخشان من الجنوب ، وكان فى شمالها مدن عظيمة . (ثم يفيض فى ذكر مدن فرغانة وأنهارها وحيوانها ونباتها)

لم يكن ملك فرغانه ميسراً لبابر ، فقد مرت عليه أحداث عظيمة لم يستقر فيها ملكه إلى أن أخرج منه طريداً بعد عشر سنين من موت أبيه

طمع أعمامه فى ملكه أول الأمر وحاولوا أن يغصبوه عرش فرغانة ، فلم يبلغوا ما أملوا

يقول بابر : « لما توفى عمر شيخ مرزا فجأة كنت فى جهار باغ فى أندجان

«ويوم الثلاثاء ١٥ رمضان جاء الخبر مدينة أندجان فركبت جوادى على عجل وصرت إلى القلعة فيمن كانوا فى خدمتى فلما بلغت باب مرزا أمسك (شيريم قفاى) بعنان الفرس، وسار إلى المصلى (نمازكاه) وكان قد خشى أن يأتى السلطان أحمد مرزا فى جيوشه الكثيرة فيسلمنى الأمراء إليه مع المملكة ، وأراد أن يذهب بى إلى أزكند على سفح جبل آلاتاغ ، فإذا سلّم الأمراء الولاية للسلطان أحمد نجوت أنا وذهبت إلى آلاجه خان أو السلطان محمود خان من إخوانى »

كان هم بابر منذ ورث ملك فرغانة أن يستولى على سمرقند ليكون خليفة جده تيمور فى دار ملكه . فما زال حتى فتح سمرقند سنة ٩٠٣ هـ (١٤٩٧م) ثم ثار بعض الكبراء فى فرغانة فأخرجوها من سلطانه ، فخرج ليردها إلى حكمه فخذلته جيوشه ففقد سمرقند أيضاً ولكنه استطاع أن يسترد فرغانة وسمرقند بعد جهاد ومحن

ولم يستقر له الأمر طويلاً فقد أخرجه الأزبك من سمرقند ، وفرغانة معاً سنة ٩٠٦ هـ فبقى بابر سنين ثلاثاً يطوف فى البلاد ويحاول استرجاع ملكه؛ وهو يحدث أنه هزم مرة ففر فى ثمانية من أنصاره وتعقبهم العدو وأعيت الخيل ، فتخلف بعض رفاقه ، وبقى معه اثنان، فلما أعيا فرسه نزل له أحد الرفيقين عن فرسه ، فسار حتى أعيا الفرس الثانى ، فقدم إليه الرفيق الأخير حصانه ، وسار وحده ووراءه اثنان من الأعداء حتى جن الظلام ، فترجل وأوى إلى صخرة ليعتصم بها ويرمى من يتعقبه بالنبال. وذلك مثل مما مر بهذا الرجل الشجاع الصبور

ولا بد لمثل بابر أن يكون ملكاً ، فلما عجز عن استرجاع فرغانة وسمرقند عزم على أن يختط بالسيف مملكة أخرى، فما كان له بد من أن يكون ملكاً طوعاً أو كرهاً ، فها هو ذا يجتاز جبال هندكوش الثلجية ويفتح كابل ثم يمد سلطانه فى أرجاء أفغانستان

بابر اليوم ملك مسلط على أقاليم من أفغانستان ولكن همته تحاول ملكاً أعظم ، وعزمه لا يقر بالعجز عن استرجاع عرش آبائه فيما وراء النهر . وها هوذا السلطان اسماعيل الصفوى يطوى الأرض من أذربيجان إلى أفغانستان فيحالف بابر اسماعيل الصفوى على عدوه من الأزبك

سار بابر إلى سمرقند سنة ٩١٤ فأخذها ولكنه أخرج منها بعد حين وهزم هزيمة شنيعة أبلغته كابل بعد أن أشفى على الهلاك

يئس بابر من سمرقند بعد هذه الخطوب أو كاد ييأس منها فنالها اليوم بعيـد . فماذا يفعل ؟ أيقنع بما ملك من أفغانستان ويرتقب الحوادث لعلها تتيح له فرصة ، أم يقهر الحوادث على الخضوع لمشيئته ويوسع سلطانه فى أرض الله الواسعة ؟

كانت جيوش بابر تشرق إلى حدود الهنـد أحياناً فما الذى يمنعه أن يحاول ملكا عظيما فى هذه الأرض العظيمة ؟

غزا الملك الطموح أطراف الهند سنة ٩٢٥ هـ (١٥١٩ م) واستولى على بعض الأقاليم ثم رجع إلى كابل فانتقضت عليه الأرض التى فتحها ، ولكن هذه الغارة مدت عينيه إلى هذه الأرض الغنية الواسعة

— ٥ —

كان السلطان فى دهلى إذ ذاك إبراهيم اللورى الأفغانى الأصل استولت عليها أسرته سنة ٨٥٥ . وكان إبراهيم ولوعاً بأبهة الملك يريد أن يخضع رؤساء الأفغان لآداب وسنن لم يألفوها. كان يلزمهم أن يقفوا فى حضرته صامتين مطرقين، فسخطوا عليه واجتمع بعضهم على أخيه جلال ليحاول أن يقاسم إبراهيم الملك ، وثار آخرون فقابل إبراهيم ثورتهم بالشدة والقسوة ، وقتل بعض زعمائهم ، وتعاقبت الثورات فى أرجاء المملكة حتى وفد عمه علاء الدين إلى كابل يلتمس عوناً من بابر على ابن أخيه ؛ وتلك هى الفرصة التى لا يضيعها بابر ، والأمنية التى كان يتمناها والمغامرة التى يميل إليها وينشط لها ، وكان محبًّا المخاطرة والمغامرة

أسرع إلى انتهاز الفرصة حتى بلغ لاهور فإذا جيوش دهلى قد انتصرت على (الثائر دولت خان) ، فقلب بابر انتصارهم هزيمة وتعقبهم فى شوارع لاهور ، ثم أسرع ففتح ديبل پور وترك علاء الدين اللورى فيها ورجع إلى كابل

وفى سنة ٩٣١ (١٥٢٥ م) رجع بجيوشه إلى الهنـد وقد أعد لها عدته فلقيه (الثائر دولت خان) محارباً، وكان قد أوهمه أنه سيؤيده ، ولكن جنده تفرقوا حينما اقترب بابر . وتقدمت جيوش كابل للقاء جيوش دهلى . وكان السلطان إبراهيم خرج للحرب فى مائة ألف مقاتل ومائة فيل . وجعل بابر مدينة پانيپات إلى يمينه وجعل على يساره خنادق وحواجز من الأشجار ، ووضع أمام جيشه عربات المدافع مشدوداً بعضها إلى بعض وجعل بينها فرجاً تتسع الواحدة منها لمرور مائة فارس ورتب جيوشه خلفها ، ووقف إلى أقصى اليسار وأقصى اليمين سرايا من المغول للمفاجأة حين الحاجة

وفى ليلة الثامن من رجب سنة ٩٣٢ (٢١ ابريل سنة ١٥٢٦) فاجأ بابر جيش السلطان ابراهيم فلم يفلح غير أنه أخرج عدوه من معسكره ، وعند الفجر تحركت جيوش ابراهيم فهجموا دون تلبث، وحسب بابر أنهم يقصدون جناحه الأيمن فأمده، ولما جاءت الجيوش الهاجمة إلى الخنادق والحواجز وصف العربات المشدودة ترددوا وضغطتهم الجماعات إلى ورائهم. فاضطرب أمرهم، فانتهز بابر الفرصة وأرسل سرايا المغول من الفجوات التى بين العربات فداروا حول العدو وشرعوا يرمونه من الخلف ، ووقف بابر كالصقر يرقب المعركة، فلما تقدمت جماعة من ميسرته على غير حذر فزلزلهم العدو سارع إلى إمدادهم، ولما اشتد ضغط العدو على ميمنته أسرع إلى إمدادهم أيضاً ، وكان الأستاذ على رئيس الدفعية فى مقدمة الجيش ناشطاً موفقاً فى عمله

وانجلت المعركة عن السلطان ابراهيم قتيلاً بين خمسة عشر ألفاً من جنده .

يقول بابر : « كانت الشمس قد ارتفعت حينما بدأ الهجوم واستمرت المعركة إلى الظهر فكانت هزيمة العدو ، وتم انتصارنا ويسر الله العظيم لى هذه المصاعب ومحق هـذا الجيش الكبير فى نصف يوم »

وغنم فى هذه الموقعة وبعدها من الذهب والجوهر والسلاح والخيل ما لا يحصى ففرقه بابر غير ضنين به ولم يحرص على ادخاره

وبادر بابر فأرسل سريتين فاحتلتا دهلى وآكراز ، وفى يوم الجمعة ١٤ رجب سنة ٩٣٢ خطب لبابر فى جامع دهلى فبدأ فى الهند تاريخ الدولة الإسلامية العظيمة التى سيطرت على الهند كلها حيناً وبقى سلطانها فى تلك البلاد إلى سنة (١٢٧٥ هـ — ١٨٥٨ م)

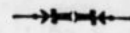
(البقية فى العدد القادم)

عبد الوهاب عزام

في الاجتماع اللغوي

نشأة اللغة الانسانية

للدكتور على عبد الواحد وافى



تمهيد في أنواع التعبير الانساني

للتعبير الإنساني طرق كثيرة يرجع أهمها إلى قسمين رئيسين

القسم الأول : التعبير الطبيعي عن الانفعالات ، ويشمل جميع الأمور الفطرية غير المقصودة التي تصحب مختلف الانفعالات السارة والألمية : كالصراخ ، والضحك ، والبكاء ، وتفتح الأسارير وانقباضها ، واتساع الحدقة ، وإغماض العينين ، واحمرار الوجه واصفراره ، ووقوف شعر الرأس ، وارتعاد الجسم ... وما إلى ذلك من الظواهر الفطرية التي تبدو بشكل غير إرادي في حالات الفرح والحزن والألم والخوف والخجل والاشمئزاز ... وما إليها ، والتي تعبر عن قيام حالة وجدانية خاصة بالشخص الصادرة عنه

وتنقسم هذه التعبيرات من حيث الحاسة التي ندركها عن طريقها إلى نوعين :

١ — تعبيرات بصرية ، أي تصل عن طريق البصر كالحمرة والصفرة والرعشة وانقباض الأسارير وانبساطها واتساع الحدقة وإغماض العين ووقوف شعر الرأس والعدْو ... وما إلى ذلك من الظواهر الجسمية التي تصحب مختلف الانفعالات

٢ — تعبيرات سمعية ، أي تصل عن طريق حاسة السمع ، كالضحك والبكاء والصراخ . وما إلى ذلك من الظواهر الصوتية الفطرية التي تصحب حالات الفرح والألم والحزن والسرور ... وهلم جراً ، ويتألف هذا النوع من أصوات مبهمة (تشبه أصوات الحيوان وأصوات مظاهر الطبيعة) وأصوات لين (حروف مد) مختلطة أحياناً ببعض أصوات ذات مقاطع (حروف ساكنة)

(القسم الثاني) : التعبير الإرادي عن المعاني ، ويشمل جميع الوسائل المكتسبة التي يستخدمها الإنسان بشكل إرادي للتعبير عن المعاني والمدركات . فهذا القسم يختلف عن القسم السابق في منشئه وطرق استخدامه وما يعبر عنه . فهو كسبي في منشئه ، إرادي في استخدامه ، معبر عن معان ومدركات ؛ على حين أن القسم الأول فطري النشأة ، يصدر بشكل غير إرادي ، ويعبر عن تلبس الشخص بحالة وجدانية انفعالية .

وتنقسم هذه الطائفة من التعبيرات ، من حيث الحاسة التي ندركها عن طريقها ، إلى نوعين مشابهين لنوعي الطائفة الأولى : أحدهما التعبيرات الإرادية البصرية ، وثانيهما التعبيرات الإرادية السمعية :

١ — أما التعبيرات الإرادية البصرية ، فهي التي تصل عن طريق حاسة النظر ، وتشمل جميع الإشارات الحسية التي تستخدم بقصد الدلالة . وهي على ضربين :

(أحدهما) إشارات مساعدة ونائبة ، أي تساعد لغة الكلام أو تنوب عنها في حالات خاصة أو لضرورة ما .

فمن هذه الطائفة الإشارات البحرية ، وهي التي يستخدمها عن بعد بحارة سفينة مع بحارة سفينة أخرى ، وهي إشارات دولية معروفة لجميع البحارة وتدرس في مدارس البحرية .

ومنها كذلك إشارات الصيد وهي التي يستخدمها الصيادون بعضهم مع بعض ، حتى لا يسمع صوتهم الحيوان المطارد .

ومنها الحركات اليدوية والجسمية التي يستخدمها الصم البكم للتعبير عما يجول بخواطرهم .

ومنها الإشارات التي يلجأ إليها الفرد أحياناً للتعبير إذا كان المخاطب لا يفهم لغته ؛ والتي جرت العادة في بعض الأمم الأولية أن يستخدمها أفراد العشائر المختلفة اللهجات بعضهم مع بعض . وقد عثر علماء الاجتماع والإتنوجرافيا على شواهد كثيرة من هذه الظاهرة عند كثير من عشائر السكان الأصليين لأمريكا واستراليا وعند بعض القبائل الإفريقية . فقد روى الأستاذ كوهل Kohl أنه إذا التقى أحد الهنود الحمر (السكان الأصليين لقسم من أمريكا الشمالية) بآخر من غير عشيرته ، مختلف عنه في لغته ، فإنهما يلجآن في تعبيرهما إلى لغة الإشارات التي تنزلها هذه العشائر منزلة لغة دولية . وقد مهر الهنود الحمر في هذه اللغة أيما مهارة . ففي إمكان المتخاطبين أن يظلا يوماً كاملاً يتحادثان عن طريق الإشارات باليد والأصابع والرجلين ، وأن يقص كل منهما

على الآخر كل ما يود قصه عليه[1]

ومنها الإشارات التي تستخدم في بعض الشعوب في حالات الصيام الديني عن الكلام. وهذا النوع من الصيام متبع عند كثير من الأمم الأولية وبخاصة عند السكان الأصليين لاستراليا وأمريكا. فقد ذكر الأستاذان سبنسر وجيلين في كتابهما عن سكان استراليا الوسطى[2] حالات كثيرة من هذا القبيل، منها أن المتوفى عنها زوجها يجب عليها أن تظل مدة طويلة، تبلغ أحياناً سنة كاملة صائمة عن الكلام. ويظهر أن شيئاً من هذا كان متبعاً عند اليهود، بدليل قوله تعالى على لسان مريم: «إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيًّا، فأشارت إليه ... الآية»

ومنها الحركات التي يستعين بها في أثناء حديثهم أهل اللغات الساذجة الناقصة لتكملة ما ينقص تعبيرهم وما يعوزه من دلالة. وقد لوحظ هذا في كثير من الأمم الأولية. فقد روى عن البوشيمان Boschimans (عشائر أولية تسكن بعض مناطق في أفريقيا الجنوبية) أنهم إذا أرادوا المحادثة ليلاً أشعلوا النار ليتمكنوا من رؤية الإشارات اليدوية التي تصحب كلامهم فتكمل ناقصه وتحدد مدلولاته[3]

ومنها الإشارات التي تصحب حديثنا نحن لتوكيد المعاني، أو لتمثيل الحقائق، أو لزيادة التوضيح؛ والتي نستخدمها وحدها للدلالة على الإيجاب والنفي والاستحسان وما إلى ذلك: كالإيماء بالرأس للتعبير عن القبول، وتحريك السبابة حركة مستعرضة للتعبير عن الرفض أو النفي، ومد الشفتين ووضع السبابة عليهما للأمر بالسكوت ... وهلم جرا

(وثانيهما) إشارات أصيلة عامة، وهي التي يتكون منها لغة كاملة مستقلة تستخدم وحدها في جميع الشئون والظروف ... وقد استخدم هذا النوع من اللغات عند بعض الجماعات الإنسانية ولا يزال مستعملاً في بعض العشائر. فقد عثر في الأمم الأولية على جماعات كثيرة لا تكاد تستخدم في تعبيرها غير الإشارات اليدوية والجسمية. ومن هؤلاء بعض قبائل السكان الأصليين

(١) انظر لبفي برول: «الوظائف العقلية في الأمم الأولية» ص١٧٨ وتوابعها Levy Bruhl : Fonctions Mentales ... etc, P.P. 178 et suiv.

(٢) Spencer and Gillen : Native tribes of Central Australia

(٣) V. Ribot: L'Évolution des Idées Générales, P.78 et suiv.

لأمريكا واستراليا وبعض عشائر أفريقيا. ويطلق على هذا الضرب من التعبير اسم «لغة الإشارات» أو «الإشارات التحليلية» Gestes Analytiques[1]. وقد عنى بدراسته عدد كبير من علماء الأنتوجرافيا والاجتماع من أشهرهم مولرى Mallery[2] وتيلور Tylor[3] ورومان Romanes[4] ولوبوك Lubock[5] وسبنسر وجيلين Spencer and Gillen[6]، وليفي برول Levy Bruhl[7] وريبو Ribot[8] والدكتور فيشر الألماني Fischer[9]

وقد صور الدكتور «فيشر» هذا النوع من اللغات وقربه إلى الأذهان إذ يقول:

إذا التقيت بأحد الهنود الحمر وأردت أن أخاطبه بلغة الإشارات لأسأله هل رأى ست عربات يجرها ثيران ويصحبها ستة سائقين منهم ثلاثة مكسيكيون وثلاثة أمريكيون وواحد ممتط صهوة جواده، فإنني أشير إلى شخصه بيدي للدلالة على كلمة «أنت»، ثم أشير إلى عينيه للدلالة على فعل «الرؤية»، ثم أبسط أصابع يدي اليمنى وسبابة يدي اليسرى للدلالة على عدد «ستة»، ثم أكوّن صورة دائرة بإلصاق نهايتي السبابتين والإبهامين إحداهما بالأخرى وأمد يديّ إلى الأمام وأحركهما كما تتحرك عجلات العربة وهي تسير للدلالة على «العربة»، ثم أضع الكفين ممدودتين بجانب الجبهة ممثلاً قرن حيوان للدلالة على «الثور»، ثم أمد ثلاثة أصابع من يدي اليسرى وأضع يدي اليمنى تحت شفتي السفلي وأنحدر بها إلى صدري ممثلاً اللحية للدلالة على «ثلاثة مكسيكيين»، ثم أمد مرة ثانية ثلاثة أصابع وأمسح جبهتي بيدي من اليمين إلى الشمال ممثلاً وجهاً شاحباً

(١) صاحب هذه التسمية هو العلامة ريبو V. Ribot: Évolution des Idées Générales

(٢) انظر بحثه : Sign-Language among the North-American-Indians

(٣) انظر كتابه : Early History of Mankind

(٤) انظر كتابه : Mental Evolution In Man

(٥) انظر كتابه : The Origin of Civilisation

(٦) انظر كتابيهما : Native Tribes of Central Australia; Northern tribes of Central Australia

(٧) انظر كتبه : La Mentalité primitive; L'Ame primitive; Les Fonctions mentales dans les Sociétés primitives

(٨) انظر كتابه : Evolution des Idées générales

(٩) عنى الدكتور فيشر في بحوث كثيرة بدراسة هذا النوع من اللغات عند عشائر أفريقيا الوسطى وعند السكان الأصليين لأمريكا

للدلالة على « ثلاثة أمريكيين » ، ثم أرفع إصبعاً واحداً وأضع بعد ذلك سبابة اليسرى بين سبابة اليمنى ووسطاها تمثلاً الراكب للدلالة على « رجل واحد راكب حصاناً »

وأضاف إلى ذلك أن الوقت الذى يقضيه أحد المتكلمين بهذه اللغة فى أداء هذه الحركات لا يزيد كثيراً على الوقت الذى يستغرقه تعبيرنا نحن باللغة الكلامية عن هذه المعانى

وذكر الأستاذ تيلور Tylor بصدد هذه اللغة أن لها قواعد إشارية لربط أجزاء العبارة بعضها ببعض وترتيب عناصرها ؛ وأنها فى مجموعها تكاد تكون متحدة عند جميع الشعوب التى تستخدمها ، فهى من هذه الناحية أشبه شىء بلغة دولية ، وأنه يمكن أحياناً التعبير بها عن حقائق دقيقة كعظات وضرب أمثال وقص حكايات ؛ وأنها فى جلها ومعظم تفاصيلها تشبه لغة الصم – البكم . فقد جمع مولرى بين رجل أصم – أبكم وطائفة من الهنود الحمر المتكلمين بلغة الإشارات ، فأخذ الأصم – الأبكم يقص عليهم بالإشارات قصة طويلة تتعلق بحادث سرقة ، وعقب على هذه القصة بتعليقات من عنده ، فلم يفتهم فهم أى حركة من حركاته ، لاتحادها مع حركاتهم اللغوية

وذهب العلامة « ريبو » إلى أنها قابلة للاصلاح والتهذيب ، وأنه لو طال استخدام الشعوب الإنسانية لها لسارت فى سبيل الارتقاء ، ولأصابها كثير من أسباب التنقيح تحت تأثير الرقى العقلى ومطالب الحياة الاجتماعية ، واتساع حاجات الإنسان ، وأعمال المخترعين والعلماء . . وما إلى ذلك

غير أنه مهما يناها من التهذيب فلن تخلو من مساوئها الذاتية ، فهى تستأثر باليد ، فتحول دون القيام بأى عمل آخر فى أثناء التعبير . ويتوقف إدراكها على النظر ، فلا يمكن التعبير بها عن بعد ولا فى الظلام وهى قائمة على تقليد الأشياء المحسة ، فلا تكاد تقوى على التعبير عن المعانى الكلية أو وصف المشاعر والوجدان هذا إلى أنها عارية عن الدقة فى كثير من مظاهرها ، وأنها تقتضى إسرافاً كبيراً فى الوقت والمجهود

٢ – وأما التعبيرات الإرادية السمعية ، فهى التى تصل عن طريق حاسة السمع ، وهى الأصوات المركبة ذات المقاطع التى تتألف منها الكلمات

وهذا النوع هو الذى تنصرف إليه كلمة « اللغة » إذا أطلقت وهو وحده الذى يهمنا فى بحثنا . وإنما ذكرنا الأنواع الأخرى لاستيفاء مظاهر التعبير من جهة ، ولأننا قد نحتاج إليها من جهة أخرى فى بيان نشأة هـذا النوع ، أو فى ضرب الأمثال ، أو الموازنة ، أو مناقشة النظريات وتوضيحها . . . وما إلى ذلك من الأمور التى سنعرض لها ، بصدد نشأة اللغة ، فى المقالات التالية إن شاء الله .

على عبد الواحد وافى

ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

أقاصيص

أبو النجم الرجاز وهشام بن عبـــد الملك

للأســتاذ علي الجندي

في عصر بني أمية لمعت أسماء ثلاثة من الرُّجاز ، زاحموا الشعراء بالمناكب على أبواب الخلفاء والولاة ، وقاسموهم جزيل الصِّلات وسنيّ الهبات ، بل أكرهوهم على أن ينظروا إليهم بعين التجلّة والإكبار ، ويروا فيهم منافسين يُخشى بأسهم ، وترهب صولتهم ، فاضطروا إلى مجاراتهم في هذا الفن الناهض ، ليفوزوا بالحسنيين ، فكان جرير والفرزدق من الشعراء الرجاز

هؤلاء الثلاثة الذين سموْا بالرجز من الحضيض إلى الذروة ، واستنقذوا أهله من الخمول والضَّعة : هم : العجّاج التميميّ وابنه رُؤبة ، وأبو النجم العِجْلي ، وفيهم يقول أبو عبيدة : ما زالت الشعراء تقصر بالرجاز حتى قال أبو النجم :

الحمد لله(١) العلي الأجلل

وقال العجاج : قد جبر(٢) الدين الإلـه فَجَبرْ

وقال رؤبة : وقاتم الأعماق خاوي المخترق

فانتصفوا منهم !

لم يكن للرجز في الجاهلية نباهة شأن ، فقد كان البدوي يصوغ منه بضعة مشطورات في الحرب والمفاخرة والسِّباب ، أو يرسلها في غرض تافه كوصف ظبي أو ظليم أو ثور وحشي ، حتى جاء شيخ الرجاز وأرصنهم قولاً : الأغلب(٣) العجلي من المخضرمين ؟ فأطاله قليلاً على عهد الرسالة ، فكان مثله في الرجاز مثل المهلهل التغلبي في الشعراء

(١) عددها ١٩١ شـطراً وهي أرجوزة نادرة نشرت على طولها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٨ : ٤٧٢ — ٤٧٩ سنة ١٩٢٨ م (هامش خزانة الأدب ٢ — ٢٤٠ طبع المكتبة السلفيه وإدارة الطباعة المنيرية) .

(٢) تقع في مائتي بيت وقوافيها موقوفة مقيدة ، ولو أطلقت وساعد فيها الوزن لـكانت منصوبة كلها (العمدة ١ : ٥٦)

(٣) أدرك الاسلام وأسلم واستشهد في وقعة نهاوند

ولـكن في هـذا العهد ـ عهد بني أمية ـ وثب الرجز وثبة قوية موفقة ، فبارى الشعر في جُلّ خصائصه كما بارته الرسائل الأدبية في أواسط العصر العباسي ، فاستعمل في المدح والهجاء والفخر والرثاء ، وذكر الديار والظعائن ، والوقوف على الأطلال والرسوم والدِّمن ، وبكاء الشباب ووصف الرحلة إلى الممدوح ، والتمهيد بالنسيب ، والتخلص منه إلى المدح والقدم إلى غير ذلك من أغراض الشعر الصميمة

وحسبك فيما بلغه الرجز من رفيع المنزلة ، قول المنتجع(١) لرجل من الأشراف : ما علمت ولدك ؟ قال : الفرائض . قال : ذلك علم الموالي لا أبالك ! علمهم الرجز فإنه يُهَرّت أشداقهم « يوسعها »

ويقتضينا الإنصاف أن نقول : إن السابق إلى تقصيد الرجز وتضمينه فنون الشعر : العجاج . ولذلك عده الرواة في الرجاز كامرئ القيس في الشعراء

والذي يعنينا من هؤلاء الثلاثة المصدور المقدمين هو أبو النجم العجلي

واسمه المفضّل(٢) أو الفضل بن قدامة ، يرتفع نسبه إلى عجل ابن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل

وقبيلة بكر من القبائل المعرقة في الفصاحة والبيان ! ويكفيها فخراً أنها أخرجت للعرب الأغلبَ وأبا النجم من الرجاز ، وطرفة ابن العبد والحارث ابن حلزة وأعشى قيس من الشعراء أصحاب المعلقات !

كان أبو النجم يمتاز من صاحبيه : العجاج ورؤبة — على ما لهما من مزايا — بأشياء :

كان بارعاً إلى الغاية من البراعة في النعوت

وكان حاضر البديهة سريع الخاطر : يحدث الأصمعي أنه قال أرجوزته : الحمد لله العلي الأجلل ، في قدر ما يمشي الإنسان مسافة غلوة أو نحوها (مقدار رمية سهم)

وكان أحسن الناس إنشادا ، وكانت له في الإنشاد عادة غريبة ! وهي أنه يُرغي ويُزبد ويرمي بثيابه فيضفي عليه ذلك رهبة وهيبة !

(١) رغبة الآمل ٤ : ١٩٣

(٢) على الخلاف بين الشيباني وابن الأعرابي

وروعة الإنشاد لا ينكر أثرها فى الغلبة والفلج! وبخاصة فى عصر يعتمد فيه على المشافهة والسماع، ويتلاقى فيه الخصوم وجهاً لوجه فى المواسم والأسواق

بل إن الإنشاد لم يفقد روعته فى عصرنا هذا — عصر القراءة والكتابة — فقد كان عدة (حافظ) فى التلعب بعقول الجماهير، وانتزاع التصفيق منهم، حتى لقد كان يقوم له ذلك مقام البراعة والإبداع فى شعر (شوقى)

ومن شعرائنا المعاصرين من تسمع شعره ثم تقرؤه، فإذا الفرق بين ما سمعت وما قرأت كالفرق بين الدر والخزف لكثرة ما يتحاسن فى إنشاده ويتصايح ويمعن فى التأوه والتباكى والشهيق والزفير!

وكان أبو النجم — فوق تمكنه فى الرجز — شاعراً مجيداً وقد تغنت فى بعض مرققاته عُليّة بنت المهدى، كما أنه انتصر على الفرزدق وجماعة من الشعراء فى مجلس سليمان بن عبد الملك، وحاز الجائزة دونهم بقصيدته الفخرية التى أولها:

«علق الهوى بحبائل الشعثاء»

ومن المقرر فى[1] عرف النقدة: أن كل مقصّد يستطيع الرجز — وإن لقى فى ذلك بعض المشقة — وليس كل راجز يمكنه التقصيد. والشاعر الراجز أعلى مقاماً ممن حظه الشعر أو الرجز فحسب، فإذا اجتمع الشعر والرجز والقطعات لإنسان سمى: الكامل. وقد ظفر الفرزدق بهذه المرتبة، ثم أبو نواس من المحدثين.

ولم يكن بد أن تستحرّ المنافسة بين أبى النجم وبين العجاج وابنه رؤبة، وقد أظلهم عصر واحد، وجمعتهم صناعة واحدة. ولكن الباحث المتقصى يستطيع أن يرد هذا الصراع إلى سبب أعمق من المعاصرة: وهى العصبية القبلية؛ فالعجاج وابنه من تميم ثم من مضر، وأبو النجم من بكر ثم من ربيعة، وبين تميم ابن مُرّ وبكر بن وائل إحن ومضاغنات فى الجاهلية والإسلام! وبين مضر الحمراء وربيعة الفرس حقود وحزازات حملتها قبائلهما إلى كل بلد نزلت فيه!

وكان العجاج ورؤبة يحذران أبا النجم ويداريانه، لما عرف عنه من شكاسة الطبع وزعارة الخلق!

(١) العمدة ١ : ١٢٦

يقول عامر بن عبد الملك المسمعى: كان رؤبة وأبو النجم يجتمعان عندى، فأطاب لهما النبيذ، فكان أبو النجم يتحرش إلى رؤبة حتى أكفّه عنه!

ويحدثون[1]: أن فتياناً من عجل قالوا لأبى النجم: هذا رؤبة بالمِرْبَد يجلس فيسمع شعره، وينشد الناس ويجتمع إليه فتيان من تميم، فما يمنعك من هذا؟ قال: أو تحبون هذا؟ قالوا: نعم قال: فأتونى بعسٍّ[2] نبيذ، فأتوه به فشربه، ثم نهض قائلاً:

إذ اصطبحت أربعاً عرفتنى ثم تجشّمتُ الذى جشّمتنى

فلما رآه رؤبة أعظمه، وقام له من مكانه وقال: هذا رجّاز العرب

ثم أنشدهم أبو النجم أرجوزته اللامية، فقال رؤبة: هذه أم الرجز

ومن طريف مراجزاته[3] للعجاج: أن العجاج خرج محتفلاً، عليه جبة خزّ وعمامة خزّ، فوق ناقة له كَوْماء (عظيمة السنام) قد أجاد رحلها، حتى وقف بالمِربد — والناس مجتمعون — فأنشدهم أرجوزته الرائية:

«قد جبر الدين الإله فجبر»

فذكر ربيعة وهجاها، فجاء رجل إلى أبى النجم، فقال له: أنت جالس، وهذا العجاج يهجونا بالمربد قد اجتمع عليه الناس.

فقال أبو النجم: صف لى حاله وزيه الذى هو فيه، فوصفه له، فقال: ابغنى جملاً وأكثر عليه من الهناء، فجىء بالجمل إليه، فأخذ سراويل له فجعل إحدى رجليه فيها، واتزر بالأخرى! وركب الجمل ودفع خطامه إلى من يقوده حتى أتى إلى المربد

فلما دنا من العجاج قال للقائد: اخلع خطامه؛ فخلعه، وأنشد أبو النجم أرجوزته:

«تذكر القلب وجهلاً ما ذكر»

والجمل فى أثناء ذلك يدنو من الناقة ويتشممها! والعجّاج يتباعد لئلا تفسد ثيابه ورحله بالقطران!

حتى إذا بلغ أبو النجم إلى قوله:

إنى وكلُّ شاعرٍ إذا شعرْ شيطانه أنثى، وشيطانى ذكرْ

(١) ترجمة أبى النجم — الأغانى — ٩
(٢) القدح العظيم
(٣) جمعنا بين رواية الأغانى والخزانة

فما رآنى شاعر إلا استتر فِعْلَ نجوم الليل عاين القمر
وثب الجمل على الناقة ! !

فهرب العجاج والناس يضحكون قائلين :

« شيطانه أنثى وشيطانى ذكر »

وكان أبو النجم ينزل سواد الكوفة وينتجع بقصيده ورجزه خلفاء بنى أمية وولاتهم ، فيحسنون لقاءه وينفحونه بالعطاء

وله مع الخليفة هشام بن عبد الملك أخبار طريفة ونوادر حسان كان يجرى فيها على سجية الأعراب لا يُوارب ولا يحتشم!

فمن ذلك : أن هشاماً قال له يوماً : حدثنى يا أبا النجم . قال : عنى أو عن غيرى . قال : بل عنك . قال : إنى حين علتنى الشيخوخة كان يعرض لى البول فى الليل ، فوضعت عند رجلى شيئاً أقضى فيه حاجتى . فقمت ذات ليلة لأبول ، فخرج منى صوت ! فتشددت وتماسكت ، وعدت مرة أخرى ، فخرج منى صوت آخر ! فأويت إلى فراشى ، وهتفت بزوجى : يا أم الخيار[1] هل سمعت شيئاً ؟ فقالت : لا ، ولا واحدة منهما !

فضحك هشام وأمر له بصلة

ومن نوادره المضحكة المبكية : أنه ورد على هشام فى الشعراء ، فقال لهم : صفوا لى إبلاً ، فقطروها[2] وأوردوها وأصدروها ، حتى كأنى أنظر إليها

فأنشده الشعراء وأنشده أبو النجم أرجوزته التى مر ذكرها :

« الحمد لله العلى الأجلل »

وهشام يصفق بيديه استحساناً لها ! ومضى أبو النجم فى إنشاده إلى أن بلغ قوله فى وصف الشمس :

حتى إذا الشمس جلاها المجتلى بين سماطى[3] شفق مُرعبل
صَغواء[4] قد كادت ولما تفعل فهى على الأفق ... ...

كان تمام البيت : كعين الأحول

وهنا تذكر أبو النجم — بعد فوات الأوان — أن هشاماً أحول ! فامتُقع لونه ، وتخاذلت أوصاله ، وجمد لسانه فى فمه ! وأراد أن يغير البيت فخذله شيطانه ! وحار فى أمره فأطرق واجماً ! ولم يفطن هشام للسبب ، فضجر وصاح به : أجز ! فلم يسع أبا النجم إلا أن يصدع بالأمر فقال :

كعين الأحول !

نطق بها كحشرجة المحتضر ! والقافية (لا تمدر)

وكان هشام — على عقله وكيسه — فظاً غليظاً خشناً ! فاستشاط غضباً ! وأمر بوجء[1] عنقه ! فتبادر إليه الخدم يدفعون فى قفاه ! حتى خرج من المجلس وهو لا يصدق بالنجاة !

ولم يكتف هشام بذلك ، فأمر الربيع صاحب شرطته ألا يريه وجه أبى النجم بعد هذا ! وأن ينفيه من الرصافة[2] !

ولكن وجوه الناس شفعوا له عند الربيع ، فأقره فيها

ولم يكن أحد يُضيف فى الرصافة ، غير سليم بن كيسان الكلبى ، وعمر بن بسطام التغلبى ؛ فكان يتغدى عند سليم ، ويتعشى عند عمر ! ويؤم المسجد ليلاً فيبيت فيه !

(البقية فى العدد الآتى) **على الجندى**

(١) هى التى يقول فيها :
قد أصبحت أم الخيار تدعى على ذنبا كله لم أصنع
(٢) قطر الابل بالتشديد والتخفيف : قرب بعضها إلى بعض على نسق
(٣) السماط : الصف والجانب ، والرعبل : المقطع
(٤) مائلة للغروب

(١) كناية عن الوكز والصفع
(٢) رصافة الشام أو رصافة هشام على طرف البرية ، بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام ، وكان يسكنها فى الصيف وكانت من قبل من بناء الغساسنة . خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ٣٥١

تأمـــــلات

في ذهني صورة منك تنسخ كل صورك : صورة استسلام يحمل كل معاني المنعة ، ويعصمك من عيني ومن يدي ومن حسي ، وكان خليقاً أن يغريني بك ، فلم يغرني ... لأني إكباراً لك وتدلهاً بك ، لأن فيك شيئاً مقدساً يحميك دائماً من الأعين والأيدي ، وحول رأسك هالة من الطهر تحوطه مرفوعاً ومطرقاً فاختلاس النظر إليك نوع من العبادة لا يخفره إليك الشيطان ، وأنت في صمتك بليغة ، تتحدثين بألف صوت كالسيمفوني ... جوارحي دائماً مشغوفة بك ، مشوقة إليك ، يطربها حديثك ويناجيها صمتك ، وتستلهم الوحي من إطراقك ...

تُرَى يا فتاتي ، بمن كان شغلك ، وفيم كنت تطرقين ؟ ... لا يغرنَّني الغرور ، فأحسب اتجاهك كان إليّ ، وأنت إلى غير الغرض تتجهين ... بل أنت في أكبر الظن تتساءلين : ماذا تحسين ؟ أخداع هو أم يقين ؟ ... وتقولين في نفسك : أيجوز أم لا يجوز أن أجيب نداء ليس بعد من القلب ، ولا هو من وراء القلب ... ولكنه يوشك أن يصدر عن الصميم ؟ ؟

تقولين في أكبر الظن: إني فتاة عديمة التجربة ، وها أنا ذي أتعرض للتجربة ، أأقدم أم أحجم ؟ وإذا أقدمت ماذا يكون ؟ إنني لا أملك الإقدام ، لأنه شر ، ولا أملك مع هذا الإحجام ... إنني أتردد وسأبقى مترددة إلى يوم الدين ، ومن كان مثلي فسلامته في الاعتصام لا في الإقدام ... وقد اعتصمت بحبل الله ، وحفظت جميله ، ومنحته ودي ، وجازيته على حبه حباً عذرياً طاهراً ... أحس الغبطة فيه ، ويثير مع ذلك في نفسي الأشجان

إذن فليكن ما تشائين،ولن نقف في حبنا يا فتاتي على قدم المساواة ؛ فأنت عندي أسمى من أن أقف وإياك في مستوى واحد، وأكرم من أن أحشر وإياك في صعيد واحد ... وإني بذلت لك من نفسي أكثر مما بذلتِ لي من نفسك... لكن العبرة بقيمة ما أبذل وما تبذلين ؛ وقد بذلتُ لك عاطفة جياشة لم أحبسها ، وبذلتِ لي عاطفة مكبوتة جاهدت في كبتها ، فجاءت عاطفتي الجياشة أرخص من العاطفة التي ما زلتِ تكبتين ... وتجاوزت إليك الحدود ، ووقفتِ أنتِ دائماً مني عند حد ... فأنا أسخو بما لا يكلفني جهداً ، وأنت تبذلين جهداً جباراً فيما تكبتين وتكبحين

لا أدرك مبلغ ألمك لأنك صبوحة دائماً ، لكني أحس الصراع في نفسك بين واجبك نحوي وواجبك نحو الله وقد تبدو المقابلة بين الموقفين نابية . لكن الواقع لا مندحة عن ذكره والإشارة إليه ، والواقع أني أجاهد في ربط مصيرك بمصيري بهذه الصلة الروحية ، ويريد الله أن يكون لكل منا مصير ؛ وأنت بما أودعك الله من وداعة تصرفين السوء عن نفسك ، وكل شيء يرعاك حتى تلك العين التي ترنو إليك ، واليد التي تتلمس يدك ، والحس الذي يهفو إليك بكليته ليغمرك أو تنمريه

كوني يا فتاتي ما تشائين فلن تكون مشيئتي غير مشيئتك ، وليكن ما يجيش به صدري وقفاً على هذا الحيز الضيق حتى يضيق به فيكون من أمر الله ما يكون

سأبقى أميناً كما كنت شهيداً كما تكونين ، ولن أنساك في قيامي وقعودي وركوعي وسجودي ولو ذهبت صلاتي غير مأجورة ولا مثابة ، فحسبي أنها خالصة لوجه الله

أنت يا فتاتي شهيدة كأقدس ما يكون الشهداء ، قديسة كأكرم ما يكون القديسون . ليست عندنا أديرة ولكنك تلجأين في نفسك المتمنعة إلى دير حصين ، وقد تبقين هكذا طوال حياتك وأتقلب أنا مع الأيام ، فتبقين لي مثلاً أعلى ، وأبيت أنا بشراً كـكل الأنام (م . د)

من وحي الحنين

آذار !... حدثني ...

[مهداة إلى الأستاذ الزيات]

للأستاذ شكري فيصل

آذار ... يا مُطلِق الحياة من قيود الشتاء ... وباعث النور في أرجاء السكون ... حدثني ... كيف ضممت إليك « دمشق » بعد هذا الفصل القاتم ، وذاك الجو النائم ؛ وتلك الليالي القريرة ؟! ... هل أزحت عنها أثقال السحاب ... وجبت ظلام الضباب ... ونشرت الروح في جنباتها الحلوة ... أم أنها لا تزال بعدُ غارقة في صمت الشتاء ، صابرة على أذى القرّ ... تنذرها السماء ؛ وتهددها العواصف ؟! ...

آذار !... أيها المنطلق هنا على حفافي النيل ... تستمع إلى أنشودته الصامتة ؛ وهمسه الخفيف ... حدثني عن « بردى » هذا النهر الوادع ... ألا يزال ثائراً مضطرباً ... يحمل الخوف ، وينشر الذعر ، ويبث الاضطراب ، ويفيض على أطرافه وجنباته كأنما ملّ مظاهر الجور ومهازل الحياة ... أم أنه عاد سيرته الأولى ... يحمل الأمان إلى النفوس ، ويشع الحياة في المهج ؛ وتصطفق أمواجه الفانيات وتنصت إليه أفئدة وقلوب ... لتسمع أغنيته الخالدة ، ولحنه البارع ... وتنتشر على ضفتيه طوائف الناس تنعم بهذا الرحيق السلسل ، وهذا الصفاء الجميل ... وتقرأ في صفحاته آيات المجد الذي انبثق مع « الغساسنة » وترعرع في جنبات قصورهم الناعمة ؛ وتكامل في عهد « أميّة » وفي ظلال سلطانهم الواسع ... ثم غاب حيناً من الدهر ... فبكاه هذا النهر ... بدموعه وعبراته ... حتى إذا ولد من جديد في تاج « فيصل » وملك « فيصل » ... وفتح عينيه للنور ، ومدّ ذراعيه يريد أن يحبو ... انتزعه الدهر ؛ في ليلة سوداء كالحة ، ورمى به في صحراء اليأس المجدب ...

آذار !... أيها المرح هنا في ربوع (الأرمان) ؛ وملاعب الجزيرة ، وحدائق النيل . . . حدثني . . . هلا حملت المرح إلى وطني الآخر ... ؟ هلا زرعت البسمات على الشفاه ... ودفعت الدم في العروق ، وأحييت موات الأمل في القلوب ... ؟ أم أن القوم في شغل عنك ... يقارعون الدهر العصيب ، ويجالدون الزمن النادر ، ويدارون الأحمق السفيه ؟

آذار ... أيها الضاحك هنا على شفاه الأزاهير الفوّاحة ... حدثني ... عن أزاهير دمشق ... هل تفتحت عنها براعمها بعد هجعة طويلة ثقيلة ... وهل نشطت الحياة في هاته الشجيرات الفتية القائمة في وسط الحدائق كأنها زمرة غانيات في موكب زفاف ... ترقص مع خطرات النسيم ، وتهتز مع أنداء الفجر ، وتصفق كلما ذهب بها الهواء هنا وهناك ؟ ... وهل استفاقت هذه الجنات الفيح يا آذار ... فنثرت الزهر ، ونشرت العطر ، وطبعت على وجه الدنيا قبلتها الضاحكة ... كأنها تنفخ فيها روحاً من النشاط ؟

والغوطة .. هل اكتست للغوطة ذاك الثوب الزاهي يا آذار ! بعد عري طويل ... فنبت في أرضها العشب الأخضر ... ريّان نديًّا ... ينفح الفتوة ، ويمور بالحياة ، ويستقبل الشمس مع الصباح بقطرات من الندى المبعثر ... البراق كالماس ... ويودعها مع المساء وهو يقبلها كأنه يتمنى ألا تزول عنه ... ثم يبكي فراقها في الليل بدموعه الصافية اللألاءة ؟! ...

... والزهر المتشقق على مبسم الغصن يا آذار ! ... هل رقّت أوراقه الملونة لنجوى المحبين ، وآهات الشاكين ، وقلوب المتيمين ؟ وهل خرج الناس يشهدون هذا السحر الحلال ، وهذه الروعة الضاحكة ... وينعمون بهذه الأجواء العطرة ، والدنيا المتأنقة ، وينشقون في هوائها الأرج والعبير ، ويطوفون بها كما يطوفون في جنات الخلد ... ويقرأون آيات الله البارعات في الغصن المائس والفروع المهتزة ، والماء الذي يخرج به نبات مختلف ألوانه ؟!

... ومواكب الزهر يا آذار ! ... هل شهدت « دمشق » هذا العام مواكب الزهر ؟ ... وهل ضحكت هذه المدينة الصابرة لصروف الزمان وعبث الدهر ... وهل صافحت عيناها من جديد ... هؤلاء الفتيان الذين يذهبون هنا وهناك ... مع شعاعات الفجر الأولى ، يستقبلون الصباح ، ويرتمون في الحقول ، ويمرحون في الجنان ، وينتقلون ... كالفراشات الطائرة ... من شجرة إلى شجرة ، ومن غصن إلى غصن ... ويصفقون مع أمواه النهر ،

وينتشون من هـذا السحر ؛ ويقضون يومهم لله ولأنفسهم ··· ثم يعودون ··· وفى أيديهم هذه الحالات من الورد ؛ وهذه الباقات من الزهر ؛ ينشرون عبيرها فى رحاب المدينة وأحيائها ··· فى صدورهم البشر ، وفى وجوههم المرح ؛ وعلى ألسنتهم نشيد الوطن الغالى ؟ ! ...

والريف البعيد يا آذار ! ··· هل انتفض من نومه العميق ··· وهل فتح أهلوه أبواب دورهم بعد أن سدتها الثلوج ، فحالت بينهم وبين الخروج ... فظلوا فى حصار الطبيعة شهراً أو بعض الشهر لا يغادرون هذه الدافئ البنية فى زاوية من زوايا الغرفة .. وهل بدأوا حياة الربيع الوادع ... يتفقدون زرعهم الذى دفنوه فى الأرض ، ووكلوه إلى الله ، وانتظروا موسم حصاده ؟!

وهل خرج أطفالهم يتسابقون فى طرق القرية ، ويتسلقون قمم الجبل ؛ ليظفروا بالثلوج المتجمدة . . . يتراشقون بهـا ، ويتزحلقون عليها ، على طريقتهم الساذجة الأولية ؟ ! ...

... وفتيات القرى يا آذار ! ... هل انتصبت قاماتهن ؛ بعد أن حناها الشتاء ؛ فى طريقهن إلى ماء القرية ، يستقين منه ، وقد علتهن الجرار ، ولثمت خدودهن هذه النسمات العليلة ؛ وعبثت بخمرهن ؛ فحركتها ذات اليمين وذات الشمال ... واجتمعن حول الورد ينشدن فى همس خفيف ، وتمتمة ناعمة ، ويتحدثن حديث القرية وضيوفها ومواسمها وأعراسها ... ؟ ...

***

وحديث الجبال يا آذار ! ... هل اتشحت بوشاحها الأخضر الزاهى ؛ وهل نبتت فوق تربتها هذه الحشائش القصيرة ، على أنقاض الثلوج ، وبقايا السيول ... وهل خرجت القطعان تسرح فى شعاب هذه الجبال ؛ وفى صعابها ؟ ... وهل سمعت يا آذار ... أصوات أجراسها حين تتضيَّف الشمس إلى الغروب ··· وتنسحب غلائلها على صفحة الأفق الوردية ··· وتتراءى صفحة السماء رائعة جميلة ··· وتتظاهر الشمس كدائرة من النار الملتهبة ، تنغمس فى بحر الظلام فيخمد لهيبها ويطفأ نورها ، وتمَّحى شعاعاتها من السماء ··· فتبكيها هذه القطعان ··· بأصوات أجراسها الحزينة ؛ وتلتفت لتعود إلى القرية ··· فى جنح الليل ، وستار الظلام ··· والرعاة ، يا آذار ··· هؤلاء الذين شرفهم الله ، فجعل منهم الأنبياء ··· هل تسلقوا الجبل مع قطعانهم ، وحملوا مزاميرهم فى أيديهم ، ووقعوا عليها نشيد الحياة الهادئة التى تتعالى عن الأرض ، فلا تعرف المكر والذل ··· وتتقرب من السماء ، فلا تعرف إلا الإيمان والنور والحق ... وهل أنصت إلى نغماتهم الحلوة يا آذار التى يرسلونها فى هذه الوحدة كأنها وحى السماء ، ونغمة الكون المتسقة ، فتنتقل أصداؤها فى الجبال مع خفقات الريح ... ويلقفها الطير ليذهب يرتلها على الناس فى الوديان والحقول والبساتين ...

... حبذا يا آذار ... حبذا لو استطعت أن تحملنى على جناحين رفيقين من نسماتك اللطاف ... إلى مجالى الأنس ، وربوع الحياة ، إلى مطارح الصبا وملاعب الفتوة ... أطفىء هذا الحنين الذى يأكل كبدى ، وأقنع هذا الشوق الذى يضطرم فى صدرى ... برشفات من بردى ... ونسمات من « قاسيون » حبذا يا آذار ... حبذا ...

(القاهرة) شكرى فيصل



صاحب الديوان أيضا

مضيت إلى الديوان للمرة الثانية ، وأنا أمنى النفس أن أحظى هذه المرة بما لم أحظ به فى المرة السالفة من حل مسألتى ؛ ولقد حرصت على أن يكون حضورى إلى الديوان فى وقت لا يدع مجىء إليه فيه مجالاً للشك فى بدء العمل به ؛ فكنت هناك فى نحو الساعة العاشرة من صباح أحد الأيام .

ورأيت فى إحدى الردهات من توسمت فيه أنه صاحب ديوان فاتجهت إليه مبتسماً محيياً ، ورجوت منه أن يدلنى أين أذهب للسؤال عن كيت وكيت ، فأجاب دون أن يقف ، وأنا أسرع الخطو لألحق به ، كأنما كان فى سبيله لتلافى خطر من الأخطار الداهمة: «عند حسنى أفندى فى الشطب هناك على شمالك وراء السلم»

وذهبت إلى « الشطب » ، فإذا هو قاعة كبيرة ، فيها نحو عشرين من أصحاب الديوان ، ورأيتهم جميعاً لأول نظرة ، والحق يقال ، منكبين على أوراقهم . فقصدت أقربهم إلى الباب ، فحييت وقلت : « حضرتك حسنى أفندى ؟ » فلم يزد على أن أشار بإصبعه إلى من أردت دون أن تنفرج شفتاه ولو برد التحية ، ولعله كان فى شغل بعملية حسابية معضلة أو بتدبير حل لمشكلة من مشاكل عمله

ونظرت إلى حسنى أفندى وأنا أخطو إليه ، أحاول أن أتبين شيئاً عن خلقه من مظهره ، فخانتنى فراستى إما لقصر المدة ، وإما لأنى رأيت منظره يدل على ألف معنى فلا يدل من أجل ذلك على معنى ! ... ووقفت أمام مكتبه فحييت فى هدوء مبتسما متظرفا أحرص الحرص كله على أن أكون خفيفاً ظريفاً على نفسه ما وسعنى الظرف ... ولكن ظرفى أو قل تظرفى ذهب عبثاً ، فإنه لم يرفع رأسه من بين أوراقه ليراه ؛ ولمحت دلائل الغضب على محياه فتهيبت ! ولكنى استمنت ثانية بابتسامة عريضة وكررت التحية فرفع رأسه هذه المرة ونظر إلىّ قائلاً : «أهلاً وسهلاً يافندم» ثم عاد إلى أوراقه كأنى ما جئت إلا لأتبادل وإياه عبارة التحية على هذه الصورة الجميلة ثم أنصرف !

وانتظرت برهة ، وهو ينقل عينيه من هذا الدفتر إلى ذاك ، ويكتب هنا كلمة وهنا سطرين ، دون أن يخطر على باله أن هناك أحداً يريد التحدث إليه ... ولعله قد تعود ذلك فما يأبه لمن يقف أمام مكتبه . ولو ظل هناك إلى موعد الانصراف

وطال انتظارى حتى أوشك أن ينفد صبرى ، والمرء على أى حال لا يطيق مهما بلغ من حلمه ألا يأبه به الناس فى غير داع إلى ذلك ... على أنى عدت فتلطفت وإن كرهت من نفسى هـذا التلطف الذى أخذ يسمج كسماجة ذلك الذى لا يريد أن يلتفت إلىّ ؛ وناديته باسمه فى صوت مسموع ونفسى تحدثنى أنه قد يكون بانكبابه هذا على العمل من ذوى النشاط فعسى أن أفيد من نشاطه

وأخيراً بدا له أن يستجيب إلى ؛ فقال فى كثير من التؤدة وعدم المبالاة « نعم يا افندى » فأخذت أشرح له أمرى ، ولكنه ظهر كمن لا يعى مما أقول حرفاً وبدا فى وجهه التململ والامتعاض ثم مد يده إلى أوراق كنت أعددتها فى يدى ، فنظر فيها نظرة ثم قال : « لا ، دا هناك فى المستخدمين عند عزت افندى » ... وعاد بعدها قبل أن أدير ظهرى ، إلى ما كان فيه من جسيمات المشاكل

وانطلقت أبحث فى « المستخدمين » عن عزت أفندى هذا لأخبره بما قال حسنى افندى الذى فى « الشطب » فكان حالى معه كما كان مع سلفه : تشاغل عنى وصلف فى الرد علىّ ، وما كان جوابه سوى أن قال هو أيضاً : « يا فندم موضوعك ده فى الحسابات عند مراد افندى » ؛ خرجت من لدنه أسأل نفسى أأخرج إلى غير عودة من الديوان ، فقد آلمنى ما ألاقيه وليس فى مسلكى ولا فى مظهرى ما يستأهل هذه المعاملة ، أم أعتصم بالصبر فأحظى بالمثول بين يدى مراد افندى أيضاً ؟ وملت بعد تردد إلى الرأى الثانى ؛ ولكن مراد افندى أكد لى أن مسألتى عنـد حسنى افندى فى الشطب وإلا فهو لا يعرف فى الديوان شيئاً

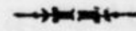
ولعله كان بين مراد وحسنى ما جعل أولهما ينهض ليذهب معى إلى الثانى ، وعدت إلى حسنى افندى فى الشطب وبين يدى هذه المرة صاحب ديوان مثله ، وبعد نظرات كريهة رمانى بها حسنى وبعد مشادة ليست بالهينة بين صاحبى الديوان تبين أن المسألة عند هذا الذى أحالنى من أول الأمر على غيره ! ... ولكنه لم ينظر فيها بل استمهلنى إلى غد ، ولم يسمح ، وقد رأيت ما رأيت إلا أن أخرج وأمرى لله !

(عبد)




رجع أيامي...

للأستاذ محمود الخفيف



كنت يا قلب قد نسيت الحنينا — وتأسيت عن هواك سنينا
أخرس اليأس لحن ماضيك دهراً — وألمت الجوى وعنت الأنينا!

تخفق اليوم للزمان الغريض — طاف بالدفء والسنى المستفيض
خفقة الراسف الجريح المعنى — رف للطير بالجناح المهيض

هتفت في الضحى شوادي الربيع — وكسا السحر كل واد مريع
وجرت من أرغوله فرحة المو — سم لحناً وهام راعي القطيع

لمحات الربيع في ترنامه — والرخي الشذي من أنسامه
فسر اللحن كل مصغ طروب — بالمنى الضاحكات من أحلامه

رف في لحنه شباب الزمان — وخيال الصبا وضحك الأماني
وشدا فيه حبه فكساه — رجع أحلامه أحب المعاني

كل حي هفا إلى ألحانه — ومعاني الرضاء في تحنانه
أنا وحدي اللهيف في فرح الكو — ن الوحيد الغريب في مهرجانه!

أين مني في الروض فتنة أمسي — أي سحر فقدت؟ وا لهف نفسي
أو ليست يا قلب هذي ربوعي — ورؤى جنتي وبهجة حسي؟

كل حسن أراه بين يديا — هامس بالرثاء في أذنيا
غاب سر الجمال عن موسم الز — هر وهيهات أن يرد عليا!

أسلمتني نواضر الزهرات — لمعاني الذبول من خطراتي
صوحت وبلاه خضر الأماني — وانطوى السحر من ربيع الحياة

أينما سرت ذكرتني مآلي — بعد عيشي الغرير، هذي المجالي
أي شيء أخاف نم عليه — بعد موت المنى، وشيك الزوال؟

زمن الورد كم هفا لإبابه — أمس قلبي وتاق بعد ذهابه
كم رففنا مثل الفراشات فيه — ونهلنا السرور من أكوابه

كم غنمنا الجمال في أسحاره — واجتليناه في متوع نهاره
وعشقنا المارنج في الروض تسري — نفحات الربيع من نواره

وهششنا للكرم حول الضفاف — أرقط الظل، خافق الألفاف
ناضر العود، كم ترى العين فيه — للربيع الجديد من أطياف

زهرتي في الربيع أنضر حسناً — من بواكيره وأجمل يمنا
وهي أشهى شذى وأبهج بشراً — واهتزازاً به وأرهف غصنا

تنقص الورد سحره وجنتاها — وسنى الكون لمحة من سناها
تقطع الروض كالفراشة وثبا — ليس غير الجمال دنيا مناها

كم حللنا على الضفاف مقيلا — وعرفنا السكون لحناً جميلا
واسترحنا هناك حتى ترامت — رقعة الظل فانتهبنا الأصيلا

نجعل الصبح إن طلبنا الرواحا — موعداً نستعيد فيه المراحا
فترانا الرياض والصبح وسنا — ن سبقنا إلى الشروق الصباحا!

انقضى الحلم في ظلال وورد — أنا ذا اليوم أنقل الخطو وحدي
أوحشت جنتي وأضحت رؤاها — وشذاها البهيج مبعث وجدي

كم حوى اليوم كل واد عشيب — من طيوف تلح في تعذيبي
يوجع النفس فيه مرأى خلي — ومحب يصغي به لحبيب

قد تولى بعد الثلاثين عام — فيم يا قلب هذه الأوهام؟
أيها القلب لم تعد بعد طفلا — فيم تصبو؟ هل تنفع الأحلام؟

الخفيف

وحى الطبيعة الغربية

النبع المتدفق

[زار الشاعر نبع « إيفيان » بفرنسا فأوحت إليه هذه الزيارة العابرة بهذه الأبيات]

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

تَدَفقْ على جانبِ الصَّخْر ماء ... وَطُفْ بالعِطاشِ وَرَوِّ الظِّماء
وَفِض فِضَّةً أين منها النضارُ ... إذا لاح فى صُفْرة أو تراءى
رأيتُ لديكَ مراضَ الجسوم ... وقد عقدوا فى يديكَ الرجاء !
يعزُّ عليهم شفاء الطبيبِ ... فيلتمسون لديْكَ الشِّفاء
تعالى الذى بثَّ فيكَ العلاج ... وَأَوْدَعَ فى قطرتيكَ الدَّواء ...

* * *

و بعضُ الصُّخورِ على عنفها ... تَمدُّ إلى الظامئين الرِّواء
وتعطى بلا كبرياءِ الغنِيِّ ... وفى الناسِ ما أكثَرَ الكبرياء !

* * *

تدفقْ فإن قلوبَ الأنام ... دماء ... ولكن تحب الدماء
قسونَ فكنَّ كبعض الصخور ... جموداً وزدنَ عليها الرياء ...
لقد أحكموا سَتْر سَوْءاتِهم ... وخاطوا لها من نفاقٍ كِساء ...
يُزَخْرِفُ كذَّابُهُمْ فى الكلام ... ويَرمى بآفاتِه الأبرياء ...

* * *

تدفقْ فإن معانِى الحياة ... نَضَبْن وأصبحن فيها هباء
تدفقْ ، كفكر الشُّجاع الجريء ... يُشعُّ على الآخرينَ الضِّياء
تدفق ، كحدِّ الحسام الحديدِ ... إذا زاد فى كل هولٍ مضاء
تدفق هناكَ صفاء فإنا ... عدمنا بتلك القلوبِ الصَّفاء ..
وكيف يُصَفَّى سليلُ الترابِ ... وقد كان بالأمسِ طيناً وماء ؟

محمد عبد الغنى حسن



الربيع

أيامه كالغيد ، نضرها ترف الصبا وغضارة الحب
زهر نواعم في نضارتها سحر الحياة وفتنة القلب
تمشي بأنفاس معطرة تحيي بريّا الحب أو تسبي
تنساب في الصبوات عابثة عبث الدلال برقة العتب
وتدب في الأرواح نشوتها هفهافة ، نفحاتها تصبي
عطر الحبيب على نسائمها يذكي غرام الهائم الصب
تدني إليه خيال ممتنع بالدل ، مبتعد على القرب
وتريح أشواقاً معذبة ظمأى ، بلذة منهل عذب

* * *

هذا ربيع الناس ، واحزني ، وربيعي الأشواك في قلبي !
أغفى شبابي في ملاوته كالشيخ تحت عمائم الشيب
ودلفت بالأيام متئداً حملتها خطباً على خطب
أمشي بأفكار محيرة بالشوق آونة وبالرعب
هذا شبابي ، سائر أبداً بربيعه في مقفر جدب
أحيا الشباب ربيع حبهم – نعموا به – وأماتني حبي !

« شاكر »

الرأي العام

كتب الأستاذ « الزيات » في العددين الماضيين من الرسالة كلمتين جليلتين ، إحداهما عن « التبشير » والأخرى عن « فقهاء بيزنطة » : أي فقهاؤنا وعلماؤنا . وهما تنزعان جميعاً إلى بيان أصل واحد ، وهذا الأصل هو غفلتنا وإهمالنا ، ثم غثاثة آرائنا وضآلتها ؛ وهذه مردها إلى علل كثيرة قد توغل داؤها في أعصاب الأمم الإسلامية ، حتى صار الدواء لها باطلاً أو كالباطل ، وذلك لغلبة الجهل علينا ، وفي الجهل العناد ، وفي العناد المكابرة ، وفي المكابرة اللجاجة ، واللجاجة أم ولود كل أبنائها أباطيل ، ومن طلب علاج الأباطيل وترك أمهاتها تلد ، فقد جعل علاجه باطل الأباطيل

وهذه الأمة المصرية وسائر الأمم الإسلامية قد خضعت من قرون طويلة لسيطرة الجهل وبغيه ، وامتدت عليها حقب طويلة أظلتها بالغفلة والنسيان والموت ، وحجبت دونها شمس المعرفة ونور العلم ، حتى انحنت على أساطير التراب تجد فيها كل معاني الفكر والعقل والقوة ، وصار همها الأرض وما تنتج مما يكفي شهوات النفوس المستغلة باللذة ، أو يرد مسغبة النفوس المحطمة بالعمل . ثم جاءت الذئاب الذكية العاقلة المدبرة ، فعرفت صيدها وقالت له : اعمل عملك ، فهذا طريقك ، ولكنها خشيت أن تتمزق الظلل وتسقط الحجب ، وتهب تلك القوة العلوية الرابضة في دم الإنسان ، فترى أشواقها فتندفع إليها اندفاع الوحش المجوع في مهوى الريح التي تحمل أنفاس فريسته ، وعندئذ تعجز الحيلة في دفع هذه القوة وردها إلى ما كانت عليه تحت أطباق الخمول والجمود والغفلة . وعمل ذكاء الذئاب عمله ، ورأى أن قمع القوة العلوية بالاستبداد والفجور في الاستبداد هو الشر عين الشر ، وأنه كقمع البخار في قماقم الحديد ومن تحتها جاحم من النار يتضرم ، فما يعقب إلا الانفجار والتصديع والأذى . فنكبوا عن ذلك إلى تصريف هذه القوة العلوية حين تستيقظ في هذا الشرق تصريفاً يكفل لهم معها أمرين :

الأول التنفيس عن هذه القوة ، واتخذوا لذلك أبرع الأساليب ، فحاولوا أن يظهروا وكأنهم هم الذين يعملون على إزالة غشاوة الجهل عن العيون المحجبة ، فأنشأوا المدارس وتلبسوا بالنصيحة للتعليم في معاهده كلها ، وجعلوا خلال ذلك يضعون ويقررون أصولاً تؤدي بهم إلى أغراضهم ، ليسيروا بالتعليم إلى حالة ترضيهم وتنفعهم ، فلا يخرجون من هذه المعاهد جيلاً يقف أمامهم كما تقف القوة للقوة وكما يناهض العقل العقل ؛ ثم يزاحم في إنشاء الحضارة بالقوة العاملة والفكر المبدع

والأمر الثاني : وهو بناء على ذلك البناء ، وذلك اجتهادهم

— بكل أساليب التنبيه والدعاية والمثال وغير ذلك — فى توجيه الرأى العام فى نواح بعينها إلى العصبية الفردية والإجماعية ، ثم صرف هذا الرأى العام — أى أهله — عن الاهتمام بتقرير الأصول العامة التى تسير عليها السياسة الخلقية والعقلية والإنشائية والعملية ؛ وعن العمل فى توحيد الرأى العام للشعب توحيداً يكفل للأمة أن تستغل كل قواها فى تدبير المستقبل على نظام ثابت مستقر ماض على أسبابه إلى النهاية غير مختلف ولا متنافر

وقد كان من نتائج هذين الأمرين العظيمين ـ حين استيقظنا وأبصرنا ـ أن تعددت الثقافات فى الشعب الواحد ، وتنابذت العقول على المعنى الصحيح ، واختلفت المناهج المفضية إلى الغايات ، وعاون ذلك ما ورثناه من الجهل الداعى إلى العناد والمكابرة واللجاجة ؛ فاستشرى داء العصبية وأصبح العمل عندنا لا يكون عملاً حتى يحاول أن ينقض كل ما سبقه من العمل ، وتعاقبت على الأمة أطوار بعد أطوار ولا نزال فى عهد الإنشاء ، ولا تزال اللجان تجتمع عاماً بعد عام لتقرر وتضع ، وليس إلا التقرير والوضع وحضانة المذكرات ! !

وكذلك اختل نظام الرأى العام ، وهو لا يكون إلا من اشتراك الجماعة فى الأصول الثقافية كلها ، واختل أيضاً مكوّن الرأى العام، وهو الصحافة وما ينزل فى ذلك منزلتها، فتكوّن من الصحف المختلفة المبادئ آراء متخالفة ، لا بل متباعدة ، لا بل متعادية ؛ كلا بل هى فى الواقع لا تمس جوهر حياة الشعب العامل المستهلك فى الزراعة والصناعة والجهل أيضاً ... وحتى لا نجد صحيفة واحدة قد بنت دعوتها على أصول بيّنة موافقة لحاجة هذا الشعب ، وعلى هذه الأصول تأخذ وتدع ، وتحبذ وتنقد ، وتهدم وتبنى ، على تعاقب السنين وتغير الظروف والأحوال

التبشير

وأحدُ الأمورِ التى ابتُغىَ بها العملُ على إضعافِ الشعب والتفريق بين أهله ، وإيجادُ ضروب من الثقافات فى بلد واحد يجب وجوباً قطعيا — كما يقولون — أن تتوحد ثقافته — هو ما اتخذوه من التبشير ومدارسه المختلفة ، وما يبطن أصحابها وما يظهرون . وليس التبشير هو الدعوة الصريحة إلى الدين المسيحى، فإن هذا لا يمكن أن يكون فى بلد جل أهله من المسلمين ، وخروج المسلم من دين الإسلام إلى دين غيره يكاد يكون مستحيلاً فى العامة من الشعب ، ويكاد لا يصح عند المتعلمين وأشباه المتعلمين. وهذه حقيقة يعرفها المبشرون قبل أن يعرفها المسلمون ، وإذن فليس الغرضُ من التبشير هو المفهوم من لفظه ، ولكنه الذى أشار إليه الأستاذ « الزيات » فى مقاله ، ثم إيجاد ضرب من الثقافة الأدبية والخلقية والعقلية يناقض ضروباً أخرى من الثقافات المختلفة فى مدارس الأجانب والمدارس الوطنية ، وبذلك تتعدّد المناهج الفكرية فى حياة الشعب ، ويعسر بعد ذلك أن تتحد هذه الثقافات على رأى عام يقوم عليه الشعب ويحرص على تنفيذه ، ويأخذ فى الإعداد للوصول إليه درجة بعد درجة . وكذلك يبقى الشعب إلى النهاية وهو فى بدء لا ينتهى وفى اختلاف لا ينفضّ ، بل يصير ولا بد إلى المعاداة والمنابذة والأحقاد التى تؤرثها السياسة الاجتماعية الخفية التى طغت على الشرق من قِبَل حضارة قوية باهرة عظيمة كالحضارة الأوربية

ولا يزال أهل الشرق مختلفين ما بقيت هذه الثقافات المتعددة من مدارس التبشير إلى المدارس الإلزامية ، تمد الرأى العام بأصحاب الآراء المختلفة والعقول المتباينة . ولن يصلح أمر هذا الشعب حتى يناهض ذلك كله بانصرافه إلى مدارسه ابتغاء توحيد ثقافته على أصل واحد . والأصل الضعيف الموحد فى ثقافة الشعب خير وأنفع من الأصول المتعددة القوية ، لأن هذه تغرى بالتفرقة والعداء ، وذلك يؤلف ويوفق ويضم أشتاتاً ويقيم القلوب على الإخلاص والتفاهم

فقهاء بيزنطة

وهذا مثل جيد ضربه الأستاذ الزيات لاختلاف عامة المسلمين على بعض أحكام الفقه الإسلامى والسنة النبوية ، وبنى بعضهم على بعض فى ذلك ، وتركهم الأصول الإسلامية التى ترفع المسلم إنسانية فوق إنسانية ، وتمحّصه من الجهل والضعف والفساد والذلة . وكيف يختلف علماء المسلمين على فروع من دينهم ويدعون الأصل لا ينفذ نوره إلى قلوب هذه الملايين من المسلمين ، فيطهر أدرانها ويزيل غشاوة العمى التى ضربت عليهم أسدادها .

وضرب الله مثلاً فقال : « ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على العالمين .

وآتيناهم بينات من الأمر ، فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الأمر ، فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » .

فقد بين الله سبحانه أن اختلاف من سبقنا لم يكن إلا بغياً من بعد أن جاءهم العلم ، وأنه جعل المسلمين على شريعة من الأمر. وحق ذلك ألا يقع الاختلاف بين المسلمين إلا فى رأى لا يفضى إلى فرقة ، وعلى ذلك كان السلف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعوا قوله : « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم » ، وقد نهى عن الجدل والمراء وتناهى أصحابه عنه حتى قال ابن عمر : « لا يصيب الرجل حقيقة الإيمان حتى يترك المراء وهو مُحِق »

ونحن قد صرنا الآن إلى زمن قد غلبت فيه بدع كثيرة ليست من الدين ولا تنزع إليه، ولكنها من محدثات الأمم وفتن الأهواء. ونحن أيضاً فى زمان ضعف وقلة وتفرق ، والأمم من حولنا تتباغى على أنفسها وعلينا ، فما يكون اختلافنا على البدع والمحدثات وبغى بعضنا على بعض ، ومصير ذلك كله إلى العداوة والبغضاء وأن يكفر بعضنا بعضاً — إلا إعانة لهؤلاء على النيل منا ما شاءوا . ثم نحن فى زمان جهل بالدين ، فليس من أمر الله أن ندع أصل الدين مجهولاً ، وننصرف إلى فروع نحاول على إبطالها أو تحقيقها

وقد روى البخارى : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه » ، فإذا كان من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحسم أصل الخلاف بترك مجلس الخلاف فى القرآن وهو أصل الإسلام كله ، فأولى أن نقوم عن مجلس الخلاف فى فروع وسنن ، لئلا يفضى ذلك إلى مثل الذى نراه بيننا اليوم من التعاند على بعض السنن بالعداوة ، حتى صار لكل صاحب رأي فريق يحامى دونه ويعادى عليه ، ثم يقع بعضهم فيما هو أشد نكراً من أصل الخلاف ، ألا وهى الغيبة والتفريق بين المسلمين

سياسة الإسلام

والإسلام فى بنائه قائم على مصلحة الجماعة ، وجعل المسلمين يداً على من سواهم ، وأن يكونوا كالبنيان يشد بعضه بعضاً . وهذه مصلحة مقدمة على كل المصالح الأخرى ، وهى مقدمة على فروع الفقه الإسلامى ، كما قدم الجهاد فى سبيل الله على كل عمل من أعمال الإسلام

والإسلام فى أصله أيضاً لا يعرف من نسميهم اليوم « رجال الدين » فإنما هم من المسلمين يعملون أول ما يعملون فى حياطة الجماعة وإقامة كيانها الاجتماعى والسياسى بالعمل ، كما يعمل فيه سائر الناس فى وجوه العيش وضروب البناء الاجتماعى . وليس الانقطاع للجدل فى الفقه والسنن والتوحيد عملاً من أعمال الحياطة إلا أن يبنى على المسامحة والأخوة والرضا وترك اللجاج والمعاندة ، وإلا فهو شرٌ كبيرٌ يجب على المسلمين أن يحسموا أصله

فإذا استقرَّ البناء الاجتماعىُّ للأمم الإسلامية على أصول الإيمان المُبصِر والتقوى الهادية ، وتبرأت النفوس والقلوبُ من غوائل الضعف والذلة والخضوع ، وقام على الأمم الإسلامية قرآنُها يهديها ، ويُهذِّبُ شعوبها ، ويرقق أفئدتها لدين الله ، ويؤلف قلوبها على إعلاء كلمة التوحيد ، ويجمعها على دستور الإسلام فى التشريع الواضح الحازم القوى ، ويجعل الاجتماع فى كل بلد إسلامى اجتماعاً بريئاً من فتن الغواية ومحدثات الشر ، ثم تكون للمسلمين حضارة من أصل دينها تضارع الحضارات التى تناوئ شعوبها وتستذلها ، — إذا كان ذلك كله — فعندئذ يستطيع الحكم الإسلامى أن يرد ما يبقى من البدع التى غلبت على أهل الجهالة بالسلطان الحاكم لا بالكلام المفرق بين الناس وإذن فأجدرُ العاملين برجال الإسلام من أصحاب الفقه والشريعة والتوحيد أن يعملوا على إنقاذ المجتمع الإسلامى من أسباب ضعفه بهدايته بأسباب القوة الأخلاقية والفكرية التى جعلت المسلمين فى ثمانين عاماً سادة حاكمين على الإمبراطورية التى جاهد الرومان فى بنائها ثمانمائة عام ... وإلا فلن يكون بعد مائة عام محمل فى حج ولا محراب فى مسجد

محمود محمد شاكر



تأملات فى الفن

فى معرض مختار

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

كان الزوار جميعاً فى ركن ملتفين حول هدى هانم شعراوى، وسيدتان مفردتان فى ركن آخر تحومان حول التماثيل، إحداهما من أصحاب المعرض تشرح للأخرى الزائرة، فعرجت إليهما ووقفت على مقربة منهما أدعى أنى أنظر فى تمثال، بينما أنا أتسمع إلى ما تقولان، لأرى كيف تتحدث السيدات عن التماثيل ...

ووقفنا أمام تمثال « المنجد » ... الزائرة تنظر إليه فى حيرة كأنها تخاف أن تظهر الإعجاب به، بينما يكون هو مما لا يستحق الإعجاب، وتخاف أن تزدريه، بينما يكون هو من روائع المعرض فوقفت الزائرة ساكتة كأنها مستغرقة فى تأمل التمثال، وكأنها ممن لا يتسرعن إلى إصدار الحكم على الأشياء لغرام عندها بالتحقيق والتدقيق، وتقليب أوجه النظر، واستقصاء المحاسن والعيوب، كيلا يكون حكمها آخر الأمر إلا الحكم الفصل الذى لا يقبل النقض

ورأت صاحبتها أنها لو انتظرتها، حتى تقول كلة فى المنجد أو تعبره من غير كلام، فإنها قد تقضى الدهر واقفة مع زائرتها وهى تمثال آدمى لطيف أنيق «أريستكرات»، ينظر إلى تمثال من حجر متواضع ديمقراط ... فقطعت صاحبة المعرض هذه السكتة الباردة وقالت :

— مدهش التمثال ...

... فبلعت الزائرة ريقها لأنها سمعت كلة خرجت من فم صاحبتها وفى نبراتها معنى التأكيد فأدركت أن هذه الكلمة حكم على التمثال، ولكنها لم تلبث حتى زاغت روحها مرة أخرى كأنها لم تفهم ما إذا كانت كلة « مدهش » هذه مدحاً للتمثال أو ذماً، وكادت روحها تتكاسل وتقنع بهذا الزيغ فتظل فى التيه الذى انتقلت إليه حتى تستدرجها صاحبتها إلى عالمنا هـذا بكلمة أخرى . . . غير أن الله ألهمها أن كلة «مدهش» هذه قد مرت بها قبل ذلك فقلبت عينيها فى محجريها فاستدارتا فبان بياضهما وحده، واتجه إنساناهما إلى داخلها يفتشان فى أعصابها وحناياها نفسها عن كلة «مدهش» هذه ما معناها ... وأخيراً اهتدت، وظهر عليها أنها ذكرت، وأغلب الظن أنها ذكرتها بمجلة من المجلات المصرية التى تكتب أبناء الطبقة الراقية فقد خدمت هذه المجلات اللغة العربية إذ حملت بعض كلماتها إلى أهل الطبقة الراقية هؤلاء فلها الشكر ...

وكأن صاحبة المعرض أدركت أن زائرتها قد فهمت أخيراً أن هذا التمثال مدهش، ولكنها إلى جانب هذا أدركت أن هذه الزائرة الصغيرة لا تزال تريد أن تعرف لماذا كان هذا التمثال مدهشاً، فأسرعت وقالت :

— إنه مدهش لأنه Simple ، ولأنه حلو ...

... وكانت صاحبة المعرض تستطيع أن تقول « بسيط » و « جميل » ولكنها خشيت ألا تفهم الزائرة من كلامها شيئاً، وهى زائرة عليها مظاهر اليسار، وأمثالها وحدهن هن اللواتى يشترين التماثيل ليضعنها فى الصالونات لتكون موضوعاً لحديث الزائرين والزائرات ومجال الإشارة إليهن والتنويه بهن فى الصحف والمجلات ...

وانتقلت الزائرة من أمام تمثال المنجد إلى أمام تمثال بائع المرقسوس وهو تمثال كبير فى الحجم الطبيعى وقد صنعه صاحبه من الورق المقوى صناعة اهتم فيها بمظهر التمثال وملابسه وأدواته اهتماماً كبيراً

ورأت الزائرة ألوان التمثال فانبهرت، وكأنها قالت فى نفسها لابد أن يكون هذا التمثال هو بطل المعرض فليس غيره تمثال مزوق منمق لابس ملابسه كلها، وليس ينقصه إلا أن يمشى فى المعرض يبيع للناس مما يبيع ... وهنا تفتقت فى رأس الزائرة مسألة جديدة هى هذا الذى يبيعه الرجل ... الورقة مكتوب عليها بائع المرقسوس، ولكن ما هو المرقسوس؟ ... بنات الطبقة الراقية

لا يعرفن المرقسوس ! ... فسألت صاحبتها :

— دى جيلاتى ... ؟ !

وصدمنى هذا السؤال فضحكت ، وشعرت الزائرة بأنى أضحك ساخراً منها فاصطنعت السعال وأرادت صاحبة المعرض أن تنقذ زائرتها فرطنت إليها بالفرنسية كلاماً قد يكون معناه : لا تعبئى بهؤلاء الشعب . وأدركت أنى إذا وقفت بعد ذلك على مقربة منهما أو تبعتهما فإنى سأفسد الشغل على المعرض وأصحابه ، وأنا من أول الأمر لا فائدة منى للمعرض ولا نفع فلا أقل من أن أكون غير ذى ضرر ... فانتحيت جانباً أفيض حسرة على متابعة هذا الحديث الشعى الدائر بين هاتين السيدتين ... أريد أن أسمعه إلى آخره وأن أعتصر كل ما فى أسئلة الزائرة من بله، وأن أستمتع بكل ما فى أجوبة صاحبتها من صبر وسخرية ...

ولكنى ابتعدت مجاملاً ، وعدت إلى تمثال المنجد عسانى أرى فيه شيئاً أكثر مما أشارت صاحبة المعرض لزائرتها ...

التمثال يمثل شاباً مصرياً منجداً فى جلباب قاهرى لعله كان من « الزفير » أو « البفت » ، وهو جالس على الأرض جلسة المنجدين وفى يده القوس يضرب به القطن ... وقد كتب عليه أنه من صنع الآنسة جلاديس بولاد وأنه نال الجائزة الأولى

التمثال كله مصنوع بمهارة وحذق ولباقة ورقة ، وهو منسجم مستريح سليم لا عيب فيه إلا شيء واحد فقط . . . ذلك أنه إذا أقسم لى أهل الأرض وأهل المريخ بأن الآنسة جلاديس قد نقلت هذا التمثال عن شاب منجد حقاً فإنى أصر على رفض هذا القسم ممتنعاً على الاقتناع به . وإنما وجه هذا التمثال منقول عن وجه شاب يخيل إلىّ أنه من بيئة مهذبة تهذيباً عالياً ، كما يخيل إلى أنه نفسه من المفكرين الذين لا ينفتأون يحاسبون أنفسهم ليلاً ونهاراً ويتأملون فى كل ما يسنح ويعرض لهم من البوادى والظواهر ، كما أنى أرى فيه ما هو أعمق من هذا وأشد انطباعاً فى نفسه، ذلك أنه لا بد أن يكون ذلك الشاب الذى نقل عنه هذا التمثال عاشقاً مدلهاً معذباً انكسر قلبه من الحب وهو يمسك بعقله خشية أن ينكسر هو أيضاً ...

كل هذا ظاهر فى ملامح الوجه الذى ربط على جسم هذا المنجد، فإما أن يكون هذا التمثال منقولاً عن شاب لا صلة له بالقوس ولا بالقطن ، وإما أن يكون هذا المنجد من قراء الدكتور غالى الذين يدوخون فى تفهم النسبية والألكترونات وما إلى ذلك من المصاعب، على أن يكون هذا القطن الذى « ينجده » قطن معشوقته التى ستزف إلى منافسه فى الغرام ...

وعلى وجه غير هذين الوجهين لا أستطيع أن أفهم هذا التمثال ولا أن أستسيغه ، فأيهما كان هذا الشاب صاحب هذا التمثال ؟ على أى حال إن هذا أمر لا يعنينا وإنما يكفينا أن نلمح هذا اللون أو ذاك من الحياة فى التمثال ، فليس لنا عند الفنان أكثر من أن يسقينا شهده ، وليس لنا عليه أن يكون هذا الشهد مما نعرف أو مما سبق لنا أن ذقناه ...

إنه « منجد » رأته هكذا الآنسة جلاديس بولاد ... ولها أن تفخر بأنها رأت شيئاً وبأنها تحس وتدرك ثم تعبر عما تقف أمامه زائرة كالتى رأيناها لا تعرف الفرق بين بائع الجيلاتى وبائع المرقسوس ...

انتهيت من هذا « المنجد » ونظرت يمنة ويسرة فلفتنى تمثال لغجرية تبين « زينا » لامرأتين قرويتين استند إلى كتف إحداهما طفل ... كنت على بعد خطوات من التمثال أراه ولا أرى تفاصيله وملامح وجوهه ، فجذبنى إليه « موضوعه » واقتربت منه أبحث عن فعل الفنان فيه ، فالغجرية امرأة لها عقل أبرع من بقية العقول ، ولها نظرات أنفذ من بقية النظرات ، ولها إشارات أكثر امتلاء بالمعانى من بقية الإشارات ، والنسوة اللواتى يجلسن إلى الغجرية يستفتينها فى شؤونهن لسن هادئات ولا ناعمات ، وإنما تثور فى نفوسهن رغبات ، وتصطرع فيها آمال ، وتتخبط فيها نزوات ولواعج ، والصبى الذى يستند إلى كتف أمه ويقف يسمع الغجرية تحدثها لا يمكن أن يخلو من الفضول وحب الاستطلاع ، ولا بد أن يظهر فى وجهه تفرس يتتبع به هذا الكلام العجيب الذى يسمعه والذى يحسه لا يشبه غيره من الكلام ...

دنوت من التمثال لأرى فيه هذا كله فماذا رأيت ؟

رأيت الغجرية ناعمة والمرأتين ناعستين والصبى المستند إلى

كتف أمه شارد الروح ... بل إن شارد الروح يدل على نفسه، فيعرف الناظر إليه أنه قد سرح إلى دنيا غير هذه الدنيا، فهو موجود فيها، وإن كان مفقوداً في دنيانا ... أما هذا الطفل، فقد ظهر عليه أنه ابتلع روحه، فهي في بطنه محبوسة لا تكسوه حياة الأرض ولا تنتقل به إلى حياة أخرى ...

كان هؤلاء الجماعة أشبه الجماعات بتلاميذ المدارس في الحصة الخامسة بعد أكلة العدس ... متهافتين إلى النوم، متبلدين عن الفهم، ولم يكن فيهم ما يكون في تجربة وجماعة مصغين إليها ... فكيف دخل هذا التمثال هذا المعرض ؟ وأي شيء فيه أغرى المعرض بعرضه ؟ ... هذا ما يعلمه الله وما يعلمه أولئك الذين يقولون : إنهم يشجعون الفنانين الناشئين. والذين أريد أن أقول لهم : إن تشجيع الفنانين الناشئين لا يصح أن يكون على حساب الفن، ولا يصح أن يتعدى حدود التشجيع إلى أن يكون تحريضاً على الفن، وإكراهاً له أن يخضع ويذل لمن لا يكرمه ويفسح له روحه ونفسه. وهذه كلمة شديدة لا أريد منها إلا أن تحفز صاحب التجربة على أن يمعن في التأمل إذا تأمل وأن يثابر في تجويد التعبير إذا أقبل على تمثال جديد، فإذا لم يجد في نفسه القدرة على ذلك استرزق الله عملاً آخر غير الفن ...

وبدأ الزحام الذي كان محيطاً بهدى هانم شعراوي في الركن البعيد ينحل قليلاً قليلاً، فقصدت إلى ذلك الركن فكان أول ما استرعى نظري فيه تمثال آخر صغير لبائع العرقسوس حسبته أول ما رأيته أنه من صنع آنسة أو سيدة لما رأيت فيه من حنان وإعجاب ذاعا في تكوينه ونحته، وتفصيل جوارحه تفصيلاً لا يمكن إلا أن يكون استجابة لطرب كانت ترقص به اليدان اللتان نحتتا هذا الجسم الفارع المشوق الأنيق. حسبت هذا ولكنني علمت أنه من صنع شاب هو سيد زيدان، فهنأته به ولم أكتم عنه ما خطر لي فابتسم في استحياء كمن لم يكن يحب أن يقال له كلام كهذا، ولكني هونت عليه بأنه لا حرج على الفنان الرجل أن يعجبه جمال الرجال ... وإني أعتقد أنه لو كان زيدان قد اهتم بوجه تمثاله هذا على نحو ما كان قد عرض إلى جانب هذا الجسم الحلو وجهاً فيه شيء ما نذكره له إلى ما ذكرناه من جمال البدن في تمثاله، ولكنه استغرق في الذراعين والساقين والكتفين، وغير ذلك واكتفى بذلك ...

واكتفيت أنا أيضاً بذلك وهممت أن أنصرف، لولا أني رأيت عبد السلام الشريف ينطلق إلى تمثال « عازف الربابة » ليقرأ اسم صاحبه فقرأت الاسم معه وسألته رأيه في التمثال وصاحبه فقال : التمثال بديع وصاحبه أحمد صدقي مثال محسن

وعبد السلام الشريف فنان في الصف الأول من الفنانين المصريين، له أسلوب في الرسم والزخرفة لم يسبقه إليه إنسان، وقد أحدث القارئ عنه في فرصة قريبة، وفنان هذا شأنه لا بد أن يكون لشهادته قيمتها. والحق أن تمثال العازف على الربابة تمثال بديع ولو أنه لم ينل جائزة، وميزته أنه منحوت على النهج الفرعوني وفق الطريقة التي أحياها المرحوم مختار، ومع هذا فإن صاحبه احتفظ « بقاهريته » في وجه التمثال فلم ينحته عن واحد من أبناء الصعيد أو أبناء الريف، وإنما صوره وجهاً قاهريا فيه تأنق القاهريين، ولطربوشه ميلان التأنق الذي يصطنعه أبناء القاهرة، ولشاربيه انتظام شواربهم وإحسان تنظيمها

ولا ريب أن هذا التمثال كان أحق بالجائزة من التمثال الذي نال الجائزة الثانية، ولكنهم قالوا لي : إنهم منحوا الجائزة الثانية لآنسة متعمدين كي يشجعوا الجنس اللطيف على غزو ميدان الفن

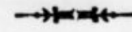
وأنا منذ اليوم أنذرهم بأن ليس في الجنس اللطيف هذا أمل كبير في الحصول على فن من صنع يديه، فعليهم في المسابقات المقبلة أن يراعوا الحق فذلك خير.

عزيز أحمد فهمي



فى بيوت النمل

للأستاذ أحمد على الشحات



ما من حشرة أكثر انتشاراً على سطح المعمورة من النملة ، وقد يبدو عجيباً أن تستطيع هذه الحشرة الصغيرة أن تهيئ نفسها للأجواء والبيئات المختلفة ؛ فكما أنها تعيش فى أوربا تعيش كذلك فى أفريقية — وفى الجبال والأودية ، وفى الغابات والصحارى ، وعلى شواطئ الأنهار والبحيرات . وقد أحصى العلماء ستة آلاف نوع من النمل تختلف فى الحجم والشكل والعادات واللون ، فنها ما لا يزيد طولها عن ملليمتر ومنها ما يصل طولها إلى بوصة. ومنها الأسود والأحمر والبنى والأصفر والأخضر وما تضاربت وجهات نظر العلماء كما تضاربت فى تعليل عادات النمل ونشاطه وهل مصدرها التفكير أم الغريزة ؟

والنملة فى الاجتهاد والمثابرة يضرب بها المثل . فمن الهزيع الأخير من الليل إلى غروب الشمس تظل دائبة على العمل فى نقل غذائها وتخزينه ، أو بناء مأوى لها ، وتستطيع أن تحمل ما يزيد على أضعاف وزنها من المواد ، فقد أجرى العالم فوريل بعض التجارب فوجد أن النملة تستطيع أن تحمل ما يفوق وزنها ستين مرة

وقد درس فرولوف وهو عالم روسى يشتغل بدراسة الأحياء بعض عادات النمل ، فأتى بصندوق ونزع أحد جوانبه واستعاض عنه بلوح زجاجى شفاف حتى يشاهد منه حركات النمل ، ونزع كذلك السطح العلوى ليدخل الهواء منه إلى الصندوق ، ولكنه وضع نسيجاً شفافاً مكانه حتى لا يهرب منه النمل ، وسد ما قد يكون من ثغرات دقيقة بمعجون ليضمن عدم خروج النمل ، ووضع أمام اللوح الزجاجى ستاراً ليحجب الضوء عنه - وبمجراف ودلو أخذ جزءاً من كوم طبيعى صغير للنمل - بما احتواه منه ومن بيض وبقايا نباتات ، وما يكون قد وجد فيه غير ذلك - من غابة تبعد ثمانين ياردة عن معمله ووضعه فى الصندوق . فلما استعاد النمل هدوءه بعد نقله من موطنه الطبيعى بدأ نشاطه وأخذ ينظم بيته الجديد فخصص مكاناً أميناً للبيض ونقله بعناية إليه ، وأقام مما حوله بيتاً منظما ذا غرف عديدة، وفتحات للدخول وأخرى للخروج، وردهات يجتمع فيها.

وظل النمل يومين كاملين يشتغل فى موطنه الجديد كأن قد طاب له المقام فيه ، حتى إذا ما أقبل الصباح الثالث ورفع العالِم الستار ليرى النمل، فلشد ما كانت دهشته حين وجد أن ما قد أقامه النمل وتعب فى تنظيمه قد دك دكا ، وأن البيت الجديد قد هدمت قواعده فتطرق إلى ذهنه أنه لظروف ما غير ملائمة قد مات النمل ففتح الصندوق ولكن كانت دهشته أعظم حين لم يعثر على نملة واحدة أو بيضة واحدة رغم ما قد اتخذه من احتياطات تكفل له عدم هروب النمل فعاد إلى الكوم الصغير ثانية ، فوجد أنه قد أعيد بناؤه ولو أنه لم يبلغ فى ارتفاعه ما كان عليه أولاً ، فأخذ منه كمية أخرى، وزيادة فى الاحتياط طلى ظهر أغلب النمل المأخوذ بلون أحمر ونقله إلى الصندوق فبدأ النمل يعيد سيرته الأولى فى البناء والتنظيم ليومين متتاليين ، إلى أن كان الصباح الثالث فوجد كما وجد فى مثيله . البيت تهدم والنمل لا أثر له وكذا البيض ، فعاد إلى الكوم الصغير فتملكه العجب أن وجد هناك أن النمل المطلى ظهره قد عاد أغلبه إليه . أما الباق فربما كان قد وصل إلى الكوم ثم خرج يبحث عن غذاء ، أو قد هلك فى الطريق ، أو لم يصل بعد إلى الكوم ، ووجد بعد بحث دقيق بعدسة مكبرة أن النمل قد أحدث ثغرة دقيقة فى النسيج الشفاف الذى يقوم مقام السطح العلوى للصندوق ومنها هرب

ولكن كيف اهتدى النمل إلى بيته الأول مع أنه يبعد ثمانين ياردة عن الصندوق وقد حمل حملاً فى دلو حين نقل إليه ؟ وكذلك ما الذى جمله على عزم أكيد للعودة إلى بيته الطبيعى ؟ فى مرتين يهرب ، وكذلك لم حمل البيض معه ؟ وإذا كان النمل قد عزم على العودة، فلم كان يشقى كل مرة ويجد فى بناء البيت الجديد ثم يهجره بعد بنائه ؟ أغلب الظن أن النمل لم يفكر فى مثل هذه الأمور ، ولكنها الغرائز هى التى دفعته إلى تنظيم موطنه الجديد ، وهى التى دفعته إلى الحنين إلى بيته الأول ، وهى التى دفعته إلى حمل البيض حفظاً على النوع

ويعيش النمل فى جماعات تتكاتف أفرادها فى عمل ما ينفعهم كبناء بيت ، أو الحصول على زاد وتخزينه ، كما تتكاتف فى دفع الضر كمهاجمة عدو، فتشتبك الجماعات فى معركة يستمر أوارها بسبب القوت غالباً ، إذ تتنافس جماعتان فى الحصول عليه ، فتشتبكان فى الملحمة ، ومتى انتهت رأيت مكان الموقعة ، وقد تناثرت عليه أشلاء القتلى ، فمن أرجل مبتورة إلى رؤوس مقطوعة إلى أجسام ممزقة . وكثيراً ما تشاهد هذه الظاهرة فى النمل الأبيض الذى يعيش فى أمريكا . وقد يندفع الفريق الغالب نحو بيت المغلوب ويلتهم البيض . ومن العجيب أن الفريق المغلوب قد يتجه نحو بيضه ويشاطر الغالب التهامه بعد أن كان يحرص عليه حرصاً شديداً

ويختزن النمل غذاء كافياً ليستهلكه فى الشتاء ، إلا أنه فى بيوت بعض الأجناس لم يعثر العلماء على غذاء مخزون للشتاء ، كما أن مثل هذا النمل لا يخرج شتاء للبحث عن غذاء له . وبعد بحث وجدوا أن مثل هذا النمل يكون شتاء فى حالة ركود أشبه ما تكون بالنوم . فلا يحتاج فى هذه الفترة إلى قوت ، حتى إذا لاحت تباشير الدفء فى الجو بإقبال الربيع خرج يسعى لرزقه .

وقد توجد حشرات أخرى تشاطر النمل مسكنه وغذاءه ، ولقد أحصى العلماء خمسمائة حشرة مختلفة تعيش معه نظير أن تقوم ببعض الخدمات كتنظيف البيت ، أو إعطاء بعض إفرازات من جسمها حلوة الطعم كالتى يمنحها إياه بعض أنواع القمل ، إذ تضغط النملة بقرنى الاستشعار على مؤخر جسم القملة ، فيخرج سائل تمتصه . إلا أن بعض الحشرات قد لا ترعى أصول الضيافة وتلتهم الغذاء المخزون للشتاء، عندئذ ينقض النمل عليها يطاردها وقد يلتهمها

وللنمل أعداء كثيرة أشهرها : « آكل النمل الذى يستطيع أن يبتلع الآلاف منه دفعة واحدة رغم ما يخرج من جسم النمل فى فم آكله من سائل حمضى هو حامض النمليك . ويمكن استحضار هذا الحامض كيميائياً من جسم النمل بالتقطير

ويتعهد النمل إحدى يرقاته الصغيرة حين تخرج من البيضة بغذاء خاص حلو الطعم يعرف بالغذاء الملكى . وتصبح هذه اليرقة فيما بعد ملكة على النمل ، وهى وحدها القادرة على وضع البيض ؛ أما اليرقات التى لا تطعم هذا الغذاء فتصبح ما يسمى « الشغالة » وظيفتها استحضار الغذاء والتنظيف ومهاجمة العدو ؛ ولكن لا تستطيع أن تضع بيضاً

وللنمل فى سبيل المحافظة على النوع مشاهد عجيبة ، فقد أخذ العالم « لوبوك » يوماً نملة من كوم صغير للنمل ومعها مئات من البيض ووضعها جميعاً فى كأس صغيرة ، فما كان من النملة إلا أن استمرت طيلة اليوم ترجع واحدة ثم واحدة من البيض إلى الكوم وقد أخذت هذا العمل المضنى على عاتقها بدون مساعدة ، حتى أفرغت وحدها الكأس كلها

أحمد على الشمات

بكالوريوس العلوم ودرجة الشرف

أرانب بغير أب

توصل جاك لوب لأول مرة منذ أربعين عاماً إلى طريقة « الإخصاب الكيميائى » أو « التوالد البكرى الصناعى » فأثبت ببحوثه المدهشة أن البيض البكر لقنفذ البحر يستطيع بعد غمره فى محلول حمضى أو مالح ذى تركيب مناسب ، أن ينمو بطريقة منتظمة حتى تتوالد منه يرقات تامة التكوين والتماثل لتلك التى تتوالد من الإخصاب الطبيعى ، فاستطاع الإنسان بذلك أن يعتاض بوسائل المعمل عن الإخصاب الطبيعى من الذكر

وبعد عشرة أعوام أجرى العالم البيولوجى الفرنسى الكبير Bataillon تجربة « التوالد البكرى الصناعى » على الحيوانات الفقارية ، فاستطاع أن يوفق إلى تحديد النمو الكامل للبيض البكر للضفدعة بواسطة تلقيحها بالمادة الليمفاوية أو بالدم ، وقد حقق بعض هذه الضفادع الوليدة بغير أب هذا الانقلاب وتمت حتى صارت ضفادع طبيعية

وقد عادت هذه النتائج بفائدة جليلة من الوجهة البيولوجية والفلسفية ، فقد كان يظن أن هذه التجربة قاصرة على كل حال على الحيوانات الدنيا . وكان يشك فى إمكان تطبيق طريقة التوالد البكرى على الحيوانات الراقية ، فإن البيضة فى الواقع عند طبقة الحيوانات الثديية التى ينتمى إليها الإنسان ، هى خلية صغيرة لا تكاد ترى بالعين المجردة ، ويتم نموها فى داخل الأعضاء الأنثوية

ولتحقيق التوالد البكرى الصناعى فى الحيوانات الثديية ، يجب مواجهة سلسلة من العمليات المتناهية الدقة، وهى الحصول على



كلاب ... وكلاب !...

للأستاذ عبد الله حبيب

« إلى هذا الشيخ الجاثم فى حفرة بين المقابر كما يجثم العقاب الهرم ، وإلى وحيدته فاطمة الراقدة تحت أطباق الثرى ، وإلى هذه الكلاب التى ترفل فى نعيم الدنيا ، وإلى الصعاليك من بنى آدم أهدي هذه القصة » ع . ح

— ١ —

كان البدر يتألق فى صفحة السماء ، وكان الليل مشرق الجبين فتهلل وجه الطبيعة ، وانقشعت غياهب يومنا العابس المطير

وكأن صحو هذه الليلة وإشراقها قد أشاعا الدفء فى الأرجاء فنسينا أننا فى ليلة من ليالى الشتاء

وكنت مع صاحبي ليلتئذ — فى دارى التى اخترتها لسكناى بالضاحية النائية على حافة الصحراء — نطوف بالذكريات فى ركب الأيام ومواكب الأعوام ، وطال بنا الجلوس فملانا البقاء وهممنا بالخروج ننشق نسيم هذه الليلة التى تشبه ليالى الربيع ، وكنا نسير إلى غير قصد معلوم

قال لى صاحبي :

— ألك فى رحلة قصيرة نجتاز بها هذا الجانب من الصحراء إلى تلك القرية الصغيرة على مسيرة ربع ساعة ننعم فى خلالها بالبدر يسطع فوق رمالها البيضاء ، وبالليل نبدد سكونه بما يحضرنا من حديث ؟

وكان تألق البدر فى الصحراء يغرى بالمضى إلى حيث شاء صاحبي فأجبته إلى ما أراد

... ونعمنا فى طريقنا إلى القرية بسكون الليل وفتنة القمر ما شاء الله أن ننعم . ثم أراد صاحبي أن نسلك فى عودتنا طريقاً أخرى ...

قلت :

— وماذا تبغى من هذه الطريق ؟

— لنمر بمقابر هذه القرية لعلنا نجد الشيخ الكفيف المسلوب المقل فى محوة من محواته هناك فأريك منظراً عجباً ، وأحدثك حديثاً أعجب من العجب ...

— شيخ كفيف مسلوب المقل يسكن هذه المقابر وهو حى ؟

— أجل ، وفى حفرة عميقة تشبه الجب لا يبرحها ليلاً أو نهاراً إلا إذا ثارت ثائرته فنهض منها ينفض عن بدنه وثيابه

البويضات البكر ، ووضعها تحت علاج ناجع دون تعريضها للهلاك ، ثم وضعها فى رحم مستعد لقبولها ، وهذه كلها مجموعة من الصعاب تبدو ذات طبيعة تتحدى أكثر المختبرين مهارة

إلا أنه يلوح أن العالم الأمريكى « جريجورى بنكس » قد تغلب على هذه الصعاب ، فاستطاع إنماء بويضة الأرنب بالتوالد البكرى ، وهو كشف عظيم الدلالة ، لو أنه كان فى وقت قليل الاضطراب لاعتبر كأنه حدث كبير

أخذ بنكس بعض البيض البكر ووضعه تحت تأثير محلول ملح أو حرارة مرتفعة (٤٧°) وبعد أن نشطه على هذا المنوال نقله إلى رحم أرنبة أخرى كان قد أعدها من قبل فى حالة حمل كاذب ، أى فى الحالة التى يكون للأنثى استعداد لقبول وتغذية البيض ، فنما بعض هذا البيض (٣ فى المائة) بطريق التوالد البكرى إلى درجة متقدمة فى التطور الجنينى ، بل لقد أفرخت بيضة منها أرنباً حياً ولد فى موعده

ونجاح بنكس إلى هذه الدرجة يذهل ، حتى ليصعب على الإنسان ألا يشك فى غلطة أثناء التجربة ، ولكنه يجب أن نذكر أن هذه النتائج قد أعلنها بيولوجى مشهور أعطى كثيراً من الأدلة على رسوخه الفنى ، وندين له بأعمال باهرة فى تربية بيض الحيوانات الثديية

ولكن من المحتمل على الأقل أن يكون أرنب بغير أب قد رأى النور بفضل العلم ، فالعلم لا يتبطل . وقد رأينا التوالد البكرى الصناعى لقنفذ البحر فى سنة ١٩٠٠ وللضفدعة فى سنة ١٩١٠ وللأرنب فى سنة ١٩٣٩ . فتى يكون للانسان ؟

« عن ماريانه »

ترابها ، ويمتشق عصاه فيلوّح بها فى الفضاء صائحاً :

كلاب ! كلاب ...

— وما شأن هذا الشيخ ؟

— إن أكثر سكان الضاحية يعرفون خبره ومصرع ابنته فاطمة . إنهم يمرون به فى طريقهم إلى السوق فيحسنون إليه بإلقاء بعض الطعام فى حفرته دون أن يدنو منه أحد . إنه على ضعفه وكبر سنه وذهاب بصره وتخاذل قواه يفتك بمن يقترب منه . إنه يعاف ما يلقى إليه من الطعام فيظل أياماً لا يأكل منه شيئاً ، كأنه يريد أن يعجّل فى أجله فتأبى عليه الأقدار العاتية إلا أن يتعذب ...

— وما خطبه صنع الله له ؟

وكنا فى مسيرنا قد أشرفنا على مقابر القرية ، فبدت لأعيننا فى وحشة الليل وجلال الصحراء كالأشباح المترامية بين الوهاد والآكام

لزم صاحبي الصمت ، وسرت بجانبه مأخوذاً رهبة الموت ، فلا هو استطاع أن يسترسل فى حديثه عن الشيخ ولا أنا أصررت على أن يجيب

وكنا كلما اقتربنا من هذه المقابر الجاثمة فى الفضاء زادت وحشتنا من سكون الليل الرهيب

— ٢ —

الآن نحن على حافة الحفرة العميقة التى اتخذها شيخنا المسكين مقراً ، وها هو ذا ملقى على ترابها فى ثيابه المهلهلة بغير غطاء ، وتلك عصاه التى حدثنى عنها صاحبي يقبض الشيخ عليها وهو فى غفوته ساكن لا يتحرك ، وتلك أنفاسه المتقطعة كأنها حشرجة الموت لا نسمع سواها فى وحشة الليل وسكونه

إنه الآن يتململ فى ضجعته ، لقد أيقظه السعال ! ! — ما أشد وقع هذه اللحظات الرهيبة على نفسي — ها هو ذا ينثني متهالكاً على نفسه ... إنه يعتمد على عصاه فيقف وكأنه ميت قام يجرجر أكفانه ... وها هو ذا يتحسس الطريق إلى الأرض المستوية ... إنه يمد عنقه ، ويتسمع بأذنه ، ويتشمم الهواء . كأنه أحس أنفاساً غريبة فى جو المقبرة . وها هو ذا يتمتم بكلمات متقطعة

لقد ابتعدنا عن حافة حفرته حين صعد إلى الأرض المستوية . لكنني غالبت الخوف والرهبة فبقيت على مقربة منه أنظر إلى وجهه على ضوء القمر الساطع ...

ما أروع هذا الوجه وما أحفله بالأسرار والمعانى . عينان أطفأ نورهما فعل السنين ، وجبين خطت فيه الشيخوخة سطوراً متعرجة من الغضون والتجاعيد ، وأنف أشم أقنى ، ورأس ضخم جلله الشيب ، وجسم ناحل ضامر

وقف يجمجم بكلمات لا تبين ، ثم لم يلبث على هذا الحال كثيراً ، وكأن قوة عاتية سرت فى هذا الجسم النحيل الذاوى ، فانتفض كالأسد المحصور يلوح بعصاه ويعدو فى الفضاء

كان المسكين يحارب الهواء ، وينازل الأصداء ، وكنت فى هذه اللحظة أحبس أنفاسى ، وأتحاشى مواضع جولاته ومطارح عصاه . وكان فى هذه الثورة الجارفة يكرر كلمة واحدة بصوت قاصف كالرعد : كلاب ! ! كلاب ...

ثم خارت قواه وانطفأت جذوة غضبه فراح يتهالك على نفسه ويجر قدميه يتلمس مكان الحفرة التى صعد منها ، وما زال كذلك حتى أحست إحدى قدميه مكانها فألقى بنفسه فيها فإذا هو جاثم كما يجثم العقاب الهرم لا حركة ولا نأمة

ودنا منى صاحبي — وكنت أستند إلى جدار مقبرة نائية كالمسحور لا أقوى على الحركة أو الكلام — فاجتذبنى من يدى لنواصل السير ، فمشيت بجانبه مأخوذاً من هول ما رأيت ذاهلاً عن كل شىء . وما زلنا حتى ابتعدنا عن هذه المقبرة وجوّها المفزع الرهيب ، ثم بدأ صاحبي يقول :

— يوم رأيت هذا الشيخ أول مرة تولانى من الفزع مثل ما تولاك . أما اليوم فقد ألفت مرآه ، وإن كنت لا أزال أرثى لحاله وأجزع عليه أشد الجزع كلما تذكرت مأساته الدامية ...

— وهل للمسكين مأساة غير ذهاب بصره وعقله وارتمائه فى هذه الحفرة بين الأموات ؟

— إن هذه الحال الأليمة التى شاهدتها إنما هى آخر مأساته . أما أولها فهو آلم وأوجع مما شاهدت ...

— ٣ —

... ومضى صاحبي يتحدث عن هذا الشيخ فقال :

كان المسكين وجيهاً فى قومه وأحد أغنياء قريته ، مرموقاً

يعن أهلها بالتجلة والاحترام ، واستنار فى صباه بما قرأ من كتب الأقدمين والمحدثين ، واستطاع بما وهبه الله من بصيرة نيّرة وإحساس مرهف مشبوب أن يدرك مقدار ما يعانى فقراء قريته وعمالها المكدودون ، وأرّقه همُّ التفكير فى شأن هؤلاء المساكين وما يعانون من ظلم الأغنياء وتحجر قلوبهم ، فوهب حياته وماله فى سبيل نصرتهم وحثهم على إدراك ما لهم فى أعناق أولئك العتاة من ذوى النعمة واليسار ، فراح يجمعهم حوله وينادى فيهم بمبادئه السامية . وكان عمدة القرية رجلاً عاتياً ظالماً فجمع لمحاربته كل قواه ، وأخذ يكيد له فى الجهر والخفاء ويوقع به فى كل فرصة . وما زال الرجل يتلقى ضربات هذا الطاغية فيصمد لها مرة وينهزم أخرى حتى أوشك ماله أن ينفد

وظل المسكين يجالد الأيام ويناضل العتاة من أهل قريته ، وينفق من صبابة ماله على مواساة ذوى الحاجة والمعوزين حتى نضب معين ثروته فتنكرت له القرية بأسرها ، وشمت به أعداؤه ، ونفر من حوله أنصاره الذين أنفق فى سبيلهم ماله وشبابه وجاهه. واسترسل عمدة القرية فى النكاية به فألّب عليه هؤلاء الأنصار الذين نعموا بثروته ، واستناروا بآرائه ، وجرّد منهم جيشاً للتنكيل به وإيذائه

وأصبح المسكين ؛ فإذا هو فى القرية البائس اليائس الذى لا يملك من حطام دنياه غير دار صغيرة لا يفى ثمنها بما هى مثقلة به من الديون

وفى ذات مساء جلس الرجل فى داره حزيناً كئيباً يتحدث إلى زوجه الوفية الحنون وينفض بين يديها جملة حاله ، وقد جدعت الحاجة أنف العزة، فكاشفها بما آل إليه أمره ، وكان يخفى عنها كثيراً مما أصابه من الخيبة والفشل ...

ورأى آخر الأمر أن يرحل عن قريته تحت ستار الليل تاركا داره دون أن يشعر بهجرته أحد ، واستقر رأيه على أن يصحب زوجه وابنته فاطمة التى كان قد رزق بها فى آخر أيامه

وكانت الأيام قد غالته فى بصره ، فأصبح كفيفاً يدب على عصاه ، وتألبت عليه الكوارث ، فألحت علة الصدر على زوجه الوفية ، وأعوزه المال ، فلم يجد منه ثمن الدواء !

خرج المسكين فى جنح الظلام يحمل بعض الثياب والزاد ... وخرجت معه زوجه تقوده إلى ظاهر القرية ، وابنته الصغيرة تدرج إلى جواره ، وهى لا تعرف من شأن هجرة أبيها وأمها شيئاً

وكان قد أجمع الرأى على أن يقصد العاصمة عله يجد بين أغنيائها محسناً كريماً يدفع عنه غائلة الحاجة فيمد إليه يد الرحمة بقية أيامه

وليست العاصمة بقريبة من قريته ، فالشقة بعيدة والزاد قليل والبرد قارص ، وزوجه المريضة يتولاها السعال ، وتقسو عليها علة الصدر. كلما جد بهم المسير ...

لكن الشيخ ابرهيم مجاهد — وهذا اسمه — رجل غالب الأيام وصبر على أذاها ، فهو لا يزال رغم ذهاب بصره وماله وشبابه الرجل القوى الشكيمة ، وقد أراد أن يصل إلى العاصمة ، فلا بد أن يصل ...

ورأى الشيخ إبرهيم أن يجعل مسيره ليلاً ليتقى بالسير غائلة البرد، ولكيلا يراه سكان القرى القريبة فى غدوهم ورواحهم نهاراً ، فظل يسير الليل ويستريح النهار حتى صار قريباً من العاصمة ...

لكن العلة كانت قد اشتدت وطأتها على زوجه ، وأنهك السير وحيدته الطفلة ، وهو لا يزال – مع ذلك – يسكب فى آذانهما كلماته العذبة الرقيقة يغريهما باقتراب العاصمة ويمنيهما بالراحة الدائمة فى كنف المحسنين من سكانها العظماء ! !

وكان قارص البرد يوغل فى القسوة والشدة يوماً بعد يوم ، واحتمال الزوج المريضة والطفلة الناعمة ينفد يوماً بعد يوم ...

— ٤ —

فى ليلة من تلك الليالى الجاهدة كان الشيخ إبرهيم وزوجه ووحيدته قد أشرفوا على قرية من قرى القليوبية . وكان السائر فى طريق تلك القرية يرى فى عتمة الليل وإغفاءة الفجر ثلاثة أشباح تترنح فى الظلام الدامس من فرط الإعياء والجوع والبرد . أولئك هم التعساء الثلاثة فى طريقهم إلى القرية

وقال الشيخ لزوجه : اسمعى يا عائشة ! ! هذا صوت المؤذن يجلجل : الله أكبر الله أكبر حى على الصلاة . إن الفجر يوشك أن ينبثق . سنصل إلى هذا المسجد القريب فأدرك صلاة الصبح ، وهناك نحتمى من هذا المطر المنهمر وننعم بدفء الشمس فى الصباح هيا يا عائشة انهضى ، اعتمدى على منكبى فقد أوشكنا أن ندرك الغاية ...

وكانت المسكينة قد أخذتها نوبة السعال ، والمطر ينهمر ، والرعد يقصف ، والسماء غاضبة ، والليل موحش . وتهالكت

على نفسها فنهضت تخفى بين جوانحها ما تعانى من ألم وضعف وتخاذل، ومشت إلى جواره خطوات، ثم اشتدت عليها وطأة الداء، وأعياها المسير فسقطت تحت أقدام زوجها الضرير وظلت تئن وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة . والزوج يتحسس مكانها ولا يراها ، ويتشمم أنفاسها الخافتة ، ويتسمع دقات قلبها الموجع ...

وفى هذه اللحظات الرهيبة دوّى صوت المؤذن مرة أخرى : « الله أكبر . الله أكبر » وكانت الزوج قد لفظت آخر أنفاسها وأصبحت جثة ملقاة فى وحل الطريق ، طريق العاصمة ...

وأدرك الشيخ أن زوجه قد ماتت فألمت الفجيعة رأسه وراح يتخبط كالمجنون ، ويصيح فتذهب صيحاته فى سكون الليل بدداً ...

وكان المؤذن لا يزال يدعو الناس إلى الصلاة فاختلط صوته بصوت ذلك المفجوع الذى وقف فى الطريق يدعو الناس إلى عونه فى مصابه

وظل الشيخ الضرير يتشمم جثة زوجه الوفية ويبلل وجهها بدموعه . أما وحيدته فاطمة فقد كان منظرها فى سواد الليل وإلى جوار جثة أمها تصطك أسنانها من شدة البرد وتبكى من ذوب قلبها دموعاً — منظراً يذيب قلب الحجر ...

... ثم مضى الليل ! فوارحمتاه ! كيف مضى ؟!

وكان صباح ...

وبكر فلاحو القرية بالماشية إلى مزارعهم ، وانتشروا على ظاهر الطريق يتلاقون على تحية الصباح ، ثم رأوا ذلك الشيخ الضرير يحنو على جثة زوجه ، ورأوا وحيدته الطفلة وقد ارتمت فى أحضان أمها خائرة تبكى وتئن

واجتمع أهل القرية على فعل الخير فأعانوا هذا الغريب المرتحل فواروا جثة زوجه التراب . وظل الشيخ مع ابنته فى مقبرة القرية أياماً طوالاً لا يبرحها ولا يكف عن النحيب ، ووجد زاده من جود أهل القرية ، فكانوا يمدون إليه يد الإحسان يوماً بعد يوم

ثم رأى الشيخ أن يرحل عن المقبرة إشفاقاً على وحيدته الطفلة ، وأن يمضى بها إلى غايته ، فقد أصبح على مقربة من العاصمة ... فليعش من أجل هذه الطفلة الغريرة ، وليجد لها سبيل العيش فى كنف رحيم من ذوى اليسار هناك

— ٥ —

وصل الشيخ إلى ضاحيتنا على حافة الصحراء ، واقترب من المدينة الآهلة بذوى البر والثراء وأصبحت منه على بضعة كيلو مترات ، وجلس يستريح من وعثاء الطريق ، وراحت ابنته تلعب من حوله وتطفر فى دفء الشمس لاهية

ونظرت الطفلة فرأت قصراً كبيراً تحيط به حديقة غناء ذات سور من القضبان الحديدية ، وكان أبوها قد أحس بعض الراحة وبعض الدفء فأغفى إغفاءة المتعب المكدود ، وعدَت الطفلة نحو سور القصر تنظر من بين قضبانه لترى أشياء وأشياء لم تكن رأت مثلها من قبل ، وأطلت على الحديقة ، فلم يكد نظرها يقع على ما فى داخلها حتى عادت إلى أبيها تعدو فأيقظته — وقد راعها ما رأت — ثم راحت الكلمات تتناثر من فمها الصغير فى غير ترتيب

— قم يا أبى ، قم ولا تنم ، تعال انظر ما فى هذه الحديقة ، وكأن المسكينة نسيت أن أباها لا يستطيع أن ينظر ... تعال يا أبى لأريك دنيا غير دنيانا . نظرت هنا يا أبى من بين القضبان فى حديقة هذه الدار الكبيرة فرأيت الأرض كلها مفروشة بشىء أخضر يشبه الزرع الذى نزرعه فى بلادنا ، لكنه ناعم ملتصق كله بالأرض ، ورأيت الأرض التى يمشى عليها الناس مفروشة بشىء أصفر يشبه الدقيق لكن الدقيق أبيض ، ورأيت رجالاً كثيرين يذهبون إلى آخر الحديقة من الجهة الأخرى ويفتحون أبواباً صغيرة فتخرج منها كلاب تجرى فى الحديقة ... أى والله إنها كلاب يا أبى تشبه كلاب بلدنا ، إنها كثيرة جداً أكثر من كلاب بلدنا جميعها ؛ إن الناس هنا يا أبى يلبسون الكلاب ثياباً خضراً من القطيفة كالتى كنت ألبسها وأنا صغيرة ويضعون فى رقابها أطواقاً تلمع مثل الذهب كالتى كانت أمى تلبسها فى رقبتها . إنها كثيرة جدا يا أبى ، إنها كلاب حقيقية ، لقد سمعتها تنبح مثل كلابنا تماماً . تعال يا أبى نطلب من هؤلاء الرجال طعاماً من الذى وضعوه الآن لهذه الكلاب ، إننى رأيتهم يحملون آنية كبيرة وفيها الثريد وعليها اللحم ودخان الثريد يتصاعد فى الفضاء ، اللحم هنا يا أبى كثير جدا ، لقد شممته بأنفى ورأيته بعينى . قم يا أبى ، قم ولا تنم إن الدنيا هنا جميلة والأكل كثير ...

تناثرت هذه الكلمات — فى لهفة — من فم فاطمة الصغيرة وأطرق أبوها عند سماعها ما شاء الله أن يطرق ، ثم حاول أن يصرفها عن ذكر هذا الذى رأت بمختلف الأحاديث ووعدها أن يقوم بعد قليل ليحضر لها الطعام

أما هذا القصر فهو قصر « عظيم » من عظماء العاصمة بناه فى ضاحيتنا النائية ليقضى به بعض أيام الشتاء . وقد ورث عن أبيه العظيم مالاً وعقاراً وضياعاً . وكان مما نزعت إليه نفسه أن يقتنى أكبر مجموعة من كلاب الصيد وكلاب الحراسة وكلاب الزينة فاجتمع لديه منها ما يزيد على المائة . وقد عنى ببناء أوْجرة نظيفة مفروشة تأوى إليها هذه الكلاب ، وجعل لها غذاء فى اليوم خمسين أقة من اللحم !!!

ورأت فاطمة الصغيرة ما رأت — وكان الجوع والإعياء قد فعلا بها فعلهما — فعادت إلى أبيها – فى براءة الطفولة الغريرة – تستحثه على النهوض ليطلب لها من خدام الكلاب لحماً وثريداً مما يحملون …

أما أبوها الضرير فقد ظل مكانه مطرقاً ، وأما وحيدته الجائعة فلم يستقر لها مع الجوع قرار …

— ٦ —

تركت الطفلة أباها فى إطراقته الحزينة ، وتسللت من جانبه نحو سور الحديقة ، وكان الحراس والخدم لا يزالون يحملون اللحم والثريد إلى الكلاب … وطغى الجوع على الإنسانة الصغيرة وسال لعابها ، فاندفعت من بين القضبان داخل السور الحديدى ، وعدت إلى قصعة من القصاع ، فمدّت إليها يدها تأخذ قطعة من اللحم ، ولم تكد الجائعة الضاوية تمد إلى اللحم يدها ، حتى أطبق عليها كلب ضار من كلاب الحراسة ، فأعمل أنيابه الحادة فى بطنها ، فتفجر دمها الإنسانى وخرجت أمعاؤها … ودوّت فى الفضاء صرخة واحدة وصلت إلى أذن أبيها الضرير ، فعرف صوت وحيدته وأيقن أن مكروهاً أصابها ، فنهض يعدو متخبطاً يسأل الغادين والرائحين عن مصدر الصوت ، فلا يجيبه أحد …

كانت الصرخة التى دوّت فى الفضاء صرخة واحدة ، وكان الوالد الضرير يرقب صرخة أخرى … علّه يهتدى بها إلى مكان ابنته … لكن الأقدار العاتية أبت عليه ، حتى هذا الرجاء ، فظل يعدو هنا وهناك بقلب مفجوع وكبد تتمزع …

وكان مصرع الطفلة بين أنياب كلب العظيم الضارى قد أثار ضجة بين الحراس والخدم ، وتسمع الوالد المفجوع إلى هذه الضجة فقصد إلى مكانها …

لكن الأسوار شاهقة منيعة ! ! …

صاح الرجل صيحات مدوّية جمعت الناس حوله … ثم راح يستنجد بهم أن يدلوه على مكان ابنته … وتطلّع الناس إلى داخل الحديقة ، فرأوا الطفلة ملقاة على الحشائش ينزف دمها ، والخدم من حولها يتصايحون …

قال أحدهم :

— يجب أن نلقى بها خارج الأسوار قبل خروج الباشا حتى لا نتعرض لغضبه وعقابه ، إنه سيوقع بنا العقاب لأننا غفلنا عن العناية بالكلاب وحراسة طعامها من أيدى المتسللين !

وقال آخر :

— يجب أن تبقى علّ الباشا يرق لحالها فيواسى أهلها المساكين . ثم قر الرأى بعد هذا الخلاف على أن يلقى بالطفلة خارج الأسوار …

وعرف الوالد الضرير مصرع وحيدته وراح يتشمم جثتها ، ويذرف فوقها الدمع فيختلط بدمائها القانية

واجتمع أهل الضاحية فأعانوا الغريب المرتحل على مصابه . لكن الغريب المرتحل كان قد ذهب عقله … فلم يدرك لصنيعهم معنى ، ولم يعرف بعد ذلك من شأن الدنيا إلا أن يتبع جثة فاطمة إلى المقبرة وأن يرتمى فى تلك الحفرة العميقة بجوارها إلى آخر أيامه

وهو كما رأيت الليلة لم يبق على لسانه غير هذه الكلمة الواحدة يكررها ثم يكررها : كلاب ! ! ! كلاب ! …

— ٧ —

كان البدر — أول الليل — يتألق فى صفحة السماء ، وكان إشراق الطبيعة فى تلك الليلة يغرى بالحركة والنشاط

ولم يكد صاحبى يحدثنى ذلك الحديث الدامى خلال عودتنا إلى ضاحيتنا حتى تجاوبت أصداء الرياح فى الأرجاء ، وغام على البدر المتألق سحاب متكاثف ، فزمجرت السماء ، وانهمرت الأمطار ، وصارت الطرقات مظلمة خرساء

وآويت إلى مضجعى مطرقاً حزيناً ثائر النفس مضطرم الجوانح أرقب طلائع الصباح ! …

عبد الله حبيب



لماذا نحارب ألمانيا

[عن حديث « لمستر هور بليشيا »]

أمام ألمانيا النازية الآن ثلاثة أبواب : فإما أن تحاول قهرنا في البر والبحر والهواء ، أو تقف أمامنا موقف المسالمة والهدوء أملاً في انصرافنا عن مواجهتها وكبح جماحها قبل حلول الوقت الملائم ، أو خداعنا بعرض بعض شروط السلام

وقد دلت التجارب الحربية الحديثة على أن مواجهة المواقع الحربية الكاملة التحصين الوافية العدد أمر من المستحيلات . فبولندا لم يكن لها خط كخط ماجينو لتدفع عن نفسها شر البلاء الذي منيت به . ولكن الجبهة الغربية تتمتع بحصون قوية متينة تزداد كل يوم ثباتاً ورسوخاً ، وكل محاولة يقوم بها العدو لمهاجمة تلك الحصون تكلفه غالياً . ولم ير قوادنا أن يستبقوا الوقت ليخاطروا بأبناء الأمة الذين يتكون منهم جيشها ، بغير ضرورة ملجئة

وقد أخلفت هذه الحرب كثيراً من الظنون التي كانت تخطر بالبال ، فقد كان الكثيرون يتوقعون المواقع المنيفة في البر والبحر والهواء . وكنا نظن أن الخطر السريع قريب من جبهة الوطن ، فواصلنا الليل بالنهار في سبيل الاستعداد والتأهب للعمل وإن كنا قد رأينا الأسابيع تمر تلو الأسابيع دون أن نواجه شيئاً من الأخطار التي نستعد لها

وعلى الرغم من الهدوء الظاهر فقد أمكننا أن نكشف عن نيات خصومنا . فمنذ رفعت ألمانيا عقيرتها بالمطالبة بإطلاق يدها في الشرق ، أخذنا نتبين مطالبها العديدة التي كانت بولندا أحدها فألمانيا ترى أن دول بحر البلطيق يجب أن تكون تحت سيادتها . ولكنا رأيناها ترد عن هذه الناية بمطامع روسيا في تلك المنطقة . وترى أن رومانيا يجب أن تحتلها ألمانيا النازية عن طريق بولندا ولكن روسيا قد وضعت سداً منيعاً بينها وبين رومانيا من هذه الناحية . أما خط برلين - بغداد فقد وقفت تركيا عقبة في سبيله . وتركيا أمة قوية شريفة وكذلك العراق وهي حليفة راسخة متينة

فإذا اتجهنا إلى الناحية الغربية ، نجد أن الحملة البريطانية قد وصلت فرنسا سالمة آمنة بحراسة الأسطول التجاري ، وستزود برجال المليشيا والمتطوعين من كل سن تليق بالخدمة الحربية ، وسوف يكون عمادنا القويم ما تخرجه مصانعنا من الأسلحة والمؤن

لقد أصبحت الممتلكات الحرة على استعداد للقيام بنصيبها إلى جانبنا في هذه الحرب . وقد تبوأت الكتائب الهندية مراكزها في كثير من المواقع وأبدت الهند وغيرها من أنحاء الامبراطورية استعدادها لزيادة نصيبها في هذه الحرب . فإذا تقدمت الأيام وجد الجد فسوف ترى ألمانيا هذه الجموع الزاخرة محتشدة أمامها . ومما لا شك فيه أن الزمن سيكون إلى جانب فرنسا وبريطانيا والامبراطورية

فإذا أراد الخصم لياذاً من هذه النكبة التي كان هو أول من أرث نارها ، فهذا هو الموقف الذي يجب أن نقابله بحذر . إذ أن كل سلم يعتمد على الكلمة المرضوضة لا تقوم له قائمة على الإطلاق . ولا ضمان للسلم إلا بقيام نظام جديد بعيد عن ظلم النازيين

إن لهذه الحرب أهدافاً أسمى وأعظم من مصادمة الجيوش ومكافحة الطائرات ومغالبة الغواصات ، ذلك هو الصراع بين قوة الخير وقوة الشر . فأي القوتين ستكون لها السيادة على العالم ؟ أي القوتين يكون لها الغلب على عنصر الإنسان

نحن لا نحارب لإعادة الحكومة التشكوسلافية ، أو رد الحكم إلى بولاندا كما قد يظن الكثيرون ، فنحن لا نحارب من أجل الجبهة الجغرافية ، ولكنا نحارب لإنقاذ الجبهة الإنسانية

الحرب فلسفة الألمان

[من كتاب « الروح البروسية في ألمانيا »]

ثلاثة عوامل كان لها أبلغ الأثر في توجيه الفكر البروسي في القرنين الأخيرين : حب الحرب في ذات نفسها ، وسوء الظن بالسياسة السلمية والصدوف عن فكرة الاتحاد الدولي بكافة أنواعه والتأثر بنظرية « كلوزويتز » القائلة بأن الحرب وسيلة من وسائل السياسة والسياسة وسيلة من وسائل الحرب ؛ وثالثاً عقيدتهم بأن الحكومة — وعلى الأخص الحكومة البروسية — يجب

ألا تهتم بشأن غير شئونها الخاصة ، ويرجع حب الألمان للحرب إلى فجر التاريخ الألماني . فقد ذكر عن خطيب إغريقي عظيم أن الأمبراطور الروماني « جوليان » احتج ذات مرة على قبيلة « توتونية » لأعمال السلب التي تقع منها ، وعاداتها الشبيهة بالعادات الحربية . فجاءه منها هذا الجواب : « إننا نجد في حياة الحروب سعادة لا تعدلها سعادة » وما زالت هذه الأمثلة تتكرر في تاريخ بروسيا منذ عهد فردريك الأكبر الذي جعل الحرب (صناعة بروسيا القومية) إلى العهود الحديثة ، حتى نصل إلى هتلر ، فنظرية الحرب السريعة المبهجة — وقول (مولتاك) — : « وجدت الحرب لتنفيذ إرادة الله في العالم . ولولا الحرب لغرق الكل في بحور المادية العميقة » كلها آراء بروسية عريقة. وقد كان (تريتشك) يقول إن عظمة التاريخ تبدو في التنازع الدائم بين الأمم »

وقد كتب (فردريك) في أخريات أيامه إلى (فولتير) يقول إنه في كل عشر سنوات من حياته يرى حرباً جديدة ، وسيدوم ذلك على ما يظهر بغير انقطاع . والضابط الحربي له مركز ممتاز في الدولة يرفعه على من عداه من المدنيين ، ما عدا كبار رجال الحكومة ويقول (فردريك) : « إنني أستقبل كل ضابط صغير في بلاطي قبل أي لورد من المنتظرين)

وقد جرت العادة في بروسيا منذ زمن بعيد على أن يتقدم للدخول في سلك الجندية جميع أبناء الأرستقراطية . وتختلف نسبة عدد ضباط الجيش من أبناء الطبقة العليا والطبقة الوسطى باختلاف العهود . على أن الضابط الألماني يرتقي إلى درجة « الجنتلمان » بمجرد التحاقه بالجيش وانتسابه إليه ، وإن كان من أصل وضيع ، فتصير له حقوق الأرستقراطية من حملة السيف. وقد بلغ مجموع ما ألف من الكتب في ألمانيا عن الحرب في اثني عشر شهراً عام ١٩١٣ سبعمائة كتاب . وإذا كان المسيح يقول : من يحمل السيف يقتل بالسيف ، فإن شباب ألمانيا اليوم يقولون : من يمت بالسيف يمت ميتة شريفة . ويقولون : إن الحرب ضرورة لتطهير حياة الأمم

الغواصة الطائرة

[عن « لاجورنال دي روبيه »]

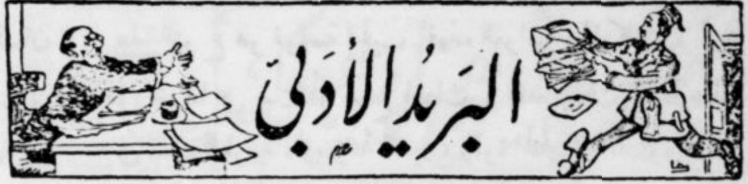
تعمل مصانع اليابان منذ عام في بناء نوع من الغواصات ، سيكون له أثر كبير في الحروب ، نظراً لما يمتاز به من السرعة . هذا النوع هو غواصة الجيب . فهذه الغواصة وإن كانت لا تزيد في طولها على ست أو سبع ياردات ، فقد نجحت نجاحاً عظيماً في قذف الطربيد ، وسرعة السير ، وقوة المحاورة ، لما تمتاز به عن الغواصات الكبيرة من الخفة وحسن النظام

ولدى اليابان الآن عشر غواصات من هذا النوع الصغير ، وهذه الغواصات العشر تستطيع أن تقضي قضاء تاماً على فرقة كاملة من أسطول كبير . ونستطيع أن نؤكد أن هذا السلاح الجديد الذي صنعته اليابان لا يتيسر للألمان بحال من الأحوال . وذلك أن عشرين في المائة من القطع الضرورية لصناعة هذه الغواصة تصنع من معدن الألومنيوم ، وليس لدى ألمانيا مصدر لهذا المعدن . وقد دعى منذ بضعة أسابيع خمسة عشر من الرجال الإخصائيين وثلاثة من المراسلين لمشاهدة بعض التجارب في مرفأ صناعة السفن بياسو ، فشاهدوا هذه الغواصة الصغيرة ترتفع إلى سطح الماء فتسير مسافة قصيرة ، ثم ترتفع إلى السماء حيث تحلق في الجو كالطائرة المائية

وقام بإدارة هذه الغواصة المهندس الذي اخترعها واسمه « تسنوما » فدفع بها إلى اليم فرأينا جسما على صورة السمكة ، يغطس ويختفي تحت المياه في سرعة وخفة عجيبتين . وبعد عشر دقائق ظهرت على سطح الماء ، ومن ثم برزت أجنحتها واحدة فواحدة ، ويبلغ طول هذه الأجنحة من ١٨ إلى ٢٠ ياردة ولم تلبث أن ارتفعت إلى أجواز السماء

هذه السمكة الطائرة كما يقول دكتور « جود » مساعد « تسنوما » مخترع هذه الآلة — تستطيع أن تقطع تحت الماء من ١٥ إلى ٢٠ ميلاً ولا يمسها خطر . فإذا كانت غير محملة بشيء تستطيع أن تقطع ٦٠٠ ميل ، فإذا كانت حمولتها خفيفة قطعت ٣٠٠ ميل ، ومن السهل عليها أن تحمل أربعة طوربيدات لاستخدامها تحت الماء أو في عرض السماء . ولهذه السمكة الطائرة ثلاث آلات محركة قوة كل منها ٦٠ حصاناً وقد صنعت أجنحتها من نوع خاص من الحرير . ولا زالت هذه الغواصة في دور التجربة، ولكن مما لا شك فيه أنه سيكون لها شأن كبير في عالم الحروب فتكون في الموقعة الحربية كالبعوضة تقتل الأسد

ولما كانت صناعة هذه الآلة تحتاج إلى مقادير عظيمة من الألومنيوم فسوف لا تستطيع ألمانيا أن تستخدمها على الإطلاق في حين أن لدى بريطانيا وفرنسا ما يكفيها لاستخدام هذا السلاح



الى عميد كلية الآداب

إليك — وقد أمسيت عميداً لكلّيتنا الثانية — أوجّه السؤال الآتي بأدب ورفق :

سمعتك عن طريق المذياع وسمعك مني ألوف وملايين ، سمعتك تقول :

« نحن لا نعرف كيف نقضي أوقاتِ فراغنا »

بنصب كلمة « أوقات » بالكسرة ، كأنك تظنها جمع مؤنث سالماً ، وكان المفهوم عندي منذ أعوام طوال أن « أوقات » جمع تكسير لا جمع تصحيح

وقد نظرتُ في أصل كلمة « وقت » مرة ومرتين ومرات بعد إذ رأيتك تنصب « أوقات » بالكسرة نيابةً عن الفتحة فلم يصح عندي أنك على حق ، مع الاعتراف بأن الخطأ لا يجوز على مثلك في مثل هذه الشؤون !

فهل لك أن تتفضل فترشدني إلى الصواب ، ولك من الله الأجر والثواب ؟

أما إذا اعترفت بأن الحق معي لا معك في إعراب كلمة « أوقات » فسيكون ذلك فرصة للتوبة مما أسرفتُ في محاسبتك بالمقالات التي جاوزت العشرين ، إن كان الجهر بقول الحق يستوجب العتاب

وتفضل — يا حضرة العميد — بقبول التحية من الصديق القديم :

زكي مبارك

حاشية :

لا خوف من أن ينكر الأستاذ أحمد أمين أنه نصب « أوقات » بالكسرة لأن ضميره أعظم من ذلك ، ولأن المظنون أن محطة الاذاعة سجلت محاضرته الأخيرة ، إذ كانت أول محاضرة ألقاها وهو عميد ، فمن السهل أن نحتكم إلى الشريط المسجل إن أنكر ما سجلناه عليه !

حاشية ثانية :

سألت محطة الاذاعة بالتليفون فعرفت أنها سجلت جزءاً من محاضرة الأستاذ أحمد أمين لتذيعه في الاستعراض الشهري ، فأرجو مدير قسم المحاضرات أن يعرض الفقرة التي نصبت فيها « أوقات » بالكسرة لئلا يتوهم الجمهور أن الصواب هو ما نطق به حضرة العميد . والله المسئول أن يهدينا جميعاً إلى الصواب

مبارك

السفاح أم المهدي ولقب أبي جعفر وابنه محمد

قرأت في الرسالة المحبوبة ما دبجته يراعة الأساتذة الكرام حول لقب السفاح في عدديها ٣٤٦ و ٣٤٩ وكان لكل من حضراتهم رأي قد استصوبه فيما ارتآه . إلا أنهم ومن كتب حول لقب السفاح والمنصور حتى المستشرقين ومن أخذ عنهم ما اهتدوا إلى المصادر التي فيها ما يبتغون . وأما أنا وأعوذ بالله من قول (أنا) ما زلت أستقصي منذ أكثر من عشر سنوات ولا زلت بقصد تأليف كتيب قد أسميه (الثورة العباسية) وقد توصلت في بحثي إلى ما جعلني أطمئن بصحته ، وبه أرجو أن أكون قد اهتديت إلى معرفة اللقب الذي طالت المناقشة حوله . كما أنني لا أدعي أنني قد أصبت الهدف المقصود ، وإنما كلي أمل في أن أرشد إلى ما فاتني وخفي عليّ ، فأعرض ما يأتي :

١ — إن المسعودي لقب أبا العباس بالسفاح في مروج الذهب ثم يعود فيذكر في كتاب التنبيه والإشراف الذي ألفه بعد كتاب المروج وهو مختصره وبه استدرك ما فاته ذكره في كتاب المروج. ومما رواه في التنبيه والإشراف عن لقب أبي العباس أنه (قد كان لقب أولاً بالمهدي ص ٢٩٠) فنفهم من هذه الرواية أن أبا العباس لقب بالسفاح أخيراً وقد غلب على لقبه الأول وهو (المهدي) . ومما يؤيد هذه الرواية التي لا مرية فيها بيت من قصيدة لسديف إذ يقول :

ظهر الحق واستبان مضيا إذ رأينا الخليفة المهديا

٢ — وأما سبب تلقيب محمد بن أبي جعفر بالمهدي فهو أن أبا جعفر أرسل أحد من يعتمد عليهم وقال له اجلس عند منبر محمد بن عبد الله النفس الزكية فاسمع ما يقول . فقال الرسول : سمعته يقول : إنكم لا تشكون أني أنا المهدي وأنا هو . فأخبرت بذلك أبا جعفر فقال : كذب عدو الله بل هو (ابني) (مقاتل الطالبين لأبي فرج الأصفهاني ص ١٦٦) وجاء في (المقاتل) أيضاً ص ١٧١ ما نصه « قال مسلم بن قتيبة : أرسل إليّ أبو جعفر فدخلت عليه فقال قد خرج محمد بن عبد الله وتسمى بالمهدي ووالله ما هو به ، وأخرى أقولها لك لم أقلها لأحد قبلك ولا أقولها لأحد بعدك وابني والله ما هو بالمهدي الذي جاءت به الرواية ، ولكنني تيمنت به وتفاءلت به »

ومما يؤيد هذا هو ما جاء في كتاب الجهشياري ص ١٢٧

إذ يقول الراوى : قال محمد المهدى لأبيه يا أمير المؤمنين أنت ترشحنى لهذا الأمر، وتروى أنى المهدى الذى بمدك فى الناس .

٣ — وأما أبو جعفر فقد لقب بالمنصور عقب قتل محمد وابرهيم (التنبيه والإشراف ص ٢٩٥)

وأما الخلفاء الذين تلقبوا بالألقاب المعلومة ، فقد كانت تختار لهم أو هم أنفسهم كانوا يختارونها ، وهكذا جرت العادة عند كل الخلفاء .

(بغداد) عبد المجيد الساكنى

تقى الدين بن تيمية ومذهبه السياسى والاجتماعى

يشغل المسيو هنرى لاوست منصب السكرتير العام فى المعهد الفرنسى فى دمشق . وقد انخرط فى سلك الجندية على أثر إعلان التعبئة العامة فى فرنسا . ولكنه حصل أخيراً على إجازة قصيرة ليتقدم إلى السوربون لمناقشة الرسالة التى وضعها لإحراز الدكتوراه

أما رسالته فموضوعها (تقى الدين احمد بن تيمية ومذهبه السياسى والاجتماعى) وهى تقع فى أكثر من ٧٠٠ صفحة وقد طبعت بمطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة

وقد تناول المؤلف بالبحث ترجمة حياة ابن تيمية والبيئة التى عاش فيها ، وتكوينه الفكرى ، ومذهبه السياسى والاجتماعى ، وما كان له من الأثر فى المذهب الوهابى وفى آراء المغفور له السيد رشيد رضا منشئ المنار

وكان طريفاً أن يرى المسيو لاوست — ذلك الجندى — وقد ترك السيف والمدفع وجاء إلى الجامعة ليناقش فى رسالته

كاتب فرنسى يزور بلاد الشرق الأدنى

وصل إلى بيروت المسيو بيير بنوا عضو الأكاديمية الفرنسية، بعد أن زار الشرق أيضاً المسيو جيروم تادو والمسيو أندريه سيجفريد . والمسيو بنوا هو الرسول الثالث للفكر الفرنسى الذى يزور الشرق بضعة أسابيع

اختراع مصرى

نشرت (المصرى) أن الأستاذ عباس محمد شلبى أفندى المهندس بالاسكندرية قد اخترع طائرة تسع ٥٠ شخصاً وترتفع رأساً وتهبط كذلك ، وتسير بسرعة من ٦٠٠ إلى ٨٠٠ كيلو فى الساعة . وقد صنع المخترع لها نموذجاً مصغراً وكتب إلى أولى الأمر وحضر إلى القاهرة لعرض النماذج على ولاة الأمور بناء على دعوة أرسلت إليه من رياسة الطيران.

وقد قابل سعادة حسن عبد الوهاب باشا فى هذا الصدد فحدد له موعداً لعرض النماذج أمام هيئة من كبار رجال الطيران

مجلة المستمع العربى لمحطة الإذاعة البريطانية

أعلنت جريدة « التيمس » أن العدد الأول من مجلة شركة الإذاعة البريطانية التى أطلق عليها اسم « المستمع العربى » سيظهر فى هذا الأسبوع ، والمأمول أن تساعد هذه المجلة على تعزيز روابط الصداقة القائمة بين العالمين العربى والإنجليزى

وستكون هذه المجلة أول صحيفة مصورة تطبع فى لندن باللغة العربية . وهى على مثال أختها الإنجليزية « لسنر » والغرض منها تسجيل الأحاديث العربية التى تذاع من محطة لندن ليطلع عليها الذين فاتهم الاستماع إليها وتعززها بما يهم القارئ العربى

وتقع المجلة الجديدة فى ١٦ صفحة وتظهر مرتين فى الشهر

أكثر أهل الجنة البله

قرأت فى العدد (٣٤٩) من مجلة الرسالة الغراء كلمة الكاتب العبقرى أستاذى الدكتور زكى مبارك فى موضوع (إنما يزدهر الأدب فى عصور الفوضى الاجتماعية) . ولقد لفت نظرى بنوع خاص ما جاء فيها من تفسير الأستاذ المفضال للحديث الشريف (أكثر أهل الجنة البله) ، فقد ذهب الأستاذ إلى أن المراد من هذا الحديث هو أن أهل الجنة سيكونون بلهاً لأن الله سيرحمهم من التعرض لآفات الشطط والجموح فى ميادين الفكر والعقل والوجدان ، لا ما ذُهب إليه فى تفسير الحديث من أن البله يقل تعرضهم للموبقات فيخرجون من الدنيا بسلام ، وقد أهلتهم البلاهة لاحتلال الجنة

وعندى أن تفسير الأستاذ للحديث المذكور على الوجه الذى ارتضاه لا يأتلف وما ورد فيه من كلمة (أكثر) لأنه لو كان المقصود منه أن أهل الجنة سيكونون بلهاً لما كان هناك من حاجة إلى ذكر كلمة (أكثر) فورود هذه الكلمة فيه يجعلنى لا أتردد فى القول بما قيل فى تفسيره من أن البله يقل تعرضهم للموبقات فيرحلون عن الدنيا وقد أعدهم ما فيهم من بلاهة لدخول الجنة . وهذا التفسير للحديث المذكور هو الذى يحتمله بالنظر إلى ما اشتمل عليه من لفظة (أكثر)

وختاماً أرجو أن أكون موفقاً فى تنبيه أستاذى الفضال إلى ما وقع فيه

سدد الله خطاه، ونصره فى نضاله، وأكثر لخدمة الأدب العربى أمثاله، إنه سميع مجيب.

(بغداد) عبد الكريم جواد

أخطاؤنا فى الصحف والدواوين

اعتادت الكثرة من الناس أن تنظر إلى ما جاء به الشيوخ فى اللغة أو الأدب، المتقدمون أو المحدثون، نظرة يقطر منها التقديس والتقدير. فدفعهم ذلك إلى الاعتقاد بأن ما جاؤا به لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا من فوقه أو تحته، وفى هذا من الاعتراف بالعجز، وضعف الحكم، وهزال العقل الشيء الكثير

على أن صديقنا الأستاذ صلاح الدين معدى الزعبلاوى، لم ينظر تلك النظرة الخاطئة، بل نبذ ذلك الرأى وراء ظهره، وحمل بيده معولاً وراح يستقرئ ما كتبه أئمة اللغة، أو ما وهمه بعض من ادعى العلم باللغة والاختصاص بها، فهدم الفاسد وأظهر ضعفه وسخفه، وجلّى عن الصحيح وأبان عن جماله ونفاسته، فجاء كتابه « أخطاؤنا فى الصحف والدواوين » مرآة تعكس علم صديقنا الأستاذ وتظهر مبلغ تحقيقه وتدقيقه

ولقد أخذ على شيوخ اللغة المتقدمين مآخذ شتى ثم انفصل إلى الشيوخ المحدثين، فأخذ على اليازجى مجازفته فى القول فى أغلب الأحايين، دون أن يتدبر الأمور أو يتروى فى إطلاق الأحكام، وأخذ على « المنذر » خلو كتابه من التقصى والتدقيق وبين أخطاء الأستاذ داغر، وبعض ما وهمه الأستاذ العوامرى

وقد جعل الأستاذ كتابه بابين : الباب الأول وقد أفرده الموضوعات. أما الثانى فقد خصه بالمفردات. أما الموضوعات التى ذكرها فهي : فساد السنن التى تتبع فى كتابة القرار أو المرسوم فى دواوين الحكومة، خصائص بعض حروف الاستفهام ودفع الأخطاء والأوهام التى يقع فيها كثير من الأدباء والمتأدبين، قياس النسبة، العدد فى تمييزه وتعريفه، قياسية الصفات المشبهة، المصادر اليائية، تصحيح بعض جموع التكسير، صوغ اسم المكان من معتل العين الثلاثى ومكسورها السالم، تأنيث أى، ضوضاء، وغيرها، ثم تطرق إلى البيان عن هزال بعض الأساليب الشائعة، وهو فى ذلك كله لا يدع مسألة حتى يستقصيها، ولا يصدر حكما حتى يحقق فيبالغ فى التحقيق، ويدقق فيغالى فى التدقيق، هذا مع استقراء صائب وحكم صحيح

أما باب المفردات، فقد سرد كثيراً من الكلمات الشائعة التى تدور على الألسنة فصححها ؛ وفى هذا الباب أخذ على المحدثين من علماء اللغة مآخذ فاضحة، وخصوصاً على داغر والمنذر. ثم رد هذه الكلمات إلى أصلها، فذكر صحيحها ونبذ فاسدها

والكتاب فى جملته موفق جيد، والحق أنه جدير بالقراءة والمطالعة، لأنه إن لم يحمل قارئه لنوياً كبيراً، استطاع أن يفقهه فى لغته وأن يقوّم به لسانه وقلمه. صلاح الدين المنجد

خواطر يثيرها سائل

[بقية المنشور على صفحة ٦٠٢]

تخيل مدينة عظيمة كنيويورك أو لندن أو برلين أو القاهرة بما فيها من فنون الحياة والأفكار والشعور ومايغمرها من الأضواء والألوان وما يضطرب في أحشائها من المصانع والمعاهد والمعابد، وما يثوى فيها من دور الكتب والآثار ومخازن التحف وأدوات الجمال، وما تسيل به شوارعها من وسائل الانتقال، وما تضج به من الأصوات والمقالات والخطب والأسمار والأحاديث، ومايتوزع فيها من الأعمال والأموال والحرف . تخيَّل هذا ثم قل : هل رأيت في الحياة منذ دخولك إليها نوعاً غير الإنسان يقيم أسواقاً للحياة مثل هذه الأسواق ؟ ثم هل رأيت نوعاً آخر يعلو بالحياة حتى يأتي في علوه بالعجب العجاب . . . ويسفل بها حتى يأتي في السفالة بالعجب العجاب ؟ ... وهل رأيت نوعاً آخر يتفنن في وسائل متاعه هذا التفنن الذي تراه في السينما والمسرح ومخازن الملابس والفرش وأدوات الزينة ؟ . هل رأيت ... وهل رأيت ؟

وأخيراً هل رأيت نوعاً آخر يترقى في سلم الحياة باطراد وخطى ثابتة وقياس متناسب بعد أن أتى عليه « حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » كما قال القرآن ؟

فكيف بعد هذا تسوى بين قيمة هذا الإنسان أبي العجائب وبين قيم النبات والحيوان ، وتريد أن تسلكه في سلك الفناء المطلق الذي يأتي على أجسامها وأرواحها بدون مآل أسمى ومصير أكمل ؟ !

وكيف تريد أن تضرب عليه ما ضربته عليها من الأحكام المنحطة وتحشر أفراده في مليارات أفراد الحيوان والحشرات التي تعيش على العشب والجيف والروث والعفونات ؟ !

إني لأستعرض تنوع حياة الأمم والأفراد وأتصفح الوجوه والنفوس ، وأسمع حديث الأطفال والعجائز والنساك والفتاك والفقراء والأغنياء والعلماء والجهلاء والذكور والإناث . . . فأجدني بعد هذا الاستعراض في دوار من الفكر !

وإني لأخرج بعد هذا الاستعراض وأنا أشعر أنه كان لا بد أيضاً في الأرض مما نسميه الشر والضلال ليدوم ظهور أسرار التكوين !

إن الإنسان خلق ليكون أشبه بمِجْهَر تمر من خلاله الطبيعة الأرضية بخصائصها التي كانت « غيباً » مستوراً قبل ظهور هذا النوع . فكل شيء في الطبيعة الأرضية كان لا بد أن يمر من حواس هذا النوع وفكره ليأخذ حدوده ومميزاته ويرمز إليه بكلمة بيانية بعضها خليفة الله في الأرض . . .

وإذا صح ما أثبته علم تحليل ضوء العناصر من أن العناصر التي في النجوم والكواكب هي بعينها العناصر التي في الأرض كان في هذا زيادة في النظر لقيمة الإنسان كترجم أيضاً ومحدد لعناصر الطبيعة في غير الأرض . . .

***

إن شئت فقل إن الإنسان آلة في يد الخالق يتم بها التنويع والتفريع والتركيب في خلق المادة الميتة الجامدة وتصويرها وصقلها وتزويقها وتوشيمها حتى تصل إلى الدقة المتناهية في تركيب تروس الآلات ومساميرها الصغيرة، وإلى الزركشة والنمنمة و« المونوكير » في ثياب المرأة وأظافيرها ! وعندئذ يكون الإنسان امتداداً لعوامل التكوين والإنشاء والتعمير التي في يد الله ... يكون إزميلاً في يد الفنان الأعظم ، وريشة بين أصبعيه يشكل بهما المادة أشكالاً ويعلوها بهما تزاويق وتهاويل !

وإن شئت فقل : إنه « مِجْهر » يلتقط آثار الصنع المعظم في المواد « الخام » فتتساقط على عينه أنوارها وظلماتها وعلى سمعه نغماتها وأصواتها ، وعلى خياشيمه عطورها ونفحاتها ، وعلى ملامسه نعومتها وخشونتها ، ويقع على إحساسه العام ثقل المادة وصعق الكهرباء وشد الجاذبية ، ويمر على فكره معاني الوجود ومعاني العدم ... ثم يترجم كل هذه الكلمات الصامتة بكلمات ناطقة من بيانه الذي اختصه به بارئ الطبيعة ...

إن رب الطبيعة أراد أن يترجم هذا الطين الذي سواه بيديه ونفخ فيه من روحه بعض كلماته الصامتة في أسرار التكوين والخلقة، وكانت قبل الإنسان غيباً في السموات والأرض لا يعلمها أحد غيره حتى الملائكة

ولذلك كان العلم بأسرار الطبيعة أشرف عبادات هذا النوع ما دام متوجهاً فيه إلى رب الحياة ومتعرفاً إليه به . أما الملائكة فعبادتهم طاعة عمياء طبيعية ليس لهم على غيرها طاقة

واقرأ إن شئت بعد هذا قصة خلق الإنسان في القرآن لترى

منها العجب الذي رأيناه : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة . قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدمَ الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة . فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانَك لا علمَ لنا إلا ما علَّمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئْهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلمُ غيبَ السموات والأرض وأعلمُ ما تُبدُون وما كنتم تكتمون ؟ »

وأرجو أن تقف طويلاً أمام قوله تعالى : « إني أعلم ما لا تعلمون » رداً على سؤال الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ... » لتعلم أن الله نظر نظرة سماح واغتفار لما تستلزمه حياة الإنسان في مجموعه بالجسم الحيواني من بعض الآثام والشرور ، إذ علم ماوراء فتوح الإنسان في « غيب السموات والأرض » من آثار علمية ترجح على ما يرتكبه من شرور ...

فلا يهولنك ما تراه من الجريمة والفساد والأوباء والنكبات التي تجتاح حياة الإنسان ... فإن الذي خلق هذا النوع متيقظ له دائم الرعاية عليه يسوقه في طريق مرسوم حتى يبلغ غايته برغم كل ما نسميه الشر والفساد لأن الشر والفساد والباطل ما خلقه إلا للحق والصلاح ... فلولا الأمراض ما ظهرت علوم الطب التي كشفت لنا عن ملايين من عوالم الجراثيم ... وكانت حياتها مستورة في « غيب السموات والأرض » ... ولولا الحروب ، والجرائم ما ظهرت أدوات الانتقال السريع ، واختزال المسافات وما تنافس الناس على استخراج ما في المناجم من الركاز ... وكان كل ذلك « غيباً » محجوباً في الأرض ... ولولا الغرائز السفلى كالطمع والجشع والأنانية ما رأيت في الأرض هذه الحياة المنيفة الحركات في التعمير والاقتناء والتسابق على كشف بقاع الأرض المجهولة وإظهار غيوبها ، وإقامة معالم الحياة العلمية المتحضرة فيها

ولولا البأس الشديد في الحديد والنار ما تكونت الامبراطوريات الواسعة التي ربطت بين كثير من أمم الأرض برباط التفاهم والحب والخدمة المشتركة ... وما ابتدأت البشرية الآن تفكر في جامعة عامة لجميع الشعوب والأمم تجمعها على حدود العدالة والسلامة الإجماعية ، وخدمة العلم خدمة مشتركة ، وتقيها من شرور التدمير والتخريب وما تنتجه الحروب

ونظرة إلى تاريخ البشرية ترينا التقدم المطرد في سبيل التجميع والتوحيد . فقد كان الإنسان فرداً ثم صار أسرة ثم صار قبيلة ثم صار أمة ثم صار أمبراطورية وولايات متحدة ثم بدأ يصير « جامعة أمم » ولا بد من ذلك في يوم ما قريباً كان أم بعيداً .

والشر هو الذي يدفع دائماً إلى الجهاد للخير . « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم » فإن الأرواح لا تقوى إلا بالمجاهدة كما أن الأجسام لا تقوى عضلاتها إلا بالمقاومة . فلا تذهبن من نفسك قداسة الإنسان فإنه الابن البكر للأرض يعمر ديارها ويستقبل ليلها ونهارها

وقد كان يجوز الشك في قيمة الإنسان السامية أيام الجهل والغفلة والحيرة قبل عثوره على مفاتيح العلوم الطبيعية وابتدائه فتح أبوابها باباً فباباً . . . أما الآن بعد أن تيقظ الإنسان لحياته وابتدأت الأرض والسماء تحدثه أخبارها وتوضحت أمامه معالم طريق الحياة ؛ فلن يرضى لنفسه الارتداد ولن يجوز الشك في قدسيته وامتيازه

وإن قيادته إلى الله رب الطبيعة قد صارت الآن من أسهل الأمور لأن العلم قد ألقى كثيراً من أشعته على مواقع يد الله في الطبيعة وعلى كثير من الأبواب التي توصل إليه . . .

ولكن كثيرين جداً من الذين يحترفون قيادة الأرواح أغبياء محدودون عميان . . . فكيف يقودون في طريق مملوءة بكثير من جثث الخرافات والأباطيل التي لصقت بالدين في زمن الجهل والظلام ، والتي صرعها العلم الواضح والعقل الطلق المستنير ؟ !

(القاهرة) عبد المنعم خلاف

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين ﴾



8me Année No. 354

Lundi - 15 - 4 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٥٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ ربيع أول سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٥ أبريل سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

العقيدة الساذجة

تلك هى عقيدة الكثرة الكاثرة من مسلمى اليوم ! وربما كان الأشبه بالحق أن نصفها بشر من السذاجة ؛ فإن أيلولة الدين فى نفوس أهله إلى هذا القدر العامى من العبادة الشكلية ، والزهد الكاذب ، والتفويض الذليل ، والورع المنافق ، والتصوف المشرك ، هى الفساد بعينه . وماذا بعد أن ترى كتاب الله وسنة رسوله يقرآن لالتماس البركة لا لاكتساب الفقه ، ودستورَ الإسلام وفلسفة وحيه يدرسان لمجرد العلم لا لإرادة العمل ؟

وماذا بعد أن ترى الأحكام والآداب والأنظمة التى أصلحت الأرض ومدنت الخليقة ، تصبح فى الجوامع والمجامع رهبنة وشمبذة لا يستقيم عليها فرد ولا تنتظم بها جماعة ؟

لقد كان من أثر فساد العقيدة فى النفس أن فسدت آثارها فى الناس ؛ فالفقه فى الدين تفيهق وجدل ، والصلاح فى الدنيا تبطل وفشل ، والعبادة مظاهر آلية لا أثر فيها للروح ولا صلة لها بالقلب ، والأخلاق مياسم وراثية تنطق بالحق على ذلة الماضى وجهالة السلف ، والمعاملة ألاعيب اجتماعية تخادع الله وتزعم لنفسها الرضى والسكينة !

ذكر معنى الزكاة فى دين الله ثم قل لى أين منها ما كان

الفهـــرس

يصنع أحد شيوخ الأزهر وقد كان يملك فى القاهرة شوارع بما عليها من البُنى عن شمال ويمين؟ لقد حدثوا أنه كان يجعل زكاة ماله كلما حال الحول فى قفة؛ ثم يغطى الذهب والفضة بطبقة من الحنطة؛ ثم يأمر فيأتونه بأحد المساكين الذين يتكففون على حاشية الطريق، فإذا أدخل عليه قال له:

« هذه زكاتنا يا رجل آتيناك بها ابتغاء مرضاة الله »

فيدعو المسكين ويهم بأخذ القفة؛ ولكن الشيخ قارون يريد أن يخفف عنه ويختار له، فيبادره بقوله: «وماذا تصنع بها يا رجل وليس عندك من تطحن وتعجن وتخبز؟ أتبيعنى إياها بكذا قرشاً؟» فيلهج المسكين بالدعاء، ويبالغ فى الحمد والثناء، ثم ينصرف بالقروش وتعود مئات الدنانير المروّعة آمنة إلى صدر الخزانة الحنون!

تدبر فكرة الصدقة الجارية فى سنة الرسول ثم أخبرنى أمنها ذلك البناء المربّع الذى أقامه أحد القضاة المتقين فى وسط شارع حسن الأكبر، ثم أجرى فى قلبه الماء، وأوقد على رأسه النور، ووقف على نفقته المال، وجعله مورداً للسابلة فكان مزرعة للجراثيم ومصدمة للناس!

تصور حكمة الإنفاق فى سبيل الله على قواعد الدين الذى شُرع ليضمن للفرد السعادة وللأمة السلامة وللبشرية الألفة، ثم تعال أنقل إليك ما روته (الدستور) فى يوم الاثنين الماضى عن مراسلها ببغداد:

كان من ضيوف العراق لعامين مضيا الزعيم الشعبي الهندى السردار طاهر زين الدين، وهو من أنداد أغا خان فى الزعامة المقدسة والثروة العريضة، فلما زار ضريح الإمام علىّ رضوان الله وسلامه عليه، نشأ فى نفسه أن يقيم للخليفة الراشد ضريحاً يكون مضرب الأمثال على تعاقب الأجيال فى نفاسة المادة وبراعة الصنعة وضخامة النفقة. ولم يكد يرجع إلى الهند حتى استحضر أمهر الصناع وأقدر الفنانين وتقدم إليهم بما أراد، ووصل أيديهم بكنوزه العجيبة، فصنعوا ضريحاً من الآبنوس سَمْكه إحدى عشرة قدماً وقطره عشرون، ثم زخرفوه بروائع النقش الهندى، وغشوه بخمسة عشر رطلاً من صفائح الذهب وبمثلها من سبائك الفضة حتى بلغت تكاليفه اثنين وأربعين مليون جنيه على ما روى المراسل، أو اثنين وأربعين مليون رُبيّة على ما أرجح!

هل قرأت؟ إثنان وأربعون مليون جنيه كميزانية مصر، أو اثنان وأربعون مليون ربية كميزانية العراق، تنفق فى مقصورة تقام على ضريح الإمام الزاهد المجاهد الشهيد على كرم الله وجهه!

فهل تحسب أن هذا المؤمن الساذج قد بلغ بما أنفق مكانة الزلفى من الله وموضع الرضا من إمامه؟ لا والله! إن الله الذى يقترض من عباده القرض الحسن ليضاعفه لهم لا يقبل هذا القرض العقيم، وإن الإمام الذى كان يطوى الأيام ليطعم على حب الله المسكين واليتيم والأسير لا يرضى هذا الإحسان الميت. لو كان هذا الغنى الأمى صحيح الفقه فى الدين، واسع الأفق فى الفكر، بعيد النظر فى الإصلاح، لعلم أن علياً كان سيف الإسلام ولسان الدعوة وإمام القضاء، فكان خير ما يتقرب به إليه أن يعطى حكومة العراق هذه الملايين لتنشئ بها أسطولاً جوياً فى بغداد على حب فاتح خيبر، ومعهداً علمياً فى الكوفة على ذكر صاحب نهج البلاغة

* * *

لذلك وشبهه يكون القرض حسناً والإحسان جيلاً يا سيدى الزعيم. أما أن تصفّح الضريح بالذهب والفضة، وترصعه باللؤلؤ والجوهر — وفى وطن الإمام الفقيرُ الذى لا يجد القوت، والمريض الذى لا ينال الدواء، والجاهل الذى لا يستطيع التعلم، والجندى الذى لا يملك السلاح — فذلك فن من العمل الباطل لا يليق أن يجترح باسم الدين فى سبيل إمام أئمته وقطب أبطاله!

* * *

لقد قرأت فى أنباء اليوم أنهم فضوا وصية المحامى الأمريكى اليهودى صموئيل أونترماير منذ أيام فإذا به يوصى بجزء عظيم من تركته الضخمة لبضع جامعات أمريكية؛ ثم كان نصيب الجامعة العبرية فى القدس منها مائة ألف دولار!

فليت شعرى متى يعلم هذا الذى ينفق دماء الشهداء على ملاهى القصور، وذاك الذى يبذر أموال الأحياء على شواهد القبور، أن الحياة من غير إحسان موت، وأن الإحسان فى غير موضعه إساءة!

احمد حسن الزيات

بابـــــر

للدكتور عبد الوهاب عزام

[بقية ما نشر في العدد الماضي]



محمد ظهير الدين بابر
مؤسس الدولة المغولية في الهند

— ١ —

لم تخضع الهند لبابر بعد موقعة بانيبات فقد بقي أخو للسلطان إبراهيم مطالباً بالملك والبلاد كارهة غارة بابر، وكثير من المدن والقلاع متأهبة للدفاع، وكادت جيوش بابر تهلك جوعاً على كثرة ما بأيديها من الغنائم، وزاد حالهم سوءاً شدة الحر. نقرأ في بابرنامه هذه السطور: « لما جئت إلى اكركان وقت الحر وكان الناس قد فروا من الخوف فلم نجد حبًّا لنا ولا علفاً لدوابنا، وكانت القرى قد نهبت إعناتاً لنا وكراهية فينا، وأفسدت الطرق... إلى أن يقول: « وكان الحر هذه السنة أشد من المعتاد، وكثير من الناس سقطوا كأنهم أصيبوا بالسموم وماتوا في مواضعهم »

شرعت جيوش بابر تتذمر كما تذمرت جيوش الاسكندر حينما فتح الهند من قبل، وهموا بالرجوع إلى كابل وقد ذكرهم هذا الحر هواءها البارد؛ فجمعهم بابر وذكرهم أنهم تحملوا ما تحملوا وقاسوا ما قاسوا من أجل هـذه الغاية التي بلغوها اليوم: « إن عدواً قوياً قد هزم وإن تحت أقدامكم مملكة عظيمة، فهل نترك كل ما كسبنا بعد أن بلغنا الغاية التي سعينا إليها ونفر إلى كابل كأننا جيش مهزوم مطارد؟ من كان يزعم أنه صديقي فليقلع عن هذه الوساوس. ومن لم يستطع أن يقسر نفسه على البقاء فليذهب ». وخجل الجيش فلم يحر أحد منهم جواباً

وجاهد بابر لتهدئة البلاد بالرغبة والرهبة، ولم يكن له بد من لقاء عدو هو أكبر الأعداء في الهند. ذلكم رانا سانجا زعيم الأمراء في رجبوت، قد جمع مائة وعشرين قائداً وثمانين ألف حصان وخمسمائة فيل، وأيده أمراء آخرون وجاءته الجيوش من أرجاء مختلفة

وخرج إليه بابر سنة ٩٣٤ هـ (١١ فبراير سنة ١٥٢٧) بعد سنتين من موقعة بانيبات وهي أول مرة يتقدم فيها لحرب عدو من غير المسلمين. وعسكر بابر عند سكرى التي سميت فيما بعد فتح بور، وبنى فيها جلال الدين الأكبر قصوراً عظيمة وظل خمسة وعشرين يوماً يحصن معسكره وينشر السكينة في قلوب قومه وقد ملكهم الرعب مما سمعوا ورأوا من شجاعة الرجبوتيين. في هذه الشدة هجر بابر الخمر وكسر أقداحها وأراق دنانها ثم جمع جنده فخطب فيهم: « أيها الأمراء والجند، لا بد لمن يجيء لهذا العالم أن يفارقه؛ وإنما البقاء لله الذي لا يتغير. وكل من جلس على مائدة الحياة شارب كأس الموت لا محالة، وكل من طرق نزل الفناء هذا فهو لا بد راحل يوماً عن دار الحزن. أولى بنا أن نموت أحراراً من أن نعيش أذلاء

« إن من فضل الله علينا أن ضمن لنا إحدى الحسنيين، فإن متنا متنا شهداء، وإذا ظفرنا ظفرنا في سبيله. فهلمو نقسم جميعاً بالله العظيم ألا نفر من هذا الموت وألا نرهب مآزق الحرب حتى تفارق أرواحنا أجسادنا »

فأقسموا جميعاً على القرآن. وتقدم بابر في جموعه وعبأ جيشه كما فعل في بانيبات من قبل، ثم ركض جواده بين الصفوف يحض الناس على القتال والصبر ويعلمهم ما يجب عليهم حين تنشب المعركة

والتقى الجمعان في كنوها (١٦ مارس سنة ١٥٢٧) واحتدم القتال واشتدت حملات الرجبوتيين واستمر الجلاد وجهاً لوجه ساعات كثيرة. ثم أرسل بابر سرايا المغول لمفاجأة العدو من الخلف

وانتهى الأمر بهزيمة عدوه بعد أن استمات في القتال تاركاً آلاف القتلى في المعترك. وفر سنجا مثخناً بالجراح ومات بعد قليل، ثم لم يتعرض أحد من ذريته من بعد لحرب أحد من سلالة بابر

بهاتين الموقعتين في بانيبات وكنوها حطم بابر أعظم القوى المخالفة في الهند. ثم استطاع أن يقضي على مخالفيه واحداً بعد الآخر في مواقع كثيرة آخرها موقعة هزم فيها المقاومين من سد مملكة دهلي وحلفاءهم من جيوش بنغاله بعد سنين من موقعة كنوها

عاش بابر بعد هذه الموقعة الأخيرة سنة ونصف سنة أمضى معظمها في أكرا مجتهداً في تنظيم مملكته الجديدة

— ٢ —

كان محمد ظهير الدين بابر سوى الخلق محكم البنية قوياً فارساً ماهراً رامياً حاذقاً حمل رجلين تحت ذراعه وجرى بهما على سور إحدى القلاع. ويقول في بابر نامه: « اجتزت نهر الكنك سباحة وعددت ضربات ذراعي فوجدتني قد اجتزت النهر بثلاث وثلاثين ضربة، ثم أخذت نفسي وسبحت إلى العدوة الأخرى »

وكان جلداً على ركوب الخيل. وكثيراً ما قطع ثمانين ميلاً في اليوم. وقد أمضى معظم حياته في الأسفار والحروب

ولكن نوبات الحمى وكثرة تطوافه وتقلب الغير بها دهراً، والشدائد التي قاساها، والخمر التي لم يسلم منها أحد من بني تيمور، ثم الأفيون ـ كل هذا أنقض ظهره وناء بجسمه القوي. فها هو ذا على فراش الموت في قصره الجميل وحديقته في مدينة أكرا

مات بابر سنة ٩٣٧ هـ في سن التاسعة والأربعين (٢٦ ديسمبر سنة ١٥٣٠ م) بعد سبع وثلاثين سنة من تملكه في فرغانة

— ٣ —

وكان بابر كسائر بني تيمور مولعاً بالآداب والفنون، يقرأ الشعر وينظمه، ويعجب بالأبنية الجميلة، ويهتم بتنسيق الحدائق وغرس الأزهار، ويكلف بالغناء والموسيقى.

ونحن نراه في « بابر نامه » يفزع إلى نظم الشعر في أشد أوقات محنه، كما نراه يتحدث عن الأدباء الذين اجتمعوا في هراة حول السلطان حسين ووزيره العظيم مير على شير موائي حديث عارف ناقد. وله ديوان صغير بالتركية تتخلله قطع فارسية.

وفي هذا الديوان منظومة في نحو ٢٥٠ بيتاً وهي نظم الرسالة الوالدية بعين الله المعروف باسم خواجه احراء من كبار الصوفية، وتعرفنا بابر نامه الأحوال التي نظمت فيها هذه الرسالة. وأنا أثبت هنا ترجمة هذه النبذة من الكتاب لتكون مثالاً من أسلوبه في تسجيل الحوادث وتفصيلها :

« يوم الجمعة ٢٣ من هذا الشهر (صفر)، أحسست الحمى في جسدي، حتى لم أستطع أن أؤدي الصلاة في المسجد إلا بمشقة؛ ولم أستطع أن أصلي الظهر في خزانة كتبي إلا بعد تأخير، ومع جهد كبير. وفي اليوم الثالث، يوم الأحد، خفت الرعشة قليلاً. ويوم الثلاثاء ٢٧ صفر، خطر لي أن أترجم نظماً الرسالة الوالدية مولانا عبيدالله. التجأت إلى روح الشيخ وقلت لنفسي: إن قبلت هذه القربة عند الشيخ كان إبلالي من هذا المرض آية القبول كما خلص صاحب البردة من مرضه.

« نظمت هذه الليلة ١٣ بيتاً، وشرطت على نفسي ألا أنظم أقل من عشرة أبيات كل يوم، وقد وفيت بهذا الشرط إلا يوماً واحداً

« كانت الحمى في السنة الماضية كلما انتابتني دامت ثلاثين أو أربعين يوماً، ولكن بفضل الله وبركة الشيخ أبللت من هذه النوبة يوم الثلاثاء ٢٩ من الشهر.

« وفي يوم السبت ٨ ربيع الأول أكملت نظم الرسالة. وقد نظمت يوماً اثنين وخمسين بيتاً »

كتب في نهاية الديوان هذه العبارة « حرره بابر دوشنبه ١٥ ربيع الآخر سنة ٩٣٥ ». وفي ذيل الصفحة الأخيرة رباعية وفي حاشيتها هذه الجملة « هذه الرباعية التركية، والاسم المبارك بالتحقيق خط أعليحضرت ساكن الجنان بابربادشاه الغازي أنار الله برهانه. حرره شاه جهان بن جها نكير بادشاه بن أكبر بادشاه بن هما يون بادشاه بن بابربادشاه »

وأما كتابه بابر نامه فهو في موضوعه نادرة من نوادر التاريخ؛ فما عرفنا قبل بابر ملكاً أمضى حياته في عراك الحوادث ثم استطاع أن يصف مشاعره، ويسجل وقائع سيرته، وسيرة أقاربه وأعوانه في بيان واضح مفصل بعيد من التكلف يتجلى فيه اهتمام الكاتب بما يرى ويسمع ودقته في الإدراك والوصف

وهو في لغته وأسلوبه ذخيرة أدبية تسجل لنا لغة جغتاي في القرن العاشر الهجري وتبين محاولة ملك عظيم أن يذلل هذه اللغة للنثر الأدبي كما ذللها للشعر منذ سنين قليلة الوزير الكبير

مير على شير . والكتاب بعد هذا وذاك فصول ممتعة بل ساحرة يكلف بقراءتها كل من حاولها ، فعرف ما تبعث فى نفس القارئ من سرور وإعجاب وما تتضمن من فوائد للعلم والأدب والتاريخ

وقد ترجمت هذه السيرة إلى لغات كثيرة . ترجمت إلى الفارسية بأمر حفيدة جلال الدين الأكبر (٩٦٣ — ١١٠٤) ثم ترجمت فى العصور الأخيرة إلى لغات أوربية وطبعت أول ترجمة إنجليزية لها قبل مائة سنة ، ولا تزال موضع عناية الباحثين فى تاريخ الشرق الإسلامى وآدابه .

ولعل معهد الدراسات الشرقية فى كلية الآداب من جامعة فؤاد الأول الذى افتتح هذا العام يجعل ترجمتها إلى العربية باكورة أعماله إن شاء الله .

عبد الوهاب عزام

أعرابى فى سينما ... (*)

للأستاذ على الطنطاوى

وطالت غيبة « صُلَبى »(1) ، حتى لقد استيأست منه ، فنسيته وطرحت همه عن عاتقى ، وعدت أدور مع الحياة كما تدور الساقية ، مغمض العينين ، أطوف فى مفحص قطاة ، فلا غاية أبلغ ولا راحة أجد ، أغدو إلى كدّ العقل وعذاب النفْس ، وجفاف الريق وانقطاع النفَس ، وأروح ، وما بقى فىّ بقية لعمل ، ولا طاقة على كتابة ، فألقى بنفسى على كرسىّ أو سرير ، أنتظر عذاب اليوم الجديد ...

وإنى لغادٍ إلى المدرسة ذات يوم ، وإذا أنا بأعرابى فى شملته يشير إلىّ ... وهو يسير بين تلك المواخير : ترياتون وليدو ولوازيس ــ حائراً يتلفت ... فقلت : لعله ضالٌّ أحب أن يستهدينى ووقفت له ، فلما دنا وتبينته ، لم أملك من الفرح فمى ... فصحت فى السوق وسط الناس . ومالى لا أصيح وقد وجدت « صلبى » بعد طول الغياب ... وحييته وحيانى تحية ذاكر للصحبة ، حافظ للود ، وطفق يحدثنى حديثه ...

قال :

أتذكر يا شيخ ما ابتلانى به الله من أمر الحمام ؟ لقد وقعت فى داهية أدهى ... ولقد والله كرهت الحضر ، وعفت المدن ، وأصبحت أخشى فيها على نفسى ، فما أدرى ماذا سيكون من أمرى بعد الذى كان ؟ ...

... قدمت الشام قدمة أخرى ، فكان أول ما صنعت أن قصدت صاحبى ، وكنت قد عرفت داره فى (الميدان) ... فأكرمنى وأحسن استقبالى ، أحسن الله إليه ، وذبح لى خروفاً ، ولم يكتف بذلك من إكرامى بل أزمع أن يأخذنى إلى سنمة ...

قلت : ولكنى لا أعرف سنمة هذا ، ولا أدرى من هو ، فكيف تأخذنى إليه ؟ قال : لا بد من ذلك . فاستحييت منه وكرهت أن أخالفه بعد الذى قد صنع فى إكرامى ... وقلت فى نفسى : لولا أن سنمة هذا صديق له ، عزيز عليه ، ما سار بى إليه . ولقد قال الشايخ من قبيلتنا : صديق صديقك صديقك ... فرضيت وقلت له : على اسم الله !

* * *

ولكن الرجل لم يسر بل أدركه لؤم الحضر فصاح بابنه أن هات الجرائد حتى نرى الرواية ، فتوجست خيفة الشر ، وقلت : إن الرجل قد جنّ ، وإلا فما بال الجرائد ؟ وهل تراه يضربنى بها ؟ إذن والله لأريته عز الرجال ولضربته ضرباً يبلغ ممتقر اللؤم فى نفسه ... وخشيت أن أتريّث أو أتلوّم فأخيب وأفشل ، وذكرت حكمة حَمَدْ بن عَلْوى : « الغلبة لمن بدأ » فشد ذلك من عزمى وصرخت : « ياهُو ... » ووثبت وثبة أطبقت بها على عنقه ، وقلت : سترى لمن الجرائد والسياط ، ألابن المدينة الخوار الفرار ، أم لابن البر الحر ؟

فارتاع وأبيك وجعل يصيح من جبنه : أدركونى ، أنقذونى ! النجدة ، العون ، يا فلان (لابنه) أقبل ... ويلك يا صُلَبى ، يا مجنون ، كف عنى ، ويلك ماذا اعتراك ؟

فأخذتنى به رأفة فكففت عنه ، وقمت محاذراً أرقب أهل النزل ، وقد اجتمعوا ينظرون إلى بعيون من بهم بفرى جلدى . فقال لى : ما أردت بهذا ويلك ؟ وبم أسأت إليك حتى استحققت منك هذا الصنيع ؟ قلت : بالجرائد ... أمثلى يضرب بالجرائد ، لا أم لك ؟

فضحك والله وجعل يكركر حتى لقد شبهت بطنه بقربة جوفاء أدخلها الماء . وضحك كل من كان حاضراً من أهله وبنيه ضحكا

(*) من كتاب « صور وخواطر » وسيصدر قريبا

(1) أنظر العدد ١٣٨ والعدد ٢٣٩ من الرسالة

ما شككت ممه أن القوم قد أصابهم طائف من الجن ، فقلت : قبحكم الله من قوم، وقبحني إذ أنزل بمثلكم. وهممت بالانصراف. فصاح بي وعزم عليّ إلا ما رجعت ، فبررت بيمينه وقفلت راجعاً فقال لي :

وأنت حسبت الجرائد مما يضرب به ؟ ألم تبصر جريدة قط ؟ قلت : ويحك فكيف إذن ؟ أنا من بلاد النخيل ، تبوك حاضرتي

قال : وتحسبها جرائد نخيل ؟ قلت : إذن لجرائد ماذا ؟ قال : خذ ؛ هذه هي الجرائد

وأتى إلى صحفاً سوداً بها من دقيق الكلم مثل دبيب النمل ، فعجبت منها وسألته أن يقرأ عليّ مما فيها فأستفيد علماً ينفعني في آخرتي ، فإن الرجل لا يزال عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل. ولقد سمعت أنه جاء في الأثر « كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابعة فتهلك »

فضحك وقال : وهل تظنها كتب علم ؟ قلت : فماذا فيها مما ينفع الناس ؟ قال فيها أخبار البشر – من سافر منهم أو حضر – أو تزوج أو ولد له ، فما يصنع أحد من شيء إلا دوّن فيها ، ولا ينبغ من عالم أو أديب أو يقدم مغنّ أو تجيء قينة أو تأمر الحكومة أو تنهى إلا ذكر ذلك فيها ، حتى إن فيها صفة الخمر والإعلان عن الميسر ، وأخبار دور الدعارة ، والدعوة إلى الروايات الخليعة ...

فلما سمعت ذلك طار عقلي وأخذت هذه الجرائد فمزقتها شرّ ممزّق ، وعلمت أن الله مهلك هذه القرية ، وعزمت على مفارقتها ونويت ألا أعود إليها بعد الذي سمعت من خبر جرائدها ... وما ظننت أن مثل ذلك يكون ، ولم يجتزىء صاحبي بما أعلمني من علمها بل عمد إلى صحف أخرى كانت في أيدي صبيانه وبناته فيها صور قوم عراة تبدو عوراتهم ، ونساء ما يسترهن من شيء إلا شيئاً ليس بساتر ، فأرانيها ، فسقط والله من عيني وقلت ، هذا القرنان الذي لا تأخذه على أهله غيرة ، وما كنت أحسب أن رجلاً يؤمن بالله واليوم الآخر يفعل ذلك ...

* * *

ولست مطيلاً عليك الحديث ...

... وذهبنا نزور سنمة فسرنا حتى بلغنا قصراً عظيما على بابه خلق كثير ، وله دهليز تسطع فيه الأضواء ، فقلت ، هذا قصر أمير البلد ، هذا الذي يدعونه رئيس الجماهير ... وألهاني ما رأيت وشغلني ففقدت صاحبي وسط الزحمة ... ولكني لم أبال ، وأقبلت أصعد الدرج فمنعني أغلمة بثياب ضيقة حمر ما رأيت مثلها ، وعلى رؤوسهم كُمّ لها رواق من فوق عيونهم كالذي يوضع على عيني بغل المعجلة ... وأفخاذهم مكشوفة فعل أهل الفسوق والتهتك ، فهممت أن آخذ اثنين منهم فأكركبهم على الدرج فأزحلق بعددهم عن مواضعها ، ثم قلت ، ترفق يا صِنْدَبي لا تجنّ فما أنت في البادية، أنت في قصر الأمير وهؤلاء مماليكه وإنك إن مسستهم لم تجد أمامك إلا ضرب العنق ... ووضعت يدي على عنقي أتحسسها فعلمت أني لا أزال أحتاج إليها

ولو أنني في السوق أبتاع مثلها وجدك ما باليت أن أتقدما

وسألت الغلمان الكاشفي الأفخاذ ماذا يريدون مني أن أصنع ، فأشاروا إلى كوّة ازدحم عليها الناس ، فعلمت أن الدخول من هناك ، وأقبلت أزاحم وأدافع وهم يردونني حتى بلغت الكوة . فإذا هي غرفة ضيقة كأنها القفص وإذا فيها رجل محبوس والناس يتصدقون عليه ، فقلت في نفسي : هذا رجل ضرب مماليك الأمير فحبسه هنا لتضرب عنقه في غداة الغد ، وحمدت الله على السلامة ، وتوجهت بوجهي إلى رجل توسمته أسأله: متى تضرب عنق السجين ؟ فنظر إليّ ولم يجب ، ثم ولاني قفاه وانصرف ، فعلمت أن الأمير يمنع الناس من الكلام في هذا ، ولولا ذلك لأجابني . ودنوت من كوّة السجين فأعطيته قروشاً كانت معي وقلت له : هذه لأولادك من بعدك ، لهم الله فلا تحزن ، فلم يقبضها حتى عدّها فرآها كثيرة فرد إليّ بعضها وقبل بعضاً ، فلم ألحف عليه وأخذتها منه وأخذت معها ورقة صفراء أعطانيها لم أدر ما هي ، ولكني لم أشأ كسر قلبه بردّها ، ووضعت ذلك كله في كيّ وعمدت إلى الكوة لأدخل منها فوجدتها عالية ، فوثبت فأصبت بقدمي وجه رجل ممن كان هناك ، فما باليته وقلت سأعتذر إليه ، وقد رأيت أهل المدن يؤذون إيذاء العدو ، ثم يعتذرون اعتذار الصديق . وأدخلت رأسي في الكوة ، فصاح السجين صياحاً أرعبني والله ، وشبهته بصراخ كلب ديس على ذنبه ، وأجلب الناس ، وطفقوا يشدون برجلي وثيابي ، وأنا أرفس بقدمي رفساً لا أبالي موقعه من أجساد الناس ، والسجين اللئيم الذي أحسنت إليه يدفع برأسي ويشد بشعري ، ولم يكن عضو من أعضائي إلا وهو مشغول ،

فيداى أتمسك بهما ، ورجلاى أذود بهما عن نفسى ، ولم أجد ما أدفع به أذاه عنى إلا أن بصقت فى وجهه ، فأقبل يضربنى فعضضت يده ، ثم دنوت من وجهه فعضضت أنفه ... وكان أنف ذليل لا يزال خبث طعمه على لسانى ...

... ثم أخرجونى قسراً وجبراً - وجاء مماليك السلطان فحجزوا بينى وبينهم - وأخذوا الورقة الصفراء ، وأدخلونى من باب كان هناك إلى بهو واسع صح معه ما كنت قدرت من أن سنمة هذا سلطان البلد ، ورأيت الناس قد صفوا كراسيّهم كصفّ الصلاة ، وإذا بعضهم يولى بعضاً دبره ، فقلت : ما ألأم أهل المدن ، والله ما كنت مولياً مسلماً ظهرى إلا فى الصلاة . وعمدت إلى الكرسى لأديره فإذا هو مثبت بمسامير من حديد ، فتركته واستدرت أنا ، فجلست على قفاه ، وجعلوا يضحكون منى ، فما ألقى لهم بالاً ، حتى جاءت امرأة ، فجلست قبالتى ، فقلت : يا أمة الله استترى . فأقبلوا يزبروننى ، وإذا هى فيما قالوا « شاب » وليس امرأة ، فجعلت أعجب . . .

ولبثت أنتظر خروج السلطان فإذا بالمماليك يديروننى فيجلسوننى من حيث يجلس الناس ، فلم أملك إلا الطاعة ، وقعدت أنتظر فلم أنشب أن جاء مملوك آخر ، فقدم إلىّ صفحة من خشب قد صف عليها فرانى وشطائر[1] وقال : تريد ؟ قلت : أريد والله . . . وهل يأبى الكرامة إلا اللئيم ؟ وأقبلت آكل فأجد طعاماً هشاً تحت الأسنان ، حلواً فى الحلق ، خفيفاً على البطن ، فقلت : هذه هى البقلاوة التى وصفوها لنا ، وجعلت آكل فلا أشبع ، وهو يقدم إلى متعجباً حتى استنفدت ما كان معه . فمسحت شفتى بيدى وقلت : الحمد لله ، جزاك الله خيراً

فظل واقفاً ولم يمض ، فقلت : الحمد لله ، لقد شبعت . قال : يدك على الفلوس ؟ قلت : ويحك ماذا تريد ؟ قال : أكلت ثلاثين قطعة كل قطعة منها بسبعة قروش فهذه مائتان وعشرة . . .

قلت : قبحك الله من عبد لئيم ! تأخذ من ضيوف السلطان ثمن القرى ؟

وكان ما أكلت قد شدّ صُلبى فوثبت إليه ووثب إلىّ ، وقام الناس ، وزلزل البهو بأهله ، وكادوا والله يطردوننى لولا أن ظهر صاحبى فانفرد بالملوك فأرضاه عنى ، وجاء فقعد معى

* * *

وإنا لكذلك يا شيخ ، وإذا بالأنوار تنطفئ ، وإذا بالخيل تهجم علينا مسرعة حتى كادت والله تخالطنا . فقلت : لك الويل ياصُلبى ، ثكلتك أمك ، إنه الغزو فما قعودك ؟ وقفزت قفزاتى فى البادية ، وصرخت وهجمت أدوس على أجساد الناس وهم يضجّون ويصخبون ، فلما كدت أبلغ الخيل اشتعلت الأنوار وفرّ العدوّ من خوف بطشى هارباً ، وجاء عبيد السلطان ليخرجونى فردّهم عنى صاحبى وكلمهم ...

فقلت : هذا والله العجز والذل ، فقبح الله من يقيم عليهما ترون العدو قد خالطكم وتلبثون قعوداً ؟ ما أكرهكم إلىّ يا أهل المدن ، ما ظننت والله إلا أنكم ستحملون إلىّ صلة السلطان على أن رددت عدوّكم وهزمته ...

فضحك اللئام ، وجعل صاحبى يحذرنى العودة إلى مثلها ؛ ولم ألبث حتى أطفئت الأنوار كرّة أخرى ؛ ففزعت ونظرت فما أحسست إلا امرأة قد قبض عليها رجل خبيث يحاول أن ينال منها على مرأى منا ومسمع ؛ وهى تستغيث وأنا أسمع صياحها ولا من مغيث ؛ فثارت الحمية فى رأسى وسللت الخنجر وأقبلت أريده ، فاختفى والله حتى كأن لم يكن هنا لك من أحد . وعادت : الأضواء ، ورجع الصخب ؛ فقلت : والله ما أقيم ، وجعلت أصيح أخرجونى ويلكم ... حتى أخرجونى ...

* * *

قال صُلبى : فخرجت وقد علمت أن جرائدكم يا أهل المدن تنشر الفجور وتهتك ستر الله عن الناس وتفضحهم ، وأن شبابكم بنات ، وأن أمراءكم سحرة يسحرون أعين الناس حتى يروهم ما لا يُرى ... ثم إنكم لا تغارون على أعراضكم ، ولا تبالون كشف عورات أبنائكم وبناتكم . لا والله ما أحبكم ...

وذهب مولياً عنى مسرعاً يمشى بين تلك المواخير القذرة : ترياتون وليدو وأولمبيا ... تلقاء سوق الحميدية والأموى حيث المدينة الطاهرة الفاضلة ... حيث دمشق التى سمّاها شوق « ظئر الإسلام » !

(ثانوية - دمشق) **على الطنطاوى**

(١) الفرنية الـكاتو وجمعها فرانى . والشطيرة والشطائر الساندوتش

الأمومة عند العرب

للأستاذ رفعة الحنبلي

تمهيد

ذهب أكثر علماء الاجتماع ، حتى أواسط القرن الثامن عشر إلى أن الأبوة هى أقدم عهداً من الأمومة فى تاريخ الأسرة، وأنها قد تتشابه والأسرة الحديثة تشابهاً كلياً من حيث النشأة والتكوين، إلى أن ظهر كتاب « الأمومة » للعالم الألمانى الكبير Bachofen فأحدث انقلاباً تاماً فى تاريخ الأسرة وفى آراء علماء الاجتماع فيه. إذ ذهب إلى أن الأمومة هى أقدم عهداً من الأبوة ، وأبعدها أثراً منها فى الهيئة الاجتماعية

ليست الأمومة أقدم نوع فى تاريخ الأسرة بل هى - كالأبوة - أحد الأنواع التى مرت على هذا التاريخ منذ ما أخذت الجماعات الإنسانية تفكر فى تكوين الأسرة وخلقها

أراد علماء الاجتماع بالأمومة Matriarcat بأنها القرابة من ناحية الأم ، كما أرادوا بالأبوة Patriacat بأنها القرابة من ناحية الأب ، ذلك أن الولد فى الحالة الأولى ينتسب إلى أمه كما أنه ينتسب إلى أبيه فى الحالة الثانية

وقد اختلف العلماء فى أمر نشأة الأمومة وتباينت آراؤهم فى أمر ظهورها ، فذهب Bachofen إلى أنها نشأت من نكاح المشاركة أو بعبارة ثانية من نكاح الاختلاط Hétérisme ، فتولد من هذا النوع من النكاح الفوضوى الأمومة ؛ إذ ليس من السهولة أن يعرف الولد أباه فينتسب إليه ويلتحق به ، ولهذا كان النسب محصوراً فى الأم وقرابتها وحسب ، وأصبحت لها مكانتها العالية ، ومقامها الرفيع عند القوم ، لأنها — فى الحقيقة — الوالدة الوحيدة المعروفة من أبوى الولد مما أدى بها إلى تزعمها الهيئة الاجتماعية Gynécocratie ردحاً من الزمن

إلا أن العالم الإنكليزى Lenan يخالف Bachofen فيما ذهب إليه فى أمر نشأة الأمومة ، ويردها إلى التباين الموجود بين نوعين من أنواع الزواج : الزواج الخارجى Exogamie والزواج الداخلى Encogamie ذلك أن Lenan عند ما أراد البحث عن تاريخ الأسرة، وجد أن هنالك عادة لا تزال شائعة عند بعض الشعوب المتوحشة حتى فى بعض الأمم المتمدينة أيضاً ، هذه العادة هى خطف الخطيب لفتاته ، أو اغتصابها ، فأيقن أن هذه الظاهرة ليست إلا بقية من عادة قديمة أخرى تشير إلى تزوج رجال قبيلة فى قبيلة ثانية . وقد توصل فى بحثه هذا إلى معرفة تلك العادة وسبب تأصلها فى الأمم الغابرة ، فاعتقد أنها ناجمة عن وأد الفتاة وقتلها ، مما أدى إلى قلة عدد النساء ، وزيادة عدد الرجال زيادة بينة ، فأقدم هؤلاء على مخالطة امرأة واحدة مما نشأ عنه تعدد الأزواج Polyandrie وبالتالى الأمومة ، التى يعنى بها معرفة أم الولد دون أبيه

وخالف العالم الألمانى Cuwont زميله فى اجتهاده مخالفة تامة فذهب إلى أن الأمومة ظهرت بظهور « عصر الزراعة » وعهدها ؛ ذلك أن الأم - فى ذلك الوقت - كانت تتعهد الأرض بالغرس والزرع تعهداً كليًّا ، وكانت تشرف على البيت إشرافاً تامًّا لا ينازعها السلطة عليه أحد ، متحملة التبعات العظيمة التى ألقيت على عاتقها مما جعلها تهتم بالناحيتين الداخلية والاقتصادية ، بينما كان الرجل بعيداً عن البيت وعن هذه المظاهر المختلفة، إما للقيام بواجب الدفاع أيام الغزوات والحروب ، وإما لاشباع رغبته فى القنص والصيد ، وهو إلى هذا قد لا يفكر فى الاجتماع بأسرته وزيارة امرأته — أم أولاده — إلا عند ما يرغب فى الاتصال بها

حدث من هذا الابتعاد أن التف حول المرأة أولادها - وهى التى غذتهم بلبنها وقامت على تربيتهم - فأنشأت لنفسها مركزاً سامياً بين أعضاء أسرتها ، أى لدى أولادها وإخوتها وأعمامها، وأخذت الأسرة تتركز فيها ، فاحترم القوم هذه الأم ، وأنزلوها منزلة رفيعة ، وأمست محور الأسرة ومحور البيت معاً ... وهكذا اتجهت الأمومة نحوها

إلا أن Cunow لم ينتبه إلى أهمية « التوتمية » Totémisme فى نشأة الأمومة؛ هذه الكلمة تشير إلى رمز دينى اتخذته الأسرة أو القبيلة القديمة إلهاً لها ، وهى إلى ذلك من الرموز الدينية التى لها الفضل الأكبر فى تكوين الأسرة الأولى. يقول Durkheim[1] :

« إن الأسرة الأولى لم تقم إلا على التوتمية ، وحسب المرء لكى يعد عضواً فى الهيئة الاجتماعية أن يكون تابعاً أو منتسباً لتوتم

(١) فى L'année sociologique

واحد Totem ومن صفات التوتم أن يكون محصوراً فى نسل المرأة ، أى أن يتبع الولد توتم أمه . وليس الولد هو الذى يتبع أو ينتسب إلى هذا التوتم فحسب، بل تشترك الأسرة والقبيلة فى هذا الانتساب أيضاً . فالتوتمية لها إذن الأثر الأكبر فى تكوين الأمومة وظهورها

وإذا كان الولد لازم أمه فى عصر الزراعة كما نوه بذلك Cunow ومال إليها وانتسب إلى أسرتها ، وتوثقت علاقته الاجتماعية بها ، فإن كل هذه الظواهر لم تكن نتيجة هذا العصر ، بل كان الباعث لها التوتمية

الأمومة عند العرب

مما لا ريب فيه أن الأمومة كانت فاشية عند أكثر شعوب العالم إن لم يكن كلها ، ونكاد نلمس آثارها جلية واضحة عند بعض الجماعات : كقبائل الأراواك فى غينيا ، وقبائل الدياك فى بورنيو ؛ كما أننا نشعر باضمحلالها عند البعض الآخر حيث خلفتها الأبوة . وإذا ما رجعنا إلى تراث كل أمة من الأمم الغابرة نجد أنها عرفت هذا النوع من أنواع الأسرة . والأمة العربية لم تخل فى سالف عهدها ، قبل الإسلام ، من شيوع الأمومة فيها ومعرفة العرب للتوتمية Totémisme . فالتوتمية[1] كلمة أشار بها هنود أمريكا الشمالية إلى الحيوان المقدس الذى تعبده القبيلة وتسمى باسمه وتنتسب إليه . فالقبيلة التى تأخذ الحمامة توتماً لها ، فإنها تعتبرها ملاكاً كريماً ، وروحاً طاهرة وحارساً أميناً لها ، فتتلقب بها ، ويعتقد رجالها جميعهم أنهم أقرباء لها ولسائر أنواع الحمام أيضاً

ولو رجعنا إلى تاريخ الأمة العربية ، فى جاهليتها ، لوجدنا أن كثيراً من قبائلها كانت تعرف بأسماء بعض الحيوان أو بأسماء بعض الآلهة ، ودليلنا على ذلك أن بعض القبائل العربية كانت معروفة بقبائل أسد ، وثور ، وكلب ، وعقاب ، وغيرها ، حتى أن المستشرق سميث Smith يعتقد أن لهذه الأسماء معانى دينية ، وأن لها علاقة بعبادة الحيوان كما هو مشاهد فى التوتمية ؛ كما أن البعض الآخر من القبائل العربية تلقب بأسماء الآلهة التى عبدها كقبائل بنى هلال وبنى شمس وبنى بدر وغيرها الذين كانوا ينتسبون إلى تلك الآلهة التى كانوا يعبدونها أيضاً ؛ فالقبائل العربية كانت ، عهدئذ ، توتمية أى أنها كانت تقدس الحيوان وتعبده ، وعنه اتخذت ألقابها . على أن من صفات التوتم ، كما قدمنا ، أن يكون محصوراً فى نسل المرأة أى أن يتبع الولد أمه دون أبيه ، كما هو مشهور عن هنود أمريكا الشمالية إذ لا يزالون حتى اليوم على الأمومة

والأمومة عند العرب نشأت عن عدم معرفة أبى الولد ، ذلك أن الهيئة الاجتماعية العربية القديمة لم تهتم بالزواج الشرعى بل كان الزواج فوضوياً أو زواجاً مشتركاً Hétérisme أى أن المرأة لم تكن ترتبط مع الرجل برباط شرعى متين بل كانت تتصل بأكثر رجال قبيلتها

إلا أن العالم Lenan يذهب إلى أن الأمومة نشأت عند العرب عن تعدد الأزواج Polyandrie الذى كان فى بادىء الأمر غير مقيد ، بمعنى أنه لم تكن صلة قرابة بين الأشخاص المالكة لامرأة واحدة ، لكنه أصبح فيما بعد مقيداً ومحصوراً أى أن المرأة أصبحت تخص جملة أشخاص معينة من أسرة واحدة أو من أم واحدة . غير أن Lubbock الفيلسوف الإنكليزى « يعد تعدد الأزواج من الأمور الشاذة التى نتجت عن قلة النساء » فالأمومة كانت إذن سائدة فى الوقت الذى كان فيه زواج الاشتراك شائعاً عند الأمة العربية ، قبل أن تعرف الزواج الشرعى أو الزواج الفردى الذى تعرفه الهيئة الاجتماعية الحاضرة وتعمل به

ولا بد لنا من أن نتساءل : هل كانت الأمة العربية فى جاهليتها ، تعرف هذا النوع من الزواج - زواج الاشتراك - أم أخذت بنوع آخر أى بتعدد الأزواج ؟

لقد أخبرنا أحد المؤرخين اليونانيين القدماء - سترابون - عن أمر الزواج عند عرب الجاهلية بأن « الأملاك عندهم مشتركة أى أنها تخص جميع أعضاء الأسرة التى يرأسها شيخ ، وهو أكبرهم سناً ، ولهم جميعاً امرأة مشتركة يختلفون إليها ، فمن جاء منهم قبلاً دخل عليها ، وترك على الباب عصاه ، ليشير بذلك إلى اختلائه بها... لكنها، فى الليل، لا تكون إلا مع أكبرهم سناً »

[1] ولعل لفظة « تميمة » العربية كانت فى الأصل تدل على عبادة الحيوان عند السلالات الشرقية لأن معناها فى العربية « المعاذة » والشىء الذى يتعوذ به الانسان من شر ، وتقارب اللفظين « توتم » وتميمة » يدعو إلى هذا الظن « علم الاجتماع » لنقولا الحداد

نفهم من هذه العبارة التى أوردها هذا المؤرخ اليونانى أن تمدد الأزواج كان فاشياً بين العرب ومعروفاً عندهم ، وهذا ما اعتقده المستشرق سميث .

وأعقب هذا المؤرخ عبارته تلك بعبارة ثانية خالف بها ما ذهب إليه فى الأولى إذ قال : « وهم يتصلون بأمهاتهم ويعاقبون الزانى بالموت، ويربدون بالزانى من اتصل بامرأة من غير قبيلته » . يعنى بذلك أن رجال القبيلة الواحدة أباحوا لأنفسهم الاتصال بنسائها بحرية تامة ، فلم تكن المرأة يستأثر بها رجل معين، أو جماعة معينة، وهذا ما يجعلنا نؤمن بشيوع زواج المشاركة عندهم لا تمدد الأزواج

يقول أحد علماء الاجتماع : « إن العرب فى الجاهلية لم تكن تعرف زواجاً مستمراً ترتبط به المرأة مع رجل إلى وقت محدود ؟ ذلك أن العرب كانوا يفضلون النكاح الوقتى على غيره » . وقال أيضاً : « والعرب يقضون عمرهم فى التجول والتنقل ونساؤهم يتصلن بمن أردن من الرجال لأجل معين ، بعد أن يأخذن منهم أجورهن فريضة . هذا النكاح الوقتى يشبه نكاح المتمة الذى أباحه النبى العربى الكريم لأصحابه فى أول عهد الإسلام ، وقد عرفه بعض علماء الشرع بأنه نكاح يمقد إلى أجل معين ، ثم يحل بعد انقضاء هذه المدة . وفسره البعض الآخر : بأنه — أى نكاح المتمة — يمقد إلى أجل ، لا ميراث فيه ، وفراقه يحصل بانقضاء الأجل من غير طلاق »

ولنبحث قليلاً عن نكاح المتمة ، فإن لنا فيه بعض الفائدة لهذا البحث ، لنقف منه على مدى تلك العلاقات الزوجية القائمة بين الرجل والمرأة .

أشار القرآن الكريم إلى هذا النكاح ، نكاح المتمة ، فى عدة آيات . فقد جاء فى سورة النساء « . . . وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين، فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ، ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة . . . » اختلف المفسرون فى تفسير هذه الآية ، فبعضهم يفهم من مدلولها أنها إشارة إلى الزواج الشرعى أو الزواج الفردى ، وأن كلمة أجورهن يراد بها مهورهن لأن المهر ثواب على البضع [1] وبعضهم يرى فيها أنها إشارة إلى زواج المتمة أو الزواج الوقتى حتى قيل إن هذه الآية نزلت فى المتمة التى

(١) تفسير الزمخشرى الجزء الأول صفحة ٢٠٢

كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على يد رسوله الكريم ثم نسخت . كان الرجل ينكح المرأة وقتاً معلوماً ليلة أو ليلتين أو أسبوعاً بثوب [1] أو غير ذلك ويقضى منها وطره ثم يسرحها ؛ وسميت متعة لاستمتاعه بها أو لتمتيعه لها بما يعطيها [2]

وهاك بعض الأحاديث التى تدل على أن النبى العربى الكريم أباح المتمة يوم فتح مكة ، ونهى عنها بعد ذلك . جاء فى صحيح البخارى [3] : أن النبى ، صلوات الله عليه ، نهى عن نكاح المتمة آخراً . وعن ابن عباس حينما سئل عن متمة النساء فرخص ؛ فقال له مولى له : إنما ذلك فى الحال الشديد [4] وفى النساء قلة أو نحوه فقال ابن عباس : نعم [5]

يتبين لنا مما تقدم ، أن النبى العربى الكريم أباح نكاح المتمة فى الظروف المتقدمة ، وحرمها تحريماً أبديا . قال المستشرق Von Kremer فى كتابه « تاريخ تمدن الشرق » عن زواج المتمة ما معناه : « وكان شائعاً بين العرب قبل محمد نوع من النكاح يكاد لا يستحق هذا الاسم ، وهو المعروف بنكاح المتمة ؛ كان يمقد لأجل بقيمة معلومة تدفع للمرأة سلفاً ؛ لكن محمداً أبطل هذه العادة الرديئة »

فالمتمة إذن ليست إلا النكاح الوقتى ، وكانت من عادات العرب فى الجاهلية ، ولولم تكن من عاداتهم قبل الإسلام لما نزلت الآية القرآنية ، ولما أحلها وحرمها النبى العربى الكريم ؛ لقد تأصلت هذه العادة فى نفوس القوم ، وتمكنت من أخلاقهم ، وتأصلت فى طباعهم حتى أننا نلمس آثارها بعد الإسلام وبعد هذا التحريم . روى الرحالة الانكليزى Hamilton أنه « رأى فى أكثر شوارع مدينة « سنان » — وهى من أعظم المدن فى اليمن — سماسرة للنساء ، فكل غريب لا مأوى له فى المدينة يمكنه أن يتزوج ويتبلد فيها بقيم زهيدة وبطريقة بسيطة ، وهو أن يتفق مع المرأة ، بعد أن يراها وتعجبه على الثمن ، فيحدد لها المدة التى يمكنه أن يقيمها معها أسبوعاً كان أم شهراً أم سنة كاملة ثم يحضر معها أمام القاضى أو حاكم المدينة فيسجلان اسميهما فى كتاب عنده ويكتبان الشروط التى اتفقا عليها ، وكل ذلك

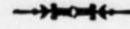
(١) والأصح بثوب
(٢) تفسير الزمخشرى الجزء الأول صفحة ٢٠٢
(٣) المجلد الثانى الجزء السابع صفحة ١٢ (٥) من قوة الشهوة
(٤) صحيح البخارى المجلد الثانى الجزء السابع صفحة ١٣

أقاصيص

أبو النجـــم الرجاز
وهشام بن عبد الملك

للأســتاذ على الجندى

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]



تركنا فى المقال الأول أبا النجم فى رصافة هشام أو رصافة الشام ، على حال تسرّ العدو وتسوء الحبيب ! منبوذاً من البلاط خائفاً يترقب ! لا طعام إلا ما يصيبه من مائدة الكلبى والتغلبى ، ولا مأوى إلا بيت الله يبيت فيه بلا وطاء ولا غطاء مع طُرّاق الليل وأبناء السبيل !

وقبل أن نقتصّ بقية أخباره نريد أن نعرف : كيف رانت الغفلة على عقله ، وكيف غاب عنه شيطانه الناصح ! فزلّ زلة ما كان أيسر أن يشيط بها دَمُه لولا أن حفّه لطف الله الخفى ! وأى زلة أكبر من أن يعيب شاعر الخليفة فى وجهه بين غاشيته وخاصته ؟

الحق أن لأبى النجم بعض العذر ؛ فإنه لم يكن فى مقام المادح للخليفة المخاطب له بالشعر حتى يُعدّ مجبّها له ، وإنما هى أرجوزة أنشئت من قبل فى غرض خاص وسمعها الخليفة عرضاً ، وليس من المعقول أن نعطّل التشبيهات ، ونُبطل الوصف ونئد الفن إكراماً لحوَل عين ، ولو كانت عين هشام ! فالكلام فى ذاته برىء من العيب ، وإنما جاء العيب من المصادفة السوداء !

والحق أيضاً أن جمهرة من الشعراء قبل أبى النجم وبعده وقعوا فى أشرّ مما وقع فيه ، وبعضهم لم يكن بادياً جافياً مثله ، بل كان حضرى الشمائل ، رقيق الحواشى ، مصقول الخاطر ، أنيق الطبع كأبى نواس ! ولا يتسع المقام لإيراد الشواهد ؛ فقد نجرد لها مقالاً خاصاً ، ونكتفى منها بمثال واحد :

يذكر الرواة أن ذا الرمة الشاعر ورد على عبد الملك بن مروان فاستنشده شيئاً من شعره ، فأنشده أول قصيدته البائية :

مابال عينك منها الماء ينسكب ؟ كأنه من كلى مفرية سرب(١)

وكان بعين عبد الملك شمرة فهى تدمع منها أبداً ، فتوهم أنه عرّض به ! فقال : وما سؤالك عن هذا يا أحمق ؟ وأمر به فأخرج

وقد علل ابن رشيق(٢) انزلاق الشعراء إلى هذه المآزق ، فقال : إنما يُؤتى الشاعر فى هذه الأشياء من غفلة فى الطبع وغلظ ، أو من استغراق فى الصنعة ، وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أين ذهب

ثم قال — ينصح لهم — : والفطن الحاذق يختار للأوقات ما يشاكلها ، وينظر فى أحوال المخاطبين ، فيقصد محابهم ويميل إلى شهواتهم ، وإن خالفت شهوته ؛ ويتفقد ما يكرهون سماعه فيتجنب ذكره

ورأيى أنه كان واجباً على هشام فى أبهة الخلافة وجلال الملك وبهاء المنصب ، أن يتغاضى عن هنة غير مقصودة من شاعر نقى الفطرة ، سليم دواعى الصدر مثل أبى النجم ، وأحسب أن هذه السقطة لو وقعت فى بلاط معاوية أو المأمون أو الواثق ، ما زادوا على أن أسروها فى أنفسهم ، أو ضحكوا لها ضحكة مدوية ! ولو أن هشاماً جعلها دُبْرَ أذنه ما كان لها هذا الشأن التاريخى ولأكبر الناس رحابة ذرعه ، ورجاحة حلمه ، ورموا أبا النجم بالفدامة وفساد الذوق !

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر نقول : إن حولة هشام لها نوادر مذكورة فى الكتب !

يحدث المسعودى فى مروج(٣) الذهب : أن هشاماً عرض

(١) سرب القربة بفتح الراء : ما يقطر من خرزها

(٢) العمدة ١ — ١٤٩

(٣) مروج الذهب ٢ — ١٨٣

لا يكلفه إلا بضعة دريهمات ، ثم يضع الرجـل يده فى يد المرأة أمام القاضى فيتم الزواج ويعد ذلك شرعياً حتى انقضاء المدة المعينة ؛ هذا وكل منهما حر أن يفترق عن صاحبه متى أراد أو أن يرتبط معه ثانية بعد انقضاء المدة المعينة ، أما إذا افترق أحدهما عن الآخر قبل انقضاء هذه المدة فعليه أن يدفع لصاحبه القيمة التى تسلمها منه أو اتفق معه عليها طبقاً للشروط التى عقدت بينهما ، وبعد ذلك يمكنه أن يتزوج على الصورة عينها متى شاء »

لو لم يكن النكاح الوقتى فاشياً بين العرب لاستحال وجود نساء يهبن أنفسهن ببضعة دريهمات ولأجل معين ، ذلك أن الأمة العربية فى جاهليتها لم تكن تعرف الزواج الشرعى الدائم .

(البقية فى العدد القادم) رفعة الحنبلى

الجند يوماً بحمص الشام ، فمر به رجل من أهلها على فرس نفور فقال له : ما حملك على أن ترتبط فرساً نفوراً ؟ فقال الحمصي : لا ، والرحمن الرحيم ، يا أمير المؤمنين ماهو بنفور ، ولكنه أبصر حولتك فظن أنها عين غزوان البيطار ! فصاح هشام : تنح ! فمليك وعلى فرسك لعنة الله !

وكان غزوان هذا بيطاراً نصرانياً بناحية حمص يشبه هشاماً كل الشبه

ويحكي المبرد[1] : أن سالم بن عبد الله بن عمر ، دخل إلى هشام في ثياب وعليه عمامة تخالفها ، فقال له هشام : كأن العمامة ليست من الثياب ، قال : إنها مستعارة . قال : كم سنك ؟ قال : ستون . قال : ما رأيت ابن ستين أبقى كدنة[2] منك ! ما طعامك ؟ قال : الخبز والزيت . قال : أما تأجمهما[3] ؟ قال : إذا أجمتهما تركتهما حتى أشتهيهما .

ثم خرج من عنده وقد صُدِع ! فقال : أترون الأحول قد لقعني[4] بعينه ؟ فمات من تلك العلة !

ونحب أن نقول بهذه المناسبة : إن الحول قد يعده بعض الناس ـ وأنا في طليعتهم ـ من سمات العيون المستملحة كالحور والانكسار والدعج ، وبخاصة إذا كان الحول خفيفاً وهو ما يسمى بالقَبَل .

ففي ترجمة ابن سريج[5] : أنه كان في عينه قبل حلو لا يبلغ أن يكون حولاً

وفي أخبار أبي الأسود[6] : أنه اشترى جارية حولاء فغارت منها زوجه وابنة عمه : أم عوف . فكانت تشارُّه[7] في كل يوم وتقول : من يشترى حولاء ؟ فلما أكثرت عليه قال :

يَعيبونها عندي ، ولا عيبَ عندها
سوى أن في العينين بعض التأخر
فإن يك في العينين سوء ، فإنها
مهفهفة الأعلى ، رداح[8] المؤخر

(١) رغبة الآمل ٥ — ١٣١
(٢) بضم الكاف وكسرها : قوة الجسم أو كثرة اللحم والشحم
(٣) أجم الطعام من باب ضرب وفرح : كرهه
(٤) أصابه بالعين
(٥) الأغاني ١ — ٢٥٠
(٦) عيون الأخبار ٤ — ٥٨
(٧) تخاصمه
(٨) ثقيلة الأوراك

وقد عد بعض العشاق حول عينيه نعمة من الله تستوجب الشكر والحمد ! وساق ذلك في شعر طريف علق عليه أبو هلال[1] العسكري بقوله : إنه مما لا أظن له شبيهاً !

قال العاشق الشاعر الأحول :

حمدت إلهى إذ بليت بحبها ... على حول يغنى عن النظر الشزْر
نظرت إليها ، والرقيب يظنني ... نظرت إليه،فاسترحت من العذر

ونعود إلى سياقة قصة[2] أبي النجم فنقول : إن محنته لم تطل ، فقد تأذن الله بكشف الغمة عنه وهيأ لذلك أسبابه !

فأمسى هشام ذات ليلة لَقِس[3] النفس منفّر المنام ! وهو عارضٌ كثيراً ما يعترى الخلفاء لما يكابدونه من جهد في تصريف أمور الملك وتدبير شئون الرعية ، وإعمال الفكر في سدّ الثغور ورتق الفتوق . وكانوا في مثل ذلك يفزعون إلى السُّمار الظّراف يتفكّهون بأحاديثهم ومُلَحهم . فتقدم هشام إلى خادم له أن يبغيه محدثاً ، وأن يكون أعرابياً أهوج شاعراً راوية ! ومن يكون ذلك المحدث الأعرابي الأهوج الشاعر الراوية غير أبي النجم ؟

وذهب الخادم يبحث عن طلبة الخليفة فقاده حسّه اللطيف إلى أحد المساجد ، وإذا هو برجل نائم فضربه برجله وقال : قم ، أجب أمير المؤمنين . فقال الرجل : أنا أعرابي غريب . قال : إياك أبغي ، فهل تروى الشعر ؟ قال : نعم ، وأقوله . فأقبل به من المسجد حتى أدخله قصر الخليفة وأغلق الباب وراءه ؛ فذكر الرجل حادثته مع هشام فرجف قلبه وأيقن بالشر المستطير ! ولكنه أسلم لله أمره واستقاد للخادم ؛ فأدخله إلى أمير المؤمنين في بيت صغير من بيوت القصر ، بينه وبين أهله ستر رقيق والشموع تزهر بين يديه . فلما بصر به هشام قال : أبو النجم ؟ قال : نعم ، طريدك يا أمير المؤمنين . فأذن له بالجلوس وسأله عمن كان يضيفه ؛ فأخبره خبر الكلبي والتغلبي . قال : وكيف اجتمعا لك ؟ قال : كنت أتغدى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر . قال : وأين كنت تأوى ؟ قال : في المسجد حيث وجدني رسولك

وأطرق هشام برهة لعله راجع فيها نفسه فندم على ما كان منه مع أبي النجم ! ثم رفع رأسه وقال له : ما لكَ من الولد

(١) ديوان المعاني ١ — ٢٧٢
(٢) وردت القصة في العقد والأغاني والكامل للمبرد وخزانة الأدب للبغدادي باختلاف يسير
(٣) لقست نفسه : غثت

والمال ؟ قال : أما المال فلا مال لى ، وأما الولد فلى ثلاث بنات وُبنىٌ يقال له : شيَّان . قال : هل أخرجت من بناتك ؟ قال : نعم ، زوجت اثنتين وبقيت واحدة تجمِز[1] فى أبياتنا كأنها نعامة . قال وما وصيت به الأولى ؟ ـ وكانت تسمى برَّة ـ قال :

أوصيتُ من بَرَّة قلباً حُرا ... بالكلب خيراً والحماةِ شراًّ

لا تسأمى ضرباً لها ، وجَرا ... حتى تَرَى حلو الحياة مُرًّا

وإن كستك ذهباً ودُرا ... والحىَّ عُمّيهم بشرٍّ طُرًّا

فضحك هشام ، وقال : فما قلت للأخرى ؟ قال : قلت :

سُبّى الحماة وابهتى[2] عليها ... وإن دنتْ فازدلفى إليها

وأوجعى بالفِهْر[3] ركبتيْها ... ومرفقيها ، واضربى جنبيها

وقَمّدى كفيْكِ فى صُدْغيها ... لا تخبرى الدهرَ بذاك ابنيْها

فضحك هشام حتى بدت نواجذه ، وسقط على قفاه ! وقال : ويحك ! ما هـذه وصية يعقوب لولده ! قال : ما أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين ولا ولدى كولده .

قال : فما قلت للثالثة ؟ قال : قلت :

أوصيك يا بنتى فإنى ذاهب ... أوصيك أن يحمدك الأقارب

والجار والضيف الكريم الساغب ... لا يرجع المسكين وهو خائب

ولا تنى أظفارك السلاهب[4] ... لهن فى وجه الحماة كاتب

والزوج ، إن الزوج بئس الصاحب

قال : فأى شىء قلت فى تأخير زواجها ؟ — وكان اسمها : ظَلاَّمة — قال : قلت :

كأن ظلامة أخت شَيَّان[5] ... يتيمة ووالداها حيَّان

الرأسُ قملٌ كله وصِئبان ... وليس فى الرجلين إلا خيطان

وقُصَّة قد شيَّطتها النيران ... تلك التى يفزع منها الشيطان

فضحك هشام حتى ضحكت النساء لضحكه ! وقال للخصىِّ : ما فعلت الدنانير المختومة التى أمرتك بقبضها ؟ قال : ها هى عندى ووزنها خمسمائة . قال : ادفعها إلى أبى النجم ليجعلها فى رجلى ظلامة مكان الخيطين !

على الجندى

---

(١) تعدو وتسرع

(٢) اكذبى على التضمين وفى بعض الروايات : انهق . والنهيت : صوت الأسد دون الزئير ، وقد رجح هذه الرواية العلامة الرصفى

(٣) الحجر ملء الكف

(٤) الطوال على المجاز لأنها فى الأصل وصف الخيل

(٥) فى الأغانى والكامل : شيبان



صراع ... !

سألتُ صديقى الأستاذ (عين) أن يعيرنى منظاره ساعة من زمان ، علِّى أرى من خلاله ما توسوس به نفوس قوم قضيت بينهم عمراً من عمرى ، أحسن الظن بهم ، وأقربهم إلى نفسى خشية أن يستشعروا الوحدة ، وأزل لهم عن بعض مالى خيفة أن يجدوا لذع العوز ، وأواسيهم فى البأساء ضناً بقلوبهم أن يأ كلها الأسى و . . . ؛ فلما أعرضت الأيام عنى ، انطلقتُ أفتش عبثاً ، وإذا أنا على حَيْد الطريق ، وحيداً تكاد تعصف بى أعاصير الحياة لولا بقية من أمل . . .

وأراد صديقى الأستاذ (عين) أن تكون له عندى يدٌ أخرى، فقدَّم إلىَّ منظاره فى رضى ، فوضعته على أنفى فى خيلاء ، ودلفت إلى الشارع فى أناة وتؤدة ، وهو من ورائى يشيعنى بنظراته الباسمة

وخشيت أن ينزلق المنظار من على أنفى وأنا أتخطر فى مشيتى ، ومالى عهـد بالمناظير ، فيتحطم وأنا به ضنين ؛ فانتحيت ناحية أصلح من شأنى وشأنه ، وأزوِّر فى نفسى أمراً ، فما راعنى إلا صوت ينادينى باسمى

والتفت فإذا صديق (م) وزوجته يسيران الهوينى جنباً إلى جنب وذراعاً فى ذراع ، وقد عرته حمي الضحك حين رآنى أقلب المنظار بين يدى ، أضعه على عينى مرة ، وأخلعه مرة ، فى حيرة وتردد ؛ غير أنى تغاضيت عن مجونه وأنا أدنو منه

لقد نشأ صاحبى (م) ـ كما نشأت أنا ـ بين ربوع الريف فى ظل القرية الوارف الجميل ، لم تلوث المدنية دمه الطاهر ، ولا دنست الحضارة قلبه الزكى . عرفته وعرفنى أول عهدى بالمدرسة ، فهو أول من جلست إلى جانبه فى فصل ، وأول من تحدثت إليه فى مدرسة ، وأول من سكنت إليه فى درس ، وأول من لاعبته . . . ودرجنا ودرجت معنا الصداقة الجميلة الرفافة ، والأيام تجمع بيننا وتفرق ، ونحن على عهد من الود

لا نقطعه ، وميثاق فى الهوى لا نخيس به ، وفى القلبين أواصر لا تستطيع نوازع الحياة أن تعبث بها ، ولا تطمع حاجات العيش فى أن تعانى عليها

وبهرت المدينة صاحبي أول ما هبط القاهرة ، وهو قد هبطها طالباً فى الجامعة، فاستلبه بهرجها من وقار القرية وحيائها ليقذف به فى هذر الحياة ومجونها ، وجرفه التيار وهو عنيف ، فما استطاع أن يخطو الخطوة الأخيرة من تعليمه الجامعى إلاّ وهو يلهث من أثر الإعياء والبهر ، ثم أرخى لنفسه العنان

وتعرف إلى ابنة (فلان) بك ، وهو عين من أعيان القاهرة استطاع أن يخلق من جاهه وظيفة مرموقة يقدمها مهر الزواج إلى زوج ابنته الوحيدة ... إلى صاحبي

وشاء (البك) ألا يحرم النظر إلى وحيدته ، وهى قرة عينه وفرحة قلبه ، وما فى القصر سواها بعد أن ماتت عنها أمها ، وسوى زوجته الجديدة ، وهى فتاة فى فجر العمر وثورة الشباب تزوجت من (البك) وفاء دين كان حمى أهلها ، فلمست فيه برد شبابها المضطرم ، وأحست بعد ما بين شيخوخته الذاوية وبين نضارتها المتألقة ، فانطوت على نفسها تبكى حظها العاثر ، ثم ... ثم أشرق صاحبي الشاب فى الدار فابتسمت له حين وجدت فى غدوه ورواحه حياة تتوثب

وعاش الفتى فى هذه الدار يتغنى بالسعادة ويترنم بالهناءة ، وهو يحدثنى حديثه — بين الفينة والفينة — فأستبشر لكلماته ويطمئن قلبي

لا جرم ، فالآن قد نفذ بصرى من خلال المنظار إلى الحقيقة التى لا يعرفها صاحبي ، الحقيقة التى إن جاشت بها نفس الزوج طمّت عليها ابتسامات الزوجة الرقيقة ...

هذه هى الزوجة الطيعة الوفية تتراءى لى وهى تنظر إلى زوجها الريفى الساذج فى احتقار وسخرية ، وفى نفسها أنه صنيعة أبيها ويد من أياديه، أقامه وهو يتكفأ فى مضطرب الحياة، ولمّ شعثه من شتات ، وخلق منه رجلاً ذا مال وأنق وهو على خطوة من التصعلك، ثم هى لا تحس باحترامه ولا تشعر بكرامته ، وكيف ؟ وهو قريب عهد بآداب الجماعات والحفلات ، لا يعرف الرقص ، ولا يتقن (البوكر) ،ولا يصبو إلى الأصفر والأحمر من شرابهم

وإن حمرة الخجل لتربط على لسانه إن هو جلس إلى فتاة غريبة ، وإن فورة الغيظ لتسيطر عليه إن جلست هى إلى شاب غريب ؛ وهى فتاة من بنات الشارع[1] ترى فى طباعه تزمت الأغبياء ، ورجعية الفقراء ، واضطراب الجهلاء ، فتعبث به ، وهى فى مأمن من ثورته ، لأنه عبد أبيها ...

ورحت أحدق فى الزوجة لأتغلغل إلى خلجات ضميرها ... وهى تتصاغر فى عينى ، وهو يتضاءل تحت منظارى ، حتى بلغنا سيارة (البك) ، وفيها زوجته الشابة تنتظر ... لقد أرادت أن تخلو إلى نفسها ساعة تدبر أمراً ...

وعجبت أن رأيتها تلتصق بصاحبي تريد أن تستشعر الدفء من شبابه ، وهى تحاول أن تصرفه عن زوجته رويداً رويداً لتستمتع به ، وفى قصر زوجها ، غير أنها كانت تخشى صولة (البك)

ونظرت إلى زوجة صاحبي فألفيتها لا تستطيع أن تلمس خواطر تنزى فى قلب زوجة أبيها ، لأن حياتها الماجنة كانت قد أسدلت على عينيها ستاراً لا ترى من فروجه إلا الحفلات والسهرات ، وإلا الزينة والسمر ، وإلا ... فأوشك البيت أن يتداعى عليها

وعجبت لهذا الصراع النفسانى يحوم حول صاحبي وهو عنه فى غفلة ؛ فرفعت بصرى إلى السماء أحوله عن بعض ما رأيت ؛ غير أنى ذهلت أن رأيت صفحة من صفحات القدر منشورة أمامى أقرأ فيها : أن (البك) قد مات ، وأن النزوات المكبوتة قد ثارت . فيا ترى من ذى التى تفوز ؟

* * *

وأنت يا صاحبي لا تلحنى فلقد كتبت لك سطراً من حياتك علك تجد لنفسك مخرجاً قبل أن تتردى

(مشتهر) كامل محمود حبيب

(١) ابنة الشارع : علم على الفتاة الحديثة التى تذر الدار وتطوى من أعمالها لتتقن فن الشارع ، وسنتحدث عنها فى مقال آخر ، إن شاء الله .

من تاريخ الأدب الإنجليزي

الأدب القصصي
في عهد الملكة اليزابث
١٥٥٨ - ١٦٠٣

للأديب مصطفى مشعل

مقدمة

تعتبر القصة منذ أقدم العصور فناً قائماً على قوة التخيل، واستخلاص أفضل النتائج التي يحسن توجيه الشعب إليها، وبث العقائد أو المثل العليا التي يدين بها الكاتب

ومن المعروف أن أدب القصة هو الأدب الذي يتأثر به القارئ أكثر من تأثره بسواه، وأنه الأدب المحبوب الذي يتذوقه المطالع تذوقاً شهياً دون ملل، أو إرهاق فكر. فهو إذن أشد الآداب اتصالاً بالروح، وتصويراً للشعور، ووصفاً للبيئة، ومعالجة للحياة في جميع أوضاعها ... فالقصة هي أحسن أدب يمثل الحياة.

ولا شك في أن الكاتب الروائي يستطيع - إن ملك القدرة على نسج الخيال بالحقيقة، واستطاع سرد قصته دون أن يمل قارئه النجاح - بسهولة في جعل هذا القارئ يعيش ويحيا مع أبطال قصته، فيفرح لفرحهم ويتألم لألمهم كأنهم أشخاص يعيشون على مسرح الحياة لا مسرح الخيال

ومن الحقائق المعروفة أيضاً عن الأدب القصصي أنه أداة فعالة في النفوس، فنحن مثلاً إذا سمعنا قصة حياة شبيهة بحياتنا نشعر بفرح هائل يملك علينا إحساسنا، إذ نرى في إحساسات غيرنا وشعوره صورة ناطقة لشعورنا وأحاسيسنا، حتى ولو كان ذلك الشعور وهذا الإحساس ألماً لشيء أو أسفاً عليه، فالطبيعة البشرية تجد في هذه المشاركة في الشعور والوحدة في الألم أملاً جديداً، وشجاعة تواجه بها الأحداث والمتاعب

أما إذا كان الوصف والتصوير الذي نطالعه هو وصفاً وتصويراً لحياة جديدة لا نعرفها ولا نحياها فسرعان ما نلمس في نفوسنا حناناً لهذه الحياة متأثرين بما نقرأ عنها من وصف ... مشغوفين بما نتخيله عنها سواء كان هذا التخيل الذي يدفعنا إليه الكاتب يتجه نحو النور أو الظلام ... نحو الفرح أو الحزن؛ وهكذا ينمو ذلك التأثر وهذا التخيل حتى ندخل في حمأة الحياة الجديدة ونعيش فيها شاعرين بلذة لا توصف، لأننا شاركنا أبطال القصة في حياتهم، وفي فرحهم وترحهم

ونحن نستنتج من هذا أن القصة الواقعية التي تصف حياة رجل أو امرأة وصفاً حقيقياً تفوز بعطفنا وإعجابنا، ولكننا سرعان ما نشعر بفتور يستولي علينا، لأن أبغض شيء إلى المرء هو أن يرى آلام حياته تمثل أمامه أو تسرد عليه مرة أخرى .. إنه يكتسب من ذلك أملاً ولكنه لا يكتسب لذة ... وذلك لأن القصة الواقعية قد عدمت في سطورها ذلك الشيء المجهول الذي نشعر به ولا نعرفه، واللذة غير الأمل ... فاللذة التي يحسها القارئ لقصة مزجت فيها الحقيقة بالخيال البلوري هي تلك اللذة التي يحسها كل بشري عقب استطلاع شيء مجهول . . . عقب الخوض في عالم جديد لا يعرفه ولم يجئ فيه

ومن ذلك نرى أنه كان لزاماً على القصاص أن يخترع المواقف والمفاجآت التي يوحيها خياله ليضمن تتبع القارئ له تتبعاً مستمراً غير منقطع ... وكان عليه أن يشوق القارئ إلى النهاية المحبوكة، وأن يجعله يمجل القراءة محاولاً أن يصل إلى آخر مرحلة من مراحل هذا الخيال المسترسل وإلى خاتمة هذه المفاجآت المتصلة، لأنه — أي القارئ — لا يستطيع إدراك نهاية القصة ولا يستطيع أن يحزرها حزراً يقرب من الصواب، لأنه لم يشعر ولم يتذوق مثل الحياة التي تصفها القصة وتصورها

شارلمان ورولاند (١)

كان هذان الرجلان هما أول من بذرا بذور هذا النوع الذي تحدثت عنه، فاستقبله الكتاب الواقعيون بشيء غير قليل من اللهفة والشغف والرغبة القوية في التقليد، فما زالوا يفكرون بين مترددين ومقدمين حتى جرفهم التيار فإذا بهم مقلدون. وهكذا شاع وذاع هذا النوع السائغ السهل المهضم في المدة الأدبية، وابتدأ الخيال يلعب دوره في القصة وينشط شططاً كبيراً ويجمح جموحاً غريباً

(١) Charlemagne and Roland

حتى اعتاده الناس وتقبلوه تقبلاً حسناً ولكن الكتاب أمعنوا فيه إمعاناً شائناً مبتذلاً ، فكان ذلك وبالاً على هذا النوع من القصة إذ تحول القراء عنه . وهكذا راح يخبو ويتدثر ليظهر على أعقابه نوع جديد من الأدب الذى كتب واصفاً بعض حوادث التاريخ القديم وسمى بالقصة [1]

قصة « يوفيس » لجون ليلى [2]

إذا أراد الكاتب أن يتحدث عن العصر الإليزابثى وتخلفاته وأن يتكلم عن القصص الموفق الذى ظهر وأحدث ضجة كبيرة لما وجد أمامه إلا قصة رائعة بل هو أروع آثار هذا العهد اطلاقاً من حيث قوة الفكرة وحسن الأسلوب ولما اشتملت عليه من مغزى

كتب هذه القصة شاب نابه يدعى جون ليلى وكان اسمها « يوفيس » ، ونحن إن أردنا تحليل الأسباب والدوافع التى كانت سبباً فى ظهور هـذه القصة وتفوقها على كل ما عداها استطعنا ذلك بقليل من الاستنتاج . فالقصة لم تكتب جزافاً ولم يضعها صاحبها لمجرد الرغبة فى الكتابة أو الشهرة، بل إنه أراد بها مغزى عظيما ، إذ حاول أن يظهر ويصف التأثير السيء والانحطاط الخلقى الذى كانت الحياة الاجتماعية فى إيطاليا تؤثره فى صغار الشبان الانجليز النازحين إليها لتلقى العلم والمعرفة

لقد كانت إيطاليا فى ذلك الوقت بلاد النور الخلاب يتهافت عليها طلاب العلم ، وتفيض هى على العالم علماً وعرفاناً ، حتى لقد كان يحج إليها كل متعلم أراد أن يتم حظه من الثقافة أو يزيد نصيبه من العلم . واقتبست انجلترا هذه العادة عن غيرها من الأمم منذ رحل إلى إيطاليا بعض المجدين من طلبة العلم الذين أظهروا نبوغاً فى الأدب من أمثال : كوليت ولينا كر وجروكن لدراسة اللغة اللاتينية وآداب الإغريق الكلاسيكية التى كانت دراستها باعثاً قوياً فى نهضة أدب المسرح والقصة ... واستمرت هـذه العادة عند الطبقة الراقية كتقليد لا بد منه لكل من أتم دراسته حتى بعد أن شرعت الجامعات الإنجليزية فى تدريس هاتين المادتين ولم يكن جون ليلى هو أول من فطن إلى ذلك ، بل إن أول من أراد منع هذا التقليد هو مؤدب الملكة روجر آشام Roger Acham ، فلقد أدرك روجر أن هؤلاء الذين يحجون كل عام إلى إيطاليا بحجة الدراسة إنما يرحلون دون نية أو مقصد حقيقى لذلك . فلقد كانوا يجتمعون هناك فى مدرسة واسعة حيث كانت الآداب الإغريقية الرائعة تعتبر فيها مادة للهو والتسلية ، إذ كانت تترجم إلى اللغة الإيطالية الدارجة بأسلوب وضيع ولغة فجة ، فتحولت عن مغزاها العالى الذى كتبت من أجله إلى أداة للاستهتار والتسلية ليس إلا . فأشار روجر إلى كل ذلك فى كتاب تقافى [1] وضعه وحمل فيه على العقائد والمثل العليا فى إيطاليا حملة شعواء ، وبيّن الأخطار الماثلة التى تمود على الأمة من جراء إرسال أبنائها وصفوة شبابها إلى بلاد لا يدين قومها بشىء ، بل هم ساخرون هازلون بالعقائد الإلهية والقوانين المرسلة ... ولكن الكتاب رغم ذلك كله لم ينل النجاح الذى قدره روجر له ولم يف بالغرض الذى أراده ، لأنه كتب بأسلوب علمى لايشجع على القراءة ، وإن كان قد مهد به لبحث مسألة حيوية لجيل من الشباب .

كان روجر صادق النية فى محاولة تخليص أمته من تأثير إيطاليا ، ولذا لم يرض هو نفسه عن كتابه هذا ... كان يريد كتاباً من نوع آخر ... كتاباً يقرأه الخاص والعام ، فيخرج منه متأثراً منضما لروجر فى فكرته ، مؤيداً له فى وجوب القضاء على هذه العادة ... ولكنه لا يستطيع كتابة هذا الكتاب لقلة فراغه وكثرة مشاغله ... فماذا يفعل ؟ ...

تذكر الشاب المغمور جون ليلى وعرف فيه القدرة على وضع الكتاب المنشود والبراعة فى الوصف والتأثير على القارىء ، فأوحى إليه أن يضع قصة يبين فيها آفات المجتمع الإيطالى وخطره المظيم على شبيبة ناشئة والنتيجة السيئة لهؤلاء الذين يعيشون فى وسطه وما زال دم الشباب يجرى فى عروقهم حاراً عنيفاً ... وما زال بهم ظمأ شديد للعب والوثب ... وظمأ أشد للحب والمرأة ... وشغف لا يقاوم بحياة الليل المسممة بين رنين الكؤوس وأصوات القبل .

وكان ليلى عند حسن ظنه به فدرس المؤثرات التى يستهدف لها الفتى الإنجليزى فى إيطاليا وبلادها وجعلها موضوعاً لقصته العظيمة « يوفيس »

(١) Novel

(٢) Euphues. by John Lyly

(١) اسم الكتاب : Scool Master

كان اسم «يوفيس» اسماً مقتبساً عن الإغريقية، ولعل هذا هو ما حدا به لأن يجعل بطل قصته شاباً من شباب أثينا المفتونين أنهى دراسته ثم رحل إلى إيطاليا للدراسة، وفى طريقه عرج على «نابلى» وهناك التقى بآخر يدعى إيبوليس ... ولكن هذا الأخير عاقل فى بلدة أجدبت من العقلاء؛ فهو ينصح يوفيس، ولكن يوفيس لا ينتصح ... وهو يلومه ولكنه لا يرعوى ... وهو يحاول أن يفيده والآخر لا يريد؛ فإذا ما مل نصحه ويئس من إصلاحه صمت على مضض ... ولكن رغبته فى إصلاح صديقه لا تلبث أن تعود فيضرب على الناحية الحساسة فى نفس يوفيس قائلاً :

— أى يوفيس البائس ... اعمل لأجل الله ولا تعمل لأجل نفسك، واجعل حبه لا حب البشر هو المسيطر عليك، واحذر أن تغضبه منك، فإنك لو عملت له، وأخلصت لذاته العظيمة، باركك ورعاك، فإنه عادل يحب المخلصين

ولكن أنى للجاهل العربيد أن يثوب إلى رشده ويعود إلى حظيرة الله ما دام الشيطان يطوف حوله ليسكب فى أذنيه أغانى الشر وأهازيج الدمار

لقد انخرط الأثينى الشاب فى زمرة الكسالى، وراح معهم يعيثون فى أنحاء نابلى فساداً يبحثون عن اللذة أينما وجدت، ويتذوقون كل محرم ويفخرون بما يأتونه كل يوم من ضروب المجون والعبث

وتصل القصة إلى أكثر أجزائها شدة وقوة فيمهد ليلى إلى ختم قصته ختاماً موفقاً حقاً إذ أرجع «يوفيس» إلى أثينا ... «رجلاً حزيناً عاقلاً» ... بل لقد جعل منه رجلاً آخر مخالفاً لشخصيته الأولى ... لقد أدرك آثام الماضى وشروره فراح يكتب الرسائل الطويلة إلى أصدقائه باسطاً فيها من الآراء الناضجة الكاملة الشىء الكثير، شأن العارف الدارس بأسرار الحياة

ولعلك تستطيع أن تلمح من بين سطور القصة قوة المؤلف الذى استطاع أن يصف ما أراد من نزق وجنون، وعبث ولهو، ثم ندم واستغفار ... ووقار وحكمة

لقد أراد ليلى أن يجعل الناشئة تتمسك بأهداب الفضيلة بأن أخذ يسرد عليهم سرداً قويا التقاليد السيئة المتبعة ليجتنبوها ودعا فيما دعا إليه إلى دراسة الكتاب المقدس ليستوحوا منه العظات ولكى يستطيعوا التغلب على نزعة الإلحاد التى كانت تنتشر فى إيطاليا بلد العلم والعرفان!

وهكذا لم تلبث القصة أن ذاعت ذيوعاً عظيما حتى لقد صارت أحب الكتب الأدبية إلى الناس

كانت حديث الطبقات الراقية ... بل لقد تناقل الإعجاب بها موظفو البلاط الملكى نفسه

على أنه مما ليس فيه شك أن هذه القصة لو لم يعرف مؤلفها أدواء الجيل لما لقيت من هذا النجاح الفذ قليلاً أو كثيراً، بل لما سمع عنها فى هذا الوقت، فإنما قامت شهرتها على قوة أسلوبها وقوة بصيرة مؤلفها وقدرته على معالجة الحوادث الخارجية التى كانت تحيط بالناشئة، والتى كان الشعب يجهلها رغم أنها كانت سائدة بينه ... فعلى هذا الأساس المتين نالت القصة هذا المركز الفذ الذى لا يدانى فى العهد الإليزابثى كله

الأساليب القصصية

كانت الدراسة الطويلة للآداب الإيطالية وأساليبها من أقوى المؤثرات فى الأسلوب الذى ساد فى هذا العصر ... لقد عنى الكتاب بالظاهر فى أسلوبهم أكثر مما عنوا بالفكرة فى كتاباتهم. ونحن إذا تعمقنا قليلاً فى الأساليب التى استعملت فى هذا العهد وجدنا فيها شيئاً غير قليل من محاولة التلاعب بألفاظ وحروف اللغة ومحاولة جعل أوائل أو أواخر الكلمات متشابهة فى جرسها أو رنتها الموسيقية كالسجع فى اللغة العربية مثلاً

وقبل أن أنتقل بالقارئ إلى نوع آخر استعمل فى الأسلوب الإنجليزى لهذا العهد أحب أن أنقل هنا جملة من الأسلوب الذى تحدثت عنه وهى من قصة «يوفيس» :

If I were as able to persuade thee to patienee as than wert desirous to exhort me to piety.

أما النوع الآخر فقد سموه أسلوب التباين أو الموازنة المضادة وأنا أنقل منه هنا بضع جمل لسهولة الفهم :

She was young and might have live, but she was mortal and must have died.

وإليك جملة أخرى :

Thou shouldst not weep that she hath run fast, but that thou hast gone so slow.

وتفيض كتابات هذا العصر بمثل هذا الأسلوب الأخير ، كما نفيض بالأسلوب الأول . وبقدر ما كان لهذه الأساليب من ميزة إن صح أن كان لها ميزة ، كان الشعور العميق والاختلاجات الحقيقية صعبة الإظهار ... صعبة البيان ... تحتاج إلى كثير جداً من المهارة والحنكة والتصرف والإلمام بكلمات اللغة ... وخلق المرادفات التي لا يستثقلها السمع ولا ينبو عنها الذوق ، وفي كل هذا من الإرهاق والجهد ما يفوت المقصد الحقيقي على الكاتب ، بل ويمعن به في التبعد عن الموضوع إمعاناً معيباً جرياً وراء هذا السجع ، أو ذاك التباين ، فإنه مما لا شك فيه أن محاولة تصيد الحروف الأولى للكلمات أو الحروف الأخيرة تقف — في غير الشعر — حجر عثرة في سبيل الأسلوب المستقيم .

***

هذه هي أهم الأحداث في تاريخ الأدب القصصي في هذا العهد الذي ابتدأ عام ١٥٥٨م إلى ١٦٠٣م

ولا شك أن القارىء لاحظ مني أنني قصدت الكلام عن قصة يوفيس، ولكني لم أفعل ذلك إلا لأن هذه القصة هي أعظم أثر أدبي لهذا العصر فضلاً عن أنها تمثل في أكثر أسلوبها الأسلوب الذي ساد ... الأسلوب الذي كان أشبه ما يكون بالطلاء اللامع الذي يخفي وراءه عيوباً كثيرة، حتى لقد سخر عميد اللغة الإنجليزية وليم شكسبير منه إذ كان يجريه على لسان بعض أبطال قصصه البلداء الفكر

قصة جديدة لجون ليلي (١)

كتب ليلي هذه القصة عام ١٥٧٩ بعد قصته الأولى بعام واحد وهي عبارة عن رواية لزيارة « يوفيس » لانجلترا وانخراطه في الحياة الاجتماعية الإنجليزية

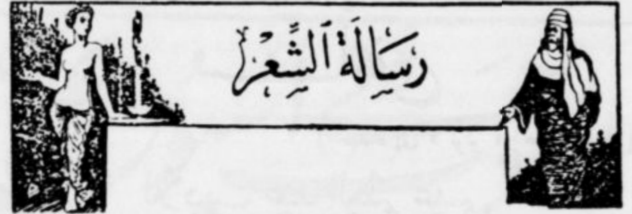
وكانت القصة محتفظة بروح المؤلف . . . وتنقد فيها العادات الإنجليزية والجامعات الإنجليزية ، لا بقصد التشهير والهدم ، وإنما للاصلاح ووضع القواعد الثابتة الناجحة لمساعدة الشبان الناشئين

وكان يوجد بجانب ليلي بعض الكتاب الذين ساهموا بنصيب وافر في خدمة أدب القصة في هذا العصر ، ومن هؤلاء كاتبا المأساة لودج وجرين ، والأخير كتب عدداً كبيراً من القصص القصير اقتبسه عن الإيطالية ... واشتهرت كتابته بميسم الحزن والألم؛ ولعل ذلك يرجع إلى المرض الذي عاناه والذي جعله ينظر إلى العالم بمنظار أسود ، حتى لقد كتب عن هذا اليأس والحزن قصة طويلة جعل اسم بطلها « روبرت » وهو اسمه الأول

أما الكتاب الآخرون ، فلم يظهروا إلى جانب من ذكرت إما لضعف أسلوبهم أو لقلة ثقافتهم

الأسكندرية مصطفى مشعل

(١) Euphues and His England



رحلة عابسة

للأستاذ أحمد محرم

من دمنهور عاصمة البحيرة التي هي مقر الشاعر إلى القاهرة ، ومن القاهرة إلى الاسكندرية من طريق الصحراء ، انطلقت به السيارة هو وصديق له ، فمر في طريقه بدنشواى والقناطر الخيرية والأهرام ، فتنكرت شاعريته لكل هذه المشاهد ، أو هي قد تنكرت لهذه الشاعرية الساخطة ، وحسبه أن يكون في جوف الصحراء فيحسب أنه في نفق من الأنفاق ، وأن يكره الشمس فيراها تخلع رداء الحسن والاشراق ، ويشهد الروض يكره نفسه ، فيلقى بما فيه من زهر وأوراق . وهذا ما يقول في هذه الرحلة العابسة :

عَصَفَ الْهَوَى بِجَوَانِحِ الْمُشْتَاقِ ... وَهَفَا الْحَنِينُ بِقَلْبِهِ الْخَفَّاقِ
مَا يَصْنَعُ الْقَلْبُ الطَّرُوبُ إِذَا الْهَوَى ... بَلَغَ الْقَرَارَ ، وَجَالَ فِي الْأَعْمَاقِ ؟
يَا صَاحِبِي : فِيمَ الْمُقَامُ عَلَى الْأَذَى ؟ ... سِرْ فَالْبِلَادُ فَسِيحَةُ الْآفَاقِ
ارْكَبْ جَنَاحَ الرِّيحِ وَاسْتَبِقِ الْمَدَى ... بَعُدَ الْمَدَى (بِالشَّاعِرِ السَّبَّاقِ)
مَاذَا تَظُنُّ بِنَا الْمَدَائِنُ وَالْقُرَى ؟ ... الرَّكْبُ رَكْبِي ، وَالرِّفَاقُ رِفَاقِي
وَأَنَا الَّذِي أَحْبَبْتُهَا ، وَجَعَلْتُهَا ... دَارَ الْهَوَى ، وَمَحَلَّةَ الْأَشْوَاقِ
وَلَكَمْ سَقَيْتُ رُبُوعَهَا مِنْ أَدْمُعِي ... وَالْبَاكِيَاتُ جَوَامِدُ الْآمَاقِ
لَاذَتْ بِأَرْوِقَةِ الْبَيَانِ فَلَمْ تَجِدْ ... فِي الْحَادِثَاتِ النُّكْرِ مِثْلَ رِوَاقِي
أَدَبٌ تَحَصَّنَ بِالْمُرُوءَةِ فَازْدَرَى ... عَنْهُ الْمُسَاوِمُ ، وَاتَّقَاهُ الرَّاقِي
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ وَالْخُطُوبُ كَثِيرَةٌ ... أَنَّ الْقَرِيضَ يُبَاعُ فِي الْأَسْوَاقِ

قُلْ لِلْجَدَاوِلِ وَالزُّرُوعِ : تَحَدَّثِي ... فِي غَيْرِ مَا وَجَلٍ ، وَلَا إِشْفَاقِ
مَاذَا يُمَارِسُ مِنْ شَدَائِدِ دَهْرِهِ ... مَنْ أَنْتِ كُلُّ رَجَائِهِ ، وَيُلَاقِي ؟
وَلِمَنْ جَنَاكِ ؟ أَلِلَّذِي هُوَ زَارِعٌ ؟ ... أَمْ أَنْتِ لِلْجَانِي بِلَا اسْتِحْقَاقِ ؟
وَيْلِي عَلَى (فَلَّاحِ مِصْرَ) أَمَا كَفَى ... مَاذَاقَ مِنْ عَنَتٍ وَمِنْ إِرْهَاقِ ؟
يُغْنِي أُلُوفَ الْمُتْرَفِينَ بِمَالِهِ ... وَيَعِيشُ فِي فَقْرٍ وَفِي إِمْلَاقِ
سُبْحَانَ مَنْ شَرَعَ السَّبِيلَ لِخَلْقِهِ ... أَكَذَا يَكُونُ تَفَاوُتُ الْأَرْزَاقِ ؟

وَلَقَدْ مَرَرْتُ (بِدِنْشِوَايَ) فَهَاجَنِي ... وَجْدٌ عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ بَاقِ
تِلْكَ السِّيَاطُ عَلَى الْجُلُودِ وَهَذِهِ ... سُودُ الْحِبَالِ تُشَدُّ فِي الْأَعْنَاقِ
وَأَرَى دُمُوعَ الثَّاكِلَاتِ هَوَامِيًا ... تَجْرِي فَتَغْرَقُ فِي الدَّمِ الْمُهْرَاقِ
تُرْمَى النُّفُوسُ وَمَا بِهَا مِنْ قُوَّةٍ ... تَزَعُ الرُّمَاةَ وَمَا لَهَا مِنْ وَاقِ
عَرَفَ (الْحَمَامُ) مُصَابَهَا فَكَأَنَّمَا ... لَبِسَ الْأَسَى فِي هَذِهِ الْأَطْوَاقِ
لَوْلَا الْأُلَى حَمَلُوا السِّلَاحَ لِصَيْدِهِ ... لَمْ يَسْقِهَا الْمَوْتَ الْمُسَمَّمَ سَاقِ

سِرْ يَا رَفِيقِي ، لَيْتَنِي فِي مَحْبِسِي ... وَلَسَوْفَ أَمْنَعُ أَنْ يَحُلَّ وَثَاقِي
أَهِيَ (الْقَنَاطِرُ) فِي بَدِيعِ جَمَالِهَا ؟ ... أَمْ تِلْكَ بَعْضُ مَقَابِرِ الْأَخْلَاقِ ؟
لَا تَظْلِمُوا الْعُشَّاقَ يَا قَوْمِي ، فَمَا ... أَبْصَرْتُ غَيْرَ مَسَارِحِ الْفُسَّاقِ
وَدَعُوا الْعُهُودَ ، فَمَا وَجَدْتُ لِمُدَّعٍ ... فِي الْحُبِّ مِنْ عَهْدٍ ، وَلَا مِيثَاقِ
الْحُبُّ مَا صَرَفَ الْقُلُوبَ إِلَى الْهُدَى ... وَسَمَا إِلَى الْجَوْزَاءِ بِالْأَحْدَاقِ
دِينُ الْمُرُوءَةِ وَالْوَفَاءِ ، وَإِنْ هُمُو ... زَعَمُوهُ دِينَ تَصَنُّعٍ وَنِفَاقِ
الْقَبْرُ أَطْيَبُ مِنْ فُؤَادِ مُنَافِقٍ ... خَدَعَ النُّفُوسَ بِظَاهِرٍ بَرَّاقِ

مَا هَذِهِ (الْأَهْرَامُ) ؟ مَا لِبُنَاتِهَا ... سَاقُوا أُمُورَ الْمُلْكِ شَرَّ مَسَاقِ
هَدَمُوا الْقُوَى فِيهَا يُشَدُّ بِنَاؤُهَا ... وَيُقَامُ أَطْبَاقًا عَلَى أَطْبَاقِ
هِيَ إِنْ أَرَدْتَ الْحَقَّ شَاهِدُ قَسْوَةٍ ... يُخْزِي الْوُجُوهَ وَآيَةُ اسْتِرْقَاقِ
أَفَمَا تَرَاهَا ، كُلَّمَا اسْتَنْطَقْتَهَا ... زَادَتْكَ مِنْ صَمْتٍ وَمِنْ إِطْرَاقِ ؟
خُرْسٌ يُجَلِّلُهَا الْحَيَاءُ ، وَمَا بِهَا ... إِلَّا ضَلَالُ (السَّاسَةِ الْحُذَّاقِ)
قَالَ الْأُلَى فُتِنُوا بِهَا : مُسْتَوْدَعٌ ... لِلسِّرِّ ، غُودِرَ مُحْكَمَ الْأَغْلَاقِ
دَعْ مَا يُرِيبُكَ مِنْ وَسَاوِسِ مَعْشَرٍ ... عَكَفُوا عَلَى التَّهْوِيلِ وَالْإِغْرَاقِ
دَارٌ تُجِيرُ مِنَ الزَّمَانِ وَصَرْفِهِ ... وَتَصُونُ مَا أَبْقَى مِنَ الْأَرْمَاقِ
خَيْرٌ مِنَ الصَّرْحِ الْمُقَامِ لِظَالِمٍ ... جَافِي الطِّبَاعِ إِلَى الْأَذَى تَوَّاقِ

سِرْ فِي الْقِفَارِ الْبِيدِ ، مَا لِرِكَابِنَا ... مِنْ حَابِسٍ فِيهَا ، وَلَا مُعْتَاقِ
رَحُبَتْ جَوَانِبُهَا ، فَنَحْنُ نَظُنُّهَا ... أَخْلَاقَ حُرٍّ مَاجِدِ الْأَعْرَاقِ
أَتَظُنُّ أَنَّا فِي فَسِيحِ فَضَائِهَا ... أَمْ نَحْنُ فِي نَفَقٍ مِنَ الْأَنْفَاقِ ؟
اصْبِرْ ، وَلَا تَعْجَبْ لِمَا أَنَا قَائِلٌ ... فَالْهَمُّ وَيْحَكَ آخِذٌ بِخِنَاقِي
وَكَأَنَّمَا أَنَا وَالْأَحِبَّةُ حُضَّرٌ ... حَوْلِي صَرِيعُ نَوًى وَنِضْوُ فِرَاقِ

آمال كاذبة

للدكتور ابراهيم ناجى

لا البرء زار ولا خيالك عادا … ما أكذب الآمال والميعادا
عجباً لحبك يا بخيلة ! كيف يخـ … لق من جوارح عابد حسادا ؟
إنى لأهتف حين أفترش المدى … وأرى الجحيم لجانبىّ مهادا :
آهاً على الرأس الجليل سلا وأغـ … فى مطمئناً لا يحس سهادا
فرشتْ له الأحلام واحتفل الهدو … ء به ومدّ له الجمال وسادا
يا حبها ما أنت ما هـذا الذى … جمع الغريب وألّف الأضدادا
كمْ أشرئب إلى سماك بناظرى … مستلهماً بك قوةً وعمادا
ولَكَمْ أبيتُ على السآمة طاويا … فى خاطري شبحاً لها عوّادا
فأراك تعبث بى كطفل فى السما … ء يصرّف الأقدار كيف أرادا!
ولكم أقول هويّ كما بدأ انتهي … فإذا الهوى وافى النهاية عادا
مات الرجاء مع المساء وإنما … كان الممات لحبنا ميلادا
ماذا صنعت بناظرٍ لا ينثنى … متطلعاً متلفتاً مرتادا
وأنا غريب فى الزحام كأنني … آمال أجفان حُرِمن رقادا
ولقد ترى عينى الجموع فما ترى … دنيا تموج ولا تحس عبادا
فإذا رأيتك كنت أنتِ الناس والـ … أعمار والآماد والآبادا
وأراك كل الزهر، كل الروض أنـ … تِ لدىّ كلّ خميلة تهادى

ناجى

إنّا اجتمعْنا للرّحيلِ ، يضمُّنا … فكأنَّنا لمْ نجتمعْ لِتلاقِ
ذُقتُ الخُطوبَ فما وَجدتُ مَرارةً … كمرارةِ الحِرْمانِ وَالإخفاقِ
ما كُنتُ أُوثِرُ أنْ أُفارقَ مَوضِعي … لَوْلاَ القضاءُ وَحِكمةُ الخَلَّاقِ

مَالِي رَأيْتُ الشَّمسَ حِينَ كَرِهْتُها … خلَعَتْ رِداءَ الحُسْنِ وَالإشراقِ؟
وَلقدْ شهِدْتُ الرَّوضَ يَكرهُ نفسَهُ … لمّا رَمَى بالزَّهْرِ وَالأوْراقِ
لِلعبقَرِيةِ مِنْ هوَى أرْبابِها … عِـلْمٌ تُجَوِّدُهُ ، وَفَنٌّ رَاقِ
أُمُّ البَدائعِ ، ما يُحَدُّ نِطاقُها … إنْ حَدَّدَ الأقوامُ كلَّ نِطَاقِ
هِيَ لِلرِّجالِ عَلَى الخَصاصةِ وَالغِنَى … أغْلَى الكُنُوزِ، وَأنْفَسُ الأعْلاَقِ

أحمد محرم

سأغنّى

[مهداة إلى « لولو » الصغير ...]

للأديب عبد العليم عيسى

ظمِئتْ روحى وضـاقت رَحَباتى
واحتوَت قلـبى المدمَّى كرُباتى
فاتركونى أتغـنَّى فى حيـاتى
ذاهلاً عن كل موجودٍ وآتِ
سأغنى ! سأغنى !! فدعونى … إن روحى ترتوى من نغماتى

لستُ منكم ... فاذهَبوا عنى بعيدا
ثم ضِجوا واقصِفوا قصفاً شـديدا
واملأوا الكونَ صُراخًا لن يبيـدا
إن أحلامىَ لا تهـوى الرعودا
دربكم خالف دربى وطريقى … فاتركونى هائماً فى سَبَحاتى

قد كذبتم ... وأنا كنتُ صدوقا !
وغلظتم ... وأنا كنت رقيقا !
وقسوتم ... وأنا كنت رفيقا !
ورسفتم ... وأنا كنت طليقا !
فلِماذا ... تحسبونى مثلكم … من بنى الطين وعبد الظلمات

إسألُوا عنى السَّواقى والزهورَا
وضفافَ النهـرِ والحقلَ النضيرا
أنا أهواهَا ... ولا أهوى القصورا
فجّرتْ قلـبى ففنَّيتُ كثيرا
وهىَ تدرى مجسّاتى ومُيولى … وطِباعى ونزُوعى وصفاتى



نقد

كتب الأخ الفاضل الأستاذ سلامه موسى فى مجلة اللطائف (٨ إبريل سنة ١٩٤٠) كلمة يتعقب بهـا كلامنا فى (الفن الفرعونى ، وتمثال نهضة مصر) المنشور فى عدد الرسالة ٣٤٥ فى ١٢ فبراير سنة ١٩٤٠ ، وجعل عنوان نقده « تعارض التيارات الفكرية ، وضررها على التطور الاجتماعى والثقافى » وسنلخص لك نقده ثم نتبعه ببعض ما يجب علينا من تحرير رأينا ، وتقدير رأى الأستاذ الفاضل ، يقول : إن الأفكار تتعارض فى كل أمة حرة ولـكنه لا يخرج بها عن أسلوب الحياة العامة من التوافق إلى التناقض والتنافر ، فيفضى ذلك إلى اختلال التوازن الاجتماعى ، فيعتاقُ الأمة عن الرقىّ والإصلاح . ويقول : إن بعض الآراء فى مصر ليتناقض كما يكون التناقض بين أمتين متخالفتين ، وإن (العقلية المصرية) التى تفكر بها مصر فى أنظمتها الاقتصادية ، والثقافية ، والاجتماعية ، والتعليمية ، والحربية : هى ضرورة الوضع الجغرافى والاحتكاك السياسى بأوربا ، وإننا لا نعيش فقط فى القرن العشرين ، بل فى سـنة ١٩٤٠ من هذا القرن . ويقول ما نصه :

« ونستطيع أن نضرب الأمثال على هذا الاختلاف الذى يقارب التنافر . فقد ألَّفَ الدكتور طه حسين بك كتاباً يدعو فيه إلى أن نجعل من الفن الفرعونى أحد العناصر فى « الغـذاء الروحى والعقلى للشباب » فتناول هذه الدعوة الأستاذ محمود محمد شاكر بالاستنكار حتى قال فى مقاله بالرسالة : وعلى ذلك ، فيجب أن نقرر أن الفن المصرى الفرعونى — على دقته ، وروعته ، وجبروته — إن هو إلا فنٌّ وثنىٌّ جاهلى قائم على التهاويل ، والأساطير ، والخرافات التى تمحق العقل الإنسانى ، فهو إذن لا يمكن أن يكون مرةً أخرى فى أرض تدين بدين غير الوثنية الفرعونية الطاغية — سواء أكان هذا الدين يهودياً أم نصرانياً أم إسلامياً أم غير ذلك من أشباه الأديان » . . .

ثم استمر فنقل بعض رأينا فى الذى قلناه عن تمثال نهضة مصر

وهذا تعارض "عجيب" ، كما يرى الأستاذ سلامه موسى ، واختلاف فى التيارات الفكرية يحمله على أن يدعو الاجتماعيين أن يحاولوا التوفيق بين هـذه الآراء حتى لا يصير اختلاف الرأى الحر تناقضاً فى العقائد المجزومة ، وحتى نُصْبح أمة متمدنة تستطيع أن تنصت إلى الرأى المخالف فى تسامح وأن تعبر عنه فى اعتدال ينأى عن الحدة والتهور

ثم يقول الأستاذ الفاضل إنه يتوهَّم مما كتبته أن الدكتور طه أو المثال مختار يريدان منا أن نحنط الموتى ونعبد (رع) مع أن حقيقة ما طلبه كل منهما أن نستوحِىَ هـذا الفن المصرى القديم . ثم يقول عنى وعن الدكتور طه : « إن الاختلاف بين الـكاتبين هنا يرجع إلى أكثر من ذلك ، وهو أشبه بالتنافر بين القائلين بعقيدتين متناقضتين ، ومصلحة الأمة تقتضى إزالة هذا التنافر بين الذين يكلفون هذه المهمة ، وكل رجل مثقف يهتم بالانسجام الاجتماعى فى الأمة »

وهذا نهاية الرأى فى كلام الأستاذ سلامة موسى نقلنا أكثره بنصه أو ما يقربُ منه . ونحن نشكر الأستاذ سلامة موسى على حُسن مقصده ورغبته فى تحقيق الإصلاح الاجتماعى بإزالة كل العوامل المفرِّقة بين الناس

التيارات الفكرية

ومن الغريب أن اليوم الذى صدرت فيه هذه المقالة فى اللطائف ، هو نفسه اليوم الذى كتبنا فيه عن « الرأى العام وسياسته » فى العدد الماضى من الرسالة ، وقلنا إن تعدد الثقافات فى الشعب الواحد قد أفضى إلى شر آثاره ، حيث تنابذت العقول على المنى الصحيح ، واختلفت المناهج المؤدية إلى الغايات ، وكذلك يبقى الشعب إلى النهاية وهو فى بدءٍ لا ينتهى ، وفى اختلاف لا ينفضُّ . وكما يرى الأستاذ سلامة موسى أن هـذا التعارض البغيض بين الآراء مما يعتاقُ رقىَّ الشَّعب ، ويمنعه من الاجتماع على رأى ، ويحرِمُه فضيلةَ القوة التى تنفـُذُ به إلى غاياته ... كما يرى نحن نرى ، ونرى وراء ذلك كله ما هو أسوأ وأقبحُ — مما يستماذ منه ونخشى مغبَّتُه . فهذا إذن أمرٌ مفروغٌ من تقريره

بيننا وبينه ، وهى رغبة نتوافى جميعاً على العمل لها ، ونَنْشرِي أنفسنا فى سبيل إنفاذها

وكان جديراً بالأستاذ سلامة موسى أن يرى مثل هذا الرأى فى الذى كتبناهُ ، ويعلم عِلْم ما طوبناه فى نقدنا الرأى الدكتورطه ، ولعلّه لم يقرأ كل ما كتبناهُ فى العدد ٣٤٤ ، ٣٤٥ من الرسالة ، ولعلّه لم يتتبّع ما نقولُ به من الرأى فى باب «الأدب فى أسبوع» ، ولو قد فَعَل لعرف أن الرأى بيننا وبينه فى ذلك غير مختلف إن شاء الله

القرن العشرون

وما دمنا فى حديث تعارُض هذه التيارات الفكرية ، فقد كنت أحبُّ أن ينزّهَ الأستاذ سلامة موسى كلامه عن بعض التعريض ... وذلك تنبيه لنا أننا نعيش فى القرن العشرين ، وفى سنة ١٩٤٠ منه . فهل يَظُنُّ الأستاذ أننا نعيش فى غيره أو أننا نرى أنفسنا رِمَماً تاريخية عتيقةً قد انبعثتْ فى أجلادِ إنسانِ (القرن العشرين) !

... الزمن لا يكون هو العلة فى إنشاء الحضارة ، وإنما تُستجدُّ الحضارة بالروح الإنسانية وبالإنسانية الروحية ، وإنما الزمن وحدوده تبع للانسان الحى ، ولا يكون الإنسان تبعاً للزمن إلا حين تفقد الروح إنسانيتها العالية ، وتفقد الإنسانية روحانيتها السامية ... وترتد الحكمة والحضارة والتهذيب وجميع الفضائل إلى منزلة الغرائز الدنيا التى تصرّف العجماوات من الأحياء فى سبيلها ، وعلى سنّتها ، وبقانونها ، ومن مدارجها النازلة إلى أغوار الحيوانية الفطرية

إن من أخطر التيارات الفكرية التى تهاوى فيها أكثر كتاب القرن الماضى ، والمخضرمون من كتاب القرن العشرين اعترافهم بالقرن العشرين وما فيه اعترافاً (تعبُّدياً) يكاد يكون إيماناً وعقيدة ، فما أقنع منه بالبرهان والحجة فهو ببرهانه وحجته ، وما لم يقنع فهو مردود إلى الأسرار الأزلية للحضارة ، وأنه هكذا كان ... وأنه هكذا خلق ، وأنه مادام موجوداً فى حضارة القرن العشرين ، فوجوده هذا هو برهانه وحجته ... ! !

وأنا — مع الأسف — لا أعتقد فى هذا القرن العشرين اعتقاداً قلبياً مطمئناً بالإيمان ، لا لأنى أريد أن أرتدّ إلى الماضى لأعيش فى ظلماته وكهوفه وتهاويل خرافاته ، بل لأنى أرى أن حضارة الإنسانية يجب أن تتجدد بمبادئها النبيلة السامية التى كل أجزائها فضائل . أما هذه الحضارة الأدبية المصرية للقرن العشرين ، فهى حضارة حيوانية الفضائل ، ليس فى أعمالها إلا فتنة بعد فتنة . ولا نقول هذا فى العلم — معاذ الله — فإن العلم الحاضر قد استطاع أن ينفذ فى بعض أسرار الكون بأسباب كأسباب المعجزات ، ومع ذلك ، فقد كان هذا العلم نفسه ، هو ما اتخذوه تدليساً فى تمجيد حضارة القرن العشرين ، ليفتنوا الناس بها عن حقيقة الإنسانية الروحية المتجردة من أغلال الحيوانية النازلة المستفلة

الحرب

ويكفى أن تكون هذه الحرب التى أحدّت أنيابَها ونشرت مخالبها ، وزأرت زئيرها ، ثم أسبابها التى نشأت عنها من المطامع الاستعمارية المستكلبة الضارية ، ثم ما سيكون من آثارها فى الأرواح الإنسانية والمدنية الروحية ... يكفى أن تكون هذه الحرب — من جميع نواحيها وأطرافها ، وبجميع خلائقها وزمن هذه الخلائق — توصيماً كتوصيم الفجور الأسود فى الأعراض النقية البيضاء

هذه الحرب الفاجرة المتعرّية من جميع الفضائل برذيلة الكذب والخداع مما يسمونه الدعاية والسياسة — هى البرهان الحى فى أذهاننا جميعاً — أهلَ القرن العشرين ، على أن مدنية هذا القرن ، مدنية حيوانية الأصول والفروع ، هى مدنية مفترسة متوحشة ، لا تعترف بالحق ولا تعرف الحق ، وليس إلا ... الغذاء الغذاء ... الصيدَ الصيدَ ... : هذا نداؤها وهذا دينها وهذا إيمانها . ثم لا تكون مغبّة أعمالها إلا تمزيقاً وقضقضة وقضماً ، وتدميراً لبنيان الله الذى يسمى « الإنسان »

الحرية !!

إن هذا القرن العشرين أسطورةٌ مُهَوّلةٌ قد انحدَرت من القدم إلى هذا الزمن ، فى دمها كلُّ الأساطير الحيوانية المرجفة فى تاريخ الإنسانية . إنه أسطورة عظيمة كاذبة مكذّبة على الناس ، وإن فى مدنيته من الباطل مِلءُ مُلوءها حقًّا . إنّ الأجيالَ

الإنسانية النبيلة لتصرخ من وراء أسوار التاريخ تريد'نا أن ننقذ أنفسنا من أوهام (القرن المشرين) ، ومن خرافاته الجيلة المزينة بالعلم، المثيرة باللذة، المندلعة بألسنة من نيران الشهوات والأهواء، الصاخبة بعبادة الأوثان التي تجُولُ في أدمغةِ البشر حاملة نَدّها وبخورها ومجامِرها وطيبها ، وكل ما ينفذ عطره إلى أعمق الإحساسات يثيرها لتقديس البشرية المتجسدة بلذاتها وشهواتها

يجب — في هــذا الزمن — أن نتحرر من أباطيل القرن العشرين وأباطيل القِـدَم معاً ، يجبُ ألا نعرف الحاضر بأنه هو الحاضرُ وكفى ، ولا الماضي بأنه هو المـاضي وحسْبُ ، يجبُ ألا نتعبَّدَ بشيء من كليْهما ، يجبُ أن نأخذَ الحاضر والماضي بالعقل والعلم والفضيلة ، وما لم يكن كذلك مما مضى ومما حضر فهو نَبذٌ يجب أن ننبُذَه ونتجافى عنه ، يجب أن نتحرر ، يجب أن نتحرّر ...

إننا الآن أممٌ تريدُ أن تسيرَ إلى غاياتها في إبداع حضارتها التي سترث جميع الحضارات التي سبقتها ، والحضارةُ التي تأتي من التقليد ليستْ حضارة ، وإنما هي تزييفٌ وكذبٌ ووثنيةٌ جاهلية تنحدر إلى هذا الزمن عن السلالات التي قال الله فيها : « وإذا قيلَ لهم : اتبعوا ما أنزلَ اللهُ ، قالوا بل نتَّبعُ ما ألفيْنا عليه آباءَنا ، أوَ لوْ كان آباؤهم لا يعقلونَ شيئاً ولا يهتدون ؟! »

لن نبلغ شيئاً حتى تكون (الحرية ، والحب) نقييْن طاهرين مبرّأين كاملين متواضعيْن ، فهما القوة التي تسير بهما الحضارة إلى مجدها وروائعها . إذا عرفنا الحرية وجرتْ في دمائنا فيومئذ تهدّم كل هذه الأباطيل التي تعوقنا وتقف بين أيدينا من قمامات الرذائل الإنسانية التي قُذِفتْ في طريقنا من أباطيلِ المـاضي وترهات القرن العشرين !!

الفن الفرعوني

والأستاذ سلامه موسى قد بنى نقده على ما يسميه (العقائد المجزومة) ، وعلى عقيدته في (القرن العشرين) !! ونحن — مع الأسف — لا نبني أبداً كلامنا على (العقائد المجزومة) ، ولا على التعصب (للقرن العشرين) ، ولو رجع الأستاذ إلى المقالين اللذين نشرناهما في الرسالة عدد ٣٤٤ و٣٤٥ عن محاضرة الدكتور طه ، ولو رجع خاصة إلى حديثنا عن (الفن) ما هو ، وكيف هو ؟ وعن الفنان وعمله في فنّـه — لعرفَ أن دعوتنا كلها مبنيةٌ على تحرير أعمالنا من قيود الماضي والحاضر معاً على أساس من العقل والعلم والفضيلة ، فلا يُزري عندنا بالقديم قِدَمه ، ولا يُرغّبنا في الجديد جدّته . وإن القول في (القديم والجديد) على إطلاق اللفظ ، وجعله لفظاً تاريخيًّا زمنيًّا محصوراً باليوم والسنة ، إنْ هو إلا تلذذ بالكلام كما يتمطق آكل العسل بعد أكله من تحلب الريق وشهْوة الحُلْو ، ولو كان في هذا العسل السم الناقع

إن حديثنا عن الفن الفرعوني ، وأنه لا يصلح أن يكون شيئاً يستمد منه الفنان في زماننا ، لا يمت بصلة إلى الرأى الذي ذهب إليه الأستاذ سلامة موسى في فهم كلامنا ، لأننا نظرنا إلى شيء واحد ، وهو تحرير الفن من التقليد ، ثم معرفتنا أن الفنان لا يستوحي كما يقول الأستاذ سلامة من فنون غيره . بل إن الفنان عندنا هو القلب النابض الذي يفضي إليه الدم الحي الذي تعيش به حضارة أمته في عصره ، والفن إن هو إلا نتيجة من نتائج الاجتماع الإنساني والطبيعة التي تحتضنه ، والعقائد التي تسيطر على الشعب وتملأ قلبه بالإيمان بها والفكر فيها ، فإذا لم يكن الفن ناشئاً من ثَمّ ، فاعلم أنه ليس بفن وإنما هو كذب مضرّج بتحاسين قوس قزح ، وما أسقط الفن الرفيع في زماننا وفي بلادنا إلا أنه نتاج العقول المزيفة بالتقليد ، والخيال المدلس بالسرقة ، وهذا الهمج الهامج من الفنانين والأدباء والشعراء والعلماء أيضاً ممن يعيشون بأدواتهم تحت جناح الليل الأسود وفي ستره ، ثم يقبلون على الناس إذا أصبحوا فيقولون : أين كنتم ؟ يقولون : كنا نستوحي ، ثم يخدعون الناس بزيفهم وبهرجهم . لأنهم لا يعلمون من أين يأتي هؤلاء هذا الوحي ... ولو علموا أنما وحيهم وحي اللص الذي يبدع له المـال ، وإنما هو ديبب واستخفاء وحرص ، و «طفاشة» تهشم بها أقفال خزائن بعض الناس ، يستخرجون كنوز غيرهم ليتنبّلوا بزينتها وجمالها

الحرية هي أصل الفن كما بينا ، وكما هو ظاهر كلامنا ، وأما الاستيحاء من فنون القدماء لإنتاج فن لا يتصل بمدنيتنا بسبب إلا القدم والوراثة وتاريخ هذه الأرض ، فهو إبطال للفن ومعنى الفن وقيمة الفن ، وإلا فما الذي فعله الأستاذ المثال القدير « مختار » إلا أن نقل صورة لا معنى لها في عقائد الشعب المصري الحاضر ، هي صورة أبي الهول ، وليس فيها معناه القديم الباسط ذراعيه في جوف رمال الصحراء هناك ، ثم ماذا ؟ ثم جعله مقعياً



فوزية الجديدة :

أميرة الربيع

لها تاج الجمال والفرح والفن

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

بإذن الله ...

لما زغرد البارود سلاماً لمقدمها كانت ساعة أصيل احمرت الشمس فيها خجلاً منها فبدأت تتوارى إذ أشرقت فوزية

ولكنها قبل أن تمضي انتفضت عن مفاتنها، فهي إذ تتباعد كانت تلوّح للعيون بمنديلها الذهبي توديعاً وتعويجاً لنسمات أصيل من أصائل الربيع كان أسعد أصائله لما حمله النسيم إلى الوجود فوزية

وغمزت الشمس بعينها الأطيار غمزة فإذا هي كلها تشدو أغنيات السعادة والفرح بفوزية

وغمزت الشمس للأزهار غمزة فزهت ، وانتعشت ونفثت في الجو من عطرها طيباً ، وبعثت من ألوانها حلية وزينة لعيون فوزية ...

كانت ساعة مباركة على الكون ، وعليّ . ومن كان له أن يفرح مثلما كان لي أنا أن أفرح ، فها هو ذا شهر مولدي يعود وقد عفا الله عني ، أجرى قلم الفاروق عفوه ، فوهب له على الربيع فوزية بوركت وبورك مقدمها

كان الشعب يدعو الله — كما كنت أدعوه — أن تكون صبياً تقر به عينا الملك ، ولكن حكمة الله شاءت أن توائم بين الوليد وزمن المولد . فهذا الربيع أجدر به أن ينفتح عن زهرة ، وهذا الأصيل الجميل كان أجدر به أن ينثر عند مطلعها كل ما ادخره له اليوم من جمال وحسن وروعة

وهذا أقرب إلى طبيعة الصبية

عشت للجمال والفرح والفن يا أميرتي فوزية ...

إذا تقدمت بك الأيام ، وشببت عن الطوق ، ورأيت ... فإنه لن ينطبع في ذهنك إلا كل صورة من الجمال والحسن ، ولن تستقر عيناك إلا على كل بهجة وزينة ، فهذا هو أول ما عرضت عليك الحياة من ألوانها ...

إذا مرت بك السنون وسمعت ... فإنه لن يطرق أذنيك إلا نغم حلو لين سلس كهذا الغناء الذي أنشدته الأطيار يوم مقدمك

إذا جازت بك الأعوام ... وامتلأت نفسك حسناً فأغدقي على الدنيا من حسن نفسك كما يغدق على الدنيا من حسن النفس فنان ...

هذه الأفراح التي تشيع في نفسك أشيعيها في الكون شعراً ، وليكن شعرك إحساناً فأسمى الشعر الإحسان . وكم شاعر يتلهف إلى الإحسان ، وكم تستطيعين يا أميرتي أنت من ضروب الإحسان ...

كلة التقدير الحق من الأميرة فيها الغناء ، ومن أقدر على

بعد أن كان باسطاً متطامناً ، ثم ماذا ؟ ثم ألصق إلى جانبه فتاة تضع يدها على رأسه ... سبحان الله هذه نهضة مصر ، وهذا هو فن القرن العشرين ! !

إذا كان الأستاذ سلامه موسى أو غيره يريد أن يناقشنا في هذه الآراء ، فليناقش على أساس واحد ، هو أساس الفن ، وما هو ، ومن هو الفنان . أما (القرن العشرون) ، وأنظمة مكافحة الأوبئة ، والنظام الاقتصادي ، والعلوم ، وما إلى ذلك ، فليس له مدخل أو سبب في الطبيعة الفنية ، وتقدير الآثار الفنية ، وهل يمكن أن تكون فناً إذا كانت تقليداً واستيحاء وتنشأ كلا ذكياً بارعاً ؟

كل فن يأتي من التقليد واستيحاء فنون الناس ، وكل فن يتولد من شهوة التقليد وبلادة العزيمة وعبودية الروح ، فهو فن كالمولود السّقط في آخر تسعة أشهر من حمله ... فيه صورة الحي ولكن ليست فيه الحياة ، فيه قوة المشابهة للحي ولكن ليست فيه قوة استمرار الحي على الحياة

محمود محمد شاكر

التقدير الحق من أميرة الربيع التي لما طلت رأت الجمال الحق أول ما رأت، وسمعت الغناء الصدق أول ما سمعت، واستنشقت العطر الأصيل أول ما استنشقت، فهي تعرف الجمال الحق من الجمال الزائف، وهي تعرف الغناء الصدق من الغناء الملفق، وهي تعرف روائح الله من روائح المعمل وما تؤلفه اليدان

أميرة الربيع! يا أميرة العفو والرحمة يا أميرتي... هلا شببت اليوم، فأنت عروس ومصر في مهرجان، ودولة الفن غير الدولة القاعدة فيه الآن ...

قرب اللهم هذه الأيام... إذ يرفعون إليك أسماء الذين اختاروهم ليحيوا المهرجان ... فتقولين لهم: لا ... لا تحدثوا عن خاملاً لأنه خامل، ولا تجيئوني بالمعروف لأنه قد تحدث بذكره الركبان، وإنما أريد أن أستمع إلى فلان وفلان وفلان ... فأنت يا أميرتي قد فتشت قبل ذلك في المكتبة، وقرأت ما يكتبه هذا وما يكتبه ذاك ... فعرفت بما منحك الله من طبع الحسن موطن الحق عند هذا، ومخبأ الزور عند ذاك ... وأنت يا أميرتي قد أصغيت قبل ذلك إلى كل ما يذاع من اللحن والغناء، فعرفت أي هذا الغناء صدر من القلب، وأيه كان ضرباً على خشب العود، فهو ليس إلا غناء الأخشاب ...

رعاياك من أهل الفن يا أميرة الربيع مشوقون إلى يوم من أيام الإنصاف ... الحياة ثقلت عليهم، والناس انشغلوا عنهم، ومالوا إلى حيث يخبلهم سحرة مهرة لا الصدق عندهم، ولا الحق ولا الجمال ... وإن هي إلا «الشطارة» والإعلان ...

سترين ذلك عندما تتقدم بك الأيام... وستكرهينه ... وسيكون على يديك تحطيم الأوثان ...

سيلمك أبوك ... فكم جدد هو أيضاً في ملكه، وكم وحد الله لم يعبأ بالنصب ولا الأصنام ... فهو الملك الذي عصف بالجود، والذي جرف ما أعقبته لنا الأيام من وجل وخوف فأمننا من الخوف، وأبقى علينا ثلث حقه عندنا مثلاً ضربه لأولي الألباب منا لو أنهم تبعوه لأطعمنا جميعاً من الجوع، كما آمننا جميعاً من الخوف ...

والأيام مقبلة... وستفرغ مصر من الحرب حين تفرغ منها الأمم، وسيرى عندئذ أولو الألباب هؤلاء وغيرهم أنه لا مفر من انتهاج الطريق الذي شقه أبوك المبارك وليد الشتاء ... ومن للملك كوليد الشتاء له السيطرة على تدفقه ونشاطه كما أن لك السيطرة على الحسن والجمال ...

يا أميرة الربيع ...

كم يسعد عروبتنا أن يكون لك فن، ولماذا لا يكون لك فن وقد كان نبينا يستمع إلى الخنساء ... فليكن في النبي شعرك، أو فاكتبي فيه نثرك، وخذي من أبيك حب الإسلام انظميه درراً، فقليلاً ما يفكر أهل الفن عندنا في الإسلام، وكثيراً ما يحسبه بعضهم تنظيما لعلاقة من في الأرض بمن في السماء فإذا نظروا إلى السماء تساءلوا ... ما الذي في السماء؟

فدليهم أنت على الذي في السماء ... قولي لهم: هو الذي سماه المسيح المحبة، والذي سماه القرآن السلام. ثم انشري بإيمانك وسلطانك بين الناس آيات المحبة وألوية السلام، وما أشد حاجتنا في مصر إلى أن ترفرف علينا وتظلنا، فليس ينقص وطننا إلا المحبة والسلام يشيعان فيه فإذا هو جنة الأرض، وموطن الرغد والأمان ...

أعيدي على مسامع هؤلاء الخلق في مصر وفي غيرها تلك الأناشيد التي استقبلتك بها الدنيا يوم مولدك؛ وقولي للناس هؤلاء الذين يتخبطون خبلاً في هذه الأيام بماذا كانت تسبح العصافير لله: أطعمها، وسقاها، وأجرى لها الدفء ورعاها، وطيب لها الصبح وضحاها، وليلها إذ غشاها، فما حقد منها عصفور على عصفور، وما طغى منها واحد على أخيه ... وإنما كن يخفن النسر والصقر والعقاب، فلما سترهن الله بليله بتن وهن يقلن: حمداً لله الذي في الأرض وفي السماء ... ألف حمد وألف شكر لله ...

والنسر والصقر والعقاب، كلها أيضاً سبح لله ... إن انقض واحدها على فريسة فهو أصدق الطلب، طلب القوة الجائعة، يأخذ من أصدق العطاء عطاء الضعف والفناء

فعلمينا يا أميرة الربيع كيف نكون مع الحب والرحمة أقوياء. تسمى إلى السماء، وقصي علينا ما سمعت من السماء ...

هاتي الذي سمعت يا رحمة الله ...

اللهم قرب هذه الأيام ...



الحـــرب والرياضيات

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

تتقدم فروع المعرفة ويتناولها التغيير والتبديل، وكلما اقتربت من الأرقام زادت دقة ونحت نحو الكمال. قال أحد الفلاسفة: «يكون العلم دقيقاً إذا استعمل العلوم الرياضية فى بحوثه ...» ولم يستطع العلماء أن يستفيدوا من فروع الطبيعة أو الهندسة ولا أن يتفننوا فى صنع السابحات فى السماء، والعائمات على الماء، ولا أن يغوصوا إلى أعماق البحار، ولا أن يطوّقوا القارات بالأسلاك الكهربائية، وأن يملأوا الجو بعجيج الأمواج اللاسلكية، وقد حملت على أجنحتها الأنباء والأخبار والصور — أقول لم يستطع العلماء أن يسيطروا على الطبيعة هذه السيطرة القوية إلا بفضل الرياضيات

قد يكشف العالم بعض النواميس الطبيعية، ولكن لا يستطيع أن يتوسع فيها، ولا أن يخضعها لتقوم بأعمال المدنية الحديثة المعقدة إلا إذا استعان بالرياضيات. فلقد أحدث اكتشاف (فراداى Faraday) لإحداث التيار فى لفة السلك حين إمرارها فى حقل ممغطس أثراً بعيداً عظيم الخطر فى الصناعة ... هذا الاكتشاف قد يبدو بسيطاً ولكن أليس من العجيب المدهش أن كل الصناعات الكهربائية بنيت عليه؟ والأعجب أنه لم يكن فى الإمكان جعل هذه الصناعة بمحركاتها ومولداتها فى حيز الإمكان إلا حينما دخلت الأرقام والمعادلات قوانين (فراداى) بعد توسيع نطاقها.

ولقد تنبأ (فراداى) أيضاً بأنه لا بد أن يأتى يوم يثبت فيه أن هناك صلة بين الضوء والاهتزازات الكهربائية المغناطيسية فى الأثير، ثم جاء كلارك ماكسويل J. C. Maxwell العالم الرياضى الشهير، وبعد درس وتحليل خرج بمعادلات رياضية أثبت منها أن فى الفضاء اضطرابات كهربائية مغناطيسية تتصف بصفات الضوء، أى أن الاضطرابات الناشئة من شرارة كهربائية تبدو فى مظهر أمواج فى الأثير لا نراها، ولكنها كالأمواج التى تحدث الضوء والحرارة والطاقة الكيميائية تسير جميعها بسرعة الضوء التى هى (١٨٦٠٠٠) ميل فى الثانية. وجاء بعد (ماكسويل) غيره من العلماء وجروا على القواعد التى وضعها فأحدثوا هذه الأمواج وأرسلوها فى الفضاء مسافة ثم التقطوها، وبذلك صار تحقيق التلغراف اللاسلكى محتملاً، وقد تنبأ به السير وليم كروكس Sir William Crookes. ثم حققه لودج Lodg على مسافات قصيرة، ثم تلاه علماء آخرون فأتقنوه وتوسعوا فى صنعه؛ فإذا المخاطبات اللاسلكية على أنواعها منتشرة ومتغلغلة فى العمران

لم يكن فى الإمكان أن يسخر العلماء بحوث الضوء لخير الإنسان إلا بعد أن أفرغوا قوانين الانكسار فى قالب رياضى، وبذلك استطاعوا أن يستعينوا بالمعادلات والأرقام فى العدسات لإصلاح عيوب العين وتكبير الصور وعمل التلسكوب والسبكترسكوب والميكرسكوب على اختلافها

إن الصناعة الحربية قائمة على الرياضيات، فالأسلحة على تعددها وتنوعها تعتمد فى صنعها على الكهرباء والمولدات والمحركات وآلات

لست أطمع أن تقرئى اليوم هـذا الذى أكتبه، فدونك ودون القراءة لم تزل أعوام، ولكنى أسأل الله أن يقع هذا الذى أكتبه بين يديك فى يوم قريب من الأيام، فلست أدرى لماذا أشعر بأن تنبؤى لك فيه شىء من الإلهام ...

لعلها الفرحة التى زفها الله إلىّ على مقدمك، ولعله خيال صورته لنفسى عن زهرات الربيع ونسماته وملائكته الذين يبعثهم الله إلى الأرض هدى ورحمة، ولعله الرجاء فى أن الله قد رضى عن الفن وأهله فهيأ لهم راعية وقديسة ...

لعله هذا، ولعله حق لمسته عن غير قصد ولا تدبير ... فإذا كان هذا أو كان ذاك فلست أطلب من الله أكثر من أن يحقق هذا الخيال ... أو هذا الرجاء ...

عشت ... وعاش أبوك برًّا بك ورؤوفاً بالناس ...

عزيز أحمد فهمى

ميكانيكية أخرى معقدة وعلى دقة لا تأتي إلا عن طريق المعادلة . فصناعة الغواصات والطائرات قائمة على مبادئ ميكانيكية وكهربائية وطبيعية تدعمها قوانين رياضية لولاها لما كان في إمكان الأولى أن تغوص إلى الأعماق ولا الثانية أن تجوب رحاب الفضاء

لقد برع المهندسون في صنع الآلات المقاومة لبعض أدوات القتال ، فلقد (تفننوا) مثلاً في صناعة كاشفات الأصوات (الهيدروفين) الذي جعل الغواصات بوساطته أقل خطراً وخفاء من ذي قبل . ويمكن القول إنهم استطاعوا أن يتخلصوا من خطرها إلى حد كبير، ولاسيما بعد أن أدخل بعض علماء الإنكليز تحسينات على هذا الجهاز تمكنوا بها من تحديد مكان الغواصة بالضبط . وفوق ذلك فقد جهزوا الطائرات المائية بآلات دقيقة تستطيع أن تكشف مسافات من أعماق البحار . وتقوم جميع هذه الآلات وغيرها على حسابات دقيقة أساسها الجداول والمعادلات الرياضية

وكذلك هناك أجهزة دقيقة قائمة على مسائل عويصة معقدة من شأنها إصابة الطائرة بإحكام . وتقوم هذه الأجهزة بعمليات حساب مدى ارتفاع الطائرة عن الأرض وحساب سرعتها التي تسير بها ، كما أنها تحدد النقطة التي تصل إليها الطائرة في اللحظة التي تصل فيها قذيفة المدفع . ومن الغريب أن هذه العمليات لا تستغرق أكثر من نصف دقيقة ، وفي هذه المدة لا تستطيع الطائرة تغيير اتجاهها ، ويمكن عندئذ وعلى ضوء هذه الحسابات إطلاق القنابل إلى المكان الذي تلتقي فيه بالطائرة أو مكان قريب جداً من الطائرة تنفجر فيه وبذلك تصاب الطائرة بالقنبلة أو برشاشها

لقد تقدمت صناعة الطائرات على اختلافها من مطاردات وقاذفات ومهاجمة تقدماً سريعاً ، وتفنن مهندسو الدول في صنعها وثبت أن المصانع البريطانية امتازت على غيرها في إنتاج طائرات من نوع المطاردات ، وتحقق لدى خبراء الطيران العسكري أن خير المطاردات ، هي المطاردات المعروفة باسم « قاذفات اللهب » . وسرعة هذه المطاردات تزيد على ٣٦٢ ميلاً في الساعة وتستطيع أن ترتفع من أرض المطار إلى علو (١١) ألف قدم في أقل من خمس دقائق ، ومداها (٦٠٠) ميل ، وهي مجهزة بثمانية مدافع رشاشة ، بينما المطاردات الألمانية لا تزيد سرعتها على (٣٥٠) ميلاً في الساعة ، ومداها (٦٠٠) ميل ، ومجهزة بأربعة مدافع رشاشة . أما المطاردات الفرنسية ، فسرعتها (٣٠٥) أميال في الساعة ، ومداها (٦٠٠) ميل ، ومجهزة بمدفعين رشاشين ومدفعين آخرين قطر كل منهما (١٢٠) مليمتراً

أما طائرات الهجوم أو قاذفات القنابل، فعلى نوعين: المتوسطة والضخمة : فقاذفات القنابل المتوسطة البريطانية لها سرعة (٣١٥) ميلاً في الساعة ، ومداها (١٩٠٠) ميل ، وحملها من القنابل (٢٠٠٠) رطل انكليزي يقابلها في السلاح الجوي الألماني (٢٨٠) ميلاً للسرعة و (١٤٠٠) ميل للمدى و (١٩٠٠) رطل للعمل ، وفي الفرنسي (٣٠٠) ميل للسرعة و (١٢٩٠) ميلاً للمدى و (٣٣٠٠) للحمل

وأما القاذفات الضخمة ، فأقصى سرعتها (٢٢٠) ميلاً للانكليزية ، ومداها (١٣١٥) ميلاً ، وحملها (٤٠٠) رطل يقابلها في الألمانية (٢٠٥) أميال للسرعة و (٩٩٥) ميلاً للمدى و (٨١٠٠) رطل للحمل ، وفي الفرنسية (٢٠٠) ميل للسرعة و (٧٥٠) ميلاً للمدى و (٩٣٠٠) رطل للحمل

وعلى ذكر القاذفات الضخمة نقول : إن أحدث ما أخرجته المصانع الأميركية طائرات تعرف باسم القلعة الطائرة تفوق مثيلاتها في البلاد الأخرى في السرعة والمدى، فسرعتها (٢٦٠) ميلاً [يقابلها ٢٢٠ ميلاً في الإنكليزية و (٢٠٠) ميل في الفرنسية و (٢٠٥) أميال في الألمانية] ومداها (٢٠٠٠) ميل . ولقد أخرجت المصانع البريطانية طائرة ضخمة جديدة تفوق (القلعة الطائرة) بلغت سرعتها (٢٦٧) ميلاً في الساعة وحملها (٤٦٠٠) رطل ومداها (٣٦٠٠) ميل ، وهذه الناحية — ناحية المدى — محل دهشة مهندسي الأمم وإعجابهم[1]

وهناك اختراعات واكتشافات لم يتوسع نطاق استعمالها واستغلالها لمنافع الإنسان إلا على أساس التجربة والمعادلة الرياضية ويمكن القول إن علمي الفيزياء والفلك بفروعهما المتنوعة قد

(١) رجعنا في الأرقام التي تتعلق بالطائرات إلى مقال ظهر في مقتطف نوفبر سنة ١٩٣٩ حول الطائرات الحربية

وصلا إلى درجة كبيرة من الدقة والكمال بفضل الأرقام والمعادلات . جرّد هذين العلمين من رياضياتهما بل جرد الكيمياء الحديثة من معادلاتها وقوانينها فلا يبقى إلا تعاريف ومبادئ أولية لا يمكنك ولا بمجال الاستفادة منها أو تطبيقها فيما يعود على البشرية بالنفع والخير . ولن يستطيع العالم مهما كان قوى العقل خصب الفكر أن يقف على أسرار الطبيعة والكون، بل لن يستطيع النوص ليقف على كنوزهما وعجائبهما إلاّ إذا ألمّ بالرياضيات وكانت عنده خبرة بها . وإن الكيمياء الحديثة لفى حاجة إلى الرياضيات حاجتها إلى التجربة والاختبار ، وناهيك بالكيمياء فهي الأساس الذى شيد عليه صرح الصناعة فى هذا العصر ، وقد ازدهرت ازدهارها العجيب . إن هذا العصر لهو عصر الهندسة والآلة . وكل هذه فى حاجة إلى الرياضيات ، ولا يمكن الاستفادة منهما أو تطبيقهما على مقتضيات العمران إلا بذلك ، ويمكن القول : « إن مدنيتنا التى ترتكز على الاستفادة من الطبيعة والسيطرة على عناصرها مبنية على أسس العلوم الرياضية » وقد أثبت العالم الأمريكى الشهير (ملكن Milikan) أنه « إذا أزلنا من العمران الحالى أحد القوانين الرياضية التى ابتدعها وحققها نيوتن Newton لوجب أن نزيل كل آلة تجارية وكل محرك ومولد كهربائى بل كل آلة تستعمل لتحويل القوة إلى حركة ، لأنها كلها بنيت على هذا القانون الرياضي الشامل . ولسنا بحاجة إلى القول إن نيوتن لم يقصد من قانونه استنباط آلة تجارية أو سيارة أو طائرة . ولكن أليس من المدهش حقاً أن هذه المخترعات وغيرها بنيت على قانونه وأننا إذا أزلناه تهدم عمراننا كأنه بيت من ورق » . فالهندسة بأنواعها والملاحة والصناعات المختلفة إ كل هذه محتاج إلى الرياضيات ، ولا يمكنها أن تزدهر وتثمر بدونها، بل إن أسس إنشائها وتقدمها قامت على الأرقام والمعادلات . وما يقال عن هذه يقال عن علوم أخرى إلى حد ما، فإن هذه كلما تقدمت وكلما استطاعت أن تدخل الأرقام والمعادلات فى بحوثها أصبحت دقيقة واقتربت من الكمال . فالعلوم على اختلافها وتعددها إذا اقتربت من الكمال فإنها لابد محلقة فى سماء الرياضيات وفى جواء من المعادلات والأرقام

(نابلس) قدرى حافظ طوقان



الدرس الأول

للأستاذ محمد سعيد العريان

« هل كانت « قدرية » في أوّليّتها تتوقع هذه النهايةَ التي انتهى إليها أمرُها ؟ »

هكذا سألني صديق وهو يحدثني حديثها :

كانت تجلس في الصف الأخير من حجرة الدراسة ، فقد كانت أطول قامة وأبعد نظراً ؛ فما يشق عليها ولا يعنيها أن تجلس في الصف الأول أو في الصف الأخير ؛ على أنها كانت أسبقَ التلميذات جواباً عند الاختبار ، وأكثرهن عناية بالعمل المدرسي ؛ فلا جَرَم كانت بذلك أدنى منزلة إلى قلوب معلميها ومعلماتها . وكانت على إرثٍ من الأدب والفضيلة ، يبدو في طرْف غضيض ، وصوت خفيض ، ولسان عَذْب التحية عف الخصام ؛ وكانت إلى كل ذلك مليحة رشيقة ، مقبلة ومُدْبرة ! ... وإني لأعجب لنفسي كيف لم أتبيَّن ما فيها من رشاقة وخفة إلا في تلك الليلة التي كانت ... حين بدأت حوادث هذه القصة ؟ ... على أن المعلم في مدارس البنات ، قلّما يُعنى بالنظر إلى وجوه تلميذاته ، ولعله لو سُئل الرأيَ في تفضيل واحدة على واحدة من بناته في هذا الباب ، لأخطأ الرأي والنظر ، ولكانت أدَمُّ الدميمات هي عنده الجميلة التي لا تباريها واحدة ولا تقاربها ؛ فإن طول العشرة ودوام المخالطة خليقٌ بأن يلوّن رأيه بلون غير اللون الذي ينظر به كل رجل إلى كل امرأة ؛ ومن ذلك لم يهجس في نفسي يوماً أن فلانة من تلميذاتي أجملُ أو أدَمُّ من فلانة ؛ وكذلك لم أكتشف ما كان في « قدرية » من جمال وفتنة إلا في تلك الليلة ، وإنها لتلميذتي منذ ثلاث سنين !

* * *

كان ذلك في يوم من أيام الربيع ، وقد تبرَّجتْ الدنيا بزينتها وأخذتْ زخرفها ، ونَضَت الكائناتُ عن سرِّ الإبداع العبقري الذي أودعه فيها الصانع الأعظم !

وكان العام الدراسي في أخرياته ، وقد فرغ المعلّمون أو كادوا مما عليهم من فرائض العلم ، وتأهب التلميذات لواجبهن استعداداً ليوم قريب ...

ورأت المدرسةُ أن تجرى على تقاليدها احتفالاً بانتهاء عام ؛ على أنها رأتْ أن يكون في حفلها هذه السنةَ شيء جديد، محاكاة لمدارس أخرى ، ومساهمة في بعض أعمال البر ؛ فاعتزمت أن يكون احتفالها في مسرح كبير مشهور ، يُدْعى إليه طائفةٌ من أهل البذْل والمعروف ، لتستعين المدرسة بما تجمع منهم على البر بطائفة من الفقراء...

هي سنَّة جديدة سنها بعض القائمين على شئون التعليم فجَرَتْ قاعدة ؛ فلِمَ نتخلَّفُ نحن وقد سبقتْ إلى هذه السنة الجديدة مدارس ؟

وأعدّت المدرسة برنامجاً حافلاً ، فيه تمثيل ، ورقص ، وموسيقى ؛ وما بدٌّ أن تجتمع هذه الألوانُ الثلاثة في كل حفلٍ مدرسي يراد منه أن يغل إيراداً يعين على بعض أعمال البر ... وإلا فماذا تقدِّم المدرسة من وسائل التسلية ثمناً لما تطلب من أهل البذل والمعروف !

وقالت معلِّمةٌ لأخرى : ينبغي أن تكون حفلتنا...

فقاطعتْها الثانية : نعم ، وستكون أفخمَ ما أُقيم من حفلات المدارس في هذا الموسم ... !

* * *

واختيرت الرواية ، وأستؤجر المسرح الكبير ، ودُعي فنانٌ كبير من أهل الكفاية ... ليدرِّب التلميذات على اصطناع شخصيات الرواية، كل واحدة بدورها ، راقصة أو ممثلة !

وطاف المدرِّب بالتلميذات في صفوفهن يختار منهن ذوات الوجوه والأجسام ... الفنية !

واختار « قدرية » لدور ذي خطر ...

وتأبّت الفتاةُ بما في طبيعتها من الحياء وما في دمها من إرث أجدادها ؛ وعجب البناتُ أن تأبى قدريةُ وإن كل واحدة منهن لتتمنى ؛ واستمعت قدرية إلى أحاديث البنات صامتة ، ثم ... ثم قبلت نفوراً مزهوة ، وغلبتها غريزة الأنثى الغيور على ما في دمها من إرث الآباء والأجداد !

ووقف المدرِّب يلقنها ويستمع إليها ، ووقفت هي مصغية تستمع إليه وتحاكيه ، تجهر بصوتها حيناً وحيناً تخافت به ؛

وعرفت من مخارج الصوت ما لم تكن تعرف ، ولانت أعطافها بعد خشونة ويبس ، وأحسنت أن تدورَ على عقبها ، ثم تنثني وتنهض، وأجادت تمثيل اللفتة المتكبرة، والنظرة العابرة، والرَّنوة الآسرة ، ثم تبكي وتضحك في وقت معاً ... ...

وقال المدرب الفنان : يالها من فتاة ! إنها لفنانة موهوبة !

وأطبقت الفتاة جفنيها في حياء وهي تشكر له ، فبدت في كلِّها وحركتها أبرعَ فناً مما ظن مدربُها ... !

ولم يُمانع أبوها وأمها أن تكون ابنتهما راقصة ممثلة ساعة في ليلة من ليالي البر ؛ وأين يبدو لها وجه الاعتراض والمدرسة هي التي اختارتها لذاك ؛ وإن المدرسة لأعرف منهما بمـا ينبغي وما لا ينبغي ؛ وإن عليها وحدها أن تختار لتلميذاتها من وسائل الرياضة والتثقيف ما يؤهلهن للحياة ... !

وجاءت الليلة الموعودة بعد تدريب طويل وإعداد شاق ... وكان على أبواب المسرح الكبير معلمون ومعلمات لاستقبال المدعوِّين ، وغص البهو والشرفات بالآباء والأمهات ، والأصدقاء والصديقات ، و ... والمربين والمربيات ...

وراحت طائفة من التلميذات تجوس خلال الصفوف في ثياب بديعة ومظهر فاتن ، يبعن الزهر والحلوى مما صنعت أيديهن من قبلُ استعداداً لهذا اليوم ومساهمة في أعمال البر ...

... وكانت « قدرية » خلف الستارة بين أيدي الماشطة يهيئنها للظهور ، وأمامها مرآة كبيرة تريها من نفسها ما لم تكن ترى أو تعرف ، وابتسمت ابتسامة الإعجاب والرضا حين رأت وعرفت ... !

وخرجت إلى المسرح مجلوة ملونة كما لم تبد في يوم من أيامها، وانسكبت عليها الأشعة من أربعة جوانب المسرح تشبُّ لونها وتزيدها ملاحة وفتنة ، ووقفت متأهِّبة ...

ورن الجرس ، ثم ارتفعت الستارة ، وضج المسرح بالتصفيق فانحنت في رشاقة وخفة وهي تكشف عن ساق ممتلئة مصقولة كأنما يجري فيها شعاع الشمس ، ونثرت ابتساماتها يمنة ويسرة ترد تحية بتحية ...

ولم يكفَّ التصفيق حتى ارتفع صوتها يغني . . . واستدار بها البنات يرقصن ويغنين ...

وغنَّتْ ورقصت ، وضحكت وبكت ، وتأمَّرتْ ثم ذلَّت ، واستعطفتْ ثم دلَّتْ ، ووعدتْ ثم تأبَّتْ ، ومنعتْ ثم نوَّلتْ ، وقالت عيناها . . . وقالت عيونُ الناس . . .

وكأني لم أر قدرية قبل تلك الليلة ؛ ... لقد بدا لي من جمالها وخفتها ما لم يكن لي به عهد من قبل ؛ أهذه هي ... ؟

ولـما أُسدِلت الستارة في الخاتمة، كان تحت قدميها أكداس من الزهر ؛ وفي أذنيها أنغام من هتاف الإعجاب ؛ ولـكن قلبها كان أحفلَ بمعانيه ... !

وحين لقيها أبوها بعد ، كانت في عينيه دموع ، وطبع على جبينها قبلة ... وأقـلَّتْـها السيارة بين أمها وأبيها إلى البيت وهي صامتة ، لأن معاني ذات خطرٍ كانت تُطيف برأسها ...

ونامت تلك الليلة بين هتاف وتصفيق وأكداس من الزهر : لقد كانت عيناها مغمضتين ولكن قلبها يقظان ؛ وتمثل لهـا في أحلامها كلُّ ما رأت وسمعَت وشعرتْ ، وراحت أحلامها تنسج لها أمانيها ... وتلقَّت الدرسَ الأول في تلك الليلة ، فنسيت به كل ما تعلمت من دروس !

***

لقد ذاقتْ قدريةُ من اللذة الفنية ليلتئذٍ ما لم تذق طوال سنيها التي عاشت ، فشاقها أن تستزيد ...

ولما عادت إلى المدرسة بعد يومين ، وسمعتْ ثناء معلِّميها ومعلماتها ، أجدَّ لهـا ما سمعتْ معانيَ أحست في أعماقها صداها ووجدت فيها غذاء لأمانيها ...

... وتناولت (المجلةَ) التي تعودتْ أن تقرأها في كل أسبوع ، فراحت تمر صفحاتها مُعجلة حتى انتهت إلى صفحة (الفن) فتلبثتْ ، وأخذت تنظر إلى صور الراقصات ونجوم المسرح معجبة متمنية . . . وفي أذنها صدًى بعيد من هتاف النظَّارة وتصفيق المتفرجين ... !

ولـما حان عيد مولدها وأرادت أن تتصوَّر ـ على عادتها في كل سنة ـ لم يحلُ لها إلا وضعٌ واحد تبدو فيه صورتُها ، فلبستْ ثوبها الذي كانت ترتديه ليلتئذ ووقفت ببعضَ مواقفها واستحضرتْ صورةَ ما كان . . . فانطبعت في الورقة صورةٌ من مشاهد ذلك الماضي ، وتمثلتْ في نظرة عينيها تمامُ صورته !

ووقفتْ ذات مساء على باب مسرح كبير من مسارح اللهو تجيل عينيها في إطار كبير يضم شتيتاً من صور الراقصات وربات

للفن ، وطالت وقفتها ؛ ثم انصرفت ؛ وفى الليلة التالية كانت جالسة فى الصف الأول من بهو المسرح تشهد التمثيل وحدها ، ليس معها أحد من ذويها ؛ واستطاعت فى ختام الليلة أن يكون لها رأى فيما شهدت من ألوان الفن وفى عيوب الممثلين وغلط الراقصات ... !

وفى الصباح كانت جالسة إلى بعض زميلاتها فى حوش المدرسة تحدثهن حديثاً طويلاً عن عيوب الفن المصرى فى الرقص والتمثيل والغناء ، وتشخّص العلة وتصف الدواء ؛ وأمّن صديقاتها على ما قالت ؛ فما تشك واحدة منهن فى أن من حق قدرية أن يكون لها رأى فى الرقص والتمثيل والغناء ؛ وإنهن ليسمعن من حديثها كل يوم ما يشهد بكفايتها وسعة معارفها فى تلك الفنون ... !

وتلقت قدرية بعد الدرس الأول دروساً كثيرة ، فى المسرح والسيما ، والصحف ، والكتب ؛ وما نسيت مع كل أولئك شيئاً مما رأت فى تلك الليلة التى كانت . . . لقد استقرت فى أعماقها أصداء الهتاف والتصفيق الذى سمعت ليلتئذ ... ورنين كلمات الإعجاب والرضا التى وعتها أذناها ، وصورتها بين الأشعة الملونة تنسكب عليها من جوانب المسرح وتحت قدميها أكداس الزهر ... وبقى كل أولئك فى نفسها مشهداً حياً كأنها ما تزال بين أشعته وألوانه ، فإنها لتجد لتذكُّره لذة فنية تحبب إليها حياتها وتجدد لها فى كل يوم أمانيها ...

* * *

وانتهى عهدى بقدرية وانتهى عهدها بى ؛ فقد أتمت دروسها بالمدرسة ومضت لشأنها ؛ وتصرمت سنون ... ونسيت أمرها وما كان ...

... وفى ليلة من ليالى الصيف الماضي ، دعوت أهلي إلى سهرة فى بعض ملاهى الإسكندرية ؛ قصدَ التسلية والرياضة . ووقفتُ بباب الملهى العائم بين الأمواج المصطخبة ، أقرأ البرنامج المنشور على الباب وأشاهد الصور ؛ ورأيت صورة ، فهجس فى نفسى هاجس لم يلبث أن تلاشى ...

ودخلنا ، واتخذنا مقاعدنا على مقربة من المسرح ... ومضت لحظات ، ثم رن الجرس ورفعت الستارة ؛ وتتابعت المشاهد فنوناً توقظ الفكر وتجلو صدأ النفس وتُسرى عن الهموم ؛ وفجأة برز أمامى مشهد رائع ... يا لله ... ! من كان يظن ... ؟ هذه تلميذتى قدرية ... !

وبدت لى فى مثل هيئتها التى رأيتُ أول مرة على المسرح الكبير فى القاهرة منذ سنوات ...

ثوب منفوش ، كأنما اجتمعت أجزاؤه من أوراق الزهر ، يكشف عن ساق ممتلئة مصقولة، كأنما يجرى فيها شعاع الشمس، وانحنت فى رشاقة وخفة ، وهى تنثر ابتساماتها يمنة ويسرة ، ترد تحية بتحية ، والمسرح يضج بالتصفيق والهتاف باسمها الجديد الذى سمعتُه لأول مرة فى تلك الليلة ...

وغنت ورقصت ، وضحكت وبكت ، وتأمرت ثم ذلت ، واستعطفت ثم دلت ، ووعدت ثم تأبت ، ومنعت ثم نولت ... وقالت عيناها ... وقالت عيون الناس ... وقالت لى نفسى ...

وانتثرت أكداس الزهر على قدميها، وأسدلت الستارة...!

ليت شعرى ، هل كانت قدرية فى أوّليتها تتوقع هذه الغاية التى انتهى إليها أمرُها ؟

وهل كانت خواطرها تخيّل لها هذا المصير الذى بلغته ، يوم كانت تجلس مجلسها من الصف الأخير فى حجرة الدراسة ؟

وهل ... وهل عَرف من عَرَف : كم بين الدرس الأول والدرس الأخير ... وأين ما بدأ مما انتهى ... ؟

* * *

وانفض السامر ، وتهيأ أهلي للانصراف وما زلت فى مجلسى أفكر ، ثم نهضت؛ فإنى لألتمس طريقى فى الزحام على الباب إذ حانت منى التفاتة فرأيت ؛ فتنحيت عن طريقى ، وقلت للتى بجانبي : تفضلى ! وكانت سيدة ورجلها وبينهما طفل؛ أما السيدة فأعرفها ؛ فما تخفى علىّ ملامح تلميذة من تلميذاتى مهما باعد بيننا الزمان؛ وأما الرجل فزوجها؛ هكذا يعرف كل من يراه ويراها ؛ وأما الطفل...

... هذه فتاة أخرى من تلميذاتى تبرز لعينىّ فجأة بعد غياب سنين ... هذه واحدة و (تلك) واحدة ...

ليت (تلك) التى توارت خلف الستارة منذ قريب قد رأت ما رأيتُ لعلها تعلم ماذا باعت وما اشترتْ !

وشيعتُ (الأسرة السعيدة) بعينىّ ثم ارتد نظرى إلى الوراء لأشيّع الأخرى ...

وكأنما اجتمعت لى هاتان الصورتان فى زمان ومكان ليشغلنى أمرهما من بعدُ ما يشغلنى ، فلا أزال أسأل نفسى كلما حضرتنى الذكرى : أيهما خير ... ؟

محمد سعيد العريان



الجندى المجهول

[عن مجلة العصبة البرازيلية]

كم بين ملايين الجنود الذين التهمتهم الحرب العالمية الماضية من اختفت آثارهم فلا صليب يدل على رفاتهم ولا دمعة تذرف على تربتهم . أولئك هم الجنود المجهولون الذين تركوا أهلهم وأحباءهم وبذلوا دماءهم من أجل أوطانهم فإذا هم بعد حين شئ ضائع فلا ذووهم يعرفون مثواهم ولا وطنهم يعلم مصيرهم

على أن ذلك الجندى المجهول الذى فرض عليه الواجب الوطنى التضحية فقضى غير مذكور قد لقى بعد موته تكريماً لتضحيته لم ينله الأبطال واحتراماً لذكراه لم يظفر به الشهداء . رفعت له الأنصاب التذكارية الضخمة ، وأقيمت له الأضرحة الرمزية البديعة فأصبحت مزاراً رسمياً يتوارد إليه الناس ليذكروا البطل المنسى ويؤمه الملوك وأصحاب الشأن ليمجدوا التضحية

ومن هو الجندى المجهول ؟

« هو ابن كل الأمهات اللواتى فقدنَ أبناءهن ولا يعرفنَ مثواهم »

هذا هو تعريف « الجندى المجهول » الذى اصطلحوا عليه بعد الحرب . أما الفكرة فمبعثها فرنسا ، وهى اليوم أنصابٌ وأضرحة ترمز إلى التضحية الصامتة وتمثل الشرف الوطنى

فى سنة ١٩٢٠ أصدرت حكومة الوزير جورج ليغ القرار التالى :

مادة أولى — يتناول شرف « البانثيون » رفات أحد الجنود المجهولى الهوية الذين ماتوا فى ساحة الشرف فى خلال ١٩١٤ — ١٩١٨

مادة ثانية — يُدفن رفات « الجنـدى المجهول » تحت قوس النصر

وتم تنفيذ ذلك القرار باحتفال رائع حضرته هيأة الحكومة وقواد الحرب وقد كتب على الضريح العبارة التالية :

« هنا يرقد جندى فرنسى مات من أجل الوطن ١٩١٤ — ١٩١٨ »

واقتفت الدول الأخرى التى اشتركت فى تلك الحرب أثر فرنسا ، ففى بلجيكا ضريحان أحدهما للجندى المجهول الفرنسى والآخر للجندى المجهول البلجيكى وكتب على الأول :

« هذا الضريح يضم رفات جندى فرنسى صرع فى بلجيكا (ناحية إيبر) فى غضون ١٩١٤ — ١٩١٨ على عهد الملك ألبر . إكرام بلجيكا للجندى الفرنسى المجيد »

وكتب على الآخر :

« هنا يرقد جندى مجهول بذل حياته فى سبيل الوطن ١٩١٤ — ١٩١٨ »

وفى قصر وستنمستر بلندن الذى يضم رفات ملوك انكلترا وعظماء رجالها تقرأ على قبر الجندى المجهول الكتابة التالية :

« تحت هـذا الحجر يرقد رفات جندى انكليزى مجهول الاسم والرتبة جُلب من فرنسا ودفن هنا بين رفات أعاظم رجال الوطن يوم تذكار الهدنة فى ١١ نوفبر ١٩٢٠ باحتفال وطنى كبير حضره جلالة الملك جورج الخامس ووزراء الدولة وقائد حربيتها . بهـذا يُذكر الرجال الذين بذلوا فى خلال الحرب الكبرى ١٩١٤ — ١٩١٨ كل ما يستطيع امرؤ أن يبذله : الحياة نفسها من أجل الله والملك والوطن والأهل والمنزل والامبراطورية ، وأخيراً من أجل قضية العدل المقدَّسة ، وحرية العالم »

وفى مقبرة كرنستون بالولايات المتحدة كُتب على ضريح الجندى المجهول ما يلى :

« هنا يرقد بشرف ومجد جندىٌ أميركانى لا يعرفه غير الله »

وفى إيطاليا بُنى ضريح الجنـدى المجهول إلى جانب نصب رومة، وهذا ما كتب عليه :

« جندى مجهول » — سليل شعب باسل ومدنية ألفيّة ، ثبت بلا وجل فى الخنادق ، وبرهن على بطولة فى أدمى المعارك ، ووهب حياته ولا أمل له إلا النصر من أجل عظمة وطنه — ٢٤ أيار ١٩١٥ — ٣ نوفبر ١٩١٨ »

وفى فارسوفيا عاصمة بولونيا يحمل قبر الجنـدى المجهول العبارة التالية :

« هنا يرقد الجندى البولونى الذى مات من أجل الوطن »

وفى البورتغال كتب الكلام التالى :

« من البورتغال الخالدة بحراً وبراً إلى جنديها المجهول الذى مات من أجل الوطن فى الحرب الكبرى ١٩١٤ – ١٩١٨ »

وفى جنينة كارول برومانيا أقيم قبر الجندى المجهول ، وكتب عليه :

« هنا يرقد الجندى المجهول ، الذى ضحى بنفسه فى سبيل الوحدة الرومانية . إن رفاته مدفون فى أرض رومانيا الكبيرة ١٩١٦ – ١٩١٩ »

وفى يوغوسلافيا على جبل أولفالا الذى يبعد نحو ستة عشر كيلومتر عن العاصمة بلغراد ، أقيم القبر الذى يضم رماد الجندى المجهول وكتب عليه :

« إلى الجندى المجهول الذى لم يعرف رسمياً »

وفى مستشفى براغا مصلّى تاريخى قديم أقام فيه التشاك قبر جنديهم المجهول الذى مات فى معركة زبوروف ، حيث انتصرت شرذمة تشاكية على الروس وأسرت منهم ألف جندى

بماذا تستهوى المرأة الرجل ؟

للشعب الأمريكانى ولع بالإحصاءات الغريبة، والإحصاء التالى قامت به لجنة من محبى الاستطلاع بعد ملاحظات واختبارات استغرقت شهرين فى مختلف المدن الأميركانية

إن الرجال ، بناء على الإحصاء المذكور ، يستهويهم فى المرأة الأعضاء والأشياء التالية :

من ألف رجل ٥٥٠ رجلاً يستهويهم فى المرأة سيقانها، و٢٠٠ عيناها، و ١٠٠ عنقها، و ٤٠ ملابسها، و ٣٠ يداها، و٣٠ زينتها، و٢٠ محفظتها، و١٠ شعرها، و٥ حذاؤها أما الخمسة عشر الباقون من الألف فهم الذين يتغلب عليهم الذهول فيمرون بالمرأة فيرونها دون أن يلفت أنظارهم شىء فيها

صناعة الجمال

« إن الصناعة الوحيدة التى لم تصبها الأزمة المالية بسوء هى صناعة الجمال التى يدعمها الجنس اللطيف ويحييها بنفقاته الهائلة ، ففى الولايات المتحدة تنفق النساء على من يجملهن ٤٥٠ مليون دولار أو ٢١٫٨٠٠ مليون فرنك سنويا .

وهذا إحصاء رسمى لا مبالغة فيه ، فكم تنفق النساء إذاً فى العالم كله ؟ فى أوربا ما أنفقت النساء قط على أدوات الزينة ما ينفقنه فى أيامنا .

أما هذا الإسراف فسببه الرئيسى الحرية الواسعة النطاق التى تتمتع بها المرأة فى عصرنا والتى تجعلها أقل تصوناً من ابنة جنسها الماضية .

ولكن هل نساء اليوم أجمل من نساء الأمس ؟ وهل فى وسع النساء أن يصرن جميلات ؟

فجوابى على السؤال الأول : أن الجمال يختلف باختلاف النظر والذوق ؛ فمن الناس من يفضلون الورد على كل أنواع الرياحين ، وفيهم من يفضلون أحقر الأزهار على الورد . وإنما لا ينكر أن المرأة العصرية قد استطاعت أن تحافظ على رونق جمالها حتى فى كهولتها بأساليب التجمل الحالية

أما جوابى على السؤال الأخير فينحصر فى « لا » لأن جمال المرأة لا يتوقف على مظهرها الخارجى بل على جمال نفسها أيضاً ، فليست هى كالإناء الذى ينحصر جماله فى شكله الخارجى وقد يكون فى داخله عشاً للحشرات »

شىء عن المكروبات

ليس للمكروبات على الإجمال ألوان خاصة وإنما يمكن صبغها لأجل درسها وفحصها ، وتعتمد على الأكثر المواد الأنيلية . والمكروبات فى ذلك تماثل الخيوط والأنسجة، فمنها ما لا يقبل بعض الألوان أو يقتضى عناء كبيراً وزماناً معيناً لقبولها ، ومنها ما يأخذ اللون بسهولة وسرعة، ومنها ما يصطبغ بلون دون غيره وطرق تلوين الميكروبات لتميزها ومعرفتها بدقة أصبحت علماً قائماً بذاته وعليها قامت مهارة كوخ العالم الألمانى بإظهار كيفية صبغ باشلس السل

لا بد للمكروبات لكى تتوالد وتنمو من بيئة موافقة وغذاء ملائم . وهى تُبذر وتزرع كما يُبذر ويُزرع النبات فى مستنبت

سائل أو جامد . والحرارة ضرورية لحياتها ونموها ؛ وأصلح درجة للجراثيم المَرَضية حرارة قريبة من حرارة الحيوان الذى يصاب بها وهى نحو الدرجة ٣٧ فوق الصفر ، ومنها ما يعيش فى جليد القطب الشمالى .

والبحاثون قد يعوّدون الميكروب درجة لم يكن ألفها من قبل . وربّ ميكروب لا ينمو إلا بدرجة ٣٩ لكنه لا يموت إلا بدرجة ٥٤ وبزره بدرجة ١١٠

أما البرد فهو أقل فتكا بالميكروبات، فخمير الجعة يتحمل درجة ٩٠ تحت الصفر دون أن يفقد خواصه التخميرية وبزر الجمرة أى مرض الطحال والبثرة الخبيثة يبقى حياً عشرين ساعة بدرجة ١٣٠ تحت الصفر غير أن ميكروبه نفسه لا يقوى عليها فإن لم يمت يفقد قوته

للنور تأثير كبير فى الميكروبات فهو أكبر عدو للجراثيم وقد تحقق الجراثيميون فتك النور بميكروب الجمرة وبزوره أيضاً الذى يموت بعد ثلاثين ساعة على تعريضه لنور الشمس ، وبنور الشمس أضعفوا الميكروبات إلى درجة جعلتها لقاحاً واقياً . أما ميكروب السل فإذا سلط نور الشمس عليه فيموت فى منبته بعد ساعتين ، وفى البصاق بعد ٤٨ ساعة ، ولكنه فى الظلمة أو الأماكن الرطبة لا يموت إلا بعد أشهر أو سنين

ومتى حلت الميكروبات فى مادة غذائية جزأتها وحللتها وحولتها ولولاها لما كنا نتصور ولا نفهم كيف يتحول عصير العنب إلى نبيذ ويصير مسكراً ، أو كيف يصير الشعير جعة أو كيف تتلاشى الجثث ولا يبقى منها أثر بعد أيام ، فإن الميكروبات قد فعلت فيها ما لم تفعله الكواسر ، فحللتها إلى غازات وتراب

ومن الميكروبات ما تفوح من مستنبته روائح عطرية تميز بها فقضيبات السل مثلاً تولّد فى مستنبتها رائحة ذكية أشبه برائحة السوسن . ومنها ما يفرز مواد ذات لون كميكروب الصديد الأزرق فإنه يولّد مادة براقة ميالة إلى الزرقة

أما نمو الميكروبات وسرعة توالدها فأمر مدهش وقد ترى فى بصقة المسلول الواحدة ملايين من ميكروب السل فالميكروب الواحد إذا وافقته البيئة قد يصبح فى يوم واحد عشرات الملايين

« البقية »



مصر ولغة الضاد

كتب الأمير الجليل « مصطفى الشهابى » وزير معارف سوريا سابقاً مقالاً قيما فى عدد أبريل من (المقتطف) الأغر عنوانه « مصر ولغة الضاد » . والمقال فى مجموعه محاولة طيبة كريمة لإعزاز اللغة العربية . واقتراحات عملية للنهوض بها حتى لا تتخلف عن عصر بلغ التقدم العلمى فيه مبلغاً يقتضى بذل جهد كبير لجعل اللغــة العربية مسايرة للنهضة العالمية الحديثة وما يجدُّ من النهضات

وفى المقال عتب على المصريين (لأن الوسائل المادية والمعنوية التى تيسرت لهم تمكنهم من النهوض بأضعاف الأعمــال التى نهضوا بها حتى الآن فى موضوع اللغة العربية) و (لهذا فالعالم العربى مهما يشكر لهم خدمة لسان الآباء والأجداد ، فهو يراهم مقصرين فى الخدمة)

وهذا العتاب الكريم هو عتاب الأخ الودود ، لا عتاب الخصم اللدود ، وعتاب التمنى لا عتاب التجنى . لهذا استحق هذا المقال الخالص من أمير عربى كريم أن نقف منه وقفة قصيرة على صفحات (الرسالة) الغراء . واختيار (الرسالة) لسببين : أما الأول فلأنَّ سموَّ الأمير أشار إليها فى مقاله لما قرأه فى العدد (٣٤٦) منها من أن فى نية الحكومة المصرية تعزيز المجمع بنحو عشرة أعضاء مصريين ينتخبون من كبار المشتغلين بالبحوث العلمية . وأما الثانى فلأننى رغبت أن أهيئ لمن لم يطالع على مقال الأمير فى المقتطف فرصة فى (الرسالة) حتى يعرف رأى أمير عربى فى نصيب مصر من خدمة اللسان العربى ، وما ينتظر منهم لإتمام الصنيعة ، لو كان فى حفظ تراث الآباء والجدود ما يصح أن يسمى صنيعة

والأمير لا ينكر على بعض الأدباء المصريين اعتدادهم بمــا أتاهم الله من فضل فى الأدب . ولا ينكر على بعضهم أنه غلا فى التمادح وأفرط فى التباهى ، (فمصر جديرة بأن تكون مباءة الأدب ، وخليقة بأن تكون قلب بلاد العرب) . وإذا كان هذا رأى الأمير فى مصر ، فنحن يسرنا ـ لا على سبيل تبادل المدائح ـ أن نقرر أن البلاد العربية كلها تحمل قسطها من النهضة بقدر . ولا ننسى هؤلاء المجاهدين فى الأمريكتين ، فآثارهم فى الشعر والنقد والأدب ، ستضيف ثروة عربية خالدة إلى التراث العربى بعد حين ... ويكفى أن نعد منهم على سبيل المثال : أمين الريحانى وميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضى والياس قنصل والمرحوم جبران خليل خبران ـ على ضعفه اللغوى ـ

وللأمير اقتراح طيب ، وهو اتخاذ قرار حكومى يقضى بأن تكون جميع إعلانات المتاجر مكتوبة بالعربية . وليس فى تنفيذ هذا الاقتراح صعوبة عملية

وينتقد الأمير التعليم فى بعض كليات الجامعة المصرية بغير العربية . وهو انتقاد له وجاهته وخطره ، فإن العربية لم تثبت بعد عجزها عن أن تكون لغة العلم . وليس الكلام هنا ملقى على عواهنه ، فقد أثبت المعهد الطبى فى دمشق صلاح اللسان العربى لتعلم الطب مع التكميل فقط بالفرنسية . ولم يكن قول المرحوم حافظ ابراهيم على لسان اللغة العربية :

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية
وما ضقت عن آيٍ به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسمــــاء لمخترعات ؟
أنا البحر فى أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتى ؟

لم يكن هذا القول خيال شاعر . وإنما هو حقيقة أدركها حافظ المتبحر فى اللغة والأدب

ويشير الأمير إلى (الرسالة الغراء) لما نشرته خاصاً بنية الحكومة تعزيز المجمع بعشرة أعضاء مصريين ، ويشك فى قدرة هؤلاء العشرة على وضع معجم عربى تعرَّف فيه الألفاظ تعريفاً علمياً جامعاً مانعاً كما فى معجم لاروس الفرنسى . وليأذن لنا سموه أن نقول إنه يسيء الظن بهم العلماء من العرب . وإذا كان هؤلاء العشرة ـ غير مسمَّيْن ـ عاجزين عن وضع معجم عربى أفرنكى حديث ؛ فليس معنى هذا أنهم يعجزون عن وضع معجم عربى دقيق . فالأول عمل عظيم يحتاج إلى زمن طويل وصبر طويل وجهاد طويل ، أما الثانى فهو عمل يحتاج إلى قليل من الصبر و كثير

من التنظيم ... فإن واضعي المعجمات العربية – رحمهم الله وأحسن إليهم – كان ينقصهم كثير من « الفن النظامى » لوضع المعاجم.

إنى مع سمو الأمير الجليل فى أن معجماتنا القديمة لا تشتمل على كل اللغة . ولا تعرف الألفاظ العلمية تعريفاً جامعاً . وهذا واضح لمن يبتلى منها كل يوم بهذا التعريف (نبات معروف) أو (حيوان معروف) . والله يعلم أنه مجهول إلى الأبد . . . وأزيد عليه أن معجماتنا رجراجة كالزئبق مطاطة كالكاوتشوك . فبعضها ينكر الفعل (سدل) الثلاثى إنكاراً صريحاً ، وبعضها ينكر الفعل (أسدل) الرباعى إنكاراً صريحاً ويجيز (سدل) الثلاثى إجازة مطلقة والقارئ يقف متحيراً بين الاثنين ... ثم لايسعه إلا أن يستعملهما معاً ، لأنهما صحيحان على التخريجين ... ومن هنا جاءت ظاهرة أسميها (الميوعة اللغوية) أو عدم التماسك . وهذا مشاهد لمن يعانى دراسة العربية أو تدريسها . ولعلى أوفق إلى الكتابة عن هذه الظاهرة فى الآتى من أعداد الرسالة الغراء .

محمد عبد الغنى حسن
أستاذ الأدب بالخديو اسماعيل

فى جمعية هواة الفنون الجميلة بالاسكندرية

ألقى الأستاذ الشاعر عثمان حلمى مساء الجمعة ٥ إبريل الجارى بصالة المحاضرات بجمعية هواة الفنون الجميلة محاضرة تناول فيها الحياة الأدبية فى الاسكندرية خلال ربع القرن الماضى وعرض لكل شاعر وأديب أنتج فى هذه الفترة نتاجاً أدبيا

وقد أعقب الأستاذ المحاضر نخبة من كبار الأدباء فى الثغر فأعلنوا رأيهم فى موضوع المحاضرة وملاحظاتهم على الأستاذ المحاضر فتكلم الأستاذ عبد اللطيف النشار عن الأدباء السكندريين الذين نزحوا إلى القاهرة معتبراً إياهم سكندريين برغم انتقالهم منها، ومعتبراً أدبهم أدباً سكندريا أيضاً

وتبعه الأستاذ محمود عوض البحراوى فعرض لناحية أخرى من الموضوع إذ تكلم عن مدى تقدير عظماء الثغر وأغنيائه للأدب والأدباء محملاً إياهم تبعة ذلك الخمود الذى يلمس فى الحياة الأدبية السكندرية الآن . ثم تكلم الدكتور إسماعيل أدهم فعرض للموضوع من ناحية أخرى حاول أن يقرر بها أن العوامل التى ساعدت على ازدهار الأدب فى الثغر ليست عوامل محلية ، ولكنها عوامل خارجية أتت إليه من سوريا وغيرها من البلدان عن طريق النازحين إلى الاسكندرية من بلاد الشام

وقد حدثت بينه وبين الأستاذ البحراوى مناقشة شديدة فى هذا الصدد أعقبها الأستاذ النشار بكلمة أخرى دعا فى ختامها الدكتور أحمد زكى أبو شادى إلى الإدلاء برأيه فى الموضوع ، فتقدم الدكتور أبو شادى وعرض للمسألة فى أناة وهدوء ، ونوه بما للجو الإسكندرية من تأثير فى وجدان الشاعر ونفسه ، وذكر أشياء من خصائص الأستاذ عثمان حلمى كشاعر سكندرى ، ثم تكلم الأستاذ حسن كامل كلمة ختامية انتهت بها هذه المناقشات الحادة فى هذا الموضوع

وأعقب ذلك حفلة سمر اشترك فيها قسم الموسيقى بالجمعية ، وألقى بعض أدباء الثغر قصائد فى الربيع ، واختتمت الحفلة بالسلام الملكى .

تصويب

جاء فى مقال الأستاذ على الطنطاوى فى عدد الرسالة الممتاز هذا التعبير « يستقرى رمال الدأماء » . فعجبت عجباً يستنفد كل العجب !

ذلك أن يخطىء الأستاذ فى معنى « الدأماء » وهو « البحر » فيضعها موضع بيداء أو دهناء ...

... وسبحان من تفرد بالعصمة والجلال ...

البصرة — محى الدين اسماعيل

بين أما ومهما

إلى الأستاذ الكبير مؤلف « النحو والنحاة »

أجمع النحويون فى إعراب « أمّا زيد فمنطلق » على تأويل « أمّا » بمهما يكن من شىء ، وإنما دعاهم إلى هذا وجود فاء الشرط فى الكلام ... وبحثوا عن فعل الشرط وأداته فلم يجدوهما فأولوا « أمّا » ، بمهما يكن من شىء ، وجعلوا جملة « فزيد منطلق » جواب الشرط ، وهذا تأويل لا غبار عليه من حيث تأدية المعنى

ولكن الذى لا يستساغ هو أن تكون « أما » الحرفية التى لا تركيب فيها كما يدعون دالة على هذا المحذوف كله

ورأيى أنّ أمّا ليست بسيطة وليست دالة على (مهما يكن من شىء كما زعم النحاة) وإنما هى أن الشرطة وما التى بمعنى



المطبوعات العربية القديمة في سنة ١٩٣٩

للأستاذ كوركيس عواد

ظفرت المؤلفات العربية القديمة في سنة ١٩٣٨ بفوز كبير. فقد نُشِرَ منها خلالها طائفة حسنة، لبعضها خطر وأهمية لا يقدران. ولا غرو أن تكون جهود العلماء والباحثين المبذولة في سبيلها أثناء تلك السنة قد جاءت بفتح جديد في مناحي الثقافة العربية، فكُشِفَتْ بعض مخبآتها وكنوزها، تلك الكنوز التي ظلت طوال قرون عديدة بعيدة عن المطابع والانتشار، منزوية في بعض خزائن الكتب، طامسة في ظلام الإهمال والنسيان... أجل! كُتِبَ لتلك الكنوز أن تحيا حياة ثانية، وقدِّر لها أن تلقى من إقبال العلماء والباحثين وعنايتهم ما يستحقون عليهما أوفر الشكر وأعطر الثناء

ثم تلتها سنة ١٩٣٩، فأصابت المطبوعات العربية القديمة في أثنائها حظاً حسناً ونالت حركة لا بأس بها؛ غير أنها لم تكن لتجاري حركة السنة التي تقدمتها. ولعل أوضح الأسباب لهذا التناقص ما كان ناجماً عن الأحوال السياسية المضطربة التي أحاطت بكل المرافق، وأحدقت بجميع المشاريع والأعمال، وبضمنها حركة النشر كما لا يخفى...

ولقد خطر لنا أن نتتبع ما نشرته المطابع من هذه الكتب العربية القديمة خلال السنة المنصرمة، أعني بها سنة ١٩٣٩، فإذا نحن أمام جملة نفيسة منها، تبلغ في عَدِّها نحو خمسة وثلاثين كتاباً، بينها ما يتكون من مجلد واحد، وبينها ما يتكون من بضعة مجلدات، كما أن بينها عدداً آخر يكمل مجموعات أو ينتظم في سلسلة نشرت بعض حلقاتها في سنين ماضية والعمل على إصدار بقيتها لا يزال مستمراً

ونحن على يقين أنه فاتنا من هذه الكتب طائفة، قد تكون غير قليلة، منها ما نشر في المغرب أو في إيران أو في الهند أو في غيرها من الأقطار. ولعل لنا في ذلك بعض العذر: فإن كثيراً من المطابع أو المكتبات أو شركات النشر في البلدان الشرقية تفرِّط أشد التفريط في إصدار الفهارس المفصِحة عن الكتب، ونشر القوائم التي تفي بالمرام وترشد القارئ، من حين إلى حين، إلى ما يصدر من تلك المطبوعات فَتُيَسِّر له طريق الحصول عليها فالانتفاع منها

وعلى ذكر هذا أقول: إن شركات الكتب في البلدان الغربية قد قطعت شوطاً بعيداً في هذا المضمار وأمعنت في تحسين عملها وتنظيمه، فلا يكاد يصدر كتاب من الكتب حتى ترى الإعلانات عنه توزع بجد واهتمام على كل الجهات والأوساط التي يُنتظَر منها أن تهتم له، وترى قوائم الكتب قد أتت على ذكره مُبيِّنة أهم أوصافه، فيقف متصفحها على شيء من أمر هذا الكتاب. وقد يتكرر الإعلان عن الكتاب الواحد، فيأخذ أشكالاً وأساليب مختلفة، فإن لم يصب أحدها المرمى من نشره، فقد يكون من رفيقه ما يؤدي المطلوب...!

هذا من الوجهة التجارية. وهناك في هذا السبيل ناحية علمية محترمة تسمو على هذه الناحية: فقد يعمد بعض العلماء إلى حصر ما نشر في منحى من مناحي البحث والتفكير في أوقات معينة أو غير معينة، فيقفون القراء، بأيسر الطرق وأوضحها، على ما ظهر في العلم الفلاني أو الفن الفلاني من المطبوعات التي لا تقتصر

شيء، وأصلها (أنْ ما) وأن بفتح الهمزة شرطية وهي (إن) المكسورة نفسها كما يرى الكوفيون، ورجحه صاحب المغني بأدلة هي في غاية الوجاهة والقوة، و(ما) نكرة تامة بمعنى شيء... إلا أنه قد بقي أنَّ (أنْ) حرف شرط فلا يليها إلا فعل فأين هذا الفعل وكيف تقديره؟

الجواب أن الفعل محذوف تقديره (كان) كما قدَّره النحاة في (إن خيرٌ فخير) فقالوا التقدير (إن كان خير)

فتقدير (أمّا) - إن كان شيء - فكان تامّة فعل الشرط وشيء فاعلها، والجواب هو الجملة المقترنة بالفاء، فتقدير (أمّا زيد فمنطلق) إن كان شيء فزيد منطلق، أي إن وُجِد شيء فزيد منطلق

لقد وقف الأستاذ الكبير محمد عرفه من النحاة الأقدمين موقف الذّائد الحامي الذمار

فهل يظفرون بدفاعه البارع في موقفي هذا الذي أنقدهم جميعاً فيه. وإني لمنتظر رأيه الفصل

محمود فرج العقده

على الكتب فحسب ، بل تتعداها إلى الرسائل والمقالات أيضاً . وعلى هذا الوجه ينيرون السبيل أمام هؤلاء القراء

وما لنا نذهب بعيداً ، وأمامنا الآن ثلاثة أجزاء من نشرة سنوية جزيلة الفائدة يصدرها المستشرق ماير L. A. Mayer بمؤازرة جمهرة من أرباب البحث ، بعنوان « حولية منشورات الفن والآثريات الإسلامية » Annual Bibliography of Islamic Art and Archaeology وها هو ذا قد أصدر مؤخراً نشرة شبيهة بتلك ، غير أنها تتعلق بالكتب أو المقالات التي ظهرت في فرع « المسكوكات الإسلامية » ، وهي لعمري خدمة تذكر فتشكر. ومثل هذا شيء كثير يصدر في بلاد الغرب، ونحن عن مثله منصرفون !

فتى يا ترى نجد بيننا من ذوي الاختصاص ، من يتقدم إلى زملائه ، من وقت لآخر ، بتصنيف مثل هذه النشرات التي من شأنها أن تفتح أمامهم مسالك البحث ، وتذلل لهم بعض العقبات ، وتجعلهم على علم بما ينشر في الفرع الذي يشتغلون به

وفيما يلي ثبت موجز بالكتب العربية القديمة التي ظهرت في سنة ١٩٣٩ ، وهو كل ما استطعنا الوقوف عليه . وقد كان بودنا أن نصنفها بحسب موضوعاتها، كما هو الأصلح في مثل هذه الشؤون ، غير أنها لما كانت قليلة العدد آثرنا أن نرتبها بحسب تسلسل عنواناتها، مع الإشارة إلى سنة وفاة مؤلفها ما أمكن (١)

١ — الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة : لبدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ) . نشره الأستاذ سعيد الأفغاني (المطبعة الهاشمية ـ دمشق ، ٢٢٨ ص)

٢ — الأحكام السلطانية : لأبي يعلى الحنبلي (٤٥٨هـ) . نشره الأستاذ محمد حامد الفقي (مطبعة مصطفى الحلبي ـ القاهرة، ٢٩٢ ص)

٣ — أزهار الرياض في أخبار عياض : للمقري (١٠٤١ هـ . نشره الأساتذة مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة، ح+٣٧١ص)

٤ — أسرار البلاغة والبيان : لعبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ) . نشرته ثانية مطبعة دار المنار — القاهرة بتصحيح الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ الشنقيطي (٣٦٨ص)

٥ — الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني (٣٥٦ هـ) . المجلد العاشر ، نشرته دار الكتب المصرية في القاهرة ، وهو كسابق أجزائه من حيث العناية بالتعاليق والفهارس (المجلدات ١ — ٩ ظهرت خلال ١٩٢٧ — ١٩٣٦ ، والكتاب لما ينته)

٦ — الإمتاع والمؤانسة : لأبي حيان التوحيدي (٤٠٠ هـ) الجزء الأول . نشره الأستاذان أحمد أمين وأحمد الزين (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة)

٧ — أنساب القبائل العراقية: للسيد مهدي القزويني الحسيني (١٣٠٠) . نشرته المكتبة المرتضوية بالنجف [العراق] (٩٠ ص)

٨ — البداية والنهاية في التاريخ : لابن كثير (٧٧٤ هـ) المجلد العاشر ، مطبعة السعادة — القاهرة (المجلدات ١ — ٩ ظهرت قبل هذا ، والكتاب لما ينته)

٩ — البلدان لابن واضح اليعقوبي (المتوفى بعد سنة ٢٩٢هـ) نشرته المكتبة المرتضوية بالنجف ، ١٣٢ ص

١٠ — بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام : للقاضي حسين بن أحمد العرشي (المتوفى بعد سنة ١٣٣٠ هـ) . نشره العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي ، مع حواش ، وملاحق ، وفهارس ، ومقدمة بالفرنسية (مطبعة البرتيري ـ القاهرة ، د + ٤٤٢ ص)

١١ — بيان مذهب الباطنية وبطلانه (منقول من كتاب عقائد آل محمد) لمحمد بن الحسن الديلمي (ألف كتابه سنة ٧٠٧هـ) نشره المستشرق شتروطمان (R. Strothmann) مطبعة الدولة ـ استانبول ، يه + ١٣٧ ص (النشريات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية ، رقم ١١)

١٢ — تاريخ ابن الفرات : لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ابن الفرات (٨٠٧ هـ) . المجلد الثامن ، نشره الدكتور قسطنطين زريق والدكتورة نجلا عز الدين (المطبعة الأميركية ـ بيروت ، ٢٨٤ ص . في هذا المجلد حوادث السنين ٦٨٣ ـ ٦٩٦ هـ . المجلد التاسع منه نشر في قسمين سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨ ، فيهما حوادث السنين ٧٨٩ ـ ٧٩٩ هـ)

١٣ — تاريخ الطبري : لابن جرير الطبري (٣١٠ هـ) نشره محيي الدين عبدالحميد (٨ مجلدات، مطبعة مصطفى محمد ـ القاهرة)

١٤ — تاريخ اليعقوبي : لليعقوبي (المذكور في رقم ٩) . نشرته المكتبة المرتضوية بالنجف (٣ أجزاء ، ٧١٧ ص)

١٥ — التبصير في الدين : لأبي المظفر طاهر بن محمد

(١) وضعنا بين قوسين سنة وفاة المؤلف ، كما وضعنا « ص » بدلا من « صفحة » .

الاسفرائيني . نشره الأستاذ محمد سليم النعيمي (مطبعة النهضة بنهج باب السعدون — تونس ، ١٨٤ ص)

١٦ — الحيوان : للجاحظ (٢٥٥ هـ) . المجلد الثالث ، نشره الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، بتعاليق وشروح وفهارس (مطبعة مصطفى الحلبي ـ القاهرة ، ٥٨٤ ص . المجلد الأول والثاني صدرا سنة ١٩٣٨ ، والكتاب لما ينته)

١٧ — ديوان ابن الساعاتي : لبهاء الدين أبي الحسن على ابن الساعاتي (٦٠٤ هـ) . الجزء الثاني ، نشره الأستاذ أنيس الخوري المقدسي (المطبعة الأمريكية — بيروت ، ٤٣٧ ص . المجلد الأول صدر سنة ١٩٣٨)

١٨ — رحلة ابن الفقيه إلى نهر الفلجا : لابن الفقيه الهمذاني (المتوفى في أواخر القرن الثالث للهجرة) نشرها على الأصل المستشرق كراتشكوفسكي I. Kratchkovsky في ليدن مع ترجمة ومقدمة وشروح وتعاليق بالروسية . كما أن فهارس الشروح موضوعة بالروسية والعربية

١٩ — رسالة موسيقية : لمؤلف مجهول (قدمها إلى السلطان العثماني محمد الثاني ، الذي حكم أثناء ٨٥٥ — ٨٨٦ هـ) . ترجمها ديرلانجه Baron Rodolphe D'Erlanger إلى الفرنسية ونشر هذه الترجمة (دون النص العربي) في الصفحة ١ — ٢٥٥ من المجلد الرابع من مجموعة في الموسيقى العربي La Musique Arabe المطبوع في باريس لدى الكتبي بول غوتنر

٢٠ — السلوك لمعرفة دول الملوك : للمقريزي (٨٤٥ هـ) . القسم الثالث من الجزء الأول ، نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة مع تعاليق وملاحق وفهارس كلها في غاية الدقة والفائدة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة ، ٥٣٢ ص . في هذا القسم أخبار السنين ٦٧٨ـ٧٠٣ هـ . أما القسمان الأول والثاني من الجزء الأول فقد صدرا في سنة ١٩٣٤ـ١٩٣٦ والكتاب لما ينته)

٢١ - سيرة أحمد بن طولون: لأبي محمد عبدالله بن محمد المديني البلوي (ألف كتابه بعد سنة ٣١٢ هـ) نشره الأستاذ محمد كرد علي مع تعاليق وفهارس (المكتبة العربية ـ دمشق ، ٤٠٠ ص)

٢٢ — صورة الأرض : لابن حوقل (ألفه سنة ٣٦٧ هـ) القسم الثاني نشره المستشرق كريمرز J. H. Kramers . (مطبعة بريل — ليدن ، ٢٨٠ ص . القسم الأول ظهر سنة ١٩٣٨ ، وسيتلوهما الثالث وبه يتم الكتاب . وكان المستشرق دي غويه De Goeje قد نشر هذا الكتاب في ليدن سنة ١٨٧٣ بعنوان « المسالك والممالك » وهو المجلد الثاني من « المكتبة الجغرافية العربية » . إن طبعة كريمرز هي « الثانية » باعتبار طبعة دي غويه كانت الأولى)

٢٣ — طبقات الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء : لعبد الله ابن المعتز (٢٩٦ هـ) . نشره الأستاذ عباس إقبال ، على الأصل ، مع مقدمة بالفرنسية (كمبردج ، ٢٢٦ + 55 + XXXII ص ، مجموعة تذكار جب ، السلسلة الجديدة ، رقم ١٣)

٢٤ — عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : لابن عنبة [وقيل : ابن عنبسة] الحسني (٨٢٨ هـ) . نشرته المكتبة المرتضوية في النجف . ١٢ + ٣٧٠ ص)

٢٥ — الفتحية في علم الموسيقى : لمحمد بن عبد الحميد اللاذقي (قدمها إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني الذي حكم أثناء ٨٨٦ ـ ٩١٨ هـ) . ترجمها ديرلانجه إلى الفرنسية ، ونَشَرَ الترجمة هذه (دون النص العربي) في الصفحة ٢٥٧ ـ ٤٩٨ من المجلد الرابع من مجموعه في الموسيقى العربي (المذكور في رقم ٢٠)

٢٦ — كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة : لابن أبي الفضائل الحمادي اليماني (من أهل القرن الخامس للهجرة) . نشره الأستاذ عزة العطار مع مقدمة للشيخ محمد زاهد الكوثري (مطبعة الأنوار — القاهرة ، ٤٤ ص)

٢٧ — اللباب في تهذيب الأنساب : لعز الدين بن الأثير (٦٣٠هـ) الجزء الأول ، نشرته مكتبة القدس بالقاهرة، ٥٩١ص

٢٨ — لسان العرب : لابن منظور (٧١١ هـ) . الجزء الخامس . نشره الأستاذ عبد الله اسماعيل الصاوي (مطبعة الصاوي — القاهرة ، ١٨٠ ص . المجلدات ١ — ٤ صدرت قبل هذا ، والكتاب لما ينته)

٢٩ — المجازات النبوية : للشريف الرضي (٤٠٦ هـ) . نشره الأستاذ محمود مصطفى (مطبعة مصطفى الحلبي — القاهرة ٣٤ ص)

٣٠ — المستجاد من فعلات الأجواد : للمحسن التنوخي (٣٨٤ هـ . نشره المستشرق پولي v. Leo Pauly دراسات بنر Bonner الشرقية ، رقم ٢٣ (٢٦ + ٢١٣ ص)

٣١ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : لابن تغري بردي (٨٧٤ هـ) . المجلد السابع ، نشرته دار الكتب المصرية

بالقاهرة ، ٤٦٦ ص (المجلدات ١ – ٦ صدرت خلال ١٩٢٩ – ١٩٣١ ، والكتاب لما ينته)

٣٢ – نخب الذخائر فى أحوال الجواهر : لابن الأكفانى السنجارى (٧٤٩ هـ) . نشره العلامة الأب أنستاس مارى الكرملى ، مع تعاليق وملاحق وفهارس ومقدمة بالفرنسية (المطبعة العصرية القاهرة ، ١٨٨ ص)

٣٣ – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : للمقَّرى (أنظر رقم ٣) . المجلد العاشر ، نشره الدكتور أحمد فريد رفاعى ، بتعاليق الأستاذ يوسف نجاتى ، مع الفهارس . القاهرة (المجلدات ١ – ٩ ظهرت قبل هذا ، والكتاب لمَّا ينته)

٣٤ – النقود العربية وعلم النُّمِيَّات : هى مجموعة رسائل عربية فى هذا الموضوع ، نشرها العلامة الأب أنستاس مارى الكرملى ، مع تعاليق وملاحق وفهارس ومقدمة بالفرنسية . (المطبعة العصرية – القاهرة ، ٥٢٩ ص) تتألف هذه المجموعة من :

(١) كتاب النقود : للبلاذرى (٢٧٩ هـ) . وهو فصل من كتابه « فتوح البلدان »

(٢) كتاب النقود القديمة الإسلامية : للمقريزى (أنظر رقم ٢١) وهى الرسالة التى طبعت سابقاً غير مرة بعنوان « شذور العقود فى ذكر النقود »

(٣) تحرير الدرهم والمثقال والرطل والمكيال ، وبيان مقادير النقود المتداولة بمصر على مقتضى ما حدد بدار الضرب سنة ١٢٥٦ هـ لمصطفى الذهبى الشافعى (من أهل القرن الثالث عشر للهجرة)

(٤) أقوال ابن خلدون (٨٠٨ هـ) فى النقود الإسلامية (نقلاً عن « مقدمة ابن خلدون »)

(٥) أقوال القلقشندى (٨٢١ هـ) فى النقود الإسلامية (نقلاً عن كتابه « صبح الأعشى »)

٣٥ – نهاية الأرب فى فنون الأدب : للنويرى (٧٣٢ هـ) المجلد الثالث عشر ، نشرته دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ٢٧٧ ص (المجلدات ١ – ١٢ صدرت خلال ١٩٢٣ – ١٩٣٧ والكتاب لما ينته)

***

هذا ما تيسر الوقوف عليه ، وكان بودنا أن نذكر فى هذا المقام بضعة كتب أخرى اطلعنا على أسمائها فى بعض القوائم أو المجلدات ، غير أنه لم يشر لدى الكلام عليها هنا لك إلى سنة صدورها ، مما جعلنا فى ريبة من صحة نسبتها إلى سنة ١٩٣٩ ؛ ولما لم تصل إليها يدنا فى الوقت الحاضر ، فقد اضطررنا إلى تركها على غير رغبة منا . ولعل بين القراء الأفاضل من يقوم بإكمال ما فاتنا منها أو ما لم يتأتَّ لنا الوقوف عليه ، وله منَّا أبلغ الشكر

« بغداد » كوركيس عواد



8me Année No. 355

Lundi - 22 - 4 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٥٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ ربيع أول سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٢ أبريل سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـرس

فى سبيل الأزهر الجديد

من بشائر الأمل فى النهوض ودلائل الثقة بالفوز أن النفوس الشابة مهيأة لدعوة التجديد ورسالة الإصلاح ؛ فهى كالأرض الطيبة تشتمل على مذخور الحياة وموفور البذر ثم لا تنتظر غير الفلاح والغيث

منذ أخذنا على بعض العلماء اشتغالهم بالمراء الباطل والبحث العقيم ، ووقوفهم عند المماحكة فى اللفظ والمماياة بالاعتراض ، وتركهم أصول الدين تشتجن عليها الأضاليل والبدع ، والرسائل تنثال علينا من شباب المراغى فى أقسام الأزهر وكلياته يشايعوننا على الرأى ويسألوننا أن نزيد .

و(شباب المراغى) تعبير لم نضعه، وإنما وجدناه فى جميع الرسائل التى أُلقيت إلينا ؛ فهو إما إلهام جاء من اتحاد النية، وإما اتفاق أُبرم على إرادة الإصلاح .

***

نعتقد مخلصين أن الأزهر إذا استكمل أداة التعليم وساير حاجة العصر نهض بالشرق نهضة أصيلة حرة ، تنشأ من قواه وتقوم على مزاياه وتتغلغل فى أصوله . ذلك لأن ثقافته المشتقة من مصدر الوحى وقانون الطبيعة متى اتصلت بتيار الفكر الحديث تفاعلت معه وهو فيكون من هذا التفاعل ما يريد به الله تجديد

دينه وكفاية شرعه وإدامة ذكره .

كذلك نعتقد مخلصين أن رجعة الأزهر إلى ماضيه البعيد خير له وللناس من جوده على شأنه الحاضر . والرجعية لا يمكن أن تكون فى منطق الطبع سبيلاً إلى التقدم ، ولكنها فى نظام التعليم الأزهرى خرق لهذا القانون لا ينكره العقل . ذلك لأن رجعية الأزهر معناها العودة فى استنباط الدين إلى منابعه الأولى من صريح الكتاب وصحيح السنة ، وفى فقه الأحكام إلى مثل كتابى الأم والرسالة للشافعى ، وفى تعليم النحو إلى كتاب سيبويه وخصائص ابن جنى ، وفى تدريس البلاغة إلى كتب عبد القاهر وأبى هلال . وفائدة هذه الرجعية الخلوص من أمثال الجمع والهمع ، وما حشد الأعاجم فى عصور الشروح والحواشى والتقارير مما أفسد الملكات وأفند[1] العقول وصرف الأذهان عن جوهر الدين ولب العربية وسر البلاغة

***

إن الدين الإسلامى ينفرد عن سائر الأديان باعتماد دعوته على الأدب وقيام معجزته على البلاغة . فإذا حثر[2] ذوق العربية فى رجاله بما قمش[3] السكاكى والفنرى وملا جلبى من الغثاء والمراء ، تقطعت الأسباب بينهم وبين محمد فضلوا سبيله وجهلوا علمه . فالدين الإسلامى والأدب العربى متلازمان تلازم المعنى واللفظ أو الفكر والأداء . ولا يتسنى لرجل الهداية والإصلاح أن يبلغ دعوة محمد إلا إذا تمكن منهما تمكن الجاحظ والزمخشرى ومحمد عبده ورشيد رضا والمراغى . أما المضمضة بالألفاظ الاصطلاحية والجمجمة بالجمل المعقدة على أنها هى العلم والأدب ، فتطور إلى العكس لا يجوز أن ينتج إلا ما نحن فيه

***

من الطبيعى أن ينشئ هنا الكلام فى ذهنك هذا السؤال فتلقيه علىّ : إذا كان المراغى أجدر الناس بإصلاح الأزهر كما نعتقد ؛ وكان شباب الأزهر راغبين فى هذا الإصلاح مؤمنين بقدرة شيخهم عليه كما نرى ؛ فما الذى يعوق هذا الإصلاح ويعارض هذه الرغبة ؟ ... والجواب المفصل عن هذا السؤال يقتضى شيئاً من الصراحة لا تحتمله بعض النفوس فيما أظن . فإذا وقفنا عند الأسباب الظاهرة المباشرة قلنا إن إصلاح الأزهر لا يمكن أن يتم فى سنتين أو فى أربع ، لأن مِلاك هذا الإصلاح منوط بأمرين اثنين : أحدهما إعداد المعلم ، والآخر تأليف الكتاب

فأما إعداد المعلم فيقوم على أن يكون متمكناً فى علوم الدين وصاحب ملكة فى الفقه ، وأن يكون متبحراً فى فنون العربية وصاحب قريحة فى الأدب ، وأن يأخذ بعد هذا وهذا من ثقافة الغرب بأوفى نصيب . وهذا الإعداد على هذه الأساس لا يؤتى ثمره قبل عشر سنين إذا أخذوا منذ اليوم يتنخلون ممن تخرّجهم أقسام التخصص المختلفة فى كل سنة نوابغ الفقهاء الأدباء ، ثم يبعثون بهم إلى جامعات انجلترا وفرنسا وألمانيا ليبلغ كل منهم أقصى الدرجات فى العلم الذى أخصى فيه . ولك فى الأساتذة البهى وماضى ومحمد يوسف موسى شاهد صادق على فضل هذا الإعداد وأثره

وأما تأليف الكتاب فلا يتيسر إلا بعد إعداد المعلم ، لأنه هو وحده الذى يدرى كيف يؤلفه ويدرّسه . ومتى توفر للأزهر المعلم والكتاب فى ظل هذه الإدارة البصيرة صح لك أن تقول : « إن مصر ظفرت بجامعتها الصحيحة التى تُدخل المدنية الغربية فى الإسلام ، وتجلو الحضارة الشرقية للغرب ، وتصفى الدين والأدب من شوائب البدع والشبه والركاكة والعجمة »

***

ذلك فيما نعتقد ما كان يعنيه صاحب الجلالة المغفور له الملك « فؤاد » حين قال لأحد كبار العلماء : « إن أنجع الوسائل فى إصلاح الأزهر أن يغلق عشر سنين ثم يفتح من جديد »

وذلك فيما نعتقد أول الإصلاح الأزهرى وآخره . وما دام التعليم الدينى قائماً على براعة المعلم فى حل المعميات وخلق الاعتراضات ، وإمعان الكتاب فى الاستطراد والاستغلاق والحشد ، فهيهات أن يتجدد الأزهر وإن شيد بالرخام وفرش بالطنافس وأنير بالكهرباء !

احمد حسن الزيات

(١) أفند العقول : أضعفها
(٢) من قولهم : حثر اللسان إذا لم يجد طعم الطعام
(٣) قمش الشيء : جمعه من ههنا وههنا

٤ ـ في أرجاء سينـــــاء

للدكتور عبد الوهاب عزام

وفى يوم الثلاثاء رابع عشر ذى الحجة خرجنا إلى حديقة الدير فدخلنا إلى ساحة ذات أشجار اتخذت مباءة لغنم الدير ، رأينا فيها عدة من الضأن والمعز معها سخالها ، ورأينا فى جانب الحديقة ناقة معها فصيلها ، وهى لحمل ما يجلب إلى الدير . وهناك بئر واسعة قريبة الماء

ثم دخلنا إلى ساحة صغيرة فيها قبور قليلة هى مزرعة الموتى؛ فأما حصاد هذه المزرعة ففى حجرة واسعة متصلة بهذه المقبرة . فى هذه الحجرة أكداس من الجماجم والعظام قد رتبت وصنفت، فالجماجم على حدة، وعظام الأذرع على حدة، وعظام الأرجل على حدة، لم تختلط كما توجس أبو العلاء فى قوله :

لا يغيّركم الصعيد وكونوا فيه مثل السيوف فى الأغماد
فعزيز علىّ خلط الليـــالى رمّ أقدامكم برمّ الهوادى

ذلكم أن موتى الدير يدفنون فى المقبرة الصغيرة ثم تستخرج العظام بعد حين فتجمع فى مكانها وتخلى الأرض لمن يفد إليها من وفود الموتى المتتابعة على مرّ العصور

ربّ لحد قد صار لحداً مراراً ضاحك من تزاحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين فى قديم الأزمان والآباد

ثم خرجنا من دار الفناء والعبر فدخلنا إلى حديقة واسعة فيها أنواع من البقول وضروب من السرو وأشجار الفاكهة ، تسق من آبار فيها ، ومما يجلب إليها من آبار داخل الدير

وحديقة الدير مرأى جميل فى حضيض الجبال الشاهقة المشرفة عليها

الى جبل موسى

الجبل العظيم المطل على الدير من الجنوب يسمى جبل موسى ويقال : إنه الجبل الذى تلق فيه موسى عليه السلام الألواح .

تواعدنا الخروج إلى الجبل بعد الظهر ، فسار الرفاق يدلهم أحد الرهبان ، فخرجوا من باب صغير فى حديقة الدير إلى الجبل ليصعدوا زهاء ثلاثة آلاف درجة منحوتة فى الحجر أو مرصوفة، وللجبل طريق أخرى على مقربة من الدير تصعد على السفح متعرجة إلى ثلثى الجبل ، ويستطيع الجمل أن يصعد فيها . وقد آثرت أنا هذه الطريق ، فركبت جملاً ، وسار صاحبه يقوده . فأما الجمل فاسمه درويش ، وأما صاحبه فاسمه حميد من أولاد سعيد

صعدنا زهاء خمسين دقيقة ، وأنا مشفق على هذا الحيوان السهلى يكلَّف هذا المرتقى الصعب ، بل سفينة الصحراء التى تسام صعود الجبال .

وكان بينى وبين صاحب درويش حديث ممتع :

قلت : ما تسمي هذا الذى أركب عليه ؟ قال: الغبيط، والذى تحته البدار ، وقد وضعت الغبيط على بدار الحمل ، لأنى جئت بدرويش إلى الدير محملاً ، وما حسبت أنه يركب . قلت : الغبيط بلغة أهل مصر ما يحمل فيه التراب ونحوه على الدابة ، ولكنه فى الشعر القديم كما تقول . قال : هذا الخشب المكسوّ الذى يركب عليه هو الغبيط ، والبدار هذه الحشيّة التى توضع تحت الغبيط . قلت : فما تسمى هذا الحزام الذى على صدر الجمل ؟ قال : هو البطان قلت : صدقت . ويقال فى المثل التقت حلقتا البطان والحقب . فما الحقب ؟ وهل تسمى الحزام الخلفى حقباً؟ قال : لا ، هو الحبك . قلت فى نفسى : ليس هذا بعيداً من قياس اللغة وسماعها . ثم قلت : فما الحبل الذى فى يدك ؟ قال : الرسن . قلت : ألا تسميه المِقود ؟ قال : المقود هذه — وأشار إلى طرف الحبل الذى فى يده وقد جعله كالحلقة — قلت : يا حميد ! فما الحبل الذى على خدّ الجمل . قال : العذار . قلت : صدقت . وتذكرت قول أبى الطيب :

فقرّحت المقاود ذفريها وصعّر خدّها هذا العذار

قلت : فأين الغارب ؟ فوضع يده على ما أمام الغبيط من ظهر الجمل ، وقال : والكتَب هـذا ؛ ووضع يده على ما يلى العنق . قلت فى نفسى : الذى عرفناه فى اللغة الكاثب وجمعه كواثب ، كما قال النابغة :

لهن عليهم عادة قد عرفنها إذا عرّض الخطىّ فوق الكواثب

قلت : فأين الثفنة ؟ قال : لا أعرف . قلت : ألا تسمى الركبة ثفِنة ؟ قال : لا ، ولكن الدّفنة هـذه . وأشار إلى ما يقع على

الأرض من رجل البعير الخلفية إذا برك . فقلت فى نفسى : قد قُلبت الثاء ذالاً فى لغة حميد وقومه

ثم سألته عن نبات مررنا به حتى قلت : أهنا ثُمام ؟ قال : لا ، ولكن فى وادى كذا ثمام كثير . قلت : نحن نقرأ فى كلام القدماء : « هذا الشيء على أطراف الثمام » . قال : نعم ، كذلك نقول إذا كان الشيء كثيراً قريباً ، لأن الثمام قصير . قلت : أفادك الله يا حميد

قال حميد : لا يصعد الجمل بعد هذا الموضع . فنزلت وربط هو درويشاً ؛ وسار معى يدلّنى الطريق إلى حيث يصعد المتوقل إلى القمّة . فشينا زهاء خمس دقائق ، فنادى : هؤلاء أصحابك . فرأيت جماعة من الرفاق قعدوا من الإعياء ، فعرّفونى أن جماعة خلفهم وآخرين سبقوهم إلى القمّة . شرعت أصعد فى درج متمهّلاً أقرأ بين الحين والحين على الصخر ما كتبه أحد الرفاق السابقين من كلمات تواسى الصاعد وتحرّضه على المثابرة ، وبعد نصف ساعة بلغت القمة

على القمة فجوة بين الصخور قال دليلنا الراهب : إنها حيث رأى موسى الملَك . وهناك كنيسة صغيرة جميلة على جدرانها صور متقنة تمثل ما يدور حول هذا المكان من ذكريات منها صورة تمثل موسى يتلقى الشريعة من الله تعالى

وفى جانب من القمة مسجد ساذج جدرانه غير معالية وسقفه غير محكم وأرضه غير مفروشة . قالت نفسى : هذه أمارة على إهمال المسلمين أمورهم ، فخطر لى أنه مع هذا أمارة على يسر الإسلام وقربه إلى الفطرة . وبجانب المسجد عند حافة القمة غار صغير يُهبَط إليه درجات قليلة فيه أثر نار . يقول العامة : إنه حيث أقام موسى أيام الوعد ، وإن هذه النار من آثار ذلك الزمان

وتشرف هذه القمة العالية على جبال وأودية كثيرة ، ومناظر بعيدة وقريبة ، وتسمو بجسم الإنسان وروحه حتى يكاد يتوهم أنه من طير الجو أو سكان السماء

أقمنا قليلاً ثم شرعنا نهبط وأمامنا الراهب لم يعيَ بالصعود والهبوط على كبر سنه (وكل امرئ جار على ما تعوّدا)

ما زلنا نهبط ثم نهبط ؛ كلما رأينا وادياً فى الجبل قلنا قاربنا الأرض ، فإذا بلغناه وجدناه قمة عالية تشرف على مهاوٍ أخرى بعيدة . وتشرف المخارم فوقنا عالية عاتية مهيبة ملساء صمّاء ، ونشرف نحن على مُهوًى سحيقة وأودية بعيدة ، دواليك حتى غربت الشمس وطلع القمر متمهلاً فوق الجبل الشرقى كأنما أصابه من الإعياء ما أصابنا . ثم أشرفنا على الدير وقد بلغ منا التعب مبلغه فتحاملنا حتى هبطنا إلى مستوى الدير بعد ساعة ونصف من مفارقة القمة .

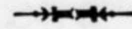
(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

على هامش الأبحاث النفسية والفلسفية

أساليبنـــا فى البحث

وعلام تعتمـــد ؟

للدكتور محمد البهى



كتبت مرة فى مجلة أزهرية كلة حول تطور فكرة « الشر » فى القصص الميثلوجية Mythology والأبحاث الفلسفية ، وكيف دخل كثير مما قيل فيها من آراء فى شرح ما جاء فى الديانات السماوية السامية من التعبير « بالشيطان » على لسان المفسرين المعقليين Rationalisten

فكتب « باحث » آخر يلاحظ أن كلمتى اشتملت على « غموض وإبهام » ، وأنى قد « أطلت من غير داع » ، وأن « كل اعتمادى على الفكـر الخيالية » ، ولم تكن « لمقدمتى الطويلة كبير فائدة تذكر للمسلمين وغيرهم» . وليتنى « إذ تعرضت للفلسفة أتيت منها بما يستند إلى البرهان العقلى أو التجربة والمشاهدة كما هو أساس الفلسفة الحديثة التى انتهت إلى إثبات الأرواح المجردة علوية وسفلية . ولكنى لم أفعل ، بل أتيت بما هو منقوض بنفس الفلسفة الحديثة التى انتهى إليهـا تفكير الفلاسفة المصريين فى أبحاثهم »

وهكذا كان « بحثه » مملوءاً بمثل هذه الأحكام والملاحظات . وقد ختمه بأن وعدنى « بالمناقشة باعتبار أنى مسلم »

مثل هذا الكاتب ليس بالقليل ، وطريقته فى البحث غير مجهولة . وهو فقط مثل جزئى لظاهرة تطبع تفكير الكثير من « باحثينا » وكتابنا

لهذا لا أقصد من كلمتى هـذه سوى شرح تلك الظاهرة وتحليلها من ناحية البحث التاريخى الفلسفى ، وإرجاعها لحالة معينة من الحالات العقلية التطورية للجماعة من وجهة البحث البسيكولوجى

كثيراً ما نقرأ « للباحثين » أمثال هذه العبارات : ما أقوله (أنا) حق ، أو هو الحق الصراح ، أو واضح وضوح الشمس فى رائعة النهار . وما تقوله أنت (للخصم) باطل ، أو غامض مبهم ، أو لا يستند إلى الواقع ولا إلى العقل والمنطق ؛ والحس ينكره والتجارب لا تؤيده ... ... الخ

هل وضع مثل هـذا الكاتب مقياساً علمياً مجرداً عن التأثر الشخصى لمعرفة الحق والباطل ؟ هل اتخذ فاصلاً من الأساليب اللغوية لتبين النص والصراحة والوضوح من اللبس والاحتمال والأبهام ؟ هل أراد من الواقع الواقعَ الذى له اعتبار عام ، أم ذلك الذى يدركه هو من أفق ومحيط ؟ هل أراد بالعقل العقلَ الإنسانى ، بغض النظر عما لـكل فرد من ثقافة وعادات وعن الفروق الفردية والبيئية ، أم أراد به الشـائع المعروف كالذى يحكيه الفارابى عن المتكلمين فى زمانه من أنهم كانوا يقولون : هذا يقبله العقل ، هذا لا يسلم به العقل ، ويقصدون بالعقل الشائع المتعارف بينهم ، وبذا فهموا المنطق الصورى خطأ واستخدموه خطأ كذلك؟ ماذا قصد من الحس وأى شىء أراده بالتجارب؟ أأراد بها ما يتعلق به خاصة أم أراد تلك التى تكوّن قواعد العلوم العامة ؟

هذه أسئلة يعلق العلماء على جوابها الفصل بين بحث وبحث . فإذا كان الباحث متأثراً بشخصه فى وضع « مقياس » الحقيقة سمى القياس شخصياً . وعليـه فالذى يجعل من ثقافته الخاصة ، وواقعه الخاص ، وعقله وعاداته الخاصة ، ونظرته الخاصة فى الحياة مقياساً للبحث كان مقياسه شخصياً

والباحث الذى يبعد كل هذه العوامل الشخصية فى البحث عن الحقيقة يكون قد قصد إليها متجرداً ، وتكون حقيقته التى وصل إليها حقيقة مجردة وعلى قدر تجرده فى بحثه مما هو شخصى يكون ظهور حقيقته ناصعة ، أى لم يسدل عليها أى غشاء شخصى لا دخل له فى ما هيتها الذاتية

والمقياس الشخصى اعتباره بالنسبة إلى الشخص الذى وضعه فحسب؛ فلا تلزم نتائجه غيره ولا تبنى عليه أحكام عامة . أما القياس المجرد Objective فاعتباره عام ، لأن تجرده من الأثر الشخصى يبعد عنه نزاع الأفراد ويحمل كل فرد (تقريباً) على الاعتراف به ، ولهذا تكون لنتائجه وأحكامه قوة القوانين والمبادىء العامة

وقد كان الشخص نفسه فى القديم معيار المعارف والعلوم ، متخذاً ذاته أساساً لبحث الحقيقة والحكم على التصرفات والسلوك الإنسانى بأحكام خلقية ، فما تخيله حقيقة فهو حقيقة (فى الواقع)

وما وقع حسنه فى نفسه فهو حسن (فى الواقع) . وأصبحت المعرفة لذلك عبارة عن حقائق شخصية ، وأصبح الشىء الواحد له أكثر من حقيقة . ولم يلبث أن أصبحت هذه الطريقة مذهباً فلسفياً عرف بالمذهب الشخصى Subjectivism كما عرف أتباعه بالشخصيين (وهم السفسطائيون فى العهد الأول)

ومع أن الفلاسفة الذين جاءوا بعد السفسطائيين ، مثل أفلاطون وأرسطو حاولوا التدليل على أن « حقائق الأشياء ثابتة » أى غير متعددة تبعاً لتعدد الأفراد ، وغير متغيرة لما بينها من منافرة وفروق بحكم هذا التعدد ، ووضعوا لتعرفها قانوناً عاماً يسمى آلة العلوم ومعيار العلوم وهو المنطق الصورى ؛ ومع أنهم وصوا بعدم إقحام العادات والعقائد الدينية فى البحث لم تخلص معارفهم ولا الأحكام التى كونوها عن الله ، والعالم ، والإنسان — وهى فلسفتهم — من التأثر بثقافتهم الخاصة ، وبيئتهم الخاصة ، ونظراتهم الخاصة إلى الحياة ، وهى ما نلمسها فى الفرق بين فيلسوف وفيلسوف

اتجه التفكير بعد ذلك ، وهو البحث الفلسفى ، إلى الإمعان فى الفصل بين المؤثرات الشخصية ، والنظر إلى الأشياء على ما هى عليه فى الأبحاث العلمية ؛ أو بعبارة أخرى مال إلى تجريد المقياس الذى يتخذ أساساً للبحث من الخصائص الفردية . ولم يستطع العقل « الحر » أن يسير خطوة فى تحقيق هذه الرغبة إلا منذ عصر النهضة ؛ أى بعد أن أخذت شعوب أوربا تتحرر من سلطان الكنيسة

وقد كان لموقف الإسلام تجاه الأبحاث الفلسفية منذ القرن التاسع الميلادى إلى القرن الثانى عشر أثر كبير فى التشجيع على عملية الفصل هذه . فبينما كانت الكنيسة فى الغرب تفرض أن تكون العقيدة الكنسية المبدأ الذى يأخذ منه البحث مجراه ، كان المسلمون فى الشرق ، ثم فى الغرب أيضاً يبحثون فى فروع الفلسفة المختلفة ؛ فى الطبيعة والرياضة حتى فى المسائل الإلهية ، والأبحاث النفسية الخلقية ، فى جو مملوء فى عمومه بحرية البحث وأنتج من فلاسفة المسلمين من استطاع أن ينتج . ووصلت فلسفتهم مميزة الفروع ، أى لم يراع فى بحثها مبدأ واحد كمبدأ العقيدة مثلاً ، إلى أوربا عن طريق أسبانيا

فلما احتك العقل الأوربى الراغب فى التخلص من الجولان حول نقطة واحدة ، نقطة العقيدة، بالعقل الشرقى الإسلامى الذى لم يتحكم فى تفكيره اتجاه خاص ، ازدادت رغبته فى بحث الكون من الكون نفسه ، فترك العقيدة جانباً ، أى ترك أهم عامل من العوامل التى تؤثر فى بحث الشخص والتى تجعل مقياسه العلمى شخصياً ، وعمل على تخلية نفسه من كل اعتبار آخر غير اعتبار « الحقيقة » لذاتها

وكان ديكارت أول فلاسفة عصر النهضة الذى نفذ هذه الرغبة فى صورة منظمة كاملة . ثم نحا كثير من الفلاسفة نحوه وهو العمل على وضع مقياس علمى مجرد عن الأثر الشخصى ، مقياس objective ، ولم يكن اختلافهم الذى بدا فى مذاهبهم المنسوبة إليهم اختلافاً فى وجوب اعتماد المعارف الإنسانية وفى حاجة يقينيتها إلى مثل هذا المقياس ، بل كان فى كية الشروط وفى كيفها التى تحقق مثل هذا المقياس المنشود

وإذن أصبحنا نرى فى تاريخ الفكر البشرى مقياسين للمعارف: المقياس الشخصى، والآخر غير الشخصى (المجرد) ، ونرى كذلك لإنتاجه طابعين : الطابع الشخصى والطابع الذى يتعدى الفرد والشخص

والتفلسف لم يقم ـ منذ أن قام ـ إلا لإيجاد المقياس غير الشخصى ، وإلا لأن يطبع أبحاث الإنسان وعلومه بطابع الاعتبار العام كى يتخذ منها أساساً واضحاً ، بعيداً عن النزاع الفردى ، فى إرشاد الإنسان نفسه وفى تمكينه من السيطرة على بيئته ، وبالتالى فى تقريب أفراد الجماعة الإنسانية بعضهم من بعض وفى تكوين ما يسمى « بالعقل الإنسانى »

والفلسفة فى بدئها ونهايتها ، وفى قديمها وحديثها ، لم تعمل لغير هذه الغاية . وما يبدو فى معارف الإنسان الأولى من خيال أو وهم أساسه استخدام المقياس الشخصى فى بحثها ، وما يبدو فى علومه الآن من عقل ومنطق أساسه التقرب بقدر ما يمكن من المقياس الثانى ، والتخلى بقدر المستطاع عن العوامل الشخصية فى البحث

وعلماء النفس حينما نظموا الأبحاث النفسية الحديثة ، فرضوا « للجماعة » نفساً كنفس الفرد سواء بسواء ، وطبقوا عليها لذلك مظاهر التطور النفسى من طفولة فراهقة فرشد وبلوغ

وجعلوا من مميزات الطفولة « الأنانية » أو ما يسمى « بأنا » لأن الطفل فى أحكامه يصدر عن « ذاته » وليس عن الواقع المجرد من شخصه ونفسه . وجعلوا من مظاهر المراهقة الوقوف

بين بين، إذ أحكامه وتصرفاته defoss غير واضحة المصدر . ولذا نراه يعيش كثيراً فى الخيال الذى لا يمت إلى الحقيقة الراهنة بصلة وثيقة . وأحياناً يساير الواقع ؛ ولكنه فى خياله ملك ممتع ، وفى حقيقته إنسان ضعيف يكثر البكاء والملل من هذه الحياة ؛ لأن القلم الذى يسطر به فى صحف الخيال لا يقدر على متابعة الكتابة فوق صخرة الواقع . وجعلوا من مظاهر الرشد أو النضوج ربط التصرف بالواقع ، وعدم إقحام المؤثرات الشخصية فى الحكم عليه ، والنظر إليه « بعين الحقيقة » لا بعينه هو

وكذلك حكموا على الجماعة فأطلقوا عليها جماعة ساذجة، أو لم تزل بعد فى دور الطفولة ، إذا كانت تجعل الفردية أو الشخصية أساس المعرفة ؛ وحكموا عليها ببلوغ طور المراهقة إذا حاولت الفصل بين الشخصى والواقع ، وببلوغ طور الرشد والنضوج إذا اتجهت فى أبحاثها نحو الواقع أكثر من تأثرها بالعوامل الشخصية

وعلى هذا فالتفلسف ، أو بحث الإنسان العقلى داخل الجماعة البشرية ، يمثل دور الطفولة فى الوقت الذى كان يسيطر فيه المذهب الشخصى Subjectivism ، ويحكى دور المراهقة فى الزمن الذى بدت فيه الرغبة إلى الفصل والعمل على تنفيذ تلك الرغبة . وفى عصرنا الحديث يدخل فى دور الرشد والنضوج لأن السائد فى أبحاثه مذهب الـ objektivism

هذا عرض تاريخى موجز لأساليب البحث فى القديم والحديث بالنسبة للفلسفة والتفلسف ، وفى أطوار نمو الفرد وتدرج الجماعة فى التفكير من الوجهة البسيكلوجية .

وفى ضوء هذا نعود إلى هؤلاء الباحثين ، أمثال ذلك الباحث «الألمانى»، الذين تتصل أحكامهم صلة وثيقة بذواتهم، وتتكون مما لهم من ثقافة خاصة ونظرة خاصة فى الحياة لنقول لهم : إن هذه الأبحاث ما دام مصدرها « أنا » وغايتها « أنت » سوف يكون اعتبارها شخصياً لا تؤدى نصيباً فى الإنتاج الفكرى العام .

ثم إلى هؤلاء الأقلاء الذين يسلكون فى أبحاثهم طريق « العقل الكلى » ، عقل الإنسانية — لا ذلك العقل الجزئى — لنقول لهم أيضاً : عليكم وحدكم يتوقف توجيه أمتنا فى حياتها العقلية وعليكم وحدكم يتوقف مستقبل التفكير فى مصر والسير به إلى طور الرشد والنضوج !

محمد البهى
دكتوراه فى الفلسفة وعلم النفس
من جامعتى برلين وهامبورغ

مزامير للنفس العربية !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

١ — خمائر المهد الأول

نحن الآن فى قلب الجزيرة ... فى جاهليتها الأولى ، التربة بمعانى طفولة البشرية التى تملأ الحياة شعراً وتهاويل وأوهاماً ...

نخوض فى بحر من الرمال يغلى بالحرارة ، ويبسط على الجلود لفحات من لظى تصيب الأجسام بقشعريرة من بحران الحمى التى تصهر الأجسام ، وتجعلها جمرات مشبوبة المشاعر ، ثائرة المناصر ، حديدة المزاج ، مكشوفة الرماد عن الطبع الخالص والفطرة الصريحة ...

ننقل الخطا على تراب آبائنا الأولين ، ونبحث فيه عن عظامهم التى غابت فى التلال والرجام ...

ونشم فيه دماءهم التى ابتلعتها الرمال المتعطشة أبدا مع ما ابتلعت من دموع الغمام ...

ونحدق فى الأضواء والظلمات إلى صورهم التى طبعت فى ألواح الأثير مع ما صبغته الشمس والكواكب من الأضواء والظلال ... ونتسمع إلى أصواتهم التى فنيت فى الصمت المطلق ...

فتطالعنا من وراء الغيب أشباح لها وجوه سمراء ، حادة النظرات ، دقيقة الأنوف ، عريضة الجباه ، عليها سيما الكبرياء والاعتداد ، وسهوم العزلة والتفرد ...

يمتصون حرارة الصحراء ، وينضحونها دماء حارة ، وحرية حمراء ...

ويصيدون النغم الذائب فى الأجواء ، ويصوغونه شعراً منثوراً ومنظوماً ببيان يقتحم الآذان ، ويلقف المقول ...

ينشدونه فى هياكلهم المبنية بجدران من جبال ، وأعمدة من نخيل فارعات كالمردة ...

ويتغنون به فى مواسم الحب والحرب على حواف الآبار ، وشواطئ بحار السراب والآل ...

ويقيمون للبيان أسواقاً يعرضون فيها لعب الجن بأرواحهم

وقلوبهم وألسنتهم ، ويتركون أنفاسهم خالدة فى ألفاظهم ميراثاً محفوظاً لمن يأتى بعدهم ...

منثورون فى صحرائهم محجوبون بها عن عيون الأمم الطامحة كأنهم جن متخفية فى عالم بعيد ...

سيوفهم شائلات كأذناب العقارب يضربون بها دفاعاً عن الحرمات ، وعشقاً للحريات ، وشراء للشرف والمكرمات ...

إبلهم تهدر فى صمت الصحراء بأصوات كالأمواج المحبوسة والزلازل المكتومة ...

تسيل بها الأباطح راقصة برقابها البيض والسود ورؤوسها الصغيرة ذات العيون الساهمة ...

يحدو لها إنسانها بأصوات صادرة من قلوب عميقة تيّمها الحب والشوق الأبدى ، وجرحها الفراق الدائم فى سبيل الرعى والانتجاع وحب الأسفار والفرار من ثأر أو لإدراك ثأر . . .

يظعنون بها قوافل ، عنق جمل فى ذيل آخر ، فى خطوط طويلة ترتسم على الآفاق فى الأماسى والأسحار والضحوات والأصائل .. تحسبها أشباحاً ضالة تهيم فى خيال شاعر ...

حتى إذا وصلوا إلى شواطئ الحضارة فى الشمال أو الشرق أخذوا حاجتهم المحدودة من أسواقها ، وتسقطوا أخبارها ، ثم عادوا بُجُر الحقائب بركب موسوق تمربد قلوبهم من الشوق إلى الحبائب اللواتى هن النعيم العزيز الوحيد للقلب العربى الذكى المحروم والخيام تخفق فيها هبوات الريح على الرُّبا والتلاع ، أمامها نيران موقدة تنادى بضوئها عيون الضالين للغرق فى أمواج البيد والظلمات ...

والنيران راقصة عارية تنازلها عيون الرجال من بعيد ...

والصبية والجوارى يرقصن ويغنين بأصوات فيهـا أنغام محدودة مكررة ...

وتحمل النسائم أصواتهن إلى آذان الخيل فترقص فى حماسة وخيلاء ...

ثم يفنى كل هذا فى صمت الصحراء !

***

أمة اندمجت فى الطبيعة ، وغابت فيها بأشخاصها ، وعبدت مظاهر القوة فيها ، وتسمى أفرادها بأسماء الجماد والنبات والوحش فقالوا : أسد وذئب وكلب وثعلب ونمر ويربوع وحجر وحنظل وجندب ومرة وزهرة وأنف الناقة ...

ووضعوا قلوبهم على كل شىء فيها يتحسسون نبض الحياة ، كما يعلق الفنان المستغرق قيثارته على الأغصان يتسمع بها إيقاع الريح ووسوسة الحصى واصطفاق الأمواج ...

ثم خلعوا من أوهامهم الشاردة على الحجارة صوراً وتماثيل لمسوها بأيديهم وعبدوها فى غيبوبة فكر وثوران قلب وقلة علم والكهنة والعرافون — وهم الأذكياء منهم — اختلطت فى نفوسهم رُؤَى الكون المبهم ، وهم محرومون من تعليل العلم وهدى النبوات ؛ فصارت الحياة أمامهم رموزاً وألغازاً شردت نومهم وجعلتهم يهيمون فى أرض عبقر مع الجن والخفاء والخوف وصرخات الإنسان الضائع الفريد ...

***

هؤلاء هم خميرتنا التى انحدرت منها إلينا عناصر ورواسب فى الدماء وخصائص فى الأعصاب ...

نزلت فى موجات وأنسال وأجيال إلى الهلال الخصيب فى العراق ووادى النيل وجنات الشام فى أدوار يعرفها التاريخ القديم ...

هؤلاء هم الذين دائماً تلدهم الجزيرة الولود ، ثم تقذفهم على أحضان بناتها و « داياتها » : العراق والشام ومصر . ليخففن عنها الحمل ويتعهدن ما تلد ...

هؤلاء هم الذين كانوا يلفحون دائماً ضعف أوطاننا بالقوة ، ومرضها بالصحة ، وتعقيدها بالبساطة ...

هؤلاء هم الذين ولدوا الفراعين من عهد « مينا » فى مصر ، والأشوريين والبابليين فى العراق ، والفينيقيين فى الشام ؛ وهم الذين عمروا العالم القديم ...

هؤلاء هم الذين ولدوا ابراهيم أبا أنبياء العالم المتحضر ، فأخضعوا أشرف ما فى الحياة لسلطانهم الروحى المتجدد على أيدى موسى وعيسى ومحمد

هؤلاء هم الذين اكتسحوا فى موجتهم الكبرى جميع الفروق التى كانت بين أبناء ما يحيط بهم وطووا الجميع فى الدين الواحد واللغة الواحدة والعادات الواحدة

وهؤلاء لا يزالون يعمرون بوادى الجزيرة محتفظين بحياتهم

مبعثاً لقوتنا وتخليداً لدمائنا واحتفاظاً بميراثنا وبياناً لمراقتنا في الحرية والمساواة والعزة والفطرة

فواجبنا أن نلقى بيذورنا وغراسنا الناشئة إليهم في دور من أدوار التربية والتكوين لتتصل الطبائع بينابيع القوة ... فنجعل الحياة معهم فترة من الزمن فرضاً محتوماً على الشباب من جميع أقطار الوطن العربي ... فإن هذه الحياة الحرة القوية الصريحة الطبيعية سوف تترك خمائرها وآثارها في مقاومة الضعف والخنائة والبعد عن منطق الطبيعة وأسلوب الفطرة

وكما أن حياة البحر جزء من تكوين الإنجليزي فكذلك يجب أن تكون حياة البادية جزءاً من تكوين العربي حيثما كان. فالإنجليز يعتزون بحياة البحر وبالأخلاق المكتسبة منه كالصبر ومواجهة الصعاب والاعتداد بالنفس وحب الرحلة والكشف... فيجعلون الخدمة في الأسطول أمنية الأماني أمام الشباب

وكذلك يجب أن يعتز العربي بحياة البادية والخدمة في « أسطول الصحراء » ؛ فإنها تترك نفس الآثار والنتائج التي تتركها خدمة البحر في النفس

إن العربي بقوامه المشوق الذي ليس فيه ترهل وفضول، وبمجموعته العصبية القوية، وبملامحه الحادة ومنطقه السريع المحكم المبين، وبشهامته وكرمه وشجاعته وتقاليد فروسيته، وشاعريته - ثروةٌ عظيمة تغنى الناس بكثير من الأخلاق التي يفتقدونها الآن فلا يجدونها . وقد صارت له صورة رمزية شعرية في أذهان الأمم يحيط بها إطار من هذه الأخلاق

وهو إن كان في باديته معدوداً من الإنسان البُدائي فإن اختياره هذه الحياة وتجميلها بصفات ربما لا يحظى بشرفها غيره من سكان العالم المتحضر، قد جعل الأمم تنظر إليه نظرة خاصة غير النظرة التي يأخذون بها من هم في مستواه الاجتماعي والاقتصادي في البوادي والحواضر

***

في قلب الجزيرة الآن دولة هي معجزة من معجزات هذه الأمة التي طالما ملأت التاريخ بالمعجزات

دولة هي في سلامها وأمنها حديث صامت من أحاديث القدر يرسله في القرن العشرين درساً لمن ملأوا الدنيا قوة ودساتير وشرائع لكفالة النظام والسلام، ومع ذلك لا يزالون مطارَدين من الهدم والفوضى والإجرام

دولة أقامها ووطدها رجل لا يعرف تزويق الكلام ولا مضغ الأحاديث، وإنما عرف الطبيعة والفطرة واستمد من أحكام كتابيهما وميراث رسولها ... فأقام دولة الأحلام التي زعموا أن الذئب رعى فيها الأغنام ...

دولة جددت الطبيعة العربية وأبرزتها في إطار من فن البداوة في القرن العشرين، وجلت ميراثها القديم الذي صار من إيغاله في القدم جديداً طارفاً وبدعاً مستحدثاً ...

وكان لا بد من قيامها في نهضة العرب هذه لرد الإيمان إلى قلوبهم وبعث الحنين في نفوسهم إلى مهدهم الأول وعرشهم الأبدي ... فهي عنوان عريض ودليل جديد على أن أصول حياتهم عريقة واشجة في مناجم الحياة ومنابت الناس ...

فليحتفظ العرب دائماً بخمائر حياتهم وورائات مهدهم الأول مجردة من الوثنيات والجهالات ...

وليسبغوا على الحياة في قلب الجزيرة جواً من فن الفكر وشعر الروح ...

وليفروا إليه فترة من الزمان ليخلعوا عن أنفسهم آثار الحياة في التعقيد والتكلف والضعف الذي يستلزمه الخوض في الطين والحرير والطرق المعبدة التي ليس فيها شوك وقتاد ...

إنما الإسلام في الصحرا امتهد ليجيء كل مسلم أســد !

(القاهرة) عبد المنعم خلاف

فى الاجتماع اللغوى

نشأة اللغــــة الانسانية

للدكتور على عبد الواحد وافى

اختصاص الانسان باللغة ومراكزها

عرضنا فى المقال السابق إلى أهم أنواع التعبير الإنسانى ، فذكرنا أنها ترجع إلى أربعة ضروب :

١ — التعبير الطبيعى عن الانفعال بأمور مرئية ، كتفتح الأسارير وانقباضها ، واحمرار الوجه واصفراره ، ووقوف شعر الرأس وارتعاد الجسم وما إلى ذلك من الظواهر المرئية الفطرية التى تصحب مختلف الانفعالات

٢ — التعبير الطبيعى عن الانفعال بظواهر مسموعة ، كالضحك والبكاء والصراخ . وما إلى ذلك من الظواهر الصوتية الفطرية التى تصحب حالات الفرح والألم والحزن والسرور

٣ — التعبير الإرادى عن المعانى بأمور مرئية ، كالإشارات اليدوية والجسمية التى تستخدم مستقلة أو مع غيرها بقصد الدلالة على المعانى والمدركات

٤ — التعبير الإرادى عن المعانى بظواهر مسموعة ، وهى الأصوات المركبة ذات المقاطع التى تتألف منها الكلمات . وهذا النوع هو الذى تنصرف إليه كلمة اللغة إذا أطلقت

وسنشرح فى مقال اليوم مدى مشاركة الحيوانات للإنسان فى كل نوع من هذه الأنواع الأربعة

تشترك معظم فصائل الحيوان مع الإنسان فى النوعين الأول والثانى من أنواع التعبيرات السابق ذكرها (التعبير الطبيعى عن الانفعالات بمظهريه المرئى والمسموع) . فانفعالات الحيوان ، جسميها ونفسيها : كالجوع والعطش والسرور والفرح والاطمئنان والحزن والاشمئزاز والغضب ... وما إلى ذلك ، يثير كل منها لدى المتلبس به طائفة خاصة من الحركات الفطرية غير المقصودة، وهذه الحركات بعضها بصرى ، أى يصل عن طريق حاسة النظر : كاتساع الحدقة وضيقها ، وبسط الأذنين وخفضهما ، والتكشير عن الناب ، ووقوف الشعر ، وانتفاخ الجسم والأوداج ، والهرب والاختفاء ... وما إلى ذلك ؛ وبعضها سمعى ، أى يتمثل فى صوت يصل عن طريق الأذن : كرغاء الناقة وبغامها ، وصهيل الفرس وقبعه[1] عند نفوره من شىء وحمحمته عند الجوع أو الاستئناس، وشحيج البغل ، ونهيق الحمار ، وخوار البقر، وثغاء الغنم، وزئير الأسد ، وعواء الذئب ، وتضوره وتلململه عند جوعه ، ونباح الكلب ، وضغاؤه إذا جاع ، ووقوقته إذا خاف ، وهريره إذا أنكر شيئاً أو كرهه ، وضباح الثعلب ، ومواء الهرة ، وضحك القردة ، وصرصرة البازى ، وقعقعة الصقر ، وهدير الحمام ، وسجع القمرى، وزقزقة العصفور، ونعيق الغراب، وفحيح الحيات وكشيشها وحفيفها عند تحرش بعضها ببعض إذا انسابت، ونقيق الضفدع ... وهلم جراً ...[2]

وتشترك كذلك بعض فصائل الحيوان مع الإنسان فى التعبير الإرادى البصرى ، وهو التعبير بالإشارة . ويبدو هذا على الأخص لدى الحيوانات التى تعيش جماعات كالنحل والنمل والقردة والبقر والغنم والوعول وما إليها — فقد ثبت أن كثيراً من هذه الفصائل وغيرها تستخدم أحياناً بعض إشارات جسمية للتعبير بشكل مقصود عن بعض شئونها . ففحل الأوعال (الأيل) يستخدم فى أثناء قيادة قطيعه بعض إشارات برأسه وقرونه للوقوف فيقف جميع أفراد القطيع ، وبعض إشارات للسير فيسير جميع أفراد القطيع ؛ ويستحث المتخلفات بأن ينطح كلا منها نطحاً خفيفاً . ويستخدم الأذكياء من الكلاب مع أفراد فصيلتها ومع الآدميين بعض إشارات بالرأس وغيره للتعبير بطريق إرادى عن أمور خاصة ، كأن تمر بأظافرها على الباب ليفطن أصحابها إلى وجودها فيفتحوا لها ، أو تدفع إناء طعامها برأسها للتعبير عن حاجتها إلى الغذاء ... وهلم جرا

وتستخدم كذلك فصائل القردة ، وبخاصة الفصائل العليا منها (الغوريلا والشمبانزيه والجيبون والأورانج — أوتانج) ، وفصائل النحل والنمل بعض إشارات من هذا القبيل . فقد كشف العلامة كوهلر Kœhler عن ظواهر كثيرة من هذا النوع عند فصائل القردة العليا : منها ما يعمله الشمبنزيه حينما يريد أن يرافقه آخر فى طريقه ، أو يرغب أن يعطيه أحد

(١) صوت يردده الفرس من منخره إلى حلقه عند نفوره من شىء .

(٢) أنظر فى هذه الأصوات وغيرها فقه اللغة للثعالبى ص٢٠٩ — ٢١٢ طبعة بيروت

زملائه شيئاً مما فى يده ، أو يطلب نداءه عن بعد : فإنه فى الحالة الأولى يحتك به بخفة ويجذبه من ذراعه محدقاً فيه ومُتقَدِّماً بعض خطوات فى الطريق التى يود أن يسلكاها معاً ؛ وفى الحالة الثانية يمد يده إلى زميله مَدَّ الاستجداء ؛ وفى الحالة الثالثة يمد يده ويقبض كفه ويبسطها كما نفعل نحن فى مثل هذه المناسبة[1] . وقرر الأساتذة فرانكلين وكيربى وسبنسر وبورميستر وهوبير Franklin, Kirby, Spencer, Burmeister, Huber أن كثيراً من طوائف النحل والنمل يستخدم أفرادها ، بعضها مع بعض ، إشارات مقصودة للتعبير بها عن بعض شئونها ، وأن هذه الإشارات تتمثل فى احتكاك بعض أعضاء المتكلم أو أطرافه أو ذؤاباته بجزء من جسم المخاطب بطريقة خاصة . وقام العلامة لوبوك Lubbock فى هذا الصدد بطائفة كبيرة من التجارب ، فتبين له صدق ما ذهب إليه هؤلاء الأساتذة[2]

وأما النوع الأخير من أنواع التعبير التى أشرنا إليها أول هذا المقال ، وهو اللغة بالمعنى الكامل لهذه الكلمة ، أى الأصوات المركبة ذات المقاطع التى تتألف منها الكلمات ، فيظهر أن الإنسان قد اختص بها من بين سائر الفصائل الحيوانية

حقاً إن بعض طوائف الحيوان تصدر عنه أصوات شبيهة فى ظاهرها بهذا النوع من التعبير ، ولكن بالتأمل فى هذه الأصوات ، يتبين أنها عارية من خصائص اللغة فى صورتها الصحيحة ، وأنها ترجع إلى فصيلة أخرى من فصائل الأصوات . وسنعرض فيما يلى لأهم ما يبدو عند الحيوان من هذا القبيل ، معقّبين على كل مظهر منها بما يبين وجوه الفرق بينه وبين اللغة الصوتية بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة

(١) انظر كوهلر : ذكاء الفصائل العليا من القردة صفحة ٢٩٤ وتوابعها (الترجمة الفرنسية) L'Intelligence des Singes Supérieurs

(٢) أنظر :

Ribot: Evolution des Idées Générales, P. P. 66, 67
Lubbock: Ants, Bees, and Wasps
Romanes: Animal Intelligence

هذا ، وقد أنكر بعض العلماء وجود الاشارات ذات الدلالة المقصودة عند الحيوان . ومن هؤلاء العلامة واسمان Wasmann الذى يرى أن كل الاشارات الحيوانية التى يخيل للانسان أنها من هذا النوع هى فى الحقيقة فطرية ، وأنها لا تدل المخاطب على شىء معين ، بل تقتصر على إثارة نشاطه فى ناحية يحددها العمل الذى سيتلو الاشارة . وتابعه فى هذا أستاذى العلامة دولا كروا (انظر دولا كروا Delacroix: اللغة والفكر ص ٧٥ وتوابعها)

يرجع أهم ما يلفظه الحيوان من هذه الأصوات إلى ثلاث طوائف :

(الطائفة الأولى) أصوات فطرية الأصل يستخدمها الحيوان قاصداً بها التعبير عن بعض شؤونه : كالحمحمة التى يرددها الفرس بشكل إرادى عند رؤية صاحبه للتعبير عن حاجته إلى العلف ، والمواء الذى يلجأ إليه الهر لينبىء به عن جوعه ، والنباح الذى يلفظه الكلب قاصداً به إيقاظ أهل المنزل أو إرشادهم إلى أن شخصاً أجنبياً يحوم حول البيت ... وهلم جرا

وهذه الطائفة ليست فى الواقع من اللغة الصوتية فى شىء وإن أشبهتها فى ظاهرها ووظائفها . وذلك أنها أصوات مبهمة عارية عن المقاطع والكلمات وغير متميزة العناصر . ومن أهم خصائص الكلام ، كما لا يخفى ، اشتماله على مقاطع وكلمات وتميز عناصره بعضها من بعض . هذا إلى أنها فى الأصل أصوات فطرية تصحب الانفعالات ، وأن كل ما يعمله الحيوان حيالها فى هذه الحالة أن يرددها هى نفسها بشكل إرادى للدلالة على نفس الانفعالات التى تعبر عنها فى شكلها الفطرى أو للدلالة على أمور انفعالية قريبة منها (الجوع ، العطش ، الخوف ... الخ) . وأصوات هذا شأنها لا يصح عدها كلاماً ؛ لأن أهم خصائص الكلام أنه أصوات موضوعة للدلالة ، وأنه يعبر عن معان لا عن انفعالات

الطائفة الثانية : أصوات متنوعة تلفظها القردة فى اجتماعاتها بطريقة يتبادر منها إلى الذهن أنها وسائل تعبير إرادى ، وأن أفراد القردة تتجاذب بها الحديث بعضها مع بعض . وتبدو هذه الظاهرة بشكل واضح فى الفصائل العليا من القردة وبخاصة « الجيبون »

وهذه الطائفة كذلك ليست فى الواقع من اللغة الصوتية فى شىء وإن أشبهتها فى ظاهرها ومناسبات استخدامها . فقد ظهر بالبحث فيها أن بعضها تعبير طبيعى عن الانفعال ، وبعضها مجرد ترديد إرادى لهذا التعبير ، وبعضها من ظواهر التداعى الآلى[1] أو العدوى الصوتية[2] أو تقليد الحيوان بطريق

(١) وذلك أن يرتبط الصوت بشىء آخر بطريقة تجعله يظهر بشكل منعكس غير إرادى كلما ظهر هذا الشىء ، وسيأتى بيان ذلك بتفصيل فى الطائفة الثالثة

(٢) تبدو ظاهرة العدوى الصوتية عند كثير من أنواع الحيوان ، وتبدو كذلك عند الأطفال إذا ضمهم مكان واحد . يصوت الوليد منهم فيثير صوته أصوات الآخرين ، ويبكى أحدهم فيبكى لبكائه الباقون : أنظر تفصيل هذا بكتابى « فى التربية » ص ٧٠ وتوابعها

فطرى غير إرادى لأصوات نفسه أو أصوات غيره[1] . — هذا إلى أنها على الرغم من تنوعها ، وعلى الرغم من تشابه أعضاء النطق عنـد فصائل القردة بأعضاء النطق الإنسانية أصوات مبهمة بسيطة عارية عن المقاطع والكلمات وغير متميزة العناصر . ومن أهم خصائص الكلام ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، اشتماله على مقاطع وكلمات وتميز عناصره بعضها من بعض[2]

(الطائفة الثالثة) أصوات مركبة ذات مقاطعة تلفظها بعض الطيور كالببغاء ، وما إليها من الفصائل التى امتازت أعضاء صوتها بخصائص طبيعية تتيح لها إخراج هذا النوع من الأصوات .

وهذه الطائفة كذلك ليست فى الواقع من اللغة الصوتية فى شىء ، وإن أشبهتها فى الظاهر . وذلك أن الطائر لا يقصد بهذه الأصوات التعبير ، فهى تصدر عنه فى ثلاث حالات كلها فطرية آلية عارية بتاتاً عن هذا القصد :

الحالة الأولى : حينما يكون الطائر متلبساً بانفعال جسمى أو نفسى . وهى فى هذه الحالة من نوع التعبير الطبيعى عن الانفعالات : تصدر عن غير قصد ، ويثيرها بشكل آلىّ الانفعال المتلبس به الطائر . وإثارتها مؤسسة على الروابط الطبيعية الفطرية التى تربط أعضاء الصوت بحالات الجسم والنفس بطريقة تجعل هذه الأعضاء تتحرك وحدها بشكل آلىّ أو منعكس ، وتلفظ أصواتاً مركبة ذات مقاطع عند وجود حالة من الحالات الجسمية أو النفسية المرتبطة بها . فهى حينئذ من قبيل الضحك والبكاء وما إليهما من مظاهر « التعبير الطبيعى السمى » وكل ما هنا لك أن التعبير الطبيعى السمى يبدو عند الحيوانات الأخرى فى صورة أصوات بسيطة مبهمة ، ويبدو عند هذه الطيور أحياناً فى صورة أصوات مركبة ذات مقاطع

والحالة الثانية : حينما تكون محاكاة لصوت إنسانى سمعه الطائر . وهى فى هـذه الحالة كذلك تصدر بشكل آلىّ عار عن قصد التعبير بل عن قصد المحاكاة نفسها . وذلك أن هذه الفصائل مزودة بروابط طبيعية تربط جهاز سمعها بجهاز صوتها بطريقة تجعل أعضاء الجهاز الثانى تتحرك وحدها وتلفظ بشكل آلىّ نفس الأصوات التى يحسها الجهاز الأول . فكلما وصل صوت إلى سمعها ، فى ظروف خاصة ، انبعث صداه من أفواهها[1]

(والحالة الثالثة) قد تسمع الببغاء أحياناً كلمات أو أصواتاً فى مناسبة ما فتكررها كلما حدثت هذه المناسبة أو مناسبة أخرى تشبهها بطريقة يتبادر منها إلى الذهن أنها تقصد بها التعبير عن أمر معين : فقد تسمع مثلاً أصحابها ينادون طفلاً باسمه فتكرر هذا الاسم كلما رأت الطفل أو رأت دميته أو متاعاً من أمتعته[2]

وهذه الأصوات كذلك ليست من اللغة فى شىء وإن التبست بها فى بادئ النظر ، وذلك أن الطائر لا يقصد بها ، فى الواقع ، التعبير عن أمر ما ؛ وإنما تصدر منه بشكل غير إرادى على الصورة التى تصدر فيها ظواهر « التداعى الآلى » . فمن كثرة تكرار الكلمة أمام الطائر ، بحضرة الشخص أو الشىء الذى تدل عليه ، يرتبط صوتها بصورة مدلولها ، فينبعث الصوت من الطائر بشكل آلى كلما ظهر أمامه المدلول أو ما يتصل به[3]

هذا ، ولا يمتاز الإنسان بهذا الصدد عن بقية فصائل الحيوان باللغة الصوتية فحسب ، بل يمتاز عنها كذلك بطائفة من المراكز المخية التى تشرف على مختلف مظاهر هذه اللغة : (مركز إصدار الألفاظ ، مركز حفظ الكلمات المسموعة ... وهلم جراً) ... فقد ثبت أن هذه المراكز ليس لهـا نظير فى مخ أى فصيلة حيوانية أخرى ، حتى الفصائل العليا من القردة نفسها .

***

فالبحث فى نشأة اللغة يتطلب إذن دراسة موضوعين اثنين : أولهما نشأة الكلام فى الفصيلة الإنسانية ؛ وثانيهما نشأة مراكز اللغة فى المخ الإنسانى .

وسنعرض لهذين الموضوعين فى المقالات التالية إن شاء الله

علي عبد الواحد وافي
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السوربون

(١) سيأتى شرح هذا فى الطائفة الثالثة

(٢) أنظر فى هـذا الموضوع بحوث الأستاذ Pfungst الذى درس أكثر من مائتى قرد فى حديقة الحيوانات ببرلين ، وبحوث Bouton الذى لاحظ فى أثناء خمس سنوات أدوار نمو قرد من فصيلة الجيبون، وبحوث كوهلر الذى كتب كثيراً فى القردة وبخاصة فى القردة العليا التى ألف فيها كتابه الشهير : « ذكاء القردة العليا » . وانظر كذلك ما كتبه أستاذنا العلامة دولاكروا فى كتابه : « اللغة والتفكير » ص ٢٧ وتوابعها .

(١) أنظر تفصيل هذا الموضوع بمؤلفى « فى التربية » صفحتى ٦٩ ، ٧٠

(٢) من أهم الملاحظات بهذا الصـدد ما دونه الدكتور ولكس عضو الجمعية الملكية بصحيفة العلوم العقلية ، عدد يولية سنة ١٨٢٩ Dr. Wilks, Journal of Mental Science

(٣) أنظر فى هذا الموضوع كتابى الأستاذ رومان « الذكاء الحيوانى » و « الارتقاء العقلى للانسان » . وانظر بحثا بهذا الصدد للعلامة ولكس فى المجلة الفلسفية لسنة ١٨٨٠ Revue Philosophique . وانظر كذلك ما كتبه أستاذى دولا كروا فى كتاب « اللغة والفكر » ص ٧٨

الأمومة عند العرب

للأستاذ رفعة الحنبلي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

وهناك نوع آخر من أنواع النكاح اشتهر به العرب ، كما اشتهرت بالنكاح الوقتي ، أعني به : نكاح الذواق الذي كان يعقد دون شريطة ما، ويحل من نفسه إذا أراد ذلك أحد الطرفين متى لم يجد فيه اللذاذة والتنعم ، ومتى فقد منه الميل والعطف

على أن هنالك بعض أنواع من النكاح كان شائعاً بين العرب في أيام الجاهلية شيوع النكاحين السابقين . جاء عن عائشة زوج النبي العربي : أن « النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء[1] : فنكاح منها ، نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها ؛ ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه[2] ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة منه في نجابة الولد ، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ؛ ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة، كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها ؛ تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان: تسمى من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل[3] ؛ ونكاح رابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن، ووضعت حملها، جمعوا لها ودعوا القافة[4] ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك[5]

(١) صحيح البخاري المجلد الثاني الجزء السابع صفحة ١٥ و ١٦

(٢) « ارسلي إلى فلان فاستبضعي منه » أي برجل من أشرافهم — تفسير القسطلاني

(٣) وهو ما يعرف بتعدد الأزواج Polyandrie

(٤) فسر القسطلاني كلمة القافة « بالذين يلحقون الولد بالآثار الخفية »

(٥) وهو مايعرف بنكاح المشاركة Hétérisme

لم تكن تلك الأنواع من الزواج إلا عادات تأصلت في أخلاق القوم ، وتمكنت من نفوسهم ، فبقيت ظاهرة مدة طويلة بين العرب حتى بعد الإسلام ، وبعد أن هدم صاحب الشريعة الإسلامية نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم ، ذلك أن العرب لم تنههم الأوامر الإلهية ، ولا الشرائع السماوية عن هذه العادات التي ورثوها عن آبائهم الأولين ، جيلاً بعد جيل ، ولم تحملهم دفعة واحدة على التمسك بالزواج الشرعي

تبين لنا مما تقدم شيوع تعدد الأزواج ونكاح المشاركة وغيرهما بين العرب ، إذ لا سبيل إلى معرفة الأب بل ولا حاجة إلى معرفته أبداً ، إذ لم يكن الزواج الشرعي معروفاً ، وإذ كان الولد يتبع أمه ويتعلق بها في جميع أموره ، على أن الرجل أخذ يشعر بالميل نحو طفله ، وبالعطف على ولده الذي كان هو سبب وجوده في هذا العالم ، واشتد ميله إلى الاعتناء به وضمه إليه ، وإلحاقه به ، فنشأ عن هذه الظاهرة الجديدة ، عادة تعين أباً اختيارياً للولد ، معتمدين في ذلك على ظواهر خارجية وعلامات خاصة ، وقد يكون تعين هذا الأب أندر في زواج المشاركة منه في تعدد الأزواج الذي كان يملك فيه بعض الأقارب — أو بالحرى بعض الإخوة — امرأة واحدة. ففي هذه الحالة كان الأخ الأكبر أو من تنتخبه المرأة ، أو من تعينه القافة ، يأخذ على عاتقه تربية وليدها ويتبناه ، كما أنه يعد — غالباً — أباً له، وإن لم يكن في الحقيقة أباه . ولم يأخذ العرب بهذه الظاهرة الجديدة ، إلا بعد شيوع تعدد الأزواج ونكاح المشاركة ، وظهور أول مبادئ الزواج الفردي في المجتمع الإنساني ، إذ أنه لو كان دائماً للولد أب حقيقي أو كان يعين له والد ولو بتلك الطريقة الاختيارية ، لصعب على كل باحث أن يدرك الأسباب التي دعت إلى حصر القرابة في الأم . فكثيراً ما نجد أن الولد في الجاهلية ، ليس له أب حقيقي بل لم يكن أحد يتبناه وهذا ما أدى إلى شيوع الأمومة في العرب أو التمسك بقرابة الأم

ومن الأدلة الواضحة على شيوع الأمومة عند العرب ، قبل قيام نظام الأبوة عندهم ، لفظة « بطن » التي تستعملها العرب حتى اليوم بمعنى العائلة أو القبيلة ، ولا ريب ، أن هذه الكلمة بمعناها الحقيقي تدل — في زمن مضى — على أن المرأة كانت مصدر العائلة ومحورها .

ومن آثار الأمومة أيضاً ، اعتقاد العرب بانتقال الصفات الطبيعية من الرجل إلى ابن أخته ، وإن لم يكن بينهما فى الحقيقة صلة رحم تجمعهما ، وهم إلى ذلك يؤمنون أن الولد ينشأ على غرار خاله ، فى أخلاقه وميوله وعاداته ، دون أبيه ، لأنهم وثقوا بصلة داخلية جد قوية بين الخال وابن أخته ، يوم كان الولد يتبع نسب أمه وينتسب إليها ؛ فكم من أمير من أمراء الجاهلية خلفه ابن أخته فى زعامته ، وورث عنه ألقابه وأمواله ، دون أولاده ؛ لذا كان العرب يفخرون بالخؤولة نخرهم بالأمومة .

وكذلك الرق ، فإنه أثر من آثار الأمومة ، انتقل إلى الإسلام من الجاهلية ، ومن صفاته أن الولد يتبع أمه ، وحالته تتوقف على حالتها ، وهذا ما يعرف عند العلماء بأن « الولد يتبع الرحم » ، بمعنى أنه إذا كانت الأم حرة ، فولدها حر ، وإن تزوجت عبداً ؛ وإن كانت أمة ، فولدها عبد ، وإن كان زوجها حراً . وفى كلتا الحالتين ، يتبع الولد أمه فى حالتى الحرية والرق .

ذكر مؤرخو الأدب ، أن عنترة العبسى ، الشاعر الجاهلى الكبير ، كانت أمه أمة حبشية ، وأبوه من سادات بنى عبس ؛ أنف أبوه أن يلحقه بنسبه ، فجعله فى عداد العبيد ، وكان عنترة عند أبيه منبوذاً بين عبدانه يرعى له إبله وخيله ، فربأ بنفسه عن خصال العبيد ، ومارس الفروسية ومهر فيها ، فشب فارساً شجاعاً هماماً ، وكان يكره من أبيه استعباده له وعدم إلحاقه به ، حتى أغار بعض العرب على عبس واستاقوا إبلهم ، ولحقتهم بنو عبس وفيهم عنترة لاستنقاذ الإبل . قال له أبوه : كر ، يا عنترة ؛ قال : العبد لا يحسن الكر ، إنما يحسن الحلاب والصر ؛ قال له : كر فأنت حر ، فقاتل قتالاً شديداً حتى هزم القوم واستنقذ الإبل .

لا ريب إذن فى أن الأب الحر ، لا يقدر أن يجعل من ابنه ولداً حراً ، إذا كانت زوجه أمة ، ولو كان زواجهما شرعياً ؛ والأم الحرة تستطيع أن تجعل من ابنها ولداً حراً ، ولو كان زوجها عبداً رقيقاً . إن هـذا التفاوت بين حقوق الأرقاء ، إن هو إلا بقية من بقايا الأمومة التى نشأت عنها طبقة الأعيان عند العرب يوم كانت تؤثر نسب المرأة على نسب الرجل ، فى حفظ شرف أسرتها .

يقول المستشرق سميث Smith إن العرب كانت ، فى عصر الجاهلية ، على الزواج الخارجى Exogamie واستشهد على ذلك بما قاله Lenan الذى رد هـذا الزواج إلى العادة التى كانت شائعة بين العرب عن وأد الفتاة أو قتلها مما أدى إلى قلة النساء وزيادة عدد الرجال زيادة بينة ، فاضطر الرجال إلى طلبهن فى غير قبائلهم .

لا ننكر أن بعض القبائل العربية كانت تمارس هذه العادة ، وكانت تئد بناتها بعيد ظهورهن ؛ قيل « كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم فى البادية ؛ وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية — أى لها من العمر ستة أعوام — فيقول لأمها طيبيها حتى أذهب بها إلى أحمائها[1] ، وقد حفر لها بئراً فى الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظرى فيه ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوى البئر بالأرض »[2] وقيل « كانت الحامل إذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة ؛ فإذا ولدت بنتاً رمت بها فى الحفرة ، وإن ولدت ابناً حبسته »

وورد فى أمثال العرب ما يفهم منه أنهم كانوا يرتاحون إلى وأد البنات ؛ من ذلك قولهم : « تقديم الحرم من النعم » ، و « دفن البنات من المكرمات » . أما السبب فى وأد البنات ، فهو إما خوفهم من لحوق العار بهم من أجلهن أو للتخلص من مؤونة تربيتهن[3] أو مخافة السبى والفقر والإملاق ؛ بل كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهن[4] . ولما ظهر صاحب الشريعة الإسلامية ، النبى العربى الكريم ، نهى الله عن هذه العادة وحرمها فقال : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ، نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطئاً كبيراً[5] »

ويقال إن العرب ، قبيل الإسلام ، عدلت عن هذه العادة أو كادت ؛ فقد عرف عن صعصعة بن ناجية أنه كان يقاوم وأد البنات ، ويفدى كل موءودة بناقتين وجمل ، فلقب بمحيي الموءودات وبه افتخر الفرزدق إذ يقول :

---

(١) أو أحمائها
(٢) تفسير الزمخشرى الجزء الثانى صفحة ٥٢٦
(٣) تفسير الزمخشري لسورة النساء . الآية ١٤١
(٤) تفسير الزمخشرى الجزء الثانى صفحة ٥٢٦
(٥) سورة الاسراء

ومنا الذى منع الوائدات فأحيا الوئيد فلم توأد[1]

لم تكن هذه العادة من الأسباب التى دعت الرجال إلى طلب النساء فى غير قبائلهم ، ولم تكن أيضاً سبباً من أسباب شيوع الزواج الخارجى عند العرب كما زعم Lenan و Smith . إن ظاهرة طبيعية غفل عنها العالمان ولم يتنبها إليها ، هذه الظاهرة حرية بالتفكير والتأمل ، ذلك أن إحدى المفكرات Lombroso ذهبت إلى أن الإناث فى المخلوقات جميعها تفوق الذكور منها عدداً ، وإذا تمشينا على هذه القاعدة نجد أن عدد البنات كان ولا يزال أكثر من عدد الصبيان ، فضلاً عن أن الرجل يتعرض دائماً لأخطار الحروب والأمراض أكثر مما تتعرض لها المرأة ، ومهمة الرجل كانت تقوم على محاربة العدو لحفظ كيان قبيلته من الفناء ، وعلى قتال وحوش الغابات والأحراش للحصول على أهم ما يحتاجه من مأكل وملبس

وإذا ما سلمنا جدلاً مع هذين العالمين ، أن وأد البنات كان من أسباب شيوع الزواج الخارجى ، فكيف سمحا لنفسيهما أن يتجاهلا نتيجة هذا الوأد فى القبائل الأخرى ؟ فإن قل عدد النساء فى قبيلة واحدة ، وجب أن تقل فى قبيلة أخرى ، وهذا ما يجعل الزواج الخارجى عسيراً إن لم يكن مستحيلاً ...

فليس السبب الحقيقى إذن فى شيوع الزواج الخارجى بين العرب وأد البنات ، بل هو شدة كراهة العرب لزواج القرابة . قال المستشرق Goldziher : إن من جملة الأقوال الحكيمة التى أبقاها عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة المشهورة وصيته لأولاده : « لا تتزوجوا فى حيكم فإنه يؤدى إلى قبيح البغض » ثم أتى بمثل يشتم منه كراهة العرب للزواج داخل الحي ، أى الزواج الداخلى Endogamie وهو : الغرائب ولا القرائب

فالعرب إذن كانت فى الأزمنة الغابرة على النكاح الخارجى وإن أخذت بالزواج الداخلى حيناً من الزمن ، إذ أصبح رجال القبيلة الواحدة يتزوجون من نساء قبيلتهم ، وليس فى قبيلة أخرى ؛ إلا أن هذا الزواج لم يكن شائعاً شيوع الزواج الخارجى

ولقد رافقت الزواج الخارجى ظاهرة جديدة أخذ العرب بها ، هذه الظاهرة هى التحاق الزوج بزوجه وبالتالى بأسرتها وبقبيلتها، فبقاء المرأة ، بعد زواجها ، فى قبيلتها ، وحملها زوجها على الإقامة حيث تقيم بين أهلها، تعد هذه الظاهرة صفة من صفات الأمومة، وكان من أمر هذا أن تبع الولد أمه والتحق بنسبها

فطن العرب إلى أهمية الزواج الخارجى من الناحية الوراثية ، إذ يكون النسل قويًّا عقلاً وجسما ، فأخذوا به ، بينما أهملوا الزواج الداخلى لاعتقادهم أن الزواج من القرابة يولد الفقر فى العقول ، والضعف فى الأجسام فنأوا عنه ؛ وهذه النظرية التى أخذوا بها تطابق — ولو إلى حد ما — النظريات الوراثية الحديثة

إلا أن هذا الاعتقاد يخالف ظاهراً ما اشتهر به العرب قديماً من أنهم كانوا يفضلون نكاح بنات العم على غيرهن ، لكن فى الواقع ، لا نجد أى تناقض فى هذه المسألة . ذلك لأن كل عربى يلقب محبوبته وخطيبته ببنت عمه، وحماه بعمه، وإن لم يكن بين الطرفين وشيجة رحم أو صلة قرابة، وليس بوسع الباحث أن يرد سبب إطلاق كلمة العم على الحم ، وبنت العم على محبوبته ، إلا لتمسك العرب ، منذ القدم ، بالأمومة والزواج الخارجى الذى نتج عنهما الزواج بين أولاد الأعمام ، أى أنهم كانوا يسمحون لأولاد الأخوة الذين أمهاتهم من قبائل مختلفة أن يتزوج بعضهم من بعض ، لفقدان صلة القرابة بينهم باعتبار أن الأمومة تتطلب من الولد أن ينتسب إلى أمه ، وأن يتبع خاله بعدها دون أبيه

فالزواج لم يكن إذاً فى ذلك العهد بين أولاد الأعمام وبنات العم زواجاً فيه قرابة، بل فيه بعد، فى حين أن الرجل كان يحجم عن التزوج بابنة خاله لاعتقاده أن الخؤولة أكثر قرابة من العمومة، ولربما كان هذا الاعتقاد من الأسباب التى دعت إلى إطلاق كلمة بنت العم على المرأة عامة

« بيروت » رفعة الحنبلي

مصادر هذا البحث :

١ — القرآن الكريم
٢ — تفسير الزمخشرى
٣ — صحيح البخارى
٤ — علم الاجتماع : لنقولا الحداد
٥ — الأمومة عند العرب
٦ — Sociologues d'hier et d'aujourd'hui لمؤلفه Georges Davy
٧ — Le lien familial لمؤلفه G. L. Duprat
٨ — Année Sociologique
٩ — Totem et Tabou par Dr. Seqm Treud

(١) تفسير الزمخشرى الجزء الثانى صفحة ٥٢٦.

النقابات الإسلامية

للأستاذ برنارد لويس

ترجمة الأستاذ عبد العزيز الدوري

أكثر الكتاب والمؤرخون في سرد الوقائع ، ووصف أبهة القصور وعظمة السلطان ، وجعلوا التاريخ سلسلة حوادث متفرقة متباينة ، وأغفلوا التيارات الاجتماعية التي كان لها أكبر الأثر في سير التاريخ ، يظهر هذا خاصة في التاريخ الاسلامي . ثم تنبه بعض المستشرقين لذلك ، وحاول أن يسد بعض هذا النقص . ولدينا في هذه الرسالة (النقابات الاسلامية) عرض عام لنتيجة البحوث عن أهل الصناعات والحرف في الاسلام

وقد ترجمت هذه الرسالة لأنها تعطي القارئ العربي فكرة عن نظر بعض المستشرقين إلى بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في التاريخ الاسلامي . وقد نشرت هذه الرسالة في مجلة

Economic History Review, vol. VIII, No. 1937

ولكن النص العربي يحوي إضافات ومعلومات لم تنشر هناك ، وهي النتائج الأخيرة لأبحاث المؤلف عن الموضوع ؛ إذ تفضل بإضافتها أخيراً . (ع . د)

إن طوائف أهل الصناعات والحرف هي من أهم ظواهر الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى .

يندر أن يجد الإنسان أثراً لما نسميه روحاً مدنية (نسبة إلى مدينة) ، أو تنظيماً بلدياً (نسبة إلى بلدية) في البلاد الإسلامية فقد كانت المدن الإسلامية في القرون الوسطى وقتية الظهور على الأغلب ، تتمتع بازدهار تجاري أو ثقافي لمدة قرن أو نحو قرن ، ثم تتضاءل أو تختفي . وبهذا ندر وجود طوائف بلدية معينة ، أو وحدات متحضرة دائمة . إذ أن روح التكتل والتنظيم المحلي التي كان لها أهمية كبرى في أوربا في القرون الوسطى ، منعت من الظهور في الحقل السياسي بتأثير الأوضاع السياسية المضطربة في البلاد الإسلامية ، وسبقت تلك الروح لأن تجد لها منفذاً في الحياة الاقتصادية . وهكذا نجد في أصناف الحرف في الإسلام ما يساوي تلك الحياة المحلية القومية التي هي من أبرز مظاهر تاريخ أوربا في القرون الوسطى .

كانت النقابة مهمة في الحياة الإسلامية لدرجة أن تخطيط المدينة — التي كانت تبنى على أساس سوق تجارية — كان يقرر في كثير من الأحيان حسب حاجات أصحاب الحرف . فنرى أن المدن الإسلامية من مراكش إلى جاوة ظهرت بتماثل عجيب متمركزة حول ثلاث أو أربع نقاط أساسية

فأول نقطة ثابتة هي سوق الصرافين ، وهو مركز هام دائماً في النظام الاقتصادي الثنائي الأساس في العملة ، كما كانت الحال في البلاد الإسلامية في القرون الوسطى

ونجد حواليه جامي المكوس ، ثم دار الضرب (إن وجدت هنالك واحدة) ، ثم سوق المزايدة ، ثم المحتسب وهو ملاحظ الأسواق . وهنا نجد الحمالين أيضاً

والمركز الثاني هو القيصرية — وهي بناية محكمة تخزن فيها البضائع والنفائس الأجنبية ويحتمل أن يكون الاسم بيزنطي الأصل . والمركز الثالث هو سوق الغزل — حيث يأتي النساء لبيع إنتاجهن اليدوي . وهنا نرى المتعاملين بالحاجات التي يشتريها النساء كالقصابين والخبازين وبائعي الخضر الخ ...

والمركز الرابع هو الجامعة أو المدرسة . وهي ملحقة عادة بمسجد ، وفيها يكوّن الطلبة والأساتذة نظام نقابة حقيقية . ويشتغل أهل الحرف حول هذه المراكز الأربعة ، كل صنف في سوقه الخاص . ويلاحظ من هذا أن توزيع النقابات يتبع هذا النظام في المدن المختلفة حيث توجد هذه المراكز الأربعة .

دعنا الآن ننظر في منشأ هذه النقابات ، وهو بحث يلاحظ فيه أنه لم يتقدم بالقدر الكافي

هناك رأي يقول بأن هذه النقابات هي متممة للنقابات البيزنطية التي سبقتها ، إذ كانت توجد نقابات متعددة في المقاطعات البيزنطية كسوريا ومصر حتى القرن السابع الميلادي . وليس من المحتمل أنه قضى عليها من قبل الفاتحين العرب الذين كانت سياستهم كما نعلم ترك الهيئات الإدارية والاقتصادية التي خلقها البيزنطيون كما كانت عليه تقريباً . ومع ذلك لا نرى أية إشارة إلى وجود نقابات إسلامية قبل القرن العاشر الميلادي ؛ أي بعد ثلاثة قرون (من بدء الفتح) ، كما أن هذه النقابات كانت من نوع يختلف تماماً عن النقابات الموجودة قبل الفتح الإسلامي . وليس لدينا إلا ملاحظات قصيرة متقطعة (عن النقابات) خلال

هذه الفترة وأولها جاءة فى تاريخ ابن عذارى المراكشى إذ يقول عن والى أفريقية والمغرب سنة ٧٧٠ م (١٥٥هـ) : « وكان يزيد (بن حاتم) هذا حسن السيرة فقدم أفريقية وأصلحها ورتب أسواق القيروان وجعل كل صناعة فى مكانها[١] »

ومع أن الكتاب الذى يحتوى هذا النص قد كتب فى القرن العاشر فلا مانع من قبول صحة هـذا الخبر وهو خبر طريف فى ذاته، إذ أنه يظهر أن الأمير العربى وضع العمال والأسواق فى القيروان ، وهى مدينة جديدة بناها العرب الفاتحون ، تحت نفس الإدارة والمراقبة كما كان يفعل الحاكم البيزنطى فى المدن المجاورة . ولـكن يظهر لى أن استنتاج وجود نقابات عربية فى القيروان من هذه العبارة ، كما فعـل « فون كريمر Von Kremer[٢] » و « آجر Atger[٣] » غـير مؤيد بالبيانات الموجودة

وفى نهاية القرن التاسع الميلادى نجد عدداً لا بأس به من المصادر يشير إلى وجود شىء من نظام التكتل بين التجار وأصحاب الحرف . لـكن هذه الأصناف لم تصل بعد إلى درجة يصح اعتبارها كنموذج للأصناف الإسلامية . وإنمـا هى مجرد تنظيم عام وضبط للأسواق والحرف من النوع الموصوف فى المصادر البيزنطية المعاصرة[٤] يمكن أن نستنتج من هذه الإشارات أن الأمراء المسلمين احتفظوا بأشكال السـيطرة العامة التى كانت للإدارة البيزنطية على الحرف — على الأقل فى معاملاتهم مع الصناع من غير العرب وغير المسلمين — وربما امتد ذلك حتى إلى المسلمين أنفسهم . وعلى كل حال فإننا نجد فى القرن التالى تطوراً ظاهراً فيما يسمى بالأصناف الإسلامية ، وحينئذ نجدها من نوع لا يصح تعليله بالتأثير أو التراث البيزنطى . وتوجد نظرية أخرى بجانب هذه النظرية يتطلب فحصها الانتقال إلى موضوع قد يجهله غير المستشرقين

بدأ المستشرقون فى السنوات الأخيرة يتأكدون أكثر فأكثر أن المذهب السنى فى العصر الأول للخلافة لم يكن أبداً مذهب الطبقات العامة ، وكلما ازدادت دراسة الباحث فى الأدب الإسلامى فى القرون الوسطى ازداد الاتضاح من أن المذهب السنى كان ينظر إليه فى كل محل كدين طبقة مسيطرة ، دين الدولة وميزة الأرستقراطية العربيـة الحاكمة[١] وقد كانت هذه نظرية الفاتحين أنفسهم فى الأدوار الإسلامية الأولى ، ولقد كانت الأكثرية الساحقة بين رعايا الخليفة — لقرون عديدة بعد الفتح الإسلامى — غير سنية تكره المذهب السنى كرمز لسطوة طبقة أجنبية حاكمة تتمتع بامتيازات خاصة

ومع ذلك كان الشعور الدينى قوياً بين الطبقات العامة ، وقد تجلى هذا الشعور بظهور سلسلة فرق متزندقة منشقة منذ القرن الثامن الميلادى حتى الفتح المغولى ، وتتصف جميع هذه الفرق تقريباً بفلسفة خاصة Symenetistic تحتوى عناصر مقتبسة من فرق سبقت العصر الإسلامى كالأفلاطونية الحديثة والمـانوية والمزدكية وبفلسفة اجتماعية ثورية فيها عامل المساواة بين الأفراد وبتنظيم سرى يشبه النظام الماسونى ، وهى عادة من أفراد من مختلف الطوائف Interconfessional مع درجات من التنشىء والتهذيب ، ونجد مثلاً عصرياً لنجاح هذه الفرق وفشل المذهب السنى فى حالة الهولنديين فى الهند الصينية (أندونيسيا) والفرنسيين فى أفريقا الغربية ، حيث على الرغم من قواها المتفوقة نجد البعثات المسيحية تتقدم بين السكان الوطنيين بنجاح أقل من نجاح الدعوة الإسلامية . فهنا أيضاً يرى الزنجى أو الإندونيسى أن المسيحية متصلة بحكم أجنبى ، فيفضل أن يكون مسلماً من الدرجة الأولى على أن يكون مسيحياً من الدرجة الثانية

بلغت هذه الحركات الدينية أوجها فى القرنين العاشر والحادى عشر . فقد كانا مرحلتى تطور صناعى وتكتل حضرى. فظهور نظام راق للبنوك مركزها بغداد ، تنطى فروعها الإمبراطورية ، ساعد على تجهيز الدولة بالنقود ، وعلى حفظ النقود بصورة عامة أساساً للاقتصاد . وقد أثر هذا على النمو الصناعى ، فأنتج تمركزاً فى رأس

---

(١) كتاب ـ البيان المغرب فى حلى المغرب ـ لابن عذارى المراكشى طبعة ليدن سنة ١٨٤٨ جـ١ ص٦٨

(٢) Von Kremer - Kulturgeschichte des Orients, Vienna 1877, ii, p. 187 ص ٧

(٣) Atger - Les corporatims Tunisiennes, Paris, 1909

(٤) راجع Von Kremer و Metz - Renaisiamce of Islam

---

(١) انظر Von Vloten - Recherches sur la Bomènation Arabe Amesterdam, 1849 أنظر أيضا Becher - Islam Léudien Bartold - musulman Culture, Calcutta, et 34. p. 72-6, 100-102

ومما يسترعى النظر أن التقسيم بين السنة والمنشقين herébcs لا يناسب تماماً التقسيم بين العرب وغير العرب . فالطبقة الحاكمة فى فارس من عهد الدولة الساسانية انضمت إلى المذهب السنى بينما نجد الطبقات الفقيرة من العرب فى سورية والعراق تأثرت بالمانوية وبزندقات أخرى

المال والعمل[1] كما ولد النمو السريع فى رأس المال حسب المنتظر مشاكل اجتماعية خطيرة . إذ نقرأ عن سلسلة اضطرابات خطيرة فى بغداد ، وعن ثورة الزنج فى أسفل العراق فى القرن التاسع ، ثم عن ظهور فرق دينية باستمرار . وفى هذا العصر زلزل العالم الإسلامى بحركة ثورية سياسية اقتصادية ثقافية فى نفس الوقت أنتجت الخلافة الفاطمية فى القاهرة . فالحركة الاسماعيلية (أو القرمطية) — كما تسمى هذه الحركة تبعاً لاسم أهم شعبها وأكثرها أهمية — تميزت بآراء حرة عجيبة . إذ وجهت دعوتها إلى مختلف الفرق الإسلامية — من سنة وشيعة — ومختلف الأديان من يهود ونصارى ، وزرادشتية على السواء باسم الحركة الثقافية والعدالة الاجتماعية ، ويصعب البت فى فلسفتها الحقيقية لأن مصادرنا إما سنية فتكون شديدة العداء متحيزة، أو اسماعيلية تنتمى إلى عصر متأخر عند ما طرأ على المبادئ الأولى تبديل واسع . فمثلاً نرى أن فخر الدين الرازى وصم الغزالى والشهرستانى والبغدادى بالتعصب وقلة فهمهم لآراء خصومهم . إذ روى عن حديث له مع المسعودى عن الكتب قال : « فقد ذكر المسعودى كثيراً منها إلى أن ذكر كتاب الملل والنحل للشهرستانى . فقلت: نعم، إنه كتاب حكى فيه مذاهب أهل العلم بزعمه إلا أنه غير معتمد عليه ، لأنه نقل المذاهب الإسلامية من الكتاب المسمى بالفرق بين الفرق ، من تصانيف الأستاذ أبى منصور البغدادى ، وهذا الأستاذ كان شديد التعصب على المخالفين ، فلا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه الصحيح[2] ، وقد أدرك الغزالى الخاصة الاجتماعية للمذاهب المنشقة ، وقال فى الكلام عن الباطنية : « فاستبان أن ما ذكروه تلبيس بعيد عن التحقيق وأن العامى المنخدع به فى غاية العمى ، لأنهم يلبسون على العوام » ثم قال أيضاً عنهم : « فما هولوا من خطر الخطأ مستحقر فى نفسه عند المحصلين من أهل الدين ، وإنما يعظم به الأمر على العوام الغافلين عن أسرار الشرع » . وعند الكلام على الدعاة الباطنيين قال : « وهؤلاء الدعاة تواطئوا على هذا الاختراع ليتوصلوا به إلى استتباع العوام واستباحة أموالهم فيتوصلون به إلى آمالهم »[1]

ومن الواضح على كل حال أن الحركة الإسماعيلية كانت مبنية على نوع من التفكير الحر تعترف بقراءة الأديان جميعاً وتنبذ الشريعة الإسلامية ، وتستند إلى مبدأ من العدل والتسامح والمساواة التامة[2] ؛ وبطريقة حاذقة من التفسير تعرف بالتأويل أسندت هذه المبادئ بنصوص من القرآن والكتب الدينية الإسلامية وكذا عوملت كتب اليهود والنصارى المقدسة بنفس الطريقة ...

وقد ذكر عبد الله الإسماعيلى فى عرضه للأسس الاجتماعية للاسلام أنه « ما وجه ذلك إلا أن صاحبهم حرم عليهم الطيبات وخوفهم بغائب لا يعقل وهو الإله الذى يزعمونه وأخبرهم بكون ما لا يرونه أبداً من البعث من القبور والحساب والجنة والنار حتى استعبدهم بذلك عاجلاً ، وجعلهم له فى حياته ولذريته بعد وفاته خولا ، واستباح بذلك أموالهم بقوله : لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى (الشورى ٢٣) فكان أمره معهم نقداً وأمرهم معه نسيئة ، وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون . وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها؟ وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب فى الصلاة والصيام والجهاد والحج[3] »

روى هذا النص مؤلف سنى توفى سنة ١٠٣٧ ، كمثل من زيغ القرامطة وشك بعض الباحثين فى صحته . لكن النص وإن كان ركيك التعبير ، فإنه لا يوجد فيه غير الحط من شخصية الرسول ، ولا يمكن تأييده بنصوص من الكتب الاسماعيلية القديمة القليلة أو المتأخرة التى لدينا .

« يتبع » عبد العزيز الدورى

---

(١) أنظر كتاب Fixhil, The Ougui of bauhingui Medieual, M ets. Islam. J. R. A. S. 1931 p. 339 — 561 وكتاب آخر لنفس المؤلف Jems in II Social life of Medural Islam, 1937

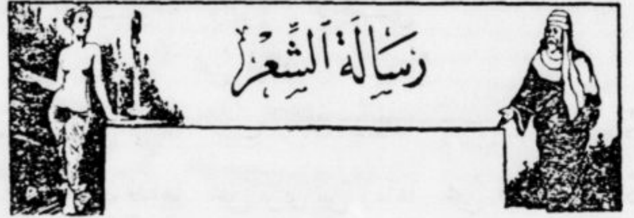
(٢) لاحظ ملحق مناظرات فخر الدين الرازى ص ٢٦٢ ، القاهرة سنة ١٩٣٧

---

(١) ص ٥ كتاب فضائح الباطنية للغزالى نشره كولد زيهر طبعة ليدن ١٩١٩

(٢) وحتى الوقت الحاضر نجد أهل الحق أو — أهل حق — وهم بقية إحدى هذه الفرق تسكن فى بعض قرى شمال شرق إيران تحتفظ بشىء من هذه الصفات فتحتوى إحدى قصائد التعزية عندهم الوعد بأن سيعاقب السلاطين . ويلاحظ البروفسور فينورسكى بصورة خاصة الميزة الشعبية Popular لهذا الدين إذ يقول إنه « معتنق بصورة خاصة من قبل الطبقات الوضيعة من بدو وقرويين ودراويش وسكان المحلات الفقيرة . . الخ) لاحظ ملحق دائرة المعارف الاسلامية ; مادة — أهل حق —)

(٣) ص ٥ البغدادى : الفرق بين الفرق . القاهرة ١٩١٠ ص ٢٨١ و ٢٨٢



بين الجد والفكاهة

بيوت الشعراء

للأستاذ محمود غنيم

كسوتُ الناسَ خزًّا من ثنائى ... وبتُّ من البِلى أرفو كسائى
فوا لهفى على أبياتِ شعرٍ ... أشيّدها ولكن فى الهواءِ
أأُنشى كلَّ يومٍ ألف بيتٍ ... وأسكنُ بعد ذلك بالكراء ؟
فلو طاب المُقام ببيت شعر ... إذن لأقمتُ فى أعلى بناء
إذن لملأتُ شطَّ النيل دورًا ... فلم ترَ فيه شبرًا من فضاء
وآويتُ الأراملَ واليتامى ... ولم أترك شريداً بالعراء
ولم أُوقِعْ على السكّان حجزاً ... ولو عجز الجميع عن الأداء
إذن لملكتُ أحياءً بمصرٍ ... تناطح دورُها هامَ السماء
أطوف بهنَّ دارًا بعد دارٍ ... فصيفى ها هنا وهنا شتائى
ولكن لا مُقامَ ببيتِ شعرٍ ... يطيب ، ولو بناه أبو العلاء
ألا مَنْ يشترى أبياتَ شعرى ... بكوخٍ شِيدَ من طينٍ وماءٍ ؟
فليس الطينُ أكرمَ من فؤادى ... وليس الماء أغلى من دمائى

المنبوذ

للأديب فؤاد بلبيل

جَائِعٌ لفَّهُ الضَّنَى بِرِدَائِهْ ... أينَ نارُ الجحيمِ مِن أحشائِهْ
لَفَظَتْهُ الحياةُ فهو شريدٌ ... يَصِلُ البُؤسُ صُبْحَهُ بمسائِهْ
شاحِبُ الوجْهِ ناحِلُ الجسمِ طاوٍ ... تتمشّى الأوصابُ فى أعضائه
وعلى جسمِهِ بقايا رِداءٍ ... تتبدّى العظامُ منْ أجزائه
باهتِ اللونِ مثل بشرتِهِ شَكْلاً ، يضُمُّ الشقاءَ في أنضائه
نعم الشباب
خِرَقٌ رَثّةٌ على جسدٍ با ... لٍ وَقَدْ زادَ الضنى فى التوائه
شَبَحٌ منطوٍ على كبدٍ حرّ ... ى ونفسٍ قد رُوِّعَتْ بشقائه
غائرُ المقلتينِ أنهكَهُ الجو ... عُ وأذكى الأوارَ فى أمعائه
فكأنّ السقامَ ما يرتديه ... وكأنّ الشقاءَ من أسمائه
وكأنّ الجحيمَ ما هو فيه ... وكأنّ الزمانَ من أعدائه
كلّما شامَ بارقاً من رَجاءٍ ... فجعَ اليأسُ قلبَهُ برجائه
ضائِعٌ فى الوُجودِ جدُّ شقيٍّ ... يجمعُ البؤسَ كلَّه فى كسائه
ضاربٌ فى النجادِ لا جادَهُ الغيثُ ولا شوكها ارتوى من دمائه
ركبَ العمْرَ لُجّةً وَهْوَ فيها ... زَوْرَقٌ نازحُ الشواطئ تائه
هشَّم الموجُ جانبيهِ وألقى ... بِشِراعَيْهِ فى غياهبِ مائه
وَرَماهُ الإعصارُ في كلِّ قاعٍ ... واحتواهُ الخِضَمُّ فى أنوائه
نالَ منهُ القنوط كلَّ منالٍ ... وتنحّى أهلُ الورى عن عزائه
هائمٌ فى القفارِ لم يُؤْوِهِ عشٌّ ولا ابتلَّ رملها من بكائه
يتقلّى على الهجير شقيًّا ... أينَ لفحُ الهجيرِ من بُرَحائه
لائذٌ بالفرارِ من دهره الطا ... غى وأينَ المفرُّ من أرزائه
أبقٌ والشقاء جيشٌ لُهامٌ ... زاحفٌ من أمامِهِ وورائه
كلّما هَزَّ للزمانِ قناةً ... حطّمتها الأيامُ فى أحشائه
أنكرَ الناسُ ما يقاسى وقالوا ... مجرمٌ يخدعُ الوري بريائه
وأشاحوا عنه الوُجوهَ احتقارًا ... وتواصَوا بنَبْذِهِ وازدرائه
زَعَمُوهُ عبئاً عليهم ثقيلاً ... وَهُمُ المثقلون من أعبائه
حَمَّلُوهُ آثامهم وأحلّوا ... دَمَهُ لابتئاسِهِ واجتدائه
عذّبوهُ بالجوع ظلماً وراحوا ... يشبعونَ الذئابَ من أشلائه
طَرَدُوهُ عن أن يشاركَ حتى الـكلب في ما يَعافُهُ من غذائه
شرّدوهُ فى الأرضِ من خوفهم منـه وَجَدّتْ جُنودُهم فى اقتفائه
أيَّ شرٍّ يخشونَهُ من شريدٍ ... يتبارى الجميعُ فى إيذائه ؟!

***

أَلِهذا الطريدِ أنشأتُمُ السجنَ وأعدَدْتُمُ القنا للقائه ؟!
ألهذا الضعيفِ أشرعتم الرمـحَ وخِفتُمْ من بطشِهِ واعتدائه؟!
ألهذا الفقيرِ هيّأتُمُ السو ... طَ وحذّرتُمُ الورى من عطائه؟!

أيها المفترون – مم تخافو ... نَ أمِنْ ذُلّه وفرط عيائه ؟ !
وتردِّيه فى التعاسةِ والبؤ ... سِ وطولِ اكتآبه وبلائه ؟ !
أم هوَ الدهر قد أعزَّ أولى اليُسـ ... ـرِ وأخنى ظلماً على فقرائه !
سفهوا رأيَهُ وربَّ فقـيرٍ ... تُستمدُّ الآراء من آرائه
وأبى الأغنياء أنْ ينصفوه ... ويحَ هذا الزمان من أغنيائه !
لا تلوموه إنْ تمرَّد أو ثا ... رَ وهزَّ الوُجُودَ مِن أرجائه
أنتمُ سقتموه للإثمِ سَوْقاً ... فاعذروهُ إن لجَّ فى غُلَوائه
هاجَهُ ظلمُكُمْ فثارَ عليكم ... وأثارَ الكمينَ مِن شحنائه

نشـــيد العمل (*)

للمدارس التجارية والطبقات العاملة

للأستاذ على الجندى

نحنُ أبناءُ العَمَلْ فى مَيادينِ الحَياهْ
كلُّنا حُـرٌّ بطَلْ تُحرِزُ التِّبرَ يَداهْ يَحمَدُ النيلُ خُطاهْ
نحنُ أبناء العمـلْ

نحنُ للشعبِ عِمادْ نحنُ للنيـلِ دِعامْ
نحنُ للناسِ رشادْ نحنُ للمالِ قِوامْ نحنُ للعيشِ نِظامْ
نحنُ أبناء العمـلْ

نحنُ للسعى خُلقنا كالطيورْ والذى يَسعى ينالْ
لا نُبالى ما لقينا كالصُّخورْ حىَّ أحرارَ الرِّجالْ حىَّ أبطالَ النِّضالْ
حىَّ أبناء العمـلْ

نحنُ رمزٌ للدأْبْ ومِثالٌ للشَّـبابْ
عصرُنا عصرُ الغلَبْ من توانى فيه خابْ
لا تَرى فينا الكسِلْ لا تري فينا الوَكِل
نحنُ أبناء العمـلْ

نحنُ لا نرضى الغِنَى فى ظِـلالِ المنصِبِ
فالتمسنا رزقَنـا منْ طريقِ المكسَبِ
وَسَعَيْنا جُهـدَنا واقتدينا بالنَّـبى
فبلَغْنا سُـؤْلَنا وَقهَرْنا الأجنَبى
نحنُ أبناء العمـلْ

مِصْرُ هُبَّتْ من كَرَاها سَـدَّدَ اللهُ خُطاها وَرَعى عَرْشَ البِلادْ
نحنُ فى الخطبِ فِدَاها نحنُ نَرْمى مَنْ رَماها نحنُ فُرْسانُ الجِهادْ
نحنُ أبناء العمـلْ

إياكَ أعـــنى . . .

للأستاذ محمد كامل حتة

يَا مَنْ جَهلْتَ حَقيقَتِى ... فأفَدْتَنِى بالجهـلِ عِلْمَا !
جُوزِيتَ عَنِّى مِنْ جَهُو ... لٍ زَادَنِى عِلْمًا وَحِلْمَا !
أنكَرْتَنِى فعَرَفْتُ نَفْـسِى ، يا لمَعْرِفَةِ النفوسْ ...
هِىَ جَنَّـةُ الرُّوحِ الشَّرِ ... يدِ وَبَسْمَةُ القلب العَبُوسْ !
لاَ بَلْ هى النـارُ التى ... يَشْقَى بها العقلُ السعيدْ !
وَيظلُّ يهفـو كالفَرَا ... شَةِ نَحْوَها يرجُو المزيدْ ...
هـامتْ مَعَ الآمالِ فى ... وَادِى الهَوَى المسحُورِ نَفْسى
فَضَلَلْتُ عنها ، وانثَنَيْـ ... ـتُ أخُبُّ فى أذيالِ يَأْسِى !
كم رُحْتُ أنشُـدُها بـكلِّ مِظَنَّةٍ وبكل وادِ ...
حيرانَ أضرِبُ فى فِجَا ... جِ الأرض مُضطرِبَ القِيادِ !
كم ذا شَـقِيتُ بِغُرْبَتِى ... فى هذه الدُّنيا الكَنُودْ ...
فطَفِقْتُ أندُبُ وِحْـدَتِى ... وَزَهِدْتُ فى هذا الوجودْ !
ماذا لَقِيتُ مِنَ الحيا ... ةِ وَصَفْوُهَا كَدَرٌ مَرِيرْ ؟
هِيَ مِحْنَـةُ العقلِ البصـيرِ ونعمةُ القلب الغَرِيرْ !
لَوْلاكِ — نفسي — ما شَقِيـتُ بما أُعانِي مِنْ قَلَقْ !
وَلَقَرَّ بين جَوَانِحِي ... قلبٌ يَوَدُّ لَوِ انطلَقْ ...
نفسى ! عَرَفْتُكَ مُنْـذُ أنـكرنى الجَهُولُ المُدَّعِى ...
وَبِه اهتَـديْتُ إليكِ فى ... هـذا المُقَامِ الأرْفَعِ !
كُفِّى مَلاَمَتَـهُ فمَا ... هو بالمَـلاَمَةِ يَجْـدُرُ
ما ضَرَّهَا شمسُ الضُّحَى ... ألاّ يَرَاها الأجْهَـرُ ؟

(*) لحنه الأستاذ محمد عثمان



مولده

سكن الكون وأصغى ، وتنبّأت كل القوى الأبدية لحشدها ، وعبّ التيّار الإلهيّ الذي يموج به الكون ، وسعت الملائكة بالبشرى بين خوافق السماء والأرض ، وتهلّلت أجيال النبوّة بأفراح خاتمها الذي أتمّ الله به نعمته على الناس ، وسرت في الكائنات أسرار الحياة الجديدة فاهتزّت وربت واستشرفت إلى النور الخالد الذي ينبع من أفق الإنسانية العالي البعيد ، ووسوست رمال الصحراء بتسبيحة الحمد لله ، تستقبل الأقدام التي تطؤها بالنور الذي سيمشي أوّل ما يمشي على حصبائها ، ثم يمشي بأصحابه في أرجاء الأرض يحييها بعد موت ، ويطهرها بعد دنس

سكن الكون وأصغى ، وسكنت نأمةُ الشياطين في مخارمها ومهاويها وآفاقها ، وخشعت وساوس إبليس بالرعب والفزع ، وثبتت في مساربها جائلاتُ الجبتِ والطاغوت ، وتحيّرت في مستقرّها أباطيلُ الأوثان وأوهام الالوهة الزيفة على الناس

ثم اهتز الكون كله بالفرح ، فتداعت أبنية الأجيال الوثنية الباطلة ، ثم أخذت تتداعى تحت الأشعة النبوية التي نشرت على الدنيا نورها بالحق والعدل والتوحيد والسلام ...

سكن الكون وأصغى ، ثم اهتز بنوره وتطهر ، صلى الله عليه وسلم . والسلام عليك يا رسول الله ، سلاماً من كل قلب ، وفي كل زمن ، والحمد لله الذي أرسلك بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون

أعيادنا

أعياد الأمم هي الأيام التي تمتثل فيها خصائص الشعوب وذخائرها وخلائقها الأدبية والعقلية والنفسية والسياسية . هي الأيام المبتهجة التي تنبض بالحياة وأسبابها في الأمة ، لتدل على السر الحيوي السارى في أعصاب الحياة العملية اليومية المتتابعة على نظام من الجد لا يكاد يختلف

واحتفال الشعب بأعياده أمر ضروري لإعطائه المثل الأعلى وإمداده بالروح التي تدفعه إلى مجده، أو إلى المحافظة عليه . فهو من ناحيتيه يظهر ما في الشعب من خصائصه ومحامده وعيوبه؛ ويبقى على المثل الأعلى بالتجديد والبهجة والزينة

فأعياد الأجانب الأوربيين مثلاً تكشف عن قوتهم واعتدادهم بأنفسهم ، وتمشقهم لجمال الحياة الدنيا إدماناً وإغراقاً ، وعن جعلهم المجاملة أصلاً أخلاقياً في أنفسهم وأهليهم ، وعن غرورهم واستهتارهم واستهانتهم بأكثر الفضائل الإنسانية حين تجرى في دمائهم عربدة الطغيان الإنساني المتوحش الذي يرتد إلى الغرائز الحيوانية المستأثرة باللذة ، المجردة من الورع والتقوى

وأعيادنا نحن تهتك الحجاب عن ضعفنا وذلتنا ، واستكانتنا لما نشعر به من الضعف والذلة ، وتبين عن ذهول الشعب عن نفسه وعن تاريخه ، وعن مجده ، وتملقه بترّهات الحياة ، وقلة مبالاته بجلالها ، وانصرافه عن معرفة الأحزان الخالدة في طبقاته بخلود الفقر والجهل والبلادة

فهل يزدلف إلينا ذلك اليوم الذي تتمثل فيه أعياد الشعب الإسلامي صورةَ السيطرة والسيادة والقوة ، وتتبدّى عليه أفراح الحياة الراضية المؤمنة المطمئنة ، وتعود إليه الأخوة الإسلامية التي ساوت بين الناس غنيهم وفقيرهم وعالمهم وجاهلهم ، وجعلتهم سواء لا فضل لأحد على أحد إلا بالخلق والتقوى ؟ هل يأتي ذلك اليوم السعيد الذي يجعل أعيادنا صورة من مدنية دين الله التي تبدأ بالرحمة والحنان والتعاطف ، وتنتهي بالعمل والجد والصبر والتعاون ؟ يومئذ تكون السيادة العليا للمدنية المستقبلة ، مدنية الحرية التي لا تشتهي أن تفجر ، والعلم الذي لا ينبغي أن يكفر

التعليم

فاز الأسبوع الماضي في مجلس النواب بإثارة انتباه الناس إلى شأن التعليم وسياسته التي درجت عليها وزارة المعارف من سنين تطاولت ، وقد قدمت اللجنة المالية تقريرها عن ميزانية المعارف ، وتناولت في هذا التقرير سياسة التعليم وأغراضه ، وعيوبه وما ترجو به له الإصلاح ، وناقش المجلس بعض هذه الآراء ، وعرض حضرات النواب بعض آرائهم وملاحظاتهم .

ونحن ـ على أننا لم نحضر هذه الجلسة بل قرأنا ما اختصر مما جرى فيها ـ نظن أن حديث النواب كان يدل دلالة قاطعة على أن وزارة المعارف التي انقضى على قيامها بهذه المهمة ما يربو على قرن من الدهر لم تقرر فيها أصولٌ صحيحةٌ للتعليم، ولم تجر سياستها على منهج يستمر بها إلى غاية تريدها على تدبير وحياطة

أفلا ترى أن الوزارة لا تزال تسمع من الناس ومن النواب ومن أصحاب الرأي ما يجب عليها للتعليم الديني في مدارسها، وما ينبغي في مناهج تعليم البنات، وما تتطلَّبه أنظمة التعليم الإلزامي، وهل أدى الغرض منه إلى اليوم أو لم يؤده؟ وما تفرضه الوطنية من النظر الصادق في ترقية التعليم الحر حتى يصل إلى الدرجة التي تليق به وبالأمة التي يتولى هو بعض الرعاية على بعض أبنائها، وغير ذلك من الشؤون الابتدائية في سياسة التعليم

فهذا عجيب أن تبقى وزارة المعارف إلى هذا اليوم، ولم تتقرر لها سياسة كاملة عامة تتناول حياة الأمة العلمية والأدبية والخلقية والبدنية بأدق النظر وأحسن الرأي، فلا ينبغُ لها نابغ يسددها إلى هذه الآراء الأولية التي يفرض كل أحد أن الوزارة قد انتهت من إقرارها والسير عليها والتدبير لها بكل الوسائل التي تكفل للشعب تربية أبنائه تربية تامة كاملة مهيَّأة لتحمُّل الأعباء المثقلة التي سيحملها جيلهم من بعد هذا الجيل

وقد سارت وزارة المعارف في السنين الأخيرة على سنة لا يمكن إلا أن تفضى إلى توهين الروابط الثقافية التي تربط الشعب كله بعضه إلى بعض؛ وذلك كثرة تبديل المناهج وتغييرها عاماً بعد عام لغير ضرورة ملجئة في أكثر هذا التبديل والتغيير.

ولا بد أن تحزم وزارة المعارف أمرها على خطة واسعة متراحبة ترمى إلى أبعد مدى على أتم حذر، ليتسنى لها أن تمحو كل أخطاء الماضي التي لعبت فيها الأيدي الاستعمارية والسياسية بكل ما من شأنه أن يسلب الشعب قدرته على التحفز والتوثب والتجمع، وما ينشئه على الحرية العقلية والنفسية، التي ترفعه إلى الدرجات السامية التي يجب أن يرقى إليها كل شعب يريد أن يتحرر ويسود ويفرض مدنيته على الأرض التي يعيش عليها

وإذا أرادت وزارة المعارف ذلك الآن، فإن في همة وزيرها الذي لا يَمَل ولا يتأخر عن دواعي الوطن، إنفاذاً لهذه الإرادة. فوزير المعارف رجل معروف بالجد والإخلاص والمثابرة وقوة العزيمة، فلو اجتمع له كل أصحاب الرأي ممن يحب أن يساهم في شأن التعليم مساهمة الدرس والكفاح للمستقبل، لأمكنهم أن ينقذوا وزارة المعارف من البلبلة التي لا زالت تتساقط بها من ذلك العهد القديم المعروف بأغراضه في تحطيم قوى الشعب تحطيماً استعبادياً مستبداً. فنرجو أن يضم وزير المعارف إلى رأيه جماعة من أصحاب التدبير السياسي للتعليم غير متقيِّد بشيء من الرسوم القديمة — وهو الرجل الحر — فإن القيود هي التي جعلتنا إلى هذا اليوم نسرى في ظلام دامس من الأهواء التي غلبت على شأن التعليم فيما مضى

تعليم العربية

وبهذه المناسبة أذكُرُ أني قرأتُ في الأسبوع الماضي أيضاً كلمة عن أسباب ضعف الناشئة في اللغة العربية، وأن الكاتب ردَّ هذا إلى أسباب من المعلم والكتب وغير ذلك، وزعمَ أن أكثر كتُبنا لا يصلح لتعليم الناشئة لسانَ أمتهم. وإن يكن في هذا بعضُ الحقّ فليس هو كلَّ الحقّ، فإن أسبابَ ضعفِ النشءِ في العربيةِ ليس يُردُّ إلى المعلم والكتاب، بل مَرَدُّه إلى المنهج الذي يُقيِّد المعلم بقيود كثيرة ترفع عنه التبعة في نتيجة التعليم، ويقيد الكتاب بمثلها، ويُعطى النشء ما لا يَصلُح عليه لسانٌ ولا يستقيم به تعلم لغة

فلو أنت نظرت لما رأيت شعباً من شعوب الأرض المتعلمة، يفعَلُ بلغته ما نفعل نحنُ، من التجاهل للآثار الأدبية وقلة الاحتفال بتزويد الناشئ بمادتها التي تحفظها لتكون أبداً على مدّ الذاكرة وفي طلب اللسان. ولو أنت سألتَ أي متعلمٍ من أهل الأمم الأخرى أن يُسمِعك من روائع شعر أمته ونثرها وحديث بلغائها لاحتفَلَ لك بالكثير الذي تظنُّ معه أنه إنما أعدَّ لك الجواب لعلمه أنك قد أعددتَ له السؤال. فلو أنتَ جئت بعدَ ذلك إلى أحد المثقفين المكثرين المتنفِّخين من المتعلمين عندنا وسألته مثل ذلك لنحا إليك بصره فأنارَ النظَرَ فابتسمَ فضحكَ فاستهزأ بك فولاّك ظهره فمضى يعجب من غفلتك وحماقتك وقلة عقلك

وإن بعضهم ليقول: ليس لنا ما لهم، أين للطالب المصري أو العربي ما يغريه بالقراءة كما يغرى شكسبير وملتون وبيرون وشيللي وفلانٌ وفلانٌ من الشعراء والكتاب؟ بلى أين؟ وإن يكن هذا كله حقاً فافترضناه كذلك، فليس يكون لنا مثل شكسبير

وأصحابه إلا باستيعاب قديم كتابنا وشعرائنا ، والحرص على آثار محدثيهم ، فإذا كان ذلك أخرج الشعب يوماً أمثال هؤلاء لمن يلينا من أهل أمتنا . وإلا فإننا سائرون إلى ضعف أبداً ما دمنا نرى أن الطالب لا يطيق أن يستوعب من شعر البحتري إلا قصيدة واحدة ومن المتنبي مثلها ، ثم يكون ذلك آخر عهده وأوله بدراسة الآثار الأدبية العربية

إن الحفظ الأول للآثار الأدبية الرائعة قديمها وحديثها هو الذي يخرج الأديب والكاتب والشاعر . أنظر إلى المنفلوطي والرافعي وشوقي وحافظ والبارودي والزيات وطه حسين ، كل هؤلاء لم يكونوا كذلك إلا لأنهم نشأوا وقد حفظوا القرآن أطفالاً فحملهم ذلك على متابعة حفظ الآثار الأدبية الجليلة ، ثم حفز هذا المحفوظ ما انطووا عليه من الطبيعة الأدبية التي استقرت في أنفسهم وأعصابهم ، فلما استحكموا استحكمت لهم طريقتهم في الأدب والشعر والإنشاء ، ولولا ذلك لما استطاعوا أن يكونوا اليوم إلا كما نرى من سائر من تخرجهم دور التعليم بالآلاف في كل عام ينقضي من أعوام الدراسة

مشروع

كتب الأخ الأستاذ « محمد خلف الله » كلمة جليلة الغرض تحت هذا العنوان « مشروع » في مجلة الثقافة العدد (٦٨) الماضي ، وخلاصة هذا المشروع : أن تؤلف جماعة من الباحثين يمثلون اللغة والأدب وعلم النفس والاجتماع يكون من أغراضها أن تدرس النواحي المختلفة للاجتماع المصري الحاضر وما يكون فيه من الظواهر المختلفة التي يخشى أن تدرج وتبيد ولم نستفد من الحرص عليها إن كانت نافعة، أو الاستعانة بها في درء الأمراض الاجتماعية عن الشعب فيما يستقبل إن كانت من السوء بحيث تكون كذلك

وقد عدّ الأستاذ خلف الله بعض الأمثلة فيما يجب أن تتوجه إلى دراسته هذه الجماعة كمخارج الحروف وأصواتها في كل الأقاليم المصرية ، ورد ذلك إلى أصوله الأولى التي انحدر عنها من تاريخ القبائل ، وكذلك اللهجات الكثيرة في الوجه البحري والقبلي مما هو ـ ولا شك ـ نتيجة لإقامة بعض العرب في هذه الجهات، ثم دراسة الأدب الشعبي من قصيد وموال ومثل وفكاهة وسمر، ودراسة الخلق المصري ، وعيوبه وفضائله ، وما يتعاوره من الغلو والضعف . ويكون ذلك كله إعداداً لمعرفة حقيقة هذا الشعب معرفة صحيحة ، ثم نشر كل ذلك على التتابع في رسائل قد استوفت شروط المنهج العلمي للدراسة الاجتماعية واللسانية والفنية

وكانا نرحب بهذا المشروع الذي نستطيع معه أن نخدم الشعب خدمة عظيمة باستظهار ما يستسر من قوته ، وما يستعلن من ضعفه ، فيكون ذلك أحرى بأن يهدينا إلى إصابة الدواء الذي يحسم مادة الداء التي تأتهم أسباب رقيه سبباً بعد سبب . وهذه الدراسات المفصلة للشعوب على طبيعتها التي تتعامل بها في السوق والحقل والمصنع والمدرسة والبيت ، وهي النجاة لنا من شر كبير قد أوقعنا فيه الاضطراب وقلة الخبرة . ولو علمت أن أكثر الأمم المستعمرة تلجأ إلى هذا الطريق نفسه في دراسة الشعب الذي تريد أن تستبد به ، ليتسنى لها أن تعمل على إضعافه وقتله بتقوية ضعفه وإضعاف قوته دون أن يشعر أو يتألم بل يحسب أنه يسير إلى غايته على تدريج طبيعي ـ لو علمت ذلك علمت ما نستطيع أن نستفيده من نتائج هذا المشروع الجيد إذا أُحكم تنفيذه ، ولم تتغلب على اختيار رجاله محاباة ، ولم تتحكم في هؤلاء الرجال شهوة أو هوى

محمود محمد شاكر

M. Arab. 139

ترانكانو

إن الأسواق الكبرى في الأقاليم الحارة هي حقا أماكن اجتماع غريبة إن كان بالنظر إلى النباتات التي يشاهدها الانسان هناك أو بالنظر إلى الناس أنفسهم فهؤلاء يأتون عادة من الجهات المجاورة بعكس النباتات التي مصدرها المنطقة الحارة جميعها فيوجد الجوز الهندي من الفلبين وأرز الهند وشكلاتو أمريكا وتمر البابايا من جهة الأمازون والكواما من الكوتاماك والنفوست من مليزيا .

إن رمحا جديدا ممثلا سوق ترانكانو عاصمة مقاطعة صغيرة من دول الاتحاد المليزي يظهر جما من سكان البلاد يهرولون بجلبة مختفين من الحر في ثيابهم الطويلة البيضاء .

فمعظمهم من زراعي الأرز أو صيادي السمك وجميعهم يعيشون في ناحية من أكثر النواحي التي انتشر فيها وباء بالملاريا في العالم كله وشغلهم خطر ولكن الخطر لا يأتي من النمور والأفاعي على قدر ما يأتي من حيوان أصغر من ذلك وأشد منها وبالا وهو بعوض أبي الملاريا .

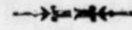
فاللجنة الصحية لجمعية الأمم قد أظهرت ما هي البلية الهائلة بلية الملاريا في مدينة كمدينة ترانكانوا فاللجنة التي تهتم بالملاريا تقول بوجوب إعطاء جميع أهل البلاد مقدار أربعين سنتجرام من الكينا يوميا على سبيل الوقاية وهذا شيء تحقيقه غير ممكن فاللجنة وهي خبيرة بكل ذلك تلح بأن يأخذ جميع السكان المصابين بالملاريا جراما واحدا أو جراما وثلاثين سنتجرام من الكينا يوميا مدة خمسة أو سبعة أيام والحاجة القصوى لأن ما يقارب نصف مجموع الداخلين إلى المستشفيات في مدينة ترانكانو مصابون بالملاريا .



تأملات في الفن :

العشرة الطيبـــة

للأستاذ عزيز أحمد فهمي



منذ زمن طويل والكتاب يدعون استوديو مصر إلى إخراج العشرة الطيبة للسينما ، وقد كان رجال الاستوديو يترددون دائماً حيال هذه الأوبريت الرائعة ويشفقون من إخراجها بسبب واحد وهو أن قصة العشرة الطيبة تصور الحياة المصرية في حقبة من الزمن لا تشرف المصريين ، وهي تلك الحقبة التي حكمها فيها الأتراك والمماليك معاً ، والتي كان هؤلاء الحكام يعبثون فيها بحقوق الناس عبثاً شديداً سخيفاً ضعف إزاءه المصريون ، واستلانوا له وجعلوا شعارهم معه قولهم : « من تزوج أمي قلت له يا عمي » وقولهم : « إن كانت لك عند الكلب حاجة فقل له يا سيدي » ...

ولقد حاولت أكثر من مرة وفي أكثر من صحيفة أن أنزع من أذهان رجال استوديو مصر هـذه الكراهية الخاطئة التي يصبونها على العشرة الطيبة لهذا السبب وحده ، ولعلي ضربت لهم يوماً مثلاً برواية هنري الثامن التي مثلها شارلس لاوتون لإحدى الشركات الإنجليزية ، والتي لم يتورع ذلك الممثل الإنجليزي الكبير حين مثلها أن يصور هنري الثامن الملك الإنجليزي بصورة هي أقرب الصور لما كانت عليه حقيقة هذا الملك ، ولم تكن حقيقة هذا الملك مفخرة من مفاخر بريطانيا العظمى ، ولا مثلاً طيباً لحكامها وملوكها ، وإنما كانت حياته كما روى التاريخ وكما أظهرتها السينما حياة كلها صيد وزواج ، وأكل ، وطلاق ، وفتك بالنساء وبالحيوان وبالتقاليد ، واستخفاف بشريعة النصارى التي لا تبيح انفصال الزوج عن زوجه إلا للسبب الشنيع الواحد الذي لم يحاول هنري الثامن مطلقاً أن يجعله وسيلة إلى التخلص من نسائه لأنه كان يرى نفسه فوق التحقيق والتدقيق واستقصاء الأسباب وإبداء الأعذار . . .

ومع هذه البشاعة كلها ، ومع هـذه القتمة والظلمة والسواد فإن الإنجليز لم يكرهوا شارلس لاوتون، لأنه أخرج هنري الثامن على حقيقته، بل إنهم على العكس من ذلك أحبوه وقدروه ، وبدأوا منذ أخرج هذا الفلم يعتبرونه فنانهم الأول في هذا العصر، وهنري الثامن ذات حقيقية فعل بها شارلس لاوتون هـذا كله تحت أعين الإنجليز وأسماعهم ، بل إنه استعان على فعله هذا بأموالهم وبكفايات الذين ساعدوه من رجالهم . أما « العشرة الطيبة » ، فليس فيها ذات حقيقية واحدة ممن يعتز بهم التاريخ المصري ، أو ممن ينسبون إليه ويخشى إن هو أظهرهم للناس أن يلصقوا به نقائصهم وعيوبهم ... وإنما هي قصة خيالية تصور كاتبها المرحوم محمد تيمور أن حوادثها جرت في مصر ، وقد كان يستطيع أن يتصورها جرت في الهند ، كما كان يستطيع أن يتصورها جرت في كوكب آخر غير هذه الأرض ، لولا أنه آثر أن تكون حين تنسب إلى مصر أقرب إلى نفوس المصريين ، وأشد إغراء لهم بالإقبال عليها والاستمتاع بها . وقد كانت « العشرة الطيبة » فعلاً من أحجار الأساس الأولى التي وضعت في بناء المسرح المصري

وقد ترامى إلينا أن استوديو مصر بدأ يفكر في هذه الأيام في إخراج العشرة الطيبة ، وأن رجاله بدأوا يتخلون عن تلك الفكرة العجيبة التي ظلوا يتشبثون بها زمناً طويلاً والتي حالت بينهم وبين إخراج « العشرة الطيبة » هذا الزمن الطويل، ولا ريب أن استوديو مصر إذا نفذ هذه الفكرة فإنه سيفتح بها فتحاً جديداً في تاريخ أوبريت السينما في مصر ، ففي هذه الرواية مجموعة من الألحان يشهد الموسيقيون المصريون جميعاً قبل النقاد وقبل الجمهور بأنها خلاصة الموسيقى التمثيلية المصرية ، وأول من شهد بهذا هو المرحوم الشيخ سيد درويش الذي وضع موسيقى هذه الأوبريت. فقد سئل رحمه الله يوماً بعد أن أنشأ لنفسه فرقة خاصة أخرج فيها روايتي « البروكة » و « شهرزاد » عن أحب آثاره الفنية إليه فقال إنها العشرة الطيبة ، وكان السائل يحسبه سيقول

عن إحدى هاتين الروايتين اللتين أعدهما لنفسه ولفرقته واللتين لم تأخذهما منه فرقة من الفرق

وإنني لا أشك في أن سيد درويش رحمه الله كان على حق في تفضيله للعشرة الطيبة على غيرها مما لحن ، فهي أصفى وأنقى من كل رواياته ، ونفسه منطلقة في ألحانها كل الانطلاق لا يقيدها قيد ولا يكتنفها شرط

ولعل القراء يعرفون أن موسيقى سيد درويش كانت تصيبها أحياناً آفات لم يجد سيد درويش نفسه بداً من أن يسمح لها بأن تصيب فنه ، بل إنه هو الذي كان يبلو فنه بهذه الآفات ، لأن احترافه التلحين للفرق المختلفة هو الذي كان يجبره عليه . وهذه الآفات تظهر بموازنة ألحان سيد درويش للفرق المختلفة بعضها ببعض . فألحان سيد درويش لمنيرة المهدية ، غير ألحانه للريحاني، غير ألحانه «للمكاكشة ...» وذلك يرجع إلى أن سيد درويش كان يتقمص أبطال الغناء والتمثيل حين يلحن لهم ، وكان يتدفق في تلحينه لهم بروح هي أقرب إلى أرواحهم منها إلى روحه هو ، وبأسلوب هو أقرب إلى أساليبهم منه إلى أسلوبه هو ، وليس معنى هذا أن سيد درويش كان يفقد نفسه في هذه الألحان التي كان يعطيها غيره ، وإنما معناه أنه كان يتنكر بصور مختلفة في أثناء تلحينه ... ومن هذه الصور - صور المغنين والممثلين - ما هو خفيف جميل رائع ، ومنها ما هو ثقيل سمج أقتم الظل ... ومع الثقيل السمج الأقتم الظل لم يكن سيد درويش يستطيع أن يسبل عليه من الحسن إلا بمقدار ماتستطيع شركة السكر أن تبعث الحلاوة في ملاحة رشيد ...

وكان سيد درويش رحمه الله يبارك الثقلاء من أبطاله ، ويسبهم ويلعنهم ، وكان يثور على بعضهم ويضربهم لكي يطاوعوه ويسايروه ، ويحملوا أرواحهم على التأثر بروحه ، وأذواقهم على التبسط في الغناء والتمثيل ، وترك الشموذة والتطريب ، ولكنه لم يكن يجني من هذا كله إلا أن يحترق دمه وأن تنهدم أعصابه ، ويظل الثقلاء من أصحاب الفرق وكبار المغنين ... على ما هم عليه من فساد الذوق و « المصلحة » ، فكان المسكين لا يرى بداً في بعض الأحيان من أن يعطيهم موسيقى تروق لهم هم ، وتروق للناس أيضاً ، ولكنه هو كان أول من يعرف أن عنده خيراً منها وأروع ...

أما حين وضع سيد درويش ألحان « العشرة الطيبة » فقد كان حراً متحرراً من كل قيد ، ومن كل اعتبار خارج على إرادته ذلك أن نجيب الريحاني كان له في ذلك الوقت فرقتان ، فرقة كان يلعب بها « كشكشيانه » الرشيقة وفرقة أخرى أسلمها لعزيز عيد يخرج بها فناً دسماً. وكانت رواية تيمور هذه أول ما وقع عليه اختيار هذه الفرقة، وكان بديع خيري إذ ذاك لا يزال يشق طريقه إلى مجده الفني الزاهر فلما عهد إليه بوضع أزجال هذه الرواية بثها روحه كلها لم يقتصد ولم يدخر وسعاً في إجادتها والتأنق فيها ، فلما تسلم سيد درويش هذه الأزجال ليلحنها حرا أعطاها هو أيضاً كل نفسه ، لم يقتصد كذلك ولم يدخر وسعاً في إجادتها والتأنق فيها . ولم يزل الريحاني ينفق على « بروفات » هذه الرواية الأشهر الطويلة حتى اكتمل ما أنفقه ألف جنيه ، فضج وراح يزور هذه البروفات ليرى أي شيء فيها يستدعي هذا التريث كله ، وهذه النفقات كلها ... ولم تشعر به الفرقة وهو يتجسس عليها متسمعاً لأحد ألحانها ، ولكنها شعرت به عند ما فرغت من ذلك اللحن وهو يقول موجهاً الحديث إلى عزيز عيد : « لقد كان في عزمي أن أضع اليوم حداً لهذا الإسراف ، ولكني بعد ما سمعت هذا اللحن أراني مضطراً إلى أن أترككم وشأنكم فليس هذا الذي تصنعونه بالشيء العادي »

وقد كان نجيب محقا ، فالعشرة الطيبة من غير شك معجزة

وهنا قد يسألني سائل : لماذا كانت العشرة الطيبة (درويشية) أصفى من شهرزاد والبروكة ، مع أن هاتين الروايتين الأخيرتين قد وضعهما سيد درويش لنفسه ولفرقته لم يتقيد فيهما هما أيضاً بقيد ، ولم يراع فيهما ذوق أحد غير ذوقه الخاص ؟

وإجابة عن هذا السؤال نقول : إن سيد درويش لحن العشرة الطيبة في أوائل حياته الفنية أو في أواسطها ، بينما لم يلحن شهرزاد والبروكة إلا قبيل وفاته . وقد حدث أن تأثر سيد درويش بعد العشرة الطيبة بالأساليب الغربية في الإلقاء المسرحي ، وقد ظهر هذا التأثر واضحاً جلياً في ألحان رواية البروكة الغربية الحوادث

والأبطال ، كما ظهر هذا التأثر باهتاً غير جلى فى ألحان شهرزاد . وليس هذا التأثر بالروح الغربية مما يعيب هاتين الروايتين فلا يزال تقليد الغربيين فى الفن الشرقى هو مقياس الفلاح ، ولكننى أنا الذى أكره هذا التأثر ، كما أحب أن أجد عند كل فنان مصري روحاً مصرية خالصة ، هى من غير شك مهما هانت وتواضعت ، لن تكون إلا أصدق من روحه إذا قلد بها الغربيين وأساليبهم .

ولكن سيد درويش كان معذوراً فى التفاتاته للموسيقى الغربية وآلاتها وأدواتها وطرائقها وأساليبها ، وتوزيع الأصوات فيها ، فقد شاءت الظروف أن يكون هو الموسيقى المصرى الذى ألقت عليه النهضة المصرية أعباء الفن ليثب به من حالة الركود والإنشاد التى سبقته إلى حالة الحياة والصخب والتدفق والتفرع والشمول التى كانت على أيام سيد، والتى يريد من جاءوا بعد سيد أن تكون على أيامهم .

فلو أن سيد درويش عاش أكثر مما عاش لكان قد استتب له تقرير ما يصلح أخذه من الأساليب الغربية فى الموسيقى واصطناعه فى موسيقانا ، ولكان قد أدرك أنه لا يقل شيئاً عن وجنر وفردى وغير هذين من أعلام الموسيقى الذين كان يتوق دائماً إلى أن يكون فى صفهم ، ولم يكن إلا فى صفهم بمواهبه وصفاء روحه، وإن كان قد أعوزه ما لم يعوزهم من التثقيف الفنى الذي لا يعدو أن يكون حساب الموسيقى وتطريزها لا الموسيقى نفسها ...

ولنعد الآن إلى استوديو مصر لنسأله : هل صحيح ما نشرته بعض المجلات من خبر اعتزامه إخراج العشرة الطيبة ...

أما إذا كان هذا الخبر صحيحاً فإنه خبر يغتبط له الشرق كله لا مصر وحدها . وإن لنا عند صحة هذا الخبر رجاء نتجه به إلى استوديو مصر ورجاله وهى أن يشترك عزيز عيد ونجيب الريحانى معاً فى الفلم على أى نحو وعلى أى وجه ، فلهما من خبرتهما وذكرياتهما — على الأقل — ما نطمئن به على أن تعود الحياة إلى العشرة الطيبة على النحو الذى أراداه لها مع صاحبها ...

والله الموفق .

عزيز أحمد فهمى



الكتابة على الأرض

[مقتبسة من أسطورة قديمة]

للكاتبة الأسوجية سلمى لاجيرلوف

بقلم الأستاذ صديق شيبوب

كان قد صدر الحكم على المرأة الزانية ، وكانت تعرف أنها سوف تعدم ... إن الذين ألقوا القبض عليها ، متلبسة بجريمتها ، قادوها إلى الهيكل أمام الكهنة ورجال الشريعة ، فأصدروا حكمهم عليها وفاقاً لشريعة موسى التي تقضي بإعدام الزانية رجماً بالحجارة ...

كانت هذه الزانية هزيلة الجسم ، وكانت ثيابها ممزقة ووجهها دامياً من أثر الضرب الذي انهال عليها ... وكانت لفرط ذعرها شبه ميتة ، وقد ظلت ساكنة صامتة أمام قضاتها ... فلم تحاول أن تدافع عن نفسها ، ولم تقاوم قبل ذلك الرجال الذين ألقوا القبض عليها وقادوها إلى الهيكل ، أولئك الرجال الذين يدفعون بها الآن إلى المكان المعد لتنفيذ الحكم الصادر عليها ...

على أنها بالرغم من مظاهر الضنك البادية عليها ، كانت روحها مليئة بغضاً ، ودمها يفور في عروقها غضباً ... وكان واضحاً جلياً أنها لا تشعر بوخز ضميرها وتقريعه ... فقد كان زوجها شديد القسوة في معاملتها ، وكان يضربها

تعريف

نعت أنباء البرق في يوم ١٦ مارس الماضي الكاتبة الأسوجية الذائعة الصيت « سلمى لاجيرلوف » Selma Lagerlöf بعد أن أربت على الثمانين من عمرها وكانت قد ولدت سنة ١٨٥٩ وابتدأت حياتها العملية بالتعليم ثم زاولت الكتابة والتأليف فلم تلبث أن ذاعت شهرتها وعلا كعبها في عالم الأدب . وكان أول كتبها الذي لفت إليها الأنظار قصة « ساجادي جوسته بيرلنج » أو كما يسمونها بالفرنسية La légende de Gösta Berling التي ظهرت سنة ١٨٩١ . وقد ساهمت في حركة التجديد التي ظهرت في أدب بلادها وهي حركة كانت ترمي إلى انتهاج الطريقة الرومانسية الابتداعية في الأدب الأسوجي وكانت تعالج في قصصها أساطير قديمة بخيال واسع قوي ونزعة إنسانية محضة .

وقد امتازت بعطفها على المساكين وفهمها العميق للنفس البشرية ، فزجت في مؤلفاتها بين هذه العواطف الانسانية ، وذلك الخيال الواسع فجاءت كتبها في متناول كل واحد على اختلاف العمر والفهم . وهذا ما حمل الكثيرين من النقاد على تشبيهها بالقصصي الدانمركي الكبير « أندرسن » Andersen وجعلها ذات شهرة عالمية ، بل دفعها في مصاف الكتاب القلائل الذين عرفوا بميزتهم الانسانية العالمية الشاملة . وقد فازت بجائزة « نوبل » الادبية سنة ١٩٠٩

وقد شاءت الصدف أن تنعى هذه الكاتبة الكبيرة بينما كنت أطالع آخر ما ترجم إلى الفرنسية من مؤلفاتها وهي مجموعة من الأقاصيص بعنوان « خاتم الصياد » L'anneau du pêcheur فرأيت أن أنقل منها أقصوصة بعنوان « الكتابة على الأرض » L'inscription sur le sol تناولت فيها الكاتبة الكبيرة حكاية الزانية التي جيء بها إلى المسيح وقد حكم عليها بالموت رجماً فأجابهم بكلمته المشهورة : « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بأول حجر » . ثم انحنى إلى الأرض يكتب بأصبعه عليها ... إلى آخر ما روى في الاصحاح الثامن من إنجيل يوحنا .

ضرباً مبرحاً ، ويحتم عليها أن تشتغل وتكد من غير أن يوجه إليها كلمة مؤاساة طيبة ... لذلك لم تكن تعتقد أنها مدينة له بالأمانة والوفاء ... وكانت نساء الحي يعرفن ما تقاسيه ويعجبن لصبرها على تحمل المضض ، وطاعتها لأوامر زوجها ، وأنها لا تقابل الشر بالشر ...

وشعرت فجأة بالمصير الذي ينتظرها ... فصرخت صرخة مدوية ، وتراجعت إلى الوراء ...

سمعت منذ نعومة أظفارها أحاديث كان الناس يتناقلونها همساً فيقولون : إنه يوجد في هيكل أورشليم مكان مخيف لا يقصده الناس إلا مرغمين ؛ وكان هذا الموضع ساحة ضيقة في شكل مربع ذات أرض سوداء يحيط بها جدران عالية مشيدة بحجارة ضخمة ... لم يكن في تلك الساحة مذبح ، أو أقفاص حمام ، أو مكاتب صيارف ... لم يكن فيها غير كومة كبيرة من أحجار عادية كالتي توجد في الحقول ، حجارة رمادية اللون بحجم رأس الإنسان ... ولم تكن المرأة قد رأت هذا المكان قبل ذلك ، ولكنها عند ما نظرت من فجوة باب مرتفع ، ورأت الحجارة الرمادية اللون ، فهمت لساعتها أي مكان يحتويها ...

كانت تشعر برعدة وخوف كلما سمعت الناس يتحدثون عن الساحة الخالية إلا من كومة من الحجارة حيث تكفر النساء الزانيات عن جرمهن وفقاً لشريعة موسى ، وقد ظهر لها هذا المكان أشد شؤماً من جهنم ، وها هي ذي تقاد اليوم إليه

ماذا ينفعها الصراخ والمقاومة ؟ لقد دفعها الرجال بعنف فدخلت الباب وبعد ذلك لم يهتموا بأن تظل واقفة ، فتركوها ترتمي على الأرض فجرت

نفسها جرا إلى أحد أركان الساحة حيث قبعت فى مكانها مذعورة مشدوهة ، وعيناها لا تفارقان كومة الحجارة لأنها مصدر روعها وخوفها

على أنه بالرغم من وجلها ظل البغض والغضب يضطرمان فى نفسها ويحولان دون شعورها بحقيقة جرمها . ولو أنها استطاعت الكلام لما حاولت أن تنكر فعلتها أو تستدر عطف أحد عليها . كلا ، بل لصاحت فى وجه متهميها بأنهم أخطأوا نحوها أكثر منها نحوهم ، وأن إله إسرائيل سوف يعاقبهم إذا انتزعوا منها الحياة التى تنبض فيها

ولكنها فى تلك الساعة لم تكن تستطيع التفكير إلا فى كومة الحجارة القائمة أمامها ، لذلك لم تدر من أين جاء الرجل الذى وقف فجأة بينها وبين تلك الكومة المشؤومة ، أكان فى موضعه قبل وصولها أم هو من أولئك الفضوليين الذين تبعوها إلى فناء الهيكل ؟

لماذا يقف بينها وبين كومة الحجارة ؟ ماذا يريد ؟ أتراه الذى يبدأ بتنفيذ الحكم ؟

كان الرجل مديد القامة يرتدى ثوباً أسود، ويتدثر بدثار أسود. وكان شعره ينحدر على كتفيه مضفراً غدائر متساوية ، وكان وجهه جميلاً، ولكنه كان يشيع حول عينيه وفمه تجاعيد خددها الألم، وكانت تفكر فى نفسها : « إنى أعرف حق المعرفة أنى لم أسىء إليك من قبل يا هذا ، فلماذا تحكم على وتنالنى بقضائك ؟ »

لم يخطر ببالها لحظة واحدة أن حضوره لهذا المكان قد يكون لإعانتها والأخذ بيدها. على أنها أحست بتغيير فجائى عند ما رأته. إن وجود هذا الرجل الغريب قد خفف الضيق الذى كان يلازم صدرها وحسن تنفسها الهواء ، فلم يعد هـذا التنفس يشبه حشرجة الموت

أما الرجال الآخرون ، أما أبوها وزوجها وأخوها وجيرانها الذين قادوها إلى هذا المكان والذين كانوا يتأهبون لقتلها فقد تمهلوا إلى حين دون هجومهم الوحشى عليها ، وإذا ببعض الرجال من الذين قضوا النهار فى الهيكل يصلون ويجادلون فى كتب الدين قد دخلوا فناء الهيكل المظلم وأمر أحدهم بوقف تنفيذ الحكم

فسمعت الزانية همساً من ورائها ، وخيل لها أنها تسمع من يقول : « سوف يمتحنون هذا الرجل، إنه النبي الناصرى ، لنغنم هذه الفرصة السانحة ونرَ هل يجرؤ على معارضة شريعة موسى ! »

وعندئذ تقدم من الغريب ذى الثياب السوداء اثنان من رجال الشريعة ، وكانا شيخين ذوى لحية فضية ، يتدثر كل واحد منهما بدثار صنعت حواشيه من الفرو ، فانحنيا أمامه ، وقال له أحدهما : « يا معلم ، لقد قبض على هذه المرأة متلبسة بجريمة الزنا ، وقد قضت شريعة موسى على أمثالها بالرجم بالحجارة ، أما أنت فماذا تقول ؟ »

رفع الغريب الذى لقبوه بالمعلم أجفانه الثقيلة ونظر إلى محدثيه. ثم أجال نظره فى أب المحكوم عليها وزوجها وأخيها ، والرجال الذين رافقوها إلى الهيكل ، ورجال الشريعة والفريسيين وكل خدمة الهيكل

وبعد أن طاف بنظره محدقاً فى وجه كل واحد منهم انحنى على الأرض وأخذ يكتب بأصبعه عليها ، كأنه لم يجد من المناسب أن يرد عليهم . على أنه عند إلحاح الشيخين اللذين تقدما إليه نهض وقال لهم :

« من لم يرتكب منكم خطيئة فليرمها بأول حجر »

فرد عليه الرجال بضحكة ساخرة ، ماذا يريد من قوله هذا ؟ إذا كان الأمر كذلك فلن يلقى مجرم عقابه الحق

تصاعدت من صدر المرأة أنة ضعيفة ، وكانت قبل ذلك قد أحست بالرغم منها بالأمل فى أن هذا الغريب سيقول كلمة تنقذها من الموت . أما الآن فقد فهمت أن كل أمل ضائع مفقود ، فأحنت رأسها وقبعت فى مكانها مطوية الجسم فى انتظار سيل الحجارة الذى سيهوى عليها ، بينما كان الرجال الذين سينفذون الحكم فيها قد أخذوا ينزعون عنهم ما يتدثرون به ويشمرون عن سواعدهم . أما الغريب فظل فى مكانه وانحنى من جديد ليكتب شيئاً على الأرض السوداء

كان أول من تقدم من كومة الحجارة أبو المرأة الزانية ، لأنه رب الأسرة وأول من أصيب بعار جريمتها فمن حقه أن يبدأ . فانحنى ليلتقط حجراً ، وفى هذه اللحظة وقع نظره على الكتابة المخطوطة على الأرض وقرأ فيها مكتوباً ، لا بالحروف بل بطريقة واضحة مفهومة ، قصة إثم هائل ارتكبه منذ سنوات خلت، وهو لا يزال إلى اليوم يحرص على إخفائه

فتراجع الأب مذعوراً مرتاعاً عند رؤيته ذلك وجرى نحو الباب هارباً من غير أن يعنى بأخذ دثاره الذى كان قد انتزعه من قبل

فأسرع ابنه ليقوم مقام والده وينفر سلوكه الشائن ، وقد ظن أن سبب هذا الهرب ضعف الشيخ وتخاذله أمام ابنته ، ولكنه عند ما انحنى بدوره ليلتقط حجراً ويرمى به أخته التى جلبت عليه العار وقع نظره على ما كتب على الأرض فرأى مخطوطاً ، لا بحروف بل بطريقة واضحة مفهومة ، قصة سرقة دنسة ارتكبها فى نزق شبابه ، وهى لو عرفت كان من جرائها فقدانه حقوقه كواطن إسرائيلى

فذعر وحاول أن يمحو برجليه ما رآه مكتوباً على الأرض ، ولكن الكتابة ظلت جلية تشع بلمعان لا سبيل إلى إطفائه . وعندئذ فر ممعناً فى هربه مقصياً فى عنف كل من حاول أن يسد عليه طريقه

تحركت المرأة الزانية من الركن الذى قبعت فيه ، وكان شعرها ينحدر على جبينها فأزاحته عنه وأخذت تسوى ثيابها المهلهلة

وعندئذ تقدم زوجها ، وكان قد غاظه ما رآه من سلوك أبيها وأخيها الشائن ، فتأهب ليلتقط حجراً بينما كان كل جسمه يصرخ بالثأر للشرف المهان : لتقتل هذه المرأة التى ألبسته العار . يا لها من لذة يشعر بها فى ثأره هذا ، ولكنه بينما كان ينحنى نحو الأرض خيل إليه أن بعض كلمات أو إشارات سطرت عليها أخذت تلتهب فجأة ، وكانت هذه الكلمات تزيح الستار عن مؤامرة دبرت ضد الحاكم الرومانى ، وكان الرجل مشتركا فيها ، وهى لو فضح أمرها لكان الشنق للعقاب الذى ينتظره

فانتصب واقفاً ، وأوحت له خبرته بالحياة أن يتظاهر بالشفقة فتمتم كلمات معناها أنه لا يريد أن يقيم نفسه حكما . ثم غادر المكان

ورأى رجلا الشريعة هذا التخاذل فاندهشا وخافا . ثم تقدما من الكومة لا ليلتقطا حجراً بل لينظرا ما خطه المعلم على الأرض بعد أن رأيا ما كان لهذه الكتابة من أثر عظيم

فرأى أحدهما سطراً أنه فى أحد الأيام اغتصب جزءاً من حقل جاره إذ نقل الحد الفاصل بينهما ، ورأى الثانى أنه استولى على جزء كبير من أموال قاصر كان وصياً عليها

فانحنى الرجلان عندئذ أمام المعلم متظاهرين بالشفقة والحنان وانصرفا بوقار

وبعد أن خرج الرجلان اللذان كانا بين قضاتها ، انتصبت الزانية على ركبتيها لأن الشجاعة أخذت تعاودها . إنها لم تفهم جليًا ما جرى ، ولكنها أحست بأنها ستنجو ، أو أنها قد نجت بالفعل . فشعرت بلذة الحياة تفيض على نفسها غبطة وسعادة ، وتمشت فى جسمها رعشة عجيبة فأحست بميل إلى الرقص

ولكن الخطر لم يكن قد زال تماماً لأن بعض الحاضرين تهافتوا لينفذوا فيها الحكم . على أنهم لم يلبثوا أن تراجعوا الواحد تلو الآخر بعد أن ألقوا نظرة على الأرض ، وكانوا ، بدلاً من أن يلتقطوا الحجارة ، يولون الأدبار وقد علت وجوههم صفرة الوجل وسرت فى أجسامهم رعدته ، ثم يمعنون فى الهرب ، وقد حولوا أنظارهم وخفضوا رؤوسهم

وعند ما لم يبق فى فناء الهيكل أحد انتصبت الزانية واقفة وقد استعادت عيناها لمانهما كما استردت وجنتاها الشاحبتان لونهما الوردى ... وظلت حيناً جامدة لا تحرك ساكناً . وكان فرحها بالحياة يختلط بلذة رؤيتها أعداءها ينصرفون مذعورين ذليلين . فانتشت بحلاوة الانتقام وأحست برغبة ملحة فى الرقص فى هذا المكان المرذول وأمام الحجارة التى كانت ستنقض عليها فتسحقها . فاستقامت فى وقفة المستعدة للرقص ، وكأنما فتنها الموقف فطفقت تضحك

ونظر إليها المعلم المجهول سائلاً : « أين قضاتك ؟ ألم يحكم عليك أحد ؟ »

فأجابته : « لم يحكم أحد يا سيد »

وبينما كانت ترد عليه كانت تقول فى نفسها إنها لا تستطيع كبح جماح سرورها الذى كان يدفع بها إلى الرقص

ولكن المعلم ظل ينظر إليها

كان يرى تلك الغبطة الحيوانية الجامحة التى استولت عليها ، ويلاحظ أنها لا تشعر بأى ندم ، وأن نفسها مليئة بالبغض ، عطشى إلى الانتقام وإلى إشباع الشهوات الجسدية

على أنها فهمت أنه كان يرى ما بنفسها ففارقتها رغبتها فى الرقص وأخذت تحس بالخوف من الرجل الذى أنقذ حياتها .

الدَّيْن . . .

عن « موباسان »

بقلم الأستاذ مراد الكردانى

خرجت لتبحث عن القوت فرجعت ومعها جائع !

زحف الظلام فلفّ باريس كلها . وغشيتها موجة من البرد القارس . وجثمت على صدر المدينة اللاهية الضاحكة غاشية من همٍّ ثقيل حبست الناس إلى دورهم ، وحلّقتهم حول مدافئهم . وقد خلت من رُوّادها المسالك والطرقات . وهجمت مدينة النور — على كُرْهها — تحت أطواء ليل بارد مظلم طويل

ولكن « فانى » التى طوت نهارها طاوية لم تكن لتأبه لذلك البرد القاسى ، فإن الجوع قد لوى أمعاءها وخمصَ بطنها ، وأشاع فى نفسها الخوف من أن تتضور فى غدها كما تضورت فى يومها ؛ فخرجت — ككل أمسية — لترابط على رأس طريق تنتظر فيه من يمنحها الخبز الرخيص لقاء أن تهبه جسدها ساعة أو بعض ساعة

فى تلك الليلة القَرّة كان الرجال يمرون بها مراً لا يحفلون بها ، لأنها لم تكن تحسن دعوتهم ، ولأن لذع البرد لم يدع فى نفوسهم سوى أن يصلوا إلى مكان دافىء كنين ، فلم تُلفتهم تلك المسهسة المرتجفة التى كانت تقع من أذهانهم موقع الطّرفة والعجب من هذه الفتاة التى تهزأ بهم وتسخر منهم فى هذا الليل الثلوج !

كانت شابة جميلة تقف على قمة العشرين ، تفور أنوثتها فى كيانها فتنضح حسناً فى وجهها وامتلاء فى جسدها ، وشهوة تتألق فى عينها الشرهة ونظرتها الآثمة ...

تلك « فانى » التى سطع نجمها فبهر باريس من أقصاها إلى أقصاها ، وشغلها عن كل غانية سواها ، تدور الليلة يهرأها البرد ويلويها الجوع فلا تجد من يشبعها أو يأويها . حتى إذا خَدِرت قدماها من طول ما وقفت ، وسرت فى قدميها ونخذيها رطوبة الأرض المصقوعة همت راجعة وهى تتمتم قائلة :

— لم يعد ثمت أمل فلأرجع إلى بيتى

وكأنما شق عليها أن تنتهى غمرتها هذه النهاية المحزنة المؤلمة ، لأنها حين دارت بجسمها لتأخذ طريقها دارت عينها تفحص الظلام حولها عله يتفتق عن رجل ... فلمحت شبحاً يسير مضطرباً متثاقلاً يتلفف فى معطف بال مهلهل ... كان بين الخطوة والخطوة يتأنى ويتمهل كأنه يستوضح الطريق أو يدبر المصير

وحين تبينته ظنته طلبتها التى إليها تهفو فرصدت سبيله ، وطفقت تهمس له فى صوت داعر مرتعش لفته حين ملأ سمعه ... فاستدار لها وقصدها متوجساً منها مسرعة إليه ! !

... لم يكن مخموراً كما حسبت ، ولا كانت خاطئة كما ظن ... إنما كان جائعاً شريداً ... مهزولاً ، ذرع المدينة الغارقة فى الثلج يومين كاملين حتى عصبه الجوع وأزحفه السير والسرى

قالت له فى حنو وإشفاق ، وهى تسنده فى لفة ذراعها وتقبله فى نهزة الظلمة والسبيل خالية :

— مسكين ... مسكين ! لا تحزن ... تعال معى فهى حجرة على أى حال وفيها دفء وقرار ...

... ووصلا معاً ... وحين دلفا إلى الحجرة ، واستشعر دفئها كانت تراه يشع بنور سماوى فشعرت برهبة شديدة تستولى عليها . هل جاء دور هذا الرجل لحاكمها . سوف يكون حكمه أشد قسوة من الحكم الأول لأن من حقه أن يستنكف الخاطئة التى ارتكبتها

وبينما كانت تتنازع نفسها عوامل الخوف والرهبة سمعته يقول لها :

« وأنا أيضاً لا أدينك . اذهبى بسلام ولا تأثمى بعد اليوم »

عند ما انتهت إلى نفس المرأة الخاطئة هذه الكلمات الحاملة لمعانى الغفران والمحبة تمت المعجزة فى قلبها . ذلك أن شرارة صغيرة هى قبس من الضياء السرمدى اشتعلت فأوقدت شعلة مضطرمة أنارت ظلام القلق والنضال اللذين كابدتهما أياماً وليالى عديدة . وكانت تود فى بعض الأحيان لو تنطفئ هذه الشعلة لأنها كانت تجد أن روحها ليست جديرة بزانية مثلها . ولكن الشعلة لم تنطفئ بل خطت فى قلبها كتابة لا تمحى عن بشاعة الخطيئة وجمال العدل . وقد ظلت متقدة حتى امتلأت بقدسيتها نفس تلك المرأة الضالة

صدقى شيبوب

صاح فى جذل وسرور وهو يلقى بنفسه إلى الأرض إلقاء :

— ما أهنأنى بهذا المكان ... إنه ولا شك أفضل من الشوارع. نعم إنه أفضل من الشوارع لقد أمضيت دهراً فى الشوارع

وفتحت « فانى » خزانتها وعَيَّنَتْ فيها ، وكانت تحوى كل ما تملك من ملابس وطعام وشراب ! إن كانت الكسر التوافه التى ضربت فيها العفونة تسمى طعاماً ... أو إن كان القليل من النبيذ الرخيص يصلح أن يكون شراباً ...

قدمت له كل ما عندها ، بعد أن عجفت نفسها عنه ، فشبع وروى جهد ما وسعها أن تشبعه وترويه ... وحين أجحاه الطعام[1] شرع يقص عليها قصصه وقد طامنت جوعها واطمأنا معاً ... قال :

« قضى جدى منذ زمن قصير ولم يكن لى سواه وكان مصوراً مغموراً ... وقبيل موته أوصى بى أحد معارفه هنا ، وحملنى إليه رسالة مكتوبة ناشده فيها أن يعنى بأمرى ، ويعلمنى حرفة التصوير وكنت أحمل — حين قدمت باريس — نيِّفاً وثلاثين فرنكاً كانت كل ما أملك من متاع الدنيا ...

« طفقت أبحث عن الرجل فما وقعت له على أثر . إذ كان نقل مسكنه إلى حيث لا يدرى أحد من جيرته فلبثت ستة أشهر أنفق مما معى إنفاق الحريص الشحيح حتى نفدت ثروتى عن آخرها منذ سبع ليال ! فهمت على وجهى متسولاً فى الطرقات ، وفى تلك الأيام التى يجمد فيها الدم وتجن فيها الريح ... آه يا سيدتى ... عند ما لقيتك لم أكن قد طعمت شيئاً منذ ثمان وأربعين ساعة ! »

وكان التعب والدفء قد فعلا فيه فعلهما فلم يَقْوَ أن ينهض ليخلع عنه أخلاقه . فنهضت تساعده وتنضوها عنه فى رقة وحرص ... ثم احتوته فى صدرها فى عطف وحنو ، وأخذت تقبله وتدلله وقد شاعت فيها الرحمة وأنساها بؤسه بؤسها . ثم ثم تركته لتخلع ملابسها هى أيضاً . . . ثم صعدا معاً إلى فراشها وكنّته فى حضنها كطفل عليل ، وناما — ملء عيونهما — إلى ضحوة النهار

... ... واستدانت ثمن غذاء رخيص فى مطعم حقير ، وحين جاء الليل تأذَّنَتْهُ أن تغيب عنه بعض الوقت ... وحين عادت أفرغتْ بين يديه اثنى عشر فرنكا قائلة إنها كسبتها وإنها أحسن حظاً من الليالى السالفات، وإنها تدين له بهذا الحظ الوفير، ثم قبلته وتركته كرّة أخرى ، إذ كانا — لا يزالان — أول الليل

... ... وأوغل الليلُ ... ثم انتصف ... ثم تَهَوَّرَ ولم تعد « فانى » فقلق عليها . ولكن لم تداخله فى خفيتها ريبة ... وأسفر الصبح ولم تعد أيضاً ... ولما علا النهار غادر الحجرة . إذ كان عليه أن يمول نفسه ويعودَ ثانياً فيطرقَ شوارع باريس المديعة القلب ، وإن كانت ستغنيه تلك الفرنكات القليلة التى تركتها له — تلك التى لم يعرف اسمها — عن التشرد بضعة أيام !

أما هى فكان من تَعَسِها أن احتجزها رجل الشرطة ، لأنها كانت تسير عبْر شارع محظور على مثلها أن تسلكه أو تظاهر فيه ... ومن ثَمَّ أعدوا لها — جزاء ما اجترأت — مكاناً فى سجن البغايا فى « سانت لازار »

***

ودارت عجلة الزمان خمس عشرة دورة ، تحولت الحال فيها غير الحال ، وتبدَّل فيها كل شيء . . . ذاقت خلالها « فانى » من صابِ الحياة وحلوها ويسرها وعسرها ما تذوقه كل طريدة مثلها ... وهبت نفسها للإثم والخطيئة ... فملأ التيار بها وهبط ومد وجزر . حتى استقر المطاف بها أخيراً فإذا هى — بعد جهد السنين — غانية باريس الأولى وزهرة مجتمعاتها وحفلاتها وكوكبها الذى إذا ظهر أخذ وبهر ، وإذا غاب شغل وأسر . . . !

كذلك ، وفى وثبة واحدة بلغت « فانى » الأوج وارتفعت إلى الذروة مالاً وجمالاً وشهرة وبُعدَ صيت . وأثْرتْ تلك الفتاة المعدمة الشريدة التى آوتها الطرق ليالى وأياماً وربَّتها الحادثات ، والتى عانت الجوع والعرْى ألواناً وأعواماً ؛ وتدفق فى يديها الذهب ، وأقبلت عليها الدنيا ، حتى سار المثل بغناها وبذخها ، واندفعت فى نزق وجنون تنتقم من يومها لأمسها ، فأسرفت فى اقتناء الجياد والمركبات واستعمال الخدم والخَدَلِ ، وجُنَّت بالترف البالغ والسرف الطائش حتى طاولت بقصورها قصور السادة والأمراء، وطار ذكرها فعبر فرنسا كلها وجاوزها، فتهاوت تحت قدميها أفئدة الرجال ، واحتولها[1] السادة ، وتحلَّقها الخاصة ، واحترق فى وهجها الشباب النَّضِرُ من كل صَوْب وفج ، وذابت فى لذعةِ السحر من عينيها الأخاذتين الأموال الكريمة . والضياع الوِسَاع ، واختفت فى أبهاء قصورها وبُهْرَات ملاعبها ومغانيها ثروات السفهاء البُله من سادة الحكم ووزراء الحاكم وأمراء المال من كل بلد وقطر !

(١) أجحاه الطعام أسكت جوعه

(١) احتولها : تجمعوا حواليها

وَظلَّت « فانى » فترة من الزمن ملكة الجمال الفاتن والبذخ المريض ، ليس فى باريس وحدها ولكن فى دائرة مركزها باريس ومحيطها عَبْر المحيط ... تمسكُ أفئدة الخاصة - بل خاصة الخاصة - بخيوط تُجَمِّعُها فى يدها . فتُقْوِى من تشاء وتُرْجى من تشاء ، وتَتَحَـفَّى من تريد وقت ما تريد . وبلغ بها هَوَسها أن تأَلهتْ فقسمت الحظوظ بين عُبّادها وفَرَّقتْهم ، فنهم شقى وسعيد !

... وأوْفتْ للفتنة فى هذه « المخلوقة » وبها على الغاية حتى ذل فيها الأعِزَّة الشمُّ من الحافِّين حولها ، وحتى هلك فى سبيلها من حقَّتْ عليه كلمتها . فقضى من أجلها من قضى ، وجُنَّ فيها من جُن ... ...

* * *

... وكأنما رَمتْ باريس بهذه الداهية الوافدة التى شغلتها برهة من الزمن فعاجلها القدر وهى فى عقدة عِزّها ، إذ توالت عليها المصائب ودهمتها الحوادث بغتة ومن غير تمهل ، فأخذت تنحدر سريعاً كما ارتفعت سريعاً ... وفعلت تلك الحياة العابثة الصاخبة فعلها فى أعصابها وكيانها ... فأصابتها لوثة جعلت تخبط فيها على غير هدى ... ثم ركبتها الديون ... فاضطربت رأساً لقدم ، وأخذتها العزة فلم تَقْوَ أن ترى الدائنين يجترئون عليها فيقتحمون مقاصيرها . ويخادِعها - على عينيها - ليستوفوا أموالهم بعِدل ما تحوى من كنوز ثمينة وطرائف عجيبة ونفائس غالية ! ! ...

وأسلمها الخبل إلى الجنون ، وتضاءلت شهرتها وانفضت من حولها حاشيتها . وتقلص ظلها الممدود وهوى النجم الذى تضوأ فأفلَ - من وهج نوره - كل نجم سواه ... واختُصِرت الدنيا العريضة التى وسعتها ، حتى صارت حجرة ... حجرة بسيطة فى مستشفى المجانين لا تليق أبداً بـ « فانى » العظيمة ! ...

وقرأ الفنان العظيم « فرنسيس جورلاند » خَبَرَ ما أصاب « فانى » غانية فرنسا ، فلم يلفته النبأ بَدْءَ الأمر ، ولكن الصورة المنشورة أرجعت عقله - حين توضّحها - إلى الوراء بعيداً بعيداً .. حتى عثر فى طواياه على ذكرى سحيقة ... ذكرى تلك الليلة ... ... وحين عرف أن « فانى » الحسناء لم تكن سوى تلك الفتاة التى أطعمته وأدفأته وحنت عليه حنو الأم على وليدها والتى ذهبت عنه فلم يرها ولم يسمع بها ، والتى جَدَّ فى البحث عنها فلم يجدها حتى أيس منهـا ، والتى كانت تصحو ذكراها فى زوايا قلبه فيردِّد شكرها فى أعماقه ويتمنى لو يراها ... حين عرف كل ذلك آسَفَتْه هذه النهاية المفجِعة لهذه الغانية الطيبة القلب ... ثم عجب لنفسه كيف جهل أن « فانى » التى لهجت بسيرتها كل شفة وشغلت بجمالها كل إنسان لم تكن سوى فتاته التى تركت له اثنى عشر فرنكا ومضت ...

قال يحدث نفسه بعد أن رجع من غياهب الماضى الذى غَرِق فيه :

- إنه لا يحسن أن تنتهى حياة « فانى » هكذا ، وفاض فؤاده نحوها بحنان غزير . واعتزم أن يعمل من أجلها عملاً ما ، ومع أنه حَمِد للقدر أن هيأ له أن يراها ليبثها شكره وامتنانه ، وليرد لها جميلها الذى لا يستطيع أن ينساه ، إلا أنه حزن وأسى وود لو كانت لقياهما فى ظروف أحسن من هذه

ولم يكن الفنان النابه ثرياً إنما كان يحيا حياة وسطاً قوامها ما كان يربحه من فنه كمصور ، فباع كل مايملك ليستطيع أن يجد لها مكاناً خيراً من الذى هى فيه وجواً أرحب وأنقى . وعناية أتم وأكمل حيث تراعى وتعالج ويعنى بحالتها النفسية ، وحيث تقوم على أمرها ممرضة تحنو عليها وترعاها ... وهناك تحسنت صحتها تحسناً ظاهراً شجعه أن يحملها إلى بيته ليخدمها بنفسه . وليدخل على قلبها لوناً من المسرة والبهجة ، سيكون له - بإذن الله - أثر فى تقدم صحتها ، ولكن الطبيب عارضه وأنكر عليه ونصحه قائلاً :

- ستعود بها إلينا ثانياً ... إن لهذا المرض نوبات تعاودها حيناً بعد حين . وقد تقضى عليها إحدى هذه النوبات

فلم يرضخ لنصح الطبيب ، وقال له :

- إنه لا بد أن تعيش معى ، إنها أشبه بأمى . . .

وفى منزله اعتنى بها وخدمها بإخلاص ، وسهر عليها فى حنو وصبر . وكانت الصدمة قد كهلتها فتخاذلت وابيض شعرها ، ولم تستطع أن تعى حقيقة أمرها ، ولا أن تعرف شيئاً عن الرجل الذى يأويها ويقوم على شأنها ، ولم يشأ هو أن يذكرها بنفسه ، بل ذهب إلى أبعد مدى فى النبل وإنكار الذات ، إذ تركها تعتقد



أطفال ولا طفولة

[ملخصة من « نيوزبورخ زوتنج »]

لا يختلف الطفل فى أمريكا الجنوبية عن الشاب البالغ إلا بأنه أقل سناً وأقصر قامة . ولكنه لا يختلف عنه من الناحية النفسية على الإطلاق . والطفل فى كل مدينة وكل إقليم يشترك فى مظاهر الحياة العامة على اختلافها . ومن المظاهر المألوفة فى « كويتو » أن يرى الطفل البالغ من العمر ست سنوات يطوف الشوارع فى ثيابه الرسمية وعلى قبعته الرقم الذى يشير إلى وظيفته فى الخدمة العامة

فإذا بلغ الطفل الثالثة من عمره أخذ أهله فى تدريبه وإعداده للمزاحمة فى الحياة . ويشاهد الأطفال فى تلك البلاد وهم فى الخامسة من أعمارهم فى الأسواق العامة يبيعون السجائر والفاكهة والمجلات وأنواع الحلوى . ويرى الكاريون والسماة من بين الأطفال الذين فى الثامنة أو التاسعة من أعمارهم

والطفل فى أمريكا الجنوبية فى السنتين الأوليين من حياته ، يعد لعبة طريفة عند والديه ، يلبسانه ثياب الخز والديباج ويعرضانه فى زهو وعطف على أصدقائهم . فإذا بلغ الثالثة أو الرابعة من سنه بدأ يتبع نسق الحياة الذى اتخذه والداه . فإذا كان من الطبقة الفقيرة كان عليه أن يكسب بعض النقود عند ما يبلغ الخامسة من عمره .

وقد تشاهد فى منتصف الليل كثيراً من البنات اللاتى لم يتجاوزن السابعة من أعمارهن على عرض الطريق يبعن الحلوى والأزهار . وكذلك الغلمان فى هذه السن وهم يحملون أوراق النصيب أو علب (الورنيش) . ولا ينقطع هؤلاء الأطفال عن الشارع فى الليل أو النهار ، فلا تعرف فى أى وقت يخرجون وفى أى وقت ينصرفون ؟ !

والطفل فى جنوب أمريكا يعد عضواً عاملاً فى أسرته ، يرتدى زى الكبار وله ما لهم من الحقوق . فالبنت الصغيرة مثلاً تتحلى بالخواتم وتلبس الأقراط وترتدى ثياب الحرير وتضع الطلاء وتتعطر بالروائح الزكية . وتصفف شعرها كما تفعل أمها على حد سواء . وكذلك يتزيا الصبى بزى أبيه فيلبس القبعة الفاخرة ويرتدى الملابس الطويلة ويقتنى الحلى والجواهر

إن جهاد هؤلاء الأطفال فى الحياة العملية ليدعو حقاً إلى الإعجاب . فقد رأيت طفلاً فى العاشرة من عمره يقوم بعمل حارس الليل فى سفينة على نهر « كاملبا » فى فنزويلا . حيث الملاريا والحمى الصفراء والدسنطاريا والتماسيح ، لا يساعده فى هذه العزلة الموحشة إلا امرأة واحدة ، وهو يعد مسئول عن صحة الركاب الذين لا يقلون عن مائة شخص ، مسئول لذلك عن راحتهم ؛ ويقوم بأعمال النُّدُل فى بعض القطارات أطفال فى العاشرة والحادية عشرة من أعمارهم ، ويدير مصلحة تنظيف الشوارع فى مدينة « كويتو » أطفال فى السابعة ويقومون بعملهم على أحسن وجه

نابليون فى منزله

[من « ذس ويك »]

كان نابليون من ذوى العبقريات الحربية النادرة التى عرفها العالم ، وكان من أعظم رجال السياسة والإدارة الذين عرفهم التاريخ . وقد أشرفت شخصيته الجبارة على أوربا ولما يبلغ الخامسة والثلاثين فماذا عسى أن تكون حياته المنزلية ؟

أنها فى رعاية شاب ترى فُتن بها وأحبها لنفسها حباً حقاً خالصاً موقناً أن هـذا الحلم السعيد الذى تعيش فيه مطمئنة وادعة ، والذى قدّمَ لهـا خيوطه الحريرية فنسجته هذا النسج البديع اللائم سيسرع بها نحو العافية ...

... ولكنها عُقبى نوبة قاسية من نوبات دائها أسندت رأسها إلى صدره هانئة سعيدة وأسلمتْ نفسها تحت عينيه وبين ذراعيه

وحين أراح على فراشها جثمانها الساخن ذكر ليلة أن طعم ودفء وبات هانئاً سعيداً ملء حضنها وبين ذراعيها وغمغم يقول :

— هل دفعت الدين يا فانى ؟ ! . . .

مراد السكرانى

كان نابليون يستيقظ من رقاده فى أى ساعة من ساعات الليل ، فيستحم بالماء الساخن ، وكان يجلس فى حوض الماء وعلى رأسه لفافة كالعمامة يتدلى طرفاها على عنقه . وكان يأمر بتدليك صدره بفرجون من الحرير فى كثير من الأحيان

ويقوم خدمه بإلباسه فى الوقت المعتاد . فإذا أراد أن يحلق لحيته ، غمر كل شىء فى وجهه بالصابون إلا منابت الشعر ، ويتناول « الموسى » فى تعسف ، فلا يكاد يمر بها على وجهه ، حتى يملأ خده الناصع بالجروح . وكثيراً ما كان يشرد لبه وهو يقوم بهذا العمل ، فيترك جانباً من وجهه كما هو ، ويحلق الجانب الآخر

ولم تكن أحذيته أنيقة المنظر ، أو جيدة الصنع ، ولكنها كانت دائماً مبطنة بالحرير . أما قبعاته ، فكانت مهدمة الأركان ممزقة من بعض النواحى . إذ أن القبعات الجديدة كانت تحز فى جبهته وتجلب إلى رأسه الصداع . ولم يكن نابليون يلبس الحلى أياً كان نوعها ، ولم يكن يحمل كيساً للنقود أو يضع فى جيوبه شيئاً منها .

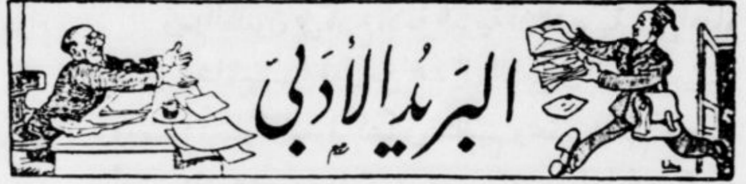
وكان يحب من الذين يقومون بخدمته أن يجيبوه أجوبة سريعة حازمة ، وإن كان قل أن يصغى إلى ما يقولون . فإذا كان معتدل المزاج فلا بأس من أن يفرك لأحدهم أذناً أو يصفعه مداعباً على خده . وكان نابليون سريع الغضب فى أكثر الأحيان ، وكثيراً ما كانت تعتريه نوبات نفسية عنيفة تطغى على أخلاقه ، ولكنه كان سريعاً إلى الهدوء سريعاً إلى الصفح

وكانت تصيبه نوبات عنيفة من سوء الهضم لعدم عنايته بمضغ الطعام ، فيستلقى على الأرض وتأخذ زوجته برأسه فتضمه على صدرها وتدلك بيديها على جبهته وصدره ، وكان يكره تناول العقاقير على اختلاف أنواعها

ومن عادته أن يلعب الورق مع زوجه وأصدقائه عقب الغداء ، إذا لم يكن مصاباً بعسر الهضم

وكان يقرأ الكتاب ؛ فإذا لم يعجبه ما فيه ألقى به إلى النار . فإذا رأى أحداً من أصدقائه يقرأ فى كتاب لا يوافقه أخذه من يده ودفع به إلى النار

وكان نابليون سريع التأثر بالبرد حتى إنه ليأمر بتدفئة فراشه بالطرق الصناعية فى جميع فصول السنة . وكان مصاباً بعادة قرض الأظافر . ومن المعروف عنه أنه كان يغار على زوجه إلى درجة تشبه الجنون إلا أنه كثيراً ما كان يخضع لها ويسألها العفو وإن كان الخطأ فى جانبها . هذه صورة مصغرة لحياة الرجل الذى هزم إيطاليا وهو فى السادسة والعشرين ، وفتح مصر فى الثامنة والعشرين وكان دكتاتوراً لفرنسا فى الثلاثين وسيداً لأوربا فى الثانية والثلاثين من عمره : نابليون بونابرت



هذا أديب

كان عندنا فى مصر أديب فلسطينى راجح العقل ، وافر الذوق ، اسمه خليل سكاكينى ؛ وكانت بينى وبينه مطارحات تصل أحياناً إلى الصيال ، ولكنه لم يكن يعرف الحقد ولا الضغن

فكان يتلقى هجوى عليه بالصفح الجميل ، ثم يحمله الكرم على المبالغة فى الرعاية لما كان بيننا من صداقة وإخاء

ولا أذكر بالضبط متى انتقل من القاهرة إلى القُدس ، فقد شغلتنى عنه أيامى ، ولم يبق لى منه إلا هدايا أدبية من كتبه النفيسة يرسلها إلىّ من حين إلى حين بدون أن يتلقى منى كلمة ثناء ، إلا أن أكون وُفقت إلى الكلام عن بعض مؤلفاته أعوامَ كنت أحرر الصفحة الأدبية بجريدة البلاغ ، وأنا رجلٌ يعاوده الوفاء فى بعض الأحايين !

تلقيت يوماً رسالة مطبوعة من الأستاذ خليل السكاكينى ، فنظرت فيها فرأيتها مجموعة من خطابات الأشواق كتبها إلى ابنه سَرِىّ وكان اغترب لطلب العلم فى أمريكا

فماذا رأيت ؟

لم أجدها رسائل أب إلى ابنه ، وإنما وجدتها رسائل عاشق إلى معشوق !

رأيت رجلاً يقول لابنه إنه يتذكر وجهه الأصبح وهو فى مثل ضوء الشَّفَق وقد صِيغَ مثالاً للجمال الشائق الفتان . رأيت رجلاً يقول لابنه إنه يتذكر طُرّته الجميلة المصفوفة على أروع ما تكون الغدائر التى تفتن العيون فيهتاجه التذكر والاشتياق

رأيت رجلاً يتغزل فى ابنه بعبارات صريحة فقلت : هذا أديب يطبع الحب الأبوىّ بطابع الوجدان

وفى هذا المساء — وقد رجعت من سفر لا يخلو من عناء — وجدت رسالة مطبوعة من الأستاذ خليل السكاكينى وعليها صورة امرأة جميلة فقلت : لعلها معشوقة يتحدث عنها هذا الأديب ، وهل عرفت الدنيا أديباً خلا قلبه من العشق ؟

ومن هذه المعشوقة الغالية ؟

هى حليلة السكاكينى ، هى أمّ سَرِىّ التى خُلِّدت فى أشعار الأستاذ معروف الرصافى

وأقبلتُ على الرسالة فقرأتها فى دقائق مع أنها تبلغ الثمانين من الصفحات

فماذا رأيت ؟

رأيت رجلاً يكرم زوجته فيصف جمالها الفتان بعبارات صريحة فقلت : هذا أديب يضيف ثروة جديدة إلى اللغة العربية ، لأن الحلائل فى لغتنا لم يُبكين إلا قليلاً ، وهنّ أجدر من المعشوقات بالبكاء

ورأيت رجلاً يعتز بنفسه فيصرّح بأن جمال امرأته كان يحتاج إلى فتى فى مثل رجولته ، فقلت : هذا أديب فيه سمة من فتيان قريش

ورأيت رجلاً يبلغ به الحزن على زوجته الغالية إلى التفوه بعبارات هى أفظع ما يكون من الكفر الوبِق، فقلت: هذا أديب يغلبه الحزن فيخلع قناع التأدب مع الشرائع

والأديب الحق يستبيح فى عتاب الأقدار ما لا يباح

والأدباء كأهل بدر تغفر لهم جميع الذنوب ، وستعرفون صدق ما أقول يوم نلتقى فى حضرة الواحد الديان ، إن كان من الممكن أن يكون لأعداء الأدب مَعاد ، وإن جاز أن تُنصَب لأعداء الأدب موازين يوم يقوم الحساب ، وهم فى شِرعة العقل من المهملات وسوف تعلمون مصايركم يا أعداء الأدب الرفيع !

السكاكينى مبتكر فى بكاء حليلته لأنه أديب حق ، وقد كفر من أجلها كفراً هو صورة من الإيمان الصحيح . وبعض الكفر إيمان ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون !

والسكاكينى يعجب من أن ينكر الناس البكاء ، ويقول إن مقاومة البكاء إفساد للفطرة ، ويدعو المحزونين إلى تنفيس كروبهم بالنوح والأنين كما كان يصنع القدماء

قال السكاكينى فى بكاء زوجته كل شىء ، والمفارق يقول ما يشاء وما أصعب الفراق !

يلطف الله بك يا خليل ، ويلطف بأبنائك المفجوعين بفراق أمهم الغالية ! !

وكيف خطرتُ فى بالك ، يا صديق ، بعد فراق الأعوام الطوال ؟ أتريد أن آسى لأساك ، وأشجى لشجاك ؟

إن كان ذلك ما أردتَ فقد حزنتُ لحزنك حتى خفتُ أن أصبح عاشقاً لذلك الحسن المكنون الذى أمسى فى وديعة التراب

أتريد أن أعرف أنك كنت زوجاً لامرأة جميلة كان يقتتل فى سبيلها الخاطبون ؟

هو ذلك ، وإلا فكيف قدمتَ لنا صورها الجذابة فى عهودها المختلفات ؟ !

اسمع ، يا خليل ، اسمع ثم اسمع

أنت رفعت المرأة درجات ، حين جعلتها أهلاً للتفجع والتوجع والأنين

وفى النساء أمهاتنا وأخواتنا وبناتنا وزوجاتنا ، وهنّ جميعاً أهلٌ للعطف والحب . والحمد لله الذى أعزها بوقوفك على قبرها ولم يذلها بوقوفها على قبرك ، على حدّ التعبير الجميل الذى قرأته منذ أعوام بمجلة المرحوم سليم سركيس . . . وسلامٌ عليك من الصديق الحافظ للعهد : زكى مبارك

حول الأمومة عند العرب

اطلعت على الجزء الأول من مقالة الأستاذ رفعة الحنبلى « الأمومة عند العرب » المنشور فى العدد (٣٥٤) فاستوقف نظرى قول الكاتب نقلاً عن أحد المؤرخين اليونانيين القدماء وهو « سترابون » إن العرب فى الجاهلية لم يكونوا يعرفون الزواج الشرعى الدائم ، وإنه كان يفشو بينهم تعدد الأزواج ، وأنهم كانوا يتصلون بأمهاتهم

وجواباً على المسألة الأولى أقول : إن الزعم بأن العرب فى الجاهلية لم يكونوا يعرفون الزواج الشرعى الدائم هو زعم غير صحيح

فقد روى البخارى فى صحيحه وأبو داود فى السنن عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت : كان النكاح فى الجاهلية على أربعة أنحاء « أنواع » نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ، ثم ينكحها : ثم ذكرت الأنواع الثلاثة تتمة الأربعة وفيها تعدد من يتصلون بالمرأة ؛ إلى أن قالت : فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم . التاج ج ٢ ص ٣٦٨

ويعلم المطلعون على تاريخ الأمة العربية أن الشعوبية — من أعداء العرب وشانئيهم — هم أول من عمد إلى الطعن فى أنساب العرب ، ووضعوا أخباراً ولفقوا كتباً فى مثالبهم وتحقير شأنهم ، ومن أشهر هؤلاء الشعوبية الهيثم بن عدى ، وكان دعياً ، فألف كتاباً فى مثالب العرب أراد به أن يعرّ أهل الشرف تشفياً منهم . قال الألوسى : « ثم نشأ غيلان الشعوبى الوراق — كان زنديقاً ثنوياً — فعمل لطاهر بن الحسين كتاباً خارجاً عن الإسلام بدأ فيه بمثالب بنى هاشم ، وذكر مناكحهم وأمهاتهم ، ثم بطون قريش ، ثم سائر العرب ؛ ونسب إليهم كل زور ووضع عليهم كل إفك وبهتان » ص ١٦٠ ج ١

وقال فى ص ١٧٣ ج ١ : « إن جميع ما ذكره الشعوبية فى شأن مناكح العرب وما أوردوه من باب الطعن فى أنسابهم بما كانوا يتعاطونه فى الغارات من سبى النساء واسترقاقهم ووطئهم من غير استبراء من طمث ونحو ذلك لا أصل له . وكتب التواريخ صارخة بتبرئتهم مما رماهم به خصومهم وأعداؤهم ، وقد نطق الشعر الجاهلى بما كانوا عليه من الحمية والغيرة ومزيد الاعتناء بأنسابهم وحفظ حريمهم والذب عن أحسابهم وعشائرهم »

وجواباً على المسألة الثانية أقول : ليس صحيحاً أن العرب فى الجاهلية كانوا يتصلون بأمهاتهم ، لأن هذه عادة مجوسية ، ولأن الله تعالى نهاهم فى القرآن عن محرمات النكاح ولم يذكر أنهم فيما سلف كانوا ينكحون أمهاتهم ، بل خص ذلك بزوجة الأب والجمع بين الأختين . فقال سبحانه : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً » وقال عز وجل : « وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف » ويدل على هذا ما روى هشام بن عبدالله عن الإمام محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة أنه قال : « كان أهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات كلها التى ذكرت فى هذه الآية وهى : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم » الخ إلا اثنتين إحداهما نكاح امرأة الأب والثانية الجمع بين الأختين . ألا ترى أنه قال : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف ، « وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف » ولم يذكر فى سائر المحرمات « إلا ما قد سلف » قرطبى ص ١١٩ ج ٥

وبعد فأقول ليس بعيداً أن يكون ذلك المؤرخ الأجنبى الذى نقل عنه الكاتب أن العرب فى الجاهلية كانوا يتصلون بأمهاتهم

قد التبس عليه الحال فتوهم أن امرأة الأب – التي كان بعض العرب في الجاهلية يتزوجونها – هي الأم مع أنها غيرها قطعاً ولو فرض أن هناك رجلاً أو نفراً من جهلاء العرب كانوا قد اقترفوا هذا الإثم واتصلوا بأمهاتهم فليس من الصواب جعل هذه النقيصة عامة لكل رجال الأمة العربية « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وأختم كلمتي هذه بتوجيه نظر حضرة الكاتب وغيره ممن يخوض في مثل هذا البحث الدقيق ألا يهملوا الاستدلال بما في المراجع العربية فهي المصدر الذي اقتبس منه المستشرقون كما أنها هي التي عنيت بتفنيد ورد ما افتراه ووضعه الشعوبيون

محمد صبري عابدين

العقيدة الساذجة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فقد راعني مقالكم « العقيدة الساذجة » وسرني – شهد الله – هذا الاتجاه منكم لعلاج أمراض المسلمين ، ونواحي النقص فيهم بقلمكم الصناع ، وأسلوبكم الساحر ، لا سيما نواحي العقيدة التي أساء الناس فهمها ، واتجهوا فيها اتجاهاً لا يرضاه الدين إن لم ينافه في أصله وقواعده

وغير خاف أن ذلك الزعيم الهندي الكبير ليس هو الوحيد في هذا الشأن « زخرفة القبور » بل إن من بين أيدينا ، وعن أيماننا ، وعن شمائلنا لمثلاً كثيرة للخروج على عقيدة الإسلام وتعاليمه .

وإني لعلى يقين من أنكم ستستعذبون هذا اللون من الجهاد حتى تنبهوا الأمة من سباتها العميق

سدد الله خطاكم ، وأمدكم بروح من عنده .

وقد لفت نظري في هذا المقال قولكم : « وإن الإمام الذي كان يطوي الأيام ليطعم – على حب الله – المسكين ، واليتيم ، والأسير لا يرضى هذا الإحسان الميت » تشيرون بذلك إلى معنى قوله تعالى : « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً » التي رووا فيها قصة صوم علي كرم الله وجهه ، وبنيه ، وزوجه ، وجاريته وهذه القصة موضوعة لا أصل لها ولا ينبغي أن يحمل كلام الله تعالى على قصة هذا شأنها ، وإن أقل تأمل في هذه القصة يدل على أنها مصطنعة .

محمود محمد سويلم
واعظ صالحوط

مجمع فؤاد الأول للغة العربية في رأي لجنة المالية بمجلس النواب

ترى اللجنة أن الدرجة الثقافية التي وصلت إليها مصر الآن تجعلنا نشعر بالفراغ الكبير وبالحاجة الكبرى لوجود قاموس عربي جامع منسق على أحدث الطرق وأسهلها . كما أن مصر والشرق العربي كله يطمئنان في تحقيق أملهما في وجود دائرة للمعارف عربية ، تستجمع ثمرة إنتاج العقل الإنساني في مختلف العلوم والفنون والمعارف ، أسوة بدوائر المعارف الكبرى الموجودة الآن بكل أمة وبكل لغة إلا اللغة العربية ، وهي الوحيدة بين اللغات الحية المحرومة من دائرة معارف للآن

لذا تأمل اللجنة أن تتوجه وزارة المعارف بخطوات جدية حاسمة في سبيل تحقيق هذا الأمل العزيز

وترى اللجنة أن مجمع اللغة العربية ، على ما أفاد به في حدوده الضيقة ومباحثه المحدودة ، لم يشبع في كثير ولا قليل هذه الأطماع الثقافية الكبيرة . ولعل الوزارة على ضوء رغبة اللجنة السابق ذكرها ، تسرع بالعمل على إعادة النظر في تكوين هذا المجمع ، من حيث تنوع معارف أعضائه والزيادة في اختصاصه ، حتى يكون الأداة الحية المرجوة لتحقيق وجود دائرة المعارف والقاموس ، وغيره من البحوث الأدبية واللغوية والعلمية التي يفتقر لها جماعات مثقفون في العالم كله

الفؤاديات

مجموعة من الشعر الوجداني الرقيق ، نظمها المرحوم « فؤاد بك محمد » ؛ ثم نشرها بعد موته ابن عمه الأديب عبد القادر يوسف تمجيداً لذكراه وتخليداً لفنه ؛ ثم تفضل فأهدى إلى (الرسالة) مائة نسخة منها لتوزعها هدية على من شاء من قرائها تحقيقاً للغرض الذي طبعت من أجله ، وهو الإشادة بفضل الفقيد الشاب والإفادة من نشر أدبه الرفيع

الشيخ عبد الرحمن قراعة كأديب

رأى الأستاذ « محمود علي قراعة » من الوفاء للأدب ، والإخلاص لعمه المغفور له الشيخ « عبد الرحمن قراعة » مفتي الديار المصرية سابقاً أن يتحدث عنه كشاعر وناثر ليهيئ أذهان تلاميذه وأصدقائه إلى إدراك منزلته العالية في الأدب والعلم فينشروا ديوانه ويظهروا فضله . فتكلم عنه كصديق ومحسن ومتدين وفقيه ومعاشر وحكيم ، كلام العارف البصير ؛ ثم نشر ذلك في مجموعة وأهدى إلى (الرسالة) منها مائة نسخة لتوزعها على من شاء من قرائها ، فله الحمد على ما هدى ، والشكر على ما أهدى .



ليالى الملاح التائه

ديوان الأستاذ على محمود طه

للأديب عبد العليم عيسى

الشعر كالحياة من حيث مظهره ومصدره ؛ فهو من حيث المظهر متفاوت التقدير عديد الألوان ، ومن حيث المصدر واحد لا يتجزأ ولا يقاس ولا يتنوع ...

فالحياة فى الثعلب هى بعينها الحياة فى الأسد ؛ ونحن لا نعظم الحياة فى الأسد لأنها أشرف وأجل من الحياة التى تسير الثعلب ، ولكن لأنها قد اتخذت لها فى الأسد مظهراً واسعاً مكتملاً عريضاً أوسع وأكمل وأعرض من المظهر الذى اتخذته فى الثعلب[1] ...

على هذا القياس الحق ، ترانا نفضل هذا الشاعر على ذاك الشاعر ، وترانا نستحسن هذا الشعر ولا نستحسن ذاك ، ونحن فى هذا التفضيل والاستحسان لم نرد إلا أن المظهر الذى ظهر فيه شعر الأول أحسن وأتم وأوسع من المظهر الذى ظهر فيه شعر الثانى ؛ أما شعرهما من حيث القيمة فهو واحد لا تفاوت فيه ...

من بين شعرائنا الذين نقدرهم ونستحسن شعرهم ، شاعر رقيق رشيق هو الأستاذ على محمود طه فهو شاعر يسق قلمه من ينابيع قلبه الجياش بالعواطف ، وروحه المانحة السبوح . وهو شاعر عانقت روحه روح الكون الجميل ، فجاءت أشعاره واسعة متفتحة ناعمة ، تسمع فيها دقات أنباض الحياة ، وتتنسم منها نسمات الجمال والخلود ...

قرأت « لياليه » فشعرت بلذة روحية عجيبة ، وأحسست بانفعالات تهزنى وتنعشنى ، وتوقظ نفسى وترهف حسى ، وتفتح أمامى آفاقاً من النور والجمال والبهاء ...

وهل أنا أطلب من الشاعر غير هذا ؟ ... كفى بالشاعر أن ينقلنى من عالمى المادى الحقير ، إلى عالم سماوى نضير ، تحير فيه أطياف الحسن والسحر والفتون ، فأنسى فيه — ولو قليلاً من الزمن — رغبات الأرض وشهوات ابن التراب !! وأنت لو ذهبت تعد شعراءنا جميعاً علك تجد فيهم من يسمو بك إلى عاله ، ويشعرك بالحياة المتدفقة الفائرة مثل هذا الشاعر ، ما وجدت — للأسف — غير شاعرين أو ثلاثة على الرغم من وفرتهم وتبجحهم وجعجعتهم !

إن من بين شعرائنا من هم إذا كلفوا بشىء آخر كلفهم بالشعر ، لجاءوا بالعجب المعجاب ولب اللباب ؛ ولكنك إذا ذهبت تصارحهم بهذا رأيتهم هاجوا وماجوا ، كأنك تريد أن تسلبهم أرواحهم ! ومن العجيب أنك لا تلبث أن تسمع منهم من يقول فى غطرسة وكبرياء : « أنا المجلى وغيرى نابع تال » ...

وآخر يقول :

قد صرت وحدك فى الملو ك وصرت فى الشعراء وحدى

وثالث يقول :

لولا غنائى وشعرى لمات روح الوجود

وهكذا وهكذا تسمع ما يؤلم قلبك ... ويشجى روحك !

إذن يجب علينا أن نفرح بظهور الشاعر الحق فرحنا بظهور الوليد الجديد ، ويجب علينا أن نحبه ونقدره ونجله ؛ وما حبنا وتقديرنا وإجلالنا ، إلا حب وتقدير وإجلال للحق والخير والجمال وهى القيم المنشودة التى تسمى إليها البشرية وتبحث عنها فى جميع أطوارها ومراحلها . وشاعرنا المحظوظ « على طه » هبة سماوية أطلعتنا على آفاق جديدة فيها جمال وخير وفيها أحلام وآمال ...

قلت إن شاعرنا محظوظ ، وأنا أقصد بهذا أنه يحيا حياة شعرية مليئة بالأفراح واللذات ، مترعة بالأحلام والمغامرات . فليس فيها آلام ولا أحزان ، وليس فيها أهوال ولا شكوك ، ولا تردد ولا حيرة ... وأنت لو فتشت فى ديوانه كله ما عثرت على بيت واحد يشعرك أن هذا الشاعر مرت عليه أوقات فيها تنغيص وفيها ألم ، ولكنك تمتر على أبيات كثيرة فيها اللذة السامية ، وفيها النشوة السارية ، وفيها الفرح الشامل ...

هو اليوم فى مدينة « فينيسيا » عروس الأدرياتيك حيث الجمال والحسن الشاع ، وحيث الجنادل المزدانة بالمصابيح الملونة والضفائر الوردية . فلا يلبث أن يوحى إليه هذا الجو الفاتن أنشودة « الجندول » الموسيقية الرائعة الرقيقة الخالدة ...

وهو اليوم فى « بحيرة كومو » التي جذبت إليها كثيراً من

(١) قرأت كلاما قديما للأستاذ ميخائيل نعيمة فيه معنى تلك الجملة ...

الشعراء فألهمتهم أرق أشعارهم وأعذب أغانيهم ؛ فلا يلبث أن تلهمه أنشودة بارعة ، ويهديها إلى صديقة أمريكية كانت ترافقه

وهو اليوم فى مدينة « زيوريخ » على شاطئ بحيرتها ، حيث الاحتفال بعيد سويسرا الوطنى الأكبر ، بين المواكب الصاخبة المرحة ، وأنوار المشاعل ، والأسهم النارية ، وأضواء معرضها العظيم ؛ فتوحى إليه تلك المفاتن الساحرة ... أنشودته الساحرة « نابيس الجديدة »

وهو اليوم على ضفاف « نهر الرين » ذلك النهر الذى يتفرد بجنات أعنابه ، وأشجاره الباسقة ، وقصوره التاريخية ؛ فيوحى إليه هذا الجو الرائع الجميل قصيدة « خمرة نهر الرين » ثم يهديها إلى صديقة سويسرية التقى بها هناك ...

وهكذا وهكذا ترى شاعرنا سارحاً متنقلاً فى أمكنة الفتون والجمال ، وهو فى كل مكان سعيد محظوظ مغامر . له فيه محبوبة سعيدة محظوظة مغامرة ؛ فجاءت أشعاره لها طابع خاص تمتاز به من بين سائر الأشعار ...

أكبر الظن أن شاعرنا ليس عاشقاً متيما ولا غزِلاً متهالكا فهو يوافق « دانزيو » الشاعر الإيطالى العظيم فى قوله : « ما معنى أن يخلص الشاعر لامرأة واحدة ، وهل فى وسع الشاعر أن يجمع الجمال كله فى وجه واحد أو فى منظر واحد ؟ لا بد لخيال الشاعر من أفق لا نهائى دائم التجدد دائم التحول دائم الحركة » ولقد أجهدت نفسى فى أن أعرف لشاعرنا من شعره محبوبة واحدة تشقيه وتسعده وتهجره وتصله حتى يشعر فى حبه بالحرمان والسعادة فما وصلت إلى ما أردت أن أعرفه ... وقد يكون هذا « فى عقيدتى » هو السر فى أن شعر شاعرنا غنائى فطرى ، له جرس ورنين فى مفرداته وتراكيبه ، تشيع فيه المسرة والبهجة وتغمره البشاشة والطلاقة ...

يعجبنى من شاعرنا أنه صريح صادق ، يعبر عن إحساسه وشعوره وحياته بلا تدجيل أو مداراة ؛ فأنت لا تكاد ترى شاعراً من شعرائنا المعاصرين من يصرح فيقول :

ملأت بتفاحها راحتى   وبت لكرمتها عاصرا

أو يقول فى التى « علمته كيف يحب وكيف يكره » :

إذا فتح الباب تحت الظلام   فكيف ارتماؤك فى صدرها ؟
وكيف طوى خصرها ساعداك   ومرت يداك على شعرها
وما هذه ؟ رعشة فى يديك   أم الكأس ترجف من ذكرها
لقد دنس الجسد الآدمى   حياة حرصت على طهرها
بكى الفن فيك على شاعر   تسائله الروح عن ثأرها
نزلت بها وهدة كم خبا   شعاع وغيب فى قبرها

كذلك لا ترى معاصراً يقول مثل قوله يحث صديقته فى « بحيرة كومو » على أن تنفى الحذر عنها وأن تعذره إن طغت روحه ، أو ثار جسمه :

ما تسرين ؟ أفصحى   إن فى عينك الخبر
الغريبان ههنا   ليس يجديهما الحذر
نحن روحان عاصفان   وجسمان من سقر
فاعذرى الروح إن طغى   واعذرى الجسم إن ثار

أو مثل قوله فى « نابيس الجديدة » :

أأنا الغريب هنا وملء يدى   أعطاف هذا الأغيد المرح
خفقت على وجهى غدائرها   فجذبتها بذراع مجترح
عرضت بفاكهة محرمة   وعرضت لم أنطق ولم أبح
يا رب صنعك كله فتن   كيف الفرار، وكيف مطرحى

هذا شعر رائع جميل ، له وقع فى النفس ، ونشوة فى القلب وما روعته وجماله إلا من صدق تعبيره ، وصراحة أدائه ، ثم من حيويته واتساعه وغليانه ...

كذلك يعجبنى من شاعرنا الرقيق أنه شاعر مصرى صميم — على الرغم مما يعيبونه به من أنه شاعر الطبيعة الغربية — فهو لا ينسى بلاده حتى فى تلك الأوقات الجميلة التى يقضيها فى هذه الأجواء السحرية الناضرة . بل إنه ليكون غارقاً فى لذته وبهجته وسكرته ، ثم يهزه الحنين لنيله الجميل ، فيمسك قيثارته ويغنى فى فخر ومباهاة :

قلت : وللنشوة تسرى فى لسانى   هاجت الذكرى فأين الهرمان
أين وادى السحر صداح المغانى   أين ماء النيل أين الضفتان

***

آه لو كنت معى نختال عبره   بشراع تسبح الأنجم إثره
حيث يروى الموج فى أرخم نبره   حلم ليل من ليالى كيلوبتره

وهناك فى « بحيرة كومو » — حيث الجمال والسحر — يهز الشاعر حبه لوطنه ، فينطلق قائلاً ، وهو جالس بين كؤوسه وغادته ، غارق فى نعيمه وحظه وصفائه :

أين وادى النخيل أم قاهرياته الغــرر ؟

إن مما يزيدنى إعجاباً بهذا الشاعر أنه صادق فى شعره . وفىّ لفنه ، وأنه ذو شخصية مستقلة لا تندغم فى شخصية أخرى ، وأن لشاعريته وجهاً يميزها عن كل شاعرية ، ولألحانه رنة تعرف بها من بين سائر الألحان ، وفى كل ما ينظمه نكهة تختلف عن كل نكهة ...

لكم وددت لو كان بإمكانى أن أتخطى بالقارئ خطوة خطوة مع شاعرية صاحب « ليالى الملاح التائه » فهى فى تجوالها قد سلكت شعباً كثيرة ، وطرقت أبواباً عديدة ، ومن كل سياحة ساحتها قد عادت بآثار طريفة وتذكارات ثمينة . والديوان حافل بمثل هـذه الآثار والتذكارات التى تفسح مداه وتفرج صدر قارئه ...

...

وأخيراً ... لقد انتهيت بدون أن أنقد شاعرنا اللهم ، ويعلم الله أننى كنت أود أن أعثر على أغلوطة أو سقطة ؛ ولكنى عبثاً حاولت . غير أنه يسرنى أن أطلع شاعرنا على هنات طفيفة ما إخالها شيئاً ، فمثلاً قول الشاعر فى أغنية « الجندول » :

قلت والنشوة تسرى فى لسانى هاجت الذكرى فأين الهرمان

كان الأحسن من ذلك أن يقول « فى كيانى » لأنى لا أتصور ولا يتصور أحد مثى تلك النشوة التى تسرى فى اللسان . وفى الأغنية نفسها اضطراب فى صورها ، فليس فيها وحدة ولا اتساق . ولقد رزقنى الله حلاوة الصوت . فكنت إذا غنيتها على عودى وأنا متنقل على خيالى فى الجو الذى نظمت فيه شعرت باصطدام وحواجز تقفنى عن متابعة طربى خصوصاً فى مقطعها الأول . وفى الأغنية مقطع رائع وهو :

آه لو كنت معى نختال عبره بشراع تسبح الأنجم إثره
حيث يروى الموج فى أرخم نبره حلم ليل من ليالى كيلوبتره

وأنا أذكر أنى قرأت هذا المعنى الجميل البارع الذى يعد أحسن ما فى الأغنية مترجماً عن الإنجليزية . فهم يذكرون أن الشعراء الثلاثة كيتس وشلى وليهند اتفقوا على أن ينظم كل واحد منهم قصيدة فى النيل فكان مما قاله ليهند هذا المعنى الجميل . وما كنت لأشير إلى هذا لولا أن الأدباء يرفعون هـذا المعنى إلى السماء . فأردت أن أبين أصله ... ويقول الشاعر « فى بحيرة كومو » :

ثمر ناضج الجنـى كيف لا نقطف الثمر

وأنا أفهم أن الثمر هو الجنى

ويقول الشاعر فى « مصرع الربان » :

وغاب كل مشيد غـير قبمة ذكرى من الشرف العالى وتذكار

والذكرى والتذكار معناهما واحد

ويقول الشاعر فى « مهرجان الزفاف » يريد السيوف :

أو ما لها الماضى لجن حديدها حتى تكاد بغير كف تمشق

والمتنبى يقول : « حتى تكاد بغير كف تضرب » وهو طبعاً أحسن من الأول . فكان حقه أن يأتى بالمعنى كاملاً

وهذه طبعاً هنات طفيفة لا تنقص من قيمة شاعرنا العزيز . وكفاه رفعة وسمواً أن تكون هذه مآخذنا فى وقت أصبحت فيه الدواوين الشعرية مهزلة وسخفاً ! ...

عبد العليم عيسى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)



8me Année No. 356 — Lundi - 29 - 4 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٥٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ ربيع أول سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٩ أبريل سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

١٤٠٤٦

ساعة مع الأستاذ الأكبر

كان مما لا بد منه لمن يكتب فى الإصلاح الدينى والأزهرى أن يستضىء برأى الإمام الذى هيأه الله واختاره التوفيق لزعامة الثقافة الإسلامية فى أشد العصور افتتاناً بالعلم وامتحاناً للعقيدة وهزاً للشعور واستعداداً للتطور

والأستاذ المراغى إذا قيلت كلمة الحق فيه إمام هذا العصر بإعداد من الله تجلى فى فهمه الدقيق لرسالة دينه ، وإدراكه الصحيح لحاجة عصره ، وعلمه الراسخ بطبيعة قومه ، وملكته السليمة فى أدب لغته ، وأفقه الرحيب لاقتران المشكلات الاجتماعية فيه تحت ضوء من الفكر الثاقب يبدد عنها ظلام الإشكال فترجع إلى طريقها الواضح من الدنيا أو الدين . وآية المصلح الدينى فى الإسلام علمه بأن رسالة الدين هى إصلاح الدنيا ، وعمله لتوجيه الحكم والسياسة والاجتماع إلى الخطة التى رسمها الحق للحق فى دستوره السماوى الخالد

* * *

دخلت على الإمام المراغى مكتبه المظيم الفخم فى إدارة الأزهر منتصف الساعة الثانية ، وكانت الأصوات والحركات قد خشعت فى المكاتب والمسالك ، فساعدتنى الحال على الظافر بجلسة طويلة مع الإمام لم يقطعها عمل ولم يكدرها زائر

تلقانى شيخ الشيوخ بوجهه المنبسط وبشره الرزين، فسهل علىّ أن أجد نفسى وأتسرّح فى حديثى وأراقب انعكاس الإشراق الروحى على ملامحه الناطقة فأفهمه من قرب . والمراغى إشماع على محادثه عجيب ؛ وهذا الإشماع دائم الانبثاق من عينيه وشفتيه فلا تنفك المشاعر منه فى غَمر من الإعجاب والإجلال والحب مهما توثقت الألفة وزالت الكلفة وطال الحديث . وأشد تأثير المراغى على النفس القابلة ينبعث من سر نظرته وسحر بسمته ولهجة حديثه وحلاوة جرسه وفصاحة منطقه . أما توقد ذهنه ولطافة حسه ووزانة قوله ورصانة عقله وسراوة خلقه ، فتلك خصائص شخصيته وفضائل نبوغه

لا أستطيع أن أنقل إليك نص حديث تدفق وتشقق فى ساعة ونصف ، ولا أريد أن أقطع سرده بما سألت أو أجبت، فإن همك وهمى أن نسمع إلى الأستاذ . فأنا أروى لك خلاصة الجانب العام من الحديث على اطراد وتساوق لتصل إلى وجه الرأى من أخصر طريق

قال الأستاذ الإمام وقد تزاور عن مكتبه واتجه بكرسيه الدوار إلىّ :

لقد سرنى أن تتجه الرسالة إلى معالجة شؤون الأزهر ، فإن فى النقد الخالص من الهوى حثاً للهمم الوانية ، وتذكيراً للنفوس الغافلة ؛ ولكنى أحب أن يكون النقد على خلوصه رفيقاً ليطمئن إليه المنقود ويستفيد منه

أنا لا أسلم بأن الأزهر جامد على حاله القديمة ، وأرى أنه يتقدم مع الزمن تقدماً يتفق مع طبيعة أهله فى الأناة والروية . ولو قارنت بين حاله اليوم وبينها منذ أربعين سنة تجلى لك الفرق واضحاً لا غبار للشك عليه . ففى أيام طلبك بالأزهر قلما كنت تجد عالماً أو طالباً يكتب أو يخطب أو يؤلف أو يتصل بالحياة العامة ؛ أما اليوم فأنت ترى أكثر العلماء والطلاب يفكرون ويحررون ويحاضرون ويناظرون ويؤلفون فى فصاحة منطق وحسن صياغة وسلامة فكرة

أذكر وأنا مفتش بالأوقاف أنا اقترحنا على العلماء إنشاء طائفة من الخطب المنبرية فى الأغراض الاجتماعية المختلفة، فجاءنا أربعمائة خطبة لم نجد من بينها واحدة تستحق النظر . ولكنك اليوم تجد الخطباء فى المساجد والوعاظ فى المجالس ينشئون الخطب البليغة، أو يرتجلون العظات البالغة فيما تقتضيه الحال من المعانى العامة

على أنى أشعر بحاجة الأزهر الشديدة إلى الإصلاح . وأوافق الرسالة على أن الأمر يكاد ينحصر فى طريقة المعلم ووسيلة التعليم. وقد أخذنا بالفعل نعالج الإصلاح فى هذه الناحية، فضاعفنا العناية بطلاب التخصص لأنهم مناط أملى فى المستقبل وموضع ثقتى فى الإصلاح ، فأنا أتمهد تعليمهم وأتفقد أحوالهم وأشدد امتحانهم، حتى لم ينجح من ثلاثة وعشرين غير ثمانية . ومن هؤلاء أرسلنا وسنرسل البعوث إلى بلاد الغرب ليتصلوا بتيار الفكر الحديث ، ومكنا لمن لا يبعث منهم أن يتعلم لغة أوربية فى الكلية ليتسنى له بواسطتها أن يزيد فى ثقافته

أما مسألة الكتاب فإنى أوثر أخذ العلم من كتب الأئمة السابقين القادرين على صوغ العبارات العلمية فى أسلوب ناصع البيان ، ولكنى أوثر كذلك الإبقاء على طائفة من الكتب المؤلفة على المنهاج التقليدى من تحليل ألفاظ الجملة وتقليب وجوه الفكرة، فإن ذلك سبيل التعمق والاستقصاء والمران لمن عرف كيف يسلكه ويخرج منه . وفى اعتقادى أن غموض النص فى نفس التلميذ ناشئ من غموضه فى ذهن المعلم. فإذا استطاع الأستاذ أن يحلل عبارة النص فى الكتاب ويجلو غامضه من جهة ، وأن يجمع أشتات الرأى فى الموضوع ويمحص حقائقه من جهة أخرى ، تيسر له بعد ذلك أن يلقيه على الطلاب فى محاضرة متناسقة الفكر متساوقة الأجزاء محكمة الصياغة ، ومن مجموع هذه المحاضرات فى العلم الواحد يتألف الكتاب الذى تريده

على أن الكتاب يتضاءل شأنه كلما سمت قدرة المعلم، فإنك تذكر أن أستاذنا الإمام رضوان الله عليه كان لا يحمل فى يده وهو يفسر كتاب الله غير (الجلالين) ، ومع ذلك كان يستنبط بفكره النفاذ أسرار الآى ثم يكشفها للناس فى معرض من البيان المشرق

وفى الكليات طائفة من المعلمين القادرين يستطيعون أن ينهضوا بالتعليم الأزهرى نهضة صادقة . وملاك ذلك أن يقفوا حياتهم على العلم، ويقصروا جهودهم على التعليم، وأن يتصلوا بأبنائهم اتصالاً روحياً ليغرسوا فيهم حب العلم فيطلبوه لذاته ولذته

كان أشياخنا يقولون : « أعط العلم كلك يعطك بعضه » وكان منهم من لا ينقطع عن التدريس حتى فى المرض ، ولا يذوق

حديث الأسكندرية ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

« في ليلة الاحتفال بالمولد النبوي أقامت جمعية الشبان المسيحية في الأسكندرية احتفالاً سمته « عيد الورد » ، ودعت إليه جماعة من أدباء القاهرة ، وفيما يلي خطبة الدكتور زكي مبارك في ذلك الاحتفال »

في هذا المساء أيها السادة يحتفل المسلمون بعيد المولد النبوي ، وتحتفلون بعيد الورد، فالمسلمون يحتفلون بعيد الحق، وأنتم تحتفلون بعيد الجمال ، والصلةُ وثيقةٌ جداً بين الحق والجمال

أما بعد ، فقد اقترح صديقٌ عزيز أن تكون خطبتي عن الإسكندرية حديثاً ذا شجون ، فما الذي ينتظر ذلك الصديق من تلك الشجون ؟

أيكون لاحظَ أنني كثير الحديث عن الإسكندرية ، وأن هواي بها وصل إلى حدّ الافتضاح ؟

هو ذلك ، ولكن هل يعرف لأي سبب تزداد شراهتي في انتهاب مفاتن الإسكندرية كلما سنحت الفرص في الصيف أو في الشتاء ؟

السبب يرجع إلى أني دخلت الإسكندرية أول مرة وأنا حزين: دخلتها في قفص ، دخلتها في سيارة مقفلة من سيارات السلطة العسكرية في أيام الثورة المصرية . دخلتها في الظلام ، فلم أر من جمالها غير أطياف ، ثم نقلني ذلك « السجن المتحرك » إلى مقر الاعتقال في ضاحية نائية، هي اليوم ملاعب صبابة ومدارج فتون. ومن يصدّق أن ضاحية (سيدي بشر) كانت معتقلاً يُسجن فيه من هتفوا باسم الحرية والاستقلال ؟

قضيت في هذه المدينة شهوراً طوالاً بدون أن أشهد من جمالها غير ما يطوف بالأوهام والظنون . ولن أنسى أبداً كيف كان هدير البحر يقرع سمعي وقلبي في غفوات الليل . ولن أنسى كيف فرحت يوم خرجت من المعتقَل لأرى الأسكندرية بعينيّ ، ولأطوّف في رحابها حيث أشاء بلا حارس ولا رقيب ، ولأقول

طعم الراحة حتى في العطلة ، ولا يرى (أخذ الدرجة) صارفاً عن التحصيل ، ولا منصب القضاء عائقاً عن الأزهر

قال لي الإمام محمد عبده وقد زرته بعد نجاحي في (العالمية) بثلاثة أيام : أتستطيع أن تعرّف العلم ؟ فأجبته بلهجة الواثق المطمئن : نعم . وأخذت أسوق إليه ما أعرف من التعريفات المختلفة ، ولكنه زيفها جميعاً وقال : العلم ما نفَعك ونفع الناس . فهل ما عندك منه ينطبق عليه هذا التعريف ؟ فقلت له : لا . قال: إذن لا تملك من العلم الصحيح شيئاً. إنما هيأتْ لك دراستك وشهادتك السلم ، وعليك وحدك بعد ذلك أن تصعد

إن الذي يظهر الأزهر في هذا المظهر الجامد يرجع بعضه إلى إخلاد القادرين إلى الراحة ، وبعضه إلى مجافاة أسلوب العصر مع حسن الاستعداد وتوفر وسائل الاجتهاد ومواتاة أسباب النهضة . أليس من العجيب أن تكون عُدد الاجتهاد التشريعي عندنا أكثر منها عند مالك، وذرائع الابتكار الأدبي في عصرنا أوفر منها في عصر الجاحظ ، ثم لا نجد فينا فقيهاً يجتهد بعض اجتهاد صاحب الموطأ ، ولا أديباً يؤلف بعض ما ألف صاحب الحيوان ؟ لقد كان مالك لا يملك من ثروة الحديث النبوي غير ما صحت له روايته منه ، وكان الجاحظ لا يجد من مصادر الأدب العربي غير ما وقع له من السماع فيه ، ومع ذلك صار لمالك مذهب متبع في الفقه ، وانتشر للجاحظ مذهب معروف في الأدب . أما نحن فبين أيدينا كل ما ورد عن الرسول من الأحاديث ، وما روى عن الأئمة من الأحكام ، وما أثر عن الفقهاء من الكتب ؛ وفي خزائننا كل ما خلف العرب وغير العرب من لباب الأدب وعصارة الفكر ، ومع هذا اليسر في الوسائل وهذه القوة في الاستعداد لا ترى إلا فراغاً يثير الظنون ويغري بالأزهر التهم

إن العلماء إذا استناروا بسيرة السلف في الإخلاص للعلم والانقطاع إلى التعليم يستطيعون أن يصلحوا فساد الطريقة ويكملوا نقص الكتاب ويصلوا بالأزهر إلى الغاية التي نرجوها من أداء الرسالة الإسلامية على الوجه الملائم لطبيعة العصر وعقلية الناس

***

وحينئذ كانت الساعة الثالثة ، فلم أر من اللائق أن أعوق الإمام عن غدائه أكثر مما عقت ، فاستأذنت وانصرفت وأنا موزع القلب بين الإعجاب بالمحدث والاغتباط بالحديث

احمد حسن الزيات

لنفسى : إن شهور الاعتقال قد ذهبت إلى غير مَعاد ...

هذا هو السبب فى هيامى بالأسكندرية، ولن أشبع منها أبداً. فجنونى بها هو انتقامٌ من الزمن الجائر الذى قضى بأن أراها أول مرة فى ظروف أفظع وأشنع من أعمار الأحزان

أحب أن أفرح فى الإسكندرية . أحب أن أرى فيها أيام نعيم بعد أن رأيت فيها شهور بؤس . أحب أن أراها وترانى فى بشاشة وأريحية وصفاء .فخذى بزمامى إلى حيث تشائين، يا مهد الشهامة والنضارة والجمال

لك قلبى ، يا اسكندرية ، فامنحينى من العطف ما أنسى به تلك الأيام السود ، أيام الاعتقال . واصفحى عنى ، يا اسكندرية ، إن افتضحت فى هواك ، فما يكون تلاقينا إلا بَلْسماً لجرح عميق تمتادنى آلامه من حين إلى حين ...

أيها السادة

لمدينتنا هذه تاريخ وتواريخ

فيها وقعت أعظم فاجعة غرامية ، وهى فاجعة صيرت الحب شريعة من الشرائع . ألم يكف أن يصل اسم كليوباترة إلى جميع البلاد وأن تؤلف فيه المئات من الأقاصيص ؟

ومدينتنا هذه هى التى حفظت ذخائر الفلسفة اليونانية بعد غفوة العقل اليونانى

ومدينتنا هذه هى التى عرفت الاستشهاد فى سبيل المسيحية أعوامَ اضطهاد المسيحية

ومدينتنا هـذه هى التى استقبلت طلائع الجيش الإسلامى وجعلت للاسلام دولة على شاطىء المحيط ، وقد كان بحرنا هذا أول بحر خفقت فوقه الراية الإسلامية ، وسيظل إلى الأبد صلة الوصل بين حضارة الإسلام فى الشرق وحضارة النصرانية فى الغرب ، ولن تكون شواطئه الشرقية إلا بأيدينا مهما بغى الاستعمار واستطال

ومدينتنا هذه هى التى خلّدت اسم من نسبتْ إليه . وما بناها الإسكندر كما يتوهم الجاهلون ، وإنما بنى حيًّا من أحيائها ، وسيأتى يوم لا يُعرف فيه مَن الإسكندر إلا بوصل اسمه الفانى بهذه المدينة الباقية على الزمان

وقد سميت باسم الأسكندرية مدن كثيرة فى الشرق والغرب ، ولكنها ذهبت جميعاً ، ولم يبق غير مدينتنا هذه لأنها مصرية ، ومصر عريقةٌ فى الخلود

أيها السادة

كتب أحد أدبائكم يقول إن الأسكندرية تقتل الروح الأدبى ، وهو أديب لا أسميه لئلا أعرّض سمعته للإيذاء ، فهل ترونه على حق ؟

اسمعوا ثم اسمعوا

فى مدينتنا هذه خُلقت المعارضة السياسية بطريقة صريحة لأول مرة بعد الثورة المصرية . وفى مدينتنا هذه وجد الناس من الشجاعة ما يقاومون به سعد زغلول وكان اسمه قد ملأ جميع الأرجاء

وما يهمنى أن أقول إن تلك المعارضة كانت بحق أو بغير حق ، فذلك حديث غير هذا الحديث ، وإنما يهمنى أن أقول إن أول معارضة ثارت فى مصر بطريقة صريحة كانت المعارضة الموجَّهة إلى مشروع ملنر ، وتلك المعارضة لم ترفع رأسها إلا فى الأسكندرية بجريدتين سيذكرهما التاريخ وهما جريدة « الأمة » وجريدة « الأهالى »

فكيف جاز أن يسيطر سعد زغلول على سائر المدن المصرية ولا يجد مقاومة فى غير هذه المدينة ؟

لا تتهمونى بالعصبية للحزب الوطنى ، فأنا فى نفسى أعظم من كل عصبية وإن اعتمدتْ على الحق ، وإنما يهمنى أن أسجل محامد مدينتنا هذه فأقول إن سكانها الوطنيين يرجعون فى الأغلب إلى عنصرين اثنين : العنصر الوافد عليها من الصعيد وهو عنصر معروف بالعناد ، والعنصر الوافد عليها من المغرب بعد سقوط الأندلس فى أيدى الأسبان وهو عنصر معروف بقوة المِراس ، ومن أجل هذا ترون الاسكندريين الوطنيين قوماً غلاظ الأكباد يغضبون بسرعة ويستوحشون من الدخلاء كأهل المغرب وأهل الصعيد ، أما سكان الإسكندرية من أهل الوجه البحرى فهم أقلية ، وهم مصدر اللطف الذى نلمحه فى الأسكندرية من وقت إلى وقت فى غيبة الغضب واللجاجة والعناد

وهنا يسمح المقام بتسجيل خاطر غريب

فى هذه المدينة الثائرة بالفطرة وبوحى البحر نرى شواهد من النظام لا نجده فى أية مدينة مصرية

فى هذه المدينة وُضعت قواعد النظام للمعاهد الدينية ، فأول معهد دينىّ نظامىّ هو المعهد الاسكندرىّ ، وقد أشرف عليه

رجل صعيدىّ حادّ الطبع ، ولكنه فى روحه مفطور على النظام هو أستاذنا الجليل المرحوم الشيخ محمد شاكر الذى كان يرضى ويغضب فى لحظات ، والذى كان يمثل قلق الإسكندرية ، وحمية الصعيد ، وسكينة القاهرة ، ومن الأسكندرية نقل النظام إلى سائر المعاهد الدينية ، وهو نظامٌ ثار عليه الأزهر ثورة عنيفة لن أنساها ما حييتُ لأنها عطلتنى من الدرس أسابيع وأسابيع قبل أن تولد عرائس هذا الحفل البديع

والمعهدُ الاسكندرىُّ منسىٌّ فى هذه الأيام ، ولكن الذين عاشوا قبل الحرب الماضية يذكرون كيف استطاع أستاذنا الشيخ عبد المجيد اللبان أن يقيم به زعامة دينية يصل روحها إلى أكثر المدن المصرية

وإن كُشِف غطاء التاريخ فستعرفون أن الشيخ اللبان كانت له يد فى تأريث الثورة المصرية ، فهو الذى جمع بين أعضاء الحزب الوطنى وبين حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون ، ومن تلك الحركة تهيأ الجوّ لحركات شهدتها سنة ١٩١٨ ثم استفحلت فى سنة ١٩١٩ ثم كان ما كان إلى أن شهدتم سقوط الحماية وإعلان الاستقلال

فما معنى هذا؟ معناه أن الإسكندرية التى ألقى فيها مصطفى كامل أعظم خطبة وطنية هى الإسكندرية التى سبقت إلى الثورة على الأحكام العرفية فى أعقاب الحرب الماضية والتى سنَّتْ لأهل مصر شريعة النضال فى سبيل الاستقلال

وهل سمعتم بحديث الدكتور محجوب ثابت ؟

بفضل الإسكندرية جاز أن يكون فى مصر نائب عن العمال ، وهذا شىء غريب فى بلادنا ولم يقع أول مرة إلا فى الأسكندرية. وله مدلول يشهد بأن مدينتنا هذه مدينة أصيلة فى قوة الشخصية. ألم يكف أنها تحتفل الليلة بالمولد النبوى احتفالاً أفخم وأعظم من جميع الاحتفالات بسائر المدن المصرية ؟ ألم يكف أنها أول مدينة فى الشرق بعد القاهرة مع أن القاهرة تملك من السحر ما تعجز عنه جميع المدائن فى الشرق ؟

أيها السادة :

إن الحديث ذو شجون ، فهل سمعتم أن الإسكندرية تسيطر فى هذه الأيام على وزارة المعارف ؟

قيل إن النقراشى اسكندرىُّ المولد . وقيل إن السنهورى اسكندرى المولد . وقيل إن شفيق غربال اسكندرى المولد ، فهل هذا صحيح؟ إن صحّ هذا فانتظروا منى ثورة تزلزل رواسى الجبال، فما يرضينى أن يكون لمدينتكم كل هذا السلطان ؟

ولكن ما الموجب للثورة وأنا أعرف مقاتل هؤلاء الرجال ؟ فالنقراشى المفيد اسكندرانى تأسره قوة المنطق ، والسنهورى أضعف الضعفاء أمام القانون ، وشفيق غربال يعجز كل العجز عن مقاومة الحق

وأرجوكم باسم الذوق ألاّ تظنوا أننى أجامل رؤسائى ، فما خُلقت للمجاملات ، وإنما أدلكم على مقاتل هؤلاء الرجال ، وهذا ينفعكم أجزل النفع ، يوم يبدو لأحدكم أن يستفيد من قوة الحق والمنطق والقانون

ومدينتنا هذه التي وضعت قواعد النظام للتعليم الدينى هى أول مدينة بعد القاهرة تقوم فيها جامعةٌ مَدَنيّة فى العصر الحديث فكان لها فضل السبق على المنصورة وأسيوط ، مع الاعتراف برشاقة المنصورة ورزانة أسيوط

ولأول مرة فى تاريخ مصر يُحرَم الوزراء بَدَلَ السفر حين ينتقلون لشأن من الشؤون ، وما حُرِّم ذلك إلا بالنسبة إلى الاسكندرية ، فهل كان ذلك لأن الاسكندرية تستهوى الوزراء فتحملهم على تكلف أسباب الانتقال ؟ لا ، إنما كان ذلك التحريم لأن الإقامة فى الاسكندرية غنيمة من الغنائم ، ومن واجب الدولة أن تمنّ على الوزير بأن مصالحها هيأت له الفرصة للإقامة يوماً أو يومين بالبلد الذى يَفتِن فى الصيف ويَشُوق فى الشتاء

ومع أن الاسكندرية سبقت القاهرة إلى البلاء بقسوة اشتباك المنافع مع الأجانب فقد صحّ للاسكندرية أن تسبق القاهرة إلى استخلاص بعض المنافع من الأجانب ، فأول «ترام» سيطرت عليه الحكومة هو ترام الاسكندرية ، وفى ذلك ما فيه من قوة الشخصية

والاسكندرية تفوق القاهرة فى أشياء

فالوافد على الاسكندرية من الجنوب تَلقاه المنازل البيض الخفيفة الروح ، وتَلقاه نخلاتٌ بواسق تأنس برؤيتها العيون ، أما الوافد على القاهرة من الشمال فتلقاه منازل مهدّمة تقبض النفس ، فمتى تفطن حكومتنا إلى هذه الظاهرة ؟ ومتى تمدّ يدها لرفع تلك الخرائب وتحويلها إلى حدائق ورياض ليشعر الوافد

على القاهرة بأنه مُقبلٌ على مدينة تفهم قيمة الجمال ؟

آن للقاهرة أن تعرف أنها تسيء إلى سمعة مصر بالعفو عن تلك الخرائب التى تواجه من يَقْدَم عليها من الشمال . آن للقاهرة أن تعرف أنه لا يجوز أن تلقى القادمين بغير الابتسام ، وتلك الخرائب الشبرواية تُدخل على أرواح القادمين أثقالاً من الانقباض البغيض

أتذكرون المحطة القديمة ، محطة الاسكندرية ؟

لقد كان الداخل إليها يشعر بأنه يفد على أطلال ، وقد عزّ ذلك على الملك فؤاد رحمه الله فأشار بأن يكون للاسكندرية محطة تناسب ماضيها الجليل وحاضرها الجميل

ومحطة القاهرة هى رابع محطة فى العالم من حيث الفخامة والرونق ، فكيف يجوز أن ندخل إلى القاهرة فى مضايق محفوفة بمنازل محرومة من نضرة النعيم ؟

يجب أن تسارع الحكومة إلى تجميل مدخل القاهرة ، فمن العيب أن تكون لها تلك الحواشى المطرَّزة بأكواخ البائسين

ويوم يتمّ ذلك أستطيع أن أتحدث فى موضوع جديد هو تغيير الشاطئ الذى تدخل فيه البواخر إلى « عروس الماء »

فالشاطئ الذى يستقبل البواخر مطرّز بحواش يُقْذِى مرآها العيون . ويجب تغييره أو تجميله فى أقرب فرصة ، فما يجوز أن يكون أول ما يقع عليه البصر عند دخول الإسكندرية شوارع ضيقة ومنازل دميمة وحوانيت ترجع فى تكوينها إلى ما قبل التاريخ

الجمال ، الجمال ، الجمال !!!

ليس الحديث عن الجمال هزلاً ، وإنما هو جِدٌّ صُراح ، والأمم التى لا تَقْدِر الجمال لا تستحق نعمة الوجود

فهل خطر فى بال من يثورون على التبرج فى شواطئ الاستحمام أن من واجبهم أن يثوروا على الدمامة فى مراسى السفائن ؟

وهل فيهم من حدثته النفس بأن ينظر فى البقعة الموحشة التى تستقبل الوافدين من روما ولندن وباريس وبرلين ؟

أين المحافظ وأين مدير البلدية وإليهما يتوجه من يتألمون من التبرج فى الشواطئ ؟!

هل عند هذين الرجلين علمٌ بما نعانيه حين ندخل مدينتنا هذه بعد قضاء شهور أو أعوام فى ديار الغرب ، الغرب الذى يرى الزينة مطلوبة فى جميع المواطن وجميع الأشياء ؟

قلتم فى الدعوة إلى « عيد الورد » إن الاسكندرية لها حقٌّ على الجميع . فمن حق عليكم وعليها أن تسمعوا وتسمع هذا القول

وأما أدعو إلى تغيير أو تجميل موقع الميناء ، فأين من يسمع وأين من يجيب ؟

الحديث ذو شجون ، أليس كذلك ؟ فما الذى يمنع من القول بأن مدينتكم أخلفت الظن بها كل الإخلاف ؟

هل تصدقون أن مدينتكم هذه كان لها صوت محلى مسموع فى أيام مصطفى كامل وأيام سعد زغلول ؟ فأين صوتها اليوم وهى صدى لأصوات القاهرة ؟

أنا أعرف أن الساعة الثامنة صباحاً والساعة السابعة مساء موعدان لقدوم الجرائد والمجلات وأحسُّ لوعة الشوق إلى هاتين الساعتين لأنهما موعد اتصال الاسكندرية بالقاهرة ، ولكنى أتوجع كلما تذكرت أن الحكومة المصرية التى تُعسكِر بالاسكندرية فى الصيف لا تسمع صدى أصواتها إلا بفضل جرائد القاهرة ، فمتى يستيقظ النائمون من أهل هذا الثغر الجميل ؟

أيها السادة

أترك حديث المؤاخذات إلى حين، وألتفت إلى حديث القلب فأقول : سيأتى يوم قريب يجتمع فيه زعماء مصر حول شواطئ بحر العرب الذى سُمّىَ خطأً بحر الروم ، وسيقام فى الاسكندرية مؤتمر يؤلف بين أهواء الرجال ويغسل الضغائن ويدفن الحقود

ويومئذ نقيم « عيد الورد » وفى ليلة الاحتفال بعيد « المولد النبوىّ »

ويومئذ نطمئن إلى أن بحرنا يسمى « البحر الأبيض المتوسط » لأنه جمع بين بياض القلوب ، وتوسّط فى جمع أهواء النفوس

ويومئذ ننسى أن الهيام بشواطئ الإسكندرية يجرح رجال الدين ، لأننا سنكون يومئذ ملائكة رفع الله عنهم إصر التكليف

المستقبل لنا ، بإذن الله صاحب العزة والجبروت

وهذا البحر لنا ، بإذن فاطر الصباحة والملاحة والجمال

ومصر لنا ، بفضل سواعدنا وعزائمنا وقلوبنا

فمن أراد بنا السوء فلينتظر غضبات الأسود عند جياع الأشبال .

نحن حفظنا مصر للعروبة والإسلام ثلاثة عشر قرناً ، وسنحفظ لأبنائنا وأحفادنا وأسباطنا هذا التراث الغالى . والله مع المجاهدين .

زكى مبارك

في سبيل الأزهر

اعتراف ورجاء

للأستاذ محمد محمد المدني
المدرس بكلية الشريعة

كتب الأستاذ الكبير صاحب الرسالة الغراء، سلسلة من مقالاته القوية الممتعة في الأزهر وما يتصل بالأزهر من فقه ودراسة وخلق وقد أثارت هذه المقالات في نفسي باعتباري مسلماً ، وعالماً ، ومدرساً في الأزهر، عاملين مختلفين: أحدهما عامل الأسف والحزن والخجل من هذا السيل المتدفق الذي ينصب على رأس الأزهر في الحين بعد الحين ، بل مع كل مطلع شمس ومغربها ، حتى أصبحنا لا نقرأ مقالاً ، ولا نستمع إلى حديث ، ولا نتصفح كتاباً إلا رأينا فيه لوناً من ألوان النقد المنيف موجهاً إلى الأزهر في جموده وخموله ، وركود الحياة العلمية فيه ، وقصوره عن مجاراة الزمن ، ومسايرة الحضارة العلمية التي رجت العالم ، وتغلغلت في كل نواحي الحياة !

أما العامل الثاني فهو عامل الأمل والرجاء ، في أن هذه العلل ما دامت غير مستحكمة ولا متأبية على الإصلاح ، فهي قابلة للشفاء، وأن هذه الوخزات ما دام يحس بها أبناء الأزهر فهي دليل على الحياة فيه ، وهي لا بد ستوقظه من سباته العميق ، وستحمله على أن ينفض عن نفسه غبار هذا الكسل ، وينخلع من هذا الثوب البالي الذي جلله بالعار ، ودينه بالصغار ، وسامه الذل والهوان !

لقد ساءلت نفسي : أحقاً أن في الأزهر كل هذه العيوب التي يرميه الناس بها ، أم أنهم يتجنون عليه ويتندرون على حسابه؟

وسرعان ما أجبت عن هذا التساؤل ، فاعترفت بكثير من هذه العيوب ، وعذرت الذين يلومون :

في الأزهر من غير شك نواحي نقص عظيمة ، ويجب أن نكون صرحاء إلى أبعد حدود الصراحة . وإذا جاز لكاتب مهذب كالأستاذ الزيات أن يجامل الأزهر ، فلا يذكر كل ما يعرفه من عيوبه ، حين يتناوله بالنقد ، فإن ذلك لا يجوز لأزهري يصطلي ليله ونهاره هذه النار المحرقة التي لا مناص له من اصطلائها بحكم عمله وطبيعة اتصاله ببيئته

لقد تدبرت هذه النواحي التي من أجلها يلام الأزهر ومن قِبَلها يؤتى ، فوجدت أهمها عقيدة الأزهر في نفسه ، وأسلوب الدراسة فيه .

فالأزهر ما زال — على الرغم من بزوغ شمس الإمام المراغي في أرجائه — يدير حركته الفكرية على نحو من التعصب الجامد لكل ما يعلم ، والرفض الجامد لكل ما يجهل . وما زال فيه من يقول : كفر فلان، وألحد فلان، وتزندق فلان ، لأنه أخذ برأي غير مألوف ، أو خالف شيئاً قال به إمام من الأئمة السابقين ! وليس هذا التكفير والحكم بالفسق والزندقة شيئاً يرمى به غير الأزهريين فحسب ، ولكن للأزهريين منه نصيباً غير قليل !

وإنك لترى غباراً يتطاير وشرراً يلمع ، وتسمع دوياً يملأ أذنيك وضجة تدور من حولك ، فتقول لنفسك هذه معركة علمية قد احتدمت ، ولا بد أن تنجلي عن حقيقة يحسن السكوت عليها كما يقولون ، أو عن فكرة إصلاحية تفيد منها الأمة فائدة تحفظها لرجال الأزهر

ويصدق ظنك من بعض نواحيه ، فإذا هو عراك ولكن في غير معترك ، وشجار ولكن في غير مشتجر ، ثم تنجلي هذه المعركة كما بدأت ، فلا الحقيقة العلمية وصلت إليها ، ولا الأمة أفادت ما كان ينبغي أن تفيد ؛ بل قل إنها تنجلي عن حالة هي أسوأ مما بدأت . فإذا كانت المعارك الحقيقية تسفر في كثير من الأحيان عن كذا من القتلى ، وكذا من الجرحى ؛ فإن معاركنا الأزهرية تسفر كذلك عن كذا من الكفرة، وكذا من الفسقة، وكذا من الجهلة ... الخ

لست مبالغاً ، أيها القارئ ، وإنها للحقيقة المرة

لقد قال بعض العلماء رأياً في « الشيطان » في حديث له أذاعه بالراديو ، خلاصته : أن « الشيطان » قد ورد ذكره في القرآن على أساليب شتى ، وأن المعنى المشترك في كل الآيات التي عرضت للشيطان ، أنه قوة الشر وعنصر الفساد في هذا الوجود

هذا الرأي الذي يدل على تفكير ناضج وعقل رشيد ، ويلتئم مع أحدث الآراء العلمية الصحيحة ، ولا يعارض في نفس الوقت شيئاً صريحاً من الدين — لا يمر كما يمر سائر الكلام ، ولكن يوقف عنده ، لا ليشكر صاحبه على توفيقه بين نصوص الدين

وآراء العلم ، ولكن ليُتهم بمخالفة النصوص ، وإنكار ما فى القرآن ، والخروج على الأحاديث !

ولولا أن صاحب الرأى رجل قوى ، محترم الرأي ، مرموق المكانة ، لا يؤكل لحمه ، لترددتْ فى هذا المجال كلمات الإلحاد ، والفسوق ، والزندقة ، والمروق ، ولكن الله سلم !

على رسلكم أيها السادة ! لماذا تفرضون دائماً فى كل من يخالفكم فى الرأى أنه سيئ النية ، متهم الغرض ؟ ولماذا تفرضون دائماً فى أنفسكم أنكم قد وصلتم فى كل ما زعمتم إلى الحق ، فتدخلون فى كل بحث وكل نقاش على هذا الأساس ومع استحضار هذه الفكرة ؟

وعمن أخذتم هذه الطريقة ؟ أعن كتاب الله ، وهو الذى يعظم شأن البرهان ويحكم العقل فى كل شىء حتى فى الإيمان بالله وينهى عن التنابز بالألقاب ؟

أم عن الرسول صلى الله عليه وسلم وقد كان المثل الأعلى فى حلمه وسعة صدره وصبره على الحوار والجدال ؟ ألم يكن الأعرابى الجلف يأتيه فيناديه باسمه المجرد ، ويغلظ له فى القول ، ويعنف عليه فى السؤال ، فلا يفسد ذلك من حلمه ، ولا يوهن من صبره ؟

فإذا لم تكونوا قد أخذتم هذه الطريقة عن الله ورسوله فممن أخذتموها ؟ أعن علماء السلف ورجال المذاهب الأولين الذين كانوا يتناقشون ويتحاورون ويرجع بعضهم إلى رأى بعض ، ويخالف بعضهم بعضاً ، فلا يدفعهم ذلك الخلاف إلى تجريح أو تكفير ؟

أم أخذتموها من كتب البحث والمناظرة التى قتلتموها بحثاً وأفعمتموها شرحاً ، ولست أذكر أن فيما رسمت من أساليب الحوار سوى التدليل ودفع البرهان بالبرهان ومنع المقدمات .. الخ وليس فيها الوصف بالخروج على الآيات وإنكار الأحاديث !

هذا معنى فى الأزهر ما زال موجوداً ، وهو موجود على أشده فى بيئة أزهرية معينة يعرفها الأزهريون ولها صلة وثيقة بالجمهور !

فإذا رجعت إلى أسلوب الدراسة والكتب المقررة وجدت العجب العجاب . وكلمة (العجب العجاب) هذه كانت تقال فى زمن عبد القاهر الجرجانى وأبى هلال والشاطبى وغيرهم . كانوا يقولونها فى نقدهم لآراء مخالفيهم ؛ أما فى عصرنا الحاضر ، حيث النظريات الصحيحة الثابتة فى شتى نواحى العلوم ، وحيث السرعة والحرص على الزمن ، فإنى أرى كلمة « العجب العجاب » غير كافية للتعبير عما أقصد . وأعترف بالعجز عن اختيار لفظ مناسب يوصف به هذا التسكع العلمى الذى نسميه دراسة ، مع أن الدراسة دائماً تنتج الوضوح وحل المشكلات ، وهذا التسكع يقوم دائماً على التعقيد وخلق المشكلات !

لو أردت أن أضرب أمثلة كثيرة لهذا النوع من الدراسة ، لأتيت بالكثير ولوجد فيه قراء الرسالة طُرفا لا تدور لهم بخلَد ، ولا تخطر لهم على بال ، ولكنى أكتفى الآن — والآن فقط — بأن أصف ما كان لذلك من أثر تحس به مناهج الدراسة !

ما زال علماء بعض الكليات يقرأون فى المنطق من أول العام إلى اليوم ، « وأرجو أن يلاحظ القراء أنه لم يبق من العام الدراسى إلا أيام معدودات » ، فلم يخرجوا بعد عن مقدمات هذا العلم ، ولم يصلوا إلى بحث من صميم أبحاثه !

وما زال الذين يدرسون علم الأصول من أول العام يتحدثون عن أدلة التشريع . أستغفر الله ، بل يسردون أدلة التشريع التى هى الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، فأين هم اليوم ؟ إنهم لم يتجاوزوا تعريف الكتاب تعريفاً فنياً إلا منذ عهد قريب ، ومضى العام فى معرفة ما هو علم الأصول ، وما منزلته بين العلوم ، وما ثمرته ، الخ . بل ليس فى هذه الموضوعات خالصة ، فإن فيها على كل حال بحثاً علمياً مفيداً ، ولكن فى العبارات التى عبر بها المؤلف عن هذه المسائل ، وفيما نقده من هذه العبارات شراح الكتاب وحواشى الكتاب ! فأى ضياع هذا الضياع ؟ وعلى حساب من ؟ لماذا نحتفظ بأمثال هذه الكتب ، ونحرص عليها ، وفيها هذا الإرهاق وهذا البطء ؟ ولماذا نأزم بها أنفسنا وأبناءنا ؟ ألِأنها أثرية ؟ فأقيموا معهداً للدراسات الأثرية إن كنتم حريصين على الدراسات الأثرية إلى هذا الحد

هذه بعض العيوب التى يحس بها الأزهريون الناهضون أنفسهم قبل أن يحس بها الناس لهم . وفى الأزهر شباب ناهضون مستعدون للانتاج والعمل ، شباب أحسن الأستاذ الزيات فى تسميتهم « شباب المراغى » لأن الأستاذ الإمام هو قائدهم الروحى ، ليس فى الإدارة فقط ، ولكن فى العلم والخلق والإصلاح

ولقد وجد فيه الأزهر الحديث ضالته المنشودة ، فهو أول

خواطر يثيرها سائل

للأستاذ عبد المنعم خلاف

- ٢ -

عودة إلى قيمة الانسان — نظرية النشوء والترقي — سمو الانسان الخلود — الانقلاب الاسلامي — إنقلاب القرن السابع عشر — لماذا التشاؤم ؟ — دين الله بغير عنوان — بعض أسباب الالحاد — ثياب رجال الدين — وحدة التعليم الديني والمدني — جنايات الجمود في مصر اسماعيل

لما كتبت كلمتي الأولى تحت هذا العنوان آثرت أن أبدأ الحديث فيها بدفاع سلبي عن الفكرة الدينية ، وطلبت من حضرة السائل « البيروتي » أن يوازن بين حياة الإيمان وحياة الجحود كفرضين عقليين ، وهو مجرد من أي تأثر نحو أحدهما ، ولم أتعرض للبحث الإيجابي في الأصول الأولى للدين — وهي : الإلهية ، والنبوة ، ومصير الإنسان إلى حياة أخرى — وإنما أحلت السائل — ويلوح لي من كتابته إلى أنه من الدارسين للدين والفلسفة والتصوف والعلوم — إلى فكره هو أولاً ، وإلى المقالات الإيجابية التي سبقت لي عن الإيمان ، ثم بسطت الحديث في قيمة الإنسان ، لأنها في رأيي أساس الاعتراف بكل حقائق الدين والعلم والفلسفة .

وكنت أرجو أن تكون قراءة أمثال هذه البحوث ، قراءة غير سطحية ، حتى يتفطن القارئ لجميع حلقاتها ، ويخلص إليه منها نتائج واضحة محدودة ، ولكن — مع الأسف — جاءتني رسالة أخرى من مجهول آخر هو « ح.م » ، يلفت نظري فيها إلى حياة مجتمعات النحل والنمل ، وكثير من الحيوان والحشرات التي تعيش في نظام محكم لا تحيد عنه ، ويبدو منها فيه إدراك واختيار ...

وأنا لم أجهل نظم الحيوان والحشرات التي أشار إليها ، بل إني مغرم بقراءة المباحث التي فيها ، ولم أنكر عليها الإدراك والاختيار في مرافق معيشتها . وقد قال القرآن قبل أن يقول العلم : « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم » ...

ولكني أنكرت أن يسوى بين حياتها وحياة الإنسان أبي العجائب ... الإنسان الذي يفكر فيها ويدرسها ويصورها ويكتب عنها ويتصرف فيها ويتغلب عليها ، وهي لا تفعل شيئاً من ذلك ! الإنسان الذي يولد وهو أقل منها قدرة على التغذي والدفاع عن نفسه ، ثم ينمو ويترقى إلى ما لا نهاية له في الفكر والعلم بما يزيد عن ضرورات حياته ، بينما هي تقف في نموها وإدراكها عند حدود حفظ حياتها ... الإنسان الذي خلقت هي له بدليل تسخيره لها في خدمته ، ولم يخلق هو لها بدليل أنها لم تتغلب عليه وتسخره وتتصرف فيه ... الإنسان الذي خطا في خمسة آلاف سنة — هي عمر التاريخ الذي نعرفه — خطوات واسعة ثابتة متلاحقة ، فتغيرت حياته من العري والبساطة في السكن والملبس والمدرسة والحرفة والعبادة ، تغيراً عجيباً يكاد يجن منه آباؤنا الأولون ، لو بعثوا ورأوا ما وصلنا إليه ... بينما الحيوانات والحشرات واقفة كما هي منذ عهد أجدادنا الأولين بها .

وهنا الدليل القاطع على وجود روح سام من الله في الإنسان يدفعه إلى الأمام دائماً في هذا العالم ، حتى يكشف عن كل سر في الطبيعة ويتصرف فيه ، ويدفعه إلى إدراك الكمال التام الذي ينتظره في عالم آخر .

فإن لم نعترف بقيمة سامية للانسان خارجة عن نطاق حياته الحيوانية ، فسوف تختلط أمام الفكر المثل ، وتلتوي السبل ، ونضل ضلالاً بعيداً يؤثر في خدمتنا للعلوم والآداب الرفيعة والعمران تأثيراً رديئاً .

وإن سوء الفهم لنظرية النشوء والترقي من أكثر الذين

شيخ للأزهر لا يتعصب على الثقافة الحديثة . وهو أول شيخ للأزهر اشترك اشتراكا عملياً في التشريع لخير البلاد . وهو واضع قانون الطلاق ومذكرته التي هي المثل الكامل للفقيه الذي تتطلع إليه آمالنا . وهو الذي اشترك اشتراكا فعلياً في إلقاء الدروس على طلبة كلية الشريعة ، لتكون مثالاً يحتذى ، وعفى على سننه المدرسون

وهو في كل هذا وبعد كل هذا القدوة الحسنة لعلماء الأزهر وشباب الأزهر في تفكيره ، وخلقه ، وعلو همته ، وسمو أغراضه

فما دام الأستاذ الأكبر المراغي يقود الأزهر ، وما دام « شباب المراغي » مؤمنين بروحه ، مقتفين لآثاره ، فإن في الأزهر حياة ، وفي إصلاحه أملاً إن شاء الله

وليستبشر الأستاذ الزيات ، فإن صرخته قد وجدت صداها ، ولن تضيع !

محمد محمد المدني

درسوها دراسة سطحية هى التى لونت نظرة الكثيرين إلى قيمة الإنسان بهذه الألوان الزرية التى تبعث على تحقيره وإسقاطه عن العرش الذى أجلسه عليه الدين منذ أقدم العصور . فبناء على تلك النظرة المبنية على سوء فهم للنظرية ذهبت عن الإنسان قداسته ، واختلت مقاييس الأخلاق وموازينها ، وكان فى هذا أكبر دافع إلى التحاكم إلى قوانين الأدغال التى لا تجد فيها إلا للقوة العمياء والشهوات ، والسيطرة الوحشية التى لا تعترف بخدمة الفكر ، والعلم ، ولذة الحياة فى مثل أعلى

وعلى فرض ثبوت نظرية النشوء — وهى للآن لا تزال فرضاً نظرياً يحتاج إلى حلقات مفقودة ليصير حقيقة علمية — لا يجوز لنا أن نخلط بين الحياة الآلية التى هى « مضروب مشترك » فى أجسام جميع الأنواع ، وبين الروح الإنسانى الملوح فى رق الإنسان الدائم السريع ، ونزوعه المستمر إلى العالم الأكمل ، ونفاذ فكره فى عالم المعانى المجردة ، التى تبدو عجيبة رائعة فى الرياضيات العليا والخفقات الروحية العليا ، والمثاليات العليا التى لا يمكن تفسيرها تفسيراً « بيولوجياً » أو « فسيولوجياً »

ولقد أحس الإنسان حتى فى عصور جهالته بتفرده وامتيازه على سائر ما يحيط به فى الطبيعة إذ وجد نفسه أقوى قدرة ، وأوسع حيلة فى التغلب على المشقات ، وفى الرق بالحياة رقياً مطرداً ، ولذلك لم يستطع أن ينظر إلى القبر كأنه نهاية أبدية لتلك الحياة ؛ بل وجد فى إلهامه أن لا بد وراء موته من امتداد لحياته على أسلوب آخر أو على أسلوب الدنيا ...

فما بال الإنسان يشك الآن فى قيمته السامية بعد أن تضخم أمامه ميراث علومه وآدابه ، وعمر الأرض عمراناً ، وافتن فيها افتناناً وصار فطناً لما فيها من جمال وأسرار ؟ !

إنه ما فتئ منذ وجوده وهو يسعى لخلوده ليظل مغموراً بهذا الإحساس العجيب بالحياة ، ولم يكن يستطيع أن يتصور الخلود فى أول الأمر بأكثر من أن يعطى شعلة حياته إلى ولده . وقد وجد فى ولده أكبر عزاء له عن موته وفنائه ؛ ولكنه لم يقنع بهذا بل ظل يبحث جاهداً عن وسائل خلود جسده هو بذاته ، فحنطه ونقش صورته على الألواح والتماثيل ، ثم خطا خطوة أخرى فخلد فكره بالكتابة ، ثم خطا خطوات متلاحقة فى العصر الحديث نحو هذه الغاية فخلد صورته الحقيقية « بالفوتوغراف » وصوته « بالفونوغراف » وأنغام نفسه « بنوتة » الموسيقى وحركات جسمه بالسينما ، ثم تصرف فى الصوت والصورة والحركة ونقلها على أمواج الأثير فاخترق الحدود والكثافات بالراديو والتلفزيون فى أقل من لمحة ، ثم هو الآن يتجه بحوثه إلى عالم الروح لعله يستطيع أن يتصرف فيها . . . والله أعلم بمستقبل هذا النوع العجيب الذى ارتضاه خليفة له فى أرضه ... !

فأنت ترى أنه مشغول دائماً بخلود حياته إذ يحس إحساساً فطرياً وعقلياً أنها لا يليق بها الفناء الأبدى الذى يرجعها إلى العدم المطلق ...

وأحب أن ألفت الفكر إلى أمر هام جداً وذى قيمة كبرى فى النظر إلى قيمة الإنسان : وهو أن حياة هذا النوع منذ ابتداء تيقظه لها فى العصر التاريخى ، وتقييد خطواته فيها حياة مطردة الرق سائرة بسرعة إلى الوضوح والانكشاف وتحقيق الغاية من خلق النوع

ولقد عاش أدهاراً طويلة وهو يجهل أجناسه وأنواعه ، غائباً فى أوطانه الضيقة يحسبها هى وحدها كل الدنيا ، لا يعلم حدود اليابس والماء ، منثوراً لا رابطة تجمعه ، جاهلاً بما فى الكون من عوالم وأسرار ، وقد كانت أديانه أدياناً خاصة . كل قرية فيها نذير يسدد حياتها بحسب ظروفها هى وحدها

ولقد كان الانقلاب الإسلامى قمة النضوج فى العقيدة الدينية إذ جعلها عقيدة دولية وضع فيها الأسس لوحدة البشر ، وتلاقيهم على معان مشتركة حتى يتأتى من وراء ذلك السعى إلى وحدة العمل والخدمة المشتركة ، ولذلك لم تقبل الأرض أن يأتيها هدى من السماء على يد رسول بعد رسول الإسلام ، وقد علم الله ذلك فأغلق باب الوحى وجعل محمداً « خاتم النبيين » ، وقد صدق الزمان ذلك فلا مجال للجدال . ولم تعد الإنسانية تقبل ظهور البطل فى صورة نبى ، وقد فطن إلى ذلك « كارليل » فى كتاب الأبطال ، وهذا هو معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع : « إن الزمن قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » أى أن الإنسانية قد بدأت بعد الانقلاب الإسلامى دورة زمنية جديدة ، وحقاً يجد كل من يتفرس ويستقرئ التاريخ أن عصراً عقلياً جديداً قد ابتدأ بظهور الإسلام وانفساح الامبراطورية العربية التى احتضنت جميع علوم العالم القديم ومعارفه وأتمتها وحملتها إلى العالم الحديث . فالانقلاب الإسلامى ينبغى أن تجعله الإنسانية بدء تاريخ رشد للعقل ووحدة للدين ، وستفعل ذلك فى يوم لا ريب فيه

والآن صارت الأرض كقطر واحد بأدوات الاتصال السريع وكل أمة تعلمت لغات غيرها ، وارتبطت مجموعات كبيرة من الأمم برباط واحد. واختلط الأبيض بالزنجى والشرقى بالغربى وسكان الجزر النائية الغائبة فى المحيطات بسكان القارات ، وصار الإنسان العادى يطلع فى كل صباح ومساء على أخبار العالم الأرضى كله ، ويرى حياة جميع الأمم فى السينما ... وهذه كلها مقدمات لنتائج لا شك فيها عند من يقيس ويعتبر بالماضى

وإذا ثبت أن الانقلاب الاسلامى كان بدء عهد عقلى وقلبى للانسان، فقد ثبت أن القرن السابع عشر الميلادى كان بدء عهد عملى وعلمى له . وبذلك طار الإنسان بجناحين قويين من الحياة الفكرية والحياة العملية إلى الغاية من خلقه

فليس من الصواب ولا من الإنصاف أن ننظر نظرة تشاؤم إلى حاضره ومستقبله بعد أن رأيناه يبنى حياته على العلم والفكر والنظام بناء كان يعد فى الماضى من أعمال السحر والإعجاز وخوارق العادات ...

ومن النظر العامى أن نزعم أن الإنسانية الآن أحط منها فى الماضى ... ولست أدرى ما مبعث هذا الزعم ؟ أهو ملاحظة فساد فى العقيدة الدينية؟ إن العقيدة الدينية الآن أصح منها فى الماضى؛ فهى فى أكثر الأمم المتعلمة بعيدة عن الشرك والوثنيات والخضوع الأعمى للكهنة ... وما أصدق أن عاقلاً يخلى الطبيعة من عقل يدبرها ولكنه ليس إله الكهنة ؛ وعما قريب يذهب ما فى بعض الأديان من بقايا الوثنية والإشراك ولن يبقى للانسانية إلا دين الفطرة والعقل بغير عنوان من يهودية أو مسيحية أو بوذية أو غيرها . وهذا هو المعنى الحرفى اللغوى لكلمة « الإسلام » « فالإسلام » ترجمة لـ « دين بغير عنوان » . فأى امرئ يؤمن بخالق واحد للطبيعة ويحسن العمل فى الدنيا فهو « مسلم » والمعنى الحرفى لكلمة « إسلام » هو الانقياد لحكم الله فى الطبيعة

واقرأ إن شئت : « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم ... قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ... والآيات كثيرة فى هذا ، ولا محل الآن للخوض فى هذا الموضوع ...

وقد صارت الأديان التى تحتضن بقايا الوثنيات تختنق وتفر من نور العلم والفكر الحر ويزعم سدنتها أن الدين لا مناقشة ، ولا تحاكم للعقل فيه ... وهذا أول الاعتراف منهم بأنهم على باطل عما قليل يذهب مذموماً مدحوراً إلى قبور الخرافات والأباطيل

وأؤكد أن كثرة حوادث انفلات المتعلمين من العقيدة الدينية ليست ناشئة من أن عقولهم لم تقتنع بالأفكار الأولية الرئيسية فيه ... وإنما منشؤها أن هذه الأفكار الرئيسية قدمت لهم فى هلاهل من الخرافات والمتناقضات والألغاز ، ولأنهم وجدوا أن تاريخ رجال الدين مع الأسف الشديد تاريخ مملوء بالجمود ومواقف المعاداة للعلماء الطبيعيين الأولين الذين كان لهم فضل الاهتداء إلى مفاتيح العلوم التى نالت الإنسانية منها كثيراً من الخير والبركات وصار رجال الدين الحاليون أنفسهم يتمتعون بها ويأخذون بمنافعها كما يأخذ سائر الناس بعد أن كان أسلافهم يصبون عليها شآبيب السخط واللعنات ويحرقون وينكلون بمن يجرؤ على التحدث عنها فى الفلتات بعد الفلتات ...

ومنشؤها كذلك أن رجال الدين متميزون عن حياة أكثرية الناس لهم لباس خاص ويكادون يكون لهم منطق خاص بهم وحدهم. والحياة الحالية حياة عظيمة السلطان على النفوس تغرى جميع أبنائها بالاندماج فى موجاتها ، وتمد من يعتزلها وينأى عنها رجلاً فيه مس ونقص وشذوذ . وكل مخلص للدين مقدر آثاره فى الحياة وفقرها إليه وفسادها بدونه ، يرى من الخطر أن يظل لرجال الدين ثيابهم الكهنوتية وطقوسهم التى ما أنزل الله بها من سلطان لأنها توهم الناس أن الدين فى تلك الثياب والرسوم العجيبة ، ويرى من الخطر أيضاً أن يفرق شباب الأمة فئتين : فئة لعلوم الدنيا منذ التعليم الابتدائى وفئة لعلوم الدين منذ التعليم الابتدائى .

وليس بين الفئتين مرحلة يسيرون فيها جنباً إلى جنب حتى يتنفسوا فى جو واحد ويقيسوا بمقياس واحد . وإذا كان هذا التفريق قبيحاً فى أى أمة فهو فى الأمة الإسلامية أقبح القبح ! لأن الإسلام هو المعيشة بالجسد والروح عيشة متناسبة ، وهو دين يجعل التمتع باللذات المحللة عبادة إذا ذكر اسم الله فيها ... ويجعل خدمة العلوم الدنيوية المفيدة فرضاً يحاسب الله على إهماله ، ويطلب من الإنسان أن يعيش عيشة رحبة عميقة بكل قوة فى تكوينه . فلماذا التفريق فى التعليم وفى اللباس تفريقاً يوحى إلى النفوس بمعان من التعصب والانحياز ، ويلقى فى روع الناس أن حياة الدين منفصلة عن حياة الدنيا ؟ !

إن اليوم الذى توحد فيه برامج التعليم فى المرحلتين الابتدائية

والثانوية فى جميع المدارس الدنية والمعاهد الدينية بحيث تحتوى البرامج على التربية الروحية التهذيبية والعلوم المفيدة للجميع. ويوحد فيه الزى بين أبناء الأمة جميعاً سواء أكان عمامة للجميع أم أى لباس للجميع، هو اليوم الذى تصير فيه الحياة الفكرية والروحية مزيجاً مؤتلفة فيه جميع عناصر الحياة اللازمة لكل نفس بدون تكلف أو احتراف. وهذا هو ما كان عند الرعيل الأول من المسلمين فى زمن الرسول وخلفائه. فقد كان الرسول جندياً مع جنوده، وعاملاً بيده مع عماله، وعابداً وحاكما ورجلاً يعيش بجميع قوى جسده ونفسه، يلبس جميع ألوان ثياب قومه، ولم يكن يتميز على أصحابه فى شىء من السمات الظاهرة. فمن تبعه صار يلبس مثله. ولذلك كانوا كلهم فى مظهرهم رجال دين ودنيا يتفاضلون ويتمايزون بالعقل وكثرة العلم لا بالسمات والشارات. فمن كان عنده علم من الدنيا أفتى فيه وبذل منه وعرفه الناس به فقصدوه من أجله، ومن كان عنده علم من الدين أفتى فيه وبذل منه وعرفه الناس به فقصدوه. وليس وراء ذلك فارق ما. فلا جرم بعد ذلك ألا تكون هناك شقة خلاف وهوة شقاق بين الدين والدنيا عند المسلمين الأولين بمثل ما هما عند المسلمين المتأخرين الذين ورثوا ميراث هذا الخلاف عن أمم الغرب، وزعم المبطلون أنه أصل عندنا كما هو عندهم

وقد كان من الواجب — لو فطنت الأمم الإسلامية — أن تظل الدراسات الكونية ضمن نطاق العلوم التى تدرس فى المعاهد الدينية، كما كان الشأن عند المسلمين فى الدولة العباسية والدول التى تلتها إلى أن جاءت نظم العصر الحديث فى عهد محمد على. إذاً لظل العلم بما فى الدين وما فى الدنيا وحدة غير مجزأة يخرج الإنسان المتحلى بها كامل القلب والعقل تلتقى عنده الثقافات ويمرن على التوفيق بينها، وبناء الحياة الاجتماعية عليها. فما كان عند المسلمين سبب يدعو إلى التفريق فى المعاهد وإخراج علوم الدنيا عن نطاق الدراسات الدينية. وقد ظل الأزهر والنجف والزيتونة، وجامع القيروان، ومساجد بغداد، ومعاهد الشام يدرس فيها الفلك والحساب، والرياضيات والطب، والطبيعيات والموسيقى إلى أن أتى العصر الحديث.

وقد كان المتعلم لا يخرج إلا من هذه المعاهد وأمثالها. ولذلك أخذ محمد على — منشىء دراسات العلم الحديث فى البلاد العربية — أغلب أفراد بعثاته إلى أوربا من طلبة الأزهر، إذ كانوا هم الطبقة المثقفة من الشباب. وقد كان بعض العلوم الدينية يدرس فى عهد محمد على فى المدارس التى أنشأها للهندسة والطب وغيرهما

ولكن جمود بعض المشايخ فى عصر إسماعيل وامتناعهم عن إدخال العلوم الحديثة بنظامها الأوربية فى الأزهر، هو الذى جنى على الإسلام كما جنى عليه امتناعهم عن إنشاء قانون مستمد من جميع مذاهب الشريعة الإسلامية يساير روح العصر الحاضر ويكون منطبقاً على ما جد فى الحياة من مشاكل ومطالب. حتى اضطروا اسماعيل إلى فتح مدارس خاصة وإنشاء محاكم تحكم بغير الشريعة الإسلامية

إن الأوربيين اضطروا إلى انتزاع دراسة العلوم الكونية من أحضان الأديرة والكنائس، لأنها لا تسمح بالاعتراف بالحقائق التى تناقض وتهدم تعاليمها، بل كانت تئدها فى مهدها، حتى جاءت الثورات الإصلاحية التى ألزمت الكنيسة حدودها، وجعلت الناس يدخلون الكنيسة بعقل خاص، ومعاهد العلوم بعقل آخر. ونحن المسلمين ولله الحمد لم تحدث عندنا معارك وخصومات بين الفريقين تجعل الملاقات بينهما مستحيلة، وليس فى ديننا ما نخاف عليه من حقيقة كونية، بل بالعكس ديننا يخدم بالعلم الطبيعى. فلا يصح أن نفرد هذا بمعاهد خاصة وذاك بمعاهد أخرى. بل الواجب أن يسير جميع التعليم فى مجرى واحد إلا فى مرحلة التخصص

وفى هذا تدارك سريع لحالة تخشى عواقبها على الدين والأخلاق، وفيه توحيد وتوجيه لقلوب الشباب وعقولهم إلى مثل أعلى واحد. وفيه توكيد لذلك المعنى السامى العظيم: وهو أن الدين عندنا عقل وعلم، والعلم عندنا دين وخلق.

(القاهرة) عبد المنعم خلاف

زفرة مصدور !

للأستاذ على الطنطاوى

إلى أخى شكرى فيصل :

قرأت كلمتك التى أوحى إليك الحنين معناها ، فوعيت وحيه وبلغته « الرسالة » وأهديته إلى صاحبها فأثارت قراءتها ألماً فى نفسى دفيناً ، وبعثت فيها شكاة ميتة ، فأخذت القلم أكتبها لتكون جواباً لكلمتك. وليغفر لى القراء النحو الذى نحوت إليه فيها ، وليغفر الزيات فإننى متألم ...

ولا بد من شكوى إلى ذى مروءة
يواسيك أو يسليك أو يتوجع

وما عجب أن أدخل بينك وبين الأستاذ الكبير الزيات ، فإنه أخى الأكبر ، وأنت أخى الأصغر ، وأنا أحمل له من الحب والإكبار، على أنى لم ألقه أبداً ، مثلما أحمل لك من المودة والحب على طول معرفتى بك ناشئاً وشاباً ، وعلى أنى سأعرفك أديباً كبيراً إن شاء الله

* * *

أنا الآن فى شرفتى التى تعرفها ... أطلّ على دمشق من فوق خمس جوادّ علوها مائتا متر ، فأراها كلها كصفحة الكف ، وقد انتصف الليل ، وانصرف الساهرون آنفاً بعد ما أحيوا ليلة من الليالى التى تعرف مثيلاتها فى دارنا ، وسكن الكون وشمله الجلال ، وأنا جالس وحدى أفكر، لا أفكر فى دمشق التى حننت إليها ، وشاقتك ذكراها ، دمشق التى باكرها الربيع فضحكت فى غوطتها الزهر، وغمر جوّها العطر ، وماست فى جناتها الحور الفاتنات ، من الحور والصفصاف ومن بنات أمنا حواء، لا أفكر فيها لأن قلبى لا يتفتح الآن لإدراك الجمال ، وقريحتى لا تنشط لوصف الربيع ، ومكان الشعر من نفسى مقفر خال . وما لى لا تخمل قريحتى ، ويذوى غصن الشعر فى نفسى ، وقد عدت إلى دمشق ، على طول شوقى إليها وازدياد حنينى ، وتركت أهلاً فى العراق كراماً ، وبلداً طيباً ، وأمة حية ، تحمل اللواء ، وتهز العلم ، وتتقدم لتجمع الشمل الشتيت شمل العرب المتفرق ، وتوحد الشعب وترجع المجد والجلال ، وتؤلف بين أهل الضاد من حاضر وباد... تركت ذلك كله وعدت إلى بلدى الأول، ويا ليت بغداد كانت هى بلدى الأول ... فلم أجد فى دمشق إلا النكران والأذى ولم أجد إلا ما يسوء ويؤلم ...

ولكن هل يشكو امرؤ بلده ؟ هل يهدم بيده داره ؟

إن تكلمت قال الحساد بغى وظلم ، وإن سكت قال الشامتون رضى أو عجز ، والقلب بالسكوت يتفطر ، والصدر من الصمت يتمزق ، والكلام ... هل يجوز لى الكلام ؟

يا ليتنى بقيت بعيداً أقنع من بلدى بهذه الصورة الحلوة التى تتراءى من خلال أحلام المشوق الولهان ، ويوحى بها الحنين الطاغى، يا ليتنى، وهل تنفع شيئاً ليتنى ؟

فاقنع أنت بهذه الصورة ودع دمشق . ولكن لا ، إنك لست مثلى ، إنك ستعود فتلقى مكانك فى غرفة المدرّسين ممداً لك ينتظرك . وسيظلمونك فيسوّون بينك وبين هؤلاء المساكين الذين بعثوهم ليتعلموا العربية فى ديار العجم فجعلوهم بذلك سخرية الساخرين. أما أنا فلم أبلغ مرتبة هؤلاء، ولا أنا بيالغها فى يوم من الأيام ، وقد عمى أولو الأمر والنهى عن أدبى وعلمى وعما نشرت فى الكتب والمجلات والصحف وهو شىء يملأ ثلاثة آلاف صفحة على أقل تقدير . هبْ أن فيها كلاماً مرصوفاً لا معنى وراءه تجد أنى حملت فى كتابتها ورصفها عناء ، فكيف وكلها ثمرة التأمل الطويل ، ونتيجة كد الخاطر وعصر الدماغ ، وما منها شىء سرقته عن أديب من أدباء فرنسا ولا انكلترا !... عمى أولو الأمر عن هذا كله ولم يمدلوه بهذه الورقة السحرية التى جاء بها أولئك من ديار العجم يشهد لهم فيها من يسكن هناك ، بأنهم صاروا يفهمون العربية ، وغدوا أهلاً للتصدر لتدريسها ... ولم يجدونى أهلاً لأكثر من « أستاذ معاون » !

أفيكون ظلماً منى وعدواناً ، إذا أعلنت ما أصابنى ، وشكوته إلى القراء ، وهم أصدقائى ، لم يبق لى من صديق غيرهم ؟ لم يبق لى صديق فى هذه الحياة ، إنك لتعلم ذلك ، ولكنى لا أشكو !

إنهم يقولون إنى عنيد، وإنى مشاغب ، وإنى أثير المشاكل؛ ولست أفهم لهذا كله إلا معنى واحداً، هو أنى أوثر الصدق وأعلنه ولا أفعل ولا أقول إلا ما أطمئن إلى أنه الحق ...

وهل كان ذنباً أنى حميت للفضيلة تمتهن ، وللأخلاق تهان ، فناضلت عنها وقاتلت ، وقلت لتلاميذى ناضلوا عنها وقاتلوا ؟ ...

وهل كان ذنباً أنى غضبت لمحمد أن ينكر نبوّته ويجحد رسالته ، جاهل غرير ، فى حفلة أقيمت لتكريم محمد وتمجيد

ذكراه ؟ وهل كان ذنباً أنى لا أقول لسواد الليل أنت أبيض مشرق ، ولا أقول للأعور ما أحلى عينيك ؟ ...

هـذه هى ذنوبى التى خسرت من أجلها صداقات الأصدقاء وكسبت عداوات الرؤساء ، وربحت خصومة الجاهلين ، وعُددت بها من كبار المشاغبين ...

***

لقد قارب الفجر ، وانطفأت أنوار المدينة ... لقد مرّ علىّ ساعتان وأنا أفكر ، وكل شىء من حولى ساكن ميت ، وكذلك حياتى ! ... إنها خالية مذ سنوات ، ليس فيها شىء متحرك ... فأنا أعيش عيش الحالمين ، أرقب أبداً الحادث الذى يهز حياتى الساكنة ، ويحرك مواهبى الخاملة ، ويدفعنى إلى العمل ، ولكن انتظارى قد طال حتى كدت أيأس من الانتظار ...

إنك تعزينى بما حصلت من شهرة ومانلت من مكانة ، ولعل فى ذلك تسلية لى لو كنت أحسّ به أو ألمسه ، إننى لا أحس والله بهذه الشهرة ، إننى كالمغنى الأصم الأعمى ، يطرب الناس فيصفقون له ويهتفون ، ولكنه لا يسمع ولا يرى ، فينصرف حزيناً يحسب أنه خاب وأساء ...

إن أهل بلدى ينكرون علىّ كل شىء حتى الأدب

لقد قرأت أمس مقالة سقطت إلىّ عرضاً ، فرأيت فيها مقالاً يخبط فيه صاحبه خبط عمياء ، فيعد أدباء دمشق أو الذين يراهم هو أدباء ، فيذكر فيهم كل موظف فى وزارة المعارف ، وكل تلميذ يدرس فى أوربة ، وكل مدرسى التاريخ والجغرافيا ، ولكنه لا يذكر على الطنطاوى ولا سعيد الأفغانى ؛ أفسمعت أبلغ من هذا الجهل وهذا النكران ؟

هذه حالنا فى دمشق التى تحنّ إليها ، وتحيي الليالى تفكر فيها ، وتتراءى لك صورتها حيال الأفق وأنت قائم عند قنطرة الزمالك أو مرتق ذروة الهرم ، وتساهر النجم تفكر فيها وتعد الأيام للوصول إليها ، دمشق صارت كالهرة تأكل من حبّها بنيها لقد حمل إلىّ البريد رسائل جمة ممن أعرف ومن لا أعرف يسألنى أصحابها لم لا أكتب فى الرسالة فى هذه الأيام ؟ فوجدت فى هذه الرسائل عزاء ، وشكرت لأصحابها ، وتوهمت حين قرأتها أن فى الدنيا من يفكر فى ، ويقرأ ما أكتب ، ولكنى لم أجب واحداً منهم ، وبماذا أجيبهم ؟ وكيف أقول لهم إن دمشق قد قتلت فى نفسى روح الأدب ؟

كيف أشكو دمشق التى أحبها ؟ وكيف أذمها بسملها ؟

***

ثلاثون سنة ما خرجت منها إلا بشىء واحد ، هو أنى رأيت الحياة كائدة القمار ، فمن الناس من يخسر ماله ويخرج ينفض كفه ، ومنهم من يخرج مثقلاً بأموال غيره التى ربحها ، ومنهم من يقوم على الطريق يمسح الأحذية ، ومن يمد إليه حذاءه ليمسحه له ، ومن ينام على السرير ، ومن يسهر فى الشارع يحرس النائم ، ومن يأخذ النسمة من غير عمل ، ومن يكد ويدأب فلا يبلغ الواحد ، وعالم يخضع لجاهل ، وجاهل يترأس العلماء ، ورأيت المال والعلم والخلق والشهادات قسماً وهبات ، فرُبّ غنى لا علم عنده ، وعالم لا مال لديه ، وصاحب شهادات ليس بصاحب علم ، وذى علم ليس بذى شهادات ، وربّ أخلاق لا يملك معها شيئاً ، ومالك لكل شىء ولكن لا أخلاق له ، ورأيت فى مدرسى المدارس من هو أعلم من رئيس الجامعة ، وبين موظفى الوزارة من هو أفضل من الوزير ، ولكنه الحظ الأعمى ، أو هى حكمة الله لا يعلم سرّها إلا هو ، ابتلانا بخفائها لننظر أنرضى أم نسخط

ولكن ما أضيع أيامى فى مدرسة الحياة ، إن كان هذا كل ما تعلمت منها فى ثلاثين سنة !

***

لقد أذّن الفجر وأنا ساهر ، وأضيئت منارات دمشق التى لا يحصيها عدّ ، ورنّ صوت المؤذنين فى أرجاء الوجود صافياً عذباً : الله أكبر ... الله أكبر ...

الله أكبر من كل شىء ، اللهم إنى أرفع إليك شكاتى ...

اللهم إنى قد نفضت يدى من الناس ، وإنى أسألك أمراً واحداً ، ألا تقطعنى عنك ، وأن تدلنى عليك ، حتى أجد بمراقبتك أنس الدنيا ، وسعادة الأخرى ..

على الطنطاوى

النقابات الاسلامية

للأستاذ برنارد لويس

ترجمة الأستاذ عبد العزيز الدوري

— ٢ —

كانت الحركة الإسماعيلية قوة تهذيبية عظيمة، اختصت بإنشاء مدارس وجامعات أشهرها جامعة الأزهر في القاهرة وبتصنيف دائرة معارف واسعة تذكرنا بحركة التأليف الأنسكلوبيدية في فرنسا في القرن الثامن عشر. وفي هذه الموسوعة المسماة «رسائل إخوان الصفا» نجد تقريباً كل الآراء التقدمية في ذلك العصر وإشارات قليلة ثمينة إلى نظم تشكيل الجمعيات، ومنها نعلم بوجود جمعيات لإخوان الصفا في جميع أنحاء الإمبراطورية تعمل لبث آرائها بين كل طبقات الشعب وخاصة بين الصناع وأصحاب الحرف[1]

يرى الأستاذ ماسنيون أن الحركة الإسماعيلية هي التي أوجدت الطوائف الإسلامية وأعطتها ميزتها الخاصة التي حافظت عليها حتى الآن، إذ يقول: إن الطوائف الإسلامية كانت قبل كل شيء سلاحاً شهره الدعاة الاسماعيليون في كفاحهم لضم الطبقات العاملة في العالم الإسلامي لتكوين قوة منهم تستطيع قلب الخلافة وكل ما تمثله؛ وللتوصل إلى استغلال أصحاب الحرف أوجدوا الطوائف وسيطروا عليها. وهكذا أصبحت لها خاصيتان: (أولاً) كونها أصنافاً للحرف و (ثانياً) كونها مؤسسات أخوية إسماعيلية[2]

دعنا نفحص الدلائل التي تؤيد هذه النظرية. يجب قبل كل شيء ملاحظة اهتمام الاسماعيلية العظيم بطبقات أصحاب الحرف فقد خصص فصل كامل في رسائل إخوان الصفا للنظر في الحرف اليدوية وتبويبها وتصنيفها ونبلها. ويهمنا بصورة خاصة الفقرة التي قسم فيها الذين لا يمتهنون الحرف كما يلي: قسم لا يمتهن الحرف كبرياء وأنفة، وقسم لزهده كالأنبياء، وقسم يقلدها لكسله وقلة نشاطه كالشحاذين وغير الماهرين من الصناع أو لتراخ في الطبيعة وضعف في العقل كالنساء وما يشبههن من الرجال.

فالإشادة المقصودة بأصحاب الحرف بينة، والأمثلة الأخرى على اهتمام الاسماعيلية بالحرف كثيرة. وهناك عامل ثان وهو الفرق بين وضعية الطوائف في عهد الفاطميين وبينها في عهود الدول السنية. إذ كانت الطوائف تحت الحكم السني مضطهدة وخاضعة لقيود لا تمد، ومحرومة من حقوق قانونية. وكان هناك موظف حكومي يدعى المحتسب مهمته الأساسية مراقبة الطوائف وقتل أية محاولة للعمل المستقل فيها منذ المبدأ، ولدينا أدب ممتع ضد هذه الطوائف يظهر قلة ثقة الدول السنية بها، ويظهر ذلك خاصة في كتب الحسبة أي الكتب التي كتبت لفائدة المحتسب عن خطر أهل الصنائع وعن أحسن الطرق للسيطرة عليهم، وقد وصلتنا هذه الكتب من محلات متباينة كالقاهرة وحلب ومالقة

نلاحظ الفرق في وضعية الأصناف تحت حكم الفاطميين، إذ كانت تتمتع برخاء عظيم. فقد كانت معترفاً بها من قبل الدولة، ويظهر أنها كانت تتمتع بامتيازات كثيرة، وأنها لعبت دوراً هاماً في النشاط التجاري الذي حصل في العهد الفاطمي، ففي هذا العصر نشأت نقابة الأساتذة والطلاب التي تؤلف الجامعة العظيمة أي الأزهر الذي مر ذكره. ثم قضى صلاح الدين على الخلافة الفاطمية ١١٧١ م، وأعيدت مصر إلى الحكم السني وفي الحال جردت الطوائف من أكثر حقوقها وامتيازاتها وأخضعت لنظارة دقيقة.

وهنالك عامل ثالث يؤيد هذه النظرية، وهو الأثر القوي الذي تركه النفوذ الإسماعيلي في الطوائف بعد اختفاء الدعوة الإسماعيلية بزمن طويل. إذ يقول الأستاذ كوبريلي[1] إن الطوائف في أناضوليا في القرن الثالث عشر كانت لا تزال تحتفظ بنظام متدرج في التنشيء يشبه بدقة النظام الإسماعيلي، كما أن

(١) رسائل إخوان الصفا. القاهرة ج ٤ ص ٢١٤

(٢) لم يصل الأستاذ ماسنيون مع الأسف بنظريته إلى النهاية إذ أنه يقول إن المصادر لا تزال غير كافية. La Passion d'al-Hallaj Paris. 1922, Vol P. 83, 399, 410 لاحظ الأنسكلوبيديا الاسلامية. مادة نقابة. صنف. شد

(١) لاحظ Köprülü — Les ourgines de l'Impire Otomn, Paris, 1935 P. 711.

دراسة أصناف مختلفة فى أنحاء مختلفة من العالم الإسلامى أظهرت آثاراً مماثلة . وتظهر رسالة لأحد الأصناف المصرية كتبت فى القرن السادس عشر — كتاب الذخائر والتحف فى بير الصنائع والحرف — كرهاً شديداً للحكم العثمانى الذى يعتبر سبب تعاسة رجال الأصناف ، ونجـد فى الرسالة فكرة انتظار المهدى لينقذ البؤساء

وهكذا نجد الآثار الإسماعيلية التى هى ضد التعاليم السنية تستمر بين الأصناف ، ونلاحظ العبارة التالية فى هذه الرسالة « إن العلم يعطلونه وبعد أن تذهب دولة العثمان يطلبونه ويقوم سيدى محمد المهدى لـكل حرفة لما صدر فى الصحابة ويأمرهم باتباع الطريق فيدخلون السياج ويسألون كل نقيب عارف بصير الأمر له محتاج حتى يقوم الدين ويصلح اليقين ويبطل العقد والثلاث ويضرب أعناق النقباء الجاهلين والمشايخ المتلبسين »

وأهم من ذلك وجود أفراد من طوائف مختلفة بين أفراد الأصناف ، وهى خاصة تميز هذه الأصناف بدقة عن النقابات الأوربية، إذ يقبل المسلم والمسيحى واليهودى تحت نفس الشروط فيها ، حتى إن بعضها يغلب فيها غير المسلمين كأصناف الأطباء والمتعاملين بالمعادن الثمينة ...الخ. وهذا يظهر الرابطة الدقيقة بين الأصناف والدعوة الاسماعيلية

يتضح من كل هذا أن الحركة الاسماعيلية لعبت دوراً هاماً فى تطور الأصناف الإسلامية ، وأنها تركت أثراً عميقاً خالداً فى حياتها الداخلية ، وإن لم يوجد برهان واضح يبين أن الحركة الاسماعيلية أوجدت الأصناف[1] ، ولـكن الأكثر احتمالاً هو أن الاسماعيلية أعطت مصدراً جديداً ومعنى جديداً لتشكيلات كانت موجودة من قبل . فهل كانت هذه التشكيلات من أصل بيزنطى ، أو كانت تقليداً لمؤسسات بيزنطية معاصرة خارج حدود الامبراطورية الإسلامية ؟ هذا ما يستحيل البت فيه . فأثار تشكيلات الحرف فى الفترة التى سبقت الحركة الاسماعيلية والعامل الإغريقى العظيم فى الأفكار يؤيد تفسيراً من هذا القبيل

وهكذا تكون النقابات الإسـلامية عبارة عن نظام يتركب من هيكل موروث من العالم اليونانى الرومانى وسلسلة من الآراء جاءت على الأخص من الحضارة الفارسية الآرامية وأنتجت حركة إسـلامية إغريقية تهذيبية فلسفية تكتلية (على هيئة جميات) فى نفس الوقت

وفى أوسط القرن الثالث عشر حدثت فاجعة الفتح المغولى الذى حطم الخلافة وأخضع المسلمين من سنيين وغيرهم على السواء إلى سيطرة شعب أجنبى كافر ، وأفضى إلى طمس التميز الاجتماعى بين الاثنين « السنة وغير السنة » وسهل نوعاً ما اعتناق الجماهير للمـذهب السنى . وباختفاء الحركة الاسماعيلية تحرج مركز الأصناف فى المجتمع السنى ، إذ بقيت بعض الصعوبات ، فأصحاب الحرف بقوا غير آمنين فى نير الطبقات الحاكمة فى الدولة . وربطوا أنفسهم بميول دينية هى وإن لم تـكن خارجة عن الدين لم تـكن دائماً فوق الشك ، وهذا هو التصوف، فإلى زمن قريب كانت تصدر بعض التهم من علماء السنة ضـد الأصناف كالأحكام التى أصدرها الفقيه السورى العظيم ابن تيمية، أو التى أصدرها الشيخ العثمانى (منيرى بلغرادى) فى القرن السابع عشر . وعلى كل فبالرغم من كل هذا العداء كانت حالة الأصناف فى الفترة التى تلت الفتح المغولى متوطدة، واستمرت كذلك حتى حركة الإصلاح التركى فى القرن التاسع عشر التى انتهجت خطة أدت إلى انحطاط الأصناف بصورة عامة . وترجع أكثر الوثائق وكل الأخبار التى لدينا عن النظام الداخلى للأصناف إلى الفترة التى تلت العهد المغولى

وقبل النظر فى النظام الداخلى يجدر بنا أن نفحص مشكلة هامة فى تاريخ الأصناف الإسلامية . فحوالى نفس الوقت الذى نجد فيه الأصناف تختلط بطرائق الدراويش والصوفية نجدها على اتصال أشد بنظام جديد وهو الفتوة . أما أصل حركة الفتوة فغامض جداً ، وليس هذا بمحل البحث عن ذلك . ويكفى القول بأن تشكيلات الفتوة انتشرت فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر فى جميع البلاد الإسلامية . وجمية الفتوة هى مجموعة شبان (فتيان) يربطهم قانون أو دستور دينى وأخلاق يحتوى على واجبات وشعائر منظمة . فهم مسئولون عن ممارسة بعض الفضائل والقيام بخدمة عسكرية لخير الإسلام . ويظهر من هذا

(١) لهـذا الحد قبلت نظرية ماسنيون من قبل (كوبريلى) و (كوردلفسكى) . أما (تشنر) فوؤجل البت لأن البحث لم يتم .

أن الفتوة تشكل نظاماً إسلامياً يوازى الفروسية عند الأوربيين حتى أن فون همر Von Hammer ذهب إلى أن أصل الفروسية الأوروبية إسلامى[1]

وفى الفترة التى تلت الفتح المنولى مباشرة نجد الفتوة تميل أكثر فأكثر إلى الانصال بالطرائق الصوفية وبأصناف الحرف بواسطة رابطة العضوية (أى الانتماء إليها فى نفس الوقت). بدأ هذا التطور فى الأناضول، وانتشر بسرعة فى أنحاء العالم الإسلامى، ولم يمض زمن طويل حتى أصبحت كلتا صنف وفتوة ذاتى مدلول واحد. أما كيف بدأ هذا الامتزاج، وعلاقة هذه التشكيلات المختلفة، فأمر غامض لم يوضح بصورة كافية حتى الآن[2]

يلاحظ تشنر Taeschner ثلاثة أدوار فى تاريخ الفتوة، وهى ثلاث خطوات لانحلال اجتماعى مطرد: فيقول إن حركة الفتوة بدأت كحركة فروسية أرستقراطية، ثم تحولت فصارت حركة الطبقة المتوسطة فى القرن الثالث عشر، وأخيراً انحطت فى القرن الخامس عشر إلى أكثر من ذلك وأصبحت حركة للعوام. وهكذا اندمج الفتيان فى أصناف الحرف. ومن جهة أخرى يقول تورننج أن الصوفيين وأصحاب الحرف قلدوا جميعات الفتوة مقتبسين شعائرها ومثلها العليا وأخيراً اسمها. وأكثر هذه التعليلات إقناعاً هو تعليل (كوردلفسكى) الذى يتفق مع كوبرولو[3] على أن زمن اندماج مجموعات الفتوة بالأصناف هو فى القرن الثالث عشر فى الأناضول، وربط ذلك بنظام هام هو نظام (أخيان روم) أو (أخوة الأناضول). فقد ظهرت أخوة فى أناضوليا لأول مرة فى السنوات التى تلت الفتح المنولى مباشرة، إذ كانت الفترة فترة فوضى واضطراب عام؛ فالمغول الذين دحروا الدولة السلجوقية عجزوا عن التعويض عنها، وبذا اضطربت الإدارة. وفى هذا الدور الحرج تظهر الأخوة كمؤسسة قومية واسعة لها الرغبة والقدرة على التنظيم.

(يتبع) عبد العزيز الدورى

(١) لاحظ Von Hammer : Sur La Chevalué des Arabes, J. A. 1899, P. 5

(٢) لاحظ Tœscher — Die Islamische Futuwwotbündr. Z. D. M. G. 1933, P. 6

(٣) كوبرولو Les ourgines 76-8, 110 — 112

من شجو الربيع

عَينــاكِ ...!

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

عَيْنَاكِ لِي قَبَسَانِ فِي زَمَنِي الْمُحَيِّرِ هَادِيَانْ
وَشُعَاعَتَانِ مِنَ الطَّهَا رَةِ وَالْقَدَاسَةِ وَالْحَنَانْ
وَسَكِينَتَانِ بِوَاحَةٍ سَجْوَاءَ عَذْرَاءِ الْجِنَانْ
سِرُّ الْإِلَهِ بِهَا خَفِيُّ الْغَيْبِ مَعْصُومُ اللِّسَانْ
أَشْجَتْ خَيَالِي مِنْهُمَا فِي وَحْدَتِي أُنْشُودَتَانْ
تَتَهَادَلَانِ عَلَى رَبَابٍ لَمْ تُلَامِسْهُ بَنَانْ
عَيْنَاكِ لَوْ تَدْرِينَ فِي صَحْرَاءِ عُمْرِيَ وَاحَتَانْ
وَبُحَيْرَتَانِ بِعَالَمٍ فَوْقَ الْغُيُوبِ رَهِيبَتَانْ
بِالْحُبِّ وَالْأَنْغَامِ وَالْخَمْرِ الْمُقَدَّسِ تَخْفِقَانْ
اللهُ أَكْبَرُ! بَلْ هُمَا مِنْ نَايِ رَبِّكِ هَمْسَتَانْ
وَهُمَا لِرُوحِي فِي السَّنَا الْـ جَانِي لَدَيْكِ عِبَادَتَانْ
بَلْ نَشْوَتَانِ، وَسَجْدَتَا نِ، وَفِتْنَتَانِ، وَتَوْبَتَانْ
وَهُمَا لِحُبِّيَ لَوْ عَلِمْـ تِ مِنَ الضِّيَاءِ تَمِيمَتَانْ
تَقِيَانِ قَلْبِي مِنْ أَذَى الدُّنْيَا وَشَعْوَذَةِ الزَّمَانْ
... ...
عَيْنَاكِ عَبْدُ سَنَاهُمَا يَفْنَى وَلَا ...
... لَا تَدْرِيَانْ!

(ديوان المعارف) محمود حسن اسماعيل



صاحب الديوان الظريف

أما أنه ظريف حقاً فذلك ما يتبين من هذا الحديث الذي أسوقه عنه، ولكم تمنيت لو كان أصحاب الديوان جميعاً على شاكلة هذا الشاب الذي ساقتني الظروف السعيدة إليه ...

ولن يتسع المجال إذا أردت أن ألم بنواحي ظرفه جميعها ولذلك فحسبي أن أقصر الحديث على آخر لقاء كان بيني وبينه

دخلت حجرة عمله فما رآني مقبلاً عليه حتى خف للقائي ضاحكاً مرحباً يمد لمصافحتي يمناه ويقدم إليّ كرسياً بيسراه على صورة لفتت أنظار الكثيرين ممن حوله من أصحاب الديوان ، وأمثال هؤلاء لن يلفت أنظارهم الرصينة المنكبة على حل المعضلات إلا أمر غير مألوف

وجلست ترمقني العيون برهة وحرت أول الأمر كيف أبدأ الكلام وما جئت زائراً، ولا أنا بصديق لهذا الذي أسرني ظرفه ، وما كانت معرفتي به إلا من كثرة ترددي عليه في أمر لي عنده .

وبدأ هو الكلام فقال : « قهوة والا قرفة والا شاي يا سعادة البيه ؟ » ؛ واعتذرت شاكراً فما زاده اعتذاري إلا إلحاحاً بل وتوسلاً أن أتنازل فآخذ شيئاً مما ذكر ، ولست أدري ماذا كان يبلغ من قوة إلحاحه لو تبين على وجهي أمارة القبول ، على أني والحق يقال لم أر في وجهه إلا أنه جاد ، وإلا فبماذا يفسر هذا التوسل الذي ما فتر والذي لم ينته في الوقت نفسه آخر الأمر إلى شيء ؟

وابتسمت وتواضعت وتصنعت الحياء وقلت في رفق يتناسب مع ما لقيت من ظرف : «لعلك انتهيت من مسألتي» فقال : « أيوه يا فندم قربنا ... حالاً إن شاء الله ، الحكاية كثرة عمل والمدير كل ساعة يطلبنا ، وكل عام وأنت بخير إجازة المولد ... على كل حال كن مطمئن احنا محاسيب يا فندم ... »

وجاء أحد السعاة فاستدعاه لمقابلة المدير فنظر إليّ كأنما يقول هكذا لا يني المدير عن طلبه ، وأخذ في يده مجموعة من الأوراق كان ينظر إليها في اهتمام واستأذنني وهو يرجو أن يعود فلا يجدني .

وجلست أنا متعجباً حائراً كيف يكون هذا الذي أرجو منه حل مسألتي محسوباً لي ، وهو لا يعرفني كما ذكرت إلا من ترددي عليه ! ؟ وتنازعني الضحك والغضب ، فأما الضحك فمن هذه الحركات «البهلوانيه» المحكمة، وأما الغضب فلأنه يظن أني لست أفهم أنه يسخر مني ، دع عنك إهمال أمري الذي استمهلني آخر مرة جئته فيها من أجله ثلاثة أيام ، فما عدت إليه منذ ذلك اليوم إلا بعد ثلاثة أسابيع ، ومع ذلك فهو يقول « قربنا » والمسألة في غير مبالغة لا تستغرق منه أكثر من ربع الساعة !

وعاد فوجدني لا أزال في موضعي ، فتلاقى في وجهه التجهم والابتسام في وقت واحد ، وهو من كثرة مرانه يعرف كيف يبتسم بناحية من وجهه ، ويتجهم بالناحية الأخرى ... ثم غلبت ابتسامته تجهمه في أسرع من ارتداد الطارف ، ونظر إلى من ابتسم إليه من أصحاب الديوان ابتسامة فهمت منها أنهم يضحكون منه لأنه لم يستطع أن يصرفني أو يضحكون من أني على الرغم من ألاعيبه بقيت ثابتاً لا أتحول

وجاء شخص غيري رقيق الحال يلبس جلباباً عليه معطف يسأله هو أيضاً عن مسألته فقال في نفس ظرفه وأدبه : « حاضر يا عم إن شاء الله تجينا بعد يومين تكون مبسوط » ولما شكا الرجل وغضب قال له باسماً : « حلمك يا بويا إن الله مع الصابرين قلت لك إن شاء الله تكون مسرور » ولما أدار الرجل ظهره لينصرف نظرت إلى صاحب الديوان فإذا به يخرج له لسانه ، وابتسم ابتسامة عريضة وضحك من رآه من أصحاب الديوان ، وكثيراً ما أضحكهم بمثل هذه الأمور كما قرأت ذلك على وجوههم

واتجه إليّ قائلاً : « شرفت يا بيه » وفهمت معناها فليست إلا مطالبة بالانصراف ؛ وهممت أن أنصرف ، وقد تأكد لي ما سبق أن عرفته من أن الأوراق عند أصحاب الدواوين قسمان ، قسم يعلم به المدير أو الرئيس ، وهذا هو الذي ينجز ويمد ، وقسم لا علم للرئيس به ، وهذا لا يتناوله أصحاب الديوان ولو بمجرد القراءة ، وعلى مصالح الناس ألف سلام !

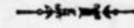
وسلمت فنهض يصافحني في ظرفه ولباقته ، وهو يقول : « ما تأخذناش يا بيه ، والله الواحد خجلان ... حالاً إن شاء الله » ومضيت ولكني التفت عند الباب أنظر إليه فلست أدري لم ألقى في روعي أنه ظل يخرج لي لسانه منذ ودعته ... « عين »





صخرة الملكس

للدكتور ابراهيم ناجى



تعال نزف للثغر السلاما — ألست ترى على الثغر ابتساما
ألم تشعر كأن يدىْ عزيز — مسحن لك المواجع والسّقاما
كأن خطى العُبابِ خطى حبيب — كأن الموج أفئدة ترامى !
سلاماً يا عروس الماء إنى — أحبك لا أملّ بك المقاما
أسير إلى لقائك نضو شوق — وأرجع عن ربوعك مستهاما
أراك فتنتشى روحى وقلبى — كأنى قد سقيت بك المُداما
وإن طوى البساط فنصب عينى — عليك خيال أحبابى القدامى
وإن طاح الزمان بكأس حبى — فلا الساقى نسيت ولا الندامى !



فؤادى قم بنا نذكر شجانا — لصخر فى جوار الملكس قاما !
تعال ولا تقل هـذا جماد — وكيف تروم بالصخر اعتصاما؟
فكم فى الحىّ من قلب أصم — تنكر أو تجاهل أو تعامى
وكم صخر أحس بما عنانا — وما عرف الحديث ولا الكلاما
وكم فى الناس من رجل قوى — شديد البأس يقتحم اقتحاما
تعرض للحوادث لا يبالى — تلقاها نصالاً أم سهاما !
فإن عرضت له الذكر الخوالى — رأيت الكون فى عينيه غاما
عرته الرجفة الكبرى وراحت — جيوش الصبر تنهزم انهزاما !



بربك أيها الأنوار ماذا — صنعت بساهرٍ ألِف الظلاما
بربك أيها الأمواج ظلت — على الشطآن ترتطم ارتطاما !
أتيتك أبتغى منك التأسى — وأنشد فى نواحيك السلاما !
أراك فتحت لى شجناً جديداً — وكنت أروم للماضى التئاما !
وهيتُ، وخاننى جلدى، وإلا — فهذى الدمعة الحرّى علاما !
أيا بلد التأسى كيف أنسى — زمانى فيك كهلاً أو غلاما !
ويوم أتيت مكتئباً عليلاً — أحس البين يدنو والحماما !
أجرجر فيك أقداما ثقالاً — وأجمع من عزيمتى الحطاما !
وعلاتى وأدوائى كبار — شربن دمى وأبلين العظاما !
أراك فلا أبالى بالمنايا — وأحمد عند شاطئك الختاما
وكم طاف الرفاق وغادرونى — كعوّاد ومرّوا بى كراما !
تمر بى الحياة ولست أدرى — أيوم مرّ أم قضيت عاما !
عرفتك والشتاء يمد ظلاً — وينشر فى جوانبك الغماما
عرفتك والمصيف عليك زاه — وقرن الشمس يضطرم اضطراما
عرفتك والعواصف فيك غضبى — نشرن على محياك القتاما !
عرفتك و(تقلانك فيك بيض) — مجنحة يحاكين الحماما
عرفتك هادئاً والفجر غاف — كأن البحر وسده فناما !
عرفتك كالصديق بكل حال — وكنت شراب روحى والطعاما
وملحك فى دمى، وشذاك باق — وهذا الصوت أسمعه دواما !
تعالىْ صخرة الماضى أجيبى — وقوفك وانتظارك ذا إلاما
لقيت من العباب كما لقينا — من الأيام قرعاً واصطداما !
كأنك للورى هَدفٌ وهذى — جموع تبتغى أمراً جساما !
إذا ما أخفقوا رجعوا فرادى — وإن همّوا وجدتهم زحاما !



فؤادى إن تغيرت الليالى — فمثلك من رعى فيها الذماما !
بلغنا كعبة الآمال فاخشع — ودعنا فى مناسكها قياما
خذ السلوان من حجر صموت — فما أحراك بالحجر استلاما !



بربك أين أحلامٌ غوالٍ — وعمرٌ قد قطعناه نياما
نسقاه أمانىَّ أو خيالا — ونطعمه قصيداً أو غراما !
وعهد كان فيكِ ربيع وَرْد — كهذا اليوم حسناً وانسجاما !

ناجى

العمر الضائع

[مهداة إلى الشاعر الملهم الأخ أحمد فتحى]

للأستاذ خليل شيبوب

ضَيَّعْتُ عمرىَ فى هواكِ فضاعا … وأعاضنى الأسقامَ والأوجاعا
وغدوتُ لا أملٌ أعيشُ به ولا … قصدٌ أُطالعُ وجهَهُ استطلاعا
إنى لأعجبُ منكِ كيف طَلَبْتِنِى … ومددتِ تغْوينى يَداً وذراعا
ونبذتِ داعى الكبرياءِ مهانةً … حتى ترُدِّينى إليكِ خداعا
ونَسيتِ في الماضى القريبِ مواقفاً … لكِ صكَّتِ الأبصارَ والأسماعا
لكنْ إبائى ردَّنى فكأنه … حولى أقامَ معاقلاً وقلاعا
مِنْ بعدِ ما عَثَّرَ الفؤادُ بنفسه … والأمرُ أفلَتَ من يديه وضاعا
فأفادنى نُبلى بحبكِ شِقوةً … رضى الفؤادُ بحكمها وأطاعا
متجانفاً عما أردتِ من المنى … متكافئاً خُلُقاً به وطباعا
قد أزْهَقَتْنِى عزلتى فكأنّنى … من قبل دفنى قد دُفِنْتُ تباعا
أصبحتُ مثلَ المومياءِ محدِّثاً … عن غابرٍ لى لم يكن لِيُذاعا
عهد به جَرَّبتُ فيكِ حوادثاً … صَدَّعَتْ حشاىَ صروفُها فتداعى
غيرى تمرُّ به تجاريبُ الهوى … مرَّ الكرامِ فلا يُحِسُّ صراعا
لكنني غَلَبَتْ حجاىَ مشاعرى … فبقيتُ محترقاً بها ملتاعا
خِزْيًا لحبكِ إنه البحرُ الذى … غالَ الغريقَ وما أراهُ القاعا
بُعْدًا لحسنِكِ إنه الليلُ الذى … ضَلَّ الحليمُ به ورابَ وراعا
بعضُ المحاسنِ لو علمتِ مَسَبَّةٌ … للميحةِ لا تفهمُ الأوضاعا
نُشِرَتْ شِباكًا فاعْتَلقت بها وما … أحْسَنتُ عن قلبى الضعيفِ دفاعا
إنى رأيتكِ منيةً علويةً … ورآكِ غيرى فى الزمان متاعا
ولقد أبيتُ سوى التفرُّدِ فى الهوى … وأبيتِ إلا أن أراكِ مشاعا
فإذا الأبىُّ مُدَفَّعٌ عن نفسه … وإذا الغبىُّ مُمَتَّعٌ إمتاعا
وإذا ثمارُ الحسنِ قد أطْعَمْتِها … نفرًا يجيئون الطعامَ شباعا
من كل مكظوظٍ براكِ علالةً … يلهو بها ساعًا ويسأمُ ساعا
وَحَرَمْتِ قلبًا قد طوى بأساً على … يأسٍ وعاش مُفَجَّعًا مرتاعا
يا بُؤْسَ قلبٍ فى هواكِ مُضَلَّلٍ … لم يَعْرِفِ التمويهَ والإيقاعا
قد كانَ يملكُ فى الحياةِ إرادةً … لكن هواكِ قد اشتراهُ وباعا
أعْطِيتِه ملكَ الهوى فتصرَّفى … فيه ولا تَرْعَىْ له ما راعى
وخُذِيهِ لا بوركتِ فيه لأننى … آبى لما أعْطَيْتُهُ استرجاعا

* * *

الصدرُ يطفح بالمرارة ثائرًا … والنفسُ واجفةٌ تطير شعاعا
وتُمِضُّنى ذكرى هواكِ كأننى … فى كل يومٍ أسْتَجِدُّ وداعا
وأظلُّ مذهوبَ الفؤادِ لأننى … ضَيَّعتُ عمري فى هواكِ فضاعا

خليل شيبوب

M. Arab. 150

التأمين

كان أحد موظفى شركات التأمين مسافرا فى إحدى مناطق الولايات المتحده الزراعية وكان رأيه أنهم يقولون أكثر من اللازم « ليس عندي وقت » ففكر حينئذ فى وسيلة ممتازة للجواب على هذه الحجة فاستأجر عاملا زراعيا يعرف كيف يقوم بشق الأعمال ثم اصطحبه وراح يعمل كالفلاح بكل معانى الكلمه فاذا كانت الفرصة المناسبة للحلب أو البذر أو الدرس فلا داعى للقلق إذ أن خادمه كان يعمل كل مايلزم لتأمين الخدمة وفى هذه الأثناء كان العميل الفطن يستطيع أن يقنع المزارع بمزايا التأمين .

ويوجد فعلا شركات تأمين متنوعة تؤدى منافع كبرى من ضمنها مثلا التأمين ضد عواقب المرض المالية فان هذا النوع من التأمين أصبح معروفا منذ زمن بعيد فى معظم بلدان أوربا وهو ينتشر الآن بسرعة فى أمريكا باعتبار التأمين المتبادل ضد المرض لكن هناك أيضا مناطق واسعة وكثيرة حيث تنتشر الأمراض العديدة وحيث نسمع رغم ذلك أحداً يتكلم عن إحدى الضمانات ضد هذا الخطر فهذا شيء لم يزل مجهولا تماما فى بلدان المناطق الحاره مع أنه لدى سكان تلك المناطق وسيلة تأمين أنفسهم ضد أمراض توجد غالبا هناك .

ونحن نقصد الملاريا التى هي بلية البشرية وهي تميت كل سنة ملايين الضحايا وتسبب أيضا خسائر كبرى من الجهة الاقتصادية لكن بالامكان الآن الوقاية من الملاريا ببعض دريهمات فى اليوم إذا اتبع الانسان النصائح التى تعطيها لجنة الملاريا فى جمعية الأمم فهذه اللجنة قد تحققت من أنه بالامكان التحصن ضد الملاريا بأخذ ٤٠٠ مليجرام من الكينا يوميا طول موسم الحيات ضد الملاريا . وإذا كان الانسان قد أصيب بالمرض فان هذا العلاج الممتاز يظهر مفعوله بسرعة ويكفى أخذ جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من الكينا كل يوم لمدة خمسة أو سبعة أيام ولا داعى فى هذه الحالة لعمل معالجة تكميلية على أنه من الضرورى التأمين ضد الملاريا باستعمال الكينا كعلاج واق .



الأزهر

الأزهر – كما يجب أن نعرفه – إن هو إلا تاريخ مصريٌّ عربى إسلامى كاملٌ متتابعٌ قد امتدَّ على مَدْرَجةِ التاريخ ألف سنة يجدِّد فيه ويتجدَّد به ، ويعيشُ عيشه هذا فى التاريخ كالمدد المتلاحِق الذى يستفيضُ بمادَّته لينشئَ القوةَ فى رُوح الجيش المرابط وأعصابه وأفكاره وأعماله المجيدة . وهذا التاريخ العجيب الذى لا يزال حيا فى هذه الأرض ، هو كالتاريخ الإسلامى والعربى كله مجهولٌ متروك لم تَنفُضْ عنه الحياةُ العربية الجديدةُ غُبار السنين المتقادمة والأجيال المتطاولة التى تعاقبت عليه بالنسيان والإهمال والهجر . وإذا نظرنا إلى الأزهر على مقتضى هذه النظرة وبسبب من هذا الرأى – علمنا أنه كهذا التاريخ الإسلامىّ قد تعاورته القوّة والضعف ، وحزّت فيه سِيما العلم ومِيسم الجهل ، وتغلغل فيه النبوغ الفذُّ السامى والنبوغ الشاذُّ النازلُ : النبوغ السامى الذى ارتفع بروحانية الشعوب الإسلامية وأخرجها من سُلطان الشهواتِ والجهالات ، فمدَّت بذلك سلطانها على جزء عظيم من العالم ، والنُّبوغُ النازل الذى هَوَى بروحانيةِ هذه الشعوب إلى الجدَل والفُرقة والمذاهب والآراء الخاضعة لسلطان الشهوات العقلية المريضة ، فقلَّصت ظِلَّ هذا السلطان عن هذا الجزء العظيم من العالم

والأزهرُ – كان – مجتَمَع القُوى المختلفة التى عملت فى إنشاء الحضارة الإسلاميَّة والعربيَّة التى عاشت فى التاريخ الماضى وملأته بالألوان المختلفة من مميزات هذه الشعوب الإسلامية المتباينة ، المتباعدة فى مطارح الأرض ما بين الصين إلى المغرب الأقصى . واستمرَّ على ذلك مئات من السنين تتلوها مئات ، وكذلك مهدت هذه السنين للشعب العربى المصرى فى هذا العصر – عصر النهضة الجديدة فى الشرق – أن يكونَ هو قِبْلةَ الأمم العربية والإسلامية . وذلك لأن روح الشعب المصرى ، وثقافته المرونة فى تفكيره وأخلاقه وطباعه ، وحضارته القديمة التى تبرَّجت على ضفاف النيل – هذه كلُّها ليست إلا خلاصة هائلة مُصفّاة من أرواح الشعوب الإسلاميّة كلها وثقافاتها وحضاراتها . وكان الأزهر هو المصدر الذى استمدَّت منه مصر هذا الفيض المعظم الجارى فى أودية التاريخ المتقدِّم ، لأنه هو كان الجامعة الوحيدة فى هذه الديار ، وكان أكبر جامعة وأعظمها فى سائر الديار العربية الإسلامية.

وبهذه الخلاصة التى اجتمعت فى الأزهر، ثم انتشرت منه فى أرجاء مصر قديماً وحديثاً استعد الشعب المصرى بطبيعته لأمر مقدور ، هو أن يكون زعيما للشرق فى عصر النهضة الجديدة ، لأن كل شعب من الشعوب العربية والإسلامية يرى فى هذا الشَّعْبِ صورة من نفسه مكملة بألوان أخرى من صور سائر الشعوب التى تمتُّ إليه بسبب من الدين واللغة والحضارة والثقافة والفكر والدم

ونحن نأسف إذ نرى الناس إنما ينظرون إلى الأزهر نظرةً محدودةً ضيقة لا تتراحب ولا تنفذ إلى حقيقة هذا التاريخ القائم فى أرض مصر . فهم يعدُّونه معهداً دينياً ، ويكون تفسير كلمة الدين هنا – على غير الأصل الذى يعرف به معنى الدين فى حقيقة الفكرة الإسلامية التى ختم الله بها النبوّات والأديان على هذه الأرض . وهذا المعنى الجديد المعروف فى زماننا لهذه الكلمة كلمة « الدين » ليس إسلامياً ، لأنه لا يلائم روح الإسلام فى شىء ...

كلا ، بل هو يهدمُ أعظم حقيقة حية أتى بها هذا الإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وليجعل الذين آمنوا فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ويجعلهم الوارثين . وهذه الحقيقة الحية الجليلة هى جعل كل عمل من أعمال الإنسان المسلم فى الحياة عبادة تقربه إلى الله ... فليس البيْع والشراء ، أو تدبير أمور الناس فى الملك ، أو العلم والتعليم ، أو تربية الولد ، أو الخدمة التى يؤديها الرجل لمن يخدمه ... ليست كل هذه الأشياء الاجتماعية فى منزلتها من الدين الإسلامى : إلا كالصلاة والصيام والزكاة وسائر الأعمال التى يفهم بعض الناس الآن أنها هى الدين حسبُ . فالأزهر الإسلامى هو الذى تتمثّل فيه حقيقة الإسلام – أو يجب أن تتمثل فيه هذه الحقيقة – ، وتاريخه الماضى كان صورة صحيحة للحياة الاجتماعية الإسلامية بكل ألوانها وأنواعها ، مع ما كان قد عرض فيها من العيوب التى أدركت الشعوب الإسلامية وجعلتها تنزل عن المرتبة الأولى التى كانت لها فى تاريخ الحضارات السالفة

التى سبقت الحضارة الأوربية لهذا العصر. فلما هجمت علينا الحضارة الحديثة من أوربا بعواملها المختلفة ، وسياستها القوية التى تغلبت على كل سلطان فى الشرق ؛ ثم اندست العوامل الغريبة فى الأمم الإسلامية ، وعملت الأيدى المدوَّة عملها فى تمزيق الروابط بين طبقات الشعب ... رجع الأزهر إلى غيله يستتر فيه ، يقبع أهله عن صراع الحياة الجديدة صراعاً يراد منه الظفر ، وكذلك سار الناس ناحية ، وسار الأزهر ناحية أخرى ، وكان ذلك أول البلاء على الأزهر وعلى الشعب نفسه !

اصلاح الأزهر

وقد أحس كثير من المصلحين من أهل الأزهر وغير أهله -ممن يعرفونه أصلاً كبيراً فى الحياة المصرية والعربية والإسلامية- بما تقتضيه طبيعة الموقف الذى صار إليه فى هذا العصر ، وبما توجبه حقيقة الدين الإسلامى ، فهبوا إلى إصلاحه والنظر فى شأنه مرة بعد مرة . وكان العمل لذلك شاقاً كثير المتاعب غير قريب المنافذ ، فاضطربت الأيدى واختلفت الأغراض ، وسار هذا الزمن السريع بقوة واندفاع ، لا يملك معه المصلح الانطلاق فى آثاره على مثل سرعته واندفاعه وكذلك لم يزل الأزهر الآن فى منزلة غير المنزلة التى يوجبها له قيامه ألف سنة على التاريخ الفكرى والثقافى والعملى فى الحضارة الاسلامية

وقد كتب الأستاذ « الزيات » — فى فاتحة العدد الماضى من الرسالة — كلمته الجليلة « فى سبيل الأزهر الجديد » يطالب الأزهر بالرجوع إلى المنابع الأولى للدين واللغة والأدب والعلم. وحب «الزيات» للأزهر، ورغبته فى المبادرة إلى علاج الأدواء التى تلبست به من أمراض الأجيال السابقة ، هى التى حملته على أن يكتب كلمته لتظفر مصر « بجامعتها الصحيحة التى تدخل الدنية الغربية فى الإسلام، وتجلو الحضارة الشرقية للغرب، وتصفى الدين والأدب من شوائب البدع والشبه والركاكة والعجمة »

ثم إن الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر لم يقصر فى اجتهاده أن يجعل الأزهر مثابة للعلم الإسلامى الصحيح، ولم يتخلف عن النصيحة له بما توحى به الرغبة الصادقة فى تحريره من آصار قديمة عاقته عن بلوغ غايته التى يحق له أن يبلغها . فقد وضع الأستاذ الأكبر من عشر سنين نظامه الجديد للكليات فى الأزهر وجعل أحد قسمى التخصص فى هذه الكليات موقوفاً على مادة من مواد الشريعة أو اللغة أو الأدب أو التفسير والحديث أو المنطق والفلسفة أو الأخلاق والتاريخ وعلم النفس وما إلى ذلك . وأمدَّ هذه الكليات العالية — فى دراستها لما خصصت له — بالكتب الأصول المعتمدة فى بابها ككتاب سيبويه ، وخصائص ابن جنى ، وسر صناعة الإعراب لابن جنى ، وتصريف المازنى ، وكتاب فيلسوف النحو رضى الدين الاستراباذى صاحب شرح الشافية ، وشرح الكافية ، وهما عمدة أصحاب النحو والتصريف . وكذلك جعلت كتب عبد القاهر - دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة - ، وكتاب الصناعتين لأبى هلال ؛ وأدب الكاتب والكامل والأمالى وغير هذه من أصول الأدب واللغة هى مادة الدراسة فى هذه الكليات

وقد قام على التدريس فى هذه الكليات جماعة من خيرة من أنجبهم الأزهر فاستقلوا بتدريس هذه الكتب الجليلة خير استقلال ، فنرجو أن يظهر الأزهر الجديد بعلمه الجديد الذى استمده من الكتب الأصول ، وأن يعتمد فيما يستقبل من أيام نهضته كل الأصول الأولى فى تدريس الفنون المختلفة التى يقوم بها بين أبنائه ومريديه وطلبته . هذا ونرجو أن يحقق روح الأزهر - التى تتصل بالشعب المصرى وسائر الشعوب الإسلامية - معنى الإسلام الصحيح الذى يطالب المسلمين بالسيادة والقوة والغلبة ، ولا يكون ذلك إلا يوم يتصل الأزهر اتصالاً تاماً بجميع ألوان الثقافات العالمية ، ليوجد للشعب المصرى والعربى والإسلامى ثقافة تضارع كل هذه الثقافات ، مبرأة من عيوبها التى فرضتها عليها البيئة غير الإسلامية التى نشأت تحت ظلالها وفى رعايتها

وأنا أكتفى بهذا القدر من القول ، وسأعود قريباً لأبدى بعض الرأى فى أنواع من الإصلاح تراد للأزهر وغير الأزهر ، أرجو أن تنال بعض الرعاية ممن يتولون شأن هذا الإصلاح

المجمع المصرى للثقافة العلمية

بدأت فى الأسبوع الماضى جلسات المؤتمر السنوى للمجمع المصرى للثقافة العلميـة برياسة حضرة صاحب السعادة حافظ عفيفى باشا ، وهذا هو المؤتمر الحادى عشر لهذا المجمع العلمى الصامت الذى يجاهد فى إنشاء الثقافة العلمية العربية فى الشرق بما يسعه جهده وماله : والمجمع العلمى هو أهم ما يحتاج إليه الشعب العربى الذى ابتعد به الزمن عن متابعة النهضات العلمية المختلفة التى تجددت بالحضارة الأوربية الحديثة . وقيام هذا المجمع بنشر الثقافة العلمية — فى حدود طاقته — قد أوجد للأمة العربية ذخيرة عظيمة

تقع فى عشرة مجلدات ، كلها مباحث علمية عظيمة مكتوبة باللغة العربية مع قلة الاصطلاحات العربية العلمية التى تؤدى المعانى العلمية الجديدة التى لم تقرر لها بعد مصطلحات ثابتة فى مادة هذه العلوم

وهذا المجمع العلمى العظيم لا يلقى — مع الأسف — ما هو حقيق به من الحفاوة والاحتفال فى الأوساط الأدبية والعلمية التى توجب عليها مهمتها الشاقة إمحاض النصيحة للأمم العربية ، بتشجيع القائمين بأعمالهم المجيدة فى صمت وسكون ورفق . ومن أعجب العجب أن تعقد المحاضرات والمناظرات الكثيرة التى تعتمد أكثر ما تعتمد على الثرثرة ومضغ الأحاديث والتمطق بمبذول الكلام ، وتجتمع لهذه المحاضرات والمناظرات فئات كثيرة من طبقات الناس ، وفى صدرهم كثير من أصحاب الأمر وعظماء الأمة ثم يعقد هذا المجمع مؤتمره مرة فى كل عام — فلا يلقى من هذه الفئات ولا من هؤلاء العظماء ما هو أهل له من المتابعة والاهتمام أو المجاملة إن شئت

وكان الظن أن تعمل وزارة المعارف والجامعة وسائر المعاهد والوزارات التى يتناول المجمع ـ بعض ما يخصها أو يقع فى حدود أعمالها ـ بالبحث والدرس والتحقيق والكشف : كان الظن أن تمهد هذه له سبيل إبلاغ صوته إلى أكبر عدد ممكن من المثقفين ، تشجيعاً له وللقائمين عليه ، وطلباً للمنفعة التى تأتى من إثارة اهتمام هـذه الجماهير بنتائج الأبحاث العلمية وأنواعها ، وضروبها المختلفة التى يقوم المجمع وأعضاؤه على إعدادها ومتابعتها والعمل على نشرها ، لتكون سبباً من أسباب اليقظة العلمية التى تقتضيها النهضة الحديثة فى الشعوب العربية

وقد جمعنى مرة مجلس فيه فئة من كبار الأساتذة فى بعض المعاهد العلمية العالية ، فلم أجد عند أحد منه خبراً بعمله عن هذا المجمع ، فما ظنك بعمله أو إنتاجه أو غايته التى أريد لهـا إنشاؤه وتأسيسه ؟ وهذا أمر يؤسف له ، ويوجب على المجمع وعلى كل ذى رأى أن يعمل على تنبيه الوزارات والمعاهد إلى قيمة هذا العمل الذى يقوم عليه المجمع ، وإلى توجيه أنظار الناس إليه بكل سبيل ، حتى يستطيع أن يؤدى إلى الناس ما يرغب فيه من نشر الثقافة العلمية التى يحتاج إليها هذا الشعب فى كل أغراضه وأعماله ، وفى بعث الروح العلمية التى تكفل له القيام بالعبء المثقل الذى يريد أن ينهض به فى بناء الحضارة الجديدة التى يتهيأ الشرق لوراثتها عن الحضارات التى هى فى سبيل إلى الهلكة والتدمير والبوار

هذا وقد بدأ المجمع مؤتمره لهذه السنة بالمحاضرة التى ألقاها الدكتور حافظ عفيفى باشا عن « الأصول العلمية الحديثة وتطبيقها على الزراعة » ، وقد عرض فيها لأهم ما يشغل الأسواق المصرية فى هذا الوقت ، وهو نظام الحاصلات والأسواق الداخلية ، فأبان كل البيان عن وجه المصلحة التى يجب أن يقصدها القائمون على أمر الشئون الزراعية فى هذه الأوقات العصيبة المنذرة بأشد الأزمات على الأسواق التجارية . ثم تبع ذلك بحث فى أهم ما يخافُ منه وما تخشى عواقبه فى أزمان الحربِ ، وهو تفشى الأمراض والأوبئة ، وما يجبُ على الشعب المصرىّ وحكومته أن تعمل على تفاديه بكل سبيل . فألقى الدكتور عبد الواحد الوكيل : « حاجة البلاد إلى تعديل خططها الطبية والصحية » ، وقد أبانت هذه المحاضرة عن هول الحالة الصحية التى تختفى فى كل ناحية من نواحى هذا الشعب المهمل المسكين

آلهة الكعبة

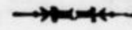
كنت قرأت فى البريد الأدبى من عدد الرسالة ٣٥٠ كلمة للأخ محمد صبرى فى قصيدة الأخ الشاعر محمود حسن إسماعيل ، ينكر فيها أن « اللات ، والعزّى ، ومناة » من آلهة الكعبة ، قال : « وليس واحد من هذه الثلاثة من أصنام الكعبة ، بل لم يكن واحد منها داخل الكعبة ولا حولها » . ثم استشهد قول ابن الكلبى فى كتاب الأصنام ، حين ذكر مواضع هذه الأوثان الثلاثة . وقد كان اعترض بعض أصحابنا قبل ذلك — فى مجلس الأستاذ الزيات — بمثل ما اعترض به الأخ صبرى ، فرُمتُ أن أقول : إن وجود هذه الثلاثة فى الكعبة أو حولها ليس يمتنع . وذلك لأن ابن سعد ذكر فى طبقاته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت — بعد فتح مكة — وهو على راحلته ، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما ، فجعل كلما مر بصنم منها يشير إليه بقضيب فى يده ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً » . فيقع الصنم لوجهه . وابن الكلبى لم يعد لنا فى كتابه الأصنام غير أسماء ثلاثين صنما ، وزاد زكى باشا عليها خمسة وأربعين صنما ، فهذه خمسة وسبعون ، فأين هى من ثلاثمائة وستين ؟ . . . وما كانت كل هذه الأمة من الأصنام إذن — إن لم يكن منها اللات والعزى ومناة ، وهى أشهر أصنام الجاهلية ، وهى المذكورة فى القرآن فى سورة النجم ، وقد كان نزولها بمكة ؛ وما أظنها تذكر بأسمائها إلا وكفار قريش يعظمونها



تأملات في الفن

العب يا ميمون العب !

للأستاذ عزيز أحمد فهمي



— من هذا الذي معك ؟ يا أمه ! قرد ؟

— نعم . واحد من أبناء عمك ميمون . أبوك آدم رقاه الله ، وأبوه هو استحسن أن يظل يلعب ، فظل يلعب

— لعبت عليه نفسه ! وأين لقيت ابن عمك أنت هـذا ؟ وإياك أن تكون قد دعوته إلى مكث طويل هنا ؟

— ليته يقبل ... إنما هو مرتبط بخمسة أصدقاء استأذنهم وجاء يحييك ثم يعود إليهم عند الباب

— أبالباب خمسة قرود غير هذا ؟ لم لم تقل لي إن أسرتك الكريمة هاجرت إليك فكنا نوسع لهم بيننا نزلاً ؟

— ربما لم يكن هؤلاء الزوار جميعاً من الأهل وربما كانوا ! أولهم على أي حال أخ من بني آدم ، وثانيهم حمار ، وثالثهم جدي ، ورابعهم كلب ، وخامسهم أوزة

— أعز الأهل، أنعم بهم وأكرم . تعال نستقبلهم وهات ابن عمك ، فمنذ سنين وأنا لم أر أسرة كهذه ، وكنت أراها وأنا طفلة وأسر وأضحك ؛ ولكن لم أكن أتوقع يوماً أن تنتسب إلى أو أن أنسب إليها ... لا أنا ولا أنت

— تعالى ! ها هي ذي الأسرة . أنظري إلى كل فرد من أفرادها وقولي لي : ما هو ؟ لا تقولي هذا قرد وهذا حمار ، فإني أعرفك تعلمين أسماءها ، وإنما أريد أن أراك هل تعرفينها هي أو أنك تجهلينها كما كنت أجهلها أنا حتى عرفني بها صاحبها هذا النجري الذي يقودها ؟

— وماذا قال لك أكثر من أن الحمار حيوان من ذوات الأربع له أذنان طويلتان وصوته منكر وهو يستخدم في حمل الأثقال ...

— هذا كلام يصفون به قشر الحمار للتلامذة ، ولكن هذا النجري يعرف عن الحمار مثلما يعرف عنه حمار مثله

— وأنت يا هنيئاً لك أخذت عنه هـذا العلم ... انهق لي به انهق ...

— لا بأس . ولكن ألا ترينه واجباً أن نرى النجري قبل أن نرى القرد والحمار ؟

— وهل في النجري شيء يرى وهو ليس في غيره من الناس ؟ رجل مسكين يحتال على الرزق بتلعيب الحيوان

— وكم في الناس القادر على تلعيب الحيوان ؟ إن الإنسان ليستعصي عليه أن يلقب نفسه . ومن استطاع ذلك فهو الفنان

— فكل حيوان من هؤلاء فنان ، وهذا النجري بينهم مثل سيسيل دي ميل أستاذ على الممثلين والممثلات ...

— هذا التشبيه صحيح لولا أنه معكوس . فسيسيل دي ميل هو الذي يحاول أن يكون في عمله كهذا النجري ولكن أنى له ذلك إلا إذا عاش عيشة النجري ، وكم قلد النجرَ أفراد من أهل الفن فكان كل منهم كالمسخ ما لم تكن فيه طبيعة النجري يسترسل بها في الحياة استرسالهم . ولا بد أن تكون قد رأيت واحـداً من هؤلاء الذين ينفشون شعرهم ويطلقون لحاهم ، ويهدّلون ثيابهم

فإذا عظموها اتخذوها في الكعبة وهي بيتهم المعظم ، كما كانوا يتخذون الأصنام في بيوتهم ودورهم . ثم رأيت أخيراً أن ابن سعد يذكر في فتح مكة أن رسول الله بث السرايا إلى الأصنام التي حول الكعبة فكسرها ، منها : « العزى ، ومناة ، وسواع ، وبوانة ، وذو الكفين . فنادى مناديه بمكة : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدعْ في بيته صنما إلا كسره »

ثم جاء كلام أبي جعفر الطبري في تفسير سورة النجم ج ٢٧ ص ٣٦ يقطع الشك باليقين إذ يقول . « وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول: اللات والعزّى ومناة الثالثة — أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها » ، وهذا هو المعقول ، وليس من المعقول أن تخلو كل هذه الأمة من الأصنام التي كانت حول الكعبة من تماثيل منصوبة للات والعزى ومناة الثالثة ، وهذا ليس يمنع أن تكون القبائل غير قريش مكة قد اتخذت لها أنصاباً نصبتها في الأماكن التي ذكرها ابن الكلبي وغيره

محمود محمد شاكر

ويعربدون فى الأرض سكارى مستذئبين على أنفسهم وعلى الناس قائلين إنا نحن بوهيميون . هؤلاء هم الذين يقلدون النجر كما أن من أهل الفن من تضطره الحياة إلى أن « ينجر » نفسه فاما أن يكون نجرياً فى فنه وإما أن ينزلق فيكون نجرياً فى سلوكه مع الناس فيحتال على رزقه كما يحتال هذا النجرى بتلبيب نفسه ، وتلبيب عشرائه ، فهو محتال بارع ممن يعرفون كيف ينطبقون على الفريسة ومن أى مدخل سهل ضعيف يتسللون إلى نفسها ، وأى لسان من الألسنة المسولة يعجبها ، وأى شكل من الأشكال المنمقة المزوقة يرضيها ، وأى مطلب من المطالب تنزع إليه ، وأى شيء يسرها وأى شيء يغضبها ، وأى كلمة تثيرها وأى كلمة تردها إلى هدوئها ، وأى إشارة تحفزها ، وأى إيماءة تثبط همتها إلى غير ذلك مما تمكن النجر منه وأتقنه معهم الـكهان من الناس ، والمتكاهنون .

— فالنجر كهان ؟

— هم أبرع الـكهان إذا أرادوا ، ولـكنهم كمنما ميمون استحسنوا الأمر ما أن يلعبوا وما زالوا يلعبون ، ولو أنهم أرادوا أن يفتكوا بهذه الانسانية لفتكوا بها وسلاحهم ما يعلمون من شئون النفوس وأمورها ، ولـكنهم يؤثرون على هذا أن يفروا من البشرية إلى مرحهم وغنائهم ورقصهم ، فهم لا يلمون بالناس إلا حين تعوزهم حاجة ، فعندئذ ينزلون على الناس ليأخذوها ، وهم آخذوها إن أباحها الناس لهم أو منعوها ، وهم آخذوها إن حللتها الشرائع أو حرمتها ، لا يستطيع إنسان أن يردهم ، ولا أن يمسكهم بها ، ولا أن يستردها منهم ... نجر أولاد شيطان ...

— وهذا الشيطان عمنا هو أيضاً كمنما ميمون ؟

— لا ، بل إنه خالنا أخو أمنا حواء الذى قال لها : رَجُلك خواف ، رجلك ضعيف ، شحيح إن أطعمك ما أطعمك ، فإنه يضن عليك بالتفاحة ... يا حلاوة التفاحة !

— صحيح ، إن فى عينيه بريقاً كما تلمع عيون الشياطين ... إعطهم شيئاً وتعال ...

— أنظرى إليهم وهم ذاهبون يحيطون به ... الحق أنه ما فى الأرض من يمثل سيادة الانسان على بقية الخلق كهذا النجرى ، والنجر جميعاً ، فهم البقية الباقية من الناس الذين كانوا يباشرون الأرواح ويأتلفون بها قبل أن تهيم البشرية حباً بالحديد والحجر ، هؤلاء النجر لهم أحاديث فى كيمياء النفوس أعجب من العجب ، ليت علماءنا يستمعون إليهم ويحاولون تحقيق أحاديثهم ...

— وما كيمياء النفوس هذه أيضاً ؟ ...

— هذا بحر فيه ماء وملح يلقى الشمس فيتبخر منه الماء ويبقى الملح ، ويصعد الماء إلى السماء بخاراً . فيلقى البرد فيرتد إلى الأرض ماء حلواً ليس فيه ملح ، ويجرى على الأرض فى هضاب ووديان ويسرى فى النبات والحيوان والإنسان ، وفى الأحجار أيضاً يسرى ، ويتبخر منه عندئذ بعضه ويبقى بعضه ، ويعود منه إلى البحر بعضه ويضيع منه فى الخلائق بعضه ... هذا البحر ...

— معقول .. فكيف يقيس النجر النفوس بهذا المثل ؟

— هم يقولون هذا إنسان . فيه نفس وجسد . يلقى الحياة وما يزال يتلقاها حتى تتبخر نفسه ويظل جسده فى الأرض ، وتصعد نفسه إلى السماء فتجد حجاباً فترتد إلى الأرض تبحث عن قوة تمكنها من خرق هذا الحجاب إذا عادت مرة أخرى إلى السماء وهذه القوة فى قولهم تواتى النفس بالتطهر والتلطف ، والتطهر والتلطف يجيئان فى قولهم بالتدريب . فإذا كانت نفس إنسان قضت حياتها الأولى ثائرة ساخطة وتبخرت وهى ثائرة ساخطة فثقل بها السخط وثقلت بها الثورة عن خرق الحجاب عادت إلى الأرض تتعلم الصبر والرضى فإذا أسعدها الحظ صادفت غلاماً حماراً ينحدر إلى الدنيا فحلت فيه ، ونزلت به إلى الدنيا تقضى حياة كلها صبر وكلها احتمال وهوان ... ورضا ، وبهذا إذا تبخرت هذه النفس مرة أخرى خفت أكثر من ذى قبل ، وربما استطاعت أن تخرق الحجاب وأن تمضى إلى عالم غير هذا العالم ، وربما عادت إنساناً أو حيواناً أو شيئاً مما يخلق الله ويعلمه ونحن لا نعلمه ...

— ولكن هذا القياس فيه فارق . فهم قد حولوا الإنسان إلى غير الإنسان بينما مثلهم الذى يقيسون عليه يحفظ الماء ماء مهما تعددت أشكاله

— فلنصلح لهم نحن هـذا المثل فهم لم يتوفروا على كيمياء المادة مثلما توفروا على كيمياء النفس ، ولست إخالك تنكرين أن الذى يقولونه عن تحولات النفس يشبه الذى يقوله علماء المادة عن تحولاتها ، ولست إخالك تتركين هذا التشابه يمر بك من غير أن تسجليه على الأقل ، أما أنا فإنى لا أكتفى بتسجيله فى ذهنى وإنما أربط بعضه إلى بعضه وإن كنت إلى الآن لا أدرى مثلما قد يدرون هم أى شيء سأربطه بعد ذلك فى هذين السببين وإلى أين سأصل بعد هذا الربط ...

— إلى ... « العباسية » من غير شك

— حتى إذا وقفتك منى على أوجه الشبه بين الذى يقوله الفجر وبين الذى يقوله علماء المادة

— إن وقفت معك فأنا أيضاً فى حاجة إلى علاج للرأس .

— العلاج على أى حال خير من إهمال المرض . إسمعى . ألا يقول علماء المادة إن هذه الأرض كلها تتشمع وتريد أن تتلاشى فى الفضاء ؟ ألا يقولون إن لهذه الأرض غلافاً من الأثير وهو مادة ولكنه أخف من المادة وألطف منها وأشد شوقاً إلى التشمع والذهاب ؟ ألم يكتشفوا أخيراً عناصر من المادة لا تزال نادرة جداً وهى أقدر المواد على التشمع والتطاير ؟ إن هذه المواد هى أرق ما فى الأرض مادة ، وهى أخف العناصر وألطفها ، وهى لا تزال نادرة لأنها طلائع الدور الجديد الذى بدأت مادة الأرض تدخل فيه ، والأرجح أن الأرض جيماً ستتحول على مرور الدهور إلى هذه العناصر الخفيفة اللطيفة المتطهرة حتى تصل عندئذ إلى ما تتوق إليه من الخلاص من هذا الوضع وهذا الشكل إلى سياحتها الجديدة فى الكون . وإذا كان الماء هو أكثر ما فى الأرض اليوم ، والراديوم (مثلاً) هو أقل ما فيها ، فالماء إذن هو الحلقة الأولى من حلقات الحياة المادية فى الأرض والراديوم هو الحلقة الأخيرة بحسب ما نرى ... أو قولى إن الأثير هو هذه الحلقة الاخيرة ... ثم قولى إن ما بين الماء والاثير من الخلائق المادية إن هو إلا تشكلات وتطورات وتحولات تنزع بها المادة إلى الانطلاق . وقيسى على ذلك النفوس كما يقيسها الفجر ، ولست أطلب منك ولا من نفسى أن نعرف ما يعرفون هم إذا نظروا إلى إنسان ماذا كان قبل أن يكون إنساناً ، وماذا سيكون . فهم يدعون أنهم يعلمون هذا بالنظرة ، ولست أستطيع أن أنكر عليهم قولهم ما دمت أرى فى علماء المادة من ينظر إلى الحجرة فيقول كانت شجرة وستصبح بعد قرون فحمة . فلماذا نقبل كلام علماء المادة هؤلاء ولا نقبل كلام الفجر ؟ ألأنهم غجر ؟ نحن الذين دعوناهم غجراً ، أما هم فيعتبرون أنفسهم أصحاب هذه الدنيا يذرعونها من الشرق إلى الغرب ، ومن الجنوب إلى الشمال لا يخضعون إلا لقوانين الطبيعة الخالدة ، ولا تفسد أنفسهم غيرها من القوانين المصنوعة التى وضعتها العقول بحساب بعد أن نسيت أول قوانين الحساب وهو أنه لا بدء ولا نهاية ، وبعد أن نسيت كذلك أن لكل حساب حساباً يعطله حتى لقد بطل عمل الحساب وصار هذا البطلان هو أساس الحساب بغير حساب ..

— على هذا الأساس أستطيع أن أستمع منك إلى كلام الفجر ، فلا تحسب أنى سأقتنع به ، فدون ذلك تشمع عقلى وطيران منطقى وتفكيرى ، ودعنى الآن أسألك على سبيل العبث والفكاهة لا أقل ولا أكثر : أى نفس كانت نفسى قبل هذه الحياة ... وأى نفس ستكون ؟

— أنت ؟ لا أدرى ، ولكنى أعرف واحداً كان إوزة وسيكون حماراً

— من هو ؟

— مالك أنت وماله ؟ وإنما قولى : كيف هو ، فأقول لك إنه كلما اطمأن إلى الحياة تمكن منه البله ، فهو يلعب فى الأرض ويلعب فى الماء ويحب كل شيء ، ولكنه لا يكاد يعطى من نفسه شيئاً لأحد إلا أن يجد عنده لذة ، وهو غر يصدق كل ما يحيط به ، ومن سقاه شربة ماء استطاع أن يذبحه ؛ وهو إلى جانب هذا رعديد خواف ، لأنه يعرف أنه عاجز عن رد الأذى بأذى ... كالإوزة ... له هذه الأخلاق والطبائع من نشأته فلعلها كانت طبعه الأول ، ومن عرف فيه هذا تمكن منه ولعب عليه ما شاء أن يلعب وقد لعب عليه ناس كثيرون حتى كاد أن يذبح مرة ؛ وإنى أقول لك إنه سيكون حماراً ، لأنى أراه إذا أفاق إلى نفسه أخذها بالصبر وبالرضا والاحتمال ، فلعله إذا تمكن هذا منه كان أصلح البشر « للحمارية » فى حياته المقبلة ، ومن يدرى فربما اكتفى القدر منه بصبره فى هذه الحياة ، وطهره فى حياته المقبلة من نقائص أخرى غير بادية لى فيه الآن ، فكان عندئذ أخف ، وألطف ، وأظهر مما عرفناه الآن ، وكان عندئذ أصلح للبقاء فى أثير الأرواح انتظاراً لموكب من نوعه يلحقه فيدفعه فى فضاء الله إماماً لمن يتبعه ومأموماً لمن سبقه ... من يدرى ؟

— لا أحد، ولا أنت، ولا الفجري. ولكن هذا الكلام يشبه ما يقوله الهنود عن تناسخ الأرواح فهل أصل الفجر هؤلاء من الهند؟

— الموجة البشرية المشرفة على غرب أوربا كلها أصلها من الهند

— ولكنك لم تقل لى ماذا كنت أنت ؟

— يقول داروين إن الناس كانوا قردة ، ويقول القرآن إن من الناس من ردهم الله قردة ... وإنى أقبل القولين فى حق نفسى وإن كنت لا أصدق فيك أنت قول داروين ...

عزيز أحمد فهمى



أفق جديد

الكهرباء والضوء يلتقيان

للدكتور محمد محمود غالى

أزمة الأثير — فراداى والكهرباء — نبوءة ماكسويل — أعمال هرتز — « برانلى » يخترع اللاسلكى ويموت محتبياً من اختراعه

لو أننا أعدنا اليوم مطالعة الصفحات المجيدة التى خطها فرنل Fresnel وهيجنز Huyghens ، ووقفنا عند هذا القدر دون متابعة التطورات العلمية ، لأيقنا أن البناء الذى شيّداه لا يمكن أن يعتوره خلل ، ولو أننا جلنا فى الوقت ذاته فى الهيكل الرياضى الذى شيده « نيوتن » العظيم ، واشترك فى إقامته « أيلر » L. Euler ولاجرانج J. Lagrange ، لأدركنا فى غير عناء لماذا طبق فرنل الميكانيكا النيوتونية فى تفسير الظواهر الضوئية الدقيقة ، التى اعتبر أنها ذبذبات حادثة فى وسط مرن افترضه افتراضاً ، ولكن تجربة « ميكلسون » تقف عقبة فى طريق التقدم فى هذا السبيل ، وتتطلب من الباحثين تفسيراً يختلف والميكانيكا النيوتونية .

إن أرضاً تجرى حول الشمس بسرعة كبيرة تحمل مصباحاً والمصباح يرسل فى طريق سير الأرض شعاعاً ضوئياً كما يرسل فى طريق عمودى على الطريق الذى تسير فيه الأرض شعاعاً له طبيعة الأول وسرعته ، وهذان الشعاعان يعودان فى اللحظة ذاتها إلى النقطة التى خرجا منها ، فى وقت لم تكف الأرض فيه عن الجرى فى مستقرها الأبدى حول الشمس ، لأمر لا يسيغه عقل ولا يقبله منطق ، إذ كيف لا يحدث رغم رحلة الأرض المستمرة وسرعتها الملحوظة ، أى فارق فى الوقت لمسافرين لهما فى الواقع ظروف مختلفة ؟ كان لا بد من طرق أبواب جديدة فى التفكير للاجابة على ذلك . ولقد كان للنظريات الكهربائية شأن فى هذا الميدان الأثيرى ولندع الآن هذه الأزمة جانباً، لننعم النظر فى أمر جديد . ذلك أن الضوء الذى يتموج على النحو الذى ذكرناه هو جزء من الكهرباء(١) ، وإدماج الجزء فى الكل يحتم علينا أن نعرف شيئاً عن خواص الكهرباء ، وسيرى القارئ أنه بمعرفتنا هذه الخواص ينتفى السبب فى افتراض وجود هذا الوسط الأثيرى ، ولعل هذا التفكير الجديد يكون خطوة لازمة قبل أن نعرض عن الميكانيكا النيوتونية ، ونستعين بميكانيكا جديدة لا نيوتونية ، نفهم بواسطتها الكون على شكل أكثر وضوحاً من الشكل الذى نعرفه له .

***

عند ما يَهم عامل لإصلاح خلل فى الشبكة الكهربائية فى منازلنا قد لا يفوتنا أن ننبّهه ليتخذ الحيطة لنفسه، ذلك أننا نعلم أنه يكفى أن يلمس العامل خطأ طرف أحد الأسلاك المكهربة لكى يفقد حياته ، ويصبح بين طرفة عين وانتباهتها فى عداد الأموات ، ولو أن العامل الذى يلمس السلك الكهربائى كان ممسكا بيده الأخرى واحداً أو أكثر من زملائه ؛ فإن جميع المتصلين به يفقدون حياتهم فى اللحظة ذاتها ، وقد حدث أن قُضى على ثلاثة أشخاص العام الماضى فى حى بولاق بالقاهرة بلمس أحدهم سلكا كهربائياً . بيد أننا نشعر بالطمأنينة لو اقترب العامل من السلك دون أن يمسّه ، إذ أننا واثقون بأنه فى هذه الحالة لن يُصاب بأذى ، كما أننا واثقون بأنه لا يشعر عندئذ ولا يشعر من بجواره بوجود الكهرباء بمجرد الاقتراب من الأسلاك الحاملة لها ، ولهذا بالطبع أثره فى اعتقادنا أن الكهرباء سارية فى الأسلاك لا تتعداها إلى خارجها

ومع ذلك وبالرغم من مقدرة الجسم الإنسانى على الإحساس بالكهرباء بلمسها فإنه لم تكن أجسامنا يوماً ما أجهزة لائقة للتعرف على المحيط المتأثر بها ، وكما أن العين ليست الوسيلة الوحيدة لمعرفة الظواهر الضوئية ، كذلك اللمس ليس الوسيلة الأولى والأخيرة لمعرفة الظواهر الكهربائية ، فلقد كانت هاتان الحاستان فى حاجة لوسائل أخرى يتسنى لنا بها استجلاء هذه الظواهر

(١) نستعرض للقارئ الآن أمراً ذكرناه له فى مقدمة هذه المقالات من الكون التى بلغت اليوم الأربعين مقالاً ، فقد نوهنا له فى المقدمة بأن الكهرباء هى الضوء وفق التفكير الحديث .

فى صورة أدق من تلك التى نعرفها لها ، ولقد تقدمت الوسائط الطبيعية فى معرفة الظواهر المختلفة حتى باتت حواسنا الخمس وحدها فى المرتبة الأخيرة لمعرفة حقائق الكون

إنما نروم من هذه الأسطر أن نلفت نظر القارئ إلى عبقرية « فــرادای » M. Faraday الذى أدرك أن الكهرباء غير مستكنــة فى الأسلاك فحسب، وإنما فى الفضاء المحيط بها أيضاً ، فقد لاحظ أنه يمكن لكرة متصلة


صورة « فراداى » مأخوذة من المتحف البريطانى مؤسس الكهرباء ، رجل ككل الرجال ولكنه كشف عن أهم ما ورثه الانسان من معرفة

بمنبع كهربائى ذى ضغط عال أن تجذب كرة صغيرة معزولة موضوعة بالقرب منها ، واستخلص من هذا أن الكهرباء كائنة فى الفراغ المحيط بالكرة . ولقد لاحظ « فراداى » أنه بتقريبه إبرة ممغنطة من دائرة كهربائية تدور الإبرة حول محور دورانها

ما أسعد العالم بهذه المشاهدة الأخيرة لفراداى ، وإذا كانت مركبات الكهرباء تجوب المدن الآن بسرعتها المعهودة ، وإذا كان المصعد يعمل فى عماراتنا بلا ملل طول اليوم صعوداً وهبوطاً ؛ فما هذا أو ذاك إلا تطبيق مباشر لمشاهدات فراداى التى قصها لقرينته فى يوم من أعياد الميلاد، ومات فراداى ولم يستمتع بركوب الترام ولم يشاهد المصعد ، وهكذا نظر الباحثون من عهده إلى الكهرباء لا كمادة فى الأسلاك فحسب ، بل كمجال حولها أيضاً

أما اليوم فشدّ ما تتابعت الطفرات العلمية ، ولم يعد القارئ بحاجة ليستحضر إبرة ممغنطة ليرى آثار الكهرباء عن بعد ، بل إنه يشاهد ذلك فى تجاربه اليومية . من منا لم يشعر وهو يجوب بسيارة عرض المدينة بالتأثيرات المختلفة التى تحدثها أسلاك الترام على « الراديو » الذى أصبح فى السيارات الخاصة فى مصر والعامة فى أوربا من دواعى الرفاهية ؟

وقد يتساءل القارئ ما لنا واللجوء إلى هذا الموضوع الذى يُعد من أبدع ما وصل إليه الإنسان فى التقدم ولم ننته بعد من حل الأزمة العلمية الكبيرة التى ذكرناها له وشغلنا ذهنه بها فى مقالات متواصلة ؟ وهو بهذا التساؤل لا يرى صلة بين الظواهر الكهربائية وما ذكرناه من عدم استساغة الفكرة الأثيرية بعد تجربة « ميكلسون » ، ولكننا لم نذكر مشاهدة « فراداى » عبثاً ، فلم يكن اتجاهه التجريبى ليمر دون أن يفيد منه البشر ، فقد تناول « مكسويل » J. Maxwell الإنجليزى مشاهداته ، ووضع نظريات هامة أصبحت بعده أساس الدراسة لأهم الظواهر الكهربائية ، ولم يكتف « مكسويل » بتفسير الظواهر التى شاهدها الإنسان حتى عهده بل كان واثقاً من طريقه الرياضى وثوقاً جعله يتنبأ بظواهر أخرى لم تكن قد اكتشفت بعد ولم يكن قد دل عليها فى زمانه العلم التجريبى ، ذلك أنه استنتج من معادلاته الأساسية مجموعة أخرى من المعادلات أثبت بها أن الكهرباء تنتشر فى الفراغ بحالة موجية ، وبهذا تنبأ بوجود الموجات الكهربائية ، ولم يكن فى عهده سبيل لإحداث هذه الأمواج والتثبت من صفاتها على هذا الشكل الموجى ، ولكن « مكسويل » اعتبر أنها موجودة ، واعتبر أن الموجات الضوئية ليست إلا أمواجاً كهربائية

من هذا يدرك القارئ لماذا نذكر الكهرباء مع الضوء الموجى وقبل أن نفسر كيف ساعدت هــذه الخطوة الجريئة من « مكسويل » العلماء على التخلص من الأثير الذى افترضوه افتراضاً نذكر أولاً النتائج


صورة « ماكسويل » مأخوذة من المتحف البريطانى ، وهو الذى تنبأ باللاسلكى بمعادلاته الرياضية الشهيرة

التجريبية العظمى التى خلص بها العالم من تفكير مكسويل الرائع ومن أداته الرياضية البديعة .

ولقد كان لهرتز (Heinrich Hertz) الألماني الفضل الأول في الحصول على موجات كهربائية غير متصلة بموصل كهربائي، وتخترق الفضاء، واستطاع أن يعاملها كما تعامل الأشعة الضوئية فيعكسها مثلاً كما نعكس هذه الأشعة، واتجه كثير من الباحثين إلى دراسة هـذه الناحية للأمواج الهرتزية، أوَ لم تتجه «ماري سكلودوفسكا» ذاتها المعروفة باسم مدام «كيري» شطر الأمواج الهرتزية قبل انشغالها بالنشاط الإشعاعي، وكشفها للراديوم؟. إننا نعرف أنها حاولت أن تتخذ لهـا مكاناً في معامل الأبحاث الطبيعية في السوربون التي كان يديرها في ذلك المعهد «ليمان Lippmann» المعروف بكشفه لفوتوغرافية الألوان، ولم يكن المكان ليتسع للأجهزة التي أرادت أن تستخدمها في بحثها، فاتجهت الطالبة البولونية شطر العالم «بكارل» في الوقت الذي كشف فيه أشعة الأورانيوم، ولا نسرد الوقائع التي يعلمها كل من تابع مقالاتنا[1]، وما كان من أمر هذه الفتاة بعد ذلك فيما أوتيت من حظ في بحثها الموفق، فقد خرجت على العالم بالراديوم سنة ١٨٩٧، وقبل ذلك المعهد اتجه «برانلي Branly» الفرنسي سنة ١٨٩١ عن غير قصد نحو الأمواج الكهربائية بدراسة طبيعة الكهرباء، ففاز بالكشف عن اللاسلكي؛ وكرت السنون وتقدم «برانلي» و«كيري» لعضوية المجمع العلمي الفرنسي، وفاز «برانلي» وخُذِلت «كيري». أوَ كان فيما قدمه «برانلي» للعالم ما جعل نصف هؤلاء الذين يسمونهم الخالدين يعرضون عن أعظم امرأة عرفها التاريخ؟ هذا ما سيدركه القارئ في هذه السطور

***

ليس المجال هنا لنشرح للقارئ جهاز «الراديو»، وسنعمد إلى ذلك عند ما ننتهي من قصة العلم الشائقة ومن سرد التطورات التي حدثت في معارفنا عن الكون؛ ولكنا نوجز هنا من الخطوات التجريبية ما له علاقة بحديثنا، وهي خطوات كانت إلى حد كبير أساساً للانتشار الموجي الكهربائي

درس (برانلي) الضوء البنفسجي المنبعث من الشرارات الحادثة من «زجاجات ليد Bouteilles de Leyde»، وتوصل من هذه الدراسة إلى مايسمونه اليوم التفريغ الموجي المكثف الكهربائي فتوصل في الواقع إلى عمل مرسل للاسلكي، ولقد وضع «برانلي» في حجرة مجاورة للحجرة التي كانت بها زجاجات «ليد» «جالفانومترا»[1] ذا مرآة، وكان يستخدمـه في دراسة المقـاومة الكهربائية للوحة زجاجيـة مغطاة براسب من البلاتين



الأستاذ «برانلي» عضو المجمع العلمي الفرنسي مخترع اللاسلكي وفي هذا الشهر تاركا وراءه أعجب ما عرفه الانسان

وهي دراسة لا ترتبط في شيء ما بدراسة الشرارات الحادثة في الحجرة المجاورة وقد حدث في ساعة كان «برانلي» قريباً من «الجلفانومتر» بينما كان أحد مساعديه يشتغل على زجاجة «ليد» في الحجرة المجاورة. أن رأى «برانلي» رأي العين حركة فجائية سريعة في «الجلفانومتر» لفتت نظره ليدرس السبب في تغيير التيار في هذه اللحظة التي لم يعمد فيها إلى تغييره، وبالاحرى أراد أن يعرف لماذا تغيرت المقاومة الكهربائية لهذه القطعة من الزجاج المغطاة بالبلاتين دون أن يسبب هو هذا التغيير. هذا البلاتين توزع بشكل معين وتجمعت جسيماته بشكل خاص كما تتجمع أو تنتظم البرادة الحديدية عند هزها، وقد فهم «برانلي» أن ثمة علاقة بين هذا الحادث وحادث التفريغ الكهربائي في الحجرة المجاورة. وبهذا توصل إلى اختراع أول نوع من المستقبل اللاسلكي يسمونه جهاز التماسك Cohereur. وبذلك يكون قد اخترع هذا العالم المرسلَ والمستقبِل، واستطاع بهما أن يرسل ويستقبل لمسافة تزيد عن ٢٠ متراً وخلال الجدران الإشارات المنبعثة من دائرة كهربائية باعثة، وقد نشر «برانلي» كشفه فعُرف في أنحاء أوربا،

(١) مقالنا بالرسالة بعنوان مدام «كيري» العدد ٢٨٦ المنشور في ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٣٨ ص ٢١٠١ — ٢١٠٤

(١) الجلفانومتر جهاز لقياس التيار الكهربائي

وتطلب الباحثون الحصول على نتائج أهم من التي وصل إليها

ولقد كان الفضل في سنة ١٨٩٩ – وبعد عشرة أعوام من تجارب برانلي الأولى – لماركوني الإيطالي في أن يبعث بإشارات تلغرافية لاسلكية تعبر بحر المانش ، فبعث بأول رسالة إلى « برانلي » نفسه ، مشيراً بذلك إلى فضله الأول في الكشف عن اللاسلكي

وشاء الزمن للرجل الذي كشف جهاز التماسك أن يظل حياً حتى اليوم الذي رأى فيه رأى العين « التليفزيون » [1] ؛ وهذا يجعلنا نلمس السرعة الخارقة التي تقدمت فيها الكهرباء الموجية في الأربعين سنة الأخيرة

من كان يدري – عند ما عرف « أراجو » و « أمبير » و « أيرستد » Œrstedt آثار التيار الكهربائي لمسافة قريبة ، وعند ما تنبأ « ماكسويل » عن آثاره لمسافات بعيدة – أن سيصل الإنسان في فن الراديو للحد الذي وصل إليه اليوم ؟

من كان يدري أن سيصل « ماركوني » و « فرييه » Ferrié و « فلمنج » Fleming إلى اختراع الصمام « اللمبة الألكترونية » العجيبة فأتموا بها الأعمال الأولى والعظيمة للاسلكي

أما « برانلي » فقد عاش فقيراً يلقي دروساً لطلبة « البكالوريا » وفي الأيام الأخيرة أنشأ المعهد الكاثوليكي معملاً له ، وهو معمل مُغَطّى في أجزائه بطبقة من النحاس ، فهو بذلك معزول تماماً عن الذبذبات الكهربائية الموجودة في أنحاء المدينة ، تلك الذبذبات التي كانت تؤثر على أجهزته الدقيقة ، فقد كان يمقت في سنيه الأخيرة الإذاعات اللاسلكية المستمرة التي تمنعه عن مواصلة أبحاثه ، وحبس نفسه في ذلك القفص النحاسي لينجو من آثار كشفه الأول إلى أن وافتنا الأنباء بوفاته في الشهر الحالي عن ٩٦ عاماً .

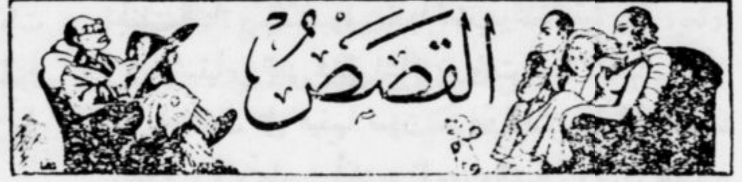
***

وأستميح القارئ عذراً في سرد جزء أصبح في الواقع بعد وفاة « برانلي » من أبواب التاريخ ، فقد ذهب « برانلي » للتاريخ يحكم على أعماله ، ولكن العمل الذي قدمه يستحق منا أكثر من هذه السطور

وسأحدث القارئ في المقال القادم عن سبر العلماء لمراحل الإشعاع المختلفة من الراديو إلى الأشعة النافذة مشيراً إلى عمل « لوبه » Max Laue وسيرى القارئ من كل ذلك أن الضوء والكهرباء أمواج كونية واحدة ، بحيث لو أننا فقدنا البصر لأمكننا أن نعرف الموجودات ، وسنطلعه على شيء يدور بخلدنا ، ولمناسبة ما نخوض فيه الآن ، عن احتمال قد يكون لصفات الأحياء التي لا زالت فرضية والتي قد تكون موجودة في الكواكب الأخرى . هذه تأملات تبدأ تأملات ، ولكنها تصبح برنامجاً للقارئ نحدثه عنه قبل أن نحدثه عن الضوء كمادة في الوجود ، وقبل أن نشرح له نوع التفكير الجديد للعالمين الكبيرين لورانتز وأينشتاين .

محمد محمود غالي
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

(١) كان لصديقنا بيلان الفرنسي الفضل في اختراع نقل الصور الفوتوغرافية باللاسلكي ، وكان لبيرد الانجليزي الفضل في اختراع التليفزيون ، وقد شاهدنا التليفزيون لأول مرة في معرض اللاسلكي « بالجراند باليه » بباريس حوالي صيف سنة ١٩٣٢ ، فقد عرضوا عند ذلك مشاهد لعمال الورش الكائنة في حي مونت روج ، في الوقت الذي يقومون فيه بأعمالهم.



عيـــد الربيع

للأســـتاذ محمد سعيد العريان

منذ عام لم تكن « نُضار » فى مثل حالهـا اليوم ... شتان بين ما كانت وما صارت !

ها هى ذى تخرج اليوم من محبسها الذى اعتزلت فيه الناس أشهراً لا تراهم ولا يرونها إلا كما ينظر العابرُ العجلان إلى تمثال قائم فى عرض الطريق !

لم يكن ثمة ما يربطها بالناس بعد ما مات أبوها وهجرها خطيبها ؛ فما شأنها وشأن الناس وما ترجو منهم وما يرجون ؟

لقد عرفت من طباع الناس وهى معتزلة بعيدة أكثر مما كانت تعرف وهى تخالطهم وتعيش بينهم؛ وكذلك لا تتكشف حقائق الأشياء لمن يراها إلا على مبعدة !

***

منذ عام مات أبوها ، وما كان لها فى الحياة غير أبيها وغير خطيبها « رشيد » ، وكانت تعيش من بيت أبيها فى نعمة سابغة وظل وارف ؛ ولم يكن لأبيها — منذ ماتت زوجُه — غاية يسعى لها غير إسعاد ابنته ؛ فقَصر عليها عواطف قلبه ونوازع وجدانه وعاش لها ، لا يرى لنفسه حقاً فى متاع من متاع الرجال ما دامت ابنته سعيدة !

وكان لأبيها وظيفة ذات أبهة ومظهر ، وكان لها جمال يفتن ويسحر ؛ فتهافت الشبان على التماس رضاها والحظوة عندها ، ولـكن فتى واحداً هو الذى استطاع أن يحملها على الإذعان والرضا ؛ وعرفها رشيد وعرفته ، وعرفه أبوها ، وتواعدا على ميعاد تنتقل فيه « نضار » من بيت أبيها إلى بيت رشيد !

... وعاشت حيناً سعيدة بأحلامها ، لا يشغلها همٌ من هم الحياة واستيقظت فجأة من أحلامها حين وجدت أباها مُسجًّى فى فراشه والطبيب بجانب سريره ناكس الرأس أسوان ؛ ورأت فى عيون الرجال من عُوَّاد أبيها دموعاً تترقرق ، فصرخت فى لهفة : أبى ... ! وتلاشى الصدى ولم تسمع جواب أبيها ... ودنا منها خطيبها يواسيها وفى صوته نبرة حزن ، ولمت دمعة بين أهدابه فأطبق جفنيه ولوى وجهه ...

وخرج أبوها من الدار إلى غير مَعاد ، وخرج خطيبها يشيع الجنازة فلم يعد ، ولبثت الفتاة وحدها تنتظر ...

وخرس جرس الباب فما عاد يستأذن عليها أحد ... وما عادت تسمع خفق أقدام أبيها عائداً من الديوان بعد الظهر ، ولا صوت نداء خطيبها قادماً لزيارتها فى المساء ؛ أما أبوها فإنها تعلم أين ذهب ، وأما خطيبها ...

بلى ، لقد عرف رشيد من شئون صاحبته ما لم يكن يعرف .. فاتخذ طريقاً غير الطريق التى كان يسلكها كل يوم ، وماذا يحمله على الزواج من فتاة ليس لها جاه من أهل ولا غنى من مال ، وهو لو شاء لوجد عند غيرها الجاه والمال والسعادة ... هكذا قالت له نفسه ، فمضى وخلّفها ... !

لقد كان أبوها هو كل ما تملك من غنًى وجاه ، وقد مات أبوها ، فما ذا بقى ؟

ومضى شهر ، وراحت نضار تقبض « المعاش » الشهريّ الذى فرضَتْه لها الحكومة بعد موت أبيها ... وعادت وفى يدها ثلاثة جنيهات ... ذلك كلُّ ثروتها ، وكلُّ العِوَض من أبيها الذى مات !

وفى اليوم التالى كانت عربة نقل كبيرة تحمل متاعها من البيت الذى عاشتْ فيه هى وأبوها ما عاشت ... إلى غرفة مفردة على سطح بيت كبير من بيوت الحي ؛ وكانت الخادمة تحمل صُرَّةَ ثيابها ذاهبة ...

وتغيرت منذ اليوم عيشةُ نضار ، وانقادت صاغرة لما فرضتْ عليها الحياة !

ولزمت غرفتَها على السطح ، لا تفارقها إلا لحاجة ، واعتزلت الناس لا تراهم ولا يرونها إلا كما ينظر العابر العجلانُ إلى تمثال قائم فى عرض الطريق !

ومضى عام ... وها هى ذى اليوم تفارق محبسها لغير حاجة ، تلتمس جديداً فى حياتها المملولة الجافة التى تحياها منذ مات أبوها ...

***

اليوم عيد الربيع ... وقد خرج الناس من بيوتهم جماعات مبكرين إلى شاطئ النيل ، وإلى حدائق الجزيرة ورياض الجيزة والقناطر الخيرية ، يتملَّون جمال الحياة ويتمتعون بما أحلّ الله وما حرَّم من طيبات وخبائث ...

وذكرت نضار ما كان من ماضيها ... مُنْذُ ذا يراها في مجلسها ذاك على المقعد الخشبي في شارع « مسبيرو » وعليها ذلك الثوب الأسود الحائل ، وفي عينيها تلك النظرة الساهمة ، وفي وجنتيها هذا الشحوب ... منذ ذا يراها في مجلسها ذلك فيعرفها ويذكر ما كانت ... ؟

لقد آثرتْ ذلك المكان القصيّ الذي لا يطرقه أحدٌ ممن تعرف من سكان الحي ، لتكون بنجوة من عيون الفضوليين ؛ أفكانت تحسب أن أحداً من أهل الحيّ يعرفها حين يراها ، أو يذكرها ؟ ... ولكن فيها بقية من حسن الظن بالناس !

ومرَّتْ بها مواكب الأطفال في ثيابهم وزينتهم ، يحملون في أيديهم طاقات الزهر ، وينفح من أعطافهم عطرُ الربيع وريحانه ؛ وتتابعتْ أسراب الفتيات في غلائلهن الموشاة وأزيائهن الفاتنة يتمايلْن ضاحكاتٍ عابثات عبث الصِّبى والدلال ؛ ومضت طائفة من الفتيان في آثارهن يغنون ويتطارحون أناشيد الهوى والشباب والأمل المنشود ؛ وكان على الشاطىء فَتَيانِ يقرعان كأساً بكأس ؛ وعلى المقعد القريب فتى وفتاة يتناجيان في همس ؛ ومرت سيارة تتهادى وفيها اثنان يُنشِدان قصة حبّ ...

ونضارُ جالسةٌ على مقعدها وحدها ، تسمع وترى وتذكر صوراً من ماضيها ، وذَكرتْ فتاها الذي كان ، وذكرت أباها ... في مثل هذا اليوم ... منذ عام ... كانت وكان ... وعادت إلى ماضيها ، واستغرقت في حلم طويل ...

* * *

ومرَّ بها فتى ، وتبادلا نظرتين ، وأطرقت نضار من حياء وعادت إلى ذكريات ماضيها ، وخطا الفتى إليها خطوة ، وكانت على شفتيه ابتسامة ... وفي عينيه نظرةٌ تعبِّر عن معنى ... وقال لها : أنتِ وحدكِ وأنا وحدي ! ...

وتضرمتْ وجنتاها حياء وغضباً ، وسكتت ؛ وعاد الفتى يتم حديثه ... ونظرتْ إليه ثانية وهمت أن تتكلم ، ثم أمسكتْ ... فليقل ما يقول ثم يمضي لشأنه ؛ ليس ينبغي لمثلها أن تردّ على مثله .. وخطا الفتى خطوة أخرى فجلس على طرف المقعد ؛ فجفلت الفتاة ونهضت وفي عينيها غضب وسخرية ! ...

واستيأس الفتى فمضى لشأنه ، وعادت الفتاة لشأنها ...

وتعاقبت على عينيها صور ... وترادفت مواكب الفتيان والفتيات ، وتجاوبت أناشيد الهوى والشباب ، ورنّ الصدى في أذنيها ؛ وذكرت فتاها ... وحنّتْ إليه ، واصطرعت في نفسها عاطفتان ، فرضيت ثم سخطت ، وترقرقت في عينيها عبرة ...

* * *

... واتخذت نضارُ طريقها إلى مأواها وفي نفسها ألم ، وإن ضحكات المرح والمسرة تتجاوب حوالها ؛ ومضت تحدّث نفسها وتستمع إليها ، وفجأة برز لعينيها منظر ... هـذا رشيد وفتاة معه ، يا ويلتا ! إنه لهو ، وتلك صديقتها « سعدية » وما لرشيد وسعدية ؟ ... وأين وأيان اجتمعا ؟ ... أتراه حين هجرها أبدل بها صديقتها ؟ .. ولكن سعدية مسماةٌ منذ سنوات على ابن عمها ... أتراها هجرته بعد أن مات أبوه ...؟

وخنقتها عبرة ، ودار رأسها وكادت تسقط ، فاستندت إلى الحائط ؛ وتوارى الفتى وفتاته في زحمة الناس ؛ وثابتْ نُضار إلى نفسها ، فاستأنفت السير ؛ وكان فتيان وفتيات يزحمون الطريق مَثْنَى مثنى ، وكأن كل اثنين من نجواهما في خلوة . . ومضت تشق طريقها وفي نفسها عواطف تصطرع وتثور ؛ وهتف هاتف في أعماقها : أ كلُّ أولئك ... وأنتِ وحدك ...؟

وهمّت أن تعود من حيث أتت ، فتجلس ساعة على المقعد الذي كانت تجلس عليه ، في شارع مسبيرو ، على شاطىء النيل ... حيث قال لها فتًى منذ قليل : أنت وحدك ... وأنا وحدي ... ! فما لها طاقةٌ بعدُ على مثل هذه الوحدة الذليلة ... واليوم عيد الربيع ...!

وصرَّتْ أسنانُ الفتاة ، وقمتْ خواطرها ، واستأنفت السير ، وراحت تسائل نفسها : أ كذلك الحياة؟ ليتني لم أ كن أعلم ...!

* * *

وراحت تصعد السلم درجة درجة وهي تمدّ ، وكان البواب جالساً يهمس في أذن ضيفه ؛ ورنّت ضحكة البواب وصاحبه في أذنيها ، فوقفت واحمرّ وجهها من الغضب ؛ أتراه يحدّث صاحبه عنها ؟ فماذا يقول ؟ ... أم تراه يحسبها فتاة كبعض مَن رأت اليوم ؟ ومن أين له أن يعرف حقيقتها ؟ ...

وما ظنُّ الناسِ بفتاة عزباء ، تعيش وحدها في غرفة على السطح ، وليس لِباب السطح بواب ، تخرج حين تخرج وحدها

وتعود حين تعود ، لا يعرف أحد أين ذهبتْ ومن أين جاءتْ ؟

... وتماسكتْ من ضعف ، واستأنفت الصعود ... وبلغتْ غرفتها فارتمت على سريرها باكية !

وأخذتها غفوة واستيقظت أحلامها؛ ولما صحتْ من غفوتها بعد ساعة؛ كانت نظرتها إلى الحياة غير ما كانت ... وماذا يجديها أن تحرص على التزام الجادة والناس هو الناس ، وكل فتاة عندهم كـكل فتاة ؟

***

... وجلستْ نضار إلى المرآة تتزين — المرآةِ التي لم تجلس إليها منذ عام مجلسَ فتاةٍ إلى مرآتها، ونفضت الغبار عن حقيبتها، وراحت تبحث فيها عن شيء من تراث الماضي ... وخلعت ثوب الحداد الذي لم تغيره منذ لبسته ... !

وسمعتْ طرقاً على الباب ... وفتحت ... فابتدرها البواب يُؤذنها أن فتى بالباب يسأل عنها ، وابتسم ... وشحب لونها ، وقالت في صوت يرتعش : ما اسمه ؟ وماذا يريد ؟ ...

ولـكن البواب لم يكن يعرف اسمه ولا ماذا يريد ؛ فما كان يعنيه إلا أن يؤذنها أن زائراً يسأل عنها ، ثم هبط مسرعاً ... وأطلّتْ الفتاة وراءه لترى ، ولـكنها لم تر ... !

... لقد غشيتها الدموع وحضرتها الذكرى فما تستطيع أن تسمع أو ترى أو ... تفكر !

منذ عام لم يهتف هاتف باسمها ولم يزرها زائر ... فمن يكون هذا الطارق ؟ ...

وعاد إليها البواب برسالة في يده قبل أن تجد نضار جواب سؤالها ؛ وتناولت منه الرسالة بيد ترتجف ، وراحت تقرؤها وهي في طريقها إلى غرفتها ... وسقطت دمعتان على القرطاس في يدها وكانت تبتسم ... ولم تفطن إلا بعد حين أن البواب لا يزال منها على مقربة ؛ ولأول مرة منذ سكنت هذه الغرفة المفردة ، شعرت أن من الواجب عليها أن تمنح البواب شيئاً ... فعادت حقيبتها الصغيرة ومدت يدها إليه بقروش ... !

وأغلقت بابها وراحت تعيد قراءة الرسالة ؛ ثم رفعتها إلى شفتيها فقبلتها قبلة ، وهمست : نعم ، أحبك لأنك أنت ...

وحتى في خلوتها لم تنس أنها امرأة.. فعادت تقول: نعم ... لأنك أنت تحبني حين لم يذكرني أحد !

ثم طوت الرسالة وأخفتها في صدرها ...

كان «سامي» يعرفها من زمان، وكانت تعرفه؛ ورآها ذات ليلة تحدثه في منامه وتحدثها فطمع ... وكان مجمعاً أمره على خطبتها حين جاءه النبأ بأنها سمّيت على رشيد، فطوى جوانحه على آلامه وسكت...

وضربت بينهما الأيام فصعدتْ بها إلى غرفة في السطح ، ورمت به النوى من بلد إلى بلد إلى بلاد ، ثم عاد ليعرف من أمرها ما عرف ... فكتب إليها ...

... وتم أمرها على ما أرادا وأظلهما سقف واحد ، وابتسمت لها الأيام بعد عبوس !

ومضى عام وجاء عيد الربيع ، وقال لها : أين تريدين يا عزيزتي أن نمضي يوم العيد ؟

وتنشّتها الذكرى فأطرقتْ وفي قلبها عواطف تصطرع ، ثم رفعت رأسها وقالت وهي تبتسم : أتريد يا سامي ؟ ... إنني أفضل أن نجلس على مقعد خشبي على شاطئ النيل، في شارع مسبيرو، ثم نعود ... ...

وضحك سامي دَهِشاً وهو يقول : على مقعد خشبي ؟ في شارع مسبيرو ؟ يا لها فكرة ! ربك لماذا ؟ وأي خاطر ألهمك ؟

قالت وفي عينيها بريق وفي صوتها حنان وفي أعطافها نشوة : تسألني لماذا ... ؟ لأنكَ أنتَ هناك ... ! حيث التقينا أول مرة في خطرة فِكر وخفقة قلب، وكنتُ وحدي هناك ولكني كنتُ معك ... !

محمد سعيد العريان



الفرقة القومية تحتفل بمولد الأميرة فوزية

كانت ليلة الثلاثاء الماضي صفحة مجيدة في تاريخ الفرقة القومية، فقد احتفلت فيها بمولد صاحبة السمو الملكي الأميرة فوزية احتفالاً جديراً بمكانتها وكفايتها افتتحه مديرها الأستاذ خليل مطران بك بقصيدة عصماء أنشدها بين يدي المليك، ثم مثلت الفرقة رواية (عبيد الذهب) التي نقلها إلى العربية الأستاذ أحمد الصاوي محمد، فكانت الرواية ببراعة ترجمتها، وطرافة موضوعها، ورشاقة أسلوبها، وقوة إخراجها، وحسن تمثيلها نظاماً متسقاً من الفن والجمال واللذة قلما شهدناه في ماضي الفرقة. والحقيقة التي أثبتتها هذه الحفلة أن الفرقة إذا ساعدها الكتاب بالاختيار الموفق للموضوع، والترجمة اللائقة للرواية، ظهرت براعتها في الإخراج والتمثيل ظهوراً يجذب إليها هوى الجمهور، ويعقل عنها لسان النقد.

فقهاء بيزنطة

قرأت افتتاحية العدد الـ ٣٥٢ للسنة الثامنة من مجلة الرسالة الغراء بعنوان (فقهاء بيزنطة) لحضرة رئيس التحرير الأستاذ الكبير السيد أحمد حسن الزيات. وقد أعجبني نقده رجال الدين لتشاغلهم بصغار الأمور عن معاليها التي جاء الإسلام بها؛ ووصفه الأستاذ بأنه (هو الذي وضع الدساتير الخالدة لسعادة الفرد والأسرة والأمة والإنسانية في كل زمان وفي كل مكان)؛ ولانصراف أهله عن حقيقته ومقصده، وقد لبسوه كما يلبس الفرو مقلوباً. ونقل العلامة أحمد فتحي باشا زغلول في مقدمة كتاب: (الإسلام خواطر وسوانح): أن السيد رشيد منشئ المنار قال في أمثال من ينتقدهم الأستاذ الزيات: (إن الجبر صار عندهم توحيداً، وإنكار الأسباب إيماناً، وترك الأعمال المفيدة توكلا، ومعرفة الحقائق كفراً أو إلحاداً، وإيذاء المخالف في المذهب ديناً، والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات صلاحاً، واختبال العقل وسفاهة الرأي ولاية وعرفاناً، والذلة والمهانة تواضعاً، والخضوع للذل والاستسلام للضيم رضى وتسليما، والتقليد الأعمى لكل متقدم علماً وإيقاناً)

أعجبني نقد الأستاذ كما أعجبتني شكواه من ضعف النشء في معرفتهم الدينية التي يتلقفونها عمن هم حجب على محاسن الدين ومزاياه الحميدة، وقد شعر السيد الإمام كما شعر حضرة الأستاذ الجليل، حينما اختبر أمثال هؤلاء، وألقيت عليه أسئلة كالتي ألقيت على الأستاذ صاحب (الرسالة) الغراء، وحل السيد رشيد المعضلة التي رجا الأستاذ حلها، وتمنى أن تشرح للناس عبقرية هذا الدين وفلسفة تشريعه ووجوه إصلاحه وأسباب خلوده على ضوء العلم الكاشف ونظام التأليف الحديث (بالوحي المحمدي) وقد طبع في سنتين ثلاث مرات، واتفق على الشهادة له كبار العلماء والأدباء على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم ومختلف أقطارهم. ولو شئت أن أذكر أسماءهم وأنقل جملاً من رسائلهم، لاحتجت إلى صحائف من مجلة الرسالة. على أني أكتفي بأن أورد كلمة من خطاب الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغي إلى السيد رشيد في وصف كتاب الوحي:

«إنكم وفقتم لفتح جديد في الدعوة إلى الدين الإسلامي القويم، فقد عرضتم خلاصته من ينابيعه الصافية، عرضاً قل أن يتيسر إلا لفرع من فروع الشجرة النبوية المباركة. وقد استطعتم أن توفقوا بين الدين والعلم توفيقاً لا يقوى عليه إلا العلماء المؤمنون. فجزاكم الله عن الإسلام أحسن ما يجازي به المجاهدون»

وكلمة للأستاذ محمد لطفي جمعة في كتاب الوحي المحمدي: «وفي الحق أنه كتاب جليل يلفت النظر بما أورده الأستاذ مؤلفه من الأدلة العقلية والحجج النقلية، بوضوح وجلاء، على طريقة حديثة لم تسبق للمؤلفين في المسائل الدينية»

وكلمة للأمير شكيب أرسلان: «... وقد كتب السيد رشيد هذا الكتاب أيضاً لكل من نشأ نشأة أوربية أي خالية من التربية الإسلامية التي يكون الناشئ قد ارتضع فيها مبادئ الإسلام مع لبن أمه فيقال إنها رسخت فيه من الصغر، ولما كان جميع من يقرأون العلوم العصرية اليوم ويتعلمون بحسب برامج الحكومات الإسلامية الحاضرة هم في الحقيقة أشبه بناشئة

الأوربيين ولو كانوا مسلمين نسباً . كان هذا الكتاب موجهاً أيضاً إليهم لأنهم فى حكم الأوربيين من جهة فقد التربية الإسلامية أو على ما يقرب من ذلك »

وفى هذا القدر كفاية من شهادة هؤلاء العلماء الأجلاء بأن كتاب الوحى المحمدى هو الحل للمعضلة التى تسألون عن حلها وهو الضالة المنشودة التى تبحثون عنها لتجيبوا سائليكم عن وجود كتاب يبين أن (الإسلام بتوحيده بين الدين والدنيا علاج لأدواء المجتمع ونظام لفوضى الطبيعة وأنه يساير التطور ويطاول الزمن فلا يمكن أن تكون فيه مناقضة للمدنية الصحيحة ولا معارضة للتقدم الحق) وبالله التوفيق .

عبد الرحمن عاصم

معرفة طمى النيل باللاسلكى

يعرض الأستاذ الدكتور محمد محمود غالى أمام الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية التى هو عضو فى مجلس إدارتها بحثاً جديداً يناقش فيه الأهمية العملية فى القطر المصرى لتقدير كميات المواد المعلقة فى مياه النيل أو الترع مدة الفيضان، ومعرفة الحالة التى تتغير بها فى الحيز وفى الزمن . وتتصل هذه المعرفة بموضوع رسوب الطمى فى ترع الرى أو رسوبه أمام خزان أسوان

وسيتكلم عن طريقته الخاصة لمعرفة كمية الطمى وتحليلها من الناحيتين النوعية والكمية بتعيين سرعة ووزن جسيمات الطمى فى الماء بطريقة ضوئية ، كما سيتكلم عن طريقة أخرى استخدم فيها ظاهرة التبادل الضوئى الكهربائى لمعرفة سرعة جسيمات كروية فى سائل أو غيوم كطمى النيل فى الماء ، وهى طريقة يتعين بها كمية الطمى المحمولة بالنيل ودراسة الحالة التى يتوزع بها

وسيبين بعد ذلك امتداداً للبحث الأخير توصل بواسطته إلى طريقة لمعرفة كمية الطمى المحمولة بالماء عن بعد دون الالتجاء إلى استخدام الأسلاك الكهربائية ، بمعنى أنه يتسنى من القاهرة مثلاً تسجيل كمية الطمى المحمول بالنيل فى أى وقت من اليوم وفى أى جزء من النيل مثل المطبرة أو النيل الأزرق أو أمام أسوان

وسيلقى هذا البحث فى يوم الثلاثاء ٣٠ أبريل الساعة ٦ مساء أمام الجمعية فى كلية العلوم بسراى الزعفران بالعباسية

إلى الأستاذ صديق شيبوب

تحية وإعجاباً ... وبعد :

قرأت قصتكم الممتعة البارعة التى ترجمتموها عن الكاتبة القديرة « سلمى لاجيرلوف » . فأخذتنى روعتها فكرة وأسلوباً؛ ومن ثَمّ جئت أثنى عليك ، مشكوراً منى ومن جمهرة القارئين ، أن تدأب على ترجمة آثار هذه القصصية العالمية القادرة

ولكن حبى لآثارك الروائع ، وحرصى عليها أن تبدو رائعة كاملة ، دفعنى أن أشير لك فى رفق وهون إلى لفظة جاءت فى آخر القصة أعتقد « أنا » أن الأوفق أن تبدل بأنسب منها . رعاية لسياق الكلام ، وانسجام المعانى ، وأمانة لفن القصة

فقد حكيت فى ختام القصة عن شعور الزانية ، وتطهر روحها من دنس رجسها « ... لا تمحى عن بشاعة الخطيئة ، وجلال العدل ... » وكان الأنسب أن تقول : « وجلال الرحمة » لأن العدل لا يحمل فى نفوس البشر . إذ كانوا أبداً خاطئين

ولست أدعى أننى رأيت الأصل الفرنسى ، ولكنى أرجح وفقاً لذوقى أن تكون الكلمة فى هـذا الأصل هى « الرحمة » بدلاً من « العدل »

على أنى أسارع فأقرر أن الرأى لك ، وللأصل الفرنسى ، ولأصله السويدى ... وإنما الأمر خلاف ذوقى فقط ... لا يمس روعة القصة فى قليل أو كثير

وتحياتى لك — أيها الأستاذ — مقرونة بتقديرى وإعجابى

مراد الكردانى

عدد التلاميذ بالمدارس المصرية فى السنة الماضية

يؤخذ من آخر إحصاء رسمى أصدرته وزارة المعارف أن عدد التلاميذ الذين كانوا يتلقون العلم فى السنة الدراسية الماضية (١٩٣٨ — ١٩٣٩) بالمدارس الأميرية غير الأولية بلغ ٧٧٫٠٢٩ طالباً

من هذا العدد ٦٤٫٦٨٢ مسلماً و١٢٢١٩ قبطياً ، ومنه أيضاً ٧٦٫٧٢٩ مصرياً و١٢٨ سودانياً ، وواحد حبشى ، و٩ يمنيون ، واثنان أردنيان ، و١٨ سورياً ، وواحد أرمنى ، واثنان من

الإنجليز ، وستة من العراقيين ، و٣١ فلسطينياً ، و٣٥ من العرب ، و٤ من الهنود ، وواحد من أهل سيام وخمسة من الأفغان . وستة من أهل جاوا ، وواحد ألباني ، واثنان اسبانيان ، واثنان تركيان و٣ من اليونان ، و٣ من طرابلس ، وواحد إيطالى و٧ من حضرموت ، و١٦ مراكشياً ، و٣ من زنجبار ، وواحد صينى ، وواحد من الجزائر ، وخمسة من إيران ، و٦ من الفرنسيين

ويؤخذ من الإحصاء المتقدم ذكره ، أن عدد التلاميذ الذين يتلقون العلم بالمدارس الخاضعة لتفتيش وزارة المعارف ٧٦٫٧٣٦ طالباً وأن عدد التلاميذ المقيدين بالمدارس الأولية والمكاتب العامة مليون و ١١٩٫٤٧١ تلميذاً منهم ٦٤٠٫٧٩٠ بنين ، ٤٧٨٫٦٨١ بنات

الجندى المجهول

سيدى الأستاذ الزيات :

شغلتنى شواغل جة عن الاطلاع على مجلة الرسالة (العدد ٣٥٤) فى الموعد المعتاد فلم أطلع عليها إلا اليوم ، ولما وصلت إلى ما نقلتموه عن مجلة العصبة البرازيلية وجدت به خطأ أردت أن أنبه إليه إذ قالت فى حديثها عن الجندى المجهول إن فكرته نشأت فى فرنسا . والحقيقة أنها نشأت فى مخ قس انجليزى سنة ١٩١٦ . وفى أغسطس سنة ١٩٢٠ تحدث بها إلى رئيسه الذى نقلها بدوره إلى رئيس الأساقفة ، ونفذت الفكرة وأحضر الجندى واحتفل به فى نوفبر سنة ١٩٢٠ . أما طريقة إحضاره فلها قصة طريفة قد تقرأها يوماً فى الرسالة إن شاء الله

هذا ما عن لى ، وإنى لشاكر لكم فضلكم لإفساح صدركم لكلمات القراء المتواضعة .

محمد فوزى مهنا

كيانى أو لسانى ؟

سيدى الأستاذ الكبير مدير الرسالة

قرأت ما كتبه الأديب الفاضل عبد العليم عيسى عن « ليالى الملاح التائه » للأستاذ الشاعر على محمود طه فأعجبنى منه أنه كان بعيداً عن الغرض والهوى ، صريحاً بارعاً فى حكمه على شعر الشاعر ومنزلته بين شعرائنا المعاصرين . غير أنى أخالفه فى أن لفظة « كيانى » أرق من لفظة « لسانى » فى البيت :

قلت والنشوة تسرى فى لسانى … هاجت الذكرى فأين الهرمان

فهى فى موضعها أدق وأبرع بكثير من الأولى ، فضلاً عن أنها لفظة شعرية خفيفة موسيقية . أما قوله : إنه لا يتصور تلك النشوة التى تسرى فى اللسان . فهو دليل على أنه ليس من أرباب الكاس والطاس . وقديماً قال الشاعر العربى حسان بن ثابت :

كلتاهما حلب العصير فعاطنى … بزجاجة أرخاهما للمفصل

وفسر المرى المفصل باللسان ، وهكذا ذكر اللسان والقاموس

حامد القوصى

مدرس بالقاهرة

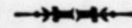


في سبيل العربية

تصحيح نهاية الأرب

جزؤه الثالث عشر

للأستاذ عبد القادر المغربي



ص ٣ س ٣ قوله : (وتفوهت بأخبار من نبغ من أهلها) أي أهل كل دولة من دول التاريخ ، ومعنى (تفوهت) نطقت . ولا يقال في مثل هذا المقام (نطقت) وإنما يقال (نوّهت) في كتب اللغة : نوّه فلان بفلان إذا رفع ذكره ومدحه وعظّمه . وهذا هو المراد هنا . فإن المؤلف يمدح النابغين من كل دولة ويشيد بذكرهم .

ص ٣ س ٩ قوله : (ولم أعرج في الآخر إلا بالإشارة إليها) فعل التعريج يتعدى بعلى لا بالباء . في التاج (التعريج على الشيء الإقامة عليه ، وفي الحديث : فلم أعرج أي لم أقم ولم أحتبس) فالمعنى في عبارة المؤلف إنني لم أحبس قلمي على شيء إلا على الإشارة إليها ، ولم نجدهم ذكروا أن فعل التعريج يتعدى بالباء ، ولعل تعديتها بها هنا من ذهول المؤلف لا من خطأ الناسخ

ص ١١ س ٢١ قوله : (ففتحها) صوابه (ففتحهما) إذ أن الضمير يرجع إلى العينين ، وهو خطأ مطبعي

ص ٢٥ س ١٤ لما أخذ الله الميثاق على ذرية آدم وهم في ظهره كان أول من أجاب وخرج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال المؤلف : (ونادى إلى ذات اليمين وهو يقول . أنا أول من يشهد لك بالتوحيد. الخ) فقوله (ونادى إلى ذات اليمين) صوابه : (وأوى إلى ذات اليمين . أي مال ولجأ إلى الجهة اليمنى فتبوأها صلى الله عليه وسلم ونزل بها ، ومنه قوله تعالى : (إذ أوى الفتية إلى الكهف) (أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة) وفي انحيازه صلى الله عليه وسلم إلى جهة اليمين إشارة إلى أنه من أهل الميمنة السعداء لا من أهل المشأمة الأشقياء

ص ٢٩ س ١٤ لما أخرج آدم وحواء من الجنة اضطرا إلى قضاء الحاجة فبكيا (ثم أمرهما الملك أن يمسحا بالمدر ، ثم يغتسلا بالماء) يعني أنه علمهما آداب الاستنجاء في الإسلام ، كما علمهما الوضوء فتوضآ وضوء الإسلام . وآداب الاستنجاء كما قال الفقهاء هي الجمع بين المسح والغسل بالماء . فقوله (ثم يغتسلا بالماء) صوابه (ثم يغسلا) أي محل النجو بالماء بعد أن يكونا مسحاه بالمدر أي بالتراب

ص ٦١ س ١ قوله : (وإن شئت بقاء سبع نوايات من تمر) يسأل الملك لقمان إذا كان يريد أن يبقى في الحياة الدنيا بقاء سبع نويات تمر . والنويات جمع نواة فقوله (نوايات) بألف بعد الواو خطأ والصواب حذف الألف

ص ٦٧ س ١١ قوله : (فقال فتى منهم حدَث السن) خطأ صوابه (حديث السن) وعبارة المصباح (يقال للفتى حديث السن فإن حذفت السن قلت حدث بفتحتين) أي من دون إضافة حدث إلى السن

ص ٩١ س ٦ : وأمرَ الله الرياح الأربع (فضمّت ما كان لأهل الرسّ من متاع الخ) هذا حين أراد الله إهلاكهم بسبب عصيانهم . وفعل الريح في كسح ما كان على وجه الأرض من متاع وفتات يسمى كنساً وقمًّا لا ضمًّا ، فصواب (فضمّت) : (فقمّت) ، يقال : قمّ البيت قمًّا كنسه . والقُمامة : الكناسة

ص ٩٣ س ٢ : كان أهل الرسّ يعبدون شجرة صنوبر يقال لها (ساب درحب) ، وقوله (درحب) كتبت بحاء مهملة وباء موحدة . وصوابه : (درخت) بخاء معجمة وتاء مثناة في الآخر ، وهي كلمة فارسية معناها الشجر ، ومنه الشجر المسمى (أزدرخت) ، وأصله بالفارسية (آزاد درخت) ويحرفه عوام الشام إلى (زنزلخت) و (زلزلخت) واسمه بالعربية (قيقب) و (قيقبان) ومما يحسن ذكره أن شجرة الصنوبر التي يعبدها أهل الرس ويسمونها (ساب درخت) كلمة (ساب) فيها تذكرنا بكلمة Sapin الفرنسية التي معناها شجرة الصنوبر . فهل هذه من تلك يا تُرى ؟

ص ٩٣ س ٢ : (كان يافث غرس شجرة الصنوبر المذكورة

على شفير عين يقال لها (دوسات) . وكلمة (دوسات) كتبت بسين مهملة وتاء مثناة فى الآخر . وصوابها (دوشاب) بشين معجمة وباء موحدة . قال الخفاجى فى كتابه « شفاء الغليل » : (الدوشاب نبيذ التمر معرب . وذكرت كلمة الدوشاب فى شعر لابن المعتز ، وكذا فى شعر لابن الرومى ، وفسرها شارح ديوانه بالنبيذ الأسود . وقال السمعانى الدوشاب هو الدبس بالعربية . اهـ قول الخفاجى . وسألت إيرانياً من سكان دمشق عن (الدوشاب) فى لغتهم ، فقال هو الشيرا . ولا يخفى أن (الشيرا) لفظة تركية معناها عصير العنب الذى اعتصر حديثاً فأصبح حامضاً ولم يصل إلى درجة الإسكار ، وهو المسمى بالعربيـة (مسطار) بضم الميم أو كسرها . وقد اختلفوا فى أصل مسطار حتى قال بعضهم إنها رومية تلقفها أهل الشام من سكان سوريا الأصليين . والحاصل أن (الدوشاب) شراب يتخذ من عصير العنب سميت به عين الماء التى غرس بإفث عليها شجرة الصنوبر المساة (ساب درخت)

ص ٩٦ س ١٩ : (وهو الذى أنشأ كونا ربا من أرض العراق) . قوله (كونا) كذا بالألف ، وصوابه (كونى) بالياء المقصورة لأن (كونى ربا) ليس كلمة واحدة بل كلمتان : (كونى) مضافة إلى (ربا) قال صاحب كتاب « مراصد الاطلاع فى أسماء الأمكنة والبقاع : (وكونى بالعراق فى موضعين (كونى الطريق) و (كونى ربا) وبهـا مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام ، وهما قريتان الخ . وقد كتبت (كونى) بالياء المقصورة فى آخرها . وفى القاموس وشرحه (وكونى بلدة بالعراق وتسمى (كونى الطريق) و (كونى ربا) من ناحية بابل بأرض العراق أيضاً وفيها ولد الخليل وطرح فى النار) اهـ . وقد كتبت (كونى) بالياء المقصورة كما ذكرت . فالواجب تصحيحها فى هذه الصفحة وص ٩٨ وص ١١١ وكل صفحة سواها

ص ١٠٥ س ١٨ : (وبينما إبراهيم قاعداً) كذا بالنصب وصوابه (قاعد) بالرفع على الخبرية كما ورد مرفوعاً فى أول ص ١٦٩ إذ قال ثم : (فبينما هو مشتغلٌ بالذكر)

ص ١٠٨ س ١٠ : (وأدخل — أى إبراهيم الخليل — المضيق تحت الأرض) صوابه : (المطبق) . قال فى مستدرك التاج : (المطبق كمحسن سجن تحت الأرض) ويؤيد هذا ما جاء فى الصفحة نفسها س ١٥ : (وكان إبراهيم يسلّى أهل السجن)

ص ١١٢ س ١ : (فأمر بالتنور فأُسجر فطُرح إبراهيم فيه) قوله : (فأسجر) مصدره الأسجار . ولم أعثر عليه فى كتب اللغة وإنما هو ثلاثى سجره سجراً ، ومن التفعيل سجّره تسجيراً . ولا دخل للناسخ فى هذا الخطأ بل السهو فيه من المؤلف فى غالب الظن

ص ١١٥ فى السطر الرابع وسطور أخرى تلته ورد اسم (سارّة) زوجة إبراهيم الخليل مشدّد الراء ، ولعل الصواب تخفيفها ، لأنها كلمة عبرانية معناها « أميرة » كما فى قاموس الكتاب المقدس . وقد نبهت دائرة المعارف البستانية إلى تخفيف راء (سارة) مذ كتبتها بالحروف اللاتينية هكذا (Sarah) (Sara) وتخفيفها هو الشائع على الألسنة فى بلاد الشرق حتى إن معاجم اللغة العربية لم تشر فى مادة (سرور) إلى أن (سارة) زوجة الخليل مشددة الراء حتى يكون عربياً بل سكتت عن ذلك . ولعل فى سكوتها ما يشعر بأن اسم (سارة) ليس من مادة السرور العربية . وعندى أن هذا هو الصواب إذ لا يعقل أن (ماحور) العبرانى والد سارة يسميها باسم عربى فى معناه عربى فى اشتقاقه ، اللهم إلا إذا ادعى مدع بأن اسم (سارة) المخفف نقله العرب إلى لغتهم ثم عربوه وأفرغوه فى قوالبها فشددوا راءه . وروى صاحب القاموس عن اللحيانى (امرأة سرّة وسارّة تسرّك) وسمعت فتى يذكر أختاً له فسماها (سارّة) وشدد الراء فقلت : ولماذا شددت الراء والناس يلفظونها مخففة قال : إن جدى هو الذى سماها وأوصى ألا يلفظ اسمها إلا مشدداً قلت : لا كلام إذن وكأن جدك يعتقد أن اسم (سارة) عربى مادة واشتقاقاً . أما إذا كنا نتحدث عن السيدة (سارة) العبرانية فيحسن أن نلفظ اسمها مخففاً كما سماها أبوها (ماحور) .

ص ١٢٥ س ٢٠ (ثم خرجت امرأة لوط وبيدها سراج كأنها تُشْعل) ضبط فعل (تشعل) بالعين المهملة المفتوحة على البناء للمجهول من فعل شَعَل النار وأشعلها إذا ألهبها . ولا معنى لذلك هنا ، ولعل صوابه (تشغل) بالغين المعجمة من الشغل والاشتغال ، والمعنى أن امرأة لوط لما علمت بضيوف زوجها من الملائكة وهم على شكل غلمان حسان ، خرجت فى الليل وبيدها السراج توهم زوجها الذى استكتمها الخبر أنها مشغولة بأمور المنزل كتفقد خادم أو علف دابة وبذلك تسنى لها أن تخلص إلى فساق قومها فتخبرهم بخبر الضيوف . على أنه يصح أن تكون (تشعل) من إشعال النار لـكن يكون صـوابه (تشعله) بضمير النصب والبناء للمعلوم أى توهم زوجها أنها تريد أن تشعل السراج وتوقده

لتستفيء في خدمة بيتها ثم انسلت إلى فساق قومها

ص ١٢٧ س ٧ قوله : (حتى بلغ بها إلى البحر) صوابه (بلغ بها البحر) من دون حرف الجر لأن فعل البلوغ يتعدى بنفسه ، والقول بأنه مضمن معنى الوصول تكلف لعدم ما يدعو إليه من نكت البلاغة التي تزيد في إيضاح المعنى أو تأكيده أو تورث الكلام حسناً أو غير ذلك من الاعتبارات التي يراعيها البلغاء عادة في التضمين وإلا كان خطلاً

ص ١٣٢ س ١٠ (غيابت الجب) كذا بتاء طويلة أو مجرورة وصوابه (غيابة) بتاء مربوطة كما هي قاعدتها . نعم إنها تكتب في المصحف الشريف (غيابت) إتباعاً للرسم المأثور

ص ١٣٩ س ٧ (وقيل إن النساء خلون به ليمدّلنه لها) يعني أن نسوة المدينة لما بلغهن خبر جفوة يوسف لزليخا امرأة العزيز خلون به ليمدلنه ، وقد ضبط فعل (يمدلنه) بالدال المهملة المشددة من فعل عدّله إذا أقامه وسواه . فالنسوة بذلن جهدهن في تعديل يوسف وتقويمه لأجل امرأة العزيز ولأجل أن يوانيها على ما تريد منه ، ولكن ليس المقام مقام تربية ولا تقويم غلام اعوجت أخلاقه والتوت طباعه ، وإنما المقام مقام حب وجفاء ، ونسوة أقمن أنفسهن وسطاء أو شفعاء . فالأصوب والأليق بالمقام أن تكون (يمذلنه) بالذال المعجمة من المذل الثلاثي (أو التمذيل المزيد على الثلاثي للمبالغة) على معنى أن النسوة خلون بيوسف وأخذن في عذله ولومه على ما كان من جفوته لسيدته وإعراضه عنها وقد فعلن ذلك خدمة لها وفي سبيل مصلحتها

ص ١٥٤ س ١٤ قوله : (تيناك) صوابه (أتيناك) وهو خطأ مطبعي

ص ١٨١ س ١٥ أم موسى دخلت على آسية امرأة فرعون فلم تعرفها آسية (لأن أم موسى دخلت عليها في حلبة المراضع) (حلبة) كذا بالباء الموحدة ، والحلبة خيل السباق ولا معنى لها هنا وصوابه (حلية المراضع) بالياء المثناة قال في المصباح الحلية الصفة وقال في الأساس : عرفته بحليته أي بهيأته . فآسية لم تعرف أم موسى لأنها دخلت عليها بصفة مرضعة وعلى هيئة المراضع وهو أيضاً خطأ مطبعي

٢١٣ ص ٨ س : أفواج الملائكة كانت تمر على موسى فكان منهم فوج (لهم نحيب بالتسبيح والتقديس) النحيب البكاء أو أشده أي أنهم كانوا يبكون بسبب تسبيحهم لله . وهو ظاهر ، ولكن الأظهر منه بل الأشبه في هذا المقام أن تكون (نحيب) مصحفة عن (نحيت) بتاء مثناة في آخرها وهو اللهث وشدة تتابع النفس أي أن هذا الفريق من الملائكة من شدة ما لجوا في التسبيح وألحوا جعلوا يلهثون حتى كاد يلحقهم البُهر وهو انقطاع النفس

٢٢٠ ص ٨ س : في صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم أنهم (يُصَفُّون في صلاتهم صفوفاً كصفوف الملائكة) وقد ضُبط فعل (يُصفون) بضم ياء المضارعة مجهولاً أي أنهم قد صفّهم صافّ . والأفصح أن يضبط معلوماً يقال في الفصيح صفّهم فصَفّوا أي اصطفوا . فهو لازم متعد . ومن اللازم قوله تعالى في وصف الملائكة أيضاً (والصافّات صفّا) أي أقسم بجماعات الملائكة المصطفة في مراتبها لعبادة ربها . وفعل الصف إذا أسند إلى من يصطف بنفسه استعمل معلوماً يقال : صف الجند وصفّت الملائكة وإلا استعمل مجهولاً : صُفّت النمارق (ونمارق مصفوفة) صُفّت السُرر (على سُرر مصفوفة)

ص ٢٢٠ س ٩ في صفة أمة محمد أيضاً : (لا يدخل النار منهم أحد إلا من الحساب مثلما يرى الحجر من وراء الشجر) . قوله (إلا من الحساب) محرّف ، وصوابه (إلا مَرّ الحُسْبان) والحسبان جمع حسبانة ضرب من السهام صغار قصار كالمسال . يعني أن أمة محمد لا يدخلون النار إلا مروراً كرور السهام . ومرور السهم ومروقه يضرب مثلاً لسرعة النفاذ . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في صفة الخوارج : (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) وزاد هذا المعنى وضوحاً قوله بعده : (مثلما يرى الحجر من وراء الشجر) فلا جرم إن الحجر إذ ذاك يمر خلال غصون الشجر بسرعة ثم يخلص إلى الجهة المقابلة من دون أن يمكث في الشجرة أو يعلق عليه شيء منها . وهكذا أمة محمد تمر في النار على هذا النحو . وكتبت (مثل ما) هكذا مفصولة . ولعل الصواب أن تكتب متصلة كما كتبناها آنفاً

ص ٢٤٢ س ٢ : (فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول) قوله (فحملوه) لعل صوابه (فحملوهما) أي حملوا كلا من الخضر وموسى وإن كانوا لم يعرفوا إلا الخضر . ويشهد لما قلنا قوله بعد : (فلما ركبا في السفينة) بألف التثنية أي الخضر وموسى

ص ٢٥٨ س ١٢ (لولا بنو إسرائيل لم يخثر الطعام ولم يخبث اللحم) قوله : (يخثر) بالثاء المثلثة أي يغلظ بعد أن كان مائعاً . ولا يستقيم المعنى عليه هنا وإنما صوابه (يخنز) بنون

وزاى: خنز اللحم والجوز والتمر فسد وأنتن ، أى أن الطعام أصبح معرضاً للفساد والنتن بسبب عصيان اليهود لأوامر الله تعالى. ويدل على صحة ما قلنا قوله بعده : (ولم يخبث اللحم) فإن خبثه يمنع من أكله . وأصبح المقام يتطلب أن يلحق الطعام آفة تمنع من أكله أيضاً وتلك الآفة هى خنوزه، ونتنه أما ختوره أى غلظه واشتداده فلا يمنع أكله . على أن الطعام لا ينسب إليه الختور وإنما الختور للبن: يقال ختر اللبن ختراً وختوراً وخترانا فلظ واشتد بعد أن كان رقيقاً مائعاً

ص ٢٥٩ س ٢٠ (تقول العرب فوموا النا أى اختبزوا) ضبط فعل (فوموا) بالتخفيف أى بضم الفاء والميم ثلاثياً على وزن قوموا. وصوابه (فَوِّموا) بتشديد الواو من التفعيل كما ضبط كذلك فى اللسان والتاج قالا: (يقولون فَوِّموا النا بالتشديد يريدون اختبزوا)

ص ٢٧٠ س ١٠ و س ١٥ و س ١٦ زمرى بن شلوم تزوج كستي بنت صمور مرغماً الشريعة التوراة ، فغضب موسى وأصيب بنو إسرائل من جراء ذلك بالطاعون . فدخل فنحاص العيزار القبة على العروسين وطعنهما بحربته الحديد الثقيلة فانتظمهما وخرج بهما إلى القوم رافعاً حربته ، قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة إلى لحيته فرفع الطاعون، قال: ومن أجل ذلك يعطى اليهود ذرية فنحاص من كل ذبيحة الخاصرة والذراع واللحية . أقول : لا يخفى أن اللحية هى الشعر النابت على الذقن أى عظم الحنك . والشعر المذكور لا يمكن أن يكون نقطة ارتكاز لحربة من حديد تحمل جثتين بشريتين ، بل إن عظم الحنك نفسه لا يصلح لذلك ، وإنما صوابه : وأسند الحربة إلى « لبته » ، وكذا فى السطرين الآخرين « اللبة » مكان « اللحية » ولبته مكان لحيته واللبة على الصدر حيث تقع القلادة أو نقول هى الزَّوْر وهو ما ارتفع من الصدر إلى الكتفين . وما زلنا فى المواسم ومواكب المحمل نرى حملة الأعلام والرايات الكبرى لا يستطيعون حملها ما لم يسندوها إلى لباتهم أى أعلا صدورهم لا إلى لحاهم ولا إلى ذقونهم، على أن الذبائح التى يُعطى منها أولاد فنحاص لا يُعقل أن يعطوا منها مع الخاصرة والذراع شعر اللحية، ولا لحى للذبائح ينتفع بشعرها وإنما يعطون لبّاتها وأزوارها

ص ٢٧٠ : فى آخر هذه الصفحة يحكى خبر (بلعام) وقد قدم على بنى إسرائيل راكباً أتانه قال (فلما عاين عسكرهم قامت به الأتان وقد وقفت فضربها بلعام الخ) معنى (قامت به) وقفت به قال صاحب القاموس (قامت الدابة وقفت عن السير) فقوله : (وقد وقفت) بعد قوله : (قامت به) مستغنى عنه إذ يصبح المعنى به (وقفت به الأتان وقد وقفت) وهو تكرار . فلعل قوله : (وقد وقفت) مما كتب على الهامش تفسيراً لقوله : (قامت به) فألحقها الناسخ بهاف المتن أو هى مما جاء فى صلب المتن تفسيراً لقامت، ويكون أصل الجملة هكذا (قامت به الأتان أى وقفت) فحرف الناسخ كلمة (أى) التفسيرية إلى كلمة (وقد) التحقيقية فأصبح تركيباً ظاهر البطلان

ص ٢٧١ س ٥ : (قال موسى يا رب بما سمعت دعاء بلعام على فاسمع دعائى عليه) قوله (بما سمعت) لعل صوابه (كما سمعت) أى اسمع دعائى كما سمعت دعاءه ، وإلا فإن (بما) لا يصح معها معنى الكلام إلا على تخريج بعيد ظاهر التكلف

(دمشق) عبد الله المغربى



{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }



8me Année No. 357

Lundi - 6 - 5 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٣٥٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ ربيع أول سنة ١٣٥٩ — الموافق ٦ مايو سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـرس

إشعاع الايمـان

لكل إنسان إشعاع ينتشر عليك من روحه كلما جلست إليه أو دنوت منه . وهذا الإشعاع يختلف فى القوة والضعف وفى الكثافة واللطف باختلاف الروح فى أولئك كله. ولكن لرجل الدين ورجل الحكم إشعاعاً عرضياً آخر ينبثق عن العالم ما دام متصلاً بالله ، ويصدر عن الحاكم ما دام متصفاً بالسلطان . فإذا انقطع ما بين أحدهما وبين هذه القوة السماوية أو الأرضية انقلب كسائر الناس يُشع على حسب اقتداره واعتباره

تدخل على رجل السلطان أو تلقاه فتغشاك منه مهابة تطأطئ من نفسك وتكسر من نخوتك ، فإذا خرجت من مدار هالته ، أو خرج هو من ملكوت سلطانه ، وجدته فى رأيك الحر أشبه بالجذوة الواهجة إذا ما تحولت إلى رماد بارد

وتجلس إلى رجل الدين أو تراه فتغمرك منه جلالة تثلج صدرك بالرضا وتنقع نفسك بالسكينة ، فإذا قمت عن مجلسه بقى فى بصرك نوره وظل فى بصيرتك هداه . وذلك هو الفرق بين قوة تسيطر بمادة الإنسان وقوة تؤثر بروح الله

كان هذا الإشعاع الإلهى من رجل الدين يفعل فعله فى القلوب والأبصار من غير إرشاد ولا وعظ. كان العالم أو شبه العالم إذا دخل قرية أشرقت أرضها بنوره واهتز أهلها لمقدمه، فيهرعون إليه ويعكفون عليه ويجدون فيه الدليل إلى الله ، فتصالحته عهد

لا ينقض، وإشارته حكم لا يرد، ودعوته بركة لا تنقطع. وكنا في ذلك العهد أحداثاً ننظر إلى الشيخ وهو في بُهرة المجلس كأنه برهان الله، يعبر وهو صامت، ويؤثر وهو ساكن، والقوم من حوله مطرقون مستغرقون قد فرغت قلوبهم من مطامع الدنيا، وخلت صدورهم من وساوس الشر. فإذا ترك القرية خلف بها عهد الله يتصل به ما انقطع من الأسباب، ويقوى عليه ما وهن من المودة

ذلك لأن الشيوخ كانوا يومئذ يسمتون سمت الأنبياء، فيجعلون دينهم ودنياهم وحدة لا تتجزأ؛ فإذا قالوا وعظوا، وإذا فعلوا أرشدوا، وإذا صمتوا كانوا كأعلام البر تدل بالإشارة، أو كمنائر البحر تهدى بالشعاع. فلما تشوف العلماء إلى زهرة العيش، واستشرفوا لعزة المنصب، انطفأت من حولهم هالة الورع فأصبحوا كالناس يفعلون فيرُمون بالرياء، ويقولون فيُتهمون بالكذب

***

تعال أقص عليك حديثاً من أحاديث الواقع لا يزال الناس يروونه كلما حلا لهم أن يوازنوا بين عالم يجرى دينه على لسانه فيذهب في قوله، وعالم يجرى دينه في قلبه فيشع من مسامه:

كان الشيخ . . . فقيهاً من النمط القديم، قد شغل فكره بالدين، وقصر جهده على العلم، ووهب وجوده للأزهر، فهو يقضى النهار وطرفي الليل في التدريس والمطالعة والصلاة؛ لا يكاد يخرج من درس إلا إلى درس، ولا يترك ملزمة إلا إلى ملزمة. فإذا جاء يوم الجمعة خرج ماشياً إلى زيارة الأولياء في المقابر أو في المساجد، ثم يعود مع المساء قرير العين مطمئن النفس إلى حجرته الأزهرية ذات الفراش الخشن والضوء الشاحب ليعدّ درسه الذي سيلقيه في فجر السبت

وفي ذات يوم من أيام الجمع وقع في نفسه أن يصلى الجمعة في مسجد أبي العلاء ببولاق، فخرج من الأزهر في ضحوة النهار وأخذ يسأل عن الطريق إلى ذلك المسجد والناس يدلونه أو يضلونه حتى دفعه القدر إلى المكان الرسمي للمومسات

كان الشيخ يسير في هذا الشارع العاهر بعمته العظيمة وجبته الفضفاضة كما يسير الجمل في شارع من شوارع لندن! كان موضعاً للنظر الساخر وموضوعاً للتنادر البذيء؛ ولكنه كان يمشى ناكس الطرف مشغول الخاطر فلم يفطن إلى شيء. ثم فطن إلى انتقاض وضوئه حين لمست يده بنى من البغايا تريد أن تعبث به. فاستغفر الله وحوقل، ثم سأل صبياً من صبيان

ذلك الحي أن يدله على مسجد يجدد فيه وضوءه، فقد كان يكره أن يمشى على غير وضوء؛ وكان الصبي خبيث الفطرة فاحش الدعابة فدله على بيت مومس وقال له: هذه يا سيدى دورة المياه!

دخل الشيخ الدار فإذا فتاة كصورة (القارئة) في متحف اللُّمر قد اضطجعت على كنبتها الوثيرة وهي نصف عارية. فلما رآها أسبل عينيه وغمغم بالاستغفار والدعاء ثم قال لها:

— استرى نفسك يا بنيتى فقد قربت الصلاة وأوشك المصلون أن يجيئوا

فنهضت الفتاة وقد اعتراها نوع من الوجوم ينشأ بين الدهش والعجب فوضعت عليها بعض ثيابها وقالت:

— ماذا تريد يا سيدى الشيخ؟

— أريد أن أتوضأ. نادى أباك يقودني إلى الحنفية! ألست ابنة خادم المسجد؟

فأجابت الفتاة وقد أدركت كل شيء:

— بلى يا سيدى أنا ابنته؛ وسأقودك بنفسي إلى الحنفية. فافتح عينيك واتبعني فقد لبست

وأرشدت المومسُ العالمَ إلى مكان الطهارة وهو مغسلها الوردى الأنيق، فوقف أمامه ذاهلاً يرى أداة الزينة ويجد رائحة العطر، ولكنه لم يستريب. ولم يستريب؟ أما يجوز أن يكون في القاهرة طراز من المساجد لم يره؟

وفتح الشيخ الحنفية وتوضأ، وجاءته الفتاة ببشكير أوْبَرَ فأمرّه على وجهه فسطعه أريجه. ثم أقسمت عليه المرأة ليجلسن على الكنبة ريثما تهيئ له فنجاناً من القهوة. فجلس الشيخ يذكر الله، وجلست هي بجانبه تغلى الكنكة وتديم النظر إلى وجهه. فلما تمزز الفنجان سألته: إلى أين يذهب؟ فقال لها: إلى مسجد السلطان أبي العلا. فخرجت أمام الدار ونادت عربة من عربات الركوب فأجلست الشيخ فيها، ثم أعطت الحوذى الأجرة وأمرته أن ينزله أمام الجامع. ورغبت الفتاة أن تقبل يد الشيخ، ولكنه أدخلها مسرعاً في ثوبه وقال: لقد ضاق الوقت يا بنيتى عن وضوء جديد. أسأل الله لك الهداية والمغفرة

قالوا: ورجعت المومس إلى دارها وعليها من الشيخ شعاع نفذ إلى ظلام نفسها فأشرقت بالصلاح والخير؛ ثم لم تُرَ بعد ذلك اليوم إلا في ثوبها الأسود قاعدة تخيط أو قائمة تصلى!

احمد حسن الزيات

صوت فضـــولى !

للأستاذ عباس محمود العقاد

منـذ أسابيع كانت محطة الإذاعة المصرية تنقل إلى الناس أحاديث شتى من مكان فى أرباض القاهرة على ما يظاهر

وكانت الأحاديث تجرى على صيغـة السؤال والجواب ، أو الاستيضاح والتوضيح ؛ وإن السائلين ليسألون ، وإن المجيبين ليجيبون، وإن الأدوار لتتوالى دوراً بعد دور، إذا بصوت لم يدعه أحد ، ولم يأذن له أحد ، ولم ينتظره أحد ، ولم يسأله سائل أن يجيب ، قد شق الفضاء وحيداً ثم ذهب بعيداً ... حتى توارى فى حجاب الصمت ، وغاب عن الأسماع كما هو غائب عن الأبصار

صوت فضولى !

لكنه أحق من أصحاب الدار ، ومن المدعوين الأصلاء ، ومن سائر الأصوات أن يسمع فى هذا الأوان

لأنه صوت الكروان

***

الكروان فى المذياع ، يقتحمه اقتحاماً بغير داع

أذكرنى هذا الصوت الفضولى احتفال الأمريكيين بذكرى الشاعر الإنجليزى العظيم وليام وردزورث منذ أعوام

فإنهم أقاموا فى صومعته التى عاش فيها أكثر أيام حياته مذياعاً ينقل إلى عشاق أدبه ما كان يسمعه بأذنيه ، ويترجمه لحناً فى قصيده . فلما كان الوعد المعروف أصغى المحتفلون فى القارة الجديدة إلى أصداء الأثير المنطلقة من تلك الصومعة، فإذاهم يسمعون زقاء العصافير ودقات الساعة القديمة وحفيف الأشجار وخفقات الهواء ، وكل ما كان فى سمع الشاعر وقلبه وخياله ، وفى أوزان شعره وآيات وحيه ، كأنهم نقلوا عالم الأطياف كله ، فنقلوا أطياف العصافير ومناظر الربيع ، كما نقلوا طيف الشاعر من العالم الأخير ومن حصن الخلود المنيع

لـكن أطيار « وردزورث » كانت مدعوة منتظرة فى موعدها المعروف .

أما كرواننا فى مصر ، فلم يسمع دعوة من الناس . بل كان كل ما سمع دعوة من الربيع ونداء من الأرض والسماء ، فلبّى وأطاع ، ولم يضره أنه فضولى فى عرف المذياع .

***

ويح هذه الأطيار !

من أدراها بمواسم الأفلاك ؟ ومن أدراها بعـدد السنين والحساب ؟ ومن أدراها بمواعد الأرض والسماء ، ومواسم الصيف والشتاء ؟

إنها لتدرى !

إنها لتقرأ الخط وتفسر الأرقام وتدرس الأزياج وترقب الأرصاد

إنها لقارئة وحاسبة وفلـكية وميقاتية ، وكل ما شئت من أوصاف العلم والدراية

مالك لا تصدق ؟ مالك ترتاب ؟ اسمع سؤالاً وجوابه ، وأنت خليق أن تعلم بعد ذلك من منا على خطأ ، ومن منا على صواب :

فقد سأل أناس : لماذا تغرد الطير فى الربيع ؟ لماذا تتغزل وتتغنى فى هذا الأوان ؟

فحار بعض العلماء فى الجواب ، وبحثوا ونقبوا ، وفحصوا وقلبوا ، ثم عادوا إلى السائل قائلين ، وهم على أيقن يقين :

إن الطير تغنى فى الربيع لأنها تجد طعامها موفوراً فيه ، وإنها لتشبع من ذلك الطعام فتسرى فيها حرارة الشبع ، فتعرف الحب فيلهمها الحب الغناء !

جواب علماء ... !

فقل لى بحق العلم عندك : أيهما أحق بالتصديق : أن يسألك السائل كيف تعرف الطير المواسم فتجيبه إنها تعرفها لأنها تدرس الفلك وتقرأ التقاويم وتحسن الحساب ، أم يسألك السائل لماذا تغنى فى الربيع فتجيبه إنها تغنى لأنها تجد الطعام ؟

ماذا على هؤلاء العلماء لو فهموا أن الحياة التى تنبت الشجر وتكثر الحب وتملأ السنابل بالطعام لن تقف مغلولة اليدين مع الأحياء ، ولن يتأتى أن تعطى الأرض ما تعطى وأن تعود إليهم وحدهم بغير عطاء ؟

لماذا تثمر الأرض وتشرق الأزهار فى الربيع ؟

إن هذا لأعجب من تغريد الطير وحركة الحيوان . فإذا استطاع الربيع أن ينفخ الحياة فى بذرة وورقة، وفى غصن وثمرة، فما باله يعجز عن ابتعاث الطير وتحريك الأحياء ؟ وما بالنا نرجع إلى الطعام ولا نرجع إلى الذى نفخ الحياة فى الشجر الأعجف فأصبح طعاماً يأكله من يشاء

لماذا لا يفهم العلماء هذا ؟

لأنهم لو فهموه لأصبحوا شعراء ... وقد يتفق العلم والجهل ؛ أما العلم والشعر فمعاذ الله لا يتفقان !

* * *

ولا نحب أن نسأل العلماء عن الربيع ، فإن الربيع لمن يحسونه لا لمن يدرسونه ، والذين يحسونه لا يستكثرون عليه أن ينطق الجماد بالألحان ، فضلاً عن البلبل والكروان

فلنسأل الشعراء

والشعراء يقولون إن الربيع شباب الزمان . صدقوا ، أى تعريف للربيع أبلغ من هذا التعريف ؟

ثم ما الشباب ؟

قالوا : والشباب ربيع العمر ... وصدقوا أيضاً . فأي أوان في العمر هو أشبه بالربيع من أوان الشباب ؟

لكن ما الربيع والعمر معاً معشر الشعراء ؟

هنا يسكت أصحابنا الشعراء ، لأنهم لا يحبون الاستقصاء ، ولا يتعقبون الأشياء تعقب الأعداء والرقباء

فليكن الشباب ربيع العمر

وليكن الربيع شباب الزمان

وكفى بذلك تعريفاً لمن يحسون . أما الذين لا يحسون فما هم بعارفين ، ولا هم معرَّفون

* * *

وكثير من الذين يحسون قد عرفوا للشباب علامات ، وإن لم يحصروه بالكلمات ، ولا بالأوقات

فقال الموسيقار موريز روزنتال : « إنك لشاب إذا استطاعت امرأة أن تسعدك واستطاعت أن تشقيك ، وإنك لكهل إذا استطاعت إسعادك ولم تستطع إشقاءك ، وإنك لشيخ فان إذا عجزت معك عن هذا وذاك »

وقالت ظريفة باريسية : إنك شاب إذا أكلت علبة من الحلوى كل يوم واستمرأت أكلها ، وإنك لأكبر عمراً إذا قلت إن الحلوى لسم زعاف ، ولكنك تأكلها مع ذاك . وإنك لشيخ يائس إذا انقطعت عن أكلها وعن ذمها وعن اشتهائها

وقالت : « إنك لشاب إذا أنت أحببت الكتب والروايات ومناظر السينما التي تبكيك ، وإنك لأكبر عمراً إذا أنت آثرت عليها ما يضحكك ويسليك ، وإنك لشيخ يائس إذا أعرضت عنها وهي مبكية ومسلية على السواء »

وقالت تخاطب النساء : « أنت شابة إذا نظرت أول ما تنظرين إلى عيني الرجل ، وأنت أكبر عمراً إذا نظرت أول ما تنظرين إلى يديه »

وقالت : « أنت شابة إذا راقك الثناء على ذكائك ، وأنت أكبر عمراً إذا آثرت الثناء على جمالك ومرآك »

وقالت : « أنت شابة إذا أسفت على وقت ضاع منك في النوم . وأنت أكبر عمراً إذا علمت أن وقتاً تنامينه ليس بالوقت الذي ضاع »

* * *

علامات صادقة ، لأنها أصدق من توقيت الشباب بالسنة واليوم ، ومن حصره بالمصطلحات والتعريفات

وهي صادقة أيضاً لأن المغالطة فيها تجوز حين لا تجوز في مواقيت السنين أو في سمات الشيب والغضون

كان كليمنصو يوم بلوغه الثمانين يتمشى مع صديق في الشانزليزيه ، فعبرت بهما صبية فاتنة ، والتقت أعين الصديقين ، فإذا بعيني الوزير الجليل تلتمعان وإذا به يهتف كأنه يمزح : « ليتني أعود إلى السبعين كرة أخرى ؟ »

لم قال السبعين ولم يقل العشرين أو الثلاثين ... أو الأربعين والخمسين ؟

لو كان يعلم أن الأمنية تستجاب لتمنى العشرين والثلاثين ، ولم يتمنَّ السبعين

لكنها لا تستجاب ، فخير له إذن ألا يشهد على نفسه بالفناء وألا يوسع الفارق بينه وبين أيام الغرام . فلأن يكون رجلاً بينه وبين متعة الحياة عشر سنوات ، خير من أن يكون حطاماً بالياً بينه وبين المتعة خمسون سنة ، ولو في لغة الأماني والأحلام !

* * *

سل الشعراء إذن عن علامات الشباب ودلالاته ، ولا تسألهم عن حدوده وأرقامه ، فهم مجيبوك إن سألت هذا السؤال جواباً كجواب المرافين والمرافات يرضى كل سائل ويعجب كل سن ويفتح باب المغالطة على مصراعيه

ومن الذي يأبى أن يثبت شبابه إذا كان الدليل عليه بكاء من رواية أو صورة متحركة أو كتاب ؟

ومن الذى يعجز عن إثبات شبابه إذا كانت السبعون أمنية الثمنين ؟

الشباب هو ربيع العمر ، وربيع العمر له علامات وليست له حدود

والربيع هو شباب الزمان، والزمان فى شبابه يستمع إلى غناء الطير وهتاف الكروان ، ولا يحسبه من أهل التطفل والفضول

فليكن كرواننا فضولياً فى المذياع بين حوار العلماء والأدباء ، فما هو بالفضولى فى الربيع بين أزاهر الأرض وزواهر السماء

هو مدعو بكل ورقة على كل شجرة

هو صاحب بيت

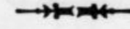
هو داع فى ربيعه الخالد : ربيع الطير الذى ينفث الحياة ، وليس بربيع الإنسان الذى ترقبوه لإزهاق الأرواح وتمزيق الأبدان .

إن صوت الكروان لصوت فضولى فى هذا الربيع ، لأنه نشوز بين صفير الرصاص ودوى القذيفة ، وياله من نشوز جميل !

عباس محمود العقاد

فن الحيـــاة

للدكتور إبراهيم ناجى



الحياة فن جميل . لا ، بل عدة فنون متصلة مندمجة ، تكوّن فنًا واحداً ، هو فن الحياة

وأكثر الناس لا يعرفون كيف يعيشون . أجل ، أكثر الناس يتخبطون فى ظلام دامس . ولذلك تكون حياتهم شقاء هم السبب فيه

قد تعترضون بأن من أسباب الشقاء ما لا قبل لنا به ولا يد ولا رأى ؛ ولكنى أرد بأن أكثر الشقاء – ولا أقول كله – هو من مخيلتنا ومن اعتيادنا ومن البيئة التى نوجد فيها

قلت إن الحيـاة فنون !

ولكن ما هى الحياة أولاً ؟ وما هو الفن ثانياً ؟

الحياة مطابَقَـةٌ لما بين الدنيا الخارجية والدنيا الداخلية. والفن هو المعرفة مضافة إلى الطبيعة ؛ أى الملاءمة بين الداخل والخارج فالحياة والفن من عنصر واحد . فالحياة الفن والفن الحياة

قلت إن الحياة ملاءمة بين ما فى الخارج والداخل . ويسمى العالَم الخارجى (الماكروكزم) أو العالَم الكبير، والعالَم الداخلى (الميكروكزم) أى العالَم الصغير

فما معنى هذا ؟

معناه أن انعكاس العالم الخارجى على مرآة أنفسنا هو الذى يُشكل الحياة ويعطيها الصورة الخاصة بكل منا ، وكلما كانت الصورة المنعكسة على مرآة أنفسنا مطابقة للأصل كانت الحياة أقرب إلى الفن والكمال

وكلما كانت الصورة مشوهة أو مقلوبة أو مبتورة كانت الحياة بعيدة عن الفن والكمال

كيف إذن نجعل هذه الصورة مجلوّة على حقيقتها ، كصفحة السماء فى أعمق بحيرة فى يوم صيف جميل ؟

إننا فى الحيـاة نقوم بأشياء كثيرة ملخصها ثلاثة أشياء : التفكير والحب والعمل

والتفكير فن والحب فن والعمل فن ...

وقد قسم العلماء التفكير إلى نوعين: التفكير بالجسد، والتفكير بالكلمة ...

والتفكير بالجسد أقواها وأضبطها ، ولكنه محدود ضيق الأفق . فمن ذلك التفكير تفكير القطة التى تثب، والملاكم الذى يضرب . فهذان يفكران بالعين واليد أو القدم ، وهذا يسمى تفكير الغريزة . ويقول أندريه موروا : إن أرقى أنواع التفكير هو الذى ينتقل من التعقل إلى الغريزة . يعنى بذلك الذى ينتقل من دور التحليل والمنطق إلى دور التنفيذ السليم بوساطة الغريزة التى تملى على أعضاء الجسد فتقوم بالعمل وتؤديه على أحسن حال .

وهناك التفكير بالكلمة ، وهو أشد أنواع التفكير خطراً وأبعدها مدى ، وهو كذلك أكثرها تفككاً وإبهاماً . فإن كلمة واحدة تثل عروشاً ، وتقلب دولاً ، وتغير نظاماً . وإن كلمة واحدة فى ميدان السياسة أو الاقتصاد لتفسر ألف تفسير وتؤول ألف تأويل

ما هى قواعد التفكير السليم ؟

إن التفكير السليم لشىء نعتاده كما نعتاد أى شىء فالإنسان « حزمة » من العوائد كما قال وليم جيمس

والتفكير السليم يكون أساسه أمرين :

الأول : الإيمان بالقواعد التى أثبتت الأجيال صحتها ، وانفقت التقاليد المتوارثة على التسليم بها . تلك أصول ثابتة فى النفس الإنسانية لا سبيل إلى إنكارها ولا الخلاص منها ، وعبث محاولة التفلت من جذور امتدت فى أعمق أعماق السرائر الإنسانية وبقيت هناك ، وإنما الشجرة التى تنمو من تلك الأعماق وتصل إلى النور والشمس هى التى يباح لها أن تحلق وتتساءل وتبحث . مثلُ ذلك مثل الطيار الذى يستكشف وهو بعد جزء من الجيش الذى ينتظر إشارته ليهتدى ، ثم ينتصر

والأمر الثانى ، الأساس الثانى للتفكير هو أمر ديكارتىٌّ محض . ديكارتى أى يوقن بعظمة العقل الإنسانى وإمكانه التحليل والتعليل والوصول . وهو يبنى قدرته على الشك المستند إلى قواعد ثابتة من القضايا المنطقية التى أسلمتها الإنسانية من جيل لجيل

ويتفرع من الأمرين أمرٌ جدير بالتدبر

وهو أنه لكى تكون الصورة المجلوة فى نفوسنا سليمة والمرآةُ غير مجرّحة ، يجب أن تستبعد الأوهام والخزعبلات والأباطيل ، يجب أن تستبعد الفكر الزائفة والأقاويل السخيفة والترهات .

هذا أساس التفكير وهو الفن الأول

أما الفن الثانى فهو الحب ؛ ويتفرع منه الصداقة أو هو أبوها وسيدها

إن رأى فرويد أن الدنيا قامت على الحب وعلى الحب وحده ؛ وقد تختلف صوره وتتباين أشكاله . فهو حب للوالدين حيناً وللرفاق حيناً وللجنس المخالف ما تبقى منه . وهو عند فرويد خط مرسوم كالقطار يسير من محطة إلى أخرى ما بتر منه أو اقتصد فيه أو شوّه ، يغير وجه الحياة بحالها

ويقول علماء التناسل : إن الشاب والشابة فى سن المراهقة ينشغلان بتصور المثل الأعلى كل فى ناحيته ، والأصل فى المثل الأعلى عند الشاب امرأة ، وعند المرأة رجل ، ولكنه لما كان فى تلك السن يستحيل تحقيق ذلك المثل ، فإن المراهق ينصرف إلى تخيل المثل الأعلى على هواه ، فحيناً يكون ذلك شعراً ، وحيناً يكون موسيقى ، وحيناً تصويراً

وهنا منشأ الفنون الجميلة

فإذا أراد الله تحقيق حلم من أحلام الشباب وجب أن يعلم كل منهما كيف يحب وكيف يستبقى ذلك الحب

وإذا علم كيف يستبقى حبيبه علم كيف يستبقى صديقه

فيجب على الرجل أن يلم أولاً بطبيعة الحب ، وثانياً بطبيعة المرأة . ويجب على المرأة أن تلم أولاً بطبيعة الحب ، وثانياً بطبيعة الرجل ، فأكثر الخلاف بينهما ناشئٌ من قلة الفهم . كلٌّ يتهم الآخر بما ليس فيه ، أو يضيف إليه ما ليس عنده

فالحب ليس عنصراً واحداً بسيطاً ، بل هو مزيج مركب من الإعجاب ، والجنس ، وحب الملك ، والاعتياد

فلا بد من الإعجاب أولاً . لابد من تلك الصدمة التى تعترى الإنسان أولاً . وثانياً ، لا بد أن يكون طبيعيا كما أرادت الطبيعة . وثالثاً لا بد من أن يحب الواحد منهما الآخر حبًّا يغرى بالانفراد ، ثم بكشف النفس وفتح مغاليق القلب فى غير تكلف ولا تصنع . ثم أخيراً لا بد أن يعتاد الواحد الآخر ، لا بد أن يتآلفا باتفاق الميول وتشابه الأهواء . ويقول العلماء إن هذا الاعتياد هو الأسمنت الذى يربط العناصر الأخرى بعضها ببعض

وطبيعة الرجل فى أساسها أنه مغامرٌ مفروض فيه القوة والجبروت والقدرة على الحماية ، مفروض أنه الجندى المحارب

وطبيعة المرأة فى أساسها الأمومة ، وما يتفرع عن ذلك من حنان

وهى التى تهيئ الوسادة المريحة للجندى ، وتبنى له العش الهادئ الجميل . فمفروض إذن أنها تنال بالبساطة والوداعة والصبر ، ما دام أساس طبيعتها الحنان ، حنان الأمومة . فمهما عصفت وثارت ، يجب أن يعرف الرجل أنه فى وسط العاصفة كالربان الماهر فى البحر الثائر يصبر على العاصفة ولا يكرهها ، ويتنكر له البحر ولا يزال يحبه .

وبهذا المقدار من الفهم عند كليهما تبقى المحبة بينهما ثابتة . ويبقى أن نؤكد أن أساس المحبة والصداقة معاً ، أن يتجرد الإنسان من الأنانية . يجب أن يعطى لكى يأخذ ، فأكثر الناس يأخذون ولا يعطون ، وبذلك يفقدون أحبابهم ويفقدون أصحابهم .

ونؤكد أكثر من ذلك أن أساس المحبة والصداقة أمور

صغيرة تقوم عليها الحياة ، وتقوم عليها الدنيا ، وتقوم عليها المحبة والصداقة

فالعظائم لا يقوم بها الرجل الذى لا يقوم بالأمور الصغيرة فى شكل عظيم ، وكيف تقوم بالأمور الصغيرة فى شكل عظيم ؟

إننا فى الغالب ننسى المناسبات الصغيرة التى لو انتهزناها فتذكرنا أصدقاءنا أو أحبابنا لقيدت تلك السلسلة الرقيقة أحبابنا أو أصدقاءنا بقيود تبقى مدى الحياة ، كلمة صغيرة ، هدية تافهة ، لحظة تنتهزها للسؤال عنهم ، رنة التليفون فى عيد الميلاد ، تلك أشياء ينساها أكثرنا ، وبذلك تفتر الصداقات وتموت المحبات ووقودها تلك الأمور التوافه ...

* * *

هذا فن الحب ، ويبقى فن العمل

العمل قوام الحياة والدعامة التى تقوم عليها . بل هو الدريئة التى نستتر وراءها لننسى متاعبنا وأشجاننا ؛ فما دمنا نعمل فنحن فى شاغل من عملنا ، لا نبالى بسفالات الناس ، ولا بأقاويلهم ، ولا بسخافاتهم . ولكن هل مجرد العمل يكفى ؟

كلا ، لا بد أن يكون العمل مثمراً ، لا بد من الجنى الشهى ، لا بد من الراحة بعد التعب . والراحة ذلك الجنى الشهى !

حقيقة أن المواهب تختلف ، وأن الله ينعم على هذا بالعبقرية ويجمل ذلك فى مستوى العامة

ولكن حتى العبقرية تموت إذا لم يتعهدها العمل المنظم . ورحم الله شوقى حين قال : « السيف يزدهى بالصقال ! »

فقد كان جيته لا يخجل من ترتيب عمله

وكانت ساعات عمله منظمة ، وهو العبقرى المشهور

وكان لا يخجل أن يطرد عنه الزائر البغيض

وكان يقول للذى يشغله فى جرأة : أرجوك أن تنصرف ، فإنى مشغول

وفى الأمثال : أثقل الثقلاء من شغل مشغولاً !

ولكننا نتورط ، ونجامل ، وبذلك نضيع وقتنا

ومن أسرار السعادة أن نتبع الأفضل ، ولا نتبع سبيل المجاملة . وقد قال المرحوم أحمد عبد الوهاب باشا : إن من أسرار النجاح أن تقول « لا » حين يجب أن تقولها

إن هذا التورط ضرب من الفوضى، ضرب من قلة الضوابط التى يتبعثر بوساطتها الزمن وتتمزق الجهود

وقد قال أحد عظمائنا : إن آفة الشباب عندنا أنهم يحاملون وسطاً فيه « فرامل » لا يستعملها أهلها !

قال إديسون: إن العبقرية ٩٩ ٪ عَرَق !

يعنى أن العبقرية لا تعنى الكسل ، بل الجهد الدائم ، والحيوية المتدفقة

ولقد يخيل للذى يرى أثر العبقرية فى الفنون ، أن القصيدة أو الرسم ، الذى قد يقوم به العبقرى فى ساعة أو بعضها من نتاج العبقرية وحدها. وهو واهم فإن خطاً واحداً يرسمه مصور هو جهد سنين ، وبيت شاعر قد يلوح بسيطاً ، ولكن هاته البساطة خلاصة عهود وأزمان من النصب والتعب

ويشترط فى العمل أن تتخلله الراحة، ولا يهزأنّ أحد بذلك، ولا يتخيلنّ أحدٌ أن الإنسان فى راحته تنقطع الصلة بينه وبين عمله ... كلا . فالعقل الباطن يشتغل دائماً ، والإنسان فى الراحة يستجم

* * *

هذه أسرار الحياة وفنها الرفيع

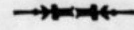
فلعلى أكون قد أصبت الحقيقة ، والسلام عليكم ورحمة الله

ابراهيم ناجى

في الاجتماع اللغوي

نشأة اللغـــة الانسانية

للدكتور على عبد الواحد وافى



استأثرت هذه المشكلة بقسط غير يسير من نشاط الباحثين في مختلف العصور ، وذهب العلماء بصددها مذاهب شتى يرجع أهمها إلى أربع نظريات :

(النظرية الأولى) تقرر أن الفضل في نشأة اللغة الإنسانية يرجع إلى إلهام إلهى هبط على الإنسان فعلمه النطق وأسماء الأشياء . وقد ذهب إلى هذا الرأى في العصور القديمة الفيلسوف اليونانى هيراكليت Héraclite [١] ، وفي العصور الوسطى بعض الباحثين في فقه اللغة العربية ، كابن فارس في كتابه الصاحبى [٢] . وفي العصور الحديثة طائفة من العلماء على رأسها الأب لامى Lami في كتابه فن الكلام L'Art de parler [٣] . والفيلسوف الفرنسى دو بونالد De Bonald في كتابه التشريع القديم Législation primitive [٤]

ولا يكاد أصحاب هذه النظرية يقدمون بين يدى مذهبهم دليلاً يعتد به . أما أدلتهم النقلية ، فبعضها يحتمل التأويل ، وبعضها يكاد يكون دليلاً عليهم لا لهم . فالمؤيدون لهذا الرأى من باحثى العرب يعتمدون على قوله تعالى « وعلم آدم الأسماء كلها » وهذا النص ، كما ترى ، ليس صريحاً فيما يدعون ، إذ يحتمل أن يكون معناه — كما ذكر ذلك ابن جنى في كتابه الخصائص وذهب إليه كثير من أئمة المفسرين — أن الله تعالى أقدر الإنسان على وضع الألفاظ . أما القائلون بهـذه النظرية من الفرنجة ، فيعتمدون على ما ورد بهذا الصدد في سفر التكوين إذ يقول :

« والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول وجميع طيور السماء ، ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها ، وليحمل كل منها الاسم الذى يضعه له الإنسان ، فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول [١] »

وهذا النص كما ترى لا يدل على شيء مما يقول به أصحاب هذه النظرية ؛ بل يكاد يكون دليلاً عليهم . ومهما يكن من شيء ، فلا صلة للدليل النقلى بمقام البحث العلمى

(النظرية الثانية) تقرر أن اللغة ابتدعت واستحدثت بالتواضع والاتفاق وارتجال ألفاظها ارتجالاً . وقد ذهب إلى هذا الرأى في العصور القديمة ديموكريت Démocrite (من فلاسفة اليونان في القرن الخامس ق م) ، وفي العصور الوسطى كثير من الباحثين في فقه اللغة العربية ، وفي العصور الحديثة الفلاسفة الإنجليز آدم سميث وريد ودجلد ستيوارت Adam Smith, Reid, Dugald Stewart

وليس لهذه النظرية أى سند عقلى أو نقلى أو تاريخى . بل إن ما تقرره يتعارض مع النواميس العامة التى تسير عليها النظم الاجتماعية . فعهدنا بهذه النظم أنها لا ترتجل ارتجالاً ولا تخلق خلقاً ، بل تتكون بالتدريج من تلقاء نفسها . هذا إلى أن التواضع على التسمية يتوقف في كثير من مظاهره على لغة صوتية يتفاهم بها المتواضعون [٢] . فما يجعله أصحاب هذه النظرية منشأ للغة يتوقف هو نفسه على وجودها من قبل [٣]

فلسنا هنا بصدد نظرية جديرة بالمناقشة ، بل بصدد تخمين خيالى وفرض عقيم يحمل في طيه آية بطلانه . وقد ذهب المتعصبون له في تصوير منشأ اللغة مذاهب ساذجة غريبة تدل أبلغ دلالة على مبلغ انحرافه عن جادة الصواب ونطاق المعقول . وإليك نبذة مما يقوله بعضهم بهذا الصدد : « إن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة . وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء فيضعوا لكل منها سمة ولفظاً يدل عليه ويغنى عن إحضاره أمام البصر . وطريقـة ذلك أن يقبلوا مثلاً

(١) فيلسوف إغريقى من المدرسة اليونانية ولد بإيفيزيا سنة ٤٨٠ ق م ونسبة هذا الرأى له ليست يقينية .

(٢) أنظر الصاحبى صفحات ٥ — ٧ وقد مال إلى هذا الرأى كذلك ابن جنى في كتابه الخصائص (أنظر ص ٤٥) وإن كان قد رد في أول الفصل على ما يعتمد عليه القائلون به ذاهباً إلى أنه لا ينهض دليلا لهم .

(٣) هو دوم فرنسوا لامى Don François Lami ولد سنة ١٦٣٦ وتوفى سـنة ١٧١١ وقد قام بتدريس الفلسفة في كثير من المعاهد الدينية بفرنسا . وإليه يرجع الفضل في نشر آراء الفيلسوف ديكارت بهذه المعاهد

(٤) ولد سنة ١٧٥٤ وتوفى سنة ١٨٤٠ وله مؤلفات كثيرة في السياسة والفلسفة .

(١) أنظر الآيتين ١٩ و ٢٠ من الجزء الثانى بسفر التكوين

(٢) سيأتى توضيح هذا في النظرية الثالثة

(٣) انظر في الرد على هذه النظرية :
Renan : L'Origine du Langage. P. 76 et suiv.

على شخص ويومئوا إليه قائلين : إنسان ، إنسان ، إنسان ! فتصبح هذه الكلمة اسماً له . وإن أرادوا سمة عينه أو يده أو رأسه أو قدمه ، أشاروا إلى العضو وقالوا : يد ، عين ، رأس ، قدم ... ويسيرون على هذه الوتيرة فى أسماء بقية الأشياء ، وفى الأفعال والحروف وفى المعانى الكلية والأمور المعنوية نفسها[1] . وبذلك تنشأ اللغة العربية مثلاً . ثم يخطر بعد ذلك لجماعة منهم أن يضموا كلمة « مَرْد » بدل إنسان ، وكلمة « سَرْ » بدل رأس ... وهكذا ، فتنشأ اللغة الفارسية ... »[2]

(النظرية الثالثة) تقرر أن الفضل فى نشأة اللغة يرجع إلى غريزة خاصة زود بها فى الأصل جميع أفراد النوع الإنسانى ؛ وأن هذه الغريزة كانت تحمل كل فرد على التعبير عن كل مدرك حسى أو معنوى بكلمة خاصة به ، كما أن غريزة « التعبير الطبيعى عن الانفعالات »[3] تحمل الإنسان على القيام بحركات وأصوات خاصة (انقباض الأسارير وانبساطها، وقوف شعر الرأس، الضحك، البكاء...الخ) كلما قامت به حالة انفعالية معينة (الغضب ، الخوف الحزن ، السرور...الخ) ؛ وأنها كانت متحدة عند جميع الأفراد فى طبيعتها ووظائفها وما يصدر عنها ؛ وأنه بفضل ذلك اتحدت المفردات وتشابهت طرق التعبير عند الجماعات الإنسانية الأولى فاستطاع الأفراد التفاهم فيما بينهم ؛ وأنه بعد نشأة اللغة الإنسانية الأولى لم يستخدم الإنسان هذه الغريزة ؛ فأخذت تنقرض شيئاً فشيئاً حتى تلاشت كما انقرض لهذا السبب كثير من الغرائز الإنسانية القديمة . ومن أشهر من ذهب هـذا المذهب العلامة الألمانى مكس مولر Max Müller والعلامة الفرنسى رينان Renan

وقد اعتمد مكس مولر فى تأييد هذه النظرية على أدلة مستمدة من البحث فى أصول الكلمات فى اللغات الهندية الأوربية . فقد ظهر له أن مفردات هذه اللغات ترجع إلى خمسمائة أصل مشترك ؛ وأن هذه الأصول تمثل اللغة الأولى التى انشعبت منها هذه الفصيلة، فهى لذلك تمثل اللغة الإنسانية فى أقدم عهودها . وتبين له من تحليل هذه الأصول أنها تدل على معان كلية ؛ وأنه لا تشابه مطلقاً بين أصواتها ، وما تدل عليه من فعل أو حالة .

فنى دلالتها على معان كلية برهان قاطع على أن اللغة الإنسانية الأولى لم تكن نتيجة تواضع واتفاق ، كما يذهب إلى ذلك أصحاب النظرية الثانية السابق ذكرها ، لأن التواضع فضلاً عن تعارضه مع طبيعة النظم الاجتماعية كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ، يتوقف هو نفسه على وسيلة يتفاهم بها المتواضعون . وهذه الوسيلة لا يعقل أن تكون اللغة الصوتية ، لأن المفروض أن المتواضع عليه هو أول ما نطق به الإنسان من هذه اللغة ؛ ولا يعقل كذلك أن تكون لغة الإشارة ، لأننا بصدد ألفاظ تدل على معان كلية أى على أمور معنوية يتعذر استخدام الإشارة الحسية فيها

وفى عدم وجود تشابه بين أصواتها وما تدل عليه برهان قاطع على أن اللغة الإنسانية لم تنشأ من محاكاة الإنسان لأصواته الطبيعية (أصوات التعبير الطبيعى عن الانفعالات) وأصوات الحيوانات والأشياء كما يذهب إلى ذلك أصحاب النظرية الرابعة التى سنتكلم عنها قريباً

وإذا بطل أن اللغة الإنسانية كانت نتيجة تواضع واتفاق ؛ وبطل كذلك أنها نشأت عن محاكاة الإنسان لأصواته الطبيعية وأصوات الحيوانات والأشياء ، لم يبق إذن تفسير معقول لهذه الظاهرة غير التفسير السابق ذكره : وهو أن الفضل فى نشأة اللغة يرجع إلى غريزة زود بها الإنسان فى الأصل للتعبير عن مدركاته بأصوات مركبة ذات مقاطع ، كما زود باستعداد فطرى للتعبير عن انفعالاته بحركات جسمية وأصوات بسيطة[1]

وهذه النظرية على ما فيها من دقة وطرافة وعمق فى البحث ، فاسدة من عدة وجوه :

١ — فهى لا تحل شيئاً من المشكلة التى نحن بصددها ، بل تكتفى بأن تضع مكانها مشكلة أخرى أكثر منها غموضاً ، وهى مشكلة « الغريزة الكلامية »

٢ — هذا إلى أن ما تقرره يعتبر — من بعض الوجوه — من قبيل تفسير الشىء بنفسه . فكل ما تقوله يمكن تلخيصه فى العبارة الآتية : « إن الإنسان قد لفظ أصواتاً مركبة ذات مقاطع ودلالات مقصودة لأنه كانت لديه قدرة على لفظ هذا النوع من الأصوات » وهذا ، كما لا يخفى ، مجرد تقرير للمشكلة نفسها فى صيغة أخرى

٣ — على أن قدرة الإنسان الفطرية أو المكتسبة على لفظ

---

(١) لم يبين القائلون بهذه النظرية كيف أمكن التواضع على الكلمات الدالة على الأفعال والحروف والمعانى الكلية ، مع أن هذه الأمور ليس لها فى الخارج مدلول حسى يشير إليه المتواضعون

(٢) نقلا عن ابن جنى بتصرف : الخصائص صفحتى ٤٢ و ٤٣

(٣) أنظر فى شرح هذا التعبير كلمى بعدد ٣٥٣

(١) أنظر الدرس التاسع من كتاب علم اللغة لمكس مولر

هذا النوع من الأصوات ليست موضوع البحث ، وإنما الذى يهمنا هو الوقوف على أول مظهر لاستغلال هذه القدرة والانتفاع بها فى تكوين الكلام الإنسانى ؛ أى البحث عن الأسلوب الذى سار عليه الإنسان فى مبدأ الأمر فى وضع أصوات معينة لمسميات خاصة ، والكشف عن العوامل التى وجهته إلى هذا الأسلوب دون غيره

٤ — وأكبر خطأ وقعت فيه هذه النظرية هو ذهابها إلى أن الأصول الخمسمائة السابق ذكرها تمثل اللغة الإنسانية الأولى . فهذه الأصول ، كما تقدم ، تدل على معان كلية . ومن الواضح أن إدراك المعانى الكلية يتوقف على درجة عقلية راقية لا يتصور وجود مثلها فى فاتحة النشأة الإنسانية . وها هى ذى الأمم الأولية التى تمد أصدق ممثل للإنسانية الأولى تؤيد ما نقول . فقد أجمع علماء الأنتوجرافيا الذين قاموا بدراسة هذه الأمم بأمريكا واستراليا وأفريقيا وغيرها على ضعف عقليتهم بهذا الصدد وعجزها عن إدراك المعانى الكلية فى كثير من مظاهرها . وقد كان لهذه العقلية صدى كبير فى لغاتهم ؛ فلا نكاد نجد فى كثير منها لفظاً يدل على معنى كلى . ففى لغة الهنود الحمر مثلاً يوجد لفظ للدلالة على شجرة البلوط الحمراء ، وآخر للدلالة على شجرة البلوط السوداء ، وهكذا ؛ ولكن لا يوجد أى لفظ للدلالة على شجرة البلوط ؛ ومن باب أولى لا يوجد أى لفظ للدلالة على الشجرة على العموم[١] . وفى لغة الهورونيين Hurons (من السكان الأصليين لأمريكا الشمالية) يوجد لكل حالة من حالات الفعل المتعدى لفظ خاص بها ؛ ولكن لا يوجد للفعل نفسه لفظ يدل عليه . فيوجد لفظ للتعبير عن الأكل فى حالة تعلقه بالخبز ، ولفظ آخر للتعبير عنه فى حالة تعلقه باللحم ، وثالث فى حالة تعلقه بالزبد ، ورابع فى حالة تعلقه بالموز . . وهكذا ؛ ولكن لا يوجد فعل ولا مصدر للدلالة على الأكل على العموم أو الأكل فى زمن ما . ولغة السكان الأصليين بجزيرة تسمانيا Tasmanie (بقرب استراليا) لا يوجد من بين مفرداتها لفظ يدل على الصفة ؛ فإذا أرادوا وصف شىء لجئوا إلى تشبيهه بآخر مشتمل على الصفة المقصودة ؛ فيقولون مثلاً فلان كشجرة كذا ، إذا أرادوا وصفه بالطول[٢]

ولذلك يرى المحدثون من علماء اللغة ، ومن علماء الاجتماع اللغوى أن الأصول الخمسمائة السابق ذكرها لا تمثل فى شىء اللغة الإنسانية الأولى كما يذهب إلى ذلك مكس مولر ؛ بل إنها بقايا لغة حديثة قطعت شوطاً كبيراً فى سبيل الرقى والكمال ، ولم تصل إليها الأمم الإنسانية إلا بعد أن ارتقت عقليتها ونهض تفكيرها . ويذهب بعضهم إلى أبعد من هذا فيقرر أنها مجرد أصول نظرية ، وأنها لم تكن يوماً ما موضوع لغة إنسانية[١]

(النظرية الرابعة) تقرر أن اللغة الإنسانية نشأت من الأصوات الطبيعية (أصوات التعبير الطبيعى عن الانفعالات ، أصوات الحيوانات ، أصوات مظاهر الطبيعة ، الأصوات التى تحدثها الأفعال الإنسانية وغيرها ... الخ) وسارت فى سبيل الرقى شيئاً فشيئاً تبعاً لارتقاء العقلية الإنسانية وتقدم الحضارة واتساع نطاق الحياة الاجتماعية وتعدد حاجات الإنسان ... وما إلى ذلك . وقد ذهب إلى هذا الرأى معظم المحدثين من علماء اللغة وعلى رأسهم العلامة وتنى Whitney[٢] . وذهب إلى مثله من قبل هؤلاء كثير من فلاسفة العصور القديمة ومن مؤلفى العرب بالعصور الوسطى . فقد تحدث عنه ابن جنى (المتوفى سنة ٣٩٢ أى من نحو ألف سنة) بكتابه الخصائص فى أسلوب يدل على قدمه وكثرة القائلين به من قبله[٣]

فبحسب هذه النظرية يكون الإنسان قد افتتح هذه السبيل بمحاكاة أصواته الطبيعية التى تعبر عن الانفعالات كأصوات الفرح والحزن والرعب ... وما إليها ، ومحاكاة أصوات الحيوان ومظاهر الطبيعة والأشياء كدوى الريح وحنين الرعد وخرير الماء وحفيف الشجر وجعجعة الرحى وقعقعة الشنان وصرير الباب وصوت القطع والضرب ... وهلم جرا . وكان يقصد من هذه المحاكاة التعبير عن الشىء الذى يصدر عنه الصوت المحاكى أو عما يلازمه أو يصاحبه من حالات وشئون ، واستخدم فى هذه المحاكاة ما زود به من قدرة على لفظ أصوات مركبة ذات مقاطع ؛ فكان يحاكى هذه الأصوات المبهمة بوضعها فى أصوات مقطعية قريبة منها (قه قه مثلاً للتعبير عن صوت الضحك) . وكانت

(١) أنظر : Ribot : Evolution des Idées Générales, P. 110.
(٢) أنظر : Ribot : op. cit. 173, 174.

(١) هذا هو رأى الأستاذين سيس وبريل Sayce, Bréal أنظر فى ذلك Ribot, of. cit. 81,82
(٢) من أشهر المحدثين من علماء اللغة الانجليزية وله فى هذا العلم مؤلفات كثيرة منها «حياة اللغة» (ظهر سنة ١٨٧٥) و«اللغة ودراستها» (ظهر سنة ١٨٦٧)
(٣) أنظر الخصائص صفحتى ٤٤ ، ٤٥ : «وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعة كدوى الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبى ، ثم تولدت اللغات عن ذلك فيما بعد . وهذا عندى وجه صالح ومذهب متقبل » .

لغته فى مبدأ أمرها محدودة الألفاظ ، قليلة التنوع ، قريبة الشبه بالأصوات الطبيعية التى أخذت عنها ، قاصرة عن الدلالة على المقصود . فكان لا بد لها من مساعد يصحبها فيوضح مدلولاتها ويعين على إدراك ما ترمى إليه . وقد وجد الإنسان خير مساعد لها فى الإشارات اليدوية والحركات الجسمية، وهذا المساعد الإرادى قد نشأ هو نفسه عن الحركات الفطرية التى تصحب الانفعالات ؛ فكان فى مبدأ أمره مجرد محاكاة إرادية لهذه الحركات ؛ ثم توسع الإنسان فى استخدامه فحاكى به أشكال الأشياء وحجومها وصفاتها ... وما إلى ذلك ، فازدادت أهميته فى الحديث ، وسد فراغاً كبيراً فى اللغة الصوتية . ثم أخذت هذه اللغة يتسع نطاقها تبعاً لارتقاء التفكير ، واتساع حاجات الإنسان ومظاهر حضارته . وتستغنى شيئاً فشيئاً عن مساعدة الإشارات ، وتبعد عن أصولها الأولى تحت تأثير عوامل كثيرة كالتطورات الطبيعية التى تعتور الصوت ، وأعضاء النطق الإنسانى وكعلاقات المجاورة والمشابهة التى تعتور الدلالات ... وما إلى ذلك

وهذه النظرية هى أدنى نظريات هذا البحث إلى الصحة وأقربها إلى المعقول ، وأكثرها اتفاقاً مع طبيعة الأمور وسنن النشوء ، والارتقاء الخاضعة لها الكائنات وظواهر الطبيعة والنظم الاجتماعية

ولم يقم أى دليل قاطع على خطأ هذه النظرية ، ولكن لم يقم كذلك أى دليل قاطع على صحتها ، وكل ما يذكر لتأييدها لا يقطع بصحتها وإنما يقرب تصورها ويرجح الأخذ بها

ومن أهم أدلتها أن المراحل التى تقررها بصدد اللغة الإنسانية تتفق فى كثير من وجوهها مع مراحل الارتقاء اللغوى عند الطفل ، فقد ثبت أن الطفل فى المرحلة السابقة لمرحلة الكلام ، يلجأ فى تعبيره الإرادى إلى محاكاة الأصوات الطبيعية (أصوات التعبير الطبيعى عن الانفعالات ، أصوات الحيوان ، أصوات مظاهر الطبيعة ، أصوات الأفعال . . . الخ) فيحاكى الصوت قاصداً التعبير عن مصدره أو عن أمر يتصل به ؛ وثبت كذلك أنه فى هذه المرحلة وفى مبدأ مرحلة الكلام يعتمد اعتماداً كبيراً فى توضيح تعبيره الصوتى على الإشارات اليدوية والجسمية . ومن المقرر أن المراحل التى يجتازها الطفل فى مظهر ما من مظاهر حياته تمثل المراحل التى اجتازها النوع الإنسانى فى هذا المظهر[1]

(١) يطلق على هذه النظرية اسم « نظرية التلخيص العام » وقد تكلمنا عنها بتفصيل فى كتابنا « فى التربية » صفحة ١٥ وتوابعها

ومن أدلتها كذلك أن ما تقرره بصدد خصائص اللغة الإنسانية فى مراحلها الأولى يتفق مع ما نعرفه عن خصائص اللغات فى الأمم الأولية . ففى هذه اللغات تكثر المفردات التى تشبه أصواتها أصوات ما تدل عليه، ولنقص هذه اللغات وسذاجتها وإبهامها وعدم كفايتها للتعبير لا يجد المتكلمون بها مناصاً من الاستعانة بالإشارات اليدوية والجسمية فى أثناء حديثهم لتكملة ما يفتقر إليه من عناصر وما يعوزه من دلالة[1]

ومن المقرر أن هذه الأمم ، لبعدها عن تيارات الحضارة وبقائها بمعزل عن أسباب النهضات الاجتماعية تمثل إلى حد كبير حالة الإنسانية فى عهودها الأولى .

علي عبد الواحد وافى

ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السربون

(١) انظر ما كتبناه فى هذا الصدد بعدد ٣٥٣

منقذ الآف الأحياء

إن نحواً من العشرين ألف شخص ينقذون الآن وكل سنة فى إيطاليا بفضل انجلو تشالى الاختصاصى الشهير الملاريا .

فبعد الاكتشاف الذى توصل إليه روس حوالى سنة ١٩٠٠ فى الهند الانجليزية وكراسى فى إيطاليا هذا الاكتشاف الذى سمح بمعرفة الدور الذى تقوم به طفيلية الملاريا فان كراسى هو أول من توصل إلى استنتاجات عملية . فالملاريا كانت تسبب فى بلاده ٢٠٠٠٠٠ وفاة كل سنة وكان عدد الاصابات بالمرض يفوق بكثير فان كراسى كرس حياته ساعيا لتغيير هذه الحالة فظن أولا أنه يستطيع أن يتوصل إلى نتائج جيدة بالتجائه إلى وسائل ميكانيكية بحتة مثل حواجز مشبكة وناموسية وتجفيف لكنه ما لبث أن عرف أن هذا غير كاف وتوصل حينئذ إلى استعمال الكينا كدواء واق فكل الناس الساكنين فى منطقة عمت فيها الحميات والملاريا رأوا أنفسهم فى مناعة من عدوى هذا المرض بأخذ الكينا بانتظام .

إن تشالى الذى كان عضواً فى البرلمان هو الدافع إلى التشريع الايطالى الشهير بخصوص الملاريا وهو التشريع الذى يمكن أن يكون مثلا لعدد كبير من البلدان الأخرى فمنذ سنة ١٩٠٤ يلزم هذا القانون كبار الملاك والمديرين أن يوزعوا الكينا مجانا على سبيل الوقاية والشفاء فقبل الحرب الكبرى كان يوزع هكذا كل سنة فى إيطاليا ٥٣٠٠٠ كيلو جرام كينا .

ثم أعلنت الحرب سنة ١٩١٤ وكان أن مات تشالى بعد أن رأى الوفيات بالملاريا ينقص من ٩٠ بالمائة بفضل تدابيره .

فالأسلوب الذى أشار به تشالى لمحاربة الملاريا باستعمال الكينا قد استعملته لجنة للملاريا بجمعية الأمم وأوصت بأخذ ٤٠٠ ملليجرام يوميا من الكينا على سبيل الوقاية طول مدة موسم الحميات حيث يخاف الناس من العدوى . وإذا أصيب الانسان بالمرض فيجب أخذ جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من الكينا كل يوم مدة خمسة أو سبعة أيام ولا لزوم فى هذه الحالة للمعالجة التكميلية فلجنة الملاريا تهتف على الأخص استعمال الكينا بأن هذا العلاج لا ضرر منه حتى بين أيدي من يجهلون استعماله .

نفسية الطبقات

للدكتور جواد علي

لاحظت خلال إقامتي الطويلة في برلين وهامبرك والمدن الألمانية الأخرى اختلافاً كبيراً بين مقاطعة ومقاطعة ، وبين طبقات مدينة واحدة أحياناً في اللغة والأخلاق والمعاملات والمثل العليا وشكل الوجه وتركيب الجسم . وقد زاد انتباهي هذا موضوع البحث العنصري الذي استولى على الجامعة والمدرسة والحانوت والحياة اليومية في ألمانيا المتلربة . فقلت : مادام الشعب الألماني شعباً جرمانياً واحداً من دم وعنصر واحد ، فلم هذا الاختلاف بين المقاطعات ؟ ولم هذا البون بين الطبقات في المدينة الواحدة ؟ صرت أسجل ملاحظاتي هذه وميزات كل طبقة وأخلاقها في كل مدينة أنزل بها وفي كل بيت أحل به . كذلك فعلت أثناء زياراتي للندن وبعض مدن انكلترة وباريس وليون واشتراتسبرك ومارسيليا وروما ، وأكثر مدن إيطاليا وجنيف وبرن ولوزان وبراغ وماريتباد وويسبادن وغيرها من مدن جيكوسلوفاكيا (المرحومة) ؛ وكذلك بولندة والنمسا ودول البحر الأبيض المتوسط

توصلت إلى نتيجة ، وهي أن قواعد التفكير العامة ، وطراز المعاملات متقاربة ومتشابهة بين الطبقات الواحدة في الممالك المختلفة أولاً ، وهي أيضاً تتشابه مع تركيب الجسم وشكل الوجه واللامح ثانياً . فالطبقة الرابعة من سكان المدن مثلاً ، وهي التي يطلق عليها في أوربا اسم Proletariat [1] تستعمل لها لغة خاصة عامية وتضع لها مصطلحات تصطلح عليها وتقضي معظم أوقاتها في المحلات المنخفضة في الأرض (كالسراديب والدهاليز) ، وتأوي بكل سرور إلى المحلات المظلمة ذات النور القليل والمحلات المؤثثة بأثاث خشن ابتدائي، يميل الشاب منهم إلى تجميل شعر رأسه وتجعيده، مع أن ملابسه ممزقة رثة لا يهتم بها ، يميل كذلك بصورة عامة

(١) الطبقة الأولى هي طبقة الموظفين وذوي الأعمال العقلية والطبقة الثانية هي طبقة الأشغال والأعمال العملية مثل التجار وأصحاب المهن والثالثة هي العمال

إلى الألوان (الغامقة) كالأحمر أو الأسود أو الأصفر. وتميل بصورة عامة إلى المخاطر إذ لا تفزع منها ، فإذا ركب أحدهم دراجة هوائية (بايسكل) أسرع بها كأنه في سباق . كذلك لا يبالون في حمل الأشياء الثقيلة من خطر صحي ، وهم يميلون بصورة عامة إلى رسم الأشكال المختلفة بالزرقة والحمرة على بشرتهم ، وإلى موسيقى غير موزونة مرتفعة مضطربة . ولا يبالون بإنفاق كل ما يحصلون عليه في مدة قليلة ، ولو أنهم حصلوا عليه بشق الأنفس ومخاطرات عظيمة ، فاللص ينفق المال الذي يسرقه بأقل من لمح البصر كما هو معروف وكذلك النشالون وقطاعو الطرق[1] .

كذلك للطبقة الثالثة وهي العمال آداب ومعاملات ومثل خاصة وفن وذوق تنفرد به مع ميل إلى التبذير والكرم . وأجسام هذه الطبقة بصورة عامة أقصر من أبناء الفلاحين أو سكان المدن من الطبقتين طبقة الأعمال العقلية وطبقة الأشغال العملية والتجار ولكنها أكثر إنتاجاً في النسل من طبقتي سكان المدن ، وأقل من الفلاحين كما أن شكل رأسها أصغر من الطبقات الثلاث ، ويميل إلى الاستدارة . وفي المدن الصناعية تميل إلى لحم الخنزير وإلى اللحوم الباردة لأن النساء لا تترك العامل لذلك فليس لها الوقت الكافي للطبخ[2] . أما الطبقة الثانية وخصوصاً أصحاب رؤوس الأموال والتجار ، فهي تتكلم مثلاً بصورة أسرع من الفلاحين أو العمال ، ولا يميلون إلى التفكير العميق المنطق ، وكذلك لها ذوق خاص تجاري في التأثيث وفي الفن والمعيشة[3] بينما الطبقة الأولى ذات أجسام طويلة وشكل الرأس كبير بالنسبة إلى الجسم فيها، والعظام فيها دقيقة والعضلات غير مفتولة بالنسبة إلى الفلاحين أو العمال، والوزن أثقل من العمال، وطفل الفقير في المدرسة يرى أصغر بعام تقريباً من طفل الغني الذي في عمره العمر[4] . وهذه الطبقة ـ وخصوصاً الغنية منها ـ غير مخصبة في إنتاج النسل ، وقد علل ذلك تعليلاً كثيراً لا يدخل في هذا

(١) انظر Niceforo Anthropologie der Nichtbesit Zenden Klassen ص ٤٢٦ كذلك كتاب العالم Lenny ص ٦٥

(٢) انظر (٦٤٧) Lomer Schädelmasse und Beruf 1907

(٣) انظر Graf Basler Einführung in die Rassen und Gesel-lschafts Physiologie 1925 ص ١٢٧

(٤) E. Rietz im Arch f. Antropologie Bdi 1904 وكذلك ص ٦٨ لسنة ١٨٩٤ O. Ammon Die natürl auslese beim meus-chen Bd 24

الموضوع . ونرى من إحصائية عن قابلية النسل فى السويد أن كثيراً من العائلات العريقة تضمحل وتفنى لانقطاع نسلها(١)

والفرق بارز كذلك جسميًّا وعقليًّا بين سكان المدن وأبناء الأرض من الفلاحين والزراع فقحف الرأس والملامح الجسمية وشكل العظم ، وكذلك طراز التفكير واللغة، تختلف مظاهرها عن مظاهر سكان المدن ، وقد دل الإحصاء على أن ٤١ فى المائة من سكان مدينة برلين كانوا لائقين للخدمة العسكرية بينما كان ٦١ فى المائة من سكان الأرض يصلحون فى نفس الوقت(٢) . فهذه النقاط تجعل المرء يسبح فى بحر من التعليل . وتدفع به إلى الاعتقاد بتأثير المهنة والمحيط على الإنسان عقليا وجسميًّا . وزاد فى اعتقادى ذلك ما وجدته بصورة عملية من تقارب بين موسيقى الأكراد سكان المنطقة الكردية العراقية ورقصهم واختيار ألوان ملابسهم وبين سكان منطقة بارن فى ألمانيا مثلاً مع ما بين الشعبين من الاختلاف . وهذا ما يدفع الإنسان إلى دراسة عقليات الطبقات المختلفة ، والبحث عن القواعد المشتركة التى تتميز كل طبقة بها عن الأخرى

علت الماركسية ذلك بتأثير الإنتاج على الجماعات ؛ فالعمل المادى الاقتصادى فى نظرها هو العامل الأول فى هذا الاختلاف وقد جاءت بأمثلة تحاول إثبات نظريتها هذه وجاءت بفلسفة مبنية على ذلك ، وعلى هذا الأساس تحاول إشعال نيران ثورة ليتخلص العمال وهم الأكثرية من نفوذ الأقلية المسيطرة ، ليبسطوا تفكيرهم وحضارتهم على الطبقة الصغيرة التى تعتبر رمز الحضارة العالية فى العصر الرأسمالى الحالى . وهى تأتى بأمثلة من حياة الفرنسيين فى القرنين السابع والثامن عشر ، وكيف كان البلاط ورجاله يعتبرون أثقف طبقة فى المملكة يحتذى بهم وتقلد حركاتهم لنفوذ البلاط ورجاله بينما كان الوضع بالعكس فى انكلترة لنفوذ « الكونتيه واللوردات » فيها . حيث كان كبار المزارعين هم ممثلو انكلترة فى عالم الثقافة والحضارة(٣) ويرون من جراء ذلك فكرة الوطنية فكرة ثانوية اصطناعية يمكن التعويض عنها بفكرة الوطنية المهنية والمصلحة المشتركة ويرون فى الكاثوليكية العالمية

(١) انظر كتاب Fahlbeck Der Adel Schwedens 1903

(٢) انظر Thurnwald in arch f. Rassen u. Gesell3chafs Bd 54, ص ٨٧٨

(٣) انظر مجلة Die Gesellcshalt 1928, 1928 ص ١٣٠

مثلاً نوعاً من الوطنية والاستقلال فلا يتفق عمال العالم ويكونون لهم وحدة واحدة على أساس دكتاتورية العمال وتقارب المصلحة والفكر ، يدعمون رأيهم ذلك بما يبديه الاشتراكيون على اختلاف حكوماتهم من تعاون تام واتفاق فى الطريقة والعمل والفكر وتقاربهم كلهم فى الفكر(١) وهذه تعارض النازية تماماً ، تلك النظرية التى تدعى بالعنصرية وتفوق الجنس الآرى على الأجناس الأخرى وتعارض كذلك حوادث التاريخ أيضاً . وقد قلنا إن هذه الطبقات تكيف لها لهجة خاصة تتكلم بها ، وهذا يعنى أن عقلية تلك الطبقة قد تغيرت عن عقلية الطبقة الثانية ، والذى يلاحظ بصورة عامة أن للصوص والسراق لغة خاصة واصطلاحات تتكلم بها، وكذلك يفعل النشالون ولهم طريقة خاصة فى إخراج الأصوات ، وسكان نابولى فى إيطاليا أو صيادو الأسماك فى انكلترة وألمانيا وغيرها من البلاد يخرجون الكلمات بصورة تختلف عن المزارعين أو التجار فهى بصورة عامة طويلة عريضة بينما نجد لغة التجار سريعة وقصيرة . هذه أشياء لوحظت وشوهدت بالتجربة(٢) ، ونطق الإنكليزى الذى ينزل فكه إلى تحت يختلف عن نطق الفرنسى الذى يمد فتحة فمه إلى الجانبين(٣) وذلك يعنى أن اللغة تتغير أيضاً مما لا مجال لبيان سببه فى هذا الموضوع . ولكن فى ذلك رداً بصورة عامة على من يقول إن اللغة تساوى العنصرية تماماً . نعم هى تمثل جزءاً من روحية الشخص ولكن ليست روحيته تماماً إذ لو كان ذلك لكان زنوج أمريكا الذين ينطقون اللغة الإنكليزية إنكليزاً بالعقل والتفكير ولأصبح مولدو أمريكا الجنوبية أسباناً بالنفس والخلق تماماً . وقد أجريت تجارب على أطفال أخذوا حين الولادة من أمهاتهم من زنوج ويابانيين لقنوا الألمانية فقط ونشئوا فى محيط ألمانى بحت فصاروا يتكلمون الألمانية وكأنهم ألمان أباً عن جد(٤) . وقد أوّل ذلك الذين يقولون بهذه الفكرة بأن فى البشرية قابلية للنطق مطلقاً وفى كل طفل فى نفس الوقت ميل إلى الشذوذ عن نطق الأجداد

(١) انظر نفس المحل وكذلك كتاب Der Ausgang des Kapitalismus 1928 ص ٥٣ وكذلك H. Freyer Die bewertung der wirtschaft im Philo. 1921

(٢) انظر كتاب العالم الألمانى المشهور Wilhelm Wund المعروف بـ Völkerpsychologie IBand 1900

(٣) انظر مجلة Die Gesellschaft 1924 ص ١٣٠

(٤) انظر Georg Schmidt - Roher. mutter sprache ص ٢٢٣ لسنة ١٩٣٣

٥ – فى أرجاء سينـــاء

للدكتور عبد الوهاب عزام

على ظهر هدبان

أزمع أكثر الرفاق أن يذهبوا يوم الخميس إلى جبل سنت كترين وهو أعلى جبال سيناء ترتفع قمته إلى ٨٥٣٦ قدم ، وفى قصص الرهبان أن القديسة كترينا حينما ماتت فى الأسكندرية سنة ٣٠٧ م حملت الملائكة جثتها إلى هذا الجبل ، وقد بقى منها جمجمة وذراع يحفظان فى الدير إلى اليوم

وآثر بعضهم أن يعكف على مطالعة الكتب فى مكتبة الدير ، وأما أنا فأزمعت أن أركب جملاً فأسير به فى وادى الشيخ إلى القبر الذى يسمى قبر النبي صالح . قيل لى كيف تطيب نفسك عن رؤية الجبل العظيم أعلى جبال سيناء ؟ قلت إن برجلى عقابيل من جبل موسى فلست أقوى على الصعود اليوم ؟ قيل ولكن قمة سنت كترين تشرف بك على جبال بلاد العرب . قلت قد رأيتها عن كثب قيل : وتريك الخليجين معاً : خليج السويس وخليج العقبة قلت : لا أحتاج فى تصديقكم إلى أن أرى بنفسى . قيل : إنه مشهد يتمناه كثير من الناس. قلت : ما كل ما يتمنى المرء يدركه

سار الرفاق إلى الجبل وخرجت فإذا جملان مرحولان فركبت أحدهما وركب محمد أفندى حشيش الطالب بكلية الآداب الثانى ، وسرنا مغتبطين بهذه الرحلة المتمة القريبة . فلما أفضى بنا الشعب الذى فيه الدير إلى وادى الشيخ أبصرنا الحاج سيد محرم الطالب بالكلية راجعاً من حيث توجه إخواننا إلى الجبل. قلت: ماخطبك؟ قال : تلبثت لأصور بعض المرائى فانقطعت عن الرفقة . قلت: خار الله لك سر معنا نتعاقب على الجمل . رحم الله حاتماً :

وما أنا بالساعى بفضل زمامها ... لتشرب ماء الحوض قبل الركائب

وما أنا بالطاوى حقيبة رحلها ... لأبعثها خِفًّا ، وأترك صاحبي

إذا كنت ربّاً للقلوص فلا تدع ... رفيقك يمشى خلفها غير راكب

أنخها فأردفه فإن حملتكما ... فذاك وإن كان العقاب فعاقب

قليلاً لا يشعر به يتعاظم بمرور السنين فيصبح لهجة خاصة ، وأن ذلك يطرأ ولو كان العنصر سليماً نقياً من كل امتزاج . وهم يدعون أن أوربا لو كانت مأهولة من جنس واحد ، وكانت معزولة عن كل عامل خارجى من زمن الأهرام حتى الآن لظهر عليها اختلاف اللهجات رغماً من ذلك[1] على أننا نلاحظ أن يهود ألمانيا يتكلمون مع ذلك بلهجة محسوسة ، وكذلك فى البلاد الأخري، تميزها عن كيفية إخراج الكلمات لدى المواطنين ، ولكنهم يجيبون عن ذلك بأن اليهود يعيشون بصورة عامة فى محيط واحد متكتلين

وحاول Gunther زعيم العنصرية فى ألمانيا أن يبرهن على أن الجرمان لم يبتعدوا عن اللغة الجرمانية الأصلية ، وأنها هى لم تتغير . ولكن اختلاف اللهجات الألمانية ، وكذلك أشكال الجسم والعداوة الموجودة بين المقاطعات ، مثلاً بين سكان بروسيا وسكان بارن ، والاختلاف الكبير بين عادات سكان هامبرك وبرلين، يدل على أن بحث العنصرية لا يستطيع التغلب على المشاكل التى بحثنا عنها ، ويجد حلاً معقولاً لذلك علمياً .

والبشرية تتقدم، وبتقدمها تظهر أشكال وقوفرموس جديدة وهى غير متشابهة ، منها المنتج ومنها الخامل لعوامل مختلفة ، وللملامح وتركيب الجسم والمحيط والأكل والمهنة أثر فعّال فى تكييف الفرد ، وكل أمة فى الحقيقة عبارة عن بضع أمم مختلفة فى المصالح ، ولو أنها متحدة فى الدين أو اللغة مثلاً ، ولكل منها وجهة نظر خاصة ، وهدف يصطدم مع هدف غيرها ، وهذا مصدر الحزبية والنزاع ، وسقوط الدول فى نظرى ، والأمة التى تستطيع تقريب وجهات النظر بين هذه الطبقات تتمتع بوحدة ، والتى تترك هذه الطبقات تزيد فى قوة كيانها، تعرض نفسها إلى تمزق لا يلبث أن يظهر بصورة كتل مستقلة ذات تفكير مستقل ومظهر غريب خصوصاً فى المحيط الشرقى الذى لا تربط بين أجزائه طرق مواصلات جيدة ولا صلات تفكيرية قوية . لا زالت حاجة الأقاليم فى المملكة الواحدة بعضها إلى بعض غير شديدة . فكرة الحاجة إلى المجتمع والتعاون لم تتغلب على روح (أنا) فيه كما هو شأن كل أمة فى ابتداء تكونها .

ميراد على
خريج جامعة هامبرك بألمانيا

---

(١) نفس المصدر ص ٢٣١

سألت صاحب جملي : ما اسم الجمل ؟ قال هِدَّيان . وما اسمك ؟ قال : فرحان . وسألت الآخر فقال : اسمي جبلي واسم الجمل صبيح



بعض طلاب الجامعة وبعض صبية الأعراب فيهم سعد في أقصى اليسار

وكان سادسنا صبيًّا فطناً لقناً يسمى سعداً ، رآنا نتأهب للركوب عند الدير فتطوع لصحبتنا عسى أن يناله خير . مشى سعد وقد جعل يديه وراء ظهره تحت حزامه وأطبق أنامله بعضها على بعض ، واستقام على الطريق يوحي إليك بمشيته وحديثه اعتداده بنفسه . وهو صبي يكدح لرزقه ورزق أمه ، فهو يحمل من أعباء الحياة ويشعر بكفايته لما يحمل . والرجولة بين العرب تبتدئ في العقد الثاني من سني العمر ، لا تمتد الطفولة والصبى بينهم امتدادها في المدن حيث ترى الرجل صبيا وقد جاوز العشرين وطالباً إلى أن يجاوز الثلاثين ، وكهلاً متصابياً يُعدّ نفسه للزواج عند الأربعين . ومن أجل ذلك أمّر رسول الله صلوات الله عليه أسامة بن زيد على جيش وهو في السابعة عشرة . وفتح محمد بن القاسم الثقفي الهند وهو في هذه السن . قال بعض الشعراء :

إن المروءة والسماحة والندى لمحمد بن القاسم بن محمد
ساس الجيوش لخمس عشرة حجة يا قرب ذلك سؤدداً من مولد !

وقال آخر :

ساس الرجال لسبع عشرة حجة ولداته عن ذاك في أشغال

قلت لسعد : ماذا يسمى حزامك هذا ؟ قال : مريرة . قلت من قولهم أمرّ الحبل إذا أحكم فتله

وكنا سألنا ونحن في الدير عن دجاج لطعامنا وكلفنا سعداً أن يفتش عن بعض الدجاج . وقابلنا طائفة من البدويات يقصدن الدير ابتغاء رزقهن من الخبز ، ومال سعد إليهن فسلم عليهن وكلم إحداهن . وقال أحد الجمالين : هذه أم سعد . وسألت سعداً فجمجم ولم يجب ثم قال : عند امرأة دجاجة واحدة . قلت : ما عسى أن تغني دجاجتك الواحدة يا سعد ؟ وحسبت أن سعداً استحى أن يقول إن التي حادثها أمه وإن الدجاجة دجاجته وأحس شيئاً من الخجل أن يبيع لنا دجاجة ، وكذلك قال صاحب الجمل حينما سألته : لماذا لا يقول سعد إن المرأة أمه .

وعرف سعد من سؤالي عن ضروب النبات أني معنيٌّ بها فوجد له عملاً يبرّر مصاحبته إيانا ، ويجعل له يداً عندنا . فكان لا يمر بنبات إلا سماه وقلعه أو قطع فرعاً منه ، وناولني إياه فأضعه في الخرج



عند عين ماء بين صخور في سفح جبل بوادي الشيخ

ناولني شجرة من الشيح فسألته عن القيصوم وكنت رأيته بالبادية على مقربة من البصرة ، فأسرع بعد قليل إلى نبتة وقال : هذه قيصومة وناولني منها ، وهي تشبه الشيح ، وتمتاز عنه بلون زهرها ، ولا يدرك الفرق بينهما إلا النباتي أو البدوي المرن على تمييز ضروب النبات وإن تشابهت . ثم مررنا بنبات صغير لاطئ بالأرض له عصارة لزجة فقال : وهذه لبّيدة . ورأى شجرة من الشوك كبيرة فقال : هذه سلة وما أكثر السلة في سيناء ، ثم سمى من ضروب النبات التي مررنا عليها الوراقة ، وهي نبت قليل الشوك تأكله الإبل ، والكَبَاث وهو يشبه السلة إلا أنه أضعف شوكاً ، وكان هدّيان إذا مرّ بكباثة أبى إلا أن يميل إليها لينال منها . والكباث في معاجم اللغة ثمر الأراك ، وهو غير هذا : ومما رأينا النمان والحزماع ، وهو شجيرة تنبت كالعصا لها فروع قصيرة . وقد رأيت منها واحدة يابسة فأشرت إلى سعد فجرى إليها وحاول خلعها فاستعصت عليه فناديته أن اتركها ،

فأبى وما زال يقوم بها ويقعد حتى أتى بها . وأرانى سعد النعمان وأصابع العجوز والمرُورة والبركان والدُّهمىّ ، وكلها نبت ضعيف صغير . وكنت أمتحن سعداً فأسأله عن النبات الواحد مرة بعد أخرى فأعرف أنه ينطق عن معرفة . ومما رأينا الزعتر وهو نبات طيب الرائحة معروف فى مصر والشيران، قال سعد : وهو نبات الحير ، وهو نبات صغير له فروع وورق دقيق ورائحة طيبة ، والهنيدة والجعدة والشكاع الخ

وقصارى القول أنه ليس فى البرية نبتة صغيرة أو كبيرة إلا يعرفها الأعراب باسمها ووصفها وخصائصها

ولقينا فى وادى الشيخ أعرابيتين معهما قربتان صغيرتان ، فكلمهما جبلى وكان يعرفهما. وسألته أين الماء؟ فقال: هنا وأشار إلى سفح الجبل ، فنزلنا وصعدنا بين صخور عظام ، حتى بلغنا فجوة بين الصخورفيها ماء بارد، فجلست الأعرابيتان تملآن قربتيهما

والأعرابيات فى سيناء يلبسن ملابس ضافية ، حواشيها مطرزة ملونة ، وهى من نسج أيديهن ، ويلبسن براقع محلاة بقطع كثيرة من المعدن ، ويحلين صدورهن بخرز كثير ، فلا يبدو من المرأة إلا عيناها . وقد استأذنا المرأتين أن نصورهما ، فقالت إحداهما ضاحكة : بالفلوس ، قلنا : أجل .


بدويتان فى وادى الشيخ

ثم بلغنـــا الشيخ صالح بعد ساعتين : حجرة صغيرة مظلمة ، عليها قبة ساذجة ، وفيها قبر يقــول الأعراب إنه النبي صـالح ، وأكبر الظن أنه رجل من الصالحين اسمه صالح وللشيخ صالح موسم يأتى البدو إليه فيبيتون وينحرون ويذبحون ويلهون

وقد أمر الملك فؤاد رحمه الله بصنع كسوة لضريح النبي صالح وهى مودعة فى دير سنت كترينا كما ذكرت قبلاً

لم نلبث كثيراً عند الشيخ صالح فرجعنا أدراجنا ، وقد عرّج سعد إلى اليسار فغاب قليلاً ، ثم رجع وفى يده دجاجة . قلت : يا سعد ، أصررت على الإتيان بدجاجتك ؟ قال : ليست دجاجتى قلت : ولكنها واحدة ، ولا تغنى شيئاً . قال : ما وجدت غيرها قلت : فلم جئت بها ؟ ثم سار سعد والدجاجة ، حتى وقفنا وقفة فأفلتت منه . فقلت : لا يظفر بها . فما لبث أن جاء بها فوضعها فى كيس خلف ظهره ، فلم نسمع لها حسًّا ، حتى بلغنا الدير . قلت : يا سعد ، لم يجد الطباخ دجاجاً ، ونحن أكثر من عشرين فماذا نفعل بهذه الدجاجة ؟ فوجم ... قلت : ارجع بدجاجتك وخذ هذه القروش ، ففرح وزدناه بعض الخبز

خرجنا من الدير صباح يوم الجمعة فألفينا صبية بأيديهم أشياء يقدمونها إلينا ؛ ناولنى سعد نباتاً قائلاً : هـذه هنيدة . قلت : لم تردنى على الأمس شيئاً . وقدم إلىّ صالح عصاً من الورد البرى كثيرة الشوك فأخذتها ذكرى ، ثم زرعتها فى حديقتى بعد أيام فأورقت . وقدم الصبية الآخرون أقماعاً للسجاير من هذا الورد لا يحسن الإنسان إمساكها لكثرة شوكها

ثم أزّت السيارات فسارت والساعة ثمان ونصف فرجعنا أدراجنا فى الأودية التى ذكرتها آنفاً

ونزلنا فى دير فاران الذى وصفته من قبل ثم استأنفنا المسير فى وادى فاران . وبعد ساعة من دير فاران توقفنا قليلاً فأبصرت صبيا يرعى غنما فقصدت قصده وقلت: ما اسمك يا ولد؟ قال : اسمى ولد — وكأنه لم يعجبه هذا الخطاب — قلت: اسمك محمد؟ قال : ربيع . قلت : أتبيعنا خروفاً من غنمك ؟ قال : لا . ثم سألته عن ضروب العشب ، قلت : ما هذا ؟ وأشرت إلى نبات ضعيف يشبه البصل. قال: بَرْوَق، أقول: البروق معروف فى كتب اللغة والأدب والنبات . وتقول العرب هو أشكر من بروق لأن البروق يعيش بأدنى ندى يقع على الأرض. وقالوا: أضعف من بروقة. قال جرير:

كأن سيوف التيم عيدان بروْق ... إذا نضيت عنها لحرب جفونها

ثم سألت ربيعاً عن نبات آخر قال : هو الرمث . قلت : قد رأيت الرمث فى العراق وهو أكبر من هذا ، فهل يطول الرمث أكثر مما أرى ؟ قال : لا . قلت : إن رمثك هذا عجيب . وتذكرت قول أبى الطيب فى قصيدة ابن العميد يصف ناقته :

تركت دخان الرمث فى أوطانها ... طلباً لقوم يوقدون العنبرا

الأغنيــــاء ...

للأستاذ محمود محمد شاكر

كانت ليلة السبت السالفة من الأسبوع الماضي ، فوقع في دنياىَ أمرٌ مُفظعٌ مُفزِعٌ كنتُ معه كمن عَمِيَ دهراً من عمره ثم أبصر . فأخذتني الحيرة أخذاً شديداً ، وتضرَّبتْ نفسي كما يتضرَّبُ الماء في مِرجَله على معركةٍ من النار تشتعلُ من تحته وتتسعر ، وتقاذفتني الهموم كما يتقاذفُ تيارُ البحر الأعظم موجةً هائمة من موجِه ، وتنزَّى قلبي بين ضلوعي كما تتنزَّى الكرةُ مقذوفة من علٍ ، وهاجَ هَيجي واضطربَ أمري وتنوَّشَتني الأفكارُ الخائفة الحزينة المجرَّحة التي تدْمَى أبداً ، فلا تحسِمُ الدَّم ، وانقلبتُ بهمِّي أدورُ في نفسي دَوْرة المجنون في دنيا عقله الربيض المشعَّث . وهكذا قَضَيتُ ليلَ أيامي ، وليس لمثل هذه الأيامِ نهارٌ

ودعوتُ ربي جاهداً ، وكنتُ من قبل أدعوهُ ، إنه هو البرُّ الرحيم ... ، وكنتُ أرى الدنيا كلها وكأنما ارتدتْ لعينيَّ غِلالةً من سرابٍ تخفِقُ عليها وتميدُ وتتربّعُ ، وإذا الأرضُ غيرُ الأرضِ والناس غيرُ الناسِ ، وإذا كل شيء يجيءُ ويذهبُ ، ويبينُ ويخفى ... ، وفقدتْ الأشياء معانيها في نفسي ، فما أرى إلا بؤساً وخَصاصة وجوعاً وعُرْياً ، وإذا كلُّ شيءٍ بائسٌ فقيرٌ جائعٌ عارٍ لا يستره شيء ... اللهم إني فوضتُ أمري إليك وألجأتُ ظهري إليك ... ومضيتُ أنسابُ في أياميَ البائسة ، حتى إذا كان الليلُ في أوَّلِه مُذ أمس، أويتُ إلى بيت كتبي آخذُ كتاباً لا ألبثُ ألقيه كأنْ بيني وبينه عداوةٌ أو حقدٌ قديمٌ . فضِقتُ ثم ضقتُ وخَنقني خانقُ الضَّجر واليأسِ ، وغاظني ما غلبني على عقلي وإرادتي ، فأهويتُ بيدي إلى كتاب عزمتُ ألا أدعه ، وإذا هو : « إغاثة الأمة ، بكشف الغُمَّة ، للمقريزي » . وفتحته وانطلقتُ أقرأ ، فما أجوز منه حرفاً أولَ إلا وجدتُ الألفاظَ تتهاوى في نفسي وفي عقلي ، وكأنها تُقذفُ فيهما من حالقٍ ، حتى لوجدتُني أسمع لها فيهما صلصلةً ودويًّا وهدًّا شديداً شديداً ، كأن في نفسي وعقلي أبنية تنقضُّ وتتهدمُ في كفٍّ زلزلة

وإذا بحر يموجُ لعينيَّ أسمعُ هديرَه وزئيره وزمجرة أمواجِه في الريح العاتية ، وإذا هو أحمرُ كالدَّم يَفُورُ ويتوثّبُ ، وإذا صرخةٌ تحت زمجرة الأمواج ، وإذا هو هاتف يهتف بي : « قم إلى صلاتك ، فقد أظلك الفجر ! ! » . فانتبهت فزعاً وإذا أنا أقلب الصفحة التاسعة والعشرين من هذا الكتاب ، وإذا خطوط حمر قد ضربتها فوق هذه الأسطر : « ودخل فصل الربيع فهب هواء أعقبه وباء وفناء ، وعدم القوت حتى أكل الناس صغار بني آدم من الجوع ، فكان الأب يأكل ولده مشوياً ومطبوخاً ، والمرأة تأكل ولدها ... فكان يوجد بين ثياب الرجل والمرأة كتف صغير أو فخذه أو شيء من لحمه . ويدخل بعضهم إلى جاره فيجد القدر على النار فينتظرها حتى تتهيأ ، فإذا هي لحم طفل . وأكثر ما يوجد ذلك في أكابر البيوت[1] »

(١) كتاب « إغاثة الأمة بكشف الغمة » هو تاريخ المجاعات التي كانت بمصر ، وقد طبع بلجنة التأليف والترجمة والنشر منذ أسابيع . وهذا الذي نقلناه من تاريخ المجاعة التي كانت بمصر في الدولة الأيوبية سنة ٥٩٦ فقيل فيها : « سنة سبع افترست أسباب الحياة »

ثم سألت ربيعاً عن نبات تنبسط فروعه على الأرض فقال : سفيرا . فأعدت السؤال، فقال : سفيرا عزيزة. فعجبت أن تكون السفيرا عزيزة اسم نبت في الصحراء ، ثم سألت أعرابياً من بعد فقال نعم يسمى بهذا الاسم — ولم أعرف كيف سمي به — وبعد مسيرة نصف ساعة توقفنا للغداء ، عند جبل يسمى جبل الزمرد ولكنا لم نهتد إلى الزمرد فيه ، ويقال إن به حجارة زرقاء وإن الزمرد يكون في حجارته

وقد حدثت أعرابياً هناك ، وسألته عن نبات ضعيف له زهر بنفسجي فقال هو البَهَك ينبت بعد المطر

ثم سألته عن نبات له ثمر مستدير ذو شوك. فقال: السعدان قلت : أهذا هو السعدان الذي ملأ صيته كتب الأدب ، والذي ضرب المثل بجودته فقيل : مرعى ولا كالسعدان ، ويضرب المثل بشوكه : حسك السعدان ، ولكن السعدانة التي رأيتها كانت خضراء لم يمتد شوكها وييبس

وأبلغنا السير أبا زنيمة عشياً ، وأصبحنا إلى السويس فالقاهرة فألقت عصاها واستقرت بها النوى

كما قر عيناً بالإياب المسافر

عبد الوهاب عزام

أين يعيش أحدُنا وهو يقرأ ؟ هذه تسع ساعات يخيَّل إلىّ أنى قضيت ثمانى ساعات منها وأنا أقرأ هذه الأسطر القليلة أقلّبها لعينى فتتقلّب معانيها فى نفسى ، إذ كانت تنزع فى معناها إلى الآلام المتفجرة بدمى فى قلبى ، فلا يكون الحرفُ منها إلا أفكاراً تتّسع وتتراحب وتتداعى وتتوالد ويَنْسَخ بعضها بعضاً . ولو ذهبتُ أكتب ماقرأته فى نفسى من هذه الأسطر ، وماتحدثت به النفس من حديث أكَلَ ثمانى ساعات من أول الليل إلى مطلع الفجر ، لملأ ذلك ما يقع فى كتاب مفرد ، ولكن ...

لماذا لا تكون هذه القسوة المتوحشة إلا من أعمال القلوب المتحجرة فى بيوت الأغنياء والأكابر ؟ ولماذا يكون أقسى القسوة فى قلب المرأة الغنيـة ، فتكون هى أعظم استهانة بجريمة أكْل ولدِها الذى ولدته ؟ ولماذا يكون الفقير والفقيرة دائماً هما مثالُ الرحمة والحب والعطف والحنان ؟ أليس الناس جميعاً - غنيُّهم وفقيرُهم - سواء فى هذه الحياة ؟ بَلَى ، ولكن ...

ألاَ إن هذا المال نعمة من نعم الله التى استخلف الإنسان عليها فى الأرض ، وفى هذه الحياة الدنيا ؛ ألا وإن المالَ عِصامُ هذا الكون المثلىّ بأسراره العجيبة التى لا يُقضى من أعاجيبها عجب ، ألاَ وإنه للنِّظام الطبيعى الذى يجعل من قانونه سر الحياة الإنسانية التى لا تسمو إلا بالمنافسة والرغبة فيها والإصرار عليها ، ألا وإنه لأعجب شىء فى الحياة ، إذ يكون هو كل شىء ، ثم هو ليس بشىء على الحقيقة ، وإذ يكون فى وَهْم الفقير القلق سِرّ السعادة ؛ ثم يكون عند الغنى المسترخى فلا يعرف به ظاهر السعادة . ألا إنه العجب والفتنة ، إذ يكون سر الحياة الإنسانية الدنية على الأرض ، ومع ذلك فهو إذا مَلأَ الغَنىّ أفرغه من إنسانيته ، وإذا فرَّغَ الفقير منه امتلأ إنسانية ورحمة وحناناً ، ثم يكون بينهما أشياء فى هذا وفى ذاك تختلط وتضطرب ويرى بعضها فى بعض حتى يصبح كل شىء فساداً لا صلاح له

« أكثر ما يوجد ذلك فى أكابر البيوت ! » و « أكثر ما يفعل ذلك النساء ! » إنه ليس عجيباً ولكنه مؤلم ، إنه ليس بعيداً ولكنه مفزع ، إنه هو الحقيقة الدائرة مع معانى الثراء والغنى والترف والرفاهية ، ولكنها الحقيقة الضارية المتوحشة التى انطلقت من قيودها حين أزَمَتْها الحاجة والقحط والجوع ونداء المعدة التى تتلوّى أمعاؤها كما تتلوى الحية الجائعة على شهواتها المتجسدة فى فريستها . ليس هذا هو كل شىء ، وليس القحط وحده هو الذى يُغْرِىّ عبيد المال فيأكلون بنيهم وبناتهم أكل الوحش الطاغى بطغيان حيوانيته التى تريد البقاء لنفسها ، ثم لا تعرف غير نفسها ، ولا تعبد إلا نفسها . إن كل أزمة تطلق فى أعصاب الأغنياء - إلا من رحم ربك - وحشاً آكلا طاغياً مستأثراً لا يرى إلا نفسه ولا يريد البقاء إلا لنفسه . فإذا وقع القحط بين صديقين أحدهما غنى كان صديقه طعاماً تفترسه الصداقة الغنية ! وإذا وقع القحط بين حبيبين أحدهما ثرىٌّ مُترف تثاءب عنه يريد النوم لأنه شبع من حبه حتى تمَلأ ! وإذا وقع القحط بين أخوين أحدهما غنى ، كان حق الرحم عليه أن يشرب ما بقى من دم أخيه يستولغ فيه حتى يَروَى !

إن الترف والنعمة والكفاية ، وأحلام الغنى وكنوز الثراء ، إن هى إلا الماحقات الآكلات التى تمحق العواطف الإنسانية النبيلة حين لا ملجأ إلا إلى الخشونة والشدة والصبر وحقيقة الفقر. إن الفقراء هم أكثر الناس رغبة فى النسل على ضيق رزقهم ، والأغنياء أقل الناس إقبالاً عليه على ما يجدون من السعة . الفقراء أشد حزناً على من فقدوا من أبنائهم وأحبابهم ، ولكن أولئك لا يحزنون إلا ريث يشعرون الناس أنهم حزنوا ، ولئلا يقول الناس إنهم لم يحزنوا على أحبابهم ... الأغنياء ، الأغنياء ... نعم هم زينة الحياة الدنيا ، ولكن مع الزينة الخداع ، ومع الخداع الضعف ، ومع الضعف القسوة حين تجد ما يتلين لها أو يتساهل أو يستكين ... أو يثق

فمن صادق غنياً فليحذر ، ومن آخى ثرياً فليتحصن ، ومن عامله فليرهب ، فإذا بلغ المرأة الغنية فأحبها تخيلت له أنها أحبته فوثق بها فقد هلك ، وإنما هو ملهاة من ملاهى الترف إذا فقدت لذة اللهو به نبذته لما به

محمود محمد شاكر

يا ابنـــــة الشارع ...!

للأستاذ كامل محمود حبيب

على رِسلك ، يا ابنة الشارع ، وادفني حزازات صدرك إن أنا انطويتُ عنك ، فلقد لستُ في خواطرك أشياء جذبتني عنك

إن تاريخ قلبينا ابتدأ في الشارع ، وشبّ واشتد في الشارع ، وتوثقت بيننا أواصر الحب تحت شجرة وارفة في روضة أُنُف

ولجّ بنا الهوى فتساقينا أكؤسه على حيد الطريق تحت ستر الظلام في (الجزيرة) و (الزمالك) و ... حيث لا حس ولا حركة

وصحوتُ - يا من أحب - من غفوتي ، فإذا أنا إنسان تريدين أن تنشئ فيه روح الذئب . وأحسستُ مرارة تلك الخُلس تتفجر في قلبي ، فعزفتُ عنها

ثم أردتُ وأردتِ ، فانطلقت إلى أبيك أحدثه حديث زواجي منك فما تمهّل ، وإلى أمك فشاعت النشوة في مفاصلها ، وأنتِ تمهدين للطريق ؛ فسميت عليّ ...

غير أني انطويت عنك حين لست في خواطرك أشياء جذبتني عنك ، فلا تحقدي عليّ ، يا ابنة الشارع

ولما خرجت إلى الشارع — أول ما خرجت — أخذ زخرفه وازين وتلقاك في ابتسامة حلوة رقيقة ؛ لأنك كنت زهرته اليانعة النضيرة ، ونوره المتلألئ الوضاح

ورآك الشاب — أول ما رآك — فانبسطت أساريره ، وأفسح لك من رقته مكاناً سامياً

وتبارى الشارع والشاب ، كل منهما يحتفل بك فنوناً ، وفي رأيه أنها ساعة من زمان ، ثم ينقلب الطائر الغريد إلى وكره

ولكن شيطانيتك الثائرة أبت أن تلم من نفسها ، فاندفعت إلى شر غاية حين سَرّكِ أن تفترق الطرف وتسيطرى على القلب

واستثمر الشارع فيك عاره فراح يقذف بك من جانب إلى جانب في بغض وكراهية ، وعبث بك الشاب حين رأى فيك لهو نفسه وشغل فراغه ، على حين قد أغضيتِ أنتِ

وحاولتُ أن أردك عن غوايتك فأغلقت من دون حديثي مسمعيك ، فانطويت عنك ، فلا تحقدى على ، يا ابنة الشارع

* * *

وأومضت في عمايتك ، وأنا أريد صلاح أمرك ، وجئت تناقشين وتغالطين وفي حديثك الزور ، كأنه بعض هاتيك الأصباغ التي تموهين بها على الناس ، وانطلق لسانك يطمع في أن يدلل على أن المرأة هي نور الحياة وبهجتها وجمالها الساطع

وتبدت لي فلسفة المرأة الفجة في كلماتك الخاوية ، وفي عيني أن المرأة عذاب القلب والنفس والعقل والدار جميعاً ، لا يخلص الرجل من واحدة إلا ليرتدغ في واحدة

وسخرت من الدار ، فسخرت هي من انصداع شملك وتشعب غايتك ؛ وانفلتّ من حدود المرأة ، فانفرجت لك الحياة عن مأساة لا تنتهي ، وأصبحت أضحوكة الشارع ، لأنك تمثلين على مسرحه كل يوم مهزلة ؛ وتصنعت للرجل فألفيت فيه الصاحب ، وافتقدت فيه الزوج

ولمزت فتاة الدار فرقاً من أن تسمو عليك ، فذهبتُ أثير فيك نوازع مكفوفة علّي أستل جماع رأيك ، فقلت : « لاريب ففتاة الدار هي في رأينا مطية الدار ، وهي بنت السجن ، وهي عَيْر الحي و ... ثم كيف تجد الزوج ، وهي في غياهب البيت وظلام الحياة ؟ »

فقلت : وإذن ففتاة الشارع قد حطمت هذا القيد الذهبي لتبحث ... لتبحث عن الزوج ؛ وهي في بحثها تقارن وتختار اختياراً فاجراً ، وتعرض على عيني الرجل الغريب ، في سوق الزواج ، محاسنها القبيحة وقبحها الفتان . ولا عجب إن هي ضلت الطريق ففقدت الدار والزوج معاً !

وقلت : إن اختلاط المرأة بالرجل يعلمها حكمة لا ينطلى عليها خداع الشاب ولا مكره ولا حيلته ، وللشاب أساليب ملتوية يفتن بها الشيطانة . فقلت : يا سيدتي ، إن الجدار سد يحول بينك وبين خير الشاب وشره

وقلت : إن المرأة تجد — خارج الدار — حياتها وعملها وكسبها . فقلت : قد خلقت المرأة لتكون أماً ، وليس في الشارع أطفال سوى اللقطاء

وقلتِ وقلتُ ...

ثم أعيتني الحيلة فانطويت عنك لأنك ترفعت عن أن تكوني سيدة الدار ، وفي رأيي أنك هويت لتكوني ابنة الشارع

***

أتذكرين يوم أن جئت لك بقناع يدرأ عنك العين المتطفلة النهمة ؟ لقد كان صفيقاً هوناً ما ، يا عزيزتي ، فطرحته جانباً وأنت تقولين « لو كان رقيقاً ! » فاستبدلت به غيره ، غير أني رأيت الكراهية في ناظريك ، فجبوتك غيره ... ثم اشتريت أنت نقاباً يروق لك ، فجاء يسخر منك لأنه لا يواري إلا ما يواري الأبيض والأحمر من مقابحك

وهذا الجورب الذي أرغمتك على لبسه كان موضوع جدال يحتدم مرة ثم يخبو ، لأنك تعلمت في مدرستك التعنت في الرأي

لقد تلقنت في المدرسة علماً ألقى بك بين أحضان الشارع لأنه فتح أمامك باب الحرية ، وهو أيضاً قد قذف بالشاب ليتسكع في تيهاء من أمره لأنه سد أمامه باب العمل

وهذا اللباس القصير ، إنه يكشف عن شيء ، وإنه ليتألق فيجذب إليك البصر

أفرأيت — يا صاحبتي — الزهرة تزهو بلونها لتجذب إليها الحشرة فتمتص رحيقها ثم تطير وقد قضت منها وطراً ؟

لا ضير ، فلقد ضم علىّ الأمر وضلت فيك فلسفتي ؛ فانطلقت ألتمس راحة نفسي وهدوء خاطري

وخلفتك من ورائي ، في هذا الشارع ، تضطربين بين آذى الحياة المتلاطم

ويا عزيزتي ، هذه السيارة الجميلة التي أتأنق فيها ، إنها من وحي غطرستك ، فهل تجدين لذع فراقها ؟

وهذه الدار الصغيرة قد رتبتها يدك على نسق ونظام لتكون لك عشاً آمناً فهل وجدت فقدها ؟

***

وتلك الأيام الناعمة البهجة ، أيام الهوى الغض ، حين كنا نتلاقى عند الأصيل على شاطئ النيل ، نتجاذب أحاديث الغرام ونفتن في أساليب الحب ، وهذا الأمل الذي سطع في قلبك وقلبي ... ثم خبا ، أفتذكرين سطراً من هذا التاريخ ؟

كلا ، كلا ! فأنا قد رأيتك بالأمس تسيرين إلى جانب شاب يخدعك وتمكرين به فعرفت أنك أنت ابنة الشارع ، لا عهد لك ولا ذمة ، ولا غرو فلقد خرجت إلى الشارع تفتشين عن الزوج

فهذا عذري إليك حين انطويت عنك وفي رأيي أن حرية المرأة هي فجورها ، وأن خروجها من دارها هو فسقها فيا ابنة الشارع ، كوني من تشائين إلا أن تكوني زوجة لي .

(مشتهر) كامل محمود حبيب

من شجو الربيع

عطرٌ من الله . . . !

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

... وَلَمَّا وَصَلْتُ (الْقَصْرَ) كَبَّرَ خافِقٌ
بِجَنْبَيَّ أَوْهَى حِكْمَةَ الْجِنِّ جُرْحُهُ !
وَرُوِّعَ لَيْـلٌ لِلْهَوَى ماتَ فَجْرُهُ
وَفي وَاحَةِ النِّسْيانِ وُورِيَ صُبْحُهُ !
وَجُنَّ بِصَـدْرِي بُلْبُلٌ ذَابَ شَجْوُهُ
عَلَى فَمِـهِ ، وَارْتَدَّ لِلرُّوحِ نَوْحُهُ !
وَشَقَّتْ صَبَابِي هَالَةٌ لَيْتَ نُورَها
يُخَـلَّدُ في آفاقِ عُمْرِيَ لَمْحُهُ
وَكادَ يُزَاحُ السِّتْرُ لَوْلاَ قَدَاسَـةٌ
تَعالَى بِها عَنْ عالَمِ النَّاسِ جُنْحُهُ ! ...
فيا طائِرًا هَدَّتْ يَدُ الرِّيحِ عُشَّـهُ
وَنَقَّضَ أَحْـلاَمَ الالِيفَيْنِ دَوْحُهُ
عَذَابُ الْهَوَى عِطْرٌ مِنَ اللهِ نَافِحٌ
يُطَهِّرُ آثامَ الشَّقِيَّيْنِ نَفْحُهُ ...

(ديوان الملارف) محمود حسن اسماعيل

صفحة من كتاب

مع الغـــروب

الأستاذ شكرى فيصل

— ١ —

هذا منصرفى الآن من « المكتبة » . لقد قرأت الفصل الطويل الذى كتبه « الطبرى » عن « صفين » . وخرجت منه دامع الطرف ، حزين القلب ، تملو وجهى كآبة مرة . . . ولكن الدنيا المشرقة تريدنى أن أضحك ؛ فكل ما حولى جميل ناعم . . . إن صفحة السماء لتوحى إلىّ بكثير من المعانى ؛ وإنها لتبعث فى نفسى ألواناً من الحنان ؛ وإنى لأشعر بيد ناعمة طرية تدغدغ قلبى فيستكين لها وينبسط معها ؛ وتشيع فيه بوارق الأمل . . . كأنها كلمات السماء تُلقى إليه فى يأسه وخموله ، فيصحو وينتفض ويثب ويهفو مع النسمات البليلة ، ويتحسس هذا الجمال المبعثر هنا فى أفق السماء وجنبات الأرض

. . . لقد طرق سمعى صوت الساعة الضخمة القائمة فى حرم الجامعة ، كجرس الكنيسة ! . . . كأنها كانت تنمى هذا النهار المدبر إلى الناس الغافلين . . . فأنوار الشمس الساطعة تستحيل شيئاً فشيئاً إلى أنوار باهتة ليس لها ذاك الجبروت ولا تلك القوة ، والنسمات اللطاف تترنح فى هذا الجو ، والشجيرات القائمة على حفافى الشارع تبدأ رقصاتها الفاتنة ، وتنشيها الرائع ، والعشب النامى يتماوج بكل فتوته الناشئة كأنه يشارك الكون نغمته المتسقة البارعة

— ٢ —

. . . لشد ما ازدهتنى هذه الأمسية الحلوة . . . فانطلقت معها أطوف فى هذه « الضاحية الجامعية » وأنعم بالهدوء الذى يلفها برادئه الرفيق الرقيق فى مثل هذه الساعة المتأخرة من النهار حين يفارقها ضجيج المحاضرات وجلبة الطلبة ورنين الأجراس ، فلا تحس فيها تلك الحركة ، ولا تجد لها ذاك الاضطراب . . . وإنما يغمرك إحساس رفيع من قدسية العلم ، وسمو المعرفة ، وجلال الطلب

. . . لقد أخذت أذرع هذا الشارع الجميل الذى تنسحب على جانبيه الحدائق ، وتنبت فى أطرافه الزهور ؛ وتتغنى على شجيراته جماعات الطير . . . ولقد كان هذا الشارع إلى ساعات قريبة يمور بالحياة ، ويفيض بالنشاط ، ويتقد فيه العزم ، ويودع طوائف من الطلبة ، ليستقبل طوائف أخرى . . . ولكنه الآن ساكن هادئ ... إنى لأخطو فيه وحيداً ليس معى إلا هذه التأملات العميقة التى يثيرها فى ذهنى السكون الشامل ... وإنى لأهيم بعد ... فأمضى حيث تقودنى قدماى ؛ لا آخذ جهة ، ولا أحدد قصداً ...

— ٣ —

هأنذا فى منبسط من الأرض ، ممتد واسع ... تنطلق فيه صفحة السماء واسعة عريضة ، كجنة الأمل ؛ وتتراقص فيه الأرواح مرحة عابثة بسنابل القمح القريبة ؛ ... لقد بعدت عن العمران القائم ، والأبنية الضخمة ... لكأنى أخطو الخطوات الأولى فى الريف ... فأنا لا أسمع حركة « الترام » ، ولا جلبة السيارات ... وأنا لا أرى من برج الساعة ، وقبة الجامعة ، إلا القمة العالية التى تشبه رأس الصخرة الطافى على سطح البحر وليس من حوالى إلا مزارع وحقول ، تتبعثر فيها الأكواخ ، وتمتد من حولها أبسطة العشب الندى

... ياروعة المساء ! ... كانت الشمس تجمع خيوطها المتناثرة لتنحدر نحو الأفق البعيد ... وقطع السحاب الرقيق تسربل أجزاء من السماء كأنها ثوب ممزق على جسم إنسانة فقيرة ... والأكواخ المتواضعة تودع النور الحبيب لتغوص فى لجج الليل ... والأفق الزاهى يصطبغ بهذه الألوان العجيبة المائتة ... والدنيا كلها ترقب هذا الخط البعيد الذى تتصل فيه السماء بالأرض

... لقد كنت إلى حين أجفو أضواء الشمس ، وأنأى عنها وأحتمى منها بالظلال ... ولكننى الآن أتقرب منها وأتحسسها وألحق بها من مكان إلى مكان ، كأنى أرثى لها هذا المصير ، وأخشى عليها سطوة الليل ، وأتمنى لها ألا تزول ؛ وأحاول أن أمسك بهذه الشعاعات ... ولكنها تفر منى حتى لا تبقى منها إلا خيوط واهية على قمم الأشجار السامقة

وتقبل هذه الأشجار الأنوار الآفلة ؛ وترتمش أغصانها من حمّى

الوداع ... وتنطوى الشمس على نفسها قرصاً راثماً فى الأفق البعيد تلقى آخر نظراتها التى بللتها الدموع القانية على الأرض ... لطالما أعشت هذه الشمس عيوناً ونواظر ؛ كانت تتجه نحوها تحاول أن تنظر إليها ، ثم ارتدت عنها خاسئة حسيرة ... ولكنها الآن فى لحظاتها الأخيرة تبيح للناس أن يحدقوا فيها فقد ركبها العجز . وما عليها من ذلك ! وهى سجينة أسيرة فى يد الليل يحاول أن يقذف بها فى أحشائه العميقة ! ...

— ٤ —

... ورقبت هذا الصراع الهادئ بين أضواء النهار وظلمة الليل ... لقد جمعت له الشمس كل ما تستطيع ... حتى هذه الأنوار البعيدة التى كانت تنطلى رأس « أبى الهول » وقمة « الهرم » ... ولكنها لم تجد سبيلاً إلى النجاة ؛ ولا يزال الليل يغير عليها ... ولا يزال هذا القرص الذهبى يتضاءل ويتضاءل ... والدماء الوردية تنسكب منه فتتناثر فى أطراف السماء ... لقد أضحى دائرة صغيرة آخذة فى انحدار سريع ... وإن الدائرة لتمس خط الأفق، ثم تنطس فى خضمه الهائل ... وتستسلم ... وترسل نظراتها الأخيرة فى ضراعة ووداعة وحب ... حتى إذا غامت فيه ؛ كان جناحاها المشتهيان الممتدان على طرفيه ، يضطربان ويهتزان كما يهتز المصباح الضئيل قبل أن ينطفئ

... وانطلقت فى الدنيا نسمات سريعة كأنها كانت تحمل نبأ الصراع ، ونهاية المعركة ...

... وسكنت الطيور إلى أعشاشها تخاف على نفسها شر الليالى السود

... وأويت أنا إلى غرفتى مكدوداً ... بعد هذا الطواف الطويل

— ٥ —

سينجاب الليل ... وستشرق الشمس غداً على العالم ... وستتجدد الحياة فى أضوائها الساطعة ... ترى هل تنزاح الظلمات التى تملأ نفسى ... وهل أخرج من هذا الليل الطويل الذى أخبط فيه ... وهل يقدر لهذا القلب أن ينعم بالضوء والدفء والحياة المرحة ؟ ! !

... ترى هل يقدر ؟ ! ... نورك اللهم ! ...

«القاهرة» شكرى فيصل

شبلى

قصـــة الحب ...

« يا شاعرى : إنك تحكى ما فى نفسى ... فتنال فى خطى بطيئة وبيدك هـذه الباقة الصغيرة تقدمها فى صفاء ... »

تختلط الينابيع بالنهر
وتنساب الأنهار من المحيط
وتنزل الرياح القادمة من السماء
إلى النسمات الوادعة .
ليس فى الحياة من يحيا وحده
كل ما فيها يمتزج
بقانون أزلى ثابت
فلم لا نكون : أنا وأنت

* * *

أنظرى الجبال تقبّل السحب
والأمواج يعانق بعضها بعضاً
والزهرة الصغيرة لن يغتفر لها أحد
أن تتناسى أخاها الشقيق
أنظرى ...
ضياء الشمس يلامس الأرض
وأشعة القمر تقبل المحيط
هذه القبلات كلها ما نفعها
إذا لم تقبلينى أنت .

م . وهبه

دعوة الرسالة

إلى تجديد الدين والأزهر

للأستاذ محمود أبو رية

لما قرأت مقالكم الممتع « فقهاء بيزنطة » فى العدد ٣٥٢ من الرسالة ، أعجبنى أيما إعجاب ما وصف قلمكم البليغ من الأمور التى يجادل فيها مشايخنا فشغلوا الناس بها ، وأوقعوا الفرقة بينهم من أجلها ؛ ذلك بأن من يطلع من أهل البصر على أكثر أبحاث شيوخ الدين عندنا ومجادلاتهم ، سواء أكان ذلك فى مجتمعاتهم أم على صفحات مجلاتهم لا يصدق أنهم يعيشون فى هذا العصر ، أو أن الدين الذى ينتسبون له ويناقشون فى مسائله هو الدين الإسلامى الذى جاء به محمد (ص) . ولكنى — ولا أكتمك الحق — قد وقفت عند جعلكم البحث فى أمر تسوية القبور أو إقامتها من هذه المباحث البيزنطية ، لأن هذا الأمر إنما يتصل بأصل الدين الإسلامى وهو (التوحيد) الذى هو أصل رسالة محمد (ص) وقاعدة دينه ، بل هو أول ما يدعو إليه كل رسول بقوله : « اعبدوا الله مالكم من إله غيره » وذلك بأن يعبد الله وحده ولا يعبد غيره بدعاء ولا بغيره ، وروح التوحيد كما لا يخفى على كل مسلم صحيح الايمان ، هو إخلاص العبادة لله تعالى والاستعانة به والتوكل عليه والنذر له ، وما نكب المسلمون بشىء نكبتهم بالقبور المشرفة والأضرحة العالية فقد أصابتهم من نواح كثيرة فى دينهم ودنياهم . أفسدت عقائدهم فأصبحوا كما قال الله تعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » ، وأذهبت أموالهم فيما لاخير فيه ولا نفع منه وذلك بما يبذلونه فى إقامة القباب ورفع الأضرحة ؛ وشلت قواهم ، وكبلت هممهم ، وهذه الناحية هى أشد ضرر اجتماعى ضرب فى مفاصل الأمة ، ذلك بأنهم قد تركوا الأسباب التى من كسبهم ودابروا سنن الله فى عملهم ، تلك السنن والأسباب التى أخذت بها الأمم ، فكانت سبب نهوضها ومرقاة سعادتها . ارتكنوا على أصحاب هذه الأضرحة ليقوموا بشؤونهم ويقضوا من حاجهم حتى صرنا فى ساقة الأمم لا حول لنا ولا قوة ، ورحم الله حافظ ابراهيم فى قوله يخاطب الأستاذ الإمام محمد عبده :

إمام الهدى إنى أرى القوم أبدعوا
لهم بدعاً عنها الشريعة تعزف
رأوا فى قبور الميتين حياتهم   فقاموا إلى تلك القبور وطوفوا
وباتوا عليها جاثمين كأنهم   على صنم للجاهلية عكف

ورحمه الله إذ قال :

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم   وبألف ألف ترزق الأموات
للسيد البدوى ملكٌ دخله   خمسون ألفاً والحظوظ هبات(١)
وأنا أعذب فى الوجود وليس لى   يا أم دَفْر ما به أقتات(١)
من لى بحظ النائمين بحفرة   قامت على أرجائها الصلوات
يسعى الأنام لها ويجرى حولها   بحر النذور وتقرأ الآيات
ويقال هذا القطب باب المصطفى   ووسيلة تقضى بها الحاجات

وقفت عند هذا القول فى مقال صاحب الرسالة وعجبت أن يصدر منه وهو جد خبير به وبضرره حتى قرأت مقاله البليغ (العقيدة الساذجة) ، ورأيت فى القول المحكم عن الضريح الذى أنشأه بالعراق السردار طاهر زين الدين الزعيم الهندى لعلىّ رضى الله عنه ؛ فوجدت قلمه قد ضرب فى الصميم ومسّ أصل الداء الذى أصاب بلاد الإسلام جميعاً وقلت : لقد اقترب صاحب الرسالة من العمل الحق للدين ـ لما لم يجد أهله يعملون له ـ بعد أن كان أكثر عمله للأدب ، ولا غرو فإن الدين الإسلامى لكما قال هو : « ينفرد عن سائر الأديان باعتماد دعوته على الأدب وقيام معجزته على البلاغة » ثم وددت لو أنى قرأت فى هذا المقال أدلة النهى عن إقامة القبور وزخرفتها من لسان صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ومن عمل على رضى الله عنه فى مثل هذا الأمر نفسه لا ليشد مقاله بها فإنه شديد متين ولكن ليعرف المتعصبون والقبوريون أن ما تدعو إليه الرسالة إنما هو دعوة محمد (ص) فلا يفتروا الكذب بأنه رأى مفتجر لا يؤيده دليل ولا يظاهره نص . كنت أود أن يقرأ الناس فى هذا المقال الحديث الصحيح الذى أخرجه مسلم عن أبى الهياج الأسدى قال :

(١) البيتان الثانى والثالث لم ينشرا بديوان حافظ ، فنرجو من كل من عنده نسخة من هذا الديوان أن يزيدهما على هذه الأبيات لأنهما من نظم الشاعر

قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني على رسول الله (ص) ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته — وفي رواية ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)

وقد ذكر الإمام الشافعي في الأم ونقله عنه النووي في شرح مسلم أنه رأى الأئمة بمكة يهدمون ما شيّد من القبور ويسوونها بالأرض عملاً بهذا الحديث ، والحديث الآخر الذي رواه مسلم عن جندب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول :

« ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك »

وما أخرج مالك في الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد

نعم . وددت ذلك وتمنيت لو أن صاحب « الرسالة » قد نهض كذلك ، وهو ذو القول البليغ المسموع والرأي الموفق المقبول فواصل الكتابة في هذا الأمر ، حتى جاء العدد ٣٥٥ ، ورأيت صدره قد تحلى بمقاله « في سبيل الأزهر الجديد » ، حينئذ طابت نفسي وانشرح صدري وقلت : لقد وضعنا أيدينا على مفتاح الإصلاح ، لأن هذا المقال ، إنما هو الصيحة المباركة لا في سبيل تجديد الأزهر فحسب ، ولكن في سبيل تجديد الدين .

لقد ضرب قلمكم البليغ في صميم الإصلاح الديني فقال : إن إصلاح الأزهر من ناحية الدين إنما هو في العودة إلى استنباط الدين من منابعه الأولى « من صريح الكتاب وصحيح السنة »

إن الدعوة التي تقوم بها الرسالة اليوم هي التي اتبعها خير القرون واستمسك بها من بعدهم العلماء المحققون أمثال ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما . وهي التي وضع بذرتها في العصر الحديث جمال الدين وأنبتها الإمام محمد عبده ، وقام على تربيتها السيد رشيد رضا حوالي أربعين سنة والتي أفصح عنها بكلمة حكيمة يجب أن تكون أساس كل إصلاح ديني في هذا العصر وهي :

« أقول في الدين بقاعدة الإمام مالك وهي الوقوف في العقائد والعبادات عند نصوص القرآن ، وبيان السنة النبوية له ، وسيرة السلف الصالح فيه قبل حدوث الآراء والبدع ومراعاة مصالح الأمة العامة في الأحكام الدنيوية من مدنية وسياسية وغيرها ؛ وأما ما فوضه الشارع إلى الناس من أمور دنياهم ووكله إلى علمهم وتجاربهم في قوله صلى الله عليه وسلم : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » وقوله (ص) : « إنما أنا بشر مثلكم إذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر » رواهما مسلم في صحيحه

أما هذا فأنا أدعو فيه إلى أحدث ما انتهت إليه علوم البشر وفنونها وإلى ما لا يعرف له حد من الزيادة عليها بقصد إعزاز الأمة وإعلاء شأن الملة بها ، ولا بد فيه من المحافظة على مقومات الأمة ومشخصاتها التي كانت بها أمة في وسائلها ومقاصدها)

هذا هو منهج الإصلاح الديني الذي بينه أفصح بيان السيد رشيد رضوان الله عليه

فسر ياصاحب الرسالة بتوفيق الله في هذا الطريق حتى يتجدد الدين ويبلغ مكانته اللائقة في هذا العصر وفي غيره ، وبذلك تكون الرسالة قد نهضت بخير عمل ثوابه عند الله كبير ، ونفعه للناس عظيم

(المنصورة) محمود أبو ريه



فى عيـــد الفسيخ

أرجو ألا يحمل القارئ تسميتى هذه على المزاح ، فلست لعمر الحق مازحاً ، وما أستطيع أن أسمى الأشياء بغير أسمائها حتى فى هذا الزمن الذى يسمى كل شىء فيه بغير اسمه

وإنما تسمى الأعياد بأبرز خصائصها . على هذا النحو كان عيد الأضحى ، وعيد الفطر ، وعيد الميلاد . وليس فى القراء من يستطيع أن يجادلنى فى أن الفسيخ قد أصبح أبرز خصائص ذلك اليوم الذى نسميه شم النسيم ؛ فليت شعرى وهذا هو شأن الفسيخ فيه لم لا نسميه عيد الفسيخ ، وقد تلاشى فى جمال الفسيخ كل جمال ؟

الأصل فى هـذا اليوم أنه عيد الربيع ، عيد الورد ، عيد النسيم الذى ينفح بالعطر ويزخر بالجمال ، ولست أشك فى أصله ؛ ولـكنى لست أدرى ماذا جعل الفسيخ فيه يطغى على الزهر ؟ ولعمرى ما أرى أى رابطة بين هذا وذاك ، وليس من ينازعنى حتى المولعين بالفسيخ أنفسهم أن هذا شىء وذاك شىء آخر أبعد ما يكون عنه عنصراً ومعنى ؛ وإن كان فى الناس من يقول : « يخلُق من الفسيخ شربات »

درت بمنظارى لحار المنظار أو حارت عينى من وراء المنظار ، ماذا تسجل وماذا تدع ؟ أأستطيع أن أمر ، دون أن أضحك ، بهؤلاء الذين جلسوا للطعام على بُسُط الربيع ، فما كان أمام الـكثرة المطلقة منهم إلا هـذا الصنف من الطعام الذى يجب أن يكون آخر ما يؤكل خارج المنازل ، إن جاز أن يؤكل فى أى مكان قط ؟ وكان يبعث ضحكى من هؤلاء أنهم يعانون رهقاً شديداً فى تناوله ، ومع ذلك فهم يقبلون عليه فى شراهة جعلتنى أعتقد أن اسم الجمال عندهم فى هذا اليوم هو فى ذلك « الـملخ » وذلك « النتش » وما يصحبهما من تلويث الأيدى والملابس فضلاً عن تلويث الجو كله برائحة احتبست منها أنفاس الزهر ! دع عنك مخلفاته الثمينة التى تزيد بتناثرها هنا وهناك هاتيك البساتين جمالاً على جمال !

وما كان هذا المنظر وحده هو الذى انقبضت له نفسى ، فلقد كان ما رأيت فى النهار كله دليلاً لا يكذب على أن الناس ما خرجوا من دورهم لاجتلاء جمال الربيع والاستمتاع بصفاء الربيع ، وإنما جاءوا ليشوهوا جمال الربيع عامدين بكل ما فى وسعهم من أسباب التشويه

على أى وضع من أوضاع الذوق والجمال يعتبر منظر هؤلاء « الأفندية » الذين تحلقوا على الحشائش فما خفت لهم صوت منذ جلسوا ، وما جرت ألسنتهم إلا بكل عوراء مخزية من النكات والحكايات ؛ حتى لعبت برؤوسهم بنت زجاجاتهم فازدادوا نكراً وبخة وعلى جوانبهم أسر فيها أوانس وسيدات ؟

وعلى أى وضع من أوضاع الذوق والجمال يعتبر منظر هؤلاء الشباب المتعلمين الذين يأخذون السبيل على كل غادية ورائحة ، ولا يتنادون إلا بأشنع السباب وأوقح الأسماء والذين لا يطربهم أكثر من عبارات السب توجه إليهم ممن يغازلن « ويما كسن » ؟

ثم ما هذه « الشلل البلدى » الذين اصطحبوا من اصطحبوا ممن كن وإياهم على موعد فى هذا اليوم الجميل فجاءوا وجئن يضيفون إلى معانى جماله هذا المنظر المخزى البغيض ؟

بل ما هذا الأفندى الوجيه الذى خلع سترته وألقى بطربوشه ووقف يرقص فى حركات بهلوانية وحوله من يصفق له ممن يعرفونه ومن لا يعرفونه ، وهو لا يزداد على التصفيق إلا جنوناً وانتشاء ، ثم هو لا يفتأ يعاود حركاته كلما استخفه التصفيق ممن أولعوا باستخفافه ؟ وما هؤلاء الشحاذون الذين انتشروا هنا وهناك ، فكانوا أثقل على الهادئين من المهرجين ومن الذباب ومن رائحة الفسيخ ؟ ما هذا الضجيج ، وما هذه الفوضى التى تلاشى فيها جمال الربيع وصفو الربيع واستخذى لها وجه الربيع ، حتى لو استطاع ربيعنا لبحث له عن أرض غير هذه الأرض ، وناس غير هؤلاء الناس !

رأيت هذا ، فذكرت يوم شم النسيم فى القرية ، وطاف برأسى عذارى الريف يسبقن الفجر زرافات إلى الترع فيستحممن ويملأن جرارهن ويغطينها بالريحان والنوار ، ويعدن مغنيات ضاحكات تنفحهن أنفاس الفجر الندية الرخية ، وترمقهن باحتشام عيون الشبان فى طريقهم إلى شجر التوت وفى أيديهم الريحان والسعد والنعناع والورد ، فلا يكون بين هؤلاء وأوليائكن إلا الابتسامة الحلوة أو التحية العفة ، ويكون نهارهم ونهارهن فيضاً من الجمال والهدوء والانبساط ، ومما شاءوا وشئن من هوى عذرى تبقى ذكراه وذكرى المسرة فى نهاره سحر العام كله

« عين »

النقابات الإسلامية

الأستاذ برنارد لويس

ترجمة الأستاذ عبد العزيز الدوري

— ٣ —

انتشرت حركة الأخوة بسرعة فى المدن والأرياف ـ بالتكتل والكرم ـ كدستورهم ، وطبقة أصحاب الحرف كأساس اجتماعى لهم ، وقتل الطغاة وسنائهم كواجب من واجباتهم ، فكانت حركة اجتماعية سياسية دينية عسكرية فى نفس الوقت . وقد لاحظ أحد الزائرين فى عهد متقدم أن أعضاء كل جمعية من جمعيات الأخوة كانوا أصحاب حرفة واحدة . ولا بد من أن الاتحاد التام لجمعيات الأخوة مع الطوائف قد حصل فى زمن متقدم ، وربما كان ذلك فى بدء حركة الأخوة . كما أن حركة الأخوة لم تكن مجرد تنظيم لأصحاب حرفة واحدة ، وإنما جعلوا واجبهم حفظ العدل ووقف الظالم عند حده ، واتباع قانون أخلاق ودينى ، وتنفيذ واجباتهم العسكرية إن دعت الحاجة للدفاع عن حقوقهم . ولم تكن العضوية مقصورة على المسلمين فقط إذ نجد عدد المسيحيين عظيما جدا فى طور متأخر

وهكذا تحقق فى حركة الأخوة لأول مرة اتحاد الطوائف والفتوة والطرائق الدينية . وقد أتى كوردلفسكى ببينة ممتعة تؤيد تأثر الطوائف بالنفوذ الإسماعيلى إذ يلاحظ الأستاذ أثراً قوياً لآراء ابتداعية (لا توافق قواعد الإسلام) عند الأخوة ، ويرجع أصل ذلك إلى إخوان الصفا . ويذهب (كوبرولو) إلى أبعد من ذلك ويؤكد أن الأخوة كانوا فى الحقيقة متطرفين ملحدين فى بدعتهم وخروجهم وأنهم من طراز القرامطة أنفسهم[١]

ولدينا وصف هام للأخوة فى الأناضول ورد إلينا فى رحلة ابن بطوطة من أهالى طنجة زار الأناضول فى القرن الخامس عشر الميلادى[٢]

وبظهور السلطة العثمانية وتوحيدها فقدت الأخوة كثيراً من سلطتهم ونفوذهم ، وبعد مقاومة عنيفة غير ناجحة اضطروا إلى التخلى عن مهمتهم السياسية والعسكرية ، ولكنهم لم ينحطوا أبداً إلى درجة أصحاب حرف عادية فقد استمرت بينهم روح العصر الأول . وحافظت الطوائف حتى القرن العشرين على حياة روحية داخلية وقانون أخلاق

وامتزجت نظم الطوائف والفتوة والأخوة فى الأناضول بسرعة وتم ذلك فى كل البلاد الإسلامية المتوسطة (مركزاً) فى القرن الخامس عشر . وقد جاءت معظم وثائقنا عن النظام الداخلى لهذه الطوائف بوساطة طوائف الفتوة . فكان لكل طائفة قانون يحتوى على قواعد وعادات وشعائر يتلى شفهيا عادة . وكان هذا القانون يعرف بالدستور (كلمة فارسية معناها : إذن . ومؤخراً . نظام) وكانت تكتب هذه القوانين فى بعض الأحيان وقد وصلنا عدد كبير من هذه الكراريس ترجع إلى القرن الرابع عشر ومابعده . ويعتبر كتاب الفتوة أو (فتوت نامه) كما تسمى هذه الكراريس بالعربية والتركية على التوالى مع عدد من كتب الرحلات والجغرافيا المصدر الأساسى لمعلوماتنا[١] وتتألف جميع هذه الكتب تقريباً حسب خطة واحدة من ثلاثة أقسام . القسم الأول يحوى أساطير تتعلق بأصل الحرفة ومناصرات مؤسسها الذى تنتمى إليه ، وهى تعطى عادة حلقة من التنشيء مثلاً : الله علم جبريل ، جبريل علم محمد ، محمد علم عليًّا ، علىّ علم سلمان الفارسى ، وسلمان علم الأبيار (وهم حماة أصحاب الحرف حسب تقاليدهم) والأبيار علموا الفروع (وهم الحماة الثانويون للشعب المختلفة لأصحاب الحرفة الواحدة) . وهؤلاء الفروع علموا بدورهم رؤساء الأصناف العاديين . وهذه الأساطير تظهر عادة تأثيراً قوياً للاسماعيلية والصوفية . القسم الثانى : يحوى عادة قائمة بأسماء الأبيار والفروع لمختلف الحرف ، وهؤلاء عادة أشخاص اقتبسوا من التوراة والقرآن ومن التاريخ الإسلامى ، وهكذا نجد آدم حامى الفلاحين والخبازين ، وشيث حامى الحياكة والخياطين ، ونوح حامى النجارين ، وداوود حامى الحدادين والصباغ وابراهيم حامى

---

(١) تجب ملاحظة أن (تشنر) ينكر أى أثر إسماعيلى فى حركة الأخوة ويعتبرهم سنية قبل كل شيء

(٢) ابن بطوطة طبعة باريس ١٨٥٤ ج٢ ص ٢٦٠ وما بعدها . لخص (تشنر Taeschner) مخطوطة أخوة ممتعة ترجع إلى القرن الرابع عشر تنسب إلى يحيى بن (خليل) . وفى هذه الرسالة نلاحظ ثلاث درجات يكيت فتى ، آخى ، شيخ ؛ والدرجة الأخيرة نظرية أكثر منها عملية ، ووظيفة =

= الآخى أن يدعو ويرأس الاجتماعات الأسبوعية وتعليم وتنشيء المبتدئين . وكان اليكتلر (فتيان) ينقسمون إلى صنفين : قولى وسيفى . ومن الصنف الثانى يعين الأخية الجدد فى حالة الفراغ . وهناك موظف دائم يدعى النقيب أو رئيس الحفلات

(١) ص١٠ لا تزال أكثر هذه الكراريس باستثناء اثنين أو ثلاثة خطية موزعة فى أوربا وآسيا فى المكتبات العامة والخاصة لنظرة العامة راجع : Thorning, Breitage p. 15 - 54

الطباخين، واسماعيل حامي صناع الأسلحة . والقسم الثالث يحوى التعاليم لتثقيف المبتدئين ، والأسئلة فيه تظهر اتصالاً قوياً بآراء الدراويش. ويمكننا من هذه الكراريس (كتب الفتوة) أن نصور نظام الطوائف لحد ما . ويحسن بنا أن نتذكر فى عملنا هذا أن وثائقنا جاءت من حقل تاريخى يمتد منذ القرن الرابع عشر حتى القرن العشرين ويشمل كل البلاد الإسلامية . ومهما كان التغيير قليلاً خلال القرون، فإنه يوجد تباين محلى عظيم. لذا سنحاول أن نعطى صورة شاملة مع ملاحظة الفروق الأساسية تبعاً للمحل والزمن

برأس الطائفة الشيخ[1] ينتخبه الأساتذة من بين رجال الحرفة، وبعد انتخابه يكون حاكم الطائفة الأوحد ويجمع وظائف رئيس وأمين صندوق وكاتب، وهو (أى الشيخ) موجود فى جميع الطوائف الإسلامية وفى بعض الطوائف كطوائف مصر فى القرن السادس عشر الموصوفة فى (مخطوط كونا) ونجد له مساعداً ، وهو النقيب ، ومنزلته بالنسبة إلى الشيخ « كمنزلة الوزير من السلطان » ويظهر أنه كان رئيس التنفيذ لأوامر الشيخ ومنظم الحفلات أيضاً . ويليه الاختيارية أو المسنون بين أساتذة الطائفة يتعاونون معه على إدارة الطائفة؛ ثم يأتى الأساتذة ويدعى الواحد عادة أسطى أو أحياناً (معلم) ، وهم يشكلون القسم الرئيسي من الطائفة . أما الصانع فلا يلعب دوراً هاماً فى الطوائف الإسلامية ولا وجود له عادة إذ يكون الانتقال من مبتدىء إلى أسطى رأساً؛ ويوجد فى بعض النقابات دور وسط يدعى العامل فى خلاله خلفه أو خليفة، وهذا الدور وقتى فقط

وتتم الحلقة بالمبتدىء وفى أغلب الحالات لا يحدد وقت للدور الذى يقضيه المبتدىء ولا يطلب منه صنع شيء مثالى متقن جداً Masterpiece بالمعنى المفهوم عند الأوربيين . فزمن الدراسة والأجازة يعين من قبل الأستاذ الذى يشتغل معه المبتدىء. وتختلف النصوص فى مسألة تطبيق النظام فيقول البعض إن الشيخ يطبقه أو ينفذه منفرداً. ويقول آخرون إنه يفعل ذلك بمساعدة الاختيارية

هناك نوع آخر من التنظيم فى الطوائف الأناضولية المتأخرة وصفه كوردلفسكى إذ يطلب هنا من المبتدىء قضاء ألف يوم ويوم فى هذا الدور . كما أنه لا يأخذ فى هذا الدور أى أجر ولكن له الحق أن يحصل على بعض المكافأة (البقشيش) ووليمة عند انتمائه إلى الطائفة ، ويدربه أستاذ فى شئون حرفته كما يحصل على دراسة أخلاقية فى الزاوية فى نفس الوقت . وإذا تلمذ الجراق لأستاذ معين، فعليه أن يبقى مع أستاذه ولن يقبله أستاذ آخر كتلميذ له. وفى نهاية هذا الدور يطلب منه عمل شيء مثالى متقن فى صناعته ثم يجاز فى حفلة عامة من قبل — الأصناف باشى — أى شيخ الحرفة ، وال — يكيت باشلرى — أى الاختيارية ، وبعد هذا يصبح خلفه[1] ويجب عليه أن يبقى ستة أشهر على الأقل وبعد انتهائها يستطيع أن يمارس حرفته كأستاذ — وفى هذا يساعده أستاذه وغيره من الأساتذة من الوجهة المالية عادة .

ترأس الطائفة هيئة تدعى لونجة هيئتى Lonca Heyeti تتشكل من شيوخها أى الرجال المسنين[2] ويكون القرار النهائى للرئيس الذى ينتخب عادة لتقواه . وتجتمع الهيئة مرة كل أسبوعين ، وينفذ الأوامر والعقوبات الجاويش أوال — أوش باشى — ويحرص الطوائف كثيراً على كيفية نوع المنتج ويعاقب صاحب الإنتاج الردىء بطرده مؤقتاً من الطائفة تشترى المواد الأولية تحت رقابة الشيخ، ولأصحاب الحرفة الفقراء حق الأقدمية فى هذا على الأغنياء ، ويعقد اجتماع عام سنوياً .

يمكننا أن نلاحظ الدور الهام الذى يلعبه اللباس الخاص لرجال الطوائف فى حياتها . فميزة الفتوة الظاهرة فى أوائل عهدها كانت السروال ، ويتكلم الكتاب العرب عن لبس السروال كعلامة للانتماء إلى الفتوة ؛ ثم أصبحت هذه العادة متبعة فى الطوائف ، وصارت حفلة الانتماء إلى عهد قريب تتصف بارتداء بعض الملابس: السروال والشد والحزام والاشتمال أو الصدرية . وهى الأهم من بين الملابس .

لدينا وصفان مفصلان للطوائف الإسلامية يستحقان الفحص كل على انفراد أولهما وصف فى رحلة سائح تركى يدعى — أوليا جلبى — الذى صنف قائمة مفصلة بأسماء الطوائف وهيئات أصحاب الحرف فى أوائل القرن السابع عشر بناء على طلب السلطان ، وفى هذا المؤلف نجد لأول مرة وصفاً كاملاً لنظام الطوائف فى مدينة إسلامية . يبدأ أوليا جلبى وصفه للطوائف بفتوت نامة — كتاب الفتوة — الذى يظهر أنه نص منقول يحتوى على الأساطير والتعاليم الاعتيادية وكذا وصفه حفلة الانتماء

(١) يعرف الشيخ أيضا باسم (أمين) وعريف ، وأحيانا تغيب إذا اختفت رتبة النقيب كرتبة مستقلة يسمى الشيخ فى تركيا — شيخ ، أسطا — وفى أسيا الوسطى يسمى — آق صقال —

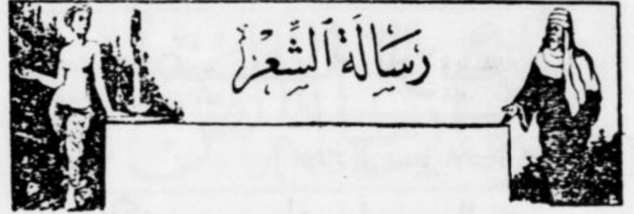
(١) راجع Gordlevsky - R. E. I. 1934, p. 81 off.

(٢) يقول كوردلفسكى نظراً لقلة رأس المال كان يمد دور الخلفة إلى أكثر من ستة أشهر .

إلى الطائفة . أما تركيب الطائفة الذى يحويه الوصف فهو الشيخ (الرئيس) والنقيب (نائب الرئيس) والجاويش والأوسطة (الأستاذ) ثم الشاكرد (المبتدئ) . أما الصانع أو العامل البسيط فيلاحظ أنه لا ذكر له

ثم يعدد (أوليا جلبى) جميع الطوائف الموجودة تحت سلطة اللالى (جمع مُلاّ) الاربعة فى القسطنطينية مع عدد حوانيتهم ورجالهم وشيوخهم إذ ينقسمون إلى سبع وخمسين شعبة تحتوى بمجموعها على ألف طائفة وطائفة تحوى الشعبة الأولى طوائف الجواويش (ج جاويش) وموظفى البوليس والنلمان والانكشارية الجدد (أكم أو غلان) والزبالين والقندلفتية (حفار القبور — الحانوتية —) وعمال المناجم ، والبلطجية والأحداث Minors والنقاش . وفى المعارض العامة يتقدم هؤلاء فى السير لأن من واجبهم تنظيم أو تسوية الطرق التى يسير عليها الآخرون بعدهم . أما الشعبة الثانيـة فهى تحت إدارة رئيس الطوائف Asas - Basi الذى عين لهذا المنصب من قبل السلطان محمد الفاتح (١٤٥١م ـ ١٤٨١م) وهى تحتوى على أصناف العسس والشرطة والجلادين ، واللصوص ، وقطاع الطرق ، وزمرة المسخرين (فى العسكرية أو البحرية) وسواس الخيل ، ومرنى الخيل ، والحرس . ويبين أوليا أن أصناف اللصوص ، وقطاع الطرق ، وكذلك المفلسون وغيرهم من وضيعى الأخلاق لا يظهرون فى المعارض العامة ، ولا يعرفون شخصياً ، ولـكنهم يدفعون خوة (ضريبة) لرئيسى الشرطة المدعوين (أسس باشى) (وصو باشى) لا يتسع المجال هنا للنظر فى وصفه للسبع والخمسين شعبة ، ولنلاحظ كمبدأ عام أن كل شعبة يرأسها شخص واحد ، وهو عادة رأس الطائفة المهم فى الشعبة ووظيفته أرفع وظيفة . أما الشعب القليلة التى يترأسها موظفون كـ (صوباشى) ، فهى مستثنيات ، والسبب هو كون الحرف نفسها رسمية أو شبه رسمية ، وتمثل الطوائف عرضاً تاماً على هيئة استعراض مرة واحدة سنوياً ، ووصفه أوليا كما يأتى : « يبدأ الوكب الملكى بالسير وقت الفجر ويستمر الموكب فى السير طول النهار ، حتى الغروب ، يفتتح الاستعراض من قبل الجاووش لر المسمى الاى جاويش ويناهز الموكب ألفى رجل والـكل مدجج بالسلاح كأنه بحر زاخر ، ومن العادة المتبعة أن كل طائفة عند الوصول قرب الحديقة الجديدة أمام تذكار خسرو باشا تعرض نفسها أمام بيت قاضى استانبول لأنه صاحب السلطة لتفتيش جميع الأوزان والمقاييس ، وجميع الطوائف . وهناك قاعدة أخرى وهى أن كلا من هذه الطوائف يهدى إلى قاضى القسطنطينية البضائع التى عرضوها فى معرض عام . ولكن بعض هذه البضائع كان يخفى بهذه المناسبة ، وبعد تقديم الاحترام لأول حاكم فى العاصمة تسحب الطوائف رؤساؤها إلى محلاتها المختلفة وينصرف كل إلى بيته . وتتوقف كل تجارة وحرفة فى القسطنطينية بمناسبة هذا الاستعراض لمدة ثلاثة أيام يملأها ضجيج وفوضى الاستعراض » . ويظهر أن أهمية عظمى كانت تعلق على نظام الأقدمية (فى السير) . ويعطى أوليا جلبى وصفاً ممتعاً لنزاع من هذا القبيل (أى حول حق الأقدمية) بين القصابين وبين تجار مصر ، ثم صدر الحكم النهائى من قبل السلطان فى جانب التجار

(يتبع) عبد العزيز الدسوقى



هل بعد الشباب شباب ؟

للأستاذ حسين شفيق المصرى

أبعد اكتهال فى الضلال صواب … وهل صادقٌ بعد المشيب متاب
أرى الشيخ من بعد الغواية زاهدا … كما خاف حرّاس الكروم غرابُ
تشوب له الغادات بالسُّخر ودّها … ويسخو على جُلاّسه ويُعاب
فيهلك ما يقنى ويمضغ حسرة … لما فى الملهى بعد السُّلافة صابُ
ويعتزل اللذاتِ فى ثوب راهب … ومن تحتـه المخزيات ثياب
فينهض فى المحراب يسأل ربه … ثواباً ، وما للمفسدين ثواب
وفى نفسه عند السجود لو انه … يتاح له فى الموبقات وثاب
وقد يتمنى لو يُنيب ، وبينه … وبين فتون المغريات جِذاب
فلا هو للدنيا ، ولا هو دينٌ … وقد مات ، لولا جيئةٌ وذهاب
ويا رُب حى يخفض الذلُّ رأسَهُ … وميْت يُعَلَّى قبرُه ويهابُ
ألا لو درى الأشياخ فى زمن الصبا … بعقبى الهوى لاستدبروه وآبوا
وشقوا إلى العلياء كل مخوفة … تشق رؤوسٌ عندها ورقاب
وكائن ترى من مُترف ورث القُرى … وركن الحجى فيما لديه خراب
تطير به الأهواء حتى ينوشَهُ … من الفقر فى جو الرفاهِ عُقاب
وآخر ضاوٍ مسّه اليُتم بالطوى … ودارت به الأيام وهى غضاب
فسار على درب الشباب إلى المنى … وئيداً ، فما استعصى عليه طِلاب
وخالس عيشَ الكدّ ساعاتِ لذةٍ … تعيد صفاء النفسِ حين تُشاب
فلما دنا من شيبه بشـبابه … تربع فى دست عليه حجاب

* * *

فتى العصر هل بعد الشباب شباب … إذا غزلٌ ولى به وشراب
أكل الصِّبا حب ولهو ونشوة … وهجر وشكوى لوعةٍ وعتاب
أفى كل ناد ملعب ومجانة … وفى كل ليل صبوة ودعاب
أتذهب أيام الشباب على الهوى … أليس لأيام المشيب حساب
شبابك هذا فرصة إن تركتها … فليس لها بعد المضى مآب
وليس لمجد فى الفتون شريعة … وليس لجاه فى المجون كتاب
فخذ فى سبيل السابقين إلى العُلا … وليس لها غير الجهاد ركاب
ولا تنس والأيام خُضْرٌ وريقة … نصيبَكَ منها والغصُونُ رِطاب
فإن كان حب فلتصنه نزاهة … وإن كان لهوٌ فليزنه صواب

* * *

ألم ترنى أبصرت بعد عمايتى … وما زال مغشيًّا علىّ حجاب
كما انجاب ليل فى فلاة فسيحة … فأخفى ضياء الشمس عنك ضباب
كشأن صحاب عاصرونى مع الصبا … فشبت على دين المجون وشابوا
قضوا فى حوانيت الشراب شبابهم … فلما علا الشيبُ الرؤوسَ تصابوا
كأن بهم وهناً يصد عن العلا … وأعوادهم رغم المشيب صِلاب
وداعى الهدى لا يسمع الشيخ صوته … ولكنه يدعو الفتى فيجاب (١)

حسين شفيق المصرى

لقـــاء...

للأستاذ حسن حبشى

يا لَحْظَةً أَفْدِيكِ بِالْخُلْدِ … جِئْتِ الْعَشِيَّةَ دُونَ ما قَصْدِ
أَبْصَرْتُ فيكِ أَشِعَّةَ الْمَجْدِ … وَشَذَى الرَّبيعِ ، وَنَفْحَةَ الْوَرْدِ

هِيَ لَحْظَةٌ جَمَعَتْ فُؤَادَيْنِ … رَبَطَ الْهَوَى بَعْضاً إلَى بَعْضِ
بَعْدَ الْفِرَاقِ وَلَوْعَةِ الْبَيْنِ … كانَتْ شُعَاعَ اللهِ فِي الْأَرْضِ

---

(١) نظرت فى البيت الأخير إلى قول زهير بن أبى سلمى :
وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده … وإن الفتى بعد السفاهة يحلم

خَفَقَ الفُؤَادُ لِطَلْعَةٍ عَكَسَتْ نُورَ الْخُلُودِ وَبَدَّدَتْ ضَعْفِي
مَدَّتْ يَداً فِيهاَ الْمُنَى جُمِعَتْ يا لَيْتَ تَغْرِي كانَ فى كَفِّي

أَنْتِ الْحَيَاةُ لِشَاعِرٍ عَاشِقٍ جَعَلَ الْجَمَالَ إِلٰهَهُ السَّامِي
يَهْفُو إِلَى نَهْرِ الْهَوَى الدَّافِقِ هَيْهَاتَ يُرْوِى قَلْبُهُ الظَّامِي

أَقْسَمْتُ أَنَّكِ مَشْرِقُ الْحُسْنِ وَرَبِيعُهُ النَّضَّاحُ بِالأَمَلِ
وَرَأَيْتُ أَنَّكِ دُمْيَةُ الْفَنِّ سُكِبَتْ مِنَ الأَلْحَانِ وَالْقُبَلِ

أَأَظَلُّ فِي دُنْيَايَ ظَمْآنَا وَالْخَمْرُ فى كَأْسِي بِيُمْنَايَا ؟
وَأَظَلُّ أَقْضِي الْعُمْرَ حَيْرَانَا وَالنُّورُ أَنْتِ ، وَأَنْتِ دُنْيَايَا ؟

أَمْسِي وَمَا أَمْسِي سِوَي لَحْنِ قَدْ وَقَّعَتْهُ أَنَامِلُ الْحُبِّ
فَشَرِبْتُهُ لَهْفَانَ بِالأُذْنِ وَجَمَعْتُهُ سَكْرَانَ فى لُبِّي

يا ذَلِكَ الأَمْسُ الذِي وَلَّى مَا كُنْتَ مِنْ ذَيَّالِكَ الزَّمَنِ
وَدَّعْتُ فيكَ أَمَانِيًا هَلاَّ أَبْقَيْتَ لِي ذِكْرَى سِوَى الشَّجَنِ

يا خافِقاً فى الصَّدْرِ مَا بَرِحَا يَهْفُو إِلَي الْمَجْهُولِ مِنْ دَهْرِهْ
مَا أَنْتَ أَوَّلُ طَائِرٍ جُرِحَا أَوْ ضَلَّ مَسْلَكَهُ إلى وَكْرِهْ

أَيُرِيشُ زُغْبَ جَنَاحِكَ الدَّمْعُ هَيْهَاتَ مَا لِلدَّمْعِ مِنْ جَدْوَى
فَخُذِ الْيَقِينَ فَإِنَّهُ دِرْعُ وَدَعِ الْبُكَاءَ وَدَائِمَ الشَّكْوَى

إِنْ تُنْبِكَ تُذْهِبْ رَوْعَةَ الأَمْسِ وَجَلالَهُ الْبَاقِي إلى الأَبَدِ
فَالْقَ الدُّجَى لِتَرَيكَ لِلشَّمْسِ وَاسْخَرْ بِمَا يَأْتِيكَ مِنْ نَكَدِ

يا لَحْظَةً سَتَظَلُّ فِي خَلَدِي رَفَّافَةَ الأَضْوَاءِ وَالسِّحْرِ
نَغَمْتِ أَمْسَ الشَّاعِرِ الْفَرِدِ وَغَمَرْتِهِ بِالنُّورِ وَالْعِطْرِ

(بنى سويف) حسن حبشي

أغنيــــة الربيع

[مهداة إلى صديقي الاستاذ محمود تيمور]

للأديب مصطفى على عبد الرحمن

أشرقتْ مثلَ ابتسامات المنى ضحكاتُ الزهرِ فى الصبح الوديعْ
وسرت عطراً وحُسناً وسنا لمحاتُ البشرِ فى وجه الربيعْ

***

وجرى الجدولُ ما بين النخيلْ حالماً يخطر فى رفقٍ واينْ
والطيــوزْ
تتغنى فوق عــذبٍ سلسبيلْ
فى سرورْ
ضمّها ظلٌّ من الغصنِ ظليلْ مسبلُ الأهدابِ يستهوى العيونْ
مرت الأنســامُ سكرى فتهادتْ
وسقاها الطـــلُّ خمراً فتناجتْ

***

وترى السوسنَ فيّاح العبيرْ سافرَ الحسنِ تراءى للعيانِ
وعذارى الأيكِ أرخين الشعوزْ فتنت بالسحرِ سكانَ الجنانِ

***

وصحا النرجسُ من ليلِ الشتاءْ وتثــنّى
باسماً يختال فى ثوبِ الضياءْ مطمئنّا
وغديرٌ حنّت الطير إليهِ
راقها رشفُ اللمى من شفتيهِ
والفراشاتُ طليقاتُ عليهِ
حيثما تهوى تهيمْ
فى صفاء ونعيمْ

***

يا ربيعاً لاح موفورَ الجنى فاتن الطلعةِ لمّاح الســنا
فرشفنا منه أكوابَ المنى ليت هــذا السحرَ تبقيه لنا
ليت هذا الحسن للدنيا يدوم

(الاسكندرية) مصطفى على عبد الرحمن



بواطن وظواهر

عندنا فنانون ... ولكن !

[إلى أستاذى الدكتور زكي مبارك بعد مقاله : « عندنا أدباء ولكن ... »]

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

١ — من الكتاب

الدكتور هيكل باشا

شارلى شابلن هو أعظم فنان فى الدنيا الآن ، فلا يجوز لأحد أن يغضب إذا قيل له إن فيه من روح شارلى شابلن وظله وتكوينه ، إلا إذا كان ممن يكرهون الفطرة الصافية ، وسهولة النفس الصادقة . ولا يمكن أن يكون الدكتور هيكل باشا من هؤلاء ، ولذلك أبيح لنفسى على الرغم من أنه باشا فى الشرق الذى يقدس كبراءه ويتحرج فى التحدث إليهم والتحدث عنهم ... أن أقول له : إنى ما رأيته حتى تفتحت له نفسى كما تتفتح لشارلى شابلن ، فما أذكر أنه باشا حتى أعود فأتكتم نفسى أمامه رهيباً وتوقيراً ...

قد كنت أحب ألا يكون الدكتور هيكل ... باشا . بل قد كنت أحب ألا يكون دكتوراً ، فالدكتوراه قد ألزمته فيما يكتب الواقع الثابت المؤكد يتحراه فيما ينشئ ، وفيما يبحث ويدرس ، وفيما ينقد ويوجّه ... والتزام الواقع الثابت المؤكد فى هذا كله حرمنا أن نقرأ وحى عاطفته وأن نطالع نسج خياله ، والعاطفة والخيال أغلى ما فى الفنان ... فهلّا أعطانا منهما الدكتور هيكل باشا ما ننعم به مثلما ننعم بما يعطينا من فكره ؟

الأستاذ الزيات

اسمع صوته تعرف أنه لا يزال إلى اليوم طفلاً لا تعقيد فى طبعه ولا مكر ولا تخابث . وإنه لمسالم ولكنه يعرف ندرة المسالمة فى الناس ، فهو يتشاءم ويتوقاهم ويسأل الله النجاة من إساءتهم ومن إحسانهم أيضاً . وقد أورثه هذا الشعور « التأنق » الذى عرف عنه فى كتابته ، فهو إذا أراد أن يلقى جبلاً على رأس قارئه لوماً وعتاباً وتمنيفاً كلف نفسه فى البدء أن ينسف الجبل ، ثم أن يدق حجارته وصخوره فإذا هى حصى ، ثم أن يطحن الحصى فإذا هو دقيق ناعم ، ثم أن يحرق هذا الدقيق فإذا هو دخان ، ثم أن ينفخ فى هذا الدخان فإذا هو ..ماذا ؟.. سراب أو أثير يرجم به الأستاذ الزيات ما يكره من الصور والفِكَر والحوادث . وهو إلى جانب ذلك التلطف كله يقول : اللهم غفرانك فما أردت إلا الإصلاح ! مسالم جداً !

وإذا جاء يوم كان اللطف فيه عيباً ، فإنه لن يجيء يوم يرى الناس الإسفاف فيه فضيلة . وقد وقى الله الأستاذ الزيات الإسفاف بما وهب له من الرقة وأناقة النفس ، فهو حريص كل الحرص على قلمه أن ينزلق إلى فكرة نابية أو كلمة فاجرة . وهو على الرغم من احترافه الكتابة السنين الطويلة لا يزال يتأنق فيها . وهذا دليل على حبه إياها وشغفه بها . وثمة دليل آخر على ذلك هو أنه أكرمها فلم ينزل بها إلى أسواق يروج فيها الرخيص الغث منها ، وإنما ظل بها فى سموات أدناها (الرسالة)

إنى أحبه لأنه كان شجاعاً فى عطفه علىّ فى أشد ما عرفت من محن الحياة ، فقد فتح لى أبواب الرسالة بعد ما كنت فى نظر الناس مكروباً

الأستاذ أحمد أمين

قدّمت إليه سنة ١٩٢٨ وكانت معى كراسة أكتب فيها أشياء شغلتنى إذ ذاك وأنا فى الرابعة الثانوية . فقرأ منها شيئاً ثم سألنى : ماذا تريد أن تدرس بعد البكالوريا ؟ فقلت له : اللغة العربية فى كلية الآداب عندكم . فسألنى : لماذا ؟ فقلت له : لكى أكون أديباً . فقال لى : لسنا نخرج الأدباء المنشئين وإنما نحن نخرج الأدباء الواصفين ... قالها وابتسم زعماً منه أنى سأسأله

وأما التلميذ الجاهل فى المدرسة الثانوية عن الفرق بين الأدباء المنشئين والأدباء الواصفين هؤلاء، فإن هذا الفرق كان موضوعاً لدرس من دروس السنة الثانية من قسم اللغة العربية فى كلية الآداب ، ولكنى كنت قد قرأت كتاب « فى الأدب الجاهلى » كما كان الأستاذ أحمد أمين قد قرأه ، فعرفت منه ما عرفه ، فلما سمعته يقول ما قال لم أسأله شيئاً وإنما بادرتنى الحسرة على نفسى لأن الأستاذ أحمد أمين أنذرها بأنه لا معين فى كلية الآداب على بلوغ ما تنشد ... فقلت من ساعتها : الاعتماد على الله

وجئت من الإسكندرية ودخلت كلية الآداب ، واضطررت إلى احتراف الكتابة ، فما كان ينهانى عنها أحد أكثر من الأستاذ أحمد أمين ، فكم قال لى إن العلم لا يمكن أن يتفق مع الكتابة فى المجلات والصحف ! وكم خيرنى بين الاستمرار فى طلب العلم عندهم فى كلية الآداب أو طلب الرزق بالكتابة، حتى سألته يوماً أن يربط لى من مرتبه خمسة جنيهات فى الشهر تكفينى وأتعهد له بها أن أتوفر على الدرس حتى لا يلحقنى فيه طالب ، فانتهت المشكلة بيننا عند هذا، ولكنها بدأت بين الأستاذ أحمد أمين ونفسه عند هذا أيضاً . فقد بدأت تظهر أعراض الكتابة على الأستاذ أحمد أمين ، فإذا له فى الرسالة قطعة مترجمة تحت عنوان « نفسية قطة » وإذا له بعد ذلك مقالات أخرى ، وإذا له آخر الأمر مجلة أسبوعية تربح ولا تخسر !

فهل لى أن أسأل الآن الأستاذ أحمد أمين : أتستطيع كلية الآداب اليوم أن تخرج الكتاب المنشئين ولو فى مدة عمادته ، أم هى لا تزال قانعة بإخراج الأدباء الواصفين الذين ملأوا البلد بأنفسهم وبوصفهم وإن كان لا يراهم أحد ولا يسمعهم ... ؟

ثم هل لى أن أسأله أيضاً : أتتفق حياة العلم اليوم مع الكتابة فى المجلات والصحف ، أم أن هذا أمر يجوز للعمداء والأساتذة الذين استوعبوا العلم كله ، وانتهوا منه كله ، ولم يعودوا يجهلون شيئاً مطلقاً ، ولم تعد ضمائرهم تسألهم عن إصلاح الفاسد مما وظفتهم الدولة لإصلاحه والإشراف عليه ... بينما هو لا يجوز للأولاد الجهلاء الذين عليهم أن يموتوا ضيقاً أو يجدوا الفسحة فى كتابى فجر الإسلام وضحاه وثمن النسخة عشرون قرشاً ؟

فى القرآن ظاهرة عجيبة ، وهى أنه عند ما يقول عن الله إنه الغنى يردفها بقوله إنه الحميد . لماذا يلتزم القرآن هذا الإقران أو لماذا يكثر منه على الأقل ؟ لعل ذلك لأن الله وحده هو الذى يستطيع أن يكون غنياً وحميداً . والله أعلم

٢ — من الممثلين

الأستاذ الريحانى

تزوره فتقول له : إذا أغلقت عليك حجرتك امتنع عنك الهواء فسلمت حنجرتك من العطب فيغلق عليه حجرته فتمضى عنه. ويزوره زائر آخر يقول له : إنك أغلقت عليك فامتنع عنك الهواء فارتفعت درجة حرارتك فأنت إذا خرجت أصابك البرد ونال حنجرتك العطب، فيفتح الباب والنافذة. ويمضى هذا الزائر ويجىء زائر ثالث فيقول له : إنك وقد فتحت الباب والنافذة قد عرضت نفسك للتيار ، والبرد إذا أصابك نال حنجرتك العطب فاكتف إما بالباب وإما بالنافذة، فيغلق النافذة ويبقى الباب مفتوحاً . ويمضى عنه هذا الزائر ويجيئه زائر رابع فيقول له : إنك وقد فتحت الباب عرضت نفسك لإلمام الثقلاء من الزائرين بك وأنت رجل عمدتك فى عملك على أعصابك إذا هدأت ، ونفسك إذا اطمأنت ولم يقلقها ضيق أو ضجر ، فيقوم ويغلق الباب ويفتح النافذة . ويمضى هذا الزائر ويجيئه زائر خامس يقول له : إنك وقد فتحت النافذة ردمك الغبار ، ودخل إلى « خياشيمك » وتراكم على سقف حلقك فعطل صوتك وربما آذى عينيك أيضاً ، فيغلق النافذة . فإذا مضى عنه هذا الزائر ألفى نفسه وقد أغلق على نفسه الحجرة نافذتها وبابها وذكر أن زائراً قال له كلاماً معقولاً منعه به من إغلاق النافذة والباب ، فيقوم ويفتحهما ؛ ولكنه عندئذ يذكر أيضاً أن كلاماً معقولاً قيل له لما فتحهما أول مرة وأنه اقتنع به وأنه قام على أثره فأغلق الباب وأبقى النافذة مفتوحة. فيقوم ويغلق الباب ويستبقى النافذة مفتوحة ، ولكنه عندئذ أيضاً يذكر مرة أخرى أنه اقتنع فى ساعة ما بوجوب إغلاقها فيقوم ويغلقها هى أيضاً ، ثم يعود فيرى أنه عاد إلى ما كان فيه ، فلا يرى مخرجاً من هذا الدوران إلا أن يغادر حجرته وأن يجلس فى القهوة يلعب الورق، فإذا ما سأله أفراد فرقته لماذا ترك «الشغل» بسط لهم المسألة وسألهم حلاً للمعضلة فإذا هم كل واحد وله رأى وإذا هو ساخر منهم جميعاً لعجزهم عن الاهتداء إلى الحل القريب الذى اهتدى إليه هو ، وهو الإضراب عن الحجرة ، ويدخل فى ذلك الإضراب عن العمل .

الأستاذ يوسف وهبي

لا شك في أنه قد ضحى للفن بثروة طائلة؟ ولا شك أيضاً في أنه منذ ظهر لا يزال يضرب الرقم القياسي في إقبال الجمهور على فنه. فكيف يتفق لفنان أن يكون أروج الفنانين ومع ذلك يكون أخسرهم؟

الظاهر: هو ينفق على مظاهره ربحه كله وأكثر، ويرجع السبب في هذا إلى أنه يشعر في قرارة نفسه بأنه وإن كان ممثلاً فهو غير الممثلين، وأول فرق بينه وبينهم أنه دخل إلى التمثيل وفي جيبه مال

اتهمه خصومه بكثير من التهم، ولكن الواقع يشهد بأنه بريء من تهمة واحدة — على الأقل — وهي تكلف الهواية التي وهب نفسه لها، فهو يمثل لأنه يحب التمثيل، وهو يمثل ولو خرب في سبيل التمثيل، وهو يمثل لأنه إذا لم يجد مسرحاً يؤويه انطلق في الحياة يمثل صوراً تتراءى له. وأكثر هذه الصور ترقصاً أمام عينيه هي صور الزعامة والرياسة والقيادة والحكم، ورواياته الأخيرة التي ألفها هو تشهد كلها بذلك، فهو فيها جميعاً إما زعيم حزب، وإما رئيس شركة أو إدارة، وإما مستشار أو قاض في محكمة، وإما ضابط كبير في الجيش

وإني لا أرتاب في أنه إذا أراد أن يكون زعيم حزب في مصر لاستطاع أن يكونه في نجاح كبير

الشحاذ

جورج أبيض وعزيز عيد:

اشتركا يوماً وألفا فرقة، وطافا بها في الوجه البحري والوجه القبلي، وعادا إلى القاهرة ومعهما ألفان من الجنيهات كانت في جيب الأستاذ جورج أبيض، وبعد يوم من العودة ارتاحا فيه من مشقة السفر ذهب الأستاذ عزيز عيد إلى الأستاذ جورج أبيض يطالبه بنصف الأرباح حسبما اتفقا ...

عزيز عيد — يا أخي يا جورج. أين الألف الذي لي؟

جورج أبيض — معي يا أخي يا عزيز. في جيبي

عزيز عيد — طيب. هاتها

جورج أبيض — ليتني أستطيع. ثق أنني أرثى لك، ولكن ثق أيضاً أنني عاجز عن مواساتك

عزيز عيد — ولم المواساة ونحن لم نفقد شيئاً ... أما قلت إن الألف معك؟

جورج أبيض — وهذا ما أنت جدير بالمواساة فيه ... فجنيهاتك معي أنا وليست معك أنت ...

عزيز عيد — وأي شيء في هذا؟ أعطني إياها تكن معي وينتهِ الأمر

جورج أبيض — وكيف السبيل إلى هذا؟

عزيز عيد — ضع يدك في جيبك وأخرجها وهاتها، ولا غير

جورج أبيض — أنا؟ أنا أضع يدي في جيبي، وأخرج منه ألف جنيه، وأعطيك إياها بكل سهولة هكذا، وأنا حي أرزق، وقوي صحيح أستطيع أن أحمي نفسي وما في جيبي؟ ...

عزيز عيد — ولكنه مالي أنا

جورج أبيض — وهل أنكرت أنا ذلك يا أخي؟ كل ما في الأمر أني لا أطيق أن أخرجه بيدي

عزيز عيد — إذن فأخرجه بيدي أنا ... في أي جيب من جيوبك المال؟

جورج أبيض — هنا يا أخي يا عزيز ... في جيبي هذا ...

عزيز عيد — طيب. اسمح لي ...

جورج أبيض — لن يحدث هذا إلا إذا فقدت آخر قطرة من دمي ... حذار يا عزيز أن تمد يدك ...

عزيز عيد — عجيبة!

جورج أبيض — العجيب أن يخرج من جيبي ألف جنيه لا أن أحتفظ بها ...

ويؤكد الأستاذ عزيز عيد أن هذه المحادثة كانت آخر صلته بالألف الجنيه، وإن لم تكن آخر صلته بالأستاذ جورج أبيض... الاثنان فنانان ولا ريب!

***

هذه صور مررنا بها سريعاً، وقد كنت أحسب أن براحي في هذا العدد من الرسالة سيتسع إلى صور غيرها لبعض الشعراء وبعض الموسيقيين وبعض المغنين وغيرهم من الفنانين ولكنه امتلأ بهؤلاء؛ فإلى عدد مقبل بإذن الله نعود فيه إلى المرور بصور سريعة أخرى نرى فيها من بواطن أعلام الفن عندنا وظواهرهم ما يهدينا الله إليه

نسأله الهداية إلى الحق رائدنا وغايتنا

عزيز أحمد فهمي



الصدأ . . .

للقصصي الفرنسي جي دي موباسان

لم يكن له فى حياته سوى « غِية » واحدة ، غية نهمة ، لا تعرف الشبع : « الصيد ! »

كان يصطاد كل يوم من الصباح إلى المساء فى لهفة وشوق ، وكان يصطاد فى الشتاء والخريف وفى الربيع والصيف ، وكان يصطاد فى الغدران حين كانت الأنظمة تحظر الصيد فى الغابات والأحراج ، وكان يصطاد بجميع أنواع الصيد : بالعدو ، وبالكلب المتحفز ، والكلب الراكض ، والكمين ، والمرآة ، والفتاش ...

ولم يكن يتحدث عن شىء غير الصيد ، ولم يكن يحلم بشىء غير الصيد !... ولم يكن لينقطع عن الترديد : يالشقاء من لا يحب الصيد ! ...

ومع أنه تجاوز العقد الخامس من حياته ، فإن صحته لا تزال جيدة ، بحيث لا يظن أنه تخطى عتبة الشباب ، بالرغم من الصلع الذى فتك بشعر رأسه ؛ وهو إلى ذلك شديد البأس قوى البنية ضخم الجسم

وكان يحلق ما تحت الشارب ليكشف جيداً عن شفتيه ، ويجعل دائرة الفم حرة ليسهل عليه النفخ فى البوق

ولم يكن أحد فى المنطقة يدعوه بغير اسمه الخاص : « السيد هيكتور » ، مع أن اسمه البارون هيكتور غونتران دى كورتلين

وكان يقطن فى وسط الأحراج، فى مزرعة صغيرة انتقلت إليه بالإرث ؛ ومع أنه كان يعرف جميع الطبقة الأرستقراطية فى المقاطعة ، ويتقابل مع جميع أفرادها الذكور فى أماكن الصيد ، فإنه لم يكن يتردد بصورة فعلية على أكثر من أسرة واحدة هى أسرة « كورفيل » التى تقطن بجواره وتخلص له الود ، والتى عقدت أواصر القرابة بين أسرته وبينها منذ أجيال عديدة

وكان حبيباً إلى هذه الأسرة عزيزاً لديها ، مكرماً محترماً ؛ وكان كثيراً ما يقول لأفرادها :

— لو لم أكن صياداً لما وددت الابتعاد عنكم قط !

وكان السيد دى كورفيل صديقه ورفيقه منذ عهد الحداثة ، وكان مزارعاً شريفاً يعيش عيشة هادئة مع زوجه وابنته وصهره السيد دى دانتو الذى لم يكن له عمل ، بحجة أنه منقطع لأبحاث تاريخية خطيرة

وكثيراً ما كان البارون دى كورتلين يتناول عشاءه على مائدة أصدقائه ليحدثهم عن الصيد خاصة ، وكان يروى لهم قصصاً مطولة عن الكلاب والفتّاش ، وكان يتحدث عن هذه الأشياء كما لو كان يتحدث عن شخصيات بارزة له بها صلات وثيقة ، فكان يكشف عن نياتها ومقاصدها ، ويشرح حركاتها وإشاراتها :

عندما رأى فيدور — اسم كلبه — أن العصفور هو الذى يضطره إلى أن يعدو سريعاً هكذا ، قال فى نفسه : انتظر أيها اللعين ، إنا لن نلبث أن نضحك وأن نضحك كثيراً . ثم أشار إلىّ برأسه أن أذهب وأتوارى فى حقل النَفَل ، وانطلق يبحث ويبحث ملتوياً تارة ومنحرفاً تارة أخرى فى شىء غير يسير من الجلبة وهو يتسلل بين الأعشاب ليوصل العصفور المطارد إلى زاوية لا يستطيع الإفلات منها . وقد تم كل شىء كما توقعه ، ولم يلبث العصفور أن سقط فى أقصى الحقل ، إذ لم يكن فى إمكانه أن يذهب إلى أبعد من ذلك من غير أن يرى . فقال له فيدور : ها أنت وقعت بين يدى ... ثم أكب على رجليه متخفياً والتفت ينظر إلى ، فما كدت أشير إليه حتى سمعت « بررررر » فطار العصفور فرفعت البندقية إلى كتفى وأطلقت منها النار : « بان » وإذا بالعصفور يسقط ، فحمله فيدور إلى وهو يحرك ذنبه كأنه يريد أن يقول : أرأيت كيف نجحت الحيلة يا سيد هيكتور ؟

وكان كورفيل ودارنتو والسيدتان يضحكون ضحكا شديداً من هذه القصص الغريبة التى يرويها البارون بكل ما أوتى من فن وبراعة ، فكان يحرك كتفيه ويشير بجميع أعضاء جسمه ، حتى إذا وصل إلى موت العصفور انفجر يضحك ضحكا عريضاً وهو يسأل هذا السؤال الذى يتخذه خاتمة لقصته : إنها لجميلة هذه القصة . أليس كذلك ؟

ولا يكاد الحديث ينتقل إلى موضوع آخر حتى ينصرف عنه سمعه ، ويشرع يدمدم بعض أغاني الصيد ، كما كان يفعل حين يسود الصمت بين جملتين ، فإن الهدوء لا يكاد يقطع ضجة الحديث حتى تنطلق منه على حين غرة : طن ... طن ... ويظل البارون يرددها وهو ينفخ خديه كأنه ينفخ في بوق

وهو لم يتعلق بالحياة إلا لأجل الصيد ، وكان الهرم قد بدأ يدب إليه شيئاً فشيئاً . وذات يوم أصيب بداء المفاصل ولزم الفراش شهرين متواصلين ، فكاد يقضى كآبة وضجراً . ولما لم يكن لديه خادم تتولى شئون بيته عهد إلى إحدى العجائز بأمر إعداد الطعام ...

ولم يكن في استطاعته أن يحصل على كمادات حارة ، ولا أن يظفر بما يفتقر المرضى إليه من عناية ، فاتخذ من قائد كلابه ممرضاً له ، وصار هذا الأخير يضجر بقدر ما يضجر سيده على الأقل، فصار ينام ليلاً ونهاراً على أحد الكراسي بينما البارون يشتم ويجدف حنقاً متناظاً في سريره

وكانت السيدة كورفيل وابنتها تعودانه أحياناً ، فكانت الساعة التي تقضيانها بقربه أحب الساعات إليه ، ينعم بالهدوء والراحة ، إذ تغليان له ما يحتاج إليه من مشروبات حارة وتتعهدان الموقد وتقدمان له فطوره على حافة سريره ؛ فكان يدمدم حين انصرافهما : كان عليكما أن تقطنا هنا ؛ فتنفرق السيدتان في الضحك وتوصدان الباب وراءهما

ولما تحسنت صحته وعاد يصطاد في الغدران ذهب ذات مساء لتناول العشاء على مائدة أصدقائه ، ولكنه لم يكن كعادته مرحاً نشطاً ، إذ كان يخشى الانتكاس وعودة الآلام قبل افتتاح موسم الصيد ؛ فلما نهض يريد الانصراف هرعت السيدتان إليه تلفان حول عنقه وشاحاً حريرياً ، فترك نفسه للمرة الأولى في حياته بين أيديهما ؛ ثم أخذ يتمتم بلهجة يائسة :

— إذا عادت الآلام إليّ قضى عليّ لا محالة !

وعند ما انصرف قالت السيدة دارنتو لأمها :

— يجب تزويج البارون !

فسرّ الجميع لهذه الفكرة وعجبوا كيف أنهم لم يفكروا في ذلك إلى الآن ، وطفقوا يبحثون طيلة السهرة بين الأرامل اللواتي يعرفونهن ، وانتهى بهم الأمر إلى أن وقع اختيارهم على سيدة في الأربعين من عمرها ما تزال جميلة موسرة ، حسنة الطباع جيدة الصحة تدعى « برت فيلرس »

فدعوها لتمضية شهر في القصر ، ولما كانت تضجر وحدها في بيتها لبّت دعوتهم ، وكانت كثيرة الحركة والمرح ، وراقها السيد كورتلين لأول نظرة ، وأصبحت تسر بوجوده كما تسر بلعبة تنبض فيها الحياة ، وصارت تقضي الساعات الطويلة تسأله في خبث عن عواطف الأرانب وحيل الثعالب . فكان يندفع برزانة في تمييز وجهات نظر مختلف الحيوانات ناسباً إليها خططاً دقيقة كما ينسب مثلها إلى معارفه من الرجال

وقد استحسن الالتفات الذي كانت تعيره إياه ، وأراد أن يبرهن على تقديره لها فدعاها لمرافقته إلى الصيد ، وكانت هذه الدعوة أمراً لم يقدم عليه إلى الآن مع أية سيدة أخرى . وقد بدت لها هذه الدعوة مضحكة إلى درجة لم تر مانعاً من قبولها

وتعاون الجميع على إلباسها لباس الصيد . فصار كل واحد يقدم لها شيئاً ، ثم ظهرت وقد ارتدت ثيابها على طريقة سكان «الأمازون» ، في رجليها حذاءان ضخمان ، تنفرجان عن سروال من سراويل الرجال ، فوق قميص قصير تغطيه سترة من القطيفة تضيق عند النحر ، وعلى رأسها قبعة من قبعات الخدم الذين يقودون الكلاب

وكان يبدو على البارون أنه شديد التأثر كأنما هو سيطلق أول طلقة من بندقيته ، وشرع يشرح لها بدقة اتجاه الهواء ومختلف أنواع وقفات الكلاب ، وطرق اجتذاب الحيوانات والطيور لصيدها . ثم دفع بها إلى أحد الحقول وراح يسير في إثرها خطوة خطوة كأنه مرضع تسير وراء رضيعها عند ما يبدأ يمشي لأول مرة

وصادف « فيدور » طائراً فأكب على رجليه ووقف . ثم رفع إحدى رجليه ، وكان البارون وراء تلميذته يرتجف كريشة في مهب الرياح يتمتم : انتبهي ... حج ... لات ...

ولم يكد يتم كلمته الأخيرة حتى دوى طلق شديد ، وارتفع من الأرض بررررر ... فارتفع على الأثر سرب من الطيور في الهواء وهي تضرب بأجنحتها ضرباً عنيفاً

ومن شدة التأثر أغمضت السيدة فيلرس عينيها وأطلقت

طلقتين ، وتقهقرت خطوتين من أثر رجة البندقية ، فلما استمادت رباطة جأشها أبصرت البارون يرقص حولها كالجنون وفيدور يموء بمحجلتين بين فكيه

منذ ذلك اليوم بدأ السيد كورتلين يمشقها !

وأنشأ يقول عنها وهو يرفع بصره : يا لها من امرأة ! ... ومنذ ذلك اليوم صار يأتى كل مساء ليتحدث عن الصيد . وذات مرة ، بينا كان السيد دى كورفيل يودعه والبارون مندفع فى امتداح صديقته الجديدة سأله :

لماذا لا تتزوجها ؟

فجمد البارون كالمأخوذ وقال :

— أنا ؟ ... أنا ؟ ... أتزوجها ! ... ولكن ... فعلاً ...

وصمت ثم هز يد صديقه بسرعة وتمتم :

— إلى اللقاء يا صديقى

واختفى فى ظلام الليل وراح يبتعد بخطوات واسعة ...

ولم يعد البارون طيلة أيام ثلاثة ، ولما عاد كان الشحوب قد صبغ وجهه بصفرة داكنة لشدة ما عاناه من التفكير الممض. وكان هذه المرة أكثر رزانة من قبل ، فتوجه إلى السيد كورفيل وأخذه على طرف ثم قال له :

— لقد خطر لك خاطر وجيه ، فأرجوك أن تعمل على تهيئتها لقبولى زوجاً لها ... يا لله ... لكأن هذه المرأة خلقت من أجلى، إذ نستطيع أن نذهب للصيد معاً دائماً

ولما كان السيد دى كورفيل متأكداً من أنها لا ترفض ، أجاب :

— اطلب يدها حالاً يا عزيزى ... أتريد أن أقوم بهذه المهمة ؟

ولكن البارون اضطرب فجأة وصار يتلعثم :

— كلا ! . . . كلا ! . . . ينبغى قبل ذلك أن أقوم برحلة قصيرة ... برحلة قصيرة إلى باريس ، وسأجيبك حال رجوعى الجواب النهائى ...

وامتنع عن بيان أسباب ذلك. وفى اليوم التالى سافر ...

مضى أسبوع ... أسبوعان ... ثلاثة ... والسيد كورتلين لم يعد ، فاستغربت ذلك أسرة كورفيل وقلقت عليه ، ولم يعد أفرادها يدرون ماذا يقولون للسيدة فيلرس التى أطلعوها على رغبة البارون، وصاروا يرسلون كل يوم إلى داره من يتسقط أخباره ، ولكن لم يكن بين خدمه من تلقى شيئاً منه

وذات مساء ، بينما كانت السيدة فيلرس تغنى وهى تعزف على البيان اقتربت الخادم بحذر كبير من السيد كورفيل ، وهمست فى أذنه بصوت خافت جداً : إن بالباب رجلاً يريد مقابلته

وكان هذا الرجل البارون وهو ما يزال فى لباس السفر ، وقد بدا عليه كثير من الشحوب والهزال والهرم ، وما كاد يقع بصره على صديقه حتى أسرع إليه وأمسك بيديه ، وقال له بصوت ضعيف متعب :

— وصلت فى هذه اللحظة يا عزيزى ومع ذلك فقد أسرعت إليك لأقول لك ...

ثم صمت برهة ، وفى شىء من الارتباك والتردد استأنف :

— أريد أن أقول لك... حالاً... إن القضية... التى تعرفها لا يمكن ... أن تتم ...

فنظر إليه السيد كورفيل دهشاً :

— كيف ...؟ ولماذا لا يمكن أن تتم ؟

— أوه ! ... أرجوك ألا ترهقنى بالأسئلة ، إذ يشق على كثيراً أن تضطرنى لبيان السبب ، ولكن كن واثقاً كل الثقة أننى لا أفعل إلا ما يفعله كل رجل شريف ... إنى لا أستطيع ... بل ليس لى الحق فى أن أتزوج هذه السيدة ... أفهمت ؟ ... وسأنتظر مغادرتها داركم لأعود إليكم ... لأن مشاهدتها تمضنى كثيراً ... فإلى اللقاء ... وانصرف هارباً

فاجتمعت الأسرة كلها وأخذت تتشاور وتتناقش وتفترض الافتراضات المختلفة ، وانتهى بها الأمر إلى أنه لا بد أن يكون فى حياة البارون سر خطير ، فقد يكون له أولاد طبيعيون ، وقد تكون له علاقات غرامية قديمة ... وأدركت أسرة كورفيل أن الحالة على جانب عظيم من الرصانة ، ومنعاً لتعقيدات أخرى تسلحت بلباقة فائقة لإطلاع السيدة فيلرس على الواقع ... فعادت هذه السيدة أرمل كما قدمت ...

ومضى على ذلك ثلاثة أشهر . وفى ذات مساء أفرط السيد دى كورتليه فى تناول المشاء ، وصار يترنح وهو يدخن غليونه مع السيد دى كورفيل ، وكم كانت دهشة هذا الأخير عظيمة حينما فاجأه البارون قائلاً :

— آه لو كنت تعلم كم أفكر فى صديقتك، إذن لأشفقت على!

والسيد دى كورفيل الذى استاء من سلوك البارون فى هذه القضية أجاب بصراحة :

— كان عليك يا عزيزى ، ما دام فى حياتك الماضية أسرار ألا تقدم على ما أقدمت عليه ، إذ كان فى إمكانك بكل تأكيد أن تفكر من قبل فى السبب الذى سيضطرك للرجوع عن عزمك

فبدت على البارون علامات الخجل ، وقال بعد أن توقف عن التدخين :

— كان ذلك ممكناً وغير ممكن فى وقت واحد ... ولكنى لم أكن أصدق إمكان حدوث ما حدث

فقاطعه السيد دى كورفيل بفارغ الصبر :

— كان عليك أن تفكر فى إمكان حدوث كل شىء !

فألقى السيد كورتابين نظرة على الظلام الذى يكتنفهما ، وبعد أن تأكد من أنه ليس حولهما من يسمعهما قال بصوت منخفض :

— ألاحظ أنك مستاء من تصرفى ، وسأفضى إليك بكل شىء لتمن علىّ بالعذر ... منذ عشرين سنة وأنا لا أحيا يا صديقى إلا للصيد ... وللصيد وحده دون كل شىء آخر ... أنا كما تعلم لا أحب شيئاً غير الصيد ، ولا أهتم بشىء آخر سواه ... ولذلك خطر لى قبل أن أوقع عقد الزواج مع هذه السيدة أن .. بل حصل فى ضميرى تردد ... إذ منذ الزمن الذى انقطعت فيه عن ... عن الحب ... لم أعد أعرف إذا كنت لا أزال أقوى على ... على ... أفهمت ؟ ؟ ... تصور أنه مضى علىّ أكثر من ست عشرة سنة لم ... لم ... أفهمت ؟ وليس من السهل فى هذه المقاطعة أن ... أفاهم أنت ؟ ... ثم إنه كان لدى شىء آخر أعمله ... كنت أفضل على ذلك أن أطلق طلقة من بندقيتى ... وبكلمة مختصرة حين عزمت على أن أتعهد إزاء الكاهن وإزاء المأمور الرسمى على أن أقوم بواجب الزوجية خشيت أن أكون ... والرجل الشريف لا ينقض عهوده ولا يخل بتعهداته ... وكان على أن أقطع لهذه المرأة عهداً مقدساً بأن ... وأخيراً ، ولكى أكون واثقاً من نفسى قررت أن أسافر إلى باريس وأن أقضى فيها ثمانية أيام ، ولكن الأيام الثمانية انقضت ولم أستطع أن أعرف شيئاً مطلقاً ، ولم يكن ذلك ناشئاً عن قلة ما قمت به من تجارب ، إذ ترددت على أحسن ما فى باريس من جميع الأنواع وجميع الأجناس ، وأؤكد لك أن أولئك عملن كل ما باستطاعتهن ... ولكن ماذا تريد ... كن جميعاً ينسحبن منمنمات ... متممات ... وإذ ذاك قررت أن أنتظر خمسة عشر يوماً ... فثلاثة أسابيع رجاء أن ... وقد أفرطت فى تناول الأطعمة المفلفلة ، الأمر الذى أجهد معدتى إجهاداً عظيما ... ورغم كل ذلك لم أستطع شيئاً مطلقاً ! ... وفى هذه الحال وإزاء فشل جميع المحاولات لم يكن لى بد من الانسحاب ... وهذا ما فعلته ! ...

وكان السيد دى كورفيل أثناء ذلك يدور على نفسه ويبذل جهداً عظيماً ليحول دون انفجاره بالضحك ، فلما فرغ البارون من روايته هزّ يديه برصانة قائلاً :

إنى لأشفق عليك حقاً !

ورافقه إلى منتصف طريق منزله ...

ولما خلا السيد كورفيل بزوجه ، أطلعها على كل شىء وهو يكاد يختنق من شدة الضحك ، ولكن السيدة دى كورفيل لم تضحك قط وإنما كانت تنصت إلى زوجها بانتباه ، حتى إذا فرغ من حديثه ابتدرته برزانة :

إن البارون أبله يا عزيزى ... فإذا كان لم يستطع شيئاً فلأنه كان خائفاً ... وسأكتب حالاً إلى برت أن تعود

فأنشأ السيد دى كورفيل يحتج بفشل جميع محاولات البارون ولكن زوجته أسكتته بقولها :

— يجب أن تعلم أن الرجل إذا كان يحب زوجه وآنته القدرة دائماً !

فلم يحر السيد دى كورفيل جواباً إذ اعتراه هو نفسه شىء من الخجل ...

ابراهيم شموش



فى سبيل الأزهر

تلقينا من الاستاذين عبد اللطيف السبكى وسيد نايل المدرسين بكلية الشريعة كلمتين عقبا بهما على مقال الأستاذ المدنى (فى سبيل الأزهر) تعقيباً لم يتجاوز أسلوب النقد ولهجة الناقد، فرأينا من الحكمة أن نتريث فى نشرهما حتى لا يموقنا الجدل فى الشكل عن البحث فى الموضوع . وما دامت الآراء مطبقة على حاجة الأزهر للاصلاح فلا بأس أن تتسع الصدور لما يسيل على الأقلام من مبالغة فى عرضه أو شدة فى طلبه . ومما لا ريب فيه أن أبناء الأزهر أجمعين سواء فى المحافظة عليه والإخلاص له والجهاد فيه؛ ولكن أهواءهم إذا تفرقت فى سبيل حبه ، فقامت هنا صيحة تدعو إلى الإصلاح ، وقامت هناك ضجة تخزّل عنه وقف بينهما المصلح موقف المتأنى الحائر ، لا يطمئن للوقوف ولا يثق بالتقدم .

قانون منع التبشير فى مصر

وقع صاحب الجلالة الملك مرسوماً بإحالة مشروع للقانون الخاص بمنع التبشير إلى البرلمان ، وهذا نصه بعد الديباجة :

المادة الأولى : تمنع الدعوة الدينية بأية طريقة كانت ، خارجاً عن المحال المعدة لإقامة الشعائر أو الأمكنة المرخص لها بذلك .

المادة الثانية : تعتبر الأمور الآتى ذكرها دعوة دينية إذا وقعت فى معاهد تعليم :

(١) إشراك التلاميذ أو تركهم يشتركون فى دروس ديانة غير ديانتهم

(٢) إشراك التلاميذ أو تركهم يشتركون فى صلوات تخالف عقائدهم الدينية ، أو إسماعهم أو تركهم يستمعون إلى خطب دينية كذلك

(٣) توزيع كتب أو نشرات على التلاميذ تخالف عقائدهم الدينية

وتسرى الفقرتان الثانية والثالثة السالفتان على المنشآت الطبية أو المعاهد الخيرية إذا كانت الدعوة الدينية موجهة إلى المرضى أو اللاجئين إلى تلك المعاهد

المادة الثالثة : لرجال الضبطية القضائية دائماً حق الدخول فى الأماكن المشار إليها فى المادة السابقة للتحقق مما قد يقع فيها مخالفاً لهذا القانون

المادة الرابعة : مع عدم الإخلال بتوقيع عقوبة أشد حيث يقضى بذلك قانون العقوبات ، يعاقب على المخالفات لأحكام هذا القانون بالحبس لمدة شهر وبغرامة قدرها عشرة جنيهات مصرية ، أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط

المادة الخامسة : يعاقب بالحبس لمدة لا تزيد على سنة ، وبغرامة لا تتجاوز مائة جنيه مصرى ، أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط كل من حاول تلقين حدث تقل سنه عن ثمانى عشرة سنة كاملة عقائد دينية تخالف دينه أو عقيدته ، حتى ولو كان ذلك برضاه .

ويعاقب بنفس العقوبات كل من أعطى أو منح شخصاً عطية أو هبة من نقود أو أوراق أو عروض أو فوائد أخرى أو عرض عليه شيئاً من ذلك أو وعده به، سواء أكان ذلك بالذات أم كان بواسطة الغير ، وسواء أكان للشخص نفسه أو للغير، وذلك بقصد التأثير على عقيدته الدينية أو تحويله عنها

ويعاقب أيضاً بنفس العقوبات كل من استعمل مع شخص آخر لهذا الغرض القوة أو التهديد أو الإرهاب أو أخافه من فقد خدمة ، أو من تعريض نفسه أو أهله أو ماله للأذى ، أو استعمل معه المخدرات أو التنويم

المادة السادسة : يعتبر من رجال الضبطية القضائية فيما يتعلق بتطبيق هذا القانون ، موظفو وزارة المعارف وموظفو وزارة الصحة الذين يندبهم لهذا الغرض وزير المعارف أو وزير الصحة بالاتفاق مع وزير الداخلية

المادة السابعة : على وزراء الداخلية والمعارف والصحة تنفيذ هذا القانون ؟ كل منهم فيما يخصه ، ويعمل به من تاريخ نشره فى الجريدة الرسمية

***

وقد أرفقت بالمشروع مذكرة إيضاحية أشير فيها إلى أن الدستور يعلن حرية العقائد ويحميها كما يحمى حرية القيام بشعائر الأديان ، طبقاً للعادات المرعية فى الديار المصرية ، وذلك فى حدود النظام العام والآداب ، وأن هذه المبادئ تتفق وأصول التسامح الذى درج عليه الإسلام

وقديماً أحسنت مصر معاملة أهل الأديان المختلفة ، وأقطعتهم الأراضى الواسعة وكانت تعفيهم من أغلب الرسوم وتتركهم

يباشرون فى حرية تامة ما تقوم عليه جمعياتهم ومؤسساتهم ومنشآتهم من أعمال التعليم والبر، غير أن بعض هؤلاء انصرفوا إلى التبشير بدينهم، وتوسلوا إلى ذلك بوسائل أقل ما يقال فيها إنها استهانة بكرامة المسلمين، وتحد لعواطفهم الدينية

وإذا كانت الدعوة الدينية تتصل فى بعض صورها بحرية العقائد، فإنها إذا بوشرت خارجاً عن محال العبادة أو الأماكن المخصصة لهذا الغرض والرخص لها بذلك قد تحدث الفتنة وتصبح إخلالاً بالنظام لا يجدر السكوت عليه. لذلك وضع مشروع هذا القانون ليحظر الدعوة الدينية على أية صورة، خارجاً عن تلك الأماكن؛ ثم تضمنت المذكرة الكلام عن مواد المشروع

تعبانٌ وظمآنُ

تعبان على وزن فعلان، وهذا الوزن يمنع من الصرف إذا توفر فيه شرطان زيادة الألف والنون، وكون أنثاه على وزن فعلى كسكران وغضبان وما شابهه، فإن أنثاه فعلى كسكرى وغضبى... أما إذا كان فيه زيادة الألف والنون ولم تكن أنثاه على فعلى نحو تعبان وتعبانة فإنه لا يمنع من الصرف، فنقول مثلاً: استيقظت تعباناً، وهو تعبانٌ. وفى هذا يقول ابن مالك فى الألفية:
وزائدا فعلان فى وصف سلم من أن يرى بتاء تأنيث ختم
وأما ظمآن فإن أنثاه ظمأى فهو ممنوع من الصرف لأنه منطبق على القاعدة، وقد نص عليه صاحب اللسان فقال: «رجل ظمآنُ وامرأة ظمأى لا ينصرفان نكرة ولا معرفة»

والذى حدا بى إلى الكلام عن هذين اللفظين أنهما وردا فى عبارتين لأديبين من كبار الأدباء على غير وضعهما الأصلى فأحببت أن أنبه عليهما لئلا يقلدهما القراء لأنهما ممن يقتدى بهم ويقتفى أثرهم، فالعبارة الأولى جاءت فى أول الجزء الثالث من كتاب «ليلى المريضة فى العراق» للأديب الكبير الدكتور زكى مبارك قال: «واستيقظت فى الساعة التاسعة تعبان» وصحتها أن تكون «تعباناً» لما قدمنا، والرجاء من الدكتور مبارك أن يستيقظ نشيطاً حتى لا يتعبنا ويتعب نفسه مرة ثانية. والعبارة الثانية جاءت فى العدد ٧٠ من الثقافة فى مقال الدكتور محمد عوض محمد قال: «ورأى الزعيم، الذى لم يزل ظمآناً إلى فتح جديد» وصحتها ظمآنَ لما قدمنا أن مؤنثه ظمأى فهو ممنوع من الصرف.

ابراهيم يس القطان

النقد والتصويب

صاحب الرسالة الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات
لك منى تحيات وإعجاب

وبعد فإننى معجب تمام الإعجاب بحضرات الشعراء البارعين الذين يتحفون رسالتهم بخرائدهم البليغة. وأبداً لا تعدو عيناى عن واحدة مما ينشرون. غير أن هنالك أمراً كنت أتمنى كثيراً أن يوجه أرباب الدراية فى العربية وبحور الشعر. ذلك هو النقد والتصويب الذى رأيته لأول مرة على ما أذكر لحضرة الأستاذ أبى الفضل السباعى ناصف الذى أحكم بيتاً ند عن الوزن فى قصيدة ذكرى المرحوم المراوى للأستاذ على الجندى. وكم كان جميلاً أن يعلن الأستاذ الجندى شكره للناقد المصوّب. إن هذا النقد والتصويب الذى يجمل بالأساتذة أن ينهجوه على النمط المتقدم أرى ألا يقتصر على ما تنشره الرسالة وغيرها، بل يتعدى إلى ما يسمع فى المحافل من مناظرات وخطب وإذاعات، كما جرى عليه الأستاذ الدكتور زكى مبارك — أدام الله عليه التوفيق وأصلحه مع زمانه — فقد ناقش ببراعته المعروفة الأستاذ الكبير أحمد أمين فى كلمة (أوقات) التى نصبها الأستاذ بالكسرة إذ كان يلقى نفثاته عن طريق المذياع. ومن المؤكد أن الأستاذ أحمد أمين يدرى يقيناً أنها تنصب بالفتحة كما هو معروف ولم يلفظها مكسورة إلا سهواً، ومع ذلك يجب أن نعلن كلمة الحق وهذا حسن

لقد قرأت فى العدد (٣٥٣) من الرسالة قصيدة (رجع أيامى) للأستاذ محمود الخفيف وهى من القصائد الرقيقة المعجبة، ولكنى لن أسكت على شطر منها كما لم يسكت الأستاذ أبو الفضل السباعى ناصف. ذلك قوله: «صوحت وبلاه خضر الأمانى» فهل سها الأستاذ الخفيف عن وضع حرف النداء بين كلمتىْ «صوحت» و «وبلاه» حتى يصح الوزن على هذا الوضع؟ «صوحت يا وبلاه خضر الأمانى». أن الأستاذ وضع حرف النداء وابتلعته المطبعة على كل حال أعلن نقدى وتصويبى لهذا الشطر راجيا أن يتحفنا الأستاذ الخفيف وغيره من المبدعين دائماً بآيآتهم البالغة الباهرة، وأن يتوالى النقد والتصويب على هذا الطراز

(نابلس) **محمد البسطامى**

(الرسالة) صحة الشطر:
صوحت ويلتاه خضر الأمانى
والخطأ مطبعى

أندونسيا

جاء في مقالة الأستاذ عبد العزيز المروى «النقابات الإسلامية» المنشورة في العدد (٣٥٥) ما نصه: «ونجد مثلاً عصرياً لنجاح هذه الفرق وفشل للذهب السنى في حالة المولنديين في الهند الصينية «أندونسيا» الخ. ولا شك أن الأستاذ يقصد بذلك جزائر الهند الشرقية الهولندية لا الهند الصينية، لأن الأخيرة — كما نعلم — تابعة للفرنسيين لا للهولنديين، وجزائر الهند الشرقية هذه هي التي أجمع أهلها الوطنيون في الأعوام الأخيرة على تسميتها بأندونسيا — أى جزائر الهند —، وكان العرب يطلقون عليها اسم «جاوة» — إحدى جزائرها — من قبيل تسمية الشيء ببعض أجزائه

حسن أحمد باكثير

القرن العشرون

في العدد ٣٥٤ من الرسالة قرأت في باب (الأدب في أسبوع) تحت عنوان: «القرن العشرين» ما يأتي بعد كلام: وذاك تنبيه لنا أننا نعيش في القرن العشرين، وفي سنة ١٩٤٠ منه». والمعلوم أن (من) للتبعيض وبالضرورة يعود الضمير فيه على القرن العشرين فيكون معنى ذلك أننا نعيش في سنة ١٩٤٠ من القرن العشرين؛ والواقع أننا نعيش في سنة ٤٠ فقط من هذا القرن وفي سنة ١٩٤٠ من العشرين قرناً، ففي أى سنة نعيش؟

ابراهيم عقلة
معهد القاهرة

الأبيات الحائرة

للحجاج بن يوسف الثقفى مع الشعراء أحاديث طوال. وقد فر جماعة منهم من وجهه وهربوا منه، ومن هؤلاء «سوّار ابن المضرّب» و «محمد بن عبد الله بن نمير الثقفى» وهو الذى شبب بزينب أخت الحجاج ولما ظفر به عفا عنه. وغير هذين كثير وليس يعنيني الآن أن أستقصى أحاديث هؤلاء، ولكنى أعرض لأبيات تتصل بالحجاج وتلك هى:

إن تنصفونا آل مروان نقترب إليكم وإلا فأذنوا ببعاد
فإن لنا عنكم مزاحاً ومرحلا بعيس إلى ريح الفلاة صوادى
فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده إذا نحن جاوزنا حفير زياد

فقد ذكر ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء أنها (لمالك ابن الريب) وكذلك ذكر المبرد في كتابه (الكامل) ج ١ ص ٣٠١ طبعة المكتبة التجارية. والبيت الثالث من شواهد النحويين وقد أجمعوا في كتب النحو والشواهد أنها لمالك هذا. ولكن المعروف أن هذا الشاعر مات في عهد معاوية وكان في بعث «سعيد بن عثمان بن عفان» إلى خراسان وقد مات في الطريق ورثى نفسه بقصيدته اليائية المشهورة — وهو أول من رثى نفسه — فليست الأبيات له إذن فلمن هى؟

جاء في (معجم البلدان لياقوت الحموى ج ٣ ص ٣٠٤ الطبعة الأولى) أنها للبرج بن خنزير التميمى، قال: وكان الحجاج قد ألزمه البعث إلى المهلب لقتال الأزارقة فهرب منه إلى الشام وقال ... الأبيات:

وقد رضى الشيخ المرصفى رحمة الله عليه هذا الإسناد وشنع على المبرد (رغبة الآمل ج ٥ ص ٢٧) ولكن صاحب الحماسة نسبها إلى «الفرزدق» جاء ذلك في جميع الطبعات التى بين أيدينا لحماسة أبى تمام، وقد ارتضى بعض أساتذتنا هذا

فلمن هذه الأبيات؟ لعلنا نظفر بجواب ممن عنده تحقيق هذه المسألة

على محمد حسن
كلية اللغة العربية

الثانى والآخر

قرأت في العدد ٦٧ من مجلة الثقافة مقالاً بعنوان: «حديث أمس» للأستاذ أحمد أمين جاء فيه:

قال أحدنا: جزءاً من العقد الفريد، وآخر: جزءاً من الأغانى وثالث: نهج البلاغة، ورابع: مقدمة ابن خلدون

والمعروف في اللغة أنه لا يسوغ أن تقول آخر إلا إذا كان هو الأخير، فلا تفق بعد ذلك بأعداد أخرى؛ وأن الواجب أن تقول: قال أول وثان وثالث وآخر إذا لم يبق إلا واحد بعد ثالث، أو إن شئت قلت «رابع»

وأحسبك لم تنس استدرا كهم على من قال: ربيع الثانى وجمادى الثانية بأن الصواب ربيع الآخر وجمادى الآخرة ما دام ليس هناك ثالث ورابع؛ وعندى أن هفوة ربيع الثانى ... أهون من قولنا: قال أول وقال آخر وقال ثالث ...

(الفشن) م . م . ابراهيم

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾



8me Année No. 358

Lundi - 13 - 5 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٣٥٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ ربيع آخر سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٣ مايو سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

رأى الرافـــعى

فى الأستاذين طه والعقاد

بمناسبة ذكراه الثالثة

ذكرتُ بذكرى الرافعى وعداً درجت الأيام عليه ولم أوفِ به[1] . ذلك أن أذكر لقراء الرسالة الرأى الصريح المجرد لصاحب (السفود) و (تحت راية القرآن) فى خصميه العظيمين طه والعقاد . وفى ظنى أن تسجيل هذا الرأى قد يصحح ما شاع فى أجواء الأدب من نقد مسه الهوى وحكم أفسدته الخصومة . فإن الرافعى رحمة الله عليه كان من أبصر الناس بِمَصرف الكلام وأقدرهم على نقده ؛ ولكن تعقبه للأدباء الأحياء قلما كان يبرأ من مجاملة الصداقة أو منافسة الحرفة . فإذا أردت استنباط رأيه الحر من غوره البعيد لا يتيسر لك ذلك منه إلا فى الخلوة حين يأمن الأذن الخصيمة والقلم المسجل

جلسنا معاً ذات يوم من أيام الإسكندرية على قهوة (أتينيوس) بعد غداء ضاحك هنيء على مائدة صديقنا المرحوم فليكس فارس . وكان الرافعى برد الله ضريحه شديد الحساسة بالجمال قوى الرغبة فى اللذة ؛ ولكنه كان يطلبها من طريق

(١) انظر العدد (٢٥٤)

المحال أو الحلال فتمييه . كان يتمنى أن يكون كأصحاب الجنة : يصبو من غير فجور وينتشى من غير إثم . فلما أعجزه الدرك أغلق فؤاده من دون نفسه ؛ ثم فتح للجمال عينيه وأطلق فى نعيمه لسانه ، فلا يدع معنى من معانى اللهو ولا لوناً من ألوان العيش إلا صرّف الكلام فيه وأدار الرأى عليه

* * *

كان حديث الرافعى على المقهى الأنيق الوادع أفانين من النكات والأفاكيه يدور أكثرها على سكرات الجمال فى الكرنيش ، وسطوات الشباب على الشاطئ ، وحسرات الحرمان فيما بين ذلك . ثم توافدت زمر المصطافين على المقهى ، فأخذ يتحفظ فى الحديث ويخافت به حتى رده مرغماً إلى الأدب ؛ فسألنى كيف أكتب ومتى أكتب وماذا أشرب حين أكتب . فلما أجبته أنى لا أفكر إلا أول الكتابة ، ولا أكتب إلا آخر الوقت ، ولا أدخن التبغ ولا أشرب القهوة ولا أكركر الشيشة ، عجب كيف توانى القريحة على هذه الحال الكليلة ، وذكر لى ما يتملق به قريحته من المطاعم والمشارب والمقاقير ، ثم روى لى الأعاجيب مما يُلقى عليه إلقاء فى النوم ، وما يلهَمه إلهاماً فى اليقظة ، وعزا ذلك إلى قوة إلهية ترفده وتسنده. فقلت له ضاحكا: وهل تعتقد أن من إلهام هذه القوة تلك الفصول المقذعة التى كتبتها فى النقد ؟ فأجاب بلهجته الطفلية الحاسمة :

أما ما كتبته (على السفود) فأكثره رجس من عمل الشيطان ، وأما ما أدخلته (تحت راية القرآن) فكله إلهام من روح الله

فقلت له ، أو بالحرى كتبت ، لأن مناقلة الحديث كانت لصممه تحريرية منى وشفوية منه :

أتستطيع فى هذه المناسبة يا صاحب (تاريخ آداب العرب) أن تجرد نفسك من ملابسات الخصومة وتُجمل لى رأيك الخالص فى طه والعقاد ؟

فأجاب الرافعى وعلى محياه الوردى سيما المترف القر :

— أما لك فأقول الحق . وما دمت لا أكتبه فلا أبالى أن تنشره :

إن طه عجيب التكوين جليل المواهب . وهو مدين بنبوغه لتوقد ذهنه ودقة حسه وقوة ذاكرته ولباقة حديثه ومزايا عاهته . ولو أنه انتهى كما بدأ لكان اليوم أحد عباقرة الدنيا . ولكنه بلغ المنزلة المرجوة قبل الأوان لأسباب غير طبيعية ، فأعفى طبعه واطمأن إلى منصبه المضمون ومجده المكتسب

علمه علم الأديب يأخذ من كل شىء بطرَف ، وأدبه أدب الصحفى تصرفه السرعة عن الإجادة ، وأسلوبه أسلوب الوادى المنحدر يشتد جريانه ويقل عمقه

ذهنه لمّاع الذكاء ولكنه لا ينفذ ، وقريحته واسعة الحيلة ولكنها لا تخلق . لذلك تجده مغسول الكلام لا أثر فيه لروعة الفن ولا لبراعة الفكرة . ولكنه قوى الشخصية جياش الحركة عذب السياق جميل العرض . وهو أشبه الناس بمهندس العرض فى بيوت التجارة ، يعرض البضائع فى الفترينات منسقة على نظام يملك البصر ، ولكنها تظل بعد التنسيق كما كانت قبل التنسيق ملك غيره . وأحسبه إذا تنفس به العمر على هذه الحال يعود رجلاً له رأى مسموع فى التأديب ، ولكن ليس له أثر خالد فى الأدب . ويلوح لى أن طه تعوزه العقيدة التى تخلق المبدأ ، ومن هنا كان التناقض الظاهر فى كل ما يصدر عنه من قول أو فعل

أما العقاد فإنى أكرهه وأحترمه : أكرهه لأنه شديد الاعتداد بنفسه قليل الإنصاف لغيره . ولعله أعلم الناس بمكانى من الأدب ، ولكنه يَنْفِس علىّ قوة البيان فيتجاهلنى حتى لا أجرى معه فى عنان

وأحترمه لأنه أديب قد استملك أداة الأدب ، وباحث قد استكمل عدة البحث . قصَرَ عمره وجهده على القراءة والكتابة فلا ينفك بين كتاب وقلم . ومن آفة الذين يديمون النظر فى كلام الناس أنهم يفقدون استقلال الفكر وابتكار القريحة ، وليس كذلك العقاد ؛ فإن رأيه لقوة عقله وسلامة طبعه يظل متميزاً عن رأى الكتاب مهيمناً عليه ؛ يؤيده أو يفنده ، ولكنه لا يسمح له أن يذوب فيه أو يتأثر به

أسلوب العقاد أسلوب الأديب الحكيم ، تبرز فيه الفكرة الدقيقة فى مجتلى من الفن الرفيع ، فيجمع بقوة تفكيره ودقة تعبيره طرَفَىْ البلاغة . والعقاد مخلص لفنه فلا يخرج للناس ما لا يرضاه . فهو لذلك أبعد الأدباء عن استغلال شهرته واستخدام إمضائه

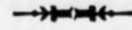
فقلت له وأنا أختم الورقة التى أحدثه عليها : هيهات يا صديق أن يخلص رأيك من هواك . إن رأيك فى الأستاذ العقاد رجوع إلى الحق ، ولكن رأيك فى الدكتور طه إمعان فى الباطل !

احمد حسن الزيات

فى ذكرى الرافعى

طريقته فى تأليف كتبه

للأستاذ محمد سعيد العريان



قلت عن طريقة الرافعى فى تأليف مقالاته ما وسعنى أن أعرفه بنفسى حين كنت أكتب له ؛ فقد أملى علىّ أكثر من مائة مقالة كنتُ شاهدَه فيها إذ يُلَـقَّى الوحىَ ، ويهذب الفكرة ، ويرتب المعانى ، ويتألف الألفاظ ، حتى تنفصل عنه المقالة إلى نفس قارئها كما هى فى نفسه[1]

وأحسب أن طريقته العامة فى كل ما كتب من المقالات هى ما وصفتُ عن عيان وملاحظة ، ولـكن لم يتهيأ لى أن أشهده حين يؤلف فى موضوع من موضوعات العلم ، مما يقوم على التتبع والاستقراء ، وتقليب الصحائف ، وبعث الدفائن ، والارتفاق إلى الـكتب ، والاستعانة بمـا انتهى إليه السابقون من حقائق العلم ونتائج البحث والروية ، ثم التهدّى من ذلك إلى رأى ينتهى بمقدماته إلى نتيجة .

وطريقة الـكتابة غير طريقة التأليف ؛ أعنى أن الطريقة لإعداد مقالة أو فصل أدبى من مثل « رسائل الأحزان » أو « السحاب الأحمر » أو « المساكين » — غيرُ الطريقة فى إعداد كتاب مثل « تاريخ آداب العرب » ؛ فإن الشأن بين هذين مختلف باختلاف موضوعهما ؛ ذلك أن فى كل نفس معانيها التى تعبّر بهـا عن الحب والبغض والقطيعة وما إليها من خلجات الوجدان أو مدركات الحس ، بأسلوبها وعلى مقدارها ؛ فما يحتاج الأديب لتصورها وإبرازها إلى شىء غير الأداة الطبيعية التى يؤديها بها إلى الناس كلاماً مقروءاً يصل نفساً بنفس وينقلها من خطرة قلب إلى إدراك حس . أما تأليف الـكتب العلمية فله سبيل غير هذه ، لأنه يقوم على الجمع والتفريق ، وعلى النقد والتصفح ، وعلى الاستقراء والملاحظة .

وأنا قد قرأت الجزء الأول من كتاب تاريخ آداب العرب منذ بضع عشرة سنة ، وألممت منه بما ألممت ، واهتديت به ما اهتديت ؛ ثم عدت إلى نفسى أسائلها : أين وأيان اجتمع لمؤلف هذا الكتاب هذا القدرُ من المعارف فى شئون العرب والعربيـة فألّف بين أشتاتها فى هذا الكتاب ؟

وظل هذا السؤال قائماً فى نفسى زمناً ، وما أزال من مطالعاتى فى الأدب القديم أقع على شىء بعد شىء فى صفحات متفرقة من كتب عدة يُنسى آخرها أولها من تباعد الزمان بينها ، وكلها مما اجتمع للرافعى فى كتابه . وكان ذلك يزيدنى عجباً وحيرة ؛ فإنه ليس من الطبيعى أن يعرف إنسان كل من يراه فى طريقـه من الناس بحيث يتهيأ له أن ينسب بعضهم إلى بعض ويعرف القريب منهم والجنيب بما بينهم من تشابه فى الخلقة ؛ ولقد يكون ممكناً أن يجلس أخَوان بإزائى فأعرف ما بينهما من النسب بالمشابهة والفراسة ، ولكن هيهات أن أهتدى إلى ذلك لو رأيتهما متفرقين على تباعد الزمان وانقطاع الصلة . من مثل ذلك كان عجبى وحيرتى

... وهممت أن أسأل الرافعى مرة ، ولكنى لم أفعل ؛ وهممت أن أعرف بنفسى فلم أبلغ ؛ ثم عزوت ذلك إلى ذاكرة الرافعى وسرعة حفظه ؛ وقلت : متفرقاتٌ قد عرفها فى سنين متباعدة فوعتها حافظته ، فلما هم أن يؤلف كتابه أمدته الذاكرة بما وعت منها ، وكان مستحيلاً عليه أن يجمعها لو لم تجتمع له من ذات نفسها ، واطمأننت إلى هذا الاستنتاج ونسبتُ إليه عدم ذكر الرافعى للمراجع التى استعان بها فى هـذا الكتاب ؛ لأنه يروى عن ذاكرته !

ثم قرأت له بحثه فى (الرواية والرواة) ؛ فإذا هو يتحدث عن أثر الحفظ فى مؤلفات العلماء وينادى بإحياء هذه السنة ، سنة حفظ العلم واستظهار كتبه[1] ؛ فتأكد لى ما رأيت ، وكان وهما من الوهم عرفت حقيقته فيما بعد ...

* * *

أما الحقيقة التى عرفتها بعد ، فما أزال فى شك منها وإن كان برهانها ماثلاً لعينى ؛ ولكنه شك المتعجب الذى يفجأه ما لم يكن يتوقع ...

منذ بضعة أشهر وكل إلى القيام على تصحيح بعض مؤلفات الرافعى التى تطبعها الآن إحدى دور النشر الـكبرى فى القاهرة ؛ فأخذت أهبتى للعمل ...

... وزرت الـكتبة التى خلفها صاحبها أوراقاً مركومة وكتباً تستند إلى الحيطان ؛ أريد بذلك أن أبحث فيها عما يكون

(1) حياة الرافعى ص ١٨٠ — ١٨٦

(1) تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٣٢٢

هناك من مستدركات على بعض الكتب المطبوعة، فأزيدها عليها؛ وأبحث عن (أصول) الكتب التي لم تطبع بعد، فأرتب فصولها وأعدها للطبع. وفتحت أدراج الدولاب، فرأيت وعرفت السر... رحمه الله!

ذلك جهد لا يقوى على مثله جند سليمان ولكنه قوىَ عليه وحده، ثم مات وخلَّفه شاهداً على ما بذل فى حياته لخير هذه الأمة فلم يلق من يعرف يده!

وإلى القارئ أصف ما عثرت عليه:

يعرف قراء العربية أن كل كتب المراجع فى لغتنا ليس لها فهارس تعين الباحث على التماس ما يريده منها فى أقصر وقت، إلا بضع كتب من المطبوعات الحديثة؛ فالأغانى، والأمالى، والعقد الفريد، والكامل، والعمدة، والخزانة، والحيوان؛ والبيان والتبيين، وكتب الطبقات، وحتى كتب الفهارس والتراجم، ليس لها فهارس يمكن الاعتماد عليها عند البحث؛ فمن أصاب منها غرضاً فمن طريق المصادفة والاتفاق، أو بعد المطاولة وضياع الزمن؛ وحسبى أن أذكر أننى ذات مرة أنفقت ليلة كاملة فى البحث عن كلمة فى البيان والتبيين ثم لم أعثر بها فطويته على سأم وملالة؛ فلما كنت بعد أيام، وقد فات علىَّ الغرض الذى كنت أقصد، فتحت الكتاب عرضاً فإذا الكلمة التى كنت أريدها أمامى...

هذه الحقيقة يعرفها كل من عانى مشقة البحث فى هذه الكتب؛ فهى كتب للقراءة المجرَّدة لا للبحث والتنقيب العلمى. عرف الرافعى ذلك فاتخذ له طريقاً...

وكان أول ما صنع أن انتخب كل الكتب التى يعنيه أمرها فيما يمهد له من البحث، فقرأها كلها قراءة درس؛ وهى كتب ليست بالقليلة، وحسب القارىء أن يعرف أن كل فصل فى كتاب تاريخ آداب العرب للرافعى قد اعتمد فيه على عشر مراجع من المطولات أو يزيد، ليدرك من ذلك كم كتاباً قرأ قبل أن يؤلف كتابه الذى ذكرت...

قلت إن الرافعى انتخب طائفة من الكتب يرجو أن تعينه على البحث فقرأها كلها، أعنى نَفَضها نفضاً بحيث لم يفتْه منها معنى يتصل بموضوعه

ثم شرع يعمل، فكتب لكل كتاب مما قرأ ملخصاً يضم المجلدات الكثيرة فى كراسة أو كراسات؛ يرجو أن تغنيه عن أصولها المطولة

ثم عاد إلى هذه الملخصات فرتب أجزاءها ترتيباً بضم القريب إلى القريب بحيث يجد طلبته عند النظرة الأولى من غير أن يتعب فى تقليب الأوراق

ثم كانت الخطوة الرابعة فزاوج بين ملخصات الكتب المختلفة يضم الأشباه منها إلى الأشباه

ثم كتب...

ثم عاد إلى المكتوب فقرأه قراءة الباحث: يزاوج بين رأىٍ ورأى ليخرج منهما رأى ثالث... واجتمعت له من ذلك المقدماتُ التى تبلغ به النتيجة...

ثم كانت المرحلة الأخيرة هى التهذيب والصقل الفنى، من صناعة البيان وتحكيك الألفاظ وتجميل المعانى وتزيين الأسلوب

سبع مراحل بين البدء والنهاية... ثم خرج الكتاب لقارئه ليسائل نفسه فى عجب: أين وأيان اجتمع لمؤلفه ذلك القدرُ من المعارف فى شئون العرب والعربية فألف بين أشتاتها فى هذا الكتاب؟

سؤال كنت أسأله نفسى قبل أن أرى وأعرف وأضع يدى على تلك الأوراق التى كانت فى درج مكتبه فتكشف لى السر...

بين يدىَّ الآن الجزء الثالث من تاريخ آداب العرب، أرجو أن أفرغ منه ليكون فى أيدى القراء بعد أيام؛ وهو كتاب ألفه فى سنة ١٩١١ أو قبل ذلك، ثم شغلته شئون الحياة عن إخراجه فخلَّفه أوراقاً مصفرَّةً يكاد يبليها التقادم... فى هذا الكتاب وجدت مفتاح السر، وسيقرؤه قراؤه بعد أيام فيعرفون فى بعض فصوله أين بدأ مما انتهى وعند أى مرحلةٍ وقف... ثم يذكرون مؤلفه فيترحَّمون عليه...

... وفى مكتبته كتاب آخر أرجو أن يعيننى الله عليه ما أعاننى على هذا الكتاب. وهناك غير ذلك كراسات عدة وأضابير مطوية. تلك هى الفهارس التى كتبها ثم استكتبها... ولكنها — فيما تبدو لى — ألسنةٌ خُرْس

***

قلت كانت المرحلة الأولى فى تأليفه أنه اختار طائفة من الكتب... وأقول إن أول ما اختار من ذلك كتب التراجم،

(البقية على صفحة ٨٤٠)

من مذكرات الأستاذ محمد كرد على

« للأستاذ محمد كرد على مذكرات تتناول مشاهداته وتاريخ حياته من يوم وعى لنفسه ، وقد تحدث فيها كثيراً من مصر ورجالات مصر ، ويسرنا أن نقدم إلى قرائنا هذه الصفحة منها . »

أخلاق القضاة

لم أرَ فيما رأيت من أنواع المداوات أشد من تمادى الشانئ ، ولا أكثر من غمط بعضهم حق بعض ، ولا أعظم من تكالبهم على حُطام الدنيا ، ولا أشد تهالكا منهم على أبواب الأمراء والحكام . ولقد رُويت لى عنهم روايات ما كنت أصدقها لولا أن رواتها ممن لم يعرفوا الغيبة والنميمة . ولما أخذت أتعرف إلى الرجال رأيت ما هالنى ، وآلمنى أن كان من يُطلب منهم الصدق هم من أول الكاذبين ، ومن تفترض فيهم الأمانة هم فى مقدمة الخائنين ؛ وأيقنت أن القليل منهم عرفوا الكرامة وعزة النفس . وهم هم جعلوا مسلكهم بضعتهم علامة ضَعَة وصَغار ، وكان علامة شرف وفخار . وأصيبوا بغرور وزهو ظنوا معهما أن سلطانهم القديم على الملوك ، فمن دونهم ، يبقى لهم بهذا الجهل وهذا الفساد

قلت يوماً لعالم درس تاريخ الإسلام درس تدبر ، وعرف استخراج عبره : « أما كان فى العصور الماضية قضاة جاهلون فاسقون سارقون ، فكتب الأدب تتعرض لذكر كثير مما كان يتهمون به ، أليس ما روى عنهم بصحيح أم صنعوه للنكتة ؟ » فأجاب : أكثر ما روى فى سيرة القضاة قديماً صحيح ، والجهل وسوء الخلق لا ينقطع دابرهما من الأرض ، ولكن إذا فرضنا أنه كان فى المملكة الإسلامية ألف قاض فى القرون الغابرة ، وألف مثلهم فى هذه الأيام ، فإن الألف السابقين كان فيهم عشرة فاسدون لا يصلحون ، أما الألف اللاحقون فالفاسدون منهم يعدون بالعشرات بل بالمئات . وأظن السلطان بيلدرم بايزيد العثمانى هو الذى جمع قضاة مملكته لما ثبت له قلة دينهم وتلاعبهم بالحكومة وأمر بقتلهم كلهم ؛ فلما حقت عليهم كلمة العذاب لجأوا إلى أحد حاشيته وندمائه ورشوه بمبلغ من المال « وداونى بالتى كانت هى الداء » ، فذهب إلى السلطان لابساً ألبسة السفر ، فسأله السلطان عن الداعى إلى اكتسائه هذه الكسوة ؛ فقال : إنه ذاهب إلى صاحب القسطنطينية ـ وكانت يومئذ بأيدى الروم ـ ليأتى من عنده بقسيسين يتولون القضاء فى بلاد السلطان. فضحك هذا وعفا عن القضاة على ألا يعودوا إلى سالف سيرتهم القبيحة

وما زالت حال القضاة فى تدهور العصر بعد العصر حتى كانوا هم السبب الأعظم فى إدخال قوانين الغرب على الدولة العثمانية والحكومتين المصرية والتونسية لكثرة ما أساءوا إلى الشرع الإسلامى وعبثوا بأصوله وفروعه ، فكانت المحاكم الشرعية بؤرة فساد ، وأحكامها سلسلة من الخلل والعلل ، فما كرهت أوربا الدولة على قبول قوانينها ، ظناً منها أن الفساد آت من الشريعة ، وما العيب إلا من جهل المنفذين لأحكامها وفساد أخلاقهم . وقد شاهدنا تحسناً ظاهراً فى قضاة الشرع لما أنشأت الدولة مكتب النواب فى الآستانة وكان المتخرجون على أساتذته إلى الاستقامة والعلم أكثر ممن سبقوهم بكثير . ومثل ذلك شاهدنا القضاء فى مصر يتولاه اليوم الأخيار وكان فى القرن الماضى يتولاه الأغمار والأشرار. بحثت سيرة من أهمنى أمرهم من القضاة فقلَّ جداً من اقتنعت بذمته منهم ، ومن نعده مستقيما قد لا يتعفف عن قبول الهدايا من أرباب المصالح

قصة لطيفة وقعت لقاض من أهل دمشق كان فى دومة من الغوطة ، وكان مضحاكا خفيف الروح يحفظ كثيراً من النوادر والفكاهات ، وهذا جل رأس ماله فى القضاء على ما يظهر . أتاه ذات يوم رجل اسمه محمد عبد النافع أحد ظرفاء دومة بكتاب يقول له فيه إن الله خلقه بغير إرادته ، وأتى به إلى هذا العالم ولم يستشره ، وزين له أن يتزوج ففعل ، ورزقه أولاداً ليقر بهم عينى والديهم فكانوا علة إفلاس والدهم وشقاء والدتهم ، وإن فقره يزيد كلما زاد عدد أولاده ؛ فهو لذلك يلتمس من القاضى أن يجلب إلى محكمته العادلة المدعى عليه وهو الله سبحانه وتعالى ليتقاضى معه ؛ فرأى القاضى أن صاحب الدعوى من أصحاب النكتة ، فانتظر حتى أنجز أرباب الأشغال مراجعاتهم وأغلق باب المحكمة ولم يترك فيها غير الموظفين والقائم مقام ، وطلب المدعى وهو والحاضرون يصطنعون الجدّ، فسأله عن دعواه على الحق تعالى ، فقال إن دعواه مكتوبة فى القصة التى قدمها . فقال القاضى للمدعى بعد أخذ ورد قليل : هل تسقط دعواك يا شيخ إذا أُعطيت من مال الله خمس ليرات عثمانية وكيس طحين ؟ قال :

أفعل . قال القاضي : أنا سائلك سؤالاً تجيبني عليه بصراحة . فقال : الأمر لسيدي . فقال القاضي : جاء هذه البلدة قضاة كثيرون قبلي فَلِمَ لم تتقدم إليهم بهذه الشكوى لينصفوك ممن تدعى عليه سبحانه وتعالى ؟ فقال : لم يكن القضاة الذين يقدمون لتولى القضاء في بلدنا مثلك ، كانوا يخافون منه . فصفق الحاضرون تصفيقاً شديداً استحساناً لهذا الجواب . وربما قال القاضي في سره إنه والله لصادق ؛ فأنا أعلم من نفسى أن معظم القضاة لعهدنا لا يخافون الله ، هم لصوص على رؤوسهم عمائم بيضاء ، وإن طعامهم ولباسهم ومأواهم من أموال اليتامى والأيامى . وهكذا كان هذا القاضي يقول لزوجته مفاخراً ، وما أشك أنه من قضاة النار . . .

هزل مصر

ومنها من فصل عنوانه « هزل مصر » :

... في مصر اليوم عدة جماعات ومجتمعات تظفر في بعض حواشيها بأفراد ممتازين يختلفون إلى المقاهي ويزهدون في الاجتماع في بيوتهم ، وكذلك الحال في بلاد الشام ، وكانت فيها الأندية الخاصة أو « البماكيك » في كل حيّ من أحياء المدن والقرى الكبيرة . ولى جماعة في بار اللواء أمام إدارة جريدة الأهرام بالقاهرة ، وهم بقايا صالحة من أرباب الثقافة العالية والوطنية الحقة الصامتة ، ومنهم صديقي القديم الأمير محمد بك على المهندس ، وقد وقع لى ، وأنا أسير معه في بعض الشوارع ، وأمه سودانية وهو أسود البشرة محمود الصفات خدم السياسة المصرية بما يخدمها به الرجل الشريف أعواماً طويلة وما طلب على عمله لوطنه مكافأة ولا طمع في مظهر من المظاهر التي يطمع فيها المتجرون بالوطنية

وقع لى أن لاقيت على الجادة صديقاً لى آخر اسمه صالح افندى السوداني وهو أسود أيضاً بلون محمد بك على ، وهو من أرباب الأقلام ومن المخلصين في خدمة مصر ، فقلت لهما : خطرت ببالى الآن قصة وقعت لى في بلدى وأنا في صدر الشباب ، كان لنا جار وهو أخى من الرضاع اسمه رشيد المبل من أبناء البيوتات القديمة وقد خلف له أهله ثروة جيدة ، وكان أسود اللون قاتمه مثلكما ، ولكما المثل الأعلى ، فكنا يومئذ نركب الخيل وعنده وعند والدى منها عدة نمتطى بعضها عند الأصيل ونخرج إلى المتنزهات بين البساتين . فقال لى والدى يوماً : إنك يا بُنىّ تبيت كل يوم حسن ذوقك ؛ أما رأيت في هذه المدينة الكبيرة أجمل طلعة من جارنا ابن المبل تصحبه إلى نزهتك ؟ ودعا لى بالتوفيق والغبطة ! والتفت إلى الصديقين وقلت لهما من باب مطابقة الحديث للترجمة : أليس قول والدى يصدق علىّ الآن ؟ ولا شك أن الناس هنا أدق شعوراً فيضحكون إذ يروننى بينكما . فضحكنا ضحكاً كثيراً ... وتالله إنى لأفضل هذين الأسودين بما فيهما من صفات غُرّ على كثيرين من البيض أصحاب الصحائف السود .

محمد كرد على

خواطر يثيرها سائل

للأستاذ عبد المنعم خلاف

- ٣ -

سنة الله — التحرر من التاريخ — الطفولة موضع أمل — عصر العمل — شرود النساك — عالم الأجسام — فلنعش هنا — معنى العبادة — الدين ابتهاج لا كآبة — دعوة الأغنياء للدين — الحياة لعب ولهو — جناية الدولة على حياة الروح

لا يزال أكثر الناس يجهل سنة الله واتجاه إرادته في الطبيعة على الرغم من كثرة عدد العلماء الطبيعيين ، ولا يزال كثير من الأمم يأبى أن يبني الحياة الإنسانية الفردية والاجتماعية كما بنى الله الطبيعة بقوانين لا تخطىء ولا تستثنى ولا تهمل ، مع أن الحل الوحيد الموفق السعيد لجميع المشكلات هو أن يبني الفرد حياته وتبني الجماعة حياتها كما بنى الله الحياة العامة على الحرص الدقيق واليقظة التامة والعلم الشامل والقوة القاهرة والتصميم النافذ والاستيعاب الكامل للجزئيات والتوزيع العادل للقوى والعناصر ؛ فبرزت في هذا التناسق والانسجام والجمال

ومع هذا الجهل الفاضح من الناس « لسنة الله » نجدهم في غاية الجرأة إذ يقدمون على محاكاة الله بعقولهم الصغيرة المحدودة التي لم تعرفه بعد ولم تعرف اتجاه إرادته الظاهر في الطبيعة

إن الله احتجب عنا فلن ندركه بأبصارنا إذ لا قدرة ولا طاقة لنا على ذلك . ولكنه وضع أمامنا « خريطة » الكون مفصلة واضحة لنرى فيها تخطيطه وأسلوبه في إيجاد الحياة وتنظيمها والقيام عليها

وقد وضع الله في الإنسان قوة أشبه بمرآة تنطبع فيها جميع صور الطبيعة ونظمها وهي « العقل » ، وكان من المحتم لو سارت التربية سيرها الطبيعي أن ينتقل سنة الله في الطبيعة إلى تلك القوة وينطبع فيها فتحفظه وتتنبه إليه دائماً وتسير بإرشاده في بناء الحياة الإنسانية . ولكن قوة « الاختيار » التي في الإنسان من جهة وحبه « لاختبار » كل أفق « واستطلاع » كل شيء في الحياة هما السبب في عدم تقيده بما يوحى إليه أسلوب الله ، وفي خلقه لنفسه جواً صناعياً جعله يبتعد بالتدريج عن الطبيعة التي هي كتاب الله إليه وصورة من علمه تعالى واتجاه إرادته

وشيء آخر غير « الاختيار » وحب الاستطلاع والاختبار يؤثر في إدراك الإنسان وعقله تأثيراً رديئاً ... شيء هو كل شيء ... هو التاريخ المسطور في الصحف الموروثة وأدمغة العجائز والشيوخ الذين هم قناطر وجسور دائمة تعبر عليها وراثات من الجاهليات الأولى متحدرة في الدماء والأعصاب والألسنة هي آثار من المحاولات الأولى المغلوطة التي حاولها الإنسان لإدراك الله وإدراك اتجاهه في الطبيعة

إن خمائر التاريخ السيئة هي التي تعوقنا عن رؤية الحق الصريح إنها جعلتنا أمامي ، صناعيين لا طبيعيين ... فلا يزال في التاريخ كثير من الأمراض والظلمات التي كنا فيها قبل أن نشب عن الطوق وندرك الرشد ، إنه من أكبر أسلحة الشر لمقاومة تقدم الإنسانية ... إنه يربينا بما كان يربى عليه الأولون من العواطف والأفكار المغلوطة ، ومن العجيب أن الاحتفاظ بخرافات التاريخ وجد له شرعة عصرية تحلله بحجة الإبقاء على « التقاليد » حتى الدين العقلي الطبيعي وهو الإسلام لم يستطع أن يمحو مصائب التاريخ ومواريثه السيئة من الأمم التي تدين به فدخل كثير من الناس فيه من غير أن يغتسلوا غسلاً تاماً من مواريث الوثنيات والأباطيل واكتفوا بتغيير عنوان حياتهم العقلية القلبية من غير أن يحلوا ما وراء العناوين ، ولو ذهبت أتقصى بقايا الوثنيات في ديار الإسلام وفي أفكار المسلمين لطال بي المقال ، وحسبي أن أحيل كل قارئ على علمه بما يجرى ، وإذا كان هذا في ديار الإسلام فما بالك بما في ديار غيره ... وقد انحدرت إلينا هذه المواريث سائرة مع أصول الدين جنباً لجنب ولم تنتبه إلى ازدواج شخصياتنا تبعاً لذلك ، وإني أتخيل جيلاً من الأطفال ربى بأيدي حكماء تحرروا من كل باطل واسترشدوا بأسلوب الطبيعة وسلامة الفطرة ولم يأخذوا الأفكار العامة عن الحياة والدين من التاريخ والبيئة الملوثة . أتخيل ذلك فتسطع أمامي في هذه الأرض أنوار من الجنة الموعودة في السماء ...

ولم يستطع نبي أن يتلقى الوحي عن الله إلا بعد هذا التجرد من التاريخ ... إن النبوة في مبتداها تجرد من كل شيء موروث

ثم! إيغال فى الوصول إلى أصول الحياة ، ثم رؤية يد الله وهى تضع هذه الأصول وتحفظها ، ثم سماع الله بعد ذلك ...

والطفولة هى موضع أمل الإصلاح ... ولكن هل تترك الإنسانية المصلحين يبنون مستقبلها ؟ هذا سؤال قبله سؤال آخر : هل هى تدرك المصلحين وتعرفهم ؟ نعم تدركهم ولكنها تحسدهم ؛ لأن الغرائز السفلى وقوى الشر دائماً تسلط الحسد ليكون طليعة فى الدفاع عنها وبقاء وجودها ...

قلوب الأنبياء والحكماء كقلوب الأطفال ... لأنهم يرتدون دائماً إلى مبادئ الطبيعة وأوليات الحياة البسيطة التى لم تلتو مع ميراث النفاق الاجتماعى والإثم الصناعى . فهم دائماً ينظرون بفرحة وبهجة إلى الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكل شىء ... وكل شىء . وكأنهم فى ابتداء حياة جديدة كل يوم بل كل ساعة ... وتترقى نظرتهم بترقى إدراكهم حتى ينتهى بهم الأمر إلى أن ينظروا إلى الوجود نظرة خالق الوجود ! نظرة وراءها وصاية على كل شىء واهتمام به وحرص على استمرار نفاذ قوانين الحق على سنة الله وطريقته

***

قد كان من الواجب على الإنسان أن يقلد أسلوب الله منذ وجوده . وأسلوبه يتمثل فى العمل والصمت الدائم ... ولكن الإنسان أخذ يلهو ويعبث ويتكلم ! وفرح بالكلام وقضى فى علوم الكلام دهراً طويلاً من عمره ، حتى جاء العصر العملى الذى لا نزال فى فجره وبواكيره . وهذا العصر العملى كثير البركات على الإنسان ، إذ كشف له عن كثير من أبواب كنوز الطبيعة ومفاتيحها . وكان من أول الواجبات بعد هذا العصر أن يشرع الإنسان فى تعديل غرائزه السفلى وتهذيبها و « تطويرها » حتى لا تشغله بسفالاتها القديمة وصراخها الصبيانى

وإنى لأعجب من العلماء الطبيعيين الذين كشفوا عن كثير من الأسرار العملية فى الطبيعة ، ثم استمروا بعد ذلك خاضعين للغرائز السفلى ومواريث التاريخ الجاهلى ! كما أعجب من النساك والعباد الذين يتنسكون ويتركون الجهاد للحياة العملية والاندماج فى موجاتها !

إن الله بنّاء بنى السماء والأرض والجبال . . . وصانع صنع أجسام النبات والحيوان . . . وسقّاء يسوق السحاب الثقال ... وزراع يخرج نبات كل شىء ، ومعلم هدى كل شىء إلى طبيعته ... وفنان طرّز حواشى الوجود ، وصبغ الخدود ، وزركش الأرض بالورود ، ورقق أنفاس الرياح ، ونشر المطر الفياح ، ورقرق الأنهار ، وجلا النهار ، وزين الظلام بالمصابيح الوضاء...

« فالجمال هو توقيع الله على الأشياء » !

فكيف يأبى النساك أن يعملوا للحياة عمل الله ؟!

إنهم لم يعرفوه ! فلو عرفوه لساروا على أسلوبه ، ولأقاموا أسواق الحياة عامرة . . . لأنه خلقهم ليعمروها لا ليتركوها غامرة صامتة صمت الخراب والقبور ...

إن حياة التأمل فى الله بدون عمل قليلة المحصول جالبة للخبال « ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا »

الأجسام ! الأجسام ! هى أداة الحياة فى الدنيا ، فيجب أن نحيا بها حياة كاملة ، ولا نعطلها فى البحث وراء العالم الخفى ... يجب أن نخرجها إخراجاً جيلاً قوياً فإنها محاريب من محاريب الطبيعة أيضاً ... بل يكاد يكون الجسم الإنسانى الجميل المكتمل أجمل شىء فى الوجود ...

لعل النساك يحرمون أنفسهم هنا لينالوا ما هناك ؟ ... كلا ! ليس وجود الآخرة معناه ألا نحيا هنا حياة طيبة بقدر ما تسمح به طبيعة الحياة الدنيا . . . إن الآلام هى سبب الكفر والجرائم التى تحرم من جنة السماء فلنحاربها ولنمحها إذا استطعنا لنضمن الرضا عن الحياة والرضا عن الله

لماذا ننشد نعيم الآخرة بشقاء الدنيا ؟! ألا يجوز الجمع بينهما ؟ بلى ! وإلا فالحياة مأساة !

ويقينى أن صلاح الدنيا صلاح للآخرة

إن الدين لم يكلفنا بعمل أشق من الموت فى سبيل الله . وما معنى الموت فى سبيل الله ؟ إنه الموت لتكون كلمات الله هى العليا . ولن تكون كلماته كذلك إلا إذا سار الإنسان على أسلوب الله فى الطبيعة فضمن سلامة الحياة من إجرام الغرائز السفلى وظلمها ، فكأنه أشق عمل دينى فرضه الله وسيلة لإصلاح الدنيا . فصلاح الدنيا هو المطلوب الأول لأننا نحيا حياتنا هذه قبل حياتنا الأخرى

يقول النساك المنزلون للحياة : إنهم يطلبون وجه الله بالعزلة ... ولكن وجه الله الحقيقي لا يرى ... وفي الحديث : « إن الله احتجب عن الأنظار ، وإن الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه أنتم » . ذلك قول قالته أعظم نبوة رأتها الأرض ، وعليه طابع جلالها وعمقها وصدق تجربتها في البحث عن وجه الله

ولكن صور وجه الله تظهر جلية رائعة في الطبيعة وفي آفاق الحياة الإنسانية ، فعلينا أن نبحث فيها عن الله وأسراره . وما خلقنا بالأجسام إلا لنعرفه في عالم الأجسام . . .

علينا أن نلبس الحياة لبساً واسعاً شاملاً وأن نحسها في كل شيء إحساساً عميقاً . وتلك هي حقيقة عبادتنا . فالدين هو الإحساس بالحياة إحساساً دائماً يكون معه الفكر في الله مبدع الحياة . وبهذا أجد تفسير « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » وبهذا التفسير تتبين غاية الخالق من خلق الناس متحققة واضحة جلية . أليس كذلك أيها الأخ البيروتي أوليس كذلك أيها الأخ الآخر « ح . م » ؟

فالإحساس الصادق بالحياة والعمل بمقتضى هذا الإحساس هو عبادة الله . وعلى هذا تكون كل حياة الإنسان في الأرض عبادة . . . حتى خدمته لنفسه وشعوره بلذاته المحللة وكشفه العلمي وعمله للرزق ما دام وراء كل أولئك فكر في الله وتنبه إلى سر إيجاده للحياة

وتبتدئ العبادة حين يحس الإنسان أنه دخل هذه الحياة مكرهاً من غير إرادة ، فصبر على ما فيها من آلام ومشقات حتى يتوفى الله نفسه من جسده ... فالمنتحر كافر لأنه لم يتحمل آلام التجربة والاختبار في هذه الرحلة الأرضية التي لا بد أن يكون وراءها غاية عقلية عند الذي دعانا إليها وحملنا عليها . المنتحر شخص وهبه الله الحياة فردها في وجهه . فما دمت قد شعرت أني لست أنا الذي خلق نفسي ودفع بها إلى هذا البيت الهائل العظيم فصبرت وانتظرت وفكرت في صاحبه دائماً فأنا عابد لله ؛ لأنني سرت طائعاً مع أبناء الحياة ، ومواكب الطبيعة التي تسير أمام عصا القهر طائعة ساجدة

والفرق بين أعظم القديسين وأعظم الكافرين هو اتجاه الفكر والنية إلى رب الحياة في كل عمل وفي كل وقت ... فالقديس كل أعمال حياته مسبوقة باتجاهات ونيات منظور فيها إلى رب الحياة ... والكافر كل حياته غفلات يأخذ بعضها برقاب بعض فلا يفيق منها إلا عند الموت . مع أنه حين يدخل متحفاً أو بيتاً جيلاً يسرع فكره إلى السؤال عمن بناه أو نظمه ...

لقد أفسدنا المعاني الدينية بأخذها تقليداً من دون فكر وروح وإحساس بها وبتلقينها للأحداث قبل أوان تفتحها في أرواحهم وعقولهم بمناسباتها . فحسبنا العبادة هي أداء رسوم الصلوات والزكوات والصوم وغيرها ... كلا ! إن العبادة هي الإحساس الصادق بالحياة والشعور اللازم بالله والفكر فيه ، وفي أسلوبه وتقليد أعماله في الطبيعة من أول الوعي للحياة إلى أن تحين سكرة الموت ... وأما الصلوات وما وراءها مما يسمى عبادات ، فهي فيض للنفس بتلك المشاعر والأحاسيس والأفكار فيضاً يتمثل ويتشكل ويظهر في عالم الأجسام بعد امتلاء الروح ...

والدليل على ذلك أن هذه الأعمال تكون باطلة إذا خلت من التوجه والنية ... فكأنها مواقف « استعراض » لأجسام الذين تمثلت فيهم الحقيقة الدينية كمواقف استعراض الجنود الذين يجيشون لغاية ما ، ولن يعد الجندي بلباسه وشاراته وسماته الظاهرة إلا إذا كان عامر القلب بمعاني الوطنية والغاية التي جند من أجلها .

* * *

شيء واحد ينبغي للانسان أن يحرص عليه ، حتى يحقق الغاية من خلقه : هو أن يحيي رب هذه الحياة بتحية بسيطة قبل أي عمل أو متاع ، ومع كل ألم ...

فإذا استطاعت التربية في بيوتنا ومدارسنا أن تجعل هذه الخاطرة الصغيرة عادة ملازمة للانسان ، فقد قام الدين وأقيم أساسه في النفس ، ثم تأتي سائر رسومه وأشكاله بعد ذلك فيضاً نفسياً وفعلاً اختيارياً

وإن إدراكنا لله في القرن العشرين يجب أن يكون أوسع منه عند جماهير الناس في القرون السالفة . وهذا منوط بالتربية ، والنشأة الطبيعية تحت التأثير المباشر للطبيعة أقل ضرراً وإفساداً لنفس الطفل من التربية المغلوطة التي فيها مواريث ومقاييس فاسدة

والدين يجب أن يعلم على أنه بهجة وفرح بالحياة التي أتاحت لنا أن نعرف الله في هذه الرحلة السعيدة التي دعانا إليها على الزورق الأرضي

ولشد ما يغيظ ويؤلم أن ترى حياة التدين عند أكثر الناس ملازمة للكآبة والضعف والحزن والفقر ! ... وسوء الطريقة فى دعوة الأغنياء والأقوياء للدين ، هى التى حرمتهم منه وحرمته منهم ، حتى صار معلوماً عند الناس أن عبادة الله لا تكون من قوة ولا غنى ، وإنما تكون من الفقر والضعف الذى لا يملك فى الأرض صرفاً ولا نصراً . وعدم التفريق بين ما لا بد منه فى الدين لأنه ضرورى وبين ما منه بد لأنه كمالى هو مما جنى على حياة التدين بعدم انتشارها بين الأغنياء والأقوياء

ثم إن مفاجأة الأغنياء والأقوياء بألحان الكآبة والحزن والموت والقبر وجهنم ، وغمرهم بكثرة التكليفات التى لا يقوم بها إلا الورعون ، هى التى جعلت نفوسهم تضيق بهذه القيود القاسية التى تحبسهم عن حياة المتاع الحلال والحرام الذى لم يبين لهم سبب معقول لتحريمه إلا الخوف من عذاب جهنم . والدين إذا لم يبن على الفكر والتعليل أوشك أن ينهار بناؤه ، حتى فى نفوس الدعاة إليه . وخصوصاً إذا كان ديناً يهيمن على شئون الدنيا ويقيم لها حدوداً كالإسلام

أمن الحق أن يوجه فكر الإنسان دائماً إلى الموت على أنه هو المطلوب الأول من الحياة ؟

وهل من الحق أن نجعل المثل الأعلى للحياة الدينية هو التفرغ لما يسمى عند الناس بالعبادات ؟

قال الغزالى : « واعلم أن العلم غذاء والدين دواء ، فمن جعل الدواء غذاءه مرض ... »

وقول الغزالى هنا قول فصل ، لأنه قول خبير فى هذا المقام ومن قواعد الدعوة الإسلامية الأولى أن العامة والجماهير ينبغى ألا يحملوا على الورع والزهد والتزمت ...

والقرآن يعترف بسلطان الحياة على النفوس ويقول : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث . ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » . ويقول : « إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد » . ويكرر هذا المعنى فى غير موضع . فلماذا نريد نحن أن نفرض للحياة صورة عقلية كلها جد مؤلم مستمر وصرامة . ونريد أن نحمل الناس عليها ، مع أن العقل والشرع والتجربة الأزلية تقرر أن هذا مستحيل ؟ وهل كل ما فى الحياة إلا تكوين وتخريب كلعب الأطفال ؟ وهل الرجال والنساء إلا أطفال كبار يلعبون فى الحياة لعبها المعهود بالجمع والطرح ؟

إننا نصنع من طين الأرض وموادها الميتة آلات تسمى وتطير وترى وتسمع ... ثم نخربها بالاستعمال والامتهان ونكون غيرها وهكذا . .

إننا نشقى فى جمع المال والاقتناء والاستكثار ثم نترك كل هذا لغيرنا يعبث فيه ويبدده . أليس هذا عبثاً أو شيئاً أشبه بالعبث فى نتائجه ؟ ولكننا محمولون على هذا من الطبيعة ولن نملك لأنفسنا غيره ، ورجال الدين مثلنا مع أننا نعلم ما تقول الحياة وما قال القرآن عن الدنيا من أنها « متاع الغرور »

فلماذا لا ننظر إلى الحياة على حقيقتها هذه ثم لا نتشاءم من كثرة ظواهر الشرور فيها ، حتى لا يحملنا التشاؤم على اليأس وترك الكفاح ، ثم نحاول أن نتلطف فى الدخول على الطبيعة البشرية اللاهية اللاعبة فنفتنها بواجبات الجد والعمل فى الأوقات القليلة التى لم يطلب الله فى غيرها من الإنسان أن يؤدى عملاً ؟

وكما تلطفت التربية فى الدخول على طبيعة الأطفال ، فعلمتهم مبادئ العلوم ، ودربتهم على مبادئ الأخلاق عن طريق اللعب من غير شعور ، ينبغى أن تفعل مثل ذلك مع الأطفال الكبار : الرجال والنساء ... وتلك هى رسالة رجال الروح ...

ولكن الدولة قد جنت على الحياة الروحية أكبر جناية حين أباحت الانتساب إلى الدين لمن لا تؤهله عقليته ، ولا ثقافته ، ولا تكوينه الجسمي أن يكون قائداً من قواد الروح ، وعنواناً جذاباً للدين . . . وإلى الآن لم يتيقظ كبار رجال الروح إلى ضرورة وضع حد لهذه الحالة مع أنهم يدرسون فى علوم العقائد أن الله لم يرسل رسولاً إلا بعد الانتقاء والاصطفاء ، وأنه لا بد أن يتحلى بالصدق والأمانة والتبليغ والفطانة والخلو من العيوب المنفرة ...

ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة فقد كان ذكياً قوياً جميلاً لطيف الروح دمث الأخلاق رحب النفس نظيف الجسم والثوب يمشط شعره ويعطر ثيابه ويخضب لحيته

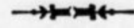
ولقد عاش رسول الله بجسده عيشة رحبة كما عاش بروحه فسابق وصارع وركب وحارب ولبس الدروع واقتنى السيوف

الفقـــه الاسلامى

ورعاية الصالح العام

للأستاذ محمد محمد المدنى

المدرس بكلية الشريعة



« الفقه الإسلامى » مستنبط من الشريعة الإسلامية ، وهذه الشريعة تمتاز بأنها شريعة الفطرة ، وشريعة العقل ، وشريعة الرحمة :

فهى تعترف بالحقائق ، ولا تحاول الخروج على السنن الكونية ولا تصطدم بالعلم ، ولا تضيق صدراً بالإصلاح ، ولا تكلف الناس ما ليس فى استطاعتهم !

ذلك بعض ما كانت به الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ، وجعل لها هذا الاعتبار العام ، ولم يكن فقهها معه شخصياً ولا موضعياً

وليس معنى هذه الصلاحية أن كل جزئية من جزئيات الفقه التى استنبطت لا تقبل التغيير ولا التعديل ، فإن ما صلح للأولين لا يعقل أن يكون هو بعينه، وفى جميع جزئياته، ما يصلح للآخرين ذلك أن شريعة العقل والرحمة لا تجهل أن الأحوال دائماً فى تغير ، والدنيا فى تقلب ، ولكل قوم عادة وعرف

ولو كان هذا هو المعنى المقصود من قولهم : « إن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان » ، لوقعنا منه فى حرج عظيم ، وتكليف لا يحتمل

أيجوز مثلاً أن نرجع بالمساجد إلى حالتها الأولى ، فنجردها من الفرش والبسط ، ونكتفى بأن نفرشها بالرمل أو الحصباء ، لأن سنة السلف فى مساجدهم كانت كذلك ؟

أيجوز مثلاً أن نلزم القاضى بأن يكون له فى المسألة الواحدة قضاء واحد من غير تفرقة بين أحوال المتقاضين وبيئاتهم؟

لقد سمعت أن قاضياً شرعياً عُرضت عليه قضية أهان الزوج فيها زوجته بألفاظ جارحة — وهما زوجان من وسط راق — فطلبت الزوجة التفريق ، فقضى لها به القاضى

فهل يجوز للقاضى أن يقضى بمثل ذلك فى قضية يكون الزوجان فيها من وسط قد ألف ذلك فيه ، بل ألف فيه ما هو أشد منه كالضرب مثلاً ؟

أيجوز لنا مثلاً أن نلزم وزارة الدفاع أن تلبس جنودها العمامة البيضاء تحقيقاً للخبر الذى يروون : « تعمموا فإن الشياطين لا تتعمم » ؟

إن هذا وما يماثله هو الحرج الذى لا يرضى الله به ، ولا يرضى به رسوله ، ولا تقول به شريعة العقل والرحمة !

يقول ابن القيم « إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد ، فى المعاش والمعاد ، وهى عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها وحكمة كلها، وكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة ، وإن أدخلت فيها بالتأويل ! »

فالمعنى إذن فى صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ، أن الشريعة قد بنيت أحكامها على رعاية المصالح ، ولما كانت المصالح تختلف باختلاف الناس ، وتتكيف بتكيف الظروف والبيئات ، وتتغير بتغير العوائد ، اعترفت الشريعة بذلك ففتحت باب الاجتهاد وأباحت للناس أن يستنبط أولو الرأى منهم ما يصلح لهم ، وينهض بهم فى حدود ما رسمت وبينت

وآية ذلك أن الشريعة الإسلامية تركت كثيراً من الفروع

والخيل وأكل من الطيبات وتمتع بالنساء ، وسمع الغناء وشاهد الرقص وسمح به فى المسجد ، وأمر بالهرولة فى السعى إظهاراً للقوة ، واستعرض الجنود . . . ولذلك خضع لقوانين الأجسام ولم يشرد على المجتمع هائماً ولم يمش منطوياً على نفسه يأكل خواطره وتأكله خواطره

فكذابون أفاكون هم الذين يزعمون أن الله لا يريد أجسامنا، إنه ما خلق أرواحنا إلا فيها ولم نعرفه إلا من نوافذها وحواسها وهى أدوات علومنا وإحساسنا بالحياة ، وهل نرى فى الحياة غير الأجسام ... إن حياة الروح الخالص لا تكون فى الأرض إلا كلمات البرق

لقد ضاع الحق من المسلمين لما أهملوا قوانين عالم الأجسام والتفتوا إلى عالم البدوات والأمانى والأحلام والكلام . فضاعت القوة لما ضاع الحق فهما صنوان متلازمان : فالحق قوة ، والقوة حق !

(القاهرة) عبد المنعم خلاف

من غير نص على أحكامها ، وأنها تعنى ــ قبل كل شيء ــ بالأصول العامة والمبادئ الأساسية ، دون التفاصيل والجزئيات !

وفى هذا المعنى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها . وسكت عن أشياء رحمة بكم ، غير نسيان ، فلا تبحثوا عنها »

فهذه الأشياء هى موضع اجتهاد المجتهدين ، وقوله « فلا تبحثوا عنها » أى فلا تطلبوا فيها نصًّا فتحرجوا أنفسكم . وهذا معنى قوله تعالى :

« يا أيها الذينَ آمنُوا لا تَسْألوا عن أشياء إنْ تُبْد لكم تسؤكم ، وإن تسألوا عنها حينَ يُنزَّل القرآن تبد لكم ، عفا الله عنها ، والله غفور حليم . قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين »

وليس اعتبار الظروف والأحوال ، ورعاية الصالح العام ، فى الفقه والأحكام ، بالشيء المستحدث ، فقد وجد منذ وجد التشريع ، وكان حيث كان الفقه والاجتهاد

وإننا نسوق أمثلة لذلك من أحكام الرسول ، صلوات الله عليه ، وأمثلة من أحكام الصحابة ومن بعدهم من الفقهاء والأمراء

١ — فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ، أن قريشاً أهمهم أمر المخزومية التى سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ؟ وهل يجترئ عليه إلا أسامة ؟ فلما كلمه أسامة قال : « أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ؟ إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . والذى نفسى بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ! »

٢ — وروى أبو داود أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن تقطع الأيدى فى الغزو

فهذان حكمان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى شيء واحد هو الحد : تراه فى الأول يصر على إقامته ، ولا يقبل تعطيله ، مع أن السارق امرأة من أكبر القبائل وأشرف البيوت ، ومع أن أمرها أهم قريشاً وأزعجهم ، ومع أن الشفيع صاحب من أحب أصحابه إليه !

وتراه فى الثانى ينهى أن تقطع الأيدى فى الغزو ، فهل كان إصراره فى الأولى إلا لأن أمراً كهذا لو دخلته الشفاعة ، وقبلت فيه الوساطة ، وفرق بين الشريف والوضيع ، لضاعت الحكمة المقصودة فيه ، وبطلت الغاية المرجوة منه !

وهل كان نهيه فى الثانية إلا خشية أن يترتب عليه ما هو أضر على المسلمين ، وأبغض إلى الله ، وهو لحوق المقطوع بالعدو حمية وغضباً . ولكن التشديد فى الأولى ، والتسامح فى الثانية ، يدعو إليهما أمر واحد وإن اختلفا ظاهراً ، وهو الحرص على أمور المسلمين ، أن يفضى إليها الخلل ، أو يلحقها الاضطراب والفساد .

وقد روى مثل ذلك عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١ — قال علقمة : كنا فى جيش فى أرض الروم ومعنا حذيفة بن اليمان ، وعلينا الوليد بن عتبة ، فشرب الخمر ، فأردنا أن نحده ، فقال حذيفة : أتحدون أميركم وقد دنوتم من عدوكم فيطمعوا فيكم ؟

فهل ترى فهم حذيفة ، ونصيحته للمسلمين حين فهم ونصح إلا فقها تمليه السياسة الرشيدة ، والنظر الصحيح ؟

٢ — وشبيه بهذا ما روى من أن سعد بن أبى وقاص كان قائد المسلمين يوم القادسية ، فأتى بأبى محجن ، وقد شرب الخمر ، فأمر به إلى القيد ، فلما التقى الناس قال أبو محجن :

كفى حزناً أن تطرد الخيل بالقنا   وأترك مشدوداً على وثاقيا !

ثم قال لامرأة سعد : أطلقينى ، ولك علىّ إن سلمنى الله أن أرجع حتى أضع رجلى فى القيد ، فإن قتلت استرحتم منى . فحلت وثاقه ، فوثب أبو محجن على فرس لسعد يقال لها البلقاء ، وكانت بسعد يومئذ جراحة فلم يخرج ، ثم أخذ أبو محجن رمحاً وخرج فجعل لا يحمل على ناحية من العدو إلا هزمهم ، وجعل الناس يقولون : هــذا ملك ! لما يرون من صنيعه ، وجعل سعد يقول وهو يرقب المعركة : الضبر ضبر البلقاء والطعن طعن أبى محجن وأبو محجن فى القيد ! ! فلما هزم العدو رجع أبو محجن فوضع رجليه فى القيد ، وقصت امرأة سعد على سعد ما كان من الأمر ، فقال سعد : والله لا أضرب اليوم رجلاً أبلى هذا البلاء المسلمين ، فخلى سبيله ! فقال أبو محجن : قد كنت أشربها إذ يقام على الحد فأطهر منها ، فأما إذ أبطلته عنى فوالله لا أشربها أبداً

قال فى أعلام الموقعين « إن سعداً قد اتبع فى ذلك سنة الله تعالى فإنه لما رأى من تأثير أبى محجن فى الدين ، وجهاده وبذل

نفسه قد ما رأى درأ عنه الحد ، لأن ما أتى به من هذه الحسنات غمر هذه السيئة الواحدة ، لا سيا وقد شام فيه مخايل التوبة النصوح وقت القتال ، إذ لا يظن بمسلم إصراره فى ذلك الوقت الذى هو مظنة القدوم على الله ، وهو يرى الموت

وأيضاً فهو بتسليمه نفسه ، ووضع رجليه فى القيد اختياراً قد استحق أن يوهب له حده ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم للرجل الذى قال له : يا رسول الله ، أصبت حدا فأقمه على ، فقال : هل صليت معنا هذه الصلاة ؟ قال : نعم ، قال : فاذهب فإن الله قد غفر لك حدك ! »

وهذا هو الفقه !

٣ — ولقد كان عمر بن الخطاب ، وهو فى الفقه والعلم من هو ، يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى المؤلفة قلوبهم ، وأن أبا بكر كان يعطيهم ، وأن الله يقول : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ... الآية » ولكنه مع ذلك كله لا يعطيهم ، ويقول لهم : إن الله أعز الإسلام وأغنى عنكم ، فإن ثبتم عليه ، وإلا فبيننا وبينكم السيف !

فهو قد علل الإعطاء بالمصلحة ، إذ كان الإسلام بحاجة إلى استرضاء هؤلاء وتأليف قلوبهم ، فلما ارتفعت هذه الحاجة بعزة الإسلام ، لم يبق إلى استمرار الحكم من سبيل

٤ — ولقد ولى زياد بن أبيه إمارة البصرة من قبل معاوية ، فوجدها وكراً من أوكار الفساد ، وموطناً من مواطن الفجور ، فخطب فيهم خطبته « البتراء » التى كان بها أول من أعلن الأحكام العرفية فى الإسلام فقال : « وإنى أقسم بالله لآخذن الولى بالمولى والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدبر ، والمطيع بالعاصى ، والصحيح منكم فى نفسه بالسقيم أو تستقيم لى قناتكم ... فإياى ودلج الليل ، فإنى لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه ... وإياى ودعوى الجاهلية فإنى لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعت لسانه ... وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة ، فمن غرق قوماً غرقناه ، ومن أحرق قوماً أحرقناه ، ومن نقب بيتاً نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفناه فيه حياً »

وقد سكت معاوية عن ذلك فلم يعلم أنه راجعه فيه ، فهل كان هذا الفعل من زياد ، وهذا السكوت عليه من معاوية إلا اجتهاداً وسياسة ، استباحا بهما إحداث ما لم يكن من الأحكام

وفى مثل هذا يقول الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز : تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور

وإنك لتجد فى فقه المذاهب كثيراً مما علق الحكم فيه على العادة والعرف ، واعتبر فيه تغير الزمان

١ — يقول المالكية : إن المرأة إذا مات عنها زوجها يستحب لها أن تلبس السواد زمناً ، رعاية لحقه ووفاء له ، ثم يقولون : إلا إذا كان السواد زينة قوم والبياض حدادهم ، فإن حدادها عليه حينئذ لبس البياض !

٢ — إن النبى صلى الله عليه وسلم فرض صدقة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من إقط ؛ وهذه كانت غالب أقواتهم بالمدينة . فأما أهل بلد قوتهم غير ذلك ، فإنما عليهم صاع من قوتهم ، كمن قوتهم الذرة أو الأرز أو التين أو غير ذلك . فإن كان قوتهم من غير الحبوب : كاللبن واللحم والسمك ؛ أخرجوا فطرتهم من قوتهم كائناً ما كان ، وهذا قول جمهور العلماء

وقد اجتهد علماء الأحناف إلى أبعد من ذلك ، فنظروا إلى العلة التى من أجلها فرضت الزكاة فى هذا اليوم ، وهى الترفيه عن الفقير وإغناؤه عن المسألة ، فأجازوا إخراج قدرها من المال ، لأنه أنفع له وأيسر لسد خلته !

٣ — وكثيراً ما تجد فى كتب الحنفية قولهم هذا : تغير عصر وأوان ، لا تغير حجة وبرهان . يقولون هذا تعليلاً لاختلاف الروى عن أمامهم أو أحد أصحابه فى المسألة الواحدة

فالمسألة إذن مفروغ منها ، والأمر فيها بين واضح ، وأساسها المصلحة التى جعلها الله أساساً لكل شىء !

ولقد جنى على الشريعة الإسلامية حملتها فى بعض ما مضى من الزمان ، فأظهروها للناس بمظهر الشريعة الجامدة فى أحكامها ، التى يضيق صدرها بما يحدث للناس من نظم ، أو يرون الأخذ به من أسباب ، ولم يحاولوا أن يدرسوا هذه النظم والأسباب ليتبينوا أمرها ، فإن وجدوا خيراً وصلاحاً فإن الله لا يأبى الخير والصلاح ، ولا بد أن يكون فى الشريعة السمحة منفذ إليهما ، وإن كانت الأخرى أنذروا قومهم ، وأقنعوهم بالضرر فيما هم عليه مقبلون ، أو به آخذون

لم يفعلوا ذلك ولكنهم اكتفوا بالصياح والشغب على الناس ، وتنكبوا طريق أهل العلم فى الإقناع أو الاقتناع ، والشغب والصياح لا يجديان شيئاً فى قضايا العلم ، ولا يصلحان أداة له فى هذا الزمان !

في الاجتماع اللغوي

نشأة مراكز اللغة

للدكتور على عبد الواحد وافى

يمتاز الإنسان بصدد التعبير عن بقية الفصائل الحيوانية بأمرين: أحدهما اللغة الصوتية، وثانيهما المراكز المخية التي تشرف على مختلف مظاهر هذه اللغة (مركز إصدار الألفاظ، مركز حفظ الكلمات المسموعة، مركز الكلمات المرئية ... الخ) فقد ثبت أن هذه المراكز ليس لها نظير في مخ أية فصيلة حيوانية أخرى حتى الفصائل العليا من القردة نفسها

فالبحث في نشأة اللغة يتطلب إذن دراسة موضوعين اثنين: أولهما نشأة الكلام في الفصيلة الإنسانية؛ وثانيهما نشأة مراكز اللغة في المخ الإنساني

وقد درسنا أول هذين الموضوعين في المقال السابق، وسنعالج ثانيهما في هذا المقال

اختلف الباحثون اختلافاً كبيراً في نشأة مراكز اللغة في الفصيلة الإنسانية

فالقائلون باستقلال النوع الإنساني في نشأته عن الأنواع الحيوانية الأخرى يذهبون إلى أنه قد خلق مزوداً بهذه المراكز كما خلق مزوداً بخصائصه الأخرى كاعتدال القامة وإدراك المعاني الكلية ... وما إلى ذلك. ويرون أن هذه المراكز كانت في مبدأ الخلق ساذجة قاصرة؛ ثم ارتقت في بعض الشعوب حتى وصلت إلى درجة كبيرة في الدقة والنضج؛ على حين أنها جمدت في شعوب أخرى فلم تتزحزح كثيراً عن الحالة الساذجة التي خلقت عليها. ويرجع الفضل في ارتقائها إلى عوامل كثيرة منها كثرة استخدامها في وظائفها وما تمرن عليه من عادات مكتسبة واتساع الحضارة الإنسانية وارتقاء التفكير ... وهلم جرا. فشأن مراكز اللغة في ذلك شأن أعضاء الحس وأعضاء الحركة في الجسم الإنساني: تخلق مزودة بالقدرة على القيام بوظائفها، وتظل قابلة للارتقاء في هذه الناحية ما أتيحت لها الوسائل المواتية، فإن لم يتح لها ذلك قصرت عن القيام بوظائفها أو جمدت على الحالة التي كانت عليها في نشأتها الأولى

وأما القائلون بمذهب الارتقاء وتفرع الإنسان عن غيره من الفصائل الحيوانية، فيرون أن الفضل في نشأة هذه المراكز عند الإنسان يرجع إلى الظروف التي أحاطت به في مبدأ نشأته، وإلى الأمور التي ألجأته إليها مقتضيات حياته، وبخاصة ما يتصل منها بشؤون دفاعه عن نفسه. وقد اختلفوا في تصوير هذه النشأة على الرغم من اتفاقهم على الأسس السابق ذكرها. وأشهر نظرياتهم بهذا الصدد نظرية داروين التي تتلخص في أن الإنسان كان في الأصل من الفصائل المتسلقة الأشجار؛ ثم اضطرته ظروف قاهرة إلى العيش على الأرض، حيث تعرض لغارات الحيوانات القوية وسطوها عليه. فاستخدم في مبدأ الأمر في مقاومتها أنيابه وأعضاء جسمه كما كان يفعل من قبل وكما تفعل أفراد فصيلته. ولكن هذه الوسيلة كانت تضطره إلى الارتماء في أحضان عدوه فتعرض حياته للخطر. فهدته غريزة المحافظة على الحياة إلى وسيلة أخرى تدفع عنه عدوان الحيوان بدون أن تضطره إلى الاصطدام به. وذلك بأن يقذف عليه عن بعد قطعاً من حجارة أو خشب أو معدن، أو بأن يمسك بطرف عصا ويدفعه عنه أو يضربه بطرفها الآخر. وقد كان لهذا الأسلوب

على الأزهر الحديث إذن أن يرأب ما أثأت يد الغفلات إذا أراد أن ينظر الناس إلى الفقه فيما يأخذون به من تشريع، ويسنون من قانون

على الأزهر الحديث أن يلبي مطالب الزمن، وأن يعرف مواضع الحاجة القومية فيجتهد في وضع حلول من الفقه الواضح الجيد لهذه المشاكل التي تعرض للناس في حياتهم الاجتماعية: في بيوتهم، وتجارتهم، واقتصادهم، وقضائهم، وعقوباتهم!

عليه أن ينظر فيما جد من الأقضية والأحداث والنظم، فيعرض كل ذلك على الفقه ليعرف الوجوه التي كانت بها مخالفة له، والوجوه التي يمكن بها أن توافقه أو يقنع الناس بأنها أشياء في غيرها غنى عنها وعوض منها

وها نحن أولاء نشهد طلائع ذلك على يد طائفة من مفكري الأزهر وبقيادة شيخه المصلح العظيم

ولن يمضي زمان طويل حتى يكثر فينا هذا الصنف من الفقهاء، المنتجين المجددين، وحتى يسحب الزمان ذيل العفاء على «فقهاء بيزنطة» الجامدين!

محمد محمد المدني

الجديد أثران كبيران فى حياة الإنسان :

أحدهما أنه يضطره إلى الوقوف على رجلين اثنين فى أثناء دفاعه عن نفسه . ومن تكرار هذه الوقفة أخذت قامته تمتدل شيئاً فشيئاً حتى استوى القسم الأعلى من جسمه مع أطرافه السفلى ، وأخذت عادة المشى على أربع تضعف بالتدريج حتى انقرضت (وإن كانت تظهر فى بعض مراحل الطفولة الإنسانية وفقاً لقوانين الوراثة النوعية التى تقضى بأن يجتاز الطفل فى سبيله من الطفولة إلى الرجولة نفس المراحل التى اجتازها النوع فى سبيله من الحيوانية إلى الإنسانية ومن الوحشية إلى الحضارة)

وثانيهما (وهو الذى يهمنا فى موضوعنا) أن هذا الأسلوب الدفاعى قد أعفى الإنسان من استخدام فكه وأسنانه فى الدفاع عن نفسه ؛ فتعطلت هذه الأعضاء عن القيام بجزء كبير من وظيفتها ونجم عن ذلك تقلص العضلات والعظام الصدغية التى تتحرك مع الفم ؛ وترتب على هذا التقلص أن اتسع مجال النمو للجمجمة ، فزاد حجمها عما كان عليه ؛ وباتساع حجم الجمجمة اتسع مجال النمو للمخ ، فزاد حجمه ونشأت به مراكز جديدة لم تكن به من قبل ، من أهمها مراكز اللغة التى نحن بصدد الكلام عنها

ولتأييد هذا الأثر الأخير ، قام العلامة أنتونى Anthony بتجربة على عدد من الجراء (الكلاب الصغيرة) ؛ وذلك بأن استأصل جزءاً من عضلاتها وعظامها الصدغية ، وتتبع نمو جماجمها بعد هذه العملية ؛ فتبين له أنها أخذت تتسع أكثر من المعتاد .

وقد تصدى كثير من العلماء المحدثين للتحرى عن هذه الحقائق ، فثبت لهم فسادها من نواح كثيرة لا يهمنا منها الآن إلا الناحية المتعلقة بنشأة مراكز اللغة . فقد ظهر لهم بهذا الصدد أن تعطيل الفك والأسنان ، وإن نجم عنه اتساع فى الجمجمة ، لا يترتب عليه مطلقاً اتساع فى حجم المخ أو اختلاف فى تعاريجه أو شكل تكونه . والتجربة التى قام بها أنتونى تدل هى نفسها على صحة ذلك . فقد ظهر له أن جماجم الجراء قد انحسرت عن أمخاخها ، بدليل أن الآثار التى تنطبع عليها من ملاصقتها للمخ قد انمحت . فاتساع الجمجمة الناجم عن تقلص عضلات الصدغ وعظامه لا يتبعه إذن اتساع فى حجم المخ أو نشأة مراكز جديدة كما يزعم دارون

وكثيراً ما تتسع الجمجمة عند بعض الناس اتساعاً غير عادى لسبب آخر غير تقلص عضلات الصدغ وعظامه ، ولكن لم يحدث مطلقاً فى حالة من حالات هذا الاتساع أن زاد حجم المخ أو تغيرت صورته . وعلى العكس من ذلك نمو المخ نفسه ، فإنه يرغم الجمجمة على الاتساع ويشكلها بالشكل الذى يتفق مع نموه . فإن قاومته بأن كان عظم اليافوخ (حيث يلتقى عظم مقدم الرأس بعظم مؤخره ، وهو الذى يكون ليناً فى الصبى) قد اشتد قبل أوانه ، تغلب على مقاومتها ، وشق لنفسه طريقاً على أى وجه . فأحياناً يدفعها إلى الأمام فينشأ الشخص بارز الجبهة ؛ وأحياناً يدفعها إلى الخلف فينشأ الشخص أحدب الرأس ؛ وأحياناً يدفعها إلى أعلى فينشأ مُسَنَّم الرأس؛ وأحياناً يدفعها من ناحيتين أو أكثر فينشأ مُدَنِّخ الرأس[1] . وهكذا. فالطريق الطبيعى للارتقاء — إن كان ثمت ارتقاء — هو أن يتسع المخ أولاً وتوجد فيه مراكز لم تكن موجودة من قبل ، ويتبع ذلك اتساع فى الجمجمة ، لا أن تتسع الجمجمة أولاً ويتبعها اتساع المخ كما يقول دارون ومن نحا نحوه

على أن الارتقائيين لم يكونوا فى حاجة إلى هذه الفروض التعسفية لتعليل نشأة مراكز اللغة بطريقة تتفق مع مبادئهم . فقد كان فى إمكانهم أن يذهبوا إلى أن هذه المراكز لم تنشأ من العدم ، بل كانت نتيجة تطور لمراكز قديمة أو لأجزاء من مراكز قديمة . كان فى إمكانهم مثلاً أن يذهبوا إلى أن جزءاً من مراكز الحركة الخاصة بعضلات الوجه Centre des mouvements des muscles de la face قد تخصص فى حركة أعضاء النطق ، ومع تقادم الزمن وكثرة مزاولته لهذه الوظيفة تشكل بالشكل الذى يتفق معها واستقل عن غيره وأخذ يسير فى سبيل الارتقاء حتى وصل إلى الحالة التى هو عليها الآن ، كان فى إمكانهم أن يقولوا هذا بصدد مراكز الكلام ويقولو مثله بصدد المراكز اللغوية الأخرى ، فيتقوا معظم ما وجه إلى فروضهم السابقة من اعتراضات ، ويكون مذهبهم أدنى إلى القبول وأكثر اتفاقاً مع حقائق الأمور ، وذلك أنه بالموازنة بين مخ الإنسان وأمخاخ الحيوانات القريبة منه ، يظهر أن مراكزه اللغوية — على فرض أنها لم تكن موجودة فى أصل خلقته — كانت نتيجة تشكيل جديد لبعض المراكز الموجودة فى أمخاخ هذه الحيوانات

علي عبد الواحد وافي

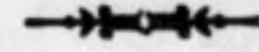
ليسانسيه ودكتور فى الآداب من جامعة السوربون

---

(١) « رجل مدنَّخ الرأس أى فى رأسه ارتفاع وانخفاض » المخصص لابن سيده جزء أول ص٦٢ ، والعامة تقول شخص برأسين أو برءوس

الأزهر والحياة العامة

للأستاذ محمود الشرقاوي



كان مفيداً وقيماً ذلك الحديث الذى أفاض به صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى « للرسالة » منذ أسبوعين ، واستطاع صاحب « الرسالة » أن يركزه وأن يلخصه لقرائها فى بيان واضح وفكر واضح

وكان قيما ومفيداً ما كتبه صاحب « الرسالة » فى مقاليه عن الأزهر ورجاله وأبنائه وحاله فى القديم والجديد وما نرجوه ويرجو منه المسلمون فى العصر الحديث

وقد أثار حديث الأستاذ الأكبر وأثار مقالا الأستاذ الزيات مثاراً من المقالات والمناقشات فى الرسالة وفى غيرها من الصحف، وكان بعض ما نشر من ذلك فيه كثير من الشطط

وكان من أقوم ما كتب عن ذلك ما نشره صديقنا الدكتور زكى مبارك فى مجلة أسبوعية على طريقته من الصيال

وقد حرك فى نفسى حديث الأستاذ الأكبر ومقالا الرسالة وما نشر بسببهما من الآراء والمناقشات شوقاً لأن أكتب بعض الملاحظات عسى أن يجد فيها الأستاذ الكبير صاحب الرسالة شيئاً من الحق وشيئاً من الإفادة

ونحن الذين تعلمنا فى الأزهر وقضينا فيه خير الأشطر من شبابنا لا نفتأ نشعر بالحنين إليه ونديم التفكير فيه ، مهما تباعد بيننا وبينه الأيام



يكتب الكاتبون ويقول القائلون إن الأزهر الحاضر متأخر متخلف عن عصره وعن الحياة الجديدة فى العالم، وأنه قديم فى الفهم قديم فى التفكير . ويكتب الكاتبون ويقول القائلون يطلبون أن يخرج الأزهر علماء كرجال الدين فى أوربا ، ثقافة ذهن ، واستنارة فكر ، وسعة عقل، ومرونة تفكير ، ولباقة أداء ودعوة، وأن يكون طلبته على شاكلة ما يكون أندادهم فى بلاد الغرب تهيؤاً واستعداداً

وهؤلاء الذين يقولون ذلك لا شك فى أنهم مخلصون فى أمانيهم ، ولا شك فى أن الأزهر لن يقوم بما يجب عليه فى حياة مصر وتقدمها ، وفى حياة الشرق وتقدمه ، ولن يساهم بنصيبه وقسطه فى توجيه الحياة الروحية والدينية والخلقية فى الشرق [وأوشك أن أقول فى العالم كله] — إلا إذا كان علماؤه كما يكتب الكاتبون ، ويتمنى المتمنون ، وكان طلبته كما يكتب الكاتبون ويتمنى المتمنون

وقد روى عالم من أكبر علماء الأزهر كلة للمغفور له الملك فؤاد هى نبراس ما يكتبه هؤلاء ولا نشك فى صوابهم فيه

روى أن الملك فؤاد حدثه بأنه يريد أن يرى علماء الأزهر كأندادهم رجال الدين فى أوربا ، وأن هذه أمنية من أعز أمانيه

ولكن هؤلاء الكاتبين والباحثين ينسون أن الأمنية شيء والحقيقة شيء . ويفوتهم أن المشتهى المرغوب والتمنى المطلوب شيء والأمر الواقع الذى لا مناص منه شيء

فالأزهر ليس كجامعة للاهوت فى أوربا ، وعلماء الأزهر ليسوا كرجال الدين فيها ، وطلبته ليسو كطلبة الجامعات أو الدراسات الدينية فيها . ولكن هذا لا دليل فيه على أن الأزهر رجعى وأنه قديم فى الفهم قديم فى التفكير

فإن هؤلاء الباحثين يقيسون الأزهر ورجاله وأهله على قياس أشباههم فى بلاد الغرب، ويقارنون بينهم وبين رجال الدين فيه ؛ ولا شك فى أن هذا القياس شطط وأنه بعيد عن الحكمة وعن الصواب

فالحياة المصرية والحياة الشرقية كلها بعيدة عن الحياة الغربية: الحياة العقلية والحياة الثقافية والحياة الأدبية وكل نوع ولون من أنواع الحيوات وألوانها وشكولها ، شتان بين الشرق والغرب فيها

ومن الشطط والبعد عن الإنصاف أن نفصل بين الأزهر وبين أنواع الحياة المصرية والشرقية وألوانها وأن نقارن بينه وحده وبين أوربا . بل الإنصاف يقتضينا أن نقارن بين الأزهر وبين غيره فى مصر ، وأن نوازن بين الحياة العقلية والحياة الذهنية والحياة الأدبية فيه، وبين هذه الحيوات فى مصر

والذين يقيمون الميزان بين الأزهر وبين أوربا نقول لهم : هل يرضيكم أن نقيم الميزان بين الجامعة المصرية وجامعات أوربا ؟

وأن نقيم الميزان بين المدارس فى مصر والمدارس فى أوربا ؟ وأن نقيم الميزان بين الحياة الأدبية والذهنية والثقافية فى مصر فى أى مظهر من مظاهر نشاطها وبين نظائرها وأشباهها فى أوربا ؟

ليقل لنا الدكتور زكى مبارك ، وقد خبر الجامعة والتعليم فى المدارس ويعرف كلمة الحق : هل رضى عن شىء من مظاهر الحياة العقلية والأدبية والتعليمية فى هذه أو تلك ؟ وليقم لنا الميزان بين هذه الجامعة وهذه المدارس، أو ليقم لنا رجال الجامعة أنفسهم والناقمون عنها والمستطيلون بهما الميزان بين الجامعة المصرية والمدارس المصرية وبين جامعات أوربا ومدارسها ، ليقيموا لنا ميزان العدل وقسطاس الحق ثم ليدلونا أيها الراجح وأيها المرجوح

فالأزهر يجب أن يحدد مكانه وأن يوزن نشاطه وأن تقوم المقارنة بينه وبين غيره فى مصر ، لأنه جزء منها ولا يستطيع أن يسير وحده ولا أن يتقدم وحده ولا أن يسبق فى جيش من المتخلفين ، والحياة الاجتماعية كعربة ذات عجلات أربع ، الأزهر واحدة منها، ولا يمكن أن تسير عجلة من العربة فتسبق، ولو كان ذلك لما استقامت العربة فى سير ولا حركة ، أو هى كالكائن الحى لا يمكن أن يسبق منه عضو عضواً فى النماء والحياة ، وإلا كان الكائن الحى كله منتهياً إلى الهلاك والموت أو للتشويه والنقص .

فإذا أقمنا بعد ذلك الميزان بين الأزهر وبين غيره فى مصر والشرق ، وإذا وازنا بين الحياة الثقافية والذهنية والتعليمية فيه وبين ذلك كله فى غير الأزهر من المعاهد فى مصر والشرق ؛ فعند ذلك يستقيم الميزان ولا نكون قد بعدنا عن شريعة الإنصاف ؛ وعند ذلك أيضاً لا نظن أن الأزهر كفته تشيل ، ولا أن كفة غيره تميل ، ولا أن يكون غيره الراجح وأنه المرجوح

ومن الإنصاف أيضاً أن نقارن بين الأزهر الجديد وبين الأزهر فى الماضى ، حتى القريب منه ؛ وقد أشار الشيخ الأكبر إلى هذه الملاحظة فى حديثه للرسالة وفى غيره ، وهى مقارنة لا تحتاج إلى كثير من الكلام

ومن العنت أن نهمل التراث الزمنى والتقاليد القاسية عندما نتكلم عن تطور معهد هو بطبيعته ركن الأركان فى التقاليد ، بل هو الركيزة التى تثبت فيها الحياة العامة كلها فلا تنحرف ولا يجرفها التيار القوى من مغريات التجديد والاندفاع

ولا نريد بعد ذلك أن نقول إن الأزهر عظيم عظيم ، ولا إنه يقوم بواجبه ، ولا إن التفكير فيه والحياة الذهنية فيه والتعليم فيه مما تغتبط به النفس وينشرح له الصدر ويبشر بمستقبل الخير . لا نقول ذلك ولا شيئاً منه ؛ ولكنا نقول إلى جانب هذا إن الجامعة المصرية والمدارس الحكومية ، وإن الحياة الذهنية والحياة العقلية والحياة الأدبية فى مصر والشرق، ليست مما تغتبط به النفس وينشرح له الصدر ويبشر بمستقبل الخير ما دام هذا الحال ، ونريد أن نتمنى بعد ذلك ما تمناه الملك فؤاد لرجال الأزهر ومساواتهم بأندادهم رجال الدين فى أوربا ، ونزيد على أمانيه التمنى بأن تستوى الحياة المصرية كلها والحياة الشرقية، وأن يتساوى الشعب المصرى والشرق بهذه الأمم ذوات السيادة فى الغرب ، وأن نكون لهم أنداداً فى حياتنا كلها وفى نشاطنا كله

* * *

وفى حديث الأستاذ الأكبر و « تصحيح » صديقنا الدكتور زكى مبارك له ، موضوع آخر نترك الكلام عنه إلى عدد قادم من « الرسالة » فقد طال بنا اليوم الحديث

محمود الشرقاوى
عالم من الأزهر



صاحب الديوان المجد

مجد فى عمله ، لا يعرف فى جده هوادة ؛ فإذا رأيته يقرأ جريدة من الجرائد أو مجلة من المجلات ؛ فمن أعظم التجنى عليه أن تحمل عمله هذا على أنه مضيعة للوقت فى غير جدوى ، فما هو إلا استجمام لا بد منه لمن يعانى مثل عنائه المتصل ؛ وإذا رأيته يبدأ عمله عند العاشرة أو فى منتصف الحادية عشرة ، فاعلم أن ذلك من أثر إجهاده نفسه وتحامله على أعصابه فى اليوم السالف ، لا شىء غير ذلك ؛ وإذا رأيته يتزاور عن مكتبه ، فيحرق دخينة فى إثر دخينة ، أو يرتشف القهوة فى هدوء وسكون ، ويقضى فى ذلك ساعة أو بعض ساعة ، فترفق بهذا الجسم الذى أنهكه الجهد ، ولا تأثم فتظن بصاحبه الظنون

وصاحب الديوان هذا لا يطيق أن يرى وجوه الناس ، فإذا أبصر أحدهم مقبلاً ، أحس كأنما يقبل عليه مكروه من مكاره الزمن فيلقاه متأففاً متبرماً ، وإنه ليتمتم حين يراه بألفاظ لا أدرى أيسوقها ضد القادم الكريم ، أم ضد الزمن اللئيم الذى وضعه حيث يستقبل هؤلاء الذين يصرفونه عما هو فيه من جد لا يعرف معه هوادة ؟ !

دخلت عليه ذات يوم قبيل العاشرة ، فرأيته لسوء حظى أو لحسن حظى — لست أدرى أيهما الصواب — يترك مكتبه ليغادر الحجرة إلى حيث لا أعلم من الحجرات أو من الجهات ؛ فحاولت أن أستوقفه مترفقاً ، فاستمهلنى دقيقة واحدة وهو عابس ثم ازور عنى فى حركة سريعة خيل إلى معها أنه يخشى أن أرجعه بالقوة إلى مكتبه !

ولبثت أنتظره فى مقعد تفضل به على أحد زملائه ، ومرت اللحظات ثقالاً طوالاً ولم يعد ، حتى إذا يئست من رجوعه وهممت بالانصراف رأيته مقبلاً ، وجاء وفتح بعض أدراج مكتبه وأغلقها ولكنه لم يأخذ منها شيئاً ولا وضع شيئاً ، وفعل ذلك دون أن يجود بنظرة على أو أن يخطر بباله أن أحداً من عباد الله ينتظره لأمر متصل بعمله ولن يؤديه سواه !

واعترضت طريقه إذ رأيته يتأهب للخروج مرة ثانية ، وما التقت أعيننا وانفرجت شفتاى فى ابتسامة هادئة عن قولى : من فضلك ... حتى أشاح بوجهه عنى مقطباً قائلاً فى تبرم وضيق « عن إذنك دقيقة يا أفندم » ... ومضى وإنه لضائق بثقلى وثباتى فى موضعى ، وخيل إلى بل لقد أيقنت أنه عقد النية على ألا يكلمنى ما دمت هناك كأنه لا مفاوضة عنده هو أيضاً إلا بعد الجلاء !

وصممت من جانبى ألا أنصرف أو يكلمنى ، وإن أخذتنى الحيرة كيف أحمله ولو على أن يلتفت إلى فضلاً عن أن يحادثنى ؛ ولقد كنت أرجح عودته إلا إذا غادر الديوان إلى داره وترك طربوشه حيث كان على مكتبه يحدث كل سائل عنه أنه هنا وأنه قادم بعد دقيقة ، وإن تتابعت فى غيابه الدقائق بل والساعات !

وجاء أخيراً فاستوى على كرسيه وفتح دفتراً كبيراً وراح ينظر فيه وعلى وجهه أمارات الجد وأمارات تجاهله وجودى فى وقت واحد ثم قطع عليه جده المصمم زميل له فأخبره أن فلاناً وفلاناً من الرؤساء استفهموا عنه ، فأجاب متكلفاً عدم المبالاة أنه ما كان يلعب وأنه هلك من الجرى هنا وهناك فى « الأرشيف » و « المستخدمين » و « الحسابات » وتحت وفوق باحثاً عن أوراق تتصل بما فى يديه من المسائل

وظللت ساكتاً لحظة ، فأقبل شخص بادى الوجاهة ، يطأ أرض الحجرة فى صلف وينظر نظرة ذى الجاه ، وفرحت إذ رأيته يتجه إلى صاحب الديوان المجد فيسأله فى لهجة الآمر عن مسألة طال به انتظار الإجابة عنها ؛ وتجهم له صاحب الديوان ولم يعبأ به ، ولما تهدده الرجل أن يرفع الأمر إلى رئيسه ، انطلق صاحب الديوان مزمجراً ونهض واقفاً يخبط المكتب بقبضة يده عدة مرات حتى لقد أشفق ذلك الرجل أن تمتد واحدة منها إلى صدره أو إلى بطنه فتراجع قليلاً ، وقد تطايرت الأقلام من مكامنها ، وسال المداد من المحابر ،وتناثرت الأوراق ، وزلزلت الدفاتر ، وخشعت الأصوات فى جوانب الحجرة ، والتفت أصحاب الديوان يتفرجون على عاصفة جديدة كم رأوا قبلها من عواصف ؛ وانطلق لسان المجد الثائر بعباراته المألوفة : « يا أفنـدى انت بتهددنى ؟ من فضلك ما تعطلنيش يا أفندى . . . أما شىء غريب والله . روح اشتكى زى ما انت عاوز ... هو أنا فراش عندك ؟ الواحد طول النهار هلكان من العمل وجاى حضرتك تقلقنا ؟ »

ولم يكن لى بعد هذا الذى رأيت إلا الجلاء بلا قيد ولا شرط ، وقد أصابنى من دوار العاصفة ما زعزع إيمانى بقوتى ، ولم لا أقرر الحق فأقول : إنى منذ أن رأيت أهاويل الشر فى وجه صاحب الديوان قد رضيت من الغنيمة بالإياب ؟

« عين »

في سبيل الأزهر

للأستاذ عبد العزيز محمد عيسى

أعتقد أني لا أتجاوز الحقيقة حين أقول إن كلمات الأستاذ الزيات تنزل برداً وسلاماً على قلوب المخلصين للأزهر ؛ وأنهم يرون فيها بريقاً من النور يضيء لهم سبيل الإصلاح فيما يبتغون للأزهر من إصلاح

والرسالة في الأمة المصرية وفي الشرق الإسلامي جميعاً مكانتها السامية الممتازة التي تجعل لكل ما تعالج من موضوعات أهمية خاصة، لا يستطيع أحد معها ألا يعطيها ما هي حقيقة به من التقدير والعناية

لذلك كانت دعوتها لإصلاح الأزهر جديرة بألا تمر كغيرها من دعوات الإصلاح، وكانت جديرة بأن يتجاوب صداها في أجواء الأزهر مدوياً عالياً ، فيردده رجاله عارضين صوراً من أدوائه راجين أن تعالج علاجاً ناجماً ، حتى تنحسر عنه ولا تنتقل عدواها إلى أبنائه الناشئين

الأزهر من غير شك محتاج إلى الإصلاح في كثير من نواحيه، والأزهريون الآن متطلعون إلى من يداوي ما يحسون به من علل ليست من صنيعهم ولا يد لهم فيها ، وإنما انحدرت إليهم مع الزمن ميراثاً ثقيلاً ؛ وما دامت النفوس مستعدة والنيات خالصة فسيأتي اليوم الذي ينفض فيه الأزهر عن نفسه كل ما يشوه جماله أو يسيء رسالته

وإن من البشائر التي تطمئن على نجاح هذا السعي ونفاذ هذه الدعوة إلى القلوب ، اشتراك الأزهريين أنفسهم في معالجة هذه العيوب ومحاولة التخلص منها ؛ ولن يقدر أحد على إصلاح الأزهر كما يقدر عليه أبناء الأزهر ؛ فقد حاولت ذلك حكومات فيما مضى فلم يتأت لها ما تأتى لابنه البار « محمد عبده » ولم يقدر أحد على ما قدر عليه في هذا الشأن مع ما وضع في سبيله من عراقيل وما أرجف به عليه من ترهات وأكاذيب ؛ لأن دعوة الحق لا بد أن تجد سميعاً ولا بد أن تتغلغل في النفوس وأن ينتصرها – من حيث لا يشعر – أولئك الذين يعملون جاهدين على كيدها والصد عنها ، ودعوات الإصلاح يخدمها خصومها كما يخدمها أنصارها

وها قد أصبح الأزهر يؤمن بمبادئ الأستاذ الإمام ويتتبع مناهجه ، ويدل بذلك حتى صار من فخر الرجل في الأزهر الآن أن ينتسب إلى الأستاذ الإمام تلميذاً أو مسترشداً أو صديقاً ، بعد أن كان في حياته هدفاً لسهام الطاعنين ونبال الحاقدين

وفي يد الأزهر الآن فرصة ثمينة لا يسوغ له أن يضيعها أو يهمل استغلالها ، هي قيام الإمام الثاني الأستاذ المراغي على رياسته وتوجيهه ، ومن ورائه في ذلك طائفة من المخلصين للأزهر المقتنعين بفكرة الإصلاح قرأت خطبه وأحاديثه ودرستها دراسة فاحصة ممعنة فاتخذت لنفسها وجهة الخير منها ، وحرصت أن تهتدي إلى طريق النجاح بها . ولست أحب أن أسمي هؤلاء كما سماهم الأستاذ الزيات « شباب المراغي » فإن روح المراغي لم تكن قاصرة على التأثير في الشباب فحسب ، وإنها لأشد قوة وأبعد أثراً من ذلك ؛ فقد أثرت فعلاً في شيوخ قد جاوزوا عهد الشباب وخلفوه ، فأجدر بنا أن نسمي هؤلاء وهؤلاء « مدرسة المراغي »

ولسنا نلقي هذا الكلام على عواهنه ، فإن الأستاذ المراغي حينما خطا خطوته الجريئة في إصلاح بعض القوانين المتصلة بالأحوال الشخصية وقف في طريقه إذ ذاك كثير من العلماء، وعلى رأسهم عالمان فاضلان ألفا رسالة ذكرا فيها أنه لا يجوز الخروج عن المذاهب الأربعة التي أجمعت عليها الأمة ؛ فهل تدري أيها القارئ أنهما الآن يعملان عضوين بارزين في لجنة الأحوال الشخصية التي لا تقف فيما تختار عند المذاهب الأربعة ؛ أليس هذا أثراً لروح المراغي واستجابة لرجة الإصلاح التي يستوي عندها الشيب والشباب ؟

هذه المدرسة الصالحة يعلق عليها الأزهر الحديث آمالاً جساماً وتنتظر منها الأمة نهضة قوية تساير نهضتها في كل نواحي التقدم ؛ تنتظر منها أن تخرج للناس كتباً واضحة الأسلوب جيدة المعنى خالية من التعقيد والغموض ، وأن تفهم الجو المحيط بها فهماً صحيحاً فلا تكتفي بالعيش في ظلال كتب تمثل عصوراً خلت ، ربما كانت هذه الكتب صالحة لها موفية بحاجتها ، وهي الآن عاجزة عن حل المشاكل التي تعترض الناس في معاملاتهم ونظم حياتهم ؛ تنتظر منها اشتراكاً فعلياً في توجيه الثقافة القومية في البلاد، في الأحاديث التي تذاع، والمقالات التي تنشر، والمحاضرات التي تلقى، وفي تعليم الشعب وإرشاده بأسلوب لا يجافي روح العصر الذي نعيش فيه؛ فقد مضى عهد الجمود والوقوف عند النصوص من غير مراعاة لروحها وظروف أحوالها والعوامل التي أثرت فيها، تنتظر منها كذلك أن تبين بالعمل لا بالقول أن الشريعة الإسلامية صالحة

إذا شبت الحرب فى البحر الأبيض

للأستاذ فوزى الشتوى

خطوة متوقعة

لا تعتبر الخطوة التى اتخذتها الأميرالية البريطانية بإخلاء البحر الأبيض المتوسط من سفنها التجارية خطوة مفاجئة، فقد تنبأ رجال البحرية منذ سنين بأن خطة انجلترا إذا اشتعلت الحرب لن تخرج عن ثلاث وسائل

أولها — إغلاق البحر الأبيض المتوسط إغلاقاً تاما ومنع الملاحة فيه، على أن تترك بعض السفن الحربية الخفيفة للدفاع عن شواطئ البلاد الموالية للحلفاء

وثانياً — أن تسير الملاحة فى طريقها الطبيعى، على أن تقسم حماية طرق الملاحة بين الأسطولين البريطانى والفرنسى، فيتولى الأسطول البريطانى حماية الجزء الشرقى، ويتولى الأسطول الفرنسى حماية الجزء الغربى

وثالثاً — الالتجاء إلى خطة وسط، وهى تقضى بإخلاء البحر الأبيض من الأساطيل التجارية وحدها، مع إغلاق جبل طارق وقنال السويس وعدن فى البحر الأحمر، وتوجيه قوات الحلفاء إلى القضاء على القوات المعادية

ويظهر من التدابير التى اتخذتها انجلترا أخيراً أنها ستنفذ إحدى الخطتين الأولى أو الثالثة؛ فإذا طال أمد الحرب أخليت جزيرة مالطة؛ فإن قربها من مواقع إيطاليا الحربيـة مع صغر مساحتها يجعلها قاعدة جيدة للهجوم

اتفاقات سرية

ونظرة واحدة إلى خريطة البحر الأبيض المتوسط والمواقع الحربية التى تسيطر عليها الدول المتحاربة تبين خطورة الموقف

لكل زمان ومكان حتى ينخلع من أذهان الواهمين ما اعتقدوه من تنافر الدين مع ألوان الحضارة ومجافاته أساليب الرقى العلمى والفكرى

إن الأمة تضع الأزهر فى مكان القيادة منها، أو هى ترجو ذلك فيه؛ فليعرف الأزهر هذه المنزلة وليحرص عليها، وليعمل على الاحتفاظ بها، ولا يمتعض رجاله من كلمة الحق تقال فى صراحة سافرة على منبر عام أو خاص، فإنها إنما تقال بإخلاص لمصلحة الأزهر وخيره، والإبقاء على منزلته ومكانته

إن النفور من دعوة الإصلاح، والهرب من مواجهة العلل وإغماض العين ولوى العنق سياسة غير صالحة فى هذا العصر، وإنه لا يكفى أن تقنع فى نفسك بأنك خير الناس ليعتقد الناس فيك هذا، ولكن يجب أن تبرهن لهم عملياً على ذلك وتشعرهم بأنك تحس بإحساسهم وتفكر فى حل مشكلاتهم، ولعلنا ننتفع بما أرشد إليه أستاذنا الأكبر فى خطابه الأخير من قوله: « إنى أرحب بالنقد البرىء، وأنصح لكم ألا تضيق به صدوركم، فإن كان حقاً فاشكروا الناقد واعملوا على الخلاص من الخصال التى كانت سبب النقد، وإن كان غير حق فادفعوه بالحسنى وأظهروا براءتكم مما وجه إليكم »

لقد كان للأزهر فيما مضى موقف سلبى فيما يتصل بتنظيم الفقه وتحويره وتعديله للانتفاع به فى القانون والتشريع؛ وما زال هذا الموقف السلبى وصمة فى تاريخ الأزهر، تغمض العين منها على قذى موجع، وتنطوى الأحشاء منها على ألم ممض؛ ولقد كان من أثر هذا الموقف المعيب الذى حرص أصحابه عليه « تورعاً » فيما زعموه أو فيما زعم لهم بعض الناس، أن تحاكم المسلمون إلى غير شريعتهم، وألزموا بغير قوانينهم، وهو ما نأسف له جميعاً؛ فهل يكون موقف العلماء اليوم كموقف أسلافهم بالأمس؟ أو هم مستعدون لإصلاح هذا الخطأ وإقناع النـاس بأن الشريعة الإسلامية السمحة غير عاجزة عن مسايرة المدنية فى أجلى مظاهرها، وإدراك غاية الإصلاح الاجتماعى وتلبية حاجاته ومطالبه، فيصدروا فى فقههم عن هذه الروح التى لا تغفل ما جدّ للناس من نظم ومعاملات؟

إن اليوم الذى يخرج فيه العلماء للناس بهذا الفقه النافع لهو يوم النصر الذى يتمناه المسلمون جميعاً؛ وهو اليوم الذى يصل فيه الأزهر - كما يقول الأستاذ المراغى - إلى الغاية التى يرجوها من أداء الرسالة الإسلامية على الوجه الملائم لطبيعة العصر وعقلية الناس

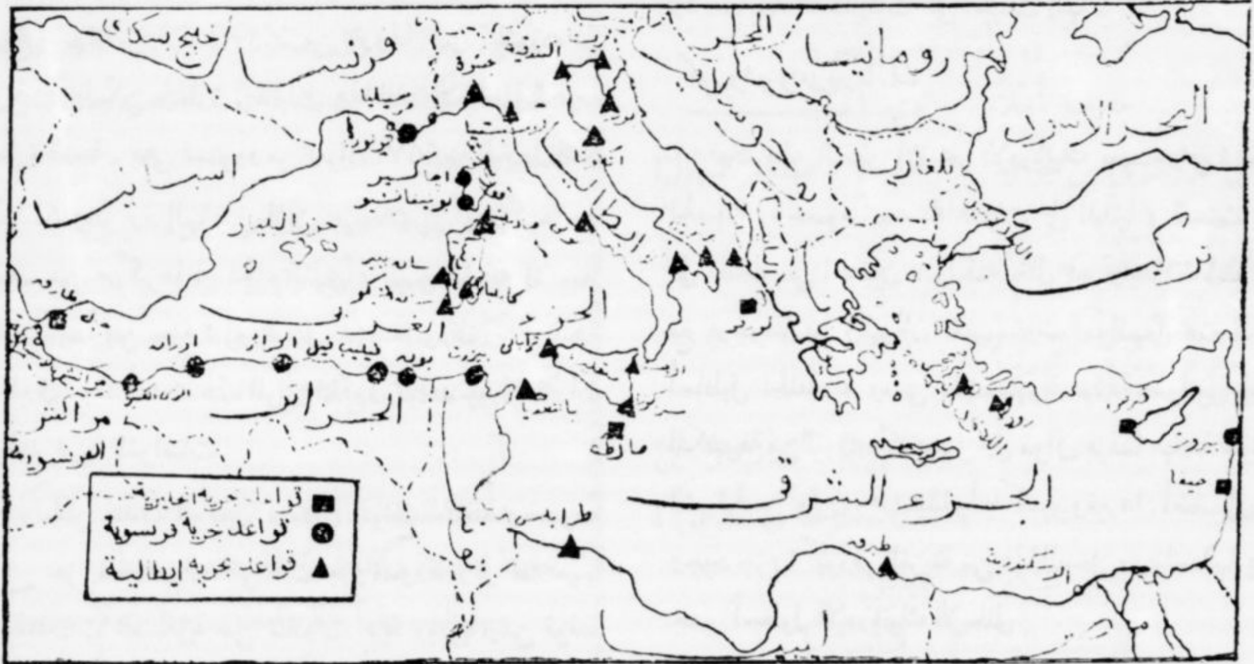
وكم نرجو أن يتحقق ذلك فى هذا العهد المبارك لنمحو من الأذهان موقف السلبيين، وليشهد التاريخ أن الأزهر فى عصر فاروق غيره فى عصر إسماعيل، وأنه على عهد المراغى غيره كذلك على عهود من سبقه من الشيوخ

عبد العزيز محمد عيسى
مدرس بمعهد القاهرة

وما يكلفه الصراع لتأمين مواصلاته من تضحيات غالية، فلانجلترا وفرنسا مواقع بحرية كثيرة انتثرت في أخطر مواقعه ممتدة من شرقه إلى غربه ، ومن جنوبه إلى شماله ، بحيث يتيسر لقوات هذه الجهات التحكم في جميع طرق الملاحة ، فضلاً عن سيطرة انجلترا على أبوابه في جبل طارق وفي قنال السويس . أضف إلى ذلك ما يقال عن وجود اتفاقات سرية تضع موانئ الدول المحايدة تحت تصرف الحلفاء

أما إيطاليا فطبيعة موقعها الجغرافي تشطر البحر الأبيض إلى شطرين : الجزء الشرقي والجزء الغربي . والقسم الأخير شديد الخطورة نظراً لكثرة مواقع إيطاليا البحرية عليه ، ولأن شواطئها الأبيض بين شرقه وغربه، بل يتعدى إلى تهديد خطوط المواصلات بين فرنسا ومستعمراتها في أفريقيا

وهذه المواصلات هامة جداً في نظر فرنسا ، لأنها الطريق القصير لنقل قوات المستعمرات إلى فرنسا لتغذية قوات خط ماجينو ، ولم تغفل فرنسا خطورة مواقع القواعد الإيطالية ، فأعدت في قورسيقا مينائين خطيرين لهما من حصانتهما ما يكفل إفساد الخطط الإيطالية . وقد اشتغل فيهما أمهر المهندسين الفرنسيين ، حتى جعلوهما من أمنع المواقع ؛ وما زالت أسرار دفاعهما وهجومهما سراً محفوظاً في صدور منشئيهما ؛ ولم تتح زيارة بعض مواقعهما إلا لصحافي واحد لم يخرج من زيارته لهما



تكون جزءاً منه يمتد من ميناء جنوة بطول الساحل الإيطالي حتى جزيرة صقلية إلى جزيرة بنتلاريا التي تقف في وسط المضيق فتتحكم في طرق الملاحة

تونس

ولا يضايق هذا الخط إلا الشاطئ الإفريقي في تونس ، وقد أنشأت عليه فرنسا ميناء بيزرت ؛ ولعل هذا الوضع يوضح خطورة مطالبة إيطاليا بتونس التي تجعل خطها مقفلاً لو تيسر لها الاستيلاء عليه ، ويساعد هذا الخط المواقع البحرية التي أنشئت على جزيرة سردينيا الإيطالية ، فلا يقتصر تهديده على مواصلات البحر

إلا ببعض معلومات زهيدة وصور شائعة .

ولا يسع الباحث أن يتجاهل موقف أسبانيا في هذا الصراع فإن حكومتها الحالية وليدة الأطماع الدكتاتورية في إيطاليا وألمانيا ولها جزر الباليار التي قيل أثناء الحرب الأهلية الأسبانية إن إيطاليا أعدتها لقطع مواصلات فرنسا مع مستعمراتها ؛ فإذا انحازت إلى جانب الدكتاتورية ، فإن الخط يتضخم ، على أنه لن يحد من نشاط الحلفاء ، فيسهل تحويل طرق الملاحة إلى المحيط . ولن تستطيع القوات المادية أن تقترب من الشواطئ الإفريقية لخطورة المواقع البحرية التي أنشئت عليها بطول الساحل من المرسى الكبير إلى بيزرت

الحصر الاقتصادي

ولاشك أن الحلفاء سيتخذون إقفال البحر الأبيض وسيلتهم لتجثو الدول المادية على ركبتيها ؛ وأول نتائج هذا الإقفال عزل إيطاليا عن مستعمراتها في شرق أفريقيا وفي شمالها ؛ وبهذا الحصر تخسر إيطاليا ٨٦٪ من ملاحتها خسارة لا يمكن الاستعاضة عنها، لأنها لا تملك شواطئ على غير البحر الأبيض ، بينما تتمتع فرنسا بشواطئها على خليج بسكاي ، وعلى بحر الشمال

وعدد البواخر التجارية التي تصل أو تغادر انجلترا يومياً ٨١٥ سفينة، متوسط حمولة كل منها ثلاثة آلاف طن يخترق منها البحر الأبيض ٥٧ سفينة فقط يحول طريقها إلى رأس الرجاء الصالح . وتخسر فرنسا ٢٠٪ من بترولها الذي تستورده من العراق ، ولكن خسارة إيطاليا في هذا المادة الأساسية للحرب خسارة فادحة . فهي تستورد من العراق ٧٠٪ من البترول الذي تستهلكه وهو يرد إليها عن طريق جزئه الشرقي ومركزها فيه أضعف من مركزها في الجزء الغربي ، فليس لها فيه إلا خط مشاغب يبدأ من جزيرة ليروش في جزر الدودكانيز ، وينتهي في طبرق . وقد أعدت هذه الموانى لتكون قواعد جوية للطائرات وقواعد بحرية للغواصات

ولكن هذين الموقعين مهددان بمواقع الحلفاء وخصوصاً من جزيرة قبرص ، التي فاقت جزر الدودكانيز في صلاحيتها للاستعدادات العسكرية من مطارات برية وبحرية ومن قواعد للأساطيل البحرية . وهي لا تبعد عن جزر الدودكانيز إلا ٢٢٠ ميلاً تقطعها قاذفات القنابل في أقل من ساعة

قبرص والاسكندرية

ولميناء حيفا أهمية خاصة في نظر الحلفاء، ففيها تنتهي أنابيب البترول العراق ، ولكن طبيعة أرضها لم تمدها لتكون ميناء حربياً جيداً . فاتخذت الاحتياطات للدفاع عنها من قبرص والاسكندرية فبعدهما عنها قصير ، وهي تمثل الزاوية الثالثة من مثلث ضلعه من قبرص إلى الاسكندرية يواجه الخطر الأجنبي .

وإذا نشبت الحرب فإنه ينتظر أن تصبح الإسكندرية قاعدة الأسطول البريطاني ، فإن جزيرة مالطة لا تصلح في رأي الخبراء البحريين لحرب طويلة الأمد ، وإن كانت في أول الحرب تتخذ كقاعدة خطيرة للهجوم على مواقع الدول المادية ، فهي لا تبعد عن صقلية إلا عشرين دقيقة بالطائرات . وأكبر عيوبها ضيق مينائها مما لا يساعد على الحركات البحرية

ويختلف رجال البحر ورجال السياسة إزاء إخلاء هذه الجزيرة، فيدعي فريق أن إخلاءها يحط من هيبة انجلترا في نظر حلفائها ، ويرى الفريق الآخر أن إخلاءها هو الخطوة الأولى لنصر محقق ، وخصوصاً إذا تم هذا الإخلاء من بدء الصراع ، لأن التجاء الأسطول إليها يجعله في مركز حرج ويعرضه للهجمات المادية، ويرون الاستعاضة عنها بميناء الإسكندرية التي تعتبر أصلح ، ولا سيما بعد التحصينات التي أضيفت إليها .

كورفو والادرياتيك

وقد يظن البعض أن بحر الإدرياتيك يصبح بحيرة إيطاليا الحصينة ، وخصوصاً بعد ما استولت على ألبانيا ، فقبضت بذلك على مدخله من الجانبين ، ولكنه يقال إنه توجد اتفاقات سرية مع يوجوسلافيا واليونان تقضي بوضع موانيهما تحت تصرف أساطيل الحلفاء ، ومعنى ذلك سهولة مهاجمة سواحل إيطاليا المكشوفة من الغرب، كما يسهل على موانى فرنسا مهاجمة شواطئها الشرقية من تولون ومرسيليا وأجاكسيو وغيرها . أضف إلى ذلك وجود جزيرة كورفو القريبة من هذا المدخل ، وبواسطتها يسهل حصر أسطول الإدرياتيك الإيطالي

ويجمع الرجال العسكريون على أن دخول إيطاليا الحرب يفتح الطريق أمام قوات الحلفاء لمواجهة قوات ألمانيا، سواء من إيطاليا أو من يوجوسلافيا ، إذ يهاجمون النمسا من القاطعة المعروفة باسم سلوفانيا ، وحصون ألمانيا من ناحيتها أضعف منها في أي مكان آخر . أضف إلى ذلك أنه يتيسر لهم جعل حصارهم الاقتصادي فعالاً ؛ فإن إيطاليا ودول البلقان هي أكبر ممول لألمانيا ، والغالب أن يجر دخول إيطاليا الحرب إلى حرب عامة تحرم المحور من خاماته سواء كانت حربية أم مدنية فتجوع بطون الرجال، ويبطل عمل الأدوات من مدافع وطائرات ومدرعات

فوزي الشتوي
بكالوريوس في الصحافة

ريفية!

عَرَّافَةُ الزهر...

[السنبلة]

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

سَمِعْتُ مِنْ سُنْبُلَةِ الْقَمْحِ
أُنْشُودَةً تَبْكِى عَلَى السَّفْحِ
لَا دَمْعُهَا دَمْعِى ! وَلَا نَوْحِى
مِمَّا أَذَابَتْ فِيهِ حُزْنَ الْحُقُولْ
وَأَتْرَعَتْهُ مِنْ شُجُونِ الأَصِيلْ
فَغَابَ فِى أَوْتَارِهَا وَانْطَوَى
خَفِيفَ أَحْلَامٍ بِوَادِي الْهَوَى
اشْتَلَّ نَارَ الشَّوْقِ مِنْ جُرْحِى وَبَعْثَرَ الآهَاتِ فَوْقَ السُّهُولْ!

***

فَقُلْتُ : يَا مَخْضُوبَةَ الرَّأْسِ
بِذَائِبٍ مِنْ وَجْنَةِ الشَّمْسِ
يَا خَمْرَةً مَخْبُولَةَ الْكَأْسِ
دَارَتْ عَلَى الدُّنْيَا بِعَذْبِ الرَّحِيقْ
وَخَلَّفَتْ عَاصِرَهَا فِي الطَّرِيقْ !
عَلَامَ تَبْكِينَ ؟ أَلِلْبَائِسِ ...
غَارِسِكِ الْمُسْتَضْعَفِ التَّاعِسِ ؟
أَمْ قَدْ نَقَلْتِ الشَّجْوَ عَنْ نَفْسِي وَشَجْوُهَا كَالْبَحْرِ طَامٍ عَمِيقْ!

***

قَالَتْ وَلَمْ تَسْمَعْ صَدَى شِعْرِى :
إِنِّى هُنَا عَرَّافَةُ الزَّهْرِ
أَبْحَثُ فِي الْكُثْبَانِ عَنْ سِرِّ
أَشْقَتْ بِهِ الْفَلَّاحَ كَفُّ الْغُيُوبْ
وَهَا أَنَا يَطْوِى حَيَاتِى الْمَشِيبْ
وَلَمْ أَزَلْ أَبْحَثُ عَنْ حِكْمَتِهْ !
عَلَامَ بَارِى الْخُلْدِ فِي جَنَّتِهْ
يَأْبَى لَهَا عُرْيَانَ فِي الْفَجْرِ وَيَرْتَدِي الأَكْفَانَ عِنْدَ الْمَغِيبْ

سمفونية شعرية

مع المـــاضى...

إننى أحلم ، وحلمى هو الماضى ...

لا زلت أذكرك ووراءك موسيقى آتية من مكان لا أراه ... أدواح متباعدة ، وأرض مخضوضرة . وليس هناك إلا أنا وهذه الموسيقى ، وخيالك بارزاً من الماضى إلىّ !

أين ليالينا والظلام ...

إن صدرك ما زال يضطرب ، والهواء البارد يرطب وجهك وعنقك ؛ وصوتك الخافت اللاهث يردد أنشودة الحب فى الليل

إننى أحلم وحلمى هو الماضى

لقد عشنا معاً ، أياماً وليالى ...

كنت معى : شعرك المرسل يرف على ، ويداك الدقيقتان تبحثان عن لا شىء

آه ...

رأيتك فى ثوبك الأبيض ذات أمسية بعيدة ؛ وكنت صامتة مجهدة ، وكان فى صمتك نداء يوم مقبل

وجاء اليوم بطيئاً كخطى المذارى . وكنت لا تتكلمين، فأخذت بيدك وسرنا جنباً إلى جنب حيث لا أدرى . ولم أسألك إلى أين . لقد كنت حالماً أسبح خلف الضباب . إلى أين كنت ذاهبة يا ساحرة ؟ كنت مشغولاً بك عن كل شىء

جلسنا نسترجع حلماً حلمناه منذ أزمان

وتحت المصباح الخامد وصدرك إلىّ سألتك: أتحبيننى ؟

فقلت : نعم

وفى أذنىّ المفعمتين بألحان الناب وأنات السواق ، استطاعت كلمتك أن تحيا هادئة واضحة كماء البحيرة وسط الشجر الألف

(م . وهبة)



نجوى الرافعي

أيها العزيز !

« فى القلب تعيش الأرواح الحبيبة الخالدة التى لا تفنَى
وفى القلب تُحفَرُ القبورُ العزيزة التى لا تُنسَى »

هكذا قلت(١) « وعواطفى تشيّع الميت الحبيب مطرقة صامتة » واليوم ماذا أقول ؟ أمَا إنك لتعلم - أيها الحبيب - أن الذى بينى وبينك دنيا تمشى الأحزان فى أرجائها نائحة باكية ... لستُ أكفر بأنعم الله علىّ أو عليكَ ... ، كلا ، كلا ! لقد ذهبتَ إلى ربك راضياً مرضياً فرحاً بلقائه ، مؤمناً بما زُيِّن فى قلبك من الإيمان ، وبقيتُ أنا لأبحث عن أحبابى بعدكَ ، ... لأفقد لذّة المعرفة التى يفيض فيضها من الصداقة والحب ، ... لأتلدّدَ ها هنا وها هنا حائراً أنظر بمن أثق ، ... لأجدَ حرّةَ القلب وكَمَد الرُّوح وألمَ الفكر من حبى وصداقتى ، ... لأسير فى أودية من الأحزان بعيدة : أمشى وحدى ، وأبكى وحدى ، وأتألمُ وحدى ... لا أجدُ من أنفضُ إليه سرّ أحزانى ، ...

ذهبتَ وبقيتُ ... لأتعلّم كيف أنافق بصداقتى بعضَ النفاق لأنهم يريدون ذلك ، ... لأجيد مهنة الكذب على القلب لأنهم يجيدون ذلك ، ... لأتعلّم كيف أنظر فى عيونهم بعينين لئيمتين يلتبس فى شعاعهما الحب والبغض ، لأنه هو الشعاع الذى يتعاملون به فى مودّاتهم ، ... لأفنىَ بقائى فى معانيهم المتوحشة إذ كانوا هكذا يتعايشون ، ... لأحطّم بيدىّ بنيان الله الذى أمرنا بحياطته ، وأتعبّد معهم للأوثان البغيضة الدميمة التى أنشأتها أيديهم الدنسة القذرة ، ... لأجنى الثمار المرّة التى لا تحلو أبداً ، ولكنهم يقولون لى : هذا ثمرٌ حلوٌ ، فلماذا لا تأكل كما يأكل الناس ؟ ...

ذهبتَ — أيها الحبيب — وبقيتُ ... ، بقيتُ فى الحياة التى أولها لذةٌ وآخرها لذعٌ كأحرّ ما يكون الجمر حين يتوهج ، بقيتُ للحياة التى تريدُ أن تسلبَ القلبَ براءةَ الطفولة لتملأهُ إثماً وخداعاً وشهوةً ... بقيتُ على الحياة فى الأرض التى تميدُ وترجفُ وتحتدمُ مَن تحتى ، لأنها تنكر الإيمان الذى يمد بسبب إلى السماء ... بقيتُ بقاءَ حبة القمح فى رمال الصحراء المجْدبة لا أجدُ مائى ولا تربتى ... ولا من يزرعُنى ...

شدّ ما اختلفتْ علىّ أحداثُ الحياةِ من بعدكَ أيها الحبيب !

كنتُ أشكو إليكَ ما ألاقى من ظمأ الروح الهائمة ، وهى تطوف بحسراتها على ينابيع الحياة لا تنتهى ولا تستطيع أن تَرِدَ ...

كنتُ أبثُّك أحزانى وهى جالسةٌ توقد النارَ على نفسى وتؤرّثها بأفكارى القلقة التى لا تهدأ ولا تنقطع ... كنتُ أشكو إليك آلامَ الشّوكِ الذى تنبتُهُ فى قلبىَ الشكوكُ العاملةُ الناصبةُ التى جعلتْ همّها تعذيبى بالحيرةِ والخوفِ والحرمان ... والحقيقةِ المؤلمة أيضاً ... كنتُ أجدكَ حين ينبغى أن أجدكَ ، لأقول لك ما يجبُ علىّ أن أقول ...

شدّ ما اختلفتْ علىّ أحداثُ الحياة من بعدك أيها الحبيب !

وها أنذا أريدُ أن أجدَ بعدكَ من أضعُ فى يديه الرفيقتين هذه الجروحَ الداميةَ النابضةَ التى أسمّيها قلبى ... أريدُ أن أضعَ أفكارىَ التائهة فى بيداء الظنون المقفرة ، بحيثُ تجدُ مَن يتولى أمر إرشادها إلى روْضة اليقين الناضرة ... أريدُ أن أجدَ ملجئى المؤمنَ حين تطاردُنى من الظنّ صعاليكهُ الكافرة ... أريدُ أن أعرفَ لذّة الصداقة والحبّ حين لا أجدُ من الحياة إلاّ آلامَ صداقتى وحبى .. أريدُ ... أريدُ ! ... أريدُ مَنْ أقول له : ها أنذا بعَذابى وضَعْفى وخُضُوعى ؛ فيقول : وها أنذا بصبرى وقوّتى وحبى لك ... أريدُ من أقولُ له : هذه جروحى التى تنفُثُ الدّمَ ، لا ترقأُ ولا تستريحُ ولا تبرأُ إلاّ على وعى من دَمِها ؛ فيقول لى : وهذا طِبّى الذى يحسمُ هذا الدم لتستريحَ وتبرأَ من ألم النزيف ، يا بُنىّ ... !

(يا بنى ...) ، هذه طفولتى ، أريد من يحنو علىّ بها حنو الأم على صغيرها الذى هو كل أشواقها الرقيقة من قلب نبيل رقيق ... (يا بنى ...) ، هذه طفولتى ، أريد من يمسح بها أحزانى التى حيّرت بصرى لأعرف من بعد طريق رجولتى التى تريد أن تحمل وأن تسير وأن تصل إلى سر أشواقها البعيدة الجميلة ... (يا بنى ...) ، هذه طفولتى ، أريد من يعرف أنى طفل وديع حين أؤوب من

(١) الرسالة : عدد (٢٠٢) فى ١٧ مايو ١٩٣٧

كدى وكدحى ، فيتلقانى بين ذراعيه إلى قلبه لأشعر بحنان من الروح يطفئ غلتى ، ويرسل فى أعصابى ريها من الحب ، الحب الذى هو فجر الحياة بنعومته ورقته وطهره ، الحب الذى يرد القلب المكدود الظامئ زهرة تتفتح فى جو من النور والندى والشباب ... (يا بنى) من يقولها لى يضج فى نبض أحرفها نبض الحب ...

أين أنت أيها الحبيب ؟ كنتَ أخى وصديقى ومن أستودعه سر قلبي المعذب فى تنور الحياة الموحشة التى يضطرم جوها بالصمت المتوهج والوحدة المستعرة ... كنت أخى وصديقى ، وأنا أبيد كما تبيد الأيام والليالى فى كهوف الحياة الدنيا ... كنت أخى وصديقى ، وعواطفى تزأر وتجأر فى باطنى كأنها وحش جريح متألم ثائر لا يرى مَن جرحه لينتقم ... فالآن وقد جددت الدنيا أساليب تعذيبي عذاباً ضعفاً من الآلام ... الآن وقد أوجدتنى الحياة ما أريده ، ثم وضعت بينى وبينه سداً يعصف ما وراءه من أشواق ويقف دونى فلا أنفذ منه ... الآن وأنا أشتعل وأتفانى من جميع نواحى ... الآن وأنا أتوثب فى قيود مرخاة تمنحنى الحركة وتمنعنى دون الغاية ... الآن وأنا أمزق جو حياتى بزئيرى وأنيابى ومخالبى ، وأحرقه بوجدى ولوعتى واشتياقى ...

الآن أين أنت أيها الحبيب ؟ يا أخى وصديقى

انظر إلىّ — أيها الحبيب — من وراء هذه الأسوار المنيعة التى تفصل بين الحياة والموت ... الأسوار التى تمشى إليها الحياة كلها ساعة بعد ساعة دائبة ماضية لا تقف ، فإذا بلغتها ابتلعتها من حيث لا تشعر ولا تتوقَّعُ ... انظر إلىَّ — أيها الحبيب — وتكلَّم بكلامٍ من شعاع مضىء حتى يفهمَنى حقيقتى الحية ، ويضيء لعينى هذه الظلمات التى تعترك بين يدى فى مد عينى ... انظر إلىَّ — أيها الحبيب — واسكُبْ فى قلبي ورُوحى حقيقة الإيمان الحىّ الذي لا يموت ... انظرْ إلىَّ واصحبْنى فأنا الذى لا يصاحبُ الأحياء من الناس ، لأنهم لا يعرفون معنى الحياة إلا فائدة تلد فائدة ، كما يلد بعضهم بعضاً فى مَشيمَة من الكره واللعنتِ وآلام المخاضِ وأمشَاجٍ من الدم يشخَب من حولها ويتضرَّج ويقيحُ بعضُه فى بعض

ولكن ... ولكن ما أكذب النَّفسَ على النفس ! أنتَ هناك بحقيقتك الخالدة التى تحيا بأمر الله فى جو السماء ، وأنا هنا بحقيقتى الفانية التى تموت يوماً بعد يوم بأمر الله فى جو هذه الأرض ... أنتَ هناكَ وأنا هنا ، وبينهما البرزخ الذى لا يجوزه الروح إلا بعد أن تتطهر من أدران هذا الدم المتجسِّد فى أجلاد الإنسان ... أنت هناك وأنا هنا ، فكيف أتخلعُ من نزوتى التى أنا بها أنا ؟ كيف أتخلع من جسدى ؟ ومع ذلك ...

« فى القلب تعيشُ الأرواح الحبيبة الخالدة التى لا تفنى

وفى القلب ... تحتَفَر القُبُور العزيزة التى لا تُنسى

لم أفقِدْك - أيها الحبيب - ولكنى فَقدتُ نفسى »

ذكرى الرافعى

لستُ أدرى ! فأنا أذكر الرافعىّ . أعرفهُ أديباً شاعراً فيلسوفاً ... رجلاً قد انصرف بهمّه إلى الأدب والفكر يجيدُ فيهما ما يجيد ، ولكنى حين أذكره لا أجده فى نفسى إلا الصديق وحده . لم أعاشره طويلاً حتى أقول إنى أعِى للناس خبره وأعرف عنه ومن أمره ما لا يعرفه غيرى ، كلا لست أدعى ما ليس عندى ولكنى كنت أبداً معه بحبى له وصداقتى ، وكان هو أبداً يحوطنى بروحه فى أنفاس من حنانه وحبه . كنا روحين تناظرنا من بعيد وتناسمنا من قريب فعرفته وعرفنى . كان بيننا سرٌّ جامعٌ لا أدرى كيف أصفه ، ولكن كان من يعرفنى ويعرفه يجد آثاره ويرى من بعض بيناته ما لا أحبُّ أن أحدِّثَ به . ومع ذلك فأنا أقصّر فى حقه ما لم يقصّر أحد ممن توجبُ عليه الصداقةُ بعض واجباتها ، ولم يكن ذلك ، لأنى لا أريد ، بل لأنى لا أستطيع ولا أطيقُ . فما زلتُ كلما ذكرتُ الرافعى — وقد مضت سنوات — أجد لذعةَ حُزنٍ فى قلبي تُرسلُ آلامها فى كلّ سابحةٍ من دمى

ولكن الله لم يُخلِ حقّ الرافعى من رُجلٍ يقوم عليه ويُحسنُ النظر فيه ، فهيأ له الأخ « محمد سعيد العريان » بردَّ — بوفائه لذكرى الرافعى — كل ما وجب على أصدقاء الرافعى وأبنائه وتلامذته والمتّبعيه . فقد بادر « سعيد » بعد وفاة الرافعى ، فأنشأ يحدّث الناس بأخباره ما دق منها وما جلّ ، ويضع بين أيدى الأدباء أكثر العوامل التى يتكوّن منها تاريخ الرافعى ، والتى كانت تعمل فى إنشاء أدبه وتوجيه بيانه . وفتح « الزيات » باب القول فى الرافعى له وعليه حتى اجتمعتْ من ذلك طائفةٌ من القول صالحةٌ لدراسة أدب الرافعىّ دراسة جيّدة لمن ينصبُ نفسهُ لها . ولكن الأخ « سعيد » لم يرض أن يقنع بما كتب

هو عن الرافعي وجمعه في كتابه الذي طبعه بعد وسماه « حياة الرافعي » ، فدأب على إظهار ما لم يظهر من آثار الرافعي قديمها وحديثها ، وقد كان آخر جهد بذله في ذلك سعيه لإنقاذ مؤلفات الرافعي كلها من الضياع . فانتدب لجمعها وتصحيحها ومراجعتها وطبعها بعد ذلك سلسلة واحدة تقوم بنشرها « المكتبة التجارية » وقد كاد يفرغ من طبع أكثرها ، وأنا أعلم أن بين يديه الآن كتاباً من كتب الرافعي التي لم يتمها وكان أصولاً مبعثرة رديئة الخط كثيرة الاضطراب ، وهي أصول الجزء الثالث من كتابه الجليل «تاريخ آداب العرب» ، واستخراج هذا الجزء وحده دون سائر كتب الرافعي يعد عملاً عظيماً ووفاء نبيلاً لرجل هو كسائر الأدباء : حياته حياة أدبه ، فإذا مات لم يجد في هذا الشرق الناقل من ينفخ الحياة في آثاره الأدبية مرة أخرى

إن هذا التراث الذي خلفه الرافعي للأدب العربي ، قد جعله الله أمانة بين يدي « سعيد » فهو يؤدي اليوم إلى الناس هذه الأمانة وافية كاملة لم ينتقص منها شيء — إلا شيئاً يعجزه أن يهتدي إليه أو يقع عليه ، وغداً يجد الناس بين أيديهم كل ما كتبه الرافعي حاضراً لم يضيع شيء منه وكذلك يجد من يريد سبيله إلى معرفة الرافعي من قريب وتقديره والحكم إما له وإما عليه

مصر المريضة

ألقى الدكتور عبد الواحد الوكيل بك ، أستاذ علم الصحة بكلية الطب ، في المؤتمر الحادي عشر للمجمع المصري للثقافة العلمي — محاضرة هي تصوير للآلام التي تعانيها الصحة في مصر ، وتمثيل للحقائق المؤلمة المخيفة التي تعمل عملها في هدم البناء الصحي للأبدان المصرية . وقد نشر صديق الأستاذ « فؤاد صروف » قسماً من هذه المحاضرة في مقتطف مايو سنة ١٩٤٠ ، فأخذتها وقرأتها وأنا أرجف بالرعب والفزع لما مثل لعيني من تلك الحقائق البشعة الشنيعة ، وهي على بشاعتها وشناعتها متفشية منتشرة تغزو مصر من جميع نواحيها غزواً مهلكا مبيراً ، ثم لا تجد من يرده عنها من الجنود المجندة المقاتلة التي هي كل صناعة الطب وأسباب صناعته

لقد عمد الدكتور الوكيل إلى الإحصاء الصحي في مصر ، فبان منه أن البلاد إذا لم تتدارك أمر الصحة بأوثق العزم وأحكم التدبير وأسرع العمل ، فسوف تنتهي إلى فناء محقق يأكل القوة المصرية كما تأكل النار يبس الهشيم . ونحن في فاتحة عصر رهيب قدبدأ بالحرب الجتاحة ، تأتي معها الأوبئة والأمراض وتجر في أذيالها أوبئة أخرى وقحطاً ومجاعة — إلا أن يشاء الله — والعالم كله يخشى ويتأهب ويستعد ، فهل عمدتْ مصر إلى جمل الوقاية الصحية تدبيراً ممتداً مع أسوأ الفروض التي يمكن أن توحي بفرضها أوهامنا ومخاوفنا وتشاؤمنا من الأيام المحاربة والأيام التي تلقي عن عواتقها أوزار الحرب بعد أن تأكل القوة بعضها بعضاً في ميادين البغي والقتال ؟

يقول الدكتور الوكيل : « ونحن إذا رجعنا إلى نسبة الوفيات العامة سنة ١٩٣٧ في مصر وثلاثين دولة أخرى في مختلف القارات متدرجين من الأسوإ إلى الأفضل ، اتضح لنا أن مصر في رأس هذه القائمة ؛ ومن هذه البلدان : الهند واليونان وبلغاريا وفلسطين » ... لا ، بل أكثر من ذلك ، وهو أن الإحصاء يدل دلالة قاطعة على أن الأطفال هم ٥٥٫٨ ٪ من مجموع الموتى ، وأن هذه النسبة في صعود متواصل حتى في هذا العهد الذي نحن فيه . بل انظر إلى الأصل فالدكتور الوكيل يقول : إنا إذا أخذنا الأمراض التفشية كالبلهارسيا والأنكلستوما والرمد والسل والأمراض العقلية والملاريا والتيفوس والتيفود والدفتريا والانفلونزا الحادة والحمرة وغيرها ، ثم جمعنا بعضها إلى بعض مرضاً مرضاً كانت ما يربو على ٥٠ مليون مرض ، فإذا وزعت هذه الملايين على المصريين أصاب كل شخص ثلاثة أمراض في وقت واحد

وهذه النتيجة المؤلمة قد أفضت إلى هذه الغاية باهتمام القائمين على أمر الصحة والتعليم بالحضر دون الريف ، وبالذي كان من طغيان الجهل واستبداد الفقر بطبقات الشعب التي يتكون منها السواد الأعظم . وقد وضع الدكتور الوكيل مشروعه لمكافحة هذه الحالة ، فهل يمكن أن تكون الوزارات المختصة قد عرفت حق مصر فهبت إلى القيام بواجبها في الدفاع عن البلاد لإنقاذها من براثن هذه الأعداء المتمادية المتحالفة على قتال الروح والحياة في الشعب المصري ؟ ذلك ظننا ، والله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين .

محمود محمد شاكر



بواطن وظواهر

عندنا فنانون ... ولكن !

للأستاذ عزيز احمد فهمي

٣ — من النقاد

الأستاذ بيرم التونسي :

كل ما يكتبه رائع ، ولكن أروع ما يكتبه هو النقد ، وقد كنت أقرأ النقد للأستاذ بيرم فأحسبه كتبه بعد كراهية عقلية لما ينقده ، واقتناع فكري أو خيالي بأن هذا الأمر الذي ينقده قائم على أخطاء يجب أن تزال حتى لا ينهض عليها من الأخطاء ما يستدعي النقد . فلما لقيت الأستاذ بيرم رأيت فيه أنه يكره بقلبه كراهية التحريم كل هذه الأمور والشخوص التي ينقدها، وقد يعلم القارئ أن كثيراً جداً من نقد بيرم منصب على الرجال الذين يسميهم « خناشير » تذكيراً بغيضاً يخشونتهم وتبشيعاً لها وانتصاراً منها لرقة الأنوثة ودلالها ... قد يعلم القارئ هذا ... فهل يعلم القارئ أني رأيت الرجل هكذا حقاً يكره الرجال ويستثقل ظلهم ولا يكاد يطيق صحبتهم ، ويمقت من يقول إن فيهم حسناً وإن في عشرتهم راحة . وهو لذلك يفر من الناس فراراً ويستخفي في المشارب العامة في زواياها على نواصي الشوارع النائية ويجلس مغمض العينين ولكنه يرى . . . وهو يرى من ثقب في إحدى عينيه — لعلها اليمنى — ولا أدري كيف انثقب وإن كنت أراه تجويفاً استدار في ملتقى الجفنين في كل جفن منهما فراغ هو نصف الدائرة ... وكلما مر في الطريق رجال هرب الأستاذ بإنسان عينه من وراء الثقب فلم يرهم ، فإذا مر في الطريق غير الرجال تألق الإنسان من وراء الثقب وارتمد

ومن هذا الثقب يرى الأستاذ بيرم كل شيء ، ولعل هذا هو السر في أنه يرى أبعد وأعمق مما يرى الناس ، فهو كعدسة الميكروسكوب تجمع الأشعة للعين في مستقيم واحد حيزه مجموع وهدفه دقيق ...

وكما أن بصر الأستاذ بيرم مكرسكوب ، فإن بصيرته مكرسكوب أيضاً . . . فضاح لا يغيب عنه إلا ما يشاء الله أن يخفيه وإذا شاء الله أن يخفي على الأستاذ بيرم شيئاً حفز فيه قوة انتباهه ، فيستيقظ في نفسه سوء الظن بما يسمع ويرى ، فيخطئ الحكم ... وسبحان الذي لا يغفل ولا يخطئ

الأستاذ محمد الهيهاوي :

أعوذ بالله من غضب الله ومن غضبه . هو صاحب القلم الذي كان سعد زغلول ينتظر قوله فيه أسبوعاً بعد أسبوع ، ليطمئن على كيانه أسبوعاً بعد أسبوع . فكما كان سعد أزهرياً فناناً عبقرياً ؛ فالأستاذ الهيهاوي أزهري فنان عبقري ، كانت وقفاته من سعد كوقفات سعد ، وكانت كلماته في سعد من الرواج مثل كلمات سعد ؛ فلعله كان أشد الناس حزناً على وفاة سعد، إذ فقد الهيهاوي بوفاته قريبه وضريبه الذي كان يستنبع من زعامته مادة فنه ، والذي كان يستخلص بالبراعة والحدة من كلامه وفعاله أهدافاً لهجومه ونقده . بل لعله كان أشد الناس حباً لسعد وقتما كان يبدو للناس أنه أشد الناس مضياً في خصومته وعداوته ، فأنا لا أستطيع أن أتصور فناناً عبقرياً يمقت فناناً عبقرياً ، والنبي كان يطلب للاسلام أن يعزه الله بعمر، فلم يكن سعد أيضاً يكره ناقده

الدكتور طه :

ويا لطول شقائي بالدكتور طه ! الناقد الجبار الذي لم يستطع أن ينقدني أنا ! كنت أنقش وأنا في العباسية الثانوية على أركان كراساتي وكتبي أربعة أسماء ... نقشتها على كل كراسة وعلى كل كتاب هي : « مصر . سعد . طه حسين . سيد درويش » وكان أساتذة اللغة العربيـة في العباسية الثانوية ينهونني عن الدكتور طه والكفر ، فكنت أثور وأعرض نفسي لسخطهم وعقابهم مالم تنقذني شفاعة من أحد الأساتذة الثلاثة المستنيرين الذين كانوا يحبون معي الدكتور طه وهم: محمود مرعي ، ومصطفى السقا ، وأحمد الشايب . وسماني زملائي في الثانوية باسمه من فرط ما كنت أقلده في تفكيره وأسلوبه . وأحسب نفسي لا أزال إلى اليوم مطبوعاً بطابعه . ولما كنت في كلية الآداب كنت أمنع

على عيني منظاراً أسود إمعاناً منى فى « الطحسنة » . وفى معهد التربية كان زملائى وبعض أساتذتى يجلسوننى إليهم ويطلبون منى أن أحدثهم أى حديث وأنا الدكتور طه . . . وعند ما كان الأستاذ المهياوي مشرفاً على فى أول عهدى بالكتابة كان يقول لى: إنى أخاف عليك أن تكون نسخة ممسوخة من الدكتور طه .
وعاب على الأستاذ الزيات يوماً أننى أفقد توازنى أحياناً فيما أكتب للرسالة فأضمحل وأذوب ويتبلور من بقاياى بعد ذلك طيف من الدكتور طه يكتب هو ويقول ما يريد

والدكتور طه الذى غزانى هذا الغزو لا أدرى كيف لم يشعر بى ، وكيف لم يعطنى من نفسه ولو عشر ما احتل من نفسى ... كلما أقبلت عليه صدنى ، وكل ما قيل له عنى فيه صدقه ... وإلا فأى شىء كان يبغضه فى ... لقد كان من أثر ذلك أنى تابعته بالذى تعلمته منه ... الصد بهجر ، والنكران بخدش

وأين أنا من أستاذى الذى إذا كره أمراً حرض الناس عليه حتى إذا رآهم أجمعوا على كراهيته معه ، عاد هو فكره أن يكون معهم فى إجماعهم فراح يعلن حبه لهذا الأمر ويحرض الناس على حبه حتى يعودوا إلى حبه معه، فيعود هو فيكرهه ويحرضهم على كراهيته ... وهكذا!

٤ — من الفلاسفة

لطفى السيد باشا :

هذا فيلسوف شرد عن نفسه بالفلسفة فلا هو يعرف أنه يعيش فى مصر وإنما هو يحسب أنه يعيش فى أثينا ، ولا هو يعرف أن الزمن دار ودار حتى وصل التاريخ إلى القرن العشرين بعد الميلاد وإنما هو يحسب أن العصر لا يزال عصر سقراط وأرسطو

رشح نفسه يوماً لانتخاب الجمعية التشريعية وقال للناخبين إنه رجل ديمقراطى . فسمع بذلك منافسه الفلاح فقال للناخبين : وأنا رجل مسلم . فسأل الناخبون منافس الباشا : وهل الديمقراطى غير المسلم فقال لهم : الديمقراطى كالماسوني، مبادئه الإخاء والمساواة بين المسلمين والنصارى واليهود ، والرجل والمرأة ، والسيد والخادم والكبير والصغير ، والعالم والجاهل ، والقادر والعاجز ، والسليم والأجرب ... وغير ذلك وذلك أنه يصح لكل إنسان أن يكون حراً فى حدود القانون ، فالذى لا يصلى حر ، والذى لا يصوم حر ، والذى يسكر حر ، والذى يفعل ويفعل حر ما دام القانون محفوظاً لم يمس ... وقانوننا فى الأصل فرنساوى

وزار لطفى السيد باشا دائرته الانتخابية ، فسأله الناخبون : هل حقاً أنت ديمقراطى ؟ فقال لهم : نعم . فسألوه : أمساواة وأخاء وحرية كالماسون ؟ فقال لهم تماماً ولا فرق ! فسألوه : والمسلم كالمجوسى ؟ فقال لهم : سواء بسواء ! فسألوه : والمرأة كالرجل ، والسكران كالصاحى ؟ فقال لهم : أمام القانون لا كبير ولا صغير .. والسكران ما لم يؤذ أحداً فهو حر فى نفسه ... فقالوا له : عال ... إن فلاناً يتهاون فى الصلاة فلا يؤديها فقال لهم : هو حر ... فقالوا له : إنا نعوذ بالله من (ديمقراطكم) ... لكم دينكم ولنا دين ! ...

وفاز الفلاح منافس الفيلسوف فى الانتخاب . أما الفيلسوف المفكر فإنه لم يفز ، وكان عيبه عند ناخبيه أنه ديمقراطى !

فهل الذى لا يعرف كيف يتفاهم مع ناخبيه فيلسوف ؟

إنه فيلسوف ولكنه لا يعيش فى هذا البلد ولا فى هذا العصر

الأستاذ شهاب :

هو عبد السلام بن حسنين بن شهاب بن أبى شامة الدشبيشى . واصل الدراسة فى الأزهر الشريف حتى أشرف على امتحان العالمية فتكاسل عنه . والتحق بفرقة تمثيلية يؤلف لها الأغانى والأناشيد وكان جمهور هذه الفرقة خليطاً من الناس ذوى المشارب المتباينة والأذواق المختلفة ، فكانوا جميعاً يجدون ما يرضون عنه فيما كانوا يسمعون . ثم شارك حلاقاً فى صالون ، لعبا برأس ماله فى « اليانصيب » فلم تصبهما ثروة ، فالتقطه واحد من أصحاب المجلات الأسبوعية كان يدير تجارة إلى جانب المجلة فعمل الأستاذ شهاب فى التجارة وفى المجلة حتى رأى صاحبه يسلمه يوماً لواحد آخر من أصحاب المجلات الأسبوعية ، ولم يعلم أنه باعه له بالمال إلا بعد زمن طويل ، وانتقل من المجلة القديمة إلى المجلة الجديدة يكتب فيها شعراً وزجلاً ونثراً مما يعنيه الشعب ويفهمه ويتلذذ به وهو ماكث فى « الإدارة » لا يخرج منها ، يعمل ويأكل وينام على المكتب ... ثم طرأ له أن يخرج يوماً فخرج وغاب فلم يعد ، فدار صاحب المجلة يبحث عنه فى الأقسام والمستشفيات وهو متلهف عليه يقول : يا عالم إنه لا يعرف الطرق ولا الشوارع ، ولكنه كان قد عرف الطرق والشوارع ومن بينها شارع الأمير قدادار ، وهو الطريق إلى دار الهلال التى يعمل فيها الآن

محرراً لإحدى المجلات التي تصدرها ، يكتبها بعد أن يجمع له المندوبون معلوماتهم ، من أولها إلى آخرها

وهو أزهد من رأيت في الجاه والشهرة ، وأقدر من رأيت في الحكم على النفوس ، وأقوى من رأيت في إقامة الحق إذا أراد إقامته ، وفي إزهاقه إذا أراد إزهاقه ، وأشد من رأيت استسهالاً للعبث بعقول الناس ، فهو يبدأ يقص عليك القصة ، فلا تلبث بعد أن يقطع معك مرحلة طويلة فيها أن تفيق فتجد نفسك قد سمعت كلاماً كثيراً مرتبطة أجزاؤه بعضها إلى بعض ، ولكنه ذاهب إلى حيث لا تدري ؛ فإذا أحببت أن تعود أدراجك إلى بدايته لم تعرف كيف تروح معه ولا كيف تجيء

يشترط عليه الأستاذ إميل بك زيدان إذا أراد أن يحادثه في أمر أن يمتنع عن مناقشته فيه ، لا لشيء ، إلا لأنه جرب مرات ومرات أن مناقشة الأستاذ شهاب تنتهي عادة بأن تقر دار الهلال نقيض ما تريده ، وما تكون قد أعدت العدة له

من آرائه أن مصر ستظل هكذا في انتظار زعيم لا بد أن يكون دينياً ، وأن اللحم سيد الطعام ، وأن أسعد الناس هم سكان التكايا ؛ وأن الأستاذ محمود حسن إسماعيل شاعر قبطي بدليل الرهبان والصلبان والأجراس التي ترن في شعره كثيراً ، وأن طلبة كلية التجارة يجب عليهم أن يقضوا مدة للتمرين في المذبح وعند أبي ظريفة وغيره من تجار الفول ، على أن لا تزيد مدة التمرين هذه على ثلاثة شهور يعطى الطلبة بعدها دبلوم التجارة ليغزوا هذين الميدانين من ميادين التجارة القومية الرابحة ربحاً مؤكداً ومركباً أيضاً ؛ وغير ذلك له آراء كثيرة كم اختلستها منه ونشرتها منسوبة إلي في (الرسالة) ، فأعجبت من قرأها

حفني محمود بك :

هو أيضاً عجيب في تفهمه للناس وإدراك تكوينهم النفساني . وهو يثأر للناس بعلمه هذا من الأشرار الذين يفتكون بهم . ولا تأخذه عند هذا الثأر رحمة ولا شفقة ، وجمهور من الناس يحسبون «حفني بك» مهذاراً ماجناً ، وهم يروون حوادثه على أنها نوع من العبث والمزاح ، وقد اصطنع بعض المتظرفين أسلوبه في السخرية من الناس ، ولكنهم لم يحرصوا على ما يحرص عليه هو وهو أن ترمى كل نكتة من نكاته إلى معنى حق ، وأنه لا يمكن أن يصيب بمزاحه ضعيفاً أو مسالماً ، وأنه لا يؤذي به إلا من هو جدير بالأذى ...

كان غني من أغنيائنا في أوربا في شهر يوليو . وهذا الغني صاحب ذمة واسعة

تقدم منه حفني بك وهو في بار اللواء وقدم إليه ورقة من ذوات الخمسة الجنيهات وهو يقول له : أشكرك كل الشكر يا سعادة البك . وهذه هي الجنيهات الخمسة التي أقرضتني إياها في عيد فرنسا في كازينو سان استفانو . فقبل الغني الورقة وهو يقول : العفو العفو !... من غير أن يفكر في أن عيد فرنسا لا يكون إلا في ١٤ يوليو ، وأنه كان في أوربا في ذلك الوقت ، فلم يكن من الممكن أن يلقى حفني بك في سان استفانو ولا أن يقرضه شيئاً ...

تلك كانت ضربة قضى بها حفني بك على المسكين من غير شك ... ولكن أليس هذا المسكين جديراً بهذه الضربة ... إنه على أي حال لم يتألم منها ولم يشكُ وجعها . فنفس كهذه لا يقتلها السم إذا تقع معه قرش لا جنيهات خمسة

الأستاذ محمود بسيوني :

صاحب البطاقة السهلة التي يستطيع أن ينالها منه كل قاصد تقديماً وتوصية . وصاحب الصدر الرحب الذي يفتحه لكل من يريد أن يرتمي في أحضانه . ولكن كم من الناس يستطيع أن يقول إن بطاقة بسيوني بك نفعته أو أن وساطته قضت له حاجة ؟

هذا رجل كاهن . استطاع أن ينجح في المحاماة إلى أبعد حدود النجاح لأنه استطاع أن يتغلغل في نفوس الفلاحين إلى أبعد حدود التغلغل ... رآهم يحبون الرجل الطيب فكان أطيب رجل ، ورآهم يأمنون الرجل الصالح فكان أصلح رجل

رأيته يوماً يدخل بنك مصر ومعه عميل من الريف ، فلم يصعد به السلم إلى المكتب الذي كانا يقصدانه ، وإنما طاف به في بهو « البنك » طوفة متأنية متريثة ، أخذت أعصاب الرجل الريفي تتفكك فيها وتنحل رويداً رويداً من أثر الروعة التي كانت تشع عليه من جدران البنك ... فلما تم له هذا أخذه وصعد به إلى حيث كانا يقصدان ؛ وقد آمن الرجل إيماناً بأن بنك مصر هو خير من ألف بنك

وهذه من غير شك أطيب دعاية وأكرم خدمة يؤديها محام وطني لعميله الوطني وللبنك الوطني ولإحساسه الوطني أيضاً ...

عزيز أحمد فهمي



أركان الحرب محور الدفاع الوطني

[من مجلة « لوا الفرنسية »]

يظن الكثيرون أن مهمة أركان الجيش محصورة في رسم خطط المارك وإصدار الأوامر لقوّاد الجيوش ، ويتساءلون دهشين : « بأية وسيلة أو أعجوبة يتلقى قوّادنا في المكان المحدود والساعة المعينة القوات المستمدة والكميات المطلوبة من الذخائر والمؤن والملابس وسائر المعدات الحربية ؟ »

من المعلوم أن شعب فرنسا يعمل بأسره في سبيل الجنود الذين يحاربون من أجله ، ومن المجهول تلك القوة الخفية التي تُعدُّ وتنظم الجنود وتجهّز وتوزّع المعدّات الحربية . وقد لا يخطر للكثيرين أن تلك القوة مصدرها أركان الجيش التي تتخذ باريس قاعدتها ووزارة الحربية مركزها . وإذا جاز لنا أن نشبّه القوى العسكرية بالجسم البشري ، فالجنرال غملان يمثل الرأس وأركان الحرب تمثل القلب ، وإذا كان القلب هو مصدر الحياة في الجسم والمحرك الدائم الحركة الذي إن توقف لحظة شلّت كل الأعضاء حتى الرأس نفسه ، فأركان الحرب هي مبعث كل قوة ومصدر كل تنظيم في الجهاز العسكري

لدى أركان الجيش جيش صغير من الكتّاب يعمل نهاراً وليلاً في ساعات معينة بإدارة بضع مئات من الضباط والاختصاصيين المسؤولين ، وفي مكتب رئيس أركان حرب الخرائط الحربية والخطط العسكرية والمعلومات الوافية التي تنبئ دائماً عن مواقف الجيوش في ساحات القتال وعما لديها من الذخائر والمؤن وغير ذلك مما يطول شرحه

ولنذكر الآن شيئاً مما تبذله أركان الحرب في إعداد المعدات الحربية . فمن المعلوم أن في فرنسا الآن بضعة آلاف من المصانع الحربية يعمل فيها نحو مليون عامل وعاملة ، وقد كان نتاج هذه المصانع في الحرب الكبرى يفوق نتاج أية دولة من الدول المحاربة والمحايدة ، وعلى رغم احتلال ألمانيا لمقاطعاتنا الصناعية في الشمال فقد كنا نمدّ حلفاءنا بما كان يعوزهم من المعدات . فإذا طلبت القيادة من أركان الجيش مثلاً بضعة آلاف من لوالب مدفع ٧٥ فما هي إلا دقائق معدودة حتى يُباشر تجهيزها في المصانع ، وفي أقل من يومين تتسلم أركان الجيش الطلب وترسله إلى القيادة . ولكن إذا روعيت هذه الدقة في الحرب الحاضرة التي لم يعرف جنودنا فيها حتى الآن المارك الحامية والانسحابات القاهرة فكيف تراعى في مثل تلك الأيام التاريخية الحرجة حين انسحبت جنودنا من شارلروا أمام الزحف الألماني ووقت أن هجم الألمان بجحافلهم على باريس وبلغوا كمبيان وسان كنتن؟ لقد خبر جيشنا تلك الساعات المشؤومة التي كانت تهدد فرنسا بالهوان ولكن تنظيمه العجيب كان فوق كل ارتباك وتشويش . إن تقهقر الجيش يعني وقوع ألوف من الأسرى ومئات من المدافع في حوزة العدو ، إخلاء مراكز للمدفعيات والطيارات ، إهمال المستشفيات والنقالات ، وأخيراً ترك كل شيء أمام العدو الطارد . ومع ذلك كان جنودنا الذين شهدوا مثل هذه المآسي يعلمون جيداً أن وراءهم مدافع جديدة جاهزة بدل المفقودة وكميات هائلة من الذخائر والمؤن عوض المتروكة

وقد أطروا كثيراً التنظيم الألماني وأركان الحرب الألماني ، ولكن ذلك كان فوق الواقع . ولماذا لا يحق لنا أن نعجب بالتنظيم الفرنسي الذي برهن في أشد المواقف حرجاً على دراية وحسن إدارة نادرتين ؟

ومن مهام أركان الجيش تمهد طرق المواصلات والعناية بأسرى الحرب من جنود ومدنيين . أما المهمات الكبرى ، فهي تموين الجيش وكفى بها عبئاً ثقيلاً يقتضي الجهد الكبير والعمل المتواصل ، فإن تموين خمسة أو ستة ملايين رجل منتشرين في مئات من الكيلومترات لمن أشق الأمور وأعقدها

قد تستعظم المهمات المذكورة مع أننا لم نأت إلا على شيء منها ولم نذكر إلا بعض ما يفرض على أركان الجيش من الواجبات .

من السهل أن نطلع على ما يقال ويجرى عندنا وما تصدره أرضنا وتخرجه مصانعنا ، ولكن علينا في زمن الحرب أن نعرف أيضاً ما يقال ويجرى عند الآخرين من أعداء ومحايدين وما تنتله أرضهم وما تنتجه مصانعهم ، فكل حركة حربية يتوقف نجاحها غالباً على معرفة الحالة الاقتصادية والمعنوية في بلاد العدو . من ذلك أن المهجومين الظافرين على بلغاريا وتركيا في الحرب الماضية لم يفلحا

لولا التعليمات التي تلقتها من أركان الجيش ، ومنها عرف أن ليس في طاقة الجيش البلغاري أن يواجه حملة عنيفة، وأن الشعب البلغاري قد سئم الحرب .

وعلى مكتب أركان الجيش أن يقدم تعليمات دقيقة عن الحالات المعنوية والاقتصادية والحربية في بلاد الأعداء ، وأن يطالع الصحف الأجنبية ويستخلص منها ما يفيد القيادة العليا ووزارة الخارجية ، ثم يدرس أساليب التنظيم الحربي عند الدول الأجنبية ويستطلع مستحدثاتها الحربية . ومن شؤون هذا المكتب إيفاد البعثات إلى الخارج ونقل البريد والاتصال الدائم بأركان جيوش الدول المحالفة والمحايدة وغير ذلك مما لا نذكره اجتزاء

وهناك مكتب آخر من مصلحته تقديم التعليمات السرية عما يجري في بلاد العدو ، وهو الذي أفادنا في الحرب الماضية أن القروض الألمانية والنمساوية منيت بالفشل وإن تكن حكومتا برلين وفينا أذاعتا نجاحهما الباهر . ومن مصلحته أيضاً الإفادة عن نتائج الحصار ودرس الوسائل التي تضعف العدو

ومن المهام الخطيرة المفروضة على أركان الجيش نقل الجيوش وكلنا يذكر النظام التام الذي تم فيه نقل جيوشنا سواء في أغسطس من سنة ١٩١٤ أو في سبتمبر من هذه السنة . فلا اضطراب ، ولا فوضى ولا تشويش . وقد أدت سككنا الحربية خدمات جليلة ، وكانت من أهم أسباب انتصارنا في الحرب الفائتة . ومنها توزيع الرسائل على جنودنا سواء في فرنسا أو في الخارج. ولكي يتصور القارىء مشقة هذه المهمة نقول إن ما يرسله جنودنا من الرسائل وما يرسل إليهم يومياً يملأ ثلاث مركبات

إن ما ذكرناه ليس إلا صورة مصغرة للخدمات الكبيرة والمهمات الخطيرة التي يؤديها أركان جيشنا محور الدفاع الوطني وقلبه النابض

ممتلكات انجلترا

[من مجلة « العصبة »]

من الأقوال الشائعة أن الشمس لا تغيب عن أملاك انكلترا. وتلك حقيقة ليس فيها أقل مبالغة ، فأنى توجهت تر لبريطانيا العظمى علماً مرفوعاً ومدفعاً منصوباً وسفينة جارية . محطات حربية في أهم وأمنع المواقع ، قواعد تجارية منتشرة في كل صقع ، ممتلكات ومستعمرات لا تقل مساحتها عن خمسة وثلاثين مليون كيلو متر مربع ، عمارات من السفن الحربية والتجارية تنشى البحار ليل نهار . هذا هو المشهد الأول من عظمة الأمبراطورية البريطانية .

يخفق العلم البريطاني في أوربا على : إنكلترا ، إيرلندا ، مالطة ، جبل طارق

وفي أمريكا على : كندا ، الأرض الجديدة ، لبرادور ، أرخبيل برموداس في الأطلانطيكي، أرخبيل باهاما في الأطلانطيكي جزر برلانفتو ، جزر سوتوفنتو ، جزيرة جاميكا ، جزيرة باربادس ، جزيرة ترينداد ، جزيرة تاباكو ، هندوراس البريطانية ، غيانا البريطانية، جزائر فلكلان وجورجيا في الأطلانطيكي الجنوبي

وفي أفريقيا على: الاتحاد الإفريقي الجنوبي، روديسيا الجنوبية، تانغانيكا، أوغندا ، زنجبار ، كينيا، الصومال الإنكليزي، السودان الإنكليزي المصري، غامبيا ، الشاطئ الذهبي، توغو (قسم منها)، جزيرة سانتا هيلانة ، جزيرة اسذمبون ، جزر سيشل ، جزر موريشاس ، جزيرة سوقطرا ، سيراليون

وفي آسيا على : الهند ، سيلان ، قبرص ، فلسطين ، شرق الأردن ، عدن ونواحيها ، سنغافوره ، ملقة ، هونغ كونغ ، بورنيو الشمالية ، ساراوك ، بروني ، واي هاي واي ، البحرين ، اندمان ونيكوبار

وفي الأقيانوسية على : أستراليا ، زيلاندة الجديدة ، فيجي ، غينيا الجديدة ، بابو ، سلمون ، تونغا ، ساموا الغربية ، نورو وغيرها من جزائر الباسيفيكي العديدة

٣٥ مليون كيلو متر مربع تتدفق خيراتها على الجزر البريطانية وخمسمائة مليون نفس يمتثلون لأحكام السلطة الإنكليزية. وقد بلغ التوسع البريطاني أشده في القرنين الأخيرين؛ ففي سنة ١٨٠٠ كانت مساحة الإمبراطورية البريطانية ٣٫٨٨٣٫٣٢٠ كيلو مترا مربعاً فبلغت سنة ١٩١٩ نحو ٣٥٫٤٦٧٫٦٥٦ كيلو مترا مربعاً وعدد سكانها ٤٧٥ مليون نفس

تبلغ مساحة كندا وحدها نحو تسعة ملايين كيلومترا مربعة يسكنها نحو عشرة ملايين نفس، وهي تشغل المرتبة الثالثة في العالم بما تنتجه أراضيها من الحنطة ، وقد استخرجت في سنة ١٩٣٦ نحو ١١٦ طنا من الذهب و٧٧ ألف طن من النيكل

والاتحاد الإفريقي الجنوبي مساحته ١٫٢٢٥٫٠٠٠ كيلو متر مربع وعدد سكانه ٨ ملايين ، وهو موطن الذهب فقد استخرج



وحي الرسالة

تفضل كاتب العربية الأستاذ الجليل عباس محمود العقاد فاخص في هذا الكتاب البليغ رأيه القيم في كتاب (وحي الرسالة) . وإنا لننشره شاكرين لناقد الكبير جليل رأيه في الكتاب وصاحبه :

أخي الكاتب البليغ الزيات

وحي رسالتك أصدق ما قرأت في الكتابة العربية الحديثة من مصداق لرأي القائلين : إن الرجل هو الأسلوب

فأنت أسلوبك وأسلوبك أنت : إتقان واستحياء وسلاسة ، صُوِّرت في عالم الخلق فكانت إنساناً ، وصُورت في عالم الفكر فكانت وحي الرسالة

إتقان صيغة في غير ظهور ولا ادعاء ، يوشك من يتبينه أن يلمسه ليعرف موضع الجودة فيه ، كما يلمس المسوِّم النسيج المتين الذي وحي المتانة سراً من أسرار منواله وخلا من الزخرف والبريق ، لأن إتقان تلك الصيغة كإتقان هذا النسيج ، في حقيقتها وليس على مرآها، وعلى صفحة محياها دون سواها

واستحياء يخفي مزاياه ولا يفوته شيء بأن يخفيها ، لأنها أثبت من أن يحجبها الإخفاء

وسلاسة تطوِّع العصيَّ وتملك الزمام في الوعر والسهل على السواء . فإن ما تصف من ألم نفساني يلهب مراق الحشا ويَبْده الضعف الإنساني بأقصى ما يطيق وفوق ما يطيق، لكالذي تصف من ألم يباشر الفكر قبل أن يباشر اللحم والدم، ويحسب من قضايا الرأي كما يحسب من قضايا الفؤاد.

إتقان واستحياء في المعنى لا في اللفظ وحده ، وفي موضوع الكتابة لا في بنيانها وتركيبها وكفى ، وعلى السيماء وفي الطوية سواء

وتلك هي الأساليب التي تضاف إلى لغة العرب فيقال معنى إنساني في كلام عربي ، ولا يرتد المعنى إلى بني الإنسان حيث كانوا ثم لا يبقى منه للعربية ما تحرص عليه

وحي رسالتك في كتاب أحد

والسلام عليك وعلى من اتبع هداه

عباس محمود العقاد

مصر الحلوة Egypte la douce

تحت هذا العنوان الجميل جمع الكاتب الفرنسي الكبير جان لوجول رئيس تحرير البورص إجبسيان طائفة من الفصول الفرنسية الرائعة القصيرة كان قد نشرها متفرقة في مدى عشر سنين. وهي صور صادقة للحياة المصرية في شتى مظاهرها ومناظرها وأحداثها وعاداتها، رسمها قلم فنان صَنَّاع وجد إلهامه في حب مصر وأهل مصر ، وقصد بعرضها في هذه الألوان الجميلة أنَ يوثق بها التعارف والتآلف بين الصديقتين القديمتين فرنسا ومصر في هذا العهد الذي قضى فيه إلغاء الامتيازات وما سيعقبه من إلغاء المحاكم المختلطة أن يعيش المصري والأجنبي عيشة أهل الوطن الواحد لا تفرق بينهما فوارق السياسة والاجتماع

وقارئ هذا الكتاب القيم يستطيع أن يقول على الجملة إن مسيو لوجول من الكتاب الأجانب القلائل الذين فهموا مصر وعرفوا كيف يُفهمونها من يجهلونها بأسلوب يشرق فيه الحب والصدق والإخلاص

مصر المزدهرة L'Egypte florissante

وذلك عنوان آخر جملته الكاتبة الفرنسية الشاعرة « فلنتين دى سان بوان » حفيدة « لامرتين » لمجموعة من المقالات المتعة قصدت بها تصوير مصر الجديدة في عهدها الفاروق المبارك تصويراً دقيقاً يجلوها في أوضاعها المختلفة من اجتماعية واقتصادية وفكرية ودينية وأدبية وفنية . وقد آثرت

منه في سنة ١٩٣٦ نحو ٣٥٢ ألف كيلو . وأستراليا ومساحتها نحو ٨ ملايين كيلو متراً مربعة يقدر عدد مواشيها بنحو ١٢٠ مليوناً استغلت منها في سنة ١٩٣٦ أكثر من ٤٥٠ ألف طن من الصوف. والهند ومساحتها نحو ٥ ملايين كيلو متراً مربعة وعدد سكانها ٣٥٠ مليوناً أنتجت في سنة ١٩٣٦ ما يزيد على ٥٧ مليون طن من الأرز وهي الأولى بين كل بلدان العالم بمحصول الأرز . وأنتجت أيضاً في تلك السنة ٤ ملايين طن من السكر و١٠ ملايين طن من الحنطة ومليون طن من القطن ومليوني طن من الخيش أي ٩٩ في المئة من محصول العالم كله ، وفي الهند من البقر ما يقدر بمائة وخمسين مليوناً

أن تكل هذا التصوير لمن كان لهم يد فى التجديد والإحياء من المصريين وبعض الأجانب ، فاستكتبت أكثر من أربعين رجلاً من سراة الكاتبين والمفكرين ونشرت آراءهم وصورهم فى هذا الكتاب الأنيق بعد أن زينت صدره بطاقة من الشعر الفرنسى الرفيع قدمتها إلى صاحبى الجلالة الملك والملكة . وهذا الكتاب كسابقه دعاية وتعريف لمصر الناهضة . وهما فوق ذلك نموذج فريد من الفن العالى فى التحرير والتصوير والطبع، ودليل جديد على اعتراف الأدب الفرنسى بالجميل لوادى النيل .

حول الأزهر

أعيذ الرسالة وصاحبها أن يكونا كأصحاب صحف أخرى عرفت بأنها تنشر الخطأ فى الدين ولا تنشر الصواب وتنشر الطعن ولا تنشر الرد

وأعيذها مرة أخرى وقد تعرضت لنشر بحوث دينية أو علمية أن يفوتها فيما تنشر مغمز من قول أو فلتة من لسان ولا تعلق عليه كما هو شأن الصحف الراقية بعلمها الجم ومعرفتها القيمة، فهى غنية بمعرفتها عن اتخاذ إخصائيين لها فى هذه الشئون

جاء فى كلمة الأستاذ المدنى حول الأزهر أن مدح أحد الشيوخ لقوله إن الشيطان إنما هو قوة الشر المنبثة فى العالم وأخذ يدبج لهذا الشيخ الثناء ، ويكيل له الإعجاب ، وينتقد الذين انتقدوه فى القول وحمل عليهم وقال كان من حق الأزهريين جميعاً أن يقابلوا هذا الرأى العجيب الذى يوافق الدين والعلم الحديث بالإعجاب إلى آخر ما قال من لون من القول كان الأولى بمن يكتب النزوع عن مثله فى التحدث عن فريقين

ومن الأسف أن الأستاذ المدنى وصاحبه إن كان لا زال مصمماً على ما قال مخطئان كل الخطأ فى الدين وفى العلم الحديث معاً . وما للعلم الحديث ومسائل لا تعرف إلا عن الوحى ؟

ذلك لأن الجن والشياطين والملائكة والجنة والنار حقائق إسلامية لا تعرف إلا من طريق الوحى ، وليست مجالاً للرأى ولا للعلم الحديث فى شىء ، ولا هى ضارة بالعلم الحديث فى شىء أيضاً ، فهمها العرب الذين نزل القرآن الكريم بلسانهم مؤمنهم وكافرهم كما عناها القرآن وأرادها . وهذه أوليات مسلمة فى الإسلام فى قسم الغيب الذى يجب الإيمان به كما جاء وليس للبحث العلمى إليه من سبيل ، ومنها الإيمان بالبعث والحشر والنشر وصورة ما تكون عليه تلك الشئون ، ولا يطلب فى ثبوت ذلك إلا صحة الدليل النقلى من كتاب أو سنة صحيحة . فالتحكك بخلق جدل وخلافات دينية فى موضوعات دينية ليست موضع جدل، هو فضول من القول وشغل للقراء بغير ما يليق بالكاتب الأمين أن يشغلهم به

وأولى بمن يتكلم باسم الدين فى الناس أن يشغلهم بالنواحى العملية منه ويبعدهم عن الجدليات ، لأن الدين نفسه ينهى عن الجدل والمنازعات كما ينهى عن المنكرات . وفى النواحى العملية الإسلامية ما يشغل ألف كاتب وكاتب أعماراً طويلة ، لأن هداية الناس وحملهم على العمل بالدين فى شئونهم اليومية والاجتماعية ، وتحليهم بأخلاقه ، واحترامهم لمبادئه وآدابه ، وخصوصاً بعد أن رأوا إله الحضارة الحديثة والمدنية الجافة قد سقط ، وأنه آن الأوان لسلطان الإسلام الحق ومبادئه العادلة أن يسود وأن يقود العالم مرة أخرى مديدة إلى حياة السعادة والهناءة والأمن على النفوس ، وأن ينقذهم من دبلوماسيات هذا العصر ويكبح جماح العلم الحديث فلا يستعمل إلا فى خير الإنسانية ، فلا بد للعلم الحديث من دين يكبح جماحه ، ولا بد للدول من أن تعترف بالإله الحق الذى سخر لهم الطبيعة وأنزل لهم الشريعة وأنذرهم من آلاف السنين فى كتبه المقدسة بما صدقه التاريخ وبما هو حاصل اليوم وواقع على رؤوسهم

فعلى رجال الدين الإسلامى أن يثبتوا فى مراكزهم ولا يتزحزحوا عنه بالتأويل والتحوير إرضاء لعدوهم فالعاقبة لهم إن كانوا مؤمنين حقاً بدينهم ... والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

محمد عبد السلام القبانى
المدرس بكلية الشريعة

تعقيب على مآخذ

١ — ذكر الأستاذ القطان كلاماً حول لفظى تمبان وظمآن فقال إن تمبان تمنع من الصرف ، لأن مؤنثه تمبانة ولا يمنع من الصرف إلا ما كان مؤنثه على وزن فعلى وكان زائد الألف والنون . نعم إن القاعدة مسلمة ، ولكن هل وردت كلمة تمبان فى كتب اللغة أم هى كلمة عامية والعربى غيرها . أجمع أساس

البلاغة وتاج اللغة والقاموس وشرحه وأقرب الموارد واللسان والصحاح على أنه يقال : هو تعب ومتعب ولم يقولوا هو تعبان . إلا أن المنجد ذكر هو تعب وتعبان ، ولا ندرى من أى مصدر استقاها. من هذا يتبين لنا أن تعبان ساقطة من أساسها على الأصح لأنها لو كانت موجودة فى اللغة لذكرها الأشمونى مع الأربعة عشر لفظاً التى مؤنثها فعلانة وإذن نأخذها على الدكتور زكى مبارك غلطة لغوية . أما ظمآن فقد ورد فى القاموس ظمآن وظمآنة ، وفى أقرب الموارد هى ظمأى وظمآنة . أما فى اللسان وتاج اللغة والصحاح فهي ظمأى، وما دامت قد وردت ظمآنة فى بعض أمهات الكتب يصح قول الدكتور محمد عوض لم يزل ظمآناً .

٢ — الأبيات الحائرة : يذكر الأديب على محمد حسن أن كتب النحو والشواهد أجمعت على أن الأبيات الحائرة لمالك بن الريب ، ولا أدرى أين هذه الكتب التى أجمعت على أنها له ؟ فإن كتب النحو والشواهد أجمعت على أنها للفرزدق. ففى حاشية الصبان على الأشمونى نقلاً عن التصريح، وفى فرائد القلائد فى مختصر الشواهد لمحمود العينى أنها للفرزدق. وقد ارتضى ذلك الأستاذ أحمد زكى صفوت فى كتابه الكامل فى النحو ، والأستاذ الشيخ محمد محيى الدين فى شرحه على ابن عقيل. أما فى شرحه على الأشمونى فقد ذكر ما ذكره العينى ثم أورد رواية ياقوت فى معجم البلدان . والذى يرجح أنها للفرزدق عدة أمور (١) إن ما ذكره ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ، والمبرد فى الكامل من أنها لمالك بن الريب خطأ محض، إذ أن مالكاً مات فى زمن معاوية ولم يدرك الحجاج (٢) شبه الإجماع من كتب النحو والشواهد على أنها للفرزدق (٣) إن رواية أبى تمام أقوى من رواية ياقوت التى تنسبها للبرج بن خنزير ، إذ أن أبا تمام توفى سنة ٢٣١ هـ ، فهو أقرب إلى الفرزدق المتوفى سنة ١١٤ هـ من ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ هـ . ولم نجد كتاباً آخر ينسبها للبرج غير ياقوت (٤) إن البيتين الآتيين من القصيدة نفسها :

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف ... كما كان عبداً من عبيد إياد
زمان هو العبد المقر بذله ... يراوح صبيان القرى ويغادى

بالفرزدق ألصق لما له من اعتزاز وتيه وذكر للآباء والأجداد ، ولكثرة مناوشاته مع الولاة بل مع الخليفة أحياناً .

٣ — الآخر والثانى: يأخذ الأستاذ م . م . إبراهيم على الأستاذ أحمد أمين قوله: قال أحدنا: جزءاً من العقد الفريد، وآخر : جزءاً من الأغانى وثالث الخ ... ثم يقول: والمعروف فى اللغة أنه لا يسوغ أن تقول آخر إلا إذا كان هو الأخير فلا تقفى بعد ذلك بأعداد أخرى الخ .. وأظن الأستاذ قد خلط بين آخِر بكسر الخاء ضد أول وآخَر بفتحها بمعنى غير أو واحد . كما أحسب أنه لم يعرف أنهار بيع الآخر وجمادى الآخرة بكسر الخاء فيهما، ولو كانت بالفتح لقالوا : جمادى الأخرى مؤنث الآخَر بالفتح لأن الآخرة مؤنث الآخِر بالكسر . فاللغة إذن لا تمنع أن يقال جاء رجل وغيره وثالث ورابع

عبد الستار أحمد فراج



عاصفة القدر

للمرحوم مصطفى صادق الرافعي

[عثر فى أوراق المرحوم الرافعى على أقصوصة نحسبها لم تنشر، فوجدنا من حسن المناسبة أن ننشرها فى يوم ذكراه]

على شاطئ النيل فى إقليم « الغربية » من هذا البر قرية ليس فيها من جبل ولكن روح الجبل فى رجل من أهلها ، فإذا أنت اعتبرته بالرجال قوة وضعفاً رأيته ينهض فيهم بمنكبيه نهضة الجبل فيما حوله، وهو بطل القرية ولواء كل معركة تنشب فيها بين فتيانها وبين فتيان القرى المتناثرة حولها ، ولا تزال هـذه المعارك بين شبان القرى كأنها من حركة الدم الحر القانى المتوارث فيهم من أجيال بعيدة ينحدر من جيل إلى جيل وفيه تلك القطرات الثائرة التى كانت تغلى وتفور، وهى كعهدها لا تزال تفور وتغلى، ويلقبون هذا الرجل الشديد (بالجمل) لما يعرفونه من جسامة خلقه وصبره على الشدائد واحتماله فيها وكونه مع ذلك سلس القياد سليم الفطرة رقيق الطبع ، على أنه أبطاش ذى يدين إن ثار ثائره ، وله إيمان قوى يستمسك به كما يتماسك الجبل بعنصره الصخرى ، إلا أنه يخلطه ببعض الخرافات ؛ إذ لا بد له من بعض الجرائم الشريفة التى يحمل عليها فرط القوة والمروءة فى مثله مع مثله . وليس فى تلك القرية من بحر غير أن فيها شاباً أعنف طيشاً وعتواً من الموجة على بحرها فى يوم ريح عاتية ، حلو المنظر لكنه مر الطعم ، صافى الوجه لكن له غوراً بعيداً من الدهاء والخبث ، وهو ابن عمدة البلدة وواحد أبويه والوارث من دنياها العريضة يبسط يديه على خمسمائة فدان ، وقد أفسدته النعمة ، وأهانته عزته على أهله ، ولو اجتمعت حسنتان لتخرج منهما سيئة من السيئات بأسلوب من الأساليب لما وسعها إلا أسلوب نشأته من أبويه الطيبين ، تعلم وهو يعرف أنه لا حاجة به إلى العلم ، فجعلت تلفظه المدارس واحدة بعد واحدة كأنه نواة ثمرة إنسانية، فإذا قيل له فى ذلك قال إن خمسمائة فدان لا تسعها مدرسة ... وذهب إلى فرنسا يطلب العلم الذى استعصى عليه فى مصر ، فأرهف ذلك العلم ... خياله وصقل حسه، ورجع من باريس رقيق الحاشية خنثاً متظرفاً لا يصالح شرقياً ولا غربياً

... وليس فى تلك القرية غابة لكن فيها عذراء تلتف من جسمها فى رداء الجمال الطبيعى الرائع ، ولها نفس أشد وعورة مما تنطوى الغابة عليه ، ففى ظاهرها الرونق الذى يفتن فيجذب إليها ، وفى باطنها القوة التى تلتوى فتدفع عنها ؛ وهى ابنة عم (الجمل) واسمها (خضراء) ؛ وكأن فيها زهو خضرة الربيع ، ولم تكن تعشق إلا القوة ، فما زيّن لها من الرجال إلا ابن عمها ، وهى شديدة الإعجاب به ، وإنما إعجاب المرأة برجل من الرجال مفتاح من مفاتيح قلبها

وكانت (خضراء) جاهلة كنساء القرى، بيد أنها تلميذة بارعة للطبيعة التى نشأت فيها وزاولت أعمالها ، فهى بذلك أقوى نفساً وأشد مراساً من الفتيات المتعلمات ؛ إذ اتخذت شكلا ثابتاً من أشكال الحياة ، والحياة هى صنعتها هذه الصنعة وأقامتها على هذه الهيئة ، على حين أن المتعلمات يمضين أيام النشأة وسن الغريزة فى التلقى عن الألفاظ والكتب ، وفى توهم الصور المختلفة للاجتماع دون مباشرتها ، وفى توقى أعمال الحياة بدلاً من مخالطتها ، فيؤول ذلك منهن إلى قوة فى التخيل قلما ترضى الحقيقة الإنسانية المؤلمة حين تصادمها يوماً ، وتتم الواحدة منهن ولكن باعتبار أنها تمت تلميذة للمدرسة ، لا امرأة للحياة بما فيها مما يعجب وما لا يعجب

وكانت خضراء أشبه بدودة النهار تفتح أجفانها على أشعة الفجر كل يوم ، ولا تزال نهارها فى دأب وعمل ، فنفى ذلك عن أخلاقها ما يجلبه السكون من الخمول والميل إلى العبث والدعابة ، وحصلت لها من الحياة حقيقة عرفت منها أن المرأة عامل من من أكبر العوامل فى النظام الإنسانى عليه أن يصبر على الكد والتعب إذا أراد أن يظهر بطبيعته الحقيقية لا بطبيعته المزورة المصنوعة ؛ ورأت الرجل يستأثر بجلائل الأعمال ولا يترك للمرأة إلا كما يترك عقرب الساعات لعقرب الثوانى فى الرقعة التى تجمعهما ، فهذا الصغير لا يبرح يضطرب فى « دائرته الضيقة » يهتز من جزء إلى جزء ، حتى إذا أتم الدقيقة فى ستين هزة كاملة ذهب الأول بفضلها كلها وخطا بها خطوة واحدة . ثم يعود المستضعف

المسكين إلى مثل عمله ، ولا يزال هذا دأبهما وإن أكثرهما عملاً وتعباً هو أقلهما قيمة وظهوراً . ولكن هـذا الضعيف المغبون لم ينله ما ناله إلا من كونه هو وحده الذي بنى في هذا النظام على فضيلة الصبر والدقة ليكون أساساً للآخر . فعرفت (خضراء) كيف تقيد طبيعتها من تلقاء نفسها وتقرها على الصبر والرضا والسكون إلى حظها الطبيعي والاغتباط به ، إذ كان فضل الرجل على المرأة ليس في كونه أكثر منها فضلاً أو أسباب فضل ، بل في كونها هي أكثر منه حباً وتسامحاً وصبراً وإيثاراً ؛ ففضائلها الحقيقية هي التي جملته الأفضل ، كما تجوع الأم لتطعم ابنها

***

ورآها ابن العمدة ، ولما تمض أيام على رجوعه من أوربا، وقد لبث هناك بضع سنين ، وكان عهده بالفتاة صغيرة ، فوثبت إلى نفسه في وثبة واحدة، ورأى شباباً وجمالاً وروعة زينتها في قلبه وسولت له مطمعاً من المطامع وجملته يرى ما يرى بمعنى ويفهم منه ما يفهم بمعنى غيره

وكانت حين رآها واقفة على النيل تملأ جرتها مع نساء من قومها وهن يتمايثن ويتضاحكن ، كأن لخصب الأرض في أرواحهن أثراً بادياً ، فإذا ما أقبلن على النهر لشأن من شؤونهن تندت روح الماء على ذلك الأثر فاهتز واهتزت المرأة به ؛ فإن كانت ذات مسحة من جمال رأيت لها رفيفاً كرفيف الزهرة حين يمسحها الندى ، وذهبت لتموج في جسمها ، وقد حسرت عن ذراعيها ، ولمس الماء دمها الجذاب ، فأرسل فيه تياراً من العافية والنشاط يتصل منها بقلب من يراها إن هو كان شاعراً يحس ؛ فإن كانت روح الرجل ظمأى ورأى المرأة على هذه الهيئة، فما أحبه أن يشرب منها بعينيه شرباً يجد له في قلبه نشوة كنشوة الخمر ... وكذلك وقعت الفتاة من نفس هذا الفتى ، فزينها له الخبث الذي فيه أضعاف ما زينها له الجمال الذي فيها ، وقذفها القدر إلى قلبه ليخرج من هذا القلب تاريخ جريمة ، فوقف يتأملها بعين أحد من آلة التصوير لا تفوتها حركة ، وسلط عليها فكره وذوقه ، وأيقظ لها في نفسه المعاني الراقدة ، فنصبت في قلبه عدة من تماثيل الجمال تجسدت في كل واحد منها على شكل كأنما أفرغت فيه أفراغاً

وكانت نفس ابن العمدة من النفوس الخيالية المتوثبة، إذ قامت من نشأتها على أن تطلب فتجاب، وتأمر فتطاع، وتشتهي فتجد، وكأنه ما خلق إلا ليستعبد قلبي والديه ، وكانا ساذجين لا يعرفان من علم التربية إلا أن للحكومة مدارس للتربية، وموسرين لا يفهمان من معنى الحاجة في هذه الدنيا إلا أنها الحاجة إلى المال، ومنقطعين من النسل إلا منه ، فكأنه لم يولد لهما بل هما قد وُلدا له . . . فله الأمر عليهما من كونه لا أمر لهما عليه ، وبذلك أسرفا له من فضائل الرقة والحنان والإشفاق وما إليها ، وهي في نفسها فضائل ولكن متى أسرف بها الآباء على أولادهم لم تنشئ في أولادهم إلا ما يكون من أضدادها ، كالشجر يفرط عليه الري فلا يحدث فيه إلا اليبس والذوى ، وإنما أنت تسقيه الموت ما دمت ترويه بمقدار من هواك لا بمقدار حاجته

ونشأ الفتى في أحوال اجتماعية مختلفة جعلت من أخص طباعه تمويه نفسه على الناس، والتباهي بالغنى والتنبـل بالأصدقاء، والحاشية من وزرائه وعماله، والتهيؤ بالثياب والأزياء، فانصرف باطنه إلى تجميل ظاهره ، ورد ظاهره على باطنه بالشهوات والدنايا ، وأعانه على ذلك أنه جميل فاتن ، كأنما خلقت صورته « للصفحة الحساسة » من قلوب النساء . وذلك ملك عظيم لم يكن أبوه الرجل الطيب منه إلا كما يكون وزير مالية الدولة ... ولما أرسل إلى باريس وقع منها في بلد عجيب كأنه خيال متخيل، لا يؤمه رجل في الدنيا من كامل أو ناقص، وعالم أو جاهل، وشريف أو ساقط، إلا رأى فيـه ما يملأ كل مداخل نفسه ومخارجها ، فلو قامت مدينة من أحلام النفوس الإنسانية في خيرها وشرها ، وطهرها وفجورها ، واختلالها ونظامها، لكانت هي باريس. وانقطع الشاب هناك إلى نفسه وإلى صور نفسه من أصدقاء السوء، فلا أهل فيلزموه الفضيلة ولا إخوان فيردوه إلى الرأي، ولا خلق متين فيعتصم به، ولا نفس حرة فيفيء إليها ولا فقر ... فيحد له حدوداً في الشهوات يقف عندها . وما هو إلا خيال متوقد ومزاج مشبوب وتربية مدللة وطبع جريء ومال يمر في إنفاقه ، ومن ورائه أب غني مخدوع كأنه في يد ابنه كرة الخيط : كلما جذب منها مدت له مداً، ثم ما هنالك من فنون الجمال ومتع اللذات وأسباب اللهو مما يتناهى إليه فساد الفاسد وما هو في ذاته كأنه عقوبة مستأصلة للأخلاق الطيبة فكان الشيطان الباريسي ... من هذا المسكين في سمعه وبصره ورجله ويده يوجهه حيث شاء . وبالجملة فقد ذهب ليدرس فدرس ما شاء ورجع أستاذاً في كل علوم النفس المختلة الطائشة وفنونها، وأضاف إلى هذه وتلك كلمات يلوي بها لسانه من علوم وأقاويل ليس فيها إلا ما يدل الحاذق على أن هذا الشاب لم يفلح قط في مدرسة

فلما وقعت (خضراء) منه ذلك الوقع وأخذت مأخذها فى نفسه، اعتدها نزوة من نزواته، فما بمثله أن يحب مثلها ولا هى كفايته فى شىء، إلا أن تكون لهو ساعة من ساعاته، أو حادثة تجرى فيها حال من أحواله الغرامية . وحسبها امرأة ليس لقلبها أبواب تمتنع على مثله ، فقدر أن غناه وفقرها يقتلعان باباً ، وعلمه وجهلها يحطمان باباً آخر ، وجماله وحده يضع ما بقى من الأقفال عما بقى من الأبواب ، وكان يحسب أن جمال المرأة من المرأة كالحلية من بائعها فكل من ملك ثمنها فليس بينه وبينها إلا هذا الثمن ؛ ولكن الأيام جعلت تأتى وتمر وهو لا تزيد على أن يمرض لها وهى ترميه من صدودها كل يوم بداهية من دواعى الهوى ، وكان لا يجد بنفسه قوة أن تزيدها على النظر شيئاً، وترك لوجهه وثيابه ونظراته وغناه أن تصل بين قلبه وقلبها بسبب، فلم ينل طائلاً وتمادى فى حبه واستولت عليه فكرة غمرته بهذه المرأة ، أما هى فأشعرتها غريزتها بما فى قلبه منها وكانت مسماة ، لابن عمها[1] ، فكانت تتحاشى هذا الشاب وتحذره حذراً شديداً ، وتتوهم أن الناس يحصون عليها النظرة والالتفاتة ويحصون عليه من مثلهما ، ووقع فى نفسها أن لهذا الرجل شأناً غير شأن الرجال الآخرين، فهم لا يستطيعون معها حيلة وهو يستطيعها بغناه ومنزلته

وكان للرجل خادم داهية قد تخرج فى مجالس القضاء . . . من كثرة ما حكم عليه فى تزوير واحتيال وغش وادعاء وإنكار ونحوها ، وقد استخلصه لنفسه واتخذه مؤانساً ورفيقاً وجعله دسيساً[2] إلى شهواته السافلة ، كان يسميه فيما بينهما (إبليس) فلما أراد أن يرميها به قال يا سيدى هذه قضية احتيال عليها ، فإذا دخل ابن عمها خصماً فى الدعوى كانت قضية احتيال على عمرى أنا ! قال : ويحك أيها الأبله ! فأين دهاؤك ومكرك؟ وإنما أرسلك إلى امرأة فقيرة عيشها كفافها ، وأنت تمدها وتغنيها وتبذل عنى ما شئت ، ومتى أطمعتها فى المال فإن هذا المال سيوجد ما لا يوجد فى مكان فيشرى ما لا يشرى ويبيع ما لا يباع . قال (ابليس) : نعم يا سيدى وكذلك هو ، ولـكن خوف العار يطرد حب المال . قال : فأنت إذن لا تقبل . قال : ولا أرفض ... قال الشاب : قاتلك الله لقد فهمت سأشتريها منك بثمنين أحدهما لك والآخر لها، ولكن أخبرنى كيف تصنع معها ومن أين تبلغ إليها؟

قال (ابليس) : لما كنت فى السجن عرفت لصاً فاتكاً أعيا قومه خبثاً وشراً ، وهذا السجن يحسبه الناس عقاباً وردعاً ومنهاة عن الإثم على أنه المدرسة التى تنشئها الحكومة بنفسها لتلقى علوم الجريمة عن كبار أساتذتها، إذ لا يمكن أن يجتمع كبارهم فى مكان من الأرض إلا فيه . فالسجن طريقة من طرق حل المشكلة الإنسانية ولـكنه هو نفسه يحدث للانسانية مشكلة لا تحل . قال الفتى : ويحك ! أين يذهب بك ؟ إنما أرسلك إلى المرأة لا إلى السجن . قال: نعم ترسلنى أنت إليها ولكن لا يعلم إلا الله أين يرسلنى ابن عمها، إلى السجن أم إلى المستشفى ... فاسمع يا سيدى، كان من نصائح أستاذى فى ذلك السجن أن الحيلة على رجل ينبغى لإحكامها أن يكون فى بعض أسبابها امرأة ، والكيد لامرأة يجب أن يكون فى بعض وسائله رجل ... صه . انظر ! انظر ! فالتفت الشاب فإذا (الجمل) مقبل يتكفأ فى مشيته ، وكان غليظاً ، فإذا خطا شدّ على الأرض بقدميه ، وتكدس بعضه فى بعض ، وكان منطلقاً وقتئذ إلى بعض مذاهبه ، فلما حاذاهما قال : السـلام عليكم . فردا جميعاً ؛ ورمى ابنَ العمدة بنظرة ثم مضى لوجهه . فلم يجاوز غير بعيد حتى بلغه صوت الشاب يناديه : يا فلان ! فانكفأ إليه ؛ فقال له الشاب : لقد بعُد عهدك بالفوة على ما أرى . قال : فما ذاك ؟ قال : أما بلغك أن فلاناً فى هـذه القرية التى تجاورنا ، سيقترن بزوجته بعد أيام . وأنت تعرف الموقعة التى كانت بين بلدنا وتلك البلدة يوم عرس فلان فى السنة الماضية ، وكيف اندفعوا على أهل بلدنا وحطموا فيهم تلك الحطمة الشديدة ، ولولا أنت أدركتهم ورميتهم بنفسك حتى دفعتهم عن الناس وسقتهم أمامك سوق النعاج ، لـكانت بلدنا اليوم أذل البلاد، ولاستطالوا علينا بأنهم غلبونا. ولقد حدثنى صاحبى هذا كيف تلقيت بهراوتك يومئذ خمساً وعشرين هراوة فأطرتها كلها فى جولتك وهزمت أصحابها بعد أن أحاطوا بك وتكاثروا عليك ؛ فأنت فخر بلدنا وصاحب زعامتها ، وما أرى لك إلا أن تنتهز هذه الفرصة وتسرع الوثبة إليهم برجالك ، فتجزيهم فى أرضهم صنيعاً بصنيع مثله

فهز الجمل كتفيه العريضتين وقال : بل سأنتظرهم فى يوم عرسى بابنة عمى ... قال الشاب: أبلغت؟ ما أرى فإنك لتخافهم ! قال: لا أخافهم ولـكن أخاف الحكومة أن تؤخر يوم زواجى ... سنة أو سنتين . قال الفتى : فإن عملك هذا لا يشد من نفوس

(١) معدة لخطبته ، أو كما يقولون : قرئت مع أهلها الفاتحة

(٢) جاسوساً وصاحب سر

رجالنا ، ولا بد أن أولئك سينتظرونكم ويمدون لكم ؛ فإذا لم تناجزوهم فى بلادهم عدوها عليكم هزيمة من الهزائم وكأنهم ضربوكم بلا ضرب

قال الجمل : هم لا يعرفون معنى الضرب بلا ضرب لأنهم رجال ، والذى يضرب بلا ضرب لا يكون رجلاً ... والسلام عليكم . . . ثم انطلق . فلما أبعد قال الشاب : لقد بدأت الحرب ولا بد لى أن أحطم هذا الفلاح اللعين ، ولقد عرفت الآن من وجهه أن عينه علىّ ، ولست أشك فى أن بنت عمه لا تمتنع بقوتها بل بقوته ، ولولا معرفتى أنه من انحطاط الغريزة كالوحش فى الدفاع عن أنثاه لَـ . . .

قال (إبليس) : لقد تأملت القصة فرأيت أنه لا سبيل لك إلى الفتاة وهى بعد فتاة ؛ فإذا هو وصل إلى امرأته قطعت أنت بهذه الخطوة نصف الطريق إليها . . . وستبلو هى من غلظته وخشونة طبعه ما يسهل لك أن تعلمها قيمة ظرفك ورقتك ؛ وستجد من سوء معاملته وقبح تسلطه ما يفتح قلبها لمن يأتيها من قِبل الرفق واللين ؛ وستصيب عنده من ضيق المعيشة وقلتها وبيسها ما يُفهمها معنى ذلك العيش الحلو الخضر الذى تعرضه عليها ؛ ثم إنه لا بد مبتليها بغيرته العمياء بعد ما عرف من حبك إياها ، والغيرة منك هى توجد بينهما دائماً وتنبه المرأة إليك كلما كرهت من رجلها شيئاً لا ترضاه

ولم تكن إلا مدة يسيرة ، حتى أهديت المرأة إلى زوجها ، وإنما تمجل الزفاف ليأتى له أن ينصب يده القوية حجاباً بينها وبين هذا المفتون ، وليكتسب من القانون حقاً لم يكن له من قبل إذا هو مد هذه اليد وعصر فى قبضتها تلك الرقبة التى تتطلع إلى امرأته ، ورأى الشاب أن هذه الحال لا تعتدل به وبخصمه معاً ، وكانت الغيرة تأكل من قلبه أكلا ، وكان يعرض للمرأة كلما خرجت بمكتلها [1] إلى السوق ، أو بجرتها إلى الماء ، لأنه حينئذ يكون فى الطريق الذى لا يملكه أحد ... فكانت إذا رأته لم تزد على ما يكون منها ، إذا هى أبصرت حماراً يمد عينه إليها . فعمد إلى امرأة مغنية تزف العرائس ، وهى التى زفت (خضراء) ، فأكرمها وأتحفها وسألها أن تسعفه ببعض ما يحتال به ، وأن تكون سبيله إلى المرأة ؛ وتحمّل عليها (بإبليسه) حتى استوثق منها ، فكانت تتحدث عنه أمام (خضراء) ، تستجرّ بذلك أن تلفتها إلى نعمته وجماله ، ولكن المرأة أغلظت لها وسبتها وحذرتها أن تعود إلى مثل كلامها ، وقالت لها آخر ما قالت : واعلمى أننى لو دُفعت إلى طريقين ، وكان لا بد من أحدهما ، ثم كان أحدهما حصباء الدنانير وهو طريق العار، والآخر حصباؤه الجمر، ويفضى إلى الشرف، إذن لتنزهت أن أدنس نعلى بالذهب ولنثرت لحم قدمى على الجمر نثراً

وأما الحب فلا يبقى حباً أبداً ، فإما فاز فبرد ورجع سلواً ، وإما خاب فاضطرم وتحول إلى حقد ونقمة ؛ وكذلك انفجر الشاب غيظاً ، ووجد على الخيبة موجدة شديدة ، وأخذ يدير رأيه ، ففتقت له الحيلة أن يقتل الرجل الشهم بشهامته ، والمرأة العفيفة بعفتها ، فواطأ إبليسه على أن يدفع إلى تلك المغنية منديلاً من الحرير — عقد طرفه على دينار من الذهب — تلقيه فى صندوق « خضراء » ، وتدسه فى طى من أطواء ثيابها ، فذهبت المرأة وما زالت « بخضراء » تستصلحها وتعتذر إليها حتى استلت ضغينة قلبها، ثم سألتها أن تأتيها (بالعيش والملح) لتصيب كلتاهما منه وتتحرم بحرمته ، فلما نهضت تأتيها أسرعت الخبيثة إلى الصندوق فدست المنديل فى أبعد مواضعه وأخفاها ، وكان مندّى بالعطر لينم على نفسه إذا لم ينم أحد عليه ؛ ثم رجعت بما فعلت إلى الشاب فأطلق خادمه يهمس لبعض أصدقاء الجمل أنه رأى اليوم فى يد (خضراء) ديناراً ذهباً على ندرة الذهب وعزته ، فجعل هذا الدينار يطير من نفس إلى نفس بقوة الذهب الذى فيه والحب الذى أعطاه والجمال الذى أخذه ، ثم انتهى إلى الجمل، فكأنما حمله وطار به إلى داره كالمجنون، وقد حمى دمه الحر وجاش جأشه المنيف ، ولم تكن امرأته فى الدار ، فنثر ما فى الصندوق وما كادت تنفحه رائحة العطر حتى نفخ الشيطان به نفخة الغضب الكافر ، ثم عثر على المنديل ورأى بصيص الدينار فدارت به الأرض وأيقن أن العار قد طرق بابه وأن الباب قد فتح له؛ ثم رد نفسه على مكروهها ورد معها كل شئ إلى موضعه، وتلفف رأيه على جريمتين، وخرج وروحه تصرخ من ضربة بمنديل وهو الذى كانت تتهاوى عليه الضربات القاتلة تهشم منه ولا يتأوه

وذكر أن (حماته) أثنت من عهد قريب على ابن العمدة ووصفته بالرقة والغنى، فوجه إليها أن تأتى فتبيت عند امرأته لأنه على سفر ، وكان كالأعمى فى ضلالته لا يرى الأشياء إلا كما يتخيلها فى نفسه دون ما هى فى نفسها، فسألته زوجته: أين أزمعت وما تبغى من سفرك وكم تلبث عنا؟ فكأنه سمعها تقول: إرحل إلى مكان بعيد

---

(١) هو ما يسمى القفة

وغب عنا زمناً طويلاً فبنا إلى غيابك حاجة شديدة ، وكاد يعاش بها ولكنه كاتم صدره اللوعة وذكر اسم جهة بعيدة ومضى والانكسار يعرف فيه

* * *

فزع الناس بعد أيام في جوف الليل فإذا بيت الجمل يحترق من أرضه وسمائه، واقتحموه فإذا المرأة وأمها فحمتان، وانطلقت أسرار الألسنة وقبض على الرجل في بلدة أخرى، وتولى ابن العمدة توجيه البينة عليه، وشهد الشهود على الدينار، وشهد الدينار على النار، وأنكر « الجمل » ولم يقصر في إقامة الحجة، ودافع عن امرأته وبالغ في أمانتها وعفتها، وشهد أنه لا يعلم عليها من سوء وأنها أطهر النساء وأبرّهن ، ثم كان الحكم أن قضى عليه بالموت شنقاً

فلما كان يوم إنفاذ الحكم سئل الرجل: هل من شيء تريده؟ فطلب دخينة [1] فقدمها له قيم السجن فأشعلها ونفخ من دخانها نفخة، ثم أخذيتكلم وعمره يفنى مع الدخينة نفساً في نفس، وعاد هذا الدخان المتطاير كأنه سحاب يسبح فيه الوحي بين حدود الدنيا وحدود الآخرة . قال المسكين : لم أتعلم، ولو تعلمت ما وقفت هنا، ولكن ربما كنت خرجت نذلاً كبعض المتعلمين الذين يعيشون أشرافاً وفيهم أرواح القتلة واللصوص

لم أقر لأحد بجريمتي خشية أن تذكر كلمة العار مع اسمي ، وآثرت أن أموت بالشنق على أن أحيا ويموت اسمي بالعار

ولكني سأعترف الآن أمامكم، وأنتم الساعة على قبري فكونوا كالملائكة : لا يشهدون بما عرفوا إلا عند الله وحده

أعترف أني قتلت زوجتي وأمها، وقد تقولون إنه ليس من عمل الرجل أن يقتل امرأة فضلاً عن اثنتين . إنني رجل سأشنق ؛ أما النساء فلا يشنقن وإنما يُرسلن الرجال إلى المشنقة... لم أر أبي إذ تركني طفلاً ، ولكن يقال إنه كان رجلاً ، فأنا رجل وابن رجل ولم يذلني رجل قط ؛ ولكن لو خلق الله قوة مائة جبار في جسم رجل واحد لأذلته امرأة

إنه ليس من شيمة الرجل أن يقتل النساء ؛ ولكن المرأة تذل الرجل ذلا يهوّن عليه قتل نفسه فكيف لا يهوّن عليه قتلها ؟

علموا المتعلمين ليصيروا في الشرف والأمانة والعفة كرجل جاهل مثلي ، لا يرى للحياة كلها قيمة إذا كان فيها معنى العار ، ويقدم عنقه للمشنقة حتى لا ينكس رأسه للذل

(١) وضعناها للسيجارة وهي أليق الألفاظ بها

أصلحوا القانون الذي يحكم بالموت شنقاً ويزهق الأرواح الكبيرة في حين تقتله الأرواح الصغيرة بحيلها الدنيئة

ومع ذلك سألقى الله وهو يعلم سريرتي إن كنت بريئاً أو مجرماً

قيم السجن : ستلقاه طاهراً

السجين : أرأيتم مني خلق سوء . . . ؟ أتنقمد على ذنباً مدة سجني ؟

القيم : كلنا راضون عنك

السجين : هـذا مَثَل من أخلاق والحمد لله على أن آخر كلمة أسمعها من إنسان على الأرض كلمة الرضا

... ...

أشهد أن لا إلـه إلا الله . وأن محمداً رسول الله

* * *

نظرت ريشةٌ من زغب العصفور إلى النجوم فحسبتها ريشاً متناثراً، فامتطت العاصفة وقالت: إلى السماء، ودارت بها العاصفة ما شاء الله أن تدور ثم رمت بهـا حيث وقعت لم تبال في موضع نفع أم ضير . فأقبلت الريشة تتسخط وتزعم أنها فوضى ثائرة لا حكمة في خلقها، وأن الرياح بعثرة في نظام العالم ... وكان إلى جانبها شجرة تهتز ولا تطير ... فلما وعت مقالتها أقبلت عليها فقالت : أيتها الريشة ! إن الرياح لا تكون بعثرة في نظام العالم إلا إذا كان العالم ريشاً كله .

مصطفى صادق الرافعي

فى ذكرى الرافعى

[بقية المنشور على صفحة ٨٠٤]

مثل الفهرست لابن النديم ، ووفيات الأعيان ، ونحوهما

وطريقته فى التحصيل من هذه الكتب ، أن يقرأ الكتاب ما بين دفتيه؛ ثم يكتب ملخصه بحيث يشمل من أسماء أهل الفنون الأدبية وامتياز كل منهم ، مثل الشعراء ، والخطباء ، والكتاب ، والرواة ؛ ثم أسماء الكتب ، وموضوعها، وفنون الملح ، ومعارضات العلماء بعضهم لبعض ؛ ثم الطرائف الأدبية التى تشير إلى معنى يتصل بشىء من موضوعه . وفى كتب التراجم من هذه الطرائف ما ليس فى كتاب

وأستطيع أن أقول جازماً : إن الرافعى اعتمد على كتب التراجم فى الجمع لكتابه « تاريخ آداب العرب » أكثر مما اعتمد على الكتب الخالصة للأدب ؛ وكان اتجاهه إلى ذلك سبباً فى توفيقه إلى ما لم يوفق إليه غيره فى موضوعه

ويذكّرنى اعتداده بكتب التراجم فى هذا الشأن ، ما ذكرته فى كتابى « حياة الرافعى » عن استمداده منها أكثر ما كان يكتب لقراء الرسالة من قصص لم ينسج على منوالها كاتب من قبله ولا من بعده؛ فكأن هذه الكتب كانت عوناً كبيراً له على ما أبدع فى الأدب بنوعيه : الإنشائى والوصفى

* * *

لست أشك فى أن طريقة الرافعى هذه كانت ذات فائدة كبيرة، ولكنها كانت حقيقة بأن تكون أكثر جدوى وفائدة لو أن هذه الملخصات والفهارس التى صنعها ليستعين بها كانت على غير النظام الذى وضع، ليمكن انتفاع غيره بها ؛ فلو أنه عنى بأن تكون تلك الفهارس كاملة وعامة ، لكان بذلك قد كمل نقصاً فى تلك الكتب التى أخذ عنها وزادها فائدة ؛ ولكنه — رحمه الله — لم يكن له غاية من صنع هذه الفهارس إلا الاستعانة بها على الجمع لكتابه ، فبلغت به ما أراد ، ثم بطل عملها !

وقد يسأل سائل : كيف تهيأ للرافعى الزمن الذى قرأ فيه تلك الكتب التى أخذ عنها ولخصها ، ثم ألف منها كتابه ؟

وهو سؤال لا أجد جوابه ، على أنه مما يزيدنى دهشة أن الرافعى قد بدأ يعد لكتابه تاريخ آداب العرب فى سنة ١٩٠٩ وفرغ منه — بأجزائه الثلاثة — فى سنة ١٩١١ ؛ فانظر ما عسى أن تتسع له سنتان من عمر فتى لم يتجاوز الثلاثين وهو أب وزوج وله عمل فى الحكومة يشغل نصف نهاره ؟

وقد قال لى قائل مرة وقد جاء ذكر الجزء الأول من تاريخ آداب العرب : إنه كتاب يتحدث عن كل شىء إلا عن آداب العرب !

قلت : قد يكون ذلك رأيك ورأى طائفة معك ، ولكنه على كل حال كتابٌ يغنى عن مائة كتاب ؛ واسأل معلّميك : من ألَّف فى تاريخ آداب العرب قبل الرافعى ؟

رحمه الله بما قدم لهذه الأمة وأجزلَ ثوابه

محمد سعيد العريان

M. Arab. 143

الشيطان ذو الأَجنحة

إن لسكان جزيرة سيلان أسطورة مقدسة تخبر بالشعر عن تاريخ سيلان مدة تزيد على أربعة وعشرين جيلا. ويستنتج من هذه الأسطورة أن الجزيرة التى زارها بوذا مراراً كى ينشر فيها تعاليمه بنفسه مرت بعهود من الرفاهية لم تعرف مثلها إلى ذلك الوقت ، ومن المحتمل أن يكون سكانها أكثر عدداً من الآن ، فآثار الهيا كل الكثيرة والبحيرات الاصطناعية التى أهملوها لاتزال برهانا على ذلك .

ولا داعى للبحث بعيداً جداً عن أسباب نقص عدد السكان فالجزيرة المباركة قد اجتاحها مراراً المرض الوبائى بقساوة فان أهالى الجزيرة وكذلك أيضا البرتغاليين الذين احتلوها فى الجيل السادس عشر والهولانديين الذين طردوا هؤلاء ، وأخيراً الانجليز الذين ملكوا بعد ذلك سيلان قد قاسوا كثيرا من تفشى هذا الوباء ، وقد نشر الهولنديون أيضا سنة ١٦٤٧ خريطة من سيلان وقد تركت مناطق كاملة بيضاء مع أنه لم يكن المقصود من ذلك أنها أراض مجهولة إذ كان الانسان يقرأ على هذه البقع البيضاء هذه الكلمات التى لاتدع مجالا للشك جهات أقفرها المرض .

ففى سنة ٢٣٨ مسيحية على عهد « د هامابو » قد اجتاحت الحميات والأمراض هذه المناطق وأهلكت السكان على ما يؤكده الرواة فى سيلان بدرجة أنهم عجزوا عن أن يزرعوا الأرز وقد نتج عن ذلك مجاعة طويلة المدى فنسبوا هذه البلية إلى حيث الشيطان ذى الجوائع وسعوا لتجنبه بواسطة الرقص حسب الطقوس الدينية ولكن الرواة يؤكدون أن سكان سيلان لم يجدوا السعادة مع ذلك طالما أن الشيطان ذو الأجنحة السوداء لم يقتل بعد .

وقد قامت الحكومة الانجليزية بمحاربة بعوض الملاريا بنشاط كبير فى سيلان يمكن الانسان أن يأمل الآن بعد ثمانية عشر جيلا بأن الساعة قد حانت أخيراً كى يرى نهاية حكم الشيطان ذى الجوائع كما يقول الرواة . وقد بنوا أيضا مستشفيات كثيرة . وفى بحر هذه السنوات الأخيرة عند ما عمت الملاريا بشكل وبائى قد وزعوا مراراً ألوف الجرامات من الكينا خلال ستة أشهر إما على سبيل الوقاية وإما على سبيل التداوى ، والطريقة التى تصفها لجنة الملاريا فى جمعية الأمم تلخص فى تطبيق العلاج السريع بالكينا أى مقدار جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام يوميا مدة خمسة أو سبعة أيام وهي سلاح قوى لشعب يجند بأكمله ضد الشيطان ذى الأجنحة وتوصى على سبيل الوقاية بأخذ ٤٠٠ ملليجرام من الكينا يوميا طول مدة موسم الحميات .

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين }



8me Année No. 359

Lundi - 20 - 5 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

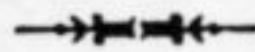
العدد ٣٥٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ ربيع الآخر سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهرس

مصطفى كامل

بعد ثلث قرن

بمناسبة إزاحة الستار عن تمثاله





كل شيء فى مصر ينسى بعد حين كما قال شوقى وليست مصر بِدْعاً من الأمم فى ذلك. فإن الرجل أو العمل لا ينطبع ذكره فى الذهن إلا إذا كان ندى الصوت قوى الأثر. ومصر فى عهدها القريب إنما كانت تجرى فى خلاء من التاريخ لا يكاد يظهر فيه إلا فقاعة تنفجر أو ومضة تنطفئ. وليس لهذه أو تلك من الأثر ما يملأ الشعور ويشغل الذاكرة

على أن السائر فى الصحراء مهما ضعف وعيه واشتدت غفلته

لا بد أن يذكر المنار الذى دله على الطريق، والواحةَ التى أعادته إلى الحياة . وهيهات أن تمرض القلوب عن ذكر محمد على ومصطفى كامل وسعد . وإذا جاز للزمن العابث أن ينال من رجل الدولة أو بطل الثورة فإن مصطفى كاملاً يظل على تراخى الحقب أنوط بالقلب وأعلق بالذاكرة . ذلك لأن زعامته كانت أشبه بالنبوة فى تهيئة الفطرة وثبات العقيدة وعصمة النفس واختيار القدر . وهو الزعيم الوحيد الذى لم تلده الظروف ، ولم تبعثه المطامع : لم تلده الظروف لأن مصر كانت فى إبان حداثته قد استأمنت إلى الجهل والاحتلال فنامت فى ظلهما نومة الضاجع الأبله . وكانت دعوة الأفغانى قد جمت من ومضات الأذهان النيرة شعلة أضاءت جانب الطريق فسلكه العرابيون ؛ ولكنهم لم يكادوا يبعدون حتى أدركهم الظلام فى التل الكبير . فلا يصح فى العقل إذن أن نقول إن مصطفى كان أثراً للأفغانى وعرابى ، كما نقول إن سعداً بعد عبقريته كان أثراً لهؤلاء الثلاثة . إنما أرسل المصطفى على فترة من رسل الوطنية . وكان إرهاصه وهو فى المدرسة الثانوية أن الوزير على مبارك باشا زار مدرسته يوماً فسأله فيمن سأل من التلاميذ : ماذا اعتزم أن يعمل بعد الشهادة ؟ فأجابه مصطفى اليافع فى خطاب طويل : « إن أرفع الرجال شأناً من يحرر بلاده . وسأكون أنا ذلك المحرر الذى يكتب ويخطب حتى تُرفع الأغلال عن عنق مصر » . وكان إرهاصه وهو فى مدرسة الحقوق أن أنشأ مجلة سماها « المدرسة » أشرقت فيها نفسه الكريمة إشراق النفس الزعيمة ، فتهافت على ضوئه طلاب المدارس العليا يؤيدون دعوته ويرددون كلمته ويترسمون خطاه ، حتى نال إجازة الحقوق ففرغ لرسالته وخلص لوطنه . وحينئذ رأيناه يكتب إلى أمه الروحية مدام جولييت آدم يقول : « إننى لا أزال صغيراً ، ولكن لى آمالاً كباراً . أريد أن أوقظ فى مصر الشيخة مصر الفتاة . هم يقولون إن وطنى لا وجود له ؛ وأنا أقول إنه موجود بدليل ما أشعر له فى نفسى من الحب الشديد الذى سيتغلب على كل حب سواه . سأنفق فى سبيله كل قواى، وأفديه بشبابى، وأجعل حياتى وقفاً عليه ... »

ثم اضطرمت فى ذلك الجسد الناحل روح الله ففار فورة الجبارين ، وثبت ثبات الرسل ، وقام فى وحدة النبى وإيمان الشهيد يجاهد الإشراك بالوطن والكفران بالأمة ، ويقارع بالحجج الثائرة اللازمة طغيان المحتل ، وأمته يومئذ علة العلل ودولة الدول !

***

ومصطفى لم تبعثه المطامع، لأنه أدرك وهو فى طراءة الشباب زعامة الأمة وثقة العرش ورضى الخلافة وخصومة المحتل ، وكان فى مقدوره إذا شاء أن يستغل هذه القوى العظيمة فى سبيل الثراء والحكم ؛ ولكنه زهد فى ذلك كله زهادة الحكيم ، فعاش للمبدأ والفكرة ، ومات للقدوة والعبرة

وهل أدل على نزاهة مصطفى ونبل نفسه من نبوّه على عباس وانحرافه عنه حين رآه يستيئس ويستكين بعد الاتفاق الودى الذى أبرم بين انجلترا وفرنسا سنة ١٩٠٤ ؟ لقد كان فى مسايرة الخديوية ومياسرة الاحتلال ما شاء الطامع من جاه وألقاب وسطوة وثروة. ولكن مصطفى كان يريد أن يقود لا أن يسود، ويطلب أن يخدُم لا أن يحكم . والزعيم الحق هو الذى يدافع عن أمته ولا يحاول أن يحكمها . لأنه متى حكمها أدركته حقارة الإنسان فاستطال وترفع وفاش وطاش حتى يصعب عليه أن يوفق بين رغائب نفسه وبين مطالب الناس !

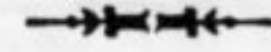
وهكذا قضى الصدق فى الجهاد والإخلاص للمبدأ على مصطفى العليل الواهن أن يحرك ساكن شعبه بوجيب قلبه ، ويذكى خمود جيله بحرارة دمه ، ويضىء ظلام وطنه بوميض روحه ؛ ثم يموت رضوان الله عليه ميتة الأنبياء ، لا (عمائر) تحجب سماء المدن ، ولا (دوائر) تشغل أرض القرى

لو أن زعيمنا الخالد كان قد سعى ما سعى لينال كرسيًّا فى (وزارة) أو مكتباً فى (شركة) لما أقمنا له هذا التمثال بعد ثلث قرن ؛ فإن الزعيم الذى يجعل همه السياسى أن ينتفخ لُغدوده وجيبه لا يمكن أن يعيش فى ذاكرة الناس هذا العمر . ولكن مصطفى عاش كأصغرنا وسعى كأقدرنا ومات كأفقرنا ، فكان حقًّا علينا أن نقيم تمثاله رمزاً للوطنية التى لا تتاجر ، وللوطنى الذى لا يداجى ، وللزعيم الذى لا يخون

احمد حسن الزيات

الورق الأزرق

للأستاذ عباس محمود العقاد



إلى الورق !

إلى الورق مرة أخرى !

فلا وسيلة غيره على ما يظهر لحفظ النور ولو أطبق الديجور، وأحاط بالدور ظلام كظلام القبور

وقديماً عرف الناس الورق الذي يحفظ النور للعقول والسرائر

وها هم أولاء يعرفون الورق الذي يحفظ النور للعيون، حين يصبح النور خطراً من أكبر الأخطار

وهل كان النور قط إلا خطراً من أكبر الأخطار، وهدفاً للشياطين والفجار، وللجهلاء والأغرار، ولكل من يكره الإبصار، لأنه مخلوق أمام للعماية، غريب في عالم الأبصار ؟!

***

من الذي ضربوه لأنه في الظلام ؟ ومن الذي تركوه لأنه في النور ؟

إن الذي في الظلام لآمن مستور

وإن الذي هو هدف الرماة في الحرب والسلم وفي الأرض والهواء وفي الغيبة والحضور، لهو الذي في النور في هذه العصور وفي جميع العصور

وما صنعت « وقاية المدنيين » في أيامنا هذه إلا أن كشفت السر « للجمهور »، وهو أغنى الأسرار عن الكشف وأحقها بالظهور.

***

والأمر هين بحمد الله : لفة من الورق الأزرق أو لفتان أو لفات ثلاث، والنور محفوظ لعينيك من وراء الحجرات، محجوب عن طيارات الخيال وطيارات الواقع ... لا سمحت بها السماء، ولا اتسع لها الفضاء

وإني لأحمد الله على تجارب الوقاية، لأنها خليقة أن تحبب الاعتكاف إلى أكثر الناس، وإن كان بعض الناس ليخافون العزلة أشد من خوفهم أخطار التجارب والغارات

ونحن المصريين محتاجون إلى تجربة الاعتكاف، لأننا من أقل الأمم طاقة به وصبراً عليه. وما ظنك بعصري يمكث في بيته ثلاثة أيام لا يرعه ولا يبرم بمكثه فيه ؟ ذلك في رأي نفسه شهيد أعجب في استشهاده من ماكسويني وصبره عن الطعام ستين يوماً أو تزيد !!

والاستقلال بالنفس نعمة من نعم الأخلاق نود لو وفر منها حظ هذه الأمة في بداية استقلالها وفي تجاربها التي تجربها لحماية حوزتها ورد العادية عنها

لأن الرجل الذي يعيش بين الجماهير ولا ينعم بالوقت إلا وهو غارق في غمارها مدفوع في تيارها هو رجل ضائع في الزحام، أو صفر لا ينفرد عما جاوره من الأرقام، أو هو شخصية بغير استقلال وبغير حدود، كأنه يأخذ حياته على المشاع ولا يأخذها مستقلة معروفة الحدود والأقسام

فمن الواجب أن يستطيع الإنسان الاعتكاف في بيته والاعتكاف في شخصه، وأن يكون مالكاً لزمام نفسه ولا يكون مملوكاً لزحام المجالس وضجة الرائحين والغادين على المشاع

وأعجب ما يلحظ في هذا الباب أن الأمم التي تعرف العزلة وتطيق الانفراد هي أصلح الأمم للاجتماع وأقدرها على سياسة الناس

ونقول أعجب ما يلحظ ولا نعني إلا العجب في الظاهر دون الحقيقة الواقعة، وإلا فاستقلال النفس ضمان الحرص على الحقوق وأن يكون لكل حده الذي يقف عنده ولا يخطو وراءه، وأن يضن بحريته ولا يجور على حرية غيره، وتلك هي أكرم صفات الاجتماع والمقارنة، وهي هي لبابها صفة الاستقلال والقدرة على الانفراد ...

وفي العصر الحديث مخترعات كثيرة تعين على العزلة من يشاء أن يعان عليها

فالكتاب والصحيفة جليسان أنيسان، والمذياع ينقل العالم إلى البيت فينفي الوحشة ويعود من يصغي إليه أن ينفرد وأن يقنع بالقليل من الجلساء، ثم هذه التجارب التي نجرب بها قوة نفوسنا وقوة مدافعنا : أليس فيها معين على الاستقلال من غير ناحية الحرب والأهبة للدفاع ؟

بلى ! فإنها لتنقل الوحشة إلى الطريق أو إلى المجالس العامة، فينفر منها من تعود الأنس فيها وعز عليه أن يصيبه بمعزل عنها وتعلمنا أن نركن إلى نفوسنا، وأن نغوص في أعماق ضمائرنا

وأن نجد فيها ذخيرة تغنينا وتشبعنا فلا نشكو الخلو فى الخلوة ، ولا نبحث عن القوة فى كل مكان إلا المكان الذى ننفرد فيه

* * *

ولعلنا إذ نتعود الخلوة ينتهى بنا الأمر أن نحسبها خلوة اطمئنان إلى النفس والأقربين ، لا خلوة الخوف من العدو المغير والفزع مما يضمره الفضاء أو القضاء

فمن الناس من يذكرون الغارات فيبالغون فى الحذر والحيطة ويظنون أن الدنيا كلها خطر ذو عيون وأقدام ، وأن القنابل تبحث عنهم فى كل مكان

ومنهم من يذكرون الغارات فيبالغون فى التواكل ويقولون كما يقول المتواكلون فى أوربا : إن يكن اسمك مكتوباً على قنبلة فلا فائدة من الوقاية ولا أمل فى النجاة

ومنهم قوام بين ذلك لا ينزعجون ولا يهملون ، ولكنهم « يعقلون ويتوكلون » أو يحسبون الحساب وهم مطمئنون ، لأنهم فرغوا من واجب الاحتراس فلم يبق إلا واجب الاطمئنان

فالإهمال لا يليق بكرامة الإنسان ولا بالمزايا الآدمية ، لأنه أشبه بصفات الحيوان السائم الذى لا يدرى ما يضره وما ينفعه ولا يتصرف فى مقاومة الحوادث التى تهدده واجتناب الهلاك الذى يفرض عليه اجتنابه

أما المبالغة فى الاحتراس والوسواس فهى الجبن الذميم بعينه؛ وليس بين الصفات التى تشين الإنسان أقبح من صفة الجبان

* * *

ولقد دلت التجارب فى أوربا على فائدة لهذه التجارب غير الفائدة المقصودة منها ، وهى نقص الجرائم والسرقات فى هذه الأوقات خلافاً لما كان مظنوناً فى البداية

وعللوا نقص الجرائم والسرقات بأمور كثيرة نشترك فى بعضها وتنفرد الأقطار الغربية ببعضها الذى لا نجاريها فيه ، والحمد لله مرة أخرى

فمن هذه الأمور كثرة الحراس ورجال الأمن القائمين بالتجربة فى الطرقات

ومنها شكوك اللصوص إذ يميزون فى أوقات السلم بين البيت النائم والبيت اليقظان ولكنهم يعجزون عن تمييز هذا وذاك متى تساوى الظلام فى جميع الأنحاء

ومنها - ولعله أهمها فى أوربا وأضعفها عندنا - أن السراق يصعب عليهم الهرب بالسيارات بعد اقتراف الجريمة لتقييد حركة السيارات وتشديد الرقابة عليها

ولا ندرى علام تسفر التجربة فى بلادنا ولم يبلغ لصوصنا بحمد الله مبلغ اللصوص الموسرين الذين يعتمدون على الهرب فى السيارات ، ولا يزالون يهربون على الأقدام كما كانوا يهربون قبل ألف عام ، فى ظلام كان يخيم على الأيقاظ والنيام ، فى أيام الحرب أو أيام السلام ؟

والذاكرون للحرب الماضية فى بلادنا لا ينسون حوادث النشالين بالليل والنهار ، وقلما سلم منهم إنسان

ولعلهم أول من اخترع من زمرة اللصوص رد الأمانات إلى أصحابها متى استغنوا عنها ...!

فقد كانوا يأخذون لأنفسهم الورق النفيس ثم يلقون بالمحفظة أو الكيس فى صناديق البريد ، فيعود ما فيه من المحفوظات إلى أصحابه ، ولعله أنفس لديهم من النقود

إلا مرة واحدة - أو مرة واحدة على ما نعلم نحن - أخذوا فيها المحفظة كلها وليس فيها نقود ولا ورق أنفس من النقود

وذاك أن صديقاً لنا أديباً خرج يوماً من عند المصور وفى جيبه محفظة - أو غلاف من الورق على الأصح - فيه اثنتا عشرة صورة شمسية لا تنفع أحداً غيره

قال لنا : سأذهب إلى مكتب البريد القريب فلا شك عندى فى رجعتها

ولكنه ذهب وعاود الذهاب والمحفظة ذاهبة لا تعود

فحار فى أمر هؤلاء اللصوص ، وسأل موظف البريد مرة وقد كان من الظرفاء : « عجبى لهم ما بالهم لا يردون هذه الصور التى لا قيمة لها عندهم وهم يردون الوثائق والسفاتج والأسانيد التى قد تشترى وتباع ؟ »

قال موظف البريد متظاهراً بالدهشة : « أتقول لا قيمة لها عندهم يا أستاذ ؟ كيف هذا ؟ إنهم لو وزعوها على زملائهم لأراحوا أنفسهم على الأقل من اثنتى عشرة محاولة أخرى بغير فائدة !

وهذه من طرائف النشالين فى الحرب الماضية ، ولكن طرائف النشالين خاصة ليست بالتى يستحب فيها التكرار أو التى

تؤمن في جميع التجارب . فلا نخال أن أحداً سيتفقدها في الحرب الحاضرة ، أو يلوم الحكومة على وقاية المدنيين منها !

***

بدأت أكتب هـذا المقال من وراء الورق الأزرق الذي يحجب السماء وفيه شبه منها

ثم فتحت النافذة فإذا السماء تشاركنا في التجربة من طرفيها

فهي كالمدنيين تحجب ضياءها ، وهي كالمغيرين ترسل غبارها وحصباءها

قلت : الحمد لله مرة أخرى !

إذا اشتركت السماء في التجربة فلا خوف مما يرسله الفضاء ، وعسى أن تمضي التجربة وهـذه الغارات الوهمية أقصى ما نعانيه في بلادنا ، فنظل في حرز من الغارات الحقة إلى يوم السلام .

عباس محمود العقاد

في سبيل الأزهر أيضاً

فائدة الأربعـــاء

للأستاذ محمد محمد المدني

أعتقد أن « الرسالة » لم تأت فيما مضى من تاريخها بمثل هذا العنوان ، ولولا أن أدخل في الحكومة بعض النيب — كما يقول الجاحظ — لزعمتُ أنها لن تأتي بمثله في مستقبل عمرها الطويل !

وأعتقد أيضاً أن كل معنى من المعاني التي يحتملها هـذا التركيب سيرد على الذهن إلا معنى واحداً : هو معناه المقصود !

« الأربعاء » ، يا سيدي القارئ ، هو اليوم الخامس من أيام الأسبوع كما تعلم ؛ أما الذي لا تعلمه — ولم أكن أنا أيضاً أعلمه — حتى علمته بالأمس القريب ، فهو أن لهذا اليوم فائدة ، وأن هذه الفائدة هي موضع تحقيق علمي من الطراز الأول ، لا يقوم به رجل من عامة العلماء ، أو من صغار رجال الأزهر ؛ ولكن يقوم به عالم خطير وفيلسوف كبير قد عرف بأنه فيلسوف الإسلام والمسلمين ، وتبوأ مقعده من جماعة كبار العلماء منذ زمن طويل !

وهي لهذا جديرة بأن نجمل منها مقال اليوم ، فنشغل بها قراء « الرسالة » هذا الأسبوع ، كما اشتغل بها في الأسبوع الماضي قراء مجلة أخرى حين نشر البحث فيها باحثه الجليل !

كتب كاتب من « قنا » إلى الشيخ الكبير قال :

« إن كثيراً من أهل قنا وضواحيها وغيرها من البلدان ، خصوصاً بعض أهالي جرجا ، قد اعتادوا أن يقوموا بعمل فائدة تسمى : « فائدة الأربعاء » ، وميعادها قبل الظهر بساعة تقريباً في اليوم المذكور من كل أسبوع بضريح سيدي عبد الرحيم القنوي رضي الله عنه ؛ والجميع — يا صاحب الفضيلة — يعتقدون نفعها ويرجون بركتها ، وهي مجربة بين الآلاف المؤلفة من المسلمين . وإلى فضيلتكم كيفية هذه الفائدة :

« يذهب من أراد قضاء حاجة (هكذا) ، أو تفريج كربة في اليوم والوقت المذكورين سالفاً ، ويجلس في ضريح سيدي عبد الله القرشي — وهو على مسافة قريبة من ضريح سيدي عبد الرحيم (رضي الله عنهما) — ويكون على وضوء ، ثم يقرأ سورة يس مرة أو ثلاث مرات ، بنية قضاء الحاجة ، أو تفريج الكربة ، وبعد ذلك يخرج من الضريح ، ثم يصلي ركعتين لله تعالى بنية قضاء الحاجة أيضاً ، وهو عاري الرأس ، في مكان متوسط بين الضريحين ، وبعد تمام هاتين الركعتين يأخذ عمامته في يده وحذاءه تحت إبطه ، ويتوجه إلى ضريح سيدي عبد الرحيم ، ثم يتجه إلى القبلة ، ويدعو بالدعاء الآتي عاري الرأس أيضاً : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بحبيبك محمد صلى الله عليه وسلم ، وبأبينا آدم ، وأمنا حواء ، وما تناسل بينهما من الأنبياء والمرسلين ، والأولياء والصالحين ، وبعبدك هذا سيدي عبد الرحيم ، أن تقضي حاجتي ، وهي كذا ... »

قال السائل : ولـكن ظهر في هـذه الأيام عالم من المتصدين للوعظ والإرشاد ، ينكر هذه الفائدة قائلاً : إن هذه الفائدة لم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا في عهد خلفائه الراشدين . ولقد حدثت فتنة كبيرة بسبب ذلك بين المعتقدين لها ، وبين العالم المذكور ، لذلك رأيت أنا ولفيف من إخواني المسلمين أن نلجأ إلى فضيلتكم لتفتونا في هذه الفائدة لنكون على بصيرة

منها لما نعهده فيكم من العلم ، والحرص على نفع المسلمين ، وتعريفهم أمور دينهم الخ »

هذه هي القضية ! فاذا قال فيها « أبو جسن ! » ؟

قال — نفع الله الناس بعلمه — :

« الجواب عما سألت عنه من فائدة يوم الأربعاء ، أن ذلك جائز لا شك فيه ، بل هو مرجو البركة ، وبركة الأولياء لا ينكرها إلا مخذول . ولست أدرى : أى شيء فى ذلك ؟ وهل فيه إلا عدة أمور بعضها جائز ، وبعضها مندوب إليه ؟ ولا شك أن المساجد محل الرحمات والبركات ، والتوسل بالأولياء والصالحين جائز لا شيء فيه ، وقد ورد الأمر به ، فى الحديث عن عثمان بن حنيف وأظنهم يعرفون ! » ولست أدرى من هم الذين يظنهم مولانا ؟ ؟ ولعله يريد الواعظ المسكين الذى يشير إليه صاحب السؤال !

قال الشيخ : وتوسل عمر بالعباس ، ولو كان الأمر على ما ظن هؤلاء ما صح أن يقول عمر : اللهم إنا نتوسل إليك بعم نبيك العباس ، والمتوسل طالب من الله ، مستشفع إليه بأحبابه فلا معنى لتلك الترهات ، لأن لهم منزلة عند الله ، وسيشفعون بمقتضاها فى الآخرة ، والأولياء أحياء عند ربهم يرزقون ، ومن اعتقد أن من ينتقل من الدنيا يلتحق بالعدم فهو مكذب أو جاهل بما ورد فى ذلك من المتواترات ... الخ ... الخ

ثم قال بارك الله للمسلمين فى حياته :

« وبعد ، فلست أدرى لماذا لا يشنون الغارة على المنكرات المجمع عليها ؟ وما أجدرنا أن نخاطبهم بقول الشاعر :

أفتتركون المنكرات سَبَهْلَلاً ؟ وتحاسبون على اقتراف الذَّرَّة
أفتصلحون البيت من شرفاته ؟ ما أنتمُ إلا كأهل الكوفة الخ

* * *

عفواً ، يا قراء الرسالة وصبراً ، فإنما أردت أن أهدى إليكم طرفة من الطُّرَف التى وعدتكم بها يوم كتبت مقالى الأول « فى سبيل الأزهر » وقد أبى الله إلا أن تجيء هذه الطرفة من حيث لا أحتسب ، على يد أستاذ مبرِّز من جماعة كبار العلماء فى الأزهر الشريف !

ولست أريد أن أنقد هذه الفتوى ، لأنى رجل من صغار العلماء ، وليس من الأدب الذى درجنا عليه وأخذنا به أن يتطاول الصغير إلى مقام الكبير . وفى منصب الإفتاء رجل علاّمة ثَبَتٌ محقق ، هو صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد سليم ، يعرفه الناس فقيهاً جيد الفقه ، بصيراً بما يتناول منه ؛ وعند جهينة الخبر اليقين !

ولكنى أقتصر فيما يتعلق بهذه الفتوى على تسجيل بعض « الظواهر » واستجلاء بعض « الغوامض »

السؤال الذى بنيت عليه الفتوى يعرض المسألة على أنها عقيدة لإقليم من أقاليم مصر العليا ، ويذكر أنها أمر من أمور الدين ، وأنه حدثت بسببها فتنة كبيرة بين عالم واعظ وبين معتقديها : هم يتمسكون بما يعملون منها ، وهو يقول لهم : لم تكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا خلفائه الراشدين

فكيف عالَجت الفتوى هذه النواحى :

إنها أقرت المتقدين على ما يعتقدون ، فذكرت لهم أن هذا جائز لا شك فيه ، واستدلت على ذلك بأن هذه العملية ما هى إلا مركبة من أمور بعضها جائز ، وبعضها مندوب إليه ، وأن التوسل على هذا النحو وغيره مأمور به فى الحديث

أما ما يخص العالم الواعظ منها فهو قول الشيخ : « وبركة الأولياء لا ينكرها إلا مخذول » و « أظنهم يعرفون ! » و « لا معنى لتلك الترهات » و « من اعتقد كذا فهو مكذب أو جاهل بما تواتر ... الخ »

وتخرج الفتوى بعد ذلك عن نطاق ما هى فيه ، فتنكر على الناس أن يتعلقوا بصغائر الأمور دون كبارها ، وأن يتركوا المنكرات المجمع عليها « سبهللاً » ويحاسبون على اقتراف الذرة . الخ

هذا ما أردت أن أسجله من ظواهر الفتوى . ويجب أن يفهم هنا أنه لا شأن لى بأن التوسل بالأولياء جائز أو غير جائز ، ولا بأنه قد أُمِرَ به فى الحديث أو لم يُؤْمَرْ به فى الحديث

ولا شأن لى بحياة الأولياء عند ربهم ، ولا بكيفيتها ، ولا بنوع العمل الذى يدخل فى قدرتهم بعد موتهم ، أو الذى لا يدخل

لا شأن لى بشيء من ذلك كله ، فقد تكلم فيه الناس كثيراً وللشيخ فيه جولات ، ولخصومه جولات ! كما للشيخ فى حياة الأرواح وعجائب الأرواح جولات ، ولا نحب أن نشغل بشيء من ذلك قراء الرسالة

ولكني أتساءل : أيكني أن يكون شيء مركباً من أشياء بعضها جائز وبعضها مندوب إليه ليكون حقيقة معترفاً بها من الشرع؟ حتى لو لفَّق مُلفق بين عدة مندوبات وعدة واجبات أو جائزات ، وأنشأ من ذلك عبادة يلتزمها ويتقرب إلى الله بها على وضع خاص لما كان فى ذلك ملوماً ؟

ثم ما هى المسائل التى هى منكرات مجمع عليها ، وقد تركت من غير بيان حتى صارت « سبهللا » بهذا التعبير الظريف ؟

وما الموازنة بين هـذه المسائل المعروفة التى أجمع الناس على تحريمها ، والمسائل التى شغف كثير من الناس أن يلبسوها ثوب الدين وما هى من الدين ؟

وإنى لأتوجه بعد ذلك إلى أستاذنا الكبير الشيخ محمد عبد اللطيف دراز مفتش الوعظ والإرشاد لأسأله : ماذا فعل الله بهذا الواعظ المسكين الذى أنكر « فائدة الأربعاء » ، وأثار عليه الشيخ هذه الحرب الشعواء ؟ أتركته إدارة الوعظ بين هؤلاء القوم محصوراً لعلهم يقضون عليه ، أو يسيئون إليه . أم أنقذت المسلمين فى قنا وضواحى قنا منه إن كانت تعتقد أنه شر ووبال ؟

أما بعد :

فإنى أقول لأصدقائى وشيوخى الذين أثارتهم كلمتى السابقة ، فعلقوا عليها قولاً وكتابة بأقوال وألوان شتى من « التعليقات » : إنى أحب الأزهر كحبكم ، وأنا فيما أعتقد أشد له حباً ، ولكنى أكره هـذا اللون من الـ . . . ولا أقول كما قلت فى المرة السابقة من التسكع العلمى ، ولكنى أقول : من « التلطف العلمى ! » فى الوقت الذى يشتغل العالم فيه بحرب عامة ، أقامت الدول وأقعدتها ، ويوشك لظاها أن يأتى على الأخضر واليابس من الأموال والأنفس والثمرات

لا تشغلوا الناس بهذا النوع من الأبحاث فى الوقت الذى يستمعون فيه كل يوم إلى أخبار الطائرات التى تمخر عباب الجو ، والمظلات الواقية التى تتساقط بها الجنود جيوشاً من السماء !

إننا نسمع ذلك ، ونسمع من ورائه أحاديث الناس فينا ، وأقوالهم عنا ، فهل يجوز مع هذا وذاك أن نشغل الناس « بحديث الأربعاء » ؟

أستغفر الله العظيم ! فإن « حديث الأربعاء » عنوان قديم لكاتب لا أحبه ، كان يتحدث فيه عن الأدب والأدباء ، وإنما أردت أن أقول : « فائدة الأربعاء » فنسيت ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره !

وعلى ذكر الشيطان ، أهمس فى أذن الذين ما زالوا يشغلون أنفسهم ويشغلون الناس بأمره : لست صاحب الموضوع ، وإن صاحبه لمعروف لكم غير مجهول ، فناقشوه صرحاء ، ولا تجعلونى بينكم وبينه ترساً إن كنتم تجدُّون

محمد محمد المدنى

المدرس بكلية الشريعة

M. Arab. 144

عن جريدة حشرة الملاريا

أنا أدعى أنوفيل ولست يونانيا أو مصريا بل أنا دولى ونحن نسكن فى جميع الأقطار ويخشى الناس بأسنا فى كل مكان

لقد مضى زمن كنا فيه أقوى من الملوك والقواد وكنا حال ظهورنا مرهوبين كالموت نفسه

آه كم كنت أتمنى لو كنت من جملة السرب الذى قهر بربروس فى إيطاليا وطرده الوغول الكبير بابار البنجابى .

فان حشرة واحدة منا تكفى لكى تمحى تماما كل المشاريع الجليلة والسبب كان يبقى خفيا لأن هذه الحشرة كانت تعمل فى الظلام

ولكننا لم نركن إلى الهدوء حتى خلال هذه القرون الأخيرة فلا يمكن إحصاء المشاريع التى أخفقت بسببنا والسكان الذين محوناهم فنحن نعكر صفاء كل شىء . فلا يزال الانسان يبنى ويهتم بأشغاله وبملذاته وبغتة أظهر أنا أنوفيل وأنا أطن فرحا بهدوء مفتشا عن محل صغير جميل حيث أركز بسرور وأحفر حفرة صغيرة جداً فى جلد المسكين فامتص بعض نقط صغيرة من الدم وينتهى عملى فأعيد الكرة وأهدم فى ثانيه واحدة عملا دام سنين طوالا يظن أنى بعوض اعتيادى ولا يعرف أنى أنا الأنوفيل ولكن عندما يرتجف من الحمى حينئذ فقط يذكرنى

ولكن خطراً كبيراً يهددنا . فيكفى حسب رأى لجنة الملاريا فى جمعية الأمم ٤٠٠ مليجرام يوميا مدة موسم الحيات حتى يقى الانسان نفسه من العدوى التى أحملها أنا وقد وصف هذه الجنة لمعالجة إصابة الملاريا كمية جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من الكينا يوميا للأخذ منها مدة خمسة أو سبعة أيام فمسى ليس له هذه المقدرة كى يقاوم ملاريا بهذه القوة .

نابليـــون الأديب

للأستاذ صلاح الدين المنجد

حدّثوا أن نابليون كان يرنو ذات يوم إلى البحر الساجي في « سنت هيلين » ، يفكر في أمره : كيف صفّق له النصر ، وابتسمت له الدنيا ، وكيف خانه الزمن فأودى به إلى هـذه الجزيرة الغرق وسط البحار ... فابتسم وصاح : إن حياتي لرواية رائعة ، ما كان ضرني لو كتبتها

على أن نابليون إن لم يسجل هـذه الرواية بنفسه ، فقد سجلها التاريخ ، وحفظها الناس فأكبروا منه ذلك الجبروت الطاغي وتلك العزّة الرفيعة . وكأن نابليون أراد أن يجمع إلى خلود البطولة والعظمة ، خلود الأدب والفن ، فودّ لو يكتب ويؤلف .

ولقد ذهب « سانت بوف » شيخ النقد في فرنسة ، إلى أن نابليون كان أكبر أديب عرفه عصره . واحتج لذلك بروائع خطبه التي كانت تنعش الأمل الذاوي ، وتحيي القلب اليائس . ألم يغر جنوده العراة بكنوز إيطاليا ومحاسنها ؟ ألم يكلم الهرم ويجعل القرون تنظر إلى أشبال فرنسة الفاتحين ... ألم يسكب الحياة في نفوس فرسانه ، هناك في مهول أوسترليتز ... ؟ فلقد كانت فصاحة لسانه وبلاغة بيانه تؤثران في كل قلب ، وتنفذان إلى كل روح ؛ والفصاحة والبلاغة بنتا الأدب البكر الجليل

ولقد ذهب « جاك بانفيل » الكاتب الفرنسي الكبير إلى ما ذهب إليه « سانت بوف » من قبل . ورَجَعَ ذلك إلى أن آل بونابرت كانوا ذوي بلاغة تخلب ومنطق يغري ، وأن قلوبهم كانت ترفّ إلى الفنون والآداب . ولعل ذلك آت عن أسلهم الفلورنسي القديم — وفلورنسة كانت مهد الآداب في حقبة من الزمن — ، ومن أبيهم شارل بونابرت الشاعر الأديب . فلما تسنموا العروش كانوا من حماة الآداب ومشجعي الأدباء . فلقد شجّع جوزيف بونابرت ولويس بونابرت ولوسيان بونابرت حملة الأقلام ، وإن كانوا وجّهوها وجهة خاصة وسخّروها لتوطيد سلطانهم . على أن نابليون وحده كان ذا موهبة قصصية رائعة . فقد كانت أفكاره تتدفق ويومض كالبرق ، ملء بالصور الأخاذة والتعابير الراقصة والألوان البارعة

ولقد كان ميل نابليون إلى الأدب يحبب إلى نفسه كل رقيق لطيف . فقد كانت تؤثر فيه الموسيقى الناعمة ، وتهزه أشعار « أوسيان » الحالمة ، وتعجبه مآسي « كورنيل » المترعة بالفخار المفعمة بالبطولة ، ويطرب « لهيلويز الجديدة » ؛ ويقول عنها : « إن هذا الكتاب سيبقى إلى الأبد كتاب الشباب . ولقد قرأته وعمري تسع سنوات فأطار لبّي وأذهلني ... »

وكانوا يقولون : إن لنابليون خيالاً جباراً ، وإنه كان يختلق الأقاصيص المرعبة ، أقاصيص الجان والشياطين ، والمناصرات والبطولات ؛ يُسمعها رفقاءه في الليل ، أو زوجه وأولاده في ليالي الشتاء .

وقد عُثر في ثنايا الأوراق التي كتبها في صباه ، والتي أودعها بعد واترلو الكاردينال فيش Fesch على أقاصيص ثلاث نشرت في عام ١٨٩٥ في فلورنسة تحت عنوان « نابليون المجهول » ، وقد كتبها في عام ١٧٨٩ عندما كان ضابطاً في « أوكسون » . أما القصتان الأولى والثانية ، فقد قبسهما من التاريخين العربي والإنكليزي . أما الثالثة ، فهي من تأليفه ، وفيها يصور كورسيكياً شيخاً فرّ مع ابنة له إلى جزيرة مصخرة تناطحها الأمواج هرباً من ظلم (قوم) ذبحوا أبناءه وذويه .

وتصرمت أعوام ... وإذا بالعالم البولوني سيزيمون اسكيناري يخرج للناس قصة كتبها نابليون في عام ١٧٩٥ عنوانها « كليسون وأوجيني » : لها صفات القصة الوصفية التحليلية ، وفيها حقيقة يشوبها خيال ، وهي أشبه بما يكتبه الأدباء أول عهدهم بالكتابة .

كتب نابليون هذه القصة وهو يتخطى الخامسة والعشرين من عمره ، أوحاها إليه حبه لفتاة اسمها Desirée Clary وهي الفتاة التي عرف بها الحب الأول . وكان قد رآها في مارسيليا ، إذ أتى إليها بعد أن ذاع اسمه في حصار « طولون » فأحبها . وكان دقيق العود جيلاً ، فألهب خيال هذه الفتاة بعينيه الزرقاوين

وشعره الأشقر ، وكلامه المتدفق كالماء ، اللاهب كالنار ؛ وأسكرها بأقاصيصه الحلوة ، وأطربها بأشعار أوسيان الدائمة . وتحابا . . .

ولم يطل بقاء نابليون فى مارسيليا ، فاضطر إلى السفر إلى باريس ، تاركا حبيبته الصغيرة وحدها . وما وطأت قدماه باريس حتى أرسل إليها رسالة فيها الشوق والحب والحنين ، ولكن أهلها منعوها من الكتابة إليه . فاضطرب نابليون لصمت الحبيبة الصغيرة ، فكتب إليها كتاباً يصوّر لها فيه باريس الفاتنة ليثير شوقها إليه . ولكنها صمتت أيضاً فكتب يقول :

« إن الحياة حُلم رقيق لا يلبث أن يذوب كالضباب . إننى أشعر وأنا أكتب الآن بهياج فى عواطفى ما شعرت بمثله قبل هذا اليوم . ولئن طال هجرها لأقتلن نفسى ، ولأرمين بهذا الجسم تحت عجلات العربات . . . »

ثم عاوده الحنين . فكتب إليها مرة أخرى ، ولكنها لم تحفل به وأعرضت عنه . عندئذ ضاق ذرعاً . . . فكتب لنا قصته هـذه ، وقص على الناس فيها نبأه ونبأ « أوجينى » النادرة ، وكيف نشأ وترعرع ، وكيف أحب وكيف خان الحبيب ، وسمى نفسه « كليسون » وحوّل قليلاً وحوّر

لقد كتب فى قصته : « وُلد كليسون للحرب والنزال ، وكان يعلم سير القواد وهو ما يزال صبياً ، وكان يحب أن يتفقه فى فن القتال مذ كان فى المدرسة يافعاً ، على حين كان رفقاؤه يفتشون عن الفتيات يلهون بهن . فلما قارب السن التى تؤهله للقتال ، أقبل على الجندية مسرعاً . فبرع فى أمورها ، وناداه النصر ، فذاع فى الشعب اسمه ، ونظر إليه الوطن كبطل من أعز أبطاله ، ولكن روحه كانت ما تزال ظمآى للنصر والخلود ، ولقد كانوا يسمون طموحه كبرياء ، وقوة إرادته شدة ، وكان ينظر إلى نفسه البكر فيتأمل فيها ، فيرى أنه أبعد الناس عن الحب . فلقد كان له خيال مشبوب ، وقلب ملتهب ، وعقل راجح ، ولكن فكره كان « بارداً » لا يسعفه بالخاطرة البارعة والنادرة الفريدة فدفعه ذلك إلى الملل من دلال الفتيات والابتعاد عن التلطف والتظرف ، وعن تزوير الجمل واللعب بالكلمات لينال رضاهن وعطفهن

« وكان يحب أن يشرد فى الغابات الخضراء ، لا يحفل بالتعب ولا يخشى العناء ، ليبتعد عن جنون البشرية وانحطاط أهلها

« وكان يستسلم إلى أمانيه ، ويصغى إلى همس فؤاده ، فيخلد إلى العزلة ، وينظر إلى الليل الحزين الهادئ المزدان بأشعة القمر ، ويستمع إلى صوت الطبيعة الخفى ، حتى إذا تنفس الصبح ، عاد حزيناً سادراً لينال قسطاً من الراحة التى ظمئ لها

« وكان يعجب باختلاف ألوان الطبيعة ، يهتز لميلاد النهار ، ويطرب لغروب الشمس ، ويصفق لأغاريد العصافير ، وخرير المياه ، ورفيف السهول . وكان ينفق الساعات فى تأملاته هذه فى أعماق الغاب . . .

« على أن ميوله هذه أفهمته أنه بعيد عن الحرب وفنها ، وعن الدمار وأصوله . وكان يُخيَّل إليه أن تهذيب الشعوب وإسعادها خير من قتالها وقتلها . . . ولكنه كان يسعى إلى التخلص من هذه الفكرة التى لم تطرب نفسه لها

« وفى هذه الفترة يلتقى كليسّون أوجينى مع ترب لها اسمها « إميليا » فعرفهما . وكانت إميليا كقطعة من الموسيقى الفرنسية ينصت الناس إليها بشوق ، أما أوجينى فكانت كأغرودة العندليب أو كقطعة من موسيقى « بازيللو » الإيطالى لا تعجب بها إلا النفوس الرقيقة الحساسة . . . . . .

« ولقد كانت إميليا توحى الحب بجمالها ، أما أوجينى فكانت تعجب الرجل القوى الذى لا يحب تحت سلطان الدلال والذوق ، ولكنه يحب لأنه يشعر بأنه بحاجة إلى الحب . . .

« ومسح فؤاد كليسون - الذى اعتاد النصر والمغامرات - هواه مسحة جميلة ، وأكسبه قوة وصلابة . . . فعلمت أوجينى أن عليها أن تتصل بهذا الرجل العظيم ، ليذيقها السعادة الخالدة . فيكتب لها الخلود

« وزف أوجينى إلى كليسون ، ويرزقان أولاداً ، وبنتاً اسمها « صوفيا » ، وكانت أوجينى زوجة غيوراً ، تخشى شر الفتيات أن يغرين زوجها . . . ولقد غضبت عليه يوماً ، وانفجرت باكية تقول : إذا كنت تريد أن تصدف عن حبى فخذ بهذه اليد التى كانت تداعب حبيبتك - حياتى . . . ولكن نابليون يهدئ روعها ، ويقسم لها ليبقين على العهد ، وليحفظن الود

« ... ويضطر إلى الرحيل ليقود كتيبة إلى المعركة ... فيترك أوجيني تنتحب وتذرف الدمع ، ويحرز نصراً بعد نصر ، وينال شهرة بعد شهرة ، وكانت زوجه ترسل الرسائل إليه كل يوم ، ولكنه كان لا يعبأ برسائلها ، ويحاول أن ينساها ، فيرسل إليها « بيرفيل » الضابط الجميل الذي كان في فجر حياته ، يفتش عن فتاة يودعها قلبه ، فأحبته ، وكان الحب « باسم الصداقة » ، ثم ما لبثت أن نسيت حبيبها الأول كليسون ، وانقطعت عن الكتابة إليه

ويذكر كليسون حبه وهواه يوماً ... فيحن ... ويشتد به الحنين ... ويرى أن فتوره قد جنى عليه ، فيداخل اليأس قلبه ، ويقرر الانتحار ، ولكنه يرسل إليها رسالة يودعها بها ويقول :

« وداعاً أيتها الحبيبة التي قضيت معها أجمل أيامي ... لقد ذقت بين ذراعيك السعادة المسكرة ، وارتشفت لذات الحياة وأطايبها ترى ماذا بقي لأيامي المقبلة غير الملل والضجر ؟ ... لقد ذقت وأنا في السادسة والعشرين من عمري اللذات الفانية ... ولكنك أذقتني بحبك الشعور المذب بالحياة ... إن هذه الذكرى لتمزق قلبي ... أتستطيعين العيش سعيدة دون أن تفكري أبداً في أمر كليسون البائس ؟ ... قبّلي أولادي يا أوجيني ... قبليهم ... ولا تجعلي إليهم روح أبيهم الملتهبة المتأججة ، لئلا يكونوا مثله ضحايا الرجال وضحايا النصر والحب ...

ويرسل الكتاب إليها ... ويقود الكتيبة بعزم ، وإذا به يسقط إلى الأرض « مثخناً بالجراح ... ويموت »

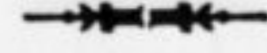
تلك هي القصة الرائعة التي كتبها نابليون وهو في نعومة صباه . وفيها نجد بلاغة تخلب ، وصوراً تغري ، وقسوة ترعب ، وحناناً يهز ولو أن هذا البطل لم يسلك طريق الحرب ، لكان له في الأدب روائع وفرائد ... ولكان أدبه كالربيع الضاحك ، فيه زهور وعطور ، وفيه جمال وصفاء ، وفيه نغمات وقبلات .

(دمشق) صلاح الدين المنجد

مصطفى كامل بمناسبة تمثاله

له وجـــدان . . . !

للسيدة وداد صادق عنبر



حضرتنى اليوم حاضرة من الخواطر المستمدة من فيض عاطفة لها دافع قوى ، وذلك لأننى استلهمتها ميراثاً عن أبى الراحل ؛ وكأننى منها فى صدد واجب مقدس ألقته على فجاءت كتحية قصيرة للزعيم الخالد مصطفى كامل باشا بمناسبة إزاحة الستار عن تمثاله .

فإذا كان قد قيل بالأمس إن الأبوة فى هوى الأبناء ، فإنى أعود فأتم ذلك القول بأن البنوة أيضاً فى هوى الآباء .

فإلى الزعيم الخالد أرسل هذه الكلمات ، إلى صديق أبى العزيز أرسلها تحية خالصة :

على روحك الطاهرة التى ترسل نور العظمة يشعُّ فى عين كل مصرى عرف ما لمصطفى من أياد على الوطن

على وجدانك الحى ، وكم من حىٍّ ليس له وجدان، أو ميت مات وجدانه قبل موته

على ذلك القلب الذى طالما نبض بحب مصر

على طيفك الذى كان أمناً للوطن وعصمة

وقلمك الذى ما أسال إلا كل حجى وحكمة

عليك أيها المثل الأعلى الذى جاهد حتى بلى فى جهاده

سلام هذه الأمة وأبنائها

أى مصطفى ...

هـذا هو الوطن الذى كان كل أملك النهوض به أبداً فى مراقى التقدم درجات حيًّا أصبحت أنت كل ذكره ميتاً

وهذه هى الأمة التى ألفت أعباءها على عاتقك بالأمس تحمل ذكراك فى قلبها اليوم

وما هذا وتلك إلا شهود فضلك وشواهد إخلاصك

وهكذا كنت واليوم ذكراك تكون ...

وهكذا ظللت تكافح وتجادل ، حتى إذا استنفدك الكفاح ، ولم يدع من قوتك الجدال ، هويت فى أرض الميدان . فإذا كانت حياتك عظة للموتى ، فإن موتك أيضاً عظة للأحياء

ولـكن ، أين هم الذين يقدرون فضل المجاهد وحق المناضل الناهض برقى أمته المدافع ؟ ؟

وأخيراً ، أجيب نفسى : كيف أتساءل وهم كثيرون ؟

ها هم أولاء يقفون أمام تمثالك مهللين مكبرين بعـد وفاتك بأعوام عدة ...

وها هم أولاء يسيرون فى الشارع الذى أطلق عليه اسمك العظيم بعد اختفائه سنين طوالاً

أجل ، لقد عرفوك وقدروك وذكروك وعظموك بتلك الأكاليل المعقودة من الحمـد على مفرقك عرفاناً لفضلك وإقراراً لجهودك . وها هم أولاء يهرعون إلى التمثـال لينثروا حوله آيات الذكرى الطيبة

يا مصطفى :

حسبك فخراً أنك يوم ظهرت لم يكن فى مصر سوى مصطفى واحد ...

ثم حسبك أنك نبغت حين كانت مصر تضرب من اليأس فى ظلمات بعضها فوق بعض ، وقد تظاهر عليها عنت السياسة وفقدان العون وخذلان القدر ؛ فكنت الأمل الساطع الذى محا هذه الظلمات فصيرها نوراً من المجد والإسعاد . وكنت القوة الهادية السارية على ذلك الضعف الذى زال . بل وكان عملك بعد ذلك نظاماً دار عليه فلك التاريخ المصرى دورة جديدة

فما كان أنشط كاهلك وما كان أثقل ما عليه من الأعباء ، وما كان أشق المهمة التى سهلها عليك مضاء عزيمتك وقوة ثباتك

بل ما كان أقصر المدة وأبعد المدى

ثم حسبك فخراً يا مصطفى أن كل مصرى كاد يكون مصطفى فى عقيدته

وحسبك أن مبادئك ملء النفوس وذكراك مقترنة بتاريخ مصرنا العزيزة

وإذا كنا اليوم نرى ثمرة الجهاد دانية فحرى بنا ألا ننسى من غرسها وتعهدها بالسقيا حتى أينعت الأثمار . ونحن بعد قد قطعنا وهى بأيدينا شوطاً بعيداً متفائلين ببشراها التى يعتذر لنا بها الدهر فى كل حين

يا مصطفى :

الآن وقد آن لك أن تعود إلينا لا حيًّا تقام لاستقباله المواكب وتنظم لتحيته الـكواكب . بلى ولـكن لتعود تمثالاً ومثالاً أعلى لمجاهد فى سبيل وطنه

مقارنة

فى سبيل إصلاح الأزهر

للأستاذ محمد يوسف موسى



لست فى حاجة للقول بأن الأستاذ الجليل الزيات قد أحسن كثيراً بفتح باب مسألة إصلاح الأزهر ؛ فتلك صيحة يدرك مداها البعيد وأثرها الكبير الأزهريون أنفسهم والذين يلابسونهم ويغشون أنديتهم ومجالسهم . وكان من آثارها الظاهرة ما قرأناه من كلمات ثائرة على الماضى وما ضم بين أطوائه ، وأخرى هادئة رزينة يمد صاحبها بصره قبل أن ينقل قدمه عالماً أنه لا جديد لمن لا قديم له ، ولا مجد لمن يتنكر لماضيه كله . ولعل أهم ما لفت النظر واسترعى الانتباه خاصاً بهذا الأمر فى عدد الرسالة الماضى رقم ٣٥٨ كلمة الأستاذ المعروف محمود الشرقاوى . فقد تناول الموضوع بأناة ورفق شأنه فى أمره كله ، ونظر إلى الأزهر باعتباره وحدة من وحدات الثقافة العالية فى مصر والعالم الإسلامى ، وذلك شأن الباحث الذى لا يغفل عند بحثه الظروف والملابسات وسائر العوامل البيئية

ليس منا من لا يرجو مخلصاً أن يكون الأزهريون ، طلاباً وعلماء ، مُثُلاً عالية لما يجب أن يكون عليه رجل الدين الذى يعرف واجبه ويؤديه كاملاً ، لا يرجو عليه جزاء ولا شكوراً إلا إرضاء ضميره وإحساسه بأنه رجل يحترم ما فيه من الإنسانية والرجولة . وليس منا من لا يعترف — ولو بينه وبين نفسه — بأنه دون الوصول لهذا عقبات ليس من السهل تذليلها فى هذه الأيام ، لعوامل لا يخفى أمدها ، إلا إذا عمل كل فرد منا - بتكميل نفسه - على أن يكون من عمال الإصلاح فى ظاهر أمره وخافيه قبل أن ينادى به : فيساير النهضة العلمية ، ويعرف أبواب المكاتب الخاصة والعامة ، ويتعرف أحوال إخوانه المسلمين والشرقيين ليحس آلامهم ويفهم آمالهم ؛ وبكلمة واحدة يعيش فى هذا العصر لا فى العصور الخوالى وحدها . بذلك يستطيع أن يضع لبنة فى بناء الأزهر الجديد على ما يود المصلحون الغيورون

ولكن هل أمن العدل أن ننعى على الأزهر وحده تخلفه أو تريثه فى طريق الإصلاح ، وأن نقارن بينه وحده وبين أمثاله من جامعات أوربا فنخلع عليه ثوباً قاتماً بغيضاً يصرف عنه النفوس ؟ من الحق كما يقول الأستاذ الشرقاوى إن أردنا أن نقارن بين الأزهر وجامعات أوربا ، ألا ننسى أنه فى مصر التى لم تبلغ بعد شأو أوربا فى كثير من النواحى الاجتماعية والثقافية ، كما لم يبلغ متزعمو الحركة الفكرية هنا مبلغ رجالات العلم والفكر هناك . وإنى سأكتفى اليوم بذكر مثال واحد لعل فيه عظة وعبرة ، ولعله يكون حجزة دون من يود بجدع الأنف أن يمحى الأزهر من الوجود فلا يصبح له ذكر إلا فى التاريخ

عند ما كنت بباريس فى الصيف الماضى رأيت أن أتصل ببعض علمائها النابهين فى الدراسات الإسلامية الفلسفية ، فبدأت بالأستاذ ماسِّينْيون وهو من نعلم علماً ومكانة هناك ومن يفخر كبار خريجى جامعة باريس بالأخذ عنه والاتصال به . تفضل واستقبلنى فى مكتبه الخاص بمنزله ، وأعطانى من وقته الثمين أكثر من ساعتين ضاعتا فى حديث علمى رفيع ونصح وتوجيه وإرشاد بينما طلابه المديدون وعارفو فضله فى الانتظار ، وخرجت على أن أعود مرات أخرى . وما كان أشد عجبى

الآن وقد عدت إلينا — وشتان بين العودتين — عدت إلينا مثلاً حياً وفكراً دائماً

فإليك تحية الوطنيين

إليك أيتها القوة الوطنية التى رفعت رأس مصر عالياً

إلى العزيمة المصرية التى أضحى بها مجد الوطنيين حالياً

إلى المقدام البصير الذى أغلى قدر وطنه فأمسى فى الأقدار غالياً

إليك أيها المجاهد تحية أمتك أولاً وآخراً

وإنك لحى دائماً بذكراك — حى بآثارك — حى فى وطنك الذى يبكيك وتاريخه الذى يذكرك ويناجيك - حى بمواقف الصدق التى وقفتها ووطنيتك الصادقة وجهودك التى ضحيت لوطنك بها وبذلتها

فليحى ذكرك الذى لم يكد يخرجك لنا من الدنيا جسداً هامداً حتى أرجعك إلينا فكراً خالداً

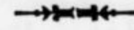
ولتحى ذكراك حياة تكافىء جهادك المضنى فى سبيل الحياة

وداد صادق عنبر

أسلوب الرافعي

وطريقته في كتابته

للأستاذ محمود أبو رية



حمد الناس للرسالة الغراء جميل وفائها لصديقها المغفور له « مصطفى صادق الرافعي » وشكروا لها احتفاءها بذكراه الثالثة فكتبت بمناسبتها ما كتبت ، ولا ريب في أن صنيعها هذا مع إمام من أئمة الأدب إنما هو وفاء للأدب الذي وقفت نفسها على حياطته والقيام عليه

ولقد كان مما كتب في هذه الذكرى مقال بليغ لصديقنا الأستاذ سعيد العريان كان مما جاء فيه أنه قال عن طريقة الرافعي في تأليف مقالاته ما وسعه أن يعرفه ، وأن ذلك مبين في كتاب « حياة الرافعي » وفي الحق أن ما ذكره صديقنا سعيد صحيح لا ريب فيه ، ولكن ذلك لم يكن شأن شيخنا الرافعي من يوم أن أمسك القلم للكتابة ؛ وإنما كان ذلك في منتصف سنة ١٩٣٢ فحسب ، ذلك أنه لما كتب مقال (فلسفة الأدب) في صيف هذا العام أخذ يسأل أهل البصر بالأدب عن قيمة هذا المقال وبالغ في السؤال ، ولما سألته عن سر اهتمامه بمعرفة آراء الأدباء فيه أجابني بخطاب تاريخه ٢٦ يولية سنة ١٩٣٢ قال :

« إنما اهتممت بمعرفة الرأي في مقال فلسفة الأدب لأني كتبته بطريقة لم تتفق لي من قبل في غيره ، فإني لما أردت كتابته بعد كتابة فصل ابن الرومي انتكست فجملت أدون ما خطر لي وقتاً بعد وقت ثم أخرجت المقال من هذه الخواطر واختصرت كثيراً ولم أزد شيئاً . وهذه هي الطريقة التي يكتب بها كبار العلماء في أوربا ، ولكن الوقت يسعهم ولا يسعنا »

من ذلك يتبين أن الطريقة التي بينها صديقنا الأستاذ سعيد في كتابه « حياة الرافعي » عن كتابة الرافعي لمقالاته إنما كانت في صيف سنة ١٩٣٢ فحسب ، وكان مقال (فلسفة الأدب) أول ما كتبه بهذه الطريقة

ولقد رأيت بمناسبة القول في طريقة كتابة شيخنا الرافعي وأسلوبه أن أوافي قراء الرسالة بما قاله هو عن أسلوبه عندما سأله العالم الجليل يعقوب صروف : لم لا يكتب بلغة سهلة يفهمها كل الناس كما كتب في (تاريخ آداب العرب) :

في صباح اليوم التالي حين أخبر أن هذا الأستاذ الجليل جاء يرد لي الزيارة ! أي والله سيدي القارئ إني لا أمزح ولا أزيد ؛ فقد جاء الأستاذ ماسينيون للنزل المتواضع الذي كنت فيه ، ولم يمض على زيارتي له يوم وليلة ، شاكراً تفضلي — كما قال — بزيارتي له ! وأهدى إليّ عدداً من مجلة علمية تعنى بالدراسات الشرقية والفلسفية الإسلامية تضمن الكثير من بحوثه

لم أصل بعد لما أريد ، فهاك بقية الحديث : رأيت بعد هذا ، أو رأى رفيق سوري كان معي ، أن أسعى لزيارة الدكتور طه حسين بك رجاء أن أصيب من فضله وتوجيهه ما يساعدني في دراستي ، ولم يثنني عن الرغبة في الاتصال بالأستاذ الكبير ما أعلمه من العداء بين الأزهر وبينه ، وهو عداء ليس من صالح الأزهر ولا الجامعة أن يدوم

اتصلت إذاً بالمنزل الفخم الذي كان مقيماً به بالتليفون فقيل لي إنه ليس موجوداً وكان ذلك قبل الظهر. عاودت الاتصال بعده فقيل إنه على المائدة . وأخيراً اتصلت مدة ثالثة ورجوت محدثي أن يبلغ حضرة الدكتور رجائي أن يتفضل باستقبالي في الوقت الذي يحدده ، وتركت له رقم تليفون النزل الذي كنت مقيماً به . وهأنذا لا أزال أنتظر الرد من المواطن الجليل !

أرأيت إذاً ، قارئي العزيز أنه قبل أن تطلب من الأزهر أن يكون كأمثاله من جامعات أوربا ، يجب أن نطلب من كبار رجالنا وخاصة الذين عرفوا أوربا وتخرجوا في جامعاتها ، أن يكونوا كرجالاتها !

ذلك خاطر أوحى إليّ به كلمة الأخ الجليل محمود الشرقاوي . على أني أرى أن ذلك ليس معناه ألا نطالب بإصلاح الأزهر ؛ بل على الضد من هذا أعتقد أن الأمر جد ، وأن الأزهر في حاجة ماسة للاصلاح ، وأنه واجب ديني ووطني أن يساهم كل قادر في هذا السبيل برأيه وجهده . إن الأزهر إن تخلف طويلاً عن القافلة تناساه الناس وطواه الزمن فصار من أحداث التاريخ ، وحينئذ لا قدر الله يذهب آخر مجد من أمجاد مصر التالدة ويضيع المعقل المنيع الباقي للاسلام ، والله يهدينا طريق الرشاد

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

« ... تمنيتم لو جريت في إنشائي كله مجرى أسلوبي في « تاريخ آداب العرب » ومقالاتي الأخرى ، ولوددت والله أن أرفه عن نفسي ، وأطرح عني الكد فيما عالجته من أسلوب : حديث القمر والمساكين ورسائل الأحزان والسحاب الأحمر ؛ ولكني أجدني كالمسخر في ذلك لقوة تساورني في أوقاتها وتهب عليّ كالريح من سكون وركود ، فلم أفكر قط في كتاب من هذه الكتب ، ولكن تقع الحادثة ، فيجيء بها الكتاب ، ثم أرى من بعد صوته وتملق المتأدبين به ما لم أكن أقدر بعضه وتنتهي إلى آراء مشيخة الأدب وطلابه ؛ فإذا هم لا يعدلون بهذا الأسلوب شيئاً في نسقه وألفاظه ومعانيه ، ثم لا يعيبه إلا من قصر عنه وشق عليه النزوع فيه وكابر في الإقرار بعجزه ، فذهب يلتمس المعاذير والمعايب ، وأخذ في ذلك مأخذ فرعون إذ جاءته امرأة فقيرة كانت هي وأطفالها يعيشون على دَرٍّ (عنزة) لهم ، فماتت ، فأقبلت المسكينة بها على هذا الذي يدعى الألوهية ويقول أنا ربكم الأعلى وسألته أن يحييها ، فاعتذر بأن في السموات أعمالاً كثيرة أكبر من العنزة ...

أرى المتأدبين يعرفون لهذا الأسلوب ما يعرفه رجال التربية والتعليم من أساليب إنشاء التصور وإرهاف الذهن وتدقيق الخيال وقوة الطبع اللغوي وصقله وإدارة الحس عليه . ثم هم يقولون إن موضعه من هذا الكلام الخنث المتهالك الذي ترمي به الأقلام المريضة في هذا العصر موضع الفحولة التي لا بد منها في الخليقة لإيجاد القوة التي لا تكون إلا بالفحولة وإشعار الهيبة التي لا تكون إلا بالقوة . فنحن في زمن كل كاتب فيه قادر على أن يرسل مداده ، يعطر وحلاً لغوياً ، حتى كل من يعرف القراءة هو كاتب إن صحح أو أفسد ، وإن أصاب أو أخطأ ، وإن أخذ اللغة والكتابة عن معجماتها ودواوينها ومدارسها ، أو أخذها من الروايات والجرائد والأسواق

يقولون هذا ويضيفون إليه أن الفصاحة العربية كادت تنقطع أمثلتها العليا ، وأنه لم يعد يكمل أحد في صناعة الكلام وأن زمننا هذا حين ينقلب إلى مرآة التاريخ فينظر فيها ، سيرى وجهه متورماً مخدشاً مضمداً ملفوفاً بالجرائد ... وليس عليه سِمَة جمال ولا فيه من الأدب منظر قوة ، وأن اللغة أصبحت أشبه بالبيت المتداعي الذي يريد أن ينقض لا تسمع من أهله ولا من جيرانه ولا من السابلة في طريقه إلا « هدوا هدوا إلى الأساس »

عَلِم الله يا سيدي الشيخ أني ما كنت أصبر على مصيبة البلاغة ... لولا ثقتي بأجرها ولولا استئناسي إلى المعزين فيها ، وهم جمهور أهل الأدب إلا قليلاً يعزيني بأسلوب آخر يضحكني أحياناً

أما هذا الذي يسمونه غموضاً وتدقيقاً فما أنا بصاحبه ولا العامل فيه ، ولكنه طور من أطوار الزمن لا بد أن يسبق نهضة التجديد كما سبقها من قبل . فلقد كانوا يصفون به سيدي شعراء العربية قاطبة أبا تمام والمتنبي ، حتى قالوا في أبي تمام إنه أفسد الكلام وأحاله وعقّده بتعمله وصناعته ، وإنه أتعب الناس حتى صار استخراج معانيه باباً مفرداً في الأدب ينتسب إليه طائفة من العلماء ، وإن أعرابياً سمع قصيدته التي مطلعها : طَلَلَ الجميع . فقال : إن في هذه القصيدة أشياء أفهمها وأشياء لا أفهمها ، فإما أن يكون قائلها أشعر من جميع الناس ، وإما أن يكون جميع الناس أشعر منه . وهذه شهادة بأنه أشعر من جميع الناس ولا ريب إذ يستحيل أن يصح الشق الآخر . ثم كان جمع من كبار الرواة يتعصبون عليه كابن الأعرابي والرياشي وغيرهما ، بل قد بلغ من تعصب الرياشي عليه وعلى البحتري أن قلّت نسخ ديوانيهما بالبصرة في زمنه لزهد الناس فيهما . ولقي المتنبي شراً مما لقي أستاذه ومثله الأعلى الذي يقلده ويحتذي عليه ! ومع ذلك انحدر الشعر كله في طريقتهما إلى عصرنا هذا

ولقد كان المتنبي تَخْمُلَ اسمه ومُحي من لوح الزمن لو كان يعيب البلاغة عيب يكون معها . فقد قال فيه الإمام العسكري : لا أعرف أحداً كان يتتبع العيوب فيأتيها غير مكترث إلا المتنبي ، فإنه ضمن شعره جميع عيوب الكلام ما أعدمه شيئاً منها . قلنا ولكن جميع عيوب الكلام (بهذا الحصر) لم تزد على أن كانت من أقوى الأسباب في تخليد حسنات الرجل

إن أرفع منازل البلاغة العربية ، كما قالوا ، أن يكون في قوة صانع الكلام أن يأتي مرة بالجزل وأخرى بالسهل ، فيلين إذا شاء ، ويشتد إذا أراد . ولا يبلغ هذه المنزلة أحد فيحكمها ويعطيها حقها من التمييز إلا جملته الأقدار وسيلة من وسائل حفظ البلاغة يتسلم الزمن ويسلّم ، بل قل بالألفاظ الصريحة المكشوفة : يتسلم لغة القرآن ويسلمها . فأما أسلوب واحد وطريقة واحدة فهذا في قوة كل كاتب على تفاوت فيه ، ولن يكون الرجل

حق رجل إلا إذا كان له مع الظرف واللين والدماثة حديداً من العضلات وفولاذاً من العظام ، فإن لم يكن إلا اللين محضاً والاسترسال خالصاً فهذا أصلحك الله شيء سمّه ما شئت إلا أن تقول إنه رجولة . فإذا لم يبلغ كل الناس ولا أكثرهم هذه المنزلة فذلك أحرى أن يعد في محاسن من يبلغها لا في معايبه

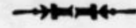
ألا لا يحسبنّ أحد أن للفصاحة العربية هالكة بحياة طائفة من مرضى القلوب كهؤلاء الكتاب الذين يعملون جهد هم في إفسادها، فهم مهما كثروا تنتظرهم قبور بعددهم. وفي هذه البلاغة العربية خاصة ينبغ الكاتب الواحد في عصر من عصور الضعف. فإذا ألف كاتب يتساقطن حوله، وإذا الكاتب كان سنّة من سنن الكون تضرب ضرباتها بالقضاء والقدر »

هذا هو قول شيخنا الرافعي من خطه عن أسلوبه وطريقته في كتابته نقلته للرسالة وهي أحق به ليعرف الناس هذه الطريقة من قوله هو ويكونوا على بينة من ذلك . ولعل فيما نقلناه إيضاحاً لناحية من دراسة أسلوبه وبياناً لجانب من ترجمته رحمه الله .

محمود أبو رية

رســـالة كلية الشريعة

الى الأستـــاذ الأكبر



دعوة الاصلاح تتقلب في الناهضين عملا وفي الجامدين جدلا . وفي هذه الرسالة وفيما تقرأه في بعض الصحف لفقهاء بيزنطة مصداق ذلك . (الرسالة)

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فإن أبناءكم طلبة كلية الشريعة الذين يعيشون في ظلال عهدكم السعيد قد تدبروا فيما يتصلون به من حياتهم العلمية وعلاقتهم العملية فاتفقوا على أن يتشرفوا برفع هذه الرسالة لفضيلتكم. يا صاحب الفضيلة – في عصركم الذهبي الذي تبذلون فيه مجهوداً جباراً في نفض غبار الخمول والكسل عن وجه الأزهر ليستطيع أن يطل برأسه على الحياة العامة فيستأنف رسالته ويؤدي أمانته على الوجه الذي ينبغي له، نرى في الوقت نفسه أن جهوداً من جانب آخر تتضافر على الحيلولة بين الأزهر وبين رسالته وإبعاده عن الحياة العامة بشتى الوسائل ومختلف الطرق فتارة بتحصين دار العلوم وأخرى بإنشاء معهد للدراسات الإسلامية ، ولا يبعد أن نسمع بفكرة أخرى هي إنشاء قسم للوعظ والإرشاد بإحدى كليات الجامعة، كما سبق العمل على تحقيق ذلك لولا عناية فضيلتكم ، وطوراً بالعمل على إقصاء كلية الشريعة عن القضاء في الأحوال الشخصية وهي البقية الباقية من التشريع الإسلامي وإحلال كلية الحقوق محلها بحجة توحيد القضاء، وطوراً بإنشاء عدة إدارات للشؤون الاجتماعية وحرمان الأزهر من إدارة للشؤون الدينية تكون مهمتها توجيه ثقافة الأمة من هذه الناحية مع أن الدين هو الأساس الذي يجب أن تقوم عليه ثقافة أمة هي حاضرة الإسلام والمسلمين ، ومن وراء العمل على إبعاد الأزهر عن نواحي الحياة العملية نرى حملة صحفية تنادي بوجوب التخلص من نفوذ رجال الدين ؛ وفيما بين جهودكم التي تبذلون والمناوءات التي يهايقومون ضد الأزهر ، نرى أن الأزهر نفسه قابع في داره ماض في طريقته القديمة التي تضعف صلته بالحياة العملية . أما هذه الجراثيم الفاتكة التي تنخر في عظامه ، وأما هذه السهام القاتلة التي توجه إلى قلبه ، وأما الكشف عن أسرار التشريع الإسلامي وإقناع الأمة بصلاحيته لسعادة المجتمع حتى نستطيع حماية الأمة من نفثات الإباحيين وتحصين الأزهر من معاول الهدامين ؛ فكل هذا لا يخطر بمخيلة أحد من الأزهريين ، اللهم إلا بعض صيحات نسمعها في سماء الجمعيات ودور المحاضرات وعلى أثير الإذاعة تنادي بالخروج من هذا الجمود ؛ وتحرير الفقه الإسلامي من هذه الأغلال والقيود التي شوهت جماله وحالت بين الناس وبين معرفة مزاياه

في هذا الوقت الذي تتردد فيه فكرة الرجوع إلى التشريع الإسلامي تهب طائفة أخرى من الإباحيين اللادينيين لمناهضة هذه الفكرة والعمل على إماتتها

أمام هذا الصراع الذي تندلع نيرانه بين فكرتين خطيرتين : فكرة الرجوع إلى أحضان التشريع الإسلامي والتفيؤ بظلاله ، وفكرة التمادي في ارتشاف سموم الحضارة الغربيـة والاندفاع

فى تياراتها لا نستطيع نحن طلبة كلية الشريعة أن نقف فى مهب هذه العواصف والنزعات موقف المتفرج أو الخائف المهيب ، وبهذا النزاع المحتدم يتعلق مصير الإسلام وهو مصيرنا . فما أحرانا بعد أن دوى فى سمعنا من قلبكم الطاهر صوت الإسلام الوديع ، وعصفت فى رأسنا نخوة الفقه الإسلامى الصريع ، أن نتيمم ساحتكم وأنتم قلب الإسلام الخافق ولسانه الناطق وعنوان نهضتنا ومعقد آمالنا لتضموا إلى برنامجنا الدراسى برنامجاً ثقافياً يمشى مع روح العصر ويساير النهضة حتى نقوى على خوض معارك الحياة الجادة وننهض بالفقه الإسلامى إلى مستواه الحق

يا صاحب الفضيلة

١ — على عاتق كلية الشريعة وحدها يجب أن يسترد الفقه الإسلامى شبابه ويستأنف ماضيه

٢ — على عاتق كلية الشريعة وحدها يجب إنقاذ الأمة من مخالب القانون الوضعى ببيان فشله فى قمع المجرمين والجناة

٣ — على عاتق كلية الشريعة وحدها يجب إقناع الأمة بأن الفقه الإسلامى هو دواء هذه الأمة المنكودة وبلسم جراحاتها .

٤ — على عاتق كلية الشريعة وحدها يجب أن تخفق للفقه الإسلامى القلوب وتهفو له النفوس وتنحنى له الرؤوس

٥ — على عاتق كلية الشريعة أخيراً يجب أن يبسط الفقه الإسلامى جناحيه على جميع مناحى الحيـاة التشريعية ويمد يديه فى كل ناحية تقنينية

هذه هى التركة المثقلة بالديون التى خلفها لنا الأقدمون ، وهذه هى المسؤوليات الجسام التى يجب أن تقوم بها كلية الشريعة خير قيام ؛ وهل هناك من يضطلع بهذه الأعباء إلا كلية الشريعة التى أنشأتموها لتقوم بهذه المهمة وسط هذه الزوابع والأعاصير ، ولكنها بحالتها الراهنة لا تستطيع النهوض بهذه الأعباء ، وذلك لما يأتى :

أولاً : إن دراستها للتشريع الإسلامى دراسة بعيدة عن روح التشريع وبيان أسراره فى كل باب من أبوابه

ثانياً : قصر دراستها للفقه الإسلامى فى صور تمثل حوادث وأحوال أناس خلقوا وعاشوا فى عصر غير عصرنا وزمان غير زماننا ، وعدم استعانتها فى دراستها بأساليب العرض العلمى الحديث

ثالثاً : عدم قيامها بدراسة القانون الوضعى

لذلك كان طبيعياً أن تشعر كلية الشريعة ببعد الشقة بينها وبين الأمة ، بينما تهيأ شقيقتاها عن طريق الوعظ واللغة لأخذ نصيبهما فى الحياة ؛ وإلا فأين منا الفقيه الذى يستطيع كما تذكرون فضيلتكم أن يحل مشاكل العصر ، وأين منا الذى يستطيع أن يسير على نهج فضيلتكم فى التفكير فينتج إنتاجكم فى القضاء والتشريع ؟

يا صاحب الفضيلة :

لعل الساعة تكون قد حانت لوضع حد لهذا النقص فى دراستنا بتحقيق هذين المطلبين فى أوائل العام الدراسى القادم وهما المطلبان اللذان نرى أنهما وحى من وحى روحكم وأمنية من أسمى أمانيكم

المطلب الأول : أن ينتظم برنامجنا الدراسى إلقاء سلسلة من المحاضرات الأسبوعية فى موضوعات لها صلة بدراستنا وبمشاكل الأمة ، تكشف لنا القناع عن كنوز الفقه الإسلامى الغنى بأعظم الثروات وأحدث المبادئ ووجه صلاحيته لإنقاذ الأمة من براثن الفوضى التى تعانى آلامها فى جميع مناحى حياتها الاجتماعية ، والسياسية والمالية ، على ضوء الحوادث المتجددة والنظريات الحديثة ، على أن يقوم بتنظيم هذه المحاضرات وإلقائها أكفاء نابهون من العلماء الذين لهم جولات فى هذه الأبحاث ووقفوا على أسرار التشريع ، وأحسنوا عرضها ، وعلى عيوب المجتمع ، ووضعوا علاجها .

المطلب الثانى : بعث فكرة دراسة القانون الوضعى مقارناً بالقانون الشرعى

بإجابة هاتين الرغبتين تستطيع كلية الشريعة أن تظهر نشاطها فى دائرة أبعد مدى وأوسع أفقاً ، فتشارك الأمة فى تشريعها وتقنينها بعد أن تظهر الفقه الإسلامى قانوناً محكماً يعالج مشاكلنا الحاضرة . فبالرغبة الأولى يمكن الوصول إلى النتائج الآتية :

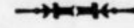
أولاً : إقناع الأمة وعلى رأسها المتقننون الوضعيون بأن التشريع الإسلامى هو العلاج الوحيد الذى يشفى النفوس من عللها ، ويقى الجماعات من أمراضها ، وما أجدرنا بإحراز هذا النصر فى مصر بعد أن أحرزه الأزهر فى لاهاى

ثانياً : بتحقيق هذه الرغبة تستطيع تطبيق أحكام التشريع على كل ما جد من الحوادث والمعاملات التى لا تنتهى . وبالرغبة الثانية يمهد لنا الطريق للوصول للنتائج الآتية :

الى أخى الطنطاوى

ولكنها دمشق !...

للأستاذ شكرى فيصل



[سيلمح القراء فى هذه الكلمة بعض النواحى الشخصية . . ولكنهم سيجدون صورة من صور الصراع النبيل القوى فى الحياة ... وليس أحق من الدكتور « زكى مبارك » : شيخ المصاولات والمطاولات فى عالم الأدب ، بهذه القطعة ... فليتقبلها فى معتكفه الهادئ ... على طرف الصحراء]
« شكرى »

أخى الأستاذ على :

الآن أرسلتُ يدى بعد أن مسحت بهما دمعتين اثنتين غشيتا عينى وانحدرتا على خدى كقطرات الندى الناعم حين يترقرق على أوراق الزهر الرفاف فى ربيع الغوطة الفاتن ... ولقد أخذت القلم لأكتب لك ، وأنا لا أدرى أى شىء كانت هاتان الدمعتان ... أكانتا تطفئتان نار الوله والحنين ، أم ترثيان لوضع البلد المسكين ، أم تترجمان عن فرحة القلب بالأمل المؤيد والنصر المبين ؟ وهل كنت أملك إلا هاتين الدمعتين ، وإلا هذا القلم أفزع إليه كلما عبث بى الشوق ، أو ماجت بى الذكرى ، أو استثارنى الحب

لقد قرأت زفرتك هـذه التى سطرتها بدم قلبك الفائر ، وعزم شبابك المضطرم ؛ فبعثت فى نفسى عالماً كبيراً ... بكل ذكرياته وأحاديثه ... ما كان أشد حرصى على أن أدفنه وأنطوى عليه ؛ وأثارت فى ذهنى صور الماضى البعيد بكل ما كان يصطرع فيه من آمال ، ويفيض فيه من خواطر . . . ونعمت حيناً بهذا الجو العبق الذى فنيت به ، وعشت معك من جديد ساعات تقلبت فيها مع الزمن الدائر ، وجريت مع الأيام المتعاقبة ، وقرأت هذه الصفحات المشرقة التى خططتها بيديك فى كتاب الحياة ، وعاودت قراءتها وانغمست فى نعيمها حيناً وفى شقائها أحياناً ... ومضيت مع فرحتها مرة ، ومع شكاتها مرات ، وخرجت وفى قلبى يقين ، وعلى شفتى ابتسامة ، وفى عينى بريق من الأمل الضاحك

لقد عرفتَنى ناشئاً حين كنت أسير مع أخيك بين المدرسة والبيت ... صغيرين وادعين ... لا نعرف آلام الحياة ، ولا نفقه مصاعب الدنيا ، ولا ندرك من هذا العالم إلا جنة المدرسة ونعيم التلمذة وصفاء القلب ... فكنت تلقانا بالرعاية ، وتصلنا بالعطف ،

أولاً : معرفة العلل المختلفة للمجتمع المصرى والوقوف على موطن الضعف فى القانون الوضعى وكيف حاول المقنن المصرى وضع العلاج فلم يفلح فنستطيع أن نضع يد الأمة على مصدرداتها ومعين دوائها ونصف لها من التشريع الإسلامى علاجها على ضوء الظروف والبيئة المحيطة بها

ثانياً : نستطيع أن نحسن صوغ التشريع الإسلامى وتنسيقه ، فمن المسلم به أن جمال الصيغة وحسن الترتيب لهما دخل كبير فى إقبال الأمة على أحكام الشريعة وتعرف نواحى الفضل فيها . ولو أن سلفنا القريب قدرنا فى هذا من خير وصاغ تلك الأحكام فى الثوب الذى يلفت الأنظار إليها ، ويتمشى مع طرق العرض الحديث لما وصلنا إلى هذا المصير المؤلم

ثالثاً : بتحقيق هـذه الرغبة تستطيع كلية الشريعة أن تثبت أهليتها للنهوض بأعباء الحياة التشريعية وأن تشعر الأمة بحاجتها إليها وعدم الاستغناء عنها

مما تقدم يتبين أن تحقيق هذين الطلبين يمكن كلية الشريعة من الاضطلاع برسالتها التى فرضها الله عليها فتشتق من عناصر الفناء التى تحيط بها خلوداً وتتخذ من خصومها جنوداً وتشق طريقها فى الحياة وهى أقوى يقيناً وأصلب عوداً

لهذا رفعنا رسالتنا إلى ساحتكم وكلنا أمل فى أنها ستجد العناية من فضيلتكم وستظفر بالرضا من جانبكم ، لأنها ثمرة من ثمرات غرسكم وبريق من نور قلبكم . أبقاكم الله للاسلام ذخراً وللأزهر فخراً .

***

(الرسالة) : علمنا أن الأستاذ الأكبر قد وعد بتحقيق الطلب الأول . أما الطلب الثانى فوعد فضيلته بمفاوضة ولاة الأمور فى فتح أبواب كلية الحقوق أمام من يجيد الفرنسية من حملة الشهادة العالية من كلية الشريعة

وتفيض علينا ألواناً من الحنان ... فعرفتُ فيك الأخ البر، وقد حرمتُ في الحياة من نعيم الأخوة ... وأفضيت إليك ذات يوم بكل ما في نفسي ... بكل ما يموج فيها وما يضطرب عليها . فكنتَ بعدُ كثير السؤال عني إن غبت ، كثير العناية بي إن حضرت، واقترنت صورة أخيك في ذهنك إلى صورتي فجعلت منهما إنساناً واحداً تضمر له أنبل الشعور وأصدق العاطفة ... ثم كانت إرادة الله فانصرفت أنت إلى بغداد ، ومضى هو إلى باريس ، وسعيت أنا إلى القاهرة . وبقي « ناجي » وحده في دمشق يرعى فيها عهود الصبا ومراتع الأنس ، ويمدنا منها بالروح والريحان

وفي خلال هذه السنوات كنت أتعرف إلى نفسك الكبيرة وكان يتفتح لي منها آفاق وعوالم ، ولقد أكبرت فيك هذا الجلد وهذا الصبر... فما بالك تشكو اليوم، وتنفث هذه الشكاة على حين احتملت من قبلُ الأهوال والمشقات ، ضاحك السن ، منطلق الوجه ، لا تأبه ولا تهتم ؟ ولكن سامح الله قاسيون ، وهذه السهول المنطلقة عند قدميه يدغدغها النسيم فقد شجتك واستثارتك ...

* * *

... وهل كانت الأولى هذه العماية عن الأدب ، وهذا الإهمال للعلم ، وتلك الرعاية للجهلاء ؟ وهل كنت تأمل من هؤلاء الذين عاشوا في الظلام أن يدركوا النور ، وأن يفتحوا عيونهم له ، وأن يغفلوا عن الوحي « الأرضي » الذي يسيرهم في كل ناحية ، ويمضي بهم في كل اتجاه ؟ وماذا كان حديثك لنا حين كنت تبعث فينا حمية الأدب ، وعقيدة العلم ، إلا أننا سنصادف غداً في معترك الحياة هذا الإنكار وهذا الجحود . وأنه يجب علينا أن نصبر عليه ونصمد له ونمضي في مقاومته ، وأننا سنحمل في أيدينا مشاعل الدعوة الكبرى التي تريدنا دمشق أن ننهض بها، وستصيب النار المقدسة من أجسامنا فتكوي أكفنا وتنثر الشرر على أجسادنا وتنالنا بما تنال به جنودها المخلصين من الامتحان والابتلاء ... فلا يجب علينا أن نتخلى عنها ، لأنها دعوة الحق والصدق والخير تريد أن تنبعث من جديد في دمشق لتعم الدنيا ، وتبهر العالم

إن دنيا الأديب لن تخلو من أنماط من الجحود ... هكذا قلت لنا ... وإن رسالته لتصادف ألواناً من الصعوبات ، وأصنافاً من المشقات ، حتى لكأن الله قد أراد له أن تصهره الشدائد ، وأن يصقله الحرمان حتى يكون إنساناً آخر في إحساسه المرهف وشعوره النبيل ، وعواطفه المتدفقة

وهل تخلو حياة الأدباء من هذا الصراع المنيف بين النور المتدفق الثر ، وبين الجهالة الكابية المعتمة ؟ وماذا يريدون منك حين يحولون بينك وبين العدل ، ويحاولون أن يقصروك على منصب « الأستاذ المعاون » إلا أن يصرفوك عن الدعوة النبيلة التي قدحت شررها ، وأثرت نارها ، ونشرتها في كل قلب ؟!...

نحن لم نخلق لهؤلاء البغاث ، وسيذهب أولئك الذين يتخذون منقار النسر وجناحه ومخلبه . وستبقى رسالة دمشق العالية ، وسنحتمل الأذى ، وسنذوق مرارة الحرمان اليوم ، لنبلغ حلاوة الظفر غداً . وثق أنك لست وحدك في هذا الاضطهاد والحرمان ، ولكنها سبيل مرسوم ، وسهم مسموم ، يقذفون به عباد الله الذين لا يستطيعون هز الرؤوس للمهالأة ! وحني الظهور للنفاق، وإلا فما تقول ياسيدي وماذا يقول الناس عنا نحن هنا ؟ يبعثون بنا إلى القاهرة : أروع بلدان الشرق وأزخرها بالحياة والنشاط لنمثل مدينة من أكرم المدن ، وأمة من أنبل الأمم ، ثم يبخلون أن يسووا بيننا وبين البعثات الأخرى التي يوفدونها إلى باريس وغير باريس ؛ فيقدمون لنا المرتب — والحياء يعقل لساني عن أن أقولها ـ جزءاً من خمسة أجزاء من مرتب عضو البعثة ... كأن القاهرة بلد آخر غير باريس ... وكأن الطلبة يأكلون هناك ويصومون هنا ... أجل !... ولم لا يصومون ؟... في جوار الأزهر ، وعلى مقربة من سيدنا الحسين ليتضاعف ثوابهم ، ويجزل أجرهم ! ..

* * *

وأحسب أن الحرمان سيمتد بك وبإخوانك ؛ فما يؤذي هؤلاء في الدنيا أكثر من الصراحة والحق ... ولكنك لن تني عن « رسالتك » ، ولن تتخلى عنها ... وإذا لم تجد في جماعات الوزارة ، ورجالات الديوان ، من يمتّ إليك بسبب ، أو ينهض معك في حق ... فتلك إرادة الله أن تكون صفحتك في كتاب الحياة بريئة ، إلا من نصرته وتأييده ... لقد اقتحمت الحياة ، وصارعت أمواجها طفلاً ليس معك إلا والدتك عليها رحمة الله ... ولقد حملت إخوتك على كتفيك في هذا الخضم المائل ، وتعرضت لألوان من الشدة ومن النكد ، حتى صعدت بهم إلى هذه المنازل

السامية التي ينزلونها ... وأصبت بين هاتين المرحلتين ما لا يعلمه إلا الله ... وإلا هذا العدد اليسير من إخوانك ، وتقلبت بين بيروت وبغداد والقاهرة ... وحفظ لك الناس صورة بارعة تحوطها هالات الإعجاب والإكبار والتقدير ، فليهنك هذا ... وليهنك أنك ساهمت في كل مشروع ، وأنك تقدمت لكل عمل منذ كنت يافعاً في الثانوية ، وشاباً في الحقوق ، وقائداً وخطيباً في لهب الثورة وجحيم الاضطرابات ... فتاريخك — مع هذه الحفنة الصادقة من الشباب — أبعد من أن تحده بهذه الحدود الضيقة من الوزارة والديوان ، وما عليك أن تلقى اليوم هذا الضيق ، وهذا التجاهل ... فذلك تأريث لعزتك ، وإيقاد لشعلتك

* * *

أما الشهادات ... هذه الأوراق السحرية التي يحملونها حين يترجمون نصاً لابن المقفع ، أو يميزون بين مضارع « قال » ، ومضارع « وعد » ... ويعودون بعدها من أهل العربية ... فهي ليست أكثر من أن تكون بمثابة (الشيك) على (خزانة الحكومة) ... ولكنها لن تكون قط السبيل إلى قلوب الناس وضمير الزمن وسجل الخلود ...

* * *

لن تظلمك دمشق هذه المدينة الصابرة الوفية ... ولن تجزيك عن البر بالنكر ، وعن الإحسان بالإساءة ، فلقد خلدت منها كل صور الجمال ، ومواطن الجلال ، ومجال العظمة ... ولقد نشرت على الناس صورتها الرائعة في مآذنها المتألقة ، وقبابها الناهضة ، ومساجدها المترعة بالنور والفيض ، وبساتينها الملأى بالحسن والجمال ... وغوطتها الضاحكة على رغم هذا الزمن العابس ... وإن ما تلقاه الآن من أوضاع ، وتجده من أذى ، لا يتصل بدمشق ولكنه محمول عليها ... فدمشق مخلصة نبيلة ... آوت من قبل ألوان البشر ، وآلاف العلماء ، وفتحت صدرها للناس من كل مكان ، تلقاهم بالتحية الضاحكة ، وترعاهم بالود الخالص ، وتنزلهم منها منزلة الولد والصاحب والرئيس ! ... ولن تنسى أبناءها لأنهم كل ما أبقت لها يد الزمان النادر ... إن قلبها ليرعاهم ويحوطهم ، ويهتز لهم هزة الحب. ولئن عميت طائفة عن هؤلاء الأبناء، وعن هذا النور الذي ينسكب من وجوههم وقلوبهم ؟ فإن طوائف وطوائف أخرى تتطلع إليهم بأعناقها ... وإنها لتنظم لهم من حبات القلوب ، وأزهار الربيع ، وأغصان الغار ، تاج الحب ... وإنها لتوقع لهم مع نسمات الأصائل التي تزخر بالعبق نشيد الإعجاب . وإن أصوات المآذن التي تنادي: الله أكبر، الله أكبر، خمس مرات في اليوم ، إنما تنبعث من أعماق قلب هذه المدينة لتهيب بهؤلاء الأبناء أن يمضوا قدماً في دعوتهم وجهادهم لخلاصها من مفاتن الباطل والضلالات

* * *

لقد هدأ الليل ، وسكن الناس ... وأخذت أستشعر لهذه النسمات بعض القسوة ... وليس من حولي إلا حديث القمر ، وهمسات النجوم ... أحلها كل حنيني لك ، وللاخوان السامرين ، وللجادة الخامسة ... وللغوطة الزهراء

... وألف تحية وسلام يا دمشق الحبيبة الوفية

(القاهرة) شكري فيصل

تأملات

للأستاذ محمود الدسوقي

خابت آمالي إلى اليوم مرات، فكانت كل مرة تذهب بقطعة من نفسي. وأمس تلقيت الدرس الذي لم يكن مفر من تلقيه، فالحقائق تؤلم وتصدم وتدمي في بعض الأحيان، لكن فيها شفاء للنفس بعد حين، وقد تركتني صدمة الأمس صريعاً بين التي أحببتها حتى العبادة، والتي وددتها حتى الحب؛ وجرح مصاب الأمس كبريائي، وعفرني بالتراب، وأطلعني على الخفي الذي عز إلى الآن على الأوهام

أنت يا فتاتي قاسية لأنك قديسة، رحيمة مع ذلك لأنك من بنات حواء، وقد تركتك بالأمس لا أعلم، ألي تلاق أم تطئني كبريائي على حبي فيكون الفراق، والفراق مرٌ أمرٌ منه أن نلتقي بعد الآن

لقد حاولت جهدك أن تكوني مهذبة معي إلى غاية حدود التهذيب، لكنك لم تحاولي مرة أن تكوني لطيفة

كان وجهك كقطعة من المرمر، ناعم الملمس بارده، وكان مثله تتخلله تلك المعاني الكامنة فيه، ولا يدلني على شيء يهديني إلى الصواب. شئت به الإنذار فكان، وشئت به الإخطار فكان؛ ثم حاولت أن ألتمس في معنى من معانيه عزائي، فألفيته فيه، لكني لم أنته إليه، فبيني وبينه ذلك السطح المتجمد من العاطفة الجائشة فيما يليه

هذا هو فن المرأة التي لم تتعلم ضبط النفس من أمها حواء، وإنما تعلمته من غباوة الأبناء، أبناء أبيها آدم؛ وقد كنت معها غبياً إلى حد، ذكياً إلى حد؛ لكن الخرق يعلق بالحكيم، ولا تذهب الحكمة بالخرق العالق

ترى لو رأيتك اليوم ما أنا فاعل؟ أكبر الظن أني سأحاول أن أكون فظاً، فلا أعدو أن أكون متهالكاً ضعيفاً، وسوف تعود الليالي فيما أتوقع إلى مجاريها، وأعاود خرقي، وتعاودين دروسك، ولن أفوز يوماً برضاك المحض، ولن أعود أبداً بجفائك المحض، وهذا مبعث تعاستي وهنائي

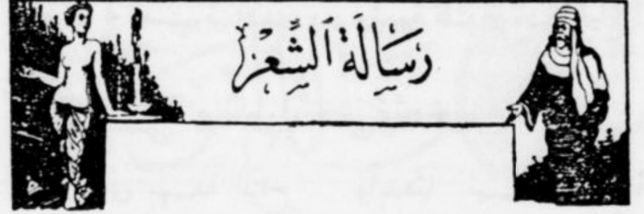
حاولت بالأمس، وإني لمنصرف عنك مطرق الرأس، أن أرفع فيك عيني، وفكرت في تحيتك فلم أفعل، وكنت أنت متثاقلة عني تأملين بقائي ولا تحاولين استبقائي حتى تواريت. وقد تواريت وأنا معتزم الرحيل إلى غير رجعة فلم يصبح الصباح حتى كان حديث النفس إلى ختام، وكانت مشيئتي قد تبلورت في عزم أكيد

حذار يا فتاتي أن تظهري اليوم أو غداً فإني قاس مع نفسي رحيم معك، وأحب أن تفسحي لي الوقت ليقوى التصميم، لا أعلم ما أنا فاعل ولكني أعلم ما أريد، والقطيعة شر مفض أحياناً إلى الخير، وهو خير سوف أشتريه غالياً، فأنكر فيه نفسي، وأتنكر لماضي حبي المنكوب. وقد ذهبت آمالي فيك إلى الهوة التي يتردى فيها المحزونون لتضيف إلى تجاريبهم في أنفسهم تجاريب أخرى بالسماع. وإنها في هذه الهوة لتبقى وقد حالت يأساً قاتلاً، كالقمح اليانع قد جف واسود من عصف الريح

وإذا جاز للعاصفة أن تهدأ فقد جاز لنفسي أن تستكن وأن تعود فتثور كما هو بالعاصفة خليق. وقد عصفت تجاربي بأحلامي غير مرة فلم تفن فيها إلا هذه المرة، وكنت أجمع ما تفرق منها كل مرة لأعاود حبي في أسر شديد، فاليوم يضيق به الأنف ويضيق به الصدر، ولا يجد متنفساً إلا في أن يأكل النفس التي غذته وأشبعته حتى بات النهوم

إنه جارف، وإنه ليحطم، وإنه ليخلف ما تخلف العاصفة من أثر بعد عين، فهو الحب اليائس وهو الحب المحروم.

محمود الدسوقي



رجال ونســـاء

للأستاذ على محمود طه

[الشاعر المهندس الأستاذ « على محمود طه » ملحمة شعرية تقع فى نحو أربعمائة بيت من الشعر لم تنشر بعد. عنوانها « البعث الأول » يدور الحوار فيها بين شاعر وملك وأرواح حوريات فى انتظار البعث. أما موضوع الحوار فهو الفن وأثره فى العلاقة بين الرجل والمرأة، وما أثر الغريزة فيه، وكيف تلهم الأرواح قبل حلولها فى أطيانها الميل إلى الشر أو الخير. وننشر فيما يلى هذا الحديث الذى يسوقه الشاعر على لسان الأرواح].

بليتيس :

هو الحسنُ فنّانُنا العبقرىُّ ... هو الحبُّ سلطانُنا القاهرُ
ممثلهم لعُبـــةٌ فى يديهِ ... ومثّالم إصْـــبَعٌ فاجرُ
وألحانهم من نحيح العروق ... يُرَجّعها الوتر الســـاخرُ
ورسّامُهم صَـــنَمٌ مُبْصِرٌ ... فإنْ جُمِعوا فهمُ الشاعرُ

***

قلوبٌ مُدَلّهَةٌ بالجمال ... ترى فيه معبودَها المُلْهَما
هو الرجلُ القلبُ ، لا غيره ... فأوْدِعْنَهُ القبَسَ المضرما
أثِرْنَ به الشَّرسَ المستخفَّ ... وأيقظنَ فيـه الفتى المغرما
إذا ما اقتحمتنَّ هذا السياجَ ... فقد خضع الكونُ واستسلما

سافو :

ولـكنْ حَذَارِ فنى طبعنا ... لِيانٌ يسمُّونه بالوداعه
وفيهم جـــراءةُ مستأسدٍ ... تَحَدَّى المنيةَ باسمِ الشجاعه

بليتيس :

وَهِمْتِ فذلك هزْلُ الرجال ... وفنٌّ أجزنا عليهم خداعه
نُذيب به صُلْبَ أعصابهم ... وفى رِقّةِ العود سرُّ المناعه

سافو :

أطلنا الأحاديثَ عن عالمٍ ... مُلثّمةٍ أرضُـــه بالخفاء
جعلناه مطمحَ أحـــلامنا ... كأنّا شقينا بسُكنى السماء
طوانا على حُبّـــهِ شاعرٌ ... كثيرُ المجانةِ نزرُ الحياء
أثار الملائكَ فى قدمها ... وأوقع فى سحرِهِ الأبرياء

بليتيس :

عجبتُ له كيف جاز السماء ... وغرّرَ بالمـــلأ الطاهر ؟
أيمرحُ فى الـكون شيطانُه ... بلا وازعٍ وبلا زاجر
دعى الوهم سافو ولا تحقِرى ... بليتس معجزةَ الشاعر
فما نتقيه بحيّاتِنـــا ... إذا هو ألقى عصا الساحر !

نايبس :

بليتيس هَلْ هو ذاك الخيالُ ... المُجَنَّحُ بين حواشى الغيومْ
عَشِيّةَ صـــاح بأترابنا ... وقد أخطأته قِسِيُّ الرجومْ
وقيلَ لنـــا مَلَكٌ عاشِقٌ ... يُسرِّي الهمومَ بِنتِ الـكرومْ
يجوبُ السماء إذا ما انتشى ... يُعَرْبِدُ بين خدورِ النجومْ

بليتيس :

أعاجيبُ شـتَّى لهذا الفتى ... وأعجبُ منها الذى تذكرينْ
كأنْ أحاديثَه بيننـــا ... أساطيرُ آلهـــةٍ غابرينْ
إذا كان للشعر هذا الصيالُ ... فوارحمتا للجمال الغبينْ !
وَدِدْتُ لو أنىَ فى إثره ... درجتُ على الأرض فى الدارجينْ

سافو :

أتغوين بالشعر شيطانَه ؟ ... خياليةٌ أنتِ أم شاعره !

بليتيس :

بل الشعرُ آمرُهُ المستبدُّ ... فيا ليتَ لى روحَه الآسره
ويا ليتَ لى وثباتِ الخيالِ ... وقوةَ أربابِه القـــاهره
لصيّرتُه مثـــلةً فى الحياةِ ... وسُخرية البعثِ فى الآخره

نايبس :

صفى لى بِليتيسُ هذا الأملْ ... وماذا ابتدعتِ له من حِيَلْ ؟

بليتيس :

أُدَلِّهُ هـــذا الفتى بالجمالِ ... وأُسْمِعُه من رقيق الغزلْ

وأورثه جُنَّـةً بالرحيق   وأحرمه رَشَفَاتِ القُبَـلْ
إلى أنْ تُحرّقَ أعصابَهُ   ويصرعه طائفٌ من خَبَـلْ

***

وأحفرُ بعـد الردى قبرَه   هناك على قِمَّـةِ الهاويه
وأغرس فى قلبـهِ زهرةً   من الشرّ ريَّانةً ناديه
سَقَتْهـا سمومُ شرايينه   ورفَّتْ بهـا روحُه العاتيه
تخفُّ إليها قلوبُ الرجال   وترجع بالشوكةِ الداميـه

***

إذا جَنَّها الليلُ لاحتْ به   كعينٍ من اللّهَبِ المضطرمْ
تثور الشياطينُ من عطرها   كجمرةِ الكاهن الملتثمْ
إذا استافَها الرَّجُلُ العبقرىُّ   تحوَّل كالحيوان الوخِمْ
تصيحُ البلاهةُ من حوله   فينظر كالصَّنَمِ المبتسم !

تاييس :

هِىَ الشعرَ أولاكِ من مُلكه   سماء الألوهةِ ذات البروجْ
ونصَّ المعانى على جانبيكِ   فنها الثرى وإليكِ العروجْ
فما تصنعينَ إذا ما بُعِثْتِ   واحدةً من بناتِ الزنوجْ !
ألم تسمعى قِصَّـةَ السامرىِّ   وما صَنَع القومُ بعد الخروجْ ؟

***

نبا منطقُ الوحى عن سمعهم   وخفَّ عليـهِ رنينُ الطربْ
ومَدُّوا العيونَ إلى دُميـةٍ   تَمَثَّـلُ فى حيوانٍ عَجَبْ
ترامى بأحضـانهِ غادةٌ   أفادَ صباها شبوبَ اللَّهَبْ
جنونُ الحياةِ وأهواؤها   أنوثتُها وبريقُ الذَّهَبْ ! !

***

فأينَ من القوم سحرُ البيانِ   وصيحةُ موسى قُبَيْلَ الوداعْ؟
هُمُ الناسُ لا يعشقون الخيالَ   إذا لمْ يكنْ حافزاً للطِّماعْ
همُ الناسُ لا يعبدون الجمالَ   إذا لم يكنْ نُهْـزَةً للمتاعْ
همُ الناسُ لا يألفونَ الحياةَ   إذا لم تكنْ مَعْرِضاً للخداعْ !

سافو :

تماثيـلُهُ بعضُ أجسامنا   وقد صاغها العبقرىُّ الصَّناعْ
ولوحاتُهُ صُـوَرُ العارياتِ   إذا مَزَّقَ الفنُّ عنها القناعْ
أبالشعر تُغوِينَ هذا الفتى ؟   وَهِمْتِ إذنْ وجهلتِ الطِّباعْ !

أليستْ له صبوةُ الآدمىِّ   وشهوةُ تلك الذئابِ الجياعْ ؟

بلبتيس :

رجعتُ لنفسى فلا تغضبا   وكُفَّا العتابَ ولا تنهبا
لقد رُعْتُمانى بهـذا المزاحِ   وأبدعتما نبـأً مُغْرِبا
سَرَتْ بِىَ من ذكرهِ رعدةٌ   كأنى لبستُ به الغيهبـا
أتاييسُ ما كنتُ بنتَ الزنوجِ   ولا شِمْتُ أمًّا بهم أو أبا ! !

تاييس :

وَسَمْتِ الخليقةَ فى بعثهم   كأنَّهمُ الحدَثُ المنكرُ
وما أخطأ الطيفُ[1] ألوانَه   ولكنَّه القبَسُ الأحمر
أبوهم كما زعمـوا آدمٌ   وحـواءُ أُمُّهم المقصِرُ
لهم أعينٌ تتملَّى الجمالَ   وأفئدةٌ بالهـوى تَشْعُرُ

***

لهم نارهم فى أقاص الدُّجى   وأبياتُهم فى أعالى الكهوفْ
ورقصٌ يُمَثِّلُ قَلْبَ الحياةِ   إذا ما استُخِفَّ بنقرِ الدفوفْ
ونايٌ يُقسِّمُ فيـه الربيعُ   ويسكبُ شجوَ الليالى الهتوفْ
وسحرُ الطبيعةِ فى عُرْيها   إذا هَتَكَ الفجرُ عنها الشفوفْ

***

تَفَرَّدَ فيهمُ بالخلـود   وصيغَ بفطرتهم واتَّسَمْ
يعيش جديداً بأرواحهم   وإن عاش فيهم بروح القِدَمْ
له بأس « مانا[2] » وإيحاؤه   إذا اضطربتْ رُوحُه بالألم
وَرِقَّة « هاواى[3] » فى شدْوها   إذا جاشَ خاطرُها بالنَّغَمْ

***

ألا فليَكُنْ لكِ من فنهم   سموُّ اللظى وعتوُّ الجبالْ
ألا فليَكُنْ لكِ من سحرهم   فنونٌ تُعَطِّلُ سحرَ الخيالْ
ألا فَلْيَكُنْ لكِ من نارهم   وشاحُ مُؤَلَّهَـةٍ بالجمالْ
إلى الأرضِ فانتقمى للنساء   وكونى بها مِحنةَ الرجالْ ! !

على محمود طه

---

(١) الطيف الشمسى وهو مؤلف من الألوان السبعة المعروفة وأحدها اللون الأحمر

(٢) مانا أعظم آلهة التابو المسيطرة على قبائل الزنوج وخاصة فى جزائر الهند الغربية ومعروف بشدة انتقامه من الرجل الذى يمس عذراء التابو ، ومن مظاهر غضبه ثوران البراكين وحصول الزلازل الأرضية

(٣) من جزائر أميركا مشهورة بموسيقاها الفطرية التى تستبد بالعواطف



بواطن وظواهر

عندنا فنانون ... ولكن !

للأستاذ عزيز احمد فهمى

٥ — من الموسيقيين

مصطفى بك رضا

الفنان المصرى الوحيد الذى له تمثال منصوب فى معهد رسمى من معاهد الحكومة . فهل الحكومة تسمع من الموسيقى ما لا نسمعه نحن الرعية ؟ وهل سمعت الحكومة فيما سمعت من هذه الموسيقى شيئاً لمصطفى بك رضا لم تستطع أن تمسك نفسها معه دون أن تقيم له تمثالا فى حياته مع أن هذا أمر شاذ جداً يكاد يكون منقطع النظر ... فإذا كان الأمر كذلك فأين هى ياحكومة هذه الموسيقى التى ينتسب مصطفى بك رضا إلى الفن بها ؟ ألم يكن الأجدر بهـا أن تكون أول ما تكون فى ذلك المعهد الرسمى الذى أقيم تمثال مصطفى بك رضا فيه ؟ ليس فى ذلك المعهد شىء من مصطفى بك رضا إلا التمثال ، فهل هذا التمثال يغنى فى وقت من الليل أو النهار لا يعرفه أحد غير الحكومة ، فتذهب إليه فى ذلك الوقت تسمع غناءه فى استخفاء ضناً منها به أن تختلس آذان الشعب منه آهة ، أو تنال أفئدة الشعب منه تنهيدة ؟ ! فهنيئاً إذن للحكومة ! ...

أو قل هنيئاً لمصطفى بك رضا ، واعلم أنه كما استطاع لنفسه أن يقيم تمثالاً فى معهد فؤاد الأول للموسيقى العربية من غير أن يكون له فى الموسيقى إلا أنه يعرف أن يعزف بعض المحفوظات على القانون ... فإنه يستطيع كذلك أن يقيم لك تمثالاً فى كلية الآداب مثـلاً إذا ثبت لديه أنك تفك الخط فقط لا أكثر ولا أقل ... فإذا كانت لك رغبة كهذه فها هو ذا عندك ملء الدنيا كلها فاتفق معه على الأسلوب ، إنك تجده فيما بين المعهد ، ومحطة الإذاعة ، ووزارة الأوقاف ، ومسجد السيده نفيسة ... ومهما ينصحك بشىء فاعمل بنصائحه حتى لو رأيت نفسك ستضحى فى البدء بالقليل أو الكثير، فالرجل لا يتجه إلا إلى شىء واحد، وهو أن الآخرة خير ربحاً وأبقى كسباً

الأستاذ عبد الوهاب

مسكين هو مع مصطفى بك رضا . كلما رأى موسيقاه تملأ البلد ، ويغنيها الناس هنا وهناك ، ورأى الحكومة مع هذا كله تنكره فلا تنزع من معهد الموسيقى تمثال مصطفى بك رضا لتقيم مكانه تمثاله هو ، أو تقيم له تمثالاً مع تمثال مصطفى بك رضا — كلما رأى هذه الحال ضاق ذرعاً وعجب للموازين التى يوزن بها الناس فى هذا البلد

ولقد اهتدى أخيراً إلى فكرة نفذها فارتاح بعدها واطمأن، لأنه ساوى بها مصطفى بك رضا ، بل إنه وصل بها إلى حيث لا يستطيع مصطفى بك رضا أن يصل بتمثاله ، ذلك أن الأستاذ عبد الوهاب أقام لنفسه تمثالاً نصفياً ، ثم صوره بالسينما ولصقه فى أوائل فيلم يوم سعيد فهو يعرض على الناس كلما عرض الفيلم ، والفيلم كما تعرف يسافر داخل القطر وخارج القطر ، فيراه الناس هنا وهناك، بينما تمثال مصطفى بك رضا لا يراه إلا الذين يزورون المعهد الموسيقى فقط

صحيح أن الناس يرون الأستاذ عبد الوهاب نفسه فى الفيلم ويسمعونه ، وأنه لا لزوم مع هذا إلى التمثال ؟ ولكنه تنافس الموسيقيين فى تشجيع إخوتهم النحاتين !

الدكتور الحفنى

هو موسيقى من نوعى أنا ، ولكنه يعلم ما لا أعلم عن تاريخ الموسيقى، وآلاتها ، وأسمائها ، وشتى شئونها، وهو يشبهنى من حيث أنه لا ينتج شيئاً منها ، وإن كان يكثر من الحديث عنهـا إكثاراً نال به الدكتوراه فيها من ألمانيا لا من هنا ... من ألمانيا

٦ — من الشعراء

الأستاذ محمد الأسمر

كان ترتيبه الأول بين حضرات الشعراء الذين تقدموا المسابقة الأناشيد الحماسية التي عقدتها وزارة الدفاع، فنال الجائزة السنية

الأستاذ أحمد رامى

فى يوم من الأيام قال فى أغنية غناها الأستاذ عبد الوهاب:

تعالى نفن نفسينا غراماً ونخلد بين آلهة الفنون
أرتل فيك أشعارى وأصغى إلى ترجيعك العذب الحنون

... فكان شاعراً رائعاً، وهو اليوم يقول فى أغنية للأستاذ عبد الوهاب أيضاً:

تنزل وادى وتطلع كوبرى!
تحود مرة وبعدين دوغرى!

يا وابور ...

... إحترف! نجاه الله ورده شاعراً رائعاً ... أو فليبقه الله هكذا فإن الشعر عذاب! أو فليدع الله هو بما يشاء!

الأستاذ محمود اسماعيل

الشاعر الذى لا يزال مصرياً والذى أدعوه إلى أن يغزو بإحساسه ثم بشعره نفوس الناس حتى يكون شاعراً إنسانيا. وإنى وإن كنت أدعوه إلى هذا فإنى أعرف أنى أطلب منه ما يتعبه فهو لا يخالط الناس إلا ليسخر منهم، لأنه يعتقد أن الناس لا يتعارفون إلا ليسخر بعضهم من بعض، فلو ظل على هذا لظل شعره بعيداً عن الناس الذين لا يعاشرهم بنفسه فلا تشعر بهم نفسه ولا يدركهم شعره

فهل عقد العزم على أن يبقى هكذا شاعر القمح والثور والشادوف وعينيها وشفتيها وما يشبه هذا؟

إن عليه أن يدرب نفسه منذ الآن على أن يحب الناس وحياتهم رغم ما فيها؛ فهذا الذى فيها هو موضوع الشعر وموحى أخلاده، وهو شاعر

الدكتور ابراهيم ناجى

لم يكن هذا الشاعر يستطيع إلا أن يكون فناناً على أى وجه من الوجوه وفى أى فن من الفنون، فله نفس تضطرب بالبهجة والرحمة والحب، فهو على العكس من صاحبه محمود... بذل نفسه لكل ما حسن عنده، وأنه ليحسن عنده كل ما يرى، فهو فى شعره: إما محب هاتف للحسن، وإما محب راث للحسن إذا مسه الأذى

٧ — من الرسامين

الأستاذ عبد السلام الشريف

عقله له أسلوب، ويده لها أسلوب؛ وأسلوب عقله يؤدى بفنه إلى مسرح لمواطف الإخلاص والوداعة والرضا؛ وأغرب ما فيه هو الرضا، فهو لا يسخط على ما اعتاد أهل الفن أن يسخطوا عليه. له رسم صور الدنيا أماً ذات طفلين ترضع أحدهما دون الآخر، فالراضع يرضع هادئاً لا يشغله شىء إلا الرضاعة، والآخر متبرم بهذا، ولكنه لا يزيد فى تبرمه على أن يمط شفتيه... فلو كان الحقد يعرف قلب الأستاذ الشريف، لكان قد صبه نقمة فى وجه من هذه الوجوه الثلاثة، ولكنه نثرها جميعاً بوداعة ورضا وإخلاص للحق، فالدنيا حين ترضع من ترضع من أبنائها، وحين تغفل من تغفل منهم، لا تفعل ذلك عن ميل إلى الجريمة أو الظلم وإنما هى أم، والطفل الذى يرضع ... يرضع وهو لا يقصد أن يظلم أخاه الذى أهملته أمه، والطفل المهمل نفسه كان عند الأستاذ الشريف حكيماً يمط شفتيه إذا أهمل، صابراً راضياً مؤملاً أن يشبع أخوه وأن تعطف عليه بعد ذلك أمه

هذا هو أسلوبه العقلى

أما يده، فسريعة رشيقة خفيفة، لا ثرثرة فى خطوطها ولا زحمة؛ وإنما هى أقواس تجرى بها يده على الورق فتضع الحدود اللازمة لحصر الفكرة التى يريد أن يؤديها، وهو بعد ذلك يترك الناظر إلى رسومه يكمل من خياله ما كره هو أن يفصله، فيرغم بتفصيله إياه قارئه أو الناظر فى صوره على أن ينحصر معه

٨ — من الخطباء

الأستاذ فكرى أباظة

يغيظنى من هذا الرجل تبعثره ، ولست أدرى متى يوحد نفسه ويتجه بمواهبه إلى هدف واحد ؟ هو الآن محام ، ومحقق ، ونائب، وهو فوق ذلك كله — كما قلت عنه مرة — أباظة؛ يتعهد بالدعاية لـكل أباظة من أهله العاملين فى الحياة المصرية العامة

والشيء الذى لا أشك فيه هو أن أعظم ما وُهِبَهُ الأستاذ فكرى هو قدرته على الخطابة ، فإن له شخصية محببة ترتاح إليها النفس ، وإن له صوتاً مدوياً تهتف له الأرض، وإن له عقلا جارياً يسعفه بالفكرة، فإن قصر عنها أسعفه بالنكتة، وإن له لساناً ليناً يطاوعه ويتدفق بأمره فلا يتعثر ولا يتوقف ، وإن له إلى جانب هذا كله قلباً يكدس عليه الأستاذ فكرى أثقالاً وأثقالاً من آماله المشتتة المبعثرة ، ومع ذلك فإنه لا يزال ينبض تحتها حياً

الأستاذ مكرم باشا

خطيب الجماهير بلا منازع . أول ما يعمد إليه إذا وقف للخطابة هو أن يسكر سامعيه ليقول لهم بعد ذلك ما يريد ، وهو يجد عنده من خمر البيان أو سحره ما يذهب بالعقول مالم تكن راكزة ركوز الأهرام ، وهو لا يدع مواقفه الخطابية للصدفة، وإنما هو يعد لها المدة إعداداً ، فيكتب خطبه وينمقها، ويقطعها ، ويلحنها ، ويقوم أمام الناس فيلقيها فإذا هم عواصف وقتما يريد لهم أن يكونوا عواصف ، وإذا هم نسائم وقتما يريد منهم أن يكونوا نسائم

الأستاذ توفيق دياب

مسرحى إلى حد كبير فى خطابته ... سمعته يوماً فى مسرح البلفدير فى الإسكندرية يرثى سعداً عقب وفاته ، فرأيته يقوم وهو بالمعطف و « التلفيعة » يشكو للجمهور المرض وعجزه عن القول ، ثم تحمس قليلاً حزناً على سعد فانطلق يقول ويقول حتى فرض الجمهور أن الدم جرى فى عروق الأستاذ فملأها حرارة وهنا خلع الأستاذ « التلفيعة » ومضى وحماسته تزداد، حتى استثقل الناس المعطف عليه نخلعه هو أيضاً ، ثم زاد نخلع الطربوش ، ثم أخذ يقفز بعد أن خف فى المسرح ويضرب أرضه برجله ، وأثنائه بيده حتى هم بأن يختم الخطبة نخفف من حماسته قليلاً ووضع الطربوش على رأسه ، ثم خفف منها قليلاً وارتدى المعطف ، ثم فتر فلف « التلفيعة » على عنقه ، ثم تمايا وتراخى فما جلس حتى كان يشكو المرض فى نهاية خطبته كما كان يشكوه فى بدايتها ، فكان ختاماً فنياً مسرحياً كما رأيت ، وباهراً كما رأى الجمهور

٩ — من المعلمين

الأستاذ ابراهيم مصطفى

أستاذ النحو بقسم اللغة العربية بكلية الآداب . هذا المعلم وهب نفسه للنحو ، وهو يهب النحو الذى أودعه نفسه لتلامذته فإذا هم يتلقونه نحواً حياً فيه روح ، ولا ريب أن هذه أعجوبة من الأعاجيب ، فقد كان النحو ولا يزال من أثقل علوم العربية وفنونها على النفس ، ولـكن الأستاذ ابراهيم مصطفى يحببه إلى النفس ، لأنه لا يرجها به رجاً ، وإنما يدسه عليها دساً ، فهو يعرف أن اللغة العربية مخلوق حى تطورت به الحياة حتى وصلت إلى ما هى عليه الآن من اختلاف اللهجات ، وتميز كل لهجة من هذه اللهجات بميزة خاصة أو بميزات . وهو يدع هذا حتى يمسك بطرف عربى فى نفوس تلامذته ، ثم لا يلبث يتابع بهم مسالك هذا الطرف مرتداً إلى الأصل العربى حتى يجد تلامذته لأشد عقد النحو تعقيداً، حلاً ميسراً تهديه إليهم لغة الخطاب المتداولة الآن

ولا يمكن أن يطمع معلم للنحو فى أكثر من هذا ، وفى أن يؤمن من يتعلم على يديه بأن النحو العربى هو الموسيقى المنطقية للذوق العربى .

عزيز أحمد فهمى



فى عالم الأمـــواج

للدكتور محمد محمود غالى

سبر العلماء لمراحل الاشعاع — طول الموجة وعدد الذبذبات — من للوجات اللاسلكية إلى الأشعة النافذة — أشعة الموت — الأشعة البينية وعمل « لاويه » — الضوء والكهرباء أنواع كونية واحدة

حدثنا القارئ عن الموجات الكهربائية التي نستخدمها فى الاستماع إلى الإذاعة اللاسلكية ، وعن الموجات الضوئية التي نرى بها صور الأشياء وذكرنا عقيدة « هرتز Hertz » من أنها أمواج واحدة لا يتميز فريق منها عن الآخر إلا باختلاف أطوالها ، فهى كأهل مدينة كبيرة بينهم من هو طويل القامة ومن هو قصيرها ؛ كلهم من البشر ويمثلون جنساً واحداً ولكن يتحتم أن يوجد بينهم الطويل والقصير

ونذكر الآن أنه كان للمصادفة شأن هام فى كشف « هرتز » لوحدة هـذه الأمواج ، ذلك أنه أراد أن يعرف ما إذا كانت للأمواج الكهربائية خواص الأمواج الضوئية كخاصية الانعكاس مثلاً ، وتصادف أنه استخدم أمواجاً قصيرة طول موجتها بضعة أمتار فكان هذا الاختيار سبباً فى نجاح تجاربه وفى نجاح نظريته الضوئية فى الكهرباء ؛ إننا لا نستطيع اليوم أن نعكس أمواج الراديو على مرآة لسبب واحد هو عدم استطاعتنا أن نصنع مرآة كبيرة تتناسب وأطوال الأمواج التي نستخدمها الآن ، ولم نستخدم فى الإذاعة الأمواج القصيرة إلا فى العهد الأخير ، وهى الأمواج التي أمكن عكسها بواسطة شبكة سلكية بدل المرآة ، وليس ثمة شك فى أن اختيار « هرتز » لنوع معين من الأمواج كان توفيقاً محمد الظروف عليه ، فقد تقدمت بذلك العلوم خطوة كبرى إلى الأمام

ولا نود أن نذكر للقارئ كلمة أمواج دون أن يتابعنا فى المعنى المراد من هذه الكلمة ونعيد عليه أن الأمواج التي نعرفها فى الظواهر المختلفة تنقسم إلى أمواج طولية وأمواج مستعرضة ، وتعتبر الأمواج الضوئية والأمواج الكهربائية من النوع الأخير فهى أمواج مستعرضة ، ومعنى ذلك أن الذبذبات تحدث عمودية على الخط الضوئى أو الكهربائى الواصل من المنبع إلى مكان وصول الشعاع ، ويسمون طول الموجة المسافة الواقعة بين قمتين للأوضاع المختلفة التي تأخذها نقطتان تتذبذبان على هـذا الخط ، ويحسن بالقارئ لكى يتخيل طول الموجة أن يتصور تلك الأمواج التي تحدث على سطح الماء فإنها هى أيضاً من النوع المستعرض ، وطول الموجة بالتعريف هو المسافة الواقعة بين قمة الماء عند مكان معين والقمة التي تليها ، وهذه المسافة فى حالة أمواج الماء تبلغ مثلاً متراً أو اثنين ولكنها تبلغ فى الأمواج الكهربائية الطويلة من ٢٠٠ إلى ٢٠٠٠ متر وفق طول الموجة التي تتخيرها محطة الإذاعة

وينبغى ونحن نتكلم عن طول الموجة أن نذكر للقارئ شيئاً عما يسمونه عدد الذبذبات . فثمة علاقة بين سرعة الضوء وطول موجته وعدد الذبذبات الحادثة ، ذلك أن سرعة الضوء تساوى عدد الذبذبات مضروباً فى طول الموجة فبمعرفة سرعة الضوء يمكننا إيجاد عدد الذبذبات إذا عرفنا طول الموجة أو نعرف طول الموجة من عدد الذبذبات ، وما يقال عن الضوء يقال عن الكهرباء لأننا نعرف أن سرعتهما واحدة

فإذا رمزنا بالحرف ع لسرعة الضوء و م لطول الموجة و ز للفترة التي تستغرقها الذبذبة الواحدة

فإن السرعة $ع = \frac{م}{ز}$

وإذا رمزنا بالحرف ن للتردد أى لعدد الذبذبات الحادثة فى الثانية الواحدة فإنه من الواضح أن $ن = \frac{١}{ز}$

أى أن $ع = م \times ن$

ومعنى ذلك أن سرعة الضوء أو الكهرباء تساوى طول الموجة مضروباً فى عدد الذبذبات فى الثانية

وعلى ذلك ، فإننا نميز الظواهر الضوئية والكهربائية على السواء إما من طول الموجة أو من عدد الذبذبات الحادثة فى وحدة الزمن وهى الثانية ، ويبلغ عدد الذبذبات فى حالة الأمواج الطويلة

المستخدمة فى الراديو الملايين فى الثانية الواحدة ، ويزيد هذا العدد وفق القانون المتقدم كلما كانت الأمواج قصيرة

أما الأمواج الضوئية فتختلف فى أطوالها وبالتالى فى عدد ذبذباتها عن الأمواج الكهربائية رغم تماثل طبيعتها ، فبينما تبلغ أطوال الأخيرة فى كثير من الأمواج التى نستمع بواسطتها للاذاعة بضعة كيلو مترات ويبلغ ترددها الملايين ، فإن أمواج الضوء المرئى تختلف أطوالها من $\frac{٨}{١٠٠٠٠}$ من المليمتر للضوء الأحمر إلى $\frac{٤}{١٠٠٠٠}$ من المليمتر للضوء البنفسجى ويبلغ ترددها ألتريليونات من الذبذبات فى الثانية الواحدة

ومن السهل على القارئ أن يحسب عدد الذبذبات الحادثة عند نقطة معينة من شعاع مرئى معتبر بين الأشعة الحمراء والأشعة البنفسجية وليكن طول موجة هذا الشعاع $\frac{٦}{١٠٠٠٠}$ من الليمتر ويمثل فى الواقع اللون الأصفر المائل إلى البرتقالى

فمن المعروف مما تقدم أن سرعة الضوء تساوى طول الموجة مضروباً فى عدد الذبذبات أى أن عدد الذبذبات يساوى سرعة الضوء مقسوماً على طول الموجة

ولكن سرعة الضوء تساوى ٣٠٠ ألف كيلو متر فى الثانية أى تساوى :

٣٠٠ر٠٠٠ × ١٠٠٠ × ١٠٠٠ مليمتر

ومن ثمّ يكون عدد الذبذبات يساوى ٣٠٠ر٠٠٠ × ١٠٠٠ × ١٠٠٠ مقسوماً على $\frac{٦}{١٠٠٠٠}$ أى يساوي ٥٠٠ مليون الليون من الذبذبات فى الثانية

وإن نظرنا إلى مجموعة الأشعة التى نعرفها الآن أ كهربائية كانت أم ضوئية لوجدنا أن أسهل مراحلها فى الدراسة هو الأشعة المرئية التى ذكرنا أطوال أمواجها ، ولقد استخدم « نيوتن » وغيره أبسط الأجهزة ليقوم بتحليل أشعة الشمس أو عكسها أو كسرها ، وتسنى له بأبسط الوسائل أن يجوب هذه الدار من مراحل الإشعاع ، وزوّدنا باستخدام أشعة الشمس وبثقب كان فى نافذة معمله ومنشور من الزجاج بنصف علم الضوئيات الذى نعرفه اليوم ، ولكن لم تكن معرفة ما بعد الأشعة المرئية وما قبلها من الأشعاع بالشىء الهين إذ تطلب ذلك أبحاثاً طويلة ما زالت قائمة حتى اليوم ، ولا يتسع هذا المجال لنذكر الوسائل الطبيعية المختلفة والأجهزة المعقدة التى استخدمها الإنسان للتوصل إلى معرفة مراحل الأشعاع المختلفة ، فادة الكوارتز حلت محل الزجاج كما حل اللوح الفوتغراف والترمومتر وغيره من الوسائل محل العين لمعرفة وجود الأشعة ، وكان لهذه الأجهزة شأن كبير فى الكشف عن مراحل الإشعاع وقياس سلسلة الأمواج المختلفة التى تبدأ من أشعة الراديو التى تجهلها حواسنا وتنتهى بالأشعة النافذة أو الكونية التى لا تشعر بها هذه الحواس رغم مقدرتها على اختراق ما سمكه عشرة أمتار من الرصاص ، وهكذا كشف العلماء عن مراحل الإشعاع التى تقع فى منتصفها هذه المنطقة المحدودة ، والضيقة من الأشعة المرئية ، وهكذا تعرف العلماء على أنواع الإشعاع لمختلف الأمواج كما عرفوا أن سرعة الأشعة الكهربائية هى سرعة الأشعة الضوئيه ، وأن طبيعة الشعاعين واحدة

على أننا نقسم الأشعة التى نعرفها فى الكون إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول من الأشعة غير المرئية تبدأ من الأمواج الهرتزية أو اللاسلكية وتنتهى بالأشعة تحت الحمراء

القسم الثانى الأشعة المرئية وتبدأ بالأشعة الحمراء وتنتهى بالأشعة البنفسجية

القسم الثالث : وهو الطرف الآخر من الأمواج غير المرئية وتبدأ من الأشعة فوق البنفسجية وتنتهى على حد ما بلغنا إليه اليوم بالأشعة النافذة أو الأشعة الكونية ، وهى أغرب ما نعرفه من الإشعاعات(١)

ولم يكن التعرف على مراحل الإشعاع نتيجة لتتبع منتظم لأطوال الأمواج المختلفة والبحث عن الأطوال غير المعروفة بين الأطوال التى نعرفها ، لأن سبيل تقدير هذه الأطوال وقياس التردد سبيل وعر ألجأ العلماء فى كل مرحلة إلى فن خاص يختلف عن الفن المتبع فى المرحلة القريبة منها . إنما كان

---

(١) يراجع القارئ مقالاتنا الخمس من الأشعة الكونية المنشورة فى أعداد الرسالة ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧ من ٢٤ ابريل سنة ١٩٣٩ إلى ٢٢ مايو سنة ١٩٣٩

التعرف على الإشعاع سابقاً فى العادة لدراسة خواص الإشعاع من طول موجته أو تردده أو خواصه الطبيعية ، وكان التعرف على الإشعاع فى كثير من الأحيان نتيجة لمصادفات علمية موفقة ، وقد ضربنا للقارئ مثلاً بكشف « بكارل » لأشعة الإورانيوم ، ولولا أنه ترك غير عامد قطعة من الإورانيوم فى أحد أدراج مكتبه على لوح فوتغراف ، ولولا أنه لاحظ بعد ذلك على هذا اللوح أثراً مطبوعاً يدل على شكل هذه القطعة من الإورانيوم لتعذرت على الإنسان معرفة هذه المرحلة من الإشعاع المادى ، ولما كشف الإنسان بعده إشعاع الراديوم العجيب

وليس المجال هنا لنعرف خواص الإشعاع المختلفة ، وما زال الإنسان دائباً وراء توسيع معارفه فى استخدام الأشعة فى أغراضه ، فنى الناحية الأولى من الأشعة غير المرئية التى تبدأ من الأمواج المرتزبة وتنتهى بالأشعة تحت الحمراء استخدم الإنسان مرحلة من هذه الأشعة فى الإذاعة ، وهو ما زال يسعى لمعرفة المرحلة الأخرى من هذه الأشعة ، وقد عثرنا فى كتاب لريشنباخ على أن الأشعة التى طول موجاتها من ثلاثة أمتار إلى خمسة تقتل بعض الحيوانات الصغيرة كالفيران وبعض الحشرات ، ولا شك فى أن ثمة أبحاث موجودة خاصة بهذا الموضوع لم تتح لنا فرصة الاطلاع عليها ، ولعل هذه الملاحظة الخاصة بالحيوان والحشرات سبب جعل فريقاً من الناس يتحدث أحياناً عن استخدام الإنسان يوماً لما يسمونه الأشعة القاتلة التى أطلق عليها البعض أشعة Z أو أشعة الموت ، وليس فى هذا الحديث إذن من سخف شديد ما دام أن هناك مرحلة من مراحل الإشعاع لها هذا الأثر على الحيوان الصغير ، ومع ذلك فإننا لا نعرف حتى الآن أشعة قاتلة للإنسان سهلة الوجود والاستخدام ، وهو الكائن الذى تخترقه فى النهار يتبعه الليل كل أنواع الأشعة من أشعة الراديو الطويلة التى يبلغ طول موجاتها بضعة كليومترات إلى أشعة الشمس المرئية وغير المرئية إلى الأشعة الكونية الخارقة ، وطول موجتها أجزاء من ملايين ملايين الليمترات ، ويعيش الإنسان تحت كل هذه الأنواع من الإشعاعات المختلفة ، بروح جيئة وذهاباً ، ينعم بالشباب بعد الطفولة ، ويتألم من الشيخوخة بعد الرجولة ، ويأخذ قسطاً وافراً من الحياة يلجأ خلالها إلى هذه الأشعة فى مراحلها المختلفة يستخدمها فى الإذاعة وفى نقل الصور الفوتغرافية باللاسلكى وفى التليفزيون ، ونأمل أن نستخدمها بطريقة عملية قريباً فيما نسميه « التحليل عن بعد » ، بل يستخدمها الإنسان فى العلاج دون أن يناله فى كل ذلك أثر مميت ، ولو أننا صعدنا اليوم الدرج إلى عيادة أحد الأطباء المشتغلين بالأشعة وفى جسمنا ألم فإنه يستطيع بين لحظة وأخرى أن يعطينا صورة واضحة لجزء دفين من أجسامنا وذلك باستخدام مرحلة من مراحل الأشعة التى لا نراها بالعين ، وهى الأشعة السينية Rayons X

فيمكننا أن نرى مثلاً حصوة فى الكلى يجب استئصالها أو نعلم مثلاً أن وراء هذا الضرس خراجاً هو سبب مباشر لورم معين ، وهكذا أخذ بعض الكشوف العلمية الكبرى مرحلته التجارية ، فأصبح له أجهزة تباع فى الأسواق يستخدمها الإخصائيون ، وأصبحت بذلك نفعاً للبشر

ولقد كانت معرفة أطوال الأمواج من المسائل العلمية العويصة فى كثير من هذه المراحل ، وإننا نذكر للقارئ على سبيل المثال كيف عرف العلماء طول موجة الأشعة السينية المتقدمة ؛ فلقد كانت ظاهرة الحيود Diffraction الضوئية التى سبق أن تحدثنا عنها ، والتى قامت دليلاً على أن الضوء ظاهرة موجية ، بل قامت دليلاً على النظرية الحدَثيَّة للضوء ، من الظواهر التى استخدمها الباحثون لمعرفة أطوال الأمواج الضوئية فى جزء هام من مراحل الإشعاع ، على أن هذه الظاهرة بذاتها لم تعد تصلح سبيلاً لدراسة الأشعة السينية ، إذ أن أطوال أمواج هذه الأشعة من الصغر بحيث أن أية فتحة نعمد إلى صنعها فى معاملنا مهما صَغرَت تعتبر كبيرة بنسبة موجة الأشعة السينية ، فلا تصلح لترى بواسطتها ظاهرة الحيود اللازمة لنا لدراسة هذه الأشعة

ولكن العالم الكبير « ماكس لاويه » Max Von Laue استطاع أن يعرف بهذه الظاهرة طول الموجة السينية ، ويحصل على أشكال بديعة ناتجة من ظاهرة الحيود المتقدمة ، مستخدماً فيها تلك الأشعة ، وذلك باللجوء إلى البلورات ، فهذه تتكون



جوائز « مصطفى كامل » المالية

١ — المباراة الأدبية :

لمناسبة إزاحة الستار عن تمثال المغفور له مصطفى كامل باشا تبرع حضرة الأستاذ محمد محمود جلال بك نائب بنى مزار وعضو اللجنة الإدارية للحزب الوطنى بمبلغ ثلاثين جنيهاً ، تعطى مكافأة لمن يحوز قصب السبق فى مباراة أدبية موضوعها : « جهود مصطفى كامل فى نواحى النشاط الإنشائى القومى ومجاحه فى التعليم والاقتصاد والاجتماع وعلاقة ذلك بدعوته الوطنية »

وفيما يلى شروط المباراة :

١ — أن يكون المشترك شاباً مصرياً لا تزيد سنه على ثلاثين سنة

٢ — ألا تزيد الكتابة فى موضوع المباراة على عشر صفحات من القطع الكبير

٣ — أن تقدم الموضوعات إلى لجنة المباراة المؤلفة من حضرات : أنطون الجميل بك ، وعبد الرحمن الرافعى بك ، والأستاذ فكرى أباظة ، والأستاذ محمود المصرى ، فى مدة ثلاثة أشهر من اليوم إلى ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٠ وتعلن اللجنة اسم الفائز فى المباراة بعد شهرين من الموعد المذكور

وقد أودع الأستاذ جلال بك قيمة الجائزة وقدرها ثلاثون جنيهاً لدى الأستاذ أنطون الجميل بك بشيك على بنك مصر

٢ — جائزة كلية الحقوق :

وخصص الأستاذ جلال أيضاً جائزة سنوية قيمتها عشرة جنيهات تسمى « جائزة مصطفى كامل » تمنح كل عام لأول ناجحى الليسانس فى الدور الأول لكلية الحقوق، وهى الكلية التى بدأ بها الفقيد دراسته العليا . وأرسل إلى حضرة عميد الكلية خطاباً بذلك، وأرفق به صورة الاعتماد الذى خصصه ببنك مصر عن قيمة الجائزة وبموجبه يصرف المبلغ فى شهر مايو من كل عام . فورد إليه كتاب شكر رقيق من حضرة العميد مع قبول هذه الجائزة الكريمة .

فى الواقع من جزيئات موضوعة فى ترتيب خاص ، ومرصوصة بطريقة يوجد بينها هذه الثقوب الصغيرة التى لا نستطيع بوسائلنا الحصول على ثقوب فى صغرها ، وهى فتحات تصلح مصادفة لاستخدام الأشعة السينية ، وبذلك كان يجمع (لاويه) الأشعة السينية بعد اختراقها البلورة ويجعلها تقع على لوح فوتغرافى فتُحدِث فيه بُقعاً سوداء منظمة تنظيما عجيباً وجيلاً. ولقد كنا نود أن نعطى القارئ إحدى هذه الصور البديعة فلم نعثر على واحدة منها اليوم ؛ وبدراسة رياضية عميقة استنتج « لاويه » طول موجة الأشعة السينية التى لا تراها العين والتى لا تحدث ظاهرة الحيود فى تجاربنا العادية

وإذا كانت أطوال أمواج الأشعة السينية من المجموعة التى نعتبرها قصيرة القامة ، فإن أطوال أمواج أشعة الراديوم أقصر منها بكثير ؛ وليس المجال هنا لنذكر الطرق المختلفة لتحديد هذه الأمواج وتحديد التردد

على أن أقصر الأمواج هو ما نصادفه فى الأشعة الكونية أو الخارقة ، وقد سبق أن حدثنا عنها بإسهاب ، وهذه تصل إلينا من جهات من الكون لا نعرفها وبسبب عمليات طبيعية لا نعرف الأصل فيها ، وهذه الجهات بعيدة بلا شك كل البعد عن مجموعتنا الشمسية ، إذ لا علاقة هناك بين شدة هذه الأشعة وبين وضع الأرض بالنسبة للشمس ، فأمريكا تلقى منها فى الليل بقدر ما تلقاه فى اللحظة ذاتها فى رابعة النهار ، ويبلغ طول موجتها واحداً على تريليون من الليمتر

وهكذا تمتد مجموعة التموجات فتشمل كلها مجموعة واحدة كهربائية كانت هذه التموجات أو ضوئية ، ولا تشعر أجسامنا ولا تلمح عيوننا إلا جزءاً يسيراً منها، بينما امتدت أجهزتنا وامتد ذكاء الإنسان للكشف عن هذه السلسلة غير المحدودة من طرق الإشعاع والأمواج ، الأمواج الطويلة فى طرف والقصيرة فى الطرف الآخر

لقد طوح بنا الحديث فى مراحل الإشعاع بعيداً عن مسائل كان فى برنامجنا أن نذكرها للقارئ اليوم ، ولكن الحديث ذاته يسوقنا إلى موضوعات أخرى ، بعضها من صميم الخيال ، وبعضها فى أعماق الحقيقة ، وعن هذه المسائل سيكون حديثنا القادم

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة

٣ — جائزة كلية تولوز :

وتبرع أيضاً بمبلغ ألفي فرنك لأول الفائزين في العام الحالي بكلية الحقوق بتولوز ، وهي الكلية التي أتم فيها الفقيد دراسته ونال منها شهادة الليسانس سنة ١٨٩٤ وكتب بذلك خطاباً إلى وزير فرنسا المفوض في مصر وأرفق به قيمة الجائزة فتلقى كتاباً من سعادة الوزير المفوض بقبول الجائزة وشكره على هذه المبرة

افتتاح المعرض الرابع لرابطة الفنانين المصريين

افتتح معالي محمود فهمي النقراشي باشا وزير المعارف ، في الساعة العاشرة والنصف من صباح الخميس الماضي، المعرض الرابع لرابطة الفنانين المصريين بحضور الأساتذة حسن فائق بك ، ومحمد فهيم بك وأحمد شفيق زاهر بك وحسين فريد بك والمسيو جورج ريمون ومحمد حسن وسيد يوسف وأعضاء الرابطة

وقد أقيم هذا المعرض بالدور الأول من السراي الصغرى في أرض المعارض التابعة للجمعية الزراعية الملكية ، وعرض فيه أعضاء الرابطة حوالي مائة لوحة فنية رائعة بين تصوير ، وأعمال خزف ، وتماثيل . وقد جمعت هذه اللوحات ألواناً شتى من الاتجاهات الفنية ومثلت في مجموعها فكرة الجمال كما عبرت عن الشاعر المألوفة في الحياة المصرية . هذا وسيظل المعرض مفتوحاً حتى آخر هذا الشهر يومياً من العاشرة صباحاً إلى الواحدة بعد الظهر ، ومن الرابعة إلى الثامنة مساء .

جراحة الأسنان في المغرب

قرأت بمجلة الرسالة الغراء في العدد (٣٥٠) نبأ اختراع جديد في طب الأسنان نشرته المجلة الطبية الأمريكية ، وملخصه أن طبيب أسنان وفق بطريقة خاصة من اختراعه إلى إعادة الأسنان الفاسدة إلى أفكاك مرضاه بعد خلعها وإصلاحها إلى آخر ما هنالك

وقد أسفت كل الأسف أن يسبق طبيب مغربي متواضع إلى مثل هذا الاختراع منذ نحو أربعين سنة ثم لا يجد من أمته ولا من غير أمته من ينوه باسمه ، ويفتخر بعبقريته ، ويذيع خبره على أمم الشرق والغرب

حدثني الشيخ الجليل الثقة السيد عبد الكريم الدباغ قال : كان السيد عبد السلام الدرعاوي من الأطباء النطاسيين المهرة عندنا بفاس قبل عهد الحماية بسنين ، وكان يشتغل بالتجارة ولا يتقاضى أجراً على التطبيب والتمريض كجميع أطباء المغرب ، إذ كان عاراً أي عار أن يكون للمادة نصيب في مهنة الأطباء الذين يحتسبون أجورهم في سبيل الله . ومن ثم كان إخلاص الأطباء المغاربة في مهنتهم من أشد العوامل في تفوقهم ونجاحهم

قال محدثي : والطبيب عبد السلام الدرعاوي لم يدرس الطب في كلية باريس الطبية ، وإنما أخذه عن أشياخ هذا العلم هنا . ومع بساطة الأعشاب والعقاقير التي كان يستعملها في أدويته كنت تجده في علاج كل داء كأحسن ما يكون الطبيب حين يكون اختصاصياً فيه

قلت: وما شواهد عبقرية هذا الطبيب في جراحة الأسنان مثلاً؟

قال : لقد سقطت بها على خبير ، وحسبك من ذلك أن تسمع هذه القصة: كانت لي أخت فتاة سقطت صباح يوم من شرفة الجناح الأعلى إلى عرصة المنزل فانهشمت عظامها أو كادت ، وانخلعت أسنانها وانتثرت ، ولم يعد أحدنا يخطر له في بال أنها ستعيش ساعة أو ساعتين . وأسرعنا فأوصينا بصنع التابوت ، ثم نادينا الطبيب عبد السلام لننظر رأيه في الفتاة المتردية ، وبعد لحظات كان الطبيب قد أحضر أدويته ، وجاء فجردها ودهنها بدهان من فوق إلى تحت ، ثم أخذ كل سن من أسنانها فأعادها إلى التجويف (بطريقة خاصة من اختراعه) لم يحتج معها إلى جبيرة من الذهب قط . ثم وصف لنا طريقة تمريضها ووقايتها .

ثم قال محدثي : وأقسم لك يميناً صادقة لقد عاد للفتاة كامل صحتها بعد أيام قلائل ، أما أسنانها فيكفي أنها لا تزال حتى الآن صلبة متماسكة وقد أصبحت الفتاة أم فتيات .

ونريد أن نثبت هنا أن بعض ابتكارات الغرب إن هي إلا بعث جديد لنتاج عباقرة الشرق من غابر التاريخ . وأن بعضاً منها له أصول وأسس في تاريخ الشرق نعلمها حيناً ونجهلها أحياناً

فما عسانا نصنع بعد هذا وقد حكم الدهر الظلوم بأن تطمس معالمنا وتمحى مآثرنا بين ظلمات الجهل وغمرات الجمود ؟

(فاس) ادريس الكتاني

للتحقيق

تردد كتب الأدب ومذكرات تاريخه قصة عن الشاعر الطائي أبي تمام ، وخلاصتها أنه وقف ذات يوم يمدح الخليفة بقصيدة كان منها قوله :

إقدام عمرو في سماحة حاتم ... في حلم أحنف ، في ذكاء إياس

فاعترض عليه أبو يوسف الكندي الفيلسوف وقال : الخليفة فوق من وصفت ، وما زدت على أن شبهت الأمير بأجلاف

العرب فأطرق أبو تمام ثم قال على البديهة :

لا تنكروا ضربى له من دونه مثلاً شروداً فى الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

فأعجب به الخليفة وقال لوزيره : أعطه ما يطلب ، فإنه لا يعيش أكثر من أربعين يوماً ، لأن الدم بدا فى عينيه من حدة الفكر ، ومن كان هذا حاله فهو لا يعيش أكثر من هذه المدة . فطلب أبو تمام الموصل فأعطيت له ولم ينقض عليه أربعون يوماً إلا ومات !

ذلك هو مجمل القصة ، وقد اعتمدها كل المؤلفين فى الأدب فى عصرنا هذا ، ولكنى وجدت صاحب الوفيات — الجزء الرابع ص ٢٩ طبعة الحلبى — يقول عنها ما نصه : « وهذه القصة لا صحة لها أصلاً » ، وقال ابن خلكان أيضاً عنها : « وقد تتبعتها وحققت صورة ولايته — يعنى أبا تمام — للموصل فلم أجد سوى أن الحسن بن وهب ولاه بريد الموصل . فأقام بها أقل من سنتين ثم مات بها . والذى يدل على أن القصة ليست صحيحة أن هذه القصيدة ليست فى أحد من الخلفاء ، بل مدح بها أحمد بن المعتصم وقيل أحمد بن المأمون ، ولم يل واحد منهما الخلافة » . المصدر السابق ص ٣٠ ، وغلط ابن خلكان أبا الفوارس المعروف بالحيص بيص وابن دحية ، إذ رويا ما يجعل لهذه القصة نصيباً من الحقيقة ! فما هى كلمة أدبائنا فى هذا الموضوع ؟

(البجلات) أحمد جمعة الشرباصى

حول خواطر يثيرها سائل

سرتنا هذه المقالات التى يكتبها الأستاذ عبد المنعم خلاف ويوالى نشرها فى مجلة الرسالة؛ إلا أنه قد استوقف نظرى وأنا أقرأ مقاله الأخير قوله « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع الغناء وشاهد الرقص وسمح به فى المسجد » ، وهذا القول على إطلاقه فيه شىء ، إذ الظاهر من الغناء هو ما نعرفه وما نسمعه ، وهذا لا يسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرضاه قط ولم يجز إلا الغناء العفيف فى زفاف العروس « إن الأنصار فيهم غزل فلو بعثتم معها من يقول أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم » وأذن فى اللعب بالطبول ، وغير ذلك فى أيام العيد للصغار من الشبان والفتيات . مر عياض الأشعرى بالأنبار فى يوم عيد فقال : مالى لا أراهم يقلّسون ، فإنه من السنة (التقليس أن يقعد الجوارى والفتيان على أفواه الطرق يلعبون بالطبل وغير ذلك) وسمع الحداء بالشعر النبيل السامى (اللهم لولا أنت ما اهتدينا) وكان البراء بن مالك حسن الصوت وكان يرجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره ، وكان عمر بن الخطاب إذا سمع الحادى قال : لا تعرض بذكر النساء . كما أن كلمة الرقص لا يفهم منها فى هذا الزمن إلا ما يعرف فى دور اللهو والحانات ، وحاشا أن يشهد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو يسمح به لأى إنسان فى الخارج بله المسجد ، وإنما الرقص الذى سمح به هو الرقص الحربى الذى كان من الأحباش حين قدموا المدينة . والرقص الحربى يعرفه العرب إلى الآن فى بلاد الحجاز بسيوفهم وسلاحهم مما يشعل فى النفس الحمية ويبث فيها الشجاعة ، ولا أعرف الأستاذ عبد المنعم خلاف إلا يريد هذا

عبد الستار أحمد فراج

حادث عجيب ! نداء إلى الأطباء العلماء

إلى كل طبيب يعتقد أن مهنته مهنة بحث وفحص وتضحية وإيثار ، أسوق مأساة فتاة فى ميعة الصبا وزهرة العمر ... فتاة رزئت فجأة فى جمالها وشبابها بنكبة (اللحية) الكثة والشارب الغزير ... ويا ليت هذه النكبة قد اقتصرت على الوجه فحسب ، فإن الشعر قد نبت فى صدرها فشوه نعومته وأنوثته ! !

كانت تظن أنها ستتحول كما تحولت غيرها ، وكانت تعتقد أن هذا الشعر بداءة لهذه الرحلة ، مرحلة التغيير والتبديل ، فذهبت إلى بعض المشهورين المعروفين من الأطباء تعرض أمرها وتبسط شكوكها وتأمل أن تجد الشفاء العاجل أو الآجل مما هى فيه من هم واصب . فحار الطب ولم يصل إلى العلاج المنشود فهل عند الأطباء تعليل لهذا الحادث الشاذ وعلاج له ؟ ؟

محمد السيد المويلحى

جمع مشكاة

ورد فى القرآن الكريم ذكر « المشكاة » وهى « الطاقة » أو « النافذة » . وقد بحثت عن جمعها فلم أعثر عليه بعد مراجعة عدة معاجم وتفاسير فهل لكم أن تفيدونا بذلك (م . س)

(الرسالة) : لم يرد السماع بجمع مشكاة ، فلم يبق إلا القياس وهو : مشاك أو مشكيات

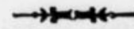
جريدة الوفاق

دخلت زميلتنا « الوفاق » فى عامها الثالث عشر من عمرها الطويل الحفل ، وهى أقوى ما تكون إيماناً بجهادها الوفق واطمئناناً إلى نجاحها المطرد . فنرجو لها دوام التوفيق واطراد التقدم حتى تبلغ الصحافة الإقليمية بها وبأمثالها الغاية المرجوة



فى ليالى الملاح التائه

للشاعرة الفلسطينية الآنسة « دنانير »



شعر صافٍ صفاء الجدول النمير تنعكس فيه صورة نفس الشاعر، فتحس إذ تقرؤه بروح صاحبه تتغلغل فى كل لفظة من ألفاظه ، وتشعر بدمه يسرى فى كل بيت من أبياته . فإذا أنت تقرأ نفساً حية تتمثل فى قصيدة ، وإذا الشاعر يسمو بروحك معه إلى دنيا شعرية علوية تفيض بالجمال والجلال حتى لتنسى ما يحيط بك ، وقد ملأت قلبك تلك الأخيلة البديعة التى ملأت قلب الشاعر ، وأثر فيك ذلك الإلهام الذى صدر عن حسه الرهف الرقيق . وهذا هو الشعر ، متى كان القلب منبعه فالقلوب مصبه . وذلك هو شعر الأستاذ على محمود طه فى ديوانيه « الملاح التائه » و « ليالى الملاح التائه » وهذا الأخير هو موضوعنا الآن .

يهدى الشاعر شعره إلى الذين أطالوا التأمل فى أسرار الكون ، وأرهقهم التيه فى مجاهل الحياة ، وإلى العائذين بأنس أحلامهم إلى وحشة مضاجعهم بين اللهفة والحنين . وفى هذا الإهداء نستطيع أن نلمس تلك الروح النبيلة الهائمة وتلك النفس الرقيقة الشاعرة التى لا يفتر حنينها ، نفس الأستاذ على محمود طه .

أول ما يطالعك الديوان به هو تلك القصيدة التى شرق ذكرها وغرب . ومن منا لم يسمع بأغنية الجندول التى أوحتها إلى الشاعر زيارته لمدينة فينسيا أثناء احتفال الفينيسيين بليالى الكرنفال ؟ ولعل من اللغو أن أذكر هنا هذه القصيدة لشهرتها البعيدة وذيوع صيتها

أثر فى نفس الشاعر طوافه فى أقطار الغرب ، ونحن نسمع صدى هذا التأثير يتردد فى قصائده التى يصف فيها ما شاهده هناك ، أو بالأحرى التى يصف فيها تأثير تلك المشاهد فى نفسه الصافية وخياله الخصب . نقرأ له مثلاً : « بحيرة كومو » ، أو « الجندول » ، أو « خمرة نهر الرين » ؛ فإذا روح الشاعر وحسه وقلبه كل أولئك مذاب فى قصائده يطلعك على مدى تأثير ذلك الطواف فيه. يقول فى قصيدة عنوانها : «خمرة نهر الرين» :

كنز أحلامك يا شا   عر فى هذا المكان
سحر أنغامك طوا   فٌ بهاتيك المغانى
فجر أيامـك رفا   فٌ على هذى المجانى
أيها الشاعر ، هذا الر   ين فاصدح بالأغانى
كل حىٍّ وجماد ها هنا   هاتف يدعو الحبيب المحسنا
يا أخا الروح دعا الشوق بنا   اسقنا من خمرة الرين اسقنا

وكأنى بالشاعر يرى كل تلك المفاتن تتصدى له بسحرها وجمالها فلا يسعه إلا أن يتساءل فى هذه الأبيات كأنه لا يصدق عينيه فيما تريان:

عالم الفتنة يا شاعر   أم دنيا الخيال
أمروج علقت بيـ   ـن سحاب وجبال
ضحكت بين قصور   كأساطير الليالى

ثم ينثنى ، وقد رأى أن نهر الرين بجمال جناته وجلال قصوره إنما هو الجنة ؛ فيهتف :

هـذه الجنة فانظر   أى سحر وجمال

ويحس أن الطبيعة قد أخذت بسحر تلك الليلة ، كما أخذت نفسه ، حتى أنصت الغاب ، وأصغى النهر ؛ ويرى بعين الشاعر التى ترى ما لا يراه الناس أن هذه الليلة الشعرية على ضفاف نهر الرين قد أسكرت الدجى ، وجعلت النجوم بعض الندماء ، فيقول :

ليلة فوق ضفاف النـ   ـهر حلم الشعراء
أليالى الشرق يا شا   عر أم عرس السماء
الدجى سكران والأنـ   ـجم بعض الندماء
أنصت الغاب وأصغى النـ   ـهر من صخر وماء
فاسمع الآن البشير المعلنا   حانت الليلة ، والفجر دنا
فاملأ الأقداح من هذا الجنى   واسقنا من خمرة الرين اسقنا

ثم يقول لصديقته « فتاة رين » التى التقى بها فى هذا الجو الشعرى ، فنذوق فى قوله حلاوة تلك اللحظات السحرية فى النفس الشاعرة ، ومرارة الأسى على ما فات :

يا ابنة الآر حديث الـ   أمس ما أعذب ذكره
كان حلماً أن نرى الر   ين وأن نشرب خمره
وشربنا فسكرنا   وأفقنا بعد سكره
ووقفنا لوداع   وافترقنا بعد نظره
أين أنت الآن أم أين أنا   ضربت أيدى الليالى بيننا
غير صوت طاف كالحلم بنا   اسقنا من خمرة الرين اسقنا

أى حسرة وأى لهفة تجدها فى هذا التساؤل الذى تكاد كل لفظة من ألفاظه تقطر بدمعة مذابة من قلب الشاعر الفياض بالحنين والشوق:

أين أنت الآن أم أين أنا ؟ ضربت أيدى الليالى بيننا

نقرأ هذه القصيدة أو قصيدة «بحيرة كومو» أو «الجندول» فتتمثل فى أخيلتنا مفاتن الغرب، وإن لم نرها، من مناظر الطبيعة إلى ليالى الأنس والبهجة، إلى مرح الشباب والصبى، ونحس بتأثير تلك المباهج فى تلك الروح الرقيقة وذلك القلب الذى يهيم بحب الجمال أينما كان، فى الماء والسماء، فى القصور والرياض، فى المرأة، سواء أكانت سامية أو آرية أو غير هذه وتلك. فالشاعر موكل بالجمال يتبعه، يملأ عينيه ومشاعره وقلبه منه ليتغنى به فى كل قصيدة من قصائده

هذا وتجيل الطرف فى «ليالى الملاح التائه» هنا وهناك فتقرأ له مثلاً «سيرانادا مصرية» أو قصيدته التى عنوانها «مى» أو «حلم ليلة» أو «إلى راقصة» وغير هذا مما فى الديوان من الشعر الغزلى، فترى أن المرأة قد شغلت حيزاً كبيراً من قلب الشاعر وفكره وإحساسه فأوحت إليه بأرق الشعر، الحزين حيناً، الباسم حيناً آخر. فالمرأة قد أذاقت الملاح التائه أفانين من حلوها ومرها، وكل هذا يتجلى لنا فى شعره الغزلى

وهناك قصيدته فى مصرع ربان حاملة الطائرات كوريجس التى أغرقتها غواصة ألمانية فى أوائل الحرب الحالية. يسمع الشاعر بتلك النفس الكبيرة التى آثرت الموت على الحياة. يسمع بما كان من تضحية الكابتن ربان السفينة الغارقة إذ جاد بنفسه. والجود بالنفس أقصى غاية الجود، فتوحى تلك البطولة النادرة إلى الشاعر بقصيدة من عيون الشعر يبدؤها بقوله مخاطباً الربان:

يا قاهر الموت كم للنفس أسرار ذل الحديد لها واستخذت النار
وأشفق البحر منها وهو طاغية عات على ضربات الصخر جبار

وكأنى بالشاعر هنا يظهر الناس على ضعف الطبيعة مع جبروتها أمام عظمة النفس الإنسانية، تلك العظمة التى تتجلى فى تضحيتها وعاطفتها... ثم يقول معرضاً بالغواصة التى أغرقت السفينة:

رماك فى جنبات اليم محترب خانى المقاتل عند الروع فرار
ترصدتك مراميه ولو وقعت عليه عيناك لم تنقذه أقدار
يدب فى مسبح الحيتان منسرباً والغور داج وصدر البحر موار
كدودة الأرض نور الشمس يقتلها
وكم بها قُتلت فى الروض أزهار

وفى هذا البيت الأخير تشبيه بلغ منتهى الجمال والروعة، لم نسمع بمثله قبل الشاعر على محمود طه

ويذهب الشاعر فى فنون القول كل مذهب، واصفاً ذلك الموقف النبيل الرائع، حيث يلقى الربان بقبعته إلى البحر إجلالاً للموت. كل هذا فى أبيات تفيض بالشاعرية التى تسرى فى دم الشاعر إلى أن يقول:

ياعاشق البحر حدث عن مفاتنه كم فى لياليه للعشاق أسمار
ما ليلة الصيف فيه ما روايتها فالصيف خمر وألحان وأسمار
إذا النسائم من آفاقه انحدرت وضوأت من كوى الظلماء أنوار
وأقبلت عاريات من غلائلها عرائس من بنات الجن أبكار
شنل الربابنة السارين من قدم تجلى بهن عشيات وأسحار
يترعن كأسك من خمر معتقة البحر كهف لها والدهر خمار
وأنت عنهن مشغول بجارية كأن أجراسها فى الأذن قيثار

انظر إلى هذه التورية المحببة فى ذكره الجارية:

صوت الحبيبة قد فاضت خوالجها
ورنحتها من الأشواق أسفار

وبعد هذا يأتى الملاح التائه بأجمل وأعجب ما يوحيه الخيال الخصب إلى شاعر. فيخرج عما ألف الشعراء أن يقولوه من استمطار الرحمة على الميت أو ما ماثل ذلك ويطلع علينا بقوله:

نزلتما البحر قبراً حين ضمكما رفت عليه من المرجان أشجار

تالله، لا يقرأ المرء هذا دون أن يقف عنده متأملاً مأخوذ اللب بسحر هذا الخيال الشعرى. رفت عليه من المرجان أشجار

ونقرأ له قصيدة فى موسيقية عمياء، وإذا بالشاعر، دأبه فى نظمه، قد ذوب نفسه وحسه فى قصيدته الجميلة، متألماً لتلك الصبية، أو الزهرة التى زواها الدهر لم تسعد من الإشراق باللمح فيقول لها مثلاً:

إليك الكون فاشتفى جمال الكون باللمس
خذى الأزهار فى كفيك فالأشواك فى نفسى

ويمضى الشاعر فى القصيدة على أروع ما يوحى به الشعور بالألم، إلى أن يقول لها:

عرفت الحب يا حوا ء أم ما زال مجهولاً
ألمّا تحملى قلباً على الأشواق مجبولاً
صفيه، صفيه فرحاناً ومحزوناً ومخبولاً
وكيف أحسّ باللوعة عند النظرة الأولى

***

ومن آدمك المحبو ب أو ما صورة الصب
لقد ألهمت والإلهام يا حواء فى القلب



من آداب الصين الحديثة

قصـــة الراعى المحزنة

للكاتب الصينى قوموجو

— ١ —

استقدمتنى إلى كوريا من وراء البحار على بعد آلاف الأميال ، واستقبلتنى تلك الأرواح العلية لجبال كِنج كُنج الشامخة الكثيرة القمم ، فلما وصلت إلى كوريا نزلت فى قرية صغيرة على سفح كنج كنج مشرفة على البحر اليابانى اسمها « حى الأرواح والأولياء » وكان فى القرية بضعة عشر كوخاً مواجهة للبحر متكئة على الجبل ، ليست قديمة متهدمة ولا حديثة مزدانة ، وكان أمام كل بيت بستان جميل تتسلق على جدرانه الفروع ذات الأزهار الناضرة الزكية ، وتبدو من بين المنازل والحدائق أشجار عالية ، وكانت تحوط القرية غابات كثيفة من الصنوبر ؛ وثمت أراض قليلة على مقربة من القرية كانت مفروشة ببساط من شجيرات القمح والشعير ؛ وكان يجرى فى خلال الغابة الواقعة فى الجنوب الغربى من القرية نهر يسمى نهر الفناء ، يتجمع من السيول المنحدرة من قمم كنج كنج وله صوت حزين غاضب وهو يسير صوب البحر اليابانى .

ارتاب أهل القرية فى أمرى حينما بلغتها وظنوا أننى صينى مزيف فلم يرضوا أن أنزل عندهم . غير أن سيدة كريمة فى أقصى القرية أشفقت علىّ بعد ما سمعت كلامى وعرفت قصدى وأننى بعيد عن أهلى وأقاربى فأذنت لى بالنزول عندها ، وآنست وحشتى بكلمات وجدت لها برد الراحة بعد التعب الذى لقيت فى سفرى الطويل الشاق . وكانت السيدة بوذية تعيش فى وحدة تصوم وتصلى وقد جاوزت الخمسين من عمرها ، وكان على الباب شعر منثور مكتوب على ورق أبيض ؛ كما هى عادة الكوريين ؛ فلما دخلت الباب وجدت فضاء مسوراً مزيناً ببعض الأشجار والأزهار ومنزلاً مكوناً من ردهة واسعة على جانبيها حجرتان ، وللردهة باب جانبى ينفذ إلى المزارع التى خلف المنزل والتى تظهر لمن يراها كأنها متصلة بجبل كنج كنج ، وكانت فى وسط الردهة منضدة عالية عليها تمثال بوذا من الحجر الثمين . دعتنى السيدة الكريمة إلى النزول فى الغرفة اليمنى ، ولم يكن بها إلا سرير ونافذة مملوءة بالغبار كأن لم يسكنها أحد من زمن بعيد

مر بى أسبوع مرور الطيف وأنا فى بيت هذه السيدة الكريمة ، وكنت أخرج كل يوم للنزهة فى الجبال وزيارة الآثار الشهيرة من الصباح إلى المساء لا تعوقنى الشمس ولا المطر ووطئت جميع القمم إلا قمة واحدة ، وقد انطبعت فى ذهنى جميع المناظر الجبلية الجميلة الجذابة لا تفارقنى لحظة فإذا أغمضت عينى برزت لخيالى كما تبرز الصور على الشاشة الفضية . على أنى لم أكن أملك من قوة الكتابة أو التصوير ما يسمح لى أن أصف هذه المناظر الخلابة أو أصفها واحدة واحدة فأهدى صورها لجميع إخوانى وأصدقائى كى يتمتعوا بمشاهدتها

— ٢ —

جلست على حافة بئر عميقة على القمة الأخيرة ناظراً إلى الجبال

هو القلب هو الحب وما الدنيا لدى الحب
سوى المكشوفة الأسرار والمهتوكة الحجب

هذا وليس فى وسعى الآن أن أحيط بكل ما فى ديوان الشاعر من قصائد متنوعة الموضوعات . ولكنك أنى أجلت طرفك فى ليالى الملاح التائه وجدت الشعر بكل ما تضمنته هذه الكلمة من معنى . تقرأ القصيدة فترى القوة تسندها من أى ناحية جئتها ، وترى الرقة تبلغ نهايتها حتى تشف عن تلك النفس الهائمة فى عوالم الجمال والشعر والخيال . وترى الخواطر والمعانى الدقيقة وقد صبغها الشاعر بصبغة من فنه الرفيع وعبر عنها بأسلوبه الشعرى الخاص ، حتى لتكاد اللفظة الواحدة بحلاوة جرسها وسحر وقعها فى النفس تقول لك : أنا لست كلمة من الكلمات ولكننى نغمة من الأنغام . حتى إذا رويت نفسك من هذه الشاعرية المتدفقة بأروع الشعر وأرقه رفعت عينيك الفياضتين بالنشوة وقد آمنت معى بأن الطبيعة التى قالت للشاعر الفرنسى لامرتين « سر فى طريقك ، ما أنبه شأنك ، إنه رآك » تعود اليوم فتقول مثل هذا للشاعر العربي المصرى على محمود طه .

« دنانير »

التي تسبح في السحاب والدخان على ضوء الشمس التي آذنت بالزوال ، فرأيتها شامخة ساكنة كشيخ ورع يحيط به عالم متحرك فانبعثت عاطفتي بتلك المناظر الجميلة سابحة كالطير في الجو متمتعة بالطبيعة، سكرى بما اشتملت عليه من الجمال ، وإذا غناء حزين من فتاة في سفح الجبل قد انبعث إليّ بين هبات الرياح ونفحات الرياحين فأيقظني ، فأصغيت إليه فإذا هو :

تستقبلني الشمس حينما أطلع ،

وهي تشيعني حينما أنزل .

للشمس بعد الغروب موعدٌ للطلوع

لكن الراعي ليس له وقت للرجوع .

ثغاء الغنم ،

صوتٌ حزين فزع !

إنها تشتاق إليك ، ألا تعرف أيها الراعي ؟ !

انقطع الغناء وثغت صغار الغنم بأصوات حزينة وقد اختلطت بأصوات الأجراس الضئيلة التي لا تكاد تُسمع

إن الأجراس في رقاب الغنم

معلقة كلها بيديك الكريمتين ؛

لكن الحبل الذي يمسكها يكاد ينقطع وتوشك أن تقع ،

والذي علقها قد ذهب وليس له وقت للرجوع .

ثغاء الغنم ،

صوت حزين فزع !

إنها تشتاق إليك ، ألا تعرف أيها الراعي ؟ !

أخذ الغناء يبتعد شيئاً فشيئاً ويتضاءل صوته في مسمعي ، ولكن تأثيره في نفسي كان عجيباً يبعث في العين الدموع

لست بمعدومة المقص ،

أقص به صوف الغنم ؛

ولكن عليه أثر مقصك المحبوب ،

إذا ذهبتْ روحي وحياتي !

... ...

لست بمعدومة الرباط ،

أربط به جرساً في رقاب الغنم ؛

ولكني أنتظر وقت انقطاعه ،

فأذهب إلى جانب المحبوب !

فلما سمعت هذا الغناء انحدرت دموعي من غير أن أشعر ، ثم وقفت على قمة الجبل تحت شجرة الصنوبر ونظرت إلى السفح فإذا قطيع من الغنم لا يزيد على بضع عشرة غنيمة ترعاه فتاة صغيرة وتسير به في ضوء الشمس الغاربة ذاهبة على مهل نحو الدينة ؛ وكان على رأس للفتاة لفاع أخضر يفيض على يديها ، ويبدو تحته لباس آخر أحمر ؛ وفي رجليها حذاء من النسيج وهي تسير بقطيعها مغنية منشدة مبتعدة عني شيئاً فشيئاً :

غنمي ، غنمي !

لا تخافي ولا تحزني !

إنه لا يجترئْ حيوان مفترس أن يقترب منك

ما دمت موجودة معك .

فإن جاء ،

قاتلناه حتى نموت فيفعل بنا بعدُ ما يشاء .

غنمي ، غنمي !

ارجعي إلى البيت معي !

وخفت الصوت حتى تلاشى ، وغربت الشمس ، واحتجبت الفتاة عن عيني وراء الجبل ، وكنت غريقاً في نهر من الدموع . ولبثت واقفاً تحت الشجرة مدة لا أعرف قدرها ، والجبال كأنها نائمة ، وقد تلألأت النجوم في السماء وبزغ الهلال من شرق البحر

— ٣ —

ألا تعرف أنها ابنة السيد مين الشريف ، أيها الضيف الكريم؟ جلست مع مضيفتي الكريمة خارج الردهة نتجاذب الأحاديث وقصصت عليها ما رأيته في النهار فأخبرتني باسم تلك الراعية الصغيرة

— إن كانت شريفة من بيت شريف فلماذا ترعى الغنم بنفسها هنالك ؟

يظهر أن سؤالي هذا حرك في قلب السيدة الكريمة شيئاً كامناً فصمتت برهة وهي تحدق في القمر في وسط السماء ونظرت إليها فإذا عيناها مغرورقتان بالدمع ، فندمت على ذلك السؤال الذي ضاقت به مضيفتي ، وذهب بي الفكر مذاهبه . ثم تحولتْ إليّ مضيفتي الكريمة وقد جفت دموعها وقالت :

— كان في نفسي ألا أذكر شيئاً من ذلك الماضي الأليم المحزن ، لكنني لا أطيق أن أكتم عنك . غير أن الحديث طويل متشعب فلا أدري من أين أبتدئه ؟ وأردفتْ :

— لم تولد هذه الفتاة الشريفة هنا ، في هذه القرية ، لقد كانت تسكن في الشارع الرئيسي في العاصمة منذ عشر سنوات ، وكان أبوها وزيراً في الحكومة ، ثم ترك الوزارة وغادر العاصمة

هو وأسرته ليقيموا هنا ؛ وإنما كان ذلك حين عرف أن بعض الخونة فى الحكومة اتفقوا مع دولة أجنبية ذات مطامع ، ولم يسمع الملك شكواه ولم يجبه إلى ما طلب من إعدام هؤلاء الخونة ليصون استقلال البلاد وسيادتها ويوطد سلامتها وحريتها

وكانت زوجته الأولى قد ماتت منذ ست عشرة سنة ، ولم يرزق من زوجته الثانية ولداً ولا بنتاً ، وكانت الفتاة فى الخامسة من عمرها حين ماتت أمها، وكان أبوها يحبها حبًّا جمًّا، فعهدإلىّ أن أقوم بخدمتها، وذلك عمل نتوارثه فى أسرتنا من زمان فى خدمة تلك الأسرة ، وكان زوجى شيخو خادماً له أيضاً ، وكان لنا ولد ...

استمرت السيدة فى الحديث وقد شاب صوتها رنة حزن ، والبكاء يغالبها : وكان ابنى اسمه يين وهو الإسم الذى سماه به سيدنا أبو الفتاة وكان يحبه كثيراً ويناديه دائماً « يابنى يين » ، وكان أكبر من الفتاة بسنة واحدة فكانت تدعوه أخاها الأكبر، وكان ابنى يتجاوز فيدعوها أخته الصغيرة أيضاً ، وكان كلاهما يحب الاخر كأنهما أخوان شقيقان

وكانت زوجته الثانية السيدة لى من الأسرة الشريفة أيضاً ، وقد درست فى اليابان وهى صغيرة ، ثم سافرت إلى نيويورك ولندن وباريس وفينا بعد تخرجها فى اليابان فقضت أكثر أيامها فى الخارج . ولما رجعت إلى البلاد وهى فى الثانية والعشرين من عمرها ، طلبت أسرتها إلى السيد مين وقد مرت على وفاة زوجته الأولى ثلاث سنوات أن يتزوجها . وكانت ذات شخصية بارزة فى العاصمة ، معروفة فى المجتمع باسم الفتاة الحديثة . تصور أيها الضيف الكريم كيف يمكن سيدة متمعة لطيفة نشيطة حديثة العهد بالزواج مثل هذه السيدة أن تحيا هنا هذه الحياة القروية الخشنة ؟!

انتقل السيد مين إلى هنا ، ونزل فى معبد فى تلك المدينة ، واعتكف فيه لا يهتم بالشؤون السياسية والاجتماعية ، وأمرنى أنا وزوجى أن نسكن هنا فى القرية لضيق المعبد ، واستبقى ابنى يين معه حيث يقيم ، واشترى له قطيعاً من الغنم يرعاه ، وكان ابنى فى الثانية عشرة من عمره يرعى الغنم بين الجبال فى الأيام التى لا تمطر فيها السماء، وفى بعض الأحيان كانت تصحبه الفتاة، وكثيراً ما كانا يضلان، فنخرج للبحث عنهما حتى نجدهما فى سلام وسرور.

أذكر أنهما مرة لم يرجعا إلى المعبد حتى منتصف الليل ، وظن السيد مين أنهما فى منزلنا ، فبعث إلينا يستفسر عنهما ، فجزعنا وخفنا أن يكون قد أصابهما شر وأسرعنا نبحث عنهما هنا وهناك ، فلما وصلنا إلى جبل كنج كنج البحرى رأينا القطيع على بعد نائماً على الشاطئ ، وقد اتكأ ولدى على صخرة كبيرة ، ونامت الفتاة متكئة على كتفه وقد استغرقا فى نوم عميق ، وكانت الليلة مقمرة ، كهذه الليلة ، والقمر ينشر ضوءه على الأرض والبحر تتجاوب أمواجه ، فكأنا فى مهد الطبيعة الكبير . إننى لن أنسى ما حييت تلك المناظر الجميلة التى رأيتها ليلتئذ

وكان ابنى يين يعالج بعض التمرينات الرياضية فى المعبد مع الرهبان فى الأيام الممطرة ، فلا يخرج ليرعى الغنم ، وكان يقرأ ويكتب مع الفتاة عند أبيها كل ليلة . وهكذا مرت أربع سنوات ولم يحدث شىء . وبلغ ابنى ست عشرة سنة من العمر ، وبلغت الفتاة خمس عشرة، وكان السيد مين يقول دائماً : سأذهب بهما إلى المدينة لتزداد معلوماتهما ... أواه ! إن إرادة الله فوق إرادة الإنسان ، فقد حدث فى تلك السنة ... ...

وأمسكت السيدة وأخذت تبكى بكاء مراً شعرت معه برجفة وتوقعت أن نكبة شديدة قد أصابت هذه الأسرة ، وكان القمر فى تلك اللحظة محجوباً بسحاب كثيف فزادنا ذلك شعوراً بالحزن والكآبة ولم أجرؤ على السؤال عما حدث ، وانتظرت حتى عادت السيدة إلى نفسها وقالت والدموع فى عينيها :

« فقد قتله أبوه ... قتله أبوه فى تلك السنة ! ... »

ثم عادت السيدة إلى البكاء، فلم يلبث أن وقع حزنها فى قلبى وملكنى ألم شديد ، وكنت أود أن أجد كلاماً أعزيها به فلم يطاوعنى لسانى فوقفت وقدمت إليها فنجاناً من الشاى فأخذته وجرعت منه جرعات ثم قالت :

« القصة طويلة جداً فلآت بكتاب ابنى الأخير تقرؤه ، ثم أخبرك بالخاتمة »

— ٤ —

كان قد مضى من الليل نصفه والجو بارد ، فدخلنا الغرفة وجلسنا على الأرض الخشبية كما هى عادة الكوريين ، وجاءتنى السيدة بكتاب ابنها فأخذت أقرؤه تحت ضوء المصباح الضعيف :

أمى المحبوبة :

لقد عثرت برسالة كانت بجانب الحظيرة عندما رجعت من المرعى . يظهر أن هذه الرسالة كانت سقطت من أبى ، وأخذت أقرؤها لأنها كانت مفتوحة ، أواه ! أمى ! ليتنى لم أقرأها فقد جزعت عند ما قرأتها وطار لبى !

لقد عزمت على أن أنقذ سيدنا وأختى وأبى ، لأنى لا أريد

أن يرتكب أبى تلك الجريمة الشائنة فيصير مذنباً عظيما ، وأظنه الآن فى المعبد فإنى لم أجده بعد البحث الطويل . أمى ! إنى أعتقد أن هذا السر إذا شاع فإنه سيكون له شأن . إنه أمر لا يهم أبى وحده لذلك سأمضى لأبحث عنه فى الليل وأراقبه، وسأحاول أن أمنعه عن ارتكاب ذلك الجرم العظيم وأقنعه أن ذلك عمل سيّئ أمى المحبوبة :

إن خذلنى الحظ وُقدِّر لى أن أموت فلا تحزنى ، فإنه خير للرجل أن يموت حراً من أن يبيع حريته وبلاده للأجانب ... ولقد ضاق الوقت فلا يسعنى أن أكتب أكثر من هذا . فإذا قرأت الرسالة السرية التى عثرت عليها فأحرقيها قبل أن يراها أحد وإذا حمّ القضاء فىّ فأرجو أن تقدمى نسختين من يومياتى المحفوظة فى الدرج إلى أختى المحبوبة ! وارك « يين »

الرسالة السرية

شيخو ...

تعال إلى المعبد هذه الليلة وسأساعدك على دخول الحجرة، فإذا أمكننا أن نبطش بهم جميعاً كان خيراً . خذ هذه الورقة التى فيها شِعره الثائر المثير ، واذهب بها إلى المعسكر ، واعترف بما فعلت ، فسيكون فى ذلك نجاتك ورقيك ! احذر ولا تنس !

(فى ١٦ يونية) السيدة « لى »

الشمس

من نظم السيد « مين »

ما أحمى الشمس النارية ! قدأحرقت زرع أراضينا الخصبة
جف التراب ومات الزرع فافتخرت الشمس النارية
ليتنى أجـــد سهم يى[1]
فأرميك به حتى تسقطى فى أعماق البحار
وليتنى أجـــد سيف يان[2]
فأقطعك به حتى تموتى وراء الجبال
لـكن السهم والسيف ليسا معى
وإنما أذرف الدم من عينى دموعاً على الجبال

ما أطول النهار ! فمتى يحين الليل ؟
ومتى المـــدوء والنهـــاية ؟

انتظرتنى السيدة الـكريمة حتى أتممت قراءتها كتاباً كتاباً ثم قالت لى بصوت هادئ حزين :

— لعلك قد عرفت القصة بوضوح أيها الضيف الكريم ؟ فقد مات ابنى الوحيد فى تلك الليلة المشئومة ، ليلة ١٦ يونية . وقد جاءنا فى ظهر اليوم التالى راهب صغير وقدم لزوجى رسالة ، فخرج من فوره ، وكنت أظن سيدنا استدعاه لأمر مهم فإذا به يعود بعد منتصف الليل متعباً سكران ، ثم لم يلبث أن جاء طارق يطرق بابنا ، فلما فتحته وجدت اثنين من الرهبان فصاحا قائلين :

— وا حزنا أيتها السيدة الكريمة ! لقد قتل ابنك الكريم !

فلما سمعت كلمهما أخذتنى رعدة شديدة . وخرج زوجى فجأة من الغرفة كأنه قد سمع ما أخبرانى به ، وصاح قائلاً :

— أواه ! لقد غلطت فى القتل ! لقد غلطت فى القتل !

ثم خرج من الباب مسرعاً !

وذهبت إلى المعبد عَدْواً ، فلما دخلت الحجرة التى ينام فيها ولدى ، وجدت على مكتبه رسالة مكتوباً فيها : « إلى أمى المحبوبة من ولدها يين » . فأخذتها ووضعتها فى جيبى ، وأسرعت إلى المكان الذى يزدحم فيه الناس حول القتيل ، فرأيت ابنى يين مخضباً وجهه بالدماء وقد سكن قلبه وبرد حسه ، فسقطت على الأرض مغشياً علىّ

ولما أفقت من الإغماء ووجدت السماء صافية والشمس ساطعة ، ظننت أنى كنت فى حلم مخيف ، وحدقت فيما حولى فوجدتنى نائمة فى حجرة الفتاة الصغيرة ، ووجدتها ساكتة بجانبى ؛ ولما رأتنى قد أفقت أحنت جسمها وأخذت تعزينى ، فازداد بذلك حزنى وبكائى ، وبكت الفتاة معى

وبعد قليل دخل السيد مين وزوجته السيدة لى وقال لى السيد : « يجب أن ندفن ولدنا يين ؛ فلماذا لم يظهر أبوه إلى الآن ؟ »

لما سمعت ذلك عرفت أن زوجى لم يجئ إلى المعبد قط ، ثم تذكرت الـكتاب الذى تركه ابنى على مكتبه فطلبت من الفتاة أن تخرجه من جيبى وتقدمه إلى والدها ليقرأه ؛ فما كاد يتناوله حتى سقط من يده كتاب آخر ، هو الـكتاب السرى الذى كتبته السيدة لى إلى زوجى ، فلما رأته السيدة لى خرجت مسرعة وأخذ السيد يقرأ كتاب ابنى ، وخرجت الفتاة الصغيرة فقدرت أنها ذهبت لتأخذ اليوميات من درج المكتب . وقرأ السيد

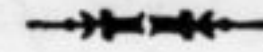
---

(١) من الأساطير الصينية القديمة أن الشمس فى السماء كانت عشراً فأحرقت للزارع والناس يشكون من حرارتها ، فرمى يى بسهامه وأصاب تسعاً منها وأبقى واحدة حتى يعيش بحرارتها الانسان ، فكان يى مشهوراً برمى السهام

(٢) من الأساطير أيضاً أن يان أحد الصينيين كان مشهوراً بقوته وشجاعته وسيفه القاطع . لا يقدر أحد من معاصريه أن يصارعه أو يضاربه

عنـــان

للأستاذ مراد الكردانى



كن أربع غيد عذارى فاتنات ناعمات يتحدثن ويسمرن فى مجلس خامستهن ، وقد جئن يهنئنها بخطبتها وكن أخص صواحبها

قالت حورية — وهى غرة صغيرة ، خفيفة الظل — تخاطب العروس : فعلتِها يا عنان ؟

فابتسمت عنان بفمها وعينيها ابتسامة أشرق بهاؤها وقالت فى حياء وفرح : النقبى لكن جميعاً

فاندفعت ثريا — وهى ضحاكة تحب عنان وتؤثرها — تقول وتضحك : تلك حال الدنيا يا عنان ... وكلنا لها ، فضحكن جميعاً ضحكاً حلواً مُرِنّاً كالنغم الأغن . وأجابتها عنان :

— هذا عزاء يقال للمسكين الذى يبتليه الله بك يا خرقاء

... ثم لما صفا المجلس من هَذَر ثريا ومجونها أقبلن على عنان ورجونها فى شغف أن تحدثهن كيف أتم الله نعمته عليها . فبدأت تقص عليهن وقلبها يقفز من الفرح ، فتساقط الألفاظ من فمها الصغير مبتورة ضائعاً نصفها فى شهقة خفيفة ما كانت تقوى أن تخفيها من فرط ما تحس به من سرور وفرح ... ولم تفت حالها ثريا فقالت : ماهذا يا عنان ؟ ! اتبتى لو رآك خطيبك لطمع فيك ولا استثمر لنفسه تلك الفرحة التى تفيض من عينيك فَدَلِّكِ وخضّمك ... أنت فرحة أكثر من اللازم كل جارحة فيك تهتز حتى كلامك يخرج مهتزاً مدغوماً ... انظرن قلبها كيف يرقص من خلال عينيها، ووجها كيف يضحك كله كأن قد انتخبت نائبة فى مجلس النواب أو سفيرة لبلادها ! ! خففى عليك يا عنان فهو رجل ... رجل لا أقل ولا أكثر ...

فقالت عنان فى نشوة ظاهرة وإيمان صادق :

— اسكتى يا مجنونة اسكتى ... حين ذهب عنكن الرجل ، وحين تبيَّنتُن أنه جاد ولن يرجع ، رُحتُن تنشدن السلوى عنه فى السفارة والنيابة ... والله لو أنابوك لبحثت أنت عنه فى النواب ثم خرجت به . ما كان أجل أن يبحث هو عنك ... أما أنا فلقد ظفرت برجل يا ثريا

الكتاب السرى فازداد غضباً على غضب وسكت برهة ثم انفجر باكياً وصاح يقول : « ولدى يين ، ولدى يين ! لقد كنت أرجو أن أراك رجلاً حتى تجاهد فى سبيل وطنك، لكنك قد مت من أجلى وأجل فتاتى آه ! آه ! أين أجد بعدك لذة الحياة ؟ ! ...

ودخلت الفتاة الصغيرة مسرعة وهى تقول فى ذعر : إن السيدة لى قد أزهقت نفسها وانتحرت فى غرفة يين ...

خَفَتَ ضوء المصباح لقلة الزيت ، فقامت السيدة الكريمة فعمرته بالزيت ثم رجعت لتتم حديثها :

قبر ابنى يين ، والسيدة لى ، كلاهما فى المعبد ، وقد قضيت أسبوعاً هناك مريضة . ولم أسمع خبراً عن زوجى منذ تلك الليلة فلا أدرى أهو حى أم ميت ! وكنت أود أن أبقى فى المعبد بعد ذهاب زوجى وأخدم السيد مين وفتاته ، لكنه رفض وذهب ، وبقيت الفتاة وحدها تخدم والدها وترعى الغنم التى كان يرعاها ابنى من قبل ... ذلك سبب ما سألتنى يا بنى .

أليست فتاة مسكينة أيها الضيف الكريم ؟ وكثيراً ما تلقانى فتقول لى : إن الغنم بعد ما فارقها راعيها امتنعت عن الأكل وقد نفق أكثرها هزالاً ، وكلما مات واحد منها بكته الفتاة بكاء شديداً وأقامت له قبراً بجانب قبر ابنى ؛ فلذلك لا أظن ابنى يين يشعر بالوحشة والانفراد ، ولن يشعر بهما أبداً !

— ٥ —

أمسيت أتقلب على السرير بعد ما سمعت قصة السيدة مضيفتى فلم أنم إلا بعد ساعات . ولما أغمضت عينى رأيت كأننى قد ذهبت إلى ذلك المعبد الرهيب ، ورأيت ذلك القبر المكتوب على حجره « قبر الفتى يين » ورأيت حوله قبور الغنم ورأيت أيضاً تلك الفتاة التى رأيتها فى النهار فوق الجبال جاثية أمام القبر تدعو لصاحبه

ثم لم يلبث أن تحول منظر القبور إلى مسرح جميل فى وسطه فتى وفتاة عاريان يرقصان ويغنيان وحولهما قطيع من الغنم واقف وقفة الناس يرقص معهما ويغنى ، وثمت كثير من الأسد والنمور وصنوف من الحيوان ... وفجأة أبصرت إنساناً يدنو ، وفى يده سيف قاطع، يهم أن يقتل به الفتى فأخذت عليه الطريق فأهوى على ثم استيقظت ، ولما هدأت نفسى وزال اضطرابى جلست فى فراشى أترقب مطلع الصبح حتى أستعد للسفر ؛ فمالى طاقة بعدُ على البقاء فى هذا المكان !

المترجم

أبو بكر هوفانجين

فناصرت هدى — وكانت قد عنَّست — رأى عنان :

— ... فى زمن عز فيه الرجال يا ثريا

وكانت حورية قد تركتهن يصطخبن كما يحلو لهن ، وأعملت أسنانها فى الطبق المثقل باللذيذ من الحلوى ، حتى إذا أتت عليه رفعت رأسها وقالت لعنان ، ولا تزال تمضغ وتتمطق :

— أوَ يكون فى ليلة العرس عشاء ؟ لعله عشاء كامل مسمن، لا أن ندور لنلتقم من كل صنف لقمة ، كأنما جئنا لنتسلَّف أو لنتقصى أنواع الطعام !

فالتفتت لها ثريا ودارت عينها لما رأت الطبق فارغاً ، ثم نهضت فضربتها وجعلت تدسُّ لها الطبق فارغاً فى فمها تريدُها أن تمضغه هو الآخر . فانفجرن جميعاً ضاحكات ، ونهضت عنانُ فموضتهن وأجزلت

قالت هدى لعنان وكانت أشتفهن بسماع الحديث :

— حدثينا كيف ظفرت برجلك ولا تلتفتِى للمجنونة ولا للمنهومة ...

فقالت عنان :

— والله إن الأمر يا هدي عجبٌ من العجب ، لعله لا يصدق أو لعله هَيِّنٌ نادر ، ولكنه وقع لى على أى حال ... كان جالساً بجوارى فى مركبة عامة لا أعرفه ولا يعرفنى ، فَلَفَتَ فىَّ فقبَّلنى فى زحمة الناس وعلى عيونهم ! ثم تبعنى لما نزلت ... ثم جاء فخطبنى !

فشُدِهن كلهن ، وشاع فيهن حنين خفيف ، وثارت فيهن أنوثتهن المحرومة والمنتظرة ... فأصغين إليها وأقبلن عليها وهى تفصِّلُ ما أجملت :

— كنت أرقب السيارة الصاعدة إلى « مصر الجديدة » وكانت الزحمة بالغة ، وتدافع الناس على باب الدرجة الأولى . فهدانى ربى أن أدلف إليها عن طريق الدرجة الثانية ، ولكنى — وقد استويت راكبة — عجزت أن أبلغها ، فوقفت أهتز وأتدافع وسط الرجال . فتضاغط الجالسون إلى يسارى ووسعونى ، فجلستُ خامسة فى مقعد يسع أربعة وكان هو إلى يسارى يتأملنى ويختلسنى بأطراف عينيه . أطرقت أخفاه فينغض ، ثم يعود فأعود . . . ولما شعرتُ بدقِّ قلبه . إذ كان جسمه لصق جسمي تركته فلم ألفتْ فيه ... ثم بدا له أن يرسل عينه فى الطريق من ناحيتى فى نفس اللحظة التى بدا لى فيها أن أرسل عينى أنا الأخرى من ناحيته . فرَفَّ شفتى بشفتيه ! وتلاقت عينانا فى نظرة داهشة ثم عاتبة وغاضبة . وكانت قبلة ضاعت حلاوتها فى حرَّة الخجل التى تنفَّشَتْ فىَّ فأطرقت مضطربة محمومة

لم أدر ما حدث بعد ذلك ولكنه خبَّرنى . قال وهو يعيد الذكرى على سمعى :

... لم أستطع أن أواجه أعين الناس . وحنقت على نفسى أشد الحنق ، وأحسست أن الدم قد تصعد وه ...

وأمسكت عنان عن حديثها بغتة لأنهن لفتن نحو الباب ففوجئن — ما عدا عنان — برجل يقتحم عليهن فألفينه شاباً موفور الشباب رائع الرجولة، فجأت رجولته أنوثتهن فتمنَّينه، وثار عليهن نقصهن فغبطن عنان التى وجدت كمالها

ونهضت تقدمه لهن وتقدمهن له ، فرحب وهو يبتسم ويجلس جنب عنان جلسة يزحمها بها ، كأنما يعاود على فؤاده منها ذكرى اللقاء الأول والقبلة الأولى . فتضاحكن من ظرفه ومن جلسته ثم اندفع هو مستطرداً كأنه الذى كان يتحدث :

— لقد حنقت على نفسى وأحسست الدم ...

فشرعت فيه عنان عينيها ، فغضّ ، فقالت :

— من غير إذن ...! ثم من أدراك أنهن يسمعن لك ؟

فقال: من التوفيق وحسن الحظ أننى أقبلت حين بدأ الحديث يكون عنى ، أعنى فى شأنى ، فأنت التى يجب أن تتأذى ، لأن الذى حنق هو أنا ، ودمى أنا — لا دمك أنت — هو الذى تصعَّد فى وجهى وفى قنة رأسى فجعل يخزنى كأن إبراً تتوالى على صفحة وجهى وفى هامتى ، فجعلت أتحسس مواضع الوخز وأنا مطرق لا أجسر أن أرفع ، ولكنى عدت فاختلستها — وهى مطرقة مثلى — فرأيت الوجه الجميل قد تورد كله . ثم تجمع ورده وزكا فى الخدين فوهجا وأضاءا . فسلبتنى روعة حيائها قسوة حيائى . فلم أعد أحفل بالناس ، إذ لم يعد فى وسع عينى ولا فى أقطار نفسى سواها

ثم تكشفت على فؤادى من عينيها — لحظة شرعتهما فىَّ — فتنة جديدة أشد وأروع كانتا مسبلتين فنجلتهما فى ، فكأنما — والله — سلت الأهداب الطِّوال المشرَعَة فى كبدى فسيَّلتها !

لم أستطع أن أحتمل أكثر من ذلك . فهامستها — من غير وعى وأنا لا أعرفها — أن من الأوفق أن ننزل ...

فقطعت عنان حديثه قائلة فى تتايه ودلال :

— كنت وأياه كوسيط مسحور يصرفه المنوم كيف شاء

فقال أأذنت لك أن تقاطعيني . اسكتي . فهذا حديث كبار فبسمن جميعاً وعاد يقول :

— نزلنا ولم يبلغ واحد منا وإنما هربنا من فضول الناس . لم ندر كيف ، ولم تدر هي كيف أطاعتني . فكلانا ذاهل غائب فتى يقبل فتاة لا تعرفه ولا يعرفها في جمع الناس وعلى عيونهم ثم ينهضان معاً ... إن هذا لشيء عظيم !

ولبثنا وقوفاً زماناً ثم جمت بدد ذهني قليلاً حين دار في أذني سبابها خفيفاً حلواً يتندى على فؤادي كحبات الماء على جبين محموم . وقلت: إنها غلطة يا آنسة وإنها — ولا يد لي فيها — لأحب إلى نفسي من عملي كله

فعبس فمها ... فمها فقط ... عبسة أشهد ما رأيت أحلى ولا أروح منها ، وعاد سبابها العذب يتوثب حول شفتيها ثم يتسامى إلى قلبي نغماً قصيراً رقيقاً يحمل في وهن رقته قوة فتانه ...

فابتسمت ثريا وقالت :

— مرحى . مرحى . هذا منطق عاشق يسمع بقلبه سباب حبيبه نغماً كحباب الكأس ما تسمو واحدة حتى يماجاها فناؤها الكامن فيها

فأمّن على تشبيهها واستطرد عليه يقول : أي والله يا ... ونسي فأدركته عنان قائلة ... يا ثريا

— أي والله يا ثريا إنه لكذلك على فؤادي كان يوقظ حنينه ولا يشبعه ! ولكنه لم يكن سباباً . إنه — يا آنسة — غضبةُ جمال شقّ عليه أن يُغْشَين على أعين الناس

وكانت إفاقتي على حلو سبابها ردة على جمال جديد تجلي على فؤادي من قوامها المعتدل سحرتني وحيرتني فلم أدر أيّا أطيل فيه النظر ولا أيّا أقصر عنه ... كانت فتنة مجسدة ، وكنت من فمها وحده بين ثلاث فتن : أكبرها وأقتلها أنني قبلت هذا الفم وأوسطها أنني نعمت به حين عبس فبدا بشفتيه — العليا على السفلى — كفراشة حمراء قانية بسطت جناحيها الصغيرين ثم نامت على لفة وردة تترشف رحيقها . . . وأنني سحرت حين توسّل على فؤادي منه نثم حبيب . وأهونها — وتلك من عجائب القلب — أنني فزت بعد ذلك برضاه . . . إنه حلو فاتن حين يرضى ، وإنه لأحلى وأفتن حين يعبس

فضحكت ثريا وقالت :

— الأمر بيدك ... اغنم لنفسك الأحلى !

فقال وهو يبتسم : هذه أمانيُّ يا آنسة !

وقالت عنان تُتم الحديث من حيث قطعته ثريا :

— ... وفرغ سبابي فمدّ إليَّ يده في ضراعة وقال لي :

— إنه خطأ هين ، وإني لمصلحٌ ما كان بجمال ما سيكون ، ولذلك لن أعتذر ، وعاد هو يتم لها :

— ... قلتُ لها : ولذلك لن أعتذر ؛ فعقدت حاجبيها وتغضّبتْ بعينيها ، ولكنها ابتسمت على رغمها ابتسامة كانت تنمها جهدها وتخفيها ، ففهم قلبي معاني قلبها ، وناجت روحها روحي ، وانسرقتْ حواسها بجملتها على غفلة منها فألقت في حواسي رسالة فرحتُ بها فاتزنت واطمأن قلبي

وجاءت سيارة فقفزت إلى الدرجة الأولى لتواصل طريقها وقفزت أنا في الدرجة الثانية ، ولما نزلتْ هي نزلتُ أنا وتحاشيتها وعرفت من بُعدٍ منزلها ... ثم ... ثم اقتحمت على أبيها فأسعدني وأسعدها

فبسمت عنان ابتسامة أشرقت في قلب خطيبها هذه المرة ، وقالت في دلال وتخابث : في «وأسعدها» بحثٌ وكلام

فأخذ وجهها بين يديه وقبّلها على مرآى منهن قبلة عاجلة وهو يقول :

— لا كلام ولا حديث لقد ظفرت بالدنيا يوم ظفرت بك يا عنان

وخرج يجرى فائزاً بقبضة يدها تهوى على ظهره جزاء ما فعل

— أما هن — كان الله لهن — فقد تخاجلن وتضاحكن . ثم نظر بعضهن إلى بعض ، وقمن لينصرفن . فقالت لهن والدنيا لا تسعها : إنه خفيف الظل وأنا أعبده

فقالت ثريا :

— إنه رجلٌ يُتمنَّى يا عنان ، وإنه لحقيق أن يحبّ ويعبد ، لو كنتُ مكانك . . .

وعَيّ على المسكينة أن تزيد . تحْجرتْ هدى وزاملتها وأرسلتا — حين صارتا في الطريق — زفرة حارة ، وزادت هدى أنّ عبرةً فرّت منها برغمها

وقالت ثريا :

— تعالي يا هدى سنركب الدرجة الثانية من سيارة مزحومة وبعداً — منذ اليوم — لسيارتي وللدرجة الأولى ... ولتحرص كل منا أن تجلس — منذ اليوم أيضاً — خامسة في مقعد يسع أربعة ... لعل وعسى ...

مراد السكرداني

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين ﴾



8me Année No. 360

Lundi - 27 - 5 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٦٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ ربيع الآخر سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٧ مايو سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفكر والحرب ...

قال الأستاذ « دومينيك[1] » فى تحليله البليغ للكتاب القيم الذى ألفه السير « نيفل هندرسون » سفير انجلترا فى برلين بعنوان (سنتان عند هتلر) :

« إن المتمدنين الذين يعيشون فى هذا القرن بإنسانية القرن التاسع عشر ومسيحيته ليقضون من الدهش إذ يرون هذا « الهتلر » يرجع بالعالم إلى عهود الجاهلية القيصرية فيحمل أتباعه على أن يعتقدوا أن الله قد حل به وأن ألمانيا قد تجسدت فيه . وإن المفكرين ليفزعون فى وسط هذه الزعازع الهوج إلى الله جزعين أن يرتكس الفكر والحضارة فى مهاوى البربرية الأولى » .

وقال المستر « سمنر ولز » فى خطبته الختامية بالمؤتمر العلمى للأمم الأمريكية :

« ليس من الصعب أن نتنبأ بنكسة القرون الوسطى فى بلد أصبح التفكير الحر مستحيلاً فيه . وأى أمل يبقى للأخلاق بعد هذا الطغيان الذي موّه الباطل على الناس حتى اعتقدوا أنه الحق ؟ » . ثم دعا الولايات المتحدة إلى أن تذود عن المدنية التى تدين لها بأكثر مما تنعم به .

(١) النوفيل ليتربر

الفهـــرس

١٤ ـ ٥٦

وقال صديقنا الأستاذ « الحكيم » في (الأهرام) :

« إن نذير الدمار المسلط على شؤون الفكر والروح كفيل بأن ينهض رجال الفكر والأدب للدفاع بأقلامهم وقلوبهم عن حضارة ساهم أسلافهم في وضع أحجارها الأولى » .

وكلام هؤلاء السادة على اختلاف الموطن والمذهب ترجمة لطائفة من المعاني الخداعة التي قدمها الإنسان الحديث فأقام عليها ثقافة المدرسة ، وراض بها نفسية المجتمع ، وجعل منها خصائص لحيوانيته تميزه في زعمه على الإنسان القديم والوحش الآبد .

وليس في منطق الطبع أن يكون أثر الفكر دائماً من الخير المحض ما دام مصدره الإنسان وهو يفسد ويصلح ويخبث ويطيب تبعاً لوحي غريزته وخضوعاً لهوى منفعته . أليس الفكر والأدب والعلم والمدنية التي يدعو الأساتذة الكتاب إلى النضح عنها هي نفسها التي جعلت ألمانيا الهتلرية جحيما يستعر باللظى والغاز والحمم ، فزلزل الأرض من القطب إلى القطب ، ورمى الدنيا جماء بغاشية من الموت الوحيّ والقلق المميت ؟

لو لم تعتمد النازية على الفكر الألماني القوي الخصيب لما استطاع نامك « برجوف » أن يفجأ العالم الآمن بأهوال من الشر ينكرها الشيطان ، وأساليب من الموت يجهلها الموت

إن الفكر الفعال في الأرض لا ينفك عنه قصور الإنسان وضلاله ، فهو عاجز عن هداية الناس ما لم يهده الله بنوره .

ولا يجرؤ المسكين ابن آدم على أن يزعم أنه استطاع بفكره أن يحل مشكلاته بالمفاوضة ، ويقسم أرزاقه بالعدل ، ويوثق علائقه بالمودة ، ويضع لدنياه أنظمة ثابتة تكفل له السعادة الخالصة والسلام الدائم

وإن الأدب المحرك لهوى النفوس لم يستطع الإنسان الأثر أن يسمو به على الأهواء النفسية والأغراض الحزبية والأطماع القومية ؛ فظل في كل أمة خاضعاً لمنهاج المدرسة وسياسة الدولة وطبيعة الشعب لا يتجاوز حدود المكان ولا فصول الزمن ، فكان عاملاً من أشد عوامل العصبية والوحشية والفرقة

وإن العلم الذي ناط به العقل كشف أسرار الكون لفهم الحياة ، وتسخيرَ قوى الطبيعة لخير الناس ، جافاه الضمير فاستبد به الشر وراح يستمديه على نتائج الخير وآثار الصلاح ، فرماها بآلات البوار والدمار من طائر يقذف الشهب وسائر يطلق السموم وزاحف يرسل اللهب !

وإن المدنية التي عمرت بها الأرض ، وتمت عليها الأنفس ، وزخر بها النعيم ، وتبجح بازدهارها الإنسان ، قد سطت عليها المادة القاسية فسلبتها الروح وحرمتها القلب ، فوقعت الجفوة بينها وبين الدين ، وانقطع السبب بينها وبين الحب ؛ فتشتت الأُلاَّف ، وتباعدت القُرْبى ، وتشعبت الحاجات ، وتنافست المطامع ، وتكاشفت الأحقاد ، واضطرب الناس في سبل الكدح ، وألهبتهم حوافز الهم ، حتى عجزوا بخلقهم وطبيعتهم عن مسايرة الحضارة فسموا بالطائرات ، وعملوا بالآلات ، ونظروا بالتلسكوب وسمعوا بالمكروفون ، وضاقت عليهم الأرض برحبها فضربوا في الآفاق ، واختصموا على ديار المستضعفين فحكموا بينهم السلاح . فكانت هذه المدنية المادية أشبه بسعير الآخرة تنضج الجلود ولا تزهق الأنفس ليستمر الاضطراب ويتجدد العذاب ويدوم للطبيعة الخداعة هذا الثوب الأنيق الموشى بفضل هذا الإنسان الأحمق الذي يعمل ولا يعرف لماذا ، ويسرع ولا يدري إلى أين !

* * *

هذا الفكر العاجز ، وهذا الأدب القاصر ، وهذا العلم المجرم ، وهذه المدنية الفاجرة ، لا تستحق الاحتفاظ بها ولا الذياد عنها يا زملاءنا الأعزة . لقد اشتد بأسها وعظم سلطانها في ألمانيا (الراقية) فولدت الهتلرية بوحشيتها وعصبيتها وبلاياها ؛ وإن من الخير للانسانية أن تذهب هذه العقلية مع الهتلرية إلى غير رجعة

إن الفكر الذي نريده هو الفكر المدبر النفاذ الذي يشرق في جوانبه نور الله فلا يشت به ائتلاف ولا يضل عليه سائر .

وإن المدنية التي نرجوها هي المدنية الإنسانية التي ينبث في طواياها روح الله فلا يولد بها شقي ولا ينجم فيها ثائر

إن شمس المدنية الصحيحة قد أشرقت من الشرق ثم غربت في الغرب ، ولا بد أن يدور الفلك فتعود إلى مطالعها لتشرق على العالم من جديد !

احمد حسن الزيات

سيكولوجية الأديب

للدكتور ابراهيم ناجي

فى هذا الموضوع ناحية شخصية طريفة ، وطرافتها تغريني بالثرثرة ؛ فإني لا أرى الآن موضوعاً علمياً ، وإنما أرى أمامى شخوصاً وأسماء وصنوفاً من النفسيات تكون مجموعة مسلية تخمة . ومع ذلك ، فسأتنكب هذا الجانب البديع ، وأتكلم كلاماً علمياً سيكولوجياً تكون فائدته أعم وأوقع

أجل ، من أهم الموضوعات الاجتماعية مسألة : « سيكولوجية الأديب »

ولما كان الأدب فرعاً من الفن ، كان الكلام الصحيح هو عن سيكولوجية الفنان . ومقال اليوم يتناول سيكولوجية الفنان المصرى ، لأن للفنان المصرى طابعاً خاصاً به لا تجده فى غير مصر ، وللثقافة الفنية فى مصر طرقاً لا تجدها فى غيرها من البلاد

ولما كان الجسم والنفس وحدة متماسكة ، فإن أمراضهما متصلة ، وإن كانت فى الجسم أعضاء تتأثر أكثر من غيرها . وفوق ذلك ، فإن للأدباء المصريين أمراضاً خاصة بهم وحدهم .

نبدأ الآن بالتحدث عن نفسية الأديب المصرى :

الأديب المصرى يندر أن يكون رجلاً طبيعياً . فإننا إذا نظرنا إلى الحياة وتعريفها ، ثم إلى الأدب وتعريفه وخصائصه ، تبين صحة ما نقول

ما هى الحياة ؟

أصدق تعريف لها أنها تفاعل بين عوامل خارجية تتكون من البيئة والظروف والعادات والتقاليد ؛ وعوامل داخلية تتكون من العناصر التى بتفاعلها وتطورها وتماسكها أدت إلى المجموعة التى اصطلحنا على تسميتها «بالشخصية». الحياة «ميزانية» بين دخل وخرج . الحياة موازنة بين قوتين وملاءمة بين دافعين ، وكل ما يعترى الحياة من اعوجاج أو شذوذ ، أصله اضطراب فى ميزان التفاعل ، وأصل ذلك الاضطراب اختلال فى عنصر من العناصر الداخلية أو الخارجية

وإذا سلمنا أن الدوافع الخارجية متساوية بالنسبة لنا جميعاً ، سلمنا كذلك أن الاختلال أكثره داخلي أى فى ذواتنا ، وفى صميم أنفسنا . ولنراجع الآن أهم العناصر الداخلية فى النفس بوجه عام ، ثم نراجعها فى نفس الأديب المصرى بوجه خاص

أهم العناصر الداخلية التى تكون « الذات » هى « المادة » و « الجنس »

ويدخل تحت حكم المادة ما نسميه « بالُخلق » . ولا يخفى أن التربية « عادة » ، فخلقنا وتربيتنا أخيراً هما ما اعتدناه وصار طبيعة ثانية . ويدخل فى بناء الشخصية – بعد المادة – مواهب موروثة أو فطرية كالذاكرة والخيال والذكاء

ويتكئ ذلك كله على الغرائز الفطرية التى هى واحدة فى جميع البشر ، وإنما يختلف عملها بمقدار ما أطلقنا منها وما كبتنا .

وأما « الجنس » فيساوى « الحب » ويجب ألا يفهم من ذلك اللفظ حب الشهوة ، وإنما الحب على طول خطه المبتدئ بالوالدين المنتقل إلى المجتمع المنتهى بالزواج

ولعل ترتيب الأمور بأهميتها يكون على الوجه الآتى : الوراثة ، المادة ، الحب

إنى أعطى الوراثة المكان الأول لكي أؤكد أن هناك ذكاء مكتسباً موروثاً ، وآخر نحصل عليه بالمران . الأول عميق « عمودى » والثانى « سطحى »

ولا جدال فى أن الأدب يورث ، والمواهب الأدبية كالخيال ، والموسيقية وغيرهما ، مواهب تورث أى تولد ولا تصنع

والأدب تنبت جذوره وعناصره فى الطفولة . فمن المألوف أن الطفل ينام على اللحن الموسيقى ، ويستأنس بالغناء ، ويحب القصة الخيالية ، وقد يؤلفها هو نفسه

فالواقع أن الأديب طفل لم يكبر . والأديب الصحيح من له خصائص الطفل ، فى فرحته بالأشياء ، وسذاجته ، وتهلله ، وضحكته ، وخياله ، وفرحه وابتهاجه بالموسيقى . والتربية الأدبية الصحيحة ، هى التى ترمى إلى شيئين : تربية الحواس ، فإن حدة الحواس هى الوسيلة التى بها يستعين الأديب على التقاط الصور وتذوق الأشياء . والشيء الثانى جو الحرية الذى فيه تترعرع شجرة الذات ، وتتغذى تلك الحواس النشطة المتقدة

والأديب المصرى محروم من الأمرين . فى المنزل وفى المدرسة لا يجد من يتعهد تلك الحواس بالتغذية ، وفى المنزل يجد التربية قائمة على الزواجر والنواهى ، وقتل حرية الاستطلاع التى هى أهم

خصائص الأديب . وفى المدرسة يجد سلسلة من « الكليشهات » التعليمية التى تقتل المواهب وتقبرها وتدفن شجرة الحرية دفناً ! وكما ذكرت ، عندنا أديب بالسليقة ، وأديب بالاكتساب

أما الأول فيمر على تلك الأدوار ونفسه تشعر بالضيم ، وتنطوى نفسه على ثورة مكتومة . والثانى يتلقى تلك الأخطاء ، ويبتلعها بسهولة ، ويصل إلى عتبة المستقبل رجلاً عادياً يتميز عن غيره من الناس بقليل من المواهب الكلامية والبيانية وشىء من الحقد على العباقرة وأرباب النبوغ

ونتكلم الآن على مسألة «الحب» لما لها من الأهمية البالغة فى حياة الأديب ، ولما لها من الشأن فى مصر خاصة

الحب فى تعريف بلاتو وفى تعريف البيولوجيا « شطر يبحث عن شطره الآخر الذى كان لاصقاً به ومكملاً فانفصل ... »

فالبيولوجيا تقرر أن المخلوق كان فى البدء وحدة ثم شُطر ، وكان الشطران فى البدأ على جذع واحد وكانا متساويين ، فلم يلبثا أن تميزا على الجذع ثم انفصلا ، ثم قضى الله عليهما أن يبحث كل عن الآخر ... فى سن المراهقة حيث تنشط الغدد وتتأجج الحواس وتتطلع النفس باحثة عن شطرها الضائع

وهذا الوقت هو أزمة الأزمات. وهو عندنا فى مصر ـ خاصة ـ عهدٌ خطر ، ومع الأسف يقل فيه الإرشاد وتندر الصراحة الواجبة ، مع أنه العهد الذى يبدأ فيه نضج الأديب ، وتزدهر مواهب الفنان وتتفتح

فإن النفس التى تتطلع إلى مثلها الأعلى ، أى إلى توأمها من الجنس الآخر ، قد تجده ، فإن وجدته قد لا تظفر به ، أو قد تظفر وتنتهى الرواية ، أو لا تجده ، فتتحول إلى خلق شىء على مثاله ، أو التغنى بالحنين إليه ، أو رسمه على القماش أو الحجر ، وهكذا . أو تكون الأزمة النفسية من الشدة بحيث تحدث اضطراباً نفسياً كبيراً ، فإما أن يكون هذا الاضطراب تحدياً واعتداء ، أو تخاذلاً وانطواء ، وإما أبعد من ذلك ، وهو الجنون . فنحن الأطباء نعرف ما هو جنون المراهقة ونفهم أسبابه وعلته

قلت إن هذا العهد فى مصر أخطر العهود على الشاب الأديب فإما أن يكون أديباً عبقرياً ، فطامته الكبرى أن مثله الأعلى غير موجود أو مستحيل ، وكارثته الأخرى أنه إذا وجد خياله المنشود ، يخفق فى الحصول عليه أولاً ، لأنه ضال لا يعرف الطريق العملى إلى ذلك ، وثانياً لأنه شديد الحساسية متناه فى الاعتزاز بكرامته فيفر بها حتى من وجه الحبيب ! أما الأديب « المصنوع » فهو قد ركب فى « القالب » الخطأ وقبله وانصب فيه ، ومحنته أولاً فى « التركيب » الذى ركب فيه ، وثانياً فى الحقد المتأصل فى نفس صغيرة بالفطرة وبالتربية ، وثالثاً فيما يحاوله لبلوغ مرتبة العبقرية والعبقرية منحة من السماء

هذا فيما يختص بالعناصر الداخلية أو كما يسميه الدكتور جوردون صاحب كتاب «العصبى وأصدقاؤه» «ضغط الظروف» فهو الذى باصطدامه مع تلك العوامل التى ذكرناها يسبب المرض العصبى ، وذلك الاصطدام منشؤه عند العبقرى عظم الفرق بينه وبين البيئة ، وعند الأديب المصنوع الفرق بين ما يتعاطاه وما يحاول أن يصل إليه

هذا موجز لمرضى الأدباء مرضاً نفسياً ، أما أمراضهم الجسمية فسببها عن اضطراب ذواتهم وقلقلة حياتهم . فهم قوم مسرفون فى التفكير ، ينامون قليلاً ويأكلون قليلاً ــ وأكثر الأدباء فقراء ! وشذوذهم يدعوهم إلى تناول أطعمة شاذة ، وقد يستعينون بالمنبهات على إدمان العمل ووفرة الإنتاج

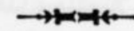
وهم فى مصر قليلو الرياضة ، ولذلك يمرضون بالكبد والمعدة وأكثرهم يأتوننا شاكين من اضطراب القلب ، وليس فى قلوبهم مرض . وإنما منشأ علتهم فرط ذكائهم واطلاعهم فهم يقلبون كتب الطب فيفهمونها نصف فهم ، ثم يتحسسون قلوبهم وأكبادهم ويتخيلون فى المرض كما يتخيلون فى الأدب .

ابراهيم ناجى

الأزهر والحياة العامة

مالك والجاحظ
فى العصر الحديث

للأستاذ محمود الشرقاوى



يقول الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى فى حديثه مع الرسالة : « بين أيدينا كل ما ورد عن الرسول من الأحاديث، وما روى عن الأئمة من الأحكام ، وما أثر عن الفقهاء من الكتب ؛ وفى خزائننا كل ما خلّف العرب وغير العرب من لباب الأدب وعصارة الفكر . ومع هـذا اليسر فى الوسائل وهذه القوة فى الاستعداد لا نرى إلا فراغاً يثير الظنون ويغرى بالأزهر التهم »

ثم يتعجب الشيخ الأكبر كما يتعجب بعده الدكتور زكى مبارك متسائلاً : لماذا لا يظهر فى العصر الحديث مشرّع مثل الإمام مالك أو أديب مثل الجاحظ ... ؟

وهذه هى المسألة التى وعدنا قراء « الرسالة » أن نبحثها فى ختام مقالنا الأول [1]

***

صحيح ما يقوله الشيخ الأكبر من توفر ما روى عن الرسول من الأحاديث وما روى عن الأئمة وعن الفقهاء ، وتوفر ما فى خزائننا مما خلف العرب وغير العرب من لباب الأدب وعصارة الفكر . صحيح كل هذا ونحن أميز عن جميع العصور حتى عن عصر مالك وعصر الجاحظ فى توفر هذه المصادر كلها والمراجع كلها والكتب كلها وفى سهولة الوصول إليها والبحث فيها

ولـكن توفر هـذه المراجع والمصادر والـكتب لا يبرز من بيننا إماماً كمالك ولا أديباً كالجاحظ . وليس من العجب ألا يبرز ليست الـكتب وحدها ولا المراجع ولا الأصول هى التى تنشئ الأديب ولا هى التى تبرز العبقرى ، بل هناك أسباب أخرى يمكن أن نذكر منها البيئة العلمية والوسط الاجتماعى ، ومستوى الحياة الذهنية فى العصر الذى ينشأ فيه العالم أو ينشأ فيه الأديب

فهل نستطيع أن نزعم أن البيئة العلمية التى نشأ فيها مالك والتى تكوّن فيها تفكيره وتم نضوجه العقلى ، أو تلك البيئة التى نشأ فيها الجاحظ ، وتكون فيها تفكيره ، وتم نضوجه الأدبى . هل نستطيع أن نزعم أن هذه البيئة أو تلك شبيهة بما نحن فيه الآن أو قريبة منها ! ؟

كانت الحياة الاجتماعية والحياة السياسية فى عصر مالك والجاحظ تفور بالنشاط بل بالعنف ، وتضطرب بالحياة القوية المتجددة . وكانت الأحـداث السياسية والحربية والاجتماعية تجىء فى كل يوم بجديد . وكانت الأمة الإسلامية أو الأمة العربية فى عصر مالك والجاحظ هى صاحبة السيادة والسلطان المطلق على العالم كله « عالم ذلك العصر » ، وكانت حضارات الأمم القديمة العريقة وأموالها وآثارها العقلية والأدبية تنحدر كالسيل فى نهر الحياة الإسلامية أو العربية وعلأضفافها بالنشاط والحركة والحيوية .

وكان المجتمع الإسلامى أو العربى فى عصر مالك والجاحظ يشعر بأنه صاحب السيادة على ما سواه من المجتمعات ، صاحب السيادة الذهنية والعقلية والأدبية . بل لم يكن يجـد أمامه نداً من المجتمعات يمكن أن يقارن به أو يوزن إلى جانبه أو تقام بينه وبينه المفاضلة والترجيح ، لأن الأمة الإسلامية أو العربية كانت لذلك العهد صاحبة السيادة السياسية والحربية وما سواها من السيادات ولم تكن تجد أمامها من توزن سيادته بسيادتها أو تقام بينها وبينه المفاضلة والترجيح

وفى هذه البيئة وفى ظل هذه السيادة التى يشعر بها المجتمع وتشعر بها الدولة لأنها حقيقة واقعة . نشأ مالك والجاحظ فكانت لها سيادة الذهن وسيادة الفكر والأدب والفن

وهذه الأشياء كلها : البيئة العلميـة ، والوسط الاجتماعى ، ومستوى الحياة الذهنية، وشعور المجتمع بالسيادة أو بالهوان، ومكان الدولة من القوة والضعف ؛ كل أولئك أشياء ليست هينة الشأن فى تكوين الأديب والعالم وفى تبريزه وحدة ذهنه وقيمة إنتاجه .

وبالمقارنة بين هذه الأشياء على عصر مالك والجاحظ وبينها فى مصر والشرق على عصرنا هذا نستطيع أن نضع علماءنا وأدباءنا حيث يكون موضعهم الطبيعى

(١) عدد ٣٠٨ من الرسالة

ولعل من المفيد أن نذكر هنا قول ابن دريد فى مقصورته :

وكل قرن ناجم فى زمن فهو شبيه زمن فيه بدا

وقد نجم مالك ونجم الجاحظ فى زمن كانت السيادة فيه لدولتهم ودينهم ومجتمعهم فكانوا شبيهين بزمنهم ، ونجم علماؤنا وأدباؤنا فى زمن فهم شبيهون به

ولا عجب فى ذلك ولا غرابة

* * *

ولكنا ننتقل من ذلك إلى مسألة أخرى نلخصها فى هذه الأسئلة وفى الإجابات عليها :

ما هى القيمة الحقيقية لمالك والجاحظ؟ وهل لا نجد فى عصر غير عصريهما من تكون قيمته مثل قيمتهم ؟ وهل لا نجد فى عصرنا هذا من يقرن إليهما ويوزن بميزانهما ؟

أما مالك فهو إمام مشرع نافذ البصيرة والذكاء فى فهم المسائل وفى التشريع ، ولكنا نستطيع أن نجد له نداً بل أنداداً كثيرين فى هذه الصفات كلها . وفى مسائل كثيرة نجد علماء متأخرين يناقشون مذهب مالك أو غيره من المذاهب ويفندون رأيه فى مسألة أو فى مسائل . ثم يقتنع الباحث المنصف بأن رأيهم أرجح من رأى مالك وأن فهمهم لهذه المسألة أو المسائل أدق من فهمه

ونستطيع أن نجد كثيراً من هذا فى مطالعاتنا لعلم الأصول وأن يجده غيرنا كذلك

ونجد فى عصرنا هـذا علماء يناقشون فى مذهب مالك وفى غيره من مذاهب الأئمة ويفندون رأيه فى مسألة أو فى مسائل ، ويكون رأيهم فيها أرجح من رأى مالك ، وفهمهم لها أدق وأصدق من فهمه

فى الأحاديث الدينية التى أذاعها الأستاذ الأكبر ، وفى دروسه التى ألقاها منذ سنين ، وفى أحكامه قبل ذلك فى القضاء آراء ومسائل خرج فيها عن رأى مالك وأبى حنيفة وناقشها وأقنع سامعيه وقارئيه بصواب رأيه على رأيهم . وكان فهمه لهذه المسائل أدق وأصدق من فهم مالك وأبى حنيفة

ونقرأ ونسمع لعلماء معاصرين آراء يخالفون بها هذا وذاك من الأئمة ومن الفحول ، ثم نجد من الإنصاف أن نقرهم وأن نشهد بأنهم أدق فهماً وأصدق رأياً من هـذا وذاك من الأئمة والفحول ولو خالفوا مالكا

ثم نقول بعـد ذلك فى الجاحظ مثل قولنا فى مالك بفارق بسيط ولكنه ضرورى . فإذا أردنا أن نضع الجاحظ وغيره من فحول الأدب القديم حيث يستحقون من تاريخنا الأدبى والثقافى، يجب أن نلاحظ الفرق بين « الأديب » فى العصور القديمة وبين « الأديب » فى عصرنا هذا ، وأن نلاحظ الفرق بين « الأدب » فى تلك العصور وبين الأدب فى عصرنا هذا

فالأدب عند العرب فى عصر الجاحظ وفى غيره من العصور (وإلى عهد قريب) كان أدب حفظ وجمع ورواية . وكان الأديب يوزن قدره ويلحظ مكانه بقدر ما يحفظ من الشعر ، ومن غريب الرواية ، ومن كلام السلف والأعراب ، ومن شعر الشعراء . وكان أكبر ما يمدح به الأديب أن يقال فيه إنه « بحر علم » و « خزانة أدب » وإن صدره « وعى علوم الأوائل والأواخر » إلى غير هذه النعوت التى تدور كلها حول محور الرواية والحفظ والجمع والاستيعاب

فإذا نظرنا إلى الجاحظ وإلى من هو أقل من الجاحظ مكاناً فإنا لا نجد فى عصرنا من يشابهه أو يقاربه ، ولا نريد أن نجده . والأدب والشعر ورواية الغريب التى هى بضاعة الجاحظ وغيره من فحول الأدب المؤلف (إذا نظرنا للأدب هذه النظرة) هذه البضاعة لا تساوى شيئاً ، ولا نأسف لأنا لا نجد فى عصرنا من يوزن بالجاحظ فيها . فعندنا خزائن الكتب أرحب وأوسع وأصدق وأيسر من صدر الجاحظ ومن روايته

أما الآن ، فنحن ننظر إلى الأدب على أنه فن قائم على قواعد وأصول ، وعلى أنه أسلوب وفكرة ، أو على أنه أسلوب فقط . نحن ننظر إلى الأدب على أنه شىء من هذا أو هذا كله، أو على أنه شىء غير هذا وذاك . ولكنه مهما يكن ، فليس هو الجمع والحفظ والاستيعاب والرواية للغريب والشعر . فإذا وزنا أدب الجاحظ بهذا الميزان الجديد للأدب ، فقد خف وزنه ولم يبق منفرداً ولا فذاً منقطع النظير والأقران فى عصرنا

فمقدار الثقافة التى كان يتميز بها الجاحظ ونوع هذه الثقافة لا وزن له ولا قيمة فى عصرنا . وتلميذ فى الأزهر أو فى مدرسة

الأسماء تعـــلل

للدكتور مأمون عبـــد السلام

[وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة]
« قرآن كريم »

لكل كائن اسم يعرف به . هكذا جرت طبيعة الخلق ، وهكذا ستكون إلى أن يشاء الله . فمعنى كلمة آدم ، الرجل ، لأنه أول رجل خلقه الله ، كما أن حواء أول امرأة خلقت. وقد أنجبت قابين لأنها اقتنته رجلاً من عند الله . وسمى الله أبرام إبراهيم لأنه سيكون أباً لجمهور من الأمم . ودعا ساراى زوجة أبينا الخليل سارة لأنه سيسر بها قلبه ، وسمى ابنه منها إسحق لأن ابراهيم عليه السلام سقط على وجهه وضحك لأن الله أخبره بأنه سيولد له منها ولد وهى ابنة تسعين سنة . وقد قالت سارة عندما ولدته : « قد صنع الله إلىّ ضحكاً كل من يسمع بى يضحك » لذلك سمى إسحق من الضحك . وسمى يعقوب بذلك لأنه كان توأماً لعيسو ، فخرج بعده وهو قابض بعقبه . هذه هى رواية التوراة فى تعليل أسماء الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام

فأسماء الأعلام فى الأصل إذن لها تعليل ومعنى . وقد جرت عادة بنى الإنسان فى كافة أنحاء الأرض أن يتبعوا قواعد فى تسمية أبنائهم تكاد تكون واحـدة . فتراهم ينسبون أسماءهم إلى معبوداتهم ، وإلى الملائكة والرسل والأنبياء والقديسين وأسماء الملوك والفاتحين ، وأصحاب الشهرة ممن خلدوا ذكرهم . فكان قدماء المصريين مثلاً يسمون أبناءهم بالإضافة إلى آلهتهم مثل رعمسيس ، وتوت عنخ أمون ، وأخناتون . وكان العرب فى جاهليتهم يسمونهم بعبد مناة وعبد العزى . ويسمى أهل الكتاب أولادهم بأسماء الرسـل أولى العزم والنبيين كنوح إبراهيم ، يونس ، عيسى ، محمد . وبأسماء الملائكة مثل جبريل وميخائيل . وقد ورد فى الأثر : خير الأسماء ما عبدوما حمد . لذلك يكثر فى أسماء المسلمين عبد الله ، عبد الرحمن ، عبد الغفار ، وغير ذلك من الإضافة إلى أسماء الله الحسنى ، كما يكثر فيهم محمد ، محمود ، أحمد ، حامد ، حماد ، حمدين

ثانوية يعرف من الجغرافيا ومن حقائق التاريخ ومن علوم الطبيعة أكثر وأصدق مما نجد فى كتب الجاحظ من الحيوان إلى البيان والتبيين . بل يعرف من ذلك ومن حقائق العلوم أكثر وأصدق مما يعرف أدباء العرب جميعاً فى جميع العصور ، وليس ذلك عيباً فيهم ، فقد كانوا يعرفون أكبر قسط وأصدق قسط من علوم عصرهم ومعارفه

وليس مطلوباً منهم أكثر من ذلك ، ولكنه لا يجعلهم أعظم شأناً ، ولا أكبر مكاناً من كاتب متوسط فى عصرنا

وأما أسلوب الجاحظ وبصره بالأدب على قواعده التى أشرنا إليها منذ قليل ، فهو الذى يصح أن نقيم له وزناً وأن نقارن بينه فيه وبين كتابنا وأدبائنا المعاصرين . وهذه المقارنة نرجو أن يسمح لنا فضيلة الأستاذ الأكبر ، وأن يسمح لنا صديقنا الدكتور زكى مبارك ، إذ نقول إنها لن تخرج بنا إلى النتيجة التى توافقنا عليها . فالجاحظ وغير الجاحظ من فحول الأدب القديم نستطيع أن نجد لهم شبيهاً وقريناً فى عصرنا هذا .

نستطيع أن نجد من يشبه الجاحظ فى فهمه للمسائل الأدبية وفى بصيرته بالأدب والشعر وفى « الذوق الأدبى » ، وأن نجد من يشبه الجاحظ أو يبرز عليه فى النقد الأدبى ؛ ولا أقدّم على ذلك دليلاً سوى تصحيح زكى مبارك نفسه لكتاب زهر الآداب وتعليقاته وتصويباته الأدبية والتاريخية عليه وعلى غيره من الكتب ورسالته عن كتاب الأم ونسبته للشافعى

وكذلك نستطيع أن نقول ذلك عن أسلوب الجاحظ وعن أساليب عدة من فحول الأدب القديم ، لا نستثنى من ذلك سوى أصحاب المقامات كالحريرى والزمخشرى .

وأسلوب الشيخ المراغى فى الكتابة والخطابة ، وأسلوب الزيات فى (الرسالة) ، وأساليب غيرهما من الباحثين والأدباء والمفكرين فى عصرنا ، نستطيع أن نقيم الميزان بينها وبين أسلوب الجاحظ وغير الجاحظ من أهل القديم . وقد نجد بالموازنة أننا خير منهم . وليس لهم إلا أن الزمن تقدم بهم فارتفعت بهم قداسة التاريخ

محمود الشرقاوى

ومن الأسماء ما يكثر محلياً بالنسبة لولى أو قديس محلى، فترى اسم عواد منتشراً فى مديرية القليوبية ، وعبدالرحيم فى قنا، لوجود قبرى هذين القطبين فيهما ، كما يكثر اسم موسى فى جنوب سينا

وكانت عادة العرب وغيرهم من الأمم قديماً أن يختاروا للذكور من أولادهم أسماء تشعر أعداءهم بالشدة والبأس والقوة والشجاعة لتلقى الرعب فى قلوبهم. فمن أسماء العرب معارك ، محارب ، حرب، شجاع ، صنديد ، شديد ، دهشان ، غضبان ، هراس ، ناعب ، وحش ، منصور ، ولهذه الأسماء ما يقابلها عند الفرنجة مثل جيرالد ، سافيدج ، فكتور

كما أنهم يسمونهم بأسماء الحيوانات التى يعجبون بها لصفات يحمدونها فيها كالشجاعة والمكر والمثابرة ،فترى كثيراً من المصريين والعرب يسمون الوحش ، الوحيش ، السبع ، الضبع ، النمر ، الفهد ، الذئب ، الفيل ، الجحش ، الجدى ، العجل ، العجيل ، الجمل ، الحلوف ، البغل ، القرد ، الفار . كما أن منهم من اسمه ثعلب ، نمس ، تيس ، بعرور ، قطة ، بقر ، بهايم ، جربوعة ، علوش ، وهو الذئب أو ابن آوى بلغة بنى حمير ، ومنهم من اسمه البدن وهو الماعز الجبلى

ويسمى كثير من سكان السواحل المصرية بأسماء الأسماك مثل : قرموط ، شلباية ، شال ، زقزوق ، كركور ، شوبار ، طومار ، سحلول ، حوت

كما أن منهم من يسمى بأسماء الطيور مثل الدقيش وهو نوع من الطير أغبر أربقط ، وقد يكون الدقنوش المعروف بمصر . ومن الأسماء المعروفة بمصر حدايه ، صقر ، عصفور ، شحرور ، هدهد ، غراب ، فراخ ، زرزور ، بلبل ، غر ، ديك ، بطة

ومنهم من يسمى بأسماء الحشرات والدبيب فهناك أشخاص يسمون نحلة ، دبور ، جمران ، خنفس ، برغوث ، بقة ، حنش ، حنيش ، حية

ومن الناس من يسمون بأسماء النباتات ، فمنهم من يتخذ أسماء الحبوب مثل عائلات قمحة وشعير وذرة . ومنهم من يسمى بأسماء الخضر مثل : فلفل ، قوطة ، كوسة ، جزر ، فقوسة ، بطيخة ، بقلة . ومنهم من يسمى بأسماء الأشجار والفاكهة والنقل مثل : نخلة ، شمروخ ، خوخة ، زيتون ، لوزة ، بندق ، حب الرمان ، برقوق ، تفاحة ، برتقالة ، وردة ، فلة . أو يسمون بأسماء الحشائش والنباتات الصحراوية ؛ مثل : زربيح ، شبحة ، حنظل ، حطب ، زعتر ، زعيتر ، حشيش

ومن الناس من يغلب عليه لقب لصفة بارزة أو شهرة ذائعة فيصبح اسماً يتوارثه أولاده ، فهناك من يسمون : النطاح ، المفش ، النتن ، الدكر ، الزفر ، العبيط ، اللطخ ، الظايط ، الجميص ، الأقرع ، الأعور ، الماكع ،الأجرب ، السمران ، الأطرش ، الأعسر ، الأحدب، الجارم ، الحلو، الخشن، الناعم ، الفللى ، الدهل ، الأهبل، المكهوب، العجوز ، السايح، المقدة، السيد ، العبد ، البربرى ، المملوك ، المعتوق . كما أن منهم من يسمى ناعس ، نعسان ، مهاهل ، غناجة ، غندر، غندور ، عشقوتى

ومنهم من يأخذ اسم عيب جسمانى أو أفراز مثل حدبة وقتب وبربور

ومن الناس من يكون لاسمه غرض صوفى خاص يدل على الزهد كأن يسمى الرجل ابنه باسم زعلوك ، عاكف ، منيب ، الماحى الضعيف ، الخفيف ، الذليل ، الناقص ، العريان ، القشلان ؛ ومنهم من يسمى باسم حنفى ، شافعى ، مالكى

ومن غريب أسماء الأشخاص ما يدل على مأكول ، فهناك أشخاص يسمون باسم بصل ، عجوة ، عجور ، كشك ، ملوخية ، سكر ، قشطة ، عسل ، كمك ، قراقيش ، برغل ، مش ، لبن ، لبنة . كما أن بعضهم يأخذ لأولاده أسماء الجمادات مثل : خشبة ، لوح ، قنديل ، مصباح ، فانوس ، غربال ، الدلو ، الفلق ، الزق ، الصحن ، زلط ، صخر ، شقرف ، الدرس ، الدرع ، الزر ، طبق ، قلة ، مغراف ، دبشة ، طوبة . ومنهم من يسمى بشىء يلبس مثل : الطرحة ؛ أو يسمى بنفيس الأشياء : كذهب ، مرجان ، الماس ، زمرد ، لؤلؤ

ومنهم من يسمى بأسماء الأيام والشهور وفصول السنة مثل : خميس ، جمعة ، محرم ، رجب ، شعبان ، رمضان ، ربيع ، شتا . ومنهم من يسمى : مطر ، غيث ، سحاب ؛ كما أن منهم من لاسمه علاقة بالنور والنار والكواكب مثل : شعلان ، لهلوبة، أتون ، محروق ، محروق ، محاريق ، نور ، أنور ، نوار ، نور الظلام ، شمس ، قمر ، نجم ، ثريا ، زهرة

ومنهم من يسمى بأسماء آلات القتال مثل دبوس وخشت وسيف وبمبة

ويدل كثير من ألقاب العائلات على أصل مواطنها الأولى مثل الشامي والمغربي، الفرنسي، التركي، السوداني، الحبشي، الهندي كما أن منها ما يشعر بحرفة أو صناعة أو وظيفة أو مركز اجتماعي خاص كالجميدى، الطبال، الزمر، الحمار، القلفطي، المراكبي، العربجي، المنشار، الحداد، النحاس، النجار، الصباغ، الصايغ، الصبان، الخادم، الجمال، السحار، السحرتي، الحانوتي، القرابلي، الصيرفي، الزيات، الدهان، البستاني، الجنايني، الحاجب، الشوا، التراس، السبحاوي، البهلوان، المنشوقاتي، الفسخاني، الكنفاني، المستكاوي، المسلكاني، الشبكشي، الرماح، السخري، المعجان، الكحكي، الحصاني، القماش، العسكري، الحرامي، السقا، الجزار، الفولي، الفوال، القزاز. ومن الأسماء طحان، عجان، خباز، زبال. ومنهم الزلباني، السلالي، السكاكيني، الحناوي، القمص، القسيس، الجندي، العمدة، الشيخ، الأفندي، البيه، الباشا الأمير، البرنس، مزارع

ويختار كثير من الناس غريب الأسماء لأبنائهم ليطيلوا بذلك أعمارهم ويدفعوا العين عنهم؛ فمن أمثلة ذلك: فندي، فانتي، دقدق، تهته، شكمه، حكشه، خنجر (بضم الخاء والجيم)، بلبع، درع (بتشديد الراء)، سنكحلو، زملوط، زعطوط، شحوت، شحات، حتحوت، شنن، جملص، كمبلها، بخاطرها، زعزوع، جميصة، الجميص، سحبـل، معيط، عاشور، دحروج، عميرة، دعبس، زعير، زعرب، زعربان، شلنوت، حمروش، حبروك، نونو، بنونة، شرشومة، بحبح، شولح، حتاته، كانش، بصيص، تلكم، بالى، بابى، حيدة، حيدرة، حزنبل، بظاظة، دقدوقة، صلع (بتشديد الصاد واللام)، سلطح، حنبوط، كرشة، دلدل، عيطة، كمورة، كشلة، الدكش، الدكس، شلضم، ضمضم، مدبح، زقلط، بملط، فلوسة، حرحش، زغلة، شمردن، طمواش، خلطخ، لاغا، صوصى، سنون، الميت، طبل، سـبل (بضم الطاء والسين وتشديد الباء المفتوحة)، قزامل، لميطة، الزقم

ومن الأسماء ما هو مركب مثال ذلك: عائلات ميتكيس، قصير الذيل، نقر الطين، سبع الليل، هب الريح، سيف النصر

ومن أسماء الثانيات: ست من نده، ست الدار، أدوب انا (اسم بنت بالواحة البحرية)، قدم خير

وكثير من الأسماء كنيات كنى بها أصحابها في الأصل لصفة خاصة. ومن أمثلة ذلك: أبو شادوف، أبو قورة، أبو لبدة، أبو طاقية، أبو الروس، أبو الريش، أبو النيط، أبو ورده، أبو كرش، أبو سنه، أبو دراع، أبو أصبع، أبو حجر، أبو جبل، أبو لقمه، أبو قلطه، أبو دهينه، أبو شبانه، أبو زهرة، أبو ريشه، أبو النى، أبو شنب، أبو شنب فضه، أبو هيف، أبو حصيرة، أبو ليفه، أبو لحاف، أبو اخرجها، أبو غنجة، أبو قاعود، أبو طاحون، أبو طحين، أبو جازية، أبو سحلى، أبو دراز، أبو رمح، أبو سيف، أبو شجر، أبو دومة، أبو دوح. ومنهم من يكنى بأسماء أولاده مثل: أبو حسين، أبو ليله، أبو نفيسة، أبو زهرة، أبو ظريفة،

ومن الأسماء ما هو مثنى لاسم علم مثل: محمدين، حمدين، حسانين، بكرين

ولا تظنن أيها القارئ الكريم أن المصريين منفردون وحدهم بهذه التسمية، فهناك ما يماثل هذه الأسماء في كافة ممالك الأرض بلغات أصحابها مما يدل على أن العقل البشري يفكر على نمط واحد مهما بعدت الشقة واتسعت المسافة.

مأمون عبد السلام
عضو نادى الصيد الملكي
ووكيل قسم أمراض النباتات

كتاب الأغانى

للأستاذ حسن خطاب الوكيل

طبع كتاب الأغانى بالمطبعة الأميرية فى عشرين جزءاً تنتهى بأخبار عمارة بن عقيل الخطفى . ومنذ خمسين عاماً ظهر فى عالم المطبوعات الجزء الحادى والعشرون من هذا الكتاب المستطاب . قام بنشره وطبعه المستشرق رودلف الأمريكى فى مدينة ليدن سنة ١٨٨٨ ، وحدث فى سنة ١٩٢٦ أن أديباً فاضلاً ونبيلاً من النبلاء رغب إلى دار الكتب المصرية فى أن تقوم بطبع الأغانى على نفقته ، فلما همت بتنفيذ هذه الرغبة النافعة لم تعترف بالجزء الزائد على العشرين للأسباب الآتية :

١ — أنه لم يصدره ناشره بمقدمة يبين فيها أصل النسخة التى نشره عنها ولا فى أى المكتبات عثر على هذه الزيادة

٢ — أن أسلوبه ضعيف لا يشبه أسلوب أبى الفرج فى العشرين جزءاً المتقدمة

٣ — أنه يشرح فى كثير من الأحيان الألفاظ الغريبة التى ترد فى أبيات الشعر ، وهى طريقة غير معهودة فى الكتاب . فالجزء الأول مثلاً على كثرة ما فيه من الألفاظ الغريبة لم يشرح منها إلا القليل النادر ، وقد لا يعدو ما شرح فى هذا الجزء من هذا القبيل أربع أو خمس كلمات

٤ — أنه فى هذا الجزء يشرح أحياناً المعانى التركيبية لبعض الأبيات ، ولم نعهد مثل ذلك فى الأجزاء الماضية

٥ — أنه يكتب كثيراً كلمة — صوت — على شعر لم يغن فيه ، وطريقة الكتاب ألا تكتب هذه الكلمة إلا على الشعر الذى يتحدث بعدُ أنه وقع فيه غناء ... الخ

ونحن نسلم بأن (رودلف) قد قصر فى أنه لم يصدره بمقدمة وأنه لم يذكر فى أى المكتبات عثر على هذا الجزء ... الخ ولكن هذا لا يكون حجة فى أنه ليس من الكتاب إذ كل هذه الاعتبارات إنما هى مجرد ملاحظات غير محدودة ، ولا تنهض دليلاً على أن الجزء ليس من الكتاب ، ومن المحتمل أن يكون لكتاب الأغانى بقية لم تظهر بعد ، أو تناولتها أيدى الضياع .

وها هو ذا ياقوت يتحدث إلينا فى كتابه معجم الأدباء عن الأغانى ويؤيد قولنا هذا حيث يقول : (وقد تأملت هذا الكتاب وعنيت به ، وطالعته مراراً ، وكتبت منه نسخة بخطى فى عشر مجلدات ، ونقلت منه إلى كتابى المرسوم بأخبار الشعراء فأكثرت ، وجمعت تراجمه فوجدته يعد بشىء ولا يفى به فى غير موضع منه كقوله فى أخبار أبى العتاهية — وقد طالت أخباره ها هنا ، وسنذكر خبره مع عتبة فى موضع آخر ولم يفعل . وقال فى موضع آخر — أخبار أبى نواس مع جنان إذ كانت سائر أخباره قد تقدمت — ولم يتقدم شىء ، إلى أشباه لذلك . والأصوات المائة هى تسع وتسعون . وما أظن إلا أن الكتاب قد سقط منه شىء أو يكون النسيان قد غلب عليه والله أعلم)

هذا كلام ياقوت ، ومنه يحتمل أن الكتاب له بقية محتملة أو هو قد سقط منه شىء لطول العهد ، وعليه فلا يبعد أن يكون الجزء المتحدث عنه هو منه ، وها هو ذا الإمام الجليل ابن منظور صاحب لسان العرب ينقل عن الجزء الحادى والعشرين فى مختصره مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى منذ ستمائة عام مضت على مختصره هذا حديثاً طريفاً عن إسحاق الموصلى وغلامه زياد لم تذكر بعد إلا فى الجزء الحادى والعشرين .

حديث إسحاق وزياد

إسحاق الموصلى من مشاهير الأدباء وأهل الغناء ، وأخباره فى كتاب الأغانى قد لا يخلو منها جزء منه ، وله حكاية طريفة وأشعار ظريفة فى غلام له اسمه زياد لم تذكر إلا فى الجزء الحادى والعشرين من الكتاب ، وهذه الحكاية هى عماد بحثنا فى أن الجزء المشار إليه هو من الكتاب ، لأننا وجدنا العلامة ابن منظور نقلها عنه واختصرها منه

جاء فى أول الجزء الحادى والعشرين طبع ليدن والذى ادعاه رودلف ما نصه :

خليلى هيا نصطبح بسواد ونرو قلوباً هامهن صواد
وقولا لساقينا زياد رقها فقد هز بعض القوم سقى زياد

الشعر والغناء لإسحاق ، ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر — خبر إسحاق مع غلامه زياد — هذا الشعر يقوله إسحاق فى غلام له مملوك خلاسى يقال له زياد ، كان مولداً فى مولدى المدينة فصيحاً ظريفاً فجعله ساقيه وذكره هو وغيره فى شعره ،

فمن ذكره من الشعراء دعبل وله يقول : أخبرني بذلك على بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكرى قال : كان زياد الذى يذكره إسحاق فى عدة مواضع منها قوله : وقولا لساقينا زياد يرقها » نظيف الدق لبقا . فقال فيه دعبل :

يقول زياد قف بصحبك مرة على الربع مالى والوقوف على الربع

صوت

أدرها على فقد الحبيب فربما شربت على نأى الأحبة والفجع

فما بلغتنى الكأس إلا شربتها

وإلا سقيت الأرض كأساً من الدمع

غنى فى البيت الثانى والثالث من هذه الأبيات محمد بن العباس ابن عبد الله بن طاهر لحناً من خفيف الثقيل الأول بالبنصر . قال أبو الحسن : وقد قيل إن هذين البيتين (يعنى خليلى هيا نصطبح بسواد) للأخطل . أخبرنى على بن سليمان قال حدثنى أبى قال : قال لى جعفر بن معروف الكاتب (وكان قد جاوز مائة سنة) لقد شهدت إسحاق يوماً فى مجلس أنس وهو يتغنى هذا الصوت (خليلى هيا نصطبح بسواد) وغلامه زياد جالس على مسورة يسقى وهو يومئذ غلام أمرد أصفر رقيق البدن حلو الوجه ، ولا أحد يراجعه ولا أحد يستطيع يقول له زدنى ولا أنقصنى . أخبرنى على بن صالح بن هيثم الأنبارى . قال حدثنى أحمد بن الهيثم (يعنى جد أبى رحمه الله) قال : كنت ذات يوم جالساً فى منزلى « بسر من رأى » وعندى إخوان لى ، وكان طريق اسحاق فى مضيه إلى دار الخليفة ورجوعه منها على . فجاءنى الغلام يوماً وعندى أصدقاء لى فقال لى: اسحاق بن ابراهيم الموصلى بالباب فقلت له : قل له ويلك: يدخل أو فى الخلق أحد يستأذن عليه لإسحاق . فذهب الغلام وبادرت أسعى فى إثره حتى تلقيته فدخل وجلس منبسطاً آنساً فعرضنا عليه ما عندنا فأجاب إلى الشرب فأحضرناه نبيذاً مشمساً فشرب منه ، ثم قال : أتحبون أن أغنيكم قلنا : أى والله أطال الله بقاءك إنا نحب ذلك قال : فلم لم تسألونى ؟ قلنا : هبنك والله قال : فلا تفعلوا ثم دعا بعود فأحضرناه فاندفع فغنانا فشربنا وطربنا فلما فرغ قال : أحسنت أم لا ؟ فقلنا : بلى والله جعلنا الله فداءك لقد أحسنت قال : فما منعكم أن تقولوا لى أحسنت قلنا الهيبة والله لك قال : فلا تفعلوا هذا فيما تستأنفون إن المغنى يجب أن يقال له غن ، ويجب أن يقال له إذا غنى أحسنت قال :

ثم غنانا صوته « خليلى هيا نصطبح بسواد » فقلنا له يا أبا محمد من هو زياد الذى غنيته قال : هو غلامى الواقف بالباب ادعوه يا غلمان ، فأدخل إلينا ؛ فإذا هو غلام خلاسى قيمته عشرون ديناراً أو نحوها فأمسكنا عنه فقال : أتسألونى عنه فأعرفكم إياه ويخرج كما دخل وقد سمتم شعرى فيه وغنائى . أشهدكم أنه حر لوجه الله وإنى زوجته أمتى فلانة فأعينوه على أمره قال : فلم يخرج حتى أوصلنا إليه عشرين ألف درهم أخرجناها له من أموالنا . أخبرنى يحيى بن على بن يحيى قال : حدثنى أبى قال توفى زياد غلام إسحاق الذى يقول فيه . وقولا لساقينا زياد يرقها ، فقال إسحاق يرثيه :

فقدنا زياداً بعد طول صحبة (كذا) فلا زال يسقى للمنيث قبر زياد

ستبكيك كأس لم تجد من يديرها وظمآن يستبطى الزجاجة صاد

أخبرنى عمى قال حدثنى ابن المكى عن أبيه قال اصطبح محمد الأمين ذات يوم وأمر بالتوجيه إلى إسحاق فوجه إليه عدة رسل كلهم لا يصادفه حتى جاء أحدهم به فدخل منتشياً ومحمد مغضب فقال له : أين كنت ويلك . قال : أصبحت يا أمير المؤمنين نشيطاً فركبت إلى بعض المتنزهات فاستطبت الموضع وأقمت فيه وسقانى زياد فذكرت أبياتاً للأخطل وهو يسقينى فدار لى فيها لحن حسن وقد جئتك به فتبسم ثم قال هات فما تزال تأتى بما يرضى عنك عند السخط ، فغناه

صوت

إذا ما زياد علنى ثم علنى ثلاث زجاجات لهن هدير

خرجت أجر الذيل زهواً كأننى عليك أمير المؤمنين أمير

قال بل على أبيك . قبح الله فملك . فما يزال إحسانك فى غنائك يمحو أساءتك فى فعلك وأمر له بألف دينار — الشعر فى هذين البيتين للأخطل والغناء لإسحاق رمل بالبنصر — ورواية شعر الأخطل : إذا ما نديمى علنى ثم علنى ، وإنما غيره إسحاق إذا ما زياد

هذه حكاية إسحاق التى لم توجد إلا فى الجزء الحادى والعشرين من الأغانى وهى التى أقرها ابن منظور فى مختصره ونقلها عنه . فهل بعد هذه البيانات الأكيدة لقائل أن يقول إنه ليس من الكتاب فى شىء !

حسن حطاب الوكيل

الأزهر وتفسير القرآن

للأستاذ محمود حسن منصور
للمدرس بكلية الشريعة

لسنا بحاجة إلى القول بأن القرآن الكريم هو دستور الدين والدنيا، وأنه ينبوع الشريعة الصافى الذى يصدر عنه كل ناظر فى التشريع، أو متعرض للأحكام، أو منتفع بما فيه من التعاليم والآداب

لسنا بحاجة إلى أن نقول ذلك فقد فرغ الناس منه، وآمنوا عن يقين به، وما تزال الحوادث تؤيده، والأيام تعززه وتزيده قوة فى النفوس، ومتانة فى القلوب

ولسنا نريد أن ننكر على المفسرين الأولين للقرآن الكريم جهودهم الجبارة، ومحاولاتهم الكبيرة، وعنايتهم بتفسير هـذا الكتاب الكريم، وخدمته من نواحى الفقه والبلاغة والإعراب، وغير ذلك مما تعرضوا له فى تفاسيرهم، فلا شك أنهم أتوا من ذلك بما يفرضه عليهم واجبهم نحو دينهم وعلومهم، ولغة قومهم وكتاب ربهم، فأدوا رسالتهم وأبرأوا ذمتهم أمام الله والناس

ولو أن باحثاً عنى بأن يستعرض هذه الأسفار المختلفة، وأن يزنها بما توزن به الجهود العلمية والإنتاجات القومية لوجد من ذلك ما يملأ نفسه روعة ويملأ قلبه إعجاباً، ولجرى لسانه بألفاظ الثناء على هؤلاء العلماء، ولجزاهم عن دينهم وأمتهم خير الجزاء

كل ذلك حق لا ريب فيه تحدثت به آثارهم، وآمن به كل من تأتى له النظر فى كتبهم، والبحث فى مؤلفاتهم، كما آمن به علماء الأزهر

ولكنا مع ذلك لا نستطيع أن ننكر ولا يستطيع إخواننا من العلماء ولا شيوخنا منهم أن ينكروا أن لهذه التفاسير عيوباً قد أحسها الناس من زمن طويل. وقد ازداد إدراكهم لها فى ذلك العصر الذى تغيرت فيه طرق الإقناع، وتنوعت أساليب البحث والتفكير، وتهيأ للعقل فيه نوع من النضوج لاشتغاله بالعلوم الكثيرة، ونظره فى الثقافات المختلفة. فمن هذه العيوب:

أولاً: تفشى الإسرائيليات فى هذه الكتب المشهورة، كما تفشى الأوباء المهلكة حتى نجد الكثير من الآيات قد صنعت لها القصص، ودبرت لها الخرافات، فأصبح الناظر فى هذه الكتب مشغولاً بتنحيتها عن طريقه وإزالتها عن سبيله إن كان من العلماء، ومهدداً بأن تنزوه هذه الخرافات الباطلة فى قرارة نفسه وصميم عقيدته، إن كان من العامة، وذلك هو السر فيما نشاهده من صعوبة مهمة العلماء المفكرين فى توضيح هداية القرآن على وجهها الصحيح، وإيصالها سليمة إلى نفوس الناس

ثانياً: تخصص كثير من هذه الكتب فى نواح من التفسير هى فى نفسها صالحة وقيمة وطيبة ومحتاج إليها. فهذا تفسير يهتم بالنحو والإعراب، وهذا تفسير يعنى ببيان وجوه البلاغة والإعجاز، وهذا تفسير جعل مهمته التوفيق بين آيات القرآن ومذاهب الفقهاء

وقلما تجد تفسيراً يفسر القرآن على نحو يشعرك بمقصده السامى، وغرضه النبيل من غرس العقائد الصحيحة السهلة التى لا تعقيد فيها ولا غموض، وتبيين الأحكام الناصعة الواضحة التى لا تشديد فيها ولا تعسف، وعرض التربية القرآنية الروحية والعقلية عرضاً كريماً يتفق مع ما للقرآن من قيمة ذاتية وباعتباره كتاباً إلهياً خالداً صادراً عن الله الذى يعلم السر فى السموات والأرض

ثالثاً: اندفاع كثير من المفسرين بدافع الرغبة فى تأييد مذاهبهم وتوطيد عقائدهم وآرائهم إلى تخريج القرآن على آراء أصحاب المذاهب والمعتقدات، ولو كان فى ذلك الإخلال بالنظم والخروج به عن الأساليب العربية المألوفة، والنزول به إلى أدنى درجات الكلام

فتراهم يقولون مذهب أهل السنة كذا، فيجب أن تؤول الآية لتطابق هذا المذهب، ومذهب الحقيقة كذا، فيجب أن تفهم الآية على نحو يمدها من هذا المذهب، وهذه الآية تتفق مع مذهب الحنفية وتخالف مذهب المالكية، وهكذا، كأن القرآن إنما أنزله الله على حساب أهل المذاهب والمعتقدات الصحيحة والباطلة على حد سواء، وكأنه إنما جعل ليقاس على المذاهب لا لتقاس المذاهب عليه

٤ — هذا إلى ما تراه وتشعر به من غموض بعض التفاسير فى العبارة، وتكلفها فى تحميل الآيات ما لا تحمل من المعانى، وقصورها عن مجاراة العرض الحديث الذى أصبح له أهمية كبرى فى نظر العلماء والباحثين، والقراء والمنتفعين

هـذه عيوب نسمح لأنفسنا بأن نصفها بالخطر، ولا نظن أننا نبالغ إذا قلنا إنها نوع من الصد عن كتاب الله

وعلماء الأزهر قادرون على تلافى هذه العيوب، يستطيعون الاضطلاع بمهمة إصلاحها وذودها عن كتاب الله، وتخليصه من براثنها، وهم مطالبون بذلك بحكم عملهم، وطبيعة دراستهم، ولن تنفر لهم الأمة أى نوع من أنواع التقصير مهما قيل فى تبريره من الأعذار

فأين الأثر الذى سيتحدث التاريخ عنه إلى الأجيال المقبلة عن عمل رجال الأزهر فى هذه الناحية ؟ أين التفسير الذى يلائم عقول العصر ولا يتصادم مع حقائق العلم ، ولا يفرض فى الناس الذين يطلب إليهم أن يتقبلوه هذه السذاجة العقلية التى تفرضها فيهم تلك الكتب حين تقول فى تفسير قوله تعالى : « إلا إبليس كان من الجن » إن الملائكة قد اشتبكوا فى حرب مع الشياطين كانت لها مواقع ، وقد انجلت معركة من هذه المعارك عن إبليس أسيراً وهو صغير ، فأخذه الملائكة ، ونشؤوه نشأتهم وخرجوه فى دائرتهم ، فكانت النتيجة أن خاطبه الله خطابهم ، وكلفه تكليفهم فى كل الآيات الواردة فى أمر الملائكة بالسجود لآدم

ولا تفرض فى الناس هذه العقول التى تستسيغ الإمعان فى التخيل والإسراف فى مجاراة الأوهام حين تعرض عليهم قصة من ألذ ما يتخيل ، ومن أبعد ما يتصور حصوله ، وأشبه ما يكون بما يعرف بحكايات (أم الغول) تعرض هذا عند تفسير قوله تعالى : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد . التى لم يخلق مثلها فى البلاد ...)

فتحدثك بأن شداد بن عاد سمع بالجنة وبنائها وما فيها فهب لبناء مدينة إرم فى صحراء اليمن ، وذلك بعد أن دانت له الملوك ، وتم له ملك الدنيا . ولما كان يريد أن تضارع الجنة إرم أو تضارعها ، بناها من ذهب وفضة ويا قوت و و . . . ثم يخبرك بما كان بعد تمام بنائها الذى استمر ثلاثمائة سنة ، وما كان من أمر عبد الله ابن قلابة معها ، وما كان من حديث كعب مع معاوية فى شأنها

ويطول بى الحديث إذا عرضت لك غير هذا من تلك الخرافات والخيالات التى ملئت بها كتب المفسرين المشهورة

فإذا كانت الأمة قد أحست حاجتها الماسة إلى وضع معجم لغوى بسيط أو وسيط فكلفت بذلك مجمع اللغة الملكى ، فهو يحشد له قوته ويعد له عدته ، وسيخرج به على الناس إما قريباً وإما بعيداً ، فالأمة أيضاً بحاجة إلى من يسد مثل هذه الثغرة فى التفسير ، فيكون لها تفسير يرتضيه العلماء وتتداوله الأيدى ، ويحصل الناس منه على ما يبتغون من تفهم هداية القرآن واجتلاء محاسنه ، والانتفاع بتعاليمه ومبادئه

وللإمام المراغى فى ذلك ما يصلح بحق أن يكون نموذجاً يحتذى ومبدأ يتبع ، ظهر به على الأمة فى دروسه الدينية ، فقد تناول الآيات التى شرحها من جميع نواحيها الجديرة بالنظر ، فجلا معانيها وراض صعابها ، وكشف عن محاسنها وهدايتها ، وذلل مشكلاتها العلمية فأخرجها سائغة سهلة سليمة متقبلة ، وعرضها عرضاً يشرح النفس ويصل إلى القلب . إلا أن للأستاذ الإمام المراغى من مهام منصبه الخطير ما يشغله عن موالاة ذلك

إن اليوم الذى يقوم فيه العلماء بهذا العمل الجليل هو اليوم الذى يثبتون فيه للأمة عمليا جدارتهم برسالتهم التى يحملون ، والذى يدفعون به عن أنفسهم تلك السهام المصوبة إليهم من أصدقائهم وخصومهم

فإن لا يكن هذا فلا أقل من أن يختار من تلك الكتب أكثرها نفعاً وأدناها إلى الصلاح فيتقدم له من يملى عليه بما يميز طيبه من خبيثه ، ويبين صالحه من فاسده ، وينبه على ما فيه من أخطاء علمية أو خرافات باطلة ، ويضمن ذلك التعليق القول فى الناحية أو النواحى التى تتضمنها الآية وغفل عنها المفسر

وبذلك يبقى الأصل وينتفع الناس بما فيه من علم نافع ويتقون شر ما فيه من خرافات وأوهام تفسد دينهم ، وتضعف يقينهم .

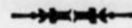
إن التبعة الملقاة على علماء الأزهر خطيرة ، والمسؤولية التى عليهم أمام الله والناس عظيمة ، وواجبهم نحو كتاب الله غير هين ، وذلك أقل مجهود يبرئون به ذممهم ، ويخدمون به دينهم وأمتهم

أما أن نكتفى بالقول بأنا أعلم الناس وكتبنا خير الكتب ، ودراساتنا أجود الدراسات ، فهذا مالا تلق به التبعة ، ولا تنتفع به الأمة . فالعمل العمل إن كنتم جادين .

محمود حسنى منصور

العُروب فى العـــراق

للأستاذ ميخائيل عواد



فى المؤلفات التاريخية والبلدانية نواح متعددة ما زال يستورها شىء كثير من الغموض ، يعود بعض أسبابه إلى تساهل أصحاب تلك المؤلفات فى تدوين الأخبار تدويناً يفى بالمرام ويدفع الشك ، كأن يورد المؤلف أخباراً أو أوصافاً دون أن يتقصاها ، لاعتقاده أنها من الأمور المعروفة التى لا تحتاج إلى الشرح والتدليل

من ذلك ما صادفناه لدى بحثنا فى نوع من الطواحين القديمة ، التى كانت تسمى « العُرُوب » وقد شاعت كثيراً فى العراق والجزيرة وبعض ما يجاورهما من البلدان . وكان البدء فى استعمالها يرجع إلى ما قبل العصور الإسلامية ، ثم رافقت هـذه العصور عدة مراحل حتى أدركت القرن السادس للهجرة ، فقلّ عددها لتواتر النكبات عليها وخف استعمالها فلم يبق منها إلا آحادٌ مبعثرة فى الفراتين وبعض ما ينشعب منهما[1] .

وقد أمكننا حين تتبعنا المراجع العربية القديمة الوقوف على بعض ما يوضح شيئاً من أمرها .

العروب فى معاجم اللغة

لم يدر بخلد أحد من أصحاب المعاجم القديمة خاصة تحقيق منشأ كلمة عروب ، إنما كان اتفاقهم على تعريفها فقط

فقد جاء فى « تاج العروس » أن « العربات : سفن كانت بدجلة ، النهر المعروف ، واحدتها عربة[2] »

وماورد فى «لسان العرب لابن منظور» لا يتعدى ما ذكره التاج وزاد صاحب القاموس عليهما فى تعريفها بأنها : سفن « رواكد » كانت فى دجلة[3]

وقال فى مادة عربة إنها : « النهر الشديد الجرى »[1] وقوله هذا يتفق وما ذكره من كان قبله أى صاحب الصحاح[2]

هذا جل ما ورد فى المعاجم القديمة بشأنها ، وأما المعاجم الجديدة منها ، فقد رأينا أن ما ذكره « محيط المحيط » و « البستان » و « أقرب الموارد » ، لا يتعدى التعريف المذكور فى المعاجم القديمة[3]

وأحسن المعاجم الجديدة التى أعطت للكلمة ما تستحقه من العناية والدقة هو « المعجم المساعد » ؛ فقد جاء بأنباء جلية عن منشأ كلمة العروب ؛ فهو يقول : « العربة : بمعنى الرحى ، إرَمية وتسمى (أسونا) ؛ ومنها أخذها عوام الموصل فقالوا أسناية[4] »

وقال فى مكان آخر : الأسناية : بفتح الهمزة ، وقد تكسر ؛ هى بالصابئية (أسنايا) ، وهى رحى الماء يحرك آلتها أجنحة[5] ، وكثيراً ما كانت تقام فى جوار الفراتين أو ما ينشعب منهما ، وهذه الكلمة من أصل عربى ، من سنيَت الدابة : استُقى عليها[6] »

ومما قاله أيضاً : ويحتمل أن تكون (عربة) معربة من اليونانية Atis و Harma وكذلك هى فى الرومية[7]

وما يحسن ذكره فى هـذا الموضوع ما قاله صاحب التاج : « الفيلخ كصيقل ، وهى الرحى أو إحدى رحيى الماء واليد السفلى منهما ، ومنه قوله : ودرنا كما دارت على القطب فيلخ[8] »

وقد جمعت عربة على عَربَات وعرب ، وجمعت الأخيرة على عُرُوب وزان قُلوب ، وهى جمع الجمع

العروب فى كتب وصاف البلدان

قد يكون الرّحالة بن حوقل هو الوحيد بين قدماء الكتبة الذين تكلموا بتفصيل عن هذه الطواحين بقوله : « ... وكان بالموصل

---

(١) يروى بعض شيوخ الموصل أنهم أدركوا حوالى سنة ١٨٨٠ طاحونة منصوبة فى سفينة راسية على شاطئ دجلة ؛ موثقة بالحبال ، ولا شك عندنا فى أنها نوع من العروب التى عليها مدار بحثنا . وعلى ما يروون أيضاً أن استعمال هذه الطاحونة لم يدم أكثر من سنتين ثم تركت ولم يشاهدوا بعد ذلك غيرها

(٢) تاج العروس للزبيدى (١ : ٣٧٦)

(٣) القاموس المحيط للفيروزابادى (الطبعة الثالثة ١ : ١٠٣)

(١) القاموس (١ : ١٠٢)

(٢) الصحاح للجوهرى (١ : ٨٠)

(٣) محيط المحيط لبطرس البستانى (٣ : ١٣٦٢) ، البستان لعبد الله البستانى (٢ : ١٥٤٤) ، أقرب الموارد لسعيد الشرتونى (٢ : ٧٥٩)

(٤) المساعد : وهو معجم العلامة الأب أنستاس مارى الكرملى ، لا يزال مخطوطا عنده (ص ١٣٦٢ ، ٣)

(٥) راجع أيضا دليل الراغبين فى لغة الآراميين للقس يعقوب أوجين منا (ص ٣٣ : اسونا = عروب ...)

(٦) المساعد (ص ١٠١٤ ، ٣)

(٧) المساعد (ص ١٣٦٢ ، ٢)

(٨) تاج العروس ولسان العرب فى مادة (ف ى خ)

في وسط دجلة مطاحن تعرف بالعُروب ، يَقِلّ نظيرها في كثير من الأرض ، لأنها قائمة في وسط ماء شديد الجرية ، موثقة بالسلاسل الحديد ، في كل عربة منها أربعة أحجار ، ويطحن كل حجرين في اليوم والليلة خمسين وِقْراً[١] . وهذه العُروب من الخشب والحديد ، وربما دخل فيها شيء من الساج . وكانت بِـلَدَ ، المدينة التي عن سبعة فراسخ منها عُروب كثيرة دارت أعمالاً وجهازاً إلى العراق فلم يُبْقِ منها شؤم ابن حمدان ولا من أهلها باقية[٢] »

ثم تطرّق إلى الكلام على العروب في غير مدينة الموصل ، قال : « وبمدينة الحديثة منها عدد تعمل في وسط دجلة ، وقد ملك بنو حمدان متاعها حسب ما ذكرته من حال الموصل وسائر ديار ربيعة ، وارتفاعها نحو خمسين ألف دينار ، وكان بالفرات للرقة (وقلعة جعبر) مالا يداني هذه العروب ولا كثرتها ، وبمدينة تفليس[٣] في نفس الكُر منها شيء به تقوم أقوات أهل تفليس ، وهي دونها في الفخم والمعظم ، وبتكريت وعكبرا والبَرَدان منها شيء باق . ولم تبق بركة بني حمدان بالموصل إلا ستة أو سبعة منها (كذا . والصواب ست أو سبع) ، وليس ببغداد شيء منها[٤] »

ثم عاد إلى ذكر العُروب في تفليس أثناء كلامه على هذه المدينة فقال : « تفليس ... وهي على نهر الكر ولها فيه عروب يطحن فيها الحنطة كما تطحن عروب الموصل والرقة وغيرها في الدجلة والفرات[٥] »

وأشار ياقوت إلى العروب قائلاً : « العَرَبات ومفردها عربة ، وهي بلغة أهل الجزيرة : السفينة تعمل فيها رحىً في وسط الماء الجارى مثل دجلة والفرات والخابور ، يديرها شدة جريه ، وهي مولدة فيما أحسب[١] »

وتطرق القزويني إلى ذكرها بقوله : « ... وأهل الموصل انتفعوا بدجلة انتفاعاً كثيراً مثل شق القناة منها ونصب النواعير على الماء ، يديرها الماء بنفسه ، ونصب العَرَبات ؛ وهي الطواحين التي يديرها الماء في وسط دجلة في سفينة وتنقل من موضع إلى موضع[٢] »

العروب في كتب التاريخ والأدب

لعل أول نبأ بلغنا عن العروب في المراجع التاريخية ، هو ما ذكره الشابشتي في كتابه « الديارات[٣] » لدى كلامه على دَيْر مارجرجس ، والدير الأعلى

قال في الأول : « هذا الدير بالمزرفة (قرية كبيرة فوق بغداد على دجلة بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ ، وهي قريبة من قَطْرَبُّل) وهو أحد الديارات والمواضع المقصودة . والمتنزهون من أهل بغداد يخرجون إليه دائماً في السُميريات لقربه وطيبه ، وهو على شاطئ دجلة . والعروب بين يديه ، والبساتين محدقة به ...[٤] »

وفي الثاني : هذا الدير بالموصل ، يطل على دجلة والعروب ، وهو دير كبير عامر ...[٥]

وفي حوادث سنة ٣٦٣ هـ حين استيلاء بختيار بن ممز الدولة ابن بويه على الموصل ، يذكر ابن الأثير في « الكامل » ما نصه : « ... فسار (بختيار) عن بغداد ، ووصل الموصل تاسع عشر ربيع الآخر ونزل بالدير الأعلى ، وكان أبو تغلب بن حمدان قد سار عن الموصل لما قرب منه بختيار ، وقصد سنجار وكسر العروب ، وأخلى الموصل من كل ميرة[٦] »

وهذه الرواية توافق ما نقله القلقشندي عن نسخة كتاب

---

(١) الوقر (بكسر الواو : الحمل الثقيل) وقيل هو الثقل ، يحمل على ظهر أو رأس . يقال : جاء يحمل وقره ، وجمه أوقار (التاج ٣ : ٦٠٠) ، والمراد هنا بالوقر أربعة قناطير

(٢) صورة الأرض « المسالك والممالك » لابن حوقل (طبعة كراموز في ليدن سنة ١٩٣٨ ، القسم الأول ص ٢١٩)

(٣) قال ياقوت في معجم البلدان (طبع ليبسك ١ : ٨٥٧) : « ... ويجرى في وسطها [تفليس] نهر يقال له الكر يصب في البحر ، وفيها غروب تطحن » وهذا تحريف ؛ صوابه عروب

(٤) ابن حوقل (ص ٢١٩)

(٥) ابن حوقل (القسم الثاني ص ٣٤٠)

(١) معجم البلدان (٣ : ٦٣٢ ، مادة عربات)

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني (طبع غوتنجن ص ٣٠٩)

(٣) كتاب الديارات لأبي الحسين علي بن محمد المشهور بالشابشتي ، المتوفى سنة ٣٨٨ هـ . يقوم بتحقيقه ونشره : أخي كوركيس عواد عن النسخة الفريدة المحفوظة في خزانة برلين

(٤) الشابشتي ورقة ٢٧

(٥) الشابشتي ورقة ٧٥

(٦) الكامل لابن الأثير (طبعة تورنبرغ ٨ : ٤٦٤)

كتبه أبو إسحق الصابئ عن عز الدولة بن بُوَيه إلى المطيع لله عند فتحه الموصل ، وهزيمة أبى تغلب بن حمدان — فقد قال : « وكان انهزامه (أبى تغلب) بعد أن فعل الفعل السخيف ، وكادنا الكيد الضعيف ، بأن أغرق سفن الموصل وعدوتها ، وأحرق جسرها واستذم إلى أهلها[١] ... »

وأورد الخفاجى فى شفاء الغليل ما ذكره ياقوت ، ومما زاد عليه قوله : « ... وأنا لا أدرى هل المركب المسمى عربة[٢] أخذ من هذا ، أو هو غير عربى وهو الظاهر[٣] »

وجاء فى حاشيته — لنصر الهورينى المتنى بطبعه — قائلاً : « من معانى العربة فى اللغة : النهر الشديد الجرية ، فى هذا الإطلاق يجوز »

وقد أشار إليها الخوارزمى فى مفاتيح العلوم بقوله : « العربة طاحونة تنصب فى سفينة وجمعها عرب[٤] »

ومما ورد فى ديوان الأدب للفارابى قوله : « لعروبة دوار ، أى ماء تدار به »

(١) صبح الأعشى للقلقشندى (٦ : ٤٨٧)

(٢) جوابا لهذا وإتماما للفائدة راجع : ١ — رحلة ابن بطوطة (طبع باريس ٢ : ٣٦١ — ٣٦٢) . ٢ — مجلة الضياء (السنة الأولى [١٨٩٨] ، ص ١٧٧) . ٣ — مجلة لغة العرب (٨ [١٩٣٠] ص ٢٨٥ — ٢٩٠ ، ٦١٣ — ٦١٩) . ٤ — مجلة مجمع اللغة العربية الملكى (الجزء الثانى ص ١٢٣)

(٣) شفاء الغليل للخفاجى (المطبعة الوهبية ص ٥٦)

(٤) مفاتيح العلوم للخوارزمى (طبع ليدن ص ٧١)

الخلاصة :

نخرج من هذا المقال إلى أن هذه الطواحين كانت تقوم على سفن متجاورة يتخللها مضايق ينحبس فيها ماء النهر ، وقد نصبت فيها دواليب ذات عنفات[١] ؛ تدور بتأثير الماء الشديد الجرية وتقوم هذه الدواليب بتدوير دواليب أخرى متصلة بالفرائز أى أحجار الطواحين .

ويؤيد هذا ما ذكرته مجلة (لغة العرب) أن العربة هى الرحى التى تكون فى السفينة فى الماء ، ليطحن بها القمح أو يعصر بها البزر أو يستخرج بها الزيت ؛ ولها دولاب ، وللدولاب عَنَفات يضربها الماء فتدير الرحى ، وهى بالإفرنجية Pressoir Hydraulique[٢]

لا شك أن تلك السفن كانت كبيرة بحيث تستوعب المقادير العظيمة والحبوب ، وقد كانت الشبارات والزبازب والسميريات وغيرها من وسائل النقل النهرية وقتذاك[٣] فى ذهاب وإياب ، تقوم بنقل الناس مع أوقارهم إلى هذه العروب . ولا غرو إن كان دجلة والفرات عند جريهما بين يدى تلك البلدان الشهيرة بهذه العروب ؛ يزدحمان بهذه السفن ويزخران بحركتها المتواصلة .

(بغداد) ميخائيل عواد

(١) العنفات هى أجنحة دواليب العربة ، مفردها العنفة

(٢) لغة العرب (٨ [١٩٣٠] ص ٢٨٧)

(٣) للتوسع فى معرفة أنواع السفن والمراكب النهرية القديمة ، يراجع مقالة نفيسة نشرها الأستاذ حبيب زيات فى لغة العرب (٥ [١٩٢٧] ٤٦١ — ٤٦٥) بعنوان : « السفن والمراكب فى بغداد فى عهد العباسيين »



صاحب الديوان المتمرد

لست أدرى أثورة روحه أعظم من ذكاء عقله، أم أن ذكاء عقله أرجح كفة من ثورة روحه؟ فهو إن أردت فيه كلمة الحق ذكى ملتمع الذكاء، ثائر ملتهب الثورة؛ وهو فتى فى ربيع الحياة لم يعد فيما أظن الثالثة والعشرين من عمره

رأيته أول مارأيته هادئاً كالطفل الذى يحلم أحلام نفسه الغريرة، ولكنى لم ألبث أن وقعت منه على ثائر تأكل ثورته أعصابه وتحرق دمه فى غير هوادة ولا إبطاء. على أننى رأيت من عذوبة روحه مع ذلك ما جعلنى أعجب كيف يجتمع مثل هذا التمرد الصاخب ومثل هذا الظرف الفكه فى نفس واحدة! وإن أسارير وجهه لتتشكل بما يجرى فى نفسه فتكون صفحة محياه كسماء (أمشير) لا تصفو حتى تتجهم، ولا تتجهم حتى تنقشع من رقعتها الغيوم.

دنوت منه ألتمس حل مسألة عنده، وما أكثر ما تدفعنى المسائل دفعاً إلى أصحاب الديوان! وما يثقل شىء على نفسى مثل أن ألتمس معروفاً عند صاحب ديوان كبيراً كان أو صغيراً صديقاً كان أو لا يربطنى به سبب من معرفة. وأنا وإن كتبت عن أصحاب الديوان ما أكتب وأنا مطمئن فى حجرتى ولدى مكتبى، ليركبنى الخوف ويتملكنى الحياء وتأخذنى الربكة من جميع أقطارى كلما دخلت حجرة أحدهم لأحادثه فى أمر جل أو هان؛ حتى لو كان لتحية. وسبب ذلك لا يزال مجهولاً عندى، ولن يزداد على الأيام إلا غموضاً وخفاء!

وأقبل على صاحب الديوان هاشاً مرحباً، وترك أوراقه كلها جانباً، وأخذ يستمع إلىّ. ولم أكد أستعيد توازنى أو أسترد مواقف دفاعى كما يقول المتحدثون عن الحرب فى هذه الأيام، حتى قطع على الكلام ومال بالحديث عن مجراه ودفعه في شؤون كثيرة لا علاقة لها ألبتة بما جئته من أجله. وأخذ يتحدث ثم يتحدث، وكل حديثه شكوى، وهو لا يكاد يقع على أمر حتى يطير عنه إلى غيره — لا يعنى متى يطير ولا أين يقع — فللمحسوبية نصيب من حملاته، ولعدم إخلاص الناس فى أعمالهم بعض سهام لومه، وللحرب القائمة والمسئولين عنها جانب من غضبه، ولفوضي الأخلاق قدر كبير من صخبه، ولتقلب الجو قسط من تهكمه تجلت فيه براعة مقارنته بين أخلاقنا وطبيعة جونا؛ وللفن والأدب والتعليم وغيرها من الأمور مما لا يسعنى حصره، كثير من غمزاته والتفاتات ذهنه... كل أولئك وأنا مصغ أسلم على طول الخط بكل ما يقول، لا أخالفه ولا أراجعه علّه يفرغ فألتمس السبيل إلى موضوعى من جديد، ولكن ثورته كانت كالسيل الجارف لا يلوى على شىء... وكان يدخل أثناء الحديث كثير من الخدم، فيقدمون إليه أوراقاً، فيأخذها ويضعها على غيرها من الأضابير دون أن ينظر فيها؛ فاذا أشار أحدهم إلى أن فيها ما تستعجل الإجابة عنه صرفه بقوله: «قل له حالاً... دقيقة واحدة». ثم عاد إلى حديثه، فجرى فيه على غير تحبس أو ملل

وجاء بعض زملائه يستعجلونه أوراقاً، وكان يلتفت ببعضهم إلى قائلاً: «لا مؤاخذة يا بيه» كأنما كنت أنا سبب ما يشكون من عطلة؛ وهو منصرف عنهم بحديثه لا يزيد على أن يستمهل من يستعجله منهم دقيقة؛ ثم يستأنف حديثه وهو أنشط وأهدأ بالاً مما كان! وانتهزت فرصة فعبرت له عن اعتذارى، وقد غالطت نفسى ونسبت إلى أنا السبب فى ضياع هذا الوقت كله، وفهم صاحب الديوان إشارتى، فابتسم وقال: «لا... العفو يا أخى، لازم كلامى لم يتشرف برضاك»... ونفيت ذلك بكل ما أملك من معانى التأكيد ومضيت أثنى على حديثه بكل ما وسعنى من عبارات الثناء، فاطمأن قليلاً، وسكت هنيهة ثم قال: «انت عاوز الحق؟ الواحد أهو بيشتغل على قدر القرشين بتوعهم» ولم أستطع أن أرد على ذلك القول الذي يتضمن السكوت عليه نوعاً من الاشتراك فى الأخذ بما يدعو إليه، وما كان سكوتى إلا لأعود إلى موضوعى، وقد عقدت العزم على أن أعود إليه بأى ثمن

وبلغت ثورته أقصاها إذ تداعت إليه من هذا الكلام قصة الأقدمية، فراح يشكو فى ألم واضطراب من أن الترقى بالأقدمية معناه أن يتساوى المجدد والمتكاسل والذكى والغبى والكفء والعاجز. فالمسألة مسألة زمن فحسب، ومتى مرت الأيام صار الموظف بحكم الزمن وحده كفؤاً مهما كان من عجزه وتقصيره. فما منعنى أن يجهد المرء نفسه إلا أن يكون «عبيطاً» وهو لا يدرى «عبطه»؟ وضرب المثل بنفسه: فهو يحمل شهادة عالية ورئيسه من حملة الابتدائية. وضحك صاحب الديوان وقال: «يعنى أبدأ جحشاً ثم يمر الزمن فأصبح حماراً، وعند ذلك أصير أهلاً للرق»

وكان موعد انصراف أصحاب الديوان قد حان فنهض ومد إلىّ يده ضاحكاً وهو يعبر عن أسفه لأن الوقت لم يتسع لموضوعى ويدعونى إلى الحضور مرة أخرى.

الخفيف

في سبيل الأزهر أيضاً

الصراحة لغة الحق

للأستاذ حامد عونى

لقد عودنا الأستاذ النابه صاحب الرسالة الغراء فى مطالع رسالته المشرقة أن يميط لنا اللثام عن وجه الحقيقة، وأن يسمعنا من حين لآخر صيحة الحق فى غير مواربة ولا مراءاة، وذلك ما دعانى أن أتقدم إليه بكلمة هى وليدة هذا المبدأ الكريم رجاء أن يفسح لها مكانها من رسالته كما فسح لغيرها من صيحات الحق وله بعد ذلك شكر الله والناس

* * *

كان العرب — وهم فى جاهليتهم الجهلاء — قوماً شبوا فى أحضان البداوة الجامحة، ونشأوا فى كنف العيش الجاف والحياة الشاردة، وكانوا إلى ذلك لا يدينون بغير القول الصراح، واللفظ المحسور اللثام، لا يعرفون فيه زيغاً أو مراوغة، ولا فى أدائه ليناً أو مراودة حسبما تمليه عليهم طبيعة البادية، وتوحى به الشهامة العربية

وعلى هذا المنوال من القول نسج الإسلام رايته، وعلى غراره أدى رسالته، فعمت دعوته جميع الأرجاء

وهكذا كان القول الصريح فى قديم العهد وحديثه مظهراً واضحاً فى أكثر الأمر من مظاهر الحق، ومخباراً صحيحاً لصدق النضبة له والذياد عنه، ودليلاً ناصعاً على قوة الإيمان به وفناء العقيدة فيه، ومحك صدق للبطولة والشهامة

ولكن — والأسف يحز فى الأحشاء — درج أناس على أن يساوموا فى الحق، وشبوا يستمرئون حياة المداراة والمصانعة؛ ويستسيغون مخزاة التوارى عن وجه الحقيقة السافرة. فإذا ما استعدت الحقيقة أحدنا على المساومين فيها فأعداها، وأهابت به أن ينافح عنها فأجابها؛ قالوا: هذا باطل من القول وزور، وقالوا: هذا دفع لم يقصد به وجه الحق، وقالوا: غيظ ذلك مما أوحت به حفائظ الصدور لا لسبب — شهد الله — سوى التجرد لمواجهة الواقع الملموس، والجهر بما لم نستطع المسمس به، والإقرار فى صراحة بما أعوزتنا الشجاعة فيه

أإذا لم يتهيأ لنا — ونحن نعانى كين الألم الصارخ — أن نضع أيدينا على الداء جزعنا أن نرى أحدنا يتوجع لنا، ويستصرخ الأساة لتضميد جراحنا. ومن ذا إذاً يرسل الآهة مدوية غير نفثة الصدور، وزفرة المكروب؟ وأىٌّ منا لم يقع فى شرك هذا البلاء وتمنى الخلاص منه؟

ما كان لنا «علم الله» أن نستخذى أمام الحق ونتوارى عن الواقع المحس ما دمنا فى البلية سواء

هذا لعمرى موطن ضعف صحبنا منذ عهد بعيد. نحس بالألم ونتضور له ونحن مع ذلك نؤثر أن نستسلم للداء على أن نجأر بالشكاية منه والتخلص من شره. يا للعجب! متى نتشجع فنثور على هذا الداء، ونطهر نفوسنا من أوضاره، ونكاشف العقول بويلاته فتتمكن يد الإصلاح من تعرف مواطن العلة فتضع الهناء مواضع النقب؟

قد يبدو لأحدنا أن فى استقصاء بعض الداء وعرضه داعية للشماتة، ومثاراً للمتحفزين للوثبة، والقاعدين بكل مرصد؛ فنقول له: على هينتك. مرحباً بهذا الإشمات وأهلاً بهذه الإثارة؛ فكلاهما عامل من عوامل الإصلاح، وحافز من حوافز الأخذ بأسباب التفصى من العيب، والتبرى من النقص. وها هى ذى معاهد العلم فى مختلف الممالك لن تجد من بينها ما لا يشكو من عيب فى بعض نواحيه مهما سمت مناهج التعليم فيه

فليس من العيب إذاً أن نكشف عن أدوائنا بنية العمل على استئصالها أو تخفيف ويلاتها. إنما العيب والعار، بل ومن الخطر أن نرحب بالداء ونتحضن به ونطوى عليه كشحاً وهو لا يألونا عنتاً، ولا يني أن يسومنا إرهاقاً، وقد قالوا: «من كتم الطبيب داءه هلك»

وبعد، فخير لنا أن نكون صرحاء فيما نقول، أحراراً فيما نرى، بواسل فى مواجهة الحقائق فلا نستخذى ولا نستبطن ولا نرائى

مسكن الفـــلاح

للأستاذ عباس قطر مصطفى
أستاذ هندسة الريف بمدرسة الزراعة بمشتهر

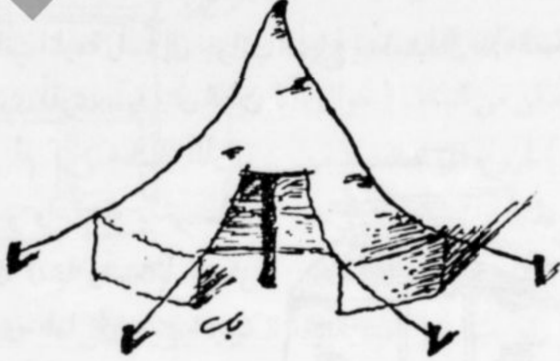
المصريون سليلة بنائية ، وآثارهم في العمارة والإنشاء قبلة أنظار عناصر البشر المختلفة ... هي فتنة العلم والفن ، تكشف عن سحر عظمة مصر في زمن مضى وتولى ... إنها توقظ الكبرياء القومية في قلوبنا وتحيي الآمال في نفوسنا

حقاً قد كانوا يوجهون الجزء الأكبر من مجهودهم الإنشائي نحو القبور والمعابد لاعتقادهم البعث والنشور ... ولكن ... لم يكن لأدق بل ولأبسط شئون الحياة أن تجد سبيلاً للهروب من بحثهم ودراستهم وتنفيذهم ... لذلك لم يفتهم أن كانوا العنصر البشري الأول الذي اكتشف ماهية مباني الريف من سكن ومخازن وحظائر للمواشي ومعامل للتفريخ الصناعي ... بل وعمل على التطور بها إلى حد يشعرنا بالعظمة ويدعونا للاعجاب

لنقصر موضوعنا الآن على مسكن الفلاح . . . ولنر أولاً ماذا فعل أجدادنا به ، وما هو عليه الآن ، ثم ما نحن به فاعلون

أولا — نشوء المسكن وتطوره :

فكر المصري الفطري الأول في ضرورة الاحتماء بمأوى له ، فكان يجمع قطعاً من المواد الصلبة (كالأحجار وقطع الطين الجافة) على الأرض فوق بعضها البعض بشكل مخروط



مفرطح ينام خلفها ليلاً لتحجب عنه تأثير هبوب الرياح

ثم وجد أنه من الأوفق أن ينام داخل هذا المأوى ، واستحال عليه ذلك بهذه المواد التي يستعملها لتعذر تجويفها مع احتفاظها بالتوازن وما لبث أن قادته عقليته إلى استبدال مثل هذه المواد بمادة أخرى لينة تشبه ما يصنع منه مأوى الأعراب الآن . وبذلك تكون أول شكل للخيمة ... ركز رأسها على فرع شجرة وشد جوانبها إلى الأرض بالحبال والأوتاد ، وجعل لها باباً في اتجاه هبوب الريح



وكان تأثير هبوب الريح في هذه الحال العبث بمأواه هذا، فوضع حاجزاً من القصب أمام فتحة الباب ليكسر من حدة هذا الهبوب . تغلب بذلك على مقاومة الريح ، ولكن أطفاله وحيواناته الأليفة كانت تخرج من



ولا نصانع فتلك صفات لا يعترف بها دين . ولا يقرها عرف ، ولا يتسم بها فاضل

وإذا أعوزنا المثل الأعلى للرأي الحر والموقف الصريح الحازم فلنلتمسه في « ساعة الأستاذ الزيات مع الأستاذ الأكبر » ففيها المثل الكامل والقدوة الصالحة

هذا ونحمد الله سبحانه أن وجد في صفوفنا من برز إلى الميدان ، ورفع الصوت عالياً في حزم واتزان . وهذا ما ينبغي أن يكون عليه حالنا ؛ فالصراحة سيف لا يرتفع الحق إلا على شباته ، ومرآة لا تتكشف الحقيقة إلا على شعاعها .

(مصر الجديدة) حامد عوني
المدرس بمعهد القاهرة

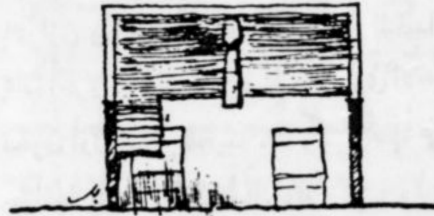
المأوى وتضل الطريق ، فعمد إلى هذا الحاجز فجعله سياجاً يحوط مأواه من الجهات الأربع وجعل فيه باباً للدخول والخروج .



أراد بعد ذلك أن يستغل الفضاء بين محيط السياج وبين محيط مأواه لغرض توسيعه فشد بالحبال جوانب الخيمة رأساً إلى جوانب السياج بعد استبدال مادته الضعيفة بأخرى أقوى منها وهي الطين .



ثم نزع غطاء المأوى الرخو واستبدله بآخر صلب جعله قصباً وأحطاباً ترتكز من وسطها على جذع شجرة فصار أشبه شيء « بالعرشة » وبذلك اتخذ المأوى أول شكل عادي مألوف لسكن الفلاح الحالي .


بالمتحف المصري

وهذان شكلان آخران أيضاً لمسكن فلاح مُحَسن ، منقول أحدهما عن نموذج موجود بالمتحف المصري ، والآخر عن نموذج موجود بالمتحف البريطاني . ويتركب الأول من غرفتين وحوش مكشوف به سلم يؤدي إلى السقف . وللسطح ثلاثة حيطان ، تعلوها تنطية ترتكز على عمود من برعم اللوتس مبنى فوق الحائط الذي يفصل الغرفتين عن الحوش .


بالمتحف البريطاني

ويتكون الثاني من حوش مكشوف يطل عليه باب غرفة ونافذتها المحلاة بعمود من زهرة اللوتس ، وإلى اليسار بوابة مفتوحة تؤدي إلى سلم ينحصر بين الغرفة وحائط الحوش ، ويصل إلى سقفها حيث يوجد مقعد صغير له فتحة صغيرة أيضاً بمثابة نافذة لها .

ثانياً — حاله الآن :

وصل مسكن الفلاح على أيدي أجدادنا ومنذ آلاف السنين إلى هذه الحال ، فما هي التحسينات التي أدخلت عليه منذ هذا الأمد السحيق ؟ ! ... إذا استثنينا النادر — وليس للنادر حكم — فاللهم لا شيء ... ! !

المسكن الحالي للفلاح رديء بأوسع ما في هذه الصفة من معنى . ليس وافياً بالغرض المنشأ من أجله . لا تجد فيه أعمالاً صحية مناسبة للريف لتوفير السهل المعقولة للتهوية والإضاءة والتدفئة والنظافة والتصريف . ففقدت صحة الفلاح تبعاً لذلك عرضة لكل مرض . ولم يراع في هندسته الترتيب والتنسيق المناسب للريف ، فغدا كتلة جامدة من الفوضى والتشويش لا تساعد على رفع المستوى الاجتماعي لساكنه ، بل هي لا تساعد إطلاقاً على تكوين أي مستوى اجتماعي

ثالثاً — ما يجب أن يكون عليه مسكن الفلاح :

لندع الآن دراسة تفاصيل المسكن الحالي للفلاح لنرى بإيجاز ما يجب أن يكون عليه مستقبلاً ؛ وسيكون ذلك من تلقاء ذاته نقداً وافياً لأي مسكن حالي

(ا) من حيث الوضع

يجوز بناء مسكن الفلاح منعزلاً عن مسكن جاره زيادة في قوة التهوية والإضاءة ؛ والأغلب بناء المساكن متلاصقة بهيئة صفوف توفيراً لمساحات الأرض وتكاليف الإنشاء ، اتجاهها (بحري — قبلي) حتى تتسلط أشعة الشمس على المسكن طيلة اليوم

(ب) من حيث مادة البناء

استعمل قدماء المصريين غنيهم وفقيرهم « الطوب الأخضر » في جميع مرافقهم الدنيوية لملاءمته لجو مصر ، ولكونه موصلاً رديئاً للحرارة ، ولسهولة الحصول عليه ورخص تكاليف البناء به ، كما نستعمله الآن ، وتستعمله أيضاً بعض الولايات الأمريكية

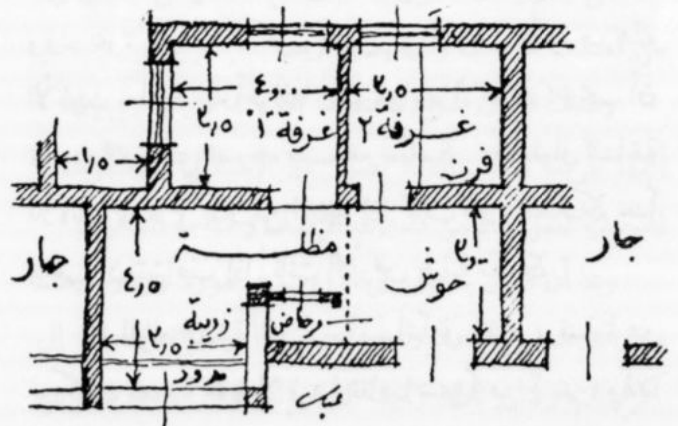
وفي الواقع يصح استعمال الطوب الأخضر كمادة بنائية للحيطان في الوجه القبلي وأغلب بقاع الوجه البحري لندورة الأمطار بشرط التأكد منه والعمل على عدم تأثير الرطوبة الأرضية فيها . بل ويمكننا القول مع شيء من الجرأة بجواز تعميم البناء بالطوب الأخضر حتى في شمال الدلتا بشرط عمل « رفرفة » مناسبة للأسقف و« لمروة » حائط الحوش مع تغطيتها « بدكة » جيدة للريف من خراسانة الجير والحمرة ، وبشرط طلاء الحوائط بمونة

جربتها بنفسي وهي «مونة» الجير والساس والتي ألح في طلاء جميع مساكن الفلاحين على الأقل بها في أية بقعة . فهي نظيفة قوية لا تحتاج إلى الترميم مثل «مونة» الطين ولا تمتص الرطوبة الموجودة في الجو ولا تسمح كالطلاء بالطين ببقاء وتوالد البق والبراغيث على سطحه الخشن وبين الشقوق الدقيقة فيه خصوصاً أن البراغيث وسيلة لنقل الطاعون

هذا وتكون أرضية الغرف من «دكة» خراسانة الجير والحمرة أيضاً بارتفاع ١٥ سم عن سطح الأرض

ولا يفوتنا ونحن في صدد الكلام عن مادة البناء أن نمني بانتخاب أنواع الأخشاب المصرية الصالحة لأعمال الإنشاء الهندسية ، وبالعمل على الإكثار منها لنعتمد عليها في عمل الأسقف والنوافذ والأبواب ليعتمد الريف على الأقل على مواده الخاصة من جهة ، ولزيادة التوفير من جهة أخرى ، خصوصاً والأحوال الدولية المضطربة تعوق دون وصول الكفاية منها بثمن يتناسب مع سياسة الاقتصاد في الريف

(ج) من حيث الفكرة المعمارية



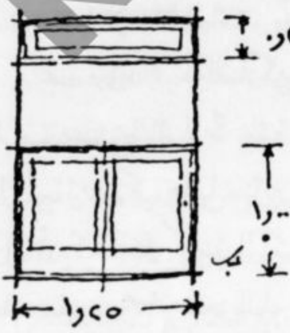
يتركب المسكن العادي للفلاح الذي له زوجة وطفلان أو ثلاثة من غرفتين، ويجوز إضافة غرفة أخرى إذا كان عدد أفراد الأسرة أكثر من ذلك . وأبعاد الغرفة حوالي ٣٫٥ متر في الاتجاهات الثلاثة، بها باب ونافذة صحية واحدة على الأقل ، وأمامهما حوش له باب عمومي نصفه مغطى بمظلة تحتها مرحاض (يجوز استعماله حماماً) ، ونصفه الآخر مكشوف

ولا مانع من الوجهة الهندسية الإنشائية من وضع حظيرة المواشي التابعة له بمسكنه . والشكل يبين قطاعاً أفقياً لأحد النماذج الاقتصادية ، والتي هي وسط بين النوع المتصل والنوع المنفصل

(د) من حيث السياسة الصحية

(١) التهوية الطبيعية :

يجب وجود نافذة واحدة على الأقل في كل غرفة يكون الجزء السفلي منها قريباً ما أمكن من الأرضية (حوالي ١ متر) لدخول الهواء النقي إلى الغرفة ويكون الجزء العلوي منها قريباً ما أمكن من السقف (حوالي ½ متر) لخروج الهواء الفاسد من الغرفة إذ أن الثاني أخف في الوزن من الأول ، ولا مانع



من رفع مستوى نافذة الغرفة الكبيرة بعض الشيء ؛ وذلك لقربها من نافذة الغرفة الكبيرة للمسكن المجاور . وهذه الطريقة تجدد من تلقاء نفسها هواء الغرفة بانتظام وبصفة مستديمة

(٢) التدفئة :

تزود إحدى الغرفتين ولتكن الغرفة «٢» بفرن عرضه حوالي ٢ متر فتحته من الحوش للنظافة وهذا فضلاً عن استخدامه في «الخبز» وفي مرافق المسكن الحيوية الأخرى ، يمكن تزويده بفرعين من مواسير الفخار المتين محكمة الاتصال ، أحدهما فتحته من الخارج ويمر «بالشاروقة» إلى أعلى حيث تكون فتحته الأخرى في الحائط داخل الغرفة، ويركب على كل من الفتحتين قرص ثابت مثقوب بشكل خاص، وآخر خلفه يتحرك بمقبض صغير مثقوب أيضاً بنفس النظام، ويمكن بواسطتهما إغلاق الفتحة في غير وقت الاستعمال . وبمرور الهواء الخارجي خلال هذا الفرع ترتفع درجة حرارته بمروره داخل الماسورة في الشاروقة ثم يدخل الغرفة دافئاً . وبذلك يمكن تدفئة هواء الغرفة شتاء إلى الدرجة المطلوبة وبطريقة صحية

أما الفرع الآخر من المواسير فله شعبتان: أولاهما في الشاروقة أيضاً ، وتنتشران داخل سقف الفرن أفقياً حتى نهايته حيث تتجمعان إلى شعبة واحدة تتجه رأسياً إلى أعلى حيث فتحتها خارج الغرفة مركب عليها مثل القرصين السابقين . ويخرج من

هذه الفتحة دخان الفرن . وبهذه الوسيلة يمكننا تدفئة سطح الفرن أيضاً للنوم عليه شتاء

ولا يفوتنا ونحن عند هذه النقطة أن نعمل على عدم وجود الأحطاب والقصب وما أشبه ذلك داخل المسكن أو على السطح منعاً للخسارة فى الأنفس والمتاع. وما حريق شباس وغيره منا ببعيد.

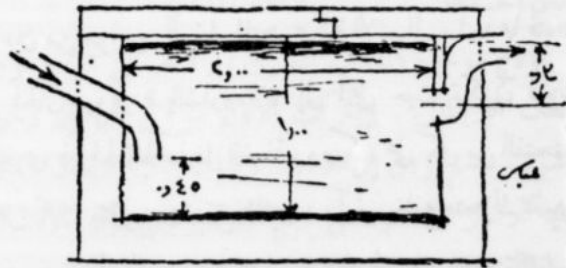
(٣) الإمداد بالمياه :

يجب تزويد مجموعة المساكن بمياه صالحة للشرب وأبسط طريقة للريف صهريج عال نوعاً تملؤه مضخة ، له عدة مواسير متجهة إلى أسفل مركب عليها صنابير يأخذ الفلاحون منها كفايتهم . وإذا أردنا الكمال توصل المياه إلى كل مسكن بفرع واحد مركب عليه صنبور وصمام لحجز المياه

على أن تختبر هذه المياه قبل استعمالها بالتحليل للتأكد من صلاحيتها للاستعمال

ويختار موضع تركيب المضخة فى طريق المياه الجوفية إلى مجموعة المساكن ، وعلى مسافة منها لا يقل بعدها عن ٢٠٠ متر حتى لا تتلوث بمياه تصريف خزانات المساكن أو السوائل التى تتشربها التربة من حظائر المواشى وما أشبه ذلك

٤ — تصريف الفضلات :



لما لم يكن بد من تصريف فضلات السكان فإن أصح طريقة استعمال خزان التحليل Septic Tank

توجد فى الفضلات بكتريا ومكروبات متنوعة منها أنواع مفيدة لأغراض تحليل المادة العضوية، وهذه تعيش فى شروط غير هوائية ؛ فيجب إذاً توفير هذا الوسط لما ليتم التحليل من جهة وتتكاثر هذه الأنواع وتبيد الأنواع الأخرى الضارة من جهة أخرى وهى غالباً لا تعيش إلا تحت شروط هوائية ، لذلك يجب وضع تصميم الخزان بحيث يكون سطح السائل فيه قريباً ما أمكن من سقفه

ويعمل هذا الخزان من خراسانة السمنت ليبقى أمد الدهر سليماً جيداً . ويجوز عمله بالطوب الأحمر البلدى على سبيل الاقتصاد مع تغطيته بطلاء من «مونة» السمنت والرمل. وتصمم سعة الخزان على أساس أن كل فرد يخصه منها ثلاثة أعشار المتر المكعب. وأقل أبعاد ممكنة له هى بالتقريب : طول ٢ متر وعرض ١ متر وارتفاع ١ متر وتكفى سعته لتصريف فضلات أسرة مكونة من ٦ أشخاص

تدخل الفضلات إلى الخزان بميل حوالى ٢ سم للمتر فوق القاع بحوالى ٤٥ سم حتى لا تضطرب الفضلات الموجودة ولترسب الفضلات الداخلة على القاع حتى تتحلل

وعلى بعد حوالى ٣٠ سم أسفل سطح السائل فى الخزان يوجد السائل الذى تم تحليل المواد العضوية الموجودة به ، وعند هذا البعد تركب أنبوبة التصريف Outlet Gipe . ويمتد من الخزان فى حفرة تحت سطح الأرض بأى نظام هندسى أنابيب فخار لتصريف المياه الخارجة من الخزان فى التربة . وهذه الأنابيب موضوعة بجوار بعضها البعض بدون لحام ، وبميل خفيف جداً لا يزيد على نصف سنتيمتر ، للمتر ولا يقل طولها عن ١٥ متراً ، ويزاد ٢ر٥ متر بزيادة كل شخص عن الستة . وتصرف هذه الأنابيب مياهها عند أطرافها وعند مواضع الاتصال ؛ ويجب أن تكون التربة التى تصرف فيها غير متماسكة . والأطوال السابقة للأنابيب تعتبر أكثر من اللازم إذا كانت التربة مفككة جداً ويجب أن تضاعف إذا كانت الأرض طينية متماسكة

أما المواد الصلبة التى ترسب نهائياً فى القاع ، فعبارة عن مركبات معدنية فقط لا يزيد ارتفاعها سنوياً عن $\frac{1}{2}$ سم ، ولهذا السبب ربما لا يطول عمر صاحب الدار ليرى فى حياته تنظيف مثل هذا الخزان مرة واحدة

أما حظيرة المواشى، فالعادة المتبعة إلى الآن أن تترك الحيوانات لتبول وتتبرز على التراب كوسيلة اقتصادية لتحضير سماد بلدى . والواقع أن جسم الحيوان يكون دائماً أبداً ملوثاً بهذه الفضلات لرقاده عليها . ويسبب ذلك المرض ونقل العدوى خصوصاً إذا كانت المواشى حلوباً كما هو الحال غالباً فى مسكن الفلاح

هذا علاوة على تصاعد الغازات الكريهة الرائحة وغاز النوشادر وثانى أكسيد الكربون وتوالد بكتريا التيتانوس وغرغرينا الغاز

فى الفضلات ، كذلك توالد البعوض والذباب ، وفى ذلك أيضاً خطر بليغ على الجهاز التنفسى والجسم والعين

ومن الغريب أن هذه الطريقة لا تنتج سماداً بلدياً جيداً لكثرة فقد المادة العضوية بشتى الأسباب

فمن الوجهة الصحية إذاً يجب عزل الماشية عن مسكن الفلاح وترتيب حظيرة بشكل خاص لمواشى الفلاحين بحيث تكون فى أمان تام كماشية المالك ، وتكون كل ماشية تحت سيطرة صاحبها فقط

وعلى سبيل ذكر الشىء بالشىء نرى أن الفكرة الاجتماعية تأتى فتدعم الفكرة الصحية فى وجوب عزل المواشى ، لأن الفلاح بمعيشته دائماً فى مسكن واحد مع الماشية يتدهور مستواه الاجتماعى والخلقى كثيراً ، فهو لا يستحى مثلاً من التبول أو التبرز أو الاستحمام علناً أمام أى جنس أو عدد كان من عابرى السبيل علاوة على بطء فهمه وضيق مداركه وعدم تحليله لمسائل الجرائم تحليلاً إنسانياً معقولاً

(هـ) من حيث استغلال الفضلات

من المسلم به أن ملايين الأطنان من السماد يمكن استخراجها من فضلات الإنسان والماشية فى الريف

وهناك الطرق الكثيرة المتنوعة لذلك مما لا يخفى على أحد : أهمها طريقة العالم Krantz لعمل سماد الاصطبل ، والطريقة الهولندية لعمل سماد من فضلات الإنسان وكناسة المسكن

وبما أن البول يحتوى على الأزوت فى صورة يوريا وغيرها ؛ وبما أن نسبتها فيه كبيرة جداً ، وبما أنها سهلة التحول إلى كربونات نوشادر لذلك فالقيمة السمادية له عالية وتساوى بالتقريب القيمة السمادية للأسمدة الأزوتية الكيماوية . فهى تتحلل فى ظرف أسبوعين فقط بنسبة ٨٠ ـ ٩٠٪ . إذاً فالبول الطازج يمكن استعماله مباشرة لسرعة هذا التحول . هذا علاوة على التأثير الجيد الذى يعادل تأثير الأسمدة الكيماوية للعناصر الأخرى السمادية الموجودة فى البول كالبوتاسا وحمض الفوسفوريك

لهذا السبب يمكن تصريف بول المواشى كلها الموجودة فى عزبة مثلاً ، وكذلك بول الإنسان حيث يحفظ فى خزانات مانعة لنفاذ السوائل لا يتسرب إليها الهواء وذلك بإحكام تغطيتها أو بإضافة زيت وسخ مثلاً إلى سطحه فلا يحصل فقد فى الأزوت الموجود به بالتحلل والتطاير . ويستعمل البول بعد ذلك فى تسميد الحقل فى وقت يكون فيه خالياً من أى سماد لمنع تحويل أزوت البول إلى أزوت بروتينى

أما براز الإنسان فى هذه الحال ، وكذلك روث المواشى وما عساه أن يوجد من قش الحبوب ، والبقول ، أو عروش الخضروات وأوراق الأذرة الجافة أو مصاصة القصب وما أشبه ذلك على حسب النوع والكمية الموجودة بكثرة فى المنطقة ، فيمكن عمل سماد جيد منها على طريقة خاصة من طرق العالم Krantz

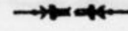
وإذا أعددنا للفلاح الصغير قطعة أرض صغيرة مبلطة جيداً أو ذات «دكة» جيدة فإنها تكون بمثابة صندوق التوفير له ، إذ يمكنه بذلك أن يحول العلف التالف وبقايا الطعام وكناسة المسكن وغير ذلك من الفضلات المهملة إلى سماد صالح للاستعمال بعد حوالى ٤ أشهر خصوصاً للحدائق وحقول الخضروات

وبعد فمشكلة مسكن الفلاح مشكلة حالية ملحة من مشكلات الفلاح المصرى نرجو تذليل صعابها أمامه ... وما كفاحنا فى سبيل الأمة أيام السلم بأقل شأناً من كفاحنا فى سبيلها أيام الحرب .

عباس قطر مصطفى

الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزي الشتوي



بين الديمقراطية والديكتاتورية

إلى أي طريق تساق البشرية؟ وهل قدر أن تسود الديمقراطية، أو تسيطر الديكتاتورية ؟ وهل يستطيع العالم بعد ما ذاق طعم الحرية وتعود جنى ثمارها وتطبع بأخلاقها ، أن يتخلى عنها تحت ضغط الحديد والنار ؟ إن التاريخ البشرى حافل بقصص المجاهدين فى سبيل حرية الفكر ، مملوء بأحاديث الضحايا الذين فضلوا الموت على أن يتنازلوا عن مبدئهم

فإذا ذكرنا أن الحرية كانت فى مهدها فى تلك العهود ، وذكرنا أيضاً أن الناس ظلوا أجيالاً طويلة ورقابهم تحت السيف أدركنا أن الديمقراطية تنتصر حتما مهما طال عهد النضال وتأكد لنا أن الدكتاتورية لن تسيطر إلا إذا عبدت طريقها على رمم الديمقراطيين . فالحرب الآن نضال بين مبدأ الهمجية ومبدأ الإنسانية !

مأساة تتكرر

وإذا كانت جيوش ألمانيا الآن قد تقدمت فإنها تعيد ما حدث فى سنة ١٩١٤ عندما وصلت على بعد ٧٠ ميلاً من باريس وجيوش الحلفاء لم تصب بعد بخسائر كبيرة ، بل هى تتقهقر بانتظام بكامل قواتها حتى تسنح الفرصة اللائقة ، وحتى تضعف عدة الهجوم الألمانى وتتوزع قواته؛ فإنه يلاحظ فى هذا الهجوم عدة أوجه : أولها أن قوات الحلفاء تتجمع بينما قوات الألمان تتوزع . وقوات الألمان فى مناطق ثائرة تريد الخلاص ، بينما قوات الحلفاء فى مناطق موالية تعمل للدفاع. وثانى هذه الأوجه اتساع جبهة القتال الألمانية وتخلخل قواتها ، تخلف جيوشها فى فرنسا قوات معادية كبيرة فى بلجيكا. فحكومة بلجيكا ما زالت قائمة فى ديارها تعتمد على جيوش بلجيكا وبريطانيا وفرنسا ، ومماركها لم تنته بعد لتقرر سلامة النتوء الألمانى الذى يمتد من لونجوى إلى اميان ووجهته موانىء بحر الشمال . ويفهم من تغيير القيادة الفرنسية تغييراً جوهرياً فى الخطط العسكرية ، كما يفهم من تصريحات رئيسى وزراء فرنسا وانجلترا أن الحلفاء صمموا على النضال إلى النهاية حتى يضمنوا النصر . وهذا مؤكد بفضل اتساع مواردها المالية ، وغنى الامبراطوريتين الانجليزية والفرنسية واتساع رقعتهما

اختلاف الخطط

وتقدم الجيوش الألمانية الحالى لا يدل على نصر أو خذلان لأى الجانبين ، بل يرجع فى حد ذاته إلى اختلاف فن القتال عند المتحاربين وتقديرهما للرجال والخسائر . فبينما ألمانيا لا تتقيد بكثرة الضحايا وتقدم للميدان أعداداً كبيرة منها ، تحرص انجلترا وفرنسا على أن يكون عدد الضحايا أقل ما يمكن . بل إنه يبدو للمطلع أن قيادة الحلفاء تقدر قيمة الموقع الذى تدافع عنه أو تحتله وما يتكلف من خسائر ؛ ثم تقدر مكسبها أو خسارتها . وعلى هذا الأساس تقرر خططها ، وغالباً ما يعز عليها الضحايا فتوفرهم لفرصة أوفق وأقل ضحايا

وإذا عدنا إلى حوادث الحرب العظمى ووسائل الهجوم الألمانى أمكننا أن ندرك مبلغ حرص القوتين المتحاربتين على سلامة رجالهما، ففى هجوم الألمان على خط كونديه - موتز - بنش، كانت قوات المشاة تتقدم فى جماعات غفيرة متراصة يسهل حصدها بالمدافع السريعة الطلقات أو البنادق ، حتى قال جنود الجيش البريطانى التى كانت تتولى الدفاع عن هذا الخط بقيادة الجنرال فرانش: « إنه كان يكفى أن تطلق البندقية فى أى اتجاه فنضمن استقرار الرصاصة فى جسم أحد الجنود الألمان »

هذا بعكس خطط الهجوم الإنجليزى أو الفرنسى ، إذ يتقدم الجنود فى خطوط رفيعة بين كل جندى والآخر متران تقريباً ، فيطيش عدد كبير من الطلقات ويقل عدد الضحايا إلى أقل نسبة ممكنة . وحقيقة أن هجوم قوات الحلفاء يحرز النصر بعد مدة أطول ، بينما يعطى هجوم الألمان نتائج سريعة ، ولكن بخسائر فادحة ؛ وهذا ما يحدث الآن . فلكى ينتصر الجيش الألمانى فى موقعة يجب أن تكون قواته ضعف قوات أعدائه فتتغلب عليه بالكثرة العددية

أخطاء خطيرة

وارتكبت فى الموقعة الحالية عدة أخطاء كبيرة استغلها الجيش الألمانى أحسن استغلال . فقد قررت قيادة الجيوش البلجيكية

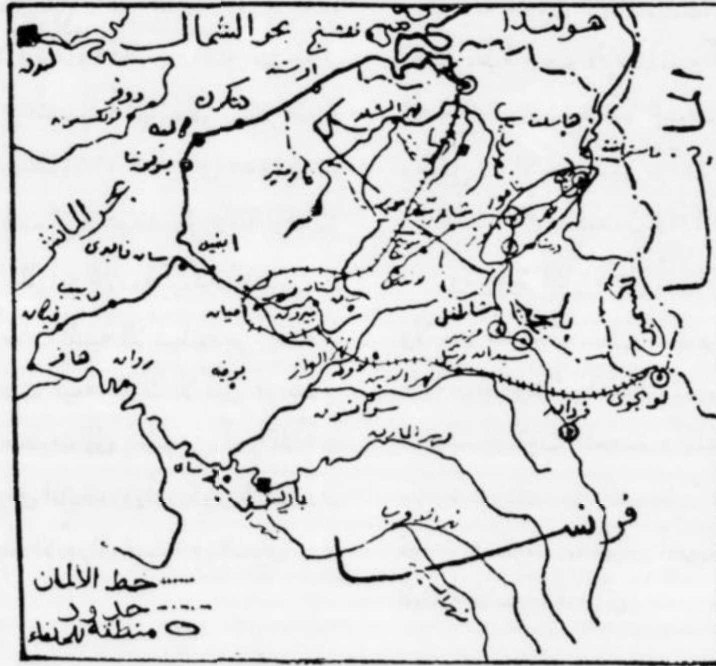
أن تخلى خط دفاعها الأول الممتد على الحدود فى منطقة أردن إلى حصن ليبيج ، وأن تبدأ عملياتها الحربية فى خط الدفاع الثانى على نهر الموز، وهو نهر سريع الجريان وذلك ليتاح لها الاستفادة من نجدات جيوش الحلفاء . ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان فإن القيادة الألمانية هاجمت بلجيكا من جهتين الأولى من لكسمبورج إلى منطقة أردن وكانت هذه الجبهة كما قلنا خالية من الجنود المدافعة . والثانية اجتاحت مقاطعة لامبرج الهولندية واستولت على ماسترخت ومنها اتخذت شكل مروحة فاتجه بعضها غرباً ، واتجه البعض الآخر جنوباً فى حوض نهر الموز وأرضه سهلة . وكان هـذا مقدراً لدى القيادة البلجيكية على أن يستمر الجيش الألمانى على الشاطئ الشرقى للنهر ويتعذر عليه المرور بفضل القوات التى ترابط على شاطئه الغربى بعد نسف الجسور القائمة على النهر ولكن خطأ ثانياً أفسد هذا التدبير فلم تنسف الجسور وتمكنت الجنود الألمانية من اجتيازها لأسباب لم يكشف عنها بعد . ولكن هـذا الخطأ كان على جانب كبير من الخطورة إذ أصبح هـذا الخط عديم الفائدة مما اضطر قوات الحلفاء إلى التراجع إلى خطوط خلفية أقل مقاومة فساعد ذلك جيوش الألمان على مهاجمة فرنسا بقوات كبيرة

ولنسف الجسور فى حالة وقف الهجوم أهمية كبيرة . إذ يتعذر بعد نسفها على الجيوش المهاجمة أن تنقل قواتها ويصبح النهر فاصلاً بين القوتين . وبينما يكون المدافعون محصنين خلف الحصون الطبيعية أو الصناعية يكون الجنود المهاجمون مكشوفين لنيران القوات المدافعة وخصوصاً إذا أرادوا اجتياز النهر لإنشاء الجسور العسكرية لمرور قواتهم

ولنقدر أهمية نسف الجسور نذكر أن عدة أوسمة رفيعة تمنح للأفراد الذين ينجحون فى نسفها . وفى الحرب الماضية منحت ستة أوسمة تقريباً من « صليب فيكتوريا » لمختلف الرتب العسكرية من الجنود إلى الضباط اعترافاً بما أدوه من خدمات بنسف الجسور فى جبهة كونديه بنش ، وهذا الوسام هو أرفع الأوسمة العسكرية البريطانية ، ولم يحصل عليه إلا عدد قليل

بين حربين

والخطة الألمانية الحالية لا تختلف كثيراً عن الخطة التى نفذت سنة ١٩١٤ ، ووضعت قواعدها فى أواخر القرن الماضى . فهى تتكون من اجتياح هولندا فى مدة لا تتجاوز ثلاثة أيام ؛ ثم اجتياح بلجيكا للوصول إلى سهول فرنسا الشمالية عن طريق حوض نهر الموز : وهو سهل منبسط قليل العقبات الطبيعية التى تعتبر عقبة فى سبيل تقدم الجيوش . أضف إلى ذلك أن الحصون الفرنسية فى تلك المنطقة أضعف منها على حدود ألمانيا ، فعلى الحـدود الفرنسية البلجيكية كانت تقوم حصون متفرقة أقل مقاومة من خط ماجينو الذى ينتهى عند لونجوى



وتختلف خطة ألمانيا الحالية عن خطتها سنة ١٩١٤ فى اجتياحها لهولندا لغرضين عسكريين: الأول اتخاذ قواعد برية وبحرية وجوية تقرب بينها وبين انجلترا ، والثانى لتأمن على جيوشها هجوم قوات الحلفاء من هولندا فالمسافة بين شواطئ هولندا وانجلترا قصيرة لا تتجاوز ١٥٠ ميلاً تقطعها الطائرات فى أقل من ساعة ، كما تتخذ موانيها قواعد للغواصات ، وبهذا يتيسر لها استغلال أسطولها الجوى على أحسن وجه . وتتجه القوات الألمانية إلى الغرب للاستيلاء على موانئ فرنسا على المانش لقطع المواصلات بين فرنسا وانجلترا ليتعذر نقل القوات البريطانية إلى فرنسا

انهيار مفاجئ

ويبدو لنا أن خطط الحلفاء الجديدة قد نجحت فتيسر لها وقف التقدم الألمانى ، بل إنها تمكنت من طرد القوات الألمانية

من بعض المناطق التي سبق أن استولت عليها . ولعل هذا يوضح السبب في التجاء الألمان إلى إنزال بعض جنود المظلات الواقية خلف خطوط القتال لتؤدى مهمة قطاع الطرق؛ فتعتدى على المدنيين لبث الرعب فيهم، ولتخلق لقيادة الحلفاء بعض المتاعب التي تصرفها عن العناية بجبهة القتال . ولكننا نعتقد أن هذه الوسيلة فاشلة مقدماً ، فقد عرفت وسائلها واستعدت لها البلاد ، ونظمت قوات خاصة لتطهير هذه الآفات الكثيرة النفقات التي إن تحملتها موارد ألمانيا الاقتصادية فترة من الزمن فلن تتحملها فترة أخرى

فإن جندى المظلات الواقية يتكلف بضع مئات من الجنيهات. فوزن المظلة الواقية وحدها ٢٢ رطلا من الحرير الطبيعى يضاف إليها نفقات معداته من دراجة بخارية ومدفع سريع الطلقات وأنصار سريين يشترون بالمال من داخل البلاد . فكل هذه النفقات لا تتحملها الموارد الألمانية. ولهذا يتردد كثير من خبراء الحرب في اعتبار الخطوات التي اتخذتها ألمانيا خطوات موفقة ، بل يقول بعضهم إن حوادث سنة ١٩١٤ تتكرر في هذه الحرب إذ تفوز في أكثر الميادين العسكرية ثم تتحطم دفعة واحدة في الميدان الاقتصادى ولا تجد الموارد اللازمة لإمداد جيشها

ولعل القارئ يذكر ما أصاب المالية الألمانية من إفلاس عقب الحرب الماضية ، إذ هبطت قيمة المارك الألمانى فلم يساو ثمن الحبر الذى طبع به حتى اضطرت إلى إلغائها في آخر الأمر فإن ألمانيا تلجأ إلى طبع الأوراق المالية دون أن يكون لها الرصيد المعدنى الكافى الذى يحفظ لهذه الأوراق قيمتها في السوق

هل هو تعديل ؟

ويرى بعض المفكرين من كثرة اعتداء ألمانيا على الدول الصغيرة المجاورة لها تعديلاً لخططها الاقتصادية الحربية . فهي في عرفهم تحصل على موارد البلاد المحايدة آناً بالتهديد وآناً بالاجتياح   فإن الرعب الذى يستولى على دول البلقان يجعلها تقدم لألمانيا كل ما تطلب منها اتقاء لشرها . وقد ازداد رعب هذه الدول نتيجة لتقدم الألمان في فرنسا وبلجيكا فأصبحت أقل مقاومة وأكثر ليونة تحت الضغط الألمانى

وكلما قصرت الموارد في ألمانيا اجتاحت دولة لتحصل على مواردها ونقدها . ولكن من المشكوك فيه أن تظل الدول التي تجتاحها بقرة حلوبا بسبب تدمير الجيوش للمرافق العامة أثناء انسحابها ، ولأن أكثرها الآن يحفظ رصيد نقده في أماكن بعيدة عن الخطر مثل أمريكا التي تحتفظ فيها أكثر الدول بأموال كبيرة

أمريكا تفزع

وكشفت حركات ألمانيا الأخيرة عن عدة مشاكل دولية قد تؤدى إلى اشتراك عدة دول في الحرب . فإن اعتداءات النازية المتكررة أفزعت الأمريكيين، وبعد ما كانوا يقصرون أبحاثهم على خير الوسائل لمساعدة الحلفاء بالعتاد الحربى ، تبدلت النغمة وظهرت أصوات في مجلس الشيوخ الأمريكى وفي الصحف تطالب علناً بوجوب اشتراك أميركا في الحرب

فالأمريكيون يرون أن النازية مظهر من مظاهر الوحشية والهمجية ويرون أن انتصارها هدم للمدنية الحالية وقضاء على الديمقراطية يرجع بالإنسانية آلاف السنين ، حيث كان يخضع المجموع للفرد ، ويتحكم السيف في رقاب الناس بدلاً من المنطق والعقل . والأمريكيون أكثر شعوب الأرض تمسكاً بالحرية ومبادئها ؛ وهم مستعدون دائماً لبذل دمائهم في سبيلها

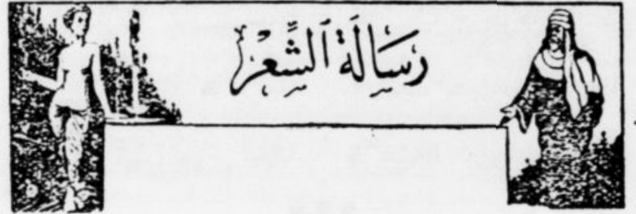
وسيطرة النازية على أوربا معناها عندهم تهديد لحريتهم ، ولا سيما بعد ما تكشفت عدة دسائس نازية ترمى إلى الاستيلاء على أمريكا بوسائل الدعاية وإثارة الحرب الداخلية . هذا فضلاً عن اشتراك الولايات المتحدة وكندا في حدود واحدة ، ثم قرب جزيرة جرينلاند من الشواطئ الامريكية مما يسهل اتخاذها قواعد عسكرية . فاعتزال أمريكا لمشاكل أوربا نظرية لا تقرها العقلية الأميركية الآن

جيوش الشرق

ويحتفظ الحلفاء في الشرق بقوات كبيرة انتظاراً لما قد تولده أطماع ألمانيا وغيرها من الدول الدكتاتورية في البلقان . فإن إيطاليا والروسيا لم توضحا بعد موقفهما وتلوحان آنا بالحرب وأخرى بالحياد، فهذه النغمة تفقد الحلفاء ناحية التركز التي تستفيد منها ألمانيا. فبينما هي تركز أكثر قواتها في الجبهة الغربية تتوزع قوات الحلفاء في مصر وسوريا وفلسطين وتونس والجبهة الغربية

وتعمل الخطط الألمانية للقتال في جبهة واحدة فقط ، ولكن الواجب على الحلفاء أن يشغلوها في أكثر من ميدان حتى تتوزع قواتها فيخف الضغط عن الجبهة الغربية وتقع ألمانيا في المأزق الذى تتحاشاه

فوزى الشتوى



لحن ...

للأستاذ أمجد الطرابلسي

في فمي لحنٌ ولكنْ لا أغنّي ... وإذا غنّيْتُ ، من يفهمني ؟
أنتَ لا تستطيعُ أن تسمعَ لحني ... وأخاف الكون أن يسمعني

***

يا حبيبي ! كلّما جئتُ الخميلة ... أنواري في حناياها الظّليلة
فرنتْ زنبقةٌ نحوي جميلة
أو سمعتُ الطيرَ في الأغصان غنّى ... طرباً ينزلها غصناً فغصنا
شاقني أن أسمعَ الأطيارَ لحنا
ثم أمضي والأسى يغمرني ...
أنت لا تسطيع أن تسمعَ لحني ... فلمن – غيرك – قيثاري وفنّي ؟

***

كلّما هِمتُ على الشاطئ وحدي ... ورأيت الموج في جزرٍ ومدٍّ(1)
هاجتِ الوحدةُ آلامي ووجدي
فذكرتُ اللّيلَ ، والأنجمُ ترنو ... والهوى في الشّطّ والبحرُ يُرِنُّ
فهفا في قلبي النشوانِ لحنُ
ثم أمضي والدجى يشملني ...
أنت لا تسمعني حين أغنّي ... يا حبيبي ! فلمن أعزف لحني ؟

***

يا حبيبي ! كلّما زُرتُ الشّعابا ... كشفَ الدّمْعُ عن أمسي حجابا
فأحيّيــه ذهــاباً وإيابا
وأرى أثمارهُ ترنو إليّــا ... فإذا أدخلت في الشوك يديّا
لاحت الذكرى فنفشتْ مُقْلتيّا
فتحاملتُ وآثرتُ المضيّا ...
... ...
كلُّ ما حولِيَ يستنشدُني
غيرَ أني إن تكنْ أقصيتَ عني ... يا حبيبي ! فأنا لستُ أغنّي

***

في فمي لحنٌ ولكن لا أغنّي ... وإذا غنّيْتُ ، من يفهمني ؟
أنتَ لا تسطيعُ أن تسمعَ لحني ... وأخاف الكون أن يسمعني !

(باريس) ... أمجد الطرابلسي

(1) نظمت هذه المقطوعة في مدينة « دينار » الفرنسية على شاطئ المانش (سبتمبر سنة ١٩٣٩)

من وراء المنار

ليــــلة الزفاف

للأستاذ ابراهيم العريض

حفّتْ بها النِسْوَةُ في جلوةٍ ... زيّنها الحبُّ لأسحارهِ
كلُّ لسانٍ سالَ في غُنّةٍ ... يلهجُ بالنُّعمى إلى جاره
هُنَّ عصافيرُ الهوى كلّما ... نوّرَ زغردْنَ لنُوّاره
في غرفةٍ تُدْني مرايا على ... سُدّتها الفارِهَ للفاره
ضاحكةِ الأنوارِ ... لولا الذي ... يُدخّنُ العودُ على ناره
وفاحَ منـــه أرجٌ ناعمٌ ... أثقلَ جفنَيْها بأسراره
كأنما زفَّ ربيعُ الصّبا ... لأنسِهـا أحسنَ أزهاره
وطافَ أترابٌ لها أربعٌ ... بالدُّفِّ ، يوحين بأخباره
يعطِفنَ للنقْرةِ صدراً ... وكم ... فزَّ به ما تحتَ أزراره
يُظْهِرْنَ بالَّلمْحةِ في الرقص ما ... حالت أمورٌ دونَ إظهاره
من شاهدَ الطاووسَ يختالُ في ... ألوانه ... لِبَعْضِ أوْطاره

***

وكانَ في كُرْسِيِّهِ جنْبها ... حقيقةٌ قامَتْ إزاءَ الخيالْ
يُنازِعُ الطرْفَ – فلا ينتهي ... إلا إليها – رغْمَ طولِ المِطال
وهل تملُّ العَيْنُ من مَشْهدٍ ... باركهُ في الخُلْدِ ربُّ الجمال
فتنْسِجُ الأنوارُ مِن عيْنِه ... خُيوطَها في سُدفاتِ الظِلال

وهىَ عَلَى إطْراقِها لا تَنى   تُصَعِّدُ الأنفاسَ وسْطَ الحِجال
تكادُ لا تُبْصِرُ من حوْلِها   شيئاً سوى إحْساسِها بالجلال
وجىء بالوَرْدِ فمَدَّتْ له   من بينها واحِدةٌ فى دلال
فمسَّها مسًّا رفيقاً ، وفى   ناظِرِهِ البرَّاقِ عيْنُ السُّؤال
وارْفضَّ من جرَّاءِ إشْفاقِهِ   جبينُ كلٍّ منهما باللآل
حتى إذا أمْطرَها فِضَّةً   على الوصيفاتِ فعمَّ النَوال
قُمْنَ إلي الأزهار ينثُرْنَها   وهنَّ يُنْشِدْنَ نشيدَ الوِصال:

نشـيد الوصال

« يا طائرَ البانِ عَلَى بانِهِ   قد حفَّكَ الرَّوْضُ بريحانِهِ
فضاحكِ الأيامَ فى ظِلِّهِ   ما دامَ يعْلوكَ بأفنانه
للحُسْنِ مِرآةٌ.. أترضَى بأنْ   يُصْدِئَها الدمعُ بتهتانه
فداعبِ البُرْعُم حتى إذا   تفتَّقتْ أوراقُه ... دانه
ونادِمِ البُلبُلَ ما دامَ فى   نشوته يُفضى بألحانه
فخيرُ يومَيْكَ الذى ينقضى   عربدةً ما بين نُدْمانه
هَيْهات ! مادامتْ لذى سَكْرةٍ   سَكْرَتُه إلا بإدْمانه
لا تَطْوِ بالصَّمْتِ ربيعَ الصِّبا   فليْستِ العَوْدَةُ من شانه
عمَّا قليلٍ ينمحى كلُّ ما   تراهُ من ثابتِ ألوانه
أعِنْدَكَ الجامُ ولا تقْتنى   حرارة من ضَوْءِ نيرانه
فما الليالى فى سنين الصبا   إلا دُخانُ النَدِّ فى حانه »

* * *

وعِنْـدَ ما أتْمَمْنَ إنشادَهُ   وفُزْنَ من ثغْرَيْهما بابتِسامْ
وقُمْنَ صفَّيْنِ ليَمْرِضْنَها   فتاةُ تُغْرِى بحُسْنِ القِوام
توسَّطَتْهُنَّ على غِرَّةٍ   كشُعْلةٍ تلعَبُ وسْطَ الظلام
فى حُلَّةٍ خَضراء نمَّت على   ما تحتَها من بشْرةٍ كالرُّخام
ناهِدةَ الثَدْيَيْنِ ... تعلوهُما   جوْهرةٌ زانَتْهُما كالوِسام
وَرْدِيَّةَ البطْنِ ... سِوَى ظلَّةٍ   وارَتْ عن العين بقايا الحزام
فلم تزَلْ تلوِى يدَيْها على   صورةِ غُصْنٍ مالَ ثم استقام
تُراوِحُ الخَطْوَ على هينة   وتارةً تَحْجِلُ حجل الحَمام
وكلّما دارَتْ بمنديلِها   ظلَّ كموْجٍ حولَها فى التِطام
والعِرْسُ يُلْقِى نحْوَها طرْفَهُ   فيرشُفُ الصهباءَ من غيرِ جام
حتَّى أرتْهُ كيفَ تُطوَى الحشا   للرعْشةِ الكُبْرَى كمِسْكِ الختام

* * *

وانتبذتْ تدعُو شريكاتِها   أن يُترَكَ المَغنَى لِعُشَّاقِه
فسِرْنَ فى آثارِها زُمْرةً   وهنَّ يبْسِمْنَ لإطْراقِه
حتَّى تسلَّلْنَ جميعاً ... ولم   يبْقَ رقيبٌ غيرَ خلَّاقه
وانتدَبتْ للبابِ إنْسانةٌ   لِتُحْكِمَ السِتْرَ بإغلاقه
فغُودِرَ النَّجْمُ إلى نفْسِهِ   يسْبح فى ظُلْمَةِ آفاقه
ومدَّ يُمناه إلى شَعْرِها   يُمِرُّها فى طيبِ أعراقه
مُسْتنشِقاً جُمَّتها كلَّما   أنفاسُه ضاقتْ بأشواقه
ولم يزَلْ يَعْطِفُها رَيْثَما   أنزَلَتِ الرأسَ على ساقه
واسْتقبلَتْهُ بمُحَيَّا بدا   كالوَرْسِ فى حالة إشفاقه
مُضطرِبَ الجفْنِ حياءً له   مُغرَوْرِقَ العَيْنِ لإشراقه
فقالَ ما يشْعُرُهُ قلبُها   صَداه فى أعمقِ أعماقه

* * *

وضمَّها مِنْى إلى صدْرِه   ضمَّةَ من يَخْشَى عليها هواهْ
فاكتنفتْها غيمةُ الحبِّ لا   تُبْصِرُ فى عالَمِها ما عداه
وأذْنُها فوْقَ حنـاياهُ لا   تَسْمَعُ فى الدقَّاتِ إلا صداه
وهكذا ظلَّ ... بِمِنْديلِهِ   يمْسحُ عن وجْنتِها ما شجاه
وهامِسًا فى سمْعِها بعْضَهُ   وبعضه عند تلاقى الشفاه
« مالَكِ ـ ياخوْلَةُ ـ تبْكينَ فى   ليْلةِ أُنْسٍ رجعَتْ بالحياه ؟
ناشدْتُكِ اللهَ الذى ضمَّنا   إلى حياةٍ باركَتْها يداه
إلاَّ نفضْتِ الجفْنَ عن دمْعِه   لِتَسْتطيعى أنْ تَرَىْ ما أراه
وشاطِرِى قلبىَ إحساسَه   لنرْفعَ الروح معاً فى صلاه
أنتِ من الحبِّ جنانى ... فلو   دُفِعْتُ عنها لطوانى لظاه
ما أرْخصَ العالمَ فى ناظرِى   مادُمْتِ قد حقَّقتِ أغْلَى مُناه »

* * *

ومرَّ بالثغْـرِ على جفْنِها   فأرْختِ الجفْنَ على مائِهِ .



بعد الاستقرار :

استنجلينا !

للأستاذ عزيز احمد فهمى

— مسكين أخى أصيب بحب ابنة الجيران فهو لا يأكل ولا ينام ، وقد حاولت كثيراً أن أجعله يفهم الحب لغواً وطيشاً وخيالاً ، ولكنى فشلت ، وظل يقول إنه يشعر بوجع صحيح فى قلبه وإنه لن يبرأ منه حتى ينال ابنة الجيران وهو ما يزال عند أبيه فى البيت بين العيال

— عندى دواء أخيك !

— والنبى ؟

— لا أقسم بفائدته لأنى لم أجربه ولكنى أكاد أومن بأنه نافع ...

— تجربه نحن ... ما هو ؟

— خذى مسماراً ، وضعيه فى النار حتى يحمر ، ثم انخسى به صدر أخيك فوق قلبه ...

— تخستك النار فى أحشائك ... تريد أن تقتل الولد ؟ !

— ما كان الكى قاتلاً يوماً . العرب وأهل الصعيد جميعاً يعالجون أدواءهم به ، وانظرى إليهم تريهم أشد العالمين صحة ، وأقواهم أبداناً وأرواحاً ...

— ولكنهم يكوون أبدانهم عند ما يصيب المرض أبدانهم ، لا عند ما تبرح بهم العواطف ، ولا عند ما تصيبهن الهموم . كان فيهم من جن بحب ليلى ، قيس ، لم ينخسوه بمسمار ولم يطعموه الحر

— صحيح أنهم قعدوا عن علاج قيس وأمثاله ، وقد أقعدهم عنه وقوفهم بعلمهم عند حد رضوا به هم ، ولكن هذا لا يجبرنا على أن نقف نحن أيضاً عند هذا الحد الذى ارتضوه من العلم فلنا أن نمضى فيه ما دام طريقه مفتوحاً ... لقد أخذ العالم صناعة الورق عن الفراعنة ، فهل وقف العالم فى صناعة الورق عند ورق الفراعنة ، وأبى أن يمضى فيها لأن أهلها الذين أوجدوها قعدوا بها عند حد ؟ !

— طيب ! فإلى أين تريد أن تمضى أنت بخزعبلاتك هذى ؟

— لا أعلم . ولكن لك أن تسألى من أين أريد أن أبدأ ... فهذا وحده ما أستطيع أن أجيبك عنه !

— ابدأ أينما تبدأ ، ولكنى أرجوك أن تنتهى إلى شىء يقره العقل ...

— وما العقل ؟ أظنه يحسن بنا أن نتفق عليه ، وعما يصلح لأن يكون موضع إقراره ، حتى إذا ما وقفنا عند رأى لم نختلف عليه ؛ فتقولين: إنه غير معقول ؛ وأقول أنا : إنه معقول ؟ !

— ولكن هذه حكاية جديدة ، بل هى حكاية قديمة جداً فيما أظن ... ألم تعرف إلى الآن العقل ما هو ؟

— ومن عرف !

— الناس جميعاً ... اللهم إلا أولئك الذين لا يزالون يسألون عنه

وداعبتْ أنفاسُهُ خصْلةً ... من شَعْرِها قامت لإغرائه
فأعرضَتْ فى خَفَرٍ حيثُ لَمْ ... تقوَ على منظـرِ إفلاته
وأشرقَتْ في فَمِهَا بَسْمَةٌ ... كالفجْرِ فى مطلعِ أضوائه
ورنَّ في أعْطافِه صوْتُها ... كالماءِ يجرى فوق حَصْبائه
«مالكَ ! مارُوحى سِوَى مِعْزَف ... بين يَدَىْ باعثِ أصْدائه
لا أحَدٌ ـ حاشاكَ ـ أعْنُو له ... إلا الذى يُدْعَى لأسمائه
دُونك قلبى خالِصًا .. فهْوَ إنْ ... يَبْـذُلْ فمِنْ كل سُوَيْدائه
لا خيْرَ لي بَعْدكَ فى لُؤلُؤ ... إنْ لم تفُزْ أنتَ بِلَألَائه
إنْ تَرَ دمْعى سائِلا فهْوَ لا ... يُنْبِئُ إلا عن هوًى تائه
رَضِيتُ ما تشْمُهُ فى الدُّجَى ... يا كوْكبًا فى أوْجِ إسْرائه»

* * *

ثمّ أدارتْ مَبْسِماً ضاحكاً ... كالوَرْدِ فى أوّلِ إفضائه
يفتَرُّ للقُبْـلةِ فى وجْهِه ... فَضمَّها شوْقًا لأحشائه

(البحرين) ابراهيم العريض

— كان يخيّل إلىّ أن هؤلاء الذين يسألون عنه هم الذين عرفوه مرة أو مرات ويريدون أن يعرفوه دائماً ...

— ما هذا الكلام ؟ الشيء إذا عرف مرة عرف دائماً

— إلا العقل ... فهو حين يعرف العقل يكون عارفاً ومعروفاً في الوقت نفسه ، وهذا يستلزم أن ينشق العقل على نفسه ، أو أن يتداخل في نفسه ، أو أن ينتفض عن نفسه لحة ، ثم يعود إلى نفسه ، فإذا عاد إلى نفسه عاد عقلاً هو الذي كان قبل أن تحدث له حادثة المعرفة هذه ، ولم يكن هو قبل هذه الحادثة يعرف شيئاً عن نفسه ...

— هذا فرض يحتاج إلى إثبات

— إذن ، أثبتيه أنت

— وأنا مالي ؟ هل أنا الذي فرضته ؟ ...

— ولكن ، ألا ترينه معقولاً ؟

— ومن كلام المجانين ما هو معقول

— فليسوا مجانين ، أو هم ساعة ما يقولون الكلام المعقول لا يكونون مجانين ... وما داموا يكونون مجانين أحياناً ، وغير مجانين أحياناً فهم إذن كبقية الناس ، فما من إنسان إلا ويحيد عن العقل وحكمه في كثير ... فإما أن يكون الناس على هذا مجانين جميعاً ، وإما أن يكونوا عقلاء جميعاً ، وإما أن يكونوا جميعاً في حالة ثالثة يصيبون فيها الحكمة حيناً ويخطئونها حيناً ، وهذا ما قدمته لك من أن العقل شيء إذا اهتدى إليه مرة لم يكن معنى ذلك أنه قد ربط وأنه لن يشرد ويتيه في وديان النسيان

— وقد قبلت أنا هذا الرأي ، وسأدعك تقول ما تشاء على أساس أنه لا عقل ولا جنون

— وأنا لا أرضى بهذا ، فالعقل شيء موجود بلا ريب ، وكل رأي لا يوافق العقل لن يكون إلا خبلاً ، وأنا لا أحب ابنة الجيران مثل أخيك حتى أسمح لنفسي أن أسايرك فيما تريدين أن تعربدي فيه من الحديث وأنت مترنحة الفكر ...

— فماذا تريد مني أن أصنع ؟

— أريد منك شيئاً لا بد أن أطلبه من نفسي كذلك حتى نكون نحن الاثنين عاقلين فنستطيع أن نتفاهم . خذي هذا الخيط وهذه الإبرة وهذا الثوب وخيطيه ، وأما أنا فسأرسم في هذه الورقة دائرة، سأجعل نصف قطرها عشرة سنتيمترات، وسأقسم محيطها إلى عشرة أقسام وسأجعل في كل قسم منها وتراً ، وسأجعل كل وتر من هذه الأوتار قاعدة لمثلث رأسه مركز الدائرة ، ثم سأرسم في كل مثلث دائرة يمس محيطها أضلاعه الثلاث ثم سأجعل كل نقطة من نقط التماس هذه رأساً لزاوية من زوايا مثلث آخر سأرسمه داخل كل دائرة من هذه الدوائر الصغار ... خذي ... ابدئي ... وهأنذا سأبدأ معك ولنتحدث ...

— ما شاء الله ! ولن أكون عاقلة حتى أخيط لك الثوب ، ولن تكون أنت عاقلاً حتى ترسم أنت بيت جحا هذا الذي وصفته ...

— نعم ... مثلما كان يفعل الكردينال دي ريشليه ...

— رحمه الله ... هو أيضاً كان يخيط الأثواب ويرسم المثلثات والدوائر ...

— بل كان يجمع على مكتبه جيشاً من القطط لا يفتأ يحادثهن في المشكلات التي تعرض له ويسألهن حلها ويتملقهن استجداء لحلول معضلاته ومشكلاته من عندهن ، فهو يمسح هذه ويداهن تلك ، ويهز بأصابعه شوارب ذاك ، ويهرش بأظافره رأس هذا ... ولا يزال هكذا حتى ينفلق عقله أو ينبلج ، فينكشف له عقله ويرى الحكمة ... إنه كان يشغل نفسه بعمليتين عقليتين : أولاهما المعضلة التي يروم حلها ، والثانية مناوشة القطط ، وهو لم يكن يفعل هذا إلا لكي ينتفض عقله على نفسه ثم ينطبق مرة أخرى فإذا به في هذه الانتفاضة قد ومضت فيه شرارة من نوره هو ، هي ما كان يبحث عنه ليسير على هديه ... ألم ترى مطلقاً أناساً يتشاغلون في أشد مواقف التفكير حرجاً برسم الخطوط ، أو بضرب الأرض ، أو بفك الأزرار وإعادتها ثم فكها وإعادتها أو بحك جباههم أو بأي مشغلة يتشاغلون بها أثناء ما هم يفكرون فيما يحرجهم ؟ ... كل هؤلاء مثل الكردينال دي ريشليه ، فهلا تحبين أنت أن تكوني مثله ؟ ...

— ولكن الكردينال كان رجلاً هرماً لا أظنني كنت أحبه إذا رأيته ... أفلا تعرف مثلاً آخر أرشق من الكردينال دي ريشليه ...

— فلتكوني مثل جاري كوبر ... ألم تشاهديه في « مستر ديدز الشاذ » ؟

— شاهدته . واتهموه بأنه « استنجلينا »

— فأثبت لهم أن كل الناس « استنجلاينا » خذى الثوب خيطيه لعل جارى كوبر يراك فيعجب بك فيكون يوم سعدك ...

— وأين أنا منه ، وهو فى هوليود وأنا هنا فى القاهرة ... هات الثوب هات وأمرى لله ، وابدأ أنت فى الرسم كما تشاء ، وقل ما تريد ...

— وهو كذلك ... ولكن فى أى شىء كنا نريد أن نتحدث ... لقد نسيت ...

— أظنك كنت تريد أن تعالج حب أخى لابنة الجيران بأن تكويه فوق قلبه بمسمار محمى فى النار ...

— صحيح ، وكنت أنت تنكرين هذا ، وكان إنكارك يعتمد على اعتراض قوى وهو أن الحب عاطفة وليس مرضاً بدنياً حتى يعالج علاجاً بدنياً صرفاً ... أليس كذلك ؟

— بلى ...

— أما كنت تستطيعين أن تقولى شيئاً غير « بلى » هذه فإنى لا أحبها ... على أى حال هى مسألة ذوق ، وعلاجها هى أيضاً مسمار محمى فى النار تنخسين به لسانك فلا تعودين إلى النطق بها وبأمثالها

— ما أحد لسانه فى حاجة إلى الكى غيرك ..

— إذن فقد آمنت بالنظرية ؟ !

— لا يا سيدى ... سحبتها ...

— حسن ... اسمعى ... ألا ترينه معقولاً أن تكون كل علة بدنية ظاهرةً لعلة نفسية ... ثم ألا ترين أنه إذا كان الأمر كذلك فإنه يكون فيه توكيد لصلة البدن بالنفس

— ليس لى شأن بهذا التوكيد ، وإنما أريد منك ولو بعض الأمثلة التى تستطيع أن تتخذها عوناً لك على إثبات ما تقول ...

— لا بأس ... من تظنينه تصيبه التخمة إلا من أصابه الجشع والدناءة ؟ ومن تظنينه يصاب بالمرض الخبيث إلا الذى خبثت نفسه وانقاد لخبثها ؟ ومن تظنينه يصاب بالعرج إلا المشاء فى الضلال وفى الظلمة ؟ لست أريد أن أمضى معك إلى أكثر من هذا إلا أن أقول لك إن هذا الحكم يسمح لكثير من الأفراد والحوادث أن يشذوا عنه. ولكن هذا لا يعنينا ، فشذوذ الحوادث والأفراد يحتاج إلى تأمل خاص فى كل فرد وفى كل حادثة على أن يكون هذا الدرس بعد اليأس من انطباق القاعدة العامة ...

— طيب ، وبعد هذا ؟

— ما دمنا قد اتفقنا على هذا فقد سهل الأمر . والعرب ، وأهل الصعيد — وهم منهم — عرفوا الكى داء مكمنه فى أعصاب الإنسان أين هو ، وهم يكوون هذا المكمن بالنار فتطهر الأعصاب من رذيلتها وضعفها ، ويزول المرض ، وهم بهذا قد فتحوا لنا الطريق كما قلت لك ، وعلى علماء النفس وأطباء هذه الأيام أن يتابعوا السير فى هذا الطريق ، وعلى الخصوص بعد أن قال قائل منهم إن مخ الإنسان ينقسم إلى مراكز عقلية ، لكل مركز منها عمل خاص ، فهذا للتذكر ، وهذا للحساب ، وهذا للاستنباط ، وهكذا ، ولست أدرى لماذا لا يفكرون حين يصيب المرض مركزاً من هذه المراكز فى أن يكووه ليطهروه وينقذوه ، وليس ضرورياً فى أن يكون الكى بالنار ، فعندهم من وسائل الكى ما هو أشفق من النار وأرحم ، وإن كانت النار أبلغ منه وأفعل ، ثم مالنا نفرض أن كل مراكز العقل مجتمعة فى المخ ، ولماذا لا يكون بعضها فى أعصاب أخرى غير المخ تلتف فيها الروح بالجسم أو تلامسها كما يلامس محيط هذه الدائرة زوايا هذا المثلث فى هذه النقط الثلاث .. فإذا جاز أن يكون هذا ، فلماذا لا يكون فى القلب مركز الحب وها هو ذا أخوك يقول لك إن قلبه يوجعه وجعاً مادياً حقاً ... انخسيه بمسمار ، أو إذا شئت أن تترأفى به فاحمى له « دبوساً » ...

— يا شيطان أخاف عليه أن يموت ...

— لن يموت ، فعمر الشقى بقى ، وإنما سيحدث بإذن الله أن يخرج أذى الحب من ثقب المسمار أو الدبوس ، آهات ، وشعراً ، أو غناء ندباً وبكاء ، ثم ينتهى الأمر ويبرأ أخوك من الحب ، ولى بعد ذلك الحلاوة ...

— هى هذه الحلاوة التى راح عقلك فيها ...

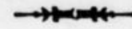
عزيز أحمد فهمى



قصة واقعية :

إنه أخى ...

للأستاذ محمد سعيد العريان



كان المطر ينهمر ، والريح العاصف تحمل قطرات الماء إلى وجوه المارة وثيابهم ، فتغمض عيونهم ، وهم يسيرون على حيد الطريق فى حذر ورقبة خشية أن تزلق أقدامهم فيتدحرجوا فى الوحل ، والسيارات منطلقة براكبيها من ذوى اليسار والنعمة ، فتقذف عجلاتها رشاش الماء على جانبيها فيصيب وجوه الناس وأرديتهم ، لا يكادون يدفعون عن أنفسهم شيئاً مما تقذفهم به الأرض أو تنالهم به السماء

وكان الليل فى أوله ...

وفى مُنْعطَف يُفضى إلى أربعة بيوت فى حى « شبرا » كان فتى دون الثلاثين واقفاً تحت السماء وقفة مترقب وعيناه معلقتان بنافذة مغلقة ، لا يزيد على أن يرفع إليها عينيه حيناً ، وإلى الطريق العام حيناً آخر ، وهو واقف ، والساعات تمضى ، والمطر ينهمر ، والريح تلطم وجهه بقطرات الماء ، وفى يده ورقة مطوية ...

وكان بوابو البيوت الأربعة مجتمعين وراء أحد الأبواب ، وبين أيديهم نار يصطلونها وهم يسمرون ، وكان لكل أسرة من سكان البيوت الأربعة حظ من حديثهم وسمرهم ؛ وهل يجتمع مثل هؤلاء إلا لمثل ذاك ؟ وكانوا فى غفلة عن الفتى ، والفتى عنهم فى غفلة ...

وطال الانتظار بالفتى ونال منه البرد القارس ، ونفذ الماء من ثيابه إلى جسده ، وكان شعره الأشمث يقطر ماء على جبينه ؛ فلم يتنبه إلا من بعد إلى هذه الشرفة التى تلق ظلالها على جانب من الطريق ، فأوى إلى ظلها يحتمى من المطر والريح فى هذه الليلة الباردة ...

... لولا ثيابه الحائلة ، ونظراته الضارعة ، وذلك الفتور فى عينيه ، وهذا الشحوب فى وجنتيه ، ولولا هذه اللحية التى لم يمسسها حدُّ الموسى منذ أيام — لحسبه من يراه عاشقاً قد أضلّه هواه فأخرجه فى هذا الجو العاصف ، يرجو موعداً أو يتزود بنظرة ... ولكن على وجهه سمات ليس مثلها فى وجوه العشاق !

... ولكن ... ما هذه الورقة المطوية فى يده ... فلعله رسول ... !

وأخذته عيون البوابين وهم فى حلقتهم يصطلون ويسمرون ، فتهامسوا وضحكوا ؛ وأحس الفتى وقع نظراتهم ، فاستحيا ، ثم تغافل ولوى عنقه ...

* * *

لم يكن ذلك موقفه الأول . لقد طالما وقف « حسّان » هذا الموقف من قبل ، وطالما امتدّ به الانتظار فى هذا المنعطف ساعات ؛ حتى إذا ما انفتحت النافذة المرموقة أسرع إلى الباب وصعد ، أو كتب ورقة فى حاجته فهمس بها مع البواب

من أجل ذلك كان مألوفاً لسكان الحى أن يروه فى موقفه ذاك ، وأن يسكتوا ، ولكن أحداً منهم لم يحاول أن يعرف ما وراء هذا الموقف من سر . ولكن بواب البيت كان يعرف فأسر النبأ إلى صفوته من بوّابى الحىّ ...

وهجست الهواجس فى ضمائر سكان البيوت الأربعة ، فكان لكل واحد مع أهله حديث ... وتناثرت الإشاعات ثم اجتمعت ، فإذا على ألسنة السكان جميعاً خبر واحد : هو أن للسيدة فلانة سرًّا تحاول أن تخفيه إلا عن الفتى وعن البواب ...

... لو وقف « حسان » مثل هذا الموقف كل يوم مرات فى غير هذا المنعطف ما أحس به أحد ولا سأل عن خبره سائل . كم فتى ، وكم فتاة ، وكم رجلاً ، وكم امرأة — يمشون كل يوم ، ويقفون ، ويتواعدون ، ويتلاقون على أعين الناس فى الشوارع الحافلة ، ثم يودع بعضهم بعضاً ويمضى لوجهه ؛ فلا يثير أحد منهم فضولَ عابر ولا يسأل عن خبره سائل . ولكن هنا ، فى هذا المنعطف الذى يُغْلق بابُه على بيوت أربعة قد تعارف

سكانها فرداً فرداً فلا يكاد يخفى على أحدهم خبر جاره ـ هنا فى هذا المنعطف كان وقوف حسان مثار فضول ومبعث ريبة

***

ولم يكن حسان عاشقاً ولا رسولاً ولكنه أخو السيدة فلانة زوج الطبيب فلان ...

هل يصدق أحد ؟ ولكنها الحقيقة ...

هذه السيدة التى يراها من يراها فى أبهتها كأنها أميرة ، أخت هذا الفتى البائس الشريد الذى يقف كل يوم هذا الموقف ساعات ، تحت المطر الهاطل ، وفى مهب الريح السافية ، وفى أتون الشمس المحرقة يترقب ، ينتظر اللحظة المناسبة ليكتب إليها فيعود له البواب فيضع فى يده بضعة دراهم ؛ ثم يمضى ، ليعود بعد يوم ، أو بعد ساعات فيقف موقفه يترقب ، وفى يده ورقة مطوية .... .

***

ماذا كان حسان فى أوليته وماذا صار ؟

لقد نشأ فى بيت رفيع العماد عالى الذرا ، ثم كان له ولأخته ما خلف أبوهما من ثروة ومال ، وكان تلميذاً فى المدرسة يوم مات أبوه ، وكانت أخته مسماة على الفتى الذى صارت له من بعد ...

... وآلت ثروة أبيه جميعاً إليه ، وإنها لثروة . وهجر الفتى مدرسته ومضى على وجهه يبيع اللذات ويشتريها ، ونصب الشيطان له حبائله من الفراغ والشباب والمال ...

وانتقلت أخته إلى دار زوجها وخلفت قصر أبيها بما فيه ، ولكن قصر أبيه كان أضيق من أن يتسع له ، فأغلق بابه ومضى يتنقل بين أندية اللهو ومجالى الهوى ومسارح الشباب ، وبسط يده على موائد الشراب والقمار ، وتقاذفته الأقدار قدَراً إلى قدر ، وأغمض عينيه وسبح فى أوهامه ، وطارت به أمانيه ثم سقطت ؛ وفتح عينيه فإذا هو وحيد شريد صفر اليدين من المال والصحاب ...

وذكر أخته بعد سنين من القطيعة ، فراح يشكو إليها ؛ ودمعت عينا السيدة رثاء لأخيها وشفقة عليه ؛ ثم ذهبت إلى صوانها ففتحته وعادت له بما تملك ...

وخرج الفتى من مجلس أخته برأس مال صالح لو أنه أراد ... وكان يريد ، ولكنه رأى أن يودّع ماضيه بليلة ساهرة من ليالى الهوى والشباب ، ثم يُصبح ... ...

وأصبح ... وعاد كما بدأ ...

واستمرت الكرة تتدحرج ...

***

وعاد حسان إلى أخته بعد شهر ، وقال لها وقالت له ؛ ونهضت إلى صوانها ثم عادت فارغة اليد ... وعاد زوجها من عمله ، والتقى الثلاثة لقاء الأهل بعد فراق طويل ...

وأسرت الزوجة حديثاً إلى زوجها ، وباحتْ بما باحتْ وكتمت ما كتمت ... وأخذ الثلاثة فى حديث طويل ...

... وقال الزوج : ... نعم ، منى المال وعليك العمل ، إنها تجارة رابحة ، وإنكَ بها لخليق أن تبلغ الغِنى فى سنوات ، لو أنكَ ...

وتعاهدا على الإخلاص والصدق ، ووثّقا عقد الشركة بالأيمان ودفع الزوج المال ، وخرج حسان لأمره ... ولم يَعد ... ...

لولا الشهامةُ والبُقْيَا لكانت الفاصمةَ بين الزوجين ، ولولا دموع السيدة ...

وهمّ الطبيبُ أن يرفع أمره إلى القضاء ، ثم سكت ؛ وماذا يردُّ عليه القضاء من ماله وإن غريمه مفلسٌ لا يجد رمقه ... ؟ وصبر على غيظ ، وسكتتْ زوجه على حسرة وألم ! ...

***

وضاقت بالفتى أيامه ، فعاد يتذكر أخته ... وسعى إلى بابها وسأل ، وكان زوجها فى الدار ، فتوارى الفتى يترقب ، وطوى ورقة مكتوبة ودفعها إلى البواب ... وصار هذا شأنهما من بعد ...

وكان يقصدها كلما ضاق به أمره ، ليس بين المرة والمرة إلا أيام ، فتعطف عليه أختُه وتنيله ؛ ثم تقاربت مواعيده حتى صار له راتب مفروض فى كل يوم . وبَصُر به الطبيب مرة وهو خارج فأغضى كأن لم يره . وتجرأ الفتى من بعدُ فاستعلن ، وراح يطرق الباب حين يشاء من ليل أو نهار يطلب ما يطلب ، وترادفت مطالبه ...

وضاق صدر الزوج ونفد احتماله ، فتصبّر ... ثم علم من شئون حسان ما لم يكن يعلم ، فغضب لنفسه ...

لقد يكون من المحتمل أن يأتى الرجل ذا حاجة فيدفع إليه بعض ما يستعين به ، ولقد يؤثره على نفسه بما يمنحه ؛ ولكن منذا تطيب نفسه بأن يكون ما يدفع إلى ذى حاجة من ماله وسيلة إلى اللهو الحرام ؟

هكذا قال الطبيب لنفسه فثارت ثائرته . إنه يشقى ما يشقى

فى تحصيل هذا المال ، ليسعد به وليسعد غيره ؛ لا لينفقه حسان على موائد الشراب والقمار !

وتحدث إلى زوجته بما فى نفسه وإن كلماته لترتجف من الغضب ، واستمعت زوجته إليه مطرقة ، ثم خلت إلى نفسها لتبكى ...

* * *

ولم يكف حسان ولم تحرمه أخته ، وعاد الأمر بينها وبين أخيها سرا كما بدأ ، واستمرأ المرعى فكشف الحجاب ... وكان ما تنيله معروفاً ونافلة فعاد ضريبة مفروضة ، وتكررت مطالبه وكثر مطلوبه ، وألح إلحاح الجابى على مدين مماطل ...

وتعود سكان الحى أن يروه كل يوم مرة أو مرات فى موقفه ذاك ذليلاً ناكس الرأس ، وعينه إلى النافذة أو إلى الباب ، حتى إذا أمكنته الفرصة وثب فكان على باب أخته ، فحيناً يكون الأمر بينهما تشكّياً واعتذاراً ، وحيناً يكون تهديداً وصخباً وضجة ، وهمّ بأخته مرة يحاول أن يضربها لتعطيه .. تعطيه من مال زوجها ما يعينه على ثمن الشراب وتكاليف الشباب ، ثم يتركها لأحزانها ويمضى لهواه ...

وضاقت به أخته كما ضاق به زوجها من قبل ... !

وقالت له مرة وفى عينيها دموع : حسان ، ليتنى كنت أستطيع ، ولكنى لا أطيق أن أخون زوجى فى ماله ، وإنى لأستطيع أن أعطيك ما تستعين به على العيش ، ولكنى لا أعطيك للشراب والقمار !

وضحك الفتى ساخراً وقال : الشراب والقمار ! تريدين أن تربّينى ؟ ... إذن فأنت لا تمنعين المال عنى للعجز والحاجة ، ولكنك تحاولين تأديبى ... ؟

وبرقت عيناه وأطلت منهما نفسٌ شريرة ، فتراجعت أخته مذعورة تطلب الحماية فى متاع الدار ، ووثب عليها فصرخت ... ثم خرج راضياً ... !

* * *

وطال حديث الناس عن السيدة المصونة ، وقالوا ما قالوا ، وتناولتها الرّيب والظنون ؛ وبلغها ما يقول الناس فزادت هماً على هم ...

وأوصت البواب أن يردّه إذا رآه وأن يحول بينها وبينه ، وكانت فى حال من الغضب خيّلت إليها أنها تستطيع أن تنسى أن لها أخاً ...

... وجاء الفتى إلى موعده ، وكان زوجها فى الدار ...

* * *

كان المطر ينهمر ، والريح العاصف تلطم الوجوه بقطرات المطر ، وعجلات السيارات فى سرعتها تقذف رشاش الماء إلى وجوه الناس وثيابهم ... والفتى فى موقفه لا يحس برد الليل ، ينتظر غفلةً ليصعد إلى أخته

وكفّ المطر ، وهدأت الريح ، وانفتح الباب وخرج الطبيب لبعض عمله ؛ فتسلل حسان إلى الدار ...

ومضت لحظات قبل أن يسمع البواب من يناديه ، فصعد ؛ وقالت السيدة فى غضب وثورة : ألم أطلب إليك ... ألم آمرك أن تمنعه ... ؟

وأطاع البواب فهمّ بالفتى ليطرده ، ونشبت معركة ...

... وكنتُ خارجاً لبعض شأنى حين أخذ عينى هذا المنظر ...

وكان شرطىٌ يسوق الفتى وقد اجتمع عليه البوابون الأربعة والفتى يتوسّل ، ودخلتُ فى الزحام أريد أن أعرف ، وكانت عينا حسان إلى النافذة ، وثمة سيدة تنظر . . .

ورأيت الفتى الذى أخذته عيناى من قبل مرات ، وكان يبكى وينظر إلى النافذة . . وكانت السيدة تبكى له ...

وقال البواب : لقد أمرتنى ... أمرتنى أن أدعو له الشرطة ، إنه لا يكف عن مضايقتنا ليل نهار ...

وقال الفتى بذلة : اسألها يا سيدى إنها ... إنها لا تريد ...

وقالت السيدة وصوتها يقطر أسى : دَعُوه ... !

وغضبتُ وثارت غيرتى .. وذهبت نفسى مذاهب من الريبة وسوء الظن ، وأطلّ الفضول من نوافذ البيوت الأربعة ... وتوقع الجيران أن يشهدوا فضيحة ... وظنوا الظنون ...

وعاد الفتى يتوسل ، والبواب يتشدد ، ويد الشرطى فى عنق الفتى وعيناه إلى هناك ... وعادت السيدة تقول فى ضراعة : دعوه أرجو أن تتركه يا سيدى ؛ إنه ... إنه أخى ... !

وأغلقت النوافذ المفتوحة ، وتوارت الرءوس المطلة ، ومضى الشرطى والبواب بالفتى ؛ وجلس الجيران يتهامسون ؛ وكانت سيدة تجلس وراء النافذة وحدها ، فى وجهها أظفار دامية ، وفى عينيها على الذى أدماها دموع ...

محمد سعيد العريان



« وحى الرسالة »

أخى الأستاذ الزيات

إليك أقدم أطيب الثناء على الهدية النفيسة التى تفضلتَ بها على أخيك وهى المجلد الأول من « وحى الرسالة » ، وهو مجموعة لمحات من بوارق فكرك الوثاب الذى ترى به روح الشرق وعقل الغرب حين تشاء ، بفضل ما وهبك الله من البصر بأسرار البلاغة العربية والثقافة الفرنسية ، وتلك هبة لا يتمتع بها من كتاب العصر إلا الأقلون

ويمتاز كتابك بميزة أصيلة هى تصويره لأكثر ما يحيط بهذا العصر من مشكلات عقلية ، ومعضلات ذوقية ، فهو سِجلٌ صادق لحوادث عاناها المجتمع واضطرم لها روحك الأمين

وما عاودتُ النظر فى كتابك إلا تفزّعتُ إشفاقاً عليك ، فهو يشهد بأنك شديد الإحساس بالوجود . والذى يصف المجتمع وهو فى مثل حالك يستأهل الإشفاق ، لأنه يعانى البلاء بمحنة المجتمع وهو يحمل روح المصلح . ولا يعزّينى إلا الشعور بأن الذين يشقون فى الطب لأمراض المجتمع هم فى حقيقة الأمر من أعظم السعداء ، وأنت فى الطليعة بين كتابنا المصلحين ، وإنك لعزيزٌ علينا أيها الشقىُّ السعيد .

هذا وقد قال بعض الناس إنك كاتب متأنق ، وذلك باطلٌ يراد به حق ، فالكتابة الرفيعة فنٌّ جليل لا ينفع فيه الارتجال . ولا تحسبْ أنك خدعتنا حين قلت إن مجموعة « وحى الرسالة » لم تكن إلا ومضات يلمح بها الفكر من أسبوع إلى أسبوع ، فالكاتب الحق لا يعرف عفو الخاطر وإن أحب أن يوصف بذلك ، وإنما ينقل إلى سنان القلم لواعج عاناها الفكر والروح فى أعوام طوال . وهو كالشجرة التى تختزن ثمارها إلى أن يحين الموسم المنشود . فلا تحاول التعتب على من يصفك بالتأنق ، لأن التأنق من صور الاهتمام ، والاهتمام عملية جراحية تنقل الأفكار من عالم المعانى إلى عالم الشهود

أما بعد فأنا أرجو أن يسبغ الله عليك أثواب العافية وأن يجعل لمؤلفاتك حظاً من القبول تنسى به آلامك فى خدمة الأدب الرفيع ، إن جاز فى دنيانا الحاضرة أن ينال المؤلفون المتفوقون بعض الجزاء . . . والله يحفظك للصديق الذى يعطف على جهودك أصدق العطف : زكى مبارك

تحرى الصدق فى النقد

أخى الكريم الأستاذ الزيات :

تحية خالصة وعرفاناً بمكانة « الرسالة » فى عالم الأدب الرفيع والنقد الشريف

والصدق — وهو من أخص صفاتك التى عرفتها فيك منذ عشرين عاماً أو تزيد — أول شرط من شروط النقد الشريف ، فإذا رأيت قلماً ينحرف عنه وهو يكتب فى مجلتك ، أسِفْتُ أسفين — أحدهما للعيب فى ذاته ، والآخر لأنه يقع فى مجلة الرسالة ، وهى علينا عزيزة !

أقول كلمتى هذه على أثر ما قرأته فى عددها الأخير الذى صدر فى اليوم العشرين من مايو — لناقد يوازن بين الموسيقيين فى مصر وبين الشعراء ، وبين الخطباء ، وبين المعلمين ، وبين الرسامين — وفصله هذا لاحق لسابق تناول فيه المفاضلة بين طوائف أخرى ممن يسميهم الفنانين بلغ عددها أربعة لأنه يبدأ مقاله الذى يعنينى فيه ما يعنينى ـ بالرقم (٥) ـ وهو رقم الموسيقيين فى سجله الشامل

ونحن نغبط الأستاذ الناقد على ما وهبه الله من قدرة خارقة على أن ينصب نفسه حكما بين الإخصائيين من رجال هذه الفنون المختلفة التى بلغ عددها تسعة (حتى الآن) ، ولعله لم يفرغ بعد من قضائه العالى فى أشتات أخرى من الفنون ، وأشتات آخرين من الفنانين

هـذا فضل من الله يؤتيه من يشاء . أو هو فضول من الدعوى الطويلة العريضة التى أصبحت مرضاً فى كثير ممن يحملون الأقلام ولا يحملون ما يضبطها ويكف غلواءها من الأفهام

ولست أعرض لسخرية هـذا الناقد ولا لحكمه لى أو علىّ بين الخطباء . فليس يهمنى أن « يقال خطيب » ، وإنما يهمنى أن أكون صاحب فكرة نافعة أحاول بثها فى العقول أو عاطفة طيبة أحاول غرسها فى النفوس

بل أعرض لشىء واحد — ذلك قول الناقد إنه سمعنى يوماً

فى مسرح البلفدير فى الأسكندرية أرثى سعداً عقب وفاته

تلك هى « الواقعة ! » التى بنى عليها الناقد حكمه

وإذن فليسمع الأستاذ تكذيبي الصريح لهذه « الواقعة » .

فإنى لم أتشرف برثاء سعد قط فى الأسكندرية . ولم أتشرف برثاء سعد قط إلا فى القاهرة بعد مرور العام الأول على وفاته ، وكان ذلك فى حفل تاريخى عظيم أقيم له سرادق مترامى الأطراف فى جوار بيت الأمة

وإلا فليتفضل الناقد فيدلنا على شاهد واحد آخر غير شخصه يؤيد قوله إن سعداً رثى فى الأسكندرية فى مسرح البلفدير ، وإن توفيق دياب حضر أو خطب

أما بعد ، فإن رجلاً اشتغل بالتحدث إلى الجمهور منذ سنة ١٩١٦ إلى سنة ١٩٤٠ ، وكانت آخر محاضراته محاضرة ألقاها فى كلية العلوم منذ شهرين ، وأخرى ألقاها فى دار الشبان المسلمين منذ شهر ، فنهض للتعقيب على المحاضرة الأولى معالى ابراهيم عبد الهادى بك ، وحضرة الدكتور منصور فهمى بك بما يأبى التواضع مجرد الإشارة إليه لولا سخرية هذا الساخر

ونهض للتعقيب على المحاضرة الثانية أستاذ جليل من أساتذة دار العلوم ، وغيره من أساتذة الكليات الأزهرية بتحيات مباركات وتقدير مشكور . إن رجلاً هذا شأنه يقول فيه قائل : « إنه مسرحى إلى حد كبير فى خطابته » ، ويقيم حجته على صحة زعمه « بواقعة » مختلقة من جذورها لجدير به أن يبدي هذا الأسف ، لا لخسارة تصيب شخصه ، ولكن لخسارة تصيب الصدق والنقد الشريف

محمد توفيق دياب

حول الدكتور الحفنى

كتب زميلي وصديقي الأستاذ عزيز كلمة عن الدكتور الحفنى ظلم فيها الرجل لأنه لا يعرفه ولا يعرف عنه شيئاً إلا ما يشيعه عنه أعداؤه ! ! فالحفنى موسيقى بكل ما فى هذه الكلمة من معان ، والحفنى منتج مخترع فى فنه ولعل الأستاذ عزيز لا يعلم عنه أنه قد وفق إلى ما لم يوفق إليه غيره من موسيقيي الغرب فأخرج للموسيقى العربية (فلوت الحفنى) المتمم للأرباع والذى أثار دهشة وفرحاً ، والذى قدره جلالة الملك فأمر — حفظه الله — بضمه إلى الموسيقى الملكية ...

وقد أخرج الحفنى أيضاً (الكورية) النحاسية وأخضعها للأرباع العربية ... وكل هذا مسجل ومعترف به من أرقى الأوساط الموسيقية .. وهو الآن بسبيل اختراع جديد سيتمه قريباً ، وسيكون له من الضجة ما يحمل الأستاذ الصديق على الاعتذار — أو على الأقل — على فهم الرجل ! !

محمد السيد المويلحى

تقويم عن نشر التعليم والثقافة فى مصر

عزمت وزارة المعارف على إنشاء تقويم سنوى يتضمن بياناً مفصلاً عما يبذل من الجهود فى سبيل نشر العلم والثقافة فى مصر والمعاونة على انتشارها فى الأقطار الشرقية ، وما هنالك من الصلات بينها وبين المعاهد المعتنية بالتعليم فى جميع الأقطار

وقد رأت الوزارة أن تخصص فى هذا التقويم مكاناً بارزاً للجامعة الأزهرية لما لها من الأثر المظيم فى هذه الناحية ، فكتبت إليها تطلب موافاتها ببيان واف عن مختلف جهودها الثقافية ، على أن يشمل ذلك عدد المدارس والمعاهد التى يؤهل لها الأزهر وعدد التلاميذ والطلبة ، ومدد الدراسة فى كل معهد أو مدرسة ، والدرجات والشهادات التى يمنحها ، وعدد الفرق والأقسام والأساتذة فى كل نوع من المعاهد مع ذكر أسماء رؤسائها ورؤساء أقسامها وأساتذتها ، مع بيان عن مكتبة الأزهر ، ثم عن الجهد الذى تبذله فى سبيل نشر الثقافة الإسلامية خارج الديار المصرية وبالجملة كل ما ترى إدارة المعاهد وجاهة نشره من البيانات فى هذا التقويم

هذا وستخصص الوزارة جزءاً آخر لجهود جامعة فؤاد الأول ، مع نشر بيان واف عن كلياتها وأقسامها وأغراضها الثقافية

احصاء الطلبة فى مدارس سورية

ثبت أن عدد الطلاب فى سنة ١٩٣٩ إلى ١٩٤٠ فى البلاد السورية ٤٢٨٠٨ تلاميذ موزعين على ٣٥٨ مدرسة ، و ١٦٩١٩ تلميذة موزعات على ٩١ مدرسة للأناث . وقد كان عام ١٩٣٨ — ١٩٣٩ (٣٨٨٧٠) تلميذاً و ١٥٤٨٣ تلميذة ، فتكون زيادة الطلاب بين العام المنصرم والعام الحاضر ٥٣٧٤ طالباً وطالبة

ومما هو جدير بالذكر أنه فى عام ١٩٢٤ كان يوجد ٢١٢ مدرسة للبنين تضم ١٦٠٤٥ تلميذاً و ٥١ مدرسة للبنات تضم ٣٩٢٦ تلميذة

فيلاحظ الزيادة المحسوسة التى تزيد على الأضعاف خلال ١٥ عاماً مما يدل على إقبال الناس على العلم والثقافة

وقد رفعت مديرية المعارف العامة ذلك التقرير عن الإحصاءات إلى عصبة الأمم عن طريق دائرة المعارف فى المفوضية العليا

جمعية المعلمين تعد كتاباً عن القاهرة

بدأت جمعية المعلمين العليا المشمولة بالرعاية الملكية فى تأليف اللجان الفنية من بين أعضائها وهى اللجان التى ستتولى وضع مؤلف عن القاهرة يتضمن بحوثاً تعالج مختلف النواحى فى تاريخ العاصمة المصرية ، وذلك لمناسبة الاحتفال بالعيد الألفى لها

وستجتمع هذه اللجان اليوم لتحديد عدد الصفحات التى يحتاج إليها كل بحث ، حتى يتيسر لكل منها البدء فى عملها

قصة أبى تمام

فى البريد الأدبى للعدد الأخير من الرسالة طلبٌ من الأديب أحمد جمعة الشرباصى موجه إلى الأدباء للتحقيق فى قصة قول أبى تمام : « إقدام عمرو فى سماحة حاتم » ، وارتجاله : « لا تنكروا ضربى له من دونه - مثلاً ... » . وهل قيلت أمام الخليفة أو أحمد ابن المتعصم أو أحمد بن المأمون ، وقد ذكر الأديب الشرباصى ما يفيد : أن القصة لا صحة لها أصلاً ناسباً فى ذلك أقوالاً لابن خلكان ، وزاعماً أيضاً أن كتب الأدب ومذكراته وكل المؤلفين فى عصرنا هذا اعتمدوا أنها قيلت أمام الخليفة ، فأعجب به الخليفة وقال لوزيره : أعطه ما يطلب ... فطلب أبو تمام الموصل ... الخ

وأبادر فأقول : إن المؤلفين وكتب الأدب ومذكراته لم يعتمدوا القصة — كما رواها — ، وإنما ذكروا أنه امتدح أحمد بن المعتصم أو أحمد بن المأمون بقصيدة سينية ؛ فلما انتهى إلى قوله : « إقدام عمرو ... » ، قال له الكندى الفيلسوف : الأمير فوق ما وصفت فأطرق ثم رفع رأسه وأنشد : « لا تنكروا ضربى ... »

ولما أخذت القصيدة من يده لم يجدوا فيها هذين البيتين فعجبوا من سرعة فطنته ولما خرج قال الكندى هذا الفتى يموت قريباً » ذكر ذلك أبو بكر الصولى فى كتاب أخبار أبى تمام ثم قال بعد ذلك « وقد روى هذا على خلاف ما ذكرته وليس بشىء والصحيح هو هذا وقد تتبعتها وحققت صورة ولايته الموصل فلم أجد سوى أن الحسن بن سهل ولاه بريد الموصل » هذا ما نقله ابن خلكان بنصه . كما أن تغليط الحيص بيص وابن دحية إنما هو من الصولى. فالذى تتبعها إذن وغلطهما ليس ابن خلكان كما فهم خطأ الأديب الشرباصى . أما ما قاله ابن خلكان فهو « رأيت الناس يطبقون على أنه مدح الخليفة ، وأن الخليفة أعجب به وقال لوزيره : أعطه ما يطلب فإنه لا يعيش أكثر من أربعين يوماً فطلب الموصل . ثم قال : وهذه القصة لا صحة لها أصلاً . وأورد بعد ذلك تحقيق الصولى ، فنفىُ صحة القصة من ابن خلكان والصولى منصبٌ على تولية أبى تمام الموصل وإنشاده القصيدة فى الخليفة . ولم يذكر البستانى فى دائرة المعارف إلا ما صححه الصولى ، وهو المشهور فى كتب الأدب . وحينئذ من هو الذى قيلت فيه القصيدة ؟ الواقع أن ذلك أمر تحقيقه سهل ميسور ! فإننا لو رجعنا إلى ديوان أبى تمام لعرفنا أن القصيدة ليست فى الخليفة وإنما هى فى أحمد بن المعتصم ، وهو ابن الخليفة المعتصم الذى اتصل به أبو تمام ونال جوائزه فى ذلك الوقت وفيها يقول :

هدأت على تأميل « أحمد » همتى وأطاف تقليدى به وقيامى

فالبيت نص فى أن الممدوح اسمه أحمد ؛ أما ما ذكر من أنها قد تكون قيلت فى أحمد بن المأمون فليس بشىء ذلك لأن أبا تمام المتوفى سنة ٢٣١ هـ قالها فى أواخر حياته ؛ والذى يكون فى مجلسه الفيلسوف الكندى فى هذا العهد ويقال له فى القصيدة نفسها : « يا ابن الخلائف من بنى العباس » هو ابن الخليفة أحمد بن المعتصم لا أحمد بن المأمون المتوفى أبوه سنة ٢١٨ هـ . وبشىء من التحقيق كذلك ، نرى أن نسبتها إلى الخليفة فى بعض الكتب إنما هى من سهو النساخ فربما كانت كما يأتى : « إن أبا تمام امتدح ابن الخليفة المعتصم بقصيدة سينية » فسقطت لفظة « ابن » وصار الكلام « امتدح الخليفة المعتصم ... » وهذا مما يؤكد أيضاً أنها قيلت فى أحمد بن المعتصم لا أحمد بن المأمون . وللنساخ من أمثال ذلك كثير .

عبد الستار أحمد فراج



عبقرية الشريف الرضى

تأليف الدكتور زكى مبارك

بقلم الأستاذ محمد هارون الحلو

لأستاذنا الدكتور زكى مبارك قلب يزخر بالفتوة وينبض بالعافية على رغم ما فيه من هوى مكنوم ولواعج مضطرمة ، وقد يلازم هذا الشذوذ والتناقض كثيراً من الأدباء ورجال الحكمة وقد يكون ذلك لقدرتهم على الشكوى والأنين والتلاهى أحياناً بالفلسفة أو التفلسف فى تشريح العواطف والوجدانات !

وهو يعيش فى أودية الفن ، الفن الروحى ، ويهيم أبداً فى ملكوت الخيال ولهذا كانت جل بحوثه من تيه عبقر ، ومن همسات الشياطين !

والدكتور زكى له طريقة فى البحث يكاد يستقل بها عن غيره من أعلام الأدب والكتاب الأنبيناء فهو حين يكتب لا يعدو أن يكون مترجماً لأشرف العواطف وأنبل الغرائز البشرية بصورة واضحة لا غموض فيها ولا تلبيس

تنطلق عنه الفكرة مستقلة ، تشرق فى آفاقها الحقيقة وتلتمع فى أقطارها صورة تلك الروح التى انبثقت عنها تلك الفكرة ، فهو إذا بحث كان « فسيولوجيا » فى بحثه ، فناناً فى أسلوبه ، تلمح فى مأثوره قوة الانفعال ومدى خصوبة القريحة ؛ ويستوقفك فى تضاعيف بحوثه الطلية رشاقة الأسلوب وتأنق المنى ووضوح الفكرة وترتيب المعانى وحسن السبك ... وغير ذلك من الصفات التى أعطت أدبه لوناً خاصاً يماز به عن غيره ، كما أنه ينفرد بين أدبائنا بجرأته ، وهو يعتمد فى ذلك على مواهبه وثقته بنفسه ؛ فهو يتوفر أبداً على نصرة فكرته ، لا يتقهقر ولا يتأخر

وكان له من نشوة الظفر ما يدلُّ به كثيراً على خصومه ، وكثيراً ما يعتد بنفسه شأن المتثبت المتمكن القوى الإيمان ؛ فإذا أراد أن يعرّض بخصم أو يمازح صديقاً ؛ فهو ذو دربة بأساليب الكيد وطرق الممازحة والمؤاخذة الألمية والنيل من خصومه ومن أصدقائه أيضاً !

وثمت خلَّة أخرى تكاد تكون من لوازم ذلك الأديب الكبير ، وهى صبره فى البحث وقوة روحه فى استقصاء المعانى فى الموضوعات التى يطرقها

ولقد كان وفاء زكى مبارك أبرز صفاته الشخصية ، فهو يذهبُ إلى العراق ليرفدَ أهلها من معينه السائغ ؛ فلو أنك أيها القارئ قد اطلعت على ذلك السفر النفيس (عبقرية الشريف الرضىّ) لجاز لك أن تقول ما قاله أحد أدباء بغداد حينما قرأ ذلك الكتاب :« إن نثر زكى مبارك له روعة تفوق شعر الشريف الرضى فى بعض الأحيان »

لا يمكننى أن أصف ذلك السفر الذى أقامه الدكتور زكى نصباً خالداً للشريف الرضى بقدر ما كتب هو عنه فى مقدمته إذ يقول : « إن القلمَ جرى فيه بأسلوب ما أحسبنى سُبقت إليه فى شرح أغراض الشعراء ، حتى كدت أتوهم أنى طفتُ بأودية لم تعرفها الملائكة ، ولا الشياطين »

ومن اعتداده بمؤلفه وتعريضه بغيره من المؤلفات ما يقوله أيضاً فى سياق حديثه عن الشريف : « سيرى قراء هذا الكتاب أنى جعلت الشريف أفحل شاعر عرفته اللغة العربية ، وقد سمع بذلك ناس فذهبوا يقولون فى جرائد بغداد : أيكون الشريف أشعر من المتنبى ، وأستطيع أن أجيب بأن الشريف فى كتابى أشعر من المتنبى فى أى كتاب . ولن يكون المتنبى أشعر من الشريف إلا يوم أؤلف عنه كتاباً مثل هذا الكتاب ! »

وله العذر فيما يقول فكتابه عن الشريف وعبقريته ، ضرب من السحر لم يشرع فى الكتابة من قبل ولم يأت على طريقة الأدباء بعد ، فهو توجيه جديد فى الدراسات الأدبية حيث يقف المؤلف من الشاعر موقف الصديق من الصديق ، ويحصى عليه ويحصى له ويتحدث إلينا بإخلاص وأمانة ، ويسجل رأيه الخاص فى كل ما يعرض له ، فالكتاب حافل بآراء جديدة وفلسفة فريدة

ولقد امتزج روح المؤلف بروح الشريف ، وتأثر به أعمق التأثر وانتقل معه إلى عصره الذى كان يعيش فيه ، وأحبه حبا عنيفاً ، حتى أصبح زكى خلاله مسرفاً فى التمدح بأفضاله ، فإذا مر بهفوة له فإنه يرفق به ويشفق عليه شأن ما يحدث عادة بين الخلصان من الأصحاب والأصدقاء

قصص العلماء والمخترعين

تأليف الأستاذ محمد عاطف البرقوقى

المفتش بوزارة المعارف

تحفزنا الرغبة فى تشجيع الآداب العلمية إلى التنويه بهذا الكتاب الجليل، وهو باب من الأدب جديد يعنى بتبسيط حقائق العلم فى أسلوب أدبى يحبب إلى قارئه أن يقرأه فيجد لذة القراءة وفائدة التحصيل العلمى فى وقت معاً؛ ومؤلفه حقيق بأن يبلغ بكتابه هذا المبلغ من الحرص على الفائدتين، فهو قد نشأ نشأة أدبية فى ظلال أبيه الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى صاحب البيان، وصهره الأديب الكبير المرحوم مصطفى صادق الرافعى؛ وهو إلى ذلك عالم قد تخصص فى مادته العلمية فى مصر والخارج، وعليه التفتيش على دروس الطبيعة فى مدارس الحكومة — فاجتمع له بذلك الفضل من طرفيه

ونحن ننشر فيما يلى فصلاً من هذا الكتاب الممتع برهاناً على ما قدمنا من وصفه:

اختراع التلغراف

سنة التطور والارتقاء

لدارون Darwin العظيم مذهبه الشهير الذى يقول بسنة التطور والارتقاء، حتى رد الإنسان إلى أصل من القردة، وهذا الرأى لا يسرى على الكائنات فحسب، بل إنه فى رأيى يمتد إلى الاختراعات أيضاً، فكل اختراع يظهر أولاً ناقصاً مشوهاً، ولكنه يتحسن ويرق بالجهود المتتابعة التى يبذلها العلماء، والأمثلة على ذلك عديدة، فها هى ذى الكهربية بدأت ساكنة فتطورت إلى متحركة محدثة التيار الكهربى؛ وهذه أبحاث فراداى النظرية، تتطور إلى أعظم المخترعات العملية، ويحاول العلماء نقل الإشارات كما فى التلغراف، فينجحون فيما بعد فى نقل الكلمات كما فى التلفون، وينجحون فى اختراع التلغراف والتلفون السلكيين، فتؤدى أبحاثهم وجهودهم إلى اختراع التلغراف والتلفون اللاسلكيين، وهكذا سنة التطور والارتقاء فى الاختراعات، ولن تجد لهذه السنة تبديلا. ويحكى عن فراداى العظيم (ص ٥٥) أنه كان مرة يقوم بإجراء تجربة كهربائية فى الجمعية الملكية بلندن أمام بعض المشاهدين والمشاهدات. وبعد ما أتم إجراءها وشرحها انبرت له إحدى السيدات وسألته: «يا مستر فراداى. هل يمكنك أن تخبرنى ما فائدة ذلك؟» فأجابها على الفور ذلك الجواب المقنع المناسب: «وهل تستطيعين أن تخبرينى عن فائدة الطفل ساعة ولادته؟» فأسقط فى يدها ولم تحر جواباً

نشأة التلغراف

والتلغراف كان مطمح الآمال، وغاية العلماء منذ نشأة الكهربية، ففى عهد سكونها، وبعد أن كشف جراى ودى فاى (ص١٦) أن من الأجسام ما هو موصل وما هو غير موصل حاول بعضهم مد عدد من الأسلاك بعدد الحروف الهجائية، وهى تسعة وعشرون فى اللغة الانجليزية كل سلك فيها يقابل حرفاً من تلك الحروف فإذا أريد إرسال إشارة تلغرافية لكلمة معينة دلكت أطراف

ولقد أربى البحث فى هذا الكتاب — وهو يقع فى جزأين كبيرين — على عشرين باباً، احتفل فيها المؤلف بكل باكورة من بواكير الشريف العبقرى، وعالج موضوعات دقيقة عميقة لها أكبر الأثر فى توجيه الشريف فى حياته

ولقد أجاد المؤلف وأفاد فى الحديث عن (أعوام البؤس فى حياة الشريف) و (العلا والمعالى فى قصائده) و (صلة الشريف بحياة خلفاء بنى العباس) وهى من موضوعات الجزء الأول

كما أنه برع فى الكتابة عن (غراميات الشريف) و (عفافه) و (حجازيات الشريف) وغير ذلك من النواحى والاتجاهات العميقة التى ضرب فيها فكر المؤلف وخياله بسهم وافر، فنفذ إلى مكنونات وطرائف كان لها أثر كبير فى إخراج هذا السفر على آنق أسلوب وأرفع خيال، حتى حُقَّ للدكتور زكى مبارك أن يستهل الكتاب بتعليقه على قول الشريف:

أنا النضار الذى يُضَنُّ به لو قلَّبتنى يمينُ منتقدِ

بعبارته: اشهدْ أنك وجدْتَ المنتقِد أيها النُّضار.

هذه كلمة قد عنَّ لى أن أكتبها وفاء للأدب فى شخص الدكتور «زكى مبارك» مؤلِّف عبقرية الشريف جزاه الله عن الأدب خيراً.

محمد هارون الحلو

الأسلاك الدالة على حروف هذه الكلمة على التوالى ، فتشحن هذه الأسلاك بالكهربية فتجذب إليها فى مكان الاستقبال كرات صغيرة من نخاع البيلسان فيؤلف المستقبل منها الكلمة المرسلة ، وقد أخفقت هذه الطريقة كما أخفقت محاولات أخرى لما قام فى طريقها من صعوبات : كبطء سير الإشارة أو ضعفها عن أن تصل إلى مسافات بعيدة ، ولكن الاتجاه الصحيح قد بدأ سنة ١٨٢١ ، بعد أن كشف أورستد (ص ٣٧) التأثير المغنطيسى للتيار الكهربى ، إذ اقترح أمبير (ص ٤١) عقب ذلك ، وفى نفس سنة ١٨٢١ استغلال هذا الكشف الجديد لتطبيقه فى التلغراف . ومن ذلك استطاع جاوس G. F. Causs العالم الطبيعى الألمانى وفبر Wilhelm Weber «أستاذ الطبيعة فى جامعة جوتنجن» سنة ١٨٣٣ من إقامة أول خط تلغراف فى العالم بين المرصد وقسم الطبيعة فى هذه الجامعة ، وكانت المسافة بين المكانين ٩٠٠٠ قدم ، وقد اشترك يوسف هنرى الأمريكى (ص ٧١) فى أبحاث التلغراف ، وهو الذى اقترح استعمال المغنطيس الكهربى الذى له الفضل فى تحسينه، ورأى أن يوضع أمام قطبيه قطعة حديد تمس حافظة، فإذا وصل التيار إلى ملف المغنطيس الكهربى انجذبت إليه الحافظة وحدث صوت «دقته» واقترح شتاينهيل Karl August Steinheil الألمانى بعد دراسة عميقة أنه يمكن استعمال الأرض موصلاً بدلاً من إقامة سلك آخر لإتمام الدائرة الكهربية وقد أعلن ذلك إلى أكاديمية العلوم بجوتنجن سنة ١٨٣٨ ، وقد حاول هويتستون فى إنجلترا أيضاً الوصول إلى اختراع التلغراف ، ولكن النصر الأخير والفوز الأعظم جاء على يدى مورس الأمريكى

مورس [1]

ومن ذا الذى لم يسمع بمورس ؟ أو من ذا الذى لم يسمع «بالنقطة» و «الشرطة» اللتين اتخذهما مورس نظاماً وجعل منهما رموزاً للحروف الأبجدية والأرقام وغيرها ، فجعل حرف الألف من نقطة وشرطة ، والباء من شرطة وثلاث نقط ، ورقم الخمسة خمس نقط وهكذا . إننا نسمع دقات التلغراف فى مكانها كأنها تنادى باسم مورس آناء الليل وأطراف النهار

(١) Samuel Fineley Breese Morse

وقد بدأ مورس حياته فناناً ، بل وفناناً عظيما ، ويكفيه فخراً فى هذا المضمار أنه الذى أسس أكاديمية الرسم الأهلية [1] فى نيويورك ، وقد تلقى أصول دراسة هذا الفن فى أوربا ، وأثناء عودته إلى بلاده سنة ١٨٣٢ ، خطرت له أول خاطرة فى التلغراف ، وتمكن من بناء أول تلغراف عقب ذلك فى نفس السنة ، ولكنه كان يعوزه المال اللازم لبنايته وعرضه على الناس ، واضطر إلى الانتظار ولكنه فى الوقت نفسه كان يعمل على إدخال التحسينات فى تركيبه ، حتى أوفى على الغاية من الاتقان ، وتسنى له أن يعرضه على الناس سنة ١٨٣٧ فى جامعة نيويورك، وأرسل أمامهم الإشارات التلغرافية مسافة ١٧٠٠ قدم ونجح نجاحاً أثار الإعجاب ، فمنحه مجلس الأمة الأمريكى مبلغ ٣٠٠٠٠ ريال ، فأنشأ أول خط تلغرافى تجارى سنة ١٨٤٤ بين واشنجتن وبليتمور

ذاع صيت مورس ، واشتهرت فكرته ، فذاع تلغرافه فى انجلترا وأوربا وأمريكا ، وأتقن إتقاناً عظيما فى بضع سنوات حتى صار فى الإمكان إرسال الرسائل التلغرافية مسافة مئات الأميال سنة ١٨٥٠

(١) National Academy of Design

M. Arab. 151

جيوفانى فركا يحدثنا عن الملاريا

عندما يفرغ الجرس من جديد للتطبيع فى السكون العميق تهرب العصافير دون ضجة والراعى نفسه الأصفر من الحمى والأبيض من الغبار يفتح جفونه الوارمة برهة ويرفع الرأس فى ظل الخيزرانات اليابسة . لأن الملاريا هنا تدخل فى الخيزران الذى تأكله فالملاريا تفاجئ السكان بغتة على الطريق المقفرة وتفاجئهم أمام باب البيوت المحرقة بالشمس مرتجفين من الحمى تحت ملابسهم الواسعة مع الغطاء على الرأس .

والآن قد انقلب كل شيء فتحت سماء إيطاليا أقوياء البنية وهم لا يشكون الآن من مرض الملاريا . وهي الكينا التى سمحت بهذا التغيير الكينا الدواء المعروف منذ سنة ١٦٣٠ فلجنة الملاريا بجمعية الأمم التى تكرس نفسها خصوصا لدرس المسائل المتعلقة بالملاريا تنصح لدرء هذا المرض بأخذ ٤٠٠ مليجرام يوميا من الكينا طول موسم الحميات وإذا كان أصيب الانسان بالمرض فالدواء الموصوف يلخص فى علاج سريع المدة فيكفى أخذ جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من الكينا كل يوم مدة خمسة أو سبعة أيام ولا داعى للمعالجة التكميلية ففى حالة الانتكاس يمكن تطبيق العلاج ذاته .

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }



8me Année No. 361

Lundi - 3 - 6 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثامنة « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ ربيع الآخر سنة ١٣٥٩ — الموافق ٣ يونيه سنة ١٩٤٠ » العـــدد ٣٦١

الفهـــرس

صفحة

الخصومة الأدبية فى الشرق

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب كثير من الأدباء فى الخصومة التى كانت بينى وبين الرافعى ، أو بينى وبين شوقى رحمهما الله . فلم أجد فيما كتبوه مدعاة إلى التعقيب أو المناقشة ، وآثرت السكوت عليه

وقرأت للأستاذ الصديق صاحب الرسالة مقالاً عن رأى الرافعى فىّ وفى الدكتور طه حسين ، فرأيت فيما رواه عن الرافعى رحمه الله مذهباً من الخصومة الأدبية يتبعه كثيرون فى الشرق خاصة ، ويأباه كثيرون ولا سيما فى البلاد الغربية . فكتبت هذا المقال لأبين به خطتى فى خصومة الأدب أو خصومة الرأى على الإجمال ، وألمع به إلى موضع الاستقامة وموضع الانحراف فيما قيل حول هذا الموضوع

وكنت أعلم أن الرافعى يقول عنى أحياناً غير ما يكتب . روى ذلك الأديب الكبير محمد السباعى ، ورواه صديقنا الكاتب المبين الأستاذ البرقوقى صاحب البيان ، وكله فى جملته يوافق ما رواه الأستاذ الزيات فى مقال الرسالة ؛ ومنه حرص الرافعى على كتمان هذه الشهادة !

ولم هذا الاختلاف بين السر والجهر ، أو بين القول الخاص والقول العام ؟

هذا هو أيضاً موضع الاختلاف بين خطتى فى الخصومة الأدبية والخطة التى كان يؤثرها الرافعى وبعض الأدباء

فأنا أقول الرأى بلهجة وأقوله بلهجة أخرى ، وهذا قصارى ما أستبيح من الفرق بين الرضى والغضب والصداقة والخصومة . أما الرأى فى لبابه فلا يتغير ولا يتناقض ، ولا يسمنى أن أجهر بغير ما أكتم ، وإن كنت لا أدين نفسى بنفخ الأبواق ودق الطبول تمظيما لمن مجيراه أن يتناولنى بالتصغير

روى صديقنا الزيات عن الرافعى أنه قال : « أما العقاد فإنى أكرهه وأحترمه : أكرهه لأنه شديد الاعتداد بنفسه قليل الإنصاف لغيره . ولعله أعلم الناس بمكانى من الأدب ؛ ولكنه ينفس علىّ قوة البيان فيتجاهلنى حتى لا أجرى معه فى عنان »

وهذا كلام فيه صواب وفيه خطأ . ونستطيع أن نتفق على موقعه من الصواب وموقعه من الخطأ إذا توخينا الإنصاف .

فماذا كان رأيى الذى كتبته فى الرافعى وأدبه ؟

إننى كتبت عنه مرات أن له أسلوباً جزلاً ، وأن له صفحات من بلاغة الإنشاء تسلكه فى الطبقة الأولى من كتاب العربية المنشئين

وقلت إلى جانب ذلك إننى أنكر عليه فلسفة البحث وصحة المنطق ودقة القياس

فهل كان فى وسعى أن أرى فى أدب الرافعى غير هذا الرأى أو أشهد له غير هذه الشهادة ؟

كان فى وسعى نعم أن أقولها بلهجة غير التى كتب بها عنى وكتبت بها عنه

ولكن هل كان فى وسعى بعد قراءة أرسطو وأفلاطون وابن سينا وكانت وشوبنهور وهيوم أن أحسب الرافعى من كبار الناطقة مع حسبانى إياه من كبار المنشئين ؟

هبنا توافينا على المودة ولم نتفرق فى الخصومة ؛ فهل كنت أستطيع أن أسيغ القضايا المنطقية التى كان رحمه الله يستكثر منها ويمعن فى الاتكاء عليها ، وهى لا تحتمل الاتكاء ؟

فأنا قد شهدت له بالبلاغة الإنشائية وأنكرت عليه الفلسفة المنطقية ، لأننى أستطيع أن أسلكه مع الجاحظ وعبد الحميد ، ولا أستطيع أن أسلكه مع كانت وابن سينا وهيوم

ومن الذى يستطيع غير ذلك ولو كان من أصدق الأصدقاء ؟ بل من الذى يستطيع أن يدحض الأمثلة التى ذكرتها ورددت إليها إنكارى عليه ملكة البحث الفلسفى والمنطق الصحيح ؟

فمثل من تلك الأمثلة قول الأستاذ فى الجزء الثانى من تاريخ آداب العرب إن الحيوان لا ينطق من اللغة الإنسانية إلا بما فيه معنى الطعام « وبذلك تأتى لبعض الألمانيين أن ينطق كلبه بألفاظ خالصة من اللغة الألمانية ، ولكنها فى الجملة من حاجات الكلب الطبيعية كالأكل والشرب فلا تخرج عن معنى الإحساس أيضاً »

فقلت له إن كلمة الخبز بالألمانية تقابلها ألف كلمة فى لغات الناس كافة تؤدى معنى الخبز وتختلف فى لفظها أبعد اختلاف ، وعلى هذا يجوز أن ينطق الكلب بكل كلمة تجرى على لسان الآدمى لأن اختلاف الكلمات فى لغة واحدة ليس بأصعب على الحيوان من اختلاف ألف كلمة بمعنى الخبز فى جميع اللغات

فهل هذا قياس صحيح ؟ وهل هذا بحث فى أسرار اللغات ؟

وقلت له إن كلمة « سمك » تؤدى معنى الطعام ، ولكن السين والميم والكاف تدخل فى اصطلاح المهندسين والفلكيين . فلماذا لا ينطق الكلب بلغة الرياضة العليا كما ينطق بلغة الطعام ؟

* * *

ومثل آخر من تلك الأمثلة أنه تعرض لرأى ابن الراوندى فى إعجاز القرآن إذ يقول : « إن المسلمين احتجوا لنبوة نبيهم بالقرآن الذى تحدى به النبى ، فلم تقدر العرب على معارضته ، فيقال لهم أخبرونا لو ادعى مدع لمن تقدم من الفلاسفة مثل دعواكم فى القرآن ، فقال : الدليل على صدق بطليموس أو أقليدس أن أقليدس ادعى أن الخلق يعجزون أن يأتوا بمثل كتابه أكانت نبوته تثبت ؟ »

تعرض الرافعى لكلام ابن الراوندى ، فماذا قال فى الرد عليه ؟ ... إنه لم يكشف المغالطة الظاهرة فيه وهى أن أقليدس لم يخترع الحقائق التى أوردها فى كتابه ، وليس فى طاقته هو نفسه أن يبتدع كتاباً آخر أو يزيد قضية واحدة على تلك القضايا ، فالعجز يشمله كما يشمل الآخرين ، والدعوى لا تظهر فضلاً له غير فضل الاهتداء إلى الحقائق الموجودة قبله والتى لا يد له هو فى إيجادها بأى معنى من معانى الإيجاد .

لم يكشف الرافعي هذه المغالطة الظاهرة ، بل راح يقول : « لعمري أن مثل هذه الأقيسة التي يحسبها ابن الراوندي سبيلاً من الحجة وباباً من البرهان لهي في حقيقة العلم كأشد هذيان عرفه الطب قط . وإلا فأين كتاب من كتاب ، وأين وضع من وضع ، وأين قوم من قوم ، وأين رجل من رجل ؟ ولو أن الإعجاز كان في ورق القرآن وفيما يخط عليه ، لكان كل كتاب في الأرض ككل كتاب في الأرض ، ولا طرد ذلك القياس كله على وصفه كما يطرد القياس عليه في قولنا : كل حمار يتنفس ، وابن الراوندي يتنفس ، فابن الراوندي يكون ماذا ؟ »

كذلك خيل إلى الرافعي (رحمه الله) أنه رد على ابن الراوندي وما زاد على أن وصفه بأنه حمار . فمن شاء أن يحسب هذا قياساً فليفعل وله حكمه على عقله . أما أن يحكم على العقول جميعاً بأن تقيس الآراء كما يقيسها ، فذلك هو الشذوذ

وقد نذكر هنا المثل الثالث والرابع والخامس والأمثلة الكثيرة لو كنا نريد الإحصاء والاستقصاء ، ولكننا نريد التدليل ولا نبغي غيره . وفيما تقدم الكفاية

فالذي قلته في أدب الرافعي هو الذي اعتقدته ، بل هو الذي لا أقدر على اعتقاد رأي غيره إلا أن أنسى كل ما عرفت من كتب البحث والقياس

والذي قلته في قياس الرافعي لا يقدر الصديق على أن ينفيه أو يقول بنقيضه ؛ إلا أن تكون الصداقة على غير الحق والإنصاف

ولو قنع مني الرافعي بأن أشهد له بالبلاغة وأن أنقد قياسه وبحثه على النحو الذي تقدم لما كانت خصومة ولا كان جدال . ولكنه اعتد رأيي فيه تجاهلاً وقلة إنصاف ، وزاد فاعتده من العداوة ورصد له ما يرصد للأعداء

وهذا هو أصل الخلاف

* * *

أما ما قيل ولا يزال يقال عن الخصومة الأدبية بيني وبين شوقي رحمه الله فبودي مرة أن أقرأ كاتباً واحداً يقول : « إنك نقدت الشاعر في « كذا » وإن « كذا » هذه خطأ أقيم عليه الدليل ، وهذا هو الدليل »

بودي أن أقرأ هذا لكاتب واحد من الذين يخالفونني في الرأي وينهجون في النقد غير النهج الذي أنتحيه

ولكنهم جميعاً لا يزيدون على الصياح والاستهوال ثم الصياح والاستهوال : يا خلق الله الحقونا… يا خلق الله اسمعوا واعجبوا … يا خلق الله تعالوا فانظروا من يقول إن شوقيا ليس بشاعر عظيم

وهذا كل ما يقال ، وهذا كل ما يعاد ، ولا مناقشة لرأي ولا استشهاد بمثال

ومنهم من يقولني ما لم أقل ويخرج صارخاً على خلق الله ليزعم أنني عظمت الشعراء جميعاً إلا شوقيًا وحده فقد خصصته بقلة التعظيم

أكذلك حصل ؟ … لا . كذلك لم يحصل !

وكل ما هنالك أنني يحق لي أن آكل الخبز الجيد وأن أعيب التفاح الذي يعاب والخبز بعد ذلك هو الخبز ، والتفاح هو التفاح !

وأعجب العجب أن يبلغ الادعاء بهؤلاء أن يغلقوا كل باب للرأي غير رأيهم فلا يخالفهم أحد إلا كان تأويل المخالفة الوحيد ترة شخصية أو قلة إنصاف !

ولو أنهم طلبوا الحقيقة لسهل عليهم أن يعرفوا أن طريقتنا تباين طريقة شوقي ، وأن اختلاف المقاييس بيننا وبينه معقول وطبيعي ومردود إلى أسبابه التي لا نغضى عنها لو أردنا الإغضاء

وأن ترة شخصية بيننا وبين شوقي لم تكن على حال من الأحوال . وليس في مقدور أحد أن يذكر سبباً لها لو اتجهت ظنونه إليها

فكل ما قلناه في أدب شوقي فهو رأينا الذي اعتقدناه ، ولا نحب أن يشير أحد إلى اللهجة التي قلناه بها ، فإن بيان أسبابها وتسويغ موقعها لا يعسران علينا ، ولا يخفيان على من يعلم أو يريد أن يعلم … فالإيجاز في هذه الإشارة أولى من الإفاضة فيها

* * *

وبعد فالخصومة الأدبية لها مذهبان : مذهب الإيمان بالفضل وإخفائه على عمد ، ومذهب الرأي الذي يتفق عليه الأصدقاء والخصوم وإن اختلفا في لهجة الأداء وعبارة الثناء

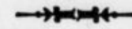
وهذا هو مذهبنا الذي ندين به ونجري عليه في كل ما اختصمنا فيه … وعلى الذين يرموننا بقلة الإنصاف أن يرونا مبلغ إنصافهم لنا ، إن كانوا … منصفين !

عباس محمود العقاد

حركات الإصلاح الإسلامية

أزمـــة إسلامية ؟

للدكتور على حسن عبـد القادر
دكتور فى الفلسفة والعلوم الاسلامية من جامعة برلين
ومدرس بكلية الشريعة



أيوجد حقاً ما يسمى أزمة إسلامية ؟ وهل صحيح أن الإسلام يجتاز فى هذا العصر مرحلة اجتماعية خطيرة ، وأنه يقف الآن عند نقطة فاصلة ويمر بدور حاسم فى تاريخه ، وسيبرهن على استحقاقه البقاء والخلود إذا مر بها صحيحاً سليما ؟

كانت هذه الأسئلة تتردد فى نفسى وتضطرب وكنت أعالج منها ضيقاً وحرجاً عند ما كنت أقرأ هذه الرسالة الصغيرة « الأزمة الإسلامية » للأستاذ ريشارد هرتمان[1]

تُرى هل أحس المسلمون بهذه الأزمة التى لم تنل بالطبع عقيدتهم القوية وإيمانهم الصحيح الخالص، أجل. ولكنها نالت أمراً عزيزاً لديهم . نالت حياتهم فى أشكالها المختلفة ومست قوانينهم وشريعتهم ونظمهم الاجتماعية ، وأصبح المسلم مضطرباً فى حياته تتقاذفه أمواج شتى من حضارة جديدة وأفكار حرة وتقليد موروث ودين راسخ ، لا يجد التوفيق بين ذلك كله سهلاً ميسوراً ، وهكذا فإن المسلمين فى جميع البلدان الإسلامية يعانون أزمة وشدة تكاد تودى بحياتهم وقد أودت بها فعلاً فى بعض البلاد

لا شك أن الناس لا يقرؤون التاريخ الحديث للاسلام ، أو كأنهم لا يفكرون فيه ككتلة تضم المسلمين فى أقطار الأرض ، فهم يغمضون أعينهم عما حصل وما يحصل فى تركيا وبلاد الهند الإسلاميتين من حركات وثورات ، بل وما يحصل بين سمعهم وبصرهم فى مصر حيث الحياة قلقة والنفوس ثائرة والإسلام ينقبض فى عقر داره يوماً عن يوم ، وحيث سلطان الشريعة الإسلامية ضعيف . أترى أن هذا لا يستحق النظر الجد والتفكير العميق ، أو أنه يكفى الصراخ والعويل كلما خرج خارج من أفراد أو دول ؟

حقاً أن رجال الأزهر وهم الذين يمثلون جبهة الدفاع عن الإسلام والذود عن حياضه بما عرفوا به من علم صحيح وفكر مستقيم هم وحدهم الذين شمروا بهذا الخطر الدائم الذى يهدد حياة المسلمين ، وهم الذين أدركوا المنحدر الذى قد ينحدرون إليه ، فهبوا يؤدون رسالتهم التاريخية فى شجاعة وصبر ، مضحين فى سبيل هذا الواجب بهنائهم وسعادتهم غير مبالين بما يقف فى طريقهم من صعاب لا يثنيهم عن عزمهم ما يبيته لهم الخصوم ، ولا يصدهم عن مهمتهم ما يرميهم به ضعاف الإيمان ، وهم من أجل ذلك فى أزمة شـديدة قاسية مضطربة نفوسهم وحياتهم أيما اضطراب .

فى رسالة الأستاذ هرتمان بيان شامل دقيق لحركات المصلحين الذين تنوعت بهم طرق الإصلاح، واختلفت لديهم سبل التجديد تبعاً للثقافات المختلفة التى عرفوها والبيئات التى اتصلوا بها ، فنهم من رأى الرجوع إلى القديم والتمسك بالإسلام الأول ، ومنهم من رأى الأخذ بالجديد كله ، ومنهم من سلك سبيل التوفيق . وعلى هذا يدور البحث فى هذه الرسالة القيمة التى سدت فراغاً كبيراً فى الأبحاث الإسلامية الحديثة . والأستاذ هرتمان عالم هادىء الطبع اتصلت به أثناء دراستى ببرلين فعرفته يمتاز عن غيره ممن بحث فى العلوم الإسلامية بنضوج الفكرة ، والرجوع إلى الحق إذا ظهر له ، لا يصدر حكمه إلا بعد تريث وترو وفى رفق وأدب . وهأنذا أعرض عليك فصولاً من هذا البحث :

— ١ —

يقول الأستاذ : قلما نجد بين الأديان الكبيرة ديناً ينفذ إلى حياة معتنقيه كلها فردية كانت أم اجتماعية مثل الإسلام . ذلك أنه من وقت النبى والخلفاء أخذت السلطة الدينية فيه شكل الدولة السياسى ، وبقى عدم التفريق بين أمور الدين وأمور الدولة — على الأقل فى المبدأ — قائماً إلى الوقت الحاضر . وهكذا ألبس الدين كل شىء ثوب التشريع والفقه ، وقد طور عمل القرون

[1] Rishard Hartmann, Die Krisis des Islam Leipzig 1928

المتوالية هذا الفقه إلى بناء هائل منظم لكل أنواع المعاملات والعلاقات الإنسانية تنظيما دقيقاً ، وأصبحت القوانين كلها ذات ثوب ديني تبعاً لهذا المبدأ الذي لا يفرق بين أمور الدين وأمور السياسة

حقاً إن مثل هذا القانون قد تكون فيه قوة ما دام حياً جديداً موافقاً للعصر المعمول به فيه ، ولكن هذا كان إلى حد محدود، فإنه في أثناء تطوره لم يكن نافذاً معمولاً به على الإطلاق، لأنه في الحقيقة لم يكن من عمل الدولة وأعضائها، ولكنه كان عملاً للمؤلفين . وأخيراً عند ما اقتنع الناس بأنه يجب متابعة الخلف للسلف الأول في كل أمر ، وأن كل ما فصل فيه السلف الصالح مرة في وقت يجب أن ترتبط به الأمة الإسلامية في كل الأوقات . لما حصل هذا أصبح الفقه المحدد لكل حياة المسلمين في ثوبه الديني المقدس خطراً مهدداً يقف أمام كل إصلاح

ولم يشعر أحد بهذا الخطر ولم يكن حاداً ظاهراً ما دام العالم الإسلامي على قمة الثقافة . كان هذا في العصور الوسطى ، وكانت الحياة المسيحية إذ ذاك تشبه هذا إلى حد ما ، حيث كانت حياة المسيحيين تحت سلطان الكنيسة ؛ وكانت هناك ثقافة ومدنية مسيحية كما كانت هناك ثقافة ومدنية إسلامية ، وكلاهما بالرغم من تخالفهما في العقيدة كانا متقاربين ، ونشأ ومن ورائهما ثقافة وثنية . وبينما كان الدين في الغرب يرجع إلى الوراء وتضيق حدوده أثناء مرحلة التطور من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة ، وتحل محل الدنية المسيحية للعصور الوسطى مدنيةٌ وطنية - بقي الإسلام سائراً في طريقه القديم القائم على الدين . ومن هنا كانت الثغرة بين الشرق والغرب واسعة ، وبقي الشرق والغرب كل له لغته الخاصة إلى يومنا هذا

وأخيراً نوقشت مسائل التاريخ ، وفتح المسلمون أعينهم على وضع الدنية الإسلامية للقرون الوسطى إزاء الدنية الحديثة . فماذا كانت النتيجة ؟

إن العالم الإسلامي يقف الآن عند نقطة فاصلة ، فهو في أزمة ، فهل قطع الإسلام — الذي يظهر مرتبطاً بالعصور الوسطى — كل شوطه وأتم القيام بدوره ؟ وهل هذا المرض الباقي إلى الآن من الإسلام نفسه ؟ أو أن الإسلام كدين متفقٌ مع الإصلاح الحديث ؟ وهل يستطيع الإسلام أن يتخلص من تأخر العصور الوسطى التي ارتبطت به ؟ وهل هو في نفسه صالح وقادر على التطور ؟

على جواب هذه الأسئلة يتوقف كيان الإسلام كدين ، بل حتى في الأمور السياسية والاقتصادية بالنسبة لمستقبل الشعوب الإسلامية

ولقد كانت مسألة عدم استطاعة الإسلام لإصلاح حقيقي ، وعدم صلاحيته للتقدم ، عقيدةً سائدة عند الغربيين منذ عشرات السنين ، ولم تكن هذه العقيدة سائدة عند « أهل التبشير » ، وفي أوساط المبشرين الذين لا يفهمون عن الإسلام إلا صورة ناقصة جداً وغير صحيحة ، بل إن الأمر تعدى إلى بعض مؤرخي الأديان مثل رينان الذي كان يقول : إن الإسلام عدو للعلم[1] . بل قد تعدى إلى بعض السياسيين العارفين بشئون العالم الإسلامي مثل اللورد كرومر الذي حكم على الإسلام حكماً قاسياً حين قال : إن إصلاح الإسلام يخرج الإسلام عن أصله[2]

ونحن لا ننكر أن ما قيل من أن الإسلام عدو للاصلاح وليس ملاءماً للأفكار الحديثة ، قد يكون له بعض الأسباب ؛ ولكننا هنا لا نلقي الكلام على عواهنه ، ولا نمرض لأحوال غير مفهومة لعوام المسلمين الذين أثبتت الملاحظات شيئاً من تعصبهم ، فإن ذلك كله لا يرجع إلى الدين الإسلامي نفسه ، بل إلى العناصر والبيئات التي حل فيها ، أو إلى ما انتشر بين الناس من أن الإسلام ليس إلا تكراراً لليهودية والمسيحية ، فمثل هذه الأشياء قد تكون موانع للاصلاح ، ولكنها على أقصى حد أمور تبعية شكلية وليست أموراً أصلية . وأنه من البعد عن موضوع البحث أن نتكلم عن هذه الظواهر الشعبية في الإسلام ، التي هي عبارة عن توفيقات بين تعاليم الدين وبين ما هو متأصل قديم في الشعوب من أفهام ضعيفة وأخرى ساذجة . ولكي يحكم الإنسان على جماعة دينية لا بد له من أن يحكم على مبادئها الصحيحة ، وفي

(١) S. E. R. l'Islamisme et la science (Paris 1883) — Discours et Conférence (Paris 1889) p. 375 ff.

(٢) S. Modern Egypt II, 229 " Islam cannot be reformed; that is to say, reformed Islam is Islam no longer : it is something else ".

الإسلام يجب علينا أن نفهم مبادئه بكل وضوح ، وأن نستبعد عنه ما ارتبط به من أفهام العوام ، وحينئذ فقط يكون حكمنا صحيحاً سليما

ولسنا في حاجة اليوم – لكي نفهم الإسلام في أطواره التاريخية – أن نقرر أنه لا يجوز لنا أن نرجع مباشرة إلى صاحب الرسالة (ص) كما نعرفه تاريخيًّا ، فإن جاز لنا ذلك فإن الأمور تكون في غاية البساطة ، لأنه ليس من شك في أن النبي — الذي لم يكن نبيًّا فقط بالمعنى الذي يفهمه الأوربيون ، بل كان سياسيًّا يدبر أمور الدولة — كان في الحقيقة واسع الأفق في دعوته ويحسب للأمور حسابها . وجوابه المعروف : « إعقلها وتوكل » كلام له مغزاه ؛ ويجب ألا ننساه في مجرى التطورات الأخيرة في الإسلام. ولكن الواقع أن الرجوع إلى ما كان عليه الرسول فقط لا يعرفه الإسلام التاريخي على ما هو عليه كجزء من حقيقته الصحيحة ، فإن الإسلام كما يعتقد أهل السنة ليس إلا نتيجة لتطور طويل كثير التقلب . ذلك أنه لم يكن الإسلام في عهد الرسول إلا إيماناً سهلاً وقوانين للحياة بسيطة . وعند ما انتشر بهذه السرعة الفائقة في بلاد ذات ثقافات مختلفة غير التي كانت في مهده الأول ، دعا الأمر إلى تحوير وتشكيل . وهكذا تم للاسلام إضافة أشياء إليه أثناء امتزاجه بالتراث العقلي الذي كان عند سكان الأمم المفتوحة . حتى أمور العقائد التي بقيت بعد كفاح شديد مقصورة على مبادئ قليلة خضعت لجولات واسعة حرة من الشرح والتفسير . وكان أكثر شيء توسعاً وازدياداً هو تنظيم أمور الحياة أو بعبارة أخرى الفقه والقانون .

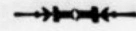
ولكن هذا الفقه الإسلامي الذي كان في نوعه دينياً سياسياً ثقافياً ، والذي كان منذ اللحظة الأولى أمراً لا يقبل التغيير ، أقفل نهائياً وختم في نهاية القرن الثالث الهجري تقريباً ، فوقف نشاط حركة دينية سياسية ثقافية نشيطة سنلم بأسبابها في المقال الآتي .

علي حسين عبد القادر

إلى أرض النبوة !

[وصف وتأريخ لرحلة الوفد السورى إلى الحجاز ربيع ١٩٣٥ لفتح طريق الحج البرى للسيارات]

للأستاذ على الطنطاوى



حين تصل هذه المقالة إلى الرسالة ، يكون الركب الذى خرج من دمشق منذ أسبوعين يؤم الحجاز قد شارف المدينة إن شاء الله . وهو أول ركب من الزوار يسير على الطريق الذى كشفناه ، وفيه قريب من ثلاثمائة رجل وامرأة ، ووصوله سالماً إلى المدينة ، وذلك بفضل الله مؤكد ، هو الثمرة الأولى لرحلتنا الكشفية التى رحلناها فى ربيع سنة ١٩٣٥ . ولقد كان أول ما خطر على بالى حين دعيت إليها وضع كتاب عنها ، فكنت أتأبط دفترى دائماً ، فلا نسلك طريقاً ، ولا نقطع وادياً ، ولا نرى جبلاً ، إلا كتبت اسمه وصفته ، وطبيعة أرضه ؛ ولا يمر علىّ قوم إلا سألت عن أنسابهم وأحوالهم ، ووصفت مساكنهم ، وذكرت ما عرفت من عاداتهم ، وسمعت من لغاتهم ؛ ولا بتنا ليلة إلا ذكرت كيف حططنا الأحمال ، وكيف نهضنا للارتحال ؛ ولا أرى منظراً ، أو أشهد مشهداً ، إلا ذكرت أثره فى نفسى ، وما أثار فيها من عاطفة ، أو هاج من ذكرى ، على ضبط فى الأرقام ، وتحرّ فى جمع الأخبار ، وتوثق من صدق الراوى وخبرته ، حتى إذا دنونا من المدينة وأوفى الكتاب على الكمال ، وقارب النهاية ، امتدت إليه يد لا يعلمها إلا الله فذهبت به ، فأيست منه وأهملته ، وجعلت لا أكتب شيئاً ، ولا أدوّن خبراً ، إلا ما كان من وصف طريق العودة فهو مكتوب عندى ، وما كتبت من المقالات فى مجلة الرسالة أو فى غيرها .

وعدت إلى دمشق فانغمست فى عملى ، ثم ضرب الدهر ضرباته فسافرت إلى العراق أولاً وثانياً ، وعملت سنة فى لبنان أدرّس فيها ، وحسبتنى نسيت الرحلة ونسيها الناس ، حتى كان هذا الشهر وحقق الله ما ذهبنا إليه ، ورأت دمشق اليوم الموعود ، فسافرت أول قافلة من الزوار ، وألح علىّ الأصدقاء ، وأعادوا الطلب منى أن أنشر وصف تلك الرحلة ، فأجبت مكرهاً ونفضت ذهنى ، فكتبت ما بقى عالقاً به وجعلت غرضى أن أدوّن ما رأيت وما سمعت ، وأسجل ما أحسست به وشعرت ، من غير أن أعمد إلى كتاب من كتب التاريخ أو رحلة من الرحلات ، فآخذ منها الفصول والأخبار والأرقام ، وأن أعرض على القارئ صورة من الحياة البدوية ، إذا هى لم تكن محيطة شاملة ، ولم تكن كافية وافية ، فهى صحيحة ثابتة ، ليست متخيلة ولا مبالغاً فيها ، فإن أحسنت فلله الحمد ، وإن أسأت فالذنب على من سرق (دفترى) عفا الله عنه وسامحه

* * *

وبعد ، فهذه رحلة كشفية ساحنا فيها شهرين اثنين وقطعنا فيها خمسة آلاف كيل فى الصحراء ... وركبنا فيها من الأهوال ورأينا من العذاب ما لو سردناه وفصّلناه لكان أشبه شىء بالأساطير

ولم تكن هذه الرحلة من أجل التسلية أو النظر فى عجائب المخلوقات وغرائب البلدان ، ولا للكسب والتجارة ، ولا لشىء مما يرحل أفراد الناس من أجله عادة ، بل كانت لمصلحة عامة ، وغاية اجتماعية ، تعود على بلاد الشام وأرض الحجاز بالخيرات الجمة والفوائد الكثيرة ، هى فتح طريق للسيارات بين دمشق والمدينة يسهل على الناس أمر الحج ويرغبهم فى أدائه ويوفر عليهم صحتهم ومالهم . ولم تكن هذه الرحلة رحلة واحد يهتم به أهله وأصحابه ، ولا جماعة يعنى بهم أقرباؤهم وذووهم ، ولكنها رحلة وفد من وجوه الشاميين وسراتهم وتجارهم . وكان الشاميون جميعاً يتبعونهم بأفكارهم ويرافقونهم بقلوبهم وينتظرون البرقيات منهم ويتسقطون أخبارهم ، فإذا انقطعت أياماً انتشر القلق وساد الذعر وهاجت الجرائد ، وأقبل الناس يسألون عن أبنائهم وإخوانهم ... فتهتم لذلك حكومة الشام ومملكة الحجاز ، ثم لا ينقطع القلق ولا تسكن النفوس حتى يعرف خبر الوفد ويجىء منه برقية أو رسالة

* * *

وكان أول عهدى بهذه الرحلة أن لقينى الشيخ ياسين الرواف المعتمد السابق للملكة العربية السعودية فى دمشق ، فقال لى : لقد عزمنا على اختراق الصحراء إلى المدينة ، نكشف طريقاً للزوار برّياً ، فهل لك فى مرافقتنا ؟

قلت : نعم ، ومضيت فى سبيلى وأنا أراها أمنية من الأمانى وأعلم أن بضاعتنا إنما هى الكلام ، وأن الوفد لن يسافر ، والطريق لن يفتح ، ولذلك قلت له نعم ، وأجبته إلى السفر . وهل كان يسعنى أن أقول له غير ذاك ؟ تصوّرْ بالله مسلماً يستقبل البيت خمس مرات كل يوم ، ويحِنّ إلى هاتيك المعاهد ، ويرى زيارته منيته ومبتغاه ، وعربياً يحب الصحراء ويعرف أخبارها ، ويحفظ آدابها ، ثم يدعى إلى قطع الصحراء وزيارة الحرم ، هل يقول لا ؟ هل يرفض الوقوف أمام الحجرة الشريفة ، والقيام فى الروضة ، والصلاة حيال الكعبة ، والشرب من زمزم ، والسعى بين الصفا والمروة ، وزيارة هاتيك البقاع المباركة التى ولد فيها الإسلام ودرج ، وعاش فيها سيد العالم صلى الله عليه وسلم ، ويأبى أن يخالط العرب فى أرضهم ، ويعرفهم فى ديارهم ، ويرى عياناً ما كان يقرأ خبره فى الكتب ، ويعرف أخباره على السماع ؟

ولقد كنت أعلم أن هذه الرحلة جراءة على الموت واقتحام للخطر ، وهجوم على الصحراء الهائلة التى طالما ابتلعت من أمم وأبادت من جيوش ، ولكن ذلك كله كان يرغّبنى فى الرحلة ويحببها إلىّ ، لما ركّب فى طبعى من حب المغامرة والإقدام ، ولأنها درس من دروس الحياة لا أجده كل يوم ، هذا الدرس الذى من فصوله الصبر والجرأة والحزم والعزم والوحدة والنظام ، يحتاج إليه كل شاب ينشأ فى بلاد ليس فيها نظام عسكرى كالبلاد الشامية ؛ وأن الشبان الذين ولدوا فى الحرب العامة أو قبلها بقليل قد فقدوا لطول ما نشأوا على النعم وتقلبوا فى الترف طرفاً من الرجولة ، وغدوا لما وجدوا من السلامة وفقدوا من المصاعب يميلون إلى التطرّى والتأنث ، ويخشون الخروج من المدن ويهابون الحياة فى الريف ؛ حتى أن إخواننا من المعلمين إذا أمر أحدهم بالانتقال إلى قرية من القرى فكأنما أمر بالانتقال إلى جهنم . وما ذلك لسوء عيش القرى فليس فى القرى إلا صحة الأجسام وصفاء النفوس وجلاء النظر وراحة الفكر ، بل لأنه لا يجد فى القرية (قهوة) ندياً فاسد الهواء مسدود الأبواب ، يجتمع فيه مائتان أو ثلاثمائة على نفخ الدخان ، وقرع النرد ، وحديث كأنفه ما يكون من الحديث ، ونكات كأثقل ما يكون من النكات ـ ولو أن الشباب ألفوا المغامرة وركوب الأهوال ، لما كان من ذلك شىء

ومرت أيام ثم لقينى الأستاذ الرواف كرة أخرى فقال لى : هلم فقد تقرر موعد السفر

فأسقط فى يدى ووقعت بين مشكلتين : مشكلة الوعد ، ومشكلة الوظيفة . فلا أنا أستطيع أن أضحى بوظيفتى ومنها معاشى ومعاش أسرتى ، ولا أنا أستطيع أن أخلف وعدى . ولو أنى وعدت غير الشيخ ياسين لهان الأمر ، ولكن الرجل نجدى سلفى لا يعرف من كلمة نعم إلا أنها وعد مبرم لا يحله إلا الموت؛ فاخترت الوفاء ولو خسرت الوظيفة وقلت له : أنا حاضر !

ثم يسر الله فسمحت لى الوزارة بالسفر ، وذهبت أعد الجواز. وجعلنا كلما أزمعنا السفر ، وودعنا الأهل والأصحاب، عرضت لنا الموانع ، فأخرتنا حتى ضجرنا واستحيينا من الناس لكثرة ما نعزم ثم نقعد ، وكان أكثرنا قد أقلع عن حلق لحيته ليوفرها ، ويجمع منها لحية كبيرة ، لما ظنوه من أن الرجل هناك بلحيته ، فكلما كان أطول لحية كان أعلى مقاماً . . . فكانوا يأسفون عليها ويضنون بها على الحلق ، ويستحيون أن يواجهوا الناس بها ، لأن هذا الزمان جعل المعروف من السنة منكراً يستحيا منه ، والمنكر من البدعة معروفاً يفتخر به . ولبثنا على ذلك أياماً ، ثم عزمنا العزمة الأخيرة ، فبيّتنا ثقلنا فى المرأب (الكاراج) حتى نغدو مسافرين . فلما حملناه وراءه أصحابنا وجيراننا ، جاؤوا يودعوننا الوداع السابع ونحن لا ندرى أهو الوداع حقاً ، أم سنقيم بعده أياماً وليالى أم لا نسافر أبداً

كنا فى المرأب مع الفجر ، وجعلنا ننتظر حتى طلعت الشمس ، وكان الضحى ، وأذن الظهر ، وكان العصر ، فأيسنا ، وهممنا بالانصراف ولكن السيارات حضرت ، وتحقق الرحيل ، وكانت أربعاً من طراز (البويك) وواحدة من (الناش) . وقد رفعوا على السيارة الأولى علماً سعودياً ، وعلقوا فى صدرها لوحة كتبوا فيها « الوفد السوري لاكتشاف طريق الحج البرى » . وسرنا وسار وراءنا المودعون فى قطار من السيارات الكبيرة ما له آخر يعرف ، حتى لقد ظننت أنهم لم يدعوا فى البلد سيارة إلا استاقوها ، واخترق الموكب المدينة مهللاً مكبراً تهتز له الأرض ...

ولم أكن قد أيقنت بالسفر إلا فى تلك اللحظة. فلما تصورتنى كيف أفارق أهلى وموطنى ، وأطوح بنفسى فى هذه الصحراء

الخفيفة ، استعبرت . وكنت أطلّ على بردى ، وهو يجرى زاخراً فأتأمله ، فأجده أحلى فى عينى مما كان ، وأحب إلى نفسى ، وعز علىّ أن أفارقه ، واستفاقت فى ذهنى مئات من الذكريات ، وكرّت علىّ حياتى كلها كأنها (فِلْم) أراه ، فأبصرت فى كل بقعة من دمشق ، وكل طريق من طرقها قسماً من حياتى ... وهل حياة المرء إلا فى قلوب أصدقائه ، ووجوه أصحابه ، وجوانب داره ، ومشاهد بلده ؛ فإذا فارق أهله ، وغادر بلده ، إلى بلد لا يعرفه ، وأهل لا يألفهم ، فكأنما مات نصف ميتة . ومن أجل ذلك كانت الهجرة جهاداً فى سبيل الله ، ذلك لأنها لون من ألوان الموت ، ولكن صاحبها ميت يعيش ليتألم ، والميت مات فاستراح

واستغرقت فى هذه الأفكار فما صحوت إلا والموكب قد بلغ (بوابة الله) ووقف فى ظاهر دمشق ، ولم يعد موكباً وإنما صار طوفاناً من البشر ، ولجّاً طامياً من الناس ، وكان من ثقله يزحف زحفاً ، ويكبر فيزلزل الأرض ، ويهتف فيشق عنان السماء ، فلما بلغ (البوابة) وقف للوداع . . .

(لها بقايا)

على الطنطاوى

النقـــد الرخيص

للأستاذ محمد محمد المدنى

لا شك أن النقد أمر لا بد منه فى قضايا العلم والبحث ، وأنه ما دامت العقول المفكرة ، والأقلام الكاتبة ، فلا بد أيضاً من الآراء المتضاربة !

ذلك أن الناس يختلفون فيما يُصدرون عنه اختلافاً شديداً تبعاً لاختلاف حظوظهم من العلم والعقل والتفكير ودرجة التأثر « بالعرف الطائفى » و « البيئة الخاصة » :

هذا كاتب يستطيع - حين يعالج موضوعاً من الموضوعات - أن يُخلص للحق فيه أكثر من إخلاصه لأى شئ سواه ، فتراه يخلع ما عسى أن يكون له من آراء كوّنها لنفسه باعتباره عضواً فى بيئة خاصة ، أو متأثراً بظروف معينة ، بل كوّنتها له هذه الظروف وتلك البيئة من حيث لا يشعر ؛ فإذا خلع هـذه الآراء وتحلل منها — ولو مؤقتاً — ولم يجعل لها سلطاناً على تفكيره ، ولا أثراً فى طريقة بحثه ، استطاع أن يصل إلى النتيجة التى يبتغيها وهو أبعد عن مزالق الخطأ ، وآمنُ من مواقع الهوى !

أما إذا فرض الكاتب على نفسه ثقافة معينة أياً كانت قيمتها فسلّم بقضاياها ، واطمأن إلى عرفها ، واستراح إلى أحكامها ، ثم تناول ما يريد من بحث على هذا الأساس ؛ فقلما يصاحبه التوفيق أو يصادفه النجاح ، لأنه إذا صادفه فى أثناء بحثه ما يخالف هذه القضايا التى آمن بها واطمأن مقدماً إليها ، نفر منه وضاق صدراً به فاضطرب لذلك ميزان تفكيره واختل معيار منطقه !

ولا تجد شيئاً أضر على العلم ، ولا أسوأ أثراً فى العقل ، ولا أشد إفساداً للرأى ، من التعصب وإدخال « الطائفية » فى مجال البحث والنقاش . ذلك أن العلم والعقل والرأى ليست وقفاً على طائفة من الناس دون طائفة ، وليس أحد أولى بأن يزعمها لنفسه من أحد ، وليس لمنصف أن يحكم فيها عرفاً دون عرف ، أو ثقافة دون ثقافة ، وإلا خرج عن دائرتها ، وتحلل من منطقها !

ومن هنا يأتى النقد ، ومن هنا أيضاً تختلف قيمته ، فيكون بعضه غالياً ثميناً ، وبعضه مبتذلاً رخيصاً . وتختلف كيفيته ، فيكون بعضه هادئاً نزيهاً ، وبعضه هائجاً سـفيهاً ! وكل ذلك بحسب اختلاف معينه الذى فاض عنه ، أو إنائه الذى نضح به !

فنى ناحية التفكير الرشيد ، والعقل المتزن ، والعلم الموثوق به ، تجد النقد الهادئَ ، والرأى السديد ، والأسلوب الراق ، واللفظ المهذب ! وفى ناحية التفكير القاصر ، والأفق المحدود ، والعلم الذى هو أشبه بالجهل ، تجد النقد الهائج ، والرأى الفطير ، والأسلوب الوضيع ، واللفظ البذىء !

ولهذا وذاك أمثلة فيما يطلع به الناقدون على الكاتبين من نقد أو اعتراض ، وفيما تجرى به حركاتهم وألسنتهم من فعل أو قول . ولو شئنا لمثلنا هنا بما نعرف فلا سودت وجوه ، وابيضت وجوه ! ولكنا نعرف أن الموازنة على هذا النحو تؤلم نفوساً لا نحب لها أن تألَمَ ، وتقضُّ مضاجع عزيزاً علينا أن تُقض ، فحسبنا أن نجمل على ذلك علامة يلمح بها ما نريد أن نصاحبه ، ولا نريد أن نفضحه ، من « النقد الرخيص »

إذا أردت ، أيها القارئُ الكريم ، أن تعرف قيمة النقد فانظر إليه ، فإن وجدت صاحبه يبحث فى الجوهر واللباب ، دون العرض والقشور ، ويطيق أن ينشرح بالحق صـدراً ، ويعترف به جهراً ، فى أسلوب عفيف ، ولفظ مهذب ، فذلك هو « النقد الثمين »

وإن رأيت صاحبه يشغل الناس بغير الحديث ، ويهرب من مواجهة الحق ، ولا يُكرّم قلمه أن يسيل بالألفاظ النابية ، والكلم الجافية ، كأن يرى الذى ينقده بالجهل ، وسوء النية ، والملق ، والضعف ، والعقوق ، والفسوق ، وغير ذلك من الأوصاف ، فاعلم بأن هذا هو « النقد الرخيص »

وإنما كان كذلك لأنه لم يكلف صاحبه جهداً ، ولم يتقاضه تفكيراً ولا تعباً ، فقصاراه أن يكون مجموعة من القول السيئ لُزّت فى قَرَن ، ثم قَذَف بها صاحبها فى وجوه الناس ، فأبت إلا أن تعود إليه لتلتصق به !

وقد عنى القرآن الكريم بأن يرسم للناس طريق الأدب فى هذا المجال واضحاً، وأن يضرب فيه الأمثال، والله بكل شىء عليم !

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتى هى أحسن، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يُلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم »

« ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ؛ ومثل كلة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار »

« أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »

وينبغى على كل حال أن يغتبط الكاتب ذو الفكرة بما يتطاير حوله من سهام النقد ، أو يثور عليه من غبار الاعتراض ، فإن ذلك دليل واضح على أن فكرته قد وضعت موضع النظر ، وأنها جديرة بالأخذ والرد والمناقشة والجدال

أما الفِكَرُ الهزيلة الساقطة فهى التى تولد فلا يحس بميلادها أحد ، وتموت فلا يشعر بفقدها أحد ، وصاحبها فى الحالين منمورٌ مغمور !

وينبغى أيضاً أن يكون الكاتب - مع اغتباطه بما يرى من الاهتمام بفكرته - مترفعاً محتفظاً بمستواه ، فلا يغريه إخلاصه للفكرة ، وتفانيه فى الذود عنها ، بأن ينازل غير الأنداد ، فيجادل فيها الوضيع كما يجادل الرفيع ، ويناقش الجاهل كما يناقش العالم، ويعامل المكابر المعاند بما يعامل به المستوضح المتثبت ، ويسوى بين « النقد الرخيص » و « النقد الثمين » فإن فى الناس من يجعل ذلك حيلة ، ويتخذ منه وسيلة ، ليطير ذكره ويذيع اسمه. فليحذر الكتاب هذا النوع من الناقدين وليفوتوا عليهم قصدهم، ويعكسوا - بإهمالهم - غرضهم !

وفى مثل ذلك يقول بشار بن برد : « هجوت جريراً فأعرض عنى واستصغرنى ، ولو أجابنى لكنت أشعر الناس ! »

وقد اعتذر مسلم بن الوليد عما ترك من هجاء دعبل الخزاعى بأنه ليس كفئاً لهجائه ، وأن عرضه أدَقُّ من أن يُهجى ، فهو يتركه لهذا العرض الدقيق . قال :

أما الهجاء فدَقّ عِرضُك دونه	والمدح عنك كما علمت جليل
فاذهب فأنت طليق عرضك إنه	عِرض عَزَزْتَ به وأنت ذليل !

وكما ينبغى للكاتب أن يحتفظ بهذه المنزلة الكريمة لنفسه ، ينبغى له أن يحتفظ بمثلها للمنبر الذى أشرف على الناس منه ، فإذا كتب كاتب فى « الرسالة » مثلاً فعليه ألا يشوه جمالها بما يَرُدُّ فيها على « النقد الرخيص » يُنشر فى غيرها

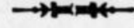
تلك شرعة النقد والكتابة عندى ، وأنا أولى بأن أطبقها على كل من نقدنى فأسرف

فيأيها الذين نقدتم فأسرفتم ، ويأيها الذين نبا بكم القلم حين كتبتم : اذهبوا جميعاً فأنتم الطُّلَقَاء !

محمد محمد المدنى
المدرس بكلية الشريعة

كفاءة هتلر الخطابية

للأستاذ عباس محمود العقاد



[يصدر فى هذا الأسبوع كتاب جديد لصديقنا الأستاذ الجليل عباس محمود العقاد عنوانه «هتلر فى الميزان» ، وهو دراسة تحليلية مستفيضة لهذا الطاغية الشاذ بلغت مائتين وأربعين صفحة فى خمسة فصول وعشرات من الموضوعات شملت نواحى هذه الشخصية التى بلبلت العالم وزلزلت الأرض. ويسرنا أن نبادر فنقدم إلى قراء الرسالة هذه الصفحات من هذا الكتاب القيم لنعجل لهم بعضاً من لذته ، ونعرض عليهم وجها من طريقته]

فى كل شهرة خطابية منافذ للمبالغة والإطناب لا بد منها فى كل زمان ، وفى زماننا الحاضر خاصة

ومنافذ المبالغة والإطناب هذه تأتى من مصادر متعددة : بعضها برىء وبعضها متهم ، ومنها المقصود المدبر ، ومنها الذى يحدث على غير قصد وتدبير

فأول مصادر المبالغة والإطناب جمهور السامعين ، وهم كدأب الجماهير يحبون أن يتأثروا وأن يخلقوا لأنفسهم دواعى الحماسة والمغالاة ، وأن ينوموا أذهانهم تنويماً يسهل لهم أن يعتقدوا ما يحبون اعتقاده ، وأن ينساقوا فى موجة من الشعور لا تطيق الحدود ، ولا تقف دون الإعجاب الكامل . لأن الوقوف عند حد من الحدود المعقولة يفسد الحماسة . وليس إفساد الحماسة مما تطيقه الجماهير

وهى ، أى الجماهير ، طبقات فى هذه الخليقة: ترتفع أو تهبط، وتعتدل أو تجمح مع الشطط ، على حسب موقفها من الخطيب وموضوع الخطابة

فإذا كان موضوع الخطابة نعرة قومية أو شهوة عدائية يشترك فيها الخطيب والسامعون ، فالجمهور فى هذه الحالة على استعداد للحماسة والإطناب بغير مقدرة كبيرة فى الخطيب

وإذا كان السامعون مرؤوسين لذلك الخطيب ، أو أتباعاً متشيعين لحزبه ، يكرهون الغض منه لأنهم يحسبونه غضاً منهم ، ويحبون إكباره لأن كبره منسوب إليهم ، فهم إذن أكثر استعداداً للحماسة والإطناب

وإذا كانوا فوق هذا صغاراً ناشئين يفورون بحرارة السن الباكرة فأحرى بهم وهم جماعات وجماهير أن يستسلموا لما يسمعون، وألا يجشموا الخطيب معجزة الإبداع ، ليستجيش بها قلوباً هى من قبل ذلك لا تهدأ من الجيشان

فأدنى الجماهير إلى التسليم هو جمهور صبية ناشئين يصغون إلى زعيم يفخرون به فخر العصبية ، ويسمعون منه صيحة الكبرياء الوطنية ... وهذا هو جمهور هتلر فى جميع المواقف ، إلا القليل الذى لا يذكر

وقد شهد الناس فى مصر مجامع يحتشد لها السامعون زرافات زرافات من جميع الطوائف والأسنان ، ليسمعوا كلاماً يعلمونه ويحفظونه ، من خطيب لا يعجب السامع بصوته ولا بإيمائه ... بنية الاجتماع فى الواقع لا بنية الاستماع

ثم تتكرر الدعوة ويتكرر الإقبال ويتكرر التصفيق الذى لا باعث إلا الرغبة فى شىء يثير الشعور ويدفع السآمة و « يبرر » للجمهور وجوده وسعيه وانتظاره ، ويريحه من الحكم على « وجوده » بالفناء . والفناء كريه إلى كل موجود ، جمهوراً كان أو غير جمهور !

وفى وسعنا أن نشهد كل يوم حشداً من الناس يبذلون من مالهم ليستمعوا إلى ممثل مضحك مشهور فى دور من الأدوار . فما هو إلا أن يلفظ الكلمة الأولى حتى ينفجر السامعون بالضحك والقهقهة . وربما سأل أحدهم جاره : ماذا قال ؟ بعد أن يكون قد ضحك مع الضاحكين !

فالمصدر الأول للمبالغة والإطناب فى شهرة الخطباء هو أبرأ المصادر وأخلاها من الغش وفساد الذمة ، وهو دفاع الجمهور عن وجوده حيث انتظم له وجود

* * *

والمصدر الثانى وسط بين البراءة والاتهام ، وبين الاندفاع والتدبير : وهو مصدر الرواة وكتاب الأخبار

فإن الصحيفة الإخبارية لتتعمد التهويل والإغراق فى وصف حادثة هينة لا تستحق الالتفات إليها . لأنها تريد من القراء أن يلتفتوا ؛ وتعيش من التفاتهم إلى ما تكتب ، لا من تعويدهم أن يهملوا الأخبار التى تستحق الإهمال

والكاتب الذى يسافر ألف ميل لينقل خطبة يلقيها أحد الزعماء فى يوم مشهود مرتقب المصير من المغرب إلى المشرق قد يفقد وظيفته إذا قنع بما دون السحر والإعجاز فى وصف ما سمع وما رأى،

وما لبث الناس ينتظرونه ويتكهنون به متشوقين متلهفين !

وقد تتفق الرواية الأمينة فى الصحيفة الرصينة فيقرأها القارئ المسئول ويعرض عنها طالب المناظر والعناوين ، ممن ينظرون إلى مسرح السياسة كما ينظرون إلى مسرح التمثيل ، وهم جمهرة القراء والنظارة فى كل مكان ، فيتواتر النبأ البالغ فيه ، وينقطع النبأ الذى يحرص على الصدق والأناة ، وينتهى الأمر برواج الكذب والتلفيق ، وبالشك فى الصدق والأمانة .

فمبالغة السامعين ومبالغة الرواة ملازمتان لكل شهرة سياسية فى كل زمان ولا سيما زماننا الحاضر : زمان النشر والإذاعة ، وزمان التشوف إلى الجدة والغرابة ودفع الملل والسآمة

* * *

ويأتى بعد مبالغة السامعين ومبالغة الرواة مصدر آخر من مصادر التهويل فى الشهرة الخطابية قائم على النية السيئة والخطة المرسومة ، ونعنى به مصدر الدعوة المسخرة والأقوال المأجورة ، وهو سلاح يعتمد عليه النازيون خاصة فوق اعتمادهم على سلاح الميدان

وجميع هذه المبالغات قد بلغت فى تعظيم شهرة الزعيم النازى أقصى ما يتاح لشهرة أن تبلغ على الإطلاق : فاهتمام النازيين بالدعوة المسخرة قد جاوز كل اهتمام وجمهورهم أقرب الجماهير إلى التسليم والاستسلام ، وحملة الأقلام ما فتئوا عدة أعوام يتنافسون فى إشباع نهمة القراء بين جميع الأقوام

* * *

فمن الطبيعى إذن أن تكون حقيقة هتلر الخطابية أقل كثيراً من شهرته التى أذاعها الدعاة والصحفيون والسامعون من أتباعه ومريديه ، وأن يدخل فى حساب شهرته كثير من المبالغة والاختراع و « الإخراج »

ونحن فى عصر نسمع فيه الخطباء ونراهم على بعد ، ونحكم على المتكلم فى برلين أو موسكو أو واشنطون حكم راء وسامع ، فما على الذياع ولا على الصور المتحركة من بعيد

وقد رأينا هتلر وسمعناه

فهو ولاشك خطيب مبين ، ولكن لا شك كذلك أنه ليس من ملوك الكلام فى عصرنا الحاضر ؛ وأنه لا يعد من طبقة الخطباء الذين يخاطبون كل جمهور ويتكلمون فى كل قضية ويروضون عصى الأسماع ، ولا تخاله يحسن القول بضع لحظات فى موضوع غير الموضوع الذى يقلبه منذ عشرين سنة ، أو بين أناس غير الذين يوافقونه فى الجملة ، ولا يخالفونه - إن خالفوه - إلا فى التفصيل

فليس هو فى إفاضة بريان ، ولا فى بادرة لويد جورج ، ولا فى مهابة سعد زغلول

ولكنه أقرب إلى الممثل الذى كرر دوره حتى حفظه ووعاه ووقع فريسة له فلا يقدر على تبديله

تخيله مثلاً غير غاضب ، أو غير متكلم فى مظالم ألمانيا المزعومة ، أو غير مطمئن إلى آذان سامعيه

وتخيله واقفاً فى لندن أو فى موسكو أو فى القاهرة يفاجئ السامعين على غير معرفة باسمه ، ولا عهد بموضوع كلامه

إنه إذن ضائع لا محالة

وعيبه الأكبر أنه لا يُقنع ولا يقيم الدليل ، وأنه ما خرج قط على عادة واحدة تتردد فى جميع مواقفه وموضوعاته ، وهى إثارة الحفائظ وإضرام الكراهية ومواجهة السامعين من جانب الشعور المتفق عليه بينه وبينهم . . . وفيم اجتهاده فى إقناع من هو قانع ؟ وإيمان من هو مؤمن بغير برهان ؟

ومرجع هذه العادة عنده إلى علل كثيرة : بعضها أصيل عالق بطبعه ؛ وبعضها حديث طارئ عليه من حوادث حياته وعصره

فالحديث الطارئ عليه هو هذا الذى ذكرناه ؛ وهو أنه تعوَّد فى أيامه الأخيرة على الأقل أن يخاطب أناساً لا يحاسبونه ولا يجسرون على حسابه ، ولعلهم لا يريدون أن يحاسبوه لاتفاق الشعور بينهم وبينه

والأصيل العالق بطبعه أنه فقير فى العاطفة الشخصية ، غنىٌّ فى العاطفة الشعبية أى العاطفة التى تربط بين الفرد والجماهير

والعاطفة الشخصية هى التى تربى عادة المساجلة والمحادثة ، ومواجهة العقل للعقل ، والنفس للنفس ، والإصغاء فى موضع الإصغاء ، والإثبات بالحجة الصادعة فى موضع الإثبات

فالرجل المفطور على عاطفة يساجل بها العواطف ، وفكرة يقابل بها الأفكار ، يقول ويسمع ، ويستميل الفرد بالوسائل التى يستمال بها الأفراد ، مرة بالإيحاء ، ومرة بالدليل ، ومرة بالشرح المفهوم ؛ وفى كل مرة بتبادل الثقة والاعتراف بحق المناقشة والاعتراض

أما الرجل الذى نضبت نفسه من جانب العاطفة الفردية ، والذى ليس عنده ما يتبادل به مودة بمودة أو فهماً بفهم أو خاطراً

بخاطر ، والذى انقطعت جميع الوشائج بينه وبين إخوانه من أبناء آدم إلا الوشيجة التى تكون بين الواحد والألوف أو بين الداعية والجمهور — فذلك رجل محدود القدرة على التحدث والتفاهم وعلى الإصغاء والإقناع ، محتومٌ عليه أن يجد جمهوراً يستمع له ويكتفى منه بالاستماع ، أو أن يتخيل نفسه قائماً بين جمهور وإن كان فى مجلسه أفراد قليلون

لهذا اشتهر هتلر بالتدفق فى أحاديث السياسة ساعة بعد ساعة دون أن يقف أو يتمهل أو يسأم التكرار . فإن لم يتدفق فى أحاديث السياسة ، فهو بين حكاية نادرة ، أو إعادة ملحة مطروقة أو سرد تاريخ قديم ؛ فإن لم يكن هذا ولا ذاك ، فليس فى مجلسه إلا السكوت والوجوم

فهتلر الفـردُ « معدوم »

أما هتلر الموجود ، فهو البوق الذى ينفخ فى الجماهير أو يردد صدى الجماهير

وانظر إلى صوره وهو فى مواقف التفاهم والتحادث تر أمامك صوراً فاترة باهتة تنطق بالتكلف ونقص الحياة وتبعث فى نفس ناظرها الريبة والنفور

أما الصور التى يحيا فيها وتلبسه الحركة والشدة ، فهى الصور التى ينقطع فيها التفاهم ويثور فيها الغضب وتتأجج فيها البغضاء .

وماذا ترى فى هذه الصور ؟

إن الخطباء الحماسيين جميعاً ليغضبون ، وأنهم جميعاً ليحركون الغضب فى الجماهير

إلا أن الفرق بين غضب وغضب لفرق عظيم ، وإن الاختلاف بين حماسة وحماسة ليفوق الاختلاف بين القوة والمرض ، وبين الجلال والهوان

رأينا سعد زغلول وهو غاضب فى خطبه ، فرأينا غضباً كأنه السيف يصول به الفارس على قرنه ، ويعرف كيف يصول

ورأينا هتلر وهو غاضب فى خطبه ، فماذا رأينا ؟ رأينا غضباً كأنه الدمل المفتوح ينفّس عن ضغينة كامنة كأنها القيح المحبوس ، فهو فرصة للألم والتذاذ الألم فى وقت واحد ، وهو علاج للتنفيس عن داء ، وليس بالسيف فى أيدى الأقوياء

هو نوبة مصروع وليس بوثبة صارع

وهو منظر تزورُّ منه العيون ، وليس بمنظر تود العيون أن تمتلئ منه

وهو رقصة الممجى فى حومة الدم أمام أوثان النقمة والتشفى ، وليس برقصة الفارس فى حومة البرجاس

وقد جمعنا فى هذه الصفحات صوراً عدة لهتلر وهو يخطب ، أو وهو يغضب ، لأنه فى الحقيقة قلما يخطب إلا ليغضب . فأية صورة من تلك الصور يا ترى يستطيع القارئ أن يكتب تحتها مثلاً : « هذه صورة هتلر يزأر أو يزمجر ؟ »

إن هـذا الـكلام ليكتب تحت صور كثيرة لمصطفى كمال أو لسعد زغلول ، ولـكن هتلر — على عنايته بصوره واتخاذه رساماً خاصاً يتبعه فى جميع المحافل ويوزع فى أقطار العالم ألوف الصور بل عشرات الألوف منها — لا توجد له صورة واحدة تخيل إلى الناظر هيئـة الأسد الزمجر أو الأسد الغاضب ، وكلها بلا استثناء مما يصح أن يكتب القارئ تحته : « هتلر يعوى » أو هتلر « يلطم » ... ولا جناح عليه

* * *

ومن المعقول أن رجلاً كهذا يحب حلقات الخطابة التى يتزين فيها لشياطين غروره وحقده كما تتزين المرأة المجنونة لشياطين الزار ، ويستريح فيها للهياج والتهييج كما تستريح تلك المرأة لصرعة الرقص وجلبة الطبل ورؤية الذبائح وهى تتخبط فى الدماء

ومن المعقول جداً أن يكره مواقف المفاوضة والتفاهم لأنها تطلعه على عجزه وتكشف له عن خواء طبعه ، وتخرجه منها وهو فى رأى نفسه أقل ممن حوله ... إلا أن يلجأ إلى التهديد بالحرب كما يفعل فى معظم أحاديثه ، فهو إذن فى موقف الإملاء وليس فى موقف المفاوضة والإقناع

وقد سجلت كلماته فى المفاوضات التى دارت بينه وبين سفراء الدول ورؤساء الحكومات ، فإذا هى عبرة العبر وأضحوكة الأضاحيك لا يكون فيها إلا ممثلاً يراوغ ، أو مهـدداً يتوعد ، أو منكراً لما يقال على طريقة الأطفال والنساء الجاهلات : إنى أنكر هذا لأنى أنكر هذا ، ولا مزيد ...

ناقشه مستر شامبرلن رئيس الوزارة الإنجليزية فى الشروط التى فرضها على حكومة براغ ، وأوجب عليها فيها أن تخلى الأرض المطلوبة وأن تبدأ الإخلاء فى الساعة الثامنة من صباح السادس والعشرين من شهر سبتمبر (١٩٣٨) وأن تتمه عند انتهاء اليوم الثامن والعشرين

فقال له مستر شامبرلن إن هذا إملاء « إنذار نهائى » بغير حرب ، وبغير هزيمة على أمة قبلت المطالب وقبلت الاحتلال

واختار شامبرلن كلمة « إملاء » عمداً لأن هتلر يذكرها كلما ذكر معاهدات الصلح ومعاهدة فرساى على الخصوص ، ويعتبرها موجباً لفسخ تلك المعاهدات

فما زاد هتلر على أن قال : « كلا . ليس هو إملاء » . وأشار إلى رأس الورقة قائلاً : « أنظر ... إن الورقة مكتوب عليها كلمة مذكرة ... »

وهو كلام يقال للابسى القمصان فى ساحة الخطابة فيقبلونه ويسيغونه ، ولكنه لا يقال فى مفاوضات وزراء وسفراء

فالخطابة هى الميدان الذى يغلب فيه هتلر بهذا الأسلوب ، ولن يغلب به فى ميدان آخر

وقد حذق من الخطابة ما يُحذق بالمرانة ومساعدة السامعين المستعدين للإصغاء والتصديق وأهمه تدفق الكلام وسهولة التعبير

ولم تزوّده الطبيعة من أدوات الخطابة الفطرية إلا بزاد واحد وهو انقطاع الصلة النفسية بينه وبين الأفراد واضطراره من أجل ذلك إلى مواجهة الجماهير للشعور بالحياة ونشاط الإحساس . ومتى نشطت نفسه ودبت الحركة إلى ذهنه فلا يندر أن يلهمه الموقف بعض الخواطر البارعة التى يمثل بها أعداءه فى صورة مزرية ، أو صورة تستفز السخط والامتعاض ، وكلها من ولائد الكراهية وليس فيها صورة واحدة وليدة عطف أو عناية بالآخرين

ويختلف الناقدون فى صوته اختلافاً لا يتبين الحقيقة فيه من يسمع الصوت منقولاً بالمذياع ، وهو ينقل بعض الأصوات على أصلها ويعرض بعضها للتحريف وبعضها للتحسين

فمن الناقدين من يعيبون على صوته خشونة تصك الآذان ، ويقولون إنه أجرى العملية الجراحية فى حنجرته لإصلاح هذا العيب

ومنهم من يعجب بما فى صوته من العمق ورنة التجويف ، ويعده من أصلح الأصوات الخطابية لنقل الشعور الجارف والتهويل على السامعين

وسواء كان العيب الذى يعيبه أولئك الناقدون صحيحاً أو غير صحيح فالمهم فى صفات الأصوات أن تؤلف بالتكرار ، وأن يكون لها طابع ولون معروف ، وعندئذ قد يصبح العيب حلية مرغوباً فيها مع النجاح والتوفيق .

عباس محمود العقاد

من أدب الحرب

جبان يصف معركة

للأستاذ محمود الدسوقي

« هذه القصة تصوير صادق لما يعتلج في نفس الجندي في غمرة الحرب ، وما يقع في سمعه وتحت بصره من هول وكرب ، يفقدانه شجاعته أحيانا ، ويشحذان عزيمته أحيانا أخرى ؛ فاما أن يهرب كما فعل راوي هذه القصة ، وإما أن يؤدي واجب الوطن على الوجه الأكمل كما فعل رفاق له . وهذه الصورة بعض ما وقع في أوائل حرب السنوات السبع التي شن غارتها فردريك الأكبر ملك بروسيا على ماريا تيريزا امبراطورة النمسا وحليفاتها فرنسا والروسيا والسويد وأسبانيا والريخ الألماني في سنة ١٧٥٦ ، وكانت سجالا في الغالب بينه وبين أعدائه »

قال البروسي الفار :

وأخيراً في الثاني والعشرين من سبتمبر (١٧٥٦) أعلن النفير وتلقينا الأمر بالسير ، فسرت الحركة في كل شيء ، ونقض في بضع دقائق معسكر واسع مترامي الأطراف كالمدينة العظيمة بحوبه في ساعات . وشددنا الرحال وتأهبنا للمسير ، وصدر الأمر بالتقدم وانحدرنا إلى الوادي ، وأقمنا عند برنا[1] جسراً ، وشققنا فوق المدينة قبالة معسكر السكسونيين طريقاً ينتهي أحد طرفيه بباب برنا . وكان الكثيرون من أسرى السكسونيين يصعدون منه إلى الجبل متنزهين أربعة أربعة ، ويلقون على امتداد الطريق الطويل شتما وتعريضاً لاذعاً لا مفر لهم من سماعه . وكان بعضهم يقبل من تلك الناحية حزيناً مطرق الرأس ، وآخرون يقبلون عليهم سيماء التحدي والقسوة ، وفريق غير هؤلاء وأولئك تملو وجوههم ابتسامة تأبى أن تترك للبروسيين الساخرين ديناً بلا سداد . في ذلك اليوم قطعنا قطعة أخرى من الطريق وعسكرنا في ليلينشتاين

وفي الثالث والعشرين كلف آلايتا بحماية عربات المؤن . وفي الرابع والعشرين قمنا بزحف مضاد ، وبلغنا ليلاً وفي الضباب مكاناً لا يعلمه إلا الله . وفي الخامس والعشرين استأنفنا المسير مبكرين وقطعنا إلى أوسيج أربعة أميال ، وهنا أقمنا إلى التاسع والعشرين نخرج كل يوم للاستطلاع ، وتهاجمنا غالباً في أثناء القيام بهذه المهام جنود الامبراطورة ، أو يدهمنا من كمين وابل من الرصاص فيسقط غير واحد قتيلاً ، ويتخلف جرحى كثيرون . فإذا ما صوبت مدفعيتنا بضعة مدافع نحو الكامنين ولى العدو الأدبار . ولم تكن هذه المصادفات تخيفني فسرعان ما ألفتها ، فكنت أقول لنفسي : إذا دام الأمر على هذا المنوال لا يكون علينا منه ضير يذكر . وفي الثلاثين عاودنا الزحف طيلة النهار فلم نصل إلا ليلاً إلى جبل لا يعرفه منا أحد ، ولا يدري من أمره من هم على شاكلتي إلا ما يدري الضرير . وتلقينا في تلك الأثناء أمراً بألا نقيم هنا خياماً وألا نلقي بنادقنا ، بل نظل متأهبين على قدم وساق ، إذ كان العدو على مقربة منا . فلما أصبح الصباح رأينا وسمعنا أخيراً ما كان يجري تحتنا في الوادي من ومض وقصف شديدين . وفي تلك الليلة المزعجة فر كثيرون من الصفوف وفي جملة من فروا الأخ باخمان . ولم تكن الفرصة قد سنحت لي بعد ، وإن كنت إلى ذلك الحين لم يزايلني الاطمئنان

واصطففنا في الصباح الباكر لننحدر من واد صغير ضيق إلى الوادي الكبير ؛ ولم نكن نستطيع تمييز الأشياء من كثافة الضباب . فلما بلغنا السهل أخيراً وتقدمنا إلى الجيش الكبير كنا نزحف في ثلاث كتائب . واستبنا من خلال الضباب المنتشر كالسحاب جنود العدو في هضبة فوق مدينة لوبوسنس في بوهيميا وكانوا من فرسان الامبراطورة . أما مشاتها فلم تقع أعيننا عليهم إذ كانوا رابطون في المدينة . وفي الساعة السادسة قصفت المدافع من كتيبتنا الأمامية كما قصفت بطاريات الامبراطورة قصفاً بلغ من شدته أن كانت قنابلها تصل إلى آلاينا ، وكان في الكتيبة الوسطى . وكنت إلى ذلك الحين أمني النفس بالهرب ، فلما وقعت الواقعة عز علي الهرب وانسدت في وجهي المسالك جميعاً . وكنا نزحف في تلك الأثناء بلا انقطاع ، فلم تلبث شجاعتي أن زايلتني ، وكنت خليقاً أن أتسلل إلى بطن الأرض . ذلك أن خوفاً كالذي كان يتملكني كان يخلع على وجهي شحوب الموت ، وكان يقرأ على سائر الوجوه حتى وجوه أولئك الذين عهدتهم مرحين لا يبالون . وكانت قناني الشراب الفارغة – ولكل جندي منها واحدة – تتطاير تحت وقع القنابل ، فإن أغلبنا كان قد أتى

[1] مدينة في مقاطعة درسدن من أعمال سكسونيا

على آخر جرعة فى قنينته واستمد منها شجاعته فى ذلك اليوم؛ أما النذ فقد لا تكون به حاجة إليها . وتقدمنا الآن إلى مرمى المدافع إذ كان علينا أن نتبادل الموقف وكتيبتنا الأمامية . فيا هول ما شهدت ! كانت كتل الحديد تئز فوق رؤوسنا ، وتقع تارة أمامنا وتارة تنفـذ إلى الأرض خلفنا ، فيتطاير اليابس والأخضر والكلأ والحجر؛ وتدهمنا أحياناً فتمزق أجسامنا وتذرو أعضاءنا كما تذرو المشيم الرياح . ولم نكن نبصر قدامنا إلا فرسان العـدو تأتى بمختلف الحركات ، فتارة تستعرض وتارة تستدير ، وآناً تؤلف مثلثاً وآونة مربعاً تنتظم فيه . وتقدمت فرساننا أيضاً وكرت على العدو . فياله من وابل من الضربات يسقط مقعقعاً ، ويمض خاطفاً ! ولم تمض ربع ساعة حتى ارتدت فرساننا مدحورة وقد هزمها النمسويون وتعقبوها حتى مرمى مدافعنا . وهذا مشهد ما أجدر المرء بأن يشهده ! خيول يعلق فرسانها فى الركاب ، وأخرى تجر أحشاءها على الأرض . وكنا فى تلك الأثناء ما نزال تحت نيران العدو حتى بلغت الساعة الحادية عشرة وجناحنا الأيسر لم يطلق رصاصة ، على حين كان الأيمن يخوض المعركة ويصلاها . وظن الكثيرون أنه لا بد لنا من الهجوم حيث يرابط جند الأمبراطورة . ولم أكن إذ ذاك جزوعاً كما كنت من قبل ، وإن كانت عفاريت الجيشين لم تفتأ تقتل عن كثب والميدان منطى بالقتلى والجرحى . وإذ ينتصف النهار أو يكاد صدر الأمر إلى آلايينا واثنين معه بالارتداد ، فقفلنا لمله إلى المعسكر فنكفى القتال ! وصعدنا مرتفعات الكروم بخطى حثيثة ونفوس مستبشرة ، وملأنا قلانسنا من دوالى الكرم وأكلنا من أعنابها هنيئاً ، ولم يخطر لى ولمن هم إلى جانبى سوء على بال ، وإن كنا ما زلنا نرى من القمة إخواننا فى المعمة تحت النار والدخان ، ونسمع قصفاً مرعباً فلا ندرى على التحقيق لمن كتب النصر . وكان قوادنا يقودوننا فى تلك الأثناء مصعّدين فى الجبل ، ممعنين فى التصعيد إلى قمة تُشق فى صخرها ممر ضيق . فلما بلغت طليعتنا القمة سمعنا الرصاص يطلق إطلاقاً مرعباً . فخزرنا آنئذ جلية الخبر، فإن بضعة آلاف من جنود الأمبراطورة قد كانوا تلقوا الأمر بالصعود إلى الجبل فى الجانب الآخر لينقضوا على جيشنا من خلف ، فاتصل الخبر بقوادنا فـكان أن ارتددنا نحن لنسبقهم ونفسد تدبيرهم ، ولو قد تأخرنا بضع دقائق لبلغوا القمة قبلنا ولكنا من الخاسرين. ونشبت مجزرة لاتوصف قبل أن نتمكن من إقصاء البندوريين[1] عن الغابة . وتكبدت مقدمتنا خسائر فادحة وانقضت ؤخرتنا لنجدتها حتى تم لنا احتلال القمة . وكانت جثث القتلى وأجسام الجرحى تؤلف تلاً تحت أقدامنا تتعثر فيه . وسرنا فى أعقاب البندوريين نجليهم عن مرتفعات الكروم درجة درجة ونقفز خلفهم من صخرة إلى صخرة حتى بلغنا السهل . وأطبق البروسيون الأصليون والبراندنبرجيون على البندوريين كالجن ، وكنت أنا حين حمى الوطيس كمن به مس لا يجد الخوف أو الذعر إلى قلبى سبيلاً ، فأطلقت طلقاتى الستين فى شوط واحد، حتى إذا أتيت عليها سخنت بندقيتى وباتت فى يدى كالجمر ؛ فذهبت أجرها من نطاقها ، وأحسبنى فى تلك الأثناء لم ألق إلى جانبى نفساً حية إذ كان الـكل قد هرعوا إلى الهواء الطلق . واتخذ البندوريون مراكزهم ثانية فوق السهل قبالة لوبوستس على مقربة من الماء ، وجعلوا يطلقون بنادقهم مستبسلين على مرتفعات الكروم حتى عض غير واحد قدامى وإلى جانبى فى الكلأ . وكان البروسيون والبندوريون يختلط بعضهم ببعض فى كل مكان ، فمن وجد من الآخرين لا يزال يتحرك ضرب بالكرنافة على أم ناصيته أو طعن بالسنان. واستؤنف القتال بالسهل . ولكن أنى لامرىء أن يصف ماحدث والدخان والبخار يتصاعدان من لوبوستيس ، والهد والرعد يصمان الآذان، والسماء والأرض تكادان تنطبقان !

أنى لامرىء أن يصف ذلك القرع المتواصل لمئات الطبول وذلك العزف الذى يمزق القلوب أو يشدد العزائم من موسيقى الميدان المختلفة الألوان ، وتلك الصيحات المنبعثة من كثير من القواد ، والزمجرة المرعدة من مساعديهم ، وتلك الاستغاثة وذلك الاستصراخ المتصاعدين من آلاف مؤلفة من ضحايا اليوم الأشقياء الدوسين بالأقدام أنصاف الموتى ! لقد كان هذا كله يذهل الحواس وكانت الساعة الثالثة ولوبوستيس تحت النيران وجنود مقدمتنا يطبقون على البندوريين كالأسود الـكاسرة ، فيقفز مئات كثيرة منهم إلى الماء والمدينة نفسها مسرح للفتك والطعان . فى هذه

---

(١) فرقة فى جيش الأمبراطورة ماريا تيريزا كانت مؤلفة فى حرب السنوات السبع من المجر والدلماسيين والصرب .

اللحظة لم أكن بطبيعة الحال فى الطليعة ، بل كنت فى المؤخرة لا أزال على جبل الكروم ، بينما الكثيرون غيرى كما أسلفت القول يقفزون فى حمية من درجة فى الجبل إلى درجة يبادرون إلى نجدة الإخوان . وإذ كنت لا أزال فوق المرتفع أطل على السهل ، كما لو كنت أطلع فى جو حالك مرعد يتساقط فيه البرَدَ ، قلت لنفسى : هذا أوانك قد آن ؛ أو قال لى على الأصح الملك الذى كان يحرصنى : إركن إلى الفرار !

فتلفت من حولى فإذا كل شىء أمامى نار ودخان وبخار ، ومن خلفى جنود كثيرون ما يزالون يهرعون للانقضاض على العدو ، وعن يمينى جيشان كبيران على أتم الأهبة للقتال ، وعن شمالى مرتفعات الكروم وأدغال وغابات ، وهنا وههنا بضعة من البروسيين والبندوريين والهوسار قد أربى فتلاهم على جرحاهم ، فقلت : هنا ! هنا ! فى هذا الجانب وإلا استحال الأمر علىّ

فتسللت يسرة أخافت أول الأمر فى مشيتى أخترق الدوالى . وكان بعض البروسيين لا يزالون يمرون بى مسرعين ، فكانوا يقولون لى : عجل ! عجل ! أيها الأخ فالفوز لنا ! أما أنا فلم أحر جواباً بل تصنعت قليلاً أنى جريح ، وواصلت السير أرتمش من الخوف ما فى ذلك شك . وإذ أبتعد فى تلك الأثناء حتى لا قبل لأحد برؤيتى ضاعفت من خطوى وأمعنت فى سيرى وغرزت فيه ، وأنا أتلفت يمنة ويسرة كالصياد . وتطلعت من بعيد لآخر مرة فى حياتى إلى حصاد الموت وحومة الفناء ؛ ثم أطلقت ساق للريح بجانب الغابة ، وكانت ملأى بقتلى الهوسار والبندوريين وجثث الخيل ، وعدوت عدواً سريعاً إلى النهر ، ووقفت عنده . فإذا بضعة من جند الامبراطورة المصابين الذين تسللوا مثلى من المعركة يصوبون إلىّ بنادقهم عند ما أبصرونى ويعاودون إلىّ للتسديد مرتين أخريين غير عابئين ببندقيتى التى طرحتها ، وبقلنسوتى التى كنت ألوح بها وأشير الإشارة المألوفة . على أنهم لم يطلقوا النار ، فاعتزمت أن أعدو إليهم ولو لم أفعل لكانوا أحرياء بأن يطلقوا على النار كما علمت بعد ذلك . ولما جئتهم وقلت لهم إنى فار من الجيش ، أخذوا منى بندقيتى ، ووعدونى بأن يردوها إلى فيما بعد . . . لكن الذى استحوذ عليها لم يلبث أن اختفى بها على الأثر ؛ واقتادونى إلى القرية التالية وكانت تبعد ساعة كاملة من لوبوستس ؛ وكانت لنا فى خلال ذلك جولة فى الماء وليس من نقالة سوى زورق واحد ، وصراخ الرجال وعويل النساء والأطفال يرتفع كلاهما إلى أجواز الفضاء ، فكل يريد أن يعبر أولاً خوفاً من البروسيين ، وكلهم يتصورونهم جد قريبين ، أو لعلهم بثيابهم عالقون ، ولم أكن فى جملة المتأخرين بل قفزت إلى وسط زمرة من النساء ، ولولا أن الملاح قذف بالبعض إلى خارج الزورق لبتنا من المغرقين ، وكان فى الضفة الأخرى مخفر بندورى رئيسى قادنى إليه من رافقونى فتلقانى ذوو الشوارب الشقراء تلقياً حسناً ، وقدموا إلىّ التبغ والشراب على الرغم من عجزنا البادى عن التفاهم ، وأنفذوا مى صحبة إلى ليتميرتز فيما أظن ، حيث قضيت ليلى بين بضعة من أبناء بوهيميا ، وأنا غير آمن بينهم على رأسى . لكنه قد كان بلغ منى جهد النهار ومحنته مبلغاً دار منه رأسى فكانت هذه النقطة الهامة آخر ما فكرت فيه

وفى الصباح وكان الثانى من أكتوبر نقلت إلى بودين حيث مركز القيادة الأمبراطورية العامة . وهناك التقيت بمائتى بروسى كلهم هارب على طريقته ، وفى جملتهم صاحبى باختان . ولشد ما ابتهجنا باللقاء على حين غفلة وفرحنا بالنجاة والحرية . وطفقنا نتحدث ونهلل كأننا بالبيت نصطلى ، ونذكر زيداً من الإخوان وعبيداً ، ونتساءل أين هما يا ترى ؟

وسمح لنا بالتجوال فى المعسكر ، ووقف الضباط والجنود حولنا زمراً يستزيدوننا من الحديث عن أشياء لا ندريها . وعرف بعضنا كيف يستميل مضيفه بالمداهنة واختراع مئات الأكاذيب عن البروسيين حطاً من قدرهم وتقليلاً من شأنهم

وكان بين جنود الأمبراطورة من هم على هــذه الشاكلة فيشاً وغلواً ، فزعم أقصرقزم فيهم أنه حمل أطول براندنبرجى على الفرار ، واقتادونى بعد ذلك إلى قرابة خمسين أسيراً من فرسان بروسيا فكان منظراً أليماً ! فإن أحداً منهم لم يسلم من جرح أو بحل . وبعضهم قد تهشم وجهه كله ؛ وبعضهم قد أصيب فى رقبته أو أذنه أو كتفه أو فخذه . وقد كانوا جميعاً يتأوهون ويئنون . وكم حمد الله أولئك البائسون أن جنبنا هذا المصير مصيرهم ! وكم حمدنا نحن الله على ذلك وأثنينا عليه ! وقضينا الليل فى المعسكر ثم نقد كل منا « دوكات » لسفره ، ثم بعثوا بنا إلى قرية بوهيمية

في سبيل اصلاح الأزهر

للأستاذ محمد يوسف موسى

حمد الأزهريون ، ومن يعنيهم أن يسير هذا المعهد الجليل في الجادة المستقيمة ، للأستاذ الكريم الزيات أن يخصص لمسألة إصلاحه شيئاً غير قليل من عنايته ، وأن يوسع للكاتبين فيها جانباً من رسالته ، رجاء أن نصل آخر الشوط إلى تحديد الغاية وتمهيد الطريق وتعيين الوسيلة . ولكني — ويشاركني فيما أخافه كثيرون — أخشى أن يلتوي علينا الأمر ، وأن ننحرف عن الطريق ، فيختلط علينا الرأي ، ويفوت الغرض ، وننتهي وقد صرنا أكثر مما نحن شيعاً وأحزاباً .

لهذا رأيت أن أكتب هذه الكلمة الأخيرة وأنصرف بعدها إلى غير ذلك من شئون

إنما ينجح الطبيب إذا صدق مريضه القول ومحض له الرأي وصارحه بدائه على جليته . وإنما ينتفع المريض متى وثق بطبيبه ، وأيقن بمرضه ، ووقف على خطورته ، وأحس بحاجته للعلاج . لهذا كان واجب الطبيب أن يعالن المريض بالداء وأن يباديه به ؛ لكن في لغة لا تدعو لليأس ، ولهجة لا تميت الأمل ، حتى لا يكون كمن ينفض يديه من مدنف صار في الاحتضار

من أجل ذلك كان لا بد في رأيي لمن يدعو للاصلاح من أن يتأتى له ويلتمس له الوسائل ويستكثر له الأعوان ، وألا ينفر أحداً ممن إليهم يساق الحديث ويطلب الخير . ذلك أقرب إلى أن تصادف الدعوة قبولاً ، والكلام سميعاً ، وأعون على بلوغ الأرب واهدى لنيل الوطر . على أن الألم للمرض قد يكون بالغاً ، وفورة النفس قد تكون قوية ، فيند القلم أحياناً ويشتط أحياناً ، وهنا نلتمس للداعي سبيل العذر من خلوص النية ونبل القصد ، مادام لا يجعل دعوته ذريعة إلى حاجة وسبيلاً إلى مراد

ومهما يكن فلست ممن يرضون أن تنكشف المعركة القائمة الآن عن بضع مقالات لا تعدو أن تكون كصرخة الدنان وركضة الفرس ، أو مهلة النفَس وحسو الطائر . أرجو أن ننتهي منها وقد وضحت الغاية ، وارتسمت الخطة ، واتحدت القلوب والعزائم ، وتواصى الجميع على ما فيه الخير المعهد الذي نشرف بالانتساب له ، وتوحدت الجهود للسير للأمام عملياً . ولعل من أجدى أسباب الإصلاح التي يجب أن نبدأ بها فيما أرى أن يكون — كما قلت في كلمة سابقة — وكذا الواحد منا قبل كل شيء تكميل نفسه في خلقه وعلمه حتى يصير مثلاً عالياً لطلابه ؛ يلهب عواطفهم ويسدد خطاهم ، ويشركهم في خير ما يقرأ ويدفعهم للمطالعة والبحث والاتصال بالحياة العلمية الجادة التي لا تحد بالكتاب المقرر والمنهاج المرسوم ؛ بذلك يوجههم وجهة الخير في غير عناء ويحتذونه في غير تعمل . ثم يضيف لهذا أن يتآزر مع نفر ممن يقاسمونه الآلام والآمال فيكونوا جبهة تعمل في غير ملل أو إعلان لبعث مجد الإسلام العلمي وما طواه الزمن من مؤلفات العلماء الأعلام في القرون الأولى قبل تغلب العجمة وانغلاق التعابير .

وقبل هذا وذاك يكون رجلاً لا سلطان عليه لغير ضميره ، ولا سبيل للحزبية والهوى فيما يأخذ ويدع ، لا يجامل على حساب المصلحة العامة ، ولا يتحزب مع وضوح الحق . بذلك نجد الإصلاح المرجو يسير الملتمس داني المتناول .

وقديماً قالوا : من برى القوس رمى ، ومن قدح النار اصطلى . وإلا إن كان قصارانا ثورة صحفية من فترة لأخرى دون أخذ بالعمل

حيث غفونا قليلاً ؛ ثم رحلنا إلى « براغ » في اليوم التالي . وهنا توزعنا وتزودنا بالجوازات كل ستة أو عشرة أو اثني عشر معاً ما داموا يتبعون طريقاً واحداً . وكنا خليطاً عجيباً من السويسريين والشوابيين والسكسونيين والبفاريين وأبناء التيرول والويلش والفرنسيين والبولاكيين والأتراك . وكانت براغ ترتعد خوفاً من البروسيين ويستولي عليها رعب لا مثيل له . وكان أهلها قد علموا بنتيجة معركة لوبوستس وأيقنوا أن الظافر لا بد أن يكون على الأبواب . وهناك أيضاً أحاطت بنا زمر الجنود والأهالي لتقص عليهم ما ينتويه البروسيون ؛ فكان بعضنا يطمئن تلك الأرانب الجازعة ، وبعضنا يجد مسرته في إرعابهم وفي القول بأن العدو قريب المزار وإنه محنق كالشيطان .

محمود الدسوقي

المتج تمنر علينا الإصلاح وتأبى مقتربه واعتاص ذلوله

بقيت كلمة ويتم الحديث ؛ هى ملاحظة صغيرة على الإشارة التى جاءت فى « رسالة كلية الشريعة للأستاذ الأكبر » إلى معهد الدراسات الإسلامية . إن هذه الإشارة تفهم أن هذا المعهد يزاحم الأزهر فى بعض ما نصب له نفسه من مهام ، وأظن أن هذا ليس من الحق فى شيء ؛ فهو على ما عرفت – من طول ترددى عليه وانتفاعى به انتفاعاً كبير الأثر – قسم من مكتبة الجامعة العامة ، جمعت فيه المؤلفات الخاصة بالعلوم والدراسات الإسلامية بوجه عام ، سواء أكانت باللغة العربية أم بغيرها . يرى الزائر له إذا أراد أن يبحث فيلسوفاً ، كالفارابى مثلاً ، مؤلفاته المطبوعة بمصر وغير مصر ، وقدراً كبيراً صالحاً مما كتب عنه بالعربية أو غيرها من اللغات . ذلك ما يزيد على أربعين مجلداً لجماعة من المستشرقين الفرنسيين ، فيها تعريف واسع بالمخطوطات الإسلامية الموجودة بمكتبة باريس العامة ، وعرض لبعض نصوصها ، وإلى فهارس المطبوعات والمخطوطات الإسلامية الموجودة بالمكتبات العامة بمصر وأوربا ، إلى كل هذا وما إليه منظم موضوع على حبل الذراع لمن يريد ؛ حتى إن الباحث وهو جالس إلى إحدى المناضد فى بهوه الرحب ، بين تلك الذخائر العلمية الإسلامية يشعر أنه لا يكاد ينقصه شيء فى سبيل الوصول لما يريد من بحث وتحقيق

أين هذا من مكتبة الأزهر التى لم أستطع ولا يستطيع غيرى أن ينتفع بشيء منها ما دامت على ما هى عليه من ضيق مكان ، ونقص موظفين ، وإهمال وعدم رعاية !

وكيف يعاب ذلك العمل الجليل ، وينظر إليه النظر الشزر ، على غير معرفة به ، بدل أن نشكر من كان له الفضل فى إنشائه !

أقول هـذا عن علم ؛ لأنى لا أعلم أن أحداً من الأزهريين — حتى شباب المدرسين — تردد على هذا المعهد للانتفاع به ، رغم دعوتى له وبهتى عليه ، إجابة لرغبة حضرات الموظفين الثقات القائمين بشئونه .

لو أن إخواننا الذين اشتركوا فى صياغة « رسالة كلية الشريعة للأستاذ الأكبر » عنوا بالتعرف إلى ذلك المعهد الذى يؤدى الآن خدمة لا يؤديها غيره ، لما أشاروا إليه إشارة من يحب ويكره عن غير علم . ولعل منهم من كان ولا يزال فى أشد الحاجة له لتحضير ما يطلب منهم من بحوث ومحاضرات علمية فى الامتحانات !

***

وبعـد فلعلّى وفقت بعض الشيء فيما نحن بسبيله ، والله المستعان .

محمد يوسف موسى

مدرس بكلية أصول الدين

الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزي الشتوي

مفاجأة . . . والسكون

كانت أبرز حوادث الأسبوع الماضي حادثة تسليم الجيش البلجيكي بأمر ملكه . وكانت الحادثة مفاجأة لم يتوقعها العالم ، بل لم تدر قيادة جيوش فرنسا وانجلترا من أمرها شيئاً . فهي مفاجأة لم يقل وقعها على نفوس القراء من المفاجآت الهتلرية . واختلف الناس في تقديرها ، فمن قائل إنها نوبة يأس استولت على الملك ليوبولد في ساعة فزع واضطراب أعصاب ، ولا سيما بعد ما والى الجيش الألماني هجومه في الليل، فلم يخلد إلى الراحة كالمعتاد . ومن قائل إنها خيانة صريحة ارتكبها الملك بالاتفاق مع الألمان . ومن فريق ثالث يقول : كانت خطوة متوقعة سار فيها الملك ليوبولد الثالث على مثال قرار قيادة الجيش الهولندي عندما أمرت جيوشها بوضع السلاح

وليس لنا أن نقرر الدوافع لهذه الخطوة ، فعلمها كما قال المستر تشرشل رئيس الوزارة البريطانية عند الملك وحده ، ولا يجدر بنا الحكم على فعلته الآن ، ولكن هذه الخطوة ترينا ظاهرتين مختلفتين في أخلاق شعبين عظيمين . فبينما الشعب الفرنسي يقابلها بمرارة وغضب ظهرا في حديث المسيو رينو ، قابلها الشعب البريطاني ببرود وثبات ظهرا في حديث رئيس الوزارة البريطانية

والبرود والثبات في قيادة الجيوش من أكبر وسائل تحقيق النصر ، فهما خلتان كبيرتان للاحتفاظ بالعقل والمنطق . وأذكر أن الجنرال فرانش قائد الجيوش البريطانية في فرنسا سنة ١٩١٤ لم يجد كلمة يمدح بها أحد قواده في أحد المعارك أبلغ من أنه كان مثال البرود والسكينة في تلقي الأنباء وإصدار الأوامر

بين تسليمين

ويختلف موقف تسليم الجيوش البلجيكية الآن عن تسليم الجيوش الهولندية اختلافاً بيناً . فقد كان الجيش الهولندي يقاتل وحده ولا تحتل معه قوات الحلفاء مواقع تشد أزره أو يشد أزرها . ولم تكن المعركة حامية لم يتقرر مصيرها بعد كما هي الحال مع جيوش الحلفاء في الشمال . ولم يكن قرار هولندا لا يؤثر إلا على موقف جيوشها وحدها، وهذا أمر لم وحدهم حق تقريره . بينما انسحاب القوات البلجيكية من مواقعها قد أخلى ثغرات واسعة في صفوف القوات المتحالفة

فإذا عرفنا أن من تقاليد الجيوش البريطانية والفرنسية ألا تلقي السلاح تبين لنا مقدار الخطأ الفادح الذي جره إلقاء الجيش البلجيكي لسلاحه . وإذا كان ثمة خطأ يسند إلى الملك ليوبولد ، فلأنه لم ينذر قيادة الحلفاء بالخطوة التي اعتزمها لتتخذ من التدابير ما يرأب الصدع الذي يحدثه انسحاب قواته

بين المساء والصباح

أضف إلى ذلك ما وافتنا به تلغرافات صباح يوم الثلاثاء من أنباء تهلل لها وجه الناس بالبشر والأمل ، فقد وصلت جيوش الحلفاء إلى بابوم ، وهي تقع في منتصف النتوء الألماني بين حوض نهر السوم ومدينة أراس . ومعنى هذا أن جيوش الحلفاء تمكنت من الضغط على رقبة النتوء الألماني الممتد من هذا المكان إلى سواحل البحر . ولو تيسر لها أن تصل خطوطها بين جيشي الشمال والجنوب من هذه الناحية لسهل عليها أن تحصر هذه القوات وتعزلها عن قواعد تموينها ، وبالتالي تقضي عليها قضاء مبرماً

وذهب بعض الناس إلى أن هذه الخطوة معناها انتصار الحلفاء وبدء الخاتمة . فقد سحبت ألمانيا كثيراً من قواتها من خط سيجفريد ومن على الحدود السويسرية لتعزيز أماكنها كما أيدت مواقعها بقوات ميكانيكية هائلة هي في الواقع صفوة القوات الألمانية التي أعدت للمواقع الخطيرة الحاسمة . ويدلنا هذا على أن احتياطي القوات الهتلرية قد نفذ فاعتمدت على قوات رئيسية

وقد رأيت كثيراً من الناس يضمون دبابيس كبيرة في هذا الموضع ويضغطونها بشدة على خرطهم كأنها مسامير توضع في نعش الجيش الألماني، ثم يوصلونها بمواقع الحلفاء بخيوط خضراء رمزاً للسلام يسود العالم . ولكن ما كادت تلغرافات الصباح تصل بنبأ تسليم الجيش البلجيكي حتى وجم محررو الجرائد ، ووقفوا أمام خرطهم مترددين أين يضعون دبابيسهم ، وكيف يفهمون الموقف على ضوء الحوادث الأخيرة

وأنعش خطاب المستر تشرشل وتصريحات وزراء بلجيكا كثيراً من الأفئدة فعادت لها ثقتها بالنصر . وإن كان كثيرون قد قدروا أن يطول أمد الحرب . بل قال بعضهم إنه خير بأني

من الشر ، فتتركز قوات الحلفاء فى فرنسا ويستقر القتال فى ميدان واحد بدل تشعبه فى عدة ميادين ، وتقل خطوط مواصلات الحلفاء ، وتعود الحرب إلى جبهة واحدة بدل جبهتين فقد كانت بلجيكا عبئاً على الحلفاء

سياستان

وإذا قارنا بين الحرب الحالية والحرب الماضية وجدنا وجوه الشبه فى أسسها واحدة . فألمانيا تبدأ الحرب بقوة هائلة تضعف على مر الأيام تبعاً لقلة مواردها واستعدادها ، بينما يبدأ الحلفاء حربهم بقوات قليلة تكبر كلما طال بها الأمد . تخلف انجلترا وفرنسا امبراطوريتان واسعتان تقدمان لهما الإمداد الذى تصقله الأيام وتزيد إنتاجه

فقد بدأت ألمانيا استعدادها لهذه الحرب منذ تولى هتلر الحكم سنة ١٩٣٣ . فأخضع جميع موارد ألمانيا لهذه اللحظة. بينما بدأ الحلفاء استعدادهم من سنة ١٩٣٨ . واتخذت الخطوات الحاسمة لهذا الاستعداد فى الأسبوع الماضى عند ما وضعت الأفراد والمصالح رهن الاستعداد العسكرى . ولعل البعض يرى فى هذه الحركة تمهلاً من الحلفاء. إلا أن من يدرس مشروعاتهم واستعدادهم وسياستهم لرفاهية شعوبهم يقدر خطورة هـذه الخطوة الأخيرة ومدى ما تدره على الأداة الحربية من تحسين

فالحلفاء يضعون خططهم ويعدونها لوقت الحاجة حتى إذا احتاج إليها الأمر نفذت فى الحال . ولو عدنا بالذاكرة إلى بدء اشتعال الحرب ، وشاهدنا ما فعله الحلفاء فى تنظيم وزارة الحرب الاقتصادية عند ما نفذ الحصر البحرى رأينا مدى دقتهم فى وضع مشروعاتهم

ففى ٢٤ ساعة كان الحصر البحرى على ألمانيا نافذاً ، وفى ٢٤ ساعة تقدم ممثلو انجلترا السياسيين إلى الدول المحايدة بقوائم تبين حاجة كل منهم من الخامات المسموح لها بالمرور من الحصر البحرى والتى لا تترك لهم فائضاً يمكن لألمانيا أن تعتمد عليه . لو رجعنا إلى هذه الحوادث استطعنا أن ندرك كيف يسير المشروع الجديد وكيف يدعم إعداد الحلفاء العسكرى

كيف تساعدهم

ولا يفوتنا أن نذكر فى هذا السبيل الولايات المتحدة وما تمده لتموين الحلفاء . فإن الخطوات التى اتخذت حتى الآن لا تتجاوز أن تكون مناضلة لإقرار مبدأ المساعدة وعلى أية صورة يكون . وقد ينتهى بدخولهم الحرب بقوات حربيـة ، وليس بعتاد حربى فقط . وهى لم تقدم إلى الحلفاء مساعدة جدية حتى الآن بل أن مصانعها تستعد لمواجهة الحالة ، ولم يتعد إمدادها عدداً قليلاً من الطائرات . ومن يعرف براعة الأمريكيين فى تنظيم أعمالهم ، وتشغيل مصانعهم لإنتاج كميات وفيرة ، يدرك مدى السيل الذى يصل إلى الحلفاء كل فترة قصيرة

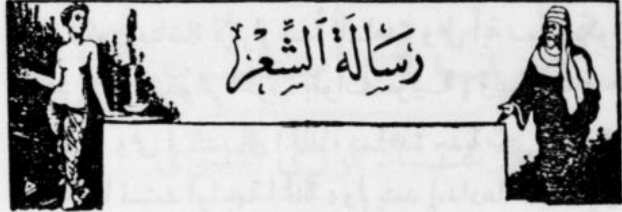
والغالب أن يستقر الموقف الحالى فى البلجيك على شيئين : فإما أن ينسحب الحلفاء ويخلوا البلجيك وينقلوا قواتهم إلى فرنسا عن طريق البحر ، وإما أن يستقروا فى هذا الميدان بعد أن يعدوا قواتهم هناك بقوات جديدة على أن تكون صلاتهم عن طريق البحر . وأعتقد من سير الأمور حتى كتابة هذه السطور أن الحلفاء ينسحبون من بلجيكا ويحولون ضرباتهم من فرنسا حيث أعدوا خطوط قتال قوية تسهل عليهم الاحتفاظ بمراكزهم إلى أن تتحطم ألمانيا اقتصادياً أو عسكرياً

الخطوة التالية

أما فى الميدان الجنوبى فإن جنود الحلفاء فى حالة حسنة وفى موقف عسكرى قوى يعملون على تطهيره من القوات المعادية . ولا يمكننا أن نجزم بخطوة ألمانيا التالية بعد استقرارها فى الميدان الشمالى فى البلجيك : هل تهاجم الجبهة الفرنسوية الشمالية الممتدة على نهر السوم إلى لونجوى ؟ أم تهاجم فرنسا باختراق حدود سويسرا ؟ أم تتجه اتجاهاً آخر للاستيلاء على موارد جديدة بالهجوم على البلقان ؟

فالواضح من الاستقرار الأخير فى جبهة فرنسا الشمالية أن قتالها يطول وهذا ما لا تحتمله الموارد الألمانية . فإذا هاجمت فرنسا باختراق سويسرا عن طريق مقاطعة بازل فلا ينتظر أن تصيب فيها من التقدم ما أصابته فى بلجيكا، لأن الحلفاء لن يلدغوا من جحر مرتين . أما فى البلقان فقد أعلنت الروسيا حرصها على الاحتفاظ بالحالة الراهنة هناك وإلا فإنها تحارب المعتدى . ولهذا فينتظر أن نرى فترة هدوء ونضال سياسى لتحويلها عن رأيها ، وإن كنت أعتقد أنه ليس من مصلحة ألمانيا أن تشتبك فى جبهتين كما قلت فى مقالى السابق .

فوزى الشترى
بكالوريوس فى الصحافة



أنت وأنا . . .

للأستاذ أمجد الطرابلسي

إما رأيتِ الليلةَ الحالكة تجلو دجاها البرقةُ الساطعة
والطفلةَ المُشْرِقَةَ الضاحكة تحزنُها لُعبتُها الضائعة

فإنني الليلة يا بَرقتي
وإنني الطفلة يا لعبتي
يا فرحتي أنتِ ويا دمعتي !

إن تجدى الناسكَ فى دَيْرِهِ تهزُّهُ نغمةُ أرْغَنِّهِ
والفاجرَ العِرْبيدَ فى سُكْرِهِ تُرْعِشُهُ النَّظْرَةُ مِن دَنِّهِ

فإنني الناسكُ يا نغمتي
وإنني السكرانُ يا خمرتي
يا سكرى أنتِ ويا جَنَّتي !

إما رأيت الشاعرَ السادرا يقدسُ الحسنَ على سُبْحَتِهْ
والأهوجَ المضطرمَ الثائرا تُهيِّجُ الأجسادُ من نَهْمَتِهْ

فإنني الشاعرُ يا سبحتي
وإنني الأهوجُ يا نهمتي
ياجسدى أنتِ ويافكرتي !

....

إن تجدى المبتهلَ المؤمنا يصبو إلى (الحوريَّةِ) الطاهره
والماجنَ المُسْتَهْتِرَ الأرعنا يستعذبُ السمَّ من العاهره

فإنني المبتهلُ المؤمنُ
وإنني المستهتر الأرعنُ
دَليلَتي [1] أنتِ وحوريَّتي !

(باريس) أمجد الطرابلسي

(١) دليلة صاحبة شمشون

وهفا قلبي إليك

للشاعرة الفلسطينية الآنسة « دنانير »

لحتَ فى أفق حياتى المظلمِ لمحةَ من نورْ
بددتْ آونةً يا ملهمى ذلك الديجورْ

وهفا قلبى إليــكْ
شـــيّقاً يحنو عليك
يرتجى الزلفَى لديك

لا تخيبْ يا حبيبى ما رجاه قلبيَ المفتونْ
لا ، ولا ترجعْه من دنيا هواه رِجعة المغبون

***

يا خليًّا من عذابى شدَّ ما كنت شغلى
ليتنى سؤلَكَ أصبحتُ كما أنت سؤلى

حرتُ مما أنت فيه
بين إقبال وتيه
آه يا من أرتجيه

كل همى منك ، حتام أراكْ غافلاً عني ؟
وبقلبي من تباريح هواكْ علةٌ تضنى

***

أيها المرسل لي فى وحشتى مؤنسًا قلبى
هجتَ لى الحبَّ ، فكانت سلوتى نغمة الحب

أنت دنيا من فنون
تملأُ الدنيا فتون
كيف لا تسبى العيون

هاك قلبي ، لا تدعْه يا مناه هائمًا حائر
راعِهِ ، لا يهوِ من عليا سماه إنه شاعر

(فلسطين) « دنانير »

من اللهـــب !

للأديب عبـد العليم عيسى

بكيت فلاموني... وماحيلتي إذا   بكيت وفى قلبي شجوني وآلامي
علام تلومون الجريح على البكا   أما كان أحرى أن تلوموا يد الرامي
نشأتُ فلم أنعم بصدر يضمني   إليه... فضمتني جروحي وأسقامي
كأنيَ لم أخلق لنعمايَ إنما   خلقتُ لأحيا باكيًا طول أيامي
حياتيَ إعصارٌ عنيف وضجة   وعصف من البلوى يعكر أحلامي
هنا فى فؤادي صرخة كم حبستُها   هنا فى طريقي يعزف الهول قدامي
تجمعت الأخطارُ حولي... تخلتُها   من الرعب جناً عاصفاً تحتَ أقدامي
أنا الشاعرُ الشادي أغار يدَ حزنه   ومن حزني المشبوب نبعي و إلهامي
أسيتُ على قلبي فكم عقد الأسى   به مأتمًا يُذكي هواني و إيلامي
كتمتُ الذي عندي فلستُ بصارخ   وأين الذي يحنو على قلبيَ الظامي؟
طربتم لأنغام الصفاء فما الذى   يضيركمُ لو تطربون لأنغامي !
أنا راقصٌ فى عرسكمْ غير أنني   غريبٌ بعيدٌ عن صفاني و إنعامي
ألا حين عودي باكيات على المدَى   فلن تسمعوا مني سوى لحنيَ الدامي

(دمياط)   عبد العليم عيسى

عبادة الأصنام

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

أيُّها المُخلِصُ العِبادَةَ لِلصَّخْـ   ـرِ تَحَصَّنْ مِنْ مَوْجَةِ الإلْحَادِ !
فقَـدًا تَفقِدُ الشُّعورَ وَتحيَا   كَجَمَادٍ مُسَخَّرٍ لجمـــادِ
صَنَمٌ صامِتٌ من الحَجَرِ الصَّلْـ   ـدِ لَخَيْرٌ من نَاطِقٍ بالفسادِ
إنْ تَكُنْ نَائِمًا عَلَى ظُلْمِ الجَهْـ   ـلِ رَضِيًّا بِعِيشَةِ الزُّهَّادِ
فأنَا نَائِمٌ عَلَى كَتِفِ النُّو   رِ وَلَكِنْ بِظُلْمَةٍ فى الفُؤَادِ
صَنَمي يقتلُ العقيدةَ وَالفِكْـ   ـرَ وَيُحْيِي عِبادَةَ الأجسادِ
إنْ تَكُنْ مُطلَقَ العَقيدَةِ يَاصَا   حِ فإنِّي مُقَيَّدٌ فى اعتِقادِي
مَلْجَأي السِّجْنُ إنْ دَعَوْتُ إلى الحَـ   ـقِّ مَسُوقًا فى مَوْكِبِ الأصْفادِ
الوشاياتُ والدسائسُ والرُّعْـ   ـبُ سِلاحٌ فى وَجْهِ كلِّ انتقادِ
وَهُبوطُ الأحْرارِ مِنْ مِنبَرِ الحَـ   ـقِّ صُعُودٌ لِمِنبَرِ الجَلَّادِ
لَيْسَ إيمانُنَا عَقِيدَةَ تَفْكِيـ   ـرٍ ، وَلَكِنَّهُ هَوَى اسْتِبْدَادِ
شُعْلَةُ النَّارِ فى يَدَيْ قُرَابِيـ   ـنَ لِفَرْدٍ مُسْتَهْزِئٍ بالسَّوَادِ
وَصَلَاتِي لَهُ دُعَاءٌ إلى الحَرْ   بِ وَإشْعَالُ نَارِهَا فى البِلَادِ
وَانْتِهَاكٌ لِحُرْمَةِ الجارِ إشْبَا   عَ نَهِيمٍ لِشَهْوَةِ اسْتِعْبَادِ
أزْرَعُ الشَّرَّ حَيْثُمَا سِرْتُ تُجْنَى   مِنْ ثَرَاهُ طَوَالِعُ الأحْقَادِ
وَغَدِي مُبْهَمٌ وَرِجْلَيَ تَنْقَا   دُ إلى حَيْثُ مَصْرَعِ الأحْفادِ
التَّمَاثِيلُ وَالبُطُولَةُ وَالمَجْدُ   دَعَاوَى مَوْصُولَةُ الإنْشَادِ
نَعَمٌ يَنْحَرُ الضَّحَايَا فَتَنْسَا   قُ إلى المَوْتِ جَائِعَاتٍ صَوَادِي
وَالجَمَاهِيرُ كَالحَمِيرِ مَطَايَا   للزَّعَامَاتِ لَيِّنَاتُ القِيَادِ . . .

حسن كامل الصيرفي

من وحي الربيع الأحمر

قوس قـــزح ...

للأديب حسن أحمد با كثير

أي جسر صيغ من ذوب الضياء   يعبر الزرقاء من أفقٍ لأفقِ
عبقري الحسن سحري الرواء   مشرق يستأسر الطرف برفق
أصراطٌ مُدّ فى عرض السماء   لعبور الجن فى غرب وشرق
أم مجازٌ يرتقيه الأتقياء   نحو كون خلف هذا الكون صدق

أي حسن فاتن عذب بنوره
أي سحر عبقري فى سفوره
ليتنـــا نحظي جميعاً بعبوره
نحو كون حالم خلف ستوره
وارف الظـــل بهيجٍ بزهوره
نقطع العمر به فوق قصـــوره



بواطن وظواهر

عندنا فنانون ... ولكن !

للأستاذ عزيز احمد فهمى

١٠ — من الصحافيين

عبد القادر حمزة باشا

كان للحركة الوطنية فى مصر لسان وقلم ، أما اللسان فكان لسعد زغلول ، وأما القلم فكان فى يد عبد القادر حمزة . وقد قضى صاحب اللسان ، وظل صاحب القلم يكتب ، ولكن ظهرت عليه نوازع جديدة أخذت تتزايد وتتزايد حتى أصبحت أوجه الشبه بين آثار هذا القلم اليوم وبين آثاره فى البدء قليلة وغامضة ... ذلك أن الأستاذ عبد القادر حمزة باشا جنح إلى العقل والمنطق جنوحاً كاد يقطع الصلة بينه وبين الجمهور الذى رباه هو ، والذى فتح هو عيونه على الحقائق

طار الأستاذ عبد القادر باشا عن مستوى الصحافيين السياسيين وتحكمت فيه استقامة الفكر والأمانة عليه، حتى هان عنده الرواج الشعبي فلم يعد يجرى وراء القراء، وآثر أن يوجه القول لمن يريد أن يسمع وأن يفهم ؛ وقد تجلت التجربة على أنه يقول ما يجب أن يسمع وأن يفهم . فقد كان هو أول من نادى بوجوب تأليف الوزارة القومية منذ المناوشات الأولى فى الحرب الحبشية ، فأنكرت البلاد رأيه حتى ألفت الجبهة الوطنية بعد أن تحولت المناوشات الحبشية إلى حرب ضروس ؛ وحين لم تجد مصر وانجلترا بداً من تنفيذ فكرته هو ، أو الفكرة التى آمن بها وتحمس لها وانفرد زمناً بالدعوة إليها .

الأستاذ طاهر الطناحى

العمود الفقرى فى دار الهلال . رباه على الصحافة الأستاذ إميل بك زيدان ، فأنشأه أعجوبة بين الصحافيين . الجمهور لا يعرفه كثيراً لأنه لا يوقع المقالات إلا قليلاً ؛ وذاك إذا كتب ، فليس عمله أن يكتب ، وإنما عمله أن يستكتب أولئك الأفذاذ الذين تطالع دار الهلال قراءها بنفثات أقلامهم ، ومن هؤلاء يكون ملوك فى بعض الأحايين ، وهذه مهمة خطيرة

زد على ذلك أنه يجمع أعصى المعلومات والبيانات والإحصاءات والصور التى أتقنت دار الهلال فتنة الجمهور بها

للأستاذ طاهر الطناحى هذا المجهود الجبار وينافسه فى دار الهلال زميل له هو الأستاذ يوسف أنكونا من غير أن يبذل مجهوداً جباراً ، ولكنه يعطى الدار أفكاراً ، فهو متخصص فى البحث عن أسباب رواج المجلات يستقصيها ويوفرها فى مجلة « الاثنين » التى يدير تحريرها ، فله فى هذا الأسبوع «يانصيب»، وفى الأسبوع القبل «مسابقة» ، وفى تاليه حملة مصورة منظمة على موطن من مواطن الضعف فى الحياة المصرية ، وفى الأسبوع الرابع عدد خاص بمسألة من المسائل التى تشغل بال الجمهور ، وفى الأسبوع الخامس هدية رائعة ، وفى الأسبوع السادس صور تؤخذ للجمهور من قراء المجلة وهى فى أيديهم فمن وجد صورته له جائزة ، وفى الأسبوع السابع باب يفتح فى المجلة يتوسط للقراء فى الحكومة ، ويوظفهم إذا استطاع . . .

نرشف الأفراح من صفو نميره
ونصيب الأنس فى حسو خموره
ونرى النشـــوة فى لثم ثغوره
إن هذا الكون ضقنا بشروره
وزهقنا من أباطيل أموره
وسئمنا وبرمنـــا بغروره
وطوى أحلامنـــا جور نسوره
وكوى أحشاءنا بطش نمـوره
وشجى أكبادنا مرأى قبوره

خلنا يا جسر نحظى بعبورك نحو كون ساطع خلف ستورك
يُذهب الآلام والآثام عنـا والشرور

حسين أحمد باكثير

أعجوبة هو أيضاً هذا الصحافى الذى لا يعرفه الجمهور . وهو شاب وعمله الأول المحاماة فى المختلط ، ولست أدرى كيف غاب هذا الصحافى الناجح هو وزميله عن ذهن الذين اختاروا المدرسين لمعهد الصحافة !

الأستاذ كريم ثابت

أول من اخترع لنا حكاية أن هذا الوزير يستيقظ فى السادسة صباحاً ويفطر فولاً وبيضاً مسلوقاً ، ويدخن سبعاً وثلاثين سيجارة فى اليوم ، وأنه يفضل السترة أم صفين من الأزرار على أم الصف الواحد ، وأن عنده قطة اسمها فلة يتفاهم معها بالعربية والفرنسية ، وأنه يسقى ضيوفه كراوية ولا يقدم القهوة إلا لمن يطلبها ، وأنه لا يقرأ إلا إذا جلس قاتكاً بذراعه اليسرى على المسند ووضع رجله اليسرى على رجله اليمنى ، وأنه إذا نام أغمض عينيه ، وإذا تكلم حرك لسانه ، وإذا مشى هز ذراعيه ...

الأستاذ عبد المنعم حسن

لا بد أن يصل بإذن الله إلى ما يصبو إليه من مجد صحافى . فهو يقفز من أوربا إلى أفريقية إلى آسيا بحثاً عن تحقيقات يسوقها لقرائه فى أحرج الظروف وأسوأ الأحوال . وهذه جهود لا يقوم من الصحافيين المصريين إلا هو والأستاذ محمود أبو الفتح ، ولا أذكر غيرهما

الأستاذ مصطفى أمين

من أسهل الكتاب المصريين هضما ؛ وعلى هذه الميزة فيه فهو يأبى إلا أن يكون مخبراً يشذى فضول القراء بينما هو يستطيع ما لا يستطيعه المخبرون من الترويح عن القراء وإمتاعهم . المادة تغريه ، ولكنى أرجو أن يغريه بالتخصص فى الكتابة مغر آخر ذو تأثير ينقذه ...

١١ — من المقرئين

الأستاذ محمود صبح

إذا قرأ القرآن مثل معانيه على قدر طاقته بالإلقاء والتنغيم . ولولا أن لكنة تركية تدركه أحياناً لشدة تأثره بالذوق التركى فى الموسيقى لما كان فى قراءته عيب ، وهو حساس مرهف الأعصاب . متدفق سيال النفس ينفذ إلى سامعه ويجرفه معه ولكن عقله ملتو . أقولها على ما فيها من شدة فلعله يراجع نفسه إليها فيراها حقاً فيعود إلى قراءة القرآن ، ويكف عن أدواره وطقاطيقه التى ثبت له أنه لن يجد من يغنيها له غيره لما فى تلحينها من التعقيد ، ولما يحتاج إليه إلقاؤها من الفتوة الغنائية ... وإن كان لا بد له من التلحين فليقنع بالموشحات فهو الأهل لها

الأستاذ على محمود

عنده ثروة موسيقية هائلة حفظها عن المغنين والمقرئين القدامى فهو يختزن لنفسه من فن الحولى ، ومحمد عثمان ، وسيد درويش وسلامة حجازى ، ومحمد سالم العجوز ، وأبو العلا محمد ، والمناخلى وغيرهم ، وهو فى قراءته يعرض هؤلاء جميعاً وغيرهم ، فإذا تجلى الله عليه قرأ القرآن أو أنشد « المولد » بما يفتح الله به عليه من فن روحه هو ؛ فعندئذ تسمع صوتاً عالياً من غير شك يعلو فيرفعك وينخفض فيضعك ، وينساب فيملؤك ، فإذا هدأ عنك زفرت وارتحت إذا رد لك السلطان على ترديد أنفاسك بعد ما كان هذا السلطان معه

الأستاذ محمد رفعت

المقرئ الوديع الذى يزف القرآن إلى النفس « متمسكناً » فما تملك النفس إلا أن تحن له وأن تلين ...

الأستاذ عبد الفتاح الشعشاعى

فيه من الموسيقى أكثر مما فيه من التمثيل ، وفى موسيقاه من الطرب أكثر مما فيها من غيره ، وكثيراً ما يخرج بسامعيه عن وقارهم وإن لم يخرج هو عن وقاره . لعله لو غنى القصائد عرض لنا فقيد الموسيقى العربية الكبير الشيخ أبو العلا محمد

لست أدرى لماذا لا يجرب هذه التجربة ، ولست أدرى لماذا لا تشجعه على ذلك صديقته أم كلثوم بأن تسمعه فى قصيدة ثم تغنيها منسوبة إليه !

١٢ — من المحدثين

الدكتور محجوب ثابت

هذا رجل ضحى بنفسه فى سبيل إشباع رغبته فى الكلام . له ماض وطنى ملحوظ ، وجهاد لا يمكن أن ينكر ، ثم إن له علماً واسعاً واطلاعاً متشعباً ، وله بعد ذلك آراء وأفكار لا يزال

يقتدى بها المجتمع المصرى ، ولا يزال هـذا المجتمع يأخذها عنه ، ومع هذا كله فنصيبه من الجزاء الوطنى قليل . فأغلب الذين خدموا هذا الوطن وعرضوا أنفسهم للمحن من أجله قد كافأهم الوطن بالمناصب والألقاب والأرزاق ، ولـكنه كان بين القلائل المهملين على كثرة ما يتردد ذكره على الألسنة ، وعلى كثرة ما يتردد شخصه بين الناس ... فلماذا ؟

لقد أصيب الدكتور محجوب بهذا « التأخر » لأنه كثير الـكلام ، ولأنه يخلط الجد بالهزل ، ولأنه لا يعرف مَن مِن الناس يصلح لأن يخاطبه الإنسان بالنكتة ، ومن منهم لا يصلح لذلك ، ومن من الناس يستطيع أن يستخلص من النكتة الحكمة ، ومن منهم لا يستطيع ذلك ... لقد اعتبر المصريون الدكتور محجوب فكاهة من الفكاهات ، حتى فى أشد مواقفه جداً يضحكون منه ... وهم معذورون ... فهو يتحمس لفكرته بعواطفه وأعصابه وجوارحه وشاربيه ولحيته ، بينما يكفيه أن يتحمس لها بعقله ولسانه ، وإنهما لجديران بأن يخضعا له اقتناع الناس ...

لست أدري إذا كان الدكتور محجوب يستطيع وهو فى سنه اليوم أن يعدل نفسه أو أنه لم يعد يستطيع ذلك ، ولكنى على أى حال لم أيأس منه ، ولا أزال أنتظر له خيراً ...

الشيخ عبد الحميد النحاس

وإذا كان الدكتور محجوب ثابت محدث المثقفين من الطلبة ومن هم أكبر منهم سناً وعلماً ودراية من أهل المدن ، فإن الشيخ عبد الحميد النحاس يعتبر محدث الأقاليم . وهو الصحافى الوحيد الذى يتقاضى من المعلنين أجوراً للاعلانات فى جريدته التى لا تصدر على أساس أنه ينشر هذه الإعلانات شفوياً فى المجالس والمجتمعات .

وله طوفات فى الريف المصرى ... يخرج من مديرية إلى مديرية ، ومن مركز إلى مركز ، ومن بلد إلى بلد تقام له الولائم ، ويجتمع له الناس ، وتعقد له المجالس ليتحدث فيهـا ، وليقول ما يقول ...

وهو يقول فى كل موضوع كلاماً يلذ للريفيين أن يسمعوه ، ويبلغ إعجابهم به إلى أن يحملوه على الأعناق وأن يهتفوا له كأنه غاز أو فاتح ...

الشيخ عبد العزيز البشرى

وهذا محدث الطبقة الراقية . وحديثه شيق سلس جذاب ، حاضر الذهن ، سريع الخاطر ، لاذع النكتة ، رائق البال . وهو إلى جانب ما يتقن من فن الحديث يتقن الكتابة أيضاً ، وكتابته فيها من أحاديثه ، فأحلاها ذكرياته ووصفه لمن قابلهم من الناس ، ونقده لما رآه فيهم من العيب ، وتسجيله لما وجده فيهم من الحسنات

ردان

فى العدد السابق من الرسالة طالع القراء الاعتراضين اللذين شرفنى بهما كل من الأستاذين توفيق دياب ومحمد السيد المويلحى بخصوص ما كتبته فى هذه السلسلة عن أولها وعن الدكتور الحفنى

أما الأستاذ توفيق دياب فقد كفانى الأستاذ محمد محمود دوارة الرد عليه بما يجده القارئ فى « البريد الأدبى » من الرسالة هذا الأسبوع

وأما الأستاذ محمد السيد المويلحى فقد قال إنى بخست الدكتور الحفنى حقه إذ أنكرت عليه إنتاجه فى الموسيقى بينما هو – فيما يقول الأستاذ المويلحى – قد اخترع آلتين موسيقيتين هما فلوت الحفنى والكورية النحاسية

وردى على هـذا هو أن اختراع الآلات الموسيقية من عمل علماء الطبيعة لا الفنانين الموسيقيين ، ولا غير

على أنى فيما أعتقد قد جاملت الدكتور الحفنى بعض المجاملة إذ قلت إنه موسيقى من نوعى ، وأنا لا أعتقد أننى إذا شبهت إنساناً بنفسى حططت من قدره ... هذا اعتقادى أنا ...

عزيز أحمد فهمى



حرب ونضال

تأملات في مجاهل الكون

للدكتور محمد محمود غالي

عندما اندلعت ألسنة الحرب في سبتمبر الماضي كتبنا مقالاً في «الرسالة» تحت عنوان «فلنستمر»[1]، اعتزمنا فيه مواصلة الكتابة رغم مجابهة العالم لمحنة قاسية لم يعهدها من قبل، ورجونا ألا تصرفنا الحوادث عن أداء هذه المهمة، وليست الكتابة بالأمر الذي يستطيع الإنسان المضي فيه وهو مشغول الفكر مضطرب البال، وإنما لهدوء النفس والنزوع إلى الكتابة أثرهما الواضح في النجاح والقدرة على التسطير. فالكتابة لا تُقصد لذاتها، وإنما تقصد لما ترمي إليه؛ وإن الذي تُترَكُ له صحيفة ليملأها، يجب أن يكون أهلاً لأن يفيد القراء، وإلا فليترك المجال لمن هو أقدر على أن يكون أكثر فائدة لهؤلاء الذين يهبون بعض أوقاتهم للمطالعة

ولقد خصَّصَتْ «الرسالة» صفحة لمباحث علمية توخينا أن نخط فيها هيكل الكون، وحاولنا أن نلفت النظر إلى ما فيه من تناسق؛ ووالينا كتابة هذه المقالات العديدة التي نسرد فيها قصة التقدم، فقطعنا في ذلك شوطاً بعيداً، واستعرضنا للقارئ بعضاً من الخطوات العلمية الكبرى التي توصل إليها العلماء في العهد الأخير، وفيها ما له علاقة بتقدم الإنسان في حاضره ومستقبله

وقد تابعنا هذا الاستعراض وفق تفكيرنا، فطغت مسائل أخرى عُنينا بشرحها أكثر من غيرها، إذ كان لبعضها علينا أثر خاص، وللبعض الآخر في اعتقادنا سهم في محور التقدم، ولا شك في أنه كان لما تملناه عن قصد أو غير قصد، وما طالعناه عن رغبة أو مصادفة أثر في هذا التكييف

وما كنت أعتقد أن الحوادث في العالم الغربي الذي عنه ندرس وعلى ضوء مؤلفاته نتكون تتطور بهذه السرعة الخاطفة، وما كنت أعتقد أن سرعتها هذه تؤثر على نفسي في الأسبوع الماضي هذا التأثير الذي سلبني في تلك الآونة الصفات التي تجعل مني شخصاً مفيداً للقارئ، لذلك تنحيت عن عمد ريثما تهدأ النفس ويستقر الفكر فأستطيع أن أتابع السير في هذه السطور.

ولئن أسرعنا في كبح جماح النفس عن الاسترسال فيما يسوقها إلى الاضطراب ويدفع بها إلى الوجوم؛ فإننا نطلب من القارئ أن ينحو بنفسه هذا النحو، وقد يكون له في متابعة هذه السطور التي نستعرض فيها الناحية الإيجابية من عمل الإنسان خير عزاء عن الناحية السلبية التي يندفع إليها فريق من البشر، وهي الناحية التي يستقي القارئ أنباءها في الصحف اليومية، عندئذ وكلما مر أسبوع يتصفح الرسالة ساعة يطالع فيها شيئاً غير الذي تغلب على نفسه في يومياته وتملك الكثير من أوقاته، هنا يرى في قصة العلوم وفي سير الفلسفة، في تطور التفكير وفي تقدم الإنسان، في ازدهار الميراث العلمي وارتقاء المعرفة، أن الدنيا ما زالت بخير، وأن الإنسان ما زال حياً يتوارث المعرفة ويعمل على تقدمها على كر الأيام

فلنستمر إذن في عملنا وليستمر الذين يتابعون كتاباتنا في في مطالعة هذه المجالات التي نعالج بين ثناياها طرفاً من عظمة الإنسان كمخلوق راق لا كمخلوق تعس، والتي يتجدد بها الأمل فضلاً عما فيها من عزاء للنفس. ولا ريب في أن المحنة ستنتهي يوماً وأن الإنسان سواء أكان من أهل ألمانيا أو من أهل فرنسا وانجلترا سيدرك أن من خطل الرأي محاربة أخيه الإنسان، وأن النضال بالكلام خير من النضال بالحديد والنار فيطرح هذه الآلات التي لا تترك وراءها إلا أشلاء تتناثر وأجساداً تتحول قبل الأوان، ونفوساً أشقّها الحزن، وقلوباً مزقها اليأس، بل ويدرك أن توجيه الإنسانية صوب مدارج الرقي أولى من الرجوع بها القهقرى

ولو أن السلطات تركزت يوماً في أيدي العلماء لانتظمت الحياة في نسق يكفل سعادة البشر، ولزال إلى الأبد كابوس هذه

(١) الرسالة العدد ٣٢٥ في ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٣٩ من ص ١٨٧٣ إلى ص ١٨٧٦

المجازر البشرية ، ولو أن ما أنفق على التسلح صرف فى رقى العلم ورفاهية الانسان لرأينا قبل أن نترك الحياة أو تتركنا مدنية أرقى من التى ننعم بها، ولمهدنا وسائل للعيش تختلف جد الاختلاف عما نمهده اليوم . فلنستمر إذن فى عملنا ولنتقدم نحو غايتنا مهما عاودتنا لحظات من الاضطراب ، فلا اضطراب لم يعقبه استقرار ، ولا حرب لم يعقبها سلم ، ولا عمل سلبى مهما طال لم يتله عمل إيجابى . ولنكن جميعاً معاول بناء لا معاول هدم ، بذلك نعاون فى بناء صرح المعرفة ونضيف إلى هيكل الحضارة

ولقد تركت عن عمد الجرائد اليوم لأتصل بالقارئ وتغلبت على نفسى بالاستماع إلى قطع موسيقية ، وكان فى « غابة فيينا لستراوس » ، وفى « الرابسودى المجرية » لملحنها « ليست » Lizst ما استحثنى على الكتابة وشدد قواى على التفكير ، وستكون غايتى اليوم أن أرفه عن القارئ بكلمة من نسج الخيال ، ولكنه خيال جائز ، خيال له اتصال بالموضوعات الأخيرة التى تعرضنا لها

* * *

عنـد ما نتصفح أنباء المعارك الدامية بين البشر ندرس ناحية من صفات الإنسان الذى تطورت حالته على هذه الأرض من مخلوق عاجز عن القيام بتافه الأمور إلى مخلوق يستخدم ذكاءه فى ضرره مرة وفى نفعه أخرى . ثمة عقيدة بأن هذا المخلوق هو أرقى المخلوقات طرا لأنه سما على كل ما يدب على وجه الأرض بذكائه ومقدرته

وإن جاز لنا أن نعتقد أنه المخلوق الوحيد من نوعه فى الكون لتوافر اشتراطات طبيعية عديدة لاءمت وجوده على النحو الذى هو عليه لا يمكن أن تتوافر كاملة على غير هـذه الأرض ، فلا يجوز لنـا أن نجزم باستحالة وجود مخلوقات أخرى على الكواكب لها صفات تختلف عن صفات إنسان هذه الأرض

إنما يجيز المنطق إن لم يحتم على الباحث ألا ينفى وجود كائنات أخرى غيرنا على الكواكب ما دام الكون يشمل ملايين الكواكب السيارة ، وما دام بين هذه الكواكب حتما ما تسمح معه الظروف الطبيعية بإمكان وجود نوع من الحيـاة يشبه حياتنا ، أو نوع آخر من الحياة يختلف عنها ؛ على أن المنطق يدلنا أيضاً أنه لا يجوز لنا أن نعتقد بوجود أوجه شبه شديدة بيننا وبين هذه المخلوقات . وإذا كانت الأحوال الطبيعية الملائمة على سطح الأرض رغم تقاربها لم تكن كافية ليظهر فى نوع الإنسان رجال من شكل واحد ، فما أبلغ الفارق عند ما تختلف الأحوال الطبيعية بين ما فى الأرض وما فى غيرها من الكواكب وبالتالى بين سكان الأرض وغيرنا من الأحياء خارجاً عنها ؟ ، وإذا كان الرجل الجاوى أو الصينى الذى تنسم نسيم جاوه أو الصين يختلف كثيراً عن الرجل المصرى أو العراقى الذى يتنسم نسيم مصر أو العراق ، والذى تذوق ماء النيل أو الفرات ، ويخالف هذا وذاك عن الفرنسى مثلاً ، فما عسى أن يكون الفارق إن تحقق لنا ما يكون عليه مخلوق راق يعيش فى كوكب آخر غير كوكبنا وفى مجموعة شمسية غير مجموعتنا ؟

ونحن فى هذا تسوقنا فكرة الإشعاع إلى تصورات ينبغى التأمل فيها عندما نجيز لأنفسنا التحدث عن مثل هذه المخلوقات (١) التى نعتقد أن وجودها أقرب إلى الحقيقة منه إلى الخيال

* * *

ذكرنا فى مقالاتنا الأخيرة أن الكون زاخر بمختلف الإشعاعات التى لا تراها عين الإنسان ولا تشعر بها حواسه ، وأن الضوء والكهرباء نوع واحد من الإشعاع ، وإننا لا نرى من الأشعة إلا شيئاً طفيفاً إزاء ما لا نراه . ذلك لأننا خلقنا بحيث لا نرى من الكون إلا يسيراً من مكوناته العديدة الممتدة بعيدة عن حواسنا

ولو أن كائناً غير الإنسان تكونت عنده حاسة النظر بطريقة يرى الأشياء بطولها وبعرضها ، ولكن لا يستطيع أن يدرك منها ارتفاعها (هذا النوع من الكائنات يجوز وجوده أو هو موجود فعلاً) ، فإن صور الأشياء تختلف عند هذا الكائن عن صورها عندنا ، فإذا امتد نظره من عل إلى مركبة ترام رأى هذه المركبة مستطيلاً يسير بين خطين يمثلان حدى الطريق الذى تسير فيه ، ورأى « الكمسارى » والسائق دائرتين إحداهما مجاورة لأحد أضلاعه والثانية تتنقل على حافته طوراً تقترب من ضلعه الأعلى وتارة تقترب من ضلعه الأسفل ، ويرى الجمهور دوائر كثيرة

(١) هذا ما سنشرحه فى المقال القادم

متراصة فى صفوف متوازية داخل هذا المستطيل المتنقل

إن هذا الكائن المسكين لا يستطيع أن يرانا على حقيقتنا ، فلا تطاين ً إليه ، وهو لا يرى من مركبة الترام إلا هذا المستطيل المتنقل ، أن يستوعب ما فيها من مادة الخشب أو يذهب فى الفكر إلى أكثر من ذلك فيفهم ما يحمله الخشب من أجهزة الكهرباء أو يفهم خواص أو ماهية هذه الظاهرة

ثمة ثلاثة مراحل فى التطور أمام هذا المخلوق :

الأولى : وهى التى وصل إليها فملاً أن يرى الأشياء بمساقطها فيرى فى المركبات هذه المستطيلات المتحركة

الثانية : أن يدرك هذه المركبات بارتفاعها ويستوعب أيضاً مادتها

الثالثة : وهى أصعب هذه المراحل ، أن يدرك أعجب ما فى تركيبها فيفهم أننا نستخدم فيها ظاهرة عجيبة هى ظاهرة الكهرباء فيعلم بذلك أمراً خافياً خارجاً عن تركيبها الظاهرى ، أمراً يجعل لها شيئاً شبيهاً بالحياة إن صح أن الحركة من أهم مميزات الحياة .

***

نقف الآن عند هذا الحد من المقال ، وما قصدنا من هذه السطور إلا لتكون مقدمة للمقال القادم

إنما نترك للقارئ فرصة يتأمل فيها لماذا اخترنا هذا النوع من المخلوق العجيب الذى لا يرى من مركبات الترام إلا مستطيلات تتنقل فى الطرقات التى يراها خطوطاً ممتدة فى المدينة ، ولا يرى من جمهور الراكبين وهو ينظر إليهم من مستو عال إلى دوائر متراصة فى صفوف متوازية ، ولا يرى من « الكمسارى » إلا دائرة تتنقل على حافة هذا المستطيل

ولم يكن مقالنا اليوم بالموضوع الذى يشق على الفهم ، ويحتاج إلى طرف يسير من المقدمات العلمية ، أفكان لموسيقى « ستراوس » و « ايست » سبب لكى ننحو هذا النحو من التأمل ؟ ربما كان لذلك أثر ؛ ولكن مما لا ريب فيه أننا كنا فى حاجة إلى هذه النغمات نستمع إليها بعد ما تملك النفس من الاضطراب المتوالى فى الأيام الأخيرة ، ولا شك فى أن القارىء كان هو أيضاً فى حاجة إلى هذا النوع من الترفية عن النفس وتسكين الخاطر

وإلى المقال القادم ، فإننا فى حاجة إلى هذا المخلوق العجيب لكى نشرح موضوعاً يلتمع فى الذهن ويجول فى الفكر .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة



أندريه موروا يبحث عن شخصية جديدة

يبحث الكاتب الفرنسي أندريه موروا عن شخصية جديدة على غرار شخصية « كولونيل برامبل » التي ابتدعها أثناء الحرب الماضية وسجلها في كتابه المعروف « صمت الكولونيل برامبل »

ولقد زار موروا أخيراً أحد مراكز التدريب بسلاح الطيران الملكي في انجلترا ، وكان قد دعى لإلقاء خطبة على عدد كبير من طلبة الطيران . فقال : « لا مراء في أن يكون الكولونيل الأول قد ناهز السبعين من عمره ، وأنا اليوم أبحث عن حفيده . وسيكون بحثي عنه هذه المرة في سلاح الطيران الملكي . ولا شبهة عندي في أن الصفات التي جعلت من الشيخ ضابطاً ممتازاً ستجعل من الحفيد ضابطاً ناجحاً . فهل لي أن ألتمس منكم المعونة على العثور عليه ؟ »

والمسيو موروا ملحق بالقيادة البريطانية العامة في فرنسا ، كما كان في الحرب الماضية . وقد بذل جهداً جباراً ليسهل على الفرنسيين فهم الإنجليز وتقديرهم . ونال المسيو موروا وسام (ك . ب . ا) في عام ١٩٣٨ ، وهو يحمل وسام اللجيون دونير كما هو حاصل على درجات الشرف من جامعات اكسفورد ، وادنبرة ، وسانت اندروز

ومن مؤلفاته المعروفة : « آريل — أو حياة الشاعر شيللي » و « دزرائيلي » و « بيرون » و « فولتير » و « الملك ادوارد وعصره » و « ديكنز » و « تاريخ لانجلترا »

المعاهد الأجنبية في مصر

يبلغ عدد المعاهد الأجنبية في مصر ٤٠٠ معهد ، منها ١٨٥ معهداً فرنسياً ، و ٦٤ معهداً إيطالياً ، و ٦٢ معهداً يونانيا ، و ٤٢ معهداً انجليزياً ، و ٣٨ معهداً أمريكياً ، وأربعة معاهد ألمانية ، ومعهدان روسيان ، ومعهدان هولانديان ، ومعهد سويسري وآخر سويدي

ويبلغ عدد المعاهد التي أسست لأغراض دينية ٣٠٧ أي ٧٦ ٪ من مجموعها ، منها ١٦٣ لفرنسا ، و ٤٥ لإيطاليا و ٣٥ لليونان ، و ٢٤ لانجلترا ، و ٣٥ لأمريكا ، ومعهدان لألمانيا ، ومعهدان لهولندا ، ومعهد للسويد

ويبلغ عدد التلاميذ الملحقين بهذه المعاهد ٧٥ر٣٩٢ تلميذاً وتلميذة ، منهم ١٠ر٩١٥ من التلاميذ والتلميذات المسلمين ، و ٦٫٩٣٤ من اليهود ، والباقي من المسيحيين والأقباط

ويبلغ عدد المعاهد التي ليس بها مسلمون ١٠٣ ، وقد لوحظ أن أكثر المدارس الأجنبية غير الدينية ليس بها تلاميذ مسلمون

المعاهد الفرنسية

يبلغ عدد التلاميذ بهذه المعاهد ٣٤ر٥٠٨ منهم ٦٢١٤ من المسلمين أي بنسبة ١٨ ٪ . ويبلغ عدد المعاهد التي بها أقل من ٥٠ تلميذاً ٢٦ ، وأقل من ١٠٠ تلميذ ٦٥ ، وأقل من ٢٠٠ تلميذ ١٢١ ، وأكثر من ٥٠٠ تلميذ ١٣ ، وأكثر من ألف معهداً واحداً

المعاهد الإيطالية

يبلغ عدد التلاميذ بهذه المعاهد ١٢ر٧٦٩ منهم ١٨٠٤ من المسلمين أي بنسبة ١٤ ٪ ، ويبلغ عدد المعاهد التي بها أقل من ٥٠ تلميذاً إثنين ، وأقل من ١٠٠ تلميذ ٢٠ ، وأقل من ٢٠٠ تلميذ ٣٦ ، وأكثر من ٥٠٠ تلميذ معهدين

المعاهد اليونانية

يبلغ عدد التلاميذ بهذه المعاهد ١٢ر٣١٣ منهم ١٦٠ فقط من المسلمين أي بنسبة ١ ٪ ، ويبلغ عدد المعاهد التي بها أقل من ٥٠ تلميذاً ١٦ ، وأقل من ١٠٠ تلميذ ٢٨ ، وأقل من ١٠٠ تلميذ ٤١ ، وأكثر من ٥٠٠ تلميذ ٥ ، وأكثر من ألف معهداً واحداً

المعاهد الإنجليزية

يبلغ عدد التلاميذ بهذه المعاهد ٦٠٩١ منهم ٦٤٥ من المسلمين أي بنسبة ١٥ ٪ ، ويبلغ عدد المعاهد التي بها أقل من ٥٠ تلميذاً ٩ ، وأقل من ١٠٠ تلميذ ٢٢ ، وأقل من ٢٠٠ تلميذ ٣٣ ، وأكثر من ٥٠٠ تلميذ معهداً واحداً

المعاهد الأمريكية

يبلغ عدد التلاميذ بهذه المعاهد ٧٦٩٧ وإن كانت أقل عدداً من المعاهد الإنجليزية منهم ١٦٥٥ من المسلمين أي بنسبة ٢١ ٪ ويبلغ عدد المعاهد التي بها أقل من ٥٠ تلميذاً ٩، وأقل من ١٠٠ تلميذ ١٢، وأقل من ٢٠٠ تلميذ ١٩، وأكثر من ٥٠٠ معهداً واحداً

المعاهد الأخرى

يبلغ عدد التلاميذ بالمعاهد الألمانية ٥١٧ منهم ١٣١ من المسلمين، أي بنسبة ٢٥ ٪، وهذه المعاهد الأربعة موزعة بين القاهرة والأسكندرية وأسوان

ويبلغ عدد التلاميذ بالمعاهد الهولندية ٢٥٠ منهم ١٢٢ من المسلمين، والمعهدان الهولنديان في مديرية القليوبية

ويبلغ عدد التلاميذ بالمعهد السويسري في الأسكندرية ٧٠ تلميذاً منهم ثلاثة من المسلمين

ويبلغ عدد التلاميذ بالمعهد السويدي ٥٩ منهم ٤ من المسلمين وهذا المعهد في مديرية الدقهلية

ويبلغ عدد التلاميذ بالمعهدين الروسيين ١١١٨ تلميذاً منهم ١٧٧ من المسلمين

الى الأستاذ عباس محمود العقاد

عزيزي الأستاذ الزيات

يسرني أن أنقل إليكم ما لمسته في أجواء الأدب، عندنا من ارتياحها إلى مقالكم البليغ الشائق عن (رأى الرافعي في الأستاذين طه والعقاد)، وتشوقها إلى الاستزادة في تسجيل هذه الأحاديث الطريفة التي يتناقلها كبار الأدباء في مجالسهم الودية الخالصة حيث تتجرد النفوس من ملابسات الخصومة، وتبرأ من نزوات الضغينة، وتتخفف من أحقادها الطارئة وبدواتها العارضة ...

وفي الحق أنك كنت ظريفاً لبقاً في حديثك مع الرافعي فقد استطعت — في شيء من مكر الصحفي — أن تستدرج الرجل وتستخرج من فمه — في غفلة من غرائزه النائمة — هذا الحكم السديد الرشيد في أدب الأستاذ العقاد. وهنا أحب أن أوجه سؤالاً إلى الأستاذ الكبير العقاد أظنه يتردد على لسان كل قارئ عربي مثقف

قد رأيت يا سيدي الأستاذ أن الرافعي قد استطاع أن ينسى الماضي بأحقاده وضغائنه فاعترف لصديقه الزيات أن كتابه «على السفود» لم يكن وحياً من الله وإنما كان رجساً من عمل الشيطان. ولم يقف اعترافه عند هذا الحد بل عمد إلى تحليل مذاهبك الأدبية بنزاهة عجيبة

فهل لنا أن نأمل منك أن تحدثنا بفصل تنشره في الرسالة عن رأيك الصحيح الصريح في أدب الأستاذ الرافعي فتنصف هذا الأدب من أن يتهجم عليه أولئك الذين ارتجلوا حرفة الأدب ارتجالاً وانتحلوها انتحالاً ... إن جمهرة القراء عندنا تستشرف نفوسها جميعاً إلى علالة منك تبل بها الصدى؛ وحديثك الصحيح الصريح في أدب الرافعي هي العلالة التي يرتقبونها من زمان بعيد

فهل يتحقق هذا الرجاء؟ وهل تصدق هذه الأمنية؟

إنا لمنتظرون ...

(حمص) عبد القادر جنيدي

رأى الأستاذ الشاعر «أبو شبكة» في ليالي الملاح التائه

هذا شاعر أحبه، وقد زاد حبي له منذ أن أقصى لقب مهنته عن اسمه الشعري، فلعهد خلا كان يدعى «على محمود طه المهندس» فتذمرت من هذا اللقب في معرض حديث لي عن شعراء مصر، وهمست في مسمع الشاعر أن كلمة «مهندس» تنفر أذني الموسيقية بما تنطوي عليه من الخطوط والمنعرجات، وتشبكني بقضبان وحبال لا أطيقها. وكأنه يحبني هو أيضاً ويحترم أذني الموسيقية، فارتفع بين ليلة وضحاها من «على محمود طه المهندس» إلى «على محمود طه»

وعلى محمود طه من أجمل شعراء مصر. فالجمال منروع في جميع قصائده، حتى في «أفراح الوادي» منها. ولكم تمنيت لو أفرغ مجموعته الأخيرة «ليالي الملاح التائه» من قصائد «أفراح الوادي» وأبقى هذه الأخيرة لمجموعة أخرى يوعيها ما يعرض لخاطره من أسباب التهاني والرثاء ...

***

استهل الشاعر مجموعته بـ «أغنية الجندول Gondole» وقد تكون هذه القصيدة أشعر ما في «ليالي الملاح التائه» وأجمل وأطرب، وكفى ... لا أعلم ما بي ... أتراني متبرماً هذه الليلة؟

فتعريف الشاعر لقصيدته الساحرة هذه بأنها « تغريدة الموسيقار الكبير الأستاذ محمد عبد الوهاب » لا يعلي مقامها في نظري . فعبدالوهاب يغرد لمن هب ودب من الشعراء فضلاً عن أنه لا يشرف شاعراً كعلي محمود طه

***

أما أعمق قصائد « ليالي الملاح التائه » فهي ولا شك قصيدة « كأس الخيّام » فقد قدر الشاعر في قصيدته هذه على التسلل إلى خوابي نيسابور فشرب من الخمرة التي أسكرت عمر الخيام ، ورأى في هذه الخمرة ما لم يره الدهماء من الناس :

قصة الزهد التي غنوا لها علّتهم بالسراب الخادع
نشوة الشاعر ما أجلها هي مفتاح الخلود الضائع

لقد سكر من خمرة الشاعر فجاء بشعر روحاني من نسيجه ، وغمرك بجو سري يدرك بالحس إذا أرهف وعمق ، ويحملك - على غير هوى منك - إلى نعيم من الحياة لن تقدر لك متعة فيه إذا لم تكن شاعراً في أعماقك

كأس الخيّام هي الحياة كما يجب أن تكون ، فيها الخمرة الخالدة ، هذه الخمرة التي فقدها الشعراء :

أيها الخالد في الدنيا غراماً أين نيسابور والروض الأنيق
أين معشوقك إبريقاً وجاما
هل حطمت الكأس أم جف الرحيق ؟

وكأني بالشاعر قد فرغ الشعراء من حوله ، يقول لهؤلاء : « الكرمة ما تزال خضراء ، والمرأة ما تزال جميلة ، والطبيعة لم تخل عن عهدها ، فلمَ خثر فيكم الحس وجف الرواء ؟ أتراكم ضللتم طريق الحانة الحبيبة ؟ »

كلما لألأ في الشرق السنا دقت الباب الأكف التاحله
أيها الخمار قم وافتح لنا واسقنا قبل رحيل القافله

لزوال الحياة وأوهامها اللذيذة في هاتين الكلمتين : « رحيل القافلة » ، وقمة في نفسي كتلك « الكوكو » من مطوقة الخيام على طاق كسرى

وقد لا تشيع فيك الكآبة مما في « ليالي الملاح التائه » ، حتى تشيع فيك غمرة من الطرب ، ويلتقي هذا الطرب وتلك الكآبة في مزيج بلطف في نفسك ويخلق حولك جواً يوحي إليك شوقاً وحسرة ، شوقاً إلى متع الحياة ، وحسرة على زوالها

ها هم العشاق قد هبوا إلى الوادي خفافا
أقبلوا كالضوء أطيافاً وأحلاماً لطافا
ملأوا الشاطئ همساً والبساتين هتافا

للصبا والحسن والحب هنا يا حبيبي هذه الدنيا لنا
فاملأ الكأس على شدو المنى واسقنا من خمرة الرين ، اسقنا

أجل ، أيها الشاعر ، إن الدنيا للشعراء ما بقي الحب في قلوبهم

المكشوف الياس أبو شبكه

تصويب

سيدي الأستاذ البليغ أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة :

تحية وسلاماً . وبعد فقد رأيت في العدد (٣٥٤) من مجلتكم الغراء تصويباً جاء في صفحة البريد الأدبي بقلم الفاضل (محيي الدين اسماعيل) من البصرة يصحح فيه قول أستاذنا الطنطاوي : « يستقري رمال الدأماء » الذي جاء في مقاله بالعدد الممتاز . وقد استرعت هذه الكلمة نظري بشكل خاص لأن هذا المعنى المبتكر في الأدب العربي كان قد استوقفني أيضاً حين قراءتي المقال منذ بضعة أسابيع . ولكنني لم أكتب شيئاً لعل الأستاذ يعود فيبين مرماه في هذا التعبير . ولكنه لم يفعل ، والظاهر أنه أدرك أن هذا الأمر بيّن لا يحتاج إلى بيان . فأحببت بعد أن أعود إلى الموضوع — بإذنكم — وأنوّه عنه بكلمتين مخافة أن يخطئ في فهمه بعض القراء كما حدث لصديقنا الأديب البصري

لم يقصد الكاتب الصحراء (بالدأماء)، وإنما كان يعني البحر الحقيقي ، ومن المعلوم أن رمال البحر لا تقل عن رمال الصحراء واستقراؤها أصعب . لذا كان التشبيه بها أبلغ ، ووجودها في القعر لا يمنع ذلك ، ولا أزال أذكر جيداً ذينك المثلين المشهورين في الأدب التركي : « أكثر من رمال البحر » و « في البحر الرمال وعنده الأموال »

(بغداد) فيصل صبيح نشأت

علاج للفتاة المنكوبة

حضرة الأستاذ الفاضل رئيس تحرير مجلة الرسالة الغراء

تحية واحتراماً وبعد ، فقد كتب الأستاذ المويلحي بالرسالة أخيراً يستنجد بأهل المعرفة لفتاة نكبت بلحية كثة للبحث عن علاج لهذه النكبة البدنية ، وفيما يلي ما يعرف عن الموضوع :

المعروف أن هرمون الغدة القشرية فوق الكلى له تأثير كبير فى خلق مميزات الرجولة المتعددة ، وما نكبت به الفتاة وما يحتمل أن يبدو عليها من مظاهر أخرى فى المستقبل يعود إلى نشاط هذه الغدة الزائدة، وهذا النشاط يعلل عادة بوجود أورام فى الغدة تسبب هذا الهياج ، وعلاج الحالة جراحى باستئصال الورم ، ولا تمس الغدة لأن فى استئصالها الموت فى التو واللحظة

وتصاب المرأة فى سن اليأس بشارب خفيف ومرجعه هو ضعف المبيض فى سن اليأس ، وهذه الحالة متدارکة بالعلاج لهرمونات المبيض

ويلاحظ العلامة Binet أن الغدة الدرقية غدة نسائية ، أى أنها تكبر حجما عند النساء عن الرجال ، وقد يكون نشاط الرجل أكثر من المرأة راجع إلى كبر الغدد الأدرينالية (مجموع الغدد فوق الكلى) التى تعتبر غدد النشاط الإنسانى عند الرجال .

كامل يوسف

عضو المعهد الفلدى البريطانى بلندن

حول نقد

حضرة الأستاذ الفاضل صاحب الرسالة :

الأستاذ عزيز فهمى أخطأ فى روايته عن خطبة الأستاذ توفيق دياب خطأ طفيفاً لا يمس لب الموضوع حين ذكر أن خطبة الباقدير كانت فى رثاء سعد ، بينما هى لم تكن إلا لتأييد مرشحى الوفد بالأسكندرية وقد كنت من شهود الحفلة التى وصفها الأستاذ عزيز ، ولا تزال ماثلة فى ذاكرتى وذاكرة كل من حضر تلك الحفلة الانتخابية، وأظن أن الأساتذة: ممدوح بك رياض وعبد الفتاح الطويل وحسن سرور كانوا من شهود هذه الحفلة . . .

« السويس » محمد محمود دراز

آدم

حضرة الأستاذ صاحب الرسالة

تحية ... وبعد فقد قرأت فى العدد ٣٦٠ من الرسالة الغراء مقال (الأسماء تملل) للأستاذ مأمون عبد السلام، وهو فى الحقيقة بحث قيم ودراسة ممتعة تعتبر خلاصة لتاريخ وضع الأسماء ومعانيها . ولقد أقام الكاتب الدليل على أن الأسماء تملل . وبذلك هدم النظرية القائلة بأن (الأسماء لا تملل) غير أنى أعتقد أن الكاتب أخطأ فى علة تسمية (آدم) إذ قال : « . . . فمعنى كلمة (آدم) الرجل لأنه أول رجل خلقه الله » والصواب عندى هو أن (آدم) سمى بهذا الإسم لأنه خلق من أديم الأرض - أى من قديمها - هذا ما أعتقده والسلام على الأستاذ (م . ع)



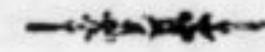


وحى الرســـالة

فصول فى الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

[٤٨٠ ص من قطع الثمن . مطبعة الرسالة ١٩٤٠ . القاهرة الثمن ٢٥ قرشاً]

بقلم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم



وهذا كتاب جديد تظفر به المكتبة العربية فى هذه الأيام . أخرجه للناس الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة . والزيات — كما يعرفه قراء الأدب العربى — من أعلام النهضة الأدبية الحديثة ، ومن قادة البيان الصحيح . اشتغل زمناً بالتعليم ثم انقطع للصحافة الأدبية الخالصة ، فكانت له مجلة « الرسالة » وهى سجل الأدب وديوان العرب اليوم

وقد جمع الزيات بعض مقالاته الافتتاحية التى كتبها فى الرسالة على مدى ثمانية أعوام فى كتاب ، لأنها فى مجموعة أدل على الغرض والفكرة وأعم فائدة منها وهى متناثرة على صفحات الرسالة . ونظراً لأن هذه المقالات من وحى رسالته ، لهذا جاءت تسميتها « بوحى الرسالة »

وهى فصـول متناثرة يتنازعها الأدب الصرف والفكرة الاجتماعية المصلحة والنظرة النقدية الصائبة . وهى كلها بعد ذلك تفيض من أصل أدبى وتاريخى من شخصية الكاتب متخذة لوناً خاصاً . والزيات أديب فنان ، يحسن إبراز الحياة التى فى الأشياء بالفكرة التى تنطوى عليها ، وبالعاطفة التى تحملها فى طياتها ، وبالخيال الذى تحتوى عليه . ومن هنا نجد التنوع فى جمال كتابة الزيات التى تتوازن فيها الفكرة مع العاطفة مع الخيال ، والتى تتناسب كلها مع صناعة فنية بارعة تفرغ كل هذه الأشياء فى صورة أدبية وقالب فنى محكم . والحق أن الزيات هو الأديب العربى الوحيد بين كتاب اللغة العربية اليوم الذى تميزت فى ذهنه مدلولات الألفاظ فعرف دقائقها وأدرك الأسرار العربية المحيطة بها ، ومن هنا تراه يلبس فكرته وإحساسه وخياله اللفظة الخاصة بها ، التى تعطى لونها من لغة الكلام

ويستهل هذا الكتاب بفصل مستفيض عن الجمال ، ترى الكاتب بأسلوب المنشئ البليغ يعرض لماهية الجمال ، ولغلبة الأصل الفنى فى نفس الكاتب نجده يبتعد عن مناقضات الفلاسفة وعلماء الجمال (البديع) asthetique فالجمال عنده يقوم على القوة والوفرة والذكاء ، وينشئ فى الذهن فكرة سامية ، ويبعث فى النفس إحساساً وشعوراً صادقاً ، ويثير الخيال ويحرك التصور . وهو يتبسط فى شرح هذه المبادئ تبسط الأديب الفنان الذى لا يعنيه الأسباب قدر ما يعنيه الكنه والروح ، وينتهى من بحثه إلى نتائج مهما نازعته فى أمرها ، فلا يمكنك أن تنكر عليه بعد ذلك صفة العمق فى الفكرة والدقة فى التصوير والصدق فى التعبير . ثم هنالك فصل عن الرافعى يعتبر من خير الفصول الأدبية التى كشفت عن عبقرية هذا الأديب الذى لا نشك لحظة فى أنه سيخلد ما بقيت العربية وبقى إنسان يعرفها . وفى هذا الفصل يبين الزيات خصائص أدب الرافعى فى قصد واعتدال ، فالفكرة مبسوطة بقدر ، والتعبير نازل تماماً على قدر المعنى

والحقيقة أن الزيات قد خلف فى مدرسة البيان العربى المرحوم الرافعى ، وهما على ما بينهما من اختلاف فى الطبع وتباين فى المزاج وتفاوت فى الثقافة إلا أن قوة الفن وحركة الذهن تجمعهما . وإن كان ذهن الزيات يختلف عن ذهن صاحبه من جهة الصفاء وعدم انقطاع الصلة بينه وبين عقل الناس . فمانيه مفهومة وهى ذات أصل دقيق من الفكر . وفكر الزيات ملتقى العقلين العربى والغربى ، العربى فى جلالته وروعته ، والغربى فى عظمته وترتيبه وانتظامه ودقته

* * *

وجملة القول أن هذا الكتاب من خير الكتب التى تمسك على الناشئة أسلوبهم وتميل بتعبيرهم إلى البيان الصحيح ، ومن هنا كان جديراً بالتقدير ، إذ يقف أمام عوامل العجمة والتضعضع الطاغية على أقلام الناشئين من كتاب اليوم

« أدهم »

وجيدة

قصة للأستاذ شعبان فهمي

[٢٧٦ صفحة من القطع الصغير . مطبعة صلاح الدين . الاسكندرية ١٩٤٠ . الثمن ٨ قروش مصرية]

بقلم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم

وهذه قصة جديدة هي باكورة آثار الأستاذ شعبان فهمي ، وهو أديب مصري شاب . أقام بفرنسا فترة من الزمن ، فاتصلت به الأسباب بالجهود الفنية القصصية الكبرى هناك ، فكان من ذلك أن اتجهت قابلياته الأدبية اتجاهاً قصصياً . تظهر فيها له من براعة في السرد وحبك الحوادث ، وهذه القصة على الرغم مما فيها من العيوب الفنية تعتبر النموذج الأول للقصة المصرية الواقعية ، وهي في الوقت نفسه باكورة طيبة للارتفاع بشأن القصة الطويلة في مصر . وهي على الرغم مما فيها قوية في روحها ، تمتاز بانفراج عنصر الحياة التي فيها واتساعها ، ولكن الحشد الكثير للوقائع والتفاصيل ، ثم الاقتصاد في الوصف والتحليل للوقائع الرئيسية وللمواقف المهمة ، ألقى على جوّها شيئاً من الضعف والفكرة التي تمسك على هذه القصة أسبابها متوافقة الأجزاء ، فيها تناظر وانسجام . فهذا منير حمدي شاب مصري يستقبل الأسكندرية بعد غيبة سنتين في فرنسا يدرس فيها الحقوق فلا ترى وصفاً للمشهد العام للأسكندرية من البحر ولا تحليلاً مسهباً للمشاعر التي استولت على نفس الشاب، وإنما تجد الكاتب يطوي الموقف بسرعة معتنياً بوصف تفاصيل لم تكن لازمة ليدنيك أخيراً من خاتمة المشهد المؤلم ، وهو لقاء منير حمدي لوالده بعد غيبته ، وهو على سرير الاحتضار ، ويصبح الفتى بعد وفاة والده موضع العناية والرعاية من عمه الذي يحب أن يظهر له عنايته ورعايته بأن يشجعه على المضي في دراسته حتى يستطيع أن يتزوج ابنته سنية، ويعلن منير الخبر لبعض معارفه ، فتنتهي إلى سمع سنية التي تثور لأنه لم يحدث أن أخذ رأيها في مسألة زواجها منه . غير أنها تظهر بعد ذلك تحفظاً واقتصاداً معه ، والفتى في تقلب من الحال تتنازعه إغراء الفتيات وقلبه متفتح لإغرائهن وفي يوم ومنير بصحبة «سنية» ابنة عمه في مرقص ، يحدث أن يتوعك مزاجها وتصاب بدوار ؛ فيخرج مندفعاً ليجلب لها قرص « اسبرين » من صيدلية قريبة ، ولكنه لا يحس بنفسه إلا وهو في مفترق الطرق حيث سيارات تمر وعربات تجرى وترام قادم ، فيجرى ويغيب على الدنيا ، ويصحو ليجد نفسه في المستشفى وسنية إلى جواره . ويشعر بألم في طرف قدمه اليمنى فيلقى نظرة فلا يجد سوى قدم واحدة ، أما الأخرى فقد بترت . وتتغير العلاقة بين سنية ومنير ، فسنية ترى أنها مسؤولة عما أصاب ابن عمها منير، ويزيح منها إحساس العطف والحدب كبرياءها فتنكشف لها ما تكنه له من حب في أعماقها . غير أن منير يحمل هذا الحب على شفقتها عليه فلا يشجعها في حبها له ويميل عنها ، وإن كان في صميمه يميل إليها . وهكذا يتغير الموقف في القصة . وفي هذا التغيير الذي أحدثه الكاتب ما يدل على براعة فنية غير أن منير تحت تأثير كبريائه يحاول أن ينسى سنية . وينساها بالانغمار في شخصية وجيدة التي تحدب عليه وتعطف . ويسافر منير مع وجيدة إلى باريس ليكمل علومه ، وهنا يعقد عليها زواجه تحت تأثير ثورة من ثورات كبريائه أمام حب سنية له التي كتبت إليه تشكو تباريح غرامها له . والقصة في جزئها الأخير تفقد اتزانها وتناظرها الفكري ، إذ تزيح وجيدة شخصية سنية من جو القصة وتحتلها ؛ ولو كان الكاتب اتخذ من وجيدة شخصية عارضة تجيء لتحدث التوازن بين منير وسنية ، حيث ينزاح عن منير كبرياؤه وعن سنية شعورها بالمسؤولية فيما أصابه، ويبدو حبهما لبعض خالصاً ، فإن القصة كانت تتخذ وصفاً أدق للكمال ؛ ومن هذا يمكن اعتبار استهلال القصة أبرع ما فيها من جهة الفكرة المنسقة المسيطرة عليها

وفي القصة مفارقات عجيبة ، فبينما نجد أن شخصيتي منير وسنية متميزتان ، نجد شخصية وجيدة عادية ، رغم ما حاول الكاتب أن يبسطه عليها من الإبهام . وهي برغم عادية شخصيتها ترتبط بشخص منير المتميز الذي ينفصل عن شخصية سنية المتميزة. ولا شك أن هذه المفارقة نتيجة ميل المؤلف مع الفكرة الرومانتيكية حيث الخروج على القواعد الكلاسيكية في القصة . كما وأنه من اللاحظ على شخصية منير اضطرابها وضعفها ، فهو لا يقدر على إثارة حب المرأة له إلا عن طريق إثارة شفقتها عليه ، وهو في الوقت نفسه ثائر لكبريائه ، وفي هذا الاضطراب تقوم شخصيته التي تخلق أعمال القصة بالتداخل مع الشخوص التي تقابله . غير أن الكاتب تمكن من إيجاد الموازنة بين شخصية منير وشخصية



قصـــــة أم

للكاتب الدانمركى « أندرسن »

« عالج أندرسن القصة الرمزية فبرع بها إلى حد بعيد . وقد لاقت أقاصيصه ومؤلفاته أنصاراً ومعجبين لا يكاد يحصيهم العد ، وترجمت مؤلفاته إلى كثير من اللغات ، فتناقلتها الأيدى وانكب عليها الأدباء والمتأدبون يقرأونها ويدرسونها ، وما يزدادون بها – على كر الأيام ومر الليالى – إلا إعجاباً وافتتاناً .

و « قصة أم » من أحسن أقاصيصه وأكثرها روعة وجمالا ؛ تصور عاطفة الأم المتوقدة ، وحنانها المشبوب ، وحبها الذى لا يدانيه حب . »

كانت الأم جالسة إلى جانب ابنها الطفل متجهمة الوجه مقطبة الأسارير ، يبدو على محياها الحزن بأجلى معانيه وأوضح صوره

لقد كانت تهاب الردى أن يمد إليه يمينه فينتزعه من بين أحضانها . أما وجه الطفل الصغير ، فقد كان شديد الشحوب كثير الاصفرار ، وعيناه الصغيرتان كانتا مغلقتين بهدوء ودعة ، كان يتنفس ولكن بجهد وعناء ؛ وقد يتنفس ملء رئتيه ويبعث مع أنفاسه أصواتاً غريبة ، حتى ليخال الناظر إليه أنه ينتحب بحسرة وألم . غير أن مرأى الأم الحزينة كان يدعو للشفقة والرحمة أكثر مما يدعو لذلك منظر الطفل المحتضر

ها هو الباب يطرق ... ثم يدخل منه رجل فى خريف حياته يرتدى معطفاً من جلد الفرس الكثير الدفء ، وحق له أن يرتدى مثل هذا المعطف ؛ فإن الفصل فصل شتاء ، والبرد برد قارس . وفى خارج المنزل كانت الثلوج تجلل كل شىء ، والجليد يحجب عن الأنظار كل موطئ ، والرياح الهوج تزفر وتئن ، حتى لكأنها توشك أن تمزق الوجوه

كان الزائر المسكين يرتمش من البرد ويرتجف ، وبما أن الطفل قد أغمض جفنيه ليغفى بضع دقائق ، فقد ارتأت الأم أن تضع للعجوز إبريقاً من الجعة صغيراً ليدفىء به جسمه ، ويطرد البرد من كيانه ؛ فلما قامت الأم إلى ذلك دنا العجوز من سرير الطفل وأخذ يهزه برفق ... وعادت الأم بعد حين ، فتناولت كرسياً مفكك الأجزاء مضطرب القوائم ، ودنت به من مكان العجوز . وأمسكت يد الطفل الصغيرة بين راحتيها وأخذت تتأمله بحب وتحنان ، بينما كان الطفل المريض يتنفس بجهد أكثر وعناء أشد

وجيدة بتداخل سنية بخطاب ترسله إلى منير تنبه حبها له . فتثور كبرياؤه ويرضى بالزواج من وجيدة . وفى ظله ما يجد راحته النفسية حيث حاجته للمرأة ، لم تكن لزوجته فحسب ، تشغل منه مكان النصف المكمل ، بل كانت حاجته للمرأة كزوجة وأم تشغل منه مركز الأنثى من الرجل ، لا مركز الأم من وليدها حيث تحدب عليه . ووجيدة بشخصيتها فيها ما يشبع هذه النواحى من نفس الفتى ، وفى هذا سر تغلب دورها فى القصة على دور سنية

أما المميزات الفنية فى القصة فتظهر فى قوة السرد ، وسرعة الحركة ، والحشد للحوادث والوقائع ، وهذا يعطى القصة ما فيها من حياة ، غير أنها حياة عادية لا تميز فيها – وشرط من شروط القصص التميز – ولعل البساطة فى حياتها تعود إلى أن الكاتب يأخذ الأمور بالهوادة والملاينة ، ويتبسط مع الحوادث برفق وبطء ، مقيداً بالواقع المبذول للحس . ومن هنا فقصته نموذج طيب لما تكون عليه القصة المصرية الأصيلة . وهى من هنا تحمل أذهاننا إلى جو أقاصيص محمود تيمور . هذا والكاتب على جانب من الاقتدار فى رسم شخوص قصة من حركاتها وسكناتها . وهو يكتفى بتعريف الشخص بمميزاته الداخلية دون أن يحاول تكملتها بتكوينه الخارجى . وهذا يرجع لضعف الأصل التصويرى عنده . وهو بدوره عائد لبساطة الخيال

والبساطة والسهولة هى أبرز ما يميز أسلوب القصة ، وإن كان للكاتب بعد ذلك قدرة على مسك أجزاء القصة وربطها ببعض وسلسلة حوادثها بحيث يتوالد بعضها من البعض ، غير أنها قدرة لا تتعدى محاكاة الواقع . ولعل هذا نقطة من نقط الضعف فيها إذا أردنا البروز والتميز القصصى ، وسبب من أسباب نجاحها إذا وقفنا عند حد الواقع واعتبرنا القصة محاكاة للواقع المبذول للحس . وهنا موضع الافتراق فى النظر لهذه القصة من ناحية فنيتها ... ويستحسن أن يتلو القارئ فصلاً قيماً كتبه الناقد الأديب صديق شيبوب (البصير ١٩ أبريل سنة ١٩٤٠) ، فهو فصل انتقادى جدير بالعناية ، وهو يكمل ما جاء فى كلامنا عن هذه القصة من آراء ومطالعات .

(أدهم)

والتفتت الأم على حين بغتة إلى الرجل العجوز وقالت له تحدثه :

— ألا تعتقد أنه سينجو وأفوز به ؟ ... إن الله رؤوف بعباده وهو لن يفجعنى فيه أبداً ... أليس كذلك ؟ ...

أما العجوز « المسكين ! » فقد كان ملاك الموت نفسه . وقد هز رأسه هزة واحدة كان فيها جواب النفى أو الإيجاب

وأحنت الأم رأسها ونظرت إلى الأرض بعينين أفعمهما الدمع السخين ، وسالت العبرات منهما على الوجنتين

وشعرت فجأة بثقل فى رأسها ، ونعاس فى جفنيها . لقد طوت ثلاث ليال كاملات لم تذق خلالها للكرى طعماً . وهنا أخذ النعاس يداعب جفنيها ، فأغفت دقيقة واحدة فحسب ... ثم استيقظت وهى ترتجف من البرد وترتعش . وألقت حولها نظرات حائرة ، وصاحت بخوف وذعر :

— ما هذا ؟ ...

لقد ذهب الرجل ... والطفل الصغير لم يكن فى سريره ... إذاً لقد اختطفه العجوز ومضى به

وفى أحد أركان الغرفة كانت الساعة التى أكل الدهر عليها وشرب ، تحدث أصواتاً متمازجة مختلطة ؛ وكانت تروسها تصر وتزمجر ، وسقط على حين غرة رقاصها الرصاصى الثقيل ، ثم هدأت كل حركة ، ولم يعد يسمع أى صوت ...

لقد وقفت الساعة عن الدوران

وخرجت الأم المسكينة إلى الطريق تنشد طفلها العزيز وتناديه وهناك بين الثلوج كانت تجلس امرأة عجوز ترتدى الثياب السود الطويلة ؛ فما إن رأت المرأة الأم حتى هتفت بها :

— إن ملاك الموت قد دخل دارك ، ولقد رأيته خارجاً منها وهو يحمل ابنك الطفل ، لقد ذهب بسرعة البرق وهو لا يعيد قط ما سلبه

فقالت لها الأم بتوسل وتضرع :

— ولكن أخبرينى بربك من أين ذهب ، وإلى أية ناحية اتجه . أتوسل إليك أن تخبرينى بذلك ، وسألحقن به وأجده

فأجابتها ذات الثياب السود :

— إننى أعرف الطريق التى سلكها ، ولكن قبل أن أرشدك إليها أريد أن تنشدينى كل الأغانى التى كنت تنشدينها ابنك الطفل . إننى أحبها كثيراً ، وأحب صوتك العذب أيضاً . إننى أنا « الليل » ولطالما سمعتك وأنت تنشدين ، ورأيت عبراتك تفيض على وجنتيك وأنت تغنين

— سأنشدك إياها بأجمعها ، ولكن فى غير هذا الوقت ، فلا تعيقينى الآن عن اللحاق بولدى والفوز به

فاعتصم « الليل » إزاء هذا الجواب بالسكوت ولم يحر جواباً . الوت الأم حينذاك يديها وأخذت تذرف الدمع السخين . ثم شرعت تنشد أغانيها الواحدة تلو الأخرى . إن أغانيها كثيرة ، ولكن الدموع التى ذرفتها كانت أكثر من عدد الأغانى كلها

وعند ما نفدت الأغانى وانتهت الأم من الإنشاد ، رفع « الليل » رأسه إليها وقال :

— إذهبى يميناً فى غابة الصنوبر المظلمة ، فمن هنا لاذ « الموت » بالفرار ومعه ابنك العزيز

فأسرعت الأم إلى الغابة وصارت تغذ الخطا فيها ؛ وما كادت تنتصفها حتى تشعب الطريق فلم تدر أى سبيل تسلك . ونظرت حولها فوجدت عوسجاً من الشوك ، ذهب برد الشتاء وجليده بأزاهيره وأوراقه ، وجعل أغصانه تتدلى فى الهواء وحدها . فدنت منه وقالت :

— ألم تر الموت حاملاً ولدى ؟

فأجابها العوسج بقوله :

— أجل لقد رأيته ، ولكنى لن أرشدك إلى الطريق التى سلكها إلا بشرط . ذلك أن تدنينى — أولاً — من صدرك كى أصيب بعض الدفء لأنى أوشك أن أجمد وأفنى من شدة البرد ، أكاد أصبح قطعة من جليد

وأدنت العوسج منها ، وضغطته على صدرها لتنيله مبتغاه من الدفء ، وتذيب عنه الجليد المتجمد بحر صدرها ، فنفذ الشوك إلى لحمها ، وسال الدم القانى من صدرها بغزارة ، ونزف منها بكثرة ؛ فنبت للعوسج أوراق طرية خضر ، وجللت الأزاهير الناضرة عروقه وفروعه فى تلك الليلة الشديدة البرودة من فصل الشتاء ...

ولكم فى صدور الأمهات الحزانى من نار تستعر ولهيب يتأجج ثم أرشدها العوسج إلى الطريق التى يجب أن تسلكها ...

ووصلت بعد حين إلى شاطئ بحيرة لا سفينة فيها ولا قارب ، ولم تكن البحيرة من التجمد بحيث يسهل المرور عليها دون أن يغوص فيها المرء أو يتكسر جليدها ، كما أنها كانت شديدة العمق ؛ فلم يكن من الممكن أن تقطعها الأم خوضاً . وكان لا بد لها من أن تصل إلى الضفة المقابلة إن كانت راغبة في الحصول على ابنها

وثار الحب في صدرها والحنين ؛ فارتمت على الأرض لترى إذا كان في مقدورها أن تبتلع ماء البحيرة كله ! ... فكان هذا ضرباً من التفكير العقيم ؛ ولكنها فكرت في أن الله رحمة منه وشفقة لا بد من أن يحدث لها معجزة تمكنها من اجتياز البحيرة . فقالت لها البحيرة حينذاك :

— ولكن لا ... إن هذا لن يكون أبداً ... كوني أكثر عقلاً وأبعد نظراً ، وفكري فيما إذا كان في الإمكان أن نتراضى ونتفق . إصغي إلى ما سأقول :

أحب أن يكون في أعماق جواهر ولآلئ ، وعيناك هاتان لهما بريق وضياء وسحر وبهاء أكثر من الدر الكريم نفسه الذي لم أملكه قط في ماضيات أيامي ، فإن شئت فاذرفي الدمع سخيناً وأكثري من البكاء كثيراً ، فإذا ما فعلت فإن عينيك ستخرجان من محجريهما ، وحينذاك أقودك إلى ملجأ النبات الكبير[1] على شاطئي الآخر ، وملجأ النبات هذا هو مقر الموت أيضاً ... الموت الذي يحصد الأزهار والأشجار ، وكل زهرة أو شجرة فيه هي رمز لحياة إنسان

فأجابتها الأم بحرقة والتياع :

— أفلا أجود بهما في سبيل استرداد ولدي ؟

من كان يحسب أنه مازال في مآقيها دموع ؟ ولكنها ذرفت الدمع السخين بحرقة والتياع لم تعرفهما قبلاً وخرجت عيناها من محجريهما ، وذهبتا إلى البحيرة حيث استقرتا في قاعها ؛ وانقلبتا إلى لؤلؤتين غاليتين لم تحز قط مثلهما ملكة من الملكات

ورفعتها البحيرة حينذاك ، كما لو كانت في أرجوحة ، وبحركة موجة واحدة نقلتها إلى شاطئها المقابل حيث يقوم هناك بناء كبير فخم ، يجاوز طوله مساحة فرسخ كامل . ولم يكن ليقدر على تمييزه من بعد أحد : أهو جبل بمغاوره وغاباته أم هو بناء للفن والجمال ؟

غير أن الأم المسكينة لم تستطع أن ترى مما حولها شيئاً ، لأنها جادت بعينيها في سبيل ولدها

وهنا علا صوت الأم وقالت بيأس شديد وألم مرير :

— ولكن كيف أعرف الآن الموت الذي انتزع مني ولدي واختطفه من بين يدي ؟

فأجابتها امرأة عجوز كانت تتمشى هناك جيئة وذهوباً ، وتحرس الملجأ وترعى الأزاهير والأشجار :

— إن الموت لم يأت بعد ... ولكن كيف وصلتِ هذا المكان ؟ وأي طريق سلكت ؟ بل من الذي أعانك على الوصول إلى هنا ؟

— إن الله عز شأنه هو الذي أغاثني وأعانني على ذلك ... إنه رؤوف رحيم . وأنت أيتها العجوز سترأفين بي وتشفقين علي . أخبريني أين أستطيع أن أجد مهجة نفسي وفلذة كبدي الغالية ؟

فقالت العجوز :

— ولكن لا أعرف ابنك ، وأنت — كما أرى — كفيفة البصر . وقد ذبل في هذه الليلة كثير من الأزهار والأشجار والنبات ؛ وسيأتي الموت بعد قليل كي يقتلعها من الملجأ . وأنت تعلمين دون ريب أن لكل كائن بشري في العالم شجرة أو زهرة في هذا المكان تمثل حياته وصفاته ، وهي تموت عندما تحين منيته والمرء حين ينظر إلى هذه النباتات يحسبها من النباتات العادية التي لا قيمة لها ولا شأن يذكر . ولكن عندما يلمس إحداها يشعر للحال بوجيب قلب وخفقات فؤاد ...

تعالي معي إلى الملجأ وجسي تلك الأزهار والنباتات ، فلعلك تهتدين إلى خفقات قلب ولدك . . . وماذا تعطينني إذا أرشدتك إلى ما يجب عليك صنعه أيضاً ؟ ...

فأجابتها الأم المسكينة بحزن وألم :

— لم يعد لدي شيء أمنحك إياه ، ولكني سأبحث لك عن شيء يدخل إلى نفسك الغبطة والسرور ؛ ولو كان ذلك من أقصى الأرض

ولكني لست بحاجة إلى شيء من خارج هذا المكان . أعطيني

(١) La serre هو مكان من الزجاج كله أو بعضه ، وهو مخصص لإيواء بعض النباتات التي لا تستطيع مقاومة البرد في فصل الشتاء

شعرك الطويل الأثيث؛ وأنت تعلمين دون ريب أنه جميل ساحر. إنه يعجبنى كثيراً وسأستبدله بشعرى الأشيب

فقالت لها الأم :

— أما ترومين شيئاً غير هذا ؟ إنه لأمر سهل ! هاك ... إننى أمنحك إياه بملء إرادتى ، وكامل رغبتى

ثم اقتلعت شعورها الجميلة — التى كانت زينة شبابها النضر وصباها الناضر — واستبدلتها بشعر العجوز ، وهو قصير شديد القصر ، أبيض ناصع البياض

واقتادتها العجوز من يدها ... ثم دخلتا إلى اللجأ الكبير ، حيث كانت أجمل النباتات وأكثرها نضارة ، تنمو بشكل باقات متراصة . وكان يرى تحت أجراس بلورية أجمل أزهار السوسن وألطفها ، وإلى جانبها أزهار الفاويا[1] المنتفخة . وكان يوجد أيضاً نباتات مائية شديدة النضار ، وأخرى ذابلة أو شبه ذابلة ، وكانت جذورها محاطة بالأفاعى الرقط . وغير بعيد كانت أشجار النخيل الباسقة قائمة هناك ، وإلى جانبها أشجار السنديان والدلب . وفى مكان آخر كانت تنزوى حديقة البقدونس والسعتر وبقية البقول الأخرى ، التى هى رمز العنصر النافع للحياة . وكان يوجد عدا ذلك شجيرات ولكنها كبيرة وضعت فى أوان ضيقة ، وهى تبدو فى أوانيها هذه وكأنها على وشك الانفجار . وكان يرى أيضاً زهيرات صغيرة رديئة فى بعض الأوانى الصينية تحيط بها أزهار البابونج ، وقد اعتنى بها كل الاعتناء . كل هذا كان يمثل حياة البشر الذين ما زالوا حتى الساعة أحياء يرزقون ، يقطنون الكرة الأرضية من بلاد الصين إلى جزيرة غرونلاندا[2]

وأرادت العجوز أن تشرح لها كل هاتيك النظم والترتيبات الخفية ، غير أن الأم رفضت ذلك وأبت أن تصغى إلى مقالتها ، وطلبت من العجوز أن تقودها إلى كل نبت صغير طرى العود . وأخذت الوالدة المسكينة تشم كل واحد من هذه النباتات بأنفها وتجسه بيدها ، لتحس نبضات قلبه وخفقات فؤاده . وبعد أن جست المئات والآلاف ، تمكنت من معرفة دقات قلب ولدها ، وما أن عرفتها حتى صاحت بفرح وابتهاج :

— « إنه هو ... »

ومدت يدها إلى نبت صغير تهدلت أوراقه ، وبدا عليه الذبول بأجلى معانيه وأوضح صوره فصاحت بها العجوز قائلة :

— حذار أن تلمسيه ، وابقى هنا إلى أن يؤوب الموت — ولن يطول غيابه — وامنعيه من أن يقطف هذا النبت ، وهدديه باقتلاع جميع الأزهار المحيطة به إن هو فعل ذلك ، وسيخشاك ويرهب جانبك ، لأنه مسؤول عنها أمام الخالق العظيم ، ولا يجوز لنبت ما أن ينزع من مكانه قبل أن يأمره الله بذلك

وفى هذه اللحظة هبت ريح عاصفة شديدة البرودة ، فتنبأت الأم بأن الموت يدنو ويقترب

ووصل الموت بعد يسير من الوقت ، فلما رأى الأم نظر إليها شزراً وقال لها بغيظ :

— كيف تمكنت من الوصول إلى هنا ، ومن أرشدك إلى الطريق ؟ وسبقتنى أيضاً ؟ ماذا صنعت ؟ وكيف وصلت ؟

واكتفت الأم المسكينة بهذا الجواب المقتضب :

— « إننى أم ... »

ومد الموت يده الطويلة العقفاء إلى النبت الصغير ؛ ولكن الأم أحاطته بيديها ، وضغطتهما فى حرص شديد واعتناء زائد حذراً من أن ترضه أو تلحق ببعض أجزائه الدقيقة أذى . فنفخ الموت حينئذ على يدى الوالدة المسكينة فشعرت بهما تسقطان خائرتين . وكانت نفخة الموت هذه أشد برودة من رياح أكثر فصول الشتاء برداً وزمهريراً

وقال لها الموت :

— إنك لا تستطيعين مما كستى فى شىء

— ولكن الله تعالى أقوى منك وأشد بأساً

— أجل . وأنا لا أفعل إلا ما يأمرنى به ... إننى مزارعه ! إن هذه النباتات والأشجار والشجيرات عندما لا تجد سعادتها وهناءها فى هذا المكان أقتلعها لأغرسها من جديد فى حدائق أجمل وأروع ، وجنة الخلد الكبيرة إحدى هذه الحدائق ، إنها أمكنة مجهولة ولا أستطيع أن أخبرك بما يجرى هناك

وعادت الأم فصاحت من قلب جريح ونفس مكلومة :

— الرحمة ! الشفقة ! ... لا تقتلع غصن ولدى بعد أن وجدته

(١) نبات جميل ، ذو أزاهير مختلفة الأشكال ، متباينة الألوان

(٢) Grœland جزيرة كبيرة تقع فى شمالى أميركا يبلغ عدد سكانها ستة عشر ألف نسمة ، ومساحتها تسعون ألف كيلو متراً مربعاً

وأخذت تتوسل وتتضرع ، وتنتحب وتتحسر ، غير أن الموت لم يصغ إلى بكائها ونحيبها ولم يُعر صنيعها اهتمامه أو انتباهه . وقبضت الأم حينذاك على زهرتين ناضرتين والتفتت إلى الموت وقالت له مهددة :

— أنظر ... إنني سأقطفهما مع جميع الأزهار التي تحيط بهما وسأتلفها كلها . إنك تدفع بي إلى اليأس المرير

فصاح بها الموت :

— لا تجذبيهما ! ... لا تتلفيهما ! ... تزعمين أنك تعيسة شقية وفي نفسك رغبة في سحق قلب والدة أخرى ؟ ...

— قلب والدة أخرى ؟

قالت المسكينة هذا وخلّت الأزهار من يدها حالاً

فقال لها الموت حينذاك :

— خذي عينيك ، إنهما تبرقان وتلمعان بصفاء ووداعة أكثر من الوقت الذي أخرجتهما فيه من البحيرة . لم أكن أعرف أنهما تخصانك . خذيهما وانظري بهما إلى أعماق هذه البئر ، فستريك ما كدتِ أن تهدميه فيما لو اقتلعت هذه الأزاهير ، وسترين في انعكاسات الماء الحظ المقسوم لكل من هاتين الزهرتين يمر أمامك كالسراب ، وستريك أيضاً الحظ المقسوم لابنك فيما لو كتبت له الحياة

وانحنت الأم على البئر فرأت صوراً من السعادة الضاحكة وألواحاً من البشر والسرور . ثم مرت بعد ذلك مشاهد مخيفة من البؤس والحزن والكآبة . وقال الموت معلقاً على ذلك :

— هذا وذاك كله من صنع الله ومشيئته

فأجابت الأم بحزن وغم :

— ولكني لم أتمكن من تمييز ما كان مقدراً لولدي ...

فقال لها الموت :

— لن أخبرك بشيء من ذلك ؛ غير أني سأعيد مشهده أمام ناظريك ثانية بين جميع الصور والألواح التي مرت أمامك الآن ؛ وقد رأيت دون ريب ما كان ينتظر ابنك في الدنيا

فجثت على ركبتيها وهي مضطربة حيرى ، وأخذت تصيح :

— أتوسل إليك ... قل لي أكان هذا الحظ المخيف مقدراً له ؟ ولكن لا ... أليس كذلك ؟ تكلم ... ألا تريد أن تجيب ؟ آه ... وقطعاً للشك خذه ... كي لا يعرض نفسه للخطر ، وكي لا يجابه مصائب وكوارث كالتي رأيت . إنني أكن من الحب لهذا الطفل العزيز — البريء من كل جرم ، والبعيد عن كل إثم — أكثر مما أكن لنفسي . خذه ... وليبق الحزن والأسى لي وحدي . إذهب به إلى عالم السماء والخلود . . . وانس الدموع الغزار التي سكبتها ، والتضرعات الحارة التي توجهت بها إليك ... إنس كل ما بدر مني من صنيع أو قول

فقال لها الموت :

— ولكني لا أفهم مبتغاك ! ... أتريدين استرداد ولدك ؟ أم تريدين أن آخذه إلى المكان المجهول الذي لا أستطيع أن أحدثك عنه ؟

فجثت الأم حينذاك على ركبتيها ورفعت يديها ، وجأرت إلى الله بدعائها :

— « رباه ! لا تصغ إليّ إذا التمست في أعماق نفسي ما يخالف إرادتك وينافي مشيئتك اللتين هما من أجل صالحنا ونفعنا أبداً . لا تصغ إليّ ولا تستجب مني يا رباه ... »

وسقط رأسها بهدوء وبطء على صدرها ، وغرقت في لجة من الحزن العميق والغم الشديد

ودنا الموت من النبت الجميل الصغير واقتلعه ... وذهب به إلى الحديقة المجهولة ليغرسه فيها ...

ترجمة

(دمشق) عبد الغني العطري

كراسي أحد غالبي الملاريا

M. Arab. 146

٤ أيار سنة ١٩٢٥

فيرميشينو القرية الصغيرة قرب روما في حزن كبير . في حين أن الحياة تظهر في كل مكان مع مجيء الربيع فان هذه القرية غمرها الأسف لموت شيخ خصص السنوات السبع الأخيرة من حياته المملوءة عملا كي يضمن رفاهيتها وهذا العالم اسمه جيوفاني باتستا كراسي فمن ١٩١٨ إلى ١٩٢٥ توصل إلى تقليل عدد إصابات الملاريا من ٥٨ في المائة إلى ٢ في المائة .

لقد كان كراسي أحد مشاهير الأطباء الذين تستطيع إيطاليا أن تفتخر بهم . فقد كرس نفسه على الأخص لدرس مقاومة الملاريا فالفضل يرجع إلى رونالد روس وإليه في اكتشاف أن عدوى هذا المرض تنتقل بواسطة البعوض من نوع أنوفيل . لكن هذا غير كاف فإلى جانب أعمال كراسي اللامعة لا يمكننا اغفال ذكر عمل لجنة الملاريا لجمعية الأمم التي تصف السكينا كدواء فعال وهو في نفس الوقت واق وشاف ضد هذا المرض كما أنه لا ضرر منه ، فحسب رأي هذه اللجنة يجب أخذ ٤٠٠ ملليجرام من السكينا يوميا طول مدة موسم الحيات لتجنب العدوى ويكفي جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتيجرام كل يوم مدة خمسة أو سبعة أيام لشفاء شخص مصاب ، ولا لزوم لمعالجة تكميلية وفي حالة الانتكاس يطبقون الطريقة نفسها وهي ناجحة .

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين }



8me Année No. 362

Lundi - 10 - 6 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٦٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٠ يونيه سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

من مزايا عصر السرعة !

الحرب بين أمس واليوم

يقول الأغرار من الناس إن السرعة الخاطفة عبقرية هذا العصر ومزيته . فمن لم يجر مرّ على ظهره المتأخر وغبّر فى وجهه المتقدم . وواجب السرعة أن تعمل ولا تستريح ، وتفكر ولا تتأمل ، وتأكل ولا تتذوق ، وتنام ولا تحلم ، وتموت ولا تمرض . ونحن نقول لهم إن السرعة ليست عبقرية ولا مزية ؛ وإنما هى مس من الجنون أصاب العالم منذ اخترعت الآلة . ذلك أن الآلة مخلوق أرضى جهزه العلم بعشرات الأعضاء ليس بينها اللسان ولا القلب ولا العقل ولا الروح ، فهى تلد ولا ترأم ما تلد ، وتعمل ولا تضمن ما تعمل ؛ وهى تكون للشر كما تكون للخير ، وتنتج للموت كما تنتج للحياة . وطبيعة الآلة سرعة الحركة ووفرة الإنتاج ؛ فلم تكد تسيطر على مجارى العمل فى أقطار الأرض حتى دفعت العالم دفعاً عنيفاً إلى الاهتلاك والاستهلاك والتسابق والتنافس والاصطراع والكدح ، فهو دأب لا يفتر ، ونصب لا يستروح ، ونهم لا يشبع ، وعراك لا ينقطع . ولئن سألت المتبجحين بعصر السرعة على العُصُر الخوالى كيف يجد الجسم راحته فى هذا

الاضطراب الدائم ، وأين يلتمس القلب سعادته فى هذا الجحيم المستعر ؟ وماذا أدرك راكب السيارة أو الطيارة أكثر مما أدرك صاحب الجمل والحمار أو راكب الخنطور والقطار ، لا تسمع منهم غير جواب أشعب حين أجرى الصبيان إلى الوليمة خادعاً بالحيلة ، ثم جرى هو معهم مخدوعاً بالوهم !

* * *

هذه هى الحرب التى عرفها العالم منذ خلق الله آدم وإبليس قد انقلبت فى عصر السرعة آلية لا تعتمد على فضائل النفس ولا على خصائص الروح، وإنما تعتمد على سرعة الدواليب فى الطيارة والسيارة والدبابة والدراجة والغواصة والبارجة . فأصبح الفرق بين الآلة والسيف فى حصد الأرواح كالفرق بين الماكينة والمنجل فى حصد الحنطة !

إن معركة الفلاندر التى شبت بين الألمان والحلفاء أهلكت فى أيامها المعدودة من الأنفس والأموال أكثر مما أهلكت حرب البلوبونيز التى نشبت ثمانياً وعشرين سنة بين إسبرطة وأثينا ، والحروب الميدية التى اشتبكت أربعين سنة بين الفرس والإغريق، وحرب البسوس التى اضطرمت أربعين عاماً بين بكر وتغلب، والحروب الصليبية الثمان التى ظل ضرمها يحتدم ويخبو قرناً وثلاثة أرباع القرن بين الغرب المسيحى والشرق المسلم !

اشتعلت هذه الحروب بين المدن أو بين القبائل أو بين الأمم قبل أن يوضع القانون الدولى وتُنشأ عصبة الأمم ، ومع ذلك تكشّف عجاجها الأقتم عن خلال مشرقة من الفتوة والبطولة والنبل والإيثار والوفاء والتضحية كانت للأدب الإنسانى الخالد مصدراً لا ينقطع رفده ولا يفتُر وحيه

وكانت الحروب الإسلامية على الأخص فى الفتوح أو الفتن تجرى على سَنَن مستقيم من الدين والخلق والأدب لا تزيغ عنه . فالقلوب التى تجيش بالغل لا تلبث أن تخشع للصلاة ، والألسنة التى ترتجز بالحماسة لا تنسى أن تتناشد الأدب . وما ظنك بجيش يفرض عليه دينه أن يؤدى الصلاة جماعة فى المعركة ؟ أتراه حريًا أن يجاوز الحد إذا قاتل ، أو يجانب الوفاء إذا عاهد ؟ وما رأيك فى جيشين يتهادنان ساعة ليحكم فارس بين رجلين اختلفا فى المفاضلة بين شاعر وشاعر ، وكان الحكم من جيش والمختلفان من جيش آخر ؟

لقد رووا أن رجلين تنازعا فى عسكر المهلب فى جرير والفرزدق وهو بإزاء الخوارج ، فصارا إليه ؛ فقال : لا أقول فيهما شيئاً ، ولكن أدلكما على من يهون عليه سخطهما : عبيد بن هلال ، وهو يومئذ فى عسكر قطرى بن الفجاءة . فأتيا فوقفا حيال المعسكر ، فدعواه فخرج يجر رمحه وظن أنه دعى إلى المبارزة ، فقالا له : آلفرزدق أشعر أم جرير ؟ فقال : عليكما وعليهما لعنة الله : فقالا : نحب أن تخبرنا ثم ننصرف إلى ما تريد . فقال : من يقول:

وطوى القيادُ مع الطراد بطونَها ... طىّ التِّجار بحضرموت برودا

قالا : جرير . قال : هو أشعرهما !

فقل لى بربك: أين تلك الحرب التى كان يبرز فيها رجل لرجل فيتقاولان ويتصاولان على مسمع ومرأى من الجمعين المتقابلين ، حتى إذا حميت الصدور واحمرت الحدَق حمل بعضهم على بعض فيُقتل نفر ويجرح نفر — من هذه الحرب الميكانيكية التى يقف فيها المليون حيال المليون فتنشاهم ظُلل من السماء ترسل الشهب والصواعق، وتكر عليهم قُلل من الحديد تقذف اللهب والقنابل ! ثم يُرعد الجو والبر والبحر بآلات الموت والدمار ساعة من الليل أو النهار ، فإذا بك لا ترى بعد ذلك عشرات من البلدان عمرتها الحضارة فى دهر ، ولا ألوفاً من الشبان نشأتهم المدنية فى جيل!

لقد اتخذ الفرس يوم القادسية دبابات من الفيلة هولوا بها على المسلمين بعض الوقت ، ولكن العرب لم يلبثوا أن أصابوا مقاتلها فى الخراطيم فمسحها الشهداء بالسيوف ، فانقلبت الفيلة إلى أهلها فمجنتهم بأرجلها وهى مولية . ولكن دبابات هتلر كضمير هتلر لا تحس الوخز ولا تحفل الصدام ولا تبالى العاقبة ؛ فهى تهجم هجوم الجراد الجهنمى على النبت المميم ، فلا تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم . فإذا أضفت إلى ذلك الويل أن الذين أوقدوا نار هذه الحرب حلوا أنفسهم من روابط الدين والخلق والقانون والعرف والشرف ، أدركت مبلغ ما تعانيه الإنسانية اليوم من يأجوج ومأجوج فى أمة بسمرك ونيتشة وغليوم وهتلر !

ليت للعالم يا رباه كرّةً إلى عصر الجمل والحصان ، وحرب السيف والسنان ، ومدنية القلب واللسان ، لينجو من هذا الملم الذى يدمر ما يعمر ، ويخلص من هذه الحضارة التى تأكل ما تلد!

احمد حسن الزيات

هزل مصر والشـــام

من مذكرات الأستاذ محمد كرد علي

تشهد فى مصر ما تشهده فى الممالك الكبرى من مظاهر الحياة ففيها الجدّ على أتم حالاته ، وفيها الهزلُ على غاية من الإتقان . ويُطربنى جِدّ ها وهزلها . وأنا فى مصر مصرىّ ، وما أنا بمصرىّ . فلئن نخطتنى جنسيتها ، فما حرمتنى الفطرة مشاركة أهلها فى عواطفهم وشعورهم وكثير من أطوارهم . كانت إقامتى فى مصر منقطعة ، فلم أر أن أعرض لسياستها إلا بقدر معلوم ، وما عنيت العناية اللازمة بالوقوف على تراجم أهلها ، وتوخيت أن أعرف مجملات عنهم ، وذلك لتشعب أطراف موضوع لا يبرّز فيه إلا من تمحض له وانقطع إليه . وأحتاج على الأكثر أن أعرف من رجال مصر تراجم العلماء والأدباء ، أما تراجم السياسيين وغيرهم فشرح يطول

من الطبيعى أن يتآلف المتشاكلون فى الفكر والثقافة ، وفى القاهرة من ذلك ضروب وألوان ، ولا يصعب كثيراً على النازل عليهم أن يصل إلى الطبقات المنوعة إذا كان أدلاؤه مهرة ما دام المصريون معروفين بهذا الظرف وهذا اللطف . وبعض سكان عاصمتها كأهل العواصم فى الغالب تصدّهم متاعب الحياة فيها عن الافتكار فيما يفكر فيه الناس فى العادة ، من مثل الوفاء وتعهد الصاحب ، فيصدُق عليهم أنهم من الطبقة التى لا يسرّها من حضر ولا يسوءها من غاب ، أو أن هذا من خلق عدم المبالاة المتأصل فى بعض أفرادهم

مصر من البلدان التى يعيش فيها الغريب خمسين سنة ولا يفتأ كل حين يقع فيها على شىء جديد ، ويظفر بموضوع طريف ما كان له به عهد بالأمس . عرفت صديقى وحيد بك الأيوبى ، وهو وأنا فى مَيْعَة الشباب ، وكان من أبناء الأعيان المفكرين المثقفين . وتفارقنا زمناً ثم التقينا قبل اثنتى عشرة سنة ، وإذا به رئيس جمعية جهرية سماها اسماً غريباً (البُمكوكة) ، وبُمكوكة الناس مجتمعهم على ما فى القاموس . وكانت هذه البمكوكة تلتئم كل ليلة فى قهوة متواضعة من منعطفات شارع ابراهيم باشا ، ثم انتقلت إلى قهوة السلام (كافيه دى لابيه) فى نفس الشارع . ويبدأ اجتماع أعضائها من بعد العشاء ، وينصرفون بعد منتصف الليل بساعة أو ساعتين أحياناً . وتتألف من محامين وأطباء ونواب وموظفين ورؤساء دواوين ومؤلفين وصحافيين وأعيان أصحاب أطيان موسرين وغيرهم ، ولا يقل المواظبون منهم عن ثلاثين رجلاً ، ما فيهم إلا الممتاز بأدبه وفضله . فإذا اجتمعوا تجردوا عن مظاهرهم ، وكانت اجتماعاتهم للمرح والتنادر وسماع الأخبار . ويجاهرون بأن بمكوكتهم فوق الأحزاب وفوق السياسة ، ولا غاية لهم إلا الضحك والإضحاك . والرئيس وحيد بك الأيوبى ، ونائب الرئيس إدوارد بك قصيرى من أكبر المحامين فى مصر

هؤلاء الجماعة من العاملين فى الحياة ، فإذا انتدوا كل ليلة — وقد يزورهم فى بمكوكتهم إخوان لهم من حين إلى آخر — فللترويح عن نفوسهم ، وللخوض فى لهو الحديث . ولك أن تصف جماعة البمكوكة بأنهم مجدُّون فى أوقات الجد ، هزّالون فى أوقات الهزل ، ويا ما أُحَيْلِى اجتماعاتهم ، وأوقعَ فى الأذن أصوات مجادلاتهم . وشرفنى الرئيس بعدّى فى جملتهم ، وأمرنى أن أنشئ بمكوكات أو بما كيك فى بلاد الشرق . فصدعت بأمره ؛ وأنشأت فى دارى بمكوكة يختلف إليها أخلص الاصدقاء ، ولكن خُلاّنى بماككة دمشق إذا شابهوا إخوانى بماككة القاهرة فى دراساتهم وثقافاتهم ، فلن يشاركوهم بخفة أرواحهم وتنكيتهم.

بلاد الشام سهلية جبلية معتدلة يغلب الانقباض على أهلها ، وبلاد مصر سهلية حارّة يغلب المرح والطرب على أهلها

ولله ما يجرى فى هذه البمكوكة المصرية ، فإن كل أعضائها والرئيس على رأسهم يصطنعون المرح ويلتمسون الضحك ، وناهيك بجمعية فيها مثل الدكتور محجوب بك ثابت المشهور بعلمه وخفة روحه وحضور نكتته . وأذكر أنى عدت من الشام فى بعض السنين ، وكنت متلهفاً شوقاً إلى إخوانى البمكوكيين فقصدت إلى البمكوكة لأستطلع طِلاع أحوالهم ، فرأيت بعضهم مكتئباً ، والرئيس مقطباً ، فسألت عن السبب فقيل لى : إن الرئيس مصاب بضعف بعض الأعصاب ، والأعضاء فى حزن من جراء ذلك ، وكل منهم يكد قريحته ويستوحى علمه لإيجاد علاج

يُعيدُ إلى الأستاذ نشاطه وصحته ، ويتنافسون فى هذا الشأن ، ولا تنافس وزراء السلطان ابراهيم العثمانى فى إيجاد مقوٍّ لضعفه ، مع الفارق بين أعضاء البمكوكة وأعضاء وزارة الفاجر ابراهيم . وفى الحقيقة أن أعضاء البمكوكة كانوا يجدّون فى شفاء رئيسهم مخافة أن يصاب المرؤوسون بمثل ما أصيب به رئيسهم ، ولا تسل عما ذكر خلال تلك الأيام من نكات وحكايات وأشعار وآثار ، وأكثرها مما يضحك الثكلى ، ويسلى الحزين ، الْتُزِم فيه جانب الأدب ، ورعاية آداب الاجتماع

رجعت إلى الشام وكتبت كتابين مطولين فى فترة قصيرة إلى الرئيس ، أذكر له بعض ما فتح الله علىّ من أدوية لدائه . فلما قرأهما الرئيس على الأعضاء تجدّدت لهم عناية بمداواته ، وبقى القوم يهتمون لذلك سنة لا تخلو ليلة من الإلماع إلى سير مرض الرئيس وإلى ما ظهر من الأدوية وإلى ما وفقوا لمعرفته من طلاسم وأدعية إلى غير ذلك مما ينجع فى شفائه . والرئيس يشكو وهم يُخففون عنه آلامه ويسلّونه . ولما عدت فى الشتاء التالى إلى القاهرة سألت الرئيس عن حاله فضحك وقال : وأنت أيضاً صَدّقت ما زعمته لكم ؟ إنى ادعيت هذه الدعوى لأُضحككم ، وقد حصل المقصود من هذه الفِرْية فضحكتم بها حولاً كاملاً ، وأنا بحمد الله ليس لى ما أشكو منه مما ذكرته لكم . فعجبت وأكبرت صفات الرجل وحبه لمرؤوسيه ، كما كنت أُعجب بكرمه على كل بائس مُمْلِق ، وقلت له : إن انتسابى إلى بمكوكته أحب إلى نفسى من كل لقب لُقِّبْتُ به ، ومن كل مجمع على شرفنى بعضويته ، فمع جماعته السَّلْوَى والسرور ، ومع أولئك كَدُّ الذهن وكرب الجد

يكتب رئيس البمكوكة الحين بعد الآخر فى جريدة الأهرام قطعاً لطيفة فى اللغة والأدب والسياسة . وجاء البرق ذات يوم ينقل كلام أحد رجال السياسة ويقول : إن الإنجليز رابطون بجيشهم فى مصر لحماية الاستقلال ؛ ومن الغد كتب الرئيس بضعة أسطر فى الأهرام يُكْبِرُ هذه العناية بأمر مصر ويقول : إن عندنا الآن إذاً احتلال واستقلال ، فماذا نسميهما ؟ نسميهما (الاحتقلال) أخذ من الأول حرفين ومن الثانى ثلاثة . وسأله مكاتب التيمس فى القاهرة : وماذا نسمى ذلك بالإفرنجية ؟ فقال على البديهة : Occupendance مأخوذة من Occupation الاحتلال و Indépendance الاستقلال . وكثر السائلون للرئيس عن هذا الاسم الجديد وعما إذا كان له أصل فى اللغة وهنأوه على توفيقه للعثور على هذه اللفظة الجليلة . وعبثاً حاول أن يقنعهم أنها لفظة وضعها وضعاً ؛ وما كان بعضهم يرضيهم إلا أن يكون وجدها فى معجمات اللغة

ورئيسنا يعطف على كل من يعدُّه الناس ثقيل الظل ، فإذا سمع بمن هذه حاله احتضنه وبره . وقد يصحب أحد الصعاليك المعدمين إلى مطعم الكونتيننتال يغدّيه أو يعشّيه . وقد اعترض عليه مرة نائب رئيس البمكوكة ادوارد بك القُصيرى قائلاً له : إن فلاناً فى حاجة إلى « بنطلون » وأنت تنفق عليه فى الوجبة الواحدة ما يزيد على الخمسين أو الستين قرشاً صحيحاً . أعطه ثلاثين قرشاً يشترِ بها بنطلوناً بعشرين والعشرة ينفقها على عياله . فأجابه الرئيس : سبحان الله يا ادوارد بك ! ألا تعلم أنى إذا عاونته على ابتياع بنطلون جديد أكون قد غيرت معالمه وأبدلت شكله ؟ وأظن الرئيس يقصد باستصحاب الفقراء إلى مطاعم الأغنياء ليقول لهؤلاء بلسان الحال إنه لا قيمة لما تتعاظمون به من البذْل ، وأن الفقير قد يشاطرهم هناءهم ببذل عَرَض قليل

وعقل رئيس البُمكوكة ، والحق يقال ، ليس من العقول المحدودة ، بل عقله مبتكر مبتدع ، فقد أصدر فى صباه ثلاث جرائد فى وقت واحد بأسماء مختلفة ، ومديرين ومحررين مختلفين ، جعلها كلها لمقاومة الاحتلال ، وأقام لها كتاباً ومراسلين ومحررين ، وكان يصدرها فى أوقات مختلفة . وليس لها كلها إدارة غير جيب الرئيس وقمطره يكتبها أو أكثرها ، وينشرها على أنها ثلاث جرائد مختلفة الوضع والطبع ، متحدة النزع والغاية . ولم تُكشف هذه اللُّعبة إلا بعد مدة طويلة . وله من هذه الألعاب أشياء تَسر ولا تَضُر يَضحك منها ويُضحك

كان الشيخ طاهر الجزائرى كثيراً ما يحدثنا بأخبار الدكتور حسين عودة نزيل صيدا ، يُلقيها علينا ممزوجة بهزل وغير خالية من جد . فامتلأت الرؤوس بأخبار صاحبه ، وود كل واحد منا

لو يطير إلى صيدا فيتعرف إلى هـذا الطبيب . وما كُتب لأحد من جماعتنا أن يقوم بهذا الغرض قبل صاحب هذه المفكرات . فإني قصدت إلى صيدا لألقى فيها جامعَ شتات الفضائل بلديَّنا حسين عودة ، فأبلّ غليلَ شوق إلى رؤيته

وأريد أن يُعرف أولاً من هو الدكتور عودة . ولد الدكتور في دمشق ، والتحق في صباه بمدرسة القصر العيني في القاهرة لأخذ الطب ، فرسب لشدة ذكائه عدة سنين ، وما زال يرسب في صَفِّه حتى جاء مصر الأمير عبد القادر الحسني الجزائري يوم فتح قسم من ترعة السويس سنة ١٨٦٣ . وقد رجاه أهل حسين عودة أن يكلم الخديو اسماعيل ليسهل على ابنهم أخذ شهادة الطب. فصدر الأمر بمنحه شهادته فاغتبط واختار السكنى في صيدا زاهداً في سكنى بلدته الأصلية لئلا يكون موضع سخرية عند الهزالين من أهل دمشق ، لأن خلقته وقيافته تضحكان حقيقة ، فهو مجدور ، في عينه شـتر ، وفي رجله عرج . ووفاء لمدرسته لم يرض أن يخلع بِزّتها طول عمره ؛ فكان إذا بلِىَ المعطف ، وقد كتب على أزراره (تلميذ القصر العيني) أوصى على معطف جديد من نمطه ، وذلك كل عشر سنين مرة ، ورفع الأزرار عن المعطف القديم ، وأناطها بالبذلة الجديدة ، يذكر الناس بأنه خريج كريم ، من ذلك المعهد العظيم

كانت هدايا الدكتور تترى إلى صديقه الشيخ طاهر الجزائري بدمشق يحملها المكار كل مدة من عاصمة الفينيقيين إلى عاصمة الأمويين . أتدرون ما كانت تلك الهدايا النفيسة ؟ كانت قصاصات من جرائد مصرية وسورية قديمة وحديثة ، أقدمها لا يزيد على بضعة أشهر ، وعمر أحدثها شهر واحد فقط . وكان يقطع من كل جريدة ما راقه ، ويجمع الباقي ويضمه في كيس نظيف أبيض ، ويخيطه جيداً حتى لا تمتد الأيدي إلى السرقة منه . وقد أتحفني المُهدى إليه مرة بكمية منها . فلما رأيتها قديمة استعفيت من أخذ حصتي في الدفعة الثانية ، وأحببت أن أخص بها من يحبون الجرائد ولو كانت قديمة بالية

كان الدكتور حسين عودة مولعاً بالحشائش ، ويطب مرضاه بها على الدوام . وقد ملأ المجلات الطبية في عصره بفوائدها ، فأول ما وقعت عيني عليه في داره مجموعات عظيمة من هـذه الحشائش مرتبة مصففة مجففة ، جعلت على مناضد ومقاعد ، وكتبت أسماؤها عليها مثل ما ترون من نوعها في متاحف النباتات ومعارضها ، وألقيت نظري على الحائط فإذا به عال جداً لا يقل عُلوه عن اثنى عشر متراً ، فسألته ولم هذا الحائط شاهق إلى هذه الدرجة ؟ فقال : لأن النظر إلى البحر يؤذيني ، ويحمل الكرب إلى قلبي ، ولذلك أقمت هذا السور ليحول دون نظري وما يكره

كان الدكتور يُطبّ الأغنياء في بيوتهم بقرش واحد ، فإذا زاروه في عيادته أخذ منهم ربع قرش (متاليك) ، أما الفقير فإن قصده أو ذهب هو إليه بنفسه ، لا يقبض منه شيئاً ، ويعطيه ثمن الدواء ، والدواء بالطبع بعض تلك الحشائش . ولذلك يُعَد الدكتور عودة من أبر الأطباء بيمينه التي أقسمها يوم خرج من المدرسة الطبية إلى مدرسة الحياة . ومررت مع الدكتور في أسواق صيدا وضاحيتها فرأيت أهل البلد كبيرهم وصغيرهم، رجالهم ونساءهم، أطفالهم وبناتهم، يعرفون الدكتور ويعظمونه، ويسألونه في الطريق علاج أسقامهم ، ويدعون له بطول العمر

ودّعت الدكتور وقد شفيت النفس من المتعة به ثلاثة أيام ، وكنت نازلاً في الطبقة الثالثة من فندق المطران ، فقيل لي بعد الغروب بثلاث أو أربع ساعات : إن الدكتور آت لزيارتك ، فعجبت وخففت لأتلقاه على السلم وقلت له : لماذا تصدّع نفسك يا سيدي ، وقد ودّع كلٌّ منا صاحبه في النهار ؟ فقال : هذا واجب أقوم به ، فشكرت له أدبه وتفضله . ورأيته في هذه الزيارة الليلية يحمل نبوتاً أطول منه وفانوساً صغيراً ، ويلبس في رجليه قبقاباً عالياً . فسألته بأدب : لم يلبس القبقاب والوقت صيف ؟ فأجابني بما معناه : إن دبابات الأرض كثيرة ، ولا يأمن السارى في الليل من شرها ، فلكي يكون بمأمن من قرصها يحمل هذا المصباح يستصبح به عله يراها قبل أن تصل إليه ؛ فإذا اقتربت منه ضربها بالعصا ، وإذا حاولت الصعود إليه تعذر عليها الصعود إذ يقتلها قبل أن تصل إلى رجله ، وكان في قوله جاداً ، وكان جداً كله ، وهذا وجه لطافته

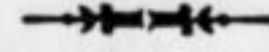
ومن جملة جدّه أنه كان يعتقد أنه يعيش العمر الطبيعي، والعمر الطبيعي عنده مائة وخمس وثلاثون سنة، أو مائة وأربعون لا أدرى،

حركات الإصلاح الإسلامية

٢ ـ أزمة إســـلامية

للدكتور على حسن عبد القادر

دكتور فى الفلسفة والعلوم الاجتماعية من جامعة برلين
ومدرس بكلية الشريعة



هكذا نرى أن التشريع الإسلامى هو محور الدائرة التى تدور حولها حركات الإصلاح والتجديد فى الإسلام ، والباب الذى ينفذ منه المصلحون لتجديد الحياة الإسلامية تجديداً عملياً، وأن مسألة كون الإسلام قابلاً للاصلاح والتجديد والرجوع به شاباً قوياً إنما تقوم على مسألة أخرى : وهى هل من الممكن التخلص من أشكال قديمة جامدة فى الفقه الإسلامى ؟

وإذا ما أردنا أن نحدد البحث تحديداً أدق لنتعرف العامل الأول الذى أملى على المصلحين إصلاحهم وجرهم إلى التفكير فى ذلك فلا يسعنا فى حدود المؤرخ الدينى أن ننكر أن ذلك يرجع إلى الأصل المعروف « الإجماع » ذلك الأصل الذى صبغ الفقه الإسلامى بما لم يصبغه به غيره ، ودعم به أهل السنة وجهات نظرهم تدعيما لم يقبل النقض . وهو فى حقيقة الأمر المفتاح الذى نفهم به تطورات الإسلام فى علاقاته المختلفة فى العقائد والتشريع والسياسة، فما تقبلته الأمة حقاً وصدقاً فهو حق وصدق، وما لا فلا؛ ويكون صحيحاً فقط فى الشكل الذى يعطيه له الإجماع ، حتى تفسير القرآن الكريم والسنة يكون صحيحاً منه ما يقبله إجماع الأمة ، والعقائد ـ تلك التى خضعت لكفاح قاس فى أول الأمر ـ أصبح موافقاً للدين منها ما ختم عليه الإجماع بخاتمه النهائى .
وهؤلاء الرجال وهذه الكتب تعتبر إمامتها إذا اعتبر هذه الإمامة إجماع المسلمين . وهكذا نرى أن الإجماع قد لعب دوراً هاماً فى الإسلام بما لم يقم به مبدأ مثله . ومن المعروف أن هذا الإجماع لم يأت نتيجة اجتماع منظم ، وإنما كانت دائرته أول الأمر الإحساس الجمى والرأى العام وصوت الأمة

وقد حاول العلماء حدّه زماناً ومكاناً أو ردّه إلى إجماع الصحابة أو علماء السلف من أهل المدينة أو الحرمين؛ ولكن هذه المحاولات شىء ومظاهره المختلفة التى رأيت شىء آخر . وأهم من هذا هو أن الإجماع الذى حقق فى الماضى قوة التعادل ومطابقة العصر ليس بعيداً أن يكون نواة قوة لمكافحة الجمود والنفوذ الشخصى إذا ما استغل استغلالاً مرضياً وهو ما نتركه للمستقبل .

وقد يظهر غريباً إذا قلنا إن عوامل التجديد قد أظهرتها وحددتها طريقة أهل السنة نفسها ، ذلك أن طريقة أصول الفقه إن تكن لا خلاف فيها فى أوساط أهل السنة ، فقد وجد من العلماء المفكرين من لم يقبل البقاء بعيداً عن دائرة الاجتهاد . وظهر له أن التقليد والتمسك بمذهب بعينه أمر لا يحتمل ، وعند ذلك حدد هؤلاء العلماء من أول الأمر ـ شعروا أم لم يشعروا ـ دائرة هذا الأصل الخطير ـ أعنى أصل الإجماع ـ وضيقوا من نتائجه . فالإمام الغزالى نادى بالاجتهاد وكثير ممن جاء بعده فعلوا ذلك أيضاً مثل ابن تيمية والسيوطى(١) . وقد استند المصلحون من ناحية أخرى فى مناهضتهم للإجماع إلى أن تحديده بقى وقتاً طويلاً مجالاً للأخذ والرد حتى استطاع آخر الأمر أن يأخذ هذا المحيط الواسع الذى انتهى إليه(٢)

وقد جاهد الحنابلة من بين المذاهب الأربعة جهاداً كبيراً فى سبيل الاجتهاد لأجل مصلحة السنة نفسها التى عرفوا بأحيائها. فابن تيمية وتلميذه ابن القيم استعملا هذا السلاح ضد البدع الكثيرة المنتشرة(٣) . وقامت على هديهم وفى روحهم حركة

(١) S. Goldziher, Die Richtungén der islamischen Koranauslegung, p. 329, Anm. 3.

(٢) قارن على سبيل المثال : Khuda Bukhsh, Essays I indian and Islamic, S. 290.

(٣) قارن على الأخص مقال محمد بن شنب فى دائرة المعارف الاسلامية جزء ٢ ص ٤٤١ وما يليها

ولما كان هو على غاية من التقوى ولم يسىء استعمال قوته قط، فإنه بالغ بحول الله هذا العمر لا محالة. أما هو فعاش فى هذا الأمل اللطيف نحو تسعين سنة . ومن أخبار جدّه ، وهو معتقد بما يقول ويفعل ما حدث له مرة ، وهو يتنزه على شاطئ البحر مع صاحبه الشيخ طاهر ، وقد لحق بهما أحد الطلبة ، وكان هذا لا يخلو من جذب على ما يظهر . وبعد مضى أربع ساعات على اجتماعه إليهما التفت إلى الدكتور وقال له : يا سيدى الدكتور أرجو ألا يكون فى حضورى ما ينغص عليك خلوتك إلى الشيخ. فأجابه الدكتور. بدون توقف : يا بنى نحن لم نحس أنك معنا ، وإنا فى شاغل عنك نحن الآن ندبر أمر ثلاثمائة مليون من المسلمين ، وهكذا كان وما شاء الله كان

محمد كرد على

الوهابية بجزيرة العرب أثناء القرن الثامن عشر الذين حاربوا البدع وأزالوها من البلاد المقدسة ، وتعاليم محمد بن عبد الوهاب مؤسس هذه الحركة متفقة تماماً مع تعاليم ابن تيمية[1] ، فقد كان يدعو إلى التمسك بالدين في الشكل الذي كان عليه في حياة النبي وصحابته ، وكان غرضه الرجوع إلى الإسلام ، في الصدر الأول ، وذلك إنما يتم بالرجوع إلى الكتاب والسنة وحدهما . وإذا ما اتهمه خصومه بأنه مخالف للاجماع حدد سلطان الإجماع وحصره مخالفاً في ذلك جمهور أهل السنة . ولا يخفى أن هذه البدع التي حاربها بشدة وعدها كفراً كانت في الواقع مقبولة بإجماع المسلمين

وقد بلغت درجة الكفاح أشدها عند ما اتهم ابن تيمية والوهابيون بأنهم خارجون عن الدين وعلى جماعة المسلمين وتعاليم أهل السنة السائدة[2] ، ولكن الوهابيين وقفوا في مكانهم ثابتين متمسكين بمذهب الإمام أحمد . وكما أن مرّ الأيام قد خفف من الحكم على ابن تيمية ، فكذلك أخذ كثير من المسلمين بعد زوال الخطر الوهابي يغيرون من رأيهم في هؤلاء العرب المهاجين

ولم تنته آثار حركة الوهابيين بسقوطهم السياسي وهدم عاصمتهم الرياض سنة ١٨١٨ ، وذلك أن تعاليمهم وآراءهم بقيت منتشرة في الجزيرة العربية . وفي سنة ١٩٢٤ ضموا إليهم بلاد العرب وأصبح قائدهم الملك عبد العزيز بن سعود الزعيم المعترف به في البلاد المقدسة

وإذا كان رجوعهم لم يقابل بشدة كما قوبل به منذ مائة عام ، وإذا كانوا لم يرفضوا بقوة إزاء تيارات التجديد الحديث ، فإنهم مع ذلك لم يتركوا تعاليمهم ، وأصبح القول بخروجهم عن الدين غير موجود الآن عند جمهور أهل السنة

وأهم من هذا كله في هذه الكلمة الإجمالية ، هو أن هذه الحركة الوهابية أخذت تدب في أثناء القرن التاسع عشر إلى بلاد إسلامية أخرى ، وعلى الأخص بلاد الهند ومصر ، ومن بين كل هذا قد أحدثت دعوتهم بالرجوع إلى الإسلام الأصلي الخالص وترك البدع التي حدثت بعد ذلك ، والبعد عن تعقيدات الفقهاء ومماحكاتهم ، قد أحدثت هذه الدعوة تذكيراً للمسلمين ومفكريهم الذين لم يبدوا معاداة أي حركة إصلاحية في الإسلام

ومن هنا نستطيع أن نقرر أن الحركة الوهابية كان لها أهمية كبيرة بعيدة الأثر في هذه الحركات الإصلاحية الإسلامية التي ظهرت أخيراً ، وإن يكن الاتصال بينها وبين هذه الحركات غير مباشر وغير واضح كل الوضوح . ومن هنا يجب أن نحسب لها حسابها في الكلام على هذه الحركات التي سنلم بها بعد إن شاء الله

علي حسن عبد القادر

(١) راجع في هذا مجلة المستشرقين الألمانية جزء ٧٨ (١٩٢٤/٢٥) صفحة ١٧٩ وما يليها

(٢) Goldziher, Vorlesungen, S. 294; 2. A. S. 277

إلى أرض النبـــوة !

[وصف وتأريخ لرحلة الوفد السورى إلى الحجاز ربيع ١٩٣٥ لفتح طريق الحج البري بالسيارات]

للأستـــاذ على الطنطاوى

— ٢ —

تركنا الموكب ، وقد وقف فى ظاهر دمشق ، حول قبة (المسالى) ، وقد ملأت وفود المودعين تلك الساحة على رحبها ، وقام الخطباء يخطبون ، وقمت أشكرهم باسم الراحلين وأودعهم ، وأشرح الغرض من هذه الرحلة . وكانت الشمس قد جنحت إلى المغيب ، فزاد شحوبها الموقف رهبة وجلالاً ، وأقبل الناس علينا يودعوننا ؛ فلم تكن ترى إلا عناقاً أو تقبيلاً وإخلاصاً متجلياً ، وحباً وعطفاً ، فلم يبق فى الناس من لم تسل عبراته ...

وإن أنس لا أنس مشهد حفيد لزكى آغا سكر من وجوه الميدانيين ، ورفيقنا فى سفرنا ، وقد تعلق به لا يريد فراقه ، ويبكى فيبكينا ؛ فما كان أبلغ من بكاء الطفل الحفيد ، إلا بكاء الجد الشيخ ، وما تركه حتى انتزعوه منه انتزاعاً ، وإن صوته ليرن فى آذاننا ينادى : جدى جدى

وغادرنا دمشق ، وكان الليل قد أسدل ستائره على السكون ، وما زلنا ننأى عن هذه الجموع الهاتفة لنا، الداعية بالتوفيق والنجاح، ونبتعد عن هذا الحشد ، حتى ابتلع صوته الليل وطواه سكونه ، وغاب سواد الجمع فى سواده الشامل ، ولم يبق من حولنا إلا السهول الفيح ...

وكان صمت بليغ ، فلم ينبس واحد منا ، واستسلمنا جميعاً إلى عواطفنا وأحلامنا ، وقد هاجها موقف الوداع ، وأثارها هذا المستقبل المجهول الذى نقدم عليه ، وهذه الصحراء الرعيبة التى نسمى إليها ، وهذه البقاع المقدسة التى نقصدها . وكنا نتلفت بين الفينة والفينة ، فنملأ العين بمرأى أضواء (المهاجرين)[1] ، وهى تسطع على نفوسنا المظلمة ، كما تسطع النجوم الهادية فى الليلة الداجية ، على الضال الحائر ؛ ولم نكن ندرى ، أنعود إليها فنراها كرة أخرى ، أم ستأ كانا الصحراء فيكون ذلك آخر العهد بها ؟ وكنا نحدق فيها لننقش صورتها فى نفوسنا ، حتى نأنس بها فى ليالى البعاد ، ونذكر فيها آخر آية من آيات دمشق (البلد الحبيب)

وكانت السيارات تسير متعاقبة يكاد ينوء بها ثقل ما تحمل[1] وكانت تحمل فوق طعامنا والشراب الفرش والخيام ، والقدور والطباق ، ومائتى (صفحة) بنزين ، وعدداً هائلاً من آلات السيارة وأدواتها ، وراديو (رادّ)[2] وغير ذلك مما نسيته الآن ، فكنا نعوّذها بالله ، ونرجو لها التوفيق ، وليس فينا من يتحدث أو يتكلم إلا قائلاً كلمة ، وسامعاً جواباً . ثم يرجع الصمت حتى طلعت علينا أضواء أذرعات (درعا) قصبة حوران ...

* * *

بلغنا أذرعات (درعا) عقب العشاء. فلبثنا فيها ريثما نظروا فى جواز سفرنا وريثما صلينا. وأذرعات اليوم بليدة جميلة ذات قسمين — قسم جديد منظم بنى على المحطة ، وقسم قديم ينأى عنه قليلاً — وفيها سوق كبيرة، وأبنية جيدة، وهى قديمة ذكرتها العرب فى أشعارها لأنها — كما قال ياقوت — لم تزل من بلادها فى الإسلام وقبله ، وأنشد لبعض الأعراب :

ألا أيها البرق الذى بات يرتقى ... ويجلو دجى الظلماء ذكرتنى نجدا
وهيجتنى من أذرعات وما أرى ... بنجد على ذى حاجة مدنف بعدا

وذكرها امرؤ القيس ، وعد ياقوت جماعة من العلماء خرجوا منها ، وليس فيها الآن من العلماء أحد (فيما نعلم) يذكر . وعالم حوران وفقيهها اليوم الشيخ التقى الصالح الشيخ الطيبى الدمشقى وهو فوق الستين، وهو بقية السلف الصالح — وفارقنا أذرعات نسير شرقاً إلى بصرى بعد ما هتفنا[2] بآل المقداد أعيان وجوهها ننبئهم بوصولنا ، فلم نبلغ نصف الطريق إلى بصرى حتى رأينا أضواء كثيرة ومصابيح تجىء وتروح . فعجبنا أن يكون فى البرية مثلها ، ودنونا منها فإذا هى أضواء المستقبلين الكرام ، هجروا مضاجعهم وأقبلوا يتلقوننا من نصف الطريق . فحيونا ومشوا بين أيدينا يهزجون الأهازيج البدوية حتى بلغنا بصرى

---

(١) الحى الدمشقي الذى يقوم على سفح قاسيون وفيه « الجادة الخامسة » ذات الجلال والجمال

(١) هذا هو التعبير الصحيح وإن كان عكسه هو الشائع

(٢) أي تكلمنا بالتلفون واسمه فى الشام الهاتف، وهو اسم معروف عند الخاصة والعامة

ولبصرى ذكر فى التاريخ مستفيض ، ومجد مؤثل ، وفيها كثير من آثار الماضى ، ولم أكن قد دخلتها من قبل ، فما استطعت رؤيتها فى الظلام ، ولم ألمح من آثارها إلا صفين من الأعمدة الضخمة ، قائمين عند مدخل البلد ، على طرفى الطريق الذى سلكناه إلى منزل آل المقداد حيث رأينا الكرم الذى لا كرم بعده

وبصرى مذكورة فى الشعر قديماً وحديثاً ، ولكنهم لم يذكروها إلا ليذكروا نجداً ، ويعلنوا شوقهم إليها ، وكأنهم لم يروا فيها ولا فى الغوطة ولا وادى بردى ما ينسيهم تلال نجد ورماله ، وذلك من حكمة الله فإنه لولا حب الوطن ما سكن البلد القفار ! فمن قولهم فيها :

أيا رفقة من آل بصرى تحملوا ... رسالتنا لقيت من رفقة رشدا

إذا ما وصلتم سالمين فبلغوا ... تحية من قد ظن ألا يرى نجدا

وقولا له ليس الضلال أجازنا ... ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا

ولبثنا فيها إلى موهن من الليل[1] ثم خرجنا يصحبنا دليل من أهلها ليسير بنا إلى (قريات الملح) القرية التابعة لابن سعود من غير أن نمر على المخفر الانكليزى فى (الأزرق) لأننا لم نستأذن من القنصل الإنكليزى لنمر على بلد من بلادنا ... وكان اسم الدليل الحاج نمر ، وقد زعموه خبيراً بالطرقات ، عارفاً بالأرض ، خرّيتاً حاذقاً ... فتوكلنا على الله ، ثم على هذا الدليل الحاذق !

* * *

سرنا إلى الجنوب ، نخبط فى ظلام الليل ، لا نتبع جادة مسلوكة ، ولا طريقاً واضحاً ، يقودنا الحاج نمر . ويا ليت اسمه الحاج غراب ، فقد أضلنا ، كما (قد ضل من كانت الغربان تهديه) ... حتى بلغنا قرية كبيرة اسمها (أم الجمال) فيها بنيان كثير ، وأزقة وطرقات ، وفيها برج عال قديم ، ولكنها مهجورة منذ قرون ... ليس فيها ديّار ولا نافخ نار ، وهى موحشة فى رأد الضحى فكيف بها فى الليلة الظلماء ؟ فما كان من صاحبنا الحاج غراب إلا أن دير به وغثت نفسه وجعل من الدوار والغثيان يقىء وفقد رشده ، فصبرنا عليه حتى أفاق فسألناه عن أمره ، فإذا هو لم يركب فى عمره سيارة قط ولذلك دار رأسه ، فعالجناه حتى برىء ، فلما برىء رأى الطريق مختلطاً عليه ، فأمرنا بالوقوف فى هذه البليدة الموحشة التى لا يسكنها إلا الجن ... وذهب فى سيارة يكشف لنا الطريق ، فانتظرناه إلى الفجر فلم يرجع ، وكانت ليلة ما أذكر أنى رأيت مثلها برداً ، ونحن فى العراء فأحسست والله كأن عظامى ترتجف من البرد ، وبلغ منا النعاس وما نطيق أن ننام ، وأين وكيف ننام ؟

فلما طلع النهار ، وتعارفت الوجوه ، رأينا الحاج غراب على بعد خمسين متراً منا ، وإذا المحترم ينتظر أن نأتى إليه ...

وأردناه على الإسراع قبل أن يبصرنا بعض أعوان المستر كلوب ، ملك البادية المسمى (أبو حنيك) لأن رصاصة كانت قد أصابت حنكه فتركت فيه أثراً . وسألناه ، هل يعرف الطريق أم يخبط بنا خبط أعشى ، فعجب من سؤالنا وأكد لنا أنه يعرف البلاد كلها شبراً شبراً ، وأنه سلك هذه الطرق بعدد شعر رأسه ، فأطعناه وسرنا معه ، وكانت الشمس قد طلعت ، وانقضت أول ليلة من ليالى الرحلة

فأطعناه وسرنا معه ، فصعد بنا جبلاً وعراً فيه أحجار وحفر ، فسرنا فيه ساعة كاملة وهو لا يزداد إلا وعورة . فقلنا له : ويحك يا هذا ، إلى أين تمشى بنا ؟ قال : إن علينا أن نجاوز هذه الوعرة ، كى نبلغ قريات الملح من غير طريق الأزرق فقلت له : ويحك ، هذا والله البلاء الأزرق والموت الأحمر . وإنه ليوشك إذا أوغلنا فى هذه الوعور ألا نخرج منها ، فعد بنا ولو إلى الأزرق ، فماذا فى الأزرق إلا الجزاء النقدى ؟

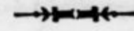
واختلفت الآراء وتجادل القوم ، ثم اتفقوا على العودة ، فعاد بنا الدليل من حيث جاء ، حتى إذا هبطنا الجبل سار بنا فى طريق معبدة فسرنا فيها ، ثم سرنا وهى لا تنتهى حتى كاد النهار يزول ، ثم وجدنا مركزاً من مراكز البترول فيه ضابط انكليزى ، فسألناه : إلى أين تؤدى هذه الطريق ؟ قال : إلى العراق ، وقد اقتربتم من الحدود

فوثب أصحابنا على الدليل يوسعونه سباً وشتماً على أن طوّح بهم حتى كاد يهلكهم بجهله ، وهو صابر ساكت لا ينطق بحرف ، فتركه القوم وائتمروا بينهم فقال قائل منهم : إنى لأعرف طريقاً فى الحرة يصل بنا إلى القريات ، وقد جزته فوجدته سهلاً . فقالوا له : سر بنا إليه ، فمال بهم ذات اليمين ، ثم دار دورة فإذا نحن فى حرة من أصعب الحرار واسعة ممتدة الجوانب ملتوية مفروشة بحجارة سوداء لامعة ، كأنما قد صب عليها الزيت ، حادة الجوانب كأنها السكاكين ، فلما بلغنا وسط الحرة رأينا

(١) منتصف الليل

إلى أين ...؟

للأستاذ محمود محمد شاكر



جلست وصاحبي تحت جنح من الليل كأنه باز أسود قد طوى أفقاً من السماء في كهف من جناحه. وطمس هذا الليل الدامس ذلك الشعاع الذي لا يزال يبرق به وجه صاحبي كما سكن ظاهره واطمأن ... وبقيت نفسه من وراء ذلك السكون الوديع تتوقد بأفكارها المشتعلة، وترسل لهيبها يتلألأ على محياه ويتموج. وكان إحساسنا بمعنى الغارة الجوية، يثير النفس ثم يجثم عليها متثاقلاً بوطأته، فلا هو يحملنا نثور فيخف ما نجد من ثقلته، ولا هو يتركنا نهدأ

وبقي صاحبي صامتاً لا يتكلم، ولكني كنت أكاد أجد الألفاظ والمعاني وهي تمترك في داخله وتتشاجر. أما إني ما رأيته — أو قل ما أحسسته — كاليوم. لقد كان كالعاصفة من الهيب مكفوفة في محيطها، تدور وتتراكض، وكان هو هذا المحيط. لقد رحمته حتى كدت مرات أقوم إليه أضع يدي على رأسه، أقول: ذلك مما يخفض عنه بعض ما يغتلي فيه من سعير الفكر. ولكني كنت أهاب أن أشعره أني قد نفذت إلى بعض أسراره التي يريد كتمانها. فسكت معه ساعة أحتال في خواطري لفض هذه الأغلاق التي يضربها على ضمير نفسه، فلست أشك أن بعض الحديث إذا اشتكى خفف وأراح

لم تكن لي حيلة معه، ولكن طول الصمت بيني وبينه في ظل هذا الليل الأسود كان هو مفتاح هذه الأقفال الكثيرة. وكان الحجاب الذي أسدله دجى الليل هو الحيلة التي جملته يقلق ويتململ في مجلسه يريد أن يستكتمني وهذا الليل سرًّا من القدر

ثم سكت سكتة ظننت معها أن أنفاسه قد أبت عليه أن يتنفس بها. لقد كان يجاهد نفسه: كان هو يأبى أن يتكلم، وكان الذي يجده في صدره من الضيق يأبى عليه إلا أن يتكلم. كان نزاعاً هائلاً بين قوتين متحاربتين صارمتين عنيدتين متكافئتين؛ لقد أثبته ذلك حتى كاد يتمزق. إني لأحس بل أسمع صوت التمزيق الذي يحدثه في نفسه هذا الصراع الرائع المخيف بين إلحاح هاتين القوتين في تنازعهما. ومضت الدقائق وأنا أعدها ساعات من عجلة النفس إلى تخفيف العذاب عن هذا الصديق البائس المحطم، والذي يأبى عليه عناده إلا أن يتجلد

ولكنه ما لبث أن شق كثافة هذا الصمت المبهم بكلمة ضربت فيه:

لست أدري!! لست أدري!!

لقد سمعت لكلماته في أذني صليلاً كما يصل الحجر الصلد على ضربة معول من الحديد الصلب. لقد بغتني بصليلها حتى نسيت أفكاري فيه منذ أول الليل. ولكني سرعان ما اجتمعت لحديثه وأردت أن أحتال للتخفيف عنه ما استطعت فقلت: وكأني أعلم خبء ما يشير إليه:

كلنا ليس يدري. وهذه هي الحياة. إنك لا تستطيع أن تعرف الحقيقة حتى تخوض إليها الباطل خوضاً. إن الشك هو أعظم أعمال النفس الإنسانية، فإذا ما ابتُلي به الإنسان فهو بين نهايتين: بين أن يهتدي فيلحق بالذروة فيستوي على عرش من عروش الحكمة، وبين أن يضل ويتزايل فيتدهدى على هذه

الجادة متروكة مهملة قد تخربت وغطّتها الحجارة، فكنا ننزل من السيارة فننزع الأحجار من طريقها لتمشي؛ وكنا إذا بلغنا هضبة لم تقوَ السيارة على تسنمها نزلنا فربطنا السيارات بالحبال فجررناها بأكتافنا واحدة واحدة كما تجر الدابة الحرون، واستمر بنا ذلك إلى الغروب، وامتدت بنا هذه الطريق تسعين كيلاً رأينا فيها الموت مما تعبنا، ولم نقف إلا ساعة أكلنا فيها وصلّينا، فلما أن غابت الشمس يسّر الله لنا الخروج من هذه الحرة؛ فلما خرجنا منها إذا نحن حيال قصر الأزرق ليس بيننا وبينه إلا أربعة أكيال أو أقل منها؛ وكان إلى يسارنا أدغال وعرة فيها نبت من نبت الصحراء، فلم نجد بدًّا من دخولها، فدخلناها مكرهين تقوم بنا السيارة وتقعد وتميل وتعتدل حتى أظلم الليل، وبلغنا قاعاً مستوياً فوقفنا وأنخنا للمبيت؛ وكنا حين انتهينا إلى الأزرق بعد هذا الأذى كله، كالذي (فرّ من الموت وفي الموت وقع)!

(لها بقايا) علي الطنطاوي

الصخور الفكرية العاتية فيتحطم . وأيٌّ ذلك كان ، فالمسألة كلها قدر محتوم يا صديقي ! رُفعت الأقلام وجفّت الكتب

لقد رأيت شرارتين تتطايران من عينيه في جوف هذا الظلام ، ولكأنى اقتدحتُ بكلماتى من النار التى تكمُن فى تلك الصخرة الفكرية المظلمة التى انطوت عليها ضلوع هذا الصديق المسكين ...

ثم رأيته يرتد مرة أخرى إلى صمته وصراعه ، ولكنى كنت أشعر به وهو يلين ويتخشع من كل ناحية . لقد كان هذا الصديق قاسياً عنيفاً ، ولكنه كان رقيقاً أيضاً . وكان صبوراً ، ولكنه ربما استكان للجزع . وكان مستوحشاً أبداً ، ولكنه ربما ألف وطاوع وانقاد ، وكأنه لم يجمح مرة . وكان راسخاً شامخاً وطيد الإيمان ، ولكنى كنت أنفذ إليه أحياناً فأجد الزلزلة التى فى قلبه قد جملته يتزعزع ويتطامن ويضطرب بمضه فى بعض اضطراب الموج فى تياره :

لست أدرى ! ولكنى أريد أن أحدثك ، أريد أن أنبذ إليك من القول لتشركنى فى بعض الفكر ...

ثم سكت وسكن ، ولكنه أقبل على وقد جمع أطراف نفسه المبعثرة ، يقول :

... كانا صغيرين ، وكانت أيامهما الصغيرة لا تدرك معنى النظرات التى تلتقى فتتعانق ، فتنعقد عقدة لا تحل . وهكذا نسيهما الزمن فى معبده الآمن ، ثم انتبه يوماً فزفر بينهما زفرة واحدة فتفرقا . لم يدركا يومئذ شيئاً من معانى الفراق المهلكة التى تمحق النفس بالتأمل واللهفة والحنين ، بل نظرا ثم توادعا ، ثم افترقا ثم نسيا . أو هكذا كان ، ولكنه لم يكن فى الحقيقة نسياناً ، بل كان عملاً من أعمال القدر الغامضة ، كان تعبئة للأحداث العظيمة التى تهيأ فتصنع النفس الإنسانية صنعة جديدة لقد عرفت ذلك فيما بعد . وتسحّبت حواشى الحياة بينهما ، حتى رقت أيامهما الأولى ثم جعلت ترق حتى استحارت أحلاماً من الذكرى المبهمة ترف على القلب رفيف النسمات : لا ترى بل تحس ، ولا تمسك ولكنها تلقى عطرها فى القلب وتمضى . ثم لقد نامت تلك العواطف الناضرة الصغيرة فى مهد من النسيان ، ولكنها كانت تنمو أيضاً فى جو هذا المهد

ومشى الزمن بينهما يقيم سدوداً وأسواراً من السنين وأحداثها ، وكما كبرا وامتدا من أيام العمر ، كبرت السماء التى تظلهما وترامت آفاقها ، واستحالت الأيام الصغيرة الأولى أشباحاً ضامرة لا تكاد تبين من دقتها وخفائها

ثم لجّهما القدر فتلاقيا بعد دهر طويل كما يتلاقى نجمان فى ظلمة الليل ، يتناظران لمحة وشعاعاً من بعيد لبعيد . هكذا عرفتُ . لقد كان هو يحسُّ فى بعض أيامه قبل ذلك اللقاء ، أن الفلك قد دار دورته فى القدَر ، وأن القوة المسخِّرة قد قذفت به فى نظام من الجذب جديد ، فلم يكد حتى لح له شعاعها من بعيد يليح إليه بأضوائه وكأنما يقول : أقبل ... هلم إلىّ ... هأنذا ، هأنذا !

ولم يلبث أن أتم هذا الفلك دورته ، فإذا هما يتناسمان فى جوّ عطرٍ تنفح من أردانه أنفاس الأيام الصغيرة الأولى ... أيام الطفولة التى تنمو فيها عواطف القلب وتتفتح ، كما تنمو الزهرة فى أكمامها تحت السَّحر فى مهد الفجر بين روح وشعاع وندًى

واجتمعا ... فإذا هى غادة مضيئة تزهر . لكأن الزمن اختطفها كل هذا الدهر وتسلى بها فى بعض مصانعه العجيبة ، وجعل يجهد جهده بأنامله النابغة الدقيقة ، فهو يجلوها ويصقلها حتى إذا فرغ من فنه الذى احتفى لها به ، ردّها إليه ينبوعاً من النور الضاحك المرح يترقرق لعينيه ممثلاً فى صورتها ... لقد شبت الصغيرة ، ولكن شبابها كان رقّة وحناناً فى أنوثتها ، واستوت فكان استواؤها دقّة فى فن من جمالها ، ونمت نموًّا وضّاحاً ، وكأنما كان يَغذوها نور الكواكب ويُرضعها روح الزهر ... لقد وجدها وهى تضوع وتتلألأ من جميع نواحيها ... لقد كان يخيَّل إليه أن النسيم من حولها يطوف بها متعبّداً خاشعاً ثم يسمى إليه حاملاً نفحة من نفحات الجنة . فكان يحس دائماً أن جوها ينتقل إليه فينفذ إلى قلبه ، فيقعد هناك يتمتم يحدّثه بأخبارها أو يصفُ له منها ما يُوعِب هذا القلب الحزين افتتاناً ولوعة وحنيناً

لقد شبَّتِ الصغيرة ... ، فنَضَتْ عنها كل مطارف الطفولة ، وتجلَّت جَلوة العروس فى زينة من الصبى والشباب . لقد خلعتْ كل قديمها ، ولكن شيئاً واحداً بقى كما هو ، لا بل بقى أقوى مما كان وأصفى . تلك هى روحها ، الروح القوية

الآسرة المتسلطة . تغيَّر كل شيء إلا عيونها التي تشفُّ عن هذه الروح التي لا تتغير . فالنظرة الباسمة الخاطفة التي كانت تخضع بها تمرد ذلك الصبي العارم الصغير ، هي هي النظرة الباسمة الخاطفة التي هجمتْ منه على الرجل فأضاء وميضها له الطريق ، وحبسته بأسرها وسلطانها على هذا الطريق نفسه وفي وقت معاً ...

ثم نحا صاحبي ببصره إلى قطع من الليل جاثم من عن يمينه وأطال النظر في جوفه . ثم خيل إليّ أنه قد جعل يصغي إلى همس الليل ، ويتسمع وسوسته الخافتة إلى رمال الصحراء ، وبقي زماناً لا يكاد يتحرك ، ثم انتفض في مكانه انتفاضة خفيفة — ما رأيتها ولكن رعدتها جرت في دمي وأوصالي قشعريرة عرفتها

ثم عاد إليّ يتنهد ويقول :

هكذا هي ... أو هكذا كانت ... أما هو ...

وارتعشت الكلمات في نبراته وعلى شفتيه فأمسك وسكت ، وكأنه عزم ألا يتم ما بدأ من حديثه عن الرجل . نخفت أن ينقطع عني دون خبره ، وأردت أن أستفزه من حيث أعلم كيف أستنبط نبع حديثه ، فعجلت إليه أقول :

أما هو — يا صاحبي ! — فقد كان مجنوناً تنشئ له أعصابه المريضة الهالكة معانيها التي لا حقيقة لها في حقيقتها هي ، و ...

فانقض علي بصوته يقول :

كلا ، كلا ! لا تقل هذا . ليس الأمر كذلك لا تعجل عليه. إنك لا تعرفه ، ولو عرفته فما أظنك تحسن فهم حياته التي يعايش بها الناس . سأحدثك عنه ، لقد علمت أنك تريد أن تحملني على ذلك ، ولا بأس إذن . لا أقول لك إني فهمته ، واستطعت أن أكشف لنفسي عن سر طبيعته ، كلا ! بل أقول لك إني لأحس بكل ما يعتلج في قلبه من آلامه ، وكأنها عندي هي كل آلامي

إنه رجل قد امتلأ حكمة من طول ما جرب ، ومن عنف ما لقي من الأحداث التي نقضت بناء حياته مرة بعد مرة . نعم إنه لملء رجولته تجربة ، ولكن ... ولكني سأصفه لك على كل حال . سأحاول أن أعبر لك عن حقيقة معرفتي به . نعم ! هو إنسان غامض مبهم محير ، إذا صحبته رأيت من نقائضه التي تجتمع لك من أعماله وظواهره ، ما يلتوي بفكرك فيه من هنا إلى هناك ، حتى تجد وكأنما أنت تمشي منه في غمض من الأرض منكر قد درست صواه وعفت رسومه وجهلت معالمه . لا تهتدي فيه أبداً إلى شيء تستطيع به أن تقول : هـذا هو ! هذه هي الفكرة ... ، هذا هو الطريق ! !

سكت صاحبي قليلاً وقد طرح فكره في مذاهبه ثم عاد يقول :

فلنعد إلى حديثنا إذن ، لقـد حملتني على أن أذهب بك بعيداً ... كذلك كانت هي كما وصفتها لك بل أروع مما وصفتها ، حين التقيا على غير موعد يتوقعه أحدهما ... أما هو فكان يومئذ رجلاً ضرباً متوقداً ثائراً عنيفاً ، لا يزال يتمزع من جميع نواحيه كأن في تجاليد شخصه روح وحش شارد لا يألف الحياة ولا هي تألفه . كان فكرة شامخة عاتية عضلة تأبى أن تنهضم لأحد أو تستذل . كان كالبركان في عنفوان فورته تتقلع به صواعقه وزلازله . وهكذا كنت أبداً أعرفه ، ولكنه كان مع كل ذلك يحب أن ينطوي على هذه العواصف التي تتقصف برعودها بين جنبيه . ومن أجل ذلك كنت أجد في عينيه أحياناً بارقاً ساطعاً يتداركُ ويتلهَّبُ ، حتى يجعل نظراته كأنها سياط من الأشعة يتضرم اللهب على عذباتها ... لا تعجب ، فأشهد لقد خيل لي مراراً أن نظرته هذه إنما تكوى من يتعرض لها أو من يجالده بها ، حتى لأخشى أن تكون تترك فيه من آثارها أخاديد تنتفض كملَع النار على الجسد

لا تعجل ، ولا تشطط . لقـد تعلم أنه كان — مع كل هذا الذي وصفت لك إنساناً وديعاً رقيقاً . كان قلبه خلاصة صافية ممثلة من الحنان والشفقة . ولكنه أصيب بأحداث كثيرة جعلته ظنوناً حزيناً ، فهو لذلك يضن بما في قلبه أن يطلع على حقيقته الكاملة أحد من الناس . لم أر — فيمن رأيت من الناس — من هو أبعد منه مذهباً في الاحتراس والحذر ، ومع ذلك أيضاً ، فلو أنك رأيته في بعض ساعاته لظننت أنه رجل غمر يختدعه عن نفسه كل أحد ، ولكنه ليس كذلك . نعم ، لقد كان هشا أحياناً بين يدي من يتناوله ... فإذا أخذ بالاعتناف والقسر ، انقلب الذي فيه ضارياً لا يطيق ولا يطاق

هكذا كان أول ما تلاقيا ...

ثم صمت صاحبي ، وخيل إليّ أنه يضحك . لقد كان يخافت من ضحكه ، كأنما هو يسخر ، ورجع إليّ بعد قليل فواصل حديثه :

النقابات الاسـلامية (*)

للأستاذ برنارد لويس

ترجمة الأستاذ عبد العزيز الدوري

[تتمة]

يأتي مصدرنا الثاني من النصف الثاني للقرن التاسع عشر . ففي سنة ١٨٨٤ م قدم إلياس قدسي (وهو سوري) إلى مؤتمر المستشرقين الدولي نتائج بحثه في السنة الفائتة عن طوائف «دمشق [1]» ويجب اعتبار هذا البحث مصدراً تاريخياً وإن كان حديث العهد، لأن معظم ما يصفه قد اختفى دون أن يدرس ثانية

يخبرنا قدسي أنه كان على رأس جميع طوائف المدينة (شيخ المشايخ) وكان هـذا المنصب وراثياً في عائلة خاصة ، ولا يمكن انتخابه أو إقالته أو استبداله بشخص آخر . وكان دوره قابلاً للانتهاء إما بوفاته أو باستقالته (ويكون ذلك أحياناً بتأثير السلطان) وقد كان في زمن أقدم الحاكم الأعلى في جميع شؤون الطوائف . ويحدث المحدثون أن سلطته (أي شيخ المشايخ) كانت في زمن ما واسعة جداً تمتد حتى إلى حق الحكم بالموت . وعلى كل فقد احتفظ لزمن طويل بحق سجن أو تقييد رجال الحرفة أو ضربهم بالسياط . وكان يعيش على وقف وراثي . وقد أنقصت سلطاته إلى حد كبير بعد «التنظيمات» أي الإصلاحات العثمانية في القرن التاسع عشر وأصبح مركزه رتبة شرف فقط . وكان شيخ المشايخ في زمن بحث قدسي عالماً كبيراً ولكنه يجهل تماماً جميع الحرف . وكان عمله الوحيد المصادقة على تعيين رؤساء الطوائف الذين يعينهم الأساتذة

ويظهر أن رتبة شيخ المشايخ كانت مختصة بدمشق فقط إذ لا يوجد لها أثر في أية مدينة أخرى . لم يكن باستطاعة شيخ المشايخ حضور جميع اجتماعات الطوائف شخصياً . لذلك كان يرسل موظفاً خاصاً يسمى (النقيب) في حالة وجود اجتماع لترقية بعض الأعضاء إلى صناع أو أساتذة أو لأي شيء يخص المجموع. وعند ما كانت وظيفة شيخ المشايخ مهمة وذات نفوذ كان له عدة نقباء . لـكن قدسي وجد نقيباً واحداً (زمن بحثه) له معرفة بالحرف وبشؤون الطوائف وهي الصفة التي كانت تنقص الشيخ

ويلي شيخ المشايخ — شيخ الحرفة — ينتخبه أكبر أعضاء النقابة من بين أبرع ماهري الحرفة ، ولم تكن تتبع أية قاعدة في الأولوية سواء أكان ذلك من جهة السن أم طول زمن العضوية فقد يكون الشيخ ، وقد كان كذلك في كثير من الحالات ، شاباً حدثاً، بل كان يطلب فيه أن يكون فاضل الأخلاق ، عاملاً ماهراً محترماً بين رجال الطائفة قادراً على تمثيلهم أمام السلطان . كان منصب الشيخ وراثياً في بعض الطوائف ، ولـكنه خاضع دائماً لمصادقة المنتخبين . ويعين الشيخ لـكبر سنه ، ويمكن استبداله إن وجد أنه غير جدير بمنصبه . وكانت واجباته : دعوة الاجتماعات وترأسهـا ؛ وملاحظة المحافظة على مستوى الطائفة ، ومعاقبة مخالفي قواعد الحرفة ، وتنظيم شئون العمل (وكان هذا يفوض إلى الأساتذة) ؛ والاجازة إلى درجة صانع أو أستاذ ، وأن يكون رأس الطائفة المسئول في كل العلاقات مع الحكومة . أما فيما يخص انتخاب الشيخ فقد لاحظ قدسي أنه لم يكن ينتخب بالأكثرية ، فعنـد خلو كرسي الرئاسة

(*) راجع الأعداد : ٣٠٠ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ من الرسالة

(١) راجع بحث إلياس قدسي عن النقابات في دمشق في أبحاث مؤتمر المستشرقين الدولي في جلسته السادسة ١٨٨٤ ص ٣ وما يليها ، والبحث بالعربيـة .

كيف قلت في نعته ؟ كان مجنوناً تنشيء له أعصابه المريضة المالـكة معانيها التي لا حقيقة لها في حقيقتها هي ... ! ! نعم ، ربما كان ذلك صحيحاً من بعض وجوهه ، ولـكني على يقين من أنك لا تكاد تعرف وجه الحق في تأويل هذا الوصف . لا بأس ومع ذلك ، فأي هذا الناس ليس مجنوناً على الحقيقة من بعض نواحيه ؟ إنك لو جهدت فتتبعت تاريخ الإنسانية كله لم يخلص لك من أصحاب العقل الـكامل إلا أفذاذ قلائل . ومع ذلك ، فليس أحد من هؤلاء الأفذاذ قد نجا من قذف الناس إياه بالجنون . ألا تخبرني أي الأنبياء — وهم فضائل الإنسانية الـكاملة — بريء أن يقول فيه أهله وعشيرته : «إن هو إلا رجل به جِنة» أو «ساحر» أو «مجنون» ؟

إن من أعظم حقائق الحياة الدنيا أن العقل لا يستطيع أن يدرك حقيقة العقل، أي أنه لا يستطيع أن يدرك حقيقة نفسه ! و ...

وصدّع السكونَ صوت صفير النارة الجوية ، فانتزع صاحبي ثم قال :

— أليس هذا هو صوت جنون سكان العالم ؟ أليس كذلك ؟

«لها تتمة» محمود محمد شاكر

يجتمع الأساتذة المتقدمون ، ويتناقشون فى المرشحين القابلين للانتخاب فإن لم يتفقوا على شىء يعين شيخ المشايخ شيخاً على كل حال . ثم يثبت شيخ المشايخ الشيخ الجديد فى حفلة خاصة .

كان للشيخ مساعد يسمى شاويش ، وعلاقته بالشيخ كعلاقة النقيب بشيخ المشايخ مع هذا الفرق الهام وهو أنه بينما كان النقيب يعين بواسطة شيخ المشايخ كان الشاويش لا يعين إلا بموافقة المنتجين . ولم تكن للشاويش سلطة خاصة . بل كان ممثلاً ، وضابط تنفيذ لشيخ الحرفة . ويخبرنا قدسى أن منصب شاويش قديم جداً ولكن الاسم حديث

يشتغل المبتدئ من غير أجرة لمدة سنوات حتى يصل إلى سن الرجولة ، وتصبح له مهارة فى الحرفة (على كل كان البعض ينال أجراً أسبوعيا زهيداً حسب ما يستحق) . ثم يصبح بعد ذلك صانعاً ، فإذا لم يتقن حرفته ويتقدم إلى أستاذ بقيت أجوره واطئة ومنع من الاشتغال لحسابه الخاص

كان الصناع فى زمن قدسى يشكلون هيكل الطائفة ، وكانوا أكثرية عظيمة . ويخبرنا أنهم كانوا حافظى سر الطائفة وناقلى أسرارها إلى ما يليهم

ثم يمضى قدسى فى وصف مطول لحفلات الإجازة . يدخل فى ذلك اليمين بالمحافظة على أسرار الطائفة والصنع الجيد ، وكذا الرسوم والقوانين المتقنة التى تنظم كل مظهر من مظاهر حياة رجال الطائفة مع كل العلامات والإشارات المعمول بها . وأخيراً يشير قدسى إلى التشابه بين هـذه الحركة وبين الماسونية الحرة فى أوربا متسائلاً عما إذا كانت هناك علاقة بين الاثنين [١]

يكفى ذكر بعض الملاحظات عن الطوائف المصرية حيال هذا الوقت لنتبين بعض الاختلاف ، فشيخ المشايخ غير معروف هنا . وإنما نجد الطوائف تحت رئيس البوليس ... كان لرئيس الطائفة (ويدعى هنا شيخ الطائفة) سلطة نظارة للعمال وتسوية الخلافات فيما يتعلق بعملهم ومعاقبة المخطئين [٢] وكان يدعو مجلساً من المختارين (نواب رئيس الطائفة) عند الضروريات يشكل محكمة قضاء لرجال الطائفة . ولم تكن توجد درجة صانع ، بل كان المبتدئ عند إجازته يرفع إلى منزل أسطى أو أستاذ رأساً . وكان يطلب منه صنع شىء نموذجى

ويهمنا بصورة خاصة معرفة أنه كان فى طوائف القاهرة نوع من أنواع التأمين ضد البطالة والمرض يتعاون فى ذلك جميع الأعضاء

لم تستطع كل هذه التشكيلات التى دامت دون تغير تقريباً حتى القرن التاسع عشر ، وأحياناً حتى القرن العشرين مقاومة هزة الفتح الأوربى ، ففى كل محاولة فى البلاد الإسلامية أخذت طرق الإنتاج القديمة تفسح المجال لطرق جديدة ، وهكذا بدأت الطوائف تنحل . وتحولت هذه التشكيلات فى أغلب الأحيان إلى اتحادات تجارية Sindicats من النوع الأوربى كما اشتركت بعض نقابات تونسية وسورية ، ومن الهند الصينية الهولندية فى اتحادات العمال الدولية ، وهناك نقابات أخرى فى دور انتقالى

بقى علينا أن نذكر ناحية غريبة من حياة الطوائف الإسلامية (أى ما يعرف بالطوائف الوضيعة) [١] ، فمن أزمان متقدمة نجد فى البلاد الإسلامية طوائف منظمة كاملة فى مراسيمها ونظمها وتقاليدها من نوع آخر من الحرف كاللصوص وقطاع الطرق فكانت (لبنى ساسان) أو (نهابى القاهرة) المنظمين سطوة عظيمة لمدة طويلة . وفى دور الفوضى فى عصر الخليفة العباسى المقتفى ١١٠٦ – ١١٣٦ م سيطرت طوائف اللصوص فى بغداد على هذه المدينة [٢] وهذه الطوائف التى لم تكن لها دون شك أية علاقة بطوائف الصناع الحقيقية ساعدت على حط سمعة هذه الطوائف ؛ وكانت يتخذها أعداء الطوائف وسائل للتهجم عليها

ما هى النتائج العامة التى تستخلص من هذا العرض للطوائف الإسلامية ؟ يظهر لى أننا نستطيع أن نستخلص أربع خصائص تميز تنظيمات النقابات الإسلامية من تنظيمات النقابات الأوربية كما يلى :

أولاً : على العكس من النقابات الأوربية التى ظهرت لخدمة عامة معترف بها ولها امتيازاتها وتدار من قبل السلطات العامة للأمير أو البلدية أو الملك نشأت النقابات الإسلامية من تلقاء

---

(١) بهذه المناسبة لا نجد مانعا من ذكر علاقة غريبة بين الماسونية الحرة والنقابات الاسلامية . ففى أوائل القرن التاسع عشر ادعى بعض الفرنسيين فى سوريا بأنهم اكتشفوا شبهاً بين رسوم الماسونية الحرة وبين رسوم الدروز ، ولما كان الدروز من أصل إسماعيلى وتأثير الاسماعيلية على النقابات الاسلامية عظيم كما ذكرنا نجد العلاقة ذات أهمية ، بينما يعتبر (فون همر) نظام النقابات الأوربية مشتقا من نظام النقابات الاسلامية

(٢) ص ١٥ يذكر ملاحظ آخر لنقابات القاهرة وجود هذا الشرط لاحظ Martin Les Bagares du Caire, Paris, 1910

(١) يلاحظ المسعودى وجود نقابات لصوص فى بغداد ٩٠٩ م ، أنظر مروج الذهب طبعة باريس ١٨٩١ ج ٨ ص ١٨٩

(٢) ابن خلدون باريس ج ٣ ص ١٠٣ ، أنظر تلبيس إبليس لابن الجوزى طبعة القاهرة ١٧٤٠ هجرية ص ٤١٥ وما بعدها . قال لى البروفسور Coornaet بأن مؤسسات من هذا القبيل ليست خاصة بالاسلام لوجود نقابات مشابهة لها فى فرنسا فى القسم الأخير من القرون الوسطى

نفسها ، من الشعب ، وتكونت لا إجابة لحاجة الدولة ، بل إجابة لحاجات كتل العمال أنفسهم ، كما أن النقابات الإسلامية اتخذت ، خلا فترة قصيرة ، إما عداوة مكشوفة للدولة ، وإما عدم ثقة . وقوبل ذلك بالمثل من قبل السلطات العامة سياسية أو دينية. ويظهر مدى هذا الشعور ضد السلطات الحاكمة من بروزه المفاجئ في القرن العشرين في الدور الهام الذي لعبته النقابات في الثورة الإيرانية ، ومن التطور السريع للنقابات الإسلامية إلى كتلة ثورية في الهند الصينية . وفي الرابطة القوية بين هذه النقابات وبين الشيوعية الأوربية [1] . ولا ينقص قيمة هذا الاستنتاج منح بعض الأمراء السنيين وضعاً مقيداً للنقابات للحصول على تأييدها كما لا ينفي وجود خلافات في بعض الأحيان بين الحكام الأوربيين والنقابات كون هذه المؤسسات أميرية

ثانياً : تنتج الخاصة الثانية لحياة النقابات الإسلامية أولا مما ذكرناه الآن، وثانياً من حالة طرق الإنتاج التي لم تتغير في الأراضي الإسلامية منذ القرن الثاني عشر حتى القرن التاسع عشر . فلا يوجد في تاريخ النقابات الإسلامية ما يماثل الازدهار العظيم في النقابات الأوربية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، الذي انتهى بانقسام هذه النقابات إلى سادة وصناع : (طبقتين مختلفتين ومتماديتين) . وفي ارتفاع السادة السياسي والاقتصادي العظيم ، وفي تنظيم نقابات خاصة للصناع كسلاح في نضال الطبقات العنيف الذي نتج [2] . أما في الإسلام، فقد بقي الأستاذ والسيد والصانع والمبتدئ طبقة واحدة في المجتمع على اتصال شخصي قريب فرتبة الصانع وهي مؤقتة وانتقالية دائماً ، وفي أكثر الأحيان غير موجودة [1] ، لم تتطور أبداً إلى منزلة اجتماعية دون أمل في الارتقاء إلى رتبة أستاذ . فالنقابة الإسلامية لخلوها من التفريق الاجتماعي الداخلي [2] الذي يقسم النقابة الأوربية ، حافظت على خاصتها التي انطبعت بها عند ما ظهرت في القرنين العاشر والحادي عشر ، وهي المساواة بين أفرادها كطبقة في المجتمع في شكلها الخاص كثورة للعمال ضد ارتفاع الرأسمالية الاقتصادية والتجارية عندئذ.

ثالثاً — والميزة الثالثة في الطوائف الاسلامية : هي كونها تضم أفراداً من مختلف الطوائف ؛ فبينما أبعدت الطوائف الأوربية من صفوفها حتى المسيحيين المختلفي المذاهب ، نجد الطوائف الاسلامية مفتوحة لليهودي والمسيحي والمسلم على السواء ، بينما نجد بعض الطوائف الاسلامية تسودها الأغلبية الغير مسلمة

رابعاً — وختاماً يجب أن نلاحظ أهمية الحياة الداخلية الروحية في النقابات الاسلامية؛ فعلى العكس من الطوائف الأوربية لم تكن النقابة الإسلامية تشكيلاً مهنياً فقط ، فمنذ أن كانت النقابة تشكل جزءاً من نظام الدعاية الاسماعيلية حتى الوقت الحاضر احتفظت هذه النقابات دائماً بمثلها المتأصلة فيها قوانينها الأخلاقية والأدبية التي كانت تدرس لكل المبتدئين في نفس الوقت الذي تعلم فيه الحرفة .

عبد العزيز الدروي

(الرسالة) : عالج الأستاذ برنارد موضوع الطوائف الاسلامية علاجاً حسناً ، ولكن ضعف المترجم في اللغة العربية وجهله ببعض المصطلحات التاريخية أصابا المقال بشيء من التفكك والغموض .

(١) أنظر Revue du monde Musulman lviii, lii, li ولاحظ الأستاذ ماسينيون أن النقابات في فارس تحتفظ بروح انتقاد خاصة ضد السلطة الحاكمة.

(٢) يوجد استثناء لذلك في أناضوليا في القرنين الثالث والرابع عشر فهنا نجد قسما من الأساتذة في جميات الأخوة (كما لاحظ كوبرولو وتشنر) ظهر أنهم تطوروا إلى نوع من الرأسماليين يتمتعون بنفوذ اقتصادي واجتماعي . وهذا الاتجاه يعطى شيئا يوازي التطور البلدي في أوربا ، ولكنها على كل حال كانت محدودة الاتساع ولم تتطور إلى درجة التصادم بين العمال والأساتذة ج . وهي خاصة بأناضوليا حيث خلقت قوة النفوذ البيزنطي والهجرة التركية ظروفا خاصة ، وحتى هنا (أناضوليا) قضى على هذه الحركة حالما تقوى مركز السلالة العثمانية لذا فلا شيء ، فالشيء للوقت المحلي لا يفسد صحة المبدأ العام بينما يعتبر — (تشنر) — حركة الأخوة كحركة الطبقة المتوسطة صاحبة رأس المال بدل أن يعتبر ظهور طبقة متوسطة من بين النقابات ، ويضم اتحاد الفتوة والنقابات مدة قرون بعد ذلك

(١) بالرغم من أن قدسي يقول أن الصانع يشكل هيكل النقابة تجب ملاحظة أن قدسي شاهد متأخر كتب بعد أن طرأ تغير كبير على النقابة . أما (أوليا) و (صدق) — صدق كاتب من النقابات في القاهرة — فلا يذكران هذا المنصب

(٢) لاحظ Billioud من خصائص النقابة الاقطاعية المحتكرة في فرنسا فهنا يشكل الأساتذة صنفاً إقطاعيا وراثيا يعادي كل العناصر الجديدة الغريبة من صنفه. قارن هذا بنظر الأساتذة المرشحين للأستاذية في النقابات الاسلامية

من نواحى المجتمع

بين مفتش وموظف

للأستاذ محمود محمد سويلم

حدثنى من أثق به أيام مقامى « بمنفلوط » أن مفتشاً تردد على موظف حتى أضجره وضايقه ، وكان ضرورياً أن يقصر الموظف أو تقصر يده عن إجابة رغبات رئيسه الذى لا تكاد تنتهى له زيارة حتى تبدأ أخرى ، فأحس المفتش بهذا التقصير وكبر عليه وصوره له شيطانه بصورة مثيرة فأضمر الشر لصاحبه ؛ وانطبعت دخيلة نفسه على محياه فقرأ الموظف المسكين هـذه الآيات الصامتة التى تفصح فى غير عبارة عما انطوت عليه نفس رئيسه من ضغينة لا يدرى إلا الله مداها ، وكأنه فى موقفه هذا جهد نفسه على أن يخفى ما ألم بها فيقابل رئيسه بشىء من المداراة والابتسام المتكلف . وكيف يتهيأ ذلك لنفس ساذجة لم تألف هذا التلون ولم تمتد هذا النفاق؟ فلم يفلح فى هذه المحاولة وظهر على وجهه من العبوس ما ظهر على وجه رئيسه ، فتهاجرا وتدابرا ووجد الشيطان الفرصة سانحة فأغرى كلاً بصاحبه ؛ فكتب المفتش والموظف إلى الرياسة جميعاً

فماذا كتبا

قال محدثى : لقد طلب المفتش عزل الموظف لأسباب أبداها يالله ! ألم يقدر هذا المفتش مآل أسرة تحيا فى ظلال عيش آمن إن لم يكن ناعماً ولا مترفاً ، يريد نقلها إلى بؤس الحياة ألم يقدر وهو المؤمن بالله واليوم الآخر موقفه بين يدى جبار الأرض والسموات موقف الظالم من المظلوم (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) ؟ نعم لم يقدر شيئاً من ذلك ؟ لماذا ؟

أما الموظف فما عسى أن يكتب وهو لا يطمع فى انتصاره على رئيسه ، حتى ولو كان محقاً ، ولا فى السلامة من شره وإن قام بأعباء وظيفته على خير حال ؟

لـكنه برغم ذلك أبى إلا أن يكون جريئاً وإلا أن يقابل الشر بالشر فكتب إلى الجهة نفسها يقول :

« إما أن تزيدوا فى مرتبى حتى يكفينى والمفتش جميعاً ، وإما أن تزيدوا فى مرتب المفتش حتى يعف »

نتيجة محزنة ومأساة مروعة فى الأخلاق وفى الفضيلة

لقد كان من عادة الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يبعث مندوباً إلى عماله الذين تمولوا على حساب العمل فيقاسمهم أموالهم مناصفة ليأخذ نصفها فيضمه فى بيت مال المسلمين . فاتفق له مرة أن أرسل مندوباً إلى كبير من ولاته لهذا الغرض ، وكان هذا الوالى داهية ، فحاول أن يخدع مندوب الخليفة كى يتغاضى عن بعض المال ، فأمر بإعداد مائدة من أشهى الأطعمة وأنخر الألوان ؛ فلما مدت المـائدة ورأى مندوب الخليفة ألوان الطعام أدرك على الفور أنها خدعة ؛ فثارت ثائرته ، وقال للوالى فى صراحة الحق وشجاعة الإيمان : أ كل ضيف تقدم له مثل هذا ؟ والله لا آكل من طعامك شيئاً . هات مالك أقاسمك إياه ! ... فلم ير الوالى بدا من الخضوع للأمر . ونعود فنقول ما قال الأول :

فأين الـثريا وأين الـثرى وأين الحسام من المنجل ؟

نعم شتان بين من هـذبهم الإسلام فزكى نفوسهم وطهر جوارحهم ، وأشربت قلوبهم محبته ، فلا سلطان إلا سلطان الله ، ولا فكر إلا فى دين الله ، ولا عمل إلا بوحى الله الذى أرسل به رسوله .. وبين من تملكت المادة نفوسهم ، وطرفت الدنيا عيونهم ، ولعبت الشهوات بقلوبهم وعقولهم

ماذا ينتظر الرئيس من مرؤوسه ؟ أينتظر منـه أداء مهمته على الوجه الأكمل ليرضى ربه وضميره والناس ويأكل رزق الله الذى أفاض عليه حلالاً طيباً ، أم ينتظر منه أن يحسن الملق والدهان والسير فى الركاب ... وإن ترك أعمال وظيفته جانباً وأكل مال الدولة سحتاً حراماً ؟

محمود محمد سويلم
واعظ ممالوط

كتاب رسوم دار الخلافة

لهلال بن المحسن الصابئ

للأستاذ ميخائيل عواد

استوطن بغداد في صدر الدولة العباسية فئة نحلتها الصابئية، نزحتْ إليها من حَرّان والرقة المشتهرتين بمنازل الصابئة . تلك الفئة هي آل زهرون وأنسباؤهم آل قرّة

أصابت هذه الجماعة الصابئية في بغداد نصيباً وافراً من العلم والأدب والطب ، فمهرت في كلياتها وجزئياتها ، ودفعتها فطنتها وتوقد ذكائها إلى تقلد جلائل الأعمال بخدمة خلفاء بني العباس وأمرائهم ووزرائهم ، فسار ذكرها في الآفاق ، وكان عليها المعاد لطائفة من الأعمال التي قامت بها خير قيام

ومما زاد في علو شأن هذه الأسرة أن جماعة من أفرادها خلّفوا مؤلفات جليلة في بحوث نافعة كالأدب والتاريخ والطب والفلك وغيرها . وسيكون مدار كلامنا[١] على أحد أعلام هذه الأسرة وهو : « هلال بن المحسّن الصابئ » .

مولده ونشأته

هو أبو الحُسين [وقيل أبو الحسن] هلال بن المحسن[٢] ابن أبي إسحق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون ابن حيون[٣] الصابئ[٤] الحَرّاني[٥]، لقب بالرئيس ، كان مولده ببغداد في شوال سنة تسع وخمسين وثلثمائة للهجرة ، ونشأ بها. وكان أبوه المحسّن صابئياً ، وأمه أخت ثابت بن سنان بن قرّة الطبائي المؤرخ الشهير . وقد أسلمَ هلال في أواخر أيامه ، وحسن إسلامه[١] . ويُعَدّ أوّل أبناء بيته الذي ترك نحلته القديمة ليسلم

تنقل هلال في دار الخلافة العباسية ببغداد ، فعرف نواحيها ورسومها وأسرارها، وبرع في آداب الخلفاء ومجالستهم حتى فاق جده إبراهيم ؛ ذاك الذي خنق التسعين في خدمتهم . وتولى هلال أموراً عديدة منها ديوان الإنشاء[٢] ، وعُيّن حيناً كاتباً لأسرار فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف الذي ترك له مبلغاً كبيراً من المال عند وفاته، غير أن هلالا امتنع عن التصرف فيه، لأنه كان يتقاضى ما يمكّنه من العيش من الدولة فترك الإرث لابنه غرس النعمة[٣]

اشتهر هلال بتاريخه ، كما اشتهر جدّه ابراهيم برسائله . وقد أدرجه القفطي في كتابه « تاريخ الحكماء » في سجل من اشتهر بتدوين التاريخ . فهو يبتدئ بذكر الطبري ، وينتقل إلى ذكر أحمد بن أبي طاهر وولده عبيد الله فالفرغاني ، إلى أن قال: « فإن قرنت به [أي كتاب التاريخ لثابت بن سنان] كتاب الفرغاني الذي ذيل به كتاب الطبري فنعم الفعل تفعله ، فإن في كتاب الفرغاني بسطاً أكثر من كتاب ثابت في بعض الأماكن، ثم كتاب هلال بن المحسّن بن ابراهيم الصابئ، فإنه داخل كتاب خاله ثابت وتم عليه إلى سنة سبع وأربعين وأربعمائة [أي قبل وفاته بسنة واحدة] ، ولم يتعرض أحد في مدته إلى ما تعرض له من إحكام الأمور والاطلاع على أسرار الدول ، وذلك أنه أخذ ذلك عن جده لأنه كاتب الإنشاء ويعلم الوقائع ، وتولى هو الإنشاء أيضاً ، فاستعان بعلم الأخبار الواردة على ما جمعه ثم يتلوه كتاب ولده غرس النعمة محمد بن هلال ، وهو كتاب

(١) إن جميع ما ذكرناه في هذا المقال مستخلص من المقدمة المسهبة التي وضعناها لكتاب : « رسوم دار الخلافة » الذي نعنى بنشره الآن

(٢) المحسن كمحدث ، وغلط من ضبطها كمكرم (عن المساعد : وهو معجم للأب أنستاس ماري الكرملي ، لا يزال مخطوطا)

(٣) حيون كقيوم (المساعد)

(٤) الصابئ مهموزة الآخر ، وأخطأ من كتبها بالياء ، لأن المعنى يتغير تغيراً عظيما (المساعد)

(٥) هكذا اشتهر عند العوام . والاصح الحرناني ؛ لأن النسبة إلى حران للعاقل حرناني ؛ ولغير العاقل حراني (المساعد) ، وانظر الزبيدي في تاج العروس (٩ : ١٧٣ مادة حران)

(١) سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان : — ينقل ما رواه هلال عن قصة إسلامه — مخطوط ذو رقم (١٥٠٦ عربي) من دار الكتب الأهلية بباريس ، ورقة ١١ ، ١٩ ، ٢٠) [عن الدكتور مصطفى جواد]

(٢) مجلة الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية ، سنة ١٩٠١ (ص ٥٠١ و ٧٤٩)

(٣) راجع المجلة الاسلامية (٤ : ٢١) ، ومقدمة تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ص ٦

حسن إلى بعد سنة سبعين وأربعمائة بقليل ، وقصر فى آخر الكتاب لمانع منعه الله أعلم به ...(١) »

ثم شهد له مرة أخرى حيث قال : « ولولاهما [ثابت وهلال] لجهل شيء كثير من التاريخ ...(٢) »

وهذا السخاوى نجده يذكر هلالا فى ثبت من ألف فى التاريخ العام ، ثم يعود إليه ثانية فيذكره ضمن مَنْ اشتهر فى كتابة تواريخ الوزراء(٣)

سمع هلال قبل أن يسلم جماعة من مشاهير النحاة وتأدب بهم ، منهم : أبو على الفارسى النحوى ، وعلى بن عيسى الرمانى ، وأبو بكر أحمد بن محمد بن الجرّاح الخراز . فنبغ فى علمه وأدبه حيث قال فيه سبط ابن الجوزى : « ... كان هلال من الفصحاء وله الكلام الفصيح والنثر المليح »

اشتهر بالصدق والأمانة ، كما شهد له بهذا فريق من مشاهير الكتبة . منهم الخطيب البغدادى الذى كان معاصراً له قال فيه : « ... كان هلال ثقة صدوقاً »(٤) . وذكره آخرون بكل ثناء وتقدير فى مناسبات مختلفة : كياقوت الحموى ، وابن أبى أصيبعة وابن عبد الحق ، والسخاوى ، وحاجى خليفة ، وغيرهم ...

توفى هلال ليلة الخميس سابع عشر رمضان سنة ثمان وأربعين للهجرة عن تسع وثمانين سنة . قال فيه ابنه : « توفى والدى الرئيس أبو الحسين هلال ... فانتقض السؤدد بمصابه ، وانثلم الفضل بذهابه »

وتوفى هلال عن بعض الولد ، أخصهم بالذكر أبو الحسن محمد « غرس النعمة » رزقه سنة ٤١٦ للهجرة بعيد انتقاله إلى الإسلام حيث قال عن نفسه فى قصة إسلامه : إن النبى (ص) قال له فى المرة الثانية : وتحقيق رؤياك إياى أن زوجتك حامل بغلام ، فإذا وضعته فسمه محمداً . فكان كما قال . ولد له ذكر فسماه محمداً وكناه أبا الحسن . وكان هذا الأمر من جملة ما رآه هلال فى المنام ومجيء النبى (ص) إليه ثلاث مرات يدعوه بها إلى الإسلام .

نشأ محمد غرس النعمة فى كنف أبيه وفى رعايته ، فأخذ عنه العلم والأدب فنبغ فيهما . وقضى بعض الزمن فى دار الإنشاء للخليفة القائم . قال سبط ابن الجوزى فى أول حوادث سنة ٤٤٨ :

(١) و (٢) القفطى فى تاريخ الحكماء (ليبسك ص ١١٠ ، ١١١) وانظر حاجى خليفة فى كشف الظنون (طبعة فلوجل ٢ : ١٢٣)

(٣) السخاوى فى الاعلان بالتوبيخ (ص ٩٧ ، ١٥٩)

(٤) الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد (١٤ : ٧٦)

« من أول هذه السنة ابتدأ أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن ابن ابراهيم الصابىء الكاتب ، ويسمى غرس النعمة تاريخه وذيّله على تاريخ أبيه هلال ، وزعم أن تاريخ أبيه انتهى إلى هذه السنة(١) » . وصنف كتباً أخرى نفيسة كان مصيرها الضياع(٢)

وكانت وفاة محمد غرس النعمة سنة ثمانين وأربعمائة ، فزال مجد بيته بموته(٣)

***

وضع هلال طائفة من الكتب الجليلة فى بحوث متنوعة ، سطت على أغلبها يد الزمن العاتية ، فلم يسلم منها إلا النذر اليسير

وقد اقتصرت المراجع القديمة على ذكر بعض من مؤلفاته فإن ابن خلكان يقول : « ... ورأيت له تصنيفاً جمع فيه حكايات مستملحة وأخباراً نادرة ، وسماه كتاب الأماثل والأعيان ومنتدى العواطف والإحسان ، وهو مجلد واحد ، ولا أعلم هل صنف سواه أم لا ...(٤) »

وذكر هذا الكتاب ياقوت الحموى قال : « ... وصنَّف [هلال] كتاب الأماثل والأعيان ... جمع فيه أخباراً وحكايات مستطرفة مما حكى عن الأعيان والأكابر ، وهو كتاب ممتع . ومما يستحسن من تلك الأخبار ، قال : حدث القاضى أبو الحسين عبد الله بن عياش [عباس بالأصل] أن رجلاً انصلت عطلته وانقطعت مدته ...(٥) »

وقد جاء باسم « الأعيان والأمثال » فى كتاب بدائع البداءة لعلى بن ظافر الأزدى المصرى

أولاً — قلنا : هذا الكتاب هو تحفـة الأمراء فى تاريخ الوزراء ، وهو تكملة لتآليف الصولى والجهشيارى ، ولم يبق لنا منه إلا البداءة التى نشرت ، حيث أن تراجم بعض الوزراء قد فقدت . ذكر فيه أخبار وزراء بنى العباس وشرح أحوالهم ومجارى أمورهم . ابتدأه بأخبار أبى الحسن على بن محمد بن موسى بن

(١) سبط ابن الجوزى فى المرجع الآنف الذكر ، وحاجى خليفة (٢ : ١٣٨)

(٢) القفطى ص ١١٠ ، وابن خلكان فى وفيات الأعيان (بولاق ٢ : ٣٠٠) ، وحاجى خليفة (٦ : ٥٠٣)

(٣) المقدمة الاسلامية (٤ : ٢٢)

(٤) ابن خلكان (٢ : ٢٩٩ — ٣٠٠) ، وابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب (٣ : ٢٧٩)

(٥) ياقوت الحموى فى معجم الأدباء (طبعة مرجليوث ٧ : ٢٥٥) ، وهذه الحكاية التى نقلها ياقوت توافق ما ورد فى ص ١١٣ من تحفة الأمراء

الفرات نشره المستشرق الإنكليزى آمدروز Amedroz (بيروت مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٤) ووضع له مقدمة وملاحظات باللغة الانكليزية فى نحو ٤٠ صفحة ، وفهرساً لأسماء الرجال وآخر لأسماء الأماكن . وفى أوله نبذة فى ترجمة هلال الصابئ ومؤلفاته ، نقل أغلبها عن سبط بن الجوزى ، وورقتان بالفتغرافيه[1] فى جانب من ترجمة أبى إسحق الصابئ[2].

ثانياً — كتاب التاريخ : ذيل به تاريخ خاله ثابت[3] بن سنان — كما صرح بذلك القفطى فى تاريخ الحكماء ص ١١٠ — ويحتوى على الحوادث التى وقعت من سنة ٣٦٠ — ٤٤٧ هـ . والقطعة التى نشرت تحوى حوادث السنوات (٣٨٩—٣٩٣هـ) وإن الأخبار الصادقة فى هذه القطعة لخير برهان على نفاسة الكتاب . نشره أيضاً آمدروز مع تحفة الأمراء بعنوان : « الجزء الثامن من كتاب التاريخ » (ص ٣٦٦ — ٤٨٤)

ثالثاً — غرر البلاغة فى الرسائل : وهو مقتطفات من رسائله الخاصة به . ذكره القلقشندى حين كلامه على نسخ الأيمان المتعلقة بالخلفاء ، واقتطف منه نسخة يمين[4]

رابعاً — كتاب الرسالة عن الملوك والوزراء : وهو مجموع رسائله الرسمية ، وتذكرنا رسائل جده أبى إسحق إبراهيم الصابئ

خامساً — كتاب أخبار بغداد : وهو تاريخ جليل لمدينة بغداد يشهد بذلك ما نقله ياقوت عنه فى معجمه البلدانى[5]

سادساً — كتاب مآثر أهله : وهو تاريخ لأهل بيته . ولا شك أنه حوى معلومات طريفة عمن نبغ من أهله فى مختلف النواحى العلمية والأدبية والسياسية

سابعاً — كتاب الكتاب : وهو تأليف يخص كتبة الأسرار والظاهر أنه على غرار مصنف الصولى واسمه كاسمه

ثامناً — كتاب السياسة : لم يصل إلينا منه شىء

(١) تقابلان الصحائف : ٤٣٠ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ من تحفة الأمراء

(٢) فهرس دار الكتب المصرية (٥ : ١٢٦)

(٣) حاجى خليفة (٢ : ١٢٣)

(٤) القلقشندى فى صبح الأعشى (١٣ : ٢١١)

(٥) ياقوت الحموى فى معجم البلدان (ليبك ١ : ٥٠٨و٢ : ٢٥٥ ، ٥٤٢ ، ٥٦٠ و ٤ : ١٢٣)

تاسعاً — كتاب رسوم[1] دار الخلافة : وهو الذى نعنى بتحريره وتعليق حواشيه ونشره[2]

وقبل البدء فى وصف هذه المخطوطة نقول[3] : إن مؤلفات هلال هى تسعة ، عرف منها حتى الآن : (١) تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ، (٢) قطعة من كتاب التاريخ ، (٣) رسوم دار الخلافة .

وصف شامل لمخطوطة رسوم دار الخلافة

١ — عثر عليها فى دار الكتب الازهرية بالقاهرة ، وهى خالية من الرقم

٢ — عنوانها مثبت بمفرده على الصفحة الأولى وبالصورة التالية : « رسوم دار الخلافة تأليف أبى الحسين هلال بن المحسن ابن ابراهيم الصابئ »

٣ — تشتمل المخطوطة على ٢٠٣ صحائف فى كل منها بين ٨ — ١٤ سطراً

٤ — كتابتها يغلب على نوعها الخط الديوانى ، صعب القراءة وقد استعمل الناسخ لألفاظ الأعداد كتابة ديوانية أيضاً لكنها فى منتهى الغرابة ، إذ يصعب حلها وقراءتها ، وقد يحار بين يديها الكثير من النساخ والكتاب ، حتى من تضلع من قراءة المخطوطات المغلقة .

٥ — المخطوطة حافلة بالكلمات المغلقة ، قليلة التنقيط ، خالية من الحركات وعلامات الوقف . وهذه النواقص وغيرها جعلت كثيراً من الكلمات تقرأ على غير وجه واحد

(١) الرسوم ومفردها الرسم ويراد بها فى هذا السفر معنيان ، نوردهما هنا بوجه الاختصار للتعريف بهما دون التفصيل

الأول : مجموع العادات التى يجرى عليها فى مقابلة الناس أو معاملتهم فى شؤون الألفة . وهذا ما يعرف فى الفرنسية بالتيكيت Etiquette

والمعنى الثانى : مجموع الاحتفاء بالناس فى الأمور السياسية والقيام بها وفى مقابلة الملوك وعظام الدول وهذا يعرف بالفرنسية بالبروتوكول protocole

وهذان المعنيان يتضحان كل الاتضاح من عناوين فصول الكتاب وشروحها (الناقد)

(٢) بسطنا فى مقدمة هذا الكتاب وهى التى أثبتناها فى موطنها ، قصة العثور على هذه المخطوطة الفريدة واقترن ذلك بالشكر لمن كان سبب الخير فى بعثها من التلف . ثم الاعتراف لأولئك العلماء المحققين الذين جاهدوا معنا فى كشف كثير من معمياتها ، وإمدادهم لنا بتعاليقهم الطريفة

(٣) استعنا فى سرد مؤلفات هلال بما كتبه المستشرق فريتس كرنكو F. Krenkow فى مجلة الاسلام (٤ : ٢١ — ٢٢)

٦ — فى بعض مواطنها شىء من الخرم ، كما أن الأرضة لعبت لعبها فاستساغت أكل بعض المواضع فناب رسمها

٧ — وردت كلمة « رحمة الله عليه » ٤٦ مرة ، فكتبت ٤٥ مرة بالتاء المبسوطة أى « (رحمت) الله عليه » ، ومرة واحدة بالهاء المربوطة أو المعقودة

٨ — استعمل المؤلف كثيراً من الكلمات الفارسية التى شاع استعمالها فى الدولة العباسية ، وكان قد ألفها الناس وجرت على ألسنتهم ، وغالب هذه الكلمات هى أسماء لآلات الحرب ، وطائفة من أسماء اللباس والطعام

٩ — جاء فى الصفحة (٢٠٣) وهى الأخيرة العبارات التالية: « عورض به الأصل بخط المصنف وصح والحمد لله رب العالمين » وأعقبها : « الحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما وحسبنا الله ونعم الوكيل » ، ويتلوهما ما نصه : « كان الفراغ من نسخه يوم الثلاثاء التاسع من رجب سنة خمس وخمسين وأربعمائة من الأصل بخط الأستاذ أبى الحسين هلال بن المحسن بن ابراهيم رحمه الله » اهـ

وهذا النص يبيّن لنا قدمها ، وكانت استنسخت عن نسخة المؤلف بعد وفاته بسبع سنوات ، وعلى ما بدا لنا ، فإن هذه النسخة فريدة ، لأن فهارس المخطوطات العربية فى خزائن كتب أوربة والشرق لم تشر إلى وجودها فيها

يتقوم الكتاب من تسعة عشر فصلاً عدا المقدمة والخاتمة وهى كما يلى :

(الصفحة ٢ — ٨) المقدمة ، (٨ — ٣٧) ذكر أحوال الدار العزيزة [دار الخلافة] ، (٣٨ — ٩٨) آداب الخدمة ، (٩٨ — ١٠٩) قوانين الحجابة ورسومها ، (١٠٩ — ١١٧) من الرسم أن يزم الناس فلا يسمع لهم صوت ولا لغط ، (١١٨ ـ ١٢٤) آداب مسايرة الخلفاء فى المواكب ، (١٢٥ـ١٢٧) جلوس الخلفاء وما يلبسونه فى المواكب ، (١٢٧ — ١٣٣) خِلَعُ التقليد والتشريف والمنادمة ، (١٣٣ ـ ١٣٧) ما يحلف به الخليفة عند التقليد والتشريف بالتكنية واللقب ، (١٣٧ ـ ١٤٤) رسوم المكاتبات عن الخلفاء فى صدورها وعنواناتها والأدعية فيها وما يعاد منها فى أواخرها ، (١٤٤ـ١٤٨) خطاب الخلفاء فى الكتب والأدعية (١٤٨ — ١٥١) رسوم الكتب عن الخلفاء (١٥٢ ١٧١) الدعاء للمكاتبين عن الخلفاء وما كان الرسم أولاً جارياً به وانتهى أخيراً إليه ، (١٧١ـ١٧٤) الانتساب إلى مولى أمير المؤمنين (١٧٤ — ١٧٧) ما يذكر فى أواخر الكتب ... (١٧٧ — ١٧٩) الطروس التى يكتب فيها إلى الخلفاء وغيرهم ؛ والخرائط التى تحمل الكتب صادرة وواردة ، (١٩٢ — ١٩٤) ضرب الطبل فى أوقات الصلوات ، (١٩٤ — ١٩٦) خطب النكاح ، (١٩٦ — ٢٠٣) خاتمة الكتاب

ويؤخذ من كلام هلال فى مقدمة الكتاب وخاتمته أنه ألفه فى زمن الخليفة العباسى القائم بأمر الله ، وأنه استفاد كثيراً من خبرة جده إبراهيم فى مثل هذه الشؤون التى ينطوى عليها الكتاب

(بغداد) ميخائيل عواد

الحرب فى أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

التاريخ يسجل

لم يشهد التاريخ انسحاباً موفقاً مثل انسحاب قوات الحلفاء من بلجيكا ، ولم يشهد التاريخ أيضاً تقهقرا أكسب القوات المتراجعة روحاً معنوية كالذى كسبته جنود الحلفاء فى معركة الفلاندر . فقد عملت الحوادث على إرسال موجة شديدة من اليأس والتشاؤم فى صدور العسكريين ، حتى رأى بعضهم أن الانسحاب لا يتم إلا بمعجزة . وها نحن أولاء نرى المعجزة تتم ، ونرى جنود الحلفاء فى بلادهم بعد ما تسلحوا بعزم جديد وروح جديدة هى الاستخفاف بالقوة العسكرية الألمانية

نخبرها جنود الحلفاء وهى فى أحسن أحوالها وأقوى مواقعها بينما كانوا هم فى أسوأ أحوالهم ، وأحرج موقف يمكن أن يوضع فيه جيش . إذ يفاجأون بانسحاب القوات البلجيكية التى كانت تحتل مواقع هامة ؛ ويؤدى إلقاؤها لسلاحها إلى كشف ظهر قوات الحلفاء . فإذا هى تسعى لضم جموعها ، وإذا هزيمتها محققة .

ومع هذا ، فعزيمتها لا تلين ، وأملها فى النجاة لا يضعف ، وصبرها على أهوال القتال لا يتضعضع . فلم يفت فى عضدها القتال المستمر عشرين يوماً ليل نهار . ولم يوهن من قوتها وروحها المعنوية انقلاب المآل من حال إلى حال . فأى عزيمة وأى صبر وأى احتمال سلحت بها قيادة الحلفاء جيوشها ؟ لا شك أن القيادة الرشيدة كانت عاملاً فعالاً فى إقرار هذه الروح فى الجنود ، ولا شك أيضاً أن أخلاقاً قوية ساعدت القيادة على تحقيق أغراضها والوصول إلى أهدافها . لقد خسر الحلفاء هذه المعركة بالخيانة ، ولكنهم كسبوا نصراً عسكرياً وتعلموا كيف يواجهون الألمان ليحرزوا النصر النهائى

الشجاعة تقرر

أما عوامل اليأس من إنقاذ هذه القوات فكانت كثيرة أهمها :

١ — تسليم الجيش البلجيكى

٢ — إغلاق طريق الانسحاب لضيق البقعة الأرضية فلم يبق إلا منفذ البحر مع وعورة مسالكه

وتم استسلام الجيش البلجيكى فى ظروف غريبة شاذة ، فبينما كانت قوات الحلفاء تواصل قتالها باقى ملك البلجيك سلاحه دون إخطار ، وبضع جيوش الحلفاء فى مأزق حرج . فقد كانت قواته تقاتل فى مراكز رئيسية كانت جيوش الحلفاء لها بمثابة احتياطى يسد العجز الذى يطرأ على بعض نقطها

ولهذا توزعت فرق الحلفاء بين القوات البلجيكية ، فلما ألقت هذه السلاح انعدم الترابط بين قوات فرنسا وانجلترا . ووجدت نفسها محاصرة بقوات ألمانية تحتل مواقع الجيش البلجيكى الذى كان بالأمس ظهيرها وعمادها .



الجنرال اللورد جورت قائد الحملة البريطانية وهو يراقب جنوده وهم يعدون الخنادق فى بلجيكا

ثمن الخيانة

لقد تورعنا فى مقالنا الماضى عن التصريح بأن عمل ملك البلجيك كان خيانة مقصودة ؛ أما الآن فإننا إزاء ما عرف من تصرفاته قبل التسليم وبعده ، وعن الثمن الذى تقاضاه لا نجد مفراً من التصريح بما أخفينا . فقد خان القوات التى آزرته خيانة أدت إلى قلب الموقف العسكرى انقلاباً كبيراً أفسد جزءاً هاماً من خطط الحلفاء

أما الثمن الذى تقاضاه ليوبولد الثالث فهو حكم بلجيكا وهولندا والمناطق المحتلة من شمال فرنسا . وليته تقاضى هـذا الأجر حراً أو بشرط الاستقلال ، ولكنه يتقاضاه وسيف هتلر مصلت على رأسه ، فبعد ما كان ملـكا مستقلاً شريفاً أصبح تابعاً خائناً لقضية الديمقراطية بزعامة هتلر

ضيق الميدان

ننتقل بعد هذا إلى النقطة الثانية، وهى ضيق مجال الانسحاب فقد كانت جيوش الحلفاء تقاتل فى رقعة صغيرة من الأرض يليها البحر . فكان مجال التراجع ضيقاً لا يعطى للقوات المنسحبة الميدان الكافى لإنشاء خطوط قتال جديدة . ولم يكن هناك مفر من إخلاء الميدان والاستعانة بالأساطيل البحرية لنقل الجنود ، وهى مهمة شاقة محفوفة بالأخطار تستلزم تجمع القوات فى بقاع صغيرة. فيسهل الفتك بالقوات سواء بالطائرات أو بالمدافع البعيدة المرمى .

ومن مبادئ العلوم العسكرية ألا تتجمع القوات بأعداد كبيرة فى بقعة محدودة حتى لا تكون هدفاً سهلاً لطائرات العدو وتكون خسائرها كبيرة ، ولكن تحقيق هذا المبدأ لم يكن سهلاً فى هذه الحال ولا سيما بعد ما أغلق بعض الموانى بإغراق بعض السفن المحملة بالأسمنت فيها فسدت مسالكها وتعذرت الملاحة فيها فاضطر الحلفاء إلى الاعتماد على ميناء دنكرك وحده

القوة الكامنة

وتيسر تذليل هذه العقبة بتعاون وحدات الطيران والبحرية فى إبعاد قوات العدو وتدمير خطوط مواصلاته . فوجهت انجلترا عدداً هائلاً من سفنها الحربية والمدنيـة ، وعبأت جميع قواتها البحرية من سفن صيد ونوادى تجديف وغيرها لنقل الجنود وحمايتهم . فتم الانسحاب بنجاح كبير وخسائر قليلة منى الألمان بأضعافها . ودلت هذه الحركة على ما فى الأمة الانجليزية من قوة كامنة تظهر فى وقت الشدة

واستغل الحلفاء طبيعة الأرض حول ميناء دنكرك لإبعاد قوات الألمان عنها فغمروا الأراضى فى شمالها وجنوبها بماء البحر واضطرت قوات الألمان إلى وقف تقدمها خلف حواجز المـاء ، بينما ترك طريق التقهقر مفتوحاً من الشرق لقوات الحلفاء التى استمرت فى قتالها أثناء انسحابها النظامى . فليس معنى الانسحاب ترك الميدان دفعة واحدة ؛ بل إنه يتناول عدة حركات عسكرية . فبينما يهاجم جزء من القوات الجيوش المعادية يتراجع الجزء الآخر وهو يحمى مؤخرة القوات المقاتلة ؛ وهكذا يستمر الحال فيتيح الفرصـة للجزء الأكبر من القوات للوصـول إلى أهدافها



وفى الحرب الماضية

وإذا عدنا إلى سـنة ١٩١٤ حين انسحبت الحملة البريطانية من خط بنش كونديه إلى جنوب نهر المارن نجد المجال الواسع الذى كان أمام تلك القوات ، إذ كان ميدانها عريضاً تحمى جانبيه قوات فرنسية ولا تقلقه قوات الطيران كما هى الحال الآن. فكانت القوات تتراجع بنظامها العادى دون أن تلجأ إلى التجمع ودون أن تكون هدفاً صالحا؛ واعتبرت حركة انسحاب الجنرال فرانش عملاً عسكرياً بارعاً نظراً لكثرة القوات التى كان يحاربها

وفى الانسحاب الأخير توفر للألمان الكثرة العددية واستغلال الطائرات والموقف الحربى الممتاز . يضاف إلى ذلك ضيق مجال تراجع الحلفاء واقتصارهم على إنزال قواتهم من ميناء واحد تتعذر فيه الحركات البحرية لسببين: ضيق مدخله، وعوامل المد والجزر، وهما يستلزمان براعة كبيرة فى القبض على دفة السفن

ولا تعتبر موقعة الفلاندر نصراً كبيراً للألمان ، لأن قوات

الحلفاء خرجت منها سليمة ولم تخسر إلا ٢٠٪ منها ، وهذه القوات ستعود إلى ميدان القتال فى فرنسا بعد أن تأخذ قسطها من الراحة . ولا تعتبر المقاومة حاسمة إلا إذا انتهت بتشتيت شمل قواتها على الأقل أو إبادتهم وهذا ما لم يحدث فى معركة الفلاندر بل بالعكس أن الجنود الإنجليزية والفرنسية عرفت أثناءها فقط الضعف فى القوات الألمانية بحركاتها العسكرية الحديثة وستستغل هذا الضعف فى المواقع المقبلة. وكفى أن يؤمن الجندى بأنه أبسل وأقوى من عدوه ليقهره . وشعرت ألمانيا بفشلها فأسرعت فى صباح يوم الخميس بتوجيه هجومها إلى جبهة السوم لتحصل على ما فقدته فى الفلاندر . والمعروف أن معركة الفلاندر أتاحت لقوات السوم أن تحصن مواقعها

وإيطاليا ؟ !

ومن الواجب أن نناقش مسألة حربية ذات أهمية خاصة بالنسبة لنا ، وهى مسألة دخول إيطاليا الحرب . فقد أصبح من المقطوع به اشتراكها فيها . ولكن هل من مصلحة إيطاليا أولاً والمحور ثانياً اشتراكها فيها ؟ هذا سؤال لا يتردد الخبراء العسكريون فى الإيجاب عنه بالسلب . فليس من مصلحتهما لا من الناحية العسكرية ولا من الناحية الاقتصادية أن تلج هذا السبيل

أما من الناحية العسكرية فقد ناقشنا موقف إيطاليا فى البحر الأبيض المتوسط فى مقال سابق تبعاً لمواقعها العسكرية والقواعد البحرية التى تسيطر عليها . وبقى أن نتكلم عن قواتها العسكرية وموقعها الجغرافى ومقارنة هذه القوات بقوات الحلفاء مع ملاحظة تشتت الأمبراطورية الإيطالية فى بقاع يسهل عزلها. فمستعمراتها فى شرق أفريقيا محاطة بالممتلكات البريطانية فضلاً عن سهولة قطع مواصلاتها بإيطاليا بإغلاق قنال السويس فى الشمال والبحر الأحمر من الجنوب ، ثم فرض الرقابة البحرية على خطوط المواصلات البحرية عن طريق رأس الرجاء الصالح

وفى الشمال توجد تونس وهى محاطة بقوات الحلفاء من جميع جهاتها. والغالب أن يتم الاستيلاء عليها فى فترة قصيرة من الزمن. وقد نعود إلى الحديث عن هذا الموضوع فى مقال آخر

ومن الناحية الاقتصادية فإن إيطاليا بلد فقير بدأت عمرانها بطيئاً عقب استيلاء الفاشست على كراسى الحكم . وقد استنفذت كثيراً من مواردها فى حرب الحبشة وحرب إسبانيا ولم يتح لها الوقت الكافى لاستغلال موارد مستعمراتها الحبشية، بل أن القلاقل ما زالت تنبئ بعدم الاستقرار فى الحبشة نظراً لبداوة سكانها ، وصعوبة أراضيها ، وحاجتها إلى كثير من أوجه الإصلاح والرقى التى تعتبر الحجر الأول للاستغلال المادى

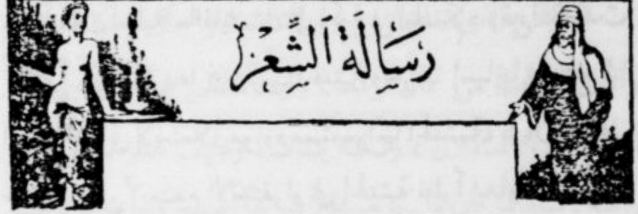
حرب الكلام

وتعتمد الحرب الحالية على عامل جديد هام هو العامل النفسى أو إلقاء الرعب فى نفوس المتحاربين والمحايدين على السواء. ووضعت خطط السيطرة على أوربا على أساس ألا تدخل إيطاليا الحرب إلا بعد أن تنتهي ألمانيا من القضاء على دول أوروبا الشمالية والغربية أى بعد أن تنتهى مقاومة فرنسا وانجلترا . على أن تكون إيطاليا فى هذه الأثناء مبعث اضطراب للحلفاء فيقسمون قواتهم ، ويتركون منها ما يلزم لمقاومة الاعتداء الإيطالى والتغلب عليه ، وهذا هو السر فى «تهويشها» الحالى، فهى تهدد بدخول الحرب ويؤلف شبابها المظاهرات ويصيح ساستها أن الساعة قد دنت ، فتقف قوات الحلفاء المعبأة على قدم الاستعداد بعيدة عن ميدان القتال الحقيقى فى الشمال

وهذه الخطة تضمن للمحور فى الوقت نفسه قتال قواتها فى ميدان واحد وتجزئة قوات الحلفاء ومقاتلتها جزءاً جزءاً بدلاً من تركز مقاومتها فى ميدان واحد . فما لا شك فيه أن قوات الحلفاء متجمعة أقوى بكثير من قوات ألمانيا وإيطاليا ، ولكنهما يستفيدان من هذه التجزئة فائدة عظيمة تمدهم بالأمل فى النصر ، ولكنه أمل بعيد

فإذا دخلت إيطاليا الحرب الآن فإنها تدخلها مكرهة لظروف خارجية طارئة ، قد تكون ضغط ألمانيا عليها لشعورها بالحاجة إلى مساعدة جديدة وقوات كاملة ، وقد تكون دفاعاً عن هيبتها نتيجة لإغراقها فى الدعاية وحرب الكلام، وقد يكون خوفها من نفس حليفتها إذ تقف هى متفرجة بينما تفوز ألمانيا بنصيب الأسد، أو غير ذلك من العوامل التى يصعب الخلاص منها

فوزى الشترى
بكالوريوس فى الصحافة



يا شبابي ...!

للأستاذ حسن بك حمدي

يا شبابي يا شبابي — آه ما آلمَ فقدك
كل حلوٍ صار مرًّا — ليتني ما ذقت شهدك
يا شبابي يا شبابي — كيف لا أندب عهدك
كل سهل صار صعباً — ليتني ما عشتُ بعدك
يا فؤادي يا فؤادي — كل شيء صار ضدك
أيُّ شيء أي شيء — يستحق اليوم حَمْدَك
لستُ أدري كيف أُجري — عبرةً تطفئ وجدك
عدمت عيني بكاها — فابك يا مسكين وحدك

حسن حمدي

في موكب المحرومين

بيداء ...!

الأديب محمود السيد شعبان

[الحب يشهد أني إنما أغني لك وحدك يا « بيداء » ... وحسب قلبي عزاء أن يكون أغنية تبدأ منك ولا تنتهي إلا إليك ... أنت يا من أسعدت روحي بنعيم الحرمان !]

« هو »

بَيْداء ! ... يا لَحْنَ الْـ — هُدَى وَالطُّهْرِ في أعماقِ قلبي !
يا سِرَّ أشْوَاقِي وَمَمْـ — ـبَدَ لَهْفَتِي وَمَرَادَ حُبِّي
في صَمْتِكِ الهادي قلوبَ الْـ — ـحائرينَ عَبَدْتُ رَبِّي !
أَهْوَاكِ يا بَيْداء ... لَا — كِنِّي أَخافُ عليكِ جَذْبي !

***

بَيْداء ! ... يا مَهْبِدَ الْهَوَى الْـ — عُذْرِيِّ أَهْوَى فيكِ لَيْلَى !
أنا لَمْ أَكُنْ قَيْسًا وَلَا — كِنِّي لقيسٍ كنتُ ظِلَّا
صَاحَبْتُهُ وَسَبَحْتُ في — مَلَكُوتِه قلباً وعقلا
فأخذتُ عنه الحبَّ تقـ — ـديساً وتضحيةً وَنُبْلا

***

بَيْداء ! ... يا مِحْرابَ أوْ — هامي وَإِلْهامي وَقُدْسي
شَيَّعْتُ آمالي إليكِ — فليتني شَيَّعْتُ نفسي
وَنَسِيتُ عندكِ يا صَفَا — ءَ الرُّوحِ حِرْماني وَتَعْسي
وَحَيِيتُ لِلْغَدِ مثلما — أَحْيَا عَلَى الدُّنيا لأمسي

***

يا مَعْبَدِي ! ... كم فَوْقَ هَـ — ـذا التُّرْبِ طال بِيَ السُّجُودُ
وَالحُبُّ دُنْيا لِلسَّعادَةِ ما — لَها أبداً حُدُودُ ... !
أنا إنْ رَجَعْتُ إليكِ يا — بيداء طابَ لِيَ الوُجُودُ
لكنَّ دِينَكِ أنَّ حِرْماني — مِنَ الأوهامِ جُودُ !

***

بَيْداء ! ... هأنذا سَكَبْـ — ـتُ عَلَى ثَرَاكِ دِمَائِيَهْ !
ضَيَّعْتُ عُمْرِي فيكِ لا — كِنِّي وَجَدْتُ بَقَائِيَهْ ... !
سِرُّ الحياةِ هو الفَنَا — ءُ ! ... وَأَنْتِ سِرُّ حَيَاتِيَهْ
وَالجَذْبُ يَبْقَى كالخلودِ — لَهُ الحياةُ الثانِيَهْ !

***

أنا في هَواكِ مُشَرَّدُ الآ — مالِ ... لكنِّي أُغَنِّي !
جِئْنا إلى هذا الوُجُودِ — معاً فكيفَ كَبِرْتِ عني ؟
تَسعينَ أوهامَ الحياةِ — وفي غدٍ تَسْعِينَ فَنِّي !
إن كُنْتُ مِنْكِ فأنتِ يا — بَيْداءُ ـ لَوْ تَدْرِينَ ـ مني !

***

ما كُنْتِ في ماضيكِ إلّا — فِكْرَةً في الغيبِ مِثْلي
أَلْقَتْ بِنا الأقدارُ في — الدُّنيا معاً فَوَصَلْتِ قبلي !
وَسَبَقْتِني لمّا تَنَكَّرَ — لِلْحَياةِ دَمِي وَعَقْلي ...
هَلْ كانَ عِلْمُكِ ـ يا ابنةَ — الأحقابِ ـ إلا بعضَ جَهْلي !

***

يا مَنْ بَدَأْتِ مِنَ الفَنَاءِ   سَتَنْتَهِينَ إلي الخُــلُودِ !
صَانَتْكِ كَفُّ اللهِ منْ   بَطْشِ الرَّدَى وَأَذَى الحُقُودِ
مُتِّعْتِ بالجَدْبِ العَقِيمِ   وَإِنَّهُ بَدْءُ الوُجــودِ !
وَالعُقْمُ فى دُنيــا الهوَى   العُذرِيِّ غايةُ كلِّ جُودِ !

* * *

هَلْ تَذكُرِينَ حياتَنا الأ   أولى وصُحْبَةَ مُهْجَتَيْنَا ؟
أيّامَ كانَ الغَيْبُ يَحْنو   رِقَّةً وَهَوَى علينــا
وَالعَقلُ طِفــلٌ هَدْهَدَتْهُ   أكُفُّنَا فَسَعَى إلَيْنــا
وَدَّعْتِــهِ وَمَضَيْتِ مُسْ   رِعَةً ، وَسِرتُ أنا الهُوَيْنَى !

* * *

أَدْعُوكِ يا بيداءُ والأَ   قدارُ تَسْخَرُ مِنْ دُعَائي !
أَخُلِقْتُ فى وادِيكِ لِلأشْ   واكِ تَشْرَبُ مِنْ دِمَائي ؟
أرجُو لهـا العَيْشَ السَّعِيدَ   وتَرتَجِي أبداً شقائي
دُنيا الطُّمُوحِ ! أنا الذى   ضَيَّعْتُ لِى دُنيا عزائى !

* * *

بيْداءُ ! كَمْ بِيَنيكِ قَلْبٌ   طالمَا أَحْبَبْتِ هَدْمَهْ !
ما كُنْتُ أَخْشَى حَرْبَ هذا   الدَّهْرِ لٰكِنْ خِفْتُ سِلْمَهْ
فالجَدْبُ فى دُنيايَ مَعْنًى   ذُقْتُهُ وَعَرَفْتُ طَعْمَهْ !
هُوَ نِقْمَةٌ قَدْ ظَنَّها مَنْ   لمْ يَسَعْهُ الحُبُّ نِقْمَهْ !

* * *

بيْداءُ ! ... هَأَنذا أسِيرُ   مَعَ الحيــاةِ إلى تُرابي !
وَغَــدًا سَأَزْوِي يا ابنَةَ   الأَوْهامِ خِصْبَكِ مِنْ يَبَابي
يا لِلسَّعادةِ فى الشَّقَاءِ !   أَلَيْسَ ما بِكِ بَعْضَ ما بي ؟
يَكْفِيكِ يا بيداءُ أنَّ مُصَا   بَ رُوحِكِ مِنْ مُصَابى

* * *

بيْداءُ ! ... ما ذُقْتُ السَّعا   دَةَ فى حَيَاتي غَيْرَ مَرَّهْ
يَوْمَ التَقَيْتُ بهــا وَكُنَّا   في ضَمِيرِ الغَيْبِ فِكْرَهْ !
يا لَلْهَوَى مِنْ ذَرَّةٍ قَدْ   سِيقَتْ هامَتْ بِذَرَّهْ ... !
أنا لِلشَّقاءِ ... وإنّمــا   هِيَ لِلسَّعادةِ وَالمَسَرَّهْ !

* * *

يا ليْتَنِي أدْرِي بمــا بيْـ   ـنِي وَبَيْنَكِ مِنْ سُدُودِ !
أَفْنَيْتُ عُمْرِي فيــكِ أَجْـ   ـمَعُهُ لِأَطْرَحَ مِنْ قُيُودي
فَعَرَفْتُ فيكِ حَقِيقَةَ الدُّ   نْيــا وَفَلسفةَ الوجُودِ
لٰكِنَّني لمَّا اهْتَدَيْتُ   فَقَدْتُ مِنْ وَلَهِى حُدُودِي !

* * *

مَنْ عَاشَ لِلْحِرْمَانِ لَمْ   يَحْفِلْ بما سَكَبَ السَّحابُ
وَلَقَــدْ يُصِيبُ المَرْءَ فى   الدنيا فيُطْرِبُهُ العَــذابُ
شَرُّ الهِــدايةِ ما أضَلَّ   بِكَ السَّبِيلَ إليْــهِ صَابُ
فَتَعالَ يا حِرْمَانُ لِي ...   أنتَ الحِجَا وَأنا التُّرَابُ !

* * *

بيداءُ ! ... يا لَحْنَ الهُدَى   وَالطُّهْرِ فى أعمــاقِ قلبى
يا سِرَّ أَشْــوَاقِي وَمَبْ   دَأَ لَهْفَــتِي وَمَرَادَ حُبِّى
فِي صَمْتِكِ المـادِى قُلُو   بُ الحائِرِينَ عَبَدْتُ رَبِّي
أهْوَاكِ يا بيداءُ لٰكِنِّي   أخافُ عَلَيْــكِ جَدْبي !

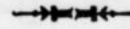
(القاهرة)   محمود السيد شعبان



تأملات

التفاحة

للأستاذ عزيز أحمد فهمى



— ما هذه الهدية السخيفة التى أرسلتها إلىّ فى خطابك الأخير ؟ ؟

— أصورة « التفاحة » سخيفة ؟ أو لا ترى فيها معنى ، أو لا تثير فيكَ شيئاً ؟ حقاً ، إنكَ متأخر

— ولماذا لا تقولين إننى شبعان ؟

— وهلا يعجب بصورة التفاحة إلا الجياع ؟ ! إنها يا هذا رمز لما لا يؤكل ولا يشرب

— يا للتعقيد ! ولأى شىء ترمز التفاحة ؟ لقد كنت أحسب إحساساً فنياً الذى بمثك على رسمها ، وكنت أحسبك مخلصة فى تصورها وتصويرها ، ولم يكن يخطر فى بالى أنك تجعلين منها ستراً تسدلينه على أسرار فى نفسك ...

— ولكنه ستر خفيف شفاف ، لا أظنه يحجب السر عن العين ... إلا إذا كانت عيناً بلهاء تصدق ما ترى

— فهذا الستر إذن كغلالة الحرير التى تتشح بها الإبليسة تزعمها أمام الأتقياء البلهاء حشمة ، وتقول بها لكل جارحة من الأعين هأنذا !

— يا للفراسة ! هو هذا الذى تقول ... فهل تستطيع بعد أن عرفت هذا أن تقرأ التفاحة ؟ ...

— بل قولى رسم « التفاحة » ، فإنى مع التفاحة لا أستطيع إلا أن آكلها ...

— فليكن ... ماذا تقرأ فى رسم التفاحة ... ؟

— يجب أن تساعدينى بأكثر من هذا ... فإنك إلى الآن لم تقولى لى من أين أبدأ القراءة ... من اليمين أم من الشمال ؟ ...

— يمين ماذا وشمال ماذا ؟ أهذا الرسم يمين وشمال ؟ كل ما فيها ألوان ... حمرة مفردة ، وصفرة مفردة ، وحمرة وصفرة ممتزجتان : تخف إحداهما فى المزيج مرة وتثقل مرة ، وتخف فى ناحية أكثر مما تخف فى الأخرى ، وتثقل فى ناحية أكثر مما تثقل فى الأخرى ... فهلا يحدثك هذا كله بشىء ؟ ...

— إنتظرى قليلاً ، ففى درس القراءة الأول يغفر الهجاء ... لنبدأ بهذه الحمرة ... هى لون الدم ، وهى لون اللحم ، فيها من الحياة ، وفيها من الفحش ، وفيها أيضاً من النار لذة الدفء وعذاب الحريق ، وفيها من الورد شمر ، وفيها من الخد صبا ، وفيها من الشفاه حنين ونداء ... وكلام ... ، وفيها من الخجل ، وفيها من الغيظ منذ الغيرة إذا استحييت إلى الحنق إذا اضطرم ... فى الحمرة هذا ، وقد يكون فيها غيره ... فهل هذا يكفى الآن ابتداء أسايرك به ...

— بداية لا بأس بها ... فماذا ترى فى هذه الصفرة ...؟

— يا سبحان الله لا أدرى لماذا أكره الصفرة .. لست أرى فيها إلا الموت

— وهل تكره الموت ؟ إنه علينا حق

— على العين والرأس نؤديه طائعين ومكرهين ما دامت أمك حواء قد اشتهت الكارثة التفاحة ...

— ليست حواء أمى أنا وحدى فهى أمك أنت أيضاً ... أما تحب أنت التفاح

— لا أحبه ولا أكرهه ، أو أنا أحبه وأكرهه ...

— لعلك تحب حمرته وتكره صفرته ، ما دمت تخاف من الموت ... ولكن ألست ترى فى الصفرة أيضاً لون الذهب ... أو لون بعض الشعر ...

— أما الذهب فشغلة يلاعب العابثون عقول النساء بها وهن يحببنه وهم يحبونه من أجلهن ... وأما ذلك الشعر الأصفر فلا أكتمك أنى أحس فيه بشىء من البرودة لا تنزع نفسى إليه كثيراً ... وهو عندى كالعيون الزرق والعيون الخضر ربما لاح لى فيها صفاء وبراءة ولكنى لا أغفل فيها عن لين ونزق وتكبر وهذه لا تشجع المتعطش إلى الوفاء الراغب فى التحكم ...

— لو أنك تستطيع أن تحفظ على هذى العيون صفاءها

وبراءتها ، وأن تحفظها من نزقها وكبريائها لذقت من وفائها ما يرضيك وابسطت عليها ما شئت من حكم وسلطة ... ولكنك كسلان ومثلك جدير به أن يعيش فى مصحة يسقيه أطباؤه الحب ، ويحقنونه بالراحة والسعادة ...

— الله يسمع منك !

— فأنت معذور حين سخرت من صورة التفاحة

— بل كنت بسيطاً لم أر فيها إلا أنها طعام

— ولى عليك الآن أن تشكرنى فقد علمتك أن ترى فيها أكثر من ذلك

— بل إنى أرى هذا الذى علمتنى إياه شيئاً تستحقين عليه اللعنة لا الشكر . فأنت قد فتكت بعقلى ، وأنا أشعر أنى سأصبح بعد هذا الذى تعلمته منك إنساناً موسوساً كلما رأيت شيئاً حاولت أن أعرف له معنى من وراء معناه البارز ، وهذا أمر سيهدينى من غير شك إلى حقائق هى غائبة عنى اليوم ، ولكنه فى الوقت نفسه سيرمينى إلى أوهام وخيالات قد أحسبها حقائق إذ يركن عندها عقلى بينما هى ليست فى الحق إلا عوارض ... فا نجاتى من هذا وأنا لا أحب إلا أن أرسو عند حق أطمئن إليه ؟ وقد كنت مرتاحاً يوم كنت راضياً عما كان يواجهنى من أبسط الحقائق ...

— إنما كنت راضياً عن البلاهة

— وكنت أجد فيها كل المتعة . ألست ترين الزنجى الذى إذا رأى التفاحة على الشجرة قطفها ونهشها أسعد حالاً من ذلك المتحضر المترف الذى يراها فيستغرق فى النظر إليها هذا الاستغراق الذى تريدينه ، ثم يقوم آخر الأمر فيرسمها ... لماذا يرسمها ؟ ... هل هو إذا أتقنها مهما أتقنها استطاع أن يجعلها تفاحة ؟ ... والله ليست هذه إلا خيبة !

— بل هو الفن ...

— فن الضعف ... وهو كذلك الضعف الذى يأخذ نفس الشاعر حين يلقى محبوبه فيتركه أمامه ويغمض عينيه ليتصوره ، أو يقضى معه الساعات ثم يغادره لكى يحلم به ، فإذا واقاه فى المنام لم يكن بينهما إلا كلام تافه لا يغنى ولا يقنع به عاشق من غير الشعراء ...

— وكل العشاق من غير الشعراء إن نعموا بالحب فنعيمهم به زائل إلى جانب أنه نعيم نازل ؛ أما الشعراء فنعيمهم بالحب خالد إلى جانب أنه نعيم سام

— هذا هو الكلام الذى تقوله كل حواء للضعيف المتخاذل من عشاقها تواسيه فتعترف له بأنه صاحب فن ، وتسخر منه عند نفسها لا لنقص فيه إلا أنه صاحب فن ... أو تريدين أنت أن تنكري هذا ؟ هل ترضى المرأة عن الرجل الذى إذا أحبها قال فيها كلاماً أو صورها أو تغنى بها ، أو لا يكون رضاها إلا عن الرجل الذى إذا أحبها مد إليها يده وجرها ..

— ليست النساء سواء ...

— بل إنهن سواء ...

— إذا زعمت أنهن سواء فعليك أيضاً أن تقول إن الرجال سواء ... ولكنك قلت إنهم ليسوا كذلك وإن منهم من يأكل التفاحة ومنهم من يصورها ... فكذلك النساء .

— فيهن من تأكل ، وفيهن من ترسم ؟

— ألم أرسم أنا ؟ وهل فى رسمى عيب إلا أنى أهديته إليك؟ يا ضيعتى معك !.. كنت أحسب الرسم سيبهرك فتقول فيه كلمة طيبة ... ولكنها توبة من اليوم

— الذنب ذنبك لأنك اخترت لهديتك موضوعاً لا يؤديه الرسم أداء كاملاً ... فللتفاحة طعم ، ولها رائحة ، ولها نعومة حسناء ؟ وهذا كله يقعد الرسم عن تصويره

— ومن قال لك إنى كنت أريد أن أصور شيئاً من هذا ... إنه لم يكن يدور بخلدى إلا ما توحيه الألوان

— فلماذا لم ترسمى دائرة حمراء ودائرة صفراء ودوائر أخرى فيها أمزجة من اللونين ؟

— وهذا ما صنعت ، وكل ما فى الأمر أنى اختصرت الرسم فى دائرة واحدة ...

— وهـذا هو الذى بعثنى على أن أنكر تفاحتك . فلو أنى أحسست بها تفاحة حقة لكنت أعجبت بها ، ولكنت قضمتها أيضاً ، ولكنها كانت عند ما ألقيت عليها النظرة الأولى زوراً وباطلاً ، كالقصة الملفقة المتنافرة الحوادث التى يريد ساردها أن يبرىء نفسه من تهمة فلا يؤدى سرده إياها إلا إلى تعزيز الشك فى نفس سامعه ... والآن اسمحى لى أن أسألك سؤالاً ... هل يقصد كل أولئك الرسامين الذين يرسمون الوز ، والطماطم

والبطيخ والشمام وسائر الفواكه والخضر إلى معان بعيدة كهذا المعنى البعيد الذي قصدت إليه حين رسمت التفاحة ؟

— أظن ذلك

— فما معنى البطيخة ؟ وما معنى الخيارة ؟

— انتظر حتى أفكر ...

— يخيل إليّ أنك ستفكرين طويلاً جداً ولن تهتدى إلى معنى لكل ثمرة ...

— ولكن التفاحة ليست ثمرة عادية . إن لها قصة قديمة مع الإنسان ...

— قد تكون هذه القصة هي المبرر الوحيد لاهتمام الرسام بها. أما غير ذلك فلا أظن شيئاً يبرر رسم الثمرات إلا الجوع ، فالله خلقها للأكل لا للزينة ولا للتفلسف ...

— وهل هناك ما يمنع من أن تكون موضعاً للتفلسف ومطلباً للزينة إلى جانب ما هي بغية البطن ؟

— لست أرى ما يمنع ذلك، ولكني لا أرى أيضاً ما يدعو إليه

— ألم يرسم الفراعنة القمح ؟ لماذا رسموه ؟ ... هل كانوا جياعاً وما أكثر القمح في مصر ؟

— رسموه تقديساً !

— وأنا أرسم التفاحة تقديساً أيضاً ...

— أعوذ بالله ... قد يكون للإنسان عذر إذا قدس القمح فهو غذاؤه الأول ... ولكن هذه التفاحة التي كان الجحيم فيها وكان العذاب ... هل تقدسينها ؟ ...

— فيها النار وفيها العذاب هذا حق ، ولكن فيها أيضاً ما ذكرته أنت أولاً ... فيها الدنيا ، ونحن في الدنيا ولا طاقة لنا أن نقفز فيها إلى السماء ...

— غيرك من الرسامين يستطيع أن يقفز بالتفاحة إلى السماء

— ولكن السماء لم تعد تثمر التفاح ...

— من قال لك ذلك؟ إن من السماء صفرة التفاحة وحمرتها، ومن السماء فجورها وتقواها

— فكيف كنت تريدني أن أرسمها ...

— إني أعرف وجهاً هو التفاحة؛ ولو أني رسام لصورته لك ولدفعتك إلى الإيمان به من نظرة واحدة ...

— وجه من ؟

— وجهك أنت ... ألست ترينه في المرآة ... ولكن كيف ترينه وأنت لم تنظرى إليه يوماً بنفس مفتوحة وإن كنت تنظرين إليه دائماً بالعين المفتوحة ...

— ماذا تقصد ...؟

— أصحيح أنك تريدين أن تعرفي ماذا أقصد ، أو أنك تريدين أن نطيل هذا الحديث لأنه عنك ، وعن وجهك ، وأنت قليلاً ما تظفرين مني بحديث كهذا ...

— لا وحياتك ... فأنت تعرف أنني غبية إلى حد كبير وأني بطيئة الفهم ، كما تعرف أنك خائن الحديث لا يسلم كلامك من الظلمة حتى عند ما تصدق وعند ما تصارح

— سامحك الله! فليس أبشع من هذا إزهاق لاستقامة نيتي وسلامتها ... الذي أريد أن أقوله يا « مدموازيل ديليشس » أنك كلما نظرت إلى وجهك في المرآة بحثت فيه عن علائم الصحة وعلامات الجمال التي تعارف الناس عليها ، فأنت تفتشينه تفتيشاً دقيقاً ، فإذا أرضاك خرجت به بعد تزيين بسيط ، وإلا فأنت تزيدين التزيين حتى يكون مكياجاً وتنكراً تطالعين به الناس وفق ما يهوى عيناك ...

— وهل كنت تريدني أن أرى وجهي بغير عيني ...

— نعم . كنت أريد أن تريه بعيني أنا ، فما كانت تمتد إليه يدك بدهان ولا بمسحوق

— ولكنه عندئذ قد ينم عما أحب أن أخفيه ...

— بل إن ذلك كان سيحميه دائماً منك ، فيلزمك أن تبعدى عنه ما تحبين اليوم أن تخفيه أحياناً ... كفى عن هذه الخفايا تستغني عن الأحمر والأبيض ... ازهدى في الرموز تصلى في الحق وفي الفن إلى الأصدق والأجمل ... أقلعى عن التكتم تصلى في الحياة إلى أبعد ما ترومين بأسرع مما تظنين ...

— وماذا أيضاً ...؟

— خذي صورة التفاحة هذه ، فأنا أرفضها شاكراً ... وأطلب صورة التفاحة الأخرى ...

— التفاحة لا تستطيع أن تمزج الألوان ولا أن تقبض على الريشة ...

— ذلك خير وأحب ... فعلى التفاحة أن تبقى تفاحة ... ولتطمئن كل الاطمئنان فإبليس حاميها وآدم لا يزال يسيل عليها لعابه

عزيز أحمد فهمي



الموت ليس نهاية الحياة

[عن مجلة « باريد الانكليزية »]

قد يحدث أحياناً فى جلسة خاصة لمناجاة الأرواح ، حيث لا يحضر غير الوسيط وشخص آخر أو شخصان ، أن روحاً مجهولة تتصل بالوسيط وتطالب منه إبلاغ رسالة أو تحية إلى أحد أقربائها الذين لا يزالون فى قيد الحياة ؛ وربما تذكر له أيضاً من هى وأين كانت تعيش . وقد يظهر أحياناً أن الروح تعثر على الوسيط مصادفة ثم تعجب لما تشعر به من قدرة على مخاطبته، فتبرهن بجلاء لا يقبل الجدل أنها روح حقيقية لإنسان ميت لا شخصية وهمية من اختلاق العقل الباطن

إن قصة « أرثر فرزر » التى نقصها عليك اقتبسناها من كتاب صدر حديثاً عنوانه : « إلى اللقاء لا وداعاً » تأليف « والترا بليارد» المحلف القضائى والمحافظ السابق لمدينة «شفيلد» . إن هذا المؤلف كان يخاطب دائماً روح زوجته المتوفاة فتجيبه هى بلسان الوسيط ، بنفس اللهجة التى كانت تتكلم بها فى حياتها ، وكانت تبرهن له على شخصيتها بالبراهين القاطعة . وكانت وهى على قيد الحياة تهتم بالأبحاث الروحية اهتماماً عظيما ، فكانت بالطبع مطلعة على الانتقادات التى توجه غالباً إلى مناجاة الأرواح ، لذا كانت تحاول فى كل مرة أن تقدم لزوجها عند مناجاتها براهين لإقناعه لا يمكن دحضها أو الشك فيها ، إذ تأتيه بأرواح أشخاص لا يعرفهم هو ولا أحد من الحاضرين.

يحدثنا المؤلف فيقول : بعد أن أدينا التحيات المعتادة وعبارات المجاملة نحو زوارنا الذين هم وراء الغيب ، جاءتنا روح غريبة تطلب الإذن منا بالحديث ، ثم قالت إنها روح شاب اسمه « أرثرايم » :

« مت منذ ثلاث سنوات بمرض ذات الرئة فى مستشفى محلى ، وكان عمرى إذ ذاك ثلاثة وعشرين عاماً . وكنت أسكن فى منزل رقم ١٨ « كلايف رود » ، وقد تركت حبيبة لى اسمها « مس كارول » وهى تسكن فى رقم ٢٢٩ فى « فلينت ستريت » ، فأرجو منكم أن تخبروها بأنى لست ميتاً وبلغوها عنى سلام الحب فإنى أظن ذلك يسرى عنها ، ثم أرجو أن تخبروا والدى بأن أمى معى وهى تهدى إليه تحيتها القلبية ... »

أما أنا فقد اهتممت بالأمر واتصلت فى الصباح التالى تلفونياً بالطبيب الذى يدير المستشفى الذى ذكره ورجوته أن يبحث فى سجلاته عما إذا كان فيها اسم « أرثرايم » ، شاب مات بذات الرئة قبل ثلاث سنوات . فأجاب الطبيب : « لقد مات عندنا رجل بذات الرئة قبل ثلاث سنوات ، ولكنه لم يكن شاباً ، إذ كان عمره فوق الأربعين . . . » أخذت منى الحيرة فى هذا مأخذاً عظيما ، لأنى لم أعهد من « الأرواح » قبل ذلك كذباً ولا افتراء . استنجدت بزوجتى طالباً منها التوضيح ، فأجابت : « سوف تكتشف السر قريباً » فعزمت عندئذ أن أذهب إلى رقم ١٨ « كلايف رود » فى الطرف الشرقى من المدينة حيث تسكن الطبقة العاملة . فلما بلغت هنالك وجدت ساكن البيت له اسم غير الذى ذكر ، وهو كذلك لا يعرف عن صاحب الإسم شيئاً . وبعد أن قضيت طويلاً فى البحث والتحقيق رجعت يائساً متعباً

بعد هذا سافرت خارج البلاد فى عطلة وعند رجوعى عزمت على إعادة البحث ، فقررت أن أزور بيت الحبيبة « مس كارول » لعلنى أجد لديها بعض الايضاح . ذكرت عزمى هذا للوسيط فأخبرنى بأنه خلال الأيام القلائل الماضية قد سمع لفظة « فرزر » تتكرر على مسمعه مرة بعد أخرى بصوت امرأة أول الأمر ثم بصوت رجل بعد ذلك . إنه لم يسمع غير ذلك ولم يدر ماذا يراد به . ظننت أن ذلك له صلة بالأمر فادخرته فى حافظتى إلى حين

ذهبت إلى رقم ٢٢٩ « فلينت ستريت » وطرقت الباب فلما فتح ظهر من ورائه شابة فسألتها : « هل أنت مس كارول ؟ » فأجابت : نعم

— هل تعرفين شاباً اسمه « أرثرايم ؟ »

— أنا لم أسمع بهذا الاسم

فانحنيت احتراماً وسألتها سؤالاً آخر : « هل تعرفين (أرثر فريزر) »

— ماذا تعنى بذلك ، وماذا تبتغى منه ؟

— حسن ! حسبي أن أعرف أنك تعرفين هذا الشخص

— لقد كان حبيبي ولكنه مات بذات الرئة قبل ثلاث سنوات .

وهنا أجهشت الشابة بالبكاء ، ثم ذهبت إلى منضدة كانت فى وسط الغرفة فألقت عليها ذراعيها ، واعتمدت رأسها بيديها أخذت تعول . أخذت أنا أهدئها ، ثم شرعت أحدثها بقصة حبيبها وتحيته لها، فرفعت رأسها قليلاً ثم شرعت تقص عليّ كيف عاشا معاً حبيبين ، ولكنه ذهب أخيراً للحرب فى سبيل وطنه ، ثم رجع محطما فقضى بقية حياته فى المستشفى

إنها مأساة كغيرها من آلاف المآسى التى أنزلتها بنا الحرب ولقد وجدت صعوبة فى تفهيم الفتاة كيف استطعت أن آتي لها برسالة من حبيبها المتوفى . ولكنى حاولت ذلك جهدى

أرشدتنى الشابة إلى دار حبيبها الفقيد الذى يبعد عن دارها مسافة خمس عشرة دقيقة على الأقدام ، وإذ ذهبت هناك وجدت رجلاً يكسر خشباً فى المطبخ فسألته :

— هل اسمك «فريزر» ؟

— نعم

— هل زوجتك ميتة ؟

— نعم

— هل فقدت ولداً فى الحرب ؟

— نعم

— هل كان لولدك حبيبة اسمها « مس كارول » ؟

— نعم

وعندئذ تناول صورة شمسية من الجدار وأرانى إياها . حقًا كان الرجل ذكيا محترماً فى طبقته ، وحين أوضحت له غرضى من زيارته ، وقصصت عليه حديث ابنه وزوجته التى أرسلت إليه تحية الحب، كنت كأنى قد لمست وتراً حساساً من قلبه فقال : « قد قرأت مؤخراً عن السر أرثر كونان دويل » . وعلى هـذا كان الرجل مهيأ بعض التهيؤ لفهم الحقائق التى أدليت بها إليه

وبعد أن دخنّا وتحدثنا رجعت إلى دارى شاعراً ببعض الاطمئنان لـما قمت به فى ذلك الصباح ، ولـكنى ما زلت أحس بقية شك فى حنايا النفس . كان عليّ أن أعرف سبب ذلك الخلط فى الأسماء ، إذ كيف أعطانا الشاب اسم « أرثر ايم » ثم انقلب الاسم بعد ذلك إلى « أرثر فريزر » . سألت زوجتى فأجابت بأنها لا تعلم ولسوف تبحث الأمر . . . وبعد لأى جاءتنى بالتفسير التالى أنقله بدون تعليق : « إن اسم الشاب هو « أرثر فريزر » ولـكنه حين كان يخاطبك جاء رجل آخر يقال له « . . . ايم » فوقف إزاءه . لقد كان هذا الرجل الأخير متحمساً لتلك الصدفة لأنه مات بنفس الداء وفى نفس اليوم ونفس المكان ، ولم يكد « أرثر فريزر » ينطق بشطر اسمه الأول حتى تدخل « . . . ايم » فى الحديث ونطق بشطر اسمه الثانى، وعلى هذا اكتمل الاسم لديكم كأنه« أرثر ايم » من غير انتباه لـما بين الصوتين من اختلاف »

أما أنا فقد اعتبرت هذا الحل ممكناً ، ولـكنى لم أزل أشعر ببعض الحاجة إلى دليل أوضح ، ولذلك ذهبت إلى الطبيب فى المستشفى مرة أخرى فذكرته بزيارتى الأولى له وقصصت عليه القصة كلها ، ثم رجوته أن يرجع مرة ثانية إلى سجله فاستجاب لى وأخذ يبحث ، ولـكنه سرعان ما تملكته الدهشة حين رأى ما يلى :

الاسم	العمر	المرض	تاريخ الوفاة
ارثر فريزر	٢٣ سنة	ذات الرئة	٢١ / ٩ / ٢٠
جيمس هنرى آيم	٤٦ سنة	ذات الرئة	٢٢ / ٩ / ٢٠

حقاً إنها شهادة عظيمة ، ولـكن لم يزل ثمة شيء ضئيل من التناقض ، ذلك أن زوجتى قالت إن الرجلين ماتا فى يوم واحد . وقد فسر الطبيب ذلك بأن أحدهما ربما مات فى منتصف الليل ومات الآخر بعده بنصف ساعة ، ولاشك أن زوجتى قد أخبرت بيوم الوفاة لا بساعتها

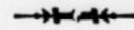
لقد عجب الطبيب من هـذا الأمر لأنى لم أكن أعرف قبل ذلك عن هذين الميتين شيئاً .

(م)



البعث

للأستاذ محمد سعيد العريان



جلس « أحمد » على مقعد فى جانب من غرفته الخاصة وارتفق بذراعه على النضد الصغير أمامه وراح يفكر ...

إن بعض الصور التى تتناولها العين فى نظرة عابرة قد يكون لها من التأثير فى حياة بعض الناس ما لا تؤثر الأحداث العظيمة التى تهز العالم . هذا أحمد ، شتان بين ما هو الساعة وما كان منذ ساعات . لقد عاد لتوه من السيما حيث كان يشهد رواية عن حياة الأديب الفرنسى الكبير « إميل زولا » ... فأين هو الساعة مما كان قبل ساعات ؟

لقد رأى وسمع وعرف ، ونظر إلى نفسه ، وحضرته ذكرياته وأمانيه ، وراح يحاسب نفسه على ما أدى من عمل وما نال من جزاء ، واستغرق فى تفكيره ...

منذ بضع عشرة سنة لم يألُ أحمد دأباً إلى غاية يستشرف إليها ؛ فأين بلغ مما أراد؟ هذه حياته التى يحياها منذ كان، لم يتغير منها شىء يشعره شيئاً من الأمل فيما يستقبل من أيامه ؛ ففيمَ كان جهاده ودأبه وما بذل من أعصابه ومن دمه فى بضع عشرة سنة ؟

أتراه يستطيع أن يقنع نفسه بأنه قد بلغ شيئاً ؛ فأين ... ؟

وتراءت له صورة « سعدية » الفتاة التى وهب لها نفسه ووقف عليها أمانيه ، وتذكر شيئاً من ماضيه القريب ومن ماضيها

لقد تعارفا منذ سنوات ، بل لقد عرفته هى قبل أن يعرفها ، فسعتْ إليه ، فالتقيا ، فما افترقا بعدها إلا على ميعاد ؛ ولكن سعدية اليوم غير ما كانت ، لأنه هو هو لم يتغير ولم يزد شيئاً على ما كان يوم عرفته !

أيكون ذلك هو السبب الحق لما بينهما اليومَ من الجفاء والمباعدة؟ ذلك ما خُيِّل إليه هو حين افترقا لآخر مرة منذ قريب فهجرها وإن فى قلبه من الشوق إليها لهيباً يسعر !

***

لقد كان « أحمد » أديباً موهوباً. إنه ليعرف ذلك من نفسه، وإنه ليؤمن به إيماناً لا سبيل إلى الشك فيه ؛ وكان حقيقاً بهذا الإيمان أن يبلغ به المنزلة التى يهدف إليها منذ بدأ ليتخذ مكانه بين أدباء الجيل . وكان على إرث من الأدب هيأ له الجو الذى يعينه على استكمال وسائل الأديب وتحصيل مادته ؛ واتخذ طريقه إلى الغاية التى يؤمل ...

كان ذلك منذ بضع عشرة سنة ، ولم يألُ دأباً من يومئذ ؛ وعرفتْه سعدية مما قرأتْ له ، وكانت رسالتها إليه أولَ الصدى الراجع ، وكانت هى أولَ من عرف من قرائه ؛ وتوثقتْ بينهما الصلة ، وكانت فى أولها إعجاباً بالعقل الجميل فعادتْ أملاً يأمله وحلماً يتراءى لها ... ومضى الفتى إلى غايته والحياة تُجِدُّ له فى كل يوم أملاً وتوقظ عاطفة !

وكتب وخطب ، ونظم وألف ، وراح يناضل فى جهد الجبابرة ليشق طريقه إلى المنزلة التى يتنورها من بعيد ؛ وقالت له فتاته : « متى أراك يا حبيبى هناك ؟ » ولم يجبها فتاها ، لأن عينيه كانتا تنظران إلى هناك !

ومشيا ذراعاً إلى ذراع بين الحدائق الضاحكة صامتين ، أما هى فكانت تبحث بعينيها بين الفروع الراقصة عن زهرة نضرة تقطفها عن أملودها لتجعلها فى صدرها زينةً تتيه بها على لداتها وصواحبها ، وأما هو فكان فى إطراقه وصمته يتسمَّع نجوى الغصون وهمس الزهر لينظم منهما قصيدة ترفّ رفيفَ الغصن وتنفح نفحَ الزهر ! وطال عليها الطريقُ وما بلغتْ ، فقالت : متى يا حبيبى ... ؟ وقال ... ولم تعِ ما قال ولم يعِ ما قالت ؛ وتدابرا ومضى كلٌّ منهما لغايته ، وراحت تبحث عن الزهر وراح يبحث عن معناه ... وكان فراقَ بينهما !

***

وعاد إلى داره في المساء وما في الدار غير خادمته العجوز ، وجلس إلى المائدة ينتظر عشاءه ، وأبطأت الخادم لأن الدار لم يكن فيها عشاءٌ فتأتي به . . . وضحك حين عرف ، وعبَّث في جيبه قليلاً ثم أمسك ، وآثر أن يطوى ليلته بلا عشاء ؛ فإن ذلك أخلقُ أن يجمع له نفسه ويوقظ حسّه !

وجلس إلى مكتبه لحظاتٍ يقرأ بريد المساء ؛ وكان بينه رسالةٌ تنفح عطراً ، وقرأ ...

« سيدى . . .

« . . . وإني أرسل إليك تحياتي على البعد . . .

« إنها لحظاتٌ سعيدة حين أقرأ لك فأشعر أنى منك على مقربة وأنك منى . . .

« وإنه ليخيّل إلىّ أحياناً أننى وأنك ...

« إنك لست بعيداً منى ؛ أفتُراك تعرفنى ؟ ولكنى أعرفك ، و ... وأحبك !

« ومعذرة ... ! »

وابتسم الفتى ثم عبس ، وذكر سعدية ... ثم طوى الرسالة وأودعها غلافها ؛ وقال وكأنما يتحدث إلى شخص يجالسه : ليتك تعرفين يا فتاة وليتنى أعرف ! بل إننى لا أريد أن تعرفى ! إنك تنشدين الزهر ليكون لك زينة تباهين بها في المحافل ، وإننى أنشد معناه لأتخذه وحياً أتصل بأسبابه إلى السماء ... كذلك كانت أختٌ لك من قبل !

* * *

ولكنه كان راضياً ...

لم يبلغ المجدَ الأدبى الذى يناضل له منذ بضعَ عشرة سنة ، ولم يبلغ الغنى ، الغنى الذى يكفيه حاجةَ الحىّ إلى وسائل الحياة ؛ ولكنه كان راضياً ، لأنه كان مؤمناً بنفسه ، ومؤمناً بغده ! ومضى على وجهه ...

... وراح إلى السيما عشيةً يتزوّد لفنه وأدبه ويستجمّ ، ثم عاد ...

لقد رأى وسمع وعرف ، ونظر إلى نفسه ، وحضرته ذكرياته وأمانيه ، وراح يحاسب نفسه على ما أدى من عمل وما نال من جزاء ، واستغرق في تفكيره . . .

وكان عليه أن يعدّ الخطبة التى طُلب إليه أن يذيعها بعد أيام ، احتفالاً بذكرى الأديب الراحل فلان ؛ ذلك واجب لا يعفيه من إغفاله أن يعتذر ؛ فإنه لصديقه ، وإن له عليه ديناً يقتضيه الوفاء أن يذكره به فيتحدث عنه حديثاً في يوم ذكراه !

وشرع قلمه ، وهم أن يعد الخطبة التى ينبغى أن يذيعها عن صديقه الأديب الراحل في يوم ذكراه . واستجمع فكره ، وتذكر شيئاً ...

يا عجبا ! ذلك الصديق الذى يهم أن يتحدث عنه ، ماذا كان في حياته ، وماذا هو اليوم عنـد الناس ؟ لقد عاش حياته يجاهد لأمته ما يجاهد صابراً محتسباً قانعاً بالكفاف ، لا يذكره أحدٌ بحق ولا يعرف له يداً ... فلما غاله الموت — لما غاله الموت فقيراً معدماً بعيد الدار كثير الولد — تدانت الرءوس ، واختلجت الشفاه ، وسحّت العبرات ، وصاح الصائح في الأمة يدعوها لتخليد ذكراه ، فإن حديثه اليومَ على كل لسان، وإن ذكره في كل قلب ... كذلك كان حياً وميتاً ، فما متاعُه بما صار وما عزاؤه عما كان ؟

ماذا ؟ ... أليس يعرف الناس للأديب حقه إلا أن يموت ؟ ما أغلاه ثمناً للمجد !

وابتسم الفتى ساخراً ، ثم سكت ، وعاد إلى نفسه يؤامرها ... وانصرفت نفسه عما هو فيه ؛ وتناول حزمةً من الرسائل لم يقرأها بعد ، وفض منها رسالة ، وقرأ :

« سيدى ...

« ... فلماذا ؟ ولماذا لا نجد في الأمة العربية شعراء وكتاباً ومنشئين كبعض من نقرأ لهم من أدباء أوربا ؟ »

وطوى أحمد الرسالة وهو يتمتم : نعم ، لماذا ... ؟ لا لا ، إننى أكاد أعرف ... ولكن ، لماذا ... لماذا لا يزال — مع ذلك — في ناشئتنا النافلة من يرجو الخلود في الأدب ويلتمس به المجد والغنى ؟ هذا هو السؤال الذى يحق !

وتذكر الرواية التى شاهدها في السيما منذ ساعات ، وتذكر صديقه الذى يهم أن يعـدّ حديثاً عنه ليوم ذكراه ... وصمت

برهة ، ثم وقف ، وراح إلى المصباح فأطفأه ، وقصد إلى فراشه ، ولكنه لم ينم ... واستغرق فى تفكير عميق ... وأحس برد الراحة على قلبه حين انتهى من تفكيره إلى حد ...

***

... وأصبح أصدقاء أحمد يسألون عنه فلا يجدونه ، ومضت أيام ولا حسٌ ولا خبر ، إلا رسالة موجزة تلقاها بعض صحبه ، وليس فيها إلا هذه الكلمات :

« إننى ذاهب ... لقد برمت بدنياى ... وداعاً يا أصدقائى ! »

وجدّ أصدقاؤه فى الطلب فلم يقفوا له على أثر ، وظنوا الظنون ... ثم استيقنوا ، حين عثر بعض الرواد فى صحراء الجيزة على أشلاء آدمية تكاد تواريها الرمال فى قمر هوة سحيقة من هُوى الصحراء . لم يكن ثمة وجه يبين ، ولا لسان ينطق ، ولا أثر يدل ، إلا قميصاً خلقاً قد حال لونه وتمزقت حواشيه ، لقد أكل الوحشُ من ذلك الجسد ما أكل وأبلى الرمل ما بقى ، فما هو إلا عظام نخرة وأنابيب جوفاء وأديم ممزق !

وقال واحد من صحابته : لقد توقعت له هذه الخاتمة منذ بعيد ، ويا طالما حذرته من ارتياد الصحراء وحيداً فى غبشة الصبح وفى ظلمة الغسق فلم يسمع لى ؛ يزعم أنه يجد هنـاك مهبط الوحى ومنبع العبقرية !

وقال الثانى : وكذلك زعمت لنفسي حين جاءتنى رسالته يودعنى ويستودعنى ؛ لم يقع فى نفسى إلا أنه ذاهب إلى الصحراء ؛ لقد تحدث إلىّ مرة ... وكان يتشوف إلى اليوم الذى يفارق فيه دنيا الناس إلى معتزَل هادئ على حدود الصحراء يأنس فيه إلى الوحش فلا يرى أحداً من الناس ولا يراه أحد ؛ فلعله ... !

وقال الثالث : يرحمه الله ! وانحدرت على خده دمعة تجاوبتها أخواتها من عيون أصحابه ؛ وعزى بعضهم بعضاً ؛ ثم انصرفوا يحملون رفات الشاعر الشهيد إلى مثواه ؛ وتداعى الناس إلى مأتمه محزونين وإن حديثه ليرطب كل لسان ؟

وكتب اسم أحمد فى سجلّ الراحلين من أدباء الأمة . . . وصاح الصائح فى الأمة يدعوها لتخليد ذكرى الأديب الراحل ، وطفحت أنهـار الصحف الأدبية بالحديث عنه وتمجيد ذكراه ؛

وانعقدت جماعات ، وتألفت كتب ، وبذل مال ؛ وتزاحم الناشرون يزايدون بالمال لشراء مخلفاته الأدبية ... وجدّ البُعداء من أهله يطلبون نصيبهم فى تركته !

***

ومضى عام قبل أن يحدَّد يوم يقوم فيه الخطباء والشعراء لتأبينه ، وكان يوماً مشهوراً ...

كان المدرج الكبير غاصا بأهل الأدب ، وسروات المدينة ، وذوى الجاه والرياسة ؛ وقد نُصبتْ فى صدره منصَّة عاليـة عليها كراسى مذهبة ، يشرف عليها صورة مكبرة للفقيد العزيز مجللة بالسواد، تطل منها عينان ساخرتان على تلك الجموع الحاشدة؛ وكان فى ركن من القاعة فتاة ذات جمال قد انتقبت بنقاب أسود شفيف مبتلٍّ بالدمع ، وإلى جانبها فتيات . تلك هى سعدية ؛ وجلس فى الصف الأخير بضعة فتيان شُعْثٌ غُبْر قد تأبطوا كتباً وصحفاً ومجلاّت قديمة ، تدل ثيابهم وهيئتهم على الفقر والقناعة و ... والعبقرية ، وتنطق سِماتُهم وشارات الحداد فى وجوههم بأنهم أكثر أهل الحفل إخلاصاً لذكرى صاحبهم الذى مات ... ! أولئك أسرة الفقيد من أهل الأدب !

وكان على الباب بوابون من ذوى اليسار والنعمة ، يستقبلون القادمين ويدعون كلا منهم إلى مجلسه الذى يوائمه . وتدلت الأنوار ثرياتٍ تكسف الشمس وتبهر النظر . وكانت حفلة ، لو أحصى ما أُنفق فى إعدادها لكان حياةً من موت وغنى من مَتْرَبة !

وغصّ البهو والشرفات بالوافدين على الحفل من أهل الوفاء والأدب ؛ وحل الموعد ، وصَمَتتْ القلوب وأرهفتْ الآذان !

ووقف الخطيبُ الأول يذكر تاريخ الفقيد ؛ وكان يلبس حلةً سوداء غالية ، وقد أحكم المنظار على عينيه وتدلّت سلسلته الذهبية على كتفه ، وبَرَق الماس فى إصبعه ؛ وبدأ يخطب :

« أيها السادة ! »

وكان السادة منصتين فى لهفة وتأثر ...

وتتابع الخطباء والشعراء يذكرون ما يذكرون من فضل الفقيد وعبقريته وعلمه وخسارة الأمة بفقده

وقال قائل لصاحبه : « يرحمه الله ! »

فقال صاحبه : « أما إنها لخسارة ! »

وكان ثمة فتى رث الثياب ، مخرَّق النعل ، مرسل اللحية ، يقتحم الصفوف صفًّا صفًّا يقصد إلى المنصة التي يتبارى عليها الخطباء ...

وتأفَّف الناس وزَمُّوا شفاههم استكراهاً وغيظاً ، لكنهم صمتوا إجلالاً للحفل ، وبلغ الفتى حيث أراد وهمَّ أن يصعد ، فاعترضْته الأكفّ ؛ ولكنه صعد ...

وأخذتْه العيونُ من كل جانب ، وكان يبتسم وفي عينيه سخرية وشماتة !

وفرغ الخطيب منْ خطبته فتنحَّى عن موقفه ، وتقدم الفتى إلى موضعه ، وهمَّ أن يتكلم ...

وتدافعته الأيدي ... ونظر إليهم ونظروا إليه ... وتعارفت وجوه وتناكرت وجوه ؛ ووقف الفتى ثابتاً في مكانه ، وارتفع صوته يُدِث جُلاجِل نفسه ، وهتف :

« أيها السادة ... ! »

وسمعها السادة وقوفاً وأبصارهم إليه ، ومضى يقول :

« أشكركم ... ! »

وعرفه من عرف ولم ينكره من جهل ، وتدافعوا إليه ... إنه هو ... إنه أحمد !

« ذلك يوم البعث ولا ريب » : قالها كل مستمع لصاحبه ... لم يمت أحمد ، ولم تأكله وحوش الصحراء ، ولم يحمله من حملوا إلى قبره يوم حملوا الرفاتَ المجهول النسب من مجهل الصحراء إلى معلمها ؛ ولكنه كان حياً يرزق . كان يهيء نفسه ليلاقي أبلغ خطبة جهر بها خطيب ، وأبْيَن قصيدة نظمها شاعر ؛ وأبرع سخرية أبدعها أديب ؛ فخطب ونظم وسخر ... واستمع لرأى الناس فيه ميتاحياً ، وأسمعهم رأيه . وبلغ المجد الذي أراد ، وبلغ ما شاء من الانتقام لنفسه ومن السخرية بالناس ! وعاش !

محمد سعيد العريان



حول آية إطعام الطعام

حضرة الأستاذ الكريم صاحب مجلة الرسالة الغراء

تحية واحتراماً وبعد :

قرأت في العدد (٣٥٥) من الرسالة تحت عنوان (العقيدة الساذجة) جواباً لمحمود محمد سويلم واعظ (سمالوط) وهو ينكر نزول (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) في أهل البيت عليهم السلام وينكر صومهم . ويقول إنها قصة موضوعة ؛ ولا ينبغي أن يحمل كلام الله تعالى على قصة هذا شأنها، وأن أقل تأمل في هذه القصة يدل على أنها مصطنعة

إن إنكاره لم يكن بشيء جديد . فقد سبقه بعض أسلافه من إنكار نزول هذه الآية في أهل البيت عليهم السلام ، وادعوا بأن السورة مكية . على أنها مدنية وقد ذكرها الرازي في أربعينه ، وابن المرتضى ، والزمخشري، والقاضي في تفاسيرهم ، والفراء في معاله ، والغنوي في شرح مطالعه ، والواحدي ، وعلى ابن ابراهيم ، وأبو حمزة الثمالي ، واحمد الزاهد ، والحكاني ، وأبو القاسم الحسين (وهو من شيوخ أهل السنة) في كتاب التنزيل . إن تسعة وعشرين سورة مدنية وذكر منها (هل أتى) ولم يذكر خلافاً فيها . وعن عكرمة ، وابن المسيب ، والحسن بن أبي الحسن البصري ، وخطيب دمشق الشافعي والثعلبي . وقد أورد القضية كما هي في التفاسير وذكرها هبة الله المفسر البغدادي في الناسخ والمنسوخ . ومما أنشد في هذا المقام :

أنا مولى لفتى   أنزل فيه هل أتى

وقال آخر :

إلى م ألام وحتى متى   أعنف في حب هذا الفتى
فهل زوجت فاطم غيره   وفي غيره هل أتى هل أتى

وقال ديك الجن :

شرفي محبة معشر   شرفوا بسورة هل أتى
وولاء من في فتكه   سماه ذو العرش الفتى

ولما علم الله تعالى صدق نياتهم بإيثارهم الطعام المسكين واليتيم والأسير أنزل على نبيه (ص) : (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) .

وقال مجاهد وابن جبير والفخر الرازي في تفسيره :

(ذكر الواحدي في كتاب البسيط أن آية ويطعمون الطعام نزلت في علي). وروى نزولها في علي رضى الله عنه صاحب الكشاف، وقد ذكر القصة بكاملها . وهكذا رواها العلامة أبو السعود في تفسيره المطبوع بهامش تفسير الفخر الرازي. وفي كتاب ينابيع المودة (ص٩٣) عن موفق بن أحمد أخرجه بسنده عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى : (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً، ويطعمون الطعام ... الخ) مرض الحسنان عليهما السلام فعادهما جدهما صلى الله عليه وسلم ... وروى القصة أيضاً ونزول (هل أتى) على النبي (ص) . وذكرها القاضي البيضاوي في تفسيره ، وروح البيان والمسامرة ، وفي لباب التأويل في معاني التنزيل للعلامة علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (المعروف بالخازن) وعلى هامشه الكتاب المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل تأليف العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي . أما الخازن فقد ذكر عن ابن عباس أن الآية نزلت في علي بن أبي طالب ، ثم ذكر القصة الخ . وقال النسفي : (نزلت في علي وفاطمة وجاريتهما فضة) ، وذلك لما مرض الحسنان وعوفيا وقد نذروا صوم ثلاثة أيام ، فاستقرض علي ثلاثة أصوع من الشعير فطحنته فاطمة كل يوم صاعاً وخبزته . وآثروا بذلك على أنفسهم مسكيناً ويتيماً وأسيراً . ولم يذوقوا إلا الماء في الإفطار ، فأنزل الله فيهم هذه الآية . وقال عبد الباقي الفاروقي العمري :

وسائل هل أتى نص بحق علي   أجبته (هل أتى) نص بحق علي

وهذا قليل من كثير ذكرناه ليطلع عليه من يقرأ رسالتكم الغراء . ولعل حضرة الواعظ يطلع على كلمتي هذه فيرجع عن رأيه الأول ، وفي هذا خدمة للحق

« العراق »   كاظم الشيخ سلمان آل نوح
خطيب الكاظمية

إلى الدكتور علي حسن عبد القادر

كان خبراً ساراً في الأوساط الأزهرية أن اشترك في أسرة التحرير بمجلة « الرسالة » الغراء في هذا الأسبوع كاتب أزهري جديد هو الدكتور علي حسن عبد القادر الحاصل على الدكتوراه في العلوم الإسلامية من جامعة برلين ، والمدرس بكلية الشريعة

الآن ، وبكلية أصول الدين من قبل . فأعطى هذا الكاتب مع إخوانه الأساتذة : محمد المدنى ومحمد يوسف موسى ومحمد عرفة وعبد الجواد رمضان وغيرهم ممن يخصون الرسالة بأبحاثهم القيمة ، الدليلَ الواضحَ على أن النهضة الأزهرية لم تتمثل فى « شباب المراغى » فحسب ، بل وفى « رجال المراغى » تمثلت أيضاً بصورة تدعو إلى الإيمان بمستقبل الأزهر السعيد ! ...

ولكنى أحب أن أوجه إلى الدكتور سؤالاً يدفعنى إلى توجيهه الحرص على طلب الحق وذلك أننا سمعنا وقرأنا فى غير صحيفة أن الدكتور ألقى منذ حين على فريق من طلبة كلية أصول الدين درساً فى « مصطلح الحديث » ؛ فعرض خلال هذا الدرس بالتابعى الجليل والمحدث الصادق الإمام « ابن شهاب الزهرى » ووصفه بالاختلاق والكذب على رسول الله (ص) ، وبأنه كان ممالئاً للأمويين ولذلك اخترع جملة أحاديث تخدم قضيتهم وترفع من شأنهم ؛ ومن أمثلة ذلك أن الزهرى لما رأى عبد الله بن الزبير يستقل بأمر الحجاز ، وأن عبد الملك بن مروان يستولى على بيت المقدس ويرفع فى المسجد الأقصى قبة الصخرة ليصرف الحجيج إليه ؛ لما رأى الزهرى ذلك اخترع أحاديث شتى فى فضل بيت المقدس ، ومن ذلك قوله على لسان الرسول صلوات الله عليه : «لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: مسجدى هذا ،ومسجد مكة، والمسجد الأقصى » !

قال الدكتور ذلك مع إجماع العلماء على أمانة الزهرى وصدقه وورعه ؛ ومع أن التاريخ يروى أن عبد الملك بن مروان سأل الزهرى ذات يوم عن المعنىّ بقوله تعالى : « والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم » . فقال الزهرى : « هو عبد الله بن أبى ابن سلول » فقال عبد الملك : « لا . بل هو على بن أبى طالب » فاشتاط الزهرى منه غيظاً ، وقال له : « لا أبالك ! . . . أعلىّ تفترى أم على الله ؟ ! »

ونحن نرجو الدكتور أن يتفضل بكلمة موضحة فى هذا الموضوع وظنى أن مجلة « الرسالة » التى تخدم الدين والأزهر لن تضيق بكلمة أو كلمات حول هذا الموضوع الخطير ، فهل يجيب سؤلنا الدكتور عبد القادر ؟!

(البجلات) أحمد جمعة الشرباصى

الكتاب المتفرنسون فى لبنان

استفتت جريدة « الأنباء الأدبية » الفرنسية جميع الأدباء الذين يكتبون بالفرنسية مستقصية عن الدافع الذى يحدو غير الفرنسيين للكتابة بالفرنسية ، وكان بين هؤلاء فرج الله الحايك مؤلف « برجوت » وهاك جوابه :

« تسألوننى لماذا آخذ اللغة الفرنسية كأداة للتعبير. وجوابى على ذلك جواب الأكثرية الساحقة من اللبنانيين ، وحالتنا هذه خاصة بنا ، فنحن لا نستطيع أن نفصل بين محبتنا لفرنسا ، وبين تأثيرها الثقافى علينا . فنحن نعيش فى وسط فرنسى ، فرنسى فى روحه ولغته »

« ورغم التباين العميق بين لغتنا الأولى العربية ، وبين اللغة الفرنسية ، فنحن نهضم هذه إلى درجة أننا أصبحنا نفكر بالفرنسية. إن اللغة العربية غنية جميلة وسائغة ، ولكن هذه المقدرة القائمة بين اللغة المحكاة واللغة التى نكتبها تولد للسامع نوعاً من التشويش »

ونحن لا يسعنا أمام جواب الأستاذ فرج الله حايك إلا أن نهنئه بهذه المكانة الأدبية التى جعلته كاتباً مرموقاً فى لغة أجنبية

إلا أننا نستأذنه بأن نصحح ماجاء فى جوابه عن معدل اللبنانيين الذين يفكرون ويكتبون بالفرنسية فهو دون شك لا يؤلف أكثرية كما يقول بل هو عدد محدود جداً ولا سيما بعد النهضة الحديثة التى أوجدتها البكالوريا اللبنانية فى معاهد التدريس وبين النشء الطالع . هذا مع العلم بأن التفكير والكتابة بالفرنسية شىء ومحبة فرنسا شىء آخر (الجمهور البيروتية)

محاضرة فى الموسيقى بالمعهد الايلى البريطانى

ألقى الدكتور كيناستون سنل مدير المعهد الايلى البريطانى بالإسكندرية محاضرة فى هذا المعهد تحدث فيها عن فن الموسيقى

وقد استمع لهذه المحاضرة كثير من محبى هذا الفن وغيرهم من الطلاب ، وكان بحث الدكتور فى هذا الموضوع دالاً على خبرته واقتداره . وقد عرف الدكتور سنل الموسيقى بأنها فن تأليف الأصوات لإثارة النبطة فى النفس . وقال إنه لما كانت اللغة لا تفى بالتعبير عن العاطفة أحياناً ، فإن المرء يعمد إلى إبرازها بإضافة الصوت والحركة إليها

وكان مما قاله عن الموسيقى الأوربية أنها نتجت من تمرن الأفراد على تعرف نظام الجمع بين الأصوات . على أن القليلين من الناس — حتى بين ممارسي الموسيقى — يستطيعون تعرف مقام الربع فى النغم

أما الموسيقى العربية فقال عنها : إنه ليس فيها شىء من نظام الموسيقى الأوربية من حيث التأليف بين الأصوات ، وإنما هى « خط واحد » . والأذن العربية مهما قل حسها تستطيع أن تتعرف الأرباع. ويميل الموسيقيون فى مصر الآن إلى إدخال بعض التراكيب الموسيقية الأوربية على الموسيقى العربية

وختم المحاضر بحثه بذكر ما يجب على السامعين فى الحفلات الموسيقية من الأمور كالإصغاء للتوقيع وتجنب الحديث وعدم الاتيان بحركات تؤثر فى صفاء جو الغناء والموسيقى وجلاء روح الفن

وفاة الأستاذ عبد الحميد بن باديس

نعت أخبار الجزائر الأستاذ عبد الحميد بن باديس رئيس جماعة العلماء وزعيم الصحفيين والأدباء توفاه الله يوم ٨ ربيع الأول الموافق ١٦ إبريل. وقد كان رحمه الله من رجالات الشرق الأفذاذ نفسية وعلماً وخلقاً

ولد فى قسنطينة سنة ١٣٠٩ ، وأتم دروسه فى الزيتونة ، وطوف فى بلاد الشرق ، ثم عاد إلى وطنه فأنشأ مجلة الشهاب ، واجتمع عليه نخبة من الطلبة فى الجامع الأخضر (الذى أصبح فيما بعد موئل الثقافة الدينية بالجزائر) فصال وجال فى دروسه وخطبه ومقالاته نيفاً وربع قرن يدعو إلى الإصلاح الدينى والاجتماعى والسياسى ، فأوذى وفتن ، ولكنه خرج من فتنته كالتبر لم تزده النار إلا صفاء وإخلاصاً . عند ذلك اتجهت إليه الأنظار فى شمال أفريقية ، فتبوأ عرش الزعامة فى كل مجمع والمحبة فى كل قلب

اسماعيل محمد عزمى

رأى الأستاذ ميخائيل نعيمة فى ليالى الملاح التائه

طالعت فى ديوان « ليالى الملاح التائه » شعراً متين الحبك ، مشرق اللون ، قوى النبرة ، مؤمناً بذاته ، وطلعت علىّ منه عاطفة لا تتستر بخيال إصبعها ولا تتلبس غير لباسها . وكنت أود لهذه الشاعرية ألا تغرق فى لجج الوطنيات ، ولا تفرغ حماستها فى كؤوس الخيام ، أشكر لك يا أخى هديتك السلوخة عن قلبك ، وأتمنى لقلبك فتوة لا تشيخ ...

تيسير الفقه

كنت أقلب صفحات « وحى الرسالة » للأستاذ الكاتب الكبير صاحب « الرسالة » أعزّ الله يراعته ، فوقعت عينى على ما فى أدنى الصفحة التاسعة والعشرين وأعلى الصفحة الثلاثين من كلام جرى بين الإمام الشيخ محمد عبده طيب الله مضجعه وبين شيخ من رجال المحكمة الشرعية . سأله الأستاذ الإمام فيم يشتغل ؟ فقال : نعلم النصارى الذين يدخلون الإسلام أركان الدين . فقال له : يكفى أن تقول صل وصم وزكّ وحج . فقال : ولا بد أن نعلمهم الوضوء . فقال : قل له اغسل وجهك ويديك إلى مرفقيك وامسح رأسك واغسل رجليك . فقال : ذلك لا يكفى ولا بد أن نعلمه حدود الوجه من أين يبتدئ وإلى أين ينتهى . وقد أجابه الإمام بحدة قائلاً : قل له يغسل وجهه ، كل إنسان يعرف حدود وجهه من غير حاجة إلى مساح .

شعرت بعد قراءة هذه الجمل بحاجة الفقه الإسلامى إلى تيسير ، وهذا يكون بتأليف كتاب ينطوى على المباحث الفقهية كافة ، يستغنى به عن كل مطوّل ومختصر ، ويقرر تدريسه فى الأزهر وفى سائر البلاد الإسلامية ليكون الفقه مألوفاً للناس على اختلاف معارفهم ومداركهم ، وعاثاً مع الثقافات كلها ثمين

وأما أسس التيسير فينمّ عنها التيسير نفسه ، ومع ذلك فلا بد من الإشارة إلى بعض هذه الأسس والطرائق والأشكال :

١ — حذف الزوائد الفقهية من مستحسنات وآداب وإساءات (وعلل غير معقولة)

٢ — استعمال اصطلاحات جديدة منظمة وإلغاء الاصطلاحات القديمة — فيما إذا تحقق اضطرابها —

٣ — الأخذ بأسهل الأحكام وأيسرها للناس . فمثلاً يقضى الحنفية بوجوب الوتر ونقض الدم للوضوء . والشافعية



تعقيب على تصحيح

للأستاذ محمد محمود رضوان

ذكر الأستاذ عبد القادر المغربي في العدد ٣٥٦ من الرسالة عدداً كبيراً من المآخذ التي رآها في الجزء الثالث عشر من كتاب نهاية الأرب للنويري ، ولا يسع كل أديب وباحث إلا أن يحمد للأستاذ تلك الغيرة على تصويب كتاب له قيمته الأدبية كنهاية الأرب خصوصاً وقد وفق إلى حد كبير في كثير من تلك التصويبات وإن أخطأه التوفيق أيضاً في كثير منها

وللنويري صاحب نهاية الأرب في قلبي مكانة لم يحتلها أديب غيره من أدباء العصر التركي فهو أحبهم إليّ وآثرهم عندي ، إذ أن بيني وبينه — فوق إعجابي بمجهوده الجبار في تصنيف موسوعته العظيمة — آصرة الوطن وهي فوق كل آصرة[1]

ولعل من القراء من يذكر مقالي الذي كتبته منذ عامين في جريدة الأهرام عن النويري ، ودعوت فيه إلى إحياء ذكرى هذا الأديب المنسي ، ونوهت بفضل موسوعته وما أشاد مؤرخو الأدب بها ، وكان أن أخرجت دار الكتب المصرية بعد ذلك الجزء الثالث عشر من نهاية الأرب مشكورة ، وإن كانت لا تسير في إحياء هذا الكتاب إلا كما تسير السلحفاة

وإذن فقد حق عليّ وقد رأيت الأستاذ المغربي يتسقط الخطأ تسقطاً ، ويلتمس الزلل التماساً أن أنافح – بالحق – ما وسعني النفاح عن المؤلف تارة ، وعن المصححين أخرى ، وهأنذا مورد ما كتب الأستاذ ثم أتبعه نقاشي له

١ – (ص ١١ س ٢١) قوله «ففتحها» صوابه «ففتحهما» إذ أن الضمير يرجع إلى العينين

هذا ما قاله الأستاذ الناقد وأقول : إنه ليس على ذلك التعبير غبار ، والعرب كثيراً ما تذكر الإثنين – وخصوصاً إذا كانا لا يكاد أحدهما ينفرد وذلك كالعينين واليدين والرجلين – وتعبر

(١) ولد النويري بالنويرة من أعمال بني سويف

يجعلون الوتر سنة ولا ناقضية للدم ؛ فيؤخذ بأحكام الشافعية

ومثلاً يقضي الشافعية بأن الصلاة الابراهيمية فرض في الصلاة وتركها مبطل للصلاة ويعتبرون مس الرجل للمرأة ناقضاً لوضوئه . والحنفية يجعلون الصلاة الابراهيمية في الصلاة سنة لا تبطل بتركها ، ولا يرون في مس المرأة نقضاً للوضوء ، فيؤخذ بأحكام الحنفية

وهذا التمازج المذهبي ضروري للعالم الإسلامي الذي هو وحدة دينية لا تتجزأ ، وقد أشرت في كتابي (التشريع الإسلامي)[1] إلى بعض هذه المعاني بشكل فيه نوع وضوح

ولا مانع من مراجعة آراء الظاهرية والزيدية والأباضية وبعض فرق الشيعة للاستفادة من ملاحظهم والاستنارة بآرائهم

وهذه عملية فيها صلاح للمسلمين كثير ؛ فقد أثخنتنا الخلافات أذى وأشبعتنا هواناً . وأرجو أن أسمع من الأساتذة الذين بحثوا أخيراً في موضوع الأزهر وإصلاحه رأيهم في هذا الأمر

(القاهرة) ميول الحنفي

(١) سيصدر هذا الكتاب قريباً

تخليد ذكرى المرحوم مصطفى صادق الرافعي

رغب بعض حضرات الأدباء والشعراء تأخير يوم الاحتفال بتخليد ذكرى المغفور له الأستاذ مصطفى صادق الرافعي وتحقيقاً لرغبتهم قررت لجنة الاحتفال إقامته الساعة السادسة من مساء الخميس ٢٠ / ٦ / ١٩٤٠ بدار مجلس مديرية الغربية بشارع المدرسة بطنطا . وترجو اللجنة حضراتهم أن يتصلوا بحضرة سكرتيرها الأستاذ أمين حافظ شرف بطنطا إلى يوم الجمعة ١٤ / ٦ / ١٩٤٠

رئيس اللجنة
الدكتور عبد العزيز العجيزي
عضو مجلس الشيوخ

تصويب

جاء في مقال الأستاذ محمد يوسف موسى المنشور في العدد الماضي ثلاث كلمات محرفة وهذا صوابها :

صفحة	عمود	سطر	خطأ	صواب
٩٣٨	٢	١٧	وكذا الواحد	وَكَدُّ الواحد
٩٣٩	١	١٢	ذلك ما يزيد	ذلك إلى مايزيد
٩٣٩	١	١٦	إلى كل هذا	إلى ... كل هذا

عنهما مرة وبأحدهما مرة ، قال الفرزدق :

ولو بخلت يداى به وضنّت لكان علىّ للقدرِ الخيارُ

فقال يداى ، ثم قال ضنت وهو يعنى اليدين .

وقال آخر :

وكأن فى العينين حبّ قرنفل أو سنبل كحلت به فانهلّتِ

فقال العينين ، ثم قال كحلت فانهلت ، وقال بعض المحدثين :

فدتك بعينيها المعالى فإنها بجدك والفضل الشهير كحيل

ومن ثم فتعبير نهاية الأرب صحيح ليس عليه مأخذ ...

٢ — (ص ٢٥ س ١٤) : ونادى إلى ذات اليمين وهو يقول : أنا أول من يشهد لك بالتوحيد الخ

قال الأستاذ الناقد : فقوله « ونادى إلى ذات اليمين » صوابه « وأوى إلى ذات اليمين » — أى مال ولجأ إلى الجهة اليمنى —

وأقول : لو أن « نادى » قريبة من « أوى » خطأ ، لكان ذلك كلاماً حسناً ، أما وبينهما ما بينهما ، فنى ذلك التخريج من التعسف ما فيه ، على أنه ليس ما يدعو إلى تخطئة نادى وتبدل غيرها بها ، ويظهر أن ذكر فعل القول بعد فعل النداء — وهما متقاربان معنى — هو الذى أشكل على الأستاذ ، فجهله يفضل الاجتزاء بواحد منهما ويتبدل أوى بنادى ، مع أن ذكر القول بعد النداء كثير سائغ . ورب العالمين يقول « فحشر فنادى ، فقال أنا ربكم الأعلى » ؛ ويقول « ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى » . فليس من غضاضة إذن فى قول النويرى : « ونادى إلى ذات اليمين وهو يقول ... الخ » . إذا أعربت الجار والمجرور — إلى ذات اليمين — حالا من الضمير المستتر فى نادى

٣ — (ص ٦٧ س ١١) : قوله : « فقال فتى منهم حدث السن » خطأ ، وصوابه : « حديث السن » ؛ وعبارة المصباح : « يقال للفتى حديث السن ، فإن حزفت السن ، قلت : حدثٌ بفتحتين » ، أى من دون إضافة حدث إلى السن ...

وأقول : لا محل لهذه التخطئة ، وإن كلام المصباح الذى استشهد به الأستاذ ، ليس فيه دلالة قاطعة على أن قولك « حدث السن » خطأ ، وإنما يدل على أن قولك (حدث) يساوى فى معناه قولك « حديث السن » ، على أنك لو أضفت « حدث » إلى « السن » إضافة توضيح ما بعدت ولا تجنيت ، وكيف وعبارة القاموس تؤيد ما أذهب إليه وهى (ورجل حدث السن وحديثها بين الحداثة والحدوثة فتىٌّ) وذلك واضح

٤ — (ص ١٢٧ س ٧) : قوله « حتى بلغ بها إلى البحر » صوابه « بلغ بها البحر » من دون حرف الجر لأن فعل البلوغ يتعدى بنفسه

وأقول : لا أدرى كيف يمنع الأستاذ تضمين الفعل معنى فعل آخر وهو مطرد على ألسنة الفصحاء وأئمة البيان واللغة ، ولست أستشهد بفعل غير الذى معنا — وذلك كثير — ولكنى أذكر عبارة وقعتُ عليها فى كتاب (فقه اللغة) لأبى منصور الثعالبى أورد فيها الفعل بلغ معدى بإلى ، وكأنه ضمنه معنى وصل أو انتهى ، والثعالبى هو الثعالبى . قال ص ٥٧٨ : « ومثله قوله عز وجل (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) وهم لم يبلغوا إلى أرذل العمر فيردوا إليه »

٥ — (ص ١٣٩ س ٧) : « وقيل إن النساء خلون به ليعدّلنه لها » يعنى أن نسوة المدينة لما بلغهن خبر جفوة يوسف لزليخا امرأة العزيز خلون به ليعدلنه ، وقد ضبط فعل (يعدلنه) بالدال المهملة المشددة من فعل عدّله إذا أقامه وسواه . قال الأستاذ المغربى : « إن الأصوب والأليق بالمقام أن تكون (يعذلنه) بالذال المعجمة من العذل على معنى أن النسوة خلون بيوسف وأخذن فى عذله ولومه على ما كان من جفوته لسيدته وإنه لامعنى للتعديل والتقويم هنا إذ ليس المقام مقام تربية ولا تقويم ، وإنما المقام مقام حب وجفاء »

وأقول : إنه ليس ثم داع لهذا التصويب ، وإن الكلمة لا هى يعدّلنه كما ضبطها الشارحون ولا يعذلنه كما يرى الأستاذ المغربى ؛ وإنما هى يَعْـدِلنه بغير تشديد من الفعل الثلاثى عدل بمعنى عَطَفَ ، والمعنى أنهن خلون به ليجعلنه يعدل إليها وينعطف ، والدليل على ذلك ما يقوله صاحب الأساس فى مادة عدل (وعدلته عن طريقه وعدلت الدابة إلى طريقها : عطفتها) ؛ وهذا الطريق يعدل إلى مكان كذا . وفى حديث عمر رضى الله عنه : « الحمد لله الذى جعلنى فى قوم إذا ملت عدلونى كما يُعْدَل السهم » .

٦ — (ص ٢٤٢ س ٢) « فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول » قوله (فحملوه) لعل صوابه (فحملوهما) ، أى حملوا كلاً من الخضر وموسى وإن كانوا لم يعرفوا إلا الخضر ، ويشهد لما قلنا قوله بعد (فلما ركبا فى السفينة) بألف التثنية أى الخضر وموسى

وأقول : إن ذكر الإثنين ثم إعادة الضمير على أحدهما دون

الآخر مما جرى عليه العرب فى تعبيرهم كما استشهدت فى أولى هذه التصحيحات ، وخصوصاً إذا كان ثم مسوغ بلاغى أو معنوى لهذا الحذف ؛ وهذا المسوغ ذكره الأستاذ الناقد نفسه فى خلال كلامه ، وذلك قوله : (وإن كانوا لم يعرفوا إلا الخضر) . على أن الحذف باب من أبواب البلاغة المشهورة ، فقوله (لحملوه) يتضمن محذوفاً أى (وموسى) وذلك مطرد فى كثير من كلام العرب وفى كلام الله ، ألم تسمع إلى قوله تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله » ؛ قال بعض المفسرين : « إن الضمير فى ينفقونها عائد على الفضة ، واستغنى بذلك عن عود الضمير إلى الذهب والفضة معاً للدلالة »

والعرب تخاطب الإثنين أيضاً ، ثم تنص على أحدهما دون الآخر فتقول : ما فعلتما يا فلان ؟ وفى القرآن (فمن ربكما ياموسى) وأغفل هرون ، وفيه (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، خاطب آدم وحواء ، ثم نص فى إتمام الخطاب على آدم وأغفل حواء ، فلا فرق بين عبارة النورى وهذه الشواهد إلا أن هذه للخطاب وتلك للغيبة ، وسبب الحذف واحد فى الجمع وهو التنويه بالأهم غيبة أو خطاباً

وقريب من هذا — أو عكسه — ما تفعله العرب من نسبة الفعل إلى الإثنين وهو لأحدهما كقوله تعالى فى قصة موسى نفسها (فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما) مع أن النسيان كان من أحدهما لأنه قال (فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان) وكقوله تعالى : (مرج البحرين يلتقيان) وأحدهما عذب والآخر ملح ، ثم قال : (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) ، وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح لا من العذب

وهكذا يجد المتأمل فى لغة العرب غير قليل من السعة والمرونة لا محل للتزمت فيه ...

٧ — (ص ٢٧١ س ٥) : « قال موسى يا رب بما سمعت دعاء بلمام على فاسمع دعائى عليه قوله : « بما سمعت » لعل صوابه : « كما سمعت » أى اسمع دعائى كما سمعت دعاءه ...

وأقول : إن فى هذه التخطئة غير قليل من التجنى على اللغة إذ أن مثل هذا التعبير عند من تذوق أساليب العربية وقرأ كلام الله وأحاديث رسوله صحيح سائغ رائع ، ولأقرب المعنى المراد أستعدى الإعراب فهو رائدنا إلى الصواب . وذلك أن (الباء) فى عبارة النورى للسببية و (ما) مصدرية ، والمعنى : « يارب ، بسبب سماعك دعاء بلمام على فاسمع دعائى عليه » . وذلك كثير فى كلام الله وإليك الشواهد :

(ا) قوله تعالى : « إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون) أى بسبب فسقهم

(ب) قوله تعالى : « قال لا تؤاخذنى بما نسيت » أى بنسيانى

(ج) قوله تعالى : « ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون »

(د) قوله تعالى — وشبيه به عبارة النورى لفظاً ، وليس كمثله شىء — : « فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » أى بسبب كفركم

وبعد : ففى تصويبات الأستاذ المغربى — غير ما ناقشت — كثير لا محل له ، كتصويبه (المضيق بالطبق) وهو سجن ابراهيم تحت الأرض مع أن المضيق كما فى القاموس هو المكان الضيق . وقد خصصت عبارة النورى بأنه تحت الأرض ، وذلك هو المراد ففى كل ذلك غناء عن (المطبق) التى يأبى الناقد إلا أن يدسها دساً ، وكتصويبه (النحيب بالنحيت) والأولى صحيحة تؤدى المعنى كما اعترف ، وكتصويبه (تفوهت بنوهت) والأولى تؤدى المعنى مع زيادة اقتضاها المجاز الخ ...

(القاهرة)

محمد محمود رمضان
مدرس بالجمالية الأميرية



8me Année No. 363

Lundi - 17 - 6 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٣٦٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ جادى الأولى سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٧ يونيه سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهــــــرس

العلم المسكين !

للأستاذ عباس محمود العقاد

إذا غضب الإنسان التمس لغضبه هدفاً وإن ارتد إلى نفسه وأحب الناس إليه ، لأن الغضب حركة ولا بد للحركة من اتجاه

وهكذا صنع صديقنا الزيات وهو غاضب على الحرب وأدواتها الجهنمية فى عصرنا الحديث . فنظر إلى أقرب ما يرميه فإذا هو العلم المسكين : العلم الذى علّم الناس أن يصنعوا البركان والإعصار، وأن يسلموا زمامهما للقاذف والطيار !

غضب الأستاذ غضبته تلك فتمنى لو أن للعالم « كرة إلى عصر الجمل والحصان ، وحرب السيف والسنان ، ومدنية القلب واللسان ، لينجو من هذا العلم الذى يدمر ما يعمر ، ويخلص من هذه الحضارة التى تأكل ما تلد »

ولو كرّ العالم إلى عصر الجمل والحصان وحرب السيف والسنان لما رضى صديقنا الأستاذ ، لأن هولاكو وتيمور قد صنعا بالحصان والسنان ما لم يصنع قواد هذا الزمان بالإعصار والبركان، وزادا على ذلك بلاء الطواعين يضيفانها إلى بلاء الطعان، فأين يذهب العلم المسكين مع هذا الإنسان !

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء فى القناة سنانا

بل ركب سناناً فوق السنان ، وأتى معه إلى الميدان بالحيوان . . . وبالجان !

ولو تمثل العلم شخصاً يتكلم لاستغاث من هذا المخلوق الذى شوه جمال كل جميل حتى المعرفة والنور

وهل المعرفة إلا نور ؟

وهل يأبى النور أن ينير إذا « اهتدى » به اللص فى طريق الشرور ؟

وهل يرتفع العلم بالإنسان إلى مكان أرفع وأطيب من فراديس الجنان ؟

فماذا صنع فى فراديس الجنان ؟

سمع وحى الثعبان ولم يستمع إلى وحى الرحمن

فويل لهذا الإنسان !

* * *

لقد ظهر الاختراع مع العلم فماذا صنع الإنسان قبل أن يخترع فى العصر الحديث اختراع العلماء ؟

اخترع الحصان أداة للكر والفر والطعان !

جاء به من الأجمة والجبل أسلم ما يكون بين فصائل الحيوان ، وقذف به إلى الميادين أخطر من النمر والثعبان ... بل أخطر من المارد والشيطان !

وقبل الحصان حملته قدماه !

وقبل القدمين ركب رأسه وهواه

ولولا رأسه وهواه لما ضاقت به دنياه ... كان له الله !

* * *

أخى الغاضب على الحرب ! دع العلم فى مكانه منها، فوالله إنه لرحمة بالإنسان حتى مع هذا الشر الذى يتفجر به طبعه ويتدفق به نبعه إنه لأرحم به من الجهل يوم كان الطاعون يقتل مائة إلى جانب كل قتيل واحد يسقط فى حومة القتال ، ويوم كان كل قتيل واحد بؤرة تجتمع فيها ملايين الملايين من جراثيم الحميات والأهوية الوخيمة لتتفرق بعد ذلك من جبل الأطلس إلى أقصى الصين .

ولقد مات فى الحرب الأمريكية مائة وثمانون ألفاً فى حومة القتال وضعف هؤلاء القتلى ماتوا بالأوبئة والأمراض

وأحصوا فى حرب القريم خمسة وعشرين ألفاً من الإنجليز والفرنسيين ماتوا بالرصاصة والسيف ، ونيفاً وتسعين ألفاً ماتوا بطعنة مكروب صغير لا تراها العين ولا يعلم بوجودها المقاتلون .

لا بل هذه السرعة التى تنعاها أيها الأخ على العصر الحديث هى التى تعجل بالسلم وقد كان بطيئاً من قبل كالبطء فى كل شىء من أشياء الزمن القديم

فأين هى الحرب التى تدوم اليوم ثلاثين سنة كما دامت حرب الثلاثين ؟

وأين هى الحرب التى تعود اليوم فى كل موسم كما كانت حروب القبائل البادية تعود فى كل مرتبع أو كل مصطاف ؟

أما عدد القتلى فما كان أكثره بالأمس ، وما أقله اليوم بالقياس إلى عدد الأمم المشتركة فى الحروب

لقد مات فى حروب جنكيزخان نحو عشرين مليوناً ، واشتركت أمم الأرض فى الحرب الماضية فكان القتلى فيها أقل من تسعة ملايين

ودارت معركة بين الإنجليز والإيقوسيين فى أوائل القرن السادس عشر ، فبلغ القتلى من هؤلاء الأخيرين عشرة آلاف، ولم يكن سكان انجلترا وإيقوسية يومئذ يزيدون على أربعة ملايين

وسر ذلك أن القوة قد اشتدت فى سلاح الفتك وسلاح الوقاية على السواء ؛ فالمدفع الذى يقتل ألفاً تخيفه طيارة يديرها رجل واحد ؛ والأسلحة التى تبذل فيها الأمة ألف مليون يصدها الحصن الذى تبنيه الأمة بمائة مليون ، واللغم الذى يودى بالمدرعة العظمى يلقطه وعشرات معه زورق صغير

ولكل شىء آفة من جنسه !

والفضل للعلم الحديث الذى صدم الشر بالشر فوقفا متكافئين ، ولو انطلقا بغير رادع لهلكا متسابقين إلى الهلاك

* * *

فالحق أننا لنتخيل الدنيا وقد احتشد فى جانب منها عشرات الملايين ، وترامت بينهم ألوف الجثث وهم بعيدون من المعقمات التى اخترعها العلم والمطهرات التى صنعها العلم ووسائل العلاج التى استنبطها العلم ، ثم نتخيل ما وراء ذلك من أوبئة وطواعين ، ومن حميات وأدواء ، ومن صرعى لا يجدون القبور ولا القابرين ، فلا يسعنا إلا أن نغضب كما غضب الأستاذ من الحرب ، وإلا أن نثور كما ثار الاستاذ على البناة الآثمين ، ثم نخالفه بعد ذلك فنتنادى بالعلم جهد ما نستطيع من نداء : مكانك فينا أيها العلم فلا رحمة لنا فى عهد الحصان والسنان ، وإنما الرحمة لنا فى عهد الإعصار والبركان ، ومن يلجم الإعصار والبركان . لأننا

إذا رجعنا كرة أخرى لم نفقد الشر الذى يغرى بالقتال ويغرى بالعدوان ، بل فقدنا الضياء الذى يرينا الشر والخير يتصاولان ويتكافآن ، أو فقدنا شراً يدفع شراً فلا يبغيان ولا ينطلقان

***

أذكر كلمة للعالم الكبير « أوليفر لودج » يقول فيها إن خلقة « الميكروبة » مكسب كبير لعالم الحياة ، فلو فرطت فيه الدنيا لبقيت عند المادة الصماء، ولم تتجاوزها إلى ما وراءها من عالم الأحياء

وهذا الذى قاله أوليفر لودج حق عظيم

فلو أننا استطعنا أن نتخيل أنفسنا فى مطلع الخليقة ، وأن نتخيلنا مسؤولين : هنا مادة صماء تبقى أبد الآبدين مادة صماء ، وهنا جرثومة حية صغيرة تنمو وتنمو معها الحياة ولكنها لا تؤمن على سائر الأحياء ، ولا بد لها من دواء يطول فيه العناء ، فماذا أنتم مؤثرون يا معشر الخلق بين هذا البلاء وذاك الفناء ؟

هنا يبدو لنا أن خلقة « الميكروبة » مكسب كبير كما قال « أوليفر لودج » الذى يقدس الجرثومة لأنه يقدس الحياة ويقدس الروح

وهنا يبدو لنا أن علاج « الميكروبة » مكسب آخر قد ارتقينا به فى مراتب الفهم والمعرفة وكبحنا به كثيراً من شرور العجز والجهالة

وعلى هذا النحو تقترن المحنة بكل منحة ، ويقترن العناء بكل نماء :

يبكى الطفل حين يولد ، ويمرض حين تنبت له أسنان ، ويختل ميزانه زمناً حين يدرك المراهقة ، ويشقى بالتبعة زمناً حين يخرج من وصاية الأب إلى رشد الرجولة ، ويمطى كلما أخذ مادام مرتقياً فى مراتب الحياة

فمن يدرى ما تشترى « الإنسانية » غداً وقد بذلت الثمن الفادح فى الحرب القادمة ؟

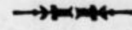
إنها مشترية شيئاً لعله يجمع بين فضيلة الفطرة وفضيلة الحضارة، وبين مزية الأناة ومزية السرعة ، ولعله أن يفيض على بنى الإنسان طمأنينة الواجد الذى يحمى ما يجد فهى خير من طمأنينة المعدم الذى لا يملك ما يفقد ، وهى حالة يرضاها صديقنا الأستاذ إذا أغضبته الحروب، أو هى حالة أقرب إلى الإمكان من كرة أخرى إلى عصر الجمل والحصان، وحرب السيف والسنان

عباس محمود العقاد

في حياتنا الوجدانية (*)

[مهداة إلى الأستاذ عبد المنعم خلاف . .
الكاتب الذي أحب عالمه الوجداني]

للأستاذ حسين مروة



ما الكرامة وما الشرف ؟

ما الحرية وما المجد ؟

أسماء فخمة رائعة ، ذات أجنحة سحرية عجيبة ننجذب إليها طائعين مسحورين ، فتحلق بنا في سموات من الخيال موّاجة بالأنوار والألحان والمباهج ...

أسماء ذات أبعاد ضئيلة ، محدودة ، ناقصة ، يكمن في أطوائها سر من الأسرار لا تحده الأبعاد الواسعة ، سرٌ يُفيضُ الخيرَ على جوانب الحياة كلها ، ويطوف بالنفوس الإنسانية جميعاً فيثير في الضعيف العاجز مجرَّد الحنين واللهفة والألم ، ويحمل القويَّ القادرَ على ركوب الأخطار والأهوال والمكاره ، وقد ينفخ في الضعيف الحي الطموح قوة تكتسح بذورَ الضعف ، وتصرع عواملَ العجز والخنوع والاستسلام ...

ما هي هذه الأشياء الحبيبة للانسان تبهره أضواؤها ومباهجها وتشتدُّ لهفته إليها كلما اقترب منها ، ويتغنى بوجده بها في سره وجهره ، في صحوه وسكره ، في كوخه الوضيع وقصره الرفيع ، سواء أكان غبياً أم ذكياً ، ضعيفاً أم قوياً . أكان بادياً في الصحراء القاحلة ، أم حاضراً في المدينة العامرة ؟ أكان فلاحاً يتصبب عرقه في حقله ، أم عالماً يجرب في مخبره وينقب في كتبه ؟

ما هذا الهوس المحموم يدفع الإنسان - أفراداً وجماعات - إلى غمرات الموت بين اللظى المستعر والحديد الحاصد ، فيندفع راضياً مستعذباً لقيا الشدائد في سبيل ما يدعوه الكرامة والشرف أو في سبيل الحرية ومجد الأوطان ، لكأنما هو - حين يلقى الشدائد في هذا السبيل - إنما يلقى أحبَّة أعزة في ظلال أمن وارف ودعة ظليلة ناعمة ... ؟

ما هي الكرامة والشرف ؟

وما هي الحرية والمجد ؟

هل هي حقائق ذات قرار في عالم الحس والواقع : العالم الذي نتعرف إلى حقائقه الموجودة بإحدى هذه الأدوات الخمس : العين التي تبصر الألوان والأنوار والظلال ، والأذن التي تسمع الأصوات ، والفم الذي يذوق الطعم ، والأنف الذي يحسُّ الرائحة ، واليد التي تلمس الحرارة والبرودة والخشونة والنعومة ؟

هل الكرامة والشرف ، وهل الحرية والمجد حقيقة من هذه الحقائق المحسوسة في هذا العالم الواقعي الذي لا يعترينا الريب بوجوده ؟

كلا : ليست هي شيئاً من هذا كله - كما نعلم جميعاً -

أتكون - إذن - معدومة لا قرار لها في هذا الوجود الواسع ؟

أتكون - إذن - غارقة في بحر العدم اللاَّنهائي ؟

ولكن : كيف تكون الكرامة والشرف ، والحرية والمجد - عدماً من الأعدام وها هي أضواؤها الباهرة تبهر عيون الشعوب الضعيفة والقوية على السواء ، وها هي أنغامها الصارخة تدفع بالإنسانية اليوم إلى المجزرة الهائلة الطاحنة ، وها هي الدماء البريئة تراق على جوانبها ، وقد كانت كذلك من قبل أن يقول الشاعر العربي العظيم :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم

وستظل كذلك حتى ينصب ميزان العدل أمام الديان الأعظم ...

كيف تكون الكرامة والشرف والحرية والمجد عدماً من الأعدام وهي نفسها تلف سبعين مليوناً ونيفاً من العرب بشملة واحدة وهم في رقاع من الأرض متباعدة ؛ وهي : هي نفسها تشد الأواصر وتجمع القرابات ، وتوحد المشاعر بين شعوب العربية على اختلاف الديار والأحوال . وهي نفسها - كذلك - تدفع

(*) مثلت « لجنة الخطابة والتمثيل » في ثانوية الناصرية (العراق) في شهر أبريل الماضي رواية (الاستعباد) للمؤلف المسرحي والممثل المعروف الأستاذ يوسف وهبي ، وهي مسرحية تدور حوادثها في مراكش إبان ثورة الزعيم عبد الكريم الريفي ، وهي تصور جانباً من همجية المستعمر ، وجانبا من إباء العربي العظيم ، ومن هذه المناسبة استوحى الكاتب كلمته هذه

بضعة نفر من هؤلاء الشباب المتحمسين إلى المسرح يمثلون — أمام جمهور عربى متحمس — دوراً من أدوار جهاد العرب المقدس فى سبيل الكرامة والشرف وفى سبيل الحرية ومجد الوطن؟

إذن : لا سبيل للشك فى أن هذه المعانى الوجدانية السامية ليست هى من الأشياء الغارقة فى بحر العدم المطلق ، ولا سبيل للشك — إذن — بأنها فى قرار مكين من هذا الوجود

نعم : هى موجودة دون شك ولكن ... ولكن أين يقع محلها فى بحر هذا الوجود الأوسع ما دامت لا قرار لها ـ كما قلنا ـ فى عالم الواقع المحسوس ؟

وهنا يبدو لنا سؤال هو مفتاح السر فى هذا الموضوع :

تُرى : أكان الإنسان إنساناً بمجرد هذا الوجود الحسى الواقعى وحده ؟ إذن : فما معنى هذه الإنسانية المتبجحة بأسرارها الخطيرة ؟ ما معنى هذه الإنسانية المفضّلة — تفضيلاً مطلقاً — على كل شىء وهب نعمة الوجود ؟ ... ما معنى هذه الإنسانية المزهوة بعظمتها إذا كان وجودها قائماً على جانب واحد هو الجانب الحسى الواقعى ، الجانب المادى دون غيره ؟ وأين يمتاز الإنسان ـ إذن ـ عن الحيوان الأعجم إذا كان يشاركه فى هذا الجانب المادى من الوجود ثم لا يزيد شيئاً بعد ذلك ؟

اللهم لا : إن هذا الإنسان العظيم لأرفع شأناً ، وأجل خطراً من أن تكون إنسانيته العظيمة قائمة على وجودها المادى مجرداً ، لا يسنده جانب آخر من جوانب الوجود ... لا : ليس الإنسان كائناً حياً وكفى ... بل إن الإنسان : كائن حى ، أعلى ، فهو إنسان — إذن — لأنه ذو جانبين اثنين يشارك بأحدهما سائر الكائنات الحية فى هذا الوجود ، ويتفرد بالجانب الآخر واقفاً على قمة الهرم : هرم الحياة

فما هو الجانب الآخر الذى يصعد بالإنسان إلى قمة الهرم ؟

هو لون من الوجود أفاضته الطبيعة على هذا الكائن الحى فصار إنساناً ، وصار الإنسان سيد الوجود على الإطلاق

هو لون من الوجود غريب يأبى التعريف والتحديد ، لأنه يسمو فوق الحدود وفوق القيود ، وإنما نعرفه بمظاهره وآثاره ليس غير

هو الآية الكبرى من آيات الطبيعة جاءت بها لتقيم البرهان على عظمة الخلق والإبداع الإلهى

هو الكوة التى يطل منها الأنبياء والمصلحون على الناس ليغدقوا عليهم أنوار الإيمان والفضيلة والرحمة والعدالة فتتفتح له عيون ، وتعشو منه عيون ...

هو المنظار السحرى العجيب الذى يتطلع منه الشعراء ، والفنانون الملهمون إلى الوجود ، فيكشف لهم أسرار الوجود وخفاياه ، ويلون لهم الحياة بألوان من الجمال وألوان من القبح ، ويصور لهم الناس صوراً من الملائكة وصوراً من الشياطين ، ويخلق لهم عالماً من السعادة يموج بالعطر والنغم ، أو عالماً من الشقاء تفح فيه الأفاعى ، وتضرى الذئاب ...

هو مصباح الفلاسفة والمثاليين يدورون به فى مجاهل الكون وخباياه يبحثون عن الحقائق الكلية المطلقة ، ويتغلغلون به إلى مكامن السر المحجب يستكنهون معنى الإرادة العليا فيما وراء المحسوس ، أو يسيرون به على الأرض فى دنيا المطامع والشهوات يبشرون برسالة الحق والخير والجمال الأسمى

هو العالم الجميل الذى يعيش به المحبون فى سبحات من النور تصور لهم كل لمحة من جمال الطبيعة معنى من معانى الحبيبة أو الحبيب

ذلك هو عالم الخيال والذهن والإدراك ، أو هو عالم «الوجدان» كما يسميه العلم

فللانسان ـ إذن ـ وجودان لا وجود واحد : هما الوجود الواقعى المحسوس ، والوجود الذهنى غير المحسوس ، أو فلنقل : إن للانسان حياتين : حياة مادية ، وحياة وجدانية ، وكلما كانت حياته الوجدانية أوسع أفقاً ، وأكثر إشراقاً — كان أقرب إلى الإنسانية الصحيحة أو كان أقرب إلى معنى الكمال الإنسانى وكلما ضاق به أفق الحياة الوجدانية ونظر إلى دنياه من نافذة الحياة المادية وحدها — كان أبعدَ ما يكون عن الحقيقة الإنسانية بمفهومها الأعلى ، وأقرب ما يكون إلى حقيقة هذا الحيوان الأعجم يشاركه كل المشاركة فى ماديته العمياء المجردة ، بل قد يفضله الحيوان الأعجم فى هذه الناحية المشتركة

وشعور الإنسان بالكرامة والشرف ، وشوقه إلى الحرية

والمجد — هما المظهر الأسمى لإنسانيته الصحيحة ، لأن الشعور بالكرامة والشرف ، والشوق إلى الحرية والمجد — هما أقوى مظاهر الحياة الوجدانية ، وأدل على خصب الخيال ، وسعة آفاق الذهن ، وغزارة ينبوع الجمال النفسي ، وقوة إشعاع الروح — هـذه الأمور التي تنبع رأساً من دنيا الوجدان في حياة هذا الكائن الحي الأعلى ... الإنسان

ولا فرق في هذا كله بين شعور الإنسان بكرامة نفسه وشرفها ، وشوقه إلى حريتها ومجدها ، وبين شعوره بكرامة قومه وشرفهم ، وشوقه إلى حرية أوطانه ومجدها ، بل : لعل هذين أمران متلازمان لا ينفكان كما يبدو لدى النظر العميق

وعلى ضوء هذا التحليل الصادق نعتبر الأمة العربية في مقدمة أمم العالم رسوخاً في الحياة الوجدانية السامية ، لأن تاريخها المجيد طافح بآثار قوة الشعور بالكرامة والشرف ، وشدة الظمأ إلى الحرية والمجد ، وأيامها التاريخية اللامعة حافلة بالأمثال العالية لحب الكرامة والشرف ، وحب الحرية والمجـد إلى حدود الغلو ، وهي حافلة كذلك بالشواهد العجيبة على التضحية والفداء في سبيل هـذه المعاني الوجدانية سواء في الماضي والحاضر ، وستكون للعرب مثل هذه الشواهد والأمثال في المستقبل — كذلك — حتى ينقذوا كرامتهم من الهوان ، وشرفهم من الامتهان ، وحتى يدركوا حريتهم الغالية السليب ، ويؤثلوا مجدهم الرفيع الذي كاد يصبح خبراً من أخبار الغابرين الداثرين .

(العراق) حسين مروه



إلى أين . . . ؟

للأستاذ محمود محمد شاكر

- ٢ -

قال صاحبي بعد قليل من سكتة صفير الإنذار بالغارة الجوية :

الآن وقد صم صدى هذا النذير البغيض ، ومات صوت البومة الدميمة التي قامت تنعق على الموضع الخراب من عقل هذا العالم ، فأسرعت الأيدي وتناهضت الأقدام ، وخفت الأحياء ليطمروا أشلاء النهار التي كانت مبعثرة في طرقهم وبيوتهم على معركة الليل البهيم ، إنهم يدفنون هذه الأشلاء الوهاجة خشية أن تراها عيون العافية من سباع الجو المنقضة بأنياب كرجوم الشياطين . آه يا صديقي ! ما أقبح هذا وما أفجره. ولكن دعني من هذا ، فالآن أعود إليك

لقد مثلت لك بعض صورتها هي وبعض صورته عند أول اللقاء . لم أكشف لك بعد عن حقيقة النفسين وهما تمملان بأسباب من القدر ، إن هذه الأسباب التي لا تدري متى أولها ، قد أخذت تلتوي عليهما فيما يستقبلان من أيامهما ، وثمت بدأ الإشكال ، وتراكبت العقد الجديدة على تلك العقدة القديمة التي التبست عليهما في الطفولة ، فلست أدري ، ولا هما أيضاً يدريان ، إلى أين المصير !

لمحها ولمحته في يوم اللقاء الأول ، فوقفا طويلاً ينظران . وشخص البصر وكفت العين لا تطرف ، وكأن العين قد أرسلت إلى العين رسلاً من أشعتها لتبحث في أعماقها عن معانيها الحائرة التي لم يستقر بعد على قرار مؤمن ، تتبين فيه كلتاهما صورة كلتيهما القلبية التي تنبض في موج الدم

أما هو ، فقد أخذه ما يأخذ الغريق الشفي على هاوية من الهلاك الرطب الندى ، ثم يفتح عينيه ، فإذا هو ملقى على الشاطئ قد انتشلته من فزع الردى نجاة برحمة من روح الله . ولكنه لا يدري من الذي رده إلى الحياة بعد ملابسة الموت ؟ ولا كيف كان ؟ ولا أين هو ؟ ولا أي مكان هذا ؟ ...

وأما هي ، فقد أنكرته بادئ اللحظة ، ثم انكشف لعينيها الحجاب الكثيف الذي أرخاه الدهر الماضي بين أيامها وأيامه ... لقد عرفته وأثبتته معرفة ، فأقبلت عليه تندفع بقوة الرد المنفلت من شد عشرين عاماً كانت تجاذبها دونه :

أنتَ ، أنت ! ! أين كنت ؟ !

آه ، لقد نسيَ المسكين عندئذ أين كان ! إنه هنا ... ! أليس هذا كافياً ؟ أليس هو كل شيء ؟ ... أما الماضي ، أما الحياة التي عملت في بنيانه أعواماً طوالاً كلها جهد وإرهاق ... ، كل ذلك ذهب وباد وامحى ، وكأن اليد التي تمحو ما تشاء وتثبت في تاريخ الإنسان ، قد أمرت صفحتها على رقعة أيامه الماضية فغسلتها وطهرتها من سوادها ، وردت إليه وإليها صحيفة أيامه بيضاء نقية قد تهيأت أن ينمنم فيها القدر تاريخه الجديد ... أجل ! كان هذا هو الإنذار الأول من القدر لهذا المسكين أنه سينسى معها كل تجاريبه في الحياة ، وأنها هي التي ستكتب له هذا التاريخ الجديد من القدر خيره وشره

ومضت الأيام الأولى بعد هذا اللقاء البغت على ذكرى حاضرة تصارع وحوش الماضي التي وطئت بأقدامها عهود الصغر وملاعب الطفولة فطمست معالمها ومحتْ بعض آياتها . جعلت هي تتكلم ، وكأنها ذاكرة التاريخ الواعية التي لا تكاد تفلت شيئاً إلا أحصت دقيقة وجليلة . حدثته وذكرته وأعادتْ عليه زُخرفَ الصِّبا ووشيه من نسج حديثها ، أما هو فبقي صامتاً ينصت لها خاشعاً ضارعاً يسمع صدى الماضي الذي يتكلم في سراديب النفس العميقة الممتدة الذاهبة بأساليبها الغامضة في أقصى غيب الحياة

كيف تدب الحياة في أشياء الطبيعة التي تخيل للناس أوهامهم أنها مواتٌ ؟ كيف تستيقظ الأرواح النائمة في غار مظلم قد أطبقت على منافذه صخورٌ صم من جبال الزمن ؟ كيف تستقبل النفس — التي أحرقها الظمأ المتضرم — شؤبوباً من الغيث يهمي عليها بارداً عذباً زلالاً سائغاً يترقرق ؟ كيف وكيف ؟ لقد عرف هو كيف يكون ذلك كله حين تكلمت روحها في ثنايا روحه المتغضنة بأحزانها ، وحين أخذت تناجيه بالذكرى ...، ويتحدر في صوتها ذلك اللحن الخالد الذي يتحدر مع الغيث من السماء يناجي الأرض الظامئة المقشعرة المجدبة ، فكذلك تهتز وتربو على مد أنغامه التي تفجر في ذرات الثرى كل ينابيع الحياة

واستجاشت هذه الساحرة الجميلة التي خرجت عليه من لفائف الغيب المحجب تلك النفس المصممة المنيدة فما زالت حتى انقشعت الغمامة الغبية التي كانت تحيط بنفسه عمراً من قبل. إنه الساعة يسمع ويرى ويحس، ويتغلغل في الحياة بيأس شديد. لا، بل كان في أول أمره هذا مضطرباً حائراً يذور بقوته حيث دارت به على غير هدى ولا صراط، كان ربما خلا فاستوحش فارتاع، فيحتمل كل أعباء الهم الذي يجده في نفسه، فيخرج يضرب في البيداء المقفرة البيضاء في مدا البصر، حيث لا يرى إلا صفاء السماء وبحر الرمل الساكن في مهاد الأرض ...، حيث لا يسمع إلا حنين الرياح ونجوى أشواقها الأزلية في المهمه القذف. يمشي ثم يمشي حيث يتصرف به القدر الغالب، وهو لا يسمع مع ذلك إلا أنغام صوتها من حوله يتردد: أنت، أنت!! أين كنت؟

اشتعل القلب وفارت الروح، فانطلق بعد الحيرة والضلال في طريق سوى مؤيداً بهذه الروح القوية التي سيطرت على كل روحه بالحب والحنان، ومضى يعمل لها وبأسبابها نافذاً مقدماً لا يمل. ولكن سمعه لم يزل على حالة من الإصغاء ثابتة، كأنها إغماء أخذه كما تأخذ غمية الوحي إذا نزل فاشتد فاستبان، ثم تنحدر رنات صوتها إلى قلبه فتجري في أنهار الحياة المتدفقة في جثمانه بدمه، فيرجع الدم ألحانها ترجيعاً موسيقياً هفافاً آتياً من أغوار القدر العميقة. نعم، إنه لا يزال يسمع في مخارم نفسه ومهاويها صدًى يتردد:

أنت، أنت!! أين كنت؟

فتجيبها الروح من أعماقها:

أنا هنا، أنا هنا!! أيتها العزيزة!

* * *

هكذا بدأ بدؤه وقد نام كل ما فيه وخضع لسلطانها الذي لا ينتهي ولا يفتر، ثم دبّت في روحه اليقظة الجديدة فتجددت النفس المتغضنة ورقّ شبابها، واستجمعت قواها الشاردة بعد فترة كإغفاءة النائم في أنفاس الفجر الندى المتروّح بعطر الرياض النضرة. ولكنه عاد — بعدئذ — بجولته يتوحش، فارتدّ إليه حذره الوحشي بتوجس خيفة، وأخذه بذلك الرعب من كل مكان

أين أنا؟ وكيف كان هذا؟ ولم خضعت؟ وإلى أين أسير؟ كل هذه أسئلة جعل صداها يتردد في نفسه، ثم يلقيها على الدهر الأصم، فلا يجد جوابها جميعاً ولا تأويلها. ويومئذ جعل يصول صيال الوحش يريد أن يجد الغيل المفقرد الذي يفرض فيه سلطانه على جوه وغابه ... ولكن وارحمتا له! لقد حق ما قلت يا صديقي: المسألة كلها قدر محتوم! رفعت الأقلام وجفت الكتب!

أرأيت إلى ما وصفت لك من أول ما تلاقيا؟ أرأيت إلى ذلك الوحش الآبد الحذر الذي لا يألف الحياة ولا هي تألفه؟ أرأيت إلى تلك الفكرة الباذخة المعضلة التي تأبى أن تذلّ أو تهتضم؟ أرأيت إلى البركان المتقلع في عنفوان فورته؟ كل ذلك قد استحال بين يديها، وتحت أشعة عينيها، وفي مس أنفاسها، شيئاً غير هذا كله. فكل ما توحش منه فهو عندها يألف وادعاً يلوذ بها خاشعاً متضرعاً، وكل ما بذخ وسما وتمضّل فهو يتطامل لها ويرق ويتلين، وكل ما تقصف منه وفار وغلى فهو ينساب إليها صبابة وحنيناً ولوعة

* * *

وعندئذ سكت صاحبي بغتة كأن لسانه قد عقد عقداً على ألفاظه، ثم تنهد واحدة كأنما انهدّ بها ركن من جبله القائم في ضمير نفسه. ورمى بصره في هذا الركام المتكاثف بعضه على بعض من ظلام الليل. لم أرد أن أستثيره من هدأته التي يستريح إليها بعد هذا الجهد الهائل الذي كان يتدفق به في حديثه. لقد كان يعاني من هذا الحديث أشد مما يعاني الهارب السائر في وحشة الليل الصامت في غول الصحراء، وهو هائم على وجهه تطارده من ورائه شياطين العذاب التي تريد أن تنتشطه إليها بخطاطيف هائلة من الرعب والفزع

كنت أرق له وآسى عليه، ويعنيني من الحديث معه مخافتي أن يكون ذلك مما يصرفه عن بعض الفكر الذي يتعذب به وبوساوسه وخطراته. نعم، إنه عذاب عقلي أليم، ولكنه على ذلك مما يعطي النفس بعض راحتها من عذاب الشك والقلق والحيرة والحياة كلها صروف متعاقبة يراد بها السمو بالنفس على وجه من وجوه الألم. والألم وحده هو الذي يستطيع أن يصقل النفس

الإنسانية صقلاً رائعاً ، وبذلك يرد إليها حقيقة الإيمان المشرقة بالاطمئنان والتسليم . إنه حائر يشك في حقيقة ما يقع عليه فكره ولـكن هذا الألم الذي يصارعه صراعاً عنيفاً لا رحمة فيه ، هو نفسه الرحمة المهداة إليه ، ليؤمن بعد ذلك إيماناً لا يداخله شيء من الشك أن قلبه لم يخطىء ، وأن أفكاره القلقة هي التي تخطىء وأنه ينبغي أن تقيد أفكار العقل الحائر بأغلال متينة من أفكار القلب المؤمن

وتضربت في همسات الليل أفكاري فيه ، وجعلت أستعيد في نفسي كل ما قاله لأرى من تحته المعاني التي تتهارب وتختنق بطبيعتها في ظل الألفاظ اللغوية المحدودة بمعانيها . كنت حائراً في فهم هذا الصديق الذي يحدثني عن صديقه ، وما صديقه إلا هو وكنت ألمح هذا الجبل وهو يتخلع من أعضاده التي ينهض عليها ثابتاً قارًّا متسامياً يهزأ بالتلال القصيرة التي تطمح إليه بأبصارها ، وجالت في نفسي أفـكار وأسئلة لا جواب لها . يارب ! أهكذا يضمحل الرجل ؟ وارتفع صوتي بهذا السؤال غير متعمد لذلك . فما هو إلا أن هبّ صاحبي من غفوة الفكر التي غشيته ، فابتدرني يقول :

نعم ، هكذا يضمحل الرجل ! وما تريد أنت إلى ذلك ؟ إنك دائماً تفجؤني بتمثال يتكلم بأفكاري التي أتكلم بها في غيب نفسي أي شيء هو الرجل ؟ هل تستطيع أنت أو من سواك أن يقرر للعقل حقيقة الرجل ، وأن يمهّد لفكرته أصلاً لا يزول ، فإن يخرج عنهما أو عن أحدهما اختفى في العقل أن يكون رجلاً حق رجل ؟ هذا هو الغرور الذي يتهاوى فيه الناس ما داموا ناساً يبني بعضهم على بعض ، فطرة ركبت في سر طبائعهم . إن هذا ليس اضمحلالاً وضعفاً بالمعنى الذي تتوهم ، إنه ليس من قوة في الطبيعة إلا وفوقها قوة تحكمها وتصرفها ، وخضوع قوة لقوة أعضل منها ليس يعرف ضعفاً فيمن يخضع ، وإنما هو القانون الطبيعي الذي يستقيم به نظام العالم . إنه لا يقال للدوحة الفينانة العظيمة : أيتها المسكينة ، لماذا تخضعين لسلطان الفصل الذي تساقط به أوراقك ؟ أو لماذا هذا الحنين الدائب إلى قطرات من الغيث ، وهذا الجبل أمامك يسفح عليه ماء السيل ثم ينقطع أعواماً فلا يظمأ إليه فيحن كمثل حنينك إلى قطرات من الماء انقطعت بضعة أشهر ؟ هذه طبيعة الدوحة ، فإذا انقلبت طبيعتها إلى غير هذا الناموس قتلها الظمأ وتركها حطباً يابساً لمن يستوقد

آه أيها الصديق ! إنك لن تعرف الحقيقة حتى تستشعر قوة الآلام الملتهبة التي تترك الرجل يتزايل على الشوق والوجد واللوعة كما يتزايل جبل من الفولاذ قد تجوفته نار متضرمة من لهب جهنم . أبقِني قليلاً من الماء ثم أحدثك كيف اضمحل الرجل !

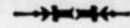
(لها تتمة) محمود محمد شاكر

في سبيل الأزهر أيضاً

فتوى ... وفتوى ...

للأستاذ محمد محمد المدني

المدرس بكلية الشريعة



لست أدري : أيغفر لي قراء « الرسالة » الغراء أن أعود بهم مرة ثانية إلى « فائدة الأربعاء » بعد أن كتبت فيها مقالي الأول(١) ؟

« وفائدة الأربعاء » في نفسها لا تستحق شيئاً من العناية ، ولا تستحق أن نشغل بها قراء « الرسالة » في الحين بعد الحين ؛ وإنما أعود إليها لأنها تمثل ناحية من نواحي التفكير في الأزهر ، نبغي أن يتناولها الإصلاح ، وأن تحمي منها العقول والأفكار ! وقد جدّ في شأن هذه الفائدة جديد ، ومن حق قراء « الرسالة » أن يطلعوا على هذا الجديد ، ليتابعوا دعوة الإصلاح في كل خطوة من خطواتها ، ويدركوا كل طور من أطوارها !

كان حديثنا الماضي عن « فائدة الأربعاء » تسجيلاً لفتوى غريبة أصدرها عالم جليل من جماعة كبار العلماء ، وقرر فيها : « أن فائدة الأربعاء جائزة لا شك فيها ، بل هي مرجوة البركة ، وليس فيها إلا عدة أمور بعضها جائز وبعضها مندوب إليه ، وأن من يكذب بشيء منها ، فهو منكر أو جاهل بما ورد في الدين من المتواترات ... الخ »

ولم نشأ يومئذ أن نعلق على هذه الفتوى التي كنا أول من لفت الأنظار إليها ودل على مواطن الخطأ فيها ، ولكننا اقتصرنا على أن نسجل منها « بعض الظواهر » ، ونستجلي « بعض الغوامض » ، ثم طلبنا من فضيلة الأستاذ العلامة الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية أن يُدلي إلى الناس برأيه فيها ، وقد علمنا أن فضيلة الأستاذ الكبير قد اهتم بالأمر ، وأن فتواه فيه على وشك الصدور إن لم تكن قد صدرت بالفعل قبل أن يصدر هذا العدد من الرسالة

ولكن فتوى أخرى في الموضوع قد صدرت فعلا ، من جهة لها قيمتها العلمية ومكانتها الرسمية ، تلك الجهة هي « لجنة الفتوى بالأزهر » ؛ التي تتألف من علماء كبار يمثلون المذاهب الأربعة ، بينهم اثنان من جماعة كبار العلماء : هما فضيلة الأستاذ الكبير ، وكيل الجامع الأزهر ، وفضيلة الأستاذ المحقق شيخ السادة المالكية ، وبينهم أيضاً مفتشان رسميان يقومان بمهمة التوجيه العلمي والإشراف الفني ، في جميع المعاهد الدينية التابعة للأزهر ، وقد أصدرت اللجنة فتواها « بالإجماع » الصحيح ، الذي هو نتيجة اجتماع في مكان واحد ، وتشاور ونقاش ومراجعة وإقناع واقتناع شأن المؤتمرات العلمية التي يُطمأن إلى إجماعها ، ويؤخذ به !

ونحن نضع هذه الفتوى بين يدي القراء ، قبل أن نعقّب بما نريد . قالت اللجنة — بعد أن ساقت نص الاستفتاء ، وهو لا يخرج عما أثبتناه في مقالنا الأول — ما يأتي :

« هذه الفائدة — وإن احتوت على صلاة ، وقراءة قرآن ، ودعاء — قد حدد لها ولأجزائها التي تركبت منها زمان ومكان ، والتزمت فيها كيفية معينة : يتجه صاحب الحاجة إلى ضريح معين ، ويقرأ فيه سورة يس بالنية التي يريدها ، ثم يمشي في طريق ضريح آخر ، حتى يصل إلى مكان مخصوص بين الضريحين ، فيصلي فيه ركعتين وهو حاسر الرأس ، ثم يمسك عمامته بإحدى يديه ، وحذاءه تحت إبطه ، ويتمم شوطه إلى الضريح المقصود ، وهو على هذه الحالة ، ثم يدعو هناك بدعاء خاص ، يتوسل فيه بالأنبياء ، وبسيدنا آدم وحواء وصاحب الضريح الثاني ، وقد اقترنت هذه العملية في نفوس الناس باعتقاد أنها إذا أديت على هذا الوجه كانت مرجوة النفع ، وإذا لم تؤد على هـذا الوجه لم يكن لها الأثر المطلوب

وهذه العملية بما قارنها من هذه العقيدة ، وبما فيها من الترتيب والالتزامات المذكورة ، لم يرد بها كتاب ولا سنة ولا يشهد بها أصل صحيح ، وذلك فضلاً عما يصحبها من مظهر لا يتفق وجلال الدين ، وروعة العبادة ، فهي بدعة منكرة . وإن الابتداع في الدين كما يكون بأحداث عبادة لا أصل لها ، يكون بتحديد زمان

(١) عدد ٣٥٩ من الرسالة

أو مكان أو كيفية للعبادة التي شرع أصلها ، فما جعل الشارع له كيفية خاصة ، أو حدد له زماناً أو مكاناً كصلاة الجمعة والاستسقاء والحج وجب اتباعه فيما حدده ، وما لم يحدد له شيئاً من ذلك ، كالنوافل المطلقة كان التحديد فيه ابتداعاً وإحداثاً في الدين ، لا يصح عمله ولا ينبغي اعتقاده . أما قراءة القرآن ، وصلاة النافلة والتضرّع إلى الله في المهمات والكُرَب من غير التزام شيء مما ذكر ، ومع مراعاة الآداب الشرعية ، فهي أمور ندب إليها الشرع الشريف ، وصحت فيها الأحاديث

واللجنة تنصح للمسلمين أن يلتزموا في عقائدهم ، وعباداتهم ، وتضرعاتهم إلى الله حدود ما شرع الله ، وألا يزيدوا من عند أنفسهم شيئاً من كيفية أو التزام زمان أو مكان ، فإن ذلك أسلم لدينهم ، وأبعد من مقت الله وغضبه « تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » والله أعلم

* * *

هـذه هي الفتوى الرسمية التي أصدرتها اللجنة الأزهرية وانعقد عليها إجماعها الصحيح ، وهي تناقض الفتوى الأولى التي أصدرها أحد أعضاء جماعة كبار العلماء مناقضة صريحة من وجوه :

١ — الشيخ يقرر أن « فائدة الأربعاء » جائزة لا شك فيها بل هي مرجوة البركة ، واللجنة تقرر أنها بدعة منكرة ، لم يرد بها كتاب ولا سنة ولا يشهد بها أصل صحيح

٢ — الشيخ يستدل على ما يقرر بأن هذه الفائدة مركبة من أشياء بعضها جائز وبعضها مندوب إليه ، وما كان كذلك فهو جائز شرعاً ، واللجنة تخالفه لهذا السبب نفسه ، وتقرر أن الابتداع في الدين كما يكون بإحداث عبادة لا أصل لها يكون بتحديد زمان أو مكان أو كيفية للعبادة التي شرع أصلها ، وأن هـذا التحديد ابتداع وإحداث في الدين ، لا يصح عمله ، ولا ينبغي اعتقاده

٣ — الشيخ ينصح المسلمين والعلماء خاصة بعدم معارضة هذه الفائدة وأمثالها مما أَلِف أن يدافع عنه ، ويحض عليه ، وأن يلتفتوا إلى محاربة المنكرات المجمع عليها التي تركت حتى صارت

كما يقول الشيخ « سبهللاً ! » واللجنة تنصح المسلمين أن يلتزموا في عقائدهم وعباداتهم حدود ما شرع الله ، وألا يزيدوا من عند أنفسهم شيئاً من كيفية أو التزام زمان أو مكان ، وإلا كانوا داخلين في قوله تعالى : « ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون »

وقد قلت من قبل مثل ما قالته اللجنة ، ونبهت إلى مواطن الخطأ في فتوى الشيخ الكبير ، فماذا استقبل الجامدون قولي ؟ لقد هاجت منهم هوائج ، وثارت نفوس ما عرفت الثورة في حياتها لشيء قط ، واهتزت لذلك أيد ، وتزلزلت أقدام : قالوا : ما لهذا العالم الحدث يعرض للكبار من شيوخه ، ويتحدى علمهم ؟ وقالوا : ما أخطأ الشيخ الكبير ، ولكن أخطأ العالم الصغير ! وقالوا : لا تصبروا على هذا الغلام الخف فيكبر أمره ، ويستدرج الناس إلى شر يصيبكم عظيم ، ثم هموا بما لم ينالوا وكف الله أيديهم وقذف في قلوبهم الرعب ، وكان الله بما يعملون بصيراً !

وأنا أريد الآن أن أقولها كلمة صريحة خالصة ، لا أريد بها إلا وجه الله ، ولا أبتغي بها مصلحة إلا مصلحة العلم والعقل والدين ، ولا أصدر فيها عن روح إلا روح الإخلاص للأزهر الذي يحمل لواء الشريعة المطهرة ، بين متربصين به ، حاقدين عليه مترقبين أن ينكل عما يحمل فيتلقفوه من دونه

يا قوم : إن جماعة كبار العلماء هي « أكاديمية العلوم والمعارف الإسلامية » ، فإذا اختلف أعضاؤها هذا الاختلاف ، وكانوا في الشيء الواحد على « طرفي نقيض » دل ذلك من غير شك على فساد ، ودل ذلك على اضطراب ، ودل على أن الموازين والمقاييس التي يحملها بعض الناس في أيديهم ، ليزنوا بها ما حرم الله وما أحل ، ويقيسوا عليها الكفر والفسوق والإيمان ، موازين أقل ما يقال في شأنها : إنها تنقصها الدقة ، وتحتاج إلى « الضبط الصحيح » !

إن « فائدة الأربعاء » قد وزنت بميزانين ، تمسك بكليهما أيد من جماعة كبار العلماء ، فسجّل أحد الميزانين إيجاباً مطلقاً وسجل الثاني سلباً مطلقاً ، وقد سمعنا من شيوخنا المنطقيين أن السلب المطلق والإيجاب المطلق لا يجتمعان في مادة واحدة ، فلا بد إذاً أن يكون أحد الميزانين مختلاً ، فنحن باسم العلم والدين

حركات الإصلاح الإسلامية

٣ – أزمة إسلامية

للدكتور على حسن عبد القادر
دكتور فى الفلسفة والعلوم الاسلامية من جامعة برلين
ومدرس بكلية الشريعة

تقوم على قمة حركات الإصلاح الحديثة شخصية ليس لها فى الواقع دخل أو اتصال مباشر بالحركة الوهابية التى أسلفنا الكلام عنها ، وقد وصف هذه الشخصية بحق جولد زيهر « بأنها صورة غريبة ظهرت فى الإسلام أثناء القرن التاسع عشر » . ذلك هو جمال الدين الأفغانى (١٨٣٨ — ١٨٥٧) « الذى كان فيلسوفاً ، أديباً ، خطيباً ، صحافيًا ، وفوق هذا كله كان ... سياسيًا »[١] والذى قال عنه براون فى كتابه الثورة الفارسية : « بأنه أثر خالد باق على الأجيال »[٢]

ولقد رحل جمال الدين من أفغانستان وجاب العالم الإسلامى وأوربة ؛ بل ومن الممكن أيضاً أن يكون قد جاب بلاد أمريكا !

(١) دائرة المعارف الاسلامية جزء ١ ص ١٠٥٢ . وراجع أيضاً كتاب الخلافة للدكتور السنهورى بك La Cabhot. P. 506

(٢) E. J. Broune, The Persian Revolution

وهو يعتبر – بدون شك – أباً لأفكار الجامعة الإسلامية : Panislamamische Jedanken على ألا نخلط بين أغراض هذه الجامعة وبين ما كان يحاوله عبد الحميد من انقلاب فى السياسة العملية . ومن الحق أن نقول : إنه كان أول من دعا إلى اتحاد ساسة للمسلمين فى وجه أطماع الغرب . ولكنه كان مع ذلك يحس فى قرارة نفسه بالحاجة الماسة لبناء جديد من العالم الإسلامى تدخل فيه عناصر حرة ، ويقطع ما بينه وبين التقاليد الموروثة من صلات وأواصر . ونظراً إلى أن جمال الدين الأفغانى كان ذا نزعة صحافية ، وكانت له وجهة نظر سياسية فى الغالب تؤثر فيه ، ونظراً إلى أنه لم يكتب كثيراً ، فإنه من الصعب أن نحقق تأثير هذه الشخصية الماثلة فيمن حولها . ورغماً مما أثاره فى الغرب من ضجيج[١] ، فإنه من الصعب أن نستشف دخيلة نفسه ولن يحصل هذا أيضاً ، فإننا لا نعرف من أين جاءته هذه الدوافع . بل إنه لم تصلنا تأثيراته فى شكل محدد لأن تأثيره كان فى الغالب فى ثوب المعلم والمحرك أكثر مما هو فى ثوب الكاتب ؛ ولهذا فإنه من الخير لنا أن نحكم على الثمار التى نضجت على يديه . وهنا يثبت لنا أنه يرجع إليه الفضل فى تلاميذه الذين هم كبار رجال الإصلاح وذوو اليد الطولى فيه وهم يشكرون له كل ما عندهم من خير

وعند ظهور جمال الدين الأفغانى كانت تتردد فى الهند بعض أصوات ، ويدور القول حول إصلاحات آخذة فى النهوض فى وجهات وأشكال مختلفة ، ولكننا لا نعرف بالدقة مدى ارتباط جمال الدين بيده هذه الحركة فى الهند وهل كان له فيها يد أو كان الأمر بالعكس ، فهما من ناحية التأثير يتلاقيان معاً عند خطر واحد ، وفى العصر الحاضر مع هذا يعتبر جمال الدين عند الشباب فى الهند المهد المعظم للطريق

وكانت تربة الهند فى أوائل القرن التاسع عشر قد مهدت من ناحية تأثرها قليلاً أو كثيراً بالوهابية العربية ، وكانت الحال فى الحقيقة تبدو متفقة معها ، ولو أن شكل الحركة الوهابية الشعبية

(١) راجع على الأخص محاورات رينان فى ختام كتاب (الاسلام والعلم) R. l'Islamisme et La Science

---

نطلب أن يصادر الميزان المختل ، وأن يحجر على الناس استعماله ، وندعو « جماعة كبار العلماء » أن تصطلح على ميزان صحيح مضبوط ، من كتاب الله وسنة رسوله « وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ! »

ولكن عفوا فقد نسيت ! نسيت إنى عالم صغير ، ولا يجوز أن يتطاول الصغير إلى مقام الكبير ! . فهل من عالم كبير يحمل عنى لواء هذه الدعوة فيأخذها بقوة ، ويأمر قومه أن يأخذوا بأحسنها ، قبل أن تأخذنا الأحداث ، وتأتينا سنة الله فى الغافلين ؟!

« ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »

محمد المدنى

المتحنثة لم تكن هي التي غذّت الحركة الهندية الإصلاحية في روحها فإن حركة التجديد في الهند صدرت عن طبقة غير متفقة تثقيفاً عالياً ، وكل ما هنالك أن هـذا التقابل بين هذه الحركة والحركة الوهابية يمكن أن تشرحه وتفسره هذه اليقظة التي جاءت من تلك الهزة العنيفة التي صدرت من المركز الإسلامي بالبلاد العربية

وقد ظهرت حركة الإصلاح في الهند للعيان في شكل حركة عقلية على رجال مثل سيد احمد خان مؤسس مدرسة عليكره (المتوفى سنة ١٨٩٨) قديماً، ومن أمثال أمير علي وخودا باخشا حديثاً ، وقد تأثر هؤلاء الهنود تأثراً عميقاً بما هو ظاهر ملموس في وطنهم على الأخص من تأخر المسلمين وما أصيبوا به من ضرر بالغ من جراء جمودهم إزاء المدنية الحديثة ، وهم على العموم — مخالفون في هذا جمال الدين — لم يندفعوا بدافع سياسي ، بل أنهم اعتبروا خضوع الهند للانجليز أمراً ضرورياً وأمراً مرغوباً فيه لذلك ؛ كما أن حركتهم لم تصدر أولاً وبالذات عن أفكار دينيه اقتنعوا بها . وكل ما هناك أنهم عرفوا الثقافة الغربية واتصلوا بها ، فقاموا بحركتهم تحت تأثير تأخر المسلمين . وإنهم كمسلمين محبين للاسلام — كما أحسوا — كانوا يرون أن الإسلام الصحيح الخالص لا يقف في طريق الثقافة الحديثة بأي شكل ، وأنه في الأصل هو الدين الوحيد صديق العلم والتقدم . وعنوا « الإسلام الصحيح » ولم ينكروا أن الإسلام على ما هو عليه في الوقت الحاضر فيه ما يجانب الإصلاح . وقد جاء هـذا كما قالوا من أن البحث المستقل في مراجع الدين الأصلية — يعنون الاجتهاد — غير جائز ، وأن الناس خاضعون للتقليد الأعمى من جراء الإجماع الذي طغى على الإحساس وجعل الفقه جامداً مقيداً، وأن أفكار المتأخرين سويت بتعاليم الرسول[1] ، وقد رفضوا الأخذ بأحاديث كثيرة وتمسكوا بشدة بالقرآن الكريم

وقد اعتقد المصلحون بالهند — وليس ذلك بصحيح دائماً من الناحية التاريخية — بالمتزلة الذين صوروهم بأنهم المفكرون الأحرار واتخذوهم كمثل عليا في التجديد . وسموا أنفسهم أحياناً بطيبة خاطر « بالمتزلة الحديثة » لأنه فيهم قد ظهرت إلى الحياة أغراض هذه الفرقة الإسلامية الحرة وجهودها

ويظهر من طبيعة الأشياء أنهم أخذوا تعاليم من طريقة هذه المدرسة القديمة مما لم يفكر فيه بعد فن هذا فكرة « تطور الفقه » التاريخية « فهم — أي المتزلة — يرون بالنسبة للأعمال الإنسانية أنه لا يوجد قانون دائم وإن النظام الإلهي الذي ينظم سلوك الإنسان نتيجة للتقدم والتطور ، وأن الله نظم أوامره ونواهيه في شكل متدرج متطور من القانون »[1] ، وقد بحثوا باجتهاد وذكاء في شرح المعاني والأغراض في القرآن والحديث الذي يستعملونه إذا خالف ذلك أفكارهم في سبيل التدليل على أن الإسلام الصحيح يحض على العناية بالعلم بلا قيد ولا شرط ولا يخالف نتائجه ، وهنا أظهروا حقاً صورة للاسلام كمثل أعلى .

على أن هذه الطريقة التي استعملها رجال الإصلاح وإن كانت لا تقوى أحياناً على النقد التاريخي ، فإنه مما يستحق التقدير حقاً كفاح هؤلاء الرجال في قضية أضاءت في نفوسهم، والمهم في الحكم إنما هو الغاية لا الطريقة ، وهي ليست إلا محاولة لتحرير الإسلام من قيود المدنية للقرون الوسطى

والأمر الغريب هنا هو أن الخطوة الأولى لهذه الغاية الجريئة وهي رفض الفقه الإسلامي لم يقم بها على أساس ثابت مأمون ولم تأخذ اهتماماً عملياً ؛ ويظهر أن حالة التقوى تمنع من ذلك ولكن بجانب هذا قد مهد الطريق الآن لفهم التاريخ فهماً واضحاً لتقبل الفكرة التي تقول أن النظم المعتبرة تاريخياً لا يمكن أن تبقى سائدة دائماً ، وفي آخر الأمر يكون قد تم الانتصار على مبادئ الضعف ، وأكملت على الأقل خطوات خطاها المدافعون الأحرار عن المعارف الدينية التاريخية[2]

هذه هي كلمة الأستاذ هرتمان عن حركة الإصلاح في الهند ، أما حركة الإصلاح بمصر فوعدنا بها المقال الآتي إن شاء الله تعالى

علي حسن عبد القادر

---

(١) S. Ameer Ali. Sprit of Islam (Ausgabe Vou 1923) S. 183 u. 237

(١) راجع في ذلك ما قاله أمير علي في : Religion Ancient And Modern (London Archibald Constable & Co. 1906

(٢) Becher, Islam, 3, 198

التعليم المختلط

للأستاذ رفعة الحنبلي

أجابت الأمم العربية ، فى الآونة الأخيرة ، لنوازع التجديد الأوربى الحديث من نواح عديدة ، سياسية واجتماعية ، أدبية وعلمية ، فأخذت بالبعض منها وهمت بالبعض الآخر ؛ وأبعد هذه النواحى أثراً فيها الناحية العلمية التربيوية التى أخذت بها ، إذ أنها استبانت طريقها على ضوئها ، وبدأت تتمشى حسب أنظمة التعليم الحديثة فى معاهدها وكلياتها وجامعاتها ، بعد أن بقيت ردحاً من الزمن محافظة على القديم منها ، وراحت تتفهم مبادئها السليمة وتتلمس طرقها القويمة ، وتزاوج بين القديم منها والحديث إلى أن أسبلت عليها رداء جديداً ، وأسبغت عليها لوناً طريفاً؛ وكان أن ارتاحت إلى هذه الأنظمة وصادفت هوى فى نفسها ، فرضيت به كمبدأ يستحثها على مماشاة النهضات العلمية العالمية ، ويدفعها إلى تبوء مركزها الرفيع بين الأمم

وفى الواقع نرى الأمم العربية قد أعدت نفسها إلى الأخذ بهذه المبادئ التربيوية — التى اعتكف علماء التربية على دراستها دراسة وافية شاملة ، والتفقه فيها تفقهاً عميقاً ، طوال سنين عديدة — فأقبلت عليها وسارعت إلى إقرارها ؛ وكان أن تبدلت الأنظمة ، وتغيرت الأسس ، وتلونت المناهج وفقاً للمبادئ التعليمية الحديثة التى تتلاءم مع احتياجات المجتمع وتطور البيئات ؛ ومن أهم تلك المبادئ مبدأ التعليم المختلط Coéducation الذى كثر الجدل حوله بين كبار المربين ، واحتدم الكلام بين علماء النفس فى منافعه ومضاره ، فمنهم من أقره ورغب فيه ، ومنهم من أنكره وصدف عنه ، ولكل منهم أنصاره وأعوانه وحججه وتجاربه

على أن الأمم العربية لم تأخذ بهذا المبدأ — مبدأ التعليم المختلط — فى جميع مراحله من ابتدائية وثانوية وجامعية ؛ بل اقتصرت على الدراسات العالية ، أو بالأحرى اقتصرت على الدراسة فى الجامعة وحسب ؛ ولذا نشاهد ارتياد الفتاة الجامعات دون غيرها

لنتصفح أوجه الرأى المختلف عليه فى قضية هذا التعليم المختلط ، ولندرس عناصره وعوامله ولنقف على ظاهره وخافيه ، ولنرسم خطوطه الكبرى كى نتفهم خصائصه ونستبطن دخائله

إن أول أمة أخذت بالتعليم المختلط هى الأمة الأمريكية ، وهو طريقة تعليمية جديدة من مبادئه أن يتلقى الفتيان والفتيات التعليم والتثقيف معاً فى معهد واحد وفى وقت واحد ، مع مراعاة درجة معارفهم ومستوى معلوماتهم وتفاوت أعمارهم دون النظر إلى الفارق الجنسى ، على أن يشرف على هذا التعليم أساتذة من كلا الجنسين

والتعليم المختلط على أنواع ثلاثة : نوع يعرف بالتعليم المطلق أو التام Coéducation intégrale والغاية منه تهيئة الطلاب من كلا الجنسين للعلم وإعدادهم للحياة الاجتماعية التى تستدعيها البيئة وتقضى بها الحضارة ؛ ونوع آخر يعرف بالمدرسة المختلطة école miscte وفيها يجتمع الجنسان فى الفصول وحسب ؛ والنوع الأخير هو ما يطلق عليه التعليم المختلط المقيد Coéducation restreinte وهدفه تهيئة الطلاب والطالبات للعلم وإعدادهم للحياة الاجتماعية على شرط أن ينظر إلى خصائص هاتين الفئتين من عقلية ونفسية حتى تتلاءم مع استعداد الأفراد من الجنس الواحد وميولهم ورغائبهم ومع بعض الاعتبارات والعوامل مادية كانت أو معنوية

ولتحقيق فكرة التعليم المختلط وجب تحقيقها ، فى بادئ الأمر ، على الأساتذة الذين يشرفون عليها أو بالأحرى وجب أن تكون الهيأة التعليمية — كما يقول الدكتور Burness فى كتابه القيم « التعليم المختلط فى المدارس الثانوية » — مؤلفة من مربين ومربيات ليتلقى الطلاب ، على المعلمات ، بعض الدراسات كما تتلمذ الفتيات على بعض المربين

وإذا ما أهملنا الجانب المادى الذى يتحكم فى مصير هذه الفكرة تحكماً شديداً ، والذى من شأنه أن يدفعها إلى التقدم دفعاً سريعاً ، ويدنيها من غايتها المثلى . على نحو ما يذهب إليه بعض علماء التربية ، وجدنا أن البعض الآخر يتساءل عما إذا كانت هذه الفكرة تتفق والتطور الطبيعى من حيث القابلية والاستعداد لكل فئة من هاتين الفئتين من الجنسين؟ ... ربما يتعلق جواب هذا التساؤل بدراسة نفسية كل منهما من النواحى التى تتصل

اتصالاً وثيقاً بعلم النفس : كتطور الميول ، وتباين الرغائب ، واختلاف القوى واحتمال التعب وغيره

ولكن هل يصح لنا أن نرد تباين هذه النواحي إلى التربية العائلية وخصائص البيئة ومزايا الفرد ، أم أنها تتعلق بالجنس من حيث هو جنس ؟

في الواقع أن هذه النواحي ترجع إلى اختلافات جنسية ذات تأثير كبير يجعل التباين بينهما إلى أبعد حدوده

قلت : إن أول أمة فكرت في هذا النوع من التعليم المختلط هي الأمة الأمريكية ، وما أن استهل القرن العشرون حتى فشا هذا النوع في جميع معاهدها من ابتدائية وثانوية وجامعية ؛ وبلغ عدد المعاهد الثانوية بحسب إحصاء رسمي قامت به حكومة الولايات المتحدة عام ١٩٠٩ — ١١٠٧٥ معهداً مختلطاً يؤمها ٩٢١٧٣٦ طالباً وطالبة تتراوح أعمارهم بين الثالثة عشرة والثامنة عشرة منها ٩١٩ معهداً خاصاً بالطلاب عدد أفرادها ١١٠٧٢٥ طالباً ؛ مع العلم أن هذا الإحصاء لا يشمل العدد الوفير من المعاهد المختلطة التي تشرف عليها الجمعيات الخيرية والدينية ، وبلغ عدد الجامعات في إحصاء آخر ٦٢٢ جامعة منها ١٥٨ جامعة خاصة بالفتيان و١٢٩ جامعة خاصة بالفتيات و ٣٣٥ جامعة مختلطة ؛ فالفتيات إذاً يختلفن إلى المعاهد الثانوية بنسبة ثمانين في المائة ، وهي نسبة جد مرضية أما المدارس الابتدائية فيتردد عليها مئات الألوف من كلا الجنسين على السواء ...

ولم يقف هذا التجدد عند الأمة الأمريكية فحسب ، بل تعدى إلى الأمم الأخرى أشهرها التي تقطن شبه جزيرة اسكندينافية ، وكذلك الأمة الفرنسية والألمانية والأسبانية وسواها . واجتاحت موجة هذا التجدد الأمة الإيطالية أيضاً فأصدرت قانوناً في الرابع من شهر حزيران عام ١٩١١ أحالت بموجبه جميع معاهدها إلى معاهد مختلطة ، وكذلك دور المعلمين أيضاً حيث كان الانتساب إليها مقصوراً على الطلاب

وأبدلت الحكومة الإنكليزية بدورها منذ مدة غير بعيدة ولأسباب اقتصادية جميع معاهدها الابتدائية والثانوية إلى معاهد مختلطة ، إلا أنها قيدت التعليم المختلط بما يختص بالتعليم الثانوي حيث يجتمع الجنسان في بعض المواد وفي المختبرات وعند تناول الطعام على أن يسمح لهما في الاجتماع في الأمسيات التي يقضونها معاً يستمعون إلى محاضرات في شتى العلوم والآداب والفنون

من هذا يتبين لنا أن التعليم المختلط قد فشا بين أكثر الشعوب المتحضرة والأمم المتمدينة وعم الأصقاع الأوربية والأمريكية وتناول بعض الأصقاع الشرقية أيضاً

غير أن هنالك نظريات متباينة ، في صدد هذا التعليم ، من حيث منافعه ومضاره ، أثارها علماء النفس والاجتماع والتربية ، اضطربت فيها عناصر مختلفة من القيم ، واحتربت فيها مذاهب كثيرة من التفكير فنرى الأستاذ Henning ، أحد المربين الأمريكيين ، لم يتوان عن إبداء رأيه المنيف فيما يتعلق باختلاط الجنسين في معهد واحد ، بعد اختبار نيفت مدته على خمسة عشر عاماً . فإذا به يقول : « لمست في المدارس الابتدائية Public Schools الصداقة العميقة والحب المنيف بين طلابها وطالباتها وقلما تشاهد فتى لا يفزع إلى رفيقة له ، حيث يختلفان معاً إلى دور الخيالة « السينما » — على حد تعبير الأستاذ البشري — وإلى المتنزهات العامة ، وكثيراً ما تتوافر الهدايا على الطالبات من الأيفاع المحبين ، وكثيراً ما تتعدد زيارات الفتيان الولهين للفتيات. » ويقول أيضاً : « أما في المعاهد الثانوية High Schools فيكفي أن تصيخ بسمعك قليلاً لتتأكد أن المحاورة التي يأخذ بها الطالب مع صديقته الطالبة بعيدة أقصى درجات البعد عن حل مسألة جبرية أو إعطاء رأي في قيصر أو إنعام نظر في مذهب من المذاهب الأدبية أو العلمية أو غيرها . . . » وقد لا نستغرب من الفتاة ، في هذه الحالة ، تغيبها المتواصل عن المعهد أسبوعاً أو أسبوعين بسبب هذه النوازع العاطفية ، وبفضل هذه الأحاسيس المنيفة

حمل المربي الكبير العالم Stanly Hall على التعليم المختلط ، في مرحلة التعليم الثانوي ، حملة عنيفة ، استند فيها على اختباراته الخاصة التي قام بها طوال أعوام عديدة ، إذ أنه يرى الفتى يفقد شيئاً من رجولته ، والفتاة شيئاً من أنوثتها ، وكذلك يرى أن الخصائص الفردية والمزايا الشخصية ، لكل من الجنسين ، تنحدران إلى هاوية سحيقة قد لا يسلم من خطرها الفتى أو الفتاة وقد ينتج من هذا الخطر نقص في الزواج في المستقبل القريب

أو البعيد ، ولا أدل على ذلك من أن معهداً كان يضم بين جدرانه ٥٦٠ فتاة تأهل منهن أربع وستون منهن اثنتا عشرة فتاة تزوجن زملاءهن في الدراسة

لذلك نجد أن Hall و Henning حملا على التعليم المختلط في هذه المرحلة حملة فيها كثير من العنف والخشونة على الرغم من اعتراف الأول ببعض حسناته ؛ وتذهب السيدة Hosch Ernest إحدى المربيات العالمات مذهب زميليها ، وهي بعد تعتقد بأن تأثير التعليم المختلط هو أبقى أثراً على الفتيان منه على الفتيات ، فأولاء يحتفظن بأنوثتهن بينما أولئك يفقدون شيئاً من رجولتهم ، ودللت على صحة ما ذهبت إليه بما قامت به من الاختبارات في عدة مدارس مختلفة الأنواع ، حيث رغبت إلى الطلاب أن يعرّفوا لها « الحب » ؛ فكانت أجوبة الطلاب الذين لم يختلطوا في يوم من الأيام تتناول الحب الأبوى والحب الأخوى والحب الإنسانى وسواه ... أما أجوبة طلاب المدارس المختلطة فكانت تتضمن الحب الوجدانى والحب العاطفى وغيره ...

والواقع الأليم أن الفتاة لا تستطيع أن تحتفظ بأنوثتها في اختلافها إلى المعاهد المختلطة ، بل لا بد لها من أن تفقد شيئاً منها كما نوه بذلك العالم الكبير Hall بل لماذا لا نذهب إلى أبعد من هذا الحد فنقول أن الفتاة قد تخسر شيئاً من خصائصها وتفقد قليلاً من مزاياها ، وقد يتلون قسم من عواطفها ويتبدل كثير من نفسيتها ... عوامل قد يكون لها أسوأ الأثر ليس على حياتها الحاضرة فحسب بل وعلى مستقبلها أيضاً . فالصداقة التي تتأصل في أطواء نفسها ، وهي على مقعد الدراسة تدفعها للتعرف على الفتى من ناحية تتباين والناحية التي تتعرف عليها وهي على غير مقعد الدراسة ، أو بعبارة ثانية أنها تتقرب إلى الفتى عن طريق الصداقة لا عن طريق الحب الذي تنشده ليلها ونهارها إذ تفتقر بذلك إلى الرجل المثالى Homme idéal التي تسعى وراءه

وهي إلى ذلك تتأثر إلى أبعد حدود التأثر بمعاشرتها الفتى ، فتتغير عقليتها ، وتتبدل نفسيتها ، وتتلون عواطفها ويتحول طراز معيشتها إلى حد تلتزم فيه تقليد الفتى تقليداً قد يكون تاماً أو لا يكون ، في معاملته أو في حديثه أو في خشونته أو في لباسه أو غير ذلك ، وهكذا نراها تتسم بمزايا الرجولة التي كثيراً ما تحمل الرجل بصدف عنها ويعزف عن الحياة الزوجية إذا ما فكر في الزواج ، وقد يثور الرجل على هذا التطور في أخلاق الفتاة ، وعلى هـذا التبدل في نفسيتها بعد أن يكون قد قبله ورضى عنه حينما كان طالباً

ونصيب الفتى من هذا التطور في الميول والعادات لا يقل أثراً عن نصيب الفتاة منه ، بل ربما كان أبعد مدى فيه منها ، فإذا هو مائع الرجولة ، أنثوى الأخلاق ، فقير الخصائص ، فاقد المزايا . .

فالتقارب إذاً بين الفتى والفتاة يحور بعض مزاياه الطبيعية ويضعف بعض خصائصه الجنسية ، وإن كانت بعض هذه الخصائص ترتفع وتسمو ، وبعض هذه المزايا تنبل وتعلو

على أن بعضاً من العلماء يقولون إن التعليم المختلط هو من أحسن الأنظمة التعليمية الجديدة وأرقاها ابتكرتها عقول جبارة نيرة ، فيعترفون بأفضليتها ويقرون بحسناتها ويرتاحون إلى نتائجها على أن يقتصر هـذا التعليم على الابتدائى والجامعى ؛ أما التعليم الثانوى ، فأشد ما يكون خطراً على أخلاق الناشئة وآدابها ؛ غير أن البعض الآخر يقول بالتعليم المختلط في أدواره الثلاثة: الابتدائية والثانوية والجامعية

(البقية في العدد القادم) رفعة الحنبلى

فن يستيقظ

للأديب نورى الراوى

فهم العربي جمال الـكون بكل حواسه فأطلقه شعراً يفيض باختلاج حسه القصيّ ، ثم أنفذه نغماً فى صميم الليالى الأندلسية البيضاء ... وعاد فمات فى عتمة الغسق التركى ، فـكانت بقيته اليوم بين حشرجة الماضى ويقظة الحاضر نسيساً فى نفس مجروح ، ونسمة من نسماته الندية تنطلق اليوم بعد فترة جمام كادت تطمس على خصائصه الأصيلة فتحيلها إلى العدم أو النسيان ، ولكن الله الذى حفظ الروح العربية الإسلامية دهوراً طوالاً أراد أن يوقظها فى صفوة أبنائها اليوم فكان ما أراد الله

وشهدت العصور الحديثة أكمل القوى فى ثورة تشمل الروح والجسد ، يدعمها الإيمان ويشدها الحق وتظللها الحرية ، فأدركت أن وراء هذه الأنفاس المقهورة نفساً يريد أن يكون لهيباً من جهنم ، وشواظاً من بركان

ولـكن الزمن الذى اتسع لأمجاد الفن العربى فى مختلف عصوره ، زحف زحفته المدوية ، فطوى بين أثنائه أياماً كانت شجىّ فى الحلق ، ليلبس ثوب هذا اليوم الحديث فى صورة من التأريخ . إن وراء المجد الذى كان بالأمس، قوة من المعنى أدارت رحاه ، ونواة من الفن حفظت نوعه ، فمضى يخط تاريخه فى جلال الظافر وكبريائه ، حتى دهمته الذئاب الدخيلة ! فعبثت بروحانيته كما تعبث الريح بالرمال وأجهزت على فنيته لحظاتها

وبين عصرين من عصور التاريخ ، تقلبت فيها الأحداث ، وتخبطت فيها الحظوظ ، وتعاقبت على صفحاتها الأيام ، منى الفن المتيد بخطوب جسام كادت تشرف به على الهلاك ... ولـكنها الروح التى لزمته فى صحارى الحجاز ودللته فى بلاد المجد المفقود وهدهدت أعطافه على ضفاف بردى والفراتين عادت فاندفقت بين أضلع سادها الهدوء أزماناً ...

لقد كان الفن العربى يوصل الأمة بمعنى من الجلال يسمو بها عن المدارك الدنيا إلى أجواء أمتع وأمنع حتى إذا ما رفعت أبصارها عن الأرض ... حتى إذا ما انعتقت من أسر المادة ، فهمت الفضيلة ؛ فسادت بالرحمة وحاربت بالأيمان ... وكان هذا سر الخلود

حينما تكن الأمة من المـكانة يكن حبها للفن ، لأن النغميات مطلب من مطالب الحياة الوضيعة التى تعيش لتموت ، لا الحياة التى تعيش لتدوم ... لتخلد ... لتقول للتأريخ ها أنذا فاكتب ...

ولـكنه للفكر العربى الجبار يبرهن على وجوده ، يبرهن على قوته ، يوم يعرف أن للحياة منازع غير ما علمته إياه البهيمية الأولى فى الغابات والكهوف ! ... ليكون أستاذاً فى تلقين المثل العليا لـكل من يلوك اللفظ فلا يقع لسانه إلا على الأكل ... والنوم .. واللباس ..

هنا يقف الفكر الحديث عند حد تنتهى به سياحته ، للفكر الحديث الذى يعبد الآلة ويمجد المـادة ويستعذب الوقوف أمام الصنم الجبار ؛ ليجد أن العربى سبقه فى الحياة وسبقه فى الفكر وسبقه فى التأسيس

برهان واحد من براهين أشتات نقف منه على حياة أجيال ماتت ... لنكون نحن بقيتها على الأرض نوطن النفس على حمل هذا العبء الذى حمله الجدود أزماناً

فى هذا المدى الوسيع الذى يشمل الصين فى أقصى الشرق ويقف عند أزباد بحر الظلمات ! بذر العربى بذور فنه الأولى ، فكان الجامع الأموى فى الشام يطاول بمآذنه السماء ، وكان المسجد الأقصى يهزأ بالدهر الغلاب ، وكانت معجزات الأندلس وعظائم بغداد شاهدة على ذلك الخلود . هو الغرس العربى ، يثمر رجالاً يمجدون الله ، ينتج مآذن تجلجل فوق سامقات رؤوسها كلمة : « الله أكبر » ...

ينتج فناً روحياً لم تسبقه إليه جهالات الأوربيين ...

هناك فى الصحراء ... الصحراء التى يضيع البصر فى مهامه مداها الوسيع ، ويسبح الفكر على منكب لجتها السمراء ، فما زال يطفو ويرسب حتى يبلغ محجة تنقطع عندها أسبابه : تمخض الزمن الولود عن دين العلم والفن ، فكانت أول بسمة من بسماته الندية ترف على روابى الحجاز وترتمش فوق بطاح الجزيرة ، ثم لا تقف عند هذا حتى تفيض على العالم القديم

بأسره فتشمله . هنا يبدأ بنا السبيل فى سياحة مضنية طويلة ، تريد جهداً ودأباً واصطباراً ...

لقد جاء الإسلام ، وفى النفس الجاهلية اعوجاج وعنجهية ، فأقام الأول وأغرق الثانية حتى هيأها لأن تتقبل المعانى الجديدة وتستوعبها . فيقودها إلى غاية أبعد منها وأسمى ألا وهى : الفتوح ونشر الرسالة . ولقد كان الفتح أول الأسباب غير المباشرة إلى نضوج الذوق العربى لاختلاط البادية بالمدينة والشمس بالظل وتكوين لون جديد له سمة الميشتين وطابع الحيانين ، وكذلك أجزل الفتح المال والمال وسيلة الفن إلى الكمال ، حيث أثمر هذا الاختلاط فكانت ثمرته تلك الحضارة الراسخة التى قال عنها بعض الإفرنج : إنها وليدة الحضارتين اليونانية والرومانية وماهى إلا عربية أصيلة الدم ؛ لها لفحة الشمس وثورة الرمال التى لا تهدأ ولا تثوب ...

هنا يدخل الدين بروحانيته فى عداد هذه الأسباب التى أسبغت على الفن لوناً من ألوان الجمال الراكد والتأثير العميق ... الدين الذى ارتقى بمنويته إلى الله فعرفه ، وغار فى الأعماق فوقع على أسرار الكون وحقيقة الوجود ، ثم تلمس الخلود عن المادة فطاوعته فإذا هى ريازة تبهر العقول ، وإذا هى قباب تنرق فى اللازورد ، وإذا هى جوامع تبقى على الدهر باسم الله ...

أما النفسية الطليقة ... النفسية التى تجاذبتها عوامل البيئة الصحراوية المدنية ، فرسمت على أديمها صفاء السماء وكدرتها ، وخطت على صفحتها هدوء الطبيعة وثورتها ، فقد تغنت بلسان حسان ، وابن أبى ربيعة ، والمتنبى ، والمعرى ، وأبى تمام . فرجعت صدى هذه الأغنيات السنون ...

ما كان للعربى الأول أن يبرع فى فن التصوير ليعبر به عن خوالجه وآماله ومثله ، ولكنه تكلم فصدق ، وقال فكانت أقواله لوحات ترسم ألوان مشاعره منطلقة ، حرة ، عارية ؛ وهذه وسيلة واحدة يتوسل بها ربيب الصحراء للتعبير عن خوالجه ونزعاته ... لينقل كل ما يجيش به وجدانه من العواطف إلى أسماع تستلذ هذا الوقع الجميل وتستعذب هذه النغمة المطردة يلونها الزمن من حين إلى حين

على أن هذا الفن العريق الذى تتصل جذوره بأعماق الخيال البدوى كان أسبق وجوداً من بقية الفنون الأخرى

وعلى هذا السبيل الممهد تساوقت الفنون إلى البعث بعد أن كانت تثوى فى ركن من أركان المقل البدوى ساكنة سكون التبر كان الذى يحمل معانى الثورة والاندفاع

لقد كان للطبيعة العربية القابلية الكبيرة على الأحداث والتوليد ، وما الشعر إلا صورة من تلك الصور الممتعة التى عرفها العرب باسم « الآداب الرفيعة » ، وذلك حينما تركز المجتمع فى ظل المدينة وامتزج بعضه ببعضه ليكون هذا الفن الذى نشاهده فى قصور الحمراء وبرج الذهب وجنة الريف . ليكون هذه الموسيقى الساحرة ترجمها نغمات « بلنسيا » ، على أسماع الملايين من أبناء الغرب ، وفيها تتجلى الروح العربية الصافية بتأثيرها وعذوبتها وجمالها . .

* * *

ومشى الزمن يوسع الخطى ؛ فإذا بعبد الله الصغير آخر ملوك الأندلس يقف على ربوة عالية ، يستشرف ملكه المضاع من خلل الهدب الرفاف بالدمع ... وإذا ذلك الخلود بجنانه وقصوره ، وأبهائه ومدارسه ، ومحاريبه وجوامعه ، يستحيل شيئاً فشيئاً إلى حلم ينطوى كلمح السراب ... ويهيم الشراع فى الفضاء :

ألا انقضى آخر أمل للعرب فى الفردوس . . . ثم تبقى تلك الجلائل شاخصة إلى السماء كأنما هى تستغيث بالله ... حتى يدركها الأين فتهوى صريعة الزمن العسوف ركاماً يسابق ركاما . . . ولكن قنابل فرانكو تريد ولا يهمها أن تكون صفحة سوداء فى وجه التاريخ .

* * *

إن الاتجاه القومى فى العراق بادرة من بوادر اليقظة فى الأمة العربية فيجب أن يكون له نصيب من الروح كما يجب أن يكون له نصيب من المادة

وها نحن اليوم على وشك الدخول فى حياة جديدة مغايرة لتلك الحياة التى تصرمت بين جهل الرعية وظلم السلطان واستبداد الدخيل . وآن للفن أن يستيقظ وينشط فيأخذ مكانه كسبب خطير من أسباب الحضارة الكاملة ، وعامل من عوامل النهضة القويمة ...

الحرب فى أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

ازاحة الستار

وأخيراً أزاح موسولينى الستار عن موقف إيطاليا ، وأعلن اشتراكها فى الحرب ، دون أن يذكر سبباً معقولاً يبرر به إسالة الدماء عندما يسجل عليه التاريخ فعلته . فقد كانت شكواه من الحصر البحرى الذى حد من النشاط الإيطالى

ويعرف العالم أجمع إلى أى مدى عاونه الحلفاء على تحقيق أغراضه ، حتى أصبح موقفه وهو خارج الحرب أشد خطورة على المدنية منه وهو داخلها ، إذ كانت مساعداته المادية لألمانيا النازية تتجاوز الحد المعقول

وبالرغم من أن الحلفاء عرضوا عليه التسوية ، وأن المفاوضات سارت شوطاً بعيداً لإزالة عقبة الحصر البحرى . فإن الأطماع الدكتاتورية ثارت دفعة واحدة ، فإذا المفاوضات توقف فجأة دون سبب معقول

أما الأسباب الحقيقية لدخول إيطاليا الحرب فيسهل لمسها فى رد الكونت شيانو وزير خارجية إيطاليا على سفير فرنسا ، إذ قال ما معناه إن إيطاليا تعلن الحرب تنفيذاً لاتفاق موسولينى وهتلر . إذن فلم يكن الحصر البحرى سبب شكوى إيطاليا ! ولم يكن الضغط الاقتصادى سبب تمردها على أساليب الحضارة وخروجها على أسس المدنية ، بل الأطماع الشخصية الدكتاتورية هى التى جعلت هذين الفردين يلقيان بالعالم فى أتون الحرب

إيطاليا لم تتغير

وإيطاليا سنة ١٩٤٠ هى إيطاليا سنة ١٩١٤ لم تتغير أخلاق أهلها أو طرق معاملتهم بتغير نظام الحكم ، ولم يتغير حكمهم على الحوادث بتقدمهم فى مرافق المدنيــة . فلم يتحكم فى حالتها إلا الطمع والرغبة فى الاستعباد . ففى سنة ١٩١٤ كانت إيطاليا حليفة لألمانيا والنمسا ، وفى سنة ١٩٤٠ نراها حليفة ألمانيـا التى ابتلعت النمسا . وفى سنة ١٩١٤ دخلت إيطاليا الحرب بعد تردد طال عشرة أشهر حصلت فى أثنائها على معاهدة لندن فخانت من أجلها حليفتيها السابقتين وأعلنت عليهما الحرب . وفى سنة ١٩٤٠ تكرر إيطاليا نفس الموقف ولكن بصورة أخرى ، فتدخل الحرب بعد تردد استمر تسعة أشهر ، وتدخلها فى ظروف غريبة لا لتحقق للعالم سلاماً ، ولا لتضمن للناس طمأنينة ، بل لتزيد فى دمار العالم مستغلة الظروف الحرجة لتحاول القضاء على دولة طالما مدت لها يد المعونة ، وكانت سبباً فى جمع شملها وتحقيق وحدتها واستقلالها

وقد قلنا فى مقالنا السابق إن إيطاليا لن تدخل الحرب إلا مكرهة ، لضعفها العسكرى والاقتصادى . وها نحن نستعرض أمام القارئ مقارنة بين قواتها وقوات الحلفاء فى البحر الأبيض الذى يحتم أن يكون عماد القتال فيه على القوات البحرية والجوية أما القوات البرية فليس لها مجال للعمل إلا من جهة فرنسا وليبيا وفى كلا الميدانين ما يقطع بأن قوة إيطاليا البرية ستصادف عقبات كبيرة تحول دون تحقيق أغراضها

عالم عربى

فجبال الألب فى فرنسا سد منيع يصعب اختراقه ويسهل الدفاع عنه . وتقع ليبيا بين مصر من الشرق وتونس من الغرب ، وليس فيها قوات إيطالية كبيرة ، ولذا يسهل الاستيلاء عليها إذا هوجمت من الناحيتين ، ولا سيما أن عربها يحفظون لإيطاليا ذكريات أليمة عند ما أعملت فيهم قنابل مدافعها ورصاص بنادقها

ولكن فى الشباب من ينكر هذا ولا يرضاه، وفى الشباب من يستخف به ويجتويه. وفى الشباب مراجل تجيش فيها التناقضات ، فلا تعرف فيهم الغاية اليوم إلا وتجدها غيرها التى كانت بالأمس

ولكننا رغم وجود هذه النفوس المتاونة ، سنتم بناء أنشأته الجهود وبنته العزائم وأقامته التضحيات ...

إن كان الكلام وسيلة من وسائل الجهاد الأعزل فلا نريده إلا مقروناً بالعمل والدأب ، وإن وجد فينا من يئست روحه وتصاغرت معنويته عن إدراك هــذه المعانى الجديدة فلا نرضاه باسم العروبة. ولذا حق لنا أن نوجه الخطاب إلى الشباب فنقول:

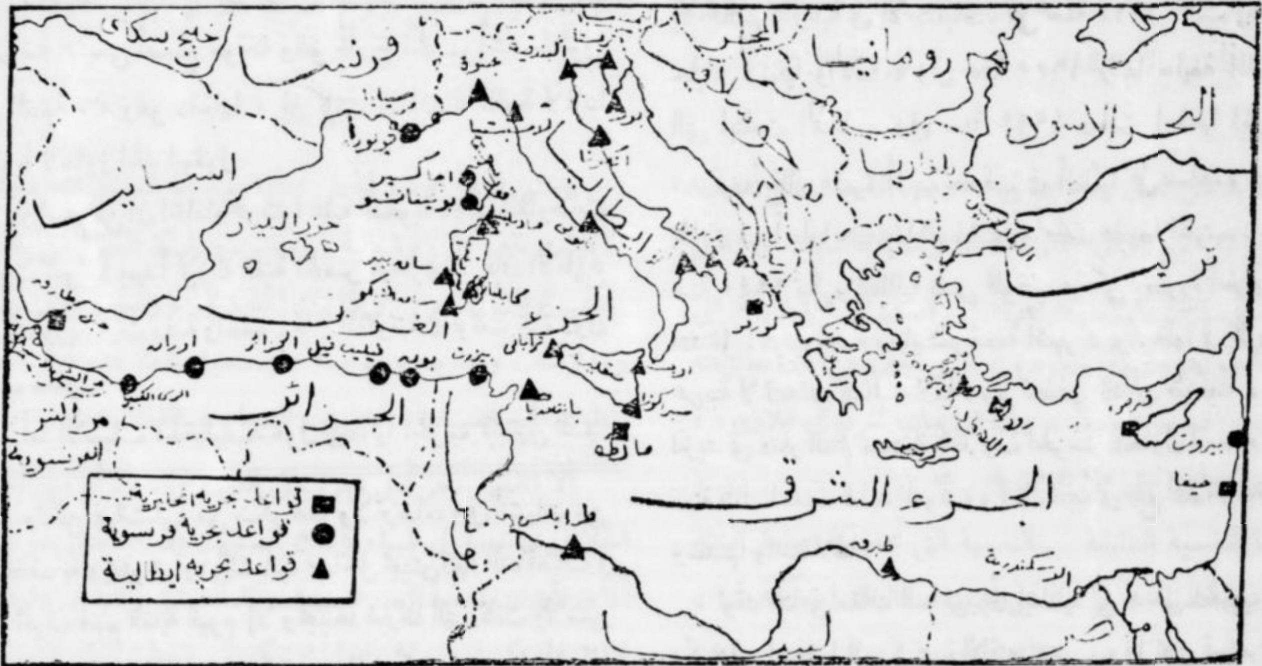
أيها الشباب العامل : ما جمال الجسم إن لم يعزز بفضائل الروح ؟ وما نفع هذه الرؤوس المملوءة بالخيالات إن لم تكن قادرة على ولادة الأعاجيب !

أيها الشباب العامل : روضوا نفوسكم على فهم الفن تدركوا جمال الحياة

(بغداد — الرستمية) نورى الراوى

ولما فى ذلك قصص منكرة من أعمال الوحشية والهمجية ، وما زالت عدة قبائل عند الحدود تنتظر ساعة الانتقام . وهناك فضلاً عن ذلك صلة الرحم بين سكان ليبيا ومصر وصلة الدين وصلة اللغة ، وهى صلات يحرص العربى عليها مهما كلفته من تضحيات . فما إن تبدأ المناوشات حتى تصحو هذه العوامل ، فيشمر المسلم بعوامل الدين تناديه ، ويحس ابن العم بصلات الدم تمنعه من إهدار دم ابن عمه ، فلا تلبث ليبيا أن تخرج من الامبراطورية الايطالية لتنضم إلى العالم الاسلامى

هذا فى ميدان البحر الأبيض ، أما فى ميدان شرق أفريقيا فلايطاليا هناك ثلاث مستعمرات هى الأريتريا والحبشة والصومال الإيطالى، وتحيط بها الممتلكات البريطانية من جميع الجهات، تلك



الممتلكات التى استقر فيها نظام الحكم ودانت بالولاء للامبراطورية البريطانية ، بعكس الحالة فى الحبشة مثلاً ، فهى قريبة العهد بالغزو ، وما زال أهلها يقاتلون الإيطاليين فى أكثر من بقعة واحدة ، ويشنون الغارات على حامياتها كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً . وها هو امبراطور الحبشة يظهر فى الميدان ليستغل الفرصة السانحة ، وسيمده الحلفاء ولا شك بالعتاد الحربى الكفيل بخلاص بلاده من نير الحكم الإيطالى

الامبراطورية الايطالية

وبرغم اتساع رقعة الممتلكات الإيطالية فعدد سكانها قليلون ، وهم على درجة كبيرة من التأخر . ويبين الجدول الآتى مساحة كل مستعمرة وعدد سكانها مضافاً إليها إيطاليا نفسها :

اسم البلد	المساحة بالميل المربع	عدد السكان
إيطاليا	١١٩ر٧٤٤	٤٣ر٦٤٠ر٠٠٠
ألبانيا	١٠ر٦٠٠	١ر٠٠٠ر٠٠٠
ليبيا	٤٠٦ر٠٠٠	١ر٠٠٠ر٠٠٠
أريتريا	٤٥ر٠٠٠	٥٠٠ر٠٠٠
الحبشة	٣٥ر٠٠٠	٧ر٦٠٠ر٠٠٠
الصومال	١٣٩ر٤٣٠	٦٥٠ر٠٠٠
المجموع	٧٤٥ر٧٧٤	٥٤ر٣٩٠ر٠٠٠

هذه هى الإمبراطورية الإيطالية التى لا تلبث الحرب أن تفصلها عن إيطاليا ، لا سيما أن أسطول الحلفاء مرابط عند قناة السويس ليمنع وصول القوات الإيطالية بأفريقيا الشرقية الإيطالية وهذا العزل سيؤدى بلا شك إلى خضوع تلك البلاد للحلفاء بعد أن تفنى القوات الإيطالية المرابطة هناك أو تقع فى الأسر

ولم تكن هذه العوامل خافية على موسولينى ومستشاريه ، ولكنها تدل دلالة واضحة على سوء نيته قبل دول البحر الأبيض فسياسة المحور القضاء على فرنسا وانجلترا ثم يتحول إلى الدول الصغيرة ، فلا تقوى واحدة منها على مقاومة الاستعمار الإيطالى أو الألمانى، وعندئذ تتحكم الهمجية فى العالم أجمع ، ويخضع العالم لانتقام الدكتاتوريين . ولكن هيهات أن يتحقق هذا الأمل ، فقوات الحلفاء فى فرنسا ما زالت بكامل عددها ومعداتها ، ولن يؤثر فيها تقدم الزحف الألمانى وتوغله فى البلاد

وسواء بقيت باريس بيد الحلفاء أم سقطت فى يد الألمان ، فسيأتى اليوم الذى تتلقى فيه جيوش ألمانيا الضربة القاطمة، فالعبرة فى الحروب ليست فى الاستيلاء على المواقع والمدن ، ولكن العبرة بالقضاء على الجيوش . وإذا اتخذنا من التاريخ مثلاً ، فأمامنا نابليون وحروبه ، فقد استولى على أوربا كلها تقريباً . وظلت انتصاراته سنوات طويلة تدوى فى آذان العالم . فلما نضبت موارده وحانت الساعة الفاصلة هزم فى واترلو هزيمة لم يقم له بعدها من قائمة . وكانت ختام ذلك النزاع الطويل

سواحل مكشوفة

ومن عوامل ضعف إيطاليا انكشاف سواحلها وخلوها من العقبات الطبيعية التى تمنع الاعتداء، فليست البلاد عريضة يتعذر على الطائرات اجتيازها ، وليست صخرية أو صحراوية يتعذر على الجيوش عبورها، بل هى سهول ضيقة، تجد فيها القوات مؤونتها بسهولة فضلاً عن قربها من مواقع الحلفاء العسكرية، فلا تبعد روما عن مينائى طولون أو أجاكسيو سوى ۲۰۰ ميل تقطعها الطائرات الحديثة فى ٤٠ دقيقة ، ولهذا عجل موسولينى بنقل قيادته منها

وتيسر لإيطاليا فى الحرب الماضية أن تجند ٥٫٥٠٠٫٠٠٠ جندى. وتستطيع الآن أن تجند ثمانية ملايين جندى بفضل النظام الفاشستى . ومجال هذه الجيوش محدود كما رأينا ، كما أن الجندى الإيطالى لا يمكن أن يقاس بالجندى الألمانى أو الفرنسى أو الإنجليزى ، خصوصاً أن معداته أقل بكثير من معدات أقرانه . فإذا أمدته ألمانيا بالعتاد والقيادة كما جاء فى التلغرافات برزت عقبة أخرى وهى ضيق موارد الدولتين الدكتاتوريتين ، ولا سيما أن ألمانيا وضعت فى الموقعة الحالية جميع مواردها أملاً فى نصر سريع

القوات الجوية

وتقدر قوات إيطاليا الجوية بخمسة آلاف طائرة أعدت على أساس هجوى وهى أقل متانة من الطائرات الفرنسية أو الإنجليزية ، وتستورد ۲۳ ٪ من معادن طائراتها من الخارج ؛ ولم تتقدم صناعة الطائرات هناك فى المدة الأخيرة ، بل يقول الإحصائيون إن تقدمها بطىء لحاجتها إلى الفنيين والمعادن . وفرض الحصار عليها معناه زيادة هذه الصعوبات . فإنها تفقد ربع إنتاجها بفقد المعادن المستوردة من البلاد الأخرى . ومراكز الطيران الإيطالية موزعة فى الحبشة وليبيا وألبانيا ، وأنبأتنا التلغرافات أخيراً بتدمير قوات الطيران البريطانية لعدد كبير منها مما يضعف من شأنها، ويقابلها عند الحلفاء ۲۲ ألف طائرة فى ازدياد

وفى البحر

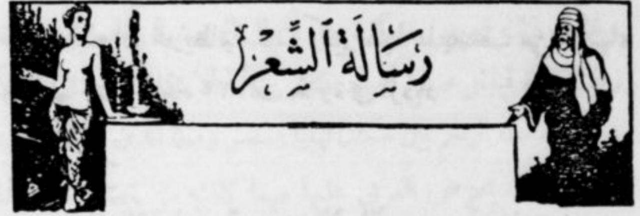
ويمتاز الأسطول البحرى الإيطالى بسرعة سفنه ، وهو أسطول حديث تصل سرعة بعض وحداته إلى ٤٥ عقدة فى الساعة أى أكثر من ٥٠ ميلاً ، ويقابله فى الجانب الآخر زيادة عدد الوحدات البحرية للحلفاء والجدول الآتى يبين وحدات القوتين :

نوع السفن	الحلفاء	إيطاليا
سفن قتال كبيرة	٢٥	٦
مدرعات ثقيلة	٢٢	٧
حاملات طائرات	١١	—
مدرعات خفيفة	٦٩	١٤
مدمرات	٢٣٠	٨٢
قوارب طوربيد	١٢	٧٠
غواصات	١٣٧	١١٢
المجموع	٥٠٦	٢٩١

وتعمل قيادة الحلفاء البحرية على الاشتباك مع هذا الأسطول فى معركة بحرية، ولذا أسرعت ببث الألغام فى مدخل بحر الأدرياتيك حتى لا تدع له مجال الالتجاء إليه ، فيضطر إلى قتالها ، فإذا تيسر إغراق هذا الأسطول أو الخلاص من بعض وحداته كما حدث مع الأسطول الألمانى ، تم للحلفاء جانب كبير من النصر؛ فبرغم صيحات هتلر وأتباعه بتفوق السلاح الجوى على السلاح البحرى ؛ فإن موسولينى لم يأخذ برأيه . والدليل على ذلك أنه أنزل إلى البحر فى الشهر الماضى سفينتى قتال كبيرتين

وقد منى الأسطول التجارى الإيطالى فى اليومين الأولين للحرب بخسائر فادحة فقضى على ٤٠ سفينة منه، بعضها بالانتحار وبعضها الآخر بالأسر . وهذا تصرف غريب من إيطاليا ، فبرغم أنها أرادت الحرب وأنها تجد الفرصة لإنقاذ هذه السفن، تركتها فى أماكن خطيرة . والأغرب من هذا أن بعض السفن كان فى مالطة، وهى تبعد عن صقلية بمسافة بسيطة، ومع هذا تتركها لتؤسر؛ ومن هذه التصرفات يبدو مدى حزم القيادة الإيطالية ، ومدى إحكام تصرفاتها الذى ينبئ بأن كوارث شديدة ستحل بقواتها

فوزى الشتوى
بكالوريوس فى الصحافة



رجال ونســـاء

للأستاذ علي محمود طه

[ننشر فيما يلي جزءاً ثانيا من ملحمة الشاعر « علي محمود طه » وهو يلي الجزء الذي نشرناه منها في عدد سابق من «الرسالة» ويدور الحوار في هذا الفصل الممتع على الفنان الأول ، وأثر المرأة في فنه واتجاهاته ، وفيه أيضا حديث مؤثر عن الفنان الأعمى ، والأسماء التي يجري الشاعر الحوار على ألسنتها تقع في عالمي الحقيقة والخيال . فهرميس إله الوحي والشعر في الميثولوجيا ، وبليتيس الشاعرة الخرافية التي بعثها الكاتب الفرنسي « بيير لويس » على غرار الشاعرة اليونانية اسبازيا . أما تاييس وسافو فأمرها معروف في القصص والتاريخ]

(الملك وقد عاد في طريقه إلى حيث الحوريات بعد أن ودع روح الفنان على أفق الأرض)

الملك :

سلامَ الملائكِ روحَ الجمالِ

الأرواح :

سلامٌ لهرميس روح الآله

الملك :

أرى وَمْضَةَ الشرِّ في جوِّ كنٍّ ... وأسمعُ صوتاً كأنّي أراه
يلاحقني في رحابِ السماء ... ويرتجُّ في مسمعيَّ صداه
« لقد فارقَ البشرُ غرَّ الوجوهِ ... وشاعَ الذبولُ بوردِ الشفاه ! »

الأرواح :

أجلْ أيها الملكُ المجتبى ... صدقناكَ فاغفر عذابَ الضميرْ
لقد مرَّ كالطيرِ من قربنا ... فتًى في رعاية ربٍّ خطيرْ
رآنا فأعرَضَ عنَّا ولمْ ... يُحَيِّ السماء بروحٍ قريرْ
تعاظم محتقـراً أمرنا ... وأمعن في شرّهِ المستطيرْ !

هرميس :

ظلمتنَّ هذا الغلامَ البريء ... وقد غضَّ من ناظريهِ الحذرْ
أهَلَّ بقلبٍ كفرخِ القطا ... يرفرفُ تحتَ جناحِ القدَرْ
رَآكنَّ فيـــهِ وحيَّا بهِ ... فلم أدرِ حاجتَه للنظرْ !

الأرواح :

وكيف تكلَّمَ قلبُ الفتى ... وما هو إلاَّ سليلُ البشرْ ؟

هرميس :

هُوَ ابنُ السماء ولكنَّهُ ... من النقصِ تركيبُه والتمامْ
صَناعُ الطبيعةِ بلْ صُنْعُها ... فمنها دمامتُـهُ والوسامْ
يُسِفُّ إلى حيث لا ينتهي ... ويسمو إلى قمَّةٍ لا تُرامْ
ويُسْقَى بكأسِ إلهيـــةٍ ... مُرنَّقـةٍ بالهوى والأثامْ

***

نقيضانِ شتَّى فما يستقرُّ ... على غَضَبٍ منهما أو رضاءْ
تحدّى الحيـاةَ وآلامَها ... بيأسِ الجبابرةِ الأعلياءْ
يزيدُ عُتُوًّا على نارها ... ويلمعُ جوهرُهُ مِنْ صَفاءْ
وينشقُّ عن نَضْرةٍ قلبُـه ... وإنْ طمَرَتْهُ ثلوجُ الشتاءْ

***

هو القلبُ محتشـداً بالمنى ... هو العقلُ مُتَّقِدًا بالذكاءْ
حَبَتْهُ الألوهةُ روحًا يَرَى ... وينطِقُ عنها بوحي السماءْ
يَحُسُّ الخيالَ إذا ما سَرَى ... ويلمسُ ما في ضميرِ الخفاءْ
ويبتدرُ النجمَ في أفقــهِ ... فيرشفُهُ قطرةً من ضياءْ

***

أرَتْهُ السماء أعاجيبَهــا ... وَرَوَّتْهُ من كلِّ فنٍّ بديعْ
فضنَّ بلألاءِ هـذا الجمالِ ... وخافَ على كنزه أن يضيعْ

أبَى أن يُبدِّدَهُ ناظراه فأطبقَ جفنيــهِ ما يستطيع
فإن شارفَ الأرضَ نادتْ بهِ ففتّحَ عيناً كعينِ الرّبيع

الفناله الأول

هنالكَ حيث تَشِبُّ الحياةُ وحيث الوجودُ جنينُ العَدَمْ
وحيثُ الطبيعةُ جبــارةً تشقُّ الوهادَ وتبنِي القِمَمْ
وحيثُ السعادةُ بنتُ الخيالِ ولذَّتُها من معانى الألمَ
وحيثُ الطريدانِ شجّا الكؤوسَ ونجّا صُبابتها من قِدَمْ

***

رَنَا ، والطبيعةُ فى حليها وحواءُ عاريةٌ كالصَّنَمْ
فمن أينَ سارَ وأنّى سرى تَصدَّتْهُ مُقبِــلَةً من أَمَمْ

***

هنالك أول قلبٍ هفــا وأولُ صوتٍ شــدا بالنَّغَمْ
وأولُ أنمُــلَةٍ صــوَّرَتْ وخطَّتْ عَلَى اللوحِ قبل القلَمْ

***

فما لكِ حواءُ أغويتِــهِ وأعقبتِهِ حَسَراتِ النَّـدَمْ
لقد كان راعيَكِ المجتبَى فأصــبحَ راميَكِ المتَّهمْ
ولولاكِ ما ذرفتْ عينُــهُ ولا شــامَ بارقةً فابتَسَمْ
وعاشَ كما كانَ آباؤه يُغنِّي النجومَ ويرعى الغنمْ !

الفناله الأعمى

لأجلكِ يَشقى بلمحِ العيونِ ويُصْرَعُ بالنظرةِ العــابره
لَوَدَّ إلى الأرضِ لو لم يُصِخْ أو ارتدَّ بالمقــلةِ الحاسره
وكم من فتًى عزَّها سمعُهُ وغضَّ عَلَى رَهَبٍ ناظره
عصاها، فنادتْ، فلم يَستمِعْ فحلَّتْ به لعنةُ الفاجره !

***

له محجرانِ على ما وَعَى من الألَقِ الطُّهْرِ مختومتانْ
ففى عقلِهِ حركاتُ الزمانِ مُصوَّرَةٌ وحدودُ المكان
وفى قلبِــهِ أعينٌ ثرَّةٌ بها النارُ طاغيةُ العنفوان
وفى كلِّ خاطرةٍ نيزكٌ يشقُّ سناهُ حجابَ الزمان

***

إذا ما هَوَتْ وَرقاتُ الخريفِ أحسَّ لها وَخَزاتِ السِّنان
وإن سَكبَتْ زهرةٌ دمعةً فمن قلبِهِ انحدرتْ دمعتان
ومن عَجَبٍ شَدْوُهُ للربيع وقد يُخطِئُ الطيرُ شدوَ الأوان
كقيثارةِ الرّيحِ[1] ما لحنُها سوى الريحِ فى جفوةٍ أو حنان

***

عوالمُ جيّاشةٌ بالمــنى ودنيا بأهوائها تضطربْ
من اللانهاية ألوانُها مشعشعةٌ بالندى المنسكبْ
ففيها الصباحُ ، وفيها المساء وبينهما الشفقُ الملتهبْ
تطوفُ بها صَدَحاتُ الطروب وتسهو بها أنَّةُ المكتئبْ !

على محمود طه

---

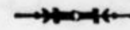
(١) قيثارة كان الاغريق القدماء يعلقونها على الشجر فتصدح أوتارها بمرور الرياح أو هبوب النسيم عليها ، وكأن أنغامها صوت الطبيعة الناطقة بأحاسيسها



تأملات

فى الأنتراكت

للأستاذ عزيز أحمد فهمى



يقضى الأستاذ عزيز عيد فى هذه الأيام فترة من حياته تشبه فترة « الأنتراكت » فى عمله . وهو لا يقضيها متكاسل العقل راكد الحس ، وإنما هو يشغل نفسه فيها بالإقبال على معاشرة حيوان ، والتأمل فى شعوره وأسلوبه ، وتعبيره عن هذا الشعور وطريقته فيه ، وما قد يصاحب هذا من تفكير يسير أو كبير

وهذا الحيوان الذى يعاشره الأستاذ عزيز ويدرسه فى هذه الأيام كلب اسمه « بوى » وهو يربيه منذ سنوات ويعزه ويحبه حبه لأوفى رييب كفله

والوقت الذى يقضيه هذان الصديقان الصدوقان معاً لا يختلف فى شىء عن الوقت الذى يقضيه كل صديقين صدوقين فهما يجلسان معاً يتسامران ، وهما يخرجان معاً يترىضان ، وهما يتشاغبان ويتصارعان ويتلاكمان ، وهما أيضاً يتصالحان ويتخاصمان ، ويتعاتبان ويتقابلان ويتعارضان . . . أما (بوى) فهو مع صاحبه مخلص صادق نقى الإخلاص والصدق ، وأما صاحبه فلا يقل عنه إخلاصاً وصدقاً وإنما هو يريد عنه التفاتاً إلى ما بينهما من الإخلاص والصدق ، وإلى ما هما فيه من عناء الحياة والأحياء

يجلس الأستاذ عزيز مع صاحبه يحدثه عن آلامه مما فات وعن آماله فيما هو آت ، والكلب قاعد ينظر إليه مصغياً منتبهاً إذا رأى صاحبه طرب فقد طرب معه ، وإذا رآه أسف فقد يأسف معه حتى يمل الأستاذ عزيز عيد فيستأذن (بوى) فى أن ينصرف ، أو يرجو (بوى) لينصرف هو ، وما أسرع (بوى) إلى أن يطيع وأن يلبى الرجاء كما يلبى النداء

فيه كل معانى الحياة ودلائلها ، وليس ينقصه إلا أن يعرف التعريب المقدم منها كى يساوى الإنسان فى موقفه فيها

خرج يوماً مع صاحبه إلى رياضة فى الخلاء على مقربة من طريق القطار ، ولم يكن قبل ذلك قد رأى قطاراً . ويروى الأستاذ عزيز هذه القصة فيقول : « سمع (بوى) صوت القطار وهو مقبل من بعيد يصفر ويرعد فبدا عليه الذعر وصاح فىّ ينبهنى كأنما حسبنى فى غفلة عنه ، وكأنما حسبه وحشاً ضارياً جباراً يعدو إلينا ليفتك بنا ، وكأنما هالته قوة ذلك الوحش كما هاله ضعفنا جنبه ، وكأنما كان بصراخه يريد أن يقول لى : خذ حذرك واتق هذه النازلة ، وأنقذنى معك إذا استطعت ، فلست بقادر على صده عنه ولا دفعه عن نفسه ، حتى ولا عرقلته عنك ريثما تفر . . . لقد كان (بوى) يقول لى هذا كله فى صراخه فقلت له : لا تخف يا (بوى) فهذا قطار . . . ورآنى (بوى) مطمئناً فاطمأن إذ أدرك أنه لا يمكن أن يملأنى هذا الاطمئنان كله لو كان هذا القطار المقبل وحشاً ضارياً مفترساً . ولكن القطار اقترب وضجته تعالت فتوسط (بوى) ما بينى وبين القطار وهاج وجن نباحاً ، فاضطررت إلى أن أقف وأن أضمه إلى ريثما يمر القطار ، فضممته ونظرت فى عينيه أؤكد له الأمان والسلامة ، فاذا بعينيه ترسلان إلى نظرة معناها : هأنذا معك ، وإن كنت ترانى خائفاً فإنما خوفى عليك أكثر من خوفى على نفسى » . . . ويسترسل الأستاذ عزيز فى وصف نظرات (بوى) بما لم يصف به نظرات ممثل ولا ممثلة

ويروى الأستاذ عن صاحبه قصة أخرى فيقول : « كان لنا جار وكان لجارنا كلبة ، وكان بين بوى وبين هذه الكلبة غزل وغرام لم يرض عنهما الجار ، فكان يطرد (بوى) كلما رآه يحوم حول معشوقته ، حتى كان يوم ضرب فيه الرجل (بوى) بعصاه ضربة قاسية آلمته ولم يستطع معها إلا أن يفر هارباً ، وليس من عادة (بوى) أن يهرب ولا أن يفر . ومضى الرجل إلى حاله فى ذلك اليوم . ولكن بوى كان يعرف مواعيد دخوله

وخروجه، فبدأ ينتظره ويتعمد انتظاره ليفجأه يوماً فينهشه نهشاً، ولكن الرجل كان يتقى دائماً هجمات بوى بعصاه يلوح له بها، والعصا أداة كفاح إنسانية يخشاها كل كلب ويعجز حيالها. وشكا لى الجار (بوى)، وقال لى: صحيح إن العصا تقيني هجماته ولكنى قد أغفل يوماً عنها فلا أسلم منه، فأرجوك أن تنتبه إليه وأن تمنعه عنى، فقلت لجارى: أنت الذى وقفت نفسك هذا الموقف، فقد كان عليك أن تعرف أن لهذا الكلب كرامة، وأنه يعلم تمام العلم أن الذى يعلقنا به هو رغبتنا فى حمايته، فإذا ثبت لنا وله ولك أنه عاجز عن حماية نفسه فقد نتخلى عنه وهو يكره هذا، لأنه عاشرنا مدة ما فأحبنا كما رأى أننا نحبه ... فعليك إذن أن تحمى منه نفسك، لأنى لو نهرته عنك بعد الذى كان منك أغراه ذلك بقبول الذل والضيم، وكنت أنا محرضه ودافعه إلى هذا ... فقال لى الرجل: إن هـذا لا يمنعك من أن تحول بين كلبك وبينى ... وكنت من يومها أنتظر خروج الجار ودخوله مع كلبى لأشغل الكلب عنه ولأمنعه من الفتك به أو الهجوم عليه، وكنت أرى فى الكلب تعجباً من موقفى هذا ودهشة لو كان ينطق لعبر لى عنهما بقوله: فيم حيلولتك بينى وبين هذا القاسى، وقد رأيت أنه ضربنى ولو رأيت أنا أحداً ضربك لما حلت بينك وبينه وإنما كنت عليه معك؟... ثم خطر لى أن أصلح ما بينهما، فانتظرت مرور الرجل يوماً فاستوقفته وناديت (بوى) وأخذت أربت على كتفى الرجل، وأربت على كتفى الكلب، وأقول لكل منهما إن الصلح خير، وأقول لكل منهما إن الصفح والعفو من شيم الكرام، وأقول لكل منهما إنه من الممكن أن يتناسيا الماضى وأن يستأنفا الصداقة من جديد، ثم أشرت إلى الرجل فبدأ يمسح للكلب ظهره، فراغ الكلب فى أول الأمر رافضاً هذا الصلح، ولكنه لما رآنى أستحسنه وأطلبه منه مسح رأسه هو أيضاً فى ساق الرجل ثم نظر إلىّ يقول بنظرته: لقد صفحت عنه لكى ترضى ...

وتجر هذه القصة إلى ذاكرة الأستاذ عزيز قصة أخرى فيقول: وقد تخاصمت أنا ذات مرة مع بوى، فقد كنا نلعب معاً، ومن عادتنا إذا لعبنا معاً أن أضربه ضرباً خفيفاً وأن يعضنى عضاً خفيفاً، وأن يسامح كل منا الآخر فيما يناله من ألم الضرب الخفيف أو العض الخفيف، لأن كلا منا يعلم أن هذا مزاح ولعب ولا أكثر، غير أنى فى تلك المرة برعت فى مشاكسة (بوى) حتى اغتاظ غيظاً شديداً فعضنى عضة أسالت الدم من إصبعى ... فرأيت هذا ذنباً لا يمكن أن يغتفر لأنى إذا اغتفرته فقد لا يحسبه (بوى) ذنباً، وقد لا يجد بعد ذلك مانعاً من أن يعضنى عضة أقوى من هذه العضة، وقد يكون فى ذلك ضرر من الخير أن أتقيه وألا أنتظر حتى يحدث فأعالجه ... فأمسكت فى يسراى بكرسى جعلته درعاً، وفى اليمنى عصا انهلت بها على (بوى) ضرباً موجعاً مبرحاً علم الله أن كل ضربة منه كانت تنزل على قلبى قبل أن تنزل على جسمه، ولكنى كنت أرى أنه لا مفر من هذا الضرب عقاباً وردعاً ... وبعدها خاصمت (بوى) وخاصمنى (بوى) أيضاً ... خاصمته: فلم أعد أكلمه، ولم أعد أناديه، ولم أعد أسامره، ولم أعد ألعب معه. وخاصمنى: فلم يعد ينتظرنى ليلاً، ولم يعد يدنو منى نهاراً، ولم يعد يمس طعامه الذى كان يوضع له ... وصام هكذا ثلاثة أيام، كان خلالها كلما رآنى ألقى إلى نظرة معناها عند من يفهمون النظرات: لا تكلمنى، ولا أكلمك، وأنت تعرفنى وأنا أعرفك ... أنت لم تسامحنى ولكنى سامحتك ... وكنت أنا أنظر إليه وأقول له بعينىّ: الذنب ذنبك والبادئ أظلم ... ومع هذا الخصام، وفى عزه وشدته، كنت ألمح (بوى) وأنا أرتدى ملابسى أمام المرآة، يدنو من باب الحجرة مخفياً جسمه كله ويطل إلىّ بعينيه كمن يريد أن يرانى صحيحاً سليماً معافى، وكمن يكفيه أن يرانى كذلك .. وكنت أنا أتغاضى عن نظرته هذه ولا أبدى له التفاتى إليها ... حتى كان اليوم الثالث، فالتقت أعيننا، فإذا بهذا الذى كان فى عينيه يذوب ويتلاشى، وإذا بعينيه تلمعان عوضاً عنه بقوله: أما اكتفيت خصاماً؟! إنه ليس لى أن أبدأك بالصلح فربما كنت لا تزال غاضباً أو مستاء ...! عندئذ انخذلت أمام هذا الوفاء الصامت، وابتسمت وناديته وقلت: لقد كانت عضة مؤلمة يا (بوى)، وأظنك لا تذكر أنى ضربتك قبلها ضربة مؤلمة ... صحيح أن (بوى) لم يكن ليفهم معانى هذه الكلمات جميعاً مفصلة ... ولكن (بوى) أدرك من صوتى ومن بريق عينى

— كما يدرك دائماً — أى حالة نفسية أنا فيها . وفى هذه الساعة أدرك (بوى) أنى أعاتبه ، كما أدرك أن الموقف يقتضيه الاعتذار عما بدر منه ، فأطرق برأسه وبعينيه البليغتين إلى الأرض ، واقترب منى متباطئاً متذللاً مسترضياً فمسحت له ظهره بيدى ، فقبل يدى بلسانه ، فعانقته وعانقنى وعدنا صديقين حبيبين »

* * *

بهذا الوضوح ، وبأكثر منه تفصيلاً يتحدث الأستاذ عزيز عيد عن كلبه (بوى) ، وهو كلب من ذلك النوع الضخم الذى يسمونه « وولف » والذى كان منه فقيد السينما « رن تن تن »

وليس (بوى) ولا « رن تن تن » بمفردين فى الكلاب فهما يدركان ما لا يدركه غيرهما من أفراد جنسهما ، بل ولا جنس الكلاب بمفرد فى الحيوان فهو وحده الذى يشعر بالحياة ، والذى يعبر عن شعوره فيها والذى يتفهمها فهماً يسيراً أو فهماً كبيراً ، وإنما كل الكلاب مثل (بوى) و « رن تن تن » وكل الحيوانات مثل الكلاب وإن كانت تختلف فى أنصبتها من الحياة . وإذا كان الناس متشاغلين عن الحيوانات ، فإن لها من الشعراء والفنانين نصراء وأصدقاء يعاشرونها ويتفاهمون معها ، ويدرسونها الدراسة الحية القائمة على المعاشرة وتبادل العواطف ، وهذه الدراسة أشرف بكثير من تلك الدراسة التى يعمد إليها العلماء مع الحيوان

وقد يعانى الفنانون استهزاء كبيراً من العامة والمثقفين لهذه النزعة ، وهذه النزعة وحدها هى التى ستكشف للبشرية بعد جيل أو أجيال عن حقيقة موقف الإنسان من هذه الأحياء التى شاء الله أن تعيش معه على ظهر هذه الأرض . وإذا كان الإنسان يدعى أن له فى هذه الأرض السيادة ، فإن عليه أن يستكمل لهذه السيادة شروطها ، وأول شرط منها أن ينظر فيما سخره الله له من الخلائق ، وأن يفهم طبائعها حتى يستطيع أن يركن إلى كل منها يطلب عنده علماً بما يجهله وبما آتاه الله الحيوان من قوى

وإذا كان الإنسان يرى فى بعض الحيوان بأساً وقوة يخشاهما فكل حيوان يرى فى الإنسان دهاء وخبثاً يخشاهما هو أيضاً ويتقيهما ويتقاصى منهما الأمرين ، وعندما يأمن الحيوان جانب الإنسان فإنه من غير شك يوليه بذلك أماناً وصداقة ، والإنسان يستغل فى نفسه هذا الامتياز منذ القدم ، ولقد استأنس به أسوداً وفيلة وطيراً ووحشاً ، ولعل القدماء كانوا أحسن عشرة للحيوان منا ، فنحن قد غرتنا مدنيتنا وشغلتنا حتى لم نعد نعبأ إلا بأن نكون سادة ، ولو كنا الطغاة الجاهلين ...

عزيز أحمد فهمى



قصة الإمام الزهري

شكرت للكاتب الأديب أحمد جمعة الشرباصي للفرصة التي هيأها لي للكلام في مسألة دار حولها قول كثير ، ونقلت عني نقلاً غير صحيح ، وهي تجريح الإمام ابن شهاب الزهري أثناء محاضراتي بكلية الشريعة الإسلامية . وحقيقة الأمر هو أني كنت أعنى في محاضراتي عن تاريخ علم الحديث بتعريف الطلاب طريقة البحث الحديث في نقد الأحاديث ، وأضرب لهم في ذلك الأمثال ، وكان من هذه الأمثلة ما ذكرته لهم من نقد بعض المستشرقين ، وهو جولدزيهر للامام الزهري وأحاديثه التي رواها في فضائل الشام وبيت المقدس ، وخلاصة هذا النقد هو أن الإمام الزهري كانت له صلات وروابط بالبيت الأموي ، وأن عبد الملك ابن مروان كان منع الناس من الحج أيام فتنة الزبير ، فبنى عبد الملك قبة الصخرة في المسجد الأقصى ليحج الناس إليها ، ثم أراد أن يبرر عمله هذا ، فوجد في الزهري — ومقامه الديني معروف — آلة لوضع أحاديث مثل الحديث المشهور : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى »(١) . ولكن رأى هذا المستشرق قد فند بعد ذلك ، وخطئ بشدة من المستشرقين أنفسهم الذين رأوا فيه مخالفة تاريخية واضحة . وإليك مايقوله المستشرق فينسنك في ذلك : « وقد زعم بعضهم — يعني جولدزيهر — وضع حديث «لا تشد الرحال» . وهو حديث مذكور في جميع كتب السنة المعتبرة ، وذلك لكي يجعل الحج إلى بيت المقدس مثل الحج إلى الكعبة ، ولكي يحمى الخليفة عبد الملك في حربه ضد ابن الزبير الثائر عليه بالبلاد المقدسة » . ولكن هذا الاتهام لمثل هذا المحدث الكبير تسقطه الأدلة التاريخية ، فإن خروج ابن الزبير كان في سنة ١٤ — ٧٣ هـ ، والزهري الذي ولد سنة ٥١ هـ أو بعدها كان في هذا الوقت شاباً لا أهمية له ، ولم يكن قد بلغ بعد شهرته في الحديث ، ومثل هذا الوضع لا يمكن أصلاً أن يكون لأن الإمام الزهري من الرجال الثقات . وكان سعيد بن المسيب الذي روى عنه هذا الحديث لا يزال حياً فإنه توفي سنة ٩٤ هـ . وبالطبع كان لا يمكن أن يقبل أن يستعمل اسمه استعمالاً سيئاً ، خصوصاً إذا عرفنا أن الزهري ليس هو وحده الذي روى هذا الحديث عن سعيد» . هذا هو كلام فينسنك (راجع مجلة المستشرقين الألمانية عدد ٩٣ ص ٢٣)(١)

فهل تراني بعد هذا أشك ذرة في ثقة الإمام الزهري بعد أن شهد له الأصدقاء والأعداء ، وتضافرت على إمامته الأبحاث القديمة والأبحاث الحديثة ؟ أم ترى أن ما نقل عني قد حرف تحريفاً أبرأ إلى الله منه « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة »

وختاماً لا أجد بداً من الإشارة بهذه المناسبة إلى أن أبحاث المستشرقين تثق ثقة كبيرة بالأحاديث النبوية بعد أن خبرتها بكل مقاييس البحث ، بل إنها سارت شوطاً كبيراً في الثقة بأحاديث شك فيها علماء الجرح والتعديل المتقدمين ، وهي مسألة سأتناولها ببحث خاص في فرصة أخرى إن شاء الله .

علي حسن عبد القادر

استئصال داء الزهري

لم ير العالم عهداً كهذا العهد وفق فيه رجال الطب إلى إنقاذ البشرية من عدد كبير من الأمراض المضالة . فقد اكتشفت طريقة جديدة لاستئصال داء الزهري ، وهو الذي حير الأطباء قروناً طوالاً ، وكان وما برح من أكبر بلايا الجنس البشري . وذلك بمركب الدكتور بول أرليك الكيميائي المشهور الذي أعلن أمر اكتشافه منذ ثلاثين سنة مضت ، وعالج الأطباء مرضاهم به فلم يكن الشفاء يتم إلا بعد عام أو عامين

أما الذين وفقوا إلى ابتداع طريقة جديدة للمعالجة بهذا المركب

(١) Goldziher, Muhammadanische Stuedien, 2, 38-39

(١) Z. D. M. G, Bd-93, S. 23

ذاته فهم الأطباء هرالد توماس، ولويس شارغين، ووليام لا يفر، وجميعهم من رجال مستشفى « جبل سينا » فى نيويورك . وقد جربوا طريقتهم فى غضون ست سنوات ، فى ذلك المستشفى ، فجاءت تجاربهم محققة لاعتقادهم بصحة الطريقة التى تقتل جراثيم هذا الداء العياء فى خمسة أيام ، وتطهر دم المريض به من أدرانها نهائياً . وقد عالجت المستشفيات الأخرى بها تحت معاينة الإخصائيين ، فاتضحت صحة ما قيل عنها وأن ٨٥ ٪ من الذين عولجوا بها طهروا من جراثيم الزهرى التى كانت متغلغلة فى دمائهم وأنهم أمنوا خطرها أو العدوى بها

أما الباقون الذين تملكهم الداء فأصبح عضالاً فقد استغرقت معالجتهم لاستئصاله بالكلية حوالى الشهرين . ومركب الدكتور أرليك بمرفه الأطباء ، وهو فيما يقال يعطى للمريض حقناً على التوالى مدة خمسة أيام بمقدار لم يعلن بعد . ولا تكون هذه الطريقة فى متناول الأطباء قبل انقضاء بضع سنوات ، كما يقول مكتشفوها الذين لم يوضحوا أسباب هذا التأخير . والمساعى مبذولة الآن لحمل الحكومة الأمريكية على تعميم استعماله ومعالجة جميع المصابين بالزهرى ، الذين كان عددهم فى العام الماضى نحو نصف مليون

غلطة شائعة

قرأت أكثر ما كتبه الناقدون عن الجزء الثانى من كتاب الدكتور طه حسين بك : « على هامش السيرة » الذى صدر منذ أمد بعيد ، فلم أجد ناقداً منهم نص على الأخطاء النحوية واللغوية المتكررة التى وقع فيها الدكتور طه . ومن أظهر هذه الأخطاء أنه فى عبارة له بالكتاب المذكور يقول : « وما أحسب إلا أن الأيام ستترى » فجعل كلمة « تترى » فعلاً بادخاله حرف السين الخاص بالأفعال عليها ، مع أن هذه الكلمة اسم لا فعل ، وإليك الدليل :

قال صاحب القاموس فى مادة (الوتر) : « وجاءوا تَترى وتنوّن ، وأصلها وَتْرَى : متواترين » . فلو أن الدكتور قال : « وما أحسب إلا أن الأيام ستمر تترى » لاستقام تعبيره على سنن العربية ، ولكن ...

ولن أنسى النص على أن كثيرين من ناشئة الكتاب يخطئون فى استعمال هـذه اللفظة ، وهم يحسبونها فعلاً بمعنى « تتابع » والصواب ما قدمنا .

(البجلات) أحمد جمعة الشرباصى

كتاب جديد لابن حزم الأندلسي

هذه رسالة للإمام ابن حزم فى (المفاضلة بين الصحابة) نشرها اليوم على غلاء الورق وصعوبة النشر صديقنا الأستاذ سعيد الأفغانى ، فجاءت فى نحو مائة صفحة ، فقدم لها مقدمة فى دراسة حياة ابن حزم دراسة كاملة ، وضم إليها ذيلاً يشتمل على تراجم مطولة وفهارس مفصلة لأسماء الأعلام الواردة فى الكتاب، فبلغت المقدمة مع الذيل ثلاثمائة صفحة ، كلها بحث وتحقيق فى لغة سليمة وديباجة صافية . وقد قام بهذا كله على صمت وتوار من الناس ، وبعد عن الادعاء الذى اكتفى به هؤلاء الذين جاءوا بعلم العربية من ديار العجم . والأستاذ الأفغانى أحد أربعة هم بين أدباء الشام الدائبون على العمل (والإنتاج) المثابرون على الكتابة والتأليف والنشر ، وهم الأستاذ الجليل العلامة محمد كرد على بك ، والكاتب الأكبر معروف الأرناءوط ، والأستاذ الأفغانى ، ورابع أستحى أن أسميه . اثنان منهم للبحث والتحقيق والعلم ، واثنان للأدب الخالص . هذا ولا بد من عودة إلى الكلام على هذا الكتاب ، وإنما عجلنا للأستاذ الشكر كما عجل لنا الهدية .

على الطنطاوى

وفاة عالم جليل

استأثرت يد المنية بالعالم الجليل ، شيخ القراء فى القطر الشامى المرحوم الشيخ عبد الله المنجد ـ والد الأستاذ صلاح الدين المنجد . فكانت وفاته فاجعة كبرى اهتزت لها أرجاء دمشق ومشت بشيبها وشبانها فى جنازته العظيمة ، يتقدمهم سعادة مدير المعارف ورجال

التعليم وسماحة رئيس جمعية العلماء وإخوانه العلماء الأجلاء ، وقد أبَّنه على القبر بعض أعلام المسلمين

وقد كانت للفقيد منزلة سامية بين المسلمين لما اتصف به من العلم الغزير ، ولأنه شيخ القراء والحافظين لكتاب الله عز وجل ، ولما عرف عنه من دماثة الأخلاق ولين الجانب والتواضع والقيام بواجبات العلم ، وقد تخرج على يديه طلاب لا يُحصى عددهم كلهم يشهد بفضله وعلمه . وخسارة المسلمين به وبمن سبقه من علماء دمشق الأجلاء لا تعوَّض

أسأل الله أن يلهم آله وذويه جميل الصبر ، وأن يوفقني لكتابة فصل عنه في هذه المجلة الغراء ، أبيّن فيه سيرته وفضله ومزاياه

(دمشق) « م . ط »

وأسرة (الرسالة) تتقدم إلى الأستاذ صلاح الدين المنجد خالص العزاء

المفاضلة بين الصحابة

للأستاذ الأديب السيد سعيد الأفغاني همم مشكورة في طبع بعض الكتب القديمة . وآخر ما طبعه رسالة ابن حزم المسماة (المفاضلة بين الصحابة) وهذه الرسالة موجودة برمتها في كتاب (الفصل في الملل والنحل لابن حزم) من الصفحة ١١١ إلى الصفحة ١٥٣ من الجزء الرابع من طبعة الخانجي ، وأما الطبعة الثانية فليست تحت يدي لأشير إلى مكان الرسالة منها . فلعل أحد الناسخين (من الناصبة) جردها من كتاب (الفصل) فحسبها بعضهم كتاباً جديداً . وفي الخزانة التيمورية نسخة منها كان الأستاذ كرد على أخذ صورتها الشمسية . فالجدوى من نشر هذه الرسالة مستقلة هي للطابع لا للباحث .

فضيل سالم المهدي

(الرسالة) : لا ندري كيف غفل الكاتب عن الجهد العظيم الذي بذله الأستاذ الأفغاني في التحقيق والتعليق والفهرسة والترجمة حتى أصبح الكتاب بمقدمته وذيله كتابين لا جدوى لأحدهما بغير الآخر . ولو كان يجري الكاتب شروط النشر الحديث لعلم أن هذا الكتاب ما كان يفيد الباحث لو لم ينل هذه العناية من الأستاذ سعيد .

حول آية إطعام الطعام

إنها ليد طولى للرسالة تقابلها بالشكر أن أتاحت لنا الاتصال بإخواننا في العراق نبادلهم الرأي ونساجلهم البحث ؛ فقد نشرت في عددها الماضي رد الأستاذ الشيخ كاظم سلمان خطيب الكاظمية بالعراق على إنكارنا صحة ما روى الرواة في سبب نزول آية إطعام الطعام من صوم الإمام على رضى الله عنه إلى آخر ما زعموا . وقد حاولت أن أظفر بدليل في كلام الأستاذ فلم أنل

وغير خاف أن الإمام كرم الله وجهه في سابقيته وهجرته وبلائه ومناقبه وعلمه وفضله وفتوحاته وقرابته لا يرفع من شأنه رواية لم تثبت

على أن المفسرين بإزاء هذه القصة فئات منهم من ضرب عنها صفحاً ، ومنهم من رواها من غير بحث ، ومنهم من نقدها. فقد جاء في تفسير الطبري

« والصواب من القول في ذلك أن يقال إن الله وصف هؤلاء الأبرار بأنهم كانوا في الدنيا يطعمون ... » . فتراه ارجع ضمير يطعمون إلى الأبرار ولم يشر إلى قصة صوم الإمام أقل إشارة، وقال الخطيب الشربيني بعد أن ساق القصة : « حديث موضوع »

وفي الشهاب على البيضاوي : « هو حديث موضوع مفتعل كما ذكره الترمذي وابن الجوزي ، وآثار الوضع عليه ظاهرة لفظاً ومعنى »

وقال الألوسي بعد أن ساق القصة : « وتعقب بأنه خبر موضوع مفتعل ... » إلى آخر عبارة الشهاب السابقة

وقال الفخر الرازي والقول ما قالت حزام : « إنه تعالى ذكر في أول السورة أنه إنما خلق الخلق للابتلاء والامتحان ، ثم بين أنه هدى الكل وأزاح عللهم ، ثم بين أنهم انقسموا إلى شاكر وإلى كافر ، ثم ذكر وعيد الكافر . ثم أتبعه بذكر وعد الشاكر فقال : « إن الأبرار يشربون » ، وهذه صيغة جمع فتتناول جميع الشاكرين والأبرار ، ومثل هذا لا يمكن تخصيصه بالشخص الواحد لأن نظم السورة من أولها إلى هذا الموضع يقتضي أن يكون هذا بياناً لحال كل من كان من الأبرار والمطيعين ، فلو جعلناه

مختصاً بشخص واحد لفسد نظم السورة . والثانى أن الموصوفين بهذه الصفات مذكورون بصيغة الجمع كقوله : إن الأبرار يشربون، ويوفون بالنذر، ويخافون، ويطعمون وهكذا إلى آخر الآيات. فتخصيصه بجمع معنيين خلاف الظاهر، ولا ينكر دخول على بن أبى طالب عليه السلام فيه، ولكنه أيضاً داخل فى جميع الآيات الدالة على شرح أحوال المطيعين وكما أنه داخل فيها، فكذلك غيره من أتقياء الصحابة والتابعين داخل فيها، فحينئذ لا يبقى للتخصيص معنى ألبتة » اه . كلام الرازى

أما من نقل القصة من المفسرين بلا بحث فليس فى مجرد النقل حجة

ومن العجيب أن ابن عباس الذى رويت عنه هذه القصة من القائلين بأن سورة (الإنسان) مكية نزلت قبل زواج الإمام بالزهراء عليهما السلام ، فكيف يصح ما رووه أم كيف يستقيم

محمود محمد سويلم

إلى الأستاذ محمد سعيد العريان

جاء فى كتابكم القيم « حياة الرافعى » أن والد فقيدنا الغالى هو الشيخ عبد الرازق الرافعى ؛ فالتبس على الأمر بعد أن كنت أعلم أن اسم أبيه « صادق » نسبة لما يطلقه على نفسه : « مصطفى صادق الرافعى »

فهل لك فى إزالة هذا الالتباس وإيضاح الحقيقة ؟ بعد أن تقبل تحية صدق من أخ يقدر فيك - على البعد - الإخلاص والوفاء

(دمشق) بشير العوف

الأمة الإسلامية ونادى المراسلات الإسلامى

تتكون من العالم الإسلامى الممتد فى كل بقعة من بقاع الأرض أمة تخالف فى نظامها ومقوماتها الشخصية الأمم ، فمن المألوف فى كل أمة أن تكون الوحدة بين أفرادها وحدة الدم أو اللغة. ولكن الأمة الإسلامية التى تتألف من أجناس متعددة ولغات متباينة ، وتقيم فى قارات الدنيا الخمس، هذه الأمة تتألف من كل مؤمن صادق الوعد قوى النفس حى الضمير، من كل أمة تربط بين أفرادها العقيدة بدلاً من أن يربط بينها الدم ويوحد بينها الفكر ما فرقته اللغة

هذه الأمة العظيمة تتلاقى بقلوبها وأبصارها عند كعبة واحدة كل يوم خمس مرات، وتهتف بنداء واحد كل يوم مئات المرات كانت ، حفنة من الرجال خرجوا من جوف الصحراء ينشرون كلمة التوحيد ، ويرفعون اسم الله قد دانت لشجاعتهم وإيمانهم جبابرة الأرض ، وفرضوا على كل الأمم أنبل التقاليد وأفضل الأخلاق وتركوا وراءهم مجداً خالداً باقياً ما بقيت الأرض

إلا أن روح الخمود والتفرقة والجرى وراء الأغراض ما فتئت تنخر فى عظام هذه الأمة حتى وصلت إلى حالتها الحاضرة من التقهقر والضعف والانحلال ؛ هذه الحالة التى تثير فى النفوس كوامن الألم وتدفعنا دفعاً إلى أن نفكر فى مجدنا التالد وتقاليدنا النبيلة التى يكاد أن يعفى عليها الزمن

إن نادى المراسلات الإسلامى الدولى الذى هو عبارة عن هيأة إسلامية دولية مركزها الرئيسى بالمملكة المصرية يشترك فى إدارتها وتنظيمها نخبة من شباب الإسلام فى مختلف بلاد العالم يدعو مسلمى الدنيا بأكلها للانضمام إلى عضويته وبذل أقصى الجهد فى نشر فكرته ومبادئه والدعاية إلى الانضمام إليه سعياً وراء تحقيق أغراضها التى تألف من أجلها، والتى تقوم على خلق علاقة وطيدة تتناول كل أمور الدنيا والدين بين مسلمى الدنيا بأكلها مهما اختلفت اللغات أو تباينت الأجناس أو بعد المزار

إن الاشتراك فى نادى المراسلات الإسلامى الدولى لا يكلف الأعضاء مالاً ولا وقتاً ولا جهداً ، ولكنه وسيلة لا تدانيها وسيلة فى تحقيق الوحدة الإسلامية وبعث القوى الكامنة فى نفوس الأمة الإسلامية

فإلى مسلمى ومسلمات العالم نسوق هذه الدعوة راجين أن تصل إلى كل مسلم ، وأن يعمل الجميع على نشرها فى جميع أنحاء العالم

تقدم طلبات الانضمام وتطلب الاستعلامات بلا أى مقابل من السكرتير العام لنادى المراسلات الإسلامى الدولى صندوق البريد رقم ٩٣٩ بالقاهرة بمصر .



ليالى المـــلاح التائه

لللأستاذ الشاعر على محمود طه

بقلم الأستاذ خليل هنداوى

ليس أحب على النفس التي تحيا فى هذا الجو الضيق الذى حل فيه الربيع بجوا كبه عابساً يائساً من أن تنطلق فى الحياة انطلاقة « الملاح التائه » الذى يخبط على غير هدى ، لا غرض له من هذا الخبط إلا أن ينطلق وينطلق ! فيضيع عن الشاطئ عبر هذا اليم الذى تلاشى عن عينيه شاطئه ، وأصبح يحمل الموج لمن يسأل عنه صدى ألحانه ، وفى هذه الألحان شوق غلاب ووجد ملح

حياة هذا « الملاح التائه » ، هى ذات حياة ذلك البوهيمى الذى انطلق من قيود الحياة ، وراح يطلب لذتها للذتها . إلا أن البوهيمى قريب منا حينما نطلبه ؛ أما ذلك « الملاح التائه » ، فقد انفصل عنا حتى ضنَّت الأمواج علينا بالإبقاء على آثار زورقه ! فنحن نسمع أصداءه ، ولكن لا نعرف مصدر تلك الأصداء ؛ ونطرب لألحانه المقبلة مع الموج المتهدل ، ولكن هذه الألحان تبقى مجهولة الإيحاء !

أين صاحبها ؟ وأية موجة تلفُّ الآن زورقه ؟ وأى شاطئ مرصَّع تفتَّح أمام عينيه ؟ أذكر أننى تلوت نقداً لديوانه الأول يلوم الشاعر على أنه يهمل مشاهد بلاده ، ويمعن فى وصف مشاهد غريبة عنه وعن أهله ؛ ولكن غرب عن الناقد أن — شاعرنا ملاح تائه — يعبر كل البحور، ويرف ناظره على كل الشواطئ، ويكحل جفنه بأى نوع من الجمال . ومتى انطلق الشاعر من هذه الحدود ، ترائى أمام طرفه ، لا نهاية فسيحة تبدو عليها حدودنا خطوطاً تكاد تلوح كباقى الوشم إزاء عالمه الفسيح !

وفى « ليالى الملاح التائه » مشاهد غريبة — عن غير هـذا الشاعر — توحى إليه عاطفة شديدة الإحساس ، لكنها فى هـذه المرة لا تكاد ترتدى — الإنسانية — رداء حتى يردها إلى الأرض التى انفصلت عنها نوازع فيها الوجد والحنين والاضطراب والكآبة ... وكل هؤلاء نعم القرين للشاعر ! وإذا كان لا بد من النقد ، فإننى آخذ على صاحب الليالى حشده لبعض مقطعات ليست من وحى الملاح التائه ! وليست أخوات تلك الرعشات التى تأتى متآخية مع رعشات الأمواج ! وأولى بمثل هـذا الشاعر الصافى أن يتجرد كثيراً من شعر المناسبات . ومن أولى من الملاح التائه بالتجرد من هذا ؟ وهو الذى وقف حياته على الشعر الصافى ... ؟

أول ألحان « الملاح التائه » أغنية سامية أعدها فتحاً جديداً فى عالم الشعر والغناء ، هى « أغنية الجندول » التى نظمها خير شاعر ولحنها خير فنان ، قد امتزجت فيها عبقرية الشعر وعبقرية الفن ، حتى لتحار فى هـذا الامتزاج الغريب الذى ترك للقطعة قيمة خاصة تذكرنا بالشعر العربى الوجدانى ، ولعلها تمت بصلة أو صلات إلى الموشحات ؛ ولكن تلك الأغنية أصدق عاطفة ، وأبعد تأثيراً فى النفس ، لأن العاطفة المجردة بنشت بها دون أن تترك مجالاً لتغلب الصبغة الكلامية ... ولعل هذه الأغنية هى أروع أغانى « الملاح التائه » لأنها تصور حياة هذا البوهيمى الذى يعالجه حنينان : حنين إلى مجالى الهوى ، وأين تلك المجالى ! وحنين إلى أرضه المتواضعة التى يصارعه الشوق إليها . حنينه الأول إلى كأس يتشعّى الكرم خمره ، وحبيب يتمنى الكأس ثغره ... هـذا الحنين عاوده وأنساه كل شىء ... وبات من أجله يضيِّع فى الأوهام عمره! ولكن الذكرى تناديه، والشوق إلى وطنه يهتف به ... فيشعر بغربته شعوراً كاملاً ، ولا يزيد على شعوره هذا شيئاً

قال من أين وأصغى ورنا قلت من مصر غريب ههنا !

هذا البوهيمى نفسه يمر على الخيام فيقف عنده ، وهو الذى لا يقف فى مكان، وهنالك يرسل لحناً يعد أعمق ما أرسله من ألحانه

فى لياليه ، وأنى لنا أن نتمثل هذا البوهيمى الذى أضناه جوب البحار وشق القفار ، حتى وقف عند باب هذا الخمار !

كلما لألأ فى الشرق السنا دقت الباب الأكف الناحلة
أيها الخمار ! قم وافتح لنا واسقنا قبل رحيل القافلة

وما عسى يسقيه هذا الخمار الذى جمع خمره من كرم غريب من الكروم وعصرها من عناقيد ترى فيها :

كل عنقود دموع جمدت وقلوب فنيت فيها شعاعا
ما احتواها الفجر إلا اتقدت جمرة تذكو حنيناً والتياعا

وبعد السكر يناجى الخيام بمثل ما عاوده فى حياته ، وفى هذه النجوى صمود شاعر :

صرخت آلامه فى كوبه فهوى يثأر من آلامه
إنما البعث الذى تشدو به يقظة المفجوع فى أحلامه !

لله ما أروع هذا البعث ؟ ولكن حسبه تعزية :

... ... أنا سنحيا فى غـد ، مثل حياة الزهر
وستطوى الأبد المجهول لحيا جددَ الأطياف شتّى الصور
حسبها تعزية أن نحلما بأناشيد الصباح المنتظر
وتشق الأرض عن وجه السما حيث نور الشمس أوضوء القمر
ربما جـدّد أو هاج لنا نبأ ، أو قصةً من حبنا
نوح ورقاء أرنت حولنا أو صدى قبرةٍ مرت بنا
... ...

فى الديوان شعر كثير ، وخطرات تدل على قلب شاعر : وللشاعر قدرة عظيمة بنقل الحوادث الخاصة بروح إنسانية كما فعل فى قصيدة «مصرع الربان» . ولعل بين هذا الربان وهذا الملاح نسباً . هـذا الربان هو الكابتن (ماكيج جونس) ربان حاملة الطائرات كوراجيوس التى أغرقتها غواصة ألمانية فى بدء الحرب الحاضرة ، فآثر الموت غريقاً مع سفينته على الحياة بعدها . ولما بلغ الماء هامته ، ألقى بقبعته على الموج إجلالاً للموت وإكباراً للبحر الذى حمله حياً وضمه ميتاً ! ولم يجد الشاعر فى هذه الحادثة مهرباً من وصف ذلك العدو الخاق القاتل ... وهو وصف دانٍ جداً من وصف شوقى للنواصة . وما أدنى المشابهة حين يقول :

رماك فى جنبات اليم محترب خاق القاتل عند الروع فرار
ترصدتك مراميه ولو وقعت عليه عيناك لم تنقذه أقدار

وأبدعْ بتلك الصورة التى خلدها الشاعر

وغاب كل مشيدٍ غير قبعة ذكرى من الشرف العالى وتذكار
ألقيتها ، فتلقّى الموج معقدها كما تلقّى جبين الفائح الغار

وهذه قصيدة وليدة البحر ، لو لم يقع عليها الملاح التائه أثناء تطوافه لم يلقها ، لكن الباعث عليها يختلف عن جملة البواعث الأخرى ، لأنه باعث الحياة التى تهتز بانفجار ، وتأبى الحياة إلا لجاءة واقتحام أخطار

* * *

شعر فيه جميع عناصر الشعر !

زودّينا من مثل هذا الشعر يا مصر !

وهل الشعر إلا نشوة علوية وشعاع كأس لم يقبّلها فم ؟!

خليل هنداوى



الرجل الذي لا يقاوم

للأستاذ نجيب محفوظ

في تلك اللحظة التي لا تنسى حين وجه المأذون سؤاله الفاتن إلى صابر افندي عبد الخالق : «هل تقبل نكاحها؟» . ثم عطفه إلى الآنسة حياة الخضيري قائلاً: «هل تقبلين نكاحه؟». في تلك اللحظة التي لا تنسى تنهد قلبان ارتياحاً وغبطة بعد أن احترقا شوقاً وجوى عشرة أعوام تساوي مائة عام مما تعدون . وقد لهجت الألسن بالخبر السعيد أكثر مما ألفت أن تلهج بنبأ زواج . لأن الحب الذي آلف بين هذين الشخصين عشرة أعوام طوال كان ذاع أمره ، وجرى مجرى الأمثال ذكره ، فغدا نادرة يطرب لها الكواعب ويستدفئ بها العجائز في أحياء غمرة والسكاكيني والظاهر وغيرها من الأحياء القريبة التي شاهدت من آياته ما تهتز له النفوس وتخفق القلوب . وقد نمى هذا الحب واستبد . فهزء بالكبرياء ، وأزال الفوارق واستأدهما ما يطيقان وما لا يطيقان من التصبر والتجلد والإخلاص والوفاء ، فأدياها إليه عن طيب خاطر ، وقدما على مذبحه القرابين عاماً بعد عام . أما حياة فهي كريمة السيد شلبي الخضيري تاجر الأخشاب ذي الثروة الواسعة والجاه العريض ، والمكانة الملحوظة في أسواق التجارة وميادين السياسة والحياة النيابية ، وكانت إلى هذا حسناء في مقتبل العمر مشهوداً لها بالجمال الفائق والرشاقة الفاتنة . وأما صابر فمن أسرة فقيرة من عامة الشعب ، ارتقت به مدرسة الصنائع إلى وظيفة مهندس كهربائي بمصلحة الميكانيكا بمرتب ستة جنيهات . فوهبته قلبها وجمالها وصدقته المودة والإخلاص ، وأعرضت وفاء له عن عشاق ملحين عنيدين ، ورفضت أيادي شبان ذوي حسب ونسب وجاه ، منهم طبيب وجيه ، وضابط بوليس يعبث شريطه الأحمر بالأفئدة . فلم تطع سوى قلبها العاشق المفتون . وحافظ هو من ناحيته على عهدها ، وأخلص لها الحب ، وليس هذا بالشيء الذي يستهان به في مثل عصرنا هذا . وتحمل في سبيلها أذى كثيراً دأب والدها على توجيهه إليه قبل أن يسلمه اليأس من إذعان كريمته إلى قبوله . وفوق هذا ، فلم يكن مما يجذبه إليها جاذب الطمع في مال أو جاه أو ترق ، فكان حبه خالصاً نقياً . على أنه لم يعرف عنه مع ذلك أنه كان يغض الطرف قط عن حسان السكاكيني أو الظاهر ، وما كان يستطيع ذلك ، ولكن الحق الذي لا مراء فيه أنه احتفظ بقلبه وحبه لها دون بنات حواء جميعاً ... وشاء الحب أن يختتم ألم السنين بهذا الزواج . فقال أناس : إنه إذا كان الحب قد حكم أن يدعوهما دواماً إلى حدائق القبة وبساتين غمرة، فالزواج لا شك محتبسهما في بيته إلى الأبد، وأنه لن يرى بعد ذاك اليوم صابر أفندي إلا حين ذهابه إلى مصلحة الميكانيكا والكهرباء ، أو عند أوبته منها . وصدقت فراستهم ، ولكن شهراً واحداً رؤى الشاب بعده ذات مساء يغشى قهوة كان دائم التردد عليها أيام عزوبته ، وقد نفخت فيه الحياة الجديدة نضارة وسعادة ، فبدا أنيقاً جميلاً ، فلم يدهش لذلك رفاقه وتلقوه فرحين ... فغدا يغيب حيناً ويعاود أحياناً ، ثم اختفى ردحاً طويلاً فظنوا جميعاً أنه آثر هدوء البيت على ضجيج القهوة ، ولكن واحداً ممن يتطوعون لإذاعة الأخبار قال إنه يراه كل مساء يجلس أمام « صالون الكمال » في شارع قمر لا يبرح مكانه حتى يغلق « الصالون » أبوابه حوالي الساعة العاشرة . فوقع القول من النفوس موقع الدهشة وتساءلوا عما يغري صاحبهم بتجنبهم وملازمة صالون الكمال . وكان بينهم خبثاء متطفلون فلم يهدأ لهم بال حتى أرسلوا رسولاً منهم يستطلع الخبر . وعاد الرسول بما هو ادعى إلى الدهشة ، والإنكار قال : إن صابر عبد الخالق يسعى وراء حب جديد ، وإن التي شغفته حباً هذه المرة معلمة بروضة الأطفال تقيم بشقة في العمارة رقم ١٠ بشارع البستان المواجه لصالون الكمال ...

كيف أمكن أن يحدث هذا التحول الغريب ؟ هل خبا الحب الذي صمد للشدائد عشر سنوات بهذه السرعة ؟ . . . ترى هل خنقه الملل في شهر وبعض شهر ؟ . . . أم بددته الخيبة وانقشاع الأوهام ؟ ... وكيف مكن أن ينزع قلبه إلى

امرأة أخرى بهذه السهولة بعد أن تعود على حب زوجه ذاك الدهر الطويل ؟!

قبل أن نجيب على هذه الأسئلة ينبغي أن نعرف أكثر مما عرفنا إلى الآن من هو صابر عبد الخالق ؟

هو شاب فى الثلاثين له فضائله وله رذائله مثل جميع الناس. فمن فضائله احترامه لنفسه وحرصه على كرامته ومحافظته على آداب البيئة وتقاليدها المتوارثة ، وإن كان يشوب حماسه لهذه الفضائل ضيق آفاقه وانحصار ذهنه وضحل ثقافته مما يجعله ينحدر فى كثير من الأحايين إلى الصلف والتعصب . وأما رذائله فهى أدنى إلى الفكاهة منها إلى الشر وتدور جميعها حول الغرور ، والغرور الموجه إلى مزاياه الجسمانية قبل كل شىء . نعم لا أنكر أنه عظيم الثقة بمواهبه العقلية وقدرته الفنية كمهندس قليل النظير، ولكن تيهه بحسنه واعتداده بجماله يفوقان كل تقدير . وليس ثمت شك فى أنه يحظى بقسط من الوسامة والجمال فقد خلق الله له عينين سوداويين يظلهما حاجبان مقرونان ، وأنفاً مستقيما . ولكن عجبه فاق حسنه كثيراً وغلب أثره على فعاله وأقواله، وكان أمراً ملحوظاً لدى رفاقه منذ الصغر فاستبقوا إلى العبث به تارة بإطراء جماله ، وتارة بإبداء إشفاقهم على الحسان من وقعه وفعله . فما خطر له على بال أنهم يهزأون به؛ وازداد عجباً وما عتم أن غدا عجبه داء لا شفاء منه . ولذلك كان أحب الأشياء إلى نفسه أن يقف أمام المرآة يطالع صورته المحبوبة وقوامه الرشيق ويطيل النظر إلى عينيه الدعجاويين وثغره المليح المفتر عن ابتسامة وضاءة، المكلل بشارب « كلارك جابل » . كما كان أشق الأمور على نفسه أن يسعى إلى اقتناء بذلة يلف بها حسنه وشبابه . فما كان يطمئن ذوقه حتى يطوف بمحلات القاهرة التجارية جميعاً فاحصاً مفاضلاً بين الأصناف والألوان ، ومتى وفق إلى اختيار لون منها واجه متاعب التفصيل ، وتجاذبت عقله المودات الحديثة ، وأنهكت قواه البروفات المتتابعة ؛ ثم يمضى فى تخير القميص الموافق للبدلة ، ورباط الرقبة الملائم للقميص ، والمنديل الموائم لرباط الرقبة ، ولا ينسى — إتماماً للتناسق التام — الحذاء والجورب المناسبين . كان متأنقاً شديد الحساسية إلى حد الإرهاق . فكان الكواء يوجه إلى ثيابه عناية لا يوجهها لثياب أحد من زبائنه الآخرين . ويحلف الحلاق أنه يلاقى فى ترجيل شعره وتطرية شاربه من الجهد ما لا يلقاه طبيب يتصدى لحالة وضع خطير

لهذا لم يكن عجباً أن يستهين بتضحية زوجه فى سبيله ، وأن ينكر على القائل قوله : إن إخلاصها له نعمة يحسد عليها . بل كان فى أعماقه يعتقد أنه صاحب الفضل وأنها صاحبة الحظ التى يحسدها عليه بنات حواء جميعاً . كيف لا وقد وقف عليها جماله الذي تقتتل عليه أجمل الحسان ؟!... وقصة حبه الجديد آية على غروره قبل كل شىء . فلم تكن إلا أنه رأى فتاة تعبر شارع السلحدار ذات أصيل فراقه منظرها ، لأنها كانت ذات قد رشيق ووجه خمرى مستدير رقيق القسمات . بوله تناسقها فى النفس اشتياقاً ويورث فى الصدر حرارة. فتبدى على وجهه الرضا، وهز رأسه طرباً كأنه يتابع لحناً شجياً . وكان إلى جانبه ساعتئذ شاب من معارفه لم يفته ما بدا عليه. فأدنى رأسه من أذنه وقال بلهجة ذات معنى:

— حذار فالنظرة إلى هذه تعقبها حسرة

فأنكر صابر قول صاحبه وسأله ببساطة وعيناه تتعقبان الفتاة الجدة فى السير :

— وله ؟

فقال الشاب بخبث :

— لأنها فتاة جد ، لا تلوى فى سبيلها على شىء ولا تعير المتازلات أدنى التفات . وما تزال تتردد كل صباح وكل مساء ما بين بيتها فى شارع البستان وروضة الأطفال بشارع السلحدار مقتحمة أنظار المتطفلين كأنما تحتفظ بقلبها فى صندوق مغلق ضائع المفتاح

فساءه هذا الوصف وأحس بمرارة لما آنس فيه من تحد. وقال متفلسفاً على قدر عقله :

— قلب أى امرأة فى صندوق ضائع المفتاح كما تقول ، والعبرة بالرجل الأريب الذى يقدر على الظفر بهذا المفتاح . وهز منكبيه باستهانة وابتسم ابتسامة ساخرة مشبعة بالثقة والطمأنينة ، وودع الفتاة التى شارفت نهاية الطريق بنظرة وعيد . ولم يكن يداخله أى شك فى قدرته وفنه ، ولا تزعزعت ثقته بنفسه قط ، ومع

ذلك لم يرع قلبه ، ووجد فى كلام صاحبه تحدياً صريحاً لا يجوز السكوت عليه ؛ وجعل يتساءل فى غيظ وحنق : ترى هل يمكن حقاً أن تقتحمه هذه الدملة إذا تصدى لها ... ؟

هل يستعصى عليه العثور على المفتاح الضائع ؟ وتكدر صفوه تلك الليلة . وفى أصيل اليوم الثانى قصد إلى شارع السلحدار ، ومن الإنصاف أن نقول إنه لم يدفع بنية يتحرج لها ضمير زوج مخلص مثله ، وإنما ساقه انفعال غضب وعاطفة لا تنتكب الحق إذا قلنا إنها علمية إلى درجة ما ، لأنها كانت تتشوف إلى التحقق والتجريب . قصد إذاً إلى شارع السلحدار وانتظر . ثم رآها تبرز من باب المدرسة بقدها المشوق . فوثب وتحفز حتى إذا صارت منه على مرمى نظرة سدد إليها عينين فاتنيين ، ولكنها سارت لا تلوى على شيء كما قال صاحبه ، وضاعت النظرة فى الفضاء منضمة إلى أسرتها من الأنوار الكونية . فأحس بخيبة وأحنقه جفاؤها السكمونى ، فصر على أسنانه وسار فى أعقابها . ومضى يشاهد خصرها الدقيق وردفها المستوى ويقول لنفسه متعزياً « لو أصابتها النظرة لذاب جفاؤها كما يذوب الثلج تحت أشعة الشمس » . وأراد أن يلفتها إليه ، وتنحنح وسعل سعلة مؤدبة ، ولكنها لم تبد أدنى اهتمام ، فأوسع الخطى حتى حاذاها ، وكاد أن يلمس كتفها ، فأوسعت الخطى بدورها لتسبقه فاستبقا . وأدركت بلا ريب أن شخصاً يطاردها فالتفتت نحوه بغضب ، وكان يتربص للفرصة السعيدة فصوب إليها نظرته المشهورة ، فردت عليها بنظرة عنيفة كأنها تقول له : « مكانك يا هذا » . وتنحت عن سبيلها منعطفة إلى اليسار ثم انتهت المطاردة بانتهائها إلى العمارة رقم ١٠ بشارع البستان وتردد أمام العمارة مرتين ، ولم يجد بداً من العودة فقفل راجعاً . وكان مهموماً مغتماً كمن يقفل من معركة دامية لا مطاردة غرامية . وما كان يشعر بأى إحساس من أحاسيس الحب أو الفتنة ، ولكن كانت تضطرم فى قلبه عواطف الكفاح والقتال وبات ليلته وقد صدقت عزيمته على الجهاد إلى النهاية

وتوجه فى أصيل غده إلى المكان نفسه ـ وانتظر حتى رآها تسير نحوه فى مشيتها التى تجمع بين الرشاقة والشدة فتبعها على الأثر ، وأدرك لأول وهلة أنها لا تجهل تعقبه لها وأنها برمة ضيقة به ، ولكنه سار فى طريقه غير حافل بتذمرها ، لأنه كان عنيداً مثابراً ملحاحاً ؛ فكان جزاؤه نظرة أشد من نظرة الأمس . وفى اليوم الذى بعده خرجت عن صمتها بأن قالت له بلهجة خشنة صارمة : « من فضلك بلاش قلة أدب » . وفى اليوم الرابع قالت له بنفس اللهجة « شيء بارد » . وقالت له فى اليوم الخامس وهى تحدجه بنظرة وعيد « إذا لم ترتدع عن هذا السلوك الشائن ناديت الشرطى » ، ولما كانا فى اليوم السادس لاذت بالصمت يأساً وتجاهلته ، ولكنها لم تناد الشرطى ، فتنهد ارتياحاً وعد سكوتها فوزاً مبيناً . وأخذته نشوة طرب فسال لسانه بكلام ـ وإن يكن مبتذلاً غاية الابتذال ، ويحفظه جميع من هم على شاكلته عن ظهر قلب ـ إلا أنه كان يحسبه من الرقى الغرامية كنظرة عينيه سواء بسواء . قال لها : « يا معجباً بنفسه يا شديد الجفاء بغير سبب . يا تياها بجماله ، هل ذنبى أنا أنك جميل ولا نظير لك فى الكائنات . وهل جرى أن لى قلباً يشعر ويهيم بالجمال . أيصح أن تنذريني بالأمس بالشرطى . وهل ينادى الشرطى للعاشقين ... الشرفاء ... أمثالى ، ومع ذلك نادى الشرطى ، بل نادى الموت نفسه فلن أبرح حتى أسمع من الفم الصغير هذا — الذى يحاول خنق ابتسامة بريئة بغير ذنب — ما يدنينى إلى أملى ... »

ولم يعد يقنع بالمطاردة القصيرة التى تبدأ فى شارع السلحدار وتنتهى فى شارع البستان ، ووجد فى موقع صالون الكمال من العمارة رقم ١٠ ما يشفى شوقه وطمعه . فانضم إلى زبائنه وتودد إلى صاحبه وجعل منه ناديه المفضل على كل مكان

وكان يندفع بادىء الأمر — كما قلنا — بقوة غضب ورغبة فى الغلبة . وكان يعتزم أن يقف ويتراجع حين تلين وتراخى . وكان يعود من كل مطاردة ـ فى أول عهده بها ـ ولا فكر له إلا عنادها وصلفها وغضبه وحنقه . ثم أخذت صور أخرى منها تتسلل بمهارة فائقة إلى مخيلته مثل قدها الرشيق وعنقها الطويل وقسماتها الصغيرة المتناسبة . ومضت هذه الصور تزحف على وجدانه من سراديب حواسه وتندس إلى زوايا قلبه وهو لاه عنها بحنقه وكفاحه . فغدا يتعرض لها مسوقاً بأشواق وحنين . وملبياً نداء يصعد من أغوار نفسه حتى أقر أخيراً فى إشفاق وقلق وذعر

أنه يحبها . وأن الداء يبرح به مرة أخرى . وصادف اكتشافه لحقيقة عواطفه تراخي الفتاة واستسلامها فلم يقف ولم يتراجع كما كان اعتزم . بل شد على يديها في حماس دافق واندفعا معاً في سبيل الحب . وفتحت له نفسها وبسطت أمام ناظريه صفحة حياتها البسيطة فعلم فوق ما كان يعلم عنها أنها تعيش مع أمها وخالتها ، وأنهما في غير حاجة مادية إليها وقد أكدت له ذلك تأكيداً لم يخف عليه مغزاه . أما هو فأخفى عنها جل نفسه فلم يدر لها بخلد أنه زوج وأنه إلى درجة ما عريس . وكان هـذا ما يكدر صفوه وينتزعه من سكرة أحلامه، فثل الصلة التي بينهما لا يمكن أن تدوم قانعة باللقاء صباح الجمعة بحديقة الوطن بهليوبوليس، ومساء الأحد بسينما ركس. وفضلاً عن ذلك لا يمكنه أن يتغاضى طويلاً عن تلميحها المستمر إلى موضوع الزواج . فلم ير بداً — حرصاً منه على الاحتفاظ بها — من مجاراتها في أحاديثها فما لبث أن جرى ذكر الزواج على لسانيهما وناقشاه على اعتبار أنه النهاية التي تهفو إليها نفساهما

وخطت درية خطوة أخرى فدعته إلى زيارة بيتها لتقدمه إلى أمها وخالتها . هنالك أسقط في يده لأنه ما كان يستطيع أن يلبي الدعوة ولا كان يدري كيف يرفضها ، والاعتذار لا يغني عن حالته طويلاً . فما عسى أن يفعل ؟ أيلوذ بالفرار ويختفي من أفقها إلى الأبد؟ قد يبدو هذا الحل على ما فيه من نذالة أوفق الحلول، ولكنه لم يستطع على شدة حرجه أن يأخذ به ، لأنه كان انفعالي المزاج لا يزع نفسه عن هوى. وكان في الحق قد غدا مستهاماً بها كلفاً. فألف صورتها وحديثها وإيماءاتها ألفة مازجت روحه وسمادته . فهل يعترف لها بالحقيقة ويسألها المغفرة ... ولا هذا استطاع لأنه أشفق من أن يأخذها الارتياع فتنفر من خداعه . أو تيأس منه فينصرف قلبها عنه . واشتدت به الحيرة وساورته الهموم وتشتت عقله بين شعاب مظلمة . وما فتئ يماطل ويسوف. وما يدري كيف يوفق بين هواه الجامح وظروفه القاسية .. حتى تبرعت المصادفات بالحل الموفق

وكان اليوم الجمعة وقد عاد إلى بيته — وكان يساكن حماه — في الساعة الرابعة مساء . وكان يترنم بأغنية بصوت خافت متناسياً أشجان قلبه إلى حين ، وفتح باب شقته في هدوء وهم بالدخول، فوجد نفسه وجهاً لوجه مع الآنسة درية . وخفق قلبه خفقة شديدة انخلعت لها ضلوعه ، وصاح وهو لا يدري : « أنتِ » . ولم تكن أقل منه دهشة ، فرددت قوله : « أنتَ » ! وعنـد ذاك فقط أدرك أن زوجه تقف إلى جانبها ، وإلى يمينها أخوها الصغير « توتو » ممسكا في يده بكراسة ... ومرت به لحظة رهيبة أحس بأن الأرض تميد به ، ولفه ذهول قهار ، فلم يستطع أن يكتم عواطفه ولا أن يداري افتضاحه ، وكانت الزوجة تراقبهما بعينين مرتابتين وقد امتقع وجهها وارتعدت شفتاها، ثم ارتسمت على فمها ابتسامة صفراء وسألت المعلمة قائلة بصوت متهدج :

— هل تعرفين زوجي ؟

ولم تدر الفتاة بماذا تجيب ، وقد دوت في أذنيها كلمة « زوجي » دوياً مزعجاً ، فرددت عينيها بين صابر وزوجه ثانية ، ثم خفضت عينيها الزائغتين واستولى عليها اليأس والغضب وانفلتت إلى الباب لا تلوي على شيء ، ولم تنبس بكلمة ولم تترك وراءها مكاناً لشك أو ارتياب

وكانت الزوجة تشعر بالفتور الذي اعتور علاقتهما وتتحير في تعرف أسبابه ، فعلمت أن لهـا غريمة وأن غريمتها هي معلمة « توتو » الجديدة، فغضبت غضبة نفست عن صدرها الكظيم. ونمت الفضيحة إلى أمها ، فاستفحل الخطب ، ولم تنته الليلة حتى حمل صابر حقيبته وعاد إلى بيته وحيداً كئيباً ... ولـكن الله سلم؛ ولم يبخل عليه بالغفران القلب الذي صدقه الحب عشرة أعوام فقفل إلى بيت الزوجية تائباً . وتراه الآن إذا ظهر في الطريق يسير متأنقاً مزهواً كعادته ، فإذا وقع بصره على وجه نضير أو قد رشيق ابتسم ابتسامة الزهد والكبرياء . فإذا خطر لأحد من صحبه أن يداعبه أو يتحداه ابتدره قائلاً : « حسبي ... حسبي ... لا أريد أن أجرح قلوباً بريئة »

نجيب محفوظ

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين ﴾



8me Année No. 364

Lundi - 24 - 6 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٦٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ جادى الأولى سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٤ يونيه سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

صفحة

فرنسا تنهـــار ؟!

سبحانك اللهم مالك الملك وصاحب القدرة ! أفى أقل من دورة القمر تخشع باريس محراب الأدب للقوة ، وتخضع فرنسا منجم الذهب للمادة ؟

أفى أسرع من كسرة بولندة والنرويج وهولندة والبلجيك ينهزم أبسل جيش على الأرض ، وتنهدم أرفع أمة فى التاريخ ؟

أبعد القارعة الكبرى ونجاة (فوش) من (فون كلوك) بالمعجزة الفاجئة يُخلد (بيتان) و(فيجان) إلى الدعة، ويسترسلان إلى النعيم، ويطمئنان إلى الأمن ، ويسالمان الأحداث فى أفياء «ماجينو» ، ويهملان الشباب فى أفناء (سان سير) ، فلا يهتمان بسلاح ولا يفكران فى خطة ؟

لقد كانت سيدان فى جسم الدفاع الفرنسى عرقوب أخيل : جثا فيها نابليون الثالث أمام بسمرك ، فلم يستطع (تيير) و (غمبتا) أن ينقذا شرف فرنسا ويفديا عاصمتها إلا ببذل الألزاس واللورين وخمسة مليارات من حُر الذهب . وانخرع فيها جيش (كوراب) فانثغر عندها خط الدفاع الرئيسى فوقعت الكارثة التى لا حيلة فيها ولا نجاة منها . وليس يدرى إلا الله ماذا يملى الدكتاتوران على فرنسا الضارعة من شروط الصلح فى (فرنكفورت) الثانية .
فكيف غفل القواد الفرنسيون عن هذا الثغر فلم يحصنوه ويؤمنوه ؟

لقد قال رئيس الحكومة الفرنسية : إن القيادة ارتكبت أخطاء لا يتصورها العقل ؛ وأشار رئيس الوزارة الإنجليزية إلى تهم لا يرى الوقت ملائماً للافضاء بها . ونحن نعيذ فرنسا مثل الوطنية العالية ونموذج العسكرية الرفيعة أن تكون ميداناً لجيش المتآمرية الخامس ؛ فا علم الناس على ضميرها الوطني من سوء ؛ وإنما نعتقد أن الديمقراطية دهاها ما دهاها من بطر الغنى وغرور الأمان واعتقاد السلامة . فلو أن الحلفاء يوم صرعوا الأفعى قطعوا ذنبها ورأسها لما تفتحت الجحيم عن شياطين النازية الذين زلزلوا الدنيا وبلبلوا العالم . ولكنهم دوخوها وسلخوها وتركوها في فجوة من الأرض تتحوى وتتقوى وتستمد ، وانطلقوا في جنتها الفيحاء ينعمون ويقصفون حتى أذهلتهم نشوة الفوز عن كيد الموتور وحنق المقهور ، فأغفلوا الحيطة وأهملوا العدة إلى أن انفجرت عليهم السموم من كل وجه . والدولتان الحليفتان قد اعترفتا بهذا الخطأ الذي جر عليهما هذه النكبة . فقد قال المستر تشرشل في خطبته الأخيرة : « لقد انهارت قوى العدو في سنة ١٩١٨ فجأة . فشاءت حماقتنا أن نلقيه جانباً ثم نستنيم إلى سكرة الفوز » . وقال المرشال بيتان في ندائه الأخير : « بعد انتصارنا على الألمان في سنة ١٩١٨ تغلب فينا مرح السرور على روح التضحية ، وحرص الناس أن يأخذوا أكثر مما أعطوا ، واستشعروا برد الراحة فأراحوا أنفسهم من عناء الجهد »

لذلك لم يكن بالعجيب أن تعقم فرنسا أم الأبطال فلم تنجب في زهاء ربع قرن من القادة العباقر من يخلف جوفر وفوش ، فاضطرها الأمر أن تلقي بمقاليدها إلى رجال المدرسة العسكرية القديمة كغاملان وبيتان ممن أوهنت السن العالية عواتقهم فلا يقوون على حمل النجاد

كذلك لم يكن بالعجيب أن يفجأهم النازيون بالخطط المبتكرة والأسلحة الحديثة، فيقفوا حائرين ذاهلين أمام الدبابات التي تقذف اللهب وتعبر النهر ، والطيارات التي تنقض كالصاعقة وترتفع كالقذيفة ؛ فيذهب غاملان ويجيء فيجان ، ويستقيل رينو ويتولى بيتان ؛ ولكن القدر القاهر فوق الناس يأبى إلا أن يكفّر المخطئ ويخسر الغافل

ليت شعري ماذا قال الفرنسي الحزين المهان المحطم حين سمع المرشال بيتان يقول ليلة الأمس في أول ندائه : « إننا في قلة من الجنود ، وقلة من الأسلحة ، وقلة من الحلفاء ، ولذلك انهزمنا » لعله قال : وأين إذن يا مارشالي العزيز السمي الذي سميته والمال الذي أدبته ؟ إن فرنسا وانجلترا ومستعمراتهما يبلغون ستمائة مليون نسمة ، فهل يجوز على مثل هذا العدد القلة والضعف لولا أن هناك خطأ من الإنسان أو خذلاناً من الله ؟

لقد برهن الفرنسيون في معركتهم الخاسرة أنهم جديرون بمكانهم من ثبت الشرف وتاريخ البطولة . وما غلبوا إلا لأن الديمقراطية التي يعتقدونها لا تفكر إلا في السلم ، ولا تتسلح إلا بالعهود والمواثيق والقوانين والشرف ، وأن الدكتاتورية التي يعادونها لا تفكر إلا في الحرب ولا تتسلح إلا بالحديد والنار والدعاية والخيانة والكذب

على أن الله عوّد فرنسا العريقة أن يحفظ عليها الشرف إذا شاء أن تخسر المعركة . وبقاء الشرف ضمان لبقاء العزة . والعزة حافز دائب الوخز يدفع إلى الحياة بالموت ، ويرفع إلى السيادة بالتضحية ويقيننا أن هذا الصلح الذليل الذي طلبه العسكريون عارض من اليأس أصابهم في حال سيئة . أما سائر الفرنسيين في القارة وفيما وراء البحر فسيختارون المنية إذا خُيِّروا بينها وبين الذلة

* * *

إن فرنسا المنكوبة ضحية جديدة لجبروت العلم الفاسد . والعلم الفاسد هو الذي قصدناه بالغضب في مقالنا الذي عقب عليه صديقنا الأستاذ العقاد . وهو الذي عناه المستر تشرشل في بيانه بقوله : « إننا إذا انهزمنا سقط العالم كله في عصر من الظلام سيكون أطول العصور وأشأمها بفضل العلوم الفاسدة »

وفساد العلم أن يضع الإنسان فيه شهواته الدنيا فيجعله شراً خالصاً لا خير فيه

ورحم الله جان جاك روسو فقد أجهد قريحته في التدليل على أن العلم يفسد الإنسان(١) ؛ ولو تنفس به العمر إلى عهد النازية لأيقن أن الإنسان هو الذي يفسد العلم!

احمد حسن الزيات

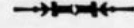
---

(١) Discours sur les sciences et les arts

مدينـــة النور

تعانى ظلام الخطوب

للدكتور زكى مبارك



قُضِىَ الأمر وسقطت باريس بين أيدى الألمان !

فمن كان يستبعد أن تميد الجبال فليعرف اليوم أن الوجود لا يعرف المستحيل . ومن كان يرتاب فى « يوم القيامة » يوم « الفَزَع الأكبر » فليتصور الساعة التاريخية التى اعترف فيها الجيش الفرنسى بأنْ لا فائدة من الدفاع عن باريس

ولكن أى جيش ؟

هو جيش صام عن النوم والطعام سبعة أيام إلى أن لم يبق من قُواه غير أشلاء ، وكان مع ذلك يحب أن يقاتل إلى أن يبيد وهو يذود عن باريس ، ولكنه خاف على ذخائرها الغالية فقرر أنها « مدينة مفتوحة » ومضى يقاتل قتال اليائس المستميت فى مواضع لا قِلاع فيها ولا حُصُون

إذاً حقت المخاوف وسقطت باريس ، باريس صاحبة الحق على جميع الشعوب بفضل ما علمت الناس أصول الثورة على الظلم والاضطهاد

فإن قال قائل إن باريس هى عاصمة فرنسا الاستعمارية، فليذكر أنه لم يَثُر ثائرٌ على الاستعمار فى مَشرق أو فى مغرب إلا وفى روحه جذوة من النار التى أوقدتها باريس للغضب على استعباد الشعوب

أقول هذا وقد لامنى صديقٌ على التوجع لمصير فرنسا فى مقال نشرته بجريدة الأهرام منذ أسابيع ، وكانت حجته أن فرنسا صنعتْ فى الشرق ما صنعتْ ، وأنه لا يجوز الحزن على أمة تحملها القوة على أن تبغى وتستطيل

وهل كنت أجهل عيوب الأمم الاستعمارية حتى يدلنى عليها ذلك الصديق ؟

إن الأسد هو الصورة العظيمة للبطش والفتك والافتراس، ولكن هل يشمت الحرُّ بالأسد حين يراه فى مدارج الضيم والاستذلال ؟

ذلك حالى فى التوجع لفرنسا الجريحة ، وقد حاربتها بقلمى مرات حتى صح لوزير الخارجية الفرنسية أن يعارض فى منحى وسام الأكاديمى سنة ١٩٣١ وهو سرٌّ لم أذعه قبل اليوم ، وما أذيعه الآن إلا ليعرف الصديق المتعتّب أنى لا أهتم بغير المعانى. وقد مُـنِحتُ ذلك الوسام بعد تلك الجفوة فى سنة ١٩٣٦ فلم أر فيه إلا تحية لرجل يصادق فرنسا صداقة علمية لا سياسية.

ومن كان فى مثل وطنيتى فهو فوق الشُّبهات والظنون ، والصدق فى الوطنية من أشرف الأرزاق

إن الضعيف هو الذى يشمتُ بالقَوىّ حين تزلّ قدماه ، فليعرف ذلك من يحس الشماتة بمدينة النور ، على عهودها الزواهر أطيب التحيات !

وهل أملك إخفاء حسراتى على ما صارت إليه باريس ؟

وهل يستطيع أديبٌ ألمانىٌّ أن يُخفى لوعته على مصير تلك المدينة وهو عدوٌّ حتى يستطيع أديبٌ مصرىٌّ أن يخفى لوعته وهو صديق ؟

حدثتنا البرقيات أن الجنود الألمان طافوا بشوارع باريس وهى خالية ، فأىُّ أديبٍ لا يتفطَّر قلبه حُزْناً حين يسمعُ أن شوارع باريس عرفت الهدوء لحظة من زمان ؟

هى لفتة من لفتات الدهر الغادر الذى يرى كسوف الشمس وخسوف القمر ضرباً من ضروب المزاح

هى وثبة من وثبات القدر الذى يزلزل الوجود حين يشاء

فمن كانت عنده بقية من الصبر على مكاره الأيام فليتفضل علىّ بكلمة عزاء لأتناسى أصدقائى فى باريس ، أصدقاء العهد الجميل يوم كنت طالباً فى السوربون ، السوربون التى صارت اليوم قفراً يباباً لا يطوف بأركانه غير الشامتين من غُلْف القلوب

باسم القوة غُزِيت باريس ، وذلك جزاءٌ وِفاق ، فليس فى باريس مكان إلا وهو ندِىُّ الثرى بالدماء المسفوكة فى سبيل الحرية ، والحرية من أسماء القوة ، والرجل الحرُّ لا يرضى الموت بغير السيف ، وكذلك تستشهد باريس . فإن استطاع الألمان أن يخمدوا اللهب الذى يتوقد فوق قبر « الجندى المجهول » تحت « قوس النصر » فسيذكرون بعد حين أن تلك الجذوة ستنقلب إلى سعير يفتك بجماجم الأضغان ، ويرد الدنيا إلى عهدها القديم يوم كانت دار علوم وآداب وفنون ، كما كانت لعهد باريس قبل أن يحولها الغزو إلى أشباح لا تملك الجواب بغير الصمت البليغ !

إن لبست باريس أثواب الحِداد فى سنة ١٩٤٠ فقد ألبست برلين أثواب الحِداد فى سنة ١٩١٨ . والحروبُ قصاص ، وكما

يَدين الفتى يُدان . وهنيئاً لمن يحمل السيف فينتصر فى وقائع ويهزم فى وقائع ، فما الحياة الحق إلا عراكٌ ونضال وقتال

ومن ظنّ ممن يلاقى الحروب بأن لا يصاب فقد ظنّ عجْزَا

وهل كفت باريس عن الدعوة إلى الحرب حتى تنكر عواقب الحرب ؟

فى باريس مئات من التماثيل لعظماء الرجال الذين كافحوا فى مختلف الميادين ، وفى كل خطوة يخطوها زوّار باريس أثرٌ ينطق بأن مدينة النور لا تعرف الحياة فى غير الصراع والصيال ، فما جَزَعُك يا باريس وأنت صيرت الحرب من شرائع الوجود ؟

إن قوة الألمان فيضٌ من قوتك يا باريس ، فأنت غرستِ الحقد فى صدورهم ، وأنت قهرتِهم على أن يتربصوا بك الدوائر عشرين سنة ليلقَوك بأفئدة موتورة لا يشفى غليلها غير الولوغ فى دماء الرجال

فبفضلك استطال الألمان يا باريس ولولا خشيتهم مما تملكين من عظمة وجَبَرُوت لما وصلوا فى التسلح إلى الحد الذى يسمح بأن يقهروك على إلقاء المقاليد

وانهزامُك يا باريس سيكون درساً لأبناء الجيل الجديد ، وبه يعرفون أن لا قيمة للاعتماد على التاريخ ، وأن لا قيمة للتمدح بالفضائل الإنسانية ، فما زال أبناء حوّاء يخضعون لفطرتهم القديمة يوم كانوا من جيوش الغريزة قبل أن يصيروا من رجال الوجدان

ألم أشهد العجائب فى الأعوام التى قضيتها فى السوربون ؟

كان شبان فرنسا فى ذلك العهد يرون الحرب من بقايا الوحشية ، ويَتواصَوْن بأن يكونوا أنصاراً للسلام مهما تقلبت الظروف ، ثم سمعتُ بعد أن فارقت باريس أن أقطاب فرنسا يختلفون حول فكرة التسلح وأن فيهم من يرى أن ترصد جميع أموال الدولة للمنشآت العمرانية والمدنية

وذلك ذنبك يا باريس ، فأنت وثقت باعتدال الموازين قبل أن تستعد فطرة الإنسان الحيوانية للترحيب باعتدال الموازين

ولو كانت باريس غير باريس لعرف أهلها أن فى الدنيا خلائق تعيش بغرائز موروثة عن العهود التى سبقت التاريخ

إن الورد يعتصم بالشوك ، فكيف فات باريس أن تعتصم بالسلاح ؟

تلك هفوة سيكفّر عنها أبناء الجيل الجديد فى باريس يوم تنجلى الغُمّة بعد أن تضع الحرب أوزارها الثقال

ولكن متى ؟

إن انتظار السلام قد يطول !

* * *

فى أى المحامد والمحاسن والمناقب يفكر الرجل حين يجزع لهلواك يا باريس ؟

أيذكر أن مطابعك كانت تخرج نحو سبعين كتاباً فى اليوم الواحد ؟

أيذكر أن مكاتبك مرجع لجميع ما أبدعت العقول الإنسانية فى القديم والحديث ؟

أيذكر أنك صورة الإنسانية ، الصورة المجسّمة التى تمثّل ما تملك الإنسانية من آراء وأهواء ، وحقائق وأباطيل ؟

أيذكر أنك أرحب ميدان للصراع بين الحلم والجهل ، والشك واليقين ؟

أيذكر أن معاهدك العلمية والأدبية والفنية كانت النّبراس لأهل العقول والأفكار والأذواق فى أكثر بقاع الأرض ، وأن ولين نفسها لم تنجُ من الافتتان بسحرك القهار ؟

أيذكر أن النشوة الروحية لا تقع إلا لمن يفتح عينيه على نورك الوهّاج أول مرة ؟

وما أسعد من يراك يا باريس أول مرة قبل أن يألف مناظر الفردوس ! وهل يحقّ السلوة لمن يطول عهده بجمالك الفتّان ؟

قد ينسى الناس محامدك يا باريس ، إلا محمدةً واحدة ستبقى فى ذاكرة الخلود

فأعداؤك يا باريس لم يكونوا يجدون الأمن والعافية إلا فى ربوعك الضواحك ، وما استطاعت المطابع فى أى أرض أن تذيع الطعن فى فرنسا كما استطاعت مطابع باريس ؟ وما شُتِمتْ فرنسا فى أى بلد كما شُتِمتْ فى باريس !

لم تكن باريس وطناً خالصاً للفرنسيين ، وإنما كانت أوطاناً لطوائف من المفكرين والثائرين يغدون إليها من كل فج ويطمئنون أهلها إن أرادوا بلا رقيب ولا حسيب

كانت باريس هى المنفَى الأمين لمن تلفظهم حكوماتهم من أصحاب المبادئ والمذاهب ، وكانت منتدياتها مجالاً للثائرين على موروث الأفكار والتقاليد من سائر أبناء الشعوب

كانت باريس هى الملعب الذى تراض فيه عضلات الأفكار على المُرونة والعُنف

كانت باريس حرباً على أهلها بفضل تلك الحرية ، ولكنها كانت تشعر بالأبوّة الرحيمة لكل من يلجأ إليها ، ولو كان من دعاة الهدم والتخريب

كانت باريس تعرف أن نشر المعاد من الأفكار الموروثة لا يحتاج إلى حماية ، فنى مقدور كل مخلوق أن يذيع الآراء التقليدية حيث شاء ، وكذلك رأت باريس أن تكون حامية الفكر المحرَّر من جميع القيود ، وفى رحابها ترعرعت المبادئ الجوامح التى صارت عدة أعدائها من الروس والألمان والطليان

فكيف صِرتِ اليوم يا باريس ؟ وكيف تصيرين بعد اليوم ؟

أنا أعرف أن جراحك لن تندمل فى يوم أو يومين ، واللحظة الواحدة من آلام الأحرار تُقدَّر بأعوام طوال ، فماذا تنوين وقد قهركِ بَنِي الأعداء على اعتناق مبدأ الحقد الأسود ؟

فى رحابك اليوم شيوخ وأطفال لا يفتحون عيونهم إلا على ظُلُمات من فوقها ظُلُمات ، فهل تختنق البشاشة الروحية والوجدانية من أدبك الرفيع ؟ وهل يَحُلّ النفاق محل الصراحة بعد أن دفعت الأثمان الغالية فى عقوبة الترحيب بالرأى الصريح ؟

وهل تصيرين مثل موسكو وروما وبرلين فى خضوع الأفكار والمذاهب للسلطة العسكرية ؟

أنا لا أخاف أن تموت باريس ، وإنما أخاف على باريس عادية الجمود

إن أبناء باريس حاولوا تخريبها مرات كثيرة بسبب العداوات الحزبية ، ولم يُفلحوا ، فكيف يُفلح فى تخريبها الأعداء ؟ وهل خُلِقتْ باريس للموت ، وهى أسطعُ جذوات الخلود ؟

أحب أن أعرف ما الذى ستصير إليه باريس بعد اليوم ؟

أحب أن أعرف مصير الحرية الفكرية فى هذا الوجود الموبوء بأنفاس المُرائين والمخادعين ؟

لم أتفجعْ على باريس لقرابة أو جِوار ، وإنما أتفجع على باريس لما بيننا وبينها من أنساب علمية وروحية ، فإليها يرجع الفضل فى تخريج من عرفنا من كبار الأدباء والزعماء ، وتلك وشائج لا ينساها إلا من ابتلاه الله برذيلة الجحود

سيعضُّ قومٌ بنان الندم على الشماتة بمدينة النور ، يوم يعرفون أنْ لم يبق فى الدنيا مكان تذاع فيه آراء الأحرار بلا تهيب ولا إشفاق بعد خمود باريس

لا بُدّ للفكر من مدينة فى مثل صراحة باريس وسماحة باريس ، فإلى أين يذهب الفكر وقد ضُرِب الحرَج على باريس ؟

إن الفكر هو أثمن ما غنِمت الإنسانية ، وبفضل الفكر الحرّ عرف الإنسان قيمة الوجود

لا بدّ للعالم الفكرّ من باريس ولو رُفعت فوق ذراها راية الصليب المعقوف !

وهل أُطفِئت أنوار أثينا الفكرية بعد أن دحرها الرومان ؟

وهل أُطفِئت أنوار بغداد الفكرية بعد أن غلبها التتار المجرمون ؟

وهل استطاع الذين حاربوا القاهرة مئات السنين أن يحجبوا أنوارها عن الشرق ؟

المدُن الفكرية لا تموت ، وكيف يموت الفكر وهو أطول عمراً من الزمان ؟

* * *

أما بعد ، فهذه كلمة فاض بها قلبٌ يتوجع لأحزان باريس ، وطن أساتذتى الأماجد من أمثال مورنيه وتونلا وشامار وميشو وديبويه ومَرسيه وديمومبين ولالاند وماسينيون ، وطن المكاتب التى كنت أقضى فيها سهراتى بالمجان حين كان يُعوزنى المال لقضاء السهرات فى مراتع اللهو والفُتون

هذه كلمة فى التفجع لمصير المدينة التى قضيت فيها أطيب الأعوام من شبابى ، المدينة التى أوحت إلى قلمى كتاب « ذكريات باريس »

فإن ترجع الأيام بعد الذى مضى
بذى الأثل صيفاً مثل صيفى ومَربعى
شددتُ بأعناق النوى بعد هذه
مَرائرَ إن جاذبتها لم تقطّع

وسنلتقى يا باريس ولو بعد حين وقد طَبّ الزمان لجراحك الداميات !

كيف الحال فى بولنيش يا باريس ؟

وكيف الحال فى الشانزليزيه ؟

وكيف الحال فى فرساى وقد قيل فيه ما قيل ؟

وكيف الحال فى دار المكتبة الأهلية ؟

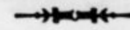
وكيف حال الساهرين على شواطئ السين ، إن بَقِىَ للسمر مجالٌ على شواطئ السين ؟

وكيف حال اللاهين واللاعبين بين القصر الكبير والقصر الصغير فى الطريق إلى ميدان الأنفليد ؟

حركات الإصلاح الإسلامية

٤ – أزمة إسلامية

للدكتور على حسن عبد القادر



أما حركة التجديد الإسلامية بمصر فقد صدرت عن عوامل وأسباب أخرى غير التى ذكرناها عن حركة الهند ، وإن كانت قد سلكت نفس الطريق ، وجاءت بنتائج متشابهة . ونحن لا نستطيع أن نجزم بأن الحركة الهندية كان لها أثر فى حركة الإصلاح المصرية . وإذا ما تصفحنا ما كتبوه من رسائل وكتب فإنا لا نجد بينهما أى ارتباط . ويظهر لنا واضحاً ما بينهما من فرق إذا عرفنا أن الروح التى سادت الحركة الهندية كانت « روحاً ثقافية » جاءت من التفكير والنظر الذى كان نتيجة اتصال الإسلام بالحضارة الأوربية ، وجهودهم الإصلاحية كانت تحت تأثير أوربى ، أما الناحية الدينية عندهم فكانت أمراً ثانوياً . والحركة المصرية كانت ، على الضد من هذا ، حركة دينية نتيجة تفكير ونظر دينى ، وسلكت طريق الإصلاح مستقلة عن أى نفوذ أجنبى ، فهى عند ما ترفض أعمالاً أو بدعاً لا تردها على أساس أنها « معادية للتمدن والحضارة » بل لأنها « معادية للاسلام » مخالفة للقرآن والسنة الصحيحة ، كما أن البدع القائمة على الحديث كانت ترد على أساس من علوم النقد الإسلامى فى الجرح والتعديل . وهى تهتم من ناحية أخرى بخلقية الإنسان كمسلم وكشرقى ، وتكره التقليد الأعمى للأوربيين ، وتحذر من أضراره ، حريصة جد الحرص على « الخلقية العربية الإسلامية »

وهنا فى مصر حيث يقوم منذ قرون الجامع الأزهر ، هذا المركز العالمى العظيم للعلوم الإسلامية ، والذى كان يسير على طريقة قديمة جامدة ، ترتبط حركة الإصلاح باسم الإمام محمد عبده تلميذ جمال الدين الأفغانى المتلئ به إعجاباً (١)

وقد كان محمد عبده من طلاب الأزهر ومن علماء الدين ، ثم صادفته أزمات داخلية طويلة حتى عرف جمال الدين أثناء مقامه بمصر فرسم له الطريق الذى سار عليه فيما بعد ، وسلكه وسط زعازع ومنازعات داخلية وخارجية انتهت به — مع الارتباط بالحركة العرابية — إلى النفى من مصر . وبعد ذلك وصل إلى مركز الإفتاء ونال اعترافاً عاماً ونفوذاً كبيراً ، وكان ولا يزال موضع عداوة قاسية من طبقة المتزمتين الجامدين

وأنه وإن كان فيما انتهى إليه قد صبغ الإصلاح بمصر بلون خاص – مع العلم بأنه كان ضد النفوذ الغربى – فإن الاسم الذى أطلقه عليه جولدزيهر بأنه « ذو ثقافة وهابية » أقرب الأسماء إليه وأولاها به . فمن الحق أن نقرر أن هذا العامل هو الذى يفسر لنا إصلاحات محمد عبده الدينية التى لا ارتباط بينها وبين الحركة الهندية . وأن ما أسماه جولدزيهر « ثقافة وهابية ليس معناه أن هذه الخطة قد جاءته مباشرة من الوهابيين ، وإنما غرضه التفريق بين حركة الثقافة فى الهند والحركة المصرية التى تسودها العوامل الدينية وترفض مالا يقره الدين، الأمر الذى لا شك فى كونه أثراً جاء من العربية الخالصة

(١) راجع على الأخص عن الحركة المصرية : Goldziher, Die Richtungen dès islamischen Koranauslegung, S. 320 ff.
وراجع أيضاً عن حياة محمد عبده وأعماله مقدمة : Mohammed Abdou, Rissalat al Tawhid, Exposé de la religion musulmane, trad. par B. Michel et Mostafa Abdel Razik (Paris 1925)

وأين مواعيد الصبابة والوجد فى ساحاتك الفيحاء ؟

وأين استقبال الغاديات والرائحات فى الضحى والأصيل حول مخازن السماريتين ؟

وأين صبح الأحد فى متحف اللوفر وعصر الأحد فى حديقة النبات ؟

وأين الصوت On ferme ! ليرجع العشاق إلى مخادعهم بعد العبث بأزهار البساتين ؟

وأين ؟ وأين ؟ وأين ؟

هى دنيا تذوقين من بأسائها بعض ما ذقتُ بعد فراقك الأليم

فيا مرجع روحى بعد القاهرة وبغداد وسنتريس ، ويا صاحبة الفضل على أكثر ما نظمتُ من قصائد وما نشرتُ من مؤلفات ، ويا وطن الجنرال بونال الذى كانت داره مَلاذ غربتى ، ويا وطن الكوليج دى فرانس ومدرسة اللغات الشرقية والسوربون ، ويا وطن الصديق الحميم دى كومنين أقدم إليك أصدق التحيات وأنا واثق بنصيبك الأعظم من الخلود

زكى مبارك

وكان لسان حال مدرسة الإمام محمد عبده مجلة المنار التي يحررها رشيد رضا السوري التي أخذت تنازع في الإجماع المنعقد على المذاهب وتقليدها وتطالب بالاجتهاد على أساس القرآن والسنة. فقد رأت هذه المدرسة، مثل مدرسة الهند، أن الإسلام دين عالمي موافق لكل الشعوب وكل العصور، متفق مع الحضارة، ولكن على شرط ألا يأخذ بمذهب واحد من المذاهب، بل يجب الرجوع إلى القرآن والسنة الصحيحة، فهي ترى مثل الإمام الغزالي الذي صرح بهذه الفكرة منذ ثمانية قرون أن المفتاح لشرح الحالة التي طغت على الإسلام، إنما هو في جمود المذاهب الأربعة وانحصار العلم فيها وحدها؛ تلك المذاهب المتخالفة، وما فيها من تكرر عتيق، ومماحكات غير نافعة، وما تلاها من فقه المتأخرين، ليست هي الإسلام والدين، وإنما ذلك في القرآن والسنة. وأغلب ما في هذه المذاهب إنما يقوم على الاشتغال بفروع جزئية تتغير بتغير البلاد والأوقات وتخضع للتغيير تبعاً للعلاقات الاجتماعية، ومثل هذا لا يصح أن يسلك به في سلك ديني ثابت لكل زمن غير قابل للأخذ والرد. وكان من أثر هذه المذاهب الاختلافات التي حدثت في الإسلام مما وقف ازدهاره. وهكذا رفضت هذه المدرسة أساس المذاهب الفقهية القائم على (اختلاف أمتي رحمة)؛ وقالت: إن الأمر بالعكس. وطعنت في صحة هذا الحديث الذي يخالف آيات كثيرة من القرآن. وقالت أيضاً: إن الوحدة والمرونة إنما تكون بالرجوع إلى القرآن والسنة وحدهما حيث توافق الشريعة الحياة في كل وقت وكل حال، وبهذا يمكن الرجوع بالإسلام إلى حالة القوة والشباب[1]

كما رأت هذه المدرسة أن باب الاجتهاد لم يقفل بل إنه مفتوح على مصراعيه لبحث كل المسائل الطارئة. وليس الحكم فيها خاضعاً لحرفية النصوص، بل يجب اعتبار مصلحة العالم الإسلامي أولاً وقبل كل شيء «وليس الشرع محصوراً في جلود كتب الحنفية». فإذا ما قام الفقه على هذين الأساسين: الاجتهاد والمصلحة؛ فإنه يكون صالحاً لكل زمان ومكان، وقابلاً لما تقضي به الضرورة من أمور تدعو إليها المصلحة وموافقة العصر. وحينئذ يمكن الرد على الذين يزعمون أن الفقه الإسلامي إنما هو لزمن خاص ومكان خاص، وليس عاماً لكل الشعوب وفي كل الأوقات

ونظراً لأن الإمام محمد عبده كانت له شخصية دينية عميقة لأنه كان من مدرسة صوفية، فإن الإصلاح الإسلامي بمصر كان — مخالفاً في هذا الحركة الهندية — يمتاز بأساس من الإيمان والمحافظة وبروح حارة من التقوى. ولما كان يسود الاعتقاد بسمو الوحي ورفعته، جاء الاقتناع القوي بأن العلم والدين عند الفهم الصحيح أخوان لا يختلفان، وعلى هذا الأساس لم يرفض محمد عبده الأخذ مع الحرية الكاملة بالإصلاح العلمي

حقاً إنه لا يمكن أن يكتم أنه عند ما يحدث في بعض الأحيان خلاف بين العقل والسنة فإنه يجب الأخذ بالأول، بل إنه زيادة على هذا تجب مراعاة حالة الأمة والظروف، فيقدم ذلك على النص الصريح. أما مماحكات الفقهاء فقد رفضت بشدة من محمد عبده ومدرسته، ووضع بدلاً من ذلك القديم المتفتت جديد مأخوذ من الاجتهاد في الأصول موافق للعلاقات الحاضرة. وفي هذا الطريق سارت هذه المدرسة — مثل الوهابية المعتمدة على ابن تيمية — في رفض الخرافات والبدع، ولكن في الوقت نفسه — موافقة في ذلك للغزالي — حاولت إدخال المبادئ الخلقية والأعمال القلبية في الفقه، مع اقتناع عميق بأن بساطة الإسلام الصحيح التي لم يمسها تغير الأيام تجعله قابلاً لكل حركات التقدم والتطور

ومن هنا نرى أن كلتا الحركتين الهندية والمصرية تنتهيان تقريباً عند غاية واحدة، وهي أن الإسلام عند الرجوع به إلى شكله الأصلي، وعند الأخذ بروحه ولبه، وبعد أن ينقى من الأدران التي لصقت به، ومن جمود العصور المتأخرة، لا شك أنه يصبح موافقاً لطلبات الحياة العصرية. وإذا ما تأملنا قليلاً، فإننا نجد أن الطريق الذي يمكن أن يسلكه الإصلاح الديني من الحركتين سواء.

إلى هنا يقف الأستاذ هرتمان في تأريخه للحركة الإصلاحية في مصر والحكم عليها ولم يتناول بعد الحركة التي تلتها وشخصيتها القوية الجبارة وأسلوبها الحاسم الدقيق. وهو ما سنتناوله تذييلاً وتعليقاً على هذه الرسالة آخر الأمر.

علي حسن عبد القادر

(١) المنار ج ١٣ ص ٣٩، ٤١ و ج ١٤ ص ٨٧١ و ج ١٢ ص ٢٣٩ و ج ٥ ص ٦٧٤

إلى أين . . . ؟

للأستاذ محمود محمد شاكر

[تتمة]

أخذ صاحبي كأس الماء في يده ، وجعل يرشقها ببصره رشقاً حديداً يلمح لحاً تحت حواشي الليل ، فكنت أرى وهج مقلتيه يكاد يتطاير تطاير الشرار بينهما وبين الكأس . وأدام نظره طويلاً إلى الماء وهو يقر شيئاً بعد شيء ويسكن ، فكأنى به كان يغمس نظراته الملتهبة في برد الماء ، ليبترد من وقدة العاطفة التي تضطرم في داخله . وبعد فترة عب من كأسه عب الظمآن استحر على كبده العطشى ، ثم فرغ فوجه إلىّ ، وقد برق وجهه ، أو هكذا تخيلت ثم قال :

آه ... ! ما كان أبصر ذلك الأعرابي الظريف الذي عطش وضل عن الماء في بيدائه ، فلما رمى به السير فأفضى إلى بئر عميقة عادية قد بعد ماؤها ، أجهد أن ينزف بدلوه من بعض مائها حتى بُلغ به وكاد يهلكه غؤور الماء ، وبعد لأي ما استطاع أن ينزح من مائها ما يرويه ، حتى إذا شرب وارتوى وأطفأ غلة الظمأ ، حمل تلك الدلو بين يديه ينظر إليها ويقلبها كأنها بنى من صنار بنيه يرقصه ويداعبه ويقول :

أى دلاة نهـل دلاتى ! ! قاتلتى وملؤها حيـاتى ! !
كأنها قلتٌ من القـلات

فانظر كيف يفرح الرجل بأديم جاس غليظ متغضن موات ! إنه يحبه ، ويحرص عليه ، ويرق له ، ويدلله دلالاً كأنه طفل يطفله ويرعاه . وما ذاك إلا أنها أداة يتخذها ليعلقْ بها النفلة التي يؤرثها حر الظمأ ، لو هو فقدها في مجاز البيداء المجدبة الظامئة ، فقد معها القدرة على الحياة ، ومع كل ذلك فما هى إلا أديم أصم ، وأداة لا خير فيها إذا لم يكن كل الخير من قوة الساعد التي تمتد في رشاء يتطوح بين أرجاء البئر

ما أبلغه من أعرابي ، لولا نقل حديثه من الدلو إلى المرأة !
« قاتلتى وملؤها حيـاتى ! ! »

إنها المرأة يا سيدى هى وحدها التي تستطيع أن تكون القاتلة المحيية في وقت واحد . إن كل ما فيها هو حياة محبها ، وكل ما يكون منها — إذا أرادت — هو سبب من أسباب سلب هذه الحياة سلباً جباراً لا رحمة معه ولا هوادة فيه

إن المرأة الحبيبة هى النبع الصافى النمير الذى يرى المحب الصادق فى كل قطرة منه حياة تتلألأ فى روحه بالمنى ، فإذا أرسلت هذه الحبيبة فى دمه قطرة واحدة من مائها — أى من حبها — أطفأت هذه الواحدة كل النيران الملتاعة التى تجفف بحرّها ماء حياته . فإذا منعتْ عنه غيثها جعلتْ كل أفكاره وأحلامه وأمانيه تحتطب من الحياة ما تؤرّث به تلك النار المبيدة التى لا تنفح نفحها على شيء إلا جعلته رماداً أغبر . ويومئذ تتحول الحياة فيه إلى خمود بليد ، أو إلى حماقة مجنونة كما يعترض الرماد للريح العاصف تطير به فى كل وجه حتى يتفرق ...

ثم سكت صاحبى ... ، وخيّل إلىّ أن غمامة سوداء داجية من ذكرى أحزانه وآلامه ، قد أظلّت عليه وتدانت أهدابها ، فهو يرفع يمينه إلى جبهته ، ثم يُمرها إلى ناصيته ، إلى يافوخه يضغط عليه . ويتنفس خلال ذلك أنفاساً جاهدة ينتزعها انتزاعاً من أقصى منابع الحياة فى قرارة نفسه ... ما أقسى الذكرى إذا ضربت فى القلب بفأسها تحطمُ وتدمّر وتنقضُ بناء الأيام الماضية ! إن غبار هذا الهدم ليرتفع ويثور حتى يملأ الجو النفسى بما يضجر ويخنق من ترابها ، وما أضعف الرجل إذا أخذت الذكرى تلح عليه إلحاح الكبرياء ، تتحدى الإنسانية والرجولة بأوهن الفكر ! الذكرى ... ! هذا شيء مخيف مفزع . إنها الشبح الذى يدب من بين القبور المهجورة التى تناثرت فيها أشلاء الموتى . إنها تقتل بالرعب ، فإذا أتت المحب ذكرى حبيبه ، فذاك شبح هائل يقتله بالرعب والحنين معاً

أقول لنفسى : أيها الصديق البائس ! لماذا لا تعرف طريقك إلى النسيان ؟ لماذا تقف فى مقبرة أفكارك دائماً فترتاع وتتألم ؟ لماذا لا تحاول أن تسخر من الحياة التى سخرت منك ؟ لماذا أنت حائر أيها الصديق ؟ وبقيت أتداول الهاجس من أفكارى فيه ، حتى شُغِلتُ به عنه . ثم جاءنى صوته من بعيد كأنه كان يتكلم فى بعض أحلامى تحت النوم :

إسمع ... ! إسمع يا صديق ! لقد كنت أفكر فى بعض ما شغلنى عن تمام حديثى قبلُ . لقد سألتَنى وساءلت نفسك : أهكذا يضمحل الرّجل ؟ أما إنى لا أستطيعُ أن أمنحَ لك اللغة وضعاً جديداً حتى أعبّر لك عن كل خالجة من خوالج النفس

الانسانية حين تضطرب فتهتز فتطير هزاتها على مساقها ومجراها ، ثم تتشعب فتنتشر فتعمل عمل الجيش المحارب فى هدم صفوف العدو وتفريقها وبعثرة قواها المحتشدة لالتقاء احتشاد البنيان المرصوص بعضه على بعض

نعم ... لن أستطيع ذلك ، ولكنى سأصف لك بعض الصفة واستشعر أنت كيف يعمل ذلك فى هدم الرجل ويسرع فى تدمير رجولته أمام أنوثة طاغية تتحدى وتأخذ سلاحها الذى تتحدى به من رجولة عواطف الحب الذى يرى أن تماونَ القلبين بالحب ، وصبابة النفس إلى النفس الأخرى ، هو تمام رجولته وتمام أنوثتها

كان لقاؤها تجديداً غريباً فى قديم نفسه ... لقد استطاعت هذه الساحرة الجميلة الفتانة — كما وصفت لك — أن تمحو ماضيه كله ، وأن تمزق صحفَ أيامه المهملة التى كان القدَر يكتب فيها تاريخه الأول . مزقت هذه الساحرة تلك الصحف ، وألقت بها فى النار التى أشعلتها فى قلبه بالحب . بدأ يحيا بها وبسحرها حياة رائعة فاتنة من أحلام الحب ، وجعلت هى ... وجعلت هى ... آه يا صديقى ! هذا كثير كثير ، إن ذكرى ذلك كله تؤلمنى ... إنها تعذبنى ... إنها تحز قلبى بمثل السنان الحديد يقع وخزاً متتابعاً شديداً يتفجر فى نزعه بالدم ... كيف أستطيع أن أقول لك الآن ما الذى كانت هى تفعل ! وماذا أقول لك ؟ آه ... إن أنوثتها ، بل رقتها ، بل حنانها ، بل رحمتها ، بل إخلاصها ، بل حبها ... كيف يكون هذا ؟ بل ذلك الصوت المنغم الروى الممتلىء صوت الحنين المتعذب ... صوت القدر الآتى من بعيد بأفراح السعادة ... صوتها ... صوتها ... ذلك الصوت المعبر عن نفسها بألحان تتجاوب وتسرى وتموج فى كل غيب من غيوب نفسه المتراحبة ... !

إن كل هـذه العواطف التى يرسلها إليه صوتها وهى تتكلم كانت تعبُّ فيه عبابها ، حتى يجد الأمواج النفسية تتقاذفه فى فرح بعد فرح ، ومن سعادة إلى سعادة ، ومن حلم إلى حلم ؛ كأنه ماض إلى جنة الخلد فى زورق من اللذات الطاهرة الجميلة ، تحف به الملائكة تغنى لقلبه أناشيد المجد والخلود ... ! إنه سوف يسمو بروحه إلى ذلك الجو الذى يعطّره النبل ، ويفيئه الحب ، وينديه الحنان ، وتضيئه هى بسنها المشرقة ، وتسبح فيه النجوى أنغاماً حرة تهيم وتتعانق

جعلت أيامه معها تتهدل ثمارها الناضجة المغرية ، وجعل يقتطف منها حيث أراد ، وجعلت هى تغذوه كل يوم غذاء جديداً هنيئاً يملأ روحه قوة وشباباً وعزماً . وجعل إحساسه بسحرها وفتنتها يغلو به فى إيمانه بعبقرية أنوثتها الكاملة . أجل ... ، إنها أرسلت فى دمه الحيـاة الجديدة ، الحياة التى تجدد فكره فى أشياء الدنيا ، وتستفزه إلى فرض سلطانه على هذه الأشياء . وكانت هى تنشىء لعينيه فى كل يوم بل فى كل ساعة دنيا مائجة من فنها البليغ الذى يعبر عن ضميره تعبيراً بليغاً كبلاغة أنوثتها ، فانبثقت فى عينيه وفى قلبه ينابيع متفجرة من الأحلام الرقيقة والأمانى الطائرة ، تلك الأمانى التى تتنهد دائماً على قلبه بأنفاس الفجر ...

امتلأت عيناه الحائرتان بأحلام الشباب ، وانبعثت القوة الملتهبة بالرغبة ، فهو ينظر ثم يندفع إلى أمانيه يريد أن يختطف حظه من السعادة السانحة سنوح الصيد المستطرد ، قبل أن تسبقه إليها أنياب الشقاء والألم والبؤس فتفترس منها وتنتهش . إنه يريد أن يظفر بسعادته ليتمتع بالحياة بعض المتاع ، ولكن ياصديقى ... ، إن هذه الغريزةَ المتحكمة فى الإنسان وفى أعماله — غريزة التمتع بالحياة — هى التى تذهب بالإنسان فى القدر مذهباً بعيداً ... إنها هى التى تجمل الحياة لعينى كل حى ، ولكنها هى هى نفسها التى تعمى المحب فلا يبصر تلك الهوة السحيقة التى فغرت له أشداقها وأحدت أنيابها ، فلا يزال — إلا أن يعصم الله — يتهاوى فيها ما اندفع به إليها هواه

ولـكن كيف كان يملك صاحبى إرادته فى البصر ؟ إنها كانت تمثل أبداً — وهو لا يستطيع أن يدرك — على أن تبقى حبيبة أحلامه ولو قتلته . نعم إن بعض ضحكها كان يصفق بدلالها كأن أمواج شبابها تتلاطم فيه وتزخر . شبابها ... ! ! شباب امرأة جميلة متكبرة معجبة ، شباب أنثى تحب ، وتريد أن تبقى أبداً محبوبة يهيم فى أوديتها المسحورة من يحبها . ومع ذلك فقد كان يجد لـما يلقاه منها فرحاً فى نفسه ، ونشوة فى روحه ، وعربدة فى دمه ، كان كالسكران بحبها لا يستطيع شيئاً ولا يملك إلا أن يخضع لذلك السلطان المرح الظافر المبتسم ، السلطان العنيف الذى يقبض على روح المحب بحنان طاغ من روح من يحب

وعلى ذلك فإن هذا الرجل المسكين — على عنفه وصلابته وفحولته — لم يجد بدًّا من أن يسلم لها قياد عواطفه التى تصبو صبواتها إلى أناملها الرخصة الساحرة . كيف يقاوم الرجل الصب

— مهما استصعب والتوى — امرأة مقدسة يحبها ، فهو يتصبب بروحه فى روحها ؟ استسلم لها ، ولكنه كان يشعر بعد هذا الاستسلام أن ليس فى هذه الدنيا شىء يستطيع أن يقهر إرادته ، أو أن يحول بينه وبين ما يرى إليه من أغراضه وإن بعدت . كان معنى خضوعه لها أنه يستطيع إذن أن يخضع الأشياء كلها لسلطانها ... ما أعجب هذا الحب ! أرأيت إلى ذلك الضرس الفولاذى الصليب المتكبر من الجبل الإنسانى فى صاحبى ذاك ... ؟ لقد كان يُرَى وهو يذل لهذه الساحرة أيامه ولياليه خاشعاً مستكيناً كأنه يهودى منبوذ فقير فى غربة موحشة !

ولكن لا تخطئ معنى الذل فى فحوى حديثى ، اعرفه صورة أخرى من الكبرياء المأسورة فى سجن امرأة محبوبة . إن إحساسه بحبه لها كان ضروباً من فن الروح العاشقة . لم يكن يراها امرأة مجردة يحبها بحرارة القلب الملتهب بالرغبة أو بالحب . كلا ، كلا ، لقد كان يجدها أحياناً فى أوهام عواطفه ومدَّها أمّا ، فهو يريد من أمومتها المحبوبة أن تمهّد له فى قلبها تلك العاطفة الوثيرة اللينة من الحنو والعطف . وهو يراها مرة أختاً يلتمس فى مس يديها ، وفى نبرات صوتها ، تلك العاطفة الساكنة ذات الأفياء والظلال ، عاطفة الأخت التى تضحى فى سبيل أخيها المنكوب ، ثم يرق بها إحساسه فينظرها أخاً مخلصاً يشد أزره إذا انطبقت عليه خم العيش ومتالف الحياة . ثم إذا هى تارة أخرى روح من الأبوة المسددة ، الحازمة المصممة البليغة ، لا تزال تجد الرجل مهما أناف به العمر وشمخ ذلك الطفل العابس الغرير الطياش

وهى مع ذلك كله الصديق الذى يحامى عنه إذا تمادت عليه الدنيا بأسرها ، الصديق الذى تبقى صداقته تطوف عليه بحرسه ورعاه . أتدرى بعد إلى أين تنتهى به هذه الألوان المختلفة من إحساسه بها ؟ لقد تنتهى فى بعض ساعاته معها أن يراها أستاذه ، فهو كأنما يجلس بين يديها ليأخذ عنها روائع الحكمة ، ويسألها عن سر الأبدية المحجب بالغيب ، ويلقى عندها كل أفكاره المعقدة فى الحياة ، يلتمس عند حكمتها الخالدة حل ما تعقد ، وأن تمنح أفكاره ذلك الهدوء الفلسفى الذى تسبغه الحكمة العالية على سدنتها وحفاظها

ثم سكن صاحبى وغشيته فترة الحديث إذا تطاول به وامتد ولكنه ما لبث أن أقبل علىّ يتدفع :

أنظر ... أنظر الآن كيف يضمحل الرجل . هذا هو فى مد عواطفه وهى تفور وتتثوّر بأمواجها فى الحب العنيف المتلاطم ، ثم إذا هى تطير عن أحلامه وتنفر من مجثمها السحرى ، وإذا هو منفرد لا يدرى كيف كان هذا ؟ ولِمَ ؟ ومن أين ؟ وإلى أين ...؟

إنها ذهبت وتركت الدنيا التى أنشأتها له مشرقةً زاهيةً ، ناضرة فإذا هى تطفأ وتخبو وتذبل . إن قوة رجولته قد ذهبت تطلبها عند قبور الذكرى ، فكيف لا يضمحلُّ الرجل ؟ كيف لا يضمحلُّ ؟!

محمود محمد شاكر

كنت على وشك أن أتزوج

للأستاذ توفيق الحكيم

[في هذا الأسبوع أخرج صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم كتابه (حمار الحكيم) . وهو كتاب قصصي طريف ، أخذ اسمه من جحش رضيع اشتراه وأنزله معه فندق (. . . .) ، ثم أدار فيه الحديث على اتفاقه مع شركة شربانتيه السينمائية على أن يضع لها حوار قصة مصرية . ثم شقق الحديث وشعبه فتناول الأدب والفن والمرأة والزواج بأسلوبه الفكه الطلي . وفيما يلي فصل قيم من هذا الكتاب يصور قطعة جميلة من حياة الكاتب]

رفع صاحبي رأسه والتفت إليّ فجأة قائلاً :

— ألم يخطر ببالك أن تتزوج ؟

فقلت وأنا أحاول التذكر :

— نعم ، كنت موشكاً على الزواج منذ عشر سنوات ... لكن ...

ثم كررت بفكري راجعاً إلى ذلك العهد وابتسمت ، فقد مرت برأسي صورة ما حدث وما ثنى عزمي عن المضي في ذلك الأمر

كنت ذات عصر راكباً عربة يجرها حصانان ، وإلى جانبي أحد المهتمين بشئوني ، فرأينا السائق يهوى بسوطه على أحد الجوادين ، فمال من الألم على شريكه كأنه يشكو إليه ، والتقى رأسا الجوادين كأنهما يتساران . فجعلنا نتحدث في ذلك ونقول : إن مركبة الحياة كذلك لا يهوّن من أوجاعها غير أن يربط إليها شريكان يشدان عجلاتها ويشجع أحدهما الآخر كلما سلط عليه القدر سوطاً من سياطه . ثم قلنا : من يدري ؟ لعل هذا سر ذلك الخطر الذي نراه في بعض المدن على من يستعمل مركبة ذات جواد واحد . ثم مضينا في الاستطراد حتى قلنا : ولماذا لا يسري الحظر على مركبة الحياة ؟ وعند ذلك اتجه الكلام إلي ، وصارحني من معي بأن مركبة حياتي لا ينبغي بعد اليوم أن أجرها بمفردي . فإنها قد تحمل فوق ما أطيق ، وأنا رجل غريب الأطوار قد أسير بها سيراً غير مألوف فأتخبط بها في طرقات غير ممهدة لا أحفل بسوط سائق . بل من يدري لعلي جمحت مرة فأسقطت سائقي في الأوحال ، وجعلت أنطلق منفرداً بمركبة بلا نور ، أركض بها على غير هدى حتى أرتطم في جدار ... وانتهى الأمر بصياح ذلك المهتم بشأني :

— لا بد من زواجك

فقلت له :

— في الحالة الحاضرة ... وقتي ضيق ...

فقاطعني صائحاً :

— اترك لي المسألة ...

ولم يمض شهر حتى وجدت ذلك الشخص الكريم قد خلا بي ووضع في يدي صورة فتوغرافية لفتاة طريفة وقال لي :

— تعجبك ؟

فتأملت الصورة ملياً ثم قلت :

— من أي وجه ؟

فصاح بي :

— اعمل معروف لا داعي للفلسفة . إن كان شكلها مناسب ؟

— مناسب ...

— انتهينا ...

ثم مد يده إليّ وقال :

— وصورتك بسرعة . آخر صورة لك

— الصورة الوحيدة الموجودة عندي هي صورة جواز السفر

— ما تنفعش ؟ قم بنا نعمل لك صورة « جواز » فقط !

وسحبني من يدي ، وذهب بي إلى محل « مصور فتوغرافي » معروف . فوضعني ذلك المصور أمام لوحة من قماش تمثل ستارة سوداء ، وأراد أن ينزع من يدي العصا ، ليضع هذه اليد فوق « درابزين » مزيف قد أتى به ، فأبيت ذلك عليه ، فرد على عصاي ، ونظر من معي إلى وتفتق ، فلم تركه ، فصاح في المصور :

— هو واقف على إيه ؟

فقال المصور :

— على سلم

فصاح به :

— وإيه مناسبة السلم والدرابزين ! اجمل وقفته في جنينة

مطبعة التوكل — ٢١٠ صفحة ١٥٠ مليم

وحط الورد حواليه ، وارفع الستارة المحزنة من جنبه وانصب بدلها نخيلة ياسمين أو تكعيبة عنب ! بالاختصار مناظر مفرحة ...

ثم مال على المصور ، فأسر فى أذنه كلاماً

فتهلل وجه المصور وقال :

— فهمت الطلب

ثم أسرع فأحضر ستائر حمراء ومناظر خضراء وأصص أزهار ورياحين وهو يقول :

— إن شاء الله أطلعه يحاكى البدر فى سماه !

فأردت أن أظهر عجبى لهذه المعجزة إذا صحت ، فأسكتنى وأوقفنى بين المناظر الرائعة والخضرة الزاهرة ... ودخل هو فى شىء يشبه « البطانية » السوداء يغطى جهاز تصويره ، ولبث فيه لحظة ثم خرج يصيح :

— واحد ... إتنين ... تلاتة ... مبروك !

فتركت موقفى وأقبلت على المصور أوصيه :

— الصورة تكون طبيعية . إياك تعمل « رتوش » !

فما شعرت إلا والمتولى شأنى قد انتزعنى انتزاعاً من بين يديه ودفعنى بعيداً ، وأقبل على المصور يقول له :

— إياك أن تسمع كلامه !

ثم التفت إلىّ قائلاً :

— حد فى الدنيا يقول للمصوراتى ما يعملش « رتوش » ؟ خصوصاً لحضرتك !

فقلت :

— على كل حال لا بد من كونى أطلع على « البروفة » قبل كل شىء

فقال المصور : إن تجارب الصورة يمكن الاطلاع عليها فى صباح اليوم التالى . فغادرناه على أن نعود إليه فى الغد . ومضى النهار ، وجاء الغد ، فانسللت بمفردى إلى حانوت المصور أطلع خفية على تجارب الصورة . فعرضها علىّ ، فتأملت وجهى فيها ، فلحظت أن شاربىّ غير متساويين فى الطول ، وأن شارباً أقصر من شارب ، فتباحثنا فى علاج ذلك ، وقلت له : إن « الرتوش » الوحيدة التى آذن بها هى أن يمد ريشته إلى الشارب القصير فيطيله حتى يساوى أخاه . وانصرفت وانتصف النهار ، وقابلت بعد ذلك المهتم بشأنى ، فقصصت عليه ما حدث من أمر الشارب ، فما راعنى إلا قوله إنه مر هو الآخر بحانوت المصور عقب انصرافى ، فلما علم بمسألة الشوارب، أمر المصور أن يزيلها كلها وكفى الله المؤمنين القتال . فما إن سمعت منه ذلك حتى صحت فى وجهه :

— يزيلها كلها !

— إيه المانع ؟

أنا بشوارب تعملونى من غير شوارب! هذا العمل اسمه تزوير

— يعنى لا سمح الله قمنا زورنا فى كمبيالة !

— هو التزوير لا بد أن يكون فى كمبيالات

كان غرض حضرتك أن أهل العروسة يقولوا مقدمين لنا عريس « بشنب ودقن » !

— نقوم نلجأ للغش !

— وأنت فاهم أن صورة العروسة خالية من الغش ؟

— شىء عجيب !

— مؤكد شىء مفهوم مقدماً . وفى المستقبل يتضح لك أن ما عملناه أقل مما عملوه بمراحل ، اطمئن !

فقلت من فورى :

— الحمد لله اطمأنيت . إذا كان مجرد « الشكل » وضمناه على هذا الأساس ، يبقى « الموضوع » ...

فقاطعنى :

— لا ... « الموضوع » مضمون أربعة وعشرين قيراط . ثروتها معروفة وتحرياتنا صحيحة ، وأنت حالتك المالية واضحة ...

— دا كل قصدكم من « الموضوع » ؟

— طبعاً . فيه شىء غيره ؟

فلم أطق صبراً ، فقمت دون أن أجشم نفسى مشقة الجواب وذهبت ، وقد ذهبت عنى فكرة الزواج إلى اليوم . ولم يعد شبحها يظهر إلا مقترناً بذكرى هذا الحوار بنصه وألفاظه كما سمعتها ، فكانت ذكراه تقصينى من فورى عن المضى فى التفكير . فهذه الشركة النبيلة بين روحين تعاهدا على السير جنباً إلى جنب فى طريق الحياة الشاقة الطويلة ، ما زالت تقام فى أغلب الأحيان على هذا النحو المخجل ، وإذا صلحت هذه الطريقة لكثير من الناس فهل تصلح لشخص مثلى قد تتأثر حياته الفكرية وإنتاجه الذهنى

إلى حد كبير بشخصية الشريك . لذلك آثرت السلامة وأحجمت عن المغامرة ، خشية الوقوع فى غلطة تفسد على الحياة كلها

ورجعت إلى وحدتى ... تلك الوحدة الباردة التى تحيط بى من كل جانب فما أنا فى الحقيقة دائماً سوى كوخ مقفر وسط صحراء من الجليد ، وضمت داخله يد المصادفة إناء يغلى ويتصاعد منه بخار ، هو تلك الأفكار التى تخرج من نافذتى إلى حيث تصل أحياناً إلى جوع الناس . فإذا دخلت امرأة هذا الكوخ فمن يضمن لى ما سوف تلقيه فى هذا الإناء وما يتصاعد من جوفه بعد ذلك ! ...

أنفقت حياتى متنقلاً ، نائماً ليس لى مكان معروف ولا عنوان دائم . فما تركت فندقاً لم أنزله ، ولا نزلاً لم أهبطه . حتى ضجرت ذات يوم وتبرمت بهذه الحال واستنكفت أن أعيش هكذا كما تعيش الفكرة المائعة والروح الحائرة . . . فأردت أن أجرب الحياة المستقرة فى مسكن ثابت اخترته فى بقعة جميلة من بقاع القاهرة ... يشرف على النيل ، وترى من نوافذه القلمة والأهرام وعنيت بأثاثه ، وأعددت فيه مكتباً أنيقاً وخزائن للكتب ، واقتنيت سيارة ، وأقمت بمفردى وحولى خادم وطاه وسائق ...

فماذا حدث ؟ لم أحتمل الحياة فيه عاماً . فقد كاد الخدم الثلاثة يذهبون البقية الباقية من عقلى ، فالخادم النوبى جعل يكسر « اسطواناتى » الثمينة ؛ وتحريت أمره فعلمت أنه يتربص بى حتى أخرج فى الصباح ، فيدير « الجراموفون » ويضع ما يقع فى يده من أعمال « بيتهوفن » و « موزار » ، ولا يحلو له تنظيف « الباركيه » وطلاؤه إلا على هذه الأنغام

أما الطاهى فقد كان يبدى الابتكار فى ألوانه أول الأمر ، ثم قصر وتراخى حتى صار الطعام ضرباً من (الروتين) لا طعم له . فكنت أحياناً أترك المنزل بما أعد لى فيه وأذهب إلى مطاعم المدينة . ولقد كان للخدم دائماً طعام غير طعامى ، هو فى أكثر الأحيان ألذ وأمتع . ولطالما أمرت الطاهى أن يحضر لى مما فى قدورهم ويحمل كل هذه الألوان التى نسقها تنسيقاً ظاهراً دون أن يضع فيها روحه وقلبه ...

وليس هذا كل شىء . فقد علمت أن الطاهى يعد على حسابى قدراً كبيراً من الطعام يقدمه بالأجر إلى بوابى الجيران ؛ وأن الخادم يدعو جميع زملائه النوبيين كل عصر عقب انصرافى إلى تناول الشاى

ولم يدهشنى ذلك فإن نفقاتى بمفردى كانت دون أن أدرى نفقات أسرة مكونة من عشرة أعضاء ، وما نبهنى إلى ذلك إلا ضيف عابر . على أن كل هذا لم يغضبنى كثيراً . إنما الذى أثارنى حقاً هو مسمار صغير وجدته يوماً فى لون من ألوان الطعام ، كدت أزدرده ... هنالك لم أطق صبراً . وعلمت أن الخدم بلا رقابة هم خطر من الأخطار العامة ... وما ملكت نفسى عن الصياح فيهم يوماً (والله لا أتزوج لكم وأمرى إلى الله)

أما السائق فلا يريد أن يصغى إلى رجائى كلما طلبت إليه ألا يسرع . فأنا أبغض السرعة . إنها تمنعنى من التفكير ، ولطالما أكدت له أنى لست متعجلاً شيئاً . ولا شىء فى الوجود يستعجلنى ، فأنا عدو الزمن والوقت ، ولم أحمل ساعة قط ، فالوقت عندى ليس من ذهب بل من تراب كأجسامنا ... ولكنه ينطلق بى رغم ذلك ، كأنما يريد أن يطرحنى فى أسرع وقت ، ليتخلص منى وينصرف إلى شأنه . فكنت أتركه أحياناً يقف منتظراً فى جانب الطريق وأسير مفكراً حراً حيث أشاء . ثم أدرك أخيراً أنى لا أحب السهر وأنى شديد الكسل وأنى أكتفى بعبارة أقولها له كل عصر : « اطلع جهة فيها هواء نقى » « فين ؟ » (أى جهة تختارها) ، فيمضى بى حيث يريد هو دون أن أعترض ويقف بى أحياناً حيث يشاء ويقدر أن المناظر جميلة والهواء منعش فلا أتكلم ، فإن فكرى منصرف دائماً عنه ، ما دام لا يسرع بى ولا يقول لى : « تفضل » . إلى أن يرى أن الأوان قد آن للتحرك فيعودنى إلى حيث أتناول الشاى أو العشاء فى الأماكن المعتادة . فإذا أمرته أن يذهب بى إلى السينما ... فقد عرف ألا يسألنى أيها . بل يمضى بى طائفاً على جميع الدور ، فيقف أمام كل باب من أبوابها لحظة ، فإذا نزلت فقد انتهت مهمته . وإذا لم أنزل فإنه يتحرك إلى غيرها ... وإذا مر بجميعها فلم أغادر السيارة فإنه يعود بى من تلقاء نفسه إلى المنزل ويقول لى : « تفضل » . فأنزل فى صمت ، وقد شعر بقدر هذه السلطة الواسعة فى يده فاستغلها آخر الأمر استغلال الطغاة لحرية الشعب . فكان

إذا أراد أن يفرغ من عمله مبكراً أو يخلص إلى شأن من شؤونه طاف بتلك الأماكن طوافاً سريعاً لا يكفى لإيقاظى من تأملاتى أو إخراجى من ترددى ، ثم ردنى إلى منزلى ، ولما تدق التاسعة قائلاً : « تفضل » فأنزل دون أن أنتبه لما حدث . وفطنت ذات ليلة إلى إرادته . وكانت بى رغبة فى السهر . فما تمالكت أن ثرت لحريتى المسلوبة وصحت : (أنت غرضك تنومنى المغرب ! قسماً بالله العظيم ما أنا نازل)

هكذا كان شأنى فى المسكن الخاص بين أولئك الخدم . وقد لبثت على هـذه الحال زمناً اختمرت فيه داخل نفسى جراثيم الثورة الكبرى على هذا النظام فبيت النية ذات ليلة على خلع نير هؤلاء الذين يسمون أنفسهم خدماً لى . فلما كان الصباح أعددت حقائبى ، واستدعيت البواب وطلبت إليه أن يبحث عمن يحل محلى فى هـذا المسكن بأثاثه ورياشه . فأتى إلى برجل انجليزى وزوجته فتركت فى عهدتهما كل شىء حتى كتبى ، وغادرت ما فى البيت من أشياء خصوصية ومن مؤونة حتى زجاجات المياه المعدنية وعلب الجبن والمربة والزبد والبن والشاى والفطائر ، وطردت خدمى ، واستغنيت عن سيارتى ، وانطلقت بمفردى حراً من جديد ، أتنقل فى الفنادق وأطوف بالشوارع ، وأقفز إلى عربات الترام وسيارات الأوتوبيس ، وأختلط بالناس ، وأمتزج بالجماهير . فأحسست كأن الدم يعود حاراً إلى عروق . وأن قدمى قد فرحتا بلمس الأرض من جديد، وأن فكرى قد عاد إلى انطلاقه ونشاطه ، مع السير الحر بالأقدام فى كل مكان ، وملاحظتى الناس فى الطرقات قد أخصبت ذهنى الذى حبس طويلاً خلف الزجاج ، وجعلت أقف على بائع الذرة وهو يشوى كيزانه على عربته الصغيرة فأحادثه وأباسطه لا يتعجلنى سائق ولا تنتظرنى سيارة، وأصغى إلى حديثه الطويل فى ذلك الليل مع كناس الجهة . فأشترك معهما فى الحديث والسمر ، ورأيت الكناس يساوم البائع طمعاً فى كوز ، والبائع لاه عنه لا تخطر له العزومة على بال « فإن الشغل شغل » فى عرف التجار ، فشريت أنا كوزين أعطيت الكناس واحداً واستبقيت لنفسى الآخر . فدعا لى الكناس الدعوات الصادقات ، وجعل يأكل ويقص على مما عنده من أحاديث العامة البريئة اللذيذة ...

عرض هـذا الشريط كله فى رأسى عند ما سألنى المخرج ذلك السؤال . ولم أجبه بشىء غير تلك الابتسامة التى أثارتها هذه الذكريات ...

توفيق الحكيم

٣ ـ إلى أرض النبوة !

[وصف وتأريخ لرحلة الوفد السوري إلى الحجاز ربيع ١٩٣٥ لفتح طريق الحج البري للسيارات]

للأستاذ علي الطنطاوي

تركنا القراء في « المخفر السعودي » على الحدود . وأشهد أني لم أذق طعم الأنس والاطمئنان مذ فارقت دمشق إلا في هذا المخفر، ومهما نسيت من المشاهد، وأضعت من الذكريات، فلن أنسى تلك الساعة، ولن تضيع من نفسي ذكراها، وإني لأتخيلها الآن، وقد مر على تلك الزيارة خمس سنين، ولم يبق في يدي منها إلا ماعلق بذهني ... أتخيل تلك الخيمة الشَّعرية الشِّعرية، الجاثمة على ذلك التل العالي، تطل على التلال التي لا يحصيها عد، وقد اتكأت فيها على جنبي، ونظرت إلى أسفل مني فرأيت السلوك الشائكة، فعجبت منها سلكة لا يعبأ بها تفرق الأخ عن أخيه — وتجعل الشعب شعبين — ثم مددت بصري حتى ضل في ثنايا السراب المتألق في وهج الظهيرة؛ ثم بلغ « دمشق » ، دار الأحبة ومثوى الأماني، فهزني الشوق إليها والفخر بها، والأسى عليها لما أصابها ... ثم رجعت البصر إلى البادية من حولي، فسرَتْ في روحي روحها، فشعرت كأن قد صهرتني شمسها، فغدوت كأولئك الذين خرجوا منها جنًا في النهار، ورهباناً في الليل، وموتاً للظالمين والمبطلين، وحياة للشعوب ورحمة للناس ... وتمنيت لو كان اليوم إلى اليرموك أو القادسية طريق، حتى أسلكه كما سلكه أجدادي الأمجاد ... وهيهات أن يكون للشباب الذي أضاع روح الصحراء إلى مثلها طريق ...

إنما الإسلام في الصحرا امتهد ليجيء كل مسلم أسد

***

وأكلنا من طعام الجند وهو الزبد والرز والتمر، وشربنا من ألبان النياق وما ألذه من شراب ... وتبادلنا أطيب الحديث فكان بشرهم وحديثهم قرى حلواً كتمرهم، سائغاً كلبنهم. ثم سألونا عن الطريق الذي نسلكه فأشرنا إلى الدليل؛ فحدثوه فوجدوه أجهل بالبادية من (الكناني) وأصحابه بلغة العرب، ووجدوه يضرب بنا على غير هدى ويسير على عشى . فأنفوا

صنيعهم معنا ، فبعثوا واحداً منهم يصحبنا إلى (القريات) يرشدنا ويهدينا، وكان هذا الواحد فتى حلواً جميلاً ولكنه على حلاوته وجماله أمضى من السيف الباتر، وكان اسمه (سلامة) فتفاءلنا به خيراً . وكان صلى الله عليه وسلم يتفاءل ، وقلت : رافقتنا السلامة إن شاء الله، والحاج غراب صامت لا ينطق ...

وودعنا القوم الكرام وسرنا نخرق صدر البادية المهولة وأرواحنا معلقة بيد سلامة، وسلامة يشير إلى السائق ويلقي عليه أوامره: يمين . شمال . اصعد التل . تجنب الرملة . والسائق يسمع ويطيع، والسيارات تتغلغل بين هذه التلال، ولبثنا على ذلك إلى العصر، عصر اليوم الثاني من أيام الرحلة، فرأينا رملة بيضاء فسيحة لها منظر البحر في سمته وتموجه واستوائه، تملأ العين جمالاً والقلب من خوف سلوكها فزعاً، يلوح من ورائها سواد قليل كأنه النخيل أو خيال البنيان. فقال سلامة سلّمه الله: « هذه هي القريات »

والرمال التي رأيناها في البادية على نوعين: رمال منبسطة بيضاء دقيقة كالغبار، لاطية بالأرض، يتخللها نبات من نبات الصحراء (وسأصف فيما يأتي من الحديث أنواعاً منها خبرناها) ورمال حمراء حباتها أكبر، وامتدادها أكثر، وهي تلال يأخذ بعضها بأعقاب بعض، تشبهها العين بأمواج البحر، لو كانت تجمد أمواج البحر، وإذا أنت تأملتها وجدتها في حركة دائمة لا تستقر حباتها، وبذلك ينتقل التل العظيم من مكان إلى مكان في الشهر مرة أو الشهرين، ولقد رأينا في عودتنا مناطق كانت مهلة ما فيها حبة رمل، فصارت بعدنا آكاماً من الرمال

وهذه الرمال آفة السيارة، وعلتها التي لا دواء لها، فإنها لينها وتهافتها لا تثبت تحت دواليب السيارة، فتغوص فيها كما تغوص في الماء، وتلبث فيها كأنما دفنت وهي في الحياة

***

ولقد لقينا من هذه الرملة عناء تقل في وصفه مبالغات الشعراء ... غرقت فيها السيارات، وما لها لا تغرق وقد قلت لك إنها رملة كالبحر، أفتمشي سيارة على وجه البحر؟ ولقد لبثنا إلى الليل نزيح الرمل من حول السيارة، ونرفعها رفعاً، ثم ندفعها بسواعدنا دفعاً، ثم نجرها بالحبال، حتى إذا قلنا سارت عادت فغاصت، فلم نقطع الرملة حتى تقطعت أعمارنا، ولم نخرج

منها حتى شهدنا أنه لا إله إلا الله !

***

وقريات الملح قرى ست متقاربة أكبرها قرية (كاف) ، ولكنها لا تحوى على نصف سكان (حلبون) أخس قرى الشام ولا تبلغها كبراً واتساعاً ، وهى فى غور من الأرض ، وكان أول ما استقبلنا منها الحصن ، وهو حصن كبير من الحجر الأبيض المسنون ، علمت أن الأمير نواف بن النورى بن الشعلان هو الذى بناه أيام تسلطه على تلك الديار ، منذ خمس وعشرين سنة ، ولم أجد من استزيده من خبره ... والقريات اليوم إمارة ، وهى مقر الأمير . ومما رأينا فى الحكومة السعودية أنهم يسمون كل من يلى مدنية مهما صغرت أميراً ، لا فرق فى ذلك بين أمير القريات ، هذه ... وبين أمير المدينة المنورة ...

وكان الأمير يومئذ غائباً فى مكة يشهد الموسم ، يقوم مقامه ابن أخ له ، وهذه العادة فاشية فى الحجاز ، إذا غاب الأمير أناب عنه ولداً له أو قريباً ، وكان نائب الأمير فى قرية أخرى من القرى الست ، فلم نلقه ، ولكنا لم نعدم من يستقبلنا ويكرمنا ، وغاية الإكرام (كما رأينا) أن ندخل القصر ، وتوقد النار فى زاوية البيت الذى جلسنا فيه ، ويشعل فيها الغضا هـذا الذى يضرب بجره المثل والذى ذكره الشعراء فأكثروا ، وكنوا به عن نجد ، مهوى الأفئدة منهم ، وقد رأيته مراراً فوجدته كثيراً فى البادية وهو كالشمش غير أنه أجمل شكلا وأدق ورقاً ، وهو أشد شجر رأيناه فى البادية اخضراراً ، أما جره فكالفحم الحجرى ولا مبالغة ، وقد عرفه الشاعر حين زعم أنهم (شبوه بين جوانحه وضلوعه) ، أما نحن فعرفناه فى هذا البيت حين أشعلوه وزادوا فى إضرامه حتى بلغ لهيبه السقف ، ثم قربونا منه وأجلسونا إلى جانبه ، فلما (تقهوينا) ونلنا حظنا من الإكرام البالغ ... سألونا سيارة تأتى بالأمير ، ودعينا إلى دار أخلوها لنا ، وكانت دار مفتش الحدود (عبد الرحمن بن زيد) وهى أكبر دار فى القريات وأجلها إلا أنها خالية لا شىء فيها ، ففرشنا فيها ما كنا نحمل من بسط وفرش وإحرامات ولم أبتئس أنا بخلوها ، فقد كان بساطى وإحرامى أحب إلىّ من كل ما يمكن أن يفرشوه فيها . ولما اطمأننا على أمتعتنا وعلى مكان مبيتنا خرجنا نجول فى القرية فإذا هى بيوت من الطين قائمة على (شاطىء) الرملة يحف بهـا نخل قليل وفيها حقول تزرع فيها بعض الخضر ، وتسقى من عين جارية وغيرة تقوم برى قسم كبير من الأراضى لو كان هناك مال وكان هناك أيد عاملة تسعى فى توسيع الأراضى الزراعية وتحسين زراعتها . ويحيط بالبلدة وبساتينها ورملها صخور أهرامية هائلة رهيبة المنظر عند من حولها كأنها سور إلهى ... وحياة هذه القرى من الملح الذى يستخرج من السباخ الكثيرة القريبة من البلد ، ويصدر إلى حوران وشرق الأردن .

***

بتنا فى دار ابن زيد هذا خير مبيت ، وقد جاؤونا بالعشاء من قصر الأمير ، فلما أصبحنا غدونا عليه ، فرأيناه شاباً ذكياً ليس بالتعلم ولكن له مشاركة فى بعض علوم الدين ، ويحفظ شيئاً من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، تلقاها فى مجالس العلم ، وتلك سنة حسنة استنها الإمام عبد العزيز حفظه الله . فجمل ليله كله للعلم يأتى مجلسه العلماء فيقرؤون فيه كتاباً ، فإذا أتموه شرعوا فى غيره ، وتكون مناقشات علمية يشترك فيها بنفسه ، وقد قلده الأمراء جميعاً فى ذلك ؛ فن هنا ما يحفظ هذا الشاب نائب أمير القريات ...

استقبلنا بنفسه على عتبة الباب ببشر وإيناس ، وجلس معنا يحدثنا ونار الغضا تلفح وجوهنا . ولبثنا على ذلك ساعة لم يدع فيها الأمير دقيقة واحدة قولَه : قهـوَة . شاهى . قهـوَة . يدور علينا بها عبد أسود كأن شفتيه غطاء ووطاء ، وكأن جسمه المحمل ، ثم أديرت علينا المجمرة وفيها البخور ، بخور العود ، فلم ندر ما نصنع بها ؛ ثم وجدنا الأمير يضم عليها طرفى كوفيته أو عباءته حتى يتمشق الطيب ثيابه ، ثم يدعها فصنعنا مثله ، وانتهى العبد من إدارة المجمرة ، فرأيت الأمير ينظر إلينا ، فقام الشيخ الرواف واستأذن ، وقمنا معه على أن نجتمع الظهر بالأمير على الغداء ...

فلما خرجنا ، قال الشيخ الرواف : ألم تسمعوا المثل النجدى ؟ قلنا : وما ذاك ؟ قال : « إذا دار العود فلا تعود » . فعلمت سر نظر الأمير إلينا ، وتمنيت لو دخل هذا المثل بلادنا ، حتى عرفه الناس ؛ ثم ذكرت أن عندنا بحمد الله من لا يفهم بالعود ولا بالعصا ولا يخرج من زيارتك ، حتى تخرج غيظاً من جلدك ...

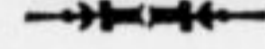
(لها بقايا)

علي الطنطاوي

التعليم المختلط

للأستاذ رفعة الحنبلي

[بقية ما نشر في العدد الماضي]



المحبذون لهذا التعليم يلفتون النظر إلى ظاهرتين اثنتين جديرتين بالاهتمام :

أولاهما أن البيئة والتقاليد والعادات هي عوامل قوية تدفع إحدى الأمم في الإقدام عليه إقداماً تاماً، وتجعل الأمة الثانية تحجم عنه إحجاماً كلياً

وثانيتهما : شخصية المربي التي تقوم بدورها التربيوي الرفيع في تمهد الطلبة تمهداً فيه كثير من الحذر واليقظة والرفق واللين تبعدهم عن تسرب المساوئ إليهم - إن كان هنالك مساوئ - وتوجههم نحو المثل الأعلى للحياة الإنسانية الفاضلة ؛ هذه الشخصية هي بمثابة الملجأ الأمين من الأخطار التي قد تهدد حياة الطلبة من جراء الاختلاط ، ولا تنال الغلبة في هذا الأمر ما لم تتصف بالصفات الحميدة والمبادئ القويمة والخلق القوي والذكاء الحاد والفطنة الملتهبة ، كي تتفهم نفسية الطالب ورغائبه وميوله ...

ولكن أين هؤلاء المربون الذين ينعمون بمثل هذه الصفات جميعها ؟ وأكبر الظن أنهم قليل ... والقلة ما كانت في يوم ما لتقوم مقام الأكثرية في تأدية رسالة أو إيفاء واجب

يذهب الدكتور Burness إلى أن التعليم المختلط في المعاهد الثانوية يقوى العلاقات الاجتماعية ويمكن الصلات الأدبية ، فينشأ الفتى والفتاة في بيئة تختلف عن البيئة الخاصة التي كانا فيها ، وإنها لأجدى على الفتى والفتاة من أية بيئة أخرى ، إذ يتجه الاثنان في اتجاه خاص هو من مصلحتهما ، وهي إلى ذلك تضعف في الفتاة تلك الرقة والحياء والدعة ، في الوقت الذي يتقوى عندها الشعور النفسي بأنها والرجل سيان في الحقوق والواجبات

وإذا ما تعمقنا في دراسة نفسية كل من الجنسين ، وجدنا أن لكل منهما خصائص فردية تختلف في كل منهما عن الآخر جد الاختلاف ، على أنها تتحد في الأصل وتختلف في الفروع بمعنى أن للفتى من الوظائف الفردية الخاصة ما للفتاة ، على أن هذه الوظائف لم تكن لتمنع كلا منهما من أن يتلقى نوعاً واحداً من التعليم أو أنواعاً مختلفة ، فضلاً عن أنهما ذوا قابلية لتعليم خاص . وقد تتباين الاستفادة عند مباشرة الفتاة هذه الوظائف، فتتجه إلى ناحية غير الناحية التي يسير الفتى إليها

فهنالك إذاً خصائص نفسية نسوية type psychologique feminin وخصائص نفسية رجولية type psychologique masculin تمضي بهما إلى غايتهما ؛ ولكن لا بد من التساؤل عما إذا كانت هذه الخصائص المتباينة لها من المزايا ما يساعد على التعليم المختلط أم أنها تقف دونه ؟

كثير من علماء النفس يعتقد أن هذا التباين في الخصائص مما يساعد على التعليم المختلط مساعدة قوية فعالة ، فالفتيات والفتيان ما كان كل منهما ليكتسب مزايا وفضائل الآخر التي يفتقر إليها لو لم تمهد أمامه سبل الاختلاط سواء في المعاهد أو في المجتمعات . ويرى الدكتور Burness أن مراتب التفكير Ordre des idèes في الرجل هي غيرها في المرأة ، والتعليم المختلط يحمل كليهما على الاقتباس عن الآخر ما تحتاج إليه الحياة وما تتطلبه منه البيئة ، وبالتالي فإن أفق تفكيرهما ينبسط ويمتد إلى أقصى حدود الانبساط والامتداد . تلك متعة من متع الحياة تتفتح معها النفس لصنوف المؤثرات وشتى ألوان الأحاسيس .

ويعترض البعض الآخر على هذا الرأي بأن الخير كل الخير للمجتمع وللجنسين معاً في ألا تضعف هذه الخصائص النفسية الخاصة — إذ أن في ذلك ما يفقدها ، ولو إلى حد ما ، شيئاً من حيويتها وفاعليتها — وأن يحتفظ كل منهما أيضاً بمراتب تفكيره لا يتعداها إلى مراتب غيره ، فبقدر ما يكون الرجل تام الرجولة والمرأة كاملة الأنوثة تكون الجماعة الإنسانية غنية بالوسائل الفعالة التي من شأنها أن تؤثر في المجتمع وتدنيه من غايته المثلى ، فالواجب على المربين أن يؤدبوا الفتى تأديباً يصبح معه ، في المستقبل ، رجلاً تام الرجولة ، وأن يتمهدوا الفتاة تمهداً تمسى بعده كاملة الأنوثة ، على ألا ينظر إلى المرأة نظرة ضيقة حقيرة تنال من كرامتها وتحط من شأنها بل نظرة رفيعة تدفعها إلى الاستفادة من خصائصها الخاصة

ويعتقد المربي الكبير Hall أن خصائص ومزايا الجنسين هي غريزية بمعنى أنه لا ينالها تغيير ولا يمسها تطور — في جوهرها على الأقل — وهي تخضع لنظام يختلف في كل منهما عن الآخر

اختلافاً كلياً ؛ ويضرب لذلك مثلاً أن الفتاة تفهم من كلمات الوطنية والشرف والعائلة والشجاعة غير ما يفهمه الفتى منها ، فلكل من هذه الكلمات جرْس خاص عند كل منهما ، هذا إلى أن الفتى قد لا يتأثر بخصائص ومزايا الجنس النسوى — إن قدر له أن يتأثر — دون أن يزاوج بينها وبين ما بنفسه من مزايا وخصائص

وهناك عيب لمسه الأستاذ Neff بنفسه بعد اختبار طويل ...

هذا العيب يتعلق بالمربى الذى يؤثر فئة من طلابه على فئة ثانية ، أو بالأحرى يعطف على طالباته أكثر مما يعطف على طلابه ، بل ويتحيف حقوقهم أيضاً ، إذ يلمس فى الفتاة دماثة الخلق ، ونعومة الحديث ، وإشراق النفس ، ورقة الشعور كما يدرك فيها مزية الإذعان والامتثال والخضوع ، فتنعم بالعطف والإيناس ، وتتمتع بالرفاهة والدعة ، فضلاً عن أن التنافس الذى يحصل بين هاتين الفئتين له من التأثير القوي على الفتاة ما يدفعها إلى الانكباب على الدرس حتى تفوز على زملائها وتحوز الدرجة الأولى دون تعمقها فى الدراسات وتفقهها فى المذاهب ، وهذا ما يفقر تكوينها العقلى ويضعف تفكيرها ويفسد تصوراتها ، لذلك يقول الأستاذ Rugg إن التنافس يجعل التعليم أقرب تناولاً وأدنى منالاً وأكثر سهولة ولكنه أقل عمقاً وأهمية

ويأخذ بعض علماء النفس على التعليم المختلط ، فى مرحلة التعليم الثانوى ، أنه مباءة للفساد ، إذ أنه يثير النزعة الجنسية ، فتعصف بالنفس ، وتحرك العواطف فتنفعل الأحاسيس ، ويفقر الخصائص فتضعف الشخصية ؛ وهذا ما يكون خطراً مباشراً على الأخلاق والآداب ؛ وقد تكون الفتاة أقرب إلى هذه المؤثرات من زميلها الفتى وأدنى منه إليها

ويرد البعض الآخر على هذه المآخذ المتنوعة بأن الطبيعة الإنسانية تستدعى هذا الاختلاط ، وتتطلب هذا النظام لما له من الأثر القوى فى حياة الناشئة ، فتوجه العواطف توجيهاً سليما ، وتوحد العلاقات على أساس الثقة المتبادلة ، وتمهد السبيل إلى رفعة الأخلاق وتقرب من الزواج ...

والفتاة نفسها ترغب فى هذا الاختلاط إلى حد بعيد ، وتتوق نفسها إليه ، وتندفع وراءه ؛ فالفتاة كالفتى ، يعتلج فى أطواء نفسها الحب العنيف ، وتتأجج فى صدرها الأهواء ، ويتفتح قلبها إلى الصداقة ، وما عساها تفعل بهذه النوازع ؟ ... إن حبها لشديد ، وإن عواطفها لمنيفة ، وإن خيالها لواسع ، وإنها لتفتش عن أميرها المنتظر ، عن فتاها ، قبلة أنظارها ومحط آمالها ورجاء مستقبلها ، والتى تأمل أن تكون له زوجة فى المستقبل لتنعم بجانبه وتطيب نفسها به ، ولكن أين تبحث عنه ، وفى أية بيئة تجده ، وفى أى وسط تحظى به ؟ ...

إنها قد تجد فتاها الجميل ، الذكى الفؤاد ، الدمث الأخلاق ، الكريم الشمائل ، فى البيئة التى تختلف إليها ، وما هى إلا بيئة المعاهد المختلطة التى تدنيها من غايتها وتحقق أحلامها وآمالها

والفتى ، أليس ينشد مصاحبة الفتاة ، ويميل إلى معاشرتها ويتمنى صداقتها ، إنه ليتلهف إلى اختيار فتاته ، وتصبو نفسه إلى الزواج منها ولا سبيل إليها إلا فى تلك البيئة المختلطة أيضاً .

ويقول العالم الكبير Jourdan « إننا نحصل على أحسن النتائج حينما يجتمع الجنسان فى معهد واحد إذ نرى الفتى أكثر إقبالاً على العمل وأحسن خلقاً ، ونرى الفتاة تؤدى أعمالها فى جو طبيعى وبدوافع أرق وأفضل »

يؤخذ مما تقدم أن الفصل بين الجنسين ليس فى مصلحة النشء ولا المجتمع فى شىء بل ربما كان سبباً قوياً فى تداعى الروابط الاجتماعية وفى تفسخ العلاقات الأدبية

وكما يؤخذ على التعليم الثانوى يؤخذ أيضاً على التعليم الابتدائى ولكن هذا لا يدانى الثانوى فى الخطر ولا يجاريه فى العيوب ، وما ينسب إليه من حسنات ينسب إلى الآخر على السواء

أما فى صدد التعليم الجامعى فيقول الدكتور Joteyko الأستاذ بجامعة بروكسل « إن من الواجب ألا نستنتج استنتاجات هزيلة من الملاحظات التى يبديها البعض ممن يقاومون هذا التعليم ، وألا نرد التأثيرات السيئة التى تحدث عنه إلى هذا النظام بعينه . إن الوقائع التى نلمسها يومياً فى أجواء المعاهد المختلطة تدفعنا إلى الاعتقاد بفساد هذا النظام ، وكثيراً ما تتألم الفتاة من مسلك زملائها الطلاب الظرفاء ، ذلك المسلك الذى يسبب لهن كثيراً من الإيلام ، مما يدفع المرء إلى التفكير فى إقصاء الفتيات عن التعليم المختلط . . . ولكن لو أنعم هذا البعض الفكر فى أسباب هذه الوقائع ، لرد دواعيها ومسبباتها إلى نقص فى بعض الأنظمة التعليمية الحديثة ، أو بالأحرى إلى تخلف الفتاة عن المعاهد الثانوية

الحرب في أسبوع

الأستاذ فوزي الشتوي

فرنسا تسلم ؟ !

قابل العالم طلب المارشال بتان رئيس وزراء فرنسا لشروط عقد الهدنة بكثير من الحسرة والألم ، فقد عقد العالم أمله على المعارك الدائرة في فرنسا لإقرار السلام ، وإزاحة كابوس الدكتاتورية ومخاوفها . وظل الجيش الفرنسي يقاتل بعزيمته التي عرف بها إذا دهم وطنه خطار ، ولكن الخسائر التي منى بها ، والقوات الألمانية التي هاجمته كانت كبيرة العدد كثيرة العتاد ، تجاوزت في كثرتها جميع فنون القتال

ففي سنة ١٩١٤ كان عدد الرجال المقدر فنياً للقتال في الميل الواحد عشرة آلاف جندي. ودرس أحد الاقتصاديين العسكريين في سنة ١٩٣٨ عدد الرجال اللازمين للاشتراك في معركة ، سواء في حالة الهجوم أو الدفاع ، فقدر أن جبهة القتال تشمل ميداناً طوله ١٠٠٠ كيلومتر (٦٠٠ ميل) . وانتهت أبحاثه المبنية على الحساب والفن العسكري إلى أن عدد الرجال اللازم لهذه الجبهة في حالة الهجوم مدة سنة ، هو تسعة ملايين جندي ، تهبط إلى ستة ملايين في حالة الدفاع ، أي أن الميل الواحد يحتاج إلى ١٥ ألف جندي تهبط إلى عشرة آلاف في حالة الدفاع

استخفاف بالأرواح

ودرس هذا الإخصائي العسكري ما تحتاجه الجبهة من سيارات مدرعة ودبابات فقدر للميل الواحد ٢٠٠ منها طول السنة. ولكن القيادة الألمانية خالفت فنون القتال المألوفة معتمدة على ضربات خاطفة ، تقصد من ورائها أن تنهي الحرب في أشهر قلائل ، ويؤازرها في ذلك سياستها التي جرت عليها من الاستخفاف بأرواح رعاياها ، ووضعها في المرتبة الأخيرة أمل الحصول على أغراضها

فوضعت في جبهة طولها ١٥٠ ميلاً مليوني مقاتل و ٤٠٠٠ دبابة يضاف إليها سيارات النقل والجنود الاحتياطية ، فخص الميل الواحد ١٣ ألف مقاتل تقريباً ، وإذا قسمنا عدد الدبابات على عدد الأميال يظهر لنا قلة عددها ، ولكننا لو ذكرنا أن هذه الدبابات لم تتوزع على طول جبهة القتال ، بل قصرت عملها في ميادين خاصة ، فكانت الوحدة منها تتكون من ٢٠٠ دبابة لعرفنا قسوة الهجوم الذي وجه إلى القوات الفرنسية ، ولوجدنا أن ما قدر له أن يعمل سنة كاملة وضع في الميدان دفعة واحدة

ومعنى هذا أن الحرب إذا طالت سنة احتاجت ألمانيا إلى مثل هذه القوات ثلاثين أو أربعين ضعفا ، وهذا مالا يتيسر لألمانيا تحقيقه لضعف مواردها

ومن هنا يرى الخبراء العسكريون أن حرب ألمانيا مع انجلترا ستكون وبالاً على النازية ، لأن الحرب ستطول بحكم موقع الجزر

المختلطة ، بل والابتدائية منها أيضاً . إذ أن ارتياد الفتاة هذه المعاهد يمكنها من دخول الجامعة بعد أن تكون ماشت الفتى في دوري الطفولة والمراهقة ، وهي أشد ما تكون اطمئناناً على نفسها وأخلاقها وآدابها ، فتضطرم نفسها بحياة مليئة بالسعادة والهناء والرفاهية والنعيم » لذلك يطلب الأستاذ الكبير Ferrier ألا يقبل في الجامعات من الفتيات إلا من أتممن دراستهن الابتدائية والثانوية في المعاهد المختلطة

ويرى الأستاذ Rouma من شتى الملاحظات التي جمعها أثناء إدارته دار المعلمين في جمهورية بوليفيا الأمريكية أن الفتيان ، في اختلافهم إلى تلك الدار ، قد تهذبت نفوسهم وأخلاقهم ، وصقلت شجاعتهم ورجولتهم ، وسمت أخلاقهم وعواطفهم ، وجعلتهم اجتماعيين، فإذا بالفتى منهم أنيس الألفة ، كريم الشمائل حر الخلال ، رفيع التهذيب ، أديب المعاملة ، أنيق الملبس ؛ وإذا بالفتاة قد انتفى عنها الخوف ، وتلاشى الجبن ، وزال منها الضعف فأصبحت ناعمة بالاستقلال الذاتي ، متلذذة بالحياة ، واثقة من المستقبل فضلاً عن أن كلا منهما يجد في نفسه مزايا خاصة تسهل التعاون بينهما فيما بعد

***

هذه أوجه الرأي المختلف في هذا الموضوع الجليل ، رسمنا خطوطه الكبرى رسماً موجزاً وأوضحنا حسناته وفضائله، وكشفنا عن سيئاته ونقائصه ، ناقى بها لدى أرباب العقول النيرة علهم يوازنون بين الرأيين ويرجحون الكفة التي يكون بها الخير للأمة العربية .

(بيروت) رفعة الحنبلي

البريطانية الجغرافى، وبحكم توفر المواد الأولية فى أمبراطوريتها الواسعة.

لماذا استقال رينو

ومن الجدير بنا أن نقف لحظة إزاء ما قبل الظروف التى أعلنت فيها فرنسا طلبها لشروط الهدنة. فنى ساعات قلائل تستقيل وزارة المسيو رينو، وتؤلف وزارة المارشال بتان، وتصبغ بالطابع العسكرى، ويشترك فيها جميع قواد القوات الفرنسية من برية وبحرية وجوية. فهل يدل هذا على أن المسيو رينو رفض أن يتولى إصدار قرار طلب شروط الهدنة الخطير؟ وإذا كان هذا صحيحاً فما هى الموانع لاستقالته ورفضه؟ هل هى اختلافه فى الرأى مع العسكريين؟ أم أنه فضل أن يتلقى الشعب الفرنسى النبأ السيء من القادة أنفسهم؟

فالشعب الفرنسى معروف بحبه للحرية، معروف بتقاليده الوطنية التى لا تقبل الهزيمة، معروف بتضحياته السامية وبسالته التى لا تقهر، مما يدعو الساسة إلى التردد بل والامتناع عن إصدار مثل هذه القرارات المؤلمة

ويبدو لنا أن الاختلاف هو فى الرأى أيضاً، فقد غضب بعض كبار القواد العسكريين لطلب الهدنة، وطالب الجنرال ديجول الشعب الفرنسى الحر بأن يتصل به فى انجلترا ليواصل القتال، ولينزع عن بلاده ألم الهزيمة، وليخلصها من القيود التى قد يفرضها عليه الأعداء. ورأى هذا القائد له قيمته إذ كان أحد مساعدى المسيو رينو، وكانت له يد فى توجيه السياسة العسكرية والاقتصادية

فإذا قبلت فرنسا شروط ألمانيا فلن يعنى هذا أن رجال فرنسا ستغادر الميدان، بل إنهم سيواصلون الكفاح. وسيلحق بهم فى هجرتهم عدد كبير من الفرنسيين الذين لن يطيقوا أن يعيشوا تحت شروط الألمان والذين لن يطيقوا أن يتركوا بلادهم وسيادتها تحت رحمة النازيين. فقد ظلت فرنسا عدة قرون وهى دولة من المرتبة الأولى، لها صوتها المسموع، ولها إرادتها المحترمة، فهل يقبل شعبها أن تصبح من المرتبة الثالثة، بينما حليفتهم تقاتل فى الميدان؟ إن العصبة الفرنسية تقول محال، أو كما قال الجنرال ديجول «إن شعلة المقاومة الفرنسية لن تنطفئ. لن تنطفئ»

مناورة بارعة

ولقد كان اقتراح بريطانيا اتحاد الجمهورية الفرنسية بالأمبراطورية البريطانية مناورة سياسية وعسكرية بارعة، فهى تعطى لفرنسا مضماراً جديداً لاستئناف نشاطها، وتدل على حسن النية والتضامن فى السراء والضراء مما يجلب عطف العالم على قضية الحلفاء، ويدل دلالة مادية أن الطمع ليس العامل الحقيقى فى هذا القتال، بل هو سعادة العالم. وإلا فما الذى يدفع بريطانيا بامبراطوريتها العظيمة، لأن تقدم مواردها لإصلاح أضرار فرنسا ولأن تشاركها فى مصابها الحالى؟

ولو تم هذا الاتحاد، لكان له أثر عظيم فى سياسة العالم المقبلة، ولكان فتحاً جديداً لتكوين اتحاد أوربى عام، يعمل على إقرار السلام، فتزول الأحقاد، وتحد المطامع، ويشعر العالم بروابط المصالحة المتبادلة

هتلر بين نارين

وكان هذا التصريح بارعاً كما قلنا لأنه وضع ألمانيا بين نارين، فإذا هى غالت فى طلباتها من فرنسا رفضت فرنسا الصلح واتحدت مع انجلترا واستمر القتال إن لم يكن فى فرنسا فنى المستعمرات، ولمستعمرات فرنسا شأن كبير فى معركة البحر الأبيض، فنى تونس والجزائر ومراكش موان وقوات فرنسية لها قيمتها فى الجزء الغربى للبحر

ومن الناحية الثانية يفيد عدم غلو ألمانيا فى طلباتها، فإذا احتفظت فرنسا بقواتها البحرية والجوية، ولم تنضم إلى الدكتاتورية ولزمت الحياد تضمن انجلترا سيادتها البحرية على القوات الإيطالية، كما تضمن أن تظل القواعد الفرنسية فى غرب البحر الأبيض فى أيد محايدة تعطف على قضية بريطانيا

ويصعب علينا الآن أن نقدر أثر هذا التصريح، ولكنه يدل على شعور الديمقراطيات بعطف متبادل، ومشاركة فى الآلام، أو كما يقول المثل العربى «عند الشدائد تعرف الإخوان» وهل بعد محنة فرنسا الحالية شدة؟

اذا قبلت الشروط

وإذا انسحبت القوات الفرنسية من الميدان، فإن ميدان الحرب يتحول من البر إلى البحر والجو، وهما الميدانان اللذان يمكن أن تشتبك فيهما القوات الديمقراطية مع القوات الدكتاتورية، اللهم إلا إذا حولت ألمانيا قواتها لغزو البلقان، فمندئذ يتغير الموقف تغيراً بسيطاً، ولكن النصر النهائى يتقرر فى هذين الميدانين، ولإنجلترا فيهما التفوق العسكرى

فشل الحرب الخاطفة

ويتغير موقف ألمانيا قبل انجلترا فتضطر إلى الانتظار مدة يتاح فيها لأميركا تقديم معاونة جدية ، وإعداد مصانعها الإعداد المنشود ، فلا مفر إذن من فشل خطط ألمانيا فى الحرب الخاطفة ، ولا سيما أن قوات انجلترا ما زالت سليمة ، ففى الجزر البريطانية وحدها مليونا جندى بعضهم جنود نظامية ، وبعضهم للدفاع المدنى

فإذا عمدت ألمانيا إلى مهاجمتها عن طريق الجو ، فإن القوات الجوية ليست عاملاً فعالاً فى الاستيلاء على البلدان ، بل يجب الاستناد إلى قوات برية ، وهنا تبرز معضلة ألمانيا الكبرى . فكيف تنقل قوات تقاتل هذه قوات انجلترا الكبيرة ؟

كيف تغزو انجلترا ؟ ؟

أمامها فى هذه الحال طريقان : وهما البحر والجو ، فإذا سلكت طريق البحر احتاجت إلى أسطول ضخم لحماية السفن من الأسطول البريطانى ، وهى لا تملك من السفن الآن ما يضمن لها تحقيق هذه الغاية ، فإذا لجأت لحمايتها بالأسطول الجوى ، فإن الطائرات البريطانية تنازعها السيطرة على بحرها ، ولا سيما لقرب قواعدها وتفوق طائرات القتال البريطانية

فإذا قلنا يمكنها أن تفعل ما فعله الحلفاء فى دنكرك عندما أنزلوا قواتهم من منطقة الفلاندر ، فإن الموقف متغير لعدة عوامل :

١ — تفوق أسطول انجلترا البحرى

٢ — تفوق أسطول انجلترا الجوى وخصوصاً طائرات القتال

٣ — المدافع الساحلية ، وهى من القوة بحيث تكفى لصد أساطيل حربية

٤ — حقول الألغام المبثوثة حول الشواطئ البريطانية ، وهى تحتاج إلى قوات كبيرة لانتشالها

٥ — وجود قوات كبيرة فى بريطانيا

فهذه العوامل متجمعة تجعل من المستحيل على ألمانيا إنزال قواتها فى انجلترا عن طريق البحر ، فضلاً عن أن قوات الحلفاء التى نقلت من دنكرك لم تحمل معها أسلحة تذكر ، ومن البديهى أن نقل الرجال أسهل بكثير من نقل الأسلحة

غزو انجلترا جواً

وناقش أحد رجال انجلترا العسكريين احتمال غزو انجلترا عن طريق الجو على هدى الخطط العسكرية الألمانية ، فقال إن ألمانيا تحتاج فى هذه الحالة إلى ألف طائرة تسع كل منها أربعين جندياً بعددهم من الأسلحة الخفيفة ، فتحمل هذه الطائرات حمولتها من الرجال من قواعد قريبة من انجلترا كميناء كاليه مثلاً ، فتهبط الدفعة الأولى بالمظلات الواقية وتحتل بعض المواقع وخصوصاً المطارات ، وتحتفظ بها فترة من الزمن حتى يتاح للطائرات أن تعود بأربعين ألف جندى آخر

وعمل الدفعة الأولى أن تحتفظ بمواقعها إلى أن تأتيها الدفعة الثانية فالثالثة فالرابعة ، إلى أن تستقر القوات فى مكان يتيسر للطائرات الألمانية الهبوط فيه . ومن ثم يبدأ الغزو الحقيقى للجزر البريطانية

وإذا قلنا إن هذا المشروع مشروع انجليزى ، أدركنا أن الإنجليز أعدوا له العدة اللازمة من جنود إقليميين ونظاميين ، وأن الألمانيين لن يجدوا الجزر البريطانية لقمة سهلة الهضم ، وفضلاً عن هذا فإن الطائرات لا تستطيع حمل الأسلحة الثقيلة من دبابات ومدافع ميدان لتجابه بها المدات الإنجليزية

بريطانيا وألمانيا

أما كيف تقضى بريطانيا على قوات ألمانيا ، فلها فى ذلك وسيلتان :

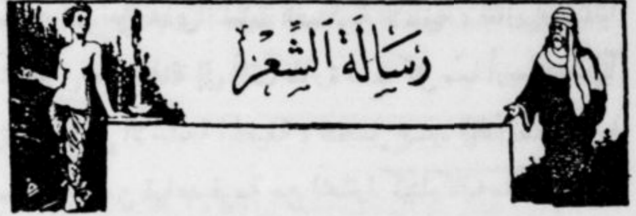
١ — الحصر البحرى

٢ — استغلال فرص القتال

فأما الحصر البحرى فأمره معروف ، وهو يقضى بمنع المواد عن ألمانيا إلى أن تنهار حياتها الاقتصادية وبالتالى قواتها العسكرية

وأما استغلال فرص القتال فهذا موضوع يعود بنا إلى أيام نابليون ، فقد ظلت العداوة قائمة بين فرنسا وانجلترا من سنة ١٨٠٣ إلى سنة ١٨١٤ استولى أثناءها نابليون على أوربا كلها تقريباً ، وكانت انتصاراته المتتابعة تملأ آذان العالم . وكانت انجلترا تستغل تمرد الدول المختلفة

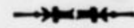
فقد فرض نابليون سيطرة أسرته على جميع الممالك من أسبانيا إلى قلب أوربا ، وعين إخوته ملوكا على إيطاليا وأسبانيا ، وحالف تركيا والروسيا فى أدوار مختلفة ، ولكن الدول الأوربية ما لبثت أن تمردت عليه وهاجمته قواتها من جميع الجهات حتى استولت على باريس . وكانت انجلترا فى هذه الأثناء لا تترك له فرصة



صاحب البعثة الكبرى

[إلى القطيع المشرد التائه ، المتمدن
الوحشي ، السابح في الدماء . . .]

للأستاذ محمد بهجة الأثري



خَلَتِ الدُّهورُ وأنتَ أنتَ الأوحدُ ذِكرى مُقدَّسةٌ ومجدٌ سَرْمَدُ !
تتضاءلُ العُظَماءُ عندَك والكُنى وتحُطُّ شاهقةٌ ويصغرُ سُؤْدَدُ
كالطَّوْدِ تضربُ في السماءِ شِعافُه وعلى قواعِدِهِ المنازلُ ترقُدُ !
قُدسُ النُّبُوَّةِ من يُطاوِلُ سَمْكَهُ أو مَنْ يَرُومُ سماءَهُ أو يصعَدُ ؟
هي مَظهَرٌ لله جَلَّ جلالُهُ لم يُعْطَها غاوٍ ولا مُتَمَرِّدُ
قد كنتَ صَفوةَ خَلقِهِ لخباكَها شَرَفًا . فأنتَ المُصطفَى المتفرِّدُ
وَقَفَ الفلاسِفةُ الكِبارُ تَخَشُّعاً مِنْ دُونِ بابِكَ ظامئينَ لِيَجْتَدُوا
رادُوا الينابيعَ التي فَجَّرْتَها ماءً وَظِلاً بارداً واستَوْرَدُوا
ما كلُّ ماءٍ كالفُراتِ مَذاقُهُ كلاّ ، ولا كلُّ المراعي يُحْمَدُ
كَمْ مِنْ زَعامَةِ سَيِّدٍ مَحَّصْتَها فأبَى عليها النَّقْدُ لا تتجلَّدُ

يستقر فيها ، فهاجته في تركيا ، وأسبانيا ، وفي البرتغال ، وفي بلجيكا إلى أن استنفدت جميع موارده وهزم الهزيمة النهائية في واترلو

ولا يختلف موقف هتلر عن موقف نابليون ، فهو يحتل بلاداً نعم أهلها برحيق الحرية ، وتأصلت في نفوسهم روح الوطنية ، فإذا كبتوا شعورهم تحت ضغط الحديد والنار لحظة ، فلن يلبثوا أن يتمردوا لحظات ، فتذكي انجلترا شعورهم وتأخذ بيدهم ، وتمهد السبيل للقضاء على الطاغية .

فوزي الشتوي
بكالوريوس في الصحافة

يبنُونَ مَجْدَهُمُ على قَهْرِ الوَرَى والمَجْدُ يَبْرَأُ منهمُ والسُّؤْدَدُ !
ألفَتْحُ عندَهُمُ هَوًى وتَعَسُّفٌ ومَمالِكٌ تَهْوِي وأُخرَى تُخْمَدُ
أُسَراءُ أهواءِ النُّفُوسِ تَخُدُّهُمْ يومٌ ، وأمّا ذَمُّهُمْ فَمُؤَبَّدُ
لم يَظهَرُوا إلا لِيَخْفَوْا مِثلَما تَبْدُو فقاقيعُ السُّيُولِ وتَهْمُدُ
وظَهَرْتَ مِثلَ الشَّمْسِ إلا أنها تَخْفَى ونورُكَ في الخليقةِ سَرْمَدا !
وبَنَيْتَ بالحقِّ المُبينِ فلا هَوًى يَطْغَى عليكَ ولا مُنًى تَتَرَصَّدُ
ألفَتْحُ عِندَكَ شِرْعَةٌ وعقيدةٌ وأُخُوَّةٌ وتَراحُمٌ وتَوَدُّدُ
دُستُورُكَ القُرْآنُ : أمّا وَعْظُهُ فهُدًى ، وأمّا حُكْمُهُ فمُسَدَّدُ
عالٍ على الأهواءِ لا مُتَملِّقٌ أحَدًا ولا مُتَعَسِّفٌ يتَمَرَّدُ !
كالسَّرْحَةِ الفَيْنَاءِ غُصْنٌ مُثْمِرٌ وَخَمِيلَةٌ تَنْدَى وظِلٌّ أبْرَدُ !
تأْسُو جِراحَ الخَلْقِ بالخُلُقِ الذي تَرْوَى القُلُوبُ به وتَشْفَى الأكبُدُ
ولكَ السَّماحَةُ والسَّجاحَةُ والنَّدَى وهُدَى النُّبُوَّةِ والفَعالُ الأرْشَدُ
نَسَقٌ مِنَ الخُلُقِ العَظِيمِ كأنَّهُ فَلَقُ الصَّباحِ وَحُسْنُهُ المُتَوَقِّدُ
تدعو إلى أدَبِ الحياةِ وَعِلْمِها وَتُنِيرُ دُونَهُما السَّبيلَ وَتُرْشِدُ
تَسَعُ الأنامَ جَمِيعَهُمْ لكَ مِلَّةٌ غَرّاءُ تَهْدِي العالَمِينَ وَتُسْعِدُ
أزَلِيَّةٌ أبَدِيَّةٌ لا سِرُّها يَخْبُو وَلا إشْعاعُها يَتَرَبَّدُ !
يَزْكُو عليها الرُّوحُ فهْوَ مُنَزَّهٌ عَمّا يَشِينُ وَجَوْهَرٌ يَتَوَقَّدُ
الوَحْيُ أُسُّ بنائِها العالي الذُّرَا وَالحَقُّ حائطُ رُكْنِها وَالمُحْتِدُ
وَالفَتْحُ وَالعُمْرانُ من آرابِها وَالعَدْلُ والعَيْشُ الرَّخِيُّ الأرْغَدُ
دُنيا أقَمْتَ عَلَى العَقِيدةِ رُكنَها ومن المَقاثِدِ ما يَشِيدُ وَيُخْلِدُ
هِيَ هَيْكَلٌ فانٍ ، فإنْ حَلَّتْ بِهِ رَفَّتْ بِها الحَوْباءُ وَهْيَ تَرَأَّدُ
يُنْبُوعُها التوحيدُ: مَشْرَعُ مائِهِ لِلْوارِدِينَ ، وَنَبْعُهُ لا يَنْفَدُ
جَمُّ الأيادِي فالأنامُ بِخَيْرِهِ وَبِخِصْبِهِ مُتَقَلِّبُونَ وَهُمْ يَدُ
ما الناسُ ـ لولا البَغْيُ ـ إلاّ أُمَّةٌ وَالدِّينُ ـ لولا الجهلُ ـ إلاّ أوْحَدُ
ما أحْسَنَ التَّوْحِيدَ يَجْمَعُ شَمْلَهُمْ فَيَعُودَ وَهْوَ مُنَظَّمٌ وَمُوَحَّدُ !
بِسَناهُ أخْرَجْتَ الشُّعُوبَ من العَمَى وَهَدَيْتَها لِلنَّهْجِ وَهْوَ مُعَبَّــدُ

فاستؤصلتْ فوضى وقامت دولةٌ ... وخبتْ هياكلُ واستنارَ المسجدُ
ومشتْ على يبسِ الصعيدِ حضارةٌ ... باليُمنِ تُشرقُ والهناءةِ ترغدُ
إنّ الجمالَ خفيُّهُ وجليُّهُ ... إكسيرُها وشعاعُها المتجسِّدُ!

***

بُعدًا لمفتونين لم يُعرفْ لهم ... رأيٌ يُجَلُّ ولا مقالٌ يُحمدُ
نفَوا الرسالةَ وارتأوها دعوةً ... زمنيّةً أفلتْ وليسَ لها غدُ
خُصّتْ بجيلٍ قد مضى، وبحقبةٍ ... طُويتْ، وأمرٍ رثٍّ لا يتأبّدُ
خسئوا. فما عرفَ الحقائقَ ماجنٌ ... خلعَ العِذارَ، ولا غبيٌّ مُلحِدُ
البعثةُ الكبرى حياةٌ للورى ... أبدَ الزمانِ ونعمةٌ تتجدّدُ
عمّتْ ولكن قد خُصِصتَ بفضلِها ... يا آخرًا هو أوّلٌ متفرّدُ!
إنّ الأُلى زعموكَ سيّدَ قومِهِ ... كذبوا. فإنّكَ للبريّةِ سيّدُ!
شمسٌ، وهل تختصُّ ناحيةٌ بها ... وشعاعُها في كلِّ أُفقٍ عسجدُ؟!
المرسلونَ، وأنتَ درّةُ عِقدِهم ... ختموا بسرِّكَ في الزمانِ وجُدِّدوا
أيّدتَ دعوتَهم وصُنتَ جلالَهم ... فأريتَنا كيفَ الإخاءُ يُوطَّدُ!
يا رائدَ الإصلاحِ يلتمسُ الهُدى ... هذي منابعُهُ، وهذا الموردُ!

***

ومن العجائبِ معشرٌ أنجبتَهم ... نبغوا بدينِكَ في العُلى واستنجدوا
من بعدِ رعيِ الشاءِ قد رعَوا الملا ... فانصاعَ جبّارٌ، ودانَ مسوَّدُ!
أطلقتَهم غُررًا بآفاقِ العُلى ... يمشي بنورِهمُ الزمانُ ويُسنِدُ
تتخايلُ الدنيا بعزّةِ مُلكِهم ... وتكادُ من فرحٍ بهم تتميّدُ!
من معجزاتِ الدينِ في أخلاقِهم ... خُصّوا بصُنعِ المعجزاتِ وأُفرِدوا
من كلِّ وضّاحِ الجبينِ كأنّه ... ينشقُّ في الظلماءِ عنه الفرقدُ
جمُّ الجلالِ تكادُ تستذري به ... شُمُّ الجبالِ ويتّقيهِ المُزبِدُ
يمشي بهم للفتحِ يحدو شوقَهم ... دينٌ يثوبُ لآيِهِ المتشدّدُ
أذكى عزائمَهم وأورى زندَهم ... فاستفتحوا مُرَّ البلادِ وأبعدوا
نظموا الممالكَ بينَ قطبيها، ولو ... وجدوا وراءَ البحرِ أرضًا أوردوا
في حقبةٍ قصرتْ كأنَّ زمانَها ... يومُ الوصالِ وحُسنُهُ المتورّدُ!
حفلتْ بآياتِ الجلالِ زواهرًا ... يفتنُّ فيها الناظرُ المتصعِّدُ

***

تلكَ الحضارةُ لا مظاهرُ زُخرفٍ ... تُغري وباطنُها العذابُ الأسودُ!
نارٌ ولا نورٌ، وطغيانٌ ولا ... زجرٌ، وأهواءٌ ولا مسترشدُ!

***

يا ربِّ! أهلُ الغربِ جُنَّ جنونُهم ... وطغى القويُّ على الضعيفِ يُعربِدُ
الأرضُ نارٌ، والسماءُ جهنّمٌ ... والبحرُ بُركانٌ يثورُ ويُزبِدُ
لم يبقَ شبرٌ لم يُصَبْ بمجازرٍ ... أو لا يُراعُ بمثلِها ويُهدَّدُ
عزَّ السلامُ وأنذرتْ غاراتُهم ... أنّ القيامةَ حانَ منها موعدُ!
يا ربِّ! والقومُ الهداةُ تعسّفوا ... سُبُلَ الصحابةِ خلفَهم وتورّدوا
هجروا سبيلَكَ ظالمينَ نفوسَهم ... فتفكّكتْ أوصالُهم فاستُعبِدوا
سلبَ الطغامُ ديارَهم وتأسّدوا ... وبغى اللئامُ جلاءَهم وتوعّدوا
وهمُ شتاتٌ: دينُهم متفرّقٌ ... سُبُلًا ودنياهم شقاءٌ أنكدُ
شِيَعٌ تطاعنَ بينها ومذاهبٌ ... شتّى وأحوالٌ تُقيمُ وتُقعِدُ
قومٌ وراءَ الغربِ في آثامِهِ ... ركضوا خيولَ الموبقاتِ وأطردوا
ومُصرَّعونَ من الضلالِ كأنّما ... أوهامُهم سُمٌّ يدبُّ ومُرقِدُ
هي أزمةٌ يا ربِّ لطفُكَ وحدَهُ ... يُرجى لها فلعلَّ لطفَكَ يُنجِدُ
النورُ أُطفِئَ والزعامةُ أخفقتْ ... والبغيُ طبّقَ والقطيعُ مُشرَّدُ
يا ربِّ أفليَطلُعْ (كتابُكَ) بالمدى ... يا ربِّ! وليقمِ النبيُّ (محمّدُ)

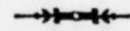
(بغداد) محمد بهجة الأثري



تأملات :

اللهم احفظنـــا !

للأستاذ عزيز أحمد فهمى



— عينا من هاتان القاسيتان اللتان أخفيت وجهمها لتنظر فيهما ؟ ... أرنى هذه الصورة ... بيلالوجوزى ؟! درا كولا ؟! لم أكن أحسب أن هناك من يجد المتعة فى النظر إلى عينى درا كولا ... مصاص الدماء

— لك الحق ! فمن كان مثلك ، فانه لا يستطيع أن يفتح عينيه فى عينى درا كولا

— مخيفتان ! !

— من غير شك ، ولكن لماذا هما مخيفتان وهما ، مهما كانتا ... عينان ...

— لا أدرى ، ولكنه يخيل إلى أننى لو قابلت درا كولا ، والتقت عيناه بعينى لما استطعت إلا أن أمد له عنقى ليمتص من دمى ما يشاء ...

— فإذا قابلت لاندرو ؟ !

— ومن لاندرو ؟

— سفاح فرنسى كان يصيد الفتيات والنساء الصغيرات بنظراته ، حتى إذا تملكهن انفرد بهن وقتلهن واستولى على حليهن ودفنهن

— يا حفيظ ! وكيف كان يصيدهن بعينيه هذا الرجل البغيض المجرم ؟ .. ماذا كان يجذبهن إليه ؟

— شىء مثل الذى فى عينى درا كولا ، وقد قلت : إنك لو رأيت عينى درا كولا ورأى عينيك لما استطعت إلا أن تسلمى له جيدك هذا المرمر ، ليمتص ما شاء من دمك ...

— وما الذى فى عينى درا كولا ؟ ! أرنى الصورة ... أرنى ... قسوة ! ...

— وهل تغرى القسوة بالإقبال عليها وبذل الدماء لها ؟

— إذن فما الذى فى هاتين العينين ؟ إنه على أى حال شىء كريه ، ومع ثقله على النفس له سيطرة وسيادة وأمر لا مفر من طاعته ...

— فبأى الأسماء تسمين هذا ؟

— إنهما عينان تطمئنان نفس الذى تنظران إليه ...

— ولكن المطمون لا يزحف إلى طاعنه ...

— لولا أنهما تؤذيان لقلت إنهما جذابتان

— ولماذا تخلقين التناقض بين الجذب والأذى ؟... أما يجذب العنكبوت الذبابة وفى انجذابها إليه هلاكها ؟ أما يجذب الفسفور الأكسجين ، وفى انجذابه إليه احتراقه ؟ إن عينى درا كولا جذابتان ومؤذيتان ... ولم لا ؟ !

— إنهما حقاً عجيبتان ... قل لى ما هما ؟

— ها هما أمامك ... أنظرى إليهما تعرفيهما ... بل إنك تعرفينهما وتخافينهما كما قلت ، فماذا تريدين منى أن أقول لك عنهما ... إنى أستحى ...

— أنت تستحى ؟! صحيح مؤدب جداً ، تقى جداً ، تقى ورع ...

— أنظرى إلى عينى ... عينى أنا ؟ ...

— ها أنا ذى نظرت ... هيه ... «إخص» عليك ! تلعب لى حاجبيك ؟ ! ... أما إنك مسخرة !

— أأنا المسخرة أم المسخرة أنت ؟ أنا نظرت إليك ورقص حاجباى فوق عينى أثناء ما كنت أنظر إليك ، فلماذا ضحكت ، ولماذا قلت ما قلت ؟ ألأن حاجبى رقصا ؟ هبيه زر طربوشى أرقصته نسمة وأنا أحدثك ؟ أفكنت تضحكين ؟ أو هبينى نظرت إليك وعبثت بأصابعى و « طقطقتها » ... أفكان هذا يضحك ؟

— ولكن تلعيب الحواجب له معنى ...

— وأين رأيت هذا المعنى ؟ فى قاموس ؟ أم فى جامعة أستاذها كشكش ؟

— ليس حتماً أن تكون كل المعانى التى يدركها الناس مسجلة فى كتب وقواميس أو مما يلقى عنه الأساتذة دروساً ومحاضرات فى الجامعات ... بل إن هذا المسجل فى الكتب والقواميس ، وهذا الذى يلقى فى الجامعات والمدارس لهو الأقل من العلم ، والأبعد عن حاجة الحياة ...

— أنا معك فى هذا ... والآن قولى لى ... لماذا أنت إذا نظرت إلى عينى دراكولا خفت منهما ومع هذا الخوف انجذبت إليهما ... ولماذا أنت إذا نظرت إلى عينى أنا ضحكت ومع هذا الضحك انجذبت عنهما ... تفرين مما يضحكك وتندفعين إلى ما يخيفك ؛ لماذا ؟

— أنا التى أريد أن أعرف السبب ، بل إنى قبل أن أعرف السبب أريد أن أعرف ما هذا الذى فى العيون ينتقل منها إلى العيون الأخر فينتقل معه أشياء من النفوس إلى النفوس الأخر ...

— أما هذه فإشعاعات ... هى انعكاسات نورانية أو نيرانية تنبعث من نفس إلى نفس عن طريق منافذ النفس والعيون من هذه المنافذ ...

— وهل غير العيون للنفس منافذ ؟

— الفم وإن كان لا ينشط فى هذا كثيراً إلا عند النساء والمفنين ، واليدان ، والجلد ... وغير ذلك ... وغير ذلك ...

— دعنا من ذلك فإنى أريد أن نبقى الآن فى حديث العيون

— قبل أن أدعنا من هذا أقول لك للمرة الألف امسحى هذا الأحمر من فوق شفتيك فإن المعبر فيك عن نفسك يا هذه هو فك ... هو الجذاب فيك

— ولا شىء غير فى ؟

— الآن حلا لك أن نترك حديث العيون لنتحدث عن ذاتك الكريمة ؟ ... دعينا من هذا وعودى بنا إلى العيون وقولى لى بأى شىء تفسرين ما يفعله النساء فى مصر من تبخير اللوانى تصيبهن الأعين منهن ؟ ...

— هذه خرافة من خرافات الجاهلات العجائز ليس لها شأن بما نحن فيه

— بل هى علاج مما تعلمه هؤلاء الخبيرات العجائز وهى ليست شيئاً غير ما نحن فيه ...

ألا تعرفين متى يقولون إن فلانة أصابتها عين ؟

— عند ما يعتقدون أن حاسدة حسدتها. والذى أعرفه أنا عن الحسد هو أن يتمنى إنسان زوال النعمة عن إنسان آخر ، ولكن لست أدرى كيف يتصورون أن أمنية خاطئة شريرة كهذه إذا ثارت فى نفس إنسان حاسد كان لثورتها هذه أثر حق فى المحسود. ولأنى أعجز عن تصور هذا أقول إن حديث الحسد والعين خرافة

وإن المشتغلات به من الكوديات ، والمشتغلين به من مشايخ الزار دجالون بضاعتهم وتجارتهم التى يروجونها بين الناس أوهام وأباطيل .

— إنك مخطئة ، فالحسد والعين ليسا خرافة ، ومشايخ الزار و « الكوديات » ليسوا جميعاً دجالين ، فمنهم الدجالون حقاً ، ولكن منهم أيضاً علماء النفس المتمكنين منه علماً وعملاً و كهانة وسحراً ... تصورى « بهلواناً » ...

— ماذا ؟

— البهلوان الذى يمشى على الحبل ويقفز فى الجو من عقدة إلى عقدة ، ومن حلقة إلى حلقة ... ألا تعرفين ؟ ... هذا « البهلوان » يقوم بألعابه هذه كل ليلة ، وهو لأنه مدرب عليها وحاذقها يوفق فيها دائماً كما يوفق دائماً كل عامل مدرب وكل لاعب مدرب . وإذا نظرت إلى هذا « البهلوان » ، وهو يقوم بألعابه هذه ترين أنه يأبى أن يسلم عينيه لنظرات الناس ، فهو دائماً متجه بنظره إلى لا شىء ، أو إلى عينين يحبهما ويطمئن إلى إعانهما به ؛ أما غير ذلك ، فهو يخشى لو أنه تلقى نظرات الناس أن يتلقى فيها نظرات شكاكة ينبعث منها الحذر عليه من الفشل فى لعبه ، والفشل فى لعبه معناه الموت . والذى يخشاه من هذه النظرات الشكاكة ، هو أن ينتقل شكهما فيه إلى نفسه ، فيشك فى نفسه ، فيتردد فى حركاته ، فيختل توازنه فى قفزة ، أو فى همة أو فى هبطة ، فيضيع ، وكما يخشى هذه النظرات الشكاكة يخشى أيضاً النظرات الحاسدة التى ينعكس منها بصراحة تمنى زوال هذه البراعة عنه ، وهذا شىء يبعث فى نفسه قوة تتجه إلى إقناع عقله بأن هذه البراعة لن تزول عنه ، هذا إذا كان قوياً ، أما إذا كان فى نفسه شىء من الضعف ، فإنه قد يسائل نفسه : أليس ممكناً أن تزول هذه القوة عنى ... وماذا أصنع إن هى زالت ؟ ! ... ثم من يدريني إذا كانت قد زالت فعلاً ، أو أنها لا تزال باقية ؟ ... وهذه الاضطراب وهذا الانشغال يستنفدان كثيراً من قوة « البهلوان » ومن جهده بعد أن كان يتجه بقوته كلها وبجهده كله إلى إتقان ألعابه ... فلا عجب بعد ذلك إذا هو فشل وهو غارق فى هذه الزلزلة ، فإذا فشل قالوا أصابته العين والعين أصابته فعلاً ، وهم يعالجونه بالتبخير والترنح والفوضى الحركية التى يمارسونها فى الزار لأنه بهذا يخدر أعصابه ويكف إرادته عن السيطرة على تفكيره ، فيوحون إليه وهو فى هذه الحال

بأنه مصون ، وبأن الله حافظه ، وبأن الصلاة على النبي واقيته ، وبأنه عن أي سبيل من سبل الاطمئنان قوى قادر بارع له أن يثق بنفسه وألا يعود مطلقاً إلى الشك فيها ، وألا يعود مطلقاً إلى الخضوع لنظرة شاكة أو نظرة حاسدة . . . وكما تصيب العين الإنسان الفرد فإنها أيضاً تصيب الإنسانين ، فهما إذا تحابا وتبادلا الإخلاص والتقيا وهما في حالة من حالات الغموض المريح الذي يسعدان به ورأيا عيناً تنظر إليهما نظرة مستفسرة عن هذا الغموض مصرة مصممة على ألا تفرض فيه خيراً ثار في نفس كل منهما الشك في صاحبه والشك كسر يصيب ما بين المخلصين من ود ، وجبره صعب ... والأصل نظرة تنطبع في عقل المصاب فيلزمه الضعف والفشل

— هذا كلام طيب ، ولكنه لا يزال بعيداً عن نظرة درا كولا ، ونظرة لاندرو ، ونظرتك أنت المضحكة السخيفة...

— بعد كل هذا اللت والعجن لا أزال بعيداً ... إن نظراتنا جميعاً : أنا ودرا كولا ولاندرو تسأل وتجيب عما تسأل عنه وتطلب وتأخذ الذي تطلبه في آن واحد ... وكل ما بينها من فرق يعود إلى اختلاف الموضوعات التي تهتم بها ... فدرا كولا ينظر إلى فريسته وهو يقول أنا قوى ، وإلى جانب قوله هذا يسأل : وأنت ؟ وإلى جانب سؤاله هذا يجيب : ضعيفة . وإلى جانب إجابته هذه يطلب : هات دمك لي فحياتي أثمن من حياتك وأبقى وأشد امتلاء ، وأظهر وأنفع ، وهو إلى جانب ما يطلب هذا يأخذ ... وهو يأخذ لأن فريسته لا تستطيع أن تكذبه ... كنظرة القط إلى الفأر ؛ فالقط يقول بنظرته للفأر أنا أقوى منك وحياتي أظهر من حياتك وأنت غذائي فتعال إلى لآ كلك فأنا جائع ، فيقف الفأر ، أو لعله يدنو إلى القط بنفسه . . . كلمة النار أمام الفراشة تقول لها أنا وضاءة لماعة حية ظاهرة متألقة فماذا أنت ؟ تعالى إلى واحترق في لئلمي لمة ، ولتومضي ومضة ولتكوني لي طعاماً ... فتأتيها الفراشة مقتنعة ... هي سيادة وهبتها الطبيعة لمخلوقات تفرضها على مخلوقات ترضى بها ...

— ولاندرو ؟

— لاندرو يهتك فريسته بعينيه ، يقول لها : أنا ميال ، وأنت ميالة ، فتعالى نتعاط ما نميل إليه ... لا تكذبي ولا تمرضي فأنت تريدين مثل الذي أريد ... تعالى ...

— يامنيث ! وأنت تستمين بتلعيب حاجبيك لمجزك فتضحكني

— ليس هذا لمجزي ، وإنما لأفهمك أنه عندي نوع من العبث ، لا أجد الجد كله فيه ...

— من خيبتك ...

— هذه الخيبة أدعوها أنا تسامياً ... وثق يا حضرة الدرة المصونة ، والجوهرة المكنونة ، أنني لو لم أر في هذه الخيبة حسناً وإحساناً ، وأني لو عمدت إلى الإصابة بعيني وفمي

— ويديك وجلدك وغير ذلك وغير ذلك ...

— نعم ... لكنت وحشاً لا أحب أن أكونه ...

— اللهم احفظنا . . . الآن في عينيك بريق كالذي في عيني دراكولا ...

— والآن في جيدك حنين يصبح تحت جلده ... تعالى ... ولا تقاومي لئلا تجمد عيناك ويغلظ جلدك

— يا أمه ! ...

عزيز أحمد فهمي



محاكمة بدوية أمام الأمير نوري الشعلان (*)

— السلام على الأمير

— وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

— أنحن بحضرة النوري بن شعلان ؟

— إى بِلله ، وأنتم من ؟

— نحن من جبل الدروز ووجهتنا الحجاز

— الله يحييكم ، أنتم ولد عمنا ، كيف حال الأطرش (يريد أبا على مصطفى الأطرش)

— هو بخير ، وهذا تحرير منه لكم

— تحرير ؟ إيه أبو على والله إنك لحافظ العهود وإيش تبغون بالحجاز ؟

— نؤدى الفريضة

— الله يحييكم ، يا نواف ، يا ولدى أكرم الضيوف ، وتعيدون عندنا إن شاء الله

— العفو يا زين ، وقتنا قصير ، ويلزم أن نعود بسرعة للشام

— لا لا ، تعيدون رمضان عندنا ، ومن يوم للثانى قريب ، غداً عندنا قضوة (محاكمة) يجى البدو من كل ناح ، وبعد غد العيد ، وعيدكم مبارك عليكم

— علينا وعليك يالأمير

المحاكمة

المدعى — صبحكم الله بالخير ، اليوم يوم الله ، اليوم يوم الحق ، اليوم يوم اليمين ، إبشر يا مذبوح ، احلف يا ذابح ، اليوم يوم الله السلام على الأمير ، السلام على ابن شعلان ، السلام على قاضى العرب

الأمير — وعليكم السلام يا لعرب ، الله أكبر ، الله أكبر ، نثلوا حججكم (أى قدموا براهينكم)

(*) الأمير نورى الشعلان أمير قريات الملح ، والحديث بلهجة البدو

المدعى — يا قاضى بعدل الله . جيتك جدى ، وامشى هدى ، ومصلى على الله والنبى . ودى (أريد) منك الحق ، والحق فوق الكل والحق من الله ، لنا بذمة هذا — وأشار إلى بدوى آخر — دم . قتل ابنى وفقدنا الشاهد ، ولزمته اليمين ، فإما برىء ، وإما قاتل ، والقاتل مقتول

الأمير — وإيش اسم غريمكم ؟

المدعى — جديع ابن سمير

الأمير — انهض يا وليدى ، ادفع عن نفسك ، أنت شاب ، وشيخ الفريق ، ولزمك الدين (اليمين) إن كنت بريئاً برّاك الله ، وإن كنت قاتلاً قتلك العدل ، احلف احلف

المتهم — والله يا لنورى ، الحق من الله ، واليمين وزر ، اعفونى منها وأنا أعطى الرجل مية بعير

الأمير — قودوا العير يا لربع ، واعفوا الراجل من الدين واحجبوا دم العباد

المدعى — لا لا ، نريد اليمين حتى نعرف الصح (الصدق)

المتهم — يا لربع ، بالله ومحمد رسول ، إنى مؤديكم ميتان بعير وجوزوا عن تحليفى وتموضوا الله ، والذى مات مات ، ونحن أقارب وإخوان

الأمير — وإيش عندكم يا لعرب ؟ ميتان بعير تساوى ألفين جنيه . جوزوا عن الدين ، واعقدوا الراية حفار ودفان (أى سماح عن الماضى والحاضر)

— وإيش تقول يا ساير ؟ المقتول ابنك ، والله فوقك ، والخطة قدامك (يريدون بالخطة دائرة يرسمها أحدهم على الأرض ليقف المتهم داخلها ويحلف ، ويسمونها خطة سليمان بن داود)

المدعى — والله يالعرب ما أنا بائع دم ابنى بجمال ، أريد من غريمى دين فأما يكون بريئاً فأطلب حق من قاتل ولدى ، وإما يكون القاتل فأقتله بيدى ، (واليمين عندهم فريضة متى فقد الشاهد)

المتهم — يا شيخ ، جز عن تحليفى ، وخذ العير ، فأنا برىء من دم ابنك ، ولو كنت أنا القاتل لما خفت منك ، وورائى كما تعلم عرب الشرارات وأنت أخبر بالشرارات وبأسهم

المدعى — جديع ، تهددنى بالشرارات ؟ أنسيت من هم

الحسن؟ ويوم اللى هزمنا كم مثل الغنم الهامل، والله لا أرضى منك بغير اليمين ولو ملكتني كل حلال الشرارات

المتهم — وإيش عليه ، أنا أحلف ، خطو الخطة ، أنا رايح أحلف ، أنا على باب الخطة ، يا عونة الله أنا رايح أحلف ، يا ساير خف الله . يا خوى وخذ البعران وجز عن تحليفى وأنا برى

المدعى — اليمين اليمين

المتهم — اشهدوا يا لعرب، اسمعوا يا لربع ،أنا بالخطة، وهذه عصاتى وهذه يمينى :

« وحق هالعود ، والرب المعبود ، وخطة سليمان بن داود ، أنا رميت والله قتل » وأنا بوجه ابن شملان

(أى أنه هو أطلق النار ، والله قتل ، وهو بحماية النورى ابن شملان والحماية عندهم ثلاثون يوماً فقط ، وبعدئذ إما أن يدفع جنية القتيل ، وإما أن يقتل)

نجيب العمراوى

الأمية فى العالم

يؤخذ من دائرة المعارف الانجليزية الحديثة أن عدد الأميين فى مصر ٩٢ فى المائة (الصواب : ٨٢) ، وفى الهند الانجليزية ٩٢ ، وفى الصين ٨٠ ، وفى سيلان ٦٦ ، وفى غواتيمالا ٦٥ ، وفى أسبانيا ٦٣ ، وفى البرازيل ٦٠ ، وفى كولومبيا ٦٠ ، وفى البورتغال ٦٠ ، وفى شيلى ٣٩ ، وفى الأورغواى ٣٩ ، وفى الأرجنتين ٣٧ ، وفى فنزويلا ٣٧

وفى الولايات المتحدة وزيلانديا الجديدة وكندا وفرنسا واليابان واستونيا وبلجيكا يتراوح عدد الأميين بين واحد وعشرة فى المائة

أما فى سويسرا والدانمرك وألمانيا وأسوج ونروج وفنلنديا وهولندا وانكلترا ، فعدد الأميين أقل من واحد فى المائة

مستعمرات فرنسا

لفرنسا من الممتلكات ما تبلغ مساحته ١٢ مليون كيلو متر مربع ، تضم نحو ستين مليون نفس . ففى أفريقية الشمالية : مراكش ، الجزائر ، تونس ، أفريقية الغربية ، وتشمل : السنغال ، غينة ، الشاطئ العاجى ، الدهومى ، السودان الفرنسى ، موريتانيا ، نيجر . وفى أفريقية الاستوائية : توهاد ، أوبنغى شارى ، توغو ، كرون ، كونغو . ثم جزيرة مدغشقر والصومال الفرنسى ، وجزيرة رنيون

وفى آسيا : الهند الفرنسية وتشتمل على : بونديشارى ، شاندر ناغور ، يا نون ، كاريكال ، ماهه . والهند الصينية وتشتمل على كمبودج ، أنام ، تونكين ، لوس . ثم كونتشو

وفى أمريكا : جزائر سان يسار وميكيلان ، جزائر الأنتيل غينيا الفرنسية

وفى الأقيانوسية : جزر كالدونيا الجديدة ، جزر هبريداس الجديدة وغيرها من الجزر الصغيرة

وإذا جمعنا عدد سكان الممتلكات البريطانية والفرنسية بلغ ٦٠٠ مليون نفس أى نحو ثلث سكان العالم ومساحتها أيضاً تشغل ثلث مساحة اليابسة

فون كلوك وسقوط باريس

كان فون كلوك قائد الجيش الألمانى الذى زحف إلى باريس فى أوائل الحرب الماضية ، وكاد يدخلها لولا واقعة المارن التى قطعت أمله . وقد اطلعنا فى إحدى الصحف الفرنسية على التصريحات التى فاه بها بعد هزيمته فى تلك الواقعة التاريخية ، قال :

« أنا لم أضع خطة الزحف إلى باريس كما قيل ، إذ لم يخطر على بالى أن سقوط العاصمة الفرنسية يؤدى إلى إخضاع فرنسا وإجبارها على التسليم ، بل كنت أعتقد أن عزل فرنسا عن حلفائها هو السبيل الوحيد إلى إخضاعها ، وأن عزلها لا يتم إلا باحتلال سواحلها

كان الامبراطور غليوم يحضنا على الزحف المتواصل ، لكى نستولى على باريس ونضرب معنويات الحلفاء فى الصميم ؛ وقد أعد علم ألمانى كبير مساحته ٤٠٠ متر مربع ليرفع على برج إيفل بعد احتلال باريس ، وكان الموعد المقرر لدخولها فى الثانى من سبتمبر غير أن أعجوبة ظهرت فى الجيش الفرنسى أنقذت عاصمته وأبطلت خطتنا ، فقد اكتشف طيارونا وكشافتنا أن ذلك الجيش الذى كنا نظنه ممزقاً عاجزاً عن الدفاع قد أعيد تنظيمه بسرعة غريبة واستعاد عزيمته ووقف مكانه وقفة المستقتل الذى يؤثر الموت على التراجع

ما كنا نتوقع قط أن رجالاً يتقهقرون أمامنا عشرة أيام متواصلة يتحولون بين يوم وآخر إلى جلاميد لا تزحزح عن أماكنها . تلك هى العجيبة التى لم يرو مثلها التاريخ الحربى ! »

من ذكريات الحرب الماضية — داء فرنسا قديم

كتب مسيو بوانكاريه فى مذكراته اليومية بتاريخ ١٣ أغسطس ١٩١٤ ما يلى : « عرفت اليوم من الجرائد أن مدافع الألمان ما برحت منذ صباح أمس تضرب بون آمسون. ويظهر أن وزير الحربية يجهل ذلك . وقد ألححت عليه أن ينبّه باسمه واسمى أركان الحرب إلى إهمالها »

وكتب بتاريخ ١٦ أغسطس : « ما أزال بين الشك والقلق والانتظار فلا أعرف عن الحركات الحربية فى جبهة القتال إلا النزر اليسير مما ينقله إلىّ الضباط . ولما أشير علىّ بزيارة خطوط النار استشرت وزير الحربية فاستصوب فكرتى، ولكنه رأى من واجبه أن يستشير أولاً أركان الجيش العليا التى لم تر زيارتى فى الحالة الحاضرة مناسبة فعدلت عنها ممتثلاً . وأرانى كأحد أولئك الملوك الكسالى الذين يقضون أيامهم فى الخمول والدعة فالجيش اليوم هو صاحب الكلمة العليا ولا مندوحة لى عن السكوت والامتثال »

وفى تلك الأثناء جاء كليمنسو رئيس الجمهورية وشكا إليه أن أركان الجيش تخفى اندحار الجيوش الفرنسية وتذيع انتصارا وهميا ، وأبلغه أن الألمان أسروا طابوراً فرنسياً بأسره ونكلوا بآخر . فقال بوانكاريه إنه يجهل كل ذلك، لأن أركان الجيش لا تمده بشيء مما يجرى فى ميادين القتال ، ثم قال : «لقد طالبت مراراً فما كنت أجاب إلا بالسكوت »

وكان موقف فرنسا يزداد حرجا بين يوم وآخر ، فالألمان فى بلجيكا كانوا يتقدمون بسرعة ، والإنكليز تراجعوا حتى ڤالنسيان موبوج ، والجنرال جوفر أمر جيوشه بالانسحاب . وفى ذلك يقول بوانكاريه فى يومياته : « أردت وأنا بعيد عن خطوط القتال أن أسمى إلى « الاتحاد المقدّس » بتأليف وزارة جديدة فصدمتنى النازع الشخصية والمشاكسات السياسية . إن فيفيانى (رئيس الوزارة يومئذ) محاط بجيوش من المطامع ، وقد ذكرلى فى جملة المرشحين للوزارة الجديدة بعض أسماء يستحيل قبولها لأنها تدعو إلى الخجل . عاد إلىّ ميلران وصرّح بأنه لا يقبل وزارة الحربية إلا إذا خوّل حق الاتصال مباشرة بالجيش المحارب »

وأراد أوغانيجر وزير البحرية أن يحمل مسيمى على الاستقالة من وزارة الحربية ، فتظاهر بالإشفاق على صحته قائلاً له بلهجة تجمع بين الجد والدعابة : « إن دلائل الجهد ظاهرة عليك ، فأنصح لك نصيحة طبيب أن تترك مهمتك الشاقة التماساً للراحة ، وإلا اعترتك السوداء » . فوقع هذا الكلام فى نفس الجنرال مسيمى موقع الرضى ، فاستقال من منصبه ، وذهب إلى ساحة القتال يقود أحد الجيوش

وذكر بوانكاريه أيضاً فى يومياته : « طالب المسيو بريان بوزارة العدل ، فتخلى له عنها المسيو بينفينى مارتان مثال الوداعة والإخلاص . وطالب دلكاسه ، وهو أكثر تمنتاً من بريان بوزارة الخارجية ؛ وقد أسمعنى الكلام التالى : « إن لاسمى تأثيراً كبيراً لا يستطيع أحد إنكاره . لقد طالما سفهوا سياستى التى رمت إلى تطويق ألمانيا، ولكنها انتصرت أخيراً . فأنا الذى أوجد الاتفاق مع انكلترا ، وأنا الذى عقد المحالفة مع روسيا . ولا شك أن العالم يتوقع أن يرانى فى كى دورسى » . إن لدلكاسه خدمات وطنية جليلة لا تنكر ، وكان خليقاً به ألا يذكرها فى ذلك الوقف الحرج الذي كان يتطلب التضحية قبل كل شيء . ولكنه أبى إلا وزارة الخارجية التى كان يديرها بمهارة فائقة المسيو غاستون دومرغ الفرنسى الصادق . وشاء ڤيڤيانى إزاء تصلب دلكاسه أن يتنزل له عن رياسة الوزارة ، فقال له دومرغ :

— ابقَ فى مركزك

فأجاب فيفيانى :

— إنى أتخلى بملء إرادتى لدلكاسه عن مركزى. ولا بأس أن يعزى ذلك إلى عدم كفايتى؛ فى الحالة الحاضرة لا يهمنى نوع الخدمة ولا مجالها »

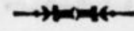
وقد أثر فىّ كلام فيفيانى كثيراً إذ دل فيه على شخصية كبيرة وإخلاص وطنى بالغ فلم أمالك أن صافحته معجباً مهنئاً





عرس القـــرية

للأستاذ محمد سعيد العريان



كانت «راجية» تعلم أنها مفارقةٌ المدينة غداً، ما من ذلك بُدّ؛ لقد حاولتْ ما حاولت أن تنسأ الأجل إلى الرحيل فلم تظفر بطائل، وافتنَّت في الاحتجاج لرأيها ما افتنَّت فلم يستمع لها أحد؛ وأجمت الأسرة أمرها على السفر إلى الريف لتكون بمنجاة من ويلات الحرب... حقاً! أيكون الريف أبعد من المدينة عن ويلات الحرب؟ هكذا زعم أبوها وأخوها وليس لرأيهما معقِّب...

وراشت راجية آخر سهم في كنانتها؛ فاصطنعت العزم والقوة، وتماسكت من ضعف ورخاوة، وقالت: ولكن، يا أبي، إن للوطن عليّ حقاً يقتضيني الوفاء. ليس من المروءة أن أفرّ والوطن يدعوني إليه... ينبغي أن أبقى لأقوم بواجبي في التمريض والإسعاف إذا لم تكن لي طاقة بحمل السلاح للدفاع والمقاومة؛ ينبغي...

وقاطعها أبوها: نعم، ينبغي، ولكن واجبك هناك، في القرية؛ إن إخوتك وأخواتك هناك في حاجة إلى التمريض والإسعاف أكثر من جرحى الحرب!

وابتسم ابتسامة عابسة؛ لقد كان يعلم أي فتاة هي في رخاوتها وضعف احتمالها، ولكنه يقاوم حجة بحجة...

وصمتت الفتاة برهة وهي تنقل النظر بين أبيها وأخيها وأمها، ثم همّتْ أن تتكلم حين ارتفع صوت المذياع يعلن أنباء الحرب في الميدان القريب، ثم سكت، وتلاشى الصَّدى في الغرفة المغلقة على أربع أنفس قلقةٍ مضطربة تتنازعها أهواء وعلل وآمال على خشية وحذر ورِقْبة. وقال الفتى بعد صمت: لقد بدأت البادئة فلا بدَّ من الخاتمة...!

وحدّقت أمه في وجهه مذعورة، وهتفت: صلاح، أتعني...؟

قال «صلاح»: نعم يا أمي؛ إنه فرضٌ عليّ يجب أن أتهيأ للوفاء به

وأطرق أبوه وشفته تختلج، وعمّ الجميعَ الصمت... وشعرت راجية لأول مرة أنها بإزاء أمر خطير يقتضيها أن تفكر في هدوء وروية... وعادت تنظر إلى أبيها وأخيها وفي عينيها سؤال ليس معها جوابه، وأحستْ إحساس المفارِق يودّع أحبابه إلى حيث لا يدري متى يكون اللقاء؛ ووجدت حاجتها إلى الدمع فأسرعت إلى خلوتها!



وأغفتْ راجيةُ لحظاتٍ واستيقظت ذكرياتُها وأمانيها، فتعاقبتْ عليها الرُّؤَى والأحلام، ثم أصبحتْ... ونسيتْ ما كان من حديث الأمس ومن خبره؛ فلم تعد تذكر شيئاً إلا أنها مفارقةٌ المدينة بعد قليل لأمرٍ لا تكاد تعرف له وجهاً ولا علة، وأنها لن تذهب إلى السينما بعد اليوم، ولن تلقى أصدقاءها وصديقاتها، ولن تستمتع بما كانت تستمتع من اللهو حين كانت تخرج كل يوم إلى رياضتها بين حدائق الجيزة والجزيرة ومصر الجديدة، وحضرتْها صورٌ عدة، وانثالتْ عليها ذكريات... وذكرتْ... إن ثيابها الجديدة ما تزال عند الخيّاطة لم تفرغ منها بعد، وقد كانت حقيقةً بأن تفرغ منها منذ أيام، لولا أن راجية كانت تؤثر الرويّة في تفصيل ثيابها ريثما ترى أحدث الأزياء فتقيس عليها. ماذا تفعل اليوم؟ أفٍّ للحرب! لولاها لكانت اليوم - على عادتها في كل سنة - جالسةً تحت الشمسية الظليلة على شاطئ سيدي بشر، أو رائحة غادية في معرض زينتها بين كليوباترا وخليج ستانلي؛ ولكن الإسكندرية اليوم منطقةٌ حرام، فمَن ذا يخاطر بعمره بين الموت الأحمر من أجل ساعة على الشاطئ العريان؟ ومَن ذي تحاول أن تشتري بعمرها كلمةَ إعجاب من شاب طائش تستهويه بزِيّها وزينتها؟

...ثم ذكرَت القرية... ياه! مُنذ كم لم تذهب راجية إلى القرية؟ القرية التي نَمَتْها ونَمَتْ أباها وما تزال تغذوها بخيرها وبِرِّها الدائم على عُنف ما تلقى منهم من العقوق ونكران الجميل! لقد فارقتْ راجية القرية منذ سنوات بعيدة، لعلها لا تذكرها،

أو لعلها تذكرها وتنكرها لئلا يكون ذلك نميمةً على عمرها الذى تحرص على كتمانه ... ولم تذهب راجيةُ بعد ذلك إلى القرية التى فارقتها طفلة، إلا مرة ، مرة واحدة صحبتْ أباها فى موسم الحصاد ؛ وكانت يومئذ فتاةً فى أول صحْوة الشباب ، فما كادت تهبط القرية حتى لمت متاعها للرحيل ، ثم لم تعد ؛ فكيف يريدونها اليوم أن تهيئ نفسها لإقامة طويلة هناك ، لا تدرى متى تنتهى ، وكيف تنتهى ؟

وضاق صدر الفتاة ، وخيل إليها أن يداً تشد على رقبتها فتمنعها أن تتنفس ؛ وكانت أمها فى حجرتها تعد حقائب السفر !

* * *

وأخذت الفتاة زينتها وخرجت لأمر من أمرها ، ولم تنس أن تنظر فى صندوق البريد قبل أن تجتاز الباب ! وكانت الظهيرة حامية ، والشمس تفرش الشوارع من أشعتها الحمراء ، وقد خلتْ مركبات الترام إلا من الموظفين العائدين إلى بيوتهم يتأبطون صحفاً وأضابير من أوراق الحكومة ، أو يحملون إلى أهليهم من الفاكهة والحلوى ، أو من الفجل والجرجير ... !

واتخذت الفتاة مقعدها فى الترام ، وثمة عينان تلحظانها من مقعد قريب ، وكانت فى غفلة بنفسها وما يصطرع فى قلبها من ألم ... هاتان عينان تعرفهما وتعرفانها

ولما همت الفتاة أن تهبط من الترام عند بيت الخياطة، نظرتْ، فعرفتْ ، فقنعت رأسها وتضرجت وجنتاها حياء ؛ ثم مضت فى طريقها لا تكاد تحملها رجلاها ...

وأجدَّت لها عيناه ذكرى وألماً ، وأطاف بها همٌّ جديد ...

وحاولت الفتاة أن تمحو صورته من خيالها فما أطاقت ؛ وكأنما تراءى لها فى تلك اللحظة على غير ميعاد ليكون آخرَ ما يصحبها إلى القرية من صور المدينة !

... لم يكن « عابد » فتاها الذى تؤمل، ولكنها كانت فتاته ؛ لقد كانت تعلم من أمره ما يحسبه هو سراً من سره ، فإن له عينين لا تستطيعان الكتمان ، تعبّران عن معنًى لا يبوح به لسانه ولا طاقة له به ؛ على أنه لم يستطع بكل ما أطاق من قوة الحب أن يشغلها بأمره ، ولا هو حاوله ؛ ولكنها كانت تعرفه ، وتحس وقع نظراته ؛ وكان ذلك حسْبها وحسبه ؛ فإنها لتُكبِر نفسها وهى مَن هى وحيث هى — أن ينتهى أملها عنده، وإنها لترى كل يوم من ترى وتسمع ما تسمع، فإن لها فى كل يوم أملاً تأمله بالنهار وتحلم به فى الليل ... كان ذلك وهى فى المدينة المتراحبة التى لا يغيب نهارها حين تغيب الشمس ... أين هى غداً من أمانيها ؟ وا أسفا ! لكأنما ارتكبت إثماً جوزيت عليه بالسجن إلى أجل غير مسمى !

* * *

لم تكن راجية تعرف من الفرق بين القرية والمدينة إلا هذه الأضواء الساطعة ، وتلك الملاهى الساهرة ؛ ثم صديقاتها اللائى تراهن كل يوم ويرينها ، ليس لهن من حديث إلا عن الأزياء والسهرات وأخبار الفتيان والفتيات ؛ وأنشأت لها هذه الحياةُ التى كانت تحيا أمانيَّ وأحلاماً تراوحها وتناديها فى يقظتها وفى منامها ؛ وحين جاءتها « الخاطبة » بأول خاطب يطالب يدها أيقنت أنها من الغاية التى تهدف إليها على مقربة ، فراحت تبالغ فى الطلب وتشتط فى الشرط ؛ وحرصت من يومئذ على أن تعرف ما لا يعرف إلا القليل عن طبقات الموظفين ودرجات الوظائف وسلالم الترقية لكل طبقة ؛ ثم مضتْ تسترسل فى أمانيها وحلّقت فى أفق بعيد ؛ وراحت تتبع عينيها كل منظر، وتُرعى أذنيها كل نبأ ، فاجتمع لها من المعارف بشئون الطبقة العليا من أهل المدينة ما خيِّل إليها أنها أوشكت أن تبلغ ...

... وعلى حين غفلة صلصل الجرس يدعوها إلى الرحيل ... !

* * *

وعادت الأسرة إلى القرية التى هجرتها منذ بضع عشرة سنة تلتمس حياة جديدة بين أنوار المدينة ؛ لقد هجروا القرية يوم هجروها أربعةَ نفر ، وعادوا إليها ثلاثة ، وخلفوا رابعهم هنالك مرابطاً ينتظر الآونة التى يدعوه فيها الوطن ليبذل شبابه !

واستيقظت راجية على صياح الديكة من وراء جدار ؛ فنهضت من فراشها وفتحت النافذة تستروح روْح النشاط والقوة ... ومرّ الراعى بنافذتها يسوق ماشيته ... فما إن رآها حتى طأطأ رأسه وأوفض فى السير ، ونظرت فى أعقابه ، ثم ارتدّت عن النافذة ...

يا لله ! وفى القرية كثير من مثل هذا المسكين ؟ عظم معروق فى ثوب خلق يوشك أن يحطمه عصفُ الريح ، يقود ماشية تكاد تنشق شبعاً ورِيًّا ؛ إنه يؤثر ماشيته على نفسه لتعيش فيعيش بها !

ثم تتابعت أفواج الفلاحين سارحين إلى حقولهم يتبعهم

ولداتهم ، قد أوقرتْ ظهورهم بمـا يحملون ، ومضى النساء إلى عملهن ...

ووجدت راجية ما يشغلها ، فنسيت شيئاً بشيء . ومن يومها الأول وهى ترى وتوازن وتحكم ؛ ولما جلست فى المساء على حافة القناة بين رفيقات من بنات القرية يسامرنها ويتحفَّينَ بها ، أحستْ فى نفسها عاطفة جديدة تنموشيئاً فشيئاً ، ورأت فى حديث هؤلاء القرويات روحاً ومعنى غير ما كانت تجد من حديث صواحبها فى المدينة ...

وأشرق القمر عليها وعليهن وذاب فى ماء القناة شعاُعه ، ونظرت إلى صواحبها ونظرن إليها فـكأنما سكب القمر على قلبها من شعاعه الطهور فغسله ممـا فيه ؛ وأحست فيضاً من الحنان والحب يغمرها فيدنيها إلى رفيقاتها قلباً إلى قلب وروحاً إلى روح ؛

وذكرت كلمة أبيها :

« نعم يا بنيتى ... ولـكن واجبك هناك ... إن إخوتك وأخواتك فى القرية أحوج إلى التمريض والإسعاف من جرحى الحروب ! »

بلى ، وإنها لتشعر الساعة بثقل هـذا الواجب على عاتقها أكثرَ ما شعرت فى حياتها منذ كانت . إن عليها لهؤلاء المساكين حق الإرشاد والمعونة بكل ما تملك يدها من مال وما يملك قلبها من الحب

وتبدلتْ راجية مذ طرقها هذا الشعور الجديد ، فعادتْ فتاة غير من كانت !

وأحبت القريةَ أكثر مما كانت تبغضها ، حتى لو أن أحداً راودها أن تعود إلى المدينة لتأبّت ، وتزّينتْ لها القريةُ زينةَ عروس ؛ فـكل ما فيها جميل فاتن !

ومضت أيام ، وبعث « صلاح » إلى أبيه :

« أبى !

« ... وكل شىء هادئ ، فليس ثمة خطر ممـا توقعتَ أن يكون ...

« وإنى لأخشى أن تكون حياة القرية بحيث لا تطيب لـكم فيها الإقامة ؛ فإن رأيت ... »

وقرأ الأب رسالة ولده فصباً ؛ لقد كان يقدّر ــ وهو ربيب القرية منذ كان ــ أنه يستطيع أن يعود إلى ماضيه فيعيش فى الريف عاماً أو بعض عام حتى تهدأ العاصفة ويعود السلام والطمأنينة إلى المدينة ؛ ولـكن ... ها هو ذا يحسّ السأم والملالة ولما تمض أيام ... !

واجتمعت الأسرة حول عميدها تفكر وتدبر، وقالت راجية: أبى ... ولـكن المدينة ...

وقاطعها أبوها : لا يا بنيتى ؛ لقد كنا مغالين فى تقدير الأمر، وأظن خيراً لنا أن نعود ... !

***

ولـكن راجية لم تعد إلى المدينة ، ولم يعد أبوها ، لأن ضيفاً عزيزاً هبط عليهم فى القرية فتلبثوا لاستقباله ...

لقد أجمع « عابد » رأيه على أمر ، فكتب إلى الأسرة يستزيرها فى القرية ، وكان معه صلاح

وتحلق حول المائدة ثلاثة نفر يتشاورون فى أمر ذى بال . وقال عابد ، وقال صلاح ، وقال أبوه ؛ وتركوا لراجية أن تقول الـكلمة الأخيرة ؛ وقالتها ، وانتهى النبأ إلى الجيران فتجاوبت الزغاريد من طاق إلى طاق

وقال الفتى لفتاته : والأمر لك يا عزيزتى من بعد ؛ فإن شئت كان العرس فى المدينة ، فإنى لأعرف كيف تريدينه أن يكون ، وإنى ليسرنى أن أرضيك ...

وابتسمت راجية وقالت: شكراً يا عزيزى، ولكن، إننى حريصة كل الحرص على أن تكون صديقاتى جميعاً إلى جانبى ، هنا ، وأن يشاركننا جميعاً فى الفرح والمسرة !

قال عابد : يسرنى ... ولـكن ... أين ... ؟

قالت : لا تبعد يا عزيزى ! ماذا فهمت ؟ ... إن صديقاتى اللاتى أعنى لَيُلبِّينَ الدعوة مسرعات ولو كان موعدها غداً !

قال : غداً ؟

قالت : نعم ، والليلةَ إن أردت ، إنهن غير بعيد !

***

واحتفلت القرية كلها بعرس راجية ، لم يتخلف منها أحد ! لم تكن هناك ثريات ، ولا أعلام ، ولا سرادق منصوب ، ولا موسيقى تعزف ، ولا مطرب يغنى ؛ ولـكن رجالاً أربعة كانوا جلوساً إلى نضد صغير فى دوار العمدة ينظرون فى توزيع خمسين جنيهاً على أهل القرية ، احتفالاً بزفاف راجية . أولئك أصدقاؤها وصديقاتها، لم تنس أحداً منهم، ولم يتخلف عن دعوتها أحد !

محمد سعيد العريان

فهرس الموضوعات للمجلد الأول من السنة الثامنة

فهرس الكتاب المجلد الأول من السنة الثامنة